أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٧٨) صفر ١٤٤٣ هـ - سبتمبر/أكتوبر ٢٠٢١ م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

الإعلام ووعي المسلم المعاصر

- التعليم في صيغة المستقبل
- الأسرة والتربية الإبداعية
- مقاصد الأوقاف التنموية

مجلة الوعى الإسلامى  www.alwaei.gov.kw  alwaeiq8@gmail.com  موقع مجلة الوعي الإسلامي 





الجمع بين وقفي هلال والخصاف

لقاضي القضاة

أبي محمد عبد الله بن الحسين الناصحي الحنفي

المتوفى سنة (٤٤٧هـ) رحمه الله تعالى

دراسة وتحقيق

د. تركي محمد حامد النصر

باحث الدراسات الإسلامية

إشراف

د. فلاح محمد فهد الهاجري

جامعة الكويت



تحقيق المخطوطات الوقفية

WAQF MANUSCRIPTS EDITING



الجمعُ بين وقفي هلال والخصَّاف

إصدارٌ علميٌّ نفيسٌ، يتناولُ بابًا مُهمًّا من أبواب الفقه الإسلاميِّ، وهو باب (الوقف)، وتأتي أهميته من كونه يجمعُ بين كتابين أصيلين في مجال الوقف، وهو من إصدارات إدارة المعلومات والتوثيق في الأمانة العامة للأوقاف، ضمن مشروعها الرائد في تحقيق المخطوطات الوقفيَّة، أحد مشاريع الدول المنسِّقة لجهود الدول الإسلاميَّة في مجال العمل الوقفي بإشراف الدكتور فلاح محمد الهاجري، والإصدار بدراسة وتحقيق الدكتور تركي محمد حامد النصر، باحث الدراسات الإسلامية بمجلة «الوعي الإسلامي».



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

دور الإعلام في التوعية المجتمعية

لقد تغيرت صورة الإعلام في الآونة الأخيرة، وتغيرت النمطية التي كان ينظر بها إليه قديما على أنه وسيلة تسلية وترفيه فقط؛ بل أصبحت مجمل أدواته للضبط والتحكم في مختلف الجوانب، ولاسيما الجانب الاجتماعي، هذا الجانب الذي يشمل أطياف المجتمع أفرادا وجماعات، ويؤثر في ثقافتهم وسلوكهم، حتى صار من يملك أدوات الإعلام وفضاءه السيد على الحقيقة.

ولا ريب بأننا نعيش في زمن يلعب الإعلام فيه الدور الأساسي، لا سيما في وقت صارت وسائل التواصل الاجتماعي من أساسيات الحياة العملية والعلمية والاجتماعية والترفيهية، وحتى الأسرية. حيث استحوذت هذه الوسائل على أوقات الناس واستقطبتهم حتى غدا الولوج فيها سمة لجميع المجتمعات على مختلف ثقافتها ومشاربها التقليدية والدينية.

ومن هذا المنطلق لا بد من حضور قوي للإعلام الإسلامي يخاطب شرائح المجتمع المتعددة، ويكون خطابه شاملا وغير محصور في فئة من الفئات، لأن المجتمع يشمل هذه الشرائح كلها، لكي يتماشى مع شمولية الدين الإسلامي لجميع جوانب الحياة، فضلا عن القضايا الكبرى التي تهم الأمة بمجموعها وما يتعلق بمستقبلها، وعليه فإن مهمته تتجاوز التثقيف والتوعية وفتح القنوات المعرفية أمام أجيال المسلمين، إلى التحفيز ووضع الخطط المناسبة في التصدي للغزو الفكري والثقافي والأخلاقي، ولاسيما في ظل الانتشار الهائل الواسع لوسائل الإعلام التي تؤثر في المجتمعات تأثيرا مباشرا، وتنقل فلسفات وثقافات شعوب العالم إلى مجتمعاتنا المسلمة.

كما ينبغي لإعلامنا أن يكون على قدر المسؤولية في إشباع حاجة المجتمع في معرفة الحقائق، وفي وصول المعلومة من غير تشويه أو نقص أو تحريف، مما يؤثر سلبا في الفهم الصحيح للواقع، وذلك كله في ظل معركة حقيقية يتربص من خلالها أعداء الأمة في مكامن تؤثر تأثيرا مباشرا على المجتمع وثقافته.

ولابد من الإشارة إلى أن الارتقاء بالإعلام الإسلامي وجعله مؤثرا في المجتمع المسلم وغير المسلم يحتاج إلى الإحساس بأهميته وضرورة وجوده، ثم يحتاج إلى كثير من الإصرار والعمل الجاد المدروس وفقا لمنهجية واضحة المعالم والوسائل والأهداف، مع دعم سخي من الجهات المعنية.

وختاما؛ فإن الإعلام المنشود هو ذاك الإعلام الذي ينطلق من هويتنا الإسلامية، ويعمل على ترسيخها ترسيخا يوضح حقائقها، ويزيل غبار الشبهات والشوائب والأدران عنها، ويقدم الدين بمنهج وسطي معتدل انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ (البقرة:١٤٣)، كما يقدم الوعي الشامل ويوجهه إلى جميع فئات المجتمع، ويؤدي دوره في تقويم السلوك وتوجيه طاقات الأمة إلى حيث ينبغي أن توجه، وهذا من مستلزمات الأمر بالمعروف الذي يخدم المجتمع المسلم، والنهي عن المنكر الذي يحميه من الشوائب، امتثالا لقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه؛ فلا يستجاب لكم». (الترمذي).

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٧٨/ محرم ١٤٤٣ هـ
العام التاسع والخمسون
سبتمبر / أكتوبر ٢٠٢١م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

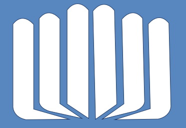
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

مسؤولية الإعلامي المسلم

لكل عصر سمات، ولعصرنا هذا سمات، ومن أبرزها انتقال الأخبار بسرعة لا تتعدى الزمن الذي يلزمه تحريك الإصبع والضغط على شاشة هاتف ذكي أو لوحة مفاتيح حاسب آلي، ومن هنا يتسم إعلام العصر الحديث بتبادل المعلومات دون فرصة حقيقية للتأكد من صدقها وتحري الحلال والحرام عند المساهمة في إعادة نشرها؛ فيقع المسلم مثله مثل غيره في المحظور إذا لم ينتبه لذلك.

لكن مسؤوليتنا لا تقتصر فقط على التحري وإعادة النشر أو وقفه عند حدودنا؛ بل إلى نشر المفيد الصالح لنسهم بدور جاد وفعّال مواكبا لسيل المنشورات التي تعج بها الصحافة الإلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي.

وكم من فوائد وحكم ومواقف خالدة في ديننا الحنيف مسطورة في السنة النبوية وتاريخ السلف الصالح! وكم من حكم وفوائد خطّها من سار على دربهم وبات حري على الإعلامي المسلم المعاصر أن يأخذ منها ويعيد نشرها في السياق الذي تتطلبه مجريات الأحداث والنوازل.

لم يكن الإعلامي المسلم أبدا سلبيا أو منشغلا فقط بالرد والتصحيح؛ وإنما أيضا مساهما في نشر الحقيقة والمعلومة الصحيحة.

التحرير

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. بديع السيد اللحام
أستاذ الحديث بكلية الشريعة
جامعة دمشق - سوريا



ثم استقاموا

إن من المسلمات أن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه عمل عامل من خلقه، ولو كان مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (يونس:٦١)، وإذا انقلب العباد إلى ربهم سينبؤهم بما كانوا يعملون، ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:١٠٥)، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:٦٠) فهو سبحانه محيط بأعمال خلقه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (هود:٩٢)، ومطلع عليهم لا تخفى منهم خافية، ولن يتر الناس أعمالهم ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ (محمد:٣٥).

إذا استشعر الإنسان ما تقدم كان ذلك دافعا ومحفزا له للقيام بصالح الأعمال، فينعم المجتمع بآثاره الطيبة التي لا يضيع ثوابها وأجرها عند الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون، كما سيجد العون من الله تعالى في الدنيا،



وكان يقال: «صاحب المعروف لا يقع فإذا وقع أصاب متكأ».

ثم إن الاستقامة على فعل الصالحات وترك المنكرات تحتاج إلى صبر ومصابرة، يقول تعالى ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ (مريم:٦٥) وقال عز من قائل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه:١٣٢).

فالصبر -كما قال العلماء- على أنواع؛ صبر على الطاعة والعمل الصالح، وصبر عن المعصية، وصبر على أقدار المولى المؤلمة.

ثم إنه لا أدل على أن الاستقامة والصبر عليها منجاة للمؤمن من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ (الأحقاف:١٣،١٤).

ومن الأسباب التي تدفع المرء إلى فعل الخيرات والأعمال الصالحات، وتمنعه من فعل المنكرات، وتعينه على الاستقامة:

❖ الإيمان الصادق، الذي يزود الوجدان بعناصر استقامته ويقظته، ويحرره من كل سلطان غير سلطان الحق الذي يرى المؤمن مصداقه في كل حكم من أحكام دينه، فهو لا يعبد إلا الله، ولا يخشى أحدا سواه، ولا يستعين إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرجو إلا منه، فهو الذي بيده ملكوت كل شيء، ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ (المؤمنون:٨٨) وهو الذي جعل لرسوله وللمؤمنين نصيبا موفورا من العزة التي قرنها سبحانه وتعالى تفضلا بعزته، وهو سبحانه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك مما يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير إنه على كل شيء قدير.

❖ التزود بالعلم والمعرفة التي تغذي الإيمان وتقويه، وتزيد المؤمن مراقبة لمولاه، تنعكس آثارها إخاء ورحمة ومساواة بين أفراد المجتمع.

وقد دلنا القرآن الكريم والسنة المطهرة على الطريق الصحيح للمعاملة الحسنة:

- فإسلامنا يعلمنا الصدق قولا وعملا، فلا يكون المؤمن إمعة يكون على الحق مادام الناس معه، و يغدو مع الباطل ما غدا الناس معه، فهو موطن نفسه أن يحسن إن أحسن الناس، فإن أساؤوا اجتنب إساءتهم، قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا»[1].

وقد ضرب لنا كتاب الله المثل بقارون المثري المتكبر مبينا عاقبة الغرور والإعراض عن الهدى، وكيف يتمنى الجاهلون زخارف الحياة خلافا للذين أوتوا العلم: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (القصص:٧٩-٨٠)

ألا ما أحوجنا في هذه الأيام إلى تدبر معاني تلك الأمثال التي ضربها الله في كتابه لنثبت على فعل الخير الذي يتطلب مجاهدة أهواء النفس ومنعها من الانجرار وراء زخارف الدنيا ومتعها.

على أن لا تأخذنا هذه المجاهدة إلى حد التنطع المهلك، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا(٢)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عنه أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه. فقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٣].

- ويعلمنا الدين بر الوالدين ورعايتهما وطاعتهما في غير معصية بمنتهى الاحترام والحنان. قال الله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ (لقمان:١٤،١٥) فقرن بشكره سبحانه شكرهما.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء:٢٣،٢٤).

- ويحثنا إسلامنا على صلة الرحم، فعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «الرحم شجنة، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»[٤]. ومعنى قوله (شجنة من الرحمن) أي أن اسمها اشتق من هذا الاسم الذي هو من صفات الله تعالى فالرحم أثر من آثار رحمته تعالى، مشتبكة بها، فمن قطعها كان منقطعا من رحمة الله عزوجل، ومن وصلها وصلته رحمة الله تعالى.

وقال رسول الله ﷺ تعزيزا لهذا المعنى: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك»، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ (محمد:٢٢،٢٣)[٥].

- وجعل إسلامنا كمال الإيمان متحققا بحسن الأخلاق لطيف المعاشرة، قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وألطفهم بأهله»[٦].

- وأمرنا أمرا مؤكدا بحسن الجوار، قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»[٧].

- كما حذرنا تحذيرا شديدا من نؤذي جيراننا أو نعكر عليهم صفو الحياة، فعن أبي شريح رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»[٨].

- ورغبنا إسلامنا بتنفيس كرب المكروبين، والسعي في التخفيف من معاناتهم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ...»[٩].

وهذا غيض من فيض ما تضمنته شريعتنا الغراء من توجيهات وتعاليم كفيلة ببناء مجتمع المحبة والألفة والتعاون والتماسك، إذا ما أخذنا بتلك التعاليم وعملنا بتلك التوجيهات، ووطنا أنفسنا على الاستقامة على هذا النهج الواضح البعيد عن التعسف والتعقيد، والذين نستطيع من خلاله أن ننعم بتثبيت الله تعالى لنا في الحياة الدنيا وندرك البشرى في الآخرة، وصدق الله القائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ (فصلت:٣٠-٣٢).

الهوامش

١- سنن الترمذي (٢٠٠٧).
٢- أخرجه مسلم (٢٦٧٠).
٣- أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١).
٤- أخرجه البخاري (٥٩٨٨).
٥- أخرجه مسلم (٢٥٥٤).
٦- سنن الترمذي (٢٦١٢)، عن عائشة رضي الله عنها.
٧- أخرجه البخاري (٦٠١٥) ومسلم (٢٦٢٥).
٨- أخرجه البخاري (٦٠١٦)، وأخرجه مسلم (٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه. ومعنى (بوائقه) ظلمه وشره.
٩- أخرجه مسلم (٢٦٩٩).



أ. د. أحمد محمود عيساوي
أستاذ الدعوة والإعلام
والفكر الإسلامي المعاصر

وعي السنن والنواميس الإلهية ودوره في الدورة الحضارية

تتيح عملية التعاقب والتداول السنني للأحداث التاريخية المهمة في حياة الأمم فرصة فريدة ومتميزة للهداية والنهوض والتحرر والتقدم والريادة مرة كل حقبة أو قرن أو قرنين من الزمان، وبذلك جرت سنن وأحداث التاريخ، حتى صارت نواميس ومعالم تسير وتتوقف على وقعها مصائر ومستقبل الشعوب. والأمة الناضجة هي التي تستطيع أن تلتقط لمعات وإشراقات تلك الفرصة وسنوحاتها الحضارية في لمح البصر، وتحولها من مجرد حدث وحركة ظاهرية صاخبة، إلى فعل تاريخي وحضاري ناهض. وهو ما شهدناه من حقائق

التاريخ العالمي والإسلامي، فقد فهمت الكثير من الشعوب ما مرت به من أحداث ومحطات فاصلة، فتلقفت تلك الوقائع من عميق وعيها الجمعي وتفاعلت معها بحركة حضارية بانية، وضعت فيه نفسها على خط الطاعة والخنوع والإيمان بالله تعالى، وفي مقدمة الريادة الاهتدائية الحضارية، وهو ما وضحه لنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وبينه لنا في الكثير من آيات الذكر الحكيم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (يونس:١٣)، حيث هلاك الأمم كان جراء عدم فهمها وتلقفها وتفاعلها مع تلك اللحظة الاهتدائية، وانسجامها واتباعها لتعاليم ربها المرسلة بواسطة أنبيائه ورسله المكرمين.

والمتتبع لما حفل به القصص القرآني وهو يسرد ويصف الكثير من تلك الوقائع والأحداث التي مرت بها الشعوب والأمم البائدة والهالكة والناجية، يتبين هذه السنة الإلهية الماضية في جميع مخلوقاته، حيث تباينت استجابات وتعاملات الأمم والشعوب حيال تلك الفرص التاريخية النادرة، فمنهم من آمن وصدق بها مباشرة، ومنهم من صد وكفر وأعرض عنها، وناوأها وعاداها، ومنهم من تردد واضطرب حتى فاته الخير من اغتنام خيرات ومنافع تلك الفرصة التاريخية الحاسمة، كما حصل مع الكثير من مشركي قريش والعرب.

وقد تتاح للأمم فرصة تواجد مصلح أو مجدد أو زعيم فيهم جاء ليصلحهم ويجدد لهم أمر دينهم ودنياهم، وهي سنة كونية وإلهية ماضية إلى يوم الدين، ولاسيما بعد انقطاع واكتمال واختتام الرسالات بالرسالة الخاتمة مع نبينا محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ (المائدة:٣)، ولكن أهم فرصة تمنح لأي أمة هي مبعث نبي أو رسول فيهم، لهدايتهم ودعوتهم لاتباع منهج ربهم ونجاتهم في الحياة الدنيا ونيل رضوان الله تعالى في الآخرة، وهو الهدف الأسمى والغاية الكبرى من الوجود الإنساني، وهو الحدث التاريخي الذي توافر بكل معطياته التغييرية حين بعثة نبينا محمد ﷺ هاديا ومبشرا ونذيرا مطلع القرن السابع الميلادي ٦١١م.

وقد بين لنا الله سبحانه وتعالى أن الحياة الدنيا مجرد شريط زمني قصير، مختصرا لنا الحكمة التاريخية والسننية كلها، ومقصوده الرئيس منها هو تحقيق العبرة والنجاة والفوز في الدارين شريطة توافر ركن التفكير والوعي والاقتداء الصحيح، فقال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس:٢٤)، وهو من بين أهم مقاصد القصص القرآني الكثيرة.

ومن الأمم التي حدثنا عنها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم والتي استفادت من تلك الفرصة التاريخية التغييرية قوم نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام فقال منبها إيانا في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (يونس:٩٨)، فغاية ومنتهى النهضة والتقدم، والهدف من استثمار الفرصة التاريخية الموهوبة من الله تعالى هو تحقيق الإيمان الكامل به سبحانه وتعالى، لأنه هو الطريق الأوحد للحياة الرغدة الآمنة ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ (الصافات:١٤٧ و١٤٨)، وبذلك كانوا مثلا وأنموذجا يحتذى بين الأمم.

ومن الأمم التي حادت الله ورسله ورفضت نعمة ومنهج ربها، قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد شغل الحديث عنهم مساحة بارزة من آي الذكر الحكيم، وفضلا عن ذلك العرض القرآني المستفيض عنهم فثمة سورة تنعت باسم نبي الله إبراهيم، عرض الله فيها أطرافا من صنيعهم البشع وصنيع من قبلهم من الأمم البائدة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

﴿قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ (إبراهيم:٩).

فقد عارضوا نبيهم ووقفوا في وجه دعوته إلى الله تعالى أصنافا شتى، بدءا من الأهل والأقرباء والأفراد والأسر والجماعات، ورفضوا الفرصة التغييرية النقية التي أتيحت لهم للانتقال نحو الأفضل، وآثروا العمى على الهدى، وهذا شكل من أشكال التوصيف القرآني لحال أولئك الأقوام في طريقة تعاملهم مع المشروع الرباني مفصلا في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة:٢٥٨). ولا يختلف تعامل أبيه وقومه وسدنة المعابد ومجتمعه عن تعامل ملكهم معه، وبالتالي فقدوا (بوصلة) التحكم والتوجه السليم، وأضاعوا الفرصة التاريخية الممنوحة لهم حضاريا، فاستحقوا غضب الله وعقابه، ولعل أهم عقاب هو استبقاء قصتهم وسلوكهم وتصرفاتهم مع نبيهم ومنهج ربهم كمضرب مثل لا يعقله إلا العالمون.

والأمر نفسه حصل مع قدماء المصريين الذين استجابوا لدعوة نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام وكانوا خير أمة تغتنم وتستثمر فرصة وجود نبي فيها لتنهض وتحقق عقيدة التوحيد في الأرض، وقد أثنى عليهم المولى تبارك وتعالى صنيعهم ذلك في سورة يوسف فقال: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ (يوسف:٥٤-٥٦). وبعد استفادتهم من علم نبيهم ووحيه تعالى لنبيه في تطوير حياتهم والرقي بمجتمعهم واكتساب رضوانه رحمة وتكرمة ونعمة منه سبحانه وتعالى جزاء لمن يكون في مستوى الحدث الإلهي ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ﴾.

على العكس من قوم فرعون وملائه الذين منحوا فرصة تاريخية بعيد رحيل نبي الله يوسف عليه السلام بقرون قليلة حين أرسل إليهم نبيه موسى وأخاه هارون عليهما الصلاة والسلام كفرصة تاريخية للهداية والرشاد، فأعرضوا وتجبروا بقوتهم عدا فتية موسى والسحرة الذين تجلت لهم عظمة وقدرة الله تعالى في ميدان السحر والشعوذة، وصاروا أحاديث وسيرا تروى في سير وحكايات الظالمين ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا﴾ (طه:٩٩).

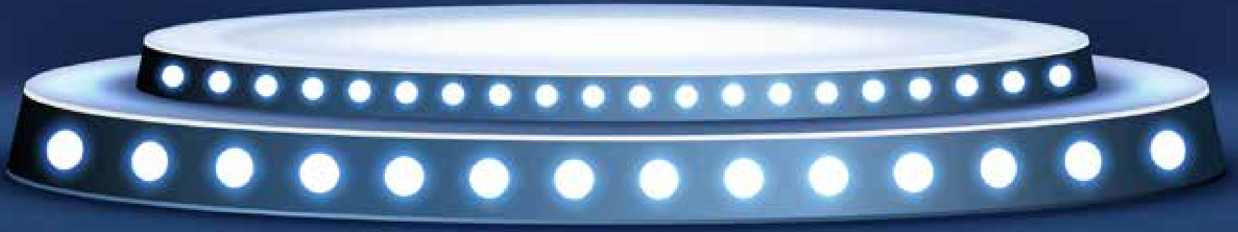
وهكذا القصص القرآني كله، تصوير لحياة الأمم التي وعت السنن وفقهت النواميس الإلهية واستثمرتها في تحقيق التغيير الإيجابي الذي يريده الله سبحانه وتعالى منها في أعلى صوره وهو الإيمان والطاعة والخضوع له، وكذلك الأمم التي أعرضت أيضا عن منهج ربها وفقه سننه وعتت عن منهجه، وقد بين الله تعالى ذلك لنبيه محمد ﷺ في حكمة وخلاصة حياتية وحضارية حاسمة فقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ (هود:١٥ و١٦).

فهل نعي نواميس وسنن الله تعالى؟ وهل نتلقف العبر المبثوثة في القصص القرآني؟ وهل نكون ممن يعرج إلى مستوى الريادة الحضارية بالإسلام؟ جواب ذلك يكمن في مدى فهمنا وتطبيقنا الصحيح والصادق والسوي لتعاليم الإسلام، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ (الحج:٤٠).



رضا عبد السلام رئيس إذاعة القرآن الكريم في حوار مع «الوعي الإسلامي»:

مذيع من ذوي الهمم وصناع التحدي



أكد رضا عبد السلام رئيس إذاعة القرآن الكريم في مصر، في حواره مع «الوعي الإسلامي» بعد أيام من توليه رئاسة إذاعة القرآن الكريم، أن الإعلام الديني يتحمل مسؤولية كبرى تجاه تصحيح المفاهيم وتوعية الشباب ومواجهة الظواهر السلبية، وأن الإعلام الديني بكافة أشكاله سواء مطبوعات أو برامج تليفزيونية أو إذاعية يعد القوى الناعمة التي تلعب دورا مهما في تشكيل قيم المجتمعات والتصدي للأفكار المغلوطة، وأن مراعاة الواقع واحتياجات المجتمع وقضايا العصر أهم ما يجب أن يركز عليه الإعلام الديني في الوقت الحالي، بجانب تبني القضايا الإجتماعية التي تدعم وترسخ القيم وتحافظ على كيان الأسرة المسلمة، كما تطرق في حواره معنا لقصة عمله بالإعلام قبل (٣٠) عاما، موجها رسالة لأصحاب الهمم أنه لا يأس مع الحياة.

الإعلام الديني يتحمل مسئولية تصحيح المفاهيم ونشر الوسطية ومواجهة الأفكار المغلوطة

وأشار في حواره معنا أن مجلة الوعي الإسلامي رائدة في مجال الفكر الديني، ولها جمهور كبير في مصر والعالم الإسلامي، وأنه يواظب بشكل مستمر على متابعة المادة العلمية الرصينة التي تقدمها المجلة، مؤكدا أن قضايا الأمة الإسلامية كثيرة ومتعددة، وأن تكامل الجهود بين مؤسسات وجهات الإعلام الديني في العالم الإسلامي يعد ضمانة للوصول لكافة شرائح المجتمع، كما تعد وسيلة لتنوع جهود التوعية الدينية ونشر القيم والأخلاق والتصدي للأفكار المغلوطة.

كثير من مستمعي الإذاعة لم يعرفوا أنك من ذوي الهمم إلا بعد اختيارك رئيسا لإذاعة القرآن.. ماذا عن رضا عبد السلام الإنسان؟

ولدت في محافظة المنوفية إحدى محافظات الدلتا المصرية، ويوم ولادتي كانت صدمة للأسرة، لوجود ضمور تام في الذراعين، لكن الله عز وجل أنزل على أبي السكينة والرضا وصلى ركعتين لله وقال: يا رب أنت الذي خلقته هكذا وأنت الذي تسيره في الحياة يا رب أنا تركته لك، وكان والدي صاحب عزيمة وعلمني الثبات والصمود وتحدي الصعاب، وعند التحاقي بالمدرسة في الطفولة واجه أبي صعاب كثيرة لأن المدرسة رفضتني، وقد علمني والدي أن أمسك القلم وأكتب بأسناني، وساعدني على اكتساب مهارات عديدة لتحدي الصعاب، وتفوقت في الدراسة وتخرجت من كلية الحقوق جامعة طنطا.



• وكيف التحقت بالعمل في الإذاعة؟

- بعد التخرج من الجامعة سعيت للعمل في الإذاعة عن طريق الكاتب الصحفي المرموق الراحل: عبدالوهاب مطاوع، والذي أرسلني إلى الأستاذ فهمي عمر رئيس الإذاعة المصرية في ذلك الوقت، لكنني وجدت نفسي في وظيفة أخصائي متابعة برامج، فلم أفقد الأمل، وانتقلت إلى إذاعة وسط الدلتا وقدمت برامج عديدة، حتى جاءت الفرصة ودخلت لجنة اختبار مذيعين واجتزت الامتحان، والتحقت بإذاعة القرآن الكريم، وقدمت العديد من البرامج التي لها شعبية كبيرة منها: برنامج «سيرة ومسيرة» و«مساجد لها تاريخ» و«قطوف من السيرة» وغيرها من البرامج، وتدرجت في المناصب داخل الإذاعة حتى تم تعييني الشهر الماضي رئيسا لإذاعة القرآن الكريم.

• وماذا عن مسيرة النهوض بإذاعة القرآن الكريم والقضايا التي ترى أنها أولى بالتناول؟

- إذاعة القرآن الكريم لها جمهور من مختلف شرائح المجتمع، وبشكل عام الإعلام الديني ينبغي أن يركز على عودة منظومة القيم

والأخلاق، بجانب مراعاة الواقع وحاجة المجتمع، وأيضا التوعية بالقضايا الدينية والوطنية، والعمل على ترسيخ قيم العمل والاجتهاد، والاهتمام بقضايا الشباب والمرأة والأسرة المسلمة، هذا من ناحية بجانب العمل بكل جهد على تصحيح المفاهيم والتصدي للأفكار المغلوطة، وهنا أشير إلي أن مجلة الوعي الإسلامي رائدة في مجال الفكر الديني، وتقديم مادة علمية رصينة هادفة ومتنوعة، وأتابع المجلة بشكل منتظم، وهذا ما يجب أن يكون عليه الإعلام الديني الهادف، لأن ذلك يعد ضمانة لنشر الوعي والفكر المستنير، والمؤكد أن دور الإعلام الديني يتمثل في مواكبة المستجدات والقضايا التي تشغل بال المسلمين سواء في البلاد الإسلامية أو المسلمين الذين يعيشون في الغرب، وهنا تبرز أهمية ورسالة الإعلام الديني في عدة جوانب أهمها نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة والتوعية بالقضايا الدينية والوطنية، وبيان أن الإسلام دين السلام والتسامح والرحمة والتعايش السلمي.

● وفي رأيك ما هي أهم التحديات التي تواجه الإعلام الديني حاليا وسبل المواجهة؟

- التحديات كثيرة في كل وقت، لكن حاليا تعد المواد والكتابات التي تنشر على وسائل التواصل الاجتماعي وتتناول قضايا دينية، من أخطر التحديات التي ينبغي أن يرصدها الإعلام الديني، لأن هذه الآراء الدينية في الغالب تصدر من غير متخصصين في الفتوى والعمل الدعوي، وهذا له مردود سلبي كبير، ويؤدي لنشر مفاهيم خاطئة، فليس كل ما ينشر على مواقع التواصل فتاوى صحيحة أو آراء دينية سليمة، وهنا تأتي أهمية رصد هذا المحتوى والعمل على تصحيحه، لأن الشباب يقبل على وسائل التواصل بشكل مستمر وقد يعتقد في صحة هذه الآراء، والمؤكد أن مؤسسات وجهات الإعلام الديني الكبرى لها مصداقية لدى الجميع، وعندما تتصدى لمثل هذه المفاهيم المغلوطة، فإنها تؤدي دورا في حماية المجتمع من الفكر المنحرف.

● وما هي مواصفات الداعية والواعظ العصري؟

- الداعية والإمام والواعظ العصري هو الذي يدرك الواقع، ويصل بالخطاب الديني لكل شرائح المجتمع، ويتصدى للظواهر السلبية ويعمل على تصحيحها، وهذا يتطلب مزيدًا من التدريب والتأهيل على يد كبار العلماء، وأن يتنوع التدريب ولا يكون فقط في العلوم الشرعية بل في كافة العلوم والمجالات ومنها علم النفس والاجتماع والحاسب الآلي وتعلم اللغات الأجنبية، فهذه المهارات والقدرات هي التي تجعل للإمام تأثيرًا في محيط المسجد وبين الناس، كذلك ينبغي عدم التسرع في الفتوى في القضايا العامة، وأن يرجع الإمام للمجامع الفقهية ورأي كبار العلماء في القضايا العامة.

مجلة الوعي الإسلامي تقدم مادة قيمة وتعد رائدة في مجال الفكر الديني

● بصفتك مذيع برامج دينية هل ترى أن التجديد في الأسلوب لدى الأئمة يسبق موضوع قضايا الخطاب الديني؟

- الصوت الحسن وضبط المصطلحات والأسلوب الجميل من أدوات المذيع المتميز والواعظ المتميز، وينبغي أن يكون هناك أسلوب جيد وتناول جيد للقضايا الدعوية، لأن ذلك يجذب المستمع، لكن في الوقت نفسه ينبغي أن نركز على القضية نفسها، وأن تتناول الخطبة أو الدرس الديني موضوعات تهم الناس بأسلوب جيد، وكل ذلك يحتاج إلي تدريب وخبرات متراكمة.

● كونك من أصحاب الهمم وصناع التحدي..كلمة توجهها للأسر التي لديها أبناء بنفس الظروف؟

- الصبر والاجتهاد واليقين أن الله سبحانه وتعالى سوف يأتي بالخير الكثير، علموا أبنائكم أنهم مثل غيرهم من الأطفال، اغرسوا لديهم القيم والمبادئ والإيمان، وأن العزيمة والتوكل على الله والثقة في النفس والأخذ بالأسباب تصنع المعجزات وتتحقق الطموحات، وأن أي مشكلات جسدية يولد بها الطفل قد تكون محركًا ودافعًا لمزيد من التفوق والنجاح، وكل أسرة لديها طفل من ذوي الهمم عليها أن تبذل كل جهد من أجل أن يعتمد على نفسه قدر الإمكان، وأن يتعلم وسائل التواصل الحديثة ويستخدمها في الدراسة والعمل، وأن يحسن اختيار شريك الحياة الذي سوف يكون له السند والمعين.

د. محمد جباري
أستاذ باحث في التاريخ، بني ملال - المغرب



أضواء على الحضارة العربية الإسلامية

عرفت بغداد رخاء وازدهارا منقطع النظير، على عهد هارون الرشيد (تولى الخلافة عن عمر ٢٣ عاما) وابنه المأمون، وكانت أهم وأعظم مدن الشرق. فقد كان الرشيد يستقبل في بلاطه وفود البلدان من التتار والصين والهند، وكان الإمبراطور شارلمان قد أرسل «وفدا ليبلغ الرشيد أطيب تحياته ويلتمس منه الحماية لحجيج القدس فأجابه الرشيد إلى سؤاله، ورد إليه وفده مع هدايا عظيمة، ومن بينها فيل مجهز بأفخر جهاز، والفيل كانت تجهله أوربة تماما، ولآلئ وجواهر وحلي وعاج وعطور ونسائج حريرية وساعة دقاقة تدل على الوقت، وقد قضى إمبراطور الغرب شارلمان العجب من هذه الساعة هو وحاشيته المتبربرون الذين لم يكن بينهم من قدر على إدراك كنهها، والذين حاول شارلمان عبثا أن يحملهم على إحياء حضارة الرومان»[١].

ويذكر المؤرخون العرب أن دخل الخلافة السنوي، بلغ مئتي مليون فرنك، وهو مبلغ ضخم جدا آنذاك، سمح للدولة للقيام بالعديد من المشاريع المتعلقة بالبنيات التحية والمرافق الضرورية، من قبيل مد الطرق والفنادق والمساجد والمارستانات والمدارس والبريد.. إلخ. وقد كان للتجارة والتجار نقابة خاصة لمراقبة عمليات البيع والشراء وزجر الغش والتدليس.

لقد وصف المؤرخ العربي أبو الفداء، أبهة وفخامة بغداد بالقول الآتي: «قدم رسل ملك الروم إلى بغداد، فلما استحضروا وعبئت لهم العساكر وصفت الدار بالأسلحة وأنواع الزينة، وكان العساكر المصفوفون حينئذ مئة ألف وستين ألفا ما بين راكب وواقف، ووقف الغلمان ذوو الزينة الحجرية والمناطق المحلاة، ووقف الخدام الخصيان كذلك (...) ووقف الحجاب كذلك (...) وألقيت المراكب والزوارق في دجلة بأعظم زينة، وزينت دار الخلافة (...) وكان في جملة الزينة شجرة من ذهب وفضة (...) وعلى الأغصان والقضبان الطيور والعصافير من الذهب والفضة وكذلك أوراق الشجرة من الذهب والفضة، والأغصان تتمايل بحركات موضوعية والطيور تصفر بحركات مرتبة، وشاهد الرسل من العظمة ما يطول شرحه، وأحضروا بين يدي المقتدر، وصار الوزير يبلغ كلامهم إلى الخليفة ويرد الجواب من الخليفة»[٢].

امتلك العباسيون قوة عسكرية توازي مكانتهم في العالم آنذاك، وتمتعوا بهيبة نلمسها جليا من خلال إجبار قيصر بيزنطة –الوارث لعظمة اليونان والرومان– على دفع الجزية، عندما حاول التملص والامتناع في الرسالة التي بعثها إلى هارون الرشيد، بيد أن هذا الأخير كتب إليه رسالة شديدة اللهجة وبطعم الاحتقار والاستصغار قائلا: «بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نيقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافر، والجواب ما تراه، لا ما تسمعه»[٣]. ولعل مقدار القوة والنفوذ الذي بلغه العرب مع العباسيين، هو الذي عبر عنه غوستاف لوبون بقوله: «والحق أن هؤلاء القوم الشجعان الذين لبوا دعوة محمد، وغذوا أمة واحدة، أقاموا دولة بلغت ما بلغته دولة الرومان من الاتساع في أقل من قرنين، وأن هذه الدولة بدت أكثر دول الأرض هيبة وتمدنا»[٤].

العلم والعلماء

كانت بغداد مركزا ثقافيا عالميا بامتياز، وكان العرب مولعين وشغوفين بالعلم والمعرفة والثقافة. فقد اجتهد العرب لاستقطاب خيرة وألمع الأساتذة والعلماء والفنانين، هذا الشغف المعرفي، حمل أحد الخلفاء على أن يشهر الحرب على قيصر الروم، حتى يأذن لأحد الرياضيين المشهورين قصد التدريس ببغداد، فيما نسميه اليوم بـ«هجرة الأدمغة». ونتيجة لذلك، فقد ازدهرت العلوم وبرز العلماء وتعددت

التصانيف، كعلم الفلك الذي حصل فيه العرب نتائج لم يحصلها الأوروبيون إلا مؤخرا[٥]، مثل قياس دائرة نصف النهار. علاوة على تعريب كتب علماء اليونان واللاتين في شتى المجالات الفلسفية والرياضية.. إلخ، والتي سيعود إليها الأوروبيون لاحقا إبان عصر النهضة، للتعرف على تراثهم اليوناني والروماني. كما انتشرت المكتبات العامة والمدارس والمختبرات، وحقق العرب اكتشافات مهمة في عدة ميادين.

وفي سياق حديثنا عن اهتمام وشغف الخلفاء العباسيين بالعلم والعلماء، يروي لنا الفرج عن المأمون أنه «كان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم علما منه بأن أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده (...) فلهذا السبب كان أهل العلم مصابيح الدجى وسادة البشر، وأوحشت الدنيا لفقدهم»[٦].

يعتبر الرازي من أشهر أطباء العرب، ولد عام ٨٥٠م وتوفي عام ٩٣٢م. زاول التطبيب في بغداد خمسين عاما، وتنوعت اهتماماته وكتاباته بين الفلسفة والتاريخ والكيمياء والطب.. إلخ. ودرس مؤلفات من سبقه من الأطباء بعين ناقدة، كما ظلت اجتهاداته حول بعض الأمراض الجلدية كالحصبة والجدري، مرجعا للأطباء لردح من الزمن. كان الرازي هو أول من بحث في أمراض الأطفال، واكتشف وسائل جديدة في الاستشفاء، كاستخدام الماء البارد لعلاج الحمى المزمنة، واستخدام الكحول والفتائل.. إلخ.

اشتهر الرازي بكتاب «الحاوي» وكتاب «المنصوري» الذي فصله إلى عشرة أبواب كالتالي: التشريح، الأمزجة، الأغذية والأدوية، الصحة، دواء البشرة، نظام السفر، الجراحة، السموم، الأمراض على العموم، ثم الحمى. ولقاء ما تتصف به أعماله من دقة وقيمة علمية، فقد ترجمت إلى اللاتينية وطبعت لمرات عدة، حيث طبعت بالبندقية عام ١٥٠٩م، وبباريس عام ١٥٢٨م، وكذا في العام ١٧٤٨م، كما أعيد طبع كتابه حول الجدري والحصبة عام ١٧٤٥م. وظلت كتبه مراجع معتمدة في الجامعات الأوروبية لقرون.

وفي محاولة لتجلية فرادة الرازي وقامته العلمية، نشير أنه عندما طلب منه تحديد موضع لإقامة مارستان، اقترح طريقة فريدة من نوعها مفادها: أنه علق قطعة لحم في كل حي من أحياء المدينة (بغداد) وقال إن الحي الذي يتأخر فيه فساد اللحم المعلقة، هو الأصلح لإنشاء المارستان.

في آخر أيامه، أصيب الرازي بالعمى، فقال حين قيل له لو قدحت: «لا، قد أبصرت من الدنيا حتى مللت منها فلا حاجة لي إلى عينين!»[٧]

الغزو المغولي

غزا المغول بغداد عام ١٢٥٨م، وعاثوا فيها فسادا وأمعنوا تخريبا ونهبا، وقتل آخر الخلفاء العباسيين (المستعصم بالله). أما المكتبات فقد أحرق بعضها والباقي ألقي في نهر دجلة، لدرجة قيل إن تلك الكتب الملقاة ألفت جسرا يمكن للناس أن يعبروا عليه رجالا وركبانا[٨]. وصارت مياه النهر سوداء من شدة ما تحلل فيها من مداد الكتب والمخطوطات. كما تعرض العراق للتقسيم المغولي، إذ انشطر إلى منطقة جنوبية عاصمتها بغداد، وأخرى شمالية عاصمتها الموصل، ويدبر المنطقتين حاكمان مغوليان. وفيما بعد سيسلم المغول التيموريون العراق للتركمان، قبل أن تتحول السيادة للصفويين حتى العام ١٥٣٤م مع قدوم العثمانيين.

ولئن كان هولاكو هو القائد المغولي «المتوحش» الذي خرب بغداد ومثل بآخر خلفائها، فقد تأثر وصدمته حضارة العرب بالعراق، فتحول، من ثم، من مغتصبها إلى حاميها، كما نقل أخ هولاكو كوبلاي خان كتب ومؤلفات علماء بغداد في الفلك إلى بلاد الصين. وهكذا تمدن المغول وتدينوا بدين العرب واندمجوا في حضارتهم، حتى حدث لهم ما حدث للرومان بعد استعمارهم للإغريق، عندما قيل «استعمر المستعمر من طرف المستعمر».

على الرغم من زوال السلطة السياسية العباسية لبغداد جراء الغزو المغولي، فقد احتفظت بغداد بسلطتها الحضارية والثقافية والعلمية، حيث استمرت -مثلا- مدرسة بغداد الفلكية متألقة، وقبلة للعلماء والحكام إلى غاية القرن ١٥م. إذ نشر البيروني مقالته «تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمور من الأرض»، وزار بلاد الهند، وعلم الهندوس وفقا لآخر النتائج والأبحاث التي توصلت إليها مدرسة بغداد. وهكذا أمر السلطان ملكشاه السلجوقي عام ١٠٧٩م، للقيام بأرصاد انتهت بضرورة إصلاح نظام التقويم السنوي، والبحث عما هو أفضل من التقويم الغريغوري، لأن هذا الأخير، يسفر عن أخطاء كثيرة مقارنة بالتقويم العربي.

الهوامش

١- لوبون (غوستاف)، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٢- نفسه، ص:١٧٥.

٣- نفسه، ص:١٧٦.

٤- المرجع والصفحة نفسهما.

٥- نفسه، ص:١٧٣.

٦- نفسه، ص:١٧٤.

٧- نفسه، ص:٤٨٩.

٨- نفسه، ص:١٧٨.

د. حمدي الطنطاوي
دكتوراه نحو وصرف وعروض



تحقيق رواية البخاري عن ابن عمر

أبواب سجود القرآن

اختلف أهل السلف والخلف في مسألة وجوب الطهارة في سجود التلاوة، ويرجع ذلك إلى الآثار المروية عن الصحابة والتابعين واختلاف رواية الحديث في هذه المسألة، فقد صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سجد على غير وضوء وفي رواية سجد وهو طاهر، واختلفت أفهام أهل العلم في تأويل الروايتين على النحو التالي:

القول بعدم اشتراط الطهارة

وهو قول كثير من السلف[١] وأول من أظهر هذه المسألة هو الإمام البخاري حيث ترجم في أبواب كتاب: «باب سجود المسلمين مع المشركين والمشرك نجس ليس له وضوء» قال: «وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسجد على غير وضوء»[٢]. قال ابن حجر: «لم يوافق ابن عمر أحد على جواز السجود بلا وضوء إلا الشعبي أخرجه بن أبي شيبة عنه بسند صحيح وأخرجه أيضا بسند حسن عن أبي عبدالرحمن السلمي أنه كان يقرأ السجدة ثم يسلم وهو على غير وضوء إلى غير القبلة وهو يمشي يومئ إيماء»[٣].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس»[٤].

وترجمة البخاري هنا للباب يحتمل، معناها الإثبات والنفي، ولذلك قال ابن المنير: «هذه الترجمة ملتبسة، والصواب رواية من روى أن ابن عمر كان يسجد للتلاوة على غير وضوء. قال: والظاهر من تبويب البخاري أنه صوب مذهبه، واحتج له بسجود المشركين لها، والظاهر أن البخاري رجح الجواز لفعل المشركين ذلك بحضرة الشارع ولم ينكر عليهم

سجودهم بغير طهارة، ولأن الراوي أطلق عليه اسم السجود فدل على الصحة ظاهرا»[٥].

ووافق ابن عمر على جواز السجدة بلا وضوء الشعبي، فقد روى ابن أبي شيبة عن زائدة، عن الشعبي قال: في الرجل يقرأ السجدة وهو على غير وضوء قال: «يسجد حيث كان وجهه»[٦].

وروى أيضا في مصنف ابن أبي شيبة عن رجل زعم أنه كنفسه، عن سعيد بن جبير قال: كان عبدالله بن عمر، «ينزل عن راحلته، فيهريق الماء، ثم يركب فيقرأ السجدة فيسجد وما توضأ»[٧].

وترجمة ابن أبي شيبة في هذه المسألة أوضح وأظهر في المذهب من ترجمة البخاري، إذ قال: «في الرجل يسجد السجدة وهو على غير وضوء»[٨].

ورجح ابن بطال عدم وجوب الطهارة موافقا في ذلك رأي الإمام البخاري فقال: «ووقع في نسخة الأصيلي: (وكان ابن عمر يسجد على وضوء)، وكذلك عند أبى الهيثم عن الفربري، ووقع في بعض النسخ (على غير وضوء)، وهكذا في رواية ابن السكن بإثبات (غير) والصواب: رواية ابن السكن بإثبات (غير)؛ لأن المعروف عن ابن عمر أنه كان يسجد على غير وضوء»[٩].

ويرى ابن رشيد بأن مقصود البخاري تأكيد مشروعية السجود لأن المشرك قد أقر على السجود وسمى الصحابي فعله سجودا مع عدم أهليته، فالمتأهل لذلك أحرى بأن يسجد على كل حالة ويؤيده أن في حديث ابن مسعود أن الذي ما سجد عوقب بأن قتل كافرا، فلعل جميع من وفق للسجود يومئذ ختم له بالحسنى فأسلم لبركة السجود، قال: ويحتمل أن يجمع بين الترجمة وأثر ابن عمر بأنه يبعد في العادة أن يكون جميع من حضر من المسلمين كانوا عند قراءة الآية على وضوء لأنهم لم يتأهبوا لذلك، وإذا كان كذلك فمن بادر منهم إلى السجود خوف الفوات بلا وضوء وأقره النبي ﷺ على ذلك استدل بذلك على جواز السجود بلا وضوء عند وجود المشقة بالوضوء، ويؤيده أن لفظ المتن وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس فسوى ابن عباس في نسبة السجود بين الجميع وفيهم من لا يصح منه الوضوء فيلزم أن يصح السجود ممن كان بوضوء وممن لم يكن بوضوء والله أعلم[١٠].

ويرى ابن حجر أن رواية البخاري: «كان ابن عمر يسجد على غير وضوء» هي الرواية الأكثر شهرة، وهي الأولى من رواية الأصيلي بحذف (غير)[١١].

ثم راح يوجه رواية البيهقي فيما رواه بإسناد صحيح عن الليث «عن نافع عن ابن عمر قال لا يسجد الرجل إلا وهو طاهر» قال: فيجمع بينهما بأنه أراد بقوله طاهر الطهارة الكبرى أو الثاني على حالة الاختيار والأول على الضرورة[١٢]. أو الثاني على الأولوية، والأول على الجواز والإباحة[١٣].

وذهب بدر الدين العيني إلى أن رواية: «على غير وضوء» هي الأصح[١٤].

وهو ما ذهب إليه الصنعاني؛ قال: «والأصل أنه لا يشترط الطهارة إلا بدليل، وأدلة وجوب الطهارة وردت للصلاة، والسجدة لا تسمى صلاة»[١٥].

وأكد ابن حزم هذا الرأي، وذهب إلى أكثر من ذلك؛ معتبرا أن سجود التلاوة ليس بصلاة قال: «وأما سجود القرآن فإنه ليس صلاة أصلا، واعتمد في ذلك على حديث ابن عمر رضي الله عنه عن رسول ﷺ أنه قال: «صلاة الليل والنهار مثنى مثنى» وقد صح عنه -عليه السلام- أنه قال «الوتر ركعة من آخر الليل». قال ابن حزم: «فصح أن ما لم يكن ركعة تامة أو ركعتين فصاعدا فليس صلاة.

والسجود في قراءة القرآن ليس ركعة ولا ركعتين فليس صلاة، وإذ ليس هو صلاة فهو جائز بلا وضوء، وللجنب وللحائض وإلى غير القبلة كسائر الذكر ولا فرق، إذ لا يلزم الوضوء إلا للصلاة فقط، إذ لم يأت بإيجابه لغير الصلاة قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا قياس. فإن قيل: إن السجود من الصلاة، وبعض الصلاة صلاة. قلنا - وبالله تعالى التوفيق: هذا باطل؛ لأنه لا يكون بعض الصلاة صلاة إلا إذا تمت كما أمر بها المصلي، ولو أن امرأ كبر وركع ثم قطع عمدا لما قال أحد من أهل الإسلام إنه صلى شيئا، بل يقولون كلهم إنه لم يصل، فلو أتمها ركعة في الوتر أو ركعتين في الجمعة والصبح والسفر والتطوع لكان قد صلى بلا خلاف. ثم نقول لهم: إن القيام بعض الصلاة والتكبير بعض الصلاة وقراءة أم القرآن بعض الصلاة والجلوس بعض الصلاة،

والسلام بعض الصلاة، فيلزمكم على هذا أن لا تجيزوا لأحد أن يقول ولا أن يكبر ولا أن يقرأ أم القرآن ولا يجلس ولا يسلم إلا على وضوء، فهذا ما لا يقولونه، فبطل احتجاجهم، وبالله تعالى التوفيق. فإن قالوا هذا إجماع، قلنا لهم: قد أقررتم بصحة الإجماع على بطلان حجتكم وإفساد علتكم وبالله تعالى التوفيق»[١٦].

ثم تبعهم الشوكاني على هذا الرأي وجزم بأن: «ليس في أحاديث سجود التلاوة ما يدل على اعتبار أن يكون الساجد متوضئا وقد كان يسجد معه ﷺ من حضر تلاوته، ولم ينقل أنه أمر أحدا منهم بالوضوء، ويبعد أن يكونوا جميعا متوضئين. وأيضا قد كان يسجد معه المشركون كما تقدم وهم أنجاس لا يصح وضوؤهم»[١٧].

القول باشتراط الطهارة

ذهب جمهور العلماء والأئمة الأربعة إلى القول بوجوب التوضؤ في سجدة التلاوة لأنها أخص مدارج الصلاة فيشترط لها كما اشترط للصلاة[١٨]. وفي نسخة الأصيلي: (وكان ابن عمر يسجد على وضوء)[١٩].

وهذا هو المشهور عند الفقهاء ولا يعرف كثير منهم فيه خلافا وربما ظنه بعضهم إجماعا واحتج الموجبون للوضوء له بأنه صلاة، قالوا: فإنه له تحريم وتحليل، كما قاله بعض أصحاب أحمد والشافعي[٢٠].

قال النووي: «واعلم أنه يشترط لجواز سجود التلاوة وصحته شروط صلاة النفل من الطهارة عن الحدث والنجس وستر العورة واستقبال القبلة ولا يجوز السجود حتى يتم قراءة السجدة»[٢١].

وترجم البيهقي «باب لا يسجد إلا طاهرا»، وروى عن نافع عن ابن عمر أنه قال لا يسجد الرجل إلا وهو طاهر ولا يقرأ إلا وهو طاهر ولا يصلي على الجنازة إلا وهو طاهر[٢٢].

وروى ابن أبي شيبة عن الحسن، في الرجل يسمع السجدة وهو على غير وضوء، «فلا سجود له»[٢٣].

وروى عن إبراهيم قال: «إذا سمعه وهو على غير وضوء فليتوضأ، ثم ليقرأ، فليسجد فإن كان لا يحسنها قرأ غيرها، ثم يسجد»[٢٤].

وروى عنه أيضا، في الرجل يسمع السجدة، وليس على وضوء قال: «إن كان عنده ماء توضأ وسجد، وإن لم يكن عنده ماء تيمم وسجد»[٢٥]

وذهب فقهاء الأمصار إلى أنه «لا يجوز سجود التلاوة إلا على وضوء»[٢٦].

وقال العيني: «الطهارة لها من الأحداث والأنجاس بدنا ومكانا وثيابا وستر العورة واستقبال القبلة، وأن كل ما يفسد الصلاة يفسدها»[٢٧].

الترجيح

الذي يتبين لي ترجيح مذهب القائلين بعدم اشتراط الوضوء في سجود التلاوة لثبوت ذلك الأثر عن ابن عمر ثبوتا قطعيا، وترجيح بعض من أهل العلم له في هذه المسألة، وتوسعة على الناس، وحملهم على طاعة الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، لكن الأسلم والأولى أن يكون المرء على طهارة، لأن سجوده لرب العالمين مقام تشريف، ومن كمال أهليته لهذا المقام أن يكون طاهر القلب، طاهر البدن، والله أعلم.

الهوامش

١- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي، ١/ ٦٧، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ٤١/٢، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة. قال مصطفى البغي في هامش نفس الصفحة: وعلى هذه الرواية يكون مذهبا لابن عمر رضي الله عنهما لم يوافقه أحد عليه لأن السجود في معنى الصلاة فلا يصح إلا بشروطها.



٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٢/٥٥٤، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
٤- صحيح البخاري، ٢/٤١/١٠٧١.
٥- انظر: شرح سنن أبي داود لشهاب الدين الرملي، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، ٧/١٨-١٩، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية.
٦- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ١/٣٧٥/٤٣٢٥، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد - الرياض.
٧- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ١/٣٧٥/٤٣٢٢.
٨- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، مكتبة الرشد - الرياض.
٩- شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ٣/٥٦، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض.
١٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٢/٥٥٤، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
١١- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، ٢/٥٥٤.
١٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٢/٥٥٤.
١٣- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمباركفوري، ٣/٤٣٠، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند.
١٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، ٧/٩٩، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٥- سبل السلام للصنعاني، ١/٣١١، بدون طبعة وبدون تاريخ، دار الحديث.
١٦- المحلى بالآثار لابن حزم، ١/٩٦-٩٧، بدون طبعة وبدون تاريخ، دار الفكر - بيروت.
١٧- نيل الأوطار للشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ٣/١٢٦، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الحديث، مصر.
١٨- انظر: العرف الشذي شرح سنن الترمذي، للهندي، ص ٣٧، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م، دار التراث العربي - بيروت، لبنان.
١٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، ٢/٥٥٤.
٢٠- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي، ١/٦٧، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢١- صحيح مسلم بشرح النووي، طبعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.
٢٢- السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ١/٣٧٥، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات.
٢٣- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ١/٣٧٥/٤٣٢٣.
٢٤- المرجع السابق، ١/٣٧٥/٤٣٢٤.
٢٥- نفس المرجع، ١/٣٧٥/٤٣٢٦.
٢٦- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف الكرماني، ٦/١٥٢/ح ١٠١٤، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٢٧- نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، لبدر الدين العيني، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ٥/٤٧٨، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر.



د. أحمد تمام سليمان
كلية الآداب- جامعة بني سويف

الفضائل موطنها النفوس

الوقف قربة من القربات المشروعة في الإسلام يتقرب المسلم بها إلى الله تعالى، ويظهر من خلالها أثر قيم الإيمان والعقيدة في تنمية المجتمع الإسلامي، هذه الخاصية التي يتميز بها عن غيره من المجتمعات، فيحافظ الوقف على هوية المجتمع ويلبي حاجاته المتجددة دون إلجاء أفراده إلى المسألة والحاجة وتكفف الناس.

إن الفضيلة فضيلة لدى المنضبط والمنحرف جميعا، فالصدق يظل فضيلة لدى الصادقين والكذبة، والأمانة تظل فضيلة لدى المؤتمنين والخونة، والبر يظل فضيلة لدى البارين والعققة، والرضا يظل فضيلة لدى القانعين والسخطة... وهكذا، وليست تكمن المشكلة في نظرة كليهما إليها، وإنما في مدى التزام كليهما بها، فالفاضل روض نفسه على دروب الفضيلة، والرذيل انحرف عن الجادة وانجرف إلى الهاوية. وتظل الفضيلة فضيلة وإن جفاها عموم الناس، كما تظل الرذيلة رذيلة وإن تواطأوا عليها، فإن حرض منحرفون على رذيلة فليس معنى تحريضهم أنها صارت فضيلة، وإنما هم يريدون لهم أتباعا؛ حتى يستسيغوا حيل انحرافهم ويستطيبوا مكاسبه، ولو بزغت أنوار الفطرة في قلوبهم،

لانتهوا إلى التوبة النصوح والأوبة بعد الجنوح، وضربوا بتلك الحيل عرض الحائط، واستقبحوا ما ظنوه مكاسب، وعلا قدر الفضلاء من أصحاب الفطرة السليمة في أنظارهم، بعدما كانوا يناصبونهم العداوة، وإن اتخذ الفجرة من أصنامهم مرجعية لينشروا الرذيلة، فإن أصحاب الفضيلة بوصفها الحق لا يحيدون عنه ولا يساومون عليه.

يقول الشاعر محمد البلالي[1]:

وليس الحق يعرف بالرجال
وعكسك ذا الصحيح من المقال
فكم ضل الرجال لأن شيخا
لهم أفتى بفتيا من ضلال
إذا ما قال شيخهم كلاما
تراهم كالمُسَيَّر لا يبالي
وإن قلنا أليس الشيخ يخطي
كذاك يصيب؟ ردوا بالمحال

ولقد بين الله للإنسان طريقي الخير والشر، يقول تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ (البلد:١٠)، وبث في الشرائع السماوية ما يتوجب على الإنسان من التحلي بالمناقب والتخلي عن المثالب، وتظل النفس البشرية موطنا للفضيلة، وميزانا بين المقبول والمرذول، يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس:٧-١٠)، فالإنسان إنسان بجبلته الأولى وفطرته النقية ما لم يطمع! فإذا طمع.. حقد وحسد، وسلب ونهب، وزنا وجنا؛ لأنه استكثر على غيره؛ لجهله بمراد ربه في المنح والمنع.

يقول الشاعر أحمد بن عبدالله[2]:

لا تقنعن ومذهب لك ممكن
فإذا تضايقت المطامع فاقنع
ومن المروءة قانع ذو همة
يسمو لها فإذا نبت لم يهلع
ما كنت إمعة ولكن همة
تأبى الهوان وفسحة في المنجع

إن الفضائل موطنها النفوس، وأسمى الفضائل فضيلة العطاء، فقد تجلت حكمة الله في الحياة في أن المخلوقات لا تعيش لنفسها فحسب؛ فلا الشمس تشرق لذاتها، ولا الزهرة تفوح لنفسها، ولا البحر يأكل سمكه، ولا النهر يشرب ماءه، ولا الأشجار تأكل ثمرها، ولا ذات الضرع تشرب لبنها، خلق الله الخلائق لتخدم غيرها، فالعطاء هو سر الحياة وجوهر الحب، فكأن صدري محراب حب، القلب يدعو والضلوع تردد!

يقول الشاعر أبو الفتح علي بن محمد البستي (ت٤٠٠هـ/١٠١٠م)[3]:

ازرع جميلا ولو في غير موضعه
فلا يضيع جميل أينما زرعا
إن الجميل وإن طال الزمان به
فليس يحصده إلا الذي زرعا

وقد أحسن الإنسان إلى نفسه عندما جمع بين فضيلتي صنع الجميل وتقوى الله؛ ليشكلا زادا له يقدم به على ربه، بعد انتهاء رحلته التي سرعان ما انقضت، وكأنها طيف مر به وقد أخذته سنة من النوم، ما لبث أن انتبه منها.

يقول الشاعر إسماعيل صبري الصغير (ت١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)[4]:

حياة ابن آدم مهما تطول
خيالا تمر كلمح البصر
فيولد صبحا، وظهرا يعول
وعصرا يوارى فيمسي أثر
وما العيش إلا منام قصير
وما الدهر للناس إلا سير
فتقوى الإله وصنع الجميل
لأقوم زاد قبيل السفر
ليجر القضاء بأحكامه
ومن يستطيع عناد القدر؟!

ولكي ندرك قيمة العطاء فلابد أن نتوقف على قيمة الحب، ولعلنا في حاجة ماسة إلى تأمل صادق الحب وصحيحه، وألا نكتفي بالحكم على الأشياء وفقا للظاهر، بل نسعى إلى استبطان الحكمة في السرائر، فالطبل صوته عال؛ لأن

جوفه خال! والجيف تعلو سطح البحر، بينما تقبع الدرر في قاعه! والضلع معوج ليحنو على القلب، ولن يحمي الضلع القلب إلا إذا كان معوجا! ولعله المعنى المراد من أن النساء خلقن من ضلع أعوج؛ لما تحققه المرأة من حنو على الرجل، ولولا اعوجاج الضلع ما حنا على القلب، فافتراض استقامة الضلع في الظاهر هو اعوجاج في مهمته، بينما يحقق اعوجاج ظاهره استقامة باطنه، ولا يفوتنا استبطان الأدباء والشعراء النفس البشرية؛ لاستنباط الفضائل من جنباتها.

يقول الشاعر الدكتور عبدالناصر الشيخ علي[٥]:

وبعض الأنام كبعض الشجر ... جميل القوام رديء الثمر

وفرز النفوس كفرز الصخور ... ففيها النفيس وفيها الحجر

وكم من كفيف بصير الفؤاد ... وكم من فؤاد كفيف البصر

وكم من أسير بقلب طليق ... وكم من طليق كواه الضجر

وما كل وجه مضيء يدور ... بعتمة ليل يسمى قمر

وما كل ذي لحية واعظ ... ولا كل من قد محاها كفر

وكم من شهاب بعالي السماء ... بطرفة عين تراه اندثر

وتعلو النفايات سطح البحار ... وفي القعر ترسو اللقى والدرر

وبعض الوعود كبعض الغيوم ... قوي الرعود شحيح المطر

وخير الكلام قليل الحروف ... كثير القطوف بليغ الأثر

وبالحب خلق الله الخلق، وبالحب أمرهم بعمارة الأرض، يقول تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود:٦١)، فتوجه هذا الخطاب إلى قوم ثمود دلالة على قدم الخطاب ورسوخه، إذ إن الغاية من الخلق هي عبادة الخالق وجوهرها وحدانيته، وسريان الخطاب على لسان نبيهم صالح دلالة على قدسية مصدر الخطاب من جهة، وتجليات هذا الاسم من جهة أخرى، فلن يتأتى لهم الصلاح إلا بعبادة الله وعمارة كونه؛ لذا ذكرهم نبيهم بامتنان الله عليهم أن أنشأهم من الأرض، حيث خلق آدم منها فتوجه الخطاب إليهم لأنهم من عقبه.

وأن استعمرهم فيها، أي: جعلهم عمارها، أو عمارا فيها، وقد تفيد (الألف والسين والتاء) الطلب، أي: أمرهم بعمارتها طيلة سكناهم فيها، فالأرض بالبشر (معمورة) و(عمرى)، ومادام الله قد أعمر خلقه فيها فإنهم سيذنبون، فأمرهم بالاستغفار والتوبة؛ حتى لا يقطع رجاءهم فيه، فيظلون على العهد بتزكية النفس وعمارة الأرض، فإن كان الاستغفار سترا لما مضى، فإن التوبة عهد لما هو آت، وما أبلغ تذييل الآية باسمين جليلين لله -سبحانه وتعالى- فهو (قريب) لمن أخلص في عبادته التي صدر بها هذا الخطاب، و(مجيب) لمن استغفره وتاب إليه فدعاه وهو ما ختم به الخطاب ذاته، فإن كانت الأرض بالخلق عمرى، فإن إلى الخالق الرجعى.

الهوامش

١- القصيدة منشورة على الموقع الإلكتروني: «ملتقى أهل اللغة».

٢- انظر: كتاب «الآمل والمأمول»، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، نسخة المكتبة الشاملة، الباب الأول «ما جاء في القناعة»، ص٤، (والكتاب ينسب إلى الجاحظ، ولم يقطع بنسبته إليه!).

٣- أحيانا يروى البيتان: (فلا يضيع)، و(فلن يضيع)، وكثيرا ما يرويان مجهولي النسبة، وقد ينسبان إلى أبي الفتح البستي، ولكن افتقدتهما بمراجعة ديوانه بتحقيق شاكر العاشور، ضمن النصوص المحققة بـ«مجلة المورد» العراقية، وصدرت تباعا النسخة الكاملة في سبعة أقسام، هي: الأول: مج٣٢/ع٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٧٨-١٠٦. الثاني: مج٣٢/ع٤، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٨٦-١١٢. الثالث: مج٣٣/ع١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١١٩-١٤٤. الرابع أ: مج٣٣/ع٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١٠٥-١٣٤. الرابع ب: مج٣٤/ع١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص١٠٢-١٢٥. الخامس: مج٣٤/ع٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٨٣-١١٨. السادس: مج٣٤/ع٣، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٨١-١٠٢. السابع: مج٣٤/ع٤، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص١٠١-١٢٠.

٤- انظر: ديوان إسماعيل صبري: طبعة مؤسسة هنداوي، القاهرة- مصر، ط٢، ٢٠١١م، من قصيدته «سلام»، ص١٧٥. واسمه «إسماعيل بن صبري المصري» (١٣٠٤هـ/١٨٨٦م-١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)، وكنيته «أبو أميمة»، وعرف باسم «إسماعيل صبري الصغير»؛ للتمييز بينه وبين معاصره شاعر مدرسة الإحياء الشهير «إسماعيل صبري باشا»، وجمع ديوانه ونشر بعد وفاته، وصدرت طبعته الأولى سنة ١٩٣٨م، عبارة عن أربع مجموعات شعرية؛ الأولى «كونيات»، تضم قصيدتين ملحميتين لقب بسببهما بـ«شاعر الكونيات»، والثانية اجتماعية في «شعر المناسبات»، وبها رسائل شعرية في حب الوطن، والثالثة في «الغزل»، وهي أغان لحن بعضها وشدا بها مطربو عصره، والرابعة «أوبريتات وأناشيد مدرسية»، وملحق بالديوان مسرحية من ترجمته، هي «ربيبة الكوخ» لتشارلس جارفس.

٥- من قصيدته: «حروف فوق البنفسجية»، وديوانه مطبوع بالاسم ذاته، طبعته مؤسسة المختار بالقاهرة، سنة ٢٠١٨م، ونشرت القصيدة في كثير من الصحف والمواقع الإلكترونية، (ونسبت خطأ في بعضها إلى أبي العتاهية، وليست في ديوانه، انظره باعتناء كرم البستاني، طبعة دار بيروت، سنة ١٩٨٦م).

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com



السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية

الإعلام ووعي المسلم المعاصر.. التحدي والمطلوب

لا شك أن إحدى الحقائق التي ترسخت في واقعنا المعاصر تتمثل في أن الإعلام بات جزءا أساسيا من حياتنا، وأصبح يلاحقنا أينما اتجهنا، وصار عاملا مهما من عوامل تشكيل الوعي والقناعات وتوجيه السلوك والنشاط.

بحيث «لو لم يسع المرء إلى وسائل الإعلام، فإن هذه الوسائل سوف تسعى إليه لتقدم له ما يدور حوله من أحداث، وما أفرزته الأدمغة البشرية من علوم ومعارف، لا سيما بعد أن فرضت التقنيات المعاصرة وثورة المعلومات نفسها عليه، وأعطته الفاعلية والقدرة على التغيير وتكوين الاتجاهات؛ فأصبح إنسان اليوم أسيرا لهذه الوسائل، تحاصره في كل وقت وفي كل زمان، فلا يستطيع الفكاك منها أو الحياة بدونها؛ أي إن إنسان اليوم أصبح يعيش ثورة إعلامية تحاصره من مختلف الجهات، وبمختلف اللغات، ليلا ونهارا، تحاول أن ترسم له طريقا جديدا لحياته، وأسلوبا معاصرا لنشاطه وعلاقاته»[1].

وأمام هذه الحقيقة لابد أن نعيد النظر وباستمرار فيما يحويه هذا القطاع أو الرافد من إمكانات، وما يواجهه أو يوجهه من تحديات، وما يمكن أن نتخذه من خطوات لترشيده وتفعيله صوب الوجهة الصحيحة.

ولعلنا نلاحظ أن أثر الإعلام في حياتنا قد تضاعف بعد «الثورة الرقمية» التي أتاحت آفاقا بلا حدود أمام حضور الإعلام وتدفقه ومواكبته.. بجانب ما أحدثه «الإعلام الاجتماعي» من تواصل وتأثير؛ حتى أصبح بمقدور كل إنسان أن يصبح مؤسسة إعلامية بذاته، وأن ينتقل من موقع «المستقبل» إلى «المرسل» بيسر وسهولة، مما لم يكن متوافرا من قبل بمثل هذه النقلة النوعية[2].

فتعاظم دور الإعلام في حياتنا حقيقة مقررة، ولم يعد السؤال عن حضور الإعلام أم لا، وإنما عن كيفية الاستفادة من هذا الطوفان الهادر، وعدم الانجرار بضغط أمواجه العاتية.

ونحن هنا لا نتحدث عما يمكن تسميته «الإعلام التقليدي» فحسب، من صحافة وتلفزيون، وإنما أيضا عن هذا «الإعلام الجديد» بكل تنويعاته، لأنه يمتلك من التأثير والتوجيه ما لا يقل عن «الإعلام التقليدي»، بل ربما يفوقه!

والسؤال الأساس الذي يدور حوله هذا المقال، هو: كيف يسهم الإعلام في تشكيل وعي المسلم المعاصر؟ وما المطلوب حتى يكون هذا الإسهام

متصفا بالفاعلية، ومحققا للوعي المأمول؟

قدرة التشكيل والتأثير

من المهم أن ندرك أن الإعلام أصبحت لديه قدرة فائقة على التشكيل والتأثير والتوجيه، بمثل ما يمتلك من أدوات للانتشار رأسيا وأفقيا، أي على مدار اللحظة ولجميع الأماكن.. فالقدرة على التأثير تتناسب طرديا مع الإمكانات غير المسبوقة في الانتشار..

وهذا التأثير قد يتبدى في صياغة «الخبر»، من حيث انتقاء أخبار بعينها وإبرازها على السطح، أو تلوين الخبر بصياغة ما تبعث رسائل مبطنة، وتوجه المتلقي بطريقة غير مباشرة.. كما يتبدى هذا التأثير أيضا في «الرأي» الذي يكون أكثر وضوحا في ارتباطه بوجهة نظر محددة ومعلنة.

ونحن، وعلى مدار اللحظة، نواجه عشرات بل مئات الأخبار، وفي كل المجالات، كما نطالع ما يقترب من هذا الكم أو يزيد في إعلام الرأي، سواء من مقالات على النمط المعروف لكتاب ومحللين، أو حتى تدوينات قصيرة على مواقع التواصل الاجتماعي..

وأمام هذا التدفق غير المسبوق في الخبر والرأي، زادت قدرة الإعلام على التشكيل والتأثير؛ بحيث باتت توازي أو تنافس مؤسسات أخرى كان منوطا بها هذا الدور في التوجيه والتثقيف والتوعية؛ مثل مؤسسة الأسرة، أو مؤسسة المدرسة.

ولهذا، ينبغي أن نكون على وعي بهذه القدرة الفائقة والمتزايدة للإعلام، وأن نعمل على ترشيدها وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

تحديات أمام الإعلام

كما أن الإعلام أصبح يتمتع بهذه المقدرة الفائقة، فإنه أيضا يواجه تحديات كبيرة، علينا الانتباه إليها. ومنها:

- تحدي رأس المال، وما ينتج عنه من توجيه: فالإعلام، خاصة بشكله التقليدي، يحتاج إلى نفقات كبيرة. وإذا كان رأس المال بطبيعته لا بد له أن يتدخل في توجيه المسار الذي ينخرط فيه، أيا كان هذا المسار.. فما بالنا بمسار الإعلام الذي يتطلب رأس مال ضخما جدا..!
- تحدي التدفق، وما ينتج عنه من تشتت: فوتيرة تسارع الإعلام، خبرا ورأيا، ينتج عنها بلا شك تشتت لدى المتلقي، سواء فيما يمكن متابعته، أو الوثوق به، لاسيما إذا كانت مخرجات الإعلام متضاربة بسبب حرص البعض على تحقيق «السبق» ولو على حساب «المصداقية»!
- تحدي السيولة، وما ينتج عنه من فقد التخصص: فسبب تطور وسائل الإعلام وتيسرها أمام الجميع، أصبح متاحا حتى لغير المتخصصين أن يدلوا بدلوهم في هذا النهر المتدفق خبرا ورأيا، وأصبحنا أمام حالة من السيولة يختلط فيها الحابل بالنابل!

ومن المؤكد أن هذه التحديات التي تواجه الإعلام بشكل عام، تلقي بظلالها القاتمة على وعي المسلم المعاصر..

فيجد نفسه في مرمى التوجيه؛ الذي يقف خلفه رأس المال من وراء ستار، وإن زعم هذا التوجيه أنه يلتزم بالمعايير المهنية!

كما يجد نفسه محاصرا بتدفق متسارع من الخبر والرأي، وقد لا يجد المعيار الذي يحدد التعامل مع هذا التسارع قبولا أو رفضا؛ فيصاب بالتشتت، وتضعف لديه القدرة على الفرز والتمحيص والنقد!

وقد يجد نفسه أيضا غارقا في سيولة مفرطة، يتوارى أمامها أهل الخبرة والمصداقية، ويطفو على السطح من لا يعرفون للكلمة قدرا وأمانة! ولا للعلم حرمة وإجلالا. وكم يعاني المسلم المعاصر من هذه المنابر الإعلامية التي يطل منها غير المتخصصين، فيفُتون بغير علم، ويقولون على الله الكذب، ويحدثون بلبلة في النسيج الاجتماعي بشذوذ آرائهم، واعوجاج أفهامهم!

الإعلام ليس منفصلا

فيما يتصل أيضا بالإعلام ودوره في تشكيل وعي المسلم المعاصر، علينا الانتباه لنقطتين مهمتين:

الأولى: أن الإعلام ليس منفصلا، كما أشرنا، عن رأس المال ولا عن مجمل التأثيرات السياسية؛ بل هو يأتي منسجما معهما، وخادما لهما.. وإن خفي هذا الأمر في بعض القضايا والحالات.

الثانية: أن الإعلام ليس منفصلا عن الهوية والثقافة، وإنما ينبع منهما ويصب فيهما.. ولهذا، تختلف التوجهات والقيم والمعايير الإعلامية من ثقافة لأخرى.. وإن كان ثمة قواسم مشتركة فيما هو مهني وعملياتي.

ولا شك أن هاتين النقطتين تنعكسان على المسلم المعاصر، الذي عليه أولا أن يكون على وعي بذلك وينتبه لخطورته، وثانيا أن يمتلك القدرة على مواجهة آثاره الضارة.. وذلك بأن يعمل على تنظيم إعلام خاص به، ينطلق من هويته وثقافته، ويرسخهما لدى الفرد والمجتمع.. وأن ينتبه للرسائل المبطنة التي يتم تسريبها في الإعلام لانتزاع قيمة معينة، أو تهميش فكرة ما، لصالح قيم وأفكار أخرى تتناقض مع المنظور الإسلامي.

ولا شك أن هذا الانفتاح غير المسبوق في الإعلام، يوجب المزيد من الاهتمام بالتحصين الثقافي للحفاظ على الهوية، دون أن يعني ذلك انغلاقا على

الذات أو رفضا للاستفادة مما لدى الآخر من إيجابيات.. فثمة فرق كبير بين التبادل أو التحاور الثقافي، وبين الذوبان والتبعية!

المطلوب لوعي إسلامي

أمام هذه التحديات التي أشرنا إليها بإيجاز، ثمة خطوات مطلوب اتخاذها لمواجهة هذا «التغول الإعلامي» في حياتنا، بتأثيره غير المحدود وغير المسبوق.. ومنها:

❖ التوثيق في النقل: وقديما قيل في تراثنا «إذا كانت ناقلا فالصحة، أو مدعيا فالدليل»؛ أي عليك أن تلتزم الصحة والدقة حين تنقل عن الآخرين، وتقدم الدليل حين تدعي رأيا وتتبنى قولا؛ فالكذب في النقل، أو عدم الاستناد لدليل في الرأي، يفسد الوعي، ويؤدي للزيف. ويزداد هذا التأثير سوءا إذا كنا بصدد قضايا إسلامية مطروحة في الإعلام، يغيب عن مناقشتها الوعي والمنهجية والدقة!

❖ التنوع في المحتوى: حتى يسهم الإعلام في تشكيل وعي إسلامي ناضج، عليه أن يقدم محتوى متنوعا، وبأشكال غير نمطية؛ بحيث لا يقتصر هذا الإعلام على جانب معين من المعرفة، مثل العلوم الشرعية، وكأننا في درس علمي متخصص؛ وإنما عليه أن ينوع في المحتوى، ويمزج بين علوم الشرع والعصر، والنفس والاجتماع والكون، وبأسلوب يخاطب عموم المتلقين، ويحقق الفائدة والمتعة.

❖ الشمول في الخطاب: فالإعلام المطلوب لوعي إسلامي عليه أن يخاطب الشرائح المتعددة في المجتمع، من الطفل والشباب والأسرة؛ بحيث يكون خطابا شاملا غير محصور في فئة من الفئات؛ لأن المجتمع يشمل هذه الشرائح كلها، كما أن وعي الإنسان يتشكل منذ الصغر، والإعلام عليه أن يواكب الإنسان في تطوراته، بما في ذلك الأسرة التي تواجه تحديات كبيرة ويراد إلحاقها بمنظومات فكرية لا تتفق مع الهوية الإسلامية!

❖ الامتداد في التغطية: بحيث لا يقتصر الإعلام على الدوائر المحلية والإقليمية، وإنما يولي اهتماما كبيرا للعالم الإسلامي العريض، وبقضايا الأقليات تحديدا، حتى يتشكل وعي المسلم المعاصر على هذا النحو من الاتساع والامتداد. وقد أصبح هذا متيسرا أكثر من ذي قبل بفضل ثورة الاتصالات. ومن المؤسف أن نقاط تماس كثيرة على امتداد العالم الإسلامي لا تنال تغطية إعلامية تليق بخطورتها، وتنشر الاهتمام اللازم بها.

❖ الصدق في المضمون: فما أسهل أن يخادع الإعلام ويلون الحقائق، مما لا يتشكل معه وعي صحيح ناضج.. لكن الكلمة أمانة، والإعلام سلاح حاد يتصل بأثمن ما في المرء، وهو عقله ووعيه. وإذا كان الصدق مطلوبا في كل حال ونشاط، فهو في الإعلام أشد طلبا وأكثر أهمية. ولهذا لنا أن نتساءل: هل وسائل الإعلام التي تبرز قضايا معينة لا تمت للوعي العام بصلة، أو تتحدث عن قضايا وهمية من الأساس؟ هل هي تلتزم بالصدق في المضمون؟! وهل هي أمينة على وعي المتلقي؟! ولمصلحة من، مثلا، يتم تصوير السلوك غير الصحيح لقلة محدودة من المسلمين على أنه سلوك عام أو ثقافة منتشرة! لماذا لا يتم تناول القضايا بحجمها الطبيعي دون تهويل وتضخيم، فضلا عن الاختلاق من الأساس؟!

فمجتمعاتنا اليوم في أمس الحاجة للكلمة الصادقة والرؤى النيرة للتعامل مع الأحداث والوقائع بنوع من الوعي والرشد؛ ولذا وجب النظر في كيفية توحيد الرؤى الإعلامية في أولويات الطرح والمناقشة، والتي تؤثر في توجهات الرأي العام، وتعزيز المهنية أثناء تناول القضايا والمواضيع[٣].

❖ الهوية في الانطلاق: بأن ينطلق الإعلام من هويتنا الإسلامية، ويعمل على ترسيخها، وتوضيح حقائقها، وإزالة الشبهات التي تثار ضدها.. وأن تكون القيم والقضايا الإسلامية معيارا مهما يؤخذ في الحسبان ويتم الالتزام به. وما أكثر المفاهيم التي يمكن أن تتسرب، دون وعي وانتباه، عن قضايا الشباب والمرأة، وما يتصل بمفاهيم الحرية والعقل والجنس والصراع المجتمعي وغيرها، مما هو محل اختلاف من ثقافة لأخرى.

بهذه الخطوات وغيرها نستفيد من التطورات غير المسبوقة في الإعلام بتجلياته المتعددة، ونتجنب بدرجة كبيرة ما قد ينتج عنه من آثار جانبية، ونسهم في تشكيل وعي إسلامي ناضج؛ ينطلق من ذاتيه الحضارية، ويتفاعل مع الآخر من موقع متكافئ، ويضيف إلى عالم موار بالحركة والتجدد.

الهوامش

١- إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، د. محيي الدين عبدالحليم، ص:٤٥، ٤٦، سلسلة «كتاب الأمة»، رقم ٦٤، ط١، ربيع الأول ١٤١٩هـ.

٢- من التأثيرات السلبية للثورة الرقمية «الإغراق المعلوماتي»، والمتحرشون الإلكترونيون، ووجود أشكال من الانعزال الاجتماعي، والإغراق الإعلامي. وفي استطلاع للرأي ذكر ٦٥في المئة من المشاركين أن «الإنترنت» يعوق عمل الصحافة أكثر مما يساعدها، من خلال السماح لأي شخص مهما كان هاويا وغير موهوب بأن يصبح صحفيا؛ مما يجعل المعلومات أكثر تناقضا ومغالطة، ويفتح المجال أمام نظريات المؤامرة بشكل لم يكن موجودا في السابق. انظر: «الثورة الرقمية»، على موقع الموسوعة الحرة «ويكيبيديا».

٣- أبحاث مؤتمر الصحافة الإسلامية الأول، ص:١٣، ١٤، والذي نظمته مجلة «الوعي الإسلامي» في الفترة ٢٠-٢٢ نوفمبر ٢٠١٢م.



عايد الجاسم
صحافي وباحث دراسات إسلامية



الإعلام الجديد وتشكيل الرأي العام

تعاظم دور الوسائل الإعلامية في وقتنا الحاضر بشكل كبير، لدرجة أنه لم يعد ثمة مجال للحد من تأثيراتها على المتلقي، خصوصا مع تنامي استخدامات وسائل التواصل الاجتماعي، في ظل ثورة المعلومات والتقنيات الحديثة التي حولت العالم إلى قرية صغيرة، تنتقل فيها المعلومات والبيانات والصور بكل سهولة ويسر.

وفتحت شبكات التواصل الاجتماعي، التي تعتبر أحد أهم المنجزات الحديثة في عالمنا المعاصر، بابا جديدا واسعا أمام العمل الإعلامي في عملية نقل المعلومات وتناول الأحداث والأخبار وإيصال الرسالة الإعلامية، بشكل مغاير عما كان مستخدما سابقا من أدوات ووسائل في الإعلام التقليدي.

وبدأت الكثير من وسائل الإعلام في مجالات عملها المختلفة، المقروءة والمرئية والمسموعة، التعاطي مع الواقع الإعلامي الجديد الذي شكله ظهور الشبكات الحديثة، والدخول في استخدامات التطبيقات والتقنيات المتطورة والعمل على إعادة صياغة سياساتها الإعلامية باتجاه مخاطبة شريحة مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي.

لقد أدى الارتفاع المستمر في أعداد مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي إلى تعاظم دور هذه الشبكات وتزايد قوة تأثيرها في المتلقي الذي أصبحت تتدفق إليه المعلومات والأخبار والصور والفيديوهات من كل بلدان العالم وهو في مكانه عبر جهاز هاتفه النقال من دون أن تتاح الإمكانات والقدرة على فرض الرقابة وفلترة ما يتم بثه ومشاهدته. فمهما كانت قوية تلك الرقابة المفروضة من الأسرة والجهات المعنية، فإنها تضعف أمام التسابق على الابتكار واكتشاف تطبيقات وتقنيات حديثة ومتطورة تتوافر من خلالها البرامج والمعلومات التي تصل إلى المتلقي من دون أي عناء أو جهد.

وأصبحت الوسائل الإعلامية بفضل هذه المنجزات التقنية المتطورة أكثر تأثيرا في الرأي العام وقدرة على تشكيل وعي الجمهور وتوجيههم نحو أفكار وآراء معينة لقدرتها على نقل رسالتها الإعلامية إلى أعداد كبيرة وضخمة من الأشخاص من دون أن تكون هناك أي قيود أو أدوات تمنعها من تحقيق ذلك.

قدرة تأثير الإعلام في تشكيل الوعي وتوجيه الرأي العام كبيرة، وأصحبت أكثر قوة وتأثيرا مع تنامي دور وسائل التواصل الاجتماعي التي باتت تشكل أحد أهم أدوات التأثير والتغيير في الرأي العام لدرجة أنها باتت تقود المجتمعات وتدفعهم في اتجاهات معينة.

ولعل فئة الشباب هم الأكثر تأثرا في وسائل الإعلام الجديد لكثرة استخدامهم التقنيات الحديثة والتعامل مع شبكات التواصل الاجتماعي، وهو ما يجب التنبه إليه عن طريق استثمار وسائل الإعلام الاجتماعي لمصلحة حماية الشباب والناشئة من الأفكار الهدامة وصياغة خطاب إسلامي إعلامي، نشكل من خلاله وعي المسلم المعاصر.



د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

إعلام الكلم الطيب

يا صباحاه.. صيحة أطلقها النبي ﷺ وأعلنت انطلاق الدعوة الإسلامية وإعلامها مبشرا بالحق والخير والجمال ومحذرا من سلوك طريق الغواية، وهاديا إلى التي هي أقوم في الأقوال والأفعال والسلوك، ومبينا طريق الفلاح والسعادة لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا.

ويعد الإعلام إحدى الركائز الأساسية في تكوين قناعات الناس، ومن ثم توجيههم نحو فكرة معينة أو رأي ما أو إنجاز أمر أو تعويقه، وقد شهد عصرنا تقدما مذهلا في عرض الأفكار والمبادئ ونهما شديدا في تتبعها ونشرها بين الناس.

والإعلامي المسلم ينطلق من دينه، ويحافظ على هويته، ويسترشد بهدي الإسلام في قوله وسلوكه؛ لذا يسعى للكلمة الطيبة التي ترضي الله وتنفع الناس وتتسق مع إيمان العبد وتكون سببا في سعادته في الدنيا والآخرة.

من صفات الكلمة الطيبة

١- أنها مخلصة يبتغي صاحبها وجه الله ولا يحيد عن الحق مستمسكا بقول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:١٣٥) فـ«كمال سعادة الإنسان أن يكون قوله لله وفعله لله وحركته لله وسكونه لله حتى يصير في آخر مراتب الإنسانية وأول مراتب الملائكة»[١] وكمال سعادة الإنسانية أن يكون أصحاب التوجيه فيها مخلصين في أقوالهم وأفعالهم لله يدورون مع الحق حيث دار لا يمنعهم من قوله والعمل به رغبة أو رهبة.

٢- وأنها نافعة، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله يمر ببابي يلقي الكلمة ينفع الله -عزوجل- بها»[٢] وحتى تكون الكلمة نافعة (لابد من توافر الشرط الأساسي لها لتكون بانية هادية: أن تكون طيبة وحسنة مباركة وهذا سر وجودها وخلودها ولن تخلد الكلمة على الأجيال إلا إذا اتصلت بالحق والخير وكان لها من قوانين الله في خلقه سند ومن إلهام عباده وجود)[٣].

من سنن الله في الكون ومن آثار قدرة الله تعالى وعظمته ومن عجائب الحاضر وروائع الماضي ينطلق الإعلامي فتكون له (كلمات ذات موضوعات شتى تستمد سطورها من الواقع وتعتمد على إثارة الوعي الكامن في أفئدة المؤمنين وحسبها أن تكون كضوء البرق الذي يكشف الظلام ويوضح الطريق، إنها كلمات قصار لكنها فواتح لمعان جمة عند أولي الغيرة على دينهم وأمتهم أحيانا تتناول العقيدة والأخلاق والتاريخ والفقه وأحيانا تغوص في واقعنا الحي تحق الحق وتبطل الباطل)[٤] وهذا يشير إلى التنوع الذي ينبغي أن يكون عليه الإعلامي فيما يقدمه للناس مستفيدا من التراث وتجارب الأمم في اجتياز العقبات.

إن الإعلامي قارئ جيد للأزمات التي مرت بالإنسانية والفتن والملاحم وأسبابها ثم يطل على جمهوره مسهما في بيان كيفية التخلص من الأزمات المشابهة مع مراعاة فارق الزمن ومستجدات العصر

ولا يبلغ الإعلامي مبلغه من صياغة النفوس وتعديل مسارها حتى يجمع بين العلم الصحيح وحسن صياغة هداية الله تعالى للبشر صياغة الحكيم الذي يتلمس الداء ويستخرج من الحكمة التي أودعها الله تعالى في كتابة ونطق بها نبيه ﷺ واستفاد بها من زكى قلبه واستنارت بصيرته من سلف الأمة وخلفها ما يقدمه للأمة ليصل ماضيها بحاضرها ويساعدها في بلوغ مستقبل أفضل لها وللإنسانية من حولها.

ومن مظاهر نفع الكلمة الطيبة:

أ- الدلالة على الخير لتتسع دائرة العاملين به ولينتشر أثره في العالمين، وهو موعود على ذلك بأعظم الأجور قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»[٥].

ب- أنها تتلمس حاجات الناس وآلامهم فإذا ألمت بالناس ملمة أو أصيبوا بفاجعة ساهم الإعلامي في كشف هذه الكربة مقتفيا أثر رسول الله ﷺ الذي جاءه وفد تبدو عليه علامات

الفقر فغضب وجمع الناس وخطب فيهم فقال فيما قال: «تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره -حتى قال- ولو بشق تمرة» فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل، كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٦].

يتعلم الإعلامي المسلم من هذه الدعوة التي أطلقها النبي ﷺ كيف يكون مشاركا للآخرين في آلامهم وكيف يسد حاجاتهم.

ج- وكما يساهم الإعلامي في سد حاجات الناس بالدعوة إلى التعاون وتوحيد الجهود يقوم كذلك -بكلمته الطيبة- برأب الصدع الذي يحدثه شياطين الإنس والجن.

اقتتل أهل قباء حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم»[٧].

ونحن الآن في أمس الحاجة لمن يعمل على تحقيق قول الله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢).

٣- ومن صفات الكلمة الطيبة أنها تزيل اللبس وتكشف الحقائق ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة وهذا ما كان من رسول الله ﷺ في غزوة حنين عندما غنم غنائم عظيمة وقسمها فيمن أسلم حديثا وترك الأنصار الذين نصروا الله ورسوله وآووا المؤمنين فلم يعطهم شيئا وتبادل الناس كلاما يدل على غضبهم وحزنهم من تقسيم رسول الله ﷺ هذه القسمة وبلغ رسول الله ﷺ ما أصاب الناس فلم يترك هذه الخواطر السيئة تجول في أذهان الصحابة وتنطلق بها ألسنتهم لكنه سارع إلى جمعهم في مكان واحد والحديث إليهم دون واسطة تكلم رسول الله ﷺ كلاما ردهم به إلى الصواب وبين لهم ما دفعه إلى هذه القسمة التي لم ترضهم وأظهر لهم أنهم الرابحون حقا

وأعادت كلماته هذا الحي من الأنصار إلى جادة الصواب وتأثرت بها نفوسهم أيما تأثر حتى قال الرواي: (فبكى القوم، حتى أخضلوا[٨] لحاهم)[٩].

٤- ومن صفات الكلمة الطيبة التزام صاحبها بمعايير الأدب والذوق فتتجنب ما فحش من اللفظ والمعنى سواء كان بالإشارة أو العبارة لأنها ملتزمة بقوله تعالى وقولوا للناس حسنا.

٥- ومن صفات الكلمة الطيبة أنها تتتفع بما في اللغة من حيوية ورشاقة فتكشف عن أعظم المعاني بأبسط العبارات دون أن يحتاج القارئ إلى العودة لقواميس اللغة بحثا عن مصطلح لم يسمع به من قبل رغم أنه أمضى عمره في القراءة ومتابعة الشأن الثقافي وحرص الكاتب أو المتحدث على أن يكون قريبا من الناس لا يعني أبدا الإسفاف في اللفظ أو المعنى.

٦- ومن صفات الكلمة الطيبة أنها قريبة من قلب من يتلقاها إذ تعتني بما يهمه ويشغل فكره وقلبه فتجيب عن تساؤلاته وتلبي أشواقه وتدله على مواطن الخلل في نفسه وتوسع له ما ضاق من سبل الحياة وتبث في نفسه حسن الظن بالله وهذا يتطلب من الإعلامي أن يكون قريبا من الناس يخالطهم ويشعر بما يشعرون به يتواصل معهم تواصلا يمكنه من التصور الصحيح لواقعهم ويمتلك من أدوات الإدراك والتعبير ما يمكنه أن يكون حاضرا بين الناس قريبا من عقولهم وقلوبهم.

في أحد الصحف العربية كنت أقرأ لونا من الأدب الراقي من خلال قصة تصور مشكلة اجتماعية صاغها قلم أديب يرسم بالكلمات لوحة فنية راقية رائعة تصور قصة من قصص البطولة أو حكاية من حكايات الصبر على البأساء والضراء أو سيرة لشخص نحت في الصخر وقاوم كل عوامل الفشل حتى صار له شأن وأي شأن أو ملحمة كفاح لأم ترملت وعانت ألوانا من شظف العيش وواجهت ألوانا من المحن حتى عبرت بأولادها إلى بر النجاة والنجاح إلى غير ذلك من حكايات الواقع الذي نحياه أو نشاهده ثم يقدم الكاتب رأيه الذي قد تتفق معه أو تختلف لكنك لا تملك إلا الإعجاب بهذه القدرة على التصوير والغوص في أعماق المشكلات الإنسانية، كان لهذا الباب قراؤه الذين يبدأون به قبل غيره وما أحوج نوافذنا الإعلامية إلى مثل هذا اللون الذي يتجلى فيه الأدب والخيال والفكر ويقدم من خلاله توجيهات نفسية واجتماعية وخلقية.

وختاما: تحمل الكلمة الطيبة في طياتها القوة المؤثرة ولا تحتاج معها إلى قوة تضافرها وتشد أزرها وإن كانت لا تمنع وهذا ما كان من شأن الكلمة في الدعوة الخاتمة على لسان الرسول الخاتم ﷺ فالكلمة هي لسان دعوته وهي معجزتها التي تحدت بها في كل زمان ومكان[١٠].

الهوامش

١- مفاتيح الغيب بتصرف.
٢- المسند وإسناده صحيح.
٣- الخطابة بين النظرية والتطبيق د. /محمود محمد عمارة.
٤- الحق المر الشيخ /محمد الغزالي.
٥- صحيح مسلم.
٦- صحيح مسلم.
٧- صحيح البخاري.
٨ - ملؤوها بالدموع.
٩- مسند أحمد.
١٠- فصول في الدعوة والثقافة الإسلامية د/ حسن عيسى عبدالظاهر.



عبدالرحمن سعد
نائب رئيس التحرير بجريدة «الأهرام»
باحث دراسات إسلامية

دور الإعلام في تشكيل وعي المسلم المعاصر

مع زيادة تأثيره في الجماهير؛ بظهور مواقع التواصل الاجتماعي، ومحاولات توظيفها للتأثير في الرأي العام.. يبرز دور الإعلام بديار المسلمين في حسن ترتيب الأولويات، وربط المسلمين بعقيدتهم، وقيم دينهم وفضائله، والتأصيل الإسلامي لمختلف القضايا، فضلا عن التبشير بالخير، وبث التفاؤل، وترسيخ التوجه التنموي، انطلاقا مما دعا إليه من «الكلمة الصادقة»، والمعالجة «الأمينة».

لم يكن ترفا، إذن، اهتمام منظمات وهيئات عدة، على مدار العقود الماضية، كمنظمة التعاون الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، وجامعة الدول العربية، ووزارات أوقاف ومؤسسات إعلامية كبرى، بعقد عشرات المؤتمرات، التي تناولت دور الإعلام في تشكيل وعي المسلم المعاصر، لتصدر عنها مئات التوصيات، انبثاقا من حقيقة أنه «ما من حضارة نمت إلا استندت إلى ركائز، أبرزها الإعلام».

ليس بعيدا عن ذلك بعثة الأنبياء والرسل، منذ خلق الله، تعالى، آدم عليه السلام، إذ دعوا أقوامهم إلى عبادته، سبحانه، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. (النحل:٣٦).. ذلك عبر القيام بوظيفة البلاغ أو الدعوة، وهي صنو الإعلام، بهدف هداية الناس إلى الحق، وصونهم عن الباطل؛ حتى خلص كثير من المختصين في الإعلام إلى أن «الإسلام دين إعلامي».(١)

الحقيقة أن الإسلام دين شامل، ينظم جميع شئون الحياة، بدءا من الولادة، حتى الموت، فلا يقتصر على جانب دون جانب، ولا مجال دون مجال. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. (الأنعام:١٦٢). وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.(النحل: ٨٩).

وإننا لنجد في سور القرآن الكريم، وقصصه، كافة؛ قيما ومفاهيم تشريعية وأخلاقية هادية، تشمل

الصدق والأمانة والإنصاف والنزاهة، مبثوثة في ثناياها، وهي قيم وتعاليم تضبط سلوك المسلم، أيا كان عمله، أو مجاله؛ إلا أن حاجة الإعلامي إليها تشتد، لا سيما وقد سبق الإسلام الإعلام المعاصر، إلى جعلها شروطا أساسية في المعالجة والأداء. ينضبط سلوك الإعلامي المسلم، إذن، بما جاء في القرآن الكريم، والسنة النبوية، من أخلاق وضوابط، كي يكون مسلما أولا، ثم إعلاميا ثانيا.. وسواء في ذلك: النواة الصغيرة للمجتمع (الأسرة)، أو المؤسسة الإعلامية التي يعمل بها. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ (التوبة:١١٩). وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥).

الربط «العقائدي»

وفق خبراء الإعلام: أول دور للإعلام الإسلامي، بل الغاية الأسمى له؛ ربط المسلمين بخالقهم سبحانه، وتعبيدهم له تعالى. قال - عز من قائل -: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذاريات:٥٣). وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ (البينة:٥).

هذا الإعلام، - انطلاقا من مرجعيته الإسلامية - تبشيري، تحفيزي، يدافع عن كل قيمة نبيلة، وكل خلق قويم، وكل قدوة مجتمعية، ويحارب - في الوقت نفسه - الأفكار الفاسدة كالتنجيم، وإدعاء معرفة الغيب (قراءة الطالع أو النجوم)، واللجوء إلى السحر والشعوذة.. إلخ.

وسيلته في دوره ذلك: الكلمة الطيبة، والجدال بالتي هي أحسن؛ للذب عن الإسلام، ورد الشبهات عنه، ومقاومة أي أفكار سلبية تحاول غزو القلوب والعقول، عبر ظواهر: «الإسلاموفوبيا»، وتنميط المسلمين، وربطهم بالإرهاب، أو محاولة تشويه صورة المجتمعات الإسلامية.

من هنا يجب على الإعلام الإسلامي أن يكون: أداة خير، وسبيل هداية، وميزان عدل، ونبراس قسط. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥).

إن الإسلام دين مستهدف، بحكم أنه الدين الحق، وأنه أكثر العقائد الدينية انتشارا في العالم، وفق أحدث الإحصاءات، كما أنه لا يقبل الذوبان في العقائد الأخرى، ومبادئه تمثل خطرا على أصحاب المبادىء النفعية الذين يعيشون لأنفسهم ومطامعهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (آل عمران:١٩)

بالتالي تتأكد أهمية دور الإعلام الإسلامي في مواجهة أي محاولات لخلخلة إيمان المسلم بدينه، ويقينه بعقيدته، عبر إشرابه مفاهيم غير مفاهيمه، وإثارة الشبهات حول صلاحية الإسلام لحكم الحياة، وحصره في جوانب معينة، كالعبادات فقط، أو تنحيته عن حياة المسلمين، فلا يكون مصدر إلهام أو رقي أو مرجعية لهم.

في مواجهة هذا الخطر الداهم يتمثل حبل النجاة في التسلح بالوعي الكامل، وتوعية المسلمين به، وتحذيرهم الدائم منه، وتعبئة الأمة في مواجهته. ولا شك أن للإعلام الإسلامي دورا كبيرا في هذه المواجهة الفاصلة، وهذه المجابهة الشاملة.

التذكير بالقيم الإسلامية

يحرص الإعلام الإسلامي على التربية بالقيم القرآنية والنبوية، وتذكير المسلمين بالغاية الأساسية من خلقهم، واستحضار الموت، والتذكير بالبعث والحساب، والتقليل من شأن المال، والاعتبار بكل ما في الكون، مهما دق، مما يدل على وحدانية الله، وقدرته.

هذا بجانب الحث على المسارعة إلى الخيرات، والصبر، والشكر، والدفع للسيئة بالحسنة، والإنفاق في سبيل الله تعالى، والتذكير بالقانون الإلهي في التغيير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ (الرعد:١١)، والدعوة إلى إخلاص النية له سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ (الكهف:١١٠)

الذنوب أخطر عدو

لكن: «ماذا تصنع إذا استحر القتل في المدافعين عن أوطانهم وعقائدهم، واعتبروا مجرمين؟ واعتبرت قضاياهم ليست أهلا للنظر فيها؟ في الوقت الذي يتبجح فيه القتلة، ويلبسون شارات العدالة والرقي؟ ماذا تصنع إذا رأيت الخناصر قد انعقدت على محو رسالة كبيرة كالإسلام، وإهانة أمم شتى لأنها تعتنق هذا الدين الحنيف، فإذا بدا

أنها مستمسكة به، أو أن الأحوال فيها تؤذن ببقائه، أو ببعض الوفاء له، شنت عليها الحروب حامية وباردة؟». يتساءل الشيخ محمد الغزالي، مضيفا: ماذا تصنع، والحالة هذه؟ أتبتسم ابتسامة الرضا، أو ابتسامة المداهنة؟!»[٢].

بالتأكيد.. لا يجب للإعلام الإسلامي أن يبتسم تلك الابتسامة، ولا أن يداهن تلك المداهنة؛ بل عليه أن يضع أمور أمته في نصابها الصحيح، وأن يشيع فيها الحقيقة المؤكدة، وهي أن عدونا لم يتسلط علينا، كما أن المصائب لم تقع؛ إلا بذنوبنا، ومعاصينا. دليل ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى:٣٠).

وغير بعيد قول القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها.. فإن الذنوب تزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد فرب العباد سريع النقم [٣].

نظرة إسلامية لضوابط إعلامية

حري، إذن، بمجتمع تربى أبناؤه على التعاليم الإسلامية؛ أن يلفظ أي ممارسة إعلامية فاسدة، وأن يوقن بحرفية الضوابط الإسلامية للإعلام، وفي مقدمتها: تحري صدق المعلومة، قبل تداولها أو نشرها، وهو ما يسميه القرآن «التبين» أو «التثبت»، مع «لين القول».

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦)، وقال، سبحانه، لموسى وهارون، عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (طه).

فلابد أن تكون الرسالة الإعلامية الإسلامية صادقة؛ تحترم مبدأ الأمانة، ويقترن فيها القول السديد بتقوى الله. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب:٧٠-٧١).

هذا مع تجنب كل ما نهى الله عنه من الكذب وافتراء الزور. قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ (النحل:١٠٥)، وقال: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ (الحج:٣٠).

كذلك اجتناب كل ما يحذر الإسلام منه، ويجب أن يمتنع الإعلام عنه بالتبعية، من: الانشغال بعيوب الناس، والحكم على النيات، والتحريض على الكراهية، وقول «هلك الناس»، والجرأة في تصنيفهم، واستباحة السب واللعن، والتدابر والتباغض، والظن السيء، والتشهير، والاعتداء على حرمة الحياة الخاصة، والتشهير، والقذف، وغيرها من الظواهر السلبية.

تفعيل أداء الإعلام الإسلامي

إن نظرة بسيطة إلى معالم الإعلام الإسلامي، من واقع دعوات الرسل والأنبياء، يؤكد وضوح الدعوة (الإعلام بتعبير آخر) إلى التوحيد الخالص، والعقيدة النقية، بجرأة وشجاعة، وموضوعية وإنصاف.

فالحاجة ماسة إلى تعميق الإعلام الإسلامي، لا سيما أن القاعدة الفقهية تقول: «صحيح المعقول (العلوم الحديثة) يتفق مع صحيح المنقول (القرآن والسنة)»، إذ نجد بين دفتي كتاب الله الدعوة إلى إعمال مبادئ الإنصاف والتجرد والنزاهة والموضوعية والصدق، وكلها مبادئ سبق إليها القرآن، وعلى الإعلامي المسلم أن يجعلها ديدنه.

هذا مع تناول القضايا بحسب أولويتها، وعرض الجديد دوما منها، وملاحقتها السريعة بالمتابعة والتعليق، مع تقديم رؤية إسلامية لها، ما أمكن، وإحياء الإعلام التنموي؛ عبر الاهتمام بمشروعات التنمية، والارتقاء بمعيشة الأفراد، وتحسين البنية في المجتمعات المسلمة، ودعم روح التوافق، والتركيز على الإيجابيات والنماذج الإيجابية والناجحة، وتشجيع كل ما يبعث على التفاؤل والأمل.

هذا ما يجمع عليه خبراء إعلام مسلمون. إذ يدعو الدكتور عبداللطيف حمزة إلى «تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة، التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في الوقائع والمشكلات»[٤].

ويؤكد الدكتور محيي الدين عبدالحليم أهمية: «تزويد الجماهير بحقائق دين الإسلام من خلال وسيلة إعلامية، بغية تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته»[٥].

ويشدد الدكتور عبدالقادر طاش على أن «صوغ منهج للإعلام الإسلامي يعمل على سد الفراغ الهائل في منظومات المنهج الإسلامي؛ يعتبر ضرورة ملحة؛ حتى يمكن بلورة أنموذج جديد للإصلاح الإسلامي يقوم على الشمول والتكامل والواقعية، ولسد الفراغ بين الارتباط العاطفي للمسلمين بالإسلام في

الجانب العقدي والروحي والفردي مع ارتباطهم العملي والواقعي بالإسلام في الجانب التشريعي والتنظيمي»[٦].

فيما يرتب محمد خير رمضان يوسف، أولويات الإعلام الإسلامي، كالتالي: ترسيخ عقيدة التوحيد في النفوس، وتزويد الناس بالحقائق، والتزام الصدق، والدقة، والتوثيق، والأمانة، والموضوعية، وبصفة عامة: غرس مبادئ الإسلام والثقافة الإسلامية في النفوس، وبناء مجتمع نقي، وصون المفاهيم الإسلامية، وبناء الحضارة الإسلامية، وبث الفضائل والأخلاق والعادات الإسلامية، وتأكيد معنى الحرية، والوحدة الإسلامية، ونشر اللغة العربية؛ لغاية أساسية هي: إرضاء الخالق»[٧].

التسلح بالحقائق

وتزداد أهمية الدعوات السابقة في ظل ما تواجهه الأمة الإسلامية، حاليا، من «تضليل إعلامي ممنهج»، يستهدف التلاعب بإرادة شعوبها، وتخريب عمرانها.

آلة هذا التضليل: قصف إعلامي متواصل؛ ووقوده: خلخلة الثوابت الإسلامية، ونشر الأكاذيب بحق رسالة الإسلام، والتاريخ الإسلامي، وترويج الشائعات عن المسلمين، ومحاولة بث الفتن بين أعراقهم.

أما جنود هذه الحرب «المسعورة» فكتائب من الإعلاميين والنشطاء الذين باعوا أنفسهم للشيطان، سعيا وراء أموال زائلة، أو نصرة لأفكار فاسدة، أو تحقيقا لشهرة زائفة.

وعن ذلك يقول الكاتب الأمريكي «هربرت شيللر» في كتابه «المتلاعبون بالعقول»: «إن من يسيطر على وسائل الإعلام يسيطر على العقول».

ولا تكاد مضار «التضليل الإعلامي»، أو «السيطرة على الإعلام»، تضاهي أي مضار أخرى على الأمة، ولا تعود عواقبها الوخيمة على فئة أو أشخاص بذواتهم، وإنما تعود عليها كلها، فتنذر بهلاكها، وتهديد سفينتها، إذ يحاول الإعلام المضلل هدم الثابت، وتفريق المتحد!

وقد عني المفكر الأمريكي «نعوم تشومسكي» بكشف تلك الأساليب في «السيطرة على الإعلام»، وذكر منها: التشويه، والتعتيم، والإلهاء، والتضخيم، والتسفيه، واختلاق الأكاذيب، ونشر الشائعات، واصطناع الأوهام، والانتقائية، وازدواج المعايير، وإقصاء الرأي الآخر، وهندسة الآراء الفاسدة، وطمس الحقائق المجردة[٨].

كما تشمل هذه الأساليب تقديم المزاعم والظنون على أنها حقائق، وترويج الفزاعات، ومحاكمة النيات، وافتراض سوء القصد، وبث الضغائن، والتحريض على العنف، وتحقير الخصوم، والافتراء والطعن، واللعب على وتر العصبية، والانتقال من الأفكار إلى الأشخاص، والخوض في الأعراض، وخلط الرأي بالخبر، والترويج للأفكار الشاذة؛ مما يترفع الإعلام الإسلامي عن الوقوع فيه، بل يجتهد في كشفه.

التعريف بقضايا الأقليات الإسلامية

من الأدوار المهمة التي يقوم الإعلام الإسلامي بها؛ كشف الانتهاكات التي يتعرض لها المسلمون في شتى بقاع العالم. ولئن كان موقف الإعلام الغربي والعالمي مفهوما بتجاهله لتلك القضايا، بالنظر إلى من يملكه ويوجهه، لتحقيق مصالحه وأهدافه. فمن المنتظر من قبل القائمين على الإعلام الإسلامي القيام بدورهم المرتقب في تعريف المسلمين بآلام إخوانهم وآمالهم عبر العالم، ونشر قضيتهم وتبنيها، واستخدام المصطلحات المعبرة عن واقعهم، وليس بتقديم المعتدي على أنه الضحية، أو العكس.

ختاما: حان الأوان للإعلام الإسلامي كي يرفع راية أمته، وأن يأخذ زمام المبادرة، في الوصول إلى كل مسلم، في شتى بقاع الأرض.. نقلا عنه، ونقلا إليه؛ حتى يعلم أن إخوانه في الدين على تفاعل حقيقي مع آلامه، وتجاوب صادق مع آماله. قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة:٧١)، وقال رسول الله، ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» ثم شبك بين أصابعه. (متفق عليه).

الهوامش

١- د. إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي المرحلة الشفهية»، مكتبة الأنجلو المصرية، ط عام ١٩٨٠م.

٢- طه إبراهيم شعبان، مقدمات الغزالي أو مفاتيح الدعوة، دار الأنصار، القاهرة، ص:١٥٢، و١٥٣.

٣- ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، دار المدني ، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص: ١٠٢، و١٠٣.

٤- د.عبد اللطيف حمزة، الإعلام و الدعاية، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١٩٨٤م.

٥- د. محيي الدين عبدالحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤م.

٦- د.عبد القادر طاش، مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، سلسلة «كتاب الأمة»، الدوحة، قطر.

٧- شبكة الألوكة: «الإعلام الإسلامي: تعريفه وأهدافه والغاية منه».

٨- نعوم تشومسكي، كتاب «السيطرة على الإعلام»، وكتاب: «صناعة الإذعان: الاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام الجماهيرية»، بالتعاون مع إدوارد هيرمان.



مياسة النخلاني
قاصة وباحثة يمنية

الإعلام الحديث بين عالمي الافتراض والواقع

مهما فاجأنا التطور بجديده وتوالت الثورات الصناعية والمعلوماتية التي تتدخل بشكل مباشر وغير مباشر على حياتنا، تبقى الكلمة في خضم كل هذا التغيير محافظة على قوتها وحضورها بين الأفراد والمجتمعات، وتستمر كونها السلاح الذي قد يوازي الرصاص بالقدرة على القتل والتدمير، في الوقت ذاته قد تملك المقدرة على توفير الحماية والأمان وأحيانا كثيرة التغيير الجذري والقوي، وتبقى حقيقة أنه لا يدرك القوة التي تملكها الكلمة إلا من عاشوا ويعيشون في بلدان مضطربة كسفينة عالقة في موج عات، تبحث عن شاطئ آمن يعيد لها الاتزان وهذا ما تفعله الكلمة إذا ما أحسن استخدامها بالشكل الصحيح.

وحيث تكون الكلمة يكون الإعلام غير أن الثورات المعلوماتية المتسارعة قد ساهمت بتأسيس بيئة جديدة للإعلام والتي تتسم بالمرونة والانتشار كذلك القدرة الفائقة على إحداث الفارق في البيئة المحيطة والتأثير الفعال والسريع على الرأي العام متجاوزة العوائق والحدود المكانية والزمانية.

مما ساهم بخروج الإعلام عن كونه محصورا في نطاقات أو فئات محدودة، ليصبح أكثر انتشارا وأكثر قربا منا، فأصبحت منصات الإعلام الحديث ترافقنا في جميع تفاصيل يومنا وخصوصياتنا - وبدون مبالغة - أصبح يقرأ أفكارنا واحتياجاتنا ليطرح أمامنا الحلول والاقتراحات التي قد تلائمنا دون حتى أن نكلف أنفسنا عناء البحث أو الطلب.

ففي ظل وجود منصات الإعلام الحديث بتنا نتحدث عن صديق




ما، فلا نفتح صفحتنا الخاصة في فيسبوك حتى نجد اقتراحات صداقة له وكأن ثمة من يستمع لأحاديثنا، نناقش صديقا برغبتنا لشراء سيارة ما لنجد بعد لحظات في صفحتنا الخاصة على منصات التواصل الاجتماعي اقتراحات لعدة أنواع من السيارات قد تلائمنا بل يتم ترشيح نقاط بيع قريبة منا، يخبرنا قريب أننا بحاجة لتجديد ستائر الغرفة، فلا نفتح صفحتنا في فيسبوك حتى نجد اقتراحات لآخر موضات الستائر وأفضل الأقمشة والأسعار ونقاط البيع القريبة، نرغب بالسفر للسياحة أو العلاج فنجد اقتراحات الأماكن الأكثر مناسبة لنا وليس علينا إلا أن نختار منها.

ببساطة إنها ثورة المعلومات والتقنيات الحديثة التي غزت عالمنا والتي منحت الإعلام الإذن المسبق ليكون شريك لنا في تفاصيل يومنا ومجريات حياتنا، مما أعطاه الصلاحية - بشكل غير مباشر -للتأثير على أفكارنا... معتقداتنا وحتى قناعاتنا، الدور الذي أهله ليشكل محورا أساسيا في تشكيل ثقافتنا... وعينا ونظرتنا للأمور حولنا.

خاصة أن الإعلام لم يعد حكرا على فئة محددة أو متخصصة تلعب دور المتحدث والمؤثر، بل أن المجال متاح للجميع دون استثناء، فكل من يملك هاتفا ذكيا، منصة أو صفحة في وسائل التواصل الاجتماعي، واشتراك انترنت يمكنه صنع قاعدة جماهرية واسعة تتيح له إحداث التأثير الذي يرغب به دون أي عوائق أو حواجز ودون الحاجة لأي شهادات أو مؤهلات بمجالات معينة، فالجميع اعلاميون والجميع متابعون، يمكن لأي شخص أن يكون مؤثرا أو متأثرا... متحدثا أو مستمعا بما أنه يملك منصته الإعلامية الخاصة في وسائل التواصل الاجتماعي والتي تمثل منصات الإعلام الحديث.

تعدد وتنوع وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الإعلامية الحديثة وسهولة الوصول اليها والتسجيل المجاني بها أحدث نقلة نوعية بدور الإعلام بالتأثير على الرأي العام وتشكيل الوعي في المجتمعات منها المجتمعات العربية والإسلامية كوننا أصبحنا جزءا لا يتجزأ من هذه المنصات سواء كمؤثرين أو متأثرين. صحيح أن هذه النقلة ليست إيجابية تماما، على العكس هناك العديد من الآثار السلبية لهذا الانتشار، على أن الإيجابيات أيضا كثيرة ولها تأثير مباشر وغير مباشر على المتلقي من جميع الفئات وخاصة الشباب، بل إن الوعي بدأ يترسخ في عقول مستخدمي هذه المنصات ليتجاوزا سلبياتها ويعززون من الإيجابيات الخاصة بها، لأن الشباب المسلم أصبح أكثر وعيا بأهمية ودور هذه المنصات الافتراضية بإحداث التغيير على أرض الواقع، ساعده على ذلك تعزيز هذا الوعي والإدراك الازمات المتتالية التي عاشتها بلادنا العربية والإسلامية خلال العشر السنوات الماضية والتي أثرت بشكل مباشر على طريقة تفكير الشاب المسلم وتعاطيه مع الأوضاع حوله.

ساعدت المحن والأوضاع المضطربة الجيل الحالي على إدراك القيمة الفعلية لمنصات الإعلام الحديث، وأنها ليست مجرد صفحات لمتابعة أحدث الموضة وتمضية وقت الفراغ أو بناء علاقات وهمية، حيث ساهمت الأحداث بإدراك دور وسائل التواصل الاجتماعي وقدرتها على إحداث تغييرات هائلة سواء للأفراد أو المجتمعات، وأنها سلاح لا يستهان به، قد تدمر إن أسيء استخدامها، لكن إن أحسن استغلالها بإمكانها أن تقود ثورات



فكرية وثقافية، تساهم بتوجيه المجتمع نحو المسار الأفضل، وتوجيه فكر أفراد المجتمع بما يعود عليهم بالخير، ومن هذا المنطلق بدأت الشخصيات المؤثرة بلعب أدوارا قيادية من خلال منصاتهم ومتابعيهم لنشر فكرهم الإيجابي وتعزيزه لدى متابعيهم والذين يمثلون الأغلبية من الفئة الفتية من مجتمعاتهم.

لذا لا يمكن إنكار دور الإعلام الحديث بوسائله المتعددة في تشكيل ونشر وعي المسلم المعاصر الذي بات - وبسبب الأوضاع والاضطرابات خلال السنوات الأخيرة - أكثر قابلية ورغبة بالتغيير والخروج من دائرة الضياع وغياب الفرص على أرض الواقع، ليصنع لنفسه واقعا أكثر إيجابية، بل ويبحث له عن مكان بين رواد التغيير، وبدلا من أن يكون مجرد متلقي تراه يكافح ليلعب دورا فاعلا في نشر الوعي حوله ولو بإمكانيات محدودة، صفحات شخصية وعامة، مجموعات خاصة وعامة، قد تبدو مشتتة إلا أنها تجتمع في نهاية الأمر لتمثل جدولا عذبا يجد فيه المتعطش للمعرفة والحقيقة ضالته، وبوسعه الانتقال بكل سهولة ويسر من منبع لآخر، بل ويملك القدرة على أن يكون هو ذاته أحد هذه المنابع ذات القدرة على التأثير والعطاء المعرفي والتوعوي.

فعلى سبيل المثال لا الحصر أتاحت منصات الإعلام الحديث المجال للشخصيات المؤثرة ذات القاعدة الشعبية والمتابعات الواسعة للتوعية بمخاطر وسلبيات هذه المنصات وتأثيرها السلبي بشكل خاص على المراهقين، ومن خلال المحاضرات والمنشورات المتنوعة في طرحها، والتي عززت الوعي والإدراك لدى مرتادي هذه المنصات لماهية وسائل الإعلام الحديث، السلبيات والإيجابيات، المخاطر والفرص، وكيفية تجنب الوقوع في خضم هذه المخاطر واغتنام الفرص على أكمل وجه بما يعود بالفائدة عليهم وعلى من حولهم.

منصات الإعلام الحديث ولأن الجميع قادر على التحدث من خلالها بالطريقة التي تلائمه، أتاحت أيضا المجال للكثيرين على استعراض تجاربهم الخاصة في طريقهم لتحقيق النجاح الذي يسعون اليه، استعراض إنجازاتهم وطموحاتهم مما ولد ويولد لدى المتلقي الحافز والأمل أنهم هم أيضا يمكنهم الوصول إلى تلك النقطة من النجاح وأن التفوق ليس حكرا على فئة محدودة، خاصة وأن وسائل الإعلام الحديث قد فتحت المجال أمام الجميع دون استثناء وسهلت لهم الوصول لغاياتهم، فكل ما يتطلبه الأمر منهم ضغطة زر مصحوب بشيء من الإرادة



والعزيمة، والرغبة الحقيقية بالنجاح وإحداث التغيير، لذا تساعدنا هذه المنصات على تخطي الشعور بالفشل والإحباط للشعور بالأمل والقناعة التامة بأن النجاح في متناول الجميع، وأني أستطيع طالما أريد، وأني لست مختلفا عن كل هؤلاء الذين أتابعهم وأراهم أمامي يملؤهم الفخر بإنجازاتهم والرغبة بمد يد العون لي إن رغبت بالسير في ذات الطريق، وأن العزيمة مع شيء من الإبداع والابتكار ستكون كفيلة بتغير واقع أحدنا ونقله إلى حيث يريد ويتمنى بفضل منصات ووسائل الإعلام الحديث أصبحنا أكثر وعيا وإدراكا بأن مجتمعاتنا مهما بدت محبطة وقاسية أحيانا، لكن وفي الزوايا المختبئة والبعيدة عن الأضواء لا تزال شعلة من الخير والعطاء متقدة، ففي خضم الصفحات والأخبار التي تتوالى أمامنا ثمة قصص تطالعنا من حين لآخر هي مزيج من التراحم والتكافل، الحب المقرون بالعطاء، مد يد العون دون انتظار مقابل، التنافسية لبذل الخير، ومساعدة المحتاج، كل هذه القصص كانت ولا تزال تحدث حولنا لكننا لم نكن لننتبه لها لولا هذه المنصات، تلك القصص على الرغم من بساطتها إلا أنها تترك في أرواحنا الأثر الجميل وتشعرنا بالأمان لأفراد المجتمع الذي نعيش فيه، وأن مهما ظننا أن الوضع أصبح لا يطاق لكن ثمة عالم جميل بإمكانه أن يحتضن أرواحنا المحبة للخير، ودون أن ندرك نتمنى أن نكون جزء من هذه القصص لا مجرد متابعين لها من خلف الشاشات، يحركنا هذا الإدراك والرغبة لنأخذ دور حقيقي في تكرار هذه القصص والحوادث، ننشر الخير كل في مجاله وبيئته وقدرته.

أتاحت منصات الإعلام الحديث خلق العديد من الصفحات والمجموعات التي يعمل اصحابها ليلا ونهارا على إحداث بصمة إيجابية من خلال نشر المعرفة والتوعية، مناقشة المشاكل المجتمعية وحلها، محاربة الممارسات الخاطئة في المجتمعات وإيجاد حلول لها، مساعدة المحتاجين أينما كانوا ومد يد العون لهم، لتخرج عن كونها مجرد صفحات لمنصات فاعلة تؤدي دورها في المجتمع.

وأخيرا لا يمكن القول إن الواقع الافتراضي بعيدا عن واقعنا، فقد أصبحنا جزءا من العالم الافتراضي ليصبح هو جزءا من واقعنا الذي نعيشه، نتعلم ونعلم، نساعد ونتلقى المساعدة، نؤثر ونتأثر، لذا لم نعد مجرد أسماء أو صفحات في منصات الإعلام الحديث بل نحن جزء لا يتجزأ منه، نساهم بتشييدها وصنعها، وكل ما نشاركه فيها سيعود علينا سلبا أو إيجابا.

عبدالله الظفيري
كاتب وباحث



الإعلام
أقوى أسلحة التأثير على العقول



مع تداخل الجيد مع الرديئ فيما يبث عبر وسائل الإعلام نتيجة التنافس المحموم بين القنوات الإعلامية على استقطاب شريحة أكبر من جمهور المشاهدين، فإنه من المهم الانتباه إلى تأثير المحتوى الإعلامي في تشكيل الوعي والثقافة لدى المتلقين خصوصا في أوساط فئة الشباب والناشئة الأكثر متابعة واهتماما بما يطرح ويتداول في الوسائل الإعلامية المختلفة.

وأضافت الثورة المعلوماتية وتقنيات الاتصال المتطورة تأثيرا بالغا لوسائل الإعلام، بعدما باتت الأخبار والمعلومات والصور والرسائل والفيديوهات المختلفة تصل مباشرة وفي اللحظة نفسها إلى شرائح متنوعة من الجماهير عبر أجهزة الهواتف الحديثة.

ولم يعد أحد ربما باستطاعته أن يفصل حياته العادية عن وسائل الإعلام التي أصبحت تنقل الحدث من دون أي قيود يفرضها المكان والزمن حتى بات الإنسان في تواصل دائم ومستمر مع الأخبار والأحداث، وهذا ما جعل من وسائل الإعلام في العصر الحديث ذات تأثير بالغ ودور كبير في تشكيل الوعي المجتمعي وتعليم القيم والمعتقدات.

وتتداخل علاقة الإعلام في المجتمع بصورة كبيرة مع استمرار تطور التكنلوجيا الحديثة وقدرتها على الوصول إلى الناس على اختلاف اهتماماتهم وخلفياتهم وهو ما يجعلها قادرة على التأثير في شخصياتهم وقيمهم ومفاهيمهم، وخلق ثقافة جديدة لدى المتلقين.

ويعد الإعلام السلاح الأقوى في التأثير على العقول بما لديه من أدوات ووسائل مختلفة حتى أصبحت الكثير من الدول تستخدم هذا السلاح في كسب التأييد لها والدفاع عن مصالحها أو تشويه سمعة خصومها.

كما أن الكثير من أعداء الإسلام استخدموا الإعلام في تشويه صورة الدين الإسلامي الحنيف وإثارة الفتن وتفكيك المجتمعات الإسلامية وإضعاف العقيدة من خلال بث وتوجيه برامج تركز على هذه الأهداف في العديد من الوسائل الإعلامية المختلفة.

ولمواجهة قوة التأثير السلبي لوسائل الإعلام ودورها في تشكيل وعي وقيم المجتمع فإنه من الواجب العمل على صياغة خطاب إعلامي وعداد برامج ذات محتوى ايجابي من شأنها تعزيز القيم الإيجابية ونشر مبادئ الدين الحنيف، وإبراز الصور الإيجابية التي تكرس قيم المجتمع الإسلامي ودور الأسرة والتماسك الاجتماعي ونبذ العنف والكراهية والتأكيد على أن قوة المسلمين تكمن في التزامهم بتعاليم الدين الإسلامي.



خالد عبد النعيم منصور
باحث دراسات إسلامية

الإعلام الإلكتروني صفات ومزايا

يتعاظم دور الإعلام الالكتروني يوما بعد يوم وتعريفه باختصار أنه مهنة إنتاج الأخبار بشكل ينسجم مع الكمبيوتر وشبكة الإنترنت حيث لا يستطيع التلفزيون والصحف والإذاعة مجاراته.

والصحافة الإلكترونية تتيح للمستخدم تحديد اهتماماته والوصول إليها مباشرة، كما يتيح للمستخدمين اقتحام صلب القصة الإخبارية.

والسؤال الذي يتبادر إلى كثير منا: كيف أثرت الصحافة الإلكترونية على أركان العملية الإعلامية؟

لقد أصبح القارئ في صلب القصة ولم يعد متلقيا سلبيا لها - أصبح القارئ منتجا أيضا - خاصة مع تدفق المعلومات أصبح القارئ يختار ما يهمه تحديدا وليس ما يبث له اي أصبح القارئ قادرا على اختيار ما يريده لا ما تحدده غرف الأخبار.

ومن ناحية أخرى أصبح الصحفي تحت أعين القراء من خلال البحث وكتابة التعليقات كلها تظهر الخطأ أو تهاجم الانحياز وبالتالي لم يعد الصحفي يختفي وراء أسوار المؤسسة العالية بعيدا عن النقد بل أصبح النقد يأتيه مع كل كلمة قد يكتبها وقد أصبح مطلوبا منه أن يلم بالتقنيات الحديثة ويستخدمها كما أصبح شاملا أكثر فهو المعني بالتصوير والتحرير ونشر المادة في أغلب الأحيان أيضا ارتفع سقف الحرية وللأسف انخفض سقف المصداقية لأن المعلومات التي نحصل عليها من الانترنت تحتاج لتدقيق أكبر أما جمهور القراء فصار من الشباب أكثر وأما النشر الإلكتروني فصار يعتمد على الكلمة المكثفة والصورة الثابتة أكثر.

سمات قراءة متصفح الإنترنت

١- القراءة من الشاشة أبطأ بنسبة ٢٥ في المئة.

٢- ٧٩ في المئة يمسحون الصفحات ويلتقطون الكلمات المفتاحية والعبارات البارزة، فقط ١٦في المئة يقرؤون النصوص كلمة كلمة.

تاريخ النشر الإلكتروني في سطور

١٩٦٩م البداية الفعلية للانترنت حيث مشروع بين وزارة الدفاع والمتعاقدين معها ومجموعة من الجامعات (٤ جامعات) تقوم بإجراء أبحاث لصالح وزارة الدفاع.

١٩٧٢ عرضت الشبكة على الجمهور في مؤتمر بواشنطن بعنوان العالم يريد أن يتصل وفي المؤتمر عرض أو نموذج لبريد إلكتروني

١٩٧٣م تم ضم النرويج وإنجلترا للشبكة في أول تمدد لها خارج الولايات المتحدة.

١٩٧٧م شركات الكمبيوتر تنشئ مواقع خاصة بها.

١٩٨٣م إطلاق بروتوكول مدني تحت اسم إنترنت أي الشبكة الداخلية.

١٩٨٤م ظهور نظام التشغيل يونيكس.

١٩٨٦م المؤسسة تضع نظام لتسمية أجهزة الكمبيوتر الموصولة بالشبكة (DNS).

١٩٩٠م تطور شبكة NSF التي سميت إنترنت في العمل.

١٩٩٣م ابتدأ الإبحار يأخذ منحى أسهل للعموم، من خلال إصدار أول برنامج مستعرض الشبكة «موزاييك» ثم تبعه آخرون مثل برنامج «نتسكيب» وبرنامج «مايكروسوفت»

١٩٩٥م اتصل بشبكة «إنترنيت» ستة ملايين جهاز خادم و٥٠,٠٠٠ شبكة، وإحدى شركات الكمبيوتر تطلق برنامج البحث في الشبكة العالمية.

١٩٩٠م صحيفة سويدية تنشر نسختها الإلكترونية كاملة على الإنترنت.

١٩٩٤-١٩٩٥م زاد عدد الصحف اليومية الأميركية التي أنشأت مواقع إلكترونية من ٦٠ صحيفة نهاية عام ١٩٩٤م إلى ١١٥ صحيفة عام ١٩٩٥م ثم إلى ٣٦٨ في منتصف عام ١٩٩٦م.

عام ٢٠٠٠م أربعة آلاف صحيفة إلكترونية، ثم توقف العد بسبب كثرتها.



أ. د. محمد حسان الطيان
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

لمحات من بلاغة القرآن

القرآن الكريم مفتاح العربية، وأصل علومها، وفنونها، ففي رحابه نشأت كل علومها، وفي سبيله تطورت هذي العلوم ونمت حتى بلغت أقصى غاياتها.

وعلم البلاغة من أدق علوم العربية وأجملها وأبدعها، إذ به تعرف الفصاحة والبيان، وهو السبيل الأمثل للوقوف على إعجاز القرآن. ومن هنا كان له أعظم الأثر في معرفة أسرار الجمال في القرآن لفظا ومعنى.

وقد نزل القرآن الكريم على أمة بلغت الغاية في إحسان البيان.. وصناعة الكلمة.. وتجويد الشعر.. وتنميق الخطب.. وصياغة الأمثال. وبلغت أبعد من هذه الغاية في محبتها وعشقها لكل هذا، حتى لقد قيل فيها: (إنها أمة سجدت للبيان قبل أن تسجد للأوثان)، وحقا ما قيل، لأننا لم نسمع أبدا بواحد من العرب استهزأ يوما بالبيان، أو بالشعر، أو بالكلمة الساحرة، أو الكلمة البليغة، على حين سمعنا بمن استهزأ بالأوثان، ألم يأتكم نبأ أولئكم الذين صنعوا إلها من تمر، ثم عند ما جاعوا أكلوه، فقال فيهم الشاعر:

أكلت حنيفة ربها
زمن التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم
سوء العواقب والتباعة
أحنيف هلا إذ جهلت
صنعت ما صنعت خزاعة
نصبوه من حجر أصم
وكلفوا العرب اتباعه

أكلوا معبودهم! لما جاعوا.. أو ذاك الذي عكف على صنمه عابدا متوسلا، ثم انصرف إلى شأن من شؤونه، فإذا بثعلب جاء وبال على صنمه، فلما عاد ورأى ذلك، آب إلى رشده فكسره، وقال: أنت لم تحفظ نفسك فكيف تحفظني؟ ثم أنشد:

أرب يبول الثعلبان برأسه
لقد ذل من بالت عليه الثعالب؟

إذا استهزأ بعضهم بهذه الأوثان، لما أيقنوا أنها من صنعهم، وأنها لا تغني عنهم نقيرا ولا قطميرا.

أما البيان فذاك شيء آخر.. إذ إنهم احتفوا بالبيان أيما احتفاء، أقاموا له المهرجانات، وعقدوا له الأسواق، وكرموا شعراءه، ورفعوهم إلى أعلى منزلة، وأحلوهم المكان الأسمى.

كان سوق عكاظ يضم أكابر الشعراء، يتبارون كما يتبارى الناس اليوم في أيامنا بالكرة وأشباه الكرة، يتبارون فيمن يقول الشعر الأعلى، ومن يفوز بالسبق في ميدان كل ما فيه الكلمة الطيبة، الكلمة الساحرة، الكلمة البليغة، ولا شك أننا سمعنا جميعا بتلك المعلقات التي كانت تصطفى من أجمل ما قالت شعراء العرب، وقد أطلقت عليها أسماء كثيرات، فهي المعلقات، وهي المسمطات، وهي المذهبات، وهي المطولات.. وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى كما هو معلوم، وقد كانت هذه المعلقات - كما جاء في بعض الروايات - تكتب بماء الذهب، وتعلق في أشرف مكان في أستار الكعبة، من مثل قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

أو قول زهير:



أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلم

أو قول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم
يا دار عبلة بالجواء تكلمي
وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

أو قول عمرو بن كلثوم:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا
ولا تبقي خمور الأندرينا

إلى آخر ما هنالك من شعر كان قد حل في أنفسهم أعظم محل، فرفعوه إلى أعلى مقام. وقدروه أجل تقدير لما كان له في نفوسهم من أثر.

إن أثر البيان على هذه الأمة أثر عظيم، ولا تظنوا أنهم كانوا في ذلك مختلفين، بل كانوا مجمعين على حب البيان، وعلى رفعة البيان، وعلى عشق البيان، أي الكلمة الطيبة البليغة الساحرة، حتى إن رسولنا ﷺ سمى البيان سحرا، ألم يأتكم نبأ ذلك الوفد الذي جاء إلى رسولنا الكريم ﷺ وهم وفد بني تميم، فخطب خطيبهم، وأنشد شاعرهم، إلى أن سأل رسولنا الكريم ﷺ واحدا منهم - وهو عمرو بن الأهتم - عن الزبرقان بن بدر، وكان الزبرقان واحدا من سادات تميم، فقال عمرو: إنه مانع لحوزته، مطاع في أدنيه، فنعته أو وصفه بوصفين جليلين، يقول: إنه مانع لحوزته، أي إنه يجير من استجار به، مطاع في أدنيه، أي هو سيد في قومه، يطيعه قومه، فقال الزبرقان: يا رسول الله، إنه حسدني شرفي، فقصر بي، يعني ما وصفني إلا بهذين الوصفين، حسدني لأنني في منزلة عظيمة في قومي، فقال عمرو: (أما لئن قال ما قال، فوالله ما علمته إلا ضيق العطن، لئيم الخال، زمر المروءة، حديث الغنى، ذمه بأربعة أوصاف، بعد أن مدحه بوصفين، (ضيق العطن) يعني ما عنده خلق، ما عنده صبر، (لئيم الخال) بمعنى أن أباه تزوج من قوم هم دون منزلة قومه، (زمر المروءة) لا مروءة لديه، والمروءة عند العرب هي مجمع المكارم التي كانت العرب تتغنى بها، فلما رأى الإنكار في عيني رسولنا - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: يا رسول الله، رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسخطت فقلت أسوأ ما علمت، وما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الآخرة.

فقال رسولنا ﷺ: «إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة»، وحقا فهذا شيء يشبه السحر، أن تمدح المرء ثم تذمه، ثم تتعلل لكل ذلك بأجمل تعليل، لأنك عندما ترضى لا ترى في صاحبك إلا ما يسر، لكن إذا بدت لك منه مساءة انقلب الأمر وصرت إلى ما قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

إذا بدت لك مساءة من صديقك، نسيت كل محاسنه، وجعلت تذم فيه، كما فعل عمرو بن الأهتم بالزبرقان بن بدر، فكانت الكلمة الخالدة التي قالها رسولنا ﷺ ، بأبي هو وأمي: «إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة». وحقا إن من البيان لسحرا، تسمع البيان، فتشعر أن السحر يدب في جسدك، وتسمع الكلمة البليغة، أو تسمع الشعر الحكيم، أو تسمع الخطب المجللة والمجلجلة، فتنقاد لها، ولا تستطيع أن تتحرك وهي تتلى على مسامعك، أو تخطب على قلبك، لأن الكلام يخرج من القلب ليدخل إلى القلب، عندما يكون على هذه الشاكلة.

وعودا على كلمة رسولنا ﷺ «إن من البيان لسحرا» فقد سارت هذه الكلمة مسير الأمثال، وانتشرت انتشار النار في الهشيم، فرددها الخطباء، وتمثل بها الكتاب والفصحاء، وتغنى بها الشعراء، فمن ذلك قول ابن الرومي:

في زخرف القول تزيين لباطله
والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول: هذا مجاج النحل تمدحه
وإن ذممت فقل: قيء الزنابير

(عن العسل، تقول عنه مجاج النحل إذا أردت أن تمدحه، فإذا ذممته، فهو قيء الزنابير أي إذا لم تحبه)

مدحا وذما وما جاوزت وصفهما
حسن البيان يري الظلماء كالنور

إذا فسحر البيان قد يغير الحقائق أحيانا، وهذا ما نبه عليه رسولنا الكريم ﷺ عندما قال:

«إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا، فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار»[1] يعني ما ينبغي أن يحول الحق إلى باطل، أو الباطل إلى حق بسطوة البيان، لأن للبيان سطوة، فاتقوا الله في سطوة البيان، ولا تستعملوا هذا البيان إلا في حق تريدون أن تصلوا إليه، أو لمهاجمة باطل لا شك في باطله تريدون دحضه.

على هذا ربانا رسولنا ﷺ وعلى هذا ينبغي أن نكون، فالبيان نعمة من نعم الباري جل وعلا وهو أمانة في أعناقنا ما ينبغي أن توضع في غير موضعها.

هوامش

١- رواه البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها في باب موعظة الإمام للخصوم، رقم ٧١٦٨.



د. يحيى عثمان
خبير في الإستشارات الأسرية



كيف أتجاوز ذكرياتي الأليمة؟

يمر الإنسان عبر مسيرة حياته بالعديد من الأحداث المؤلمة، وهذا من سنن الله عزوجل في خلقه عامة، أما المؤمن فيبتلى مصداقا لقول الله عزوجل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٥)، وقال ﷺ «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل». وقال ﷺ: «يبتلى الرجل على قدر دينه».

وأيا كان سبب الابتلاء سواء لإعلاء المكانة أو تكفيرا للذنوب، فإنه يترك أثرا في النفس، ورغم قيمة ما في الاحتساب والصبر من تأثير طيب في إزالة الآثار السلبية على نفسية المبتلى، إلا أننا كبشر متفاوتون في ذلك.

فنجد البعض رغم مرور السنين على ابتلائه وقد عفا الله عنه، إلا أنه مازال يستحضر فترة الابتلاء ويستعذب الألم، بدلا من أن يخر لله ساجدا على فضله بالعفو عنه وينعم بهذا العفو.

قد يبدو هذا غير منطقي، وسأتناول هنا أثر الابتلاء من منظور الأثر النفسي على المدى الزمني. ومن واقع الحالات التي تعرض علينا يمكن أن يكون للابتلاء أثرا إيجابيا نفسيا أو سلبيا، ويرجع ذلك إلى العديد من العوامل سنحاول تناول بعضها باختصار، من خلال تحليلنا للمشكلة التي يعرضها أحد الأزواج طلبا للاستشارة وقد أعيته الحيل في التعامل مع زوجته على حد قوله، قبل تناول المشكلة أرى أنه يجب إيضاح بعض المفاهيم الأساسية:

إن توفيق الله للعبد بأن يستشعر قبسا من نعمة الله عليه هو أفضل من النعمة ذاتها. لأن استشعار العبد بفضل النعمة يبعثه على حمد الله ويشعره بفقره إلى المولى عزوجل، ويقول الله على لسان موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص:٢٤). لقد استشعر موسى عظمة نعم المولى عزوجل عليه، فاستقل شكره لله مهما بذل من حمد وشكر لله نظير هذه النعم وهذا من تمام العبودية لله.

إن من تلبيس إبليس على المؤمنين الصالحين هو صرفهم عن استشعارهم لنعم الله (وهي لا تحصى ولا تعد) وتوجيه تركيزهم إلى ما نقص في أعينهم، فيصرفهم عن شكر الله واستشعارهم لفضله

جل وعلا. وقد يكون ما هم فيه من أنعام الله عليهم فوق مستوى أحلامهم، ولم يكونوا يتخيلوا أن يمن الله عليهم بهذا الفضل.

وصدق الله حينما وصف الإنسان بأنه «كنود»، أي أنه ينكر نعم الله فلا يشكر. لذا وجب على المؤمن أن يجاهد شيطانه، فيخر لله ساجدا حامدا على كل حالة هو بها.

وقد تزين له نفسه أنه يشكر ويغفل أن الشكر يتطلب حسن التعامل مع النعم، وكأنه فقط يبحث لماذا كانت المصيبة، فهناك فرق بين أن أدرس أسباب المصيبة وأتعلم منها، وأن أجتر آلامها وأستعذب مرارتها فـأزدري نعمة ربـي التي أنعم الله علي بانقشاع المصيبة.

فلا معنى لشكر اللسان في حين أن الشيطان يجرني لآلام عشتها ومشاعر سلبية عانيت منها. إن الخوف والتوجس والريبة من تكرارها مأساة عشتها يفقدني التمتع بنعم الله ومن ثم لا أحمده حق حمده.

الثقة في الله أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا، تكون باعثا على العمل والأخذ بأسباب المحافظة على نعم الله وطلب المزيد.

بداية يجب توضيح أن التأثير النفسي للابتلاء يتباين من إنسان لآخر، سواء من حيث:

طبيعة التأثير

قد يكون لابتلاء ما أثر إيجابي على إنسان وأثر سلبي على الآخر.

حجم التأثير

قد يتأثر إنسان ما بشدة من ابتلاء، في حين قد لا يكون لنفس الابتلاء أثر يذكر على إنسان آخر.

فترة التأثير

قد يستمر تأثر المبتلى فترة طويلة نتيجة ما أصابه من ابتلاء حتى بعد أن يعفو الله ويزول الابتلاء، وفي المقابل قد لا تكون فترة تأثر آخر غير دقائق حتى مع استمرار الابتلاء.

ويرجع ذلك لعدة عوامل:

الفقه والتدبر

رغم قيمة وأهمية أداء أركان الإسلام والسنن الراتبة إلا أن لفقه التدبر في آيات الله وسننه هي التي تساعد المؤمن على أن يكون للابتلاء أثر إيجابي، فيحول المحنة إلى منحة ويجد في الابتلاء نعما عظيمة. فيتدبر حديث الرسول ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»، فيزول ما به من كدر ويركز على الدروس المستفادة، حتى وإن لم يرفع الابتلاء، فيسأل الله العفو والعافية ويصبر صبرا جميلا، فإن عفا الله عنه، يخر لله ساجدا كلما تذكر ابتلاءه شاكرا لله.

الجبلة

بعض الأفراد مرهفو الحس، سريعو التأثر، فيكون للابتلاء أثر عميق على أنفسهم.

التجارب الحياتية

عادة ما تساعد المحن التي يمر بها الإنسان على تقوية قدراته النفسية على التعامل الإيجابي مع ابتلاءات الحياة، وبعضهم قد تكسرهم وتترك فيهم أثرا عميقا مهما طال الزمن.

موضوع الابتلاء

قد يبتلى المرء في ماله أو نفسه أو زوجه، وعلى قدر الارتباط النفسي بموضوع الابتلاء يكون الألم، فمن كان أهم إنجازاته أولاده، فالألم النفسي لابتلائه فيهم يكون بقدر ارتباطه بهم.

ولصاحب الرسالة نقول: جزاك الله خيرا واصبر واحتسب، وتذكر أنك بفضل الله مأجور على حسن رعايتك لزوجك، ولا تجعل للشيطان عليك سبيلا، واحذر من أي هفوة قد تستدعي ذكرياتها السيئة معك.

وللزوجة التي من الله عليها ورفع ابتلاءها في زوجها نقول: احمدي الله؛ عليك بحمد الله وجزاك الله خيرا أن صبرت على زوجك سنوات، وقد من الله عليك وعافاك، وبدلا من أن تحمدي الله بحسن معاملة زوجك وتكافئينه على عودته سالما لك، جعلت للشيطان عليك سبيلا. إن الشيطان قد حزن لعودة الوئام بينكما، فدأب يذكرك بمعاناتك بعد أن عافاك الله منها. لذا عليك «بدوام ذكر الله».

إذا صور لك الشيطان ذكريات أليمة، أو شكا في أن يعود زوجك لعلاقاته النسائية، فاستعيذي بالله من الشيطان واتفلي عن يسارك، وهذا من هدي الرسول ﷺ.

إن الاسترسال في متابعة نزغ الشيطان يحوله من مجرد خاطرة



يسهل لفظها إلى فكرة تستدعي الأفكار السيئة ذات العلاقة، فتتحول بالذكريات الأليمة وما يتم دعمها به من أوهام وخيالات إلى هم يحزنك ليلا ونهارا، فلا ترى إحسانا منه إحسانا.

اعفي عن زوجك

إن استدعاء الشيطان لذكريات زوجك السلبية، يعني أنه استغل عدم عفوك عنه، فيقلل في عينك مزايا عودته الحرة بإرادته إليك وتحقيقه لك أكثر مما كنت تتمنين، كما يضخم سلبياته. إن عدم عفوك يسبب لك ألما، والألم يجعل علاقتك بزوجك حساسة، وردود فعلك سلبية، فلا تنعمي بفضل الله عليك.

يقول الله عزوجل ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (الشورى:٤٠)، ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٤)، ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة عندما دخل مكة قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، وهذا الصديق رضي الله عنه، كان ينفق على مسطح، فمنع عنه النفقة لخوضه في حديث الإفك، وعندما نزلت الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢)، أسرع إلى مسطح واستسمحه وناوله النفقة.

تذكري دائما أن العلم قد أثبت أن الآلام النفسية للحزن تسبب آلاما وأمراضا عضوية. إن من رحمة الله بعباده المؤمنين أن حثهم على العفو فينعموا بصحة نفسية وبدنية سوية.

التوكل على الله وعدم التوجس

يقول عزوجل: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ (التوبة:٥١).

هناك فرق كبير بين الأخذ بأسباب جذب زوجي لي، وأن أتوجس من تصرفاته فأراقبه وأتابعه وأتشكك في تصرفاته.. اعلمي أن الأقدار بيد الرحمن.

اجذبي زوجك ولا تنفريه

يحسب لزوجك إقلاعه عما كان يكدر صفوك، يقول المولى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ (الرحمن:٦٠)، فعليك مقابلة إحسان زوجك ليس فقط بالعفو ولكن بالفضل ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٤).

احذري، ثم احذري ثم احذري، أن تتعدي حدود الطاقة النفسية لزوجك وتكوني عونا للشيطان عليه فتتندمي، واحمدي الله بحسن تناول نعمائه.

تجاهلي سقطاته

رغم عزم زوجك على الإحسان إليك، إلا أنه بشر فقد يزل، وهذا ليس نكوصا لوعده، ولكنه الضعف البشري، فتجاهلي لأن الرقابة والمحاصرة والمحاسبة على كل هفوة تولد الرغبة في كسرها لمجرد فقط إثبات الذات.

بفضل الله

نسأل الله أن يوفقنا لحمده وشكره وأن يمن علينا بقبول حمدنا وشكرنا لذاته ويدخلنا الجنة من باب الحمد.



عمرو طه
قاص مصري

الأعوام تغير الكثير، إنها تبدل تضاريس الجبال، فكيف لا تبدل شخصيتك.
أحمد خالد توفيق

لم يكن البقاء على قيد الحياة هدفا للمرء بل البقاء إنسانا.
جورج أورويل

عندما لا تجد أحدا يسمعك، اكتب.. فالورقة كفيلة بأن تنصت لقلمك.
شكسبير

لو تأملت أحوال الناس، لوجدت أكثرهم عيوبا أشدهم تعييبا.
الجاحظ

إن من الصعب على شعب ثرثار أن يسمع الصوت الصامت لِخُطَى الوقت الهارب.
مالك بن نبي

لست أعلم الكثير، لكن هناك بعض المزايا في عدم المعرفة، حيث يكون العقل خاليا من الأفكار المسبقة، كالأرض البكر، كل الأشياء التي لا أعلمها تُشكل الجزء الأكبر مني، وتلك هبتي، وبهذا فأنا أفهم كل شيء، الأشياء التي لا أعلمها تُشكل حقيقتي.
كلاريس ليسبكتور

إنما هي ثلاثة: المبدأ الشريف للنفس، والفكر السامي للعقل، والحب الطاهر للقلب؛ هذه هي معاني الكمال الإنساني.
مصطفى صادق الرافعي



د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه والأصول

مقاصد الأوقاف التنموية

يعد الوقف من مفاخر الحضارة الإسلامية، منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، وسيظل الوقف نبراسا لهذه الأمة؛ لبناء منظومته على المعارف المكتسبة من خلال الوحي الإلهي من القرآن والسنة، ومن خلال فهم الأمة سلفا وخلفا، ومن خلال منظومة الأمة وإنجازاتها الحضارية عبر عصورها المزدهرة وغير المزدهرة، ولقد كانت ثقافة الوقف في الأمة من الاتساع والانتشار ما جعلها ثقافة لدى العامة والخاصة، والحاكم والمحكوم، حتى إنه لا يعرف صحابي إلا وقد وقف، كما أن مبادرة الحكام إلى الوقف جعلت من دونهم من المحكومين يسارعون إلى الوقف مثلهم، فكان شعار الأمة في الوقف (وسارعوا).

معايير تعريف الوقف

تعددت تعاريف الفقهاء في الوقف، ولكنها تنتهي إلى عدة عناصر، هي:

١- حبس عين مملوكة، يعني خروجها عن الميراث أو الهبة أو أي طريق للتملك.

٢- التصدق بمنافع العين الموقوفة.

٣- انتفاع الموقوف عليهم بمنافع العين المحبوسة.

٤- حبس العين على حكم الله تعالى، فالوقف من عقود التبرعات التي يراد بها وجه الله تعالى[1].

تعريف التنمية

التنمية في اللغة تعني الزيادة، وقد عرفتها الموسوعة الفقهية الكويتية بأنها: «فعل ما به يزيد الشيء ويكثر»[٢]. فهي بمعنى النماء.

وحين تطلق التنمية، وتربط بالوقف أو بغيره من مفردات الاقتصاد، فالمقصود بها (التنمية المستديمة)، وهو مصطلح معاصر في لفظه، قديم في دلالته، ويقصد بها تطوير الموارد المادية وحفظها وزيادتها بحيث تلبي حاجات الأفراد في المجتمعات، مع الحفاظ على حق الأجيال في تلك الموارد مستقبلا.

ولا يقتصر مفهوم التنمية المستديمة على الموارد المادية، بل يتعداه إلى الموارد البشرية أيضا، وما يلحق ذلك من عمليات إنمائية للاقتصاد والتعليم والصحة والبيئة وغيرها.

فللتنمية أنواع متعددة، منها: تنمية رأس المال المادي، وتنمية رأس المال البشري، وتنمية الإطار المؤسسي، وتنمية المنظومة التشريعية، وتنمية المشاريع والتوزيع، والوقف يحقق كل تلك الأنواع من التنمية من خلال الأوقاف والمشاريع الوقفية.

فضل الأوقاف:

الوقف من الأعمال المشروعة التي حثت عليها الشريعة من كتاب وسنة، فهو يدخل في عموم العمل الصالح، كما في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران:٩٢) ودليله من السنة: ما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: «أصاب عمر أرضا بخيبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها». قال: فتصدق بها عمر أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف، ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول، وفي لفظ: غير متأثل مالا. (أخرجه مسلم (١٢٥٥/٣).

وهو من الصدقات الجارية، كما ورد في حديث النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». (أخرجه مسلم (١٢٥٥/٣).

ومما يدل على فضل الوقف ما رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره، وولدا صالحا تركه، ومصحفا ورثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه من بعد موته»[٣].

المقاصد

المقاصد هي نظرية الإسلام الكبرى، والتي تبين أحد أوجهه الحضارية، وهي إحدى الوسائل التي تبين محاسن الإسلام، لهذا كانت المقاصد داخلة في عموم الشريعة كلياتها وجزئياتها، كما قال الشاطبي: «والمعتمد إنما هو أنا استقرينا من الشريعة أنها وضعت لمصالح العباد استقراء لا ينازع فيه»[٤]. وإن كانت المقاصد داخلة في عموم الشريعة، فهي -بلا شك- داخلة في الأوقاف.

التنمية في مفهوم الوقف

هناك ارتباط وثيق بين الوقف والتنمية، وليس أدل على ذلك مما قرره علال الفاسي، من أن «المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع»[٥]. فهذه العبارة كافية لتدل على ارتباط الوقف بالتنمية، وأن الوقف في جوهره ومقصده يقصد به التنمية بجميع أشكالها.

كما أن من دلائل ارتباط الوقف بالتنمية، أن تعريف الوقف نفسه يحمل معنى التنمية؛ ذلك أن مقصود الوقف من حبس العين واستمرار الانتفاع بها، ولا يتأتى هذا الاستمرار إلا من خلال تنمية العين الموقوفة، بل نجد كثيرا من الأحكام الفقهية التي تتعلق بالوقف يقصد بها الدوام والاستمرار.

ومن العلاقة بين الوقف والتنمية هو أن مجالات الوقف غير محصورة في أنواع بعينها، فهو يدخل في مجال العبادة كالمساجد والمصاحف والعلم، كما يدخل في مجال البيئة، وفي مجال رعاية الإنسان والحيوان والطيور، وفي مجال الصحة، وفي التعليم، بل وجدنا في الوقف أنواعا تعد مفخرة للمسلمين، منها،

مثل: وقف إعارة الحلي، ووقف الأواني المنكسرة، ووقف البغلة لتوصيل الراغبين، ووقف الحليب والماء بالسكر للأطفال الرضع، رعاية للأمهات، ووقف الزوجات الغاضبات، حتى يسترحن ثم يعدن لبيوتهن، ووقف تزويج البنات، رعاية لحالهن، ووقف الطرق للمارة، ووقف السمك لمن أراده من الفقراء ممن لا يملك ثمنه، ووقف الحيوانات، ووقف العاجزين عن الحج، ووقف توزيع الحلوى في رمضان، ووقف العلاج بالإيحاء، ووقف قفة الخبز لمن لا يستطيع شراءه، أو أراد أخذه ممن يحتاجه، ووقف قصر الفقراء حتى يتنزهوا مثل الأغنياء، وغير ذلك من بدائع الوقف وروائعه في الإسلام.

المقاصد الكبرى للأوقاف

كما هو معلوم عند العلماء، فإن المقاصد تنقسم إلى مقاصد كلية، وهي المرعية في كل أبواب الشريعة، كالمقاصد الخمسة الكبرى، ومقصد السماحة، والتيسير، والعدل، وهناك المقاصد الخاصة، وهي المختصة بكل باب من أبواب الشريعة على حدة، مثل المصلحة في باب المعاملات، والعبودية في باب العبادات، وهناك المقاصد الجزئية التي تتعلق بمقصد كل حكم فرعي من الأحكام.

ومن أهم مقاصد الوقف التي تتعلق بالتنمية، ما يلي:

أولا- مقصد الاستدامة

من أهم مقاصد الوقف تحقق الاستدامة، وعدم الانقطاع، ولهذا كانت كثير من الأحكام الفقهية تسعى إلى تحقيق دوام الوقف، وعدم انقطاعه.

ويدل على مقصد الاستدامة ما يلي:

أولا- ذهب جمهور الفقهاء إلى تأبيد الوقف، وأنه لا يصح أن يكون مؤقتا، وهذا مذهب جمهور الفقهاء، وخالفهم في ذلك المالكية، وهو رأي عند الحنابلة، فقالوا بجواز تأقيت الوقف.

ففي فقه الحنفية: «التأبيد، وهو شرط على قول الكل»[٦]. وفي فقه الشافعية: «لما تمم الكلام على أركانه الأربعة شرع في ذكر شروطه، وهي: التأبيد والتنجيز وبيان المصرف والإلزام»[٧]. وعند الحنابلة: «عقد يقتضي التأبيد»[٨].

ثانيا- نص الفقهاء على بعض شروط العين الموقوفة، وهو أن تكون العين باقية، وأن يصح الانتفاع بها، من العقار والمنقول. وهذا يدل على مقصد الاستدامة. جاء في المغني: (وما لا ينتفع به إلا بالإتلاف، مثل الذهب والورق والمأكول والمشروب، فوقفه غير جائز) وجملته أن ما لا يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، كالدنانير والدراهم، والمطعوم والمشروب، والشمع، وأشباهه، لا يصح وقفه، في قول عامة الفقهاء وأهل العلم، إلا شيئا يحكى عن مالك، والأوزاعي، في وقف الطعام، أنه يجوز. ولم يحكه أصحاب مالك»[٩].

ثانيا- مقصد التمكين

ويحقق الوقف مقصد التمكين للفئات المهمشة في المجتمع من الفقراء والمساكين والعاجزين عن العمل والنساء والأطفال وغيرهم، وذلك من خلال رفع المستوى الاقتصادي من درجة أدنى إلى درجة أعلى، وذلك عبر تملك الموارد الاقتصادية، وهو عين الوقف، من خلال الأحكام الفقهية التي تتعلق بالموقوف عليه، فالوقف ينقل العين من مالكها إلى الموقوف عليه؛ ليتمكن من الانتفاع بها حال حياته، فينقله من حالة الفقر والعوز إلى حاجة الاكتفاء والاستغناء، بل ربما من حالة الكفاية إلى حد الغنى، وبدلا من الصدقة والزكاة التي تنفق على الاحتياجات، يكون للموقوف عليه من خلال موارد الوقف ريع ثابت، يحقق كفايته وزيادته.

والتمكين في الوقف ليس محصورا على الفقراء والمساكين والمحتاجين والمؤسسات الخيرية، وهو ما يعرف بـ(الوقف الخيري)، بل يتعداه إلى من يراه الواقف مستحقا من وجهة نظره للوقف، كالأولاد والذرية وغيرهم من الأقارب، وهو ما يعرف بـ (الوقف الذري) أي الوقف على الذرية، أو غير الأقارب من الأصدقاء ونحوهم.

ومما يحقق مقصد التمكين، ما قرره الفقهاء من وجوب توافر شرط في الموقوف عليه وهو أن يكون أهلا للتملك. قال ابن قدامة: « ولا يصح الوقف على من لا يملك»[١٠].

ومما يحقق مقصد التمكين، ما اشترطه الفقهاء في الموقوف ألا يكون مشغولا، «فلا يصح وقف مرهون ومؤجر»[١١].

ثالثا- مقصد تحقيق الكفاية وسد الحاجات

يعد تحقيق الكفاية وسد الحاجات من أهم مقاصد الوقف، خاصة تلك الأوقاف التي تنفق على تعليم المهن والحرف، أو تلك التي تمول المشاريع الصغيرة والمتوسطة، وتحويل الأسر المتعففة من أسر فقيرة إلى أسر عاملة منتجة، وكذلك الأوقاف على بناء البيوت، والإنفاق على طلبة العلم، وإنشاء المدارس والجامعات والمستشفيات، والوقف على المطاعم والوقف على الحمامات، والوقف على توزيع اللحوم على الفقراء، والوقف على المياه وتوصيلها للناس في بيوتهم، بل الوقف على الماء البارد في الصيف.

وهو يمثل المقاصد الضرورية من الطعام والشراب والكساء وغيرها، وكذلك يمثل المقاصد الحاجية، كالسكنى ووسائل النقل، وتوفير المرافق العامة للناس وغيرها.

ولعل مقصد تحقيق الحاجات هو من أبرز مقاصد الوقف معرفة وتفعيلا.

رابعا- مقصد العمران

والعمران أحد أهم مقاصد الأوقاف في مجال التنمية، ونقصد بالعمران هو بناء المجتمع المسلم على أسس سليمة من جهة الأبنية والمنشئات، وكذلك من جهة العلاقات الاجتماعية وبناء الإنسان، وتحويل الأيدي العاطلة إلى أيدي عاملة، ودفع عجلة الإنتاج، وتحقيق الرفاهية في المجتمع، وحفظ الموارد الطبيعية وترشيد استعمالها، وحفظ حق الأجيال القادمة منها.

وعلى رأس ذلك الوقف على التعليم والصحة والبيئة، وقد تنوعت الأوقاف الإسلامية في العلم، فشملت رعاية المعلمين والعلماء، وشملت بناء المدارس والجامعات والمعاهد، وشملت الكتب والمكتبات، وشملت أدوات العلم كالأقلام والدفاتر، كما شملت الوقف على البحث العلمي، والابتكارات، كما شملت التعليم الفني والصناعي؛ لما له من دور كبير في تنمية المجتمعات.

ومما يتعلق بتحقيق مقصد العمران، الوقف على المؤسسات الصناعية والغذائية والتجارية، فوجدنا الوقف على الحرف والمهن، والوقف على الورش بتعدد أنواعها، والوقف على المصانع، والوقف على صناعة السلاح وغيره من مجالات العمران، بل وصل الوقف إلى أنه كان يمثل نسبة كبيرة من ميزانية الدولة، كما يمكن إدخال الوقف في البنية التحتية وتقديم الخدمات الأساسية للمواطنين.

ورغم النجاحات التي حققت في كثير من المؤسسات الوقفية، ودورها في تحقيق التنمية في المجتمعات، إلا أن الحاجة إلى تطوير تلك المؤسسات؛ من خلال المشاريع الوقفية التي تصب في تحقيق التنمية، وعدم الاقتصار على الوقف على المشاريع الإغاثية أو الدينية البحتة، وإيجاد صيغ استثمارية يمكن أن تسهم في تحقيق التنمية، وذلك من خلال إصلاح منظومة التشريع المتعلق بالوقف، وتقنين كل ما يتعلق بالوقف، ومن جانب آخر، فإن هناك من المؤسسات الوقفية التي ما زالت تحتاج إلى إصلاح هياكلها وخططها التنموية؛ من خلال الاستفادة من تلك التجارب الناجحة في المجتمعات العربية والإسلامية.

وإن الانطلاق من خلال (إستراتيجية التنمية) في إدارة الأوقاف، لهو أحد أهم الأسس التي يمكن أن تساهم في تطوير الأوقاف من الفردية إلى المؤسسية، ومن المؤسسية إلى المعيارية، ومن العشوائية إلى الحوكمة والشفافية، ومن الإغاثية إلى ابتكار مشاريع تنموية.

الهوامش

١ - راجع: رد المحتار على الدر المختار ٣/ ٣٥٧-٣٥٨ ط إحياء التراث، وشرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل ٣٤/٤ ط دار صادر، ومغني المحتاج شرح منهاج الطالبين ٣٧٦/٢ ط دار الفكر، وشرح منتهى الإرادات ٤٨٩/٢ ط دار الفكر.

٢ - الموسوعة الفقهية الكويتية، (٦٣/٧).

٣- أخرجه ابن ماجه (٢٤٢). وابن خزيمة (٢٤٩٠)، قال عنه ابن الملقن في البدر المنير (١٠٢/٧): ولابن ماجه من حديث أبي هريرة أيضا - بإسناد حسن أكثر رجاله رجال الصحيح.

٤- الموافقات (١٢/٢).

٥ - مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي (ص:٤٢-٤٣).

٦ - الفتاوى الهندية ٣٥٦/٢ ط دار الفكر.

٧ - تحفة المحتاج بشرح المنهاج ٢٥٢/٦- ٢٥٣ ط إحياء التراث العربي

٨ - شرح منتهى الإرادات ٤٠٤/٢ ط دار الفكر.

٩ - المغني لابن قدامة (٣٤/٦).

١٠ - المغني لابن قدامة ٣٨/٦ ط مكتبة القاهرة.

١١ - حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٧٧/٤ ط دار الفكر.



أميرة الشناوي كيوان
كاتبة وباحثة تربوية

المعلوماتية في خدمة البحث العلمي في مجال الدراسات الإسلامية

لقد مرت الحضارة الإنسانية حتى اليوم بعدة مراحل وأطوار، دخل خلالها الإنسان، بفعل الاحتكاك بالمجال الطبيعي ولحاجاته المتتالية، إلى مجال الابتكار والإبداع، بدءا من اللغة والكتابة، وانتهاء بتقانة المعلومات والاتصال، وفي مساره الإبداعي هذا، كان يسعى دائما إلى امتلاك كل ما من شأنه المساهمة في تقريب المسافة الموجودة بينه وبين سنن الطبيعة والكون، ومن ثم تسخير ما فيها من معطيات لتطوير حياته المادية والروحية.

غير أنه، وبالرغم من الكم الهائل من المنتجات التي أبدعها، والتي تعكس في مجموعها التطور الهائل الذي عرفه العقل البشري، لم تشهد الساحة الحضارية للمجتمع الإنساني قفزة نوعية في مجال الإبداع التقني بالأساس، مثلما شاهدته نهاية هذا القرن، في إطار ما يسمى «بتقنيات المعلومات»، حيث غزت وسائل وأجهزة هذه التقنية مختلف المجالات والأنشطة والقطاعات، في مختلف البلدان، وبالأخص المتقدمة منها، ولذلك أصبح يطلق على المجتمعات المبدعة والممتلكة والمستهلكة لهذه الثورة الجديدة، «مجتمعات المعلوميات»، كبديل للمجتمعات الصناعية التي عرفها تاريخ البلدان المتقدمة خلال القرن الماضي، وقد ساهم في تطور هذه التقانة وانتشارها، ومن ثم تطور أشكال «مجتمعات المعلوميات» الإبداع المتواصل في حقل إنتاج أدوات المعلوميات، خاصة في مجال البرمجة.

وبناء على مجموع هذه المعطيات الموجزة، يمكن القول إن تحديد

الفارق بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة، لن يخضع في القرن القادم، إلى المؤشرات الحضارية المعروفة منذ سنين، بل سيخضع للمؤشرات التي تدل على امتلاك القدرات التكنولوجية والمعلوماتية، الأمر الذي يجعلنا نؤكد في الوقت نفسه على أنه إذا كانت العقود الأخيرة من هذا القرن قد عرفت ما يسمى في إستراتيجيات الدفاع القومي «بحرب النجوم»، فإن عقود القرن المقبل ستكون بامتياز، «لحرب المعلوميات» والتي ستولد بالضرورة «إنسان المعلوميات» الذي سيكون بمقدوره تحويل العالم، لا إلى قرية صغيرة، بل وإلى صورة يتحكم في جميع أبعادها وألوانها ومعطياتها، من داخل مكتبه، وفي أي وقت أراد.

إن العالم يتغير بوتيرة سريعة نحو آفاق المجهول في ظل التقدم العلمي والتقاني والمعلوماتي، تتضاءل خلاله تكاليف اللحاق بركب الحضارة الإنسانية، فشكل العالم سيتغير لا محالة، والعلاقات بين الدول ستتبدل، وستتغير سبل المعرفة، في خضم ذلك، تبعا لمجريات التقدم العام في مجال المعلوميات، كما ستتغير عدة معان، من أهمها معنى المعرفة ومعنى الأمية، ذلك أن الأمي في عصر المعلومات لن يظل ذلك الإنسان الذي يجهل أبجديات القراءة والكتابة فحسب، ولكن ستطلق الأمية على ذلك الإنسان الذي لا يعرف كيف يستخدم المجال المعلوماتي في حياته بصفة عامة.

ومن المجالات التي لحقتها بقوة ريح هذا التغيير، مجال البحث العلمي، حيث استطاعت القدرة الإنسانية التوصل إلى توفير ما من شأنه المساهمة في تطور كل آليات البحث العلمي الذاتي أو الأكاديمي أو المؤسساتي، خاصة بعد الطفرة النوعية في مجال المعلوميات منذ الخمسة عشر عاما الأخيرة، التي قلبت الموازين المنهجية والتقنية، والمقصود بذلك الثورة التي حققتها (شبكة المعلومات العالمية الإنترنت)، حيث يذهب أحد الخبراء إلى حد القول على أن هذه الشبكة ستكون خلال السنوات المقبلة بمستوى أهمية الهاتف وأجهزة التلفاز وأجهزة الحاسوب، وبذلك استطاعت النظم المعلوماتية السيطرة على مختلف مناحي الحياة الفردية والاجتماعية.

فمن «المكتبات الإلكترونية» التي تتحول معها الأطنان من الأوراق والعديد من الكتب التي تحويها مكتباتنا، إلى مجرد قرص صغير ليزر، إلى البريد الإلكتروني الذي فتح المجال الواسع لتبادل الرسائل والمعلومات بين مختلف البلدان والأشخاص، استطاع الإنسان المعاصر اكتساب آلية جديدة في تطوير آفاق البحث العلمي على كل المستويات، حيث قدمت هذه الآلية الجديدة خدمات شتى للبحث العلمي، كالدقة والتسهيل والتيسير واختزال الزمن والمكان، وهي كلها شروط لابد من توافرها لكي تنتج أبحاثا علمية في المستوى المطلوب.

وإذا كان حال المجتمعات الغربية على مستوى استغلال وتوظيف الشبكة الكبيرة للمعلومات أهلها لكي تتقدم خطوات كبرى في مجالات البحث العلمي كافة، فإننا كمجتمع، له من المعطيات ما يساهم في توفير هذه الشبكة وتوظيفها، ملزمون بالانخراط والمشاركة في هذه الثورة، فإن لم يكن على مستوى الإبداع التقني، وإن كان هذا هو المطلوب أولا، فعلى الأقل على مستوى توظيف منتجات المجال المعلوماتي في حياتنا العملية والاجتماعية بالأساس.

فاستخدام المعلومات في مجال البحث العلمي بالبلدان الإسلامية، ومن ضمنها العربية، أصبح يفرض ذاته بإلحاح، لتنامي الحاجة إلى استخدام الوسائل التقنية في تطوير البحث العلمي وشروطه، وتسهيل الاستفادة منه، واستخدامه خاصة في ربط البحث العلمي بالمحيط العام للأمة، ففرق كبير بين الباحث الذي يجلس فقط أمام شاشة الحاسوب يتصفح آلاف الكتب والمعلومات، ويعثر على ضالته في دقائق معدودات، من خلال امتلاكه فقط لقرص ضوئي مدمج أو انخراطه في شبكة المعلومات العالمية، (الإنترنت)، وبين قضاء الليالي الطوال والسنين الطويلة وقطع المسافات للعثور على تلك المعلومات.

شروط تطور البحث العلمي

إن تطوير البحث العلمي، سواء أكان في مجال العلوم الإنسانية أم العلوم المادية أم العلوم الشرعية، أو غيرها من العلوم والفنون، رهين بتوفر مجموعة من الشروط والمستلزمات الضرورية، التي بغيابها تغيب الجدية في العمل والابتكار والتجديد، فإلى جانب أهمية العنصر البشري، لابد من تطوير مساحة اشتغال الباحثين بتزويدهم بمختلف الإمكانات المنهجية والنظرية والتطبيقية، ليكونوا قادرين على تحقيق ذلك الابتكار والتجديد واستقرارهما، بل ويكونوا قادرين على اختزال الزمن والمكان.

من هنا كانت ضرورة اعتماد الوسائل المعلوماتية، بمختلف أنواعها، لتطوير شروط البحث العلمي بالبلدان العربية والإسلامية، وهو ما يعني في نظرنا، أن البحث العلمي بالمؤسسات الجامعية بالذات، يحتاج إلى نوع

من الارتباط والتوثيق بالتخطيط والبرمجة والإدارة، لأنها إحدى المؤسسات التي تساهم في تقدم البنية البشرية والاجتماعية، كما أن امتلاك القدرة على التخطيط والبرمجة والإدارة سيمكننا، لا محالة من تجاوز الصعوبات الراهنة من جهة، ومن امتلاك الرؤية المستقبلية الضرورية من جهة ثانية.

المعلومات في مجال الدراسات الإسلامية

لقد اخترت الحديث عن هذا الموضوع، وأظنه يشترك في كثير من الجوانب مع مجالات البحث العلمي في العلوم المادية والعلوم الإنسانية، لما للعلوم الشرعية بالأساس من أهمية في حياة الأمة الإسلامية، كما أننا كباحثين نحتاج إلى مجموع ما ألف في باب الإسلاميات، تأليفا وبحثا ودراسة ونقدا، وذلك هو مجال الدراسات الإسلامية، حيث المقصود بهذه الأخيرة مجموع ما ألف في الإسلام أو حوله أو انطلاقا من نظرته وتصوره، في مختلف المجالات المرتبطة بالحياة والكون والإنسان والطبيعة والمجتمع.

وبما أن مجال الدراسة الإسلامية شاسع جدا، فإننا نحتاج إلى توفير مجموعة من الآليات للاستفادة منه، خاصة وأننا نمتلك تراثا ضخما، المجهول منه أكثر من المعلوم، ولعل الناظر في طرق التعامل مع الأحاديث النبوية الشريفة على سبيل المثال، أو كتب الرجال، سيلاحظ الطريقة التقليدية في ذلك، والتي تعتمد على توفير المئات من المجلدات والكتب، وعلى البحث عن طريق تصفح الصفحات، والذي يتطلب وقتا طويلا، حتى أن بعض الباحثين قد لا يجد ضالته بعد عناء كبير.

لكن مع دخول الإنسان عصر المعلومات، وتبعا لما تقدمه الأخيرة من خدمات غير محدودة للباحثين، يمكن القول على أن الضرورة العلمية والحضارية تقتضي الاستفادة الواسعة من الوسائل المعلوماتية في مجال البحث العلمي في مجال الدراسات الإسلامية، على غرار باقي التخصصات والمجالات المعرفية الأخرى، وقد أثبتت بعض التجارب في هذا الحقل هذه الأهمية، بالرغم مما تتصف به الجهود في هذا الباب من تواضع وبساطة، مقارنة بالتطور الهائل والمتميز الذي تتصف به البرامج التعليمية والعلمية والتربوية في المجتمعات الغربية.

إن الاستفادة من المجال المعلوماتي في حقل الدراسات الإسلامية، على غرار الحقول المعرفية الأخرى، تظهر من خلال التعرف على القيمة التقنية والعلمية التي يمتاز بها في ذلك المجال، ونظرا لتعدد المجالات المعلوماتية التي يمكن الاستفادة منها، نسرد للتمثيل فقط، بعض أنواعها المتداولة، والمهمة في الوقت نفسه، خاصة تلك التي توفر للباحثين في مجالات الدراسات الإسلامية الإمكانات الكبيرة للاستفادة والإفادة في الوقت نفسه، ومنها على الخصوص:

١- الأقراص الضوئية المدمجة.

٢- الشبكة العالمية للمعلومات، «الإنترنت».

بعد الثورة التي حققتها الأقراص الضوئية المدمجة الخاصة بالمجال السمعي، عرفت الساحة العلمية ابتكار أقراص ضوئية مدمجة خاصة بالمجال السمعي البصري، والتي تتيح تسجيل وتخزين كمية كبيرة من المعلومات وصلت إلى ما يعادل (٤١٦) قرصا عاديا ولذلك أصبحت اليوم كثيرة الاستعمال في مختلف المجالات، وقد وفرت هذه الأقراص المجال الواسع لتقديم خدمات متعددة تختزل الزمن والمكان والجهد.

وفي مجال الإسلاميات استطاعت المؤسسات تقديم مجموعة من الخدمات على هذه الأقراص، ساهمت في تقريب القرآن والحديث النبوي والفقه الإسلامي والتاريخ وغير ذلك للباحثين والمهتمين.

وللتمثيل سنضرب لذلك مثالا بالقرص المدمج المسمى، (بالموسوعة الذهبية)، وهو قرص خاص بالحديث النبوي الشريف وعلومه من إنتاج مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي (بالأردن)، يتضمن هذا القرص أضخم موسوعة حديثية، تجمع بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث يقدم خدمات متعددة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- تخريج حوالي (٢٠٠) ألف رواية مسندة بطريقة آلية.

٢- تقديم (١٥٠) ألف ترجمة لرواة الحديث النبوي الشريف من مختلف كتب الرجال المعروفة.

٣- البحث عن الرواة في الأسانيد والحديث.

٤- أحكام العلماء على الأحاديث ما يناهز، (٨٠) ألف حكم.

٥- البحث عن أي كلمة في القرآن الكريم والحديث النبوي ومعناها.

٦- البحث بدلالة رقم الحديث ورقم ترجمة الراوي والجزء والصفحة.

٧- النص الكامل والمشروح للقرآن الكريم بالرسم الإملائي.

٨- المعجم المفهرس لألفاظ كتب الموسوعة.

٩- موسوعة لأطراف الحديث.

١٠- موسوعة تراجم الرجال.

١١- موسوعة الأبيات الشعرية وموسوعة كتب التراث وموسوعة قواميس اللغة.

بالإضافة إلى هذا القرص الضخم، هناك مجموعة أخرى من الأقراص الضوئية نذكر منها، (موسوعة العريس القرآنية)، من إنتاج شركة العريس للكمبيوتر اللبنانية وهي برنامج يتميز بتعدد التفاسير التي يحتويها، إضافة إلى ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى كل من اللغتين الفرنسية والإنجليزية، وهناك كذلك القرص الذي أنتجته (الهدى لشركة طلوع الإماراتية)، والذي يحتوي على ترجمة إنجليزية لمعاني القرآن الكريم، كما يحتوي على قائمة بالكلمات العزلية الواردة في القرآن الكريم مع قائمة أخرى مكافئة لها باللغة الإنجليزية.

كما يحتوي هذ البرنامج على قائمة بأسماء حوالي (٢٠)، ألف موضوع رئيسي تسهل على الباحثين الوصول إلى النصوص القرآنية المتعلقة بموضوع معين.

وبالجملة يمكن القول، على أن العلوم الدينية الإسلامية حظيت باهتمام شركات البرامج والحاسب الآلي العزلية منذ بدايتها، نظرا لأهمية هذه العلوم في حياة الأمة جهة، ولحاجتنا إلى تقريبها إلى الغير من جهة ثانية، ومن أهم ما اهتمت به هذه الشركات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، حيث قدمت للباحثين والمهتمين خدمات شتى أتاحت لهم التعرف على المادة بأقل جهد وأقل وقت ممكن، وهو ما يبين بوضوح الأهمية التي تحتلها التقنية الحديثة في باب البرمجة المعلوماتية في عمل رجال الدعوة الإسلامية والفكر الإسلامي المعاصر.

هذا فيما يتعلق بالجانب الخاص بالأقراص الضوئية المدمجة، أما فيما يتعلق بالشبكة العالمية للمعلومات فيمكن القول كذلك على أنها عالم بمفرده، استطاع أن يحتل مكانة مهمة في حياة الباحثين كما استطاع أن يفرض بقوة نفسه لما تقدمه هذه الشبكة من خدمات غطت جميع الفنون والآداب والعلوم والاهتمامات والهوايات والمعارف.

وقد استطاعت هذه الشبكة تقريب، عبر أجهزة الحاسوب، وأكثر من أي تكنولوجيا أخرى المسافات الشاسعة وأعطت معنى آخر لمفهوم (الجغرافية)، وتضم هذه الشبكة مجموعة من العناصر الاساسية نذكرها موجزة، وهي:

البريد الإلكتروني (EMAIL)، والشبكة العالمية، (www)، ونت سكيب، (Netscape)، وأخيرا، (Usenet).

وإذا كانت هذه الشبكة بهذه الأهمية، فإنه في مجال الدراسات الإسلامية يمكن الاستفادة في تحقيق مجموعة من الأهداف، نذكر منها:

١- الاطلاع على عديد من الأفكار والنظريات والمعلومات المرغوب فيها، والخاصة بالجانب الإسلامي.

٢- تقديم خدمات شتى للناس، من مختلف العقائد والملل والثقافات

٣- إعادة تصحيح مفهوم الإسلام وصورته عالميا وتجاوز مجموعة من الحواجز التي منعت من حصول ذلك.

غير أن الملاحظة التي يمكن تسجيلها بهذا الخصوص، هي أن مواقع الإنترنت الإسلامية لا تزال تفتقد لكثير من الإماكانات في العدد والدة معا، خاصة إذا نظرنا إلى الإمكانات التي تتيحها هذه الشبكة لخدمة الإسلام والمسلمين من جهة، وإلى ما تبذله مجموعة من الجهات التنصيرية على سبيل المثال، من جهود في العدة والعدد لتحقيق مقاصدها وأهدافها من جهة ثانية، وهو ما يجعلنا نؤكد القول على ضرورة التفكير الجدي في إنشاء إنترنت إسلامي بداخل هذه الشبكة.

وبالرغم من وجود بعض المحاولات بداخل هذه الشبكة، فإنها لم ترق بعد إلى المستوى المطلوب، شكلا ومضمونا، خاصة على المستوى الفني والتمويل والدعم الشيء الذي يتطلب بذل الجهود كافة، خاصة من قبل المؤسسات الإسلامية، للحضور بقوة وكثافة بداخل هذه الشبكة، لما تتيحه هذه الأخيرة من إمكانات في مجال البحث والمعرفة.

خاتمة

لقد استطاعت المعلوميات فرض حضورها، المادي والمعنوي، بقوة في الحياة المعاصرة وعلى المستويات، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية كافة، وذلك للتطور الهائل الذي وصل إليه الإبداع التقني في المرحلة الراهنة، وقد وظفت الدول المنتجة لهذه التقنية الجديدة الخدمات المتاحة لتطوير كل أساليب حياتها، بما فيها الحياة العلمية، فأصبح الإنسان المعاصر أشد ارتباطا بها، لما تفعله من فعل في الزمن والمكان والإنسان كذلك.

في ظل هذه الثورة العارمة التي زكت من الهوة الفاصلة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة، يكون من اللازم علينا الانخراط للاستفادة من تلك الخدمات، لمعرفتنا بأهميتها من جهة، ولرغبتنا في توظيفها لتحقيق مجموعة من الأهداف لعل من أهمها تصحيح صورة الإسلام وتقديمه إلى الناس عامة بلغاتهم وتقريب التراث الإسلامي من عموم الباحثين، وتقريب المسافات بين المجتهدين من العلماء والفقهاء حتى يعالجوا عدة نوازل جديدة لا تزال معلقة بفعل غياب التنسيق وبعد المسافة والجهل بتراثنا، جملة وتفصيلا، من جهة ثانية.



عبدالله العلوان
باحث دراسات إنسانية

الفرق بين الإستراتيجية الحوارية العربية الإسلامية والغربية





تهتم الإستراتيجية العربية الإسلامية المؤطرة للحوار الثقافي مع الغرب بقضايا السلم، وإمكانيات العيش المشترك مع الآخر في سلم وأمان، الشيء الذي يجعل كل المناسبات الحوارية مع الغرب متأثرة بهذه الانشغالات، في حين نجد الإستراتيجية الحوارية الثقافية الغربية معنية أكثر بمواطنيها، حيث تصب كل مشاريعها في تأهيل الإنسان الغربي معرفيا أو مهاراتيا، ووجدانيا لاستغلال الإمكانات التي تتيحها له العولمة ماديا ومعنويا من جهة، وتأهيله من جهة ثانية للتأثير في العالم من خلال ما يسمى بالقيم المشتركة التي هي في جوهرها قيم غربية سواء كانت سياسية: «الديموقراطية، وحقوق الإنسان» أو اجتماعية: «حقوق المرأة، والحرية، والمساواة».

وقبل الحديث عن وسائل تجاوز هذا الاختلاف وخلق حوار بين الثقافتين نذكر أهم الخصائص للثقافتين معا، ونبدأ بالثقافة الغربية حيث تحدث عنها الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري، وأجملها في النقاط التالية:

- الثقافة الغربية ثقافة يصاحبها في الغالب خطاب تقني وعلمي فهي تنتقل عبر وسائل الاتصال الحديثة، وهي بذلك مصنوعة بحساب.
- نخبوية: تفرض من أعلى، من دون أن تكون لها قاعدة شعبية أو تعبر عن حاجات ملحة، أو تلتزم بأشكال ومضمون التراث الثقافي الذي تنتقي منه.
- تساعد على تركز القوة (القوة التكنولوجية).
- مرتبطة بثقافة الاستهلاك، فالعمليات المرتبطة بنشر الحداثة تساعد على نشر القيم والرموز وأساليب السلوك المرتبطة بالاستهلاك.
- ثقافة تعمل على خلق نماذج وصيغ موحدة عبر العالم.
- ثقافة تهدد الهوية والثقافة الوطنيين، لأنها تلغي الخصوصية المحلية[١].

ولتكريس هذه الخصائص سخر الغرب مجموعة من الأساليب كان أهمها وأشرسها هو نظام العولمة، التي تعتبر السلاح الفتاك الذي يعتمده الغرب للهيمنة الثقافية على العالم والقضاء على الثقافات الأخرى. وفيما يلي مجموعة من الأقوال تتحدث عن هذا السلاح الفتاك.

١- يقول محمد المذكوري المعطاوي: «لم تقتصر اتجاهات العولمة على إزاحة الحواجز بين الأسواق المالية، وتوسيع المبادلات الخاصة بالسلع والتكنولوجيا والخدمات، ورؤوس الأموال، ووسائل الاتصال، بل لها اتجاه آخر تندثر بمقتضاه الخصوصيات الثقافية وأنماط الاستهلاك الخصوصية من جراء تجانس الطلب، وخضوع المنتوجات لتنميطات موحدة ذات بعد كوني شامل. فالسوق المعولمة ترفض اعتبار وجود خصائص وطبائع ثقافية أو سيكولوجية محلية، ولذلك فإن العولمة تقضي بميلاد نموذج جديد للتبادل له بعد كوني[٢].

- أما الفيلسوف الفرنسي روجي جارودي فيعتبر العولمة «نظاما يمكن الأقوياء من فرد الديكتاتوريات الإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق»[٣].

- ويعتبرها أحمد حجازي: «آلية لإلغاء الحواجز بين الشعوب، وآلية لتوحيد القيم، إنها طريقة تسعى إلى نقل المجتمعات من حالة الفرقة والتجزئة إلى حالة الاقتراب والتوحد، بمقتضاها يتم الانتقال من حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن التباين والتمايز إلى التجانس والتماثل ليتشكل وعي عالمي وقيم موحدة تقوم على مواثيق عامة»[٤]. الفكرة الجوهرية التي نستخلصها من هذا التعريف الأخير أن العولمة الثقافية تسعى إلى التوحد والتفكك في الوقت نفسه.

وتوصف العولمة من قبل كثير من الأصوليين والراديكاليين والتراثيين بأنها إمبريالية ثقافية تسعى إلى تهجين العالم، وتجريده من خصوصياته وفرض النموذج الثقافي الغربي على شعوب الأرض قاطبة، فالكونية المستقبلية التي تسعى العولمة إليها؛ ما هي في نظرهم إلا كونية استعمارية كاذبة لا تحترم حقوق الإنسان ولا تحافظ على جذوره وحضارته وثقافته، فهل كانت مثل هذه التوصيات صائبة في ظل عدم فهم مثل هذه الظاهرة الغربية؟[٥].

ويضيف السيد يسين «... أما حركة العولمة التي نعيش بداياتها -حديثه عنها في سنة ١٩٩٨م- فهي لا تحمل أي هوية ثقافية، ومن ثم فهي لا تنطوي على عقيدة أو فلسفة أخلاقية أو أي بدائل توازي هويتنا الثقافية، بل إنها على العكس من ذلك تهمش كل ثقافة ذات طابع إنساني أو أخلاقي كما أنها تقترب من اختراق مكونات الثقافة الأساسية عند أي شعب من شعوب العالم»[٦].

أما الثقافة الإسلامية فتتصف بمجموعة من الخصائص التي تميزها عن غيرها ونذكر منها ما يلي:

اكتسبت الثقافة الإسلامية أهم خصائصها من العقيدة الإسلامية وأهم هذه الخصائص هي:

١- الربانية: تفرض هذه الخاصية على الإنسان استحضار التكليف الذي كلفه إياه الله عزوجل، والمتمثل في إعمار الأرض والإصلاح فيها والخلافة فيها، وعدم الخضوع والطاعة، والبغي واتباع الهوى. قال عزوجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ (المنافقون:٩)

١- وقال أيضا ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾(البقرة:٨).

٢- الشمولية: الثقافة الإسلامية في دراستها للقضايا تستحضر شمولية الإسلام للإنسان والكون والحياة، وتهتم بالإنسان روحا وجسدا وعقلا، وتهتم بالحياة الدنيا والآخرة، وبالفرد والأمة والجماعة؛ تهتم بالإنسان في علاقته مع نفسه وغيره وربه. عكس الثقافات الأخرى التي تركز على جانب وتهمل جوانب أخرى كثيرة في الإنسان.

٣- التوازن: توازن الثقافة الإسلامية بين مطالب الروح والمادة وبين الدنيا والآخرة، وبين الفرد والمجتمع، لا يطغى عنصر على عنصر كما هو حاصل في الثقافات الأخرى. إنها ثقافة مؤطرة بقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾(القصص:٧٧).

الآية الكريمة فيها نهي عن تسخير كل طاقاتنا في المكاسب والمنافع المادية دون مراعاة لقوانين الحياة والطبيعة والإنسان.

٤- العموم والعالمية: الثقافة الإسلامية تنظر إلى الإنسان بمقياس واحد دون اعتبار اللون أو الجنس أو العرق. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾(الحجرات:١٣).

- الثقافة الإسلامية بهذه الخاصية غير منحصرة في مكان أو زمان خاصين، فهي ثقافة لكل البشر لأن رسالة الإسلام جاءت للعالمين، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ﴾(الأعراف:١٥٨).

وسائل تدبير الحوار الثقافي مع الغرب:

١- تأسيس وكالة عربية إسلامية للأنباء.

٢- الحوار الثقافي من خلال الإنترنيت:

أ- ١٩٦٨م البداية، وهي نتاج جهود بدأت ١٩٥٧م.

ب- ١٩٩٢م/١٩٩٤م خدمة متاحة للمجتمع في الولايات المتحدة الأميركية USA.

٣- الحوار الثقافي من خلال الترجمة:

أ- ما يترجم إلى اللغة العربية ٣٣٠ كتابا، وهو خمس ما تترجم اليونان وحدها.

ب- ما ترجمه العرب والمسلمون منذ المأمون إلى اليوم (ما يعادل ١٣ قرنا) يقدر بعشرة آلاف، وهو يوازي ما تترجمه إسبانيا في عام واحد.

٤- الحوار الثقافي الفطري = مخاطبة الشعوب والمجتمع المدني.

٥- عرب المهجر.

٦- السياحة.

الهوامش

١- مقال: «د. عبدالعزيز بن عثمان» الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلامية في إطار الرؤية المتكاملة.

٢- الاستغراب القسري، ص٢٧٥.

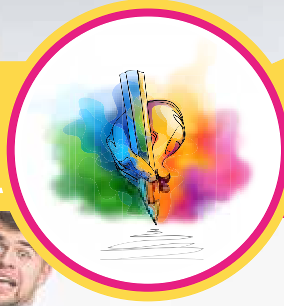
٣-العولمة المزعومة: الواقع والجذور: روجي جارودي.

٤- الثقافة العربية في القرن القادم بين العولمة والخصوصية: أحمد مجدي حجازي، ص٣.

٥- التجليات الثقافية للعولمة: السيد يسين، ص٥٤.

٦- المرجع السابق، ص٤٧.

سعاد سعيد نوح
صحافية وكاتبة



فقه الاختلاف في الإسلام.. مراجعة نقدية حداثية في المفاهيم الفكرية

إن إخضاع الطروحات الفكرية والكلامية الإسلامية لمناهج ونظريات النقد الحداثية ربما يكون أمرا مطلوبا لإحداث مراجعات رؤيوية تكون قادرة على تقديم صورة ذهنية مغايرة ومختلفة عن تصورات الغرب عن الإسلام في ظل الصراعات العالمية الراهنة؛ لذا البحث في شرعية الاختلاف في التجربة الإسلامية باعتبارها شرعية أصيلة لا غبار عليها، وغير مانعة لإمكانية النظر العقلي في النصوص وتأويل المضامين العقدية بما يتفق ومقاصدها الشرعية دونما جمود، أمر مهم، بل ملح في هذه الفترة الشائكة من عمر الأمة الإسلامية وهو الأمر الذي ينسجم مع طبيعة رسالة الإسلام التي تجعل من الخلاف أمرا طبيعيا؛ بما تتيحه رسالة الإسلام من تعدد وتنوع في جو من التكامل والتعارف، وبما تسمح به، اختلاف في جو من الرحمة والتآلف؛ لتلائم واقع الأمة العربية الإسلامية التي يجب أن تسعى لاستعادة فعاليتها الحضارية كرسالة للعالمين في زمننا المعاصر.

هذا ما يطرحه الباحث المغربي عبدالمجيد الصغير في كتابه «فقه وشرعية الاختلاف في الإسلام.. مراجعة نقدية في المفاهيم والمصطلحات الكلامية» الذي صدر عن دار رؤية للنشر والتوزيع بالقاهرة.

يرى عبدالمجيد الصغير في كتابه أنه لا تنطلق حضارة أمة من الأمم إلا من خلال «نص مؤسس» يعد بمنزلة دستور لها، تجعله منطلقا للأسس والقواعد المنظمة لحياتها والموجهة لتفكيرها وفعاليتها الحضارية. كما تبرز سلطة النص ومركزيته في العلوم الإنسانية بكثافة بصدد عملية التأريخ لهذه العلوم التي لا تكاد تخلو من عوائق مصاحبة لها، نجدها حاضرة بقوة في التأريخ للفكر الإسلامي، وبوجه خاص العائق الأيديولوجي الذي يتجلى في سيادة نزعة إقصائية نافية لكل مخالف لها؛ من فرق كلامية وطرق صوفية، ولما أمكن تجاوز هذا العائق في بداية القرن العشرين برز عائق آخر حادث، ليس أقل أثرا من سابقه، فرضه سياق المركزية الغربية، وهو العائق المتمثل في المعرفة الاستشراقية التي فرضت نمطا جديدا من التفكير والمقاربة على الباحث في الفكر الإسلامي، حيث اعتبرت كل ما أنتجه العقل الإسلامي مجرد حلقة وصل بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الغربية الحديثة، وهو ما أثر سلبا على المدرسة الإصلاحية الإسلامية - مدرسة الإمام محمد عبده وتلاميذه من الإصلاحيين، لتقع بذلك في رد فعل دفاعي يشدد على أصالة الفكر الإسلامي وينفي كل التهم عنه، ويمكن الحديث هنا عن كتابات مصطفى عبدالرزاق وعلي سامي النشار وغيرهما.

لذا صار هم المفكرين المسلمين هو الدفاع عن الإسلام ونفي تهم التطرف عنه بدلا من البحث الفكري عن طروحات فكرية تناسب العصر وتخرج بالإسلام من أزماته التاريخية في هذا الظرف الراهن.

يتكون الكتاب من مدخل وثلاثة فصول، طرح في المدخل إشكالية التأريخ لهذا النص «المؤسس» وتأويله، وعالج في الفصل الأول السياسة التي حكمت تكوين الفرق الإسلامية، وخاصة «المعتزلة» ورأى أن النزعة الإقصائية في تصنيف الفرق الكلامية، في سياق التأريخ لها، إلى فرقة ناجية وأخرى ضالة مبتدعة مصيرها النار، هذا التأريخ الذي يتم «بطريقة معكوسة مع سبق الإصرار وتعمد التحريف والقراءات المغرضة في كثير من

المواطن».
واستكمل الصغير استقصائه لعلاقة الفقه بالسياسة في الفصل الثاني الذي عنونه بـ «الفقه الأكبر كلام في السياسة».
وفي الفصل الثالث ناقش الصغير «الخلاف الكلامي.. التباس المفاهيم وإشكالية المصطلح» حيث تعرض لمفهوم علم الكلام في التاريخ الإسلامي والعلاقات الملتبسة بين الفرق الكلامية.
ونادى الصغير بـ«ضرورة إعادة كتابة تاريخ المتن الكلامي، كيفما كان انتماؤه في ضوء تحليل البنية اللغوية للنص، وكذا تحليل الظرفية التاريخية التي ظلت في الغالب مغيبة عند أغلب الذين يتصدرون لتأريخ وتقييم النص الكلامي، والأمر لا يقتصر على علم الكلام فقط، وإنما يشمل إعادة التأريخ للفكر الإسلامي كاملا دون إغفال للعلاقة بين نشأة العلم أو إنتاجه وبين مقتضيات تلك النشأة ومقاصدها العامة، وأن يتم كل ذلك في ضوء الدراسات والمناهج المعاصرة».
ويذكر أن ثمة محاولات حديثة لتجديد النظر في الفكر الإسلامي مستفيدة من المناهج المعاصرة للعلوم الإنسانية، غير أن ذلك لم يعصمها من الوقوع في مزالق منهجية جعلت كل تلك الجهود مرهونة لرؤى أيديولوجية ضيقة، فهي وإن ادعت العلمية والموضوعية والتنوع المنهجي، إلا أن نزعتها التجديدية قد اصطدمت بهموم أيديولوجية قللت من طابعها التحديثي الذي رامت الظهور به وأصبحت تكرس تلك النزعة التي رأيناها في كتب الملل والنحل.

المخرج من هذا المأزق الفكري

يرى الصغير أنه لا مخرج من هذا المأزق الفكري وضيق الرؤى الأيديولوجية التي قزمت محاولات التحديث الفكري إلا بإعادة النظر في التأريخ للفكر الإسلامي انطلاقا من اعتبارات علمية ومعرفية صرفة، ومن خلال النظر إلى مجمل العلوم والمعارف في أبعادها الكلية والشاملة دون التحيز لأي منها، مع الاستفادة من المناهج وطرائق البحث المعاصرة في مختلف العلوم والمعارف.
يحاول الكاتب أن يقارب المشكلات التي تواجه الباحث في الفكر الإسلامي من خلال أطروحة «النقد المفاهيمي»، فنحن في حاجة ماسة إلى إحداث نقلة حضارية عبر إثارة الأسئلة ومناقشة الخطابات الفكرية سعيا للتكريس إلى عقل إسلامي نقدي؛ مما يقتضي إصلاح مفاهيمنا وأحكامنا، مستلهمين في ذلك منهج القرآن الكريم وروح المرحلة الأولى من تاريخ حضارتنا الإسلامية في تجاوز لكل التصنيفات الكلامية القديمة التي ترهننا لواقع اجتماعي وسياسي مخالف للواقع الذي نعيشه، وتحجب عنا الأسباب الحقيقية التي بررت الخلاف وسمحت به.
لا شك أن النظر إلى الأسباب السياسية والاجتماعية وحدها يظل قاصرا عن تحديد أسباب نشأة الخلاف ما لم يبحث في الأسباب اللغوية والاصطلاحية التي شكلت عاملا أساسيا في تعميق الشرخ، فالمزج بين الأسباب السياسية والاجتماعية وكذا اللغوية أمر لازم لتجاوز الإخفاق التاريخي والتأسيس لنقد سليم.
كما أن الأسباب السياسية والاجتماعية التي أنتجت هذا الخطاب الفكري، أنتجت أيضا الخلاف بين الفرق الكلامية، فكما يقول الشهرستاني حسبما ورد في الكتاب: «ما كان بالإمكان أن تسل السيوف من أجل الإمامة لولا اعتقاد راسخ بضرورة، السلطة، في التغيير الاجتماعي».
كذلك يرى عبدالمجيد الصغير أن الإسلام، باعتباره رسالة شاملة، أحدث تغييرا عميقا في بنية المجتمع العربي، حيث قام من جهة بعملية «ترشيد» للمفاهيم القديمة الموروثة من المجتمع القبلي، وبث مجموعة مفاهيم لا يمكن إدراكها إلا في بعدها الاجتماعي والسياسي ومن خلال نقائضها في المجتمع القبلي، من تلك المفاهيم نذكر على سبيل المثال لا الحصر: الأمة، الجهاد، الاستخلاف، المعروف والمنكر، والشريعة التي جاءت مناقضة للأعراف والأحلاف القبلية، كما أن الجانب الاقتصادي شهد تغييرات مهمة صاحبت مرحلة التأسيس للكيان الجديد.
ومن المفاهيم والمصطلحات الجديدة التي لها أثر في الواقع الاجتماعي والسياسي نجد الميزان والحكم بين الناس بالقسط، والطاعة والأمر، والتنازع والبغي، والميثاق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. إنها جملة مفاهيم بشرت بمجتمع جديد قائم على العدل والحرية اكتملت معالمه الأساسية في زمن النبوة حيث التأمت المعالم النظرية لرسالة الإسلام مع واقع مجتمع النبوة، فأحدث ذلك نقلة نوعية على صعيد الإنسان والمجتمع.
وهو ما يمكن تلمسه في سيرة النبي ﷺ، الذي قام بتنزيل تلك المفاهيم أحسن وأتم تنزيل، من وضع القبيلة التي تدل على التجزئة والصراع إلى نموذج القبلة الموحدة لكل الأجناس والأعراق، الأمر الذي جعل القوى الأخرى تنظر إليه باعتباره تهديدا لوجودها. ومن أهم الإجراءات التي ساهمت في بناء المجتمع وتوحيد وجهته السياسية والاجتماعية إعلانه ﷺ، عن نظام المؤاخاة الذي يمثل تجاوزا لنظام القبيلة وثقافتها، ويربط الفرد مباشرة بالسلطة المركزية؛ مركز التشريع ووحدة القرار السياسي والحكم المجتمعي.



د. هدى الميموني
باحثة وكاتبة مغربية

الثقافة الإسلامية والتربية الحضارية

إن الثقافة التي بصرت الناس بحقيقة الرسالة الإسلامية ومقاصدها، وكونت لديهم القناعة بأحقية الأمة الإسلامية في قيادة الناس كافة، في عصر التيه والاستبداد والفساد الحضاري، هي ثقافة قيادة تمكن الناس من العودة إلى الفطرة السليمة التي فطرهم الله تعالى عليها أول مرة، ومن ثم التخلص من كل ما يشدهم إلى عبادة الأوثان والأهواء، ويقربهم من فضاء الفهم العميق لوظيفتهم في الحياة ومقاصد خلقهم وسبل تحقيق ماهيتهم باعتبارهم أشرف مخلوقات الله جل جلاله، ومن ثم معرفة سبل تحقيق وأداء أمانة الاستخلاف في الأرض وعمارتها العمارة الربانية التي تحفظ آدمية الإنسان وكرامته وتميزه عن باقي المخلوقات الأخرى، مع الأخذ بعين الاعتبار ما للعلاقة الوطيدة بين العقيدة والعمل الصالح من أثر في تحقيق هذه المهمة لتكليفه وإبراز المفهوم الصحيح للمسؤولية التي تعتبر من أهم مكونات الشخصية المسلمة.

تشهد المرحلة الراهنة تحولات ومنعطفات دقيقة، وخطيرة في الوقت نفسه، أملتها طبيعة المسار الحضاري الذي تقطعه الإنسانية جمعاء بموازاة التقدم الكبير الذي تعرفه المعارف والعلوم، خاصة تلك المتعلقة بالوسائل المعلوماتية من جهة، وما لحق بالنظام العالمي من تبدلات على مستوى الزعامات والقيادات، باندثار علاقات الأقطاب وتمركز السيادة والقوة في قطب الليبرالية الجديدة، التي أخذت على عاتقها تحويل مسار الأمم والشعوب في اتجاه محدد يصهر الحضارات والثقافات ويعبد الطريق، بكل الوسائل، لتحقيق المفهوم الليبرالي للعولمة، باعتبارها الوسيلة الجديدة لتصفية كل ما من شأنه الحفاظ على الهوية وتمكين الأمم من اكتساب شروط الممانعة المطلوبة.

من جهة أخرى، فقد استطاعت سياسة العولمة الجديدة اختراق الحصون وترسيخ المفهوم الجديد للعلاقات الدولية وقتل العديد من الشعوب الرافضة لسياسة الهيمنة، ومن ثم تذويب وصهر كل أشكال الانتماء والإحساس بالهوية والذاتية، فأسهمت بذلك في تحقيق نوعين من الأزمات الخطيرة التي تعاني منها الشعوب المستضعفة والمغلوبة على أمرها، والمقصود بذلك، الاستلاب والاغتراب، فقد تمكنت من تحقيق هذه النتيجة -التي نلمسها في حياة كثير من الناس- بفعل عوامل عدة، أسهم في تكوينها ضعف الأمة وتخاذلها وتواطؤ قيادات سياسية مع المشروع الكبير للعولمة والتغريب، فلولا قابليتها لتبني واحتضان الاستلاب والاغتراب ما استطاعت المنظمات الاستعمارية الجديدة تحقيق ما حققته اليوم من نتائج كرست من تقسيم الجغرافية البشرية والاقتصادية، وجددت من استنزاف خيرات الشعوب، التي طالما جاهدت من أجل الحرية والديموقراطية والكرامة والآدمية.

في ظل هذه التحولات تشهد الجغرافية الإسلامية نهضة

ملحوظة للثقافة الإسلامية، نهضة تعكس رغبة جيل جديد من الأمة في نفض غبار مخلفات مرحلة الغفوة التي أضعفت فاعليتها وإنتاجيتها وقدرتها على التعاطي مع تطورات الواقع ومستجداته بالشكل الذي يجعلها غير قادرة على ممارسة وظيفتها في الشهود والإمكان الحضاريين، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار ما تعرفه المجتمعات الراهنة من تقلبات وتحولات سريعة، تحتم علينا أن نكون في مستوى التفاعلات الحضارية الراهنة، وفي مستوى الإسهام في صناعة أحداث التاريخ ومنجزاته، بل صنع القرارات الدولية المطلوبة.

المسلم المعاصر وتبني خيار المواجهة

من هنا يأتي حديثنا عن الثقافة الإسلامية وأثرها في تشكيل الحياة الإسلامية المطلوبة، ذلك أنه حينما تفقد الأمة الإسلامية مقومات هذه الثقافة، تتعرض لكثير من المحن الحضارية وتتلاشى فيها كل القدرات على الإبداع والإنتاج المطلوبين على المستويات كافة، بل تتعرض للجمود الفكري والثقافي والتحولات النفسية السلبية، جراء ما يحدث في نفسية المسلم من صراع ينتج باستمرار من تدافع الأصالة والاستلاب، وما يلحق به من معاناة بسبب ما يحس به من ازدواجية في شخصيته الحضارية، التي تحاول التوفيق بين هويته الأصيلة ومتطلبات الحياة المعاصرة التي تتحكم في رسم تفاصيلها السياسة الدولية.

إن السؤال الذي يمكن طرحه هنا، هو هل نحن فعلا نعيش الثقافة الإسلامية الأصيلة؟ وهل باستطاعة المسلم المعاصر التغلب على المعوقات والعقبات، حتى تحل ثقافته الإسلامية محل الثقافة التغريبية؟ بل إلى أي حد يمكننا الحديث عن ثقافة إسلامية أصيلة معاصرة قادرة على تبني خيار المواجهة والممانعة من جهة، وخيار الشهود الحضاري والإمكان العمراني من جهة أخرى؟ خاصة أن الأمة الإسلامية أمة مكلفة شرعا، بتحقيق الخيرية والشهود على الناس كافة.

إن الحديث عن الثقافة الإسلامية الأصيلة حديث في الأساس عن الثقافة التي صاغها الإسلام، قرآنا وسنة، وذلك لما يتميز به، عقيدة وشريعة، من ميزات وخصائص تجعله قادرا على صياغة وتشكيل حياة المسلم على جميع المستويات، ولا أدل على ذلك مما تعكسه حياة المسلمين في الصدر الأول من الإسلام، الشيء الذي يجعلنا نجزم بأن المفهوم الحقيقي للثقافة الأصيلة لا يتحدد إلا من خلال الرؤية العامة لمنهجية الإسلام في بناء الإنسان والمجتمع معا، بناء يستطيع من خلاله الإنسان امتلاك الأدوات والوسائل المطلوبة لتسخير مكونات الكون من أجل بناء المجتمع الذي يتمثل أفراده مقاصد الشريعة الربانية والقيادة، والذي كان خير مثال على قدرة الإسلام على بناء حياة الإنسان المادية والمعنوية، وتقديم سلوكه وترشيده إلى المسار الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه في حياته الخاصة والعامة.

من هنا تتبين العلاقة الموجودة بين الإسلام، عقيدة وشريعة، وبين الثقافة الإسلامية، حيث تستمد هذه الأخيرة مقوماتها الأساسية من الإسلام نفسه، ومن السلوك النبوي المتميز، الشيء الذي يبين كذلك سمة العالمية التي تتميز بها الثقافة الإسلامية كونها خطاب الله عزوجل إلى الناس كافة، مما يعطي للثقافة الإسلامية تميزها عن باقي الأنماط الثقافية الأخرى التي تخص أجناسا محددة وأزمنة محددة وجغرافيات محددة، ولعل في ربانية الشريعة الإسلامية ما يجعل من الثقافة الإسلامية نفسها ربانية المصدر والمنهج والغاية، متى خولت لها القوة على صهر كل الثقافات الإنسانية الوضعية وجعلها ثقافة واحدة، الكل فيها سواسية إلا بالتقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ (الحجرات:١٣).

فالفهم العميق لمفهوم الثقافة الإسلامية لا يتضح بالشكل المطلوب إلا إذا نظرنا إليه من خلال الأهداف العامة للإسلام، عقيدة وشريعة، والتي يمكن تلخيصها وتجميعها في سعي الشريعة الإسلامية إلى تحقيق إعداد الإنسان وتربيته وتهيئته لتحقيق وتمثل المعنى الصحيح لمفهوم الخلافة والاستخلاف في الأرض، حيث تتضح مقاصد هذه الخلافة في عمارة الأرض بالوسائل التي أوضحها وبينها الشرع القويم، لتكون معينا على التفكر في خلق الله تعالى كمدخل لمعرفة حقيقة الوجود ومقاصده التي تجمعها الآية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦).

الثقافة الإسلامية ثقافة قيادية

إلى جانب ما سبق تستمد الثقافة الإسلامية الأصيلة مقوماتها

-على مستوى السلوك- من المنهج الإسلامي العام الذي حدد لتزكية النفس وتربية الذات، وتقويم السلوك والنيات، كلما أصابهما الانحراف والزيغ، ذلك أن الإسلام شرع لبناء الأخلاق بتفاصيلها، فاستوعب بذلك حياة الإنسان، وقدم نموذجا كاملا لحياته وسلوكه، على مستوى التفكير والتعبير والتدبير، لم تعرفه الفلسفات الإنسانية قط، ولن تعرفه، لأنها حياة وضع منهجها الله جل جلاله وبين تفاصيلها الرسول ﷺ، وتمثلها الصحابة رضوان الله عليهم، فكانت بذلك مستجيبة لمقتضيات الفطرة السليمة والمتوائمة قال تعالى:﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء:٨٢).

وإذا كان الفهم العميق للمفهوم الصحيح للثقافة الإسلامية لا يتجلى إلا من خلال الفهم العميق للإسلام، جملة وتفصيلا، فإلى أي حد نستطيع تمثل هذا الفهم، في زمن نعيش فيه على وتيرة الغلبة للثقافة الغربية، رغم جهادنا ضد كل أشكالها من جهة، وسعينا بكل ما نملك من قوة نفسية ومادية إلى تمثل قيم الإسلام وتعاليمه من جهة ثانية؟

ذلك أن قولنا إننا أمة إسلامية يقتضي منا البرهنة فعليا على تمثلنا للإسلام، عقيدة وشريعة، فالانتماء إلى الإسلام ومصداقية الحديث عن الثقافة الإسلامية الأصيلة يقتضيان موافقة القول للعمل، ولن يتأتى هذا إلا بتصحيح مفهومنا للإسلام، وإلا فإن صحوة الجيل الجديد من هذه الأمة وتمسكه بالثقافة الإسلامية لن يوصلا إلى الغاية المطلوبة، عناية ببناء الفرد المسلم الذي يكون قادرا على بناء المجتمع المسلم الذي سيكون، بالضرورة نموذجا لبناء مجتمع الإنسان الذي سيتمثل فعلا حقيقة ومقاصد الاستخلاف وعمارة الأرض.

إننا في حاجة إلى تجديد فهمنا للمسار وتبصر العوائق وتصحيح النيات وتقويم السلوك، حتى يكون فهمنا للإسلام مؤسسا على نية الإخلاص لله جل جلاله، وإلا فإننا سنسقط فيما سقط فيه أصحاب الكتب السابقة الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ...﴾ (البقرة:٨٥).

أبناؤنا وبناتنا فلذات أكبادنا، ومن حقهم علينا -كآباء وأمهات ومربين ومربيات- إحاطتهم بالرعاية والاهتمام والتربية الصحيحة منذ الصغر حتى ينشأوا نشأة سليمة سوية يقدمون الخير لأنفسهم ولأمتهم، ويكونوا لبنة صالحة في بنيان الوطن، وقد أولى الإسلام قضية التربية والتعليم عناية فائقة منذ نزول الوحي على الرسول محمد ﷺ الذي يعد بحق المربي الأول لأتباعه، بل للبشرية جمعاء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وكانت كلمة أقرأ، وهي أهم مفردات العملية التعليمية، أول ما نزل من الوحي، لقد أدبه ربه فأحسن تأديبه وأنزل عليه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما.

إن الجهات المسؤولة عن التربية والتعليم، بدءا من الأسرة ومرورا بالمدرسة ومن ثم الجامعة، مطالبة بالاستفادة من منهج الرسول الكريم ﷺ في العملية التربوية والتعليمية من أجل بناء الإنسان المسلم بناء صحيحا متوازنا، وتطوير كفاءاته وتنمية مهاراته وتزويده بشتى أنواع العلوم والمعارف، لأن العلم والتعليم سبيلنا إلى التنمية التي نسعى من خلالها إلى تحقيق سعادة الإنسان المسلم المادية والمعنوية، بما ينسجم مع مقاصد الشريعة في استخلاف الإنسان على سطح الأرض.

ويرى بعض الباحثين أن التربية والتعليم واحد لا فرق بينهما ويرى آخرون أن التعليم أعم وأشمل من التربية، وفي الرأي الحديث أن التربية في مفهومها أعم وأشمل من التعليم لأنها تشمل جوانب شخصية الفرد من السلوك والعاطفة والاتجاهات الأخلاقية وكلها تندرج تحت مفهوم التثقيف أو الثقافة فالثقافة سلوك أولا وأخيرا، الإسلام خلق وسلوك، أما التعليم فقد يكون مقصورا على المعرفة بجانبيها النظري والتطبيقي.

وإذا رجعنا إلى نصوص القرآن الكريم سنجد نصوصا تتحدث عن عملية التربية كقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ (الإسراء:٢٤)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (الشعراء:١٨)، ونصوصا أخرى تتحدث عن العمليتين معا التعليم والتربية مما دل على أن العمليتين مرتبطتان ومتلازمتان معا، يقول الله تعالى:﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة:١٢٩).

وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة:١٥١).

العلم والتربية الحضارية

يرى المربون المسلمون ومنهم (الغزالي) أن الدين أساس التربية الخلقية في الإسلام وهذا واضح في قول الغزالي «أيها الولد... كم من ليال أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب وحرمت على نفسك النوم، لا أعلم ما كان الباعث فيه، إن كان مثل عرض الدنيا وجذب حطامها، وتحصيل مناصبها، والمباهات على الأقران والأمثال، فويل لك ثم ويل لك، وإن كان قصدك فيه شريعة النبي ﷺ وتهذيب أخلاقك، وكسر النفس الأمارة بالسوء، فطوبى لك ثم طوبى لك» وذلك يرجع أن العلم بالله عند المسلمين هو أصل كل علم، وليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادتهم إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وهو من أنفس ما قضيت فيه الساعات، ومن أغلى ما صرفت فيه الأوقات، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (الزمر:٩)، وقال سبحانه: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٣).

وقال معاذ بن جبل، رضي الله عنه: تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وكان عبدالله بن مطرف، رحمه الله، يقول: «إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صوما وصلاة وصدقة، والآخر أفضل منه بونا بعيدا»، قيل له: وكيف ذاك؟ فقال: «هو أشدهما ورعا لله عن محارمه»، وما ذاك إلا بسبب العلم، فإنه الهادي بإذن الله إلى البصيرة في الدين.

لما كان طلب العلم بهذه الأهمية، كان لابد من مراتب يجدر التنبيه إليها لمن سلك طريقه، وذلك أن كثيرا من طلبة العلم في هذا الزمان يجدون إلى العلم ولا يصلون، ومن منافعه وثمراته يحرمون، لما أنهم أخطأوا طرائقه وتركوا شرائطه، وكل من أخطأ الطريق ضل، فلا ينال المقصود قل أو جل، وما هذا الضلال إلا بسبب عدم التربية الحضارية.

ويقصد بالتربية الحضارية تلك الإجراءات والتدابير المتخذة من أجل بناء شخصية الإنسان العاقل المنفتح على الذات والعالم والثقافة بشكل حضاري ناضج، يرتقي على نحو متكامل بجوانبه الخلقية والوجدانية والعقلية والجسمانية، ويحرره من سيطرة الشهوات والطبيعة والانفعالات السلبية الهائجة، من أجل تمكينه من أداء دوره الريادي المنشود منه حيال مجتمعه، والعمل الواعي للارتقاء به نحو حياة أفضل تحقق إنسانية الإنسان ورقيه الوجداني والروحي والحياتي معا، باعتبار أن الإنسان -وفق هذا التصور- هو منطلق الحضارة وغايتها في آن واحد.

ويعد هذا النمط الحديث من التربية أهم الأنماط التربوية التي دارت حولها النظريات والفلسفات التربوية المعاصرة، وباتت أهميته على جانب كبير من الحساسية والخطورة في الحقل التربوي المعاصر للمجتمعات الإنسانية التي قطعت شوطا كبيرا في الرقي الحضاري والمعرفي، ذلك لأن هذا النمط يتأسس على جانبين متكاملين متداخلين يشكلان معا أساسا لا غنى عنه في بناء الشخصية الحضارية المنشودة للأبناء، تتمع بالتأصيل الأخلاقي والمعرفي والاجتماعي، بالإضافة إلى التوجه العقلاني العلمي المنتج، وهي الأسس التي علمتنا إياها شريعتنا الإسلامية السمحة، وهذان الجانبان هما:

١- الجانب الروحاني المعرفي، بما يشمله من جملة القيم الأخلاقية والوجدانية ومنظومة المعارف العقلية والمبادئ الفكرية التي تحرك الشخصية الإنسانية ضمن محيطها الحيوي تحريكا فعالا قائما على النفع المتبادل، وتضمن دوام التلاؤم الإيجابي مع الطبيعة المتجددة والمتغيرة للحضارة الإنسانية.

٢- الجانب السلوكي، بما يشمله من جملة السلوكات والتصرفات التي تحكم أسلوب الأداء الفاعل والمنتج للشخصية الإنسانية في محيطها الحيوي، ويحدد مجموعة الطرائق والأساليب العملية التي تضمن حسن التعامل مع الذات والعالم من منظور حضاري قائم على الغنى والنفع والسمو.

المراجع

أ. د. نبيل سليم علي - الطفولة ومسؤولية بناء المستقبل - كتاب الأمة ٩٢- مركز البحوث والدراسات الإسلامية - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر - ٢٠٠٣م.

٢- د. طه العلواني - أدب الاختلاف في الإسلام - قطر - ط٢ ١٤٠٧هـ.

٣- د. إسماعيل الفاروق - صياغة العلوم صياغة إسلامية - ط١ - جدة - ١٤٠٩هـ



د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة

«إن شاء الله».. بين الدين والعادات والتقاليد

تعودنا أن نقول في كلامنا عند الوعود وعند المواثيق وعند الطلبات، أو عند إنجاز أي عمل في المستقبل: «إن شاء الله».. وترسخت هذه الكلمة في أخلاقنا وسلوكياتنا؛ لأنها من أخلاق القرآن وآدابه.

دوافع الالتزام بهذه الكلمة

إن انطلاق هذه الكلمة من الأفواه ليس من فراغ، بل لعدة أشياء، منها:

أولا: إيماننا بالغيب المتمثل في المستقبل الذي نتحدث عنه، ولا ندري أندركه أم لا؟

الأمر الثاني: إيماننا بأن لله تعالى مشيئة وإرادة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الإنسان:٣٠).

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير:٢٩).

وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص:٦٨).

من هنا كان أهل الإيمان دائما يقدمون المشيئة الإلهية عند العزم على الشروع في عمل، أو إنجازه، أو تلبية أمر أو طلب يكون في المستقبل، تأدبا مع الله تعالى، ويقينا إيمانيا بأن ما شاء الله كان، وأن ما لم يشأ لم يكن، وأن الأمور كلها بيد الله تعالى وحده. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ (آل عمران:١٥٤).

لذلك فالإنسان المؤمن يدرك تماما أن الأمور التي ستأتي في المستقبل إما أن تقع أو لا تقع، وإما أن يدركها أو لا يدركها.

القرآن يرسخ لهذا المبدأ

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ (الكهف:٢٣-٢٤).

سبب النزول:

عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود في المدينة، فقالوا لهم: اسألوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجوا حتى قدموا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم عن صاحبنا هذا. قال: فقالت لهم الأحبار: سلوه عن ثلاث نأمركم بهم، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم:

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل

طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

وموقف آخر يرسخ القرآن من خلاله هذا الأدب الرباني في سورة الفتح عند تبشيرهم بدخول مكة، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح:٢٧).

فكيف نظر العلماء إلى الاستثناء المذكور في الآية؟

- قال بعضهم: لتحقيق الخبر وتوكيده، وليس هذا من الاستثناء في شيء.

- وقيل: للتبرك.

- وقيل: استثنى الله فيما يعلم، ليستثني الخلق فيما لا يعلمون.

- وقيل: إن الله قالها تعليما للناس.

- وقال ابن كيسان: إنه حكاية ما قيل للنبي ﷺ في منامه، خوطب في منامه بما جرت به العادة، فأخبر الله عن رسوله أنه قال ذلك واستثنى، تأدبا بأدب الله تعالى.

- وقيل: إن الله علم أن بعض الصحابة يموت ولا يدخل المسجد الحرام، لذلك استثنى.

- وقيل: خاطب الله العباد بما يحب أن يقولوه.

ولقد علمنا النبي ﷺ أنه ببركة هذه الكلمة وفق بنو إسرائيل للوصول إلى البقرة التي أمروا بذبحها.

وهذا ما بينه الرسول ﷺ في موقف بني إسرائيل عندما أمروا بذبح البقرة، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لو ما استثنوا ما اهتدوا إليها أبدا».

وقد حدث أن نبي الله سليمان نسي أن يقول «إن شاء الله»، فقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ أخبر أن سليمان بن داود، عليهما السلام، قال: لأطوفن الليلة على مئة امرأة، أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون[1].

أما قوله: قل إن شاء الله، فلم يقل، ومع ذلك كان معناها راسخا في قلبه، ولكن نسي أن يقولها بلسانه.

وقوله تعالى على لسان موسى، عليه السلام، عندما التقى مع العبد الصالح (الخضر) ستجدني إن شاء الله صابرا، واتفقا على أن يلتزم الصبر معه في تعلمه مع الخضر.

قال تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (الكهف:٦٩).

وقال تعالى حكاية عن الرجل الصالح الذي قابله نبي الله موسى بمدين: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص:٢٧).

اتفق معه على الوفاء بما أبرموه من عقد النكاح ولوازمه.

هكذا يذكر القرآن الكريم التزام أهل الإيمان بهذه المقولة بإيمانهم بالغيب وإيمانهم بإرادة الله التي تعلو فوق إرادة الخلق، فأضحت خلقا وأدبا يلتزم ويتأدب بهما المؤمنون.

استهجان يواجه هذه المقولة!

ونظرا لسوء استخدام البعض لهذه المقولة، وأن البعض يستخدمها للتبرؤ والهروب من هذا الفعل، أو إنجاز العمل، أو الوفاء بالوعد، معتمدا على تعليقة الأمر على مشيئة الله، أصبح عند بعض الناس ارتياب وشك وفهم سلبي لهذه المقولة، اعتمادا على ما دخل إلى عقولهم من تصورات من خلال الممارسات الخاطئة من بعض المسلمين عندما يتكلمون بهذه الكلمة في حياتهم الاجتماعية والعملية.

وبسبب هذه الممارسات الخاطئة، فقدت هذه الكلمة مصداقيتها عند الناس حتى عند أطفالنا في وعودنا لهم وتلبية رغباتهم، أصبح البعض عندما يعلق الأمر بمشيئة الله يجعل الأطفال يتذمرون من الإحساس الكامن في نفوسهم من أن «إن شاء الله» تعليق للأمر بالمشيئة الإلهية، ومن ثم فالأب في حل من الوفاء بوعده!

وقد لمست عن قرب من بعض الأوروبيين الذين يتعايشون معنا في بلاد العرب انطباعهم السلبي عن مقولة «إن شاء الله»، ذلك لأنهم عن طريق العلاقات والمعاملات والحياة العملية استمعوا إليها كثيرا في وعود لم يتم الوفاء بها، وفي أعمال لم تنفذ، فترك ذلك أثرا سلبيا في فكرهم.

ياسر عرفة توفيق
كاتب وقاص





البخل.. أسباب ودوافع

البخل آفة اجتماعية تكمن خطورتها في أنها تكون سببا وطريقا لآفات عدة تصيب صاحبها ليس ذلك فحسب بل إن تأثيرها الضار يتعدى الفرد ليطول المجتمع فلن يقتصر الأمر على مجرد الضن بالمال بل يأخذ الأمر أشكالا عدة وصورا شتى حتى يضن بوقته وجهده وعرقه على مجتمعه ويبلغ الأمر منتهاه حين يضن بنفسه متى دعت الحاجة أن يجود بها في سبيل بقاء مجتمعه.

هذا بدوره يدفعنا إلى أن نبحث عن الأسباب التي مكنت هذه الآفة الخطيرة من أن تجد لها مكانا في نفس صاحبها حتى صارت خلقا متأصلا وطبعا ملازما وديدنا دائما لصاحبه

المنفلوطي واحد من هؤلاء الذين بحثوا في الأسباب الباعثة على ظهور هذه الآفة الاجتماعية[١].

وإن كان المنفلوطي راح يبحث في الأسباب وراء ظهور البخل فقد راح ابن الجوزي يسرد لنا طرفا من قصص هؤلاء البخلاء[٢]، يذهب في كثير من الأحيان بما يوافق أسباب المنفلوطي فهو يرى أن هذه الأسباب تختلف باختلاف الأشخاص البخلاء وأطوارهم وأخلاقهم وتربيتهم ليبدأ في سرد أهم هذه الأسباب والتي يضع أولها الوراثة وإن كان يراه ضعيفا لما يعرض للأخلاق الموروثة أحيانا من التغير والانقلاب إذ إن المعاشرة لمتصفين بأضدادها كثيرا ما تترك أثرها المغير ويسرد لنا ابن الجوزي هذه القصة التي تدلل على دور التربية في نشوء هذه الصفة الذميمة:

«حدثني بعض أصحابنا عن حالة



شاهدها في هذا الفن، قال إن فلانا له ولدان ذكران وبنت وله ألف دينار مدفونة فمرض مرضا شديدا فاحتوشته أهله فقال لأحد بنيه لا تبرح من عندي فلما خلا به قال له: إن أخاك مشغول باللعب بالطيور، وان أختك لها زوج تركي ومتى وصل من مالي إليها شيء أنفقوه في اللعب وأنت على سيرتي وأخلاقي ولي في الموضع الفلاني ألف دينار فإذا أنا مت فخذها وحدك فاشتد بالرجل المرض فمضى الابن فأخذ المال فعوفي الأب فجعل يسأل الولد أن يرد المال إليه فلا يفعل فمرض الولد فجعل الأب يتضرع إليه ويقول: ويحك خصصتك بالمال دونهم فتموت فيذهب المال ويحك لا تفعل فما زال به حتى أخبره بمكانه فأخذه ثم عوفي الولد ومضت مدة فمرض الأب فاجتهد الولد أن يخبره بمكان المال وبالغ فلم يخبره ومات وضاع المال[٣].

ويرى المنفلوطي أن التربية شأنها شأن الأمراض التي تسري إلى الإنسان فإذا نشأ الطفل وسط أشحاء تخلق بأخلاقهم بل ربما فاقهم في ذلك وفي ذلك يحكي المنفلوطي بعد أن يسرد هذا السبب أن رجلا دخل منزلا يعرف أهله بالشح والحرص فرأى طفلا صغيرا في يده ليمونة صغيرة فساله إياها فأجابه الطفل «إن يدك لا تسعها»[٤]. سبب آخر يردفه المنفلوطي ويجعله من أبرز الأسباب الباعثة على ظهور الشح وهو سوء الظن بالله ذلك كما يقول إنه متى أخذت عقيدة القضاء والقدر من نفس صاحبها وحسن ظنه بالله وأنه أرحم بعباده من أن يكلهم إلى أنفسهم ويسلمهم لصروف الليالي وعاديات الأيام فلا يلج به الحرص على الجمع ولا يزعجه الخوف من البذل عكس ضعيف الإيمان ضعيف الثقة بالله[٥]

وفي هذا السياق يحكي ابن الجوزي «ولقد مات بعض أصحابنا وكنت أعلم له مالا كثيرا وطال مرضه فما اطلع أهله على شيء ولا أكاد أشك أنه من شحه وبخله وحرصه على الحياة ورجائه أن يبقى لهم شيء يعلمهم بمدفونه خوفا أن يؤخذ فيحيا هو وقد أخذ المال وما يكون بعد الخزي شيء»[٦].

ولكن أتكون النكبات والمصائب سببا في نشوء هذا الخلق الذميم هذا ما يراه المنفلوطي ويعلل ذلك بأن وقوع الإنسان تحت نكبات تصهر قلبه وتزعج غريزته عن مستقرها خاصة تلك التي تسببها قلة المال حيث يرى أنه لولا ضيق ذات يده لما اكتوى بنيران النكبات ولما لحقته

من القياس الفاسد أن ذري المال أحق بالمحبة

الآمها فيدفعه ذلك إلى الحرص حتى وإن فاضت عليه الدنيا لم تزل مرارة النكبات في فمه حتى يصير ذلك طبعا لازما له[٧].

ولؤم النفس يراه المفلوطي طريقا لبروز هذه الصفة ذلك أن النفس اللئيمة تنطوي على صفة هي من أخس صفاتها وهي الحقد على الوجود بأجمعه وبغض الخير للناس قاطبة وكما يقول المنفلوطي «وهو لو استطاع أن يكف عنهم سارية السماء ويعترض دونهم نابتة الأرض لفعل!»[٨].

وفي هذا يروى ابن الجوزى: «وحدثنى أبو الحسن الراندسي قال: مرض رجل عندنا فبعث إلي فحضرت فقال قد ختم القاضي على مالي فقلت: إن شئت قمت وفتحت الختم وأعطيتك الثلث تفرقه وتعمل به ما تشاء فقال: لا والله ما أريد أن أفرقه بل أريد مالي يكون عندي فقلت: ما يعطونك بلى أن آخذ لك الثلث فقال لا أريد، فمات وأخذ ماله»[٩].

ويسبر المنفلوطي أغوار النفس البشرية بحثا عن الأسباب الباعثة لنشوء الشح ليصل إلى أن سقوط الهمة سببا في ذلك ويربط بين طموح الإنسان وحبه للذكر الحسن والثناء الجميل ليسهل عليه أن يبذل في

سبيل ذلك كل ما يستطيع بذله من ذات يده بل من ذات نفسه ويصف المنفلوطي ذلك ببيان رائع «وحب المجد أسال الذهب من خزائن الأغنياء وصير نفوس الشجعان نهبا مقسما بين شفرات السيوف وأسنة الرماح طلبا لسعادة الحياة بالذكر وسعادة الممات بالخلود»[١٠].

وعلى نقيض ذلك يرسم صورة ساقط الهمة «فمن لساقط الهمة ضعيف النفس بدافع يدفعه إلى بذل المال على مكانته من قلبه وامتزاج حبه له! أيدفعه حب الثناء وهو لا يشعر بلذته، أم خوف المذمة وهو لا يتألم منها ولا يتذوق مرارتها أم سعادة الحياة وسعادة الممات» ويأخذ المنفلوطي مثالا أبقاه الشعر العربي في هذا المضمار حين يشير إلى ذلك بقوله «هو لا يفهم للسعادة معنى غير ما فهمه الزبرقان بن بدر حينما قنع على لسان الحطيئة من المكارم بلقمة يمضغها وحلة يلبسها «يشير إلى قول الحطيئة له

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك الطاعم الكاسي

ويختم المنفلوطي جملة أهم الأسباب بسبب يراه داعيا لذلك وهو فساد المجتمع الإنساني حيث يتحدث عن صنف من الناس ذهب بهم قياسهم الفاسد أن ذوي المال في نظرهم أحق الناس بالمحبة والإخلاص وإن لم يحصلوا منه على طائل حتى إن البخلاء صاروا يطلبون هذا الفهم لهم في قلوب الناس بجنوحهم إلى تلك الصفة المذمومة حتى إن أحد البخلاء حين قال له رجل: يا بخيل! فقال له «لا حرمني الله بركة هذا الاسم، فإني لا أكون بخيلا إلا إذا كنت غنيا فسم لي المال ولقبني بما تشاء»[١١].



وفي كلام آخر للمنفلوطي في موضع آخر من كتابه النظرات[١٢]، يتحدث المنفلوطي عن البخيل يجمل معظم هذه الأسباب في بيان رائع فيقول: «وإما شحيح يأبى له لؤم نفسه وخبث فطرته أن يمنح الناس منحته سائغة هنيئة دون أن يكدرها عليهم بالمطل والتسويف والممانعة والمحاولة، والشح خلق متى نزل منزلة من نفس صاحبه أقام من نفسه حارسا يقظا على كل حاسة من حواسه الباطنة والظاهرة حتى لا يجد فيه واجد مصطنعا ولا يظفر منه معتصر ببلة فيضن بعلمه كما يضن بماله ويقبض لسانه على النطق كما يقبض يداه على الإنفاق ويصرد عطاؤه تصريدا ليستديم به حاجة الناس كما يجيع كلبه ليتبعه».

ذلك هو البخيل الذي يطلب له المنفلوطي الرحمة[١٣]، فيقول على لسان فيكتور هوجو وهو يخاطب ابنته «اطلبي الرحمة للبخيل الذي يجيع بطنه ويشبع صندوقه».

ولا تزال عالقة في ذهني تلك القصيدة التي كانت مقررة علينا دراسيا في المرحلة الإعدادية (المتوسطة) وهي قصيدة للشاعر إيليا أبو ماضي وكانت تحت عنوان «التينة الحمقاء» يحكي فيها عن تينة رأت أثمارها وكثرة خيرها فأرادت أن تضن به على الناس، يقول إيليا في أول القصيدة:

وتينة غضة الأفنان باسقة

قالت لأترابها والصيف يحتضر

لأحبسن على نفسي عوارفها

فلا يبين لها في غيرها أثر

ويسرد إيليا على لسانها دوافعها لذلك والأسباب الواهية التي ساقتها حتى كان منها الفعل وهنا ماذا كانت النتيجة كما يسطرها إيليا:

فلم يطق صاحب البستان منظرها

فاجتثها فهوت في النار تستعر

وتأتي الحكمة البليغة التي أبدع إيليا أبو ماضي في صياغتها لتكون خاتمة بليغة لقصيدة رائعة حيث ختمها بتلك الحكمة:

من ليس يسخو بما تسخو الحياة به

فإنه أحمق بالحرص ينتحر

الهوامش

١- في كتابه النظرات - الجزء الأول - الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان - ص١٢٠ في مقال له بعنوان البخيل.
٢- البخل واختلاف أحوال الناس في الدنيا - صيد الخاطر ص٣٣٦ - المكتبة التوفيقية - تحقيق عماد زكي البارودي - مدح التوسط وصور من البخلاء.
٣- ص٣٢٨ من كتاب ابن الجوزي.
٤- ص١٢١ من كتاب المنفلوطي.
٥- ص١٢١.
٦- ص٣٢٨ صيد الخاطر.
٧- ص١٢١ من النظرات.
٨- ص١٢١ من النظرات.
٩- ص٣٢٦-٣٢٧ صيد الخاطر.
١٠- ص١٢١.
١١- ص١٢٢ النظرات.
١٢- في مقدمة كتابه النظرات ص٣٩.
١٣- ص٢١٦ من قصيدة مترجمة لفيكتور هوجو بعنوان الدعاء يخاطب فيه ابنته.

رويدا محمد
كاتبة وباحثة تربوية/القاهرة





الأسرة والتربية الإبداعية

يعرف الإبداع بأنه النشاط الإنساني المختلف عن المألوف، والذي يؤدي إلى إخراج نواتج أصلية كل الأصالة، وتتصف بالقيمة في أي مجال من المجالات، أو هو إيجاد حلول جديدة للمشكلات، أو اكتشاف علاقات لم تكن مكتشفة، مع إمكانية استخدام الخبرات السابقة. ومرحلة الطفولة هي أهم المراحل النمائية في حياة الكائن الإنساني، وأكثرها تأثيرا في تكوين شخصيته، إذ تتشكل معالمها الأساسية، وتتبلور ميولها واتجاهاتها، كما أنها أكثر المراحل قابلية لاكتساب الخبرات، واستعدادا للتفاعل مع المؤثرات في البيئة المحيطة كما بات معروفا.

الأسرة والتربية الإبداعية

الأطفال أيضا يمتازون بخصائص أهمها: أنهم مولعون بالمعرفة والاستطلاع، واستكشاف الحياة على طبيعتها، وهذه تجعل من سنوات الطفولة أنسب الفترات التي يمكن الكشف فيها عن الإبداع، وتشير في الوقت نفسه إلى امتلاك كل طفل استعدادا فطريا للإبداع بدرجة ما؛ لكن رب سائل يسأل: الصفات المذكورة تنطبق على الأطفال عموما، فما هي خصائص الإبداع الأكثر وضوحا هنا؟.

إن أبرز الخصائص هي: مرونة التفكير أولا، وكثرة الأسئلة التي تحفز على التفكير وتدفع للبحث عن بدائل جديدة لحل المشكلات ثانيا، والميل الشديد إلى الحوار والمناقشة، وطرح الأسئلة الجريئة وغير المألوفة ثالثا، كما يتصف الطفل المبدع بأنه: ملاحظ دقيق للعلاقات بين الأشياء، وميال إلى تحليل المواقف والظروف تحليلا منطقيا، وقادر على تعديل سلوكياته وتبني آراء مغايرة تبعا للخبرات المكتسبة، ومنها أيضا: أنه يتمتع بالحيوية والنشاط والصحة العقلية، والقدرة على التركيز والتذكر، ويمتاز بقدر مناسب من الذكاء، ومستوى منخفض من القلق، إضافة إلى التحرر -إلى حد ما- من الضوابط والقوانين الاجتماعية التي تحكم الكبار، ولكن هل يمكن تربية

الإبداع؟ وما هي الأساليب المتبعة؟ وما دور البيئة الاجتماعية فيها؟

التربية الإبداعية هي شكل من أشكال التربية الحديثة، لها مقوماتها وأساليبها ووسائلها، تقوم على أسس أهمها: إثارة العقل لتفكير يتميز بالاختلاف والحساسية للمشكلات، وبالطلاقة والمرونة والأصالة، وتهدف عموما إلى الكشف عن الطاقات الإبداعية وتنميتها، وتهيئة الأرضية الملائمة لإنمائها وتطويرها. يعرف أحمد نجيب، التربية الإبداعية بقوله[1]: «يقصد بالتربية الإبداعية أن توجه التربية اهتمامها وأساليبها وأنشطتها ونتائجها إلى مجال الإبداع، مع مراعاة خصائص وإمكانيات ومقومات كل من التربية وعمليات الإبداع ودورها بالنسبة إلى الفرد والمجتمع؛ أي أنها هي التربية في مجال الإبداع، وما يمكن أن يحدث بينهما من تفاعل ونشاط إيجابي متميز، مع توظيف خصائص الإبداع ومقوماته لإثراء حياة الفرد والمجتمع، وتطويرها بأفضل صورة ممكنة».

لقد أثبتت بعض الدراسات النفسية والعلمية أن الأطفال يمتلكون أدوات الفكر، وأنهم أكثر مرونة في التفكير وقدرة على التخيل والإبداع، وأثبتت دراسات أخرى أن الإبداع لا يكون دوما وليد الطفرات، إنما هو سلوكات يمكن اكتسابها وتعلمها.

الأطفال يولدون بقدرات ذهنية ونفسية خاصة؛ تلعب ظروف البيئة الاجتماعية المحيطة، دورا رئيسا في تنميتها وإنمائها، وفي الوقت نفسه يمكن لتلك البيئة أن تكون عاملا مساعدا لوأدها، ما لم يتم توجيهها بالشكل المطلوب، فالإبداعات الكامنة لدى الأطفال لن تستثمر إلا إذا وجد من يكتشفها ويمهد الظروف المناسبة لها. تقول سناء العطاري[2]: «مهما كانت قدرات الأطفال الإبداعية الكامنة، فإنها لن تؤتي أكلها ما لم تكن محاطة ببيئة مساندة دافئة، تكشف عن هذه القدرات وتساعدها على النمو والتطور، فكل الأطفال يولدون ولديهم قدرات إبداعية، ولكن الأمر يعود إلينا لتوفير البيئة المساندة لجهود الطفل الإبداعية».

لعل أهم ميزات البيئة المساندة للإبداع: توفير الأمن النفسي الذي يستطيع المرء في ظله أن يعبر عن أفكاره، ويظهر أعماله الإبداعية بحرية، وبالقدر ذاته يحتاج الإبداع إلى الحرية النفسية لينمو ويزهر، وهو ما ذهب إليه عالم النفس كارل روجرز بقوله[3]: «إن الناس يحتاجون إلى شرطين إذا أرادوا أن يقوموا بعمل مبدع: الأمن النفسي، والحرية النفسية».

للأسرة دور أساسي في عملية الكشف عن القدرات الإبداعية والابتكارية لدى الأطفال وتطويرها، ولكن كيف يمكن لها القيام بمهامها في هذا المجال؟ إن الأسرة المساندة للإبداع هي التي تحترم حرية أطفالها تفكيرا وتعبيرا، وتتيح لهم فرص البحث والتساؤل والاستكشاف، ولا تكثر من التوجيه والإرشاد والتدخل في تفاصيل الأنشطة التي يمارسونها، وهي الأسرة التي تنأى عن الأساليب والاتجاهات التربوية المغلوطة، كالميل إلى التسلط، أو الإهمال أو استخدام التهديد أو التوبيخ، أو العقاب البدني القاسي.

وقد أكدت دراسات عدة على أهمية المناخ النفسي السوي للأطفال داخل الأسرة، وعلى العلاقة الوثيقة بين القدرة على الإبداع، وطريقة التنشئة المبنية على المودة والتسامح والحرية -المشروطة- في الاختيار، كما أن للبيئة الأسرية الغنية بالمثيرات الثقافية، والمساعدة على ممارسة الأنشطة المختلفة؛ تأثير إيجابي في عملية الإبداع، فحرية التجريب والممارسة، واللعب، والقراءة المنظمة والحث على الأسئلة المثيرة للتفكير، هي أساليب تنمي الإبداع لدى الأطفال، وتشعل جذوته لديهم.

ولا يمكن إغفال الدور الأساسي الذي تؤديه المدرسة في الكشف عن الطاقات الإبداعية للطفل، وتنمية مواهبه من خلال نشاطاتها الموجهة لهذا الغرض، فأهم وظائف المدرسة الحديثة هي إعداد النشء للتكيف مع التطور المستمر في العالم، وتأهيلهم للنهوض بمهام تنمية مجتمعاتهم، لذا فإنها مطالبة بالاهتمام بميول الأطفال ورغباتهم، وتوفير الأجواء الملائمة لإنجاز متطلبات التربية الإبداعية.

والحديث عن دور المدرسة في تنمية الإبداع يبدو ناقصا دون الحديث عن دور المعلم، فهو الذي يروي بذرة الإبداع لدى الطفل، من خلال تحفيز ملكاته، وتوسيع آفاق تفكيره الحر، وهو الذي يكتشف قدراته الإبداعية، ويفسح المجال أمامها لتظهر وتخرج إلى النور، وبالمحصلة يسهم في إنتاج جيل قادر على انتهاج السلوك الإبداعي وفق أسسه ومعاييره، وهذا يتطلب امتلاك استراتيجيات تربوية واضحة بهذا الخصوص.

يقول نبيل علي في معرض حديثه عن متطلبات تنمية الإبداع[٤]: «إن الكلمة السحرية في تنمية الإبداع لدى الصغير هي: التوازن، التوازن بين إطلاق حريته وإعطائه القدر المناسب من التوجيه، بين حثه على فعل المزيد وعدم التسرع في إنضاجه خشية الاضطراب النفسي والعقلي، بين البحث عن المكتمل دون الإغراق في التفاصيل، وهو التوازن بين الوقوف على أرض الواقع الصلبة والتحليق في عالم الرؤى الخيالية للعقل المبتكر الوثاب بحثا عن آفاق جديدة». وهناك وسائل أو مثيرات تهيئ للأطفال الأرضية المواتية للإبداع والتفكير الإبداعي؛ يتفق عليها أهل الاختصاص من علماء دارسين ومربين، ومنها:

١- الألعاب: يشكل اللعب جزءا أساسيا في عملية تنمية الإبداع، ويرتبط بها ارتباطا وثيقا، فالاهتمام بالألعاب، وتوفير عدد مناسب من اللعب المتنوعة، يحفز قدرات الأطفال الإبداعية والابتكارية، وينمي لديهم الذكاء والخيال والقدرة على التعبير، ولاسيما الألعاب التي تتميز بالفك والتركيب، كالمكعبات وألعاب الصلصال وألعاب الصور غير المكتملة وألعاب الكلمات والحروف وغيرها، واللعب لدى الأطفال ليست وسيلة للتعلم والاستكشاف وتحقيق الصحة النفسية فحسب، إنما وسيلة للتواصل مع العالم، وفق الرؤى الطفلية الخاصة.

٢- الرسم: يعد ممارسة الأطفال للرسم والأنشطة الفنية التي ترتبط به، إحدى الوسائل الفعالة في مجال الإبداع، فالرسم وسيلة تعبيرية ممتازة لما يجول في نفوسهم، ويجعل من التفكير أمرا أكثر سهولة، فيما لا يقدر الطفل أن يعبر عنه شفاهيا، كما يساعدهم في تفريغ مكبوتاتهم، وزيادة قدراتهم على توليد الأفكار.

٣- العوائق المصطنعة: حيث يقوم الوالدان باصطناعها أمام حركة الطفل، لتعيقه عن الحصول على ما يريد، فيستثار، ويحاول إيجاد السبل لإزالة العائق، وهنا لابد أن يكون العائق مناسبا لعمر الطفل وقدراته العقلية والجسمية.

ومن الوسائل المساعدة في تنمية الإبداع أيضا: القصص والحكايات، التي تعد من المثيرات الفنية للتفكير الإبداعي، وجلسات توليد الأفكار، وفيها يتاح للطفل أن يتحدث عن نفسه وأفكاره، ويقوم بذكر أكبر عدد من الأشياء التي تستحوذ على اهتمامه، وأيضا: النكت والأحاجي: ولهما دور في توسيع خيالات الطفل وتصوراته، وإثارة قدراته على الطلاقة والتعبير الشفهي.

يقول نزار نجار[٥]: «البيت الذي يريد أولادا مبدعين؛ يفتح لهم أبواب المعرفة، فيجيب عن التساؤلات التي تدور في أذهانهم، ويشجعهم على المطالعة والاستقصاء والاستكشاف، ويهيئ الجو المناسب من أجل الإبداع والتفكير الطلق والتعبير الحر.. وتوفر مناخا ملائما لتربية الإبداع داخل البيت، مثل إتاحة الفرصة لاستثارة الدهشة والاستغراب، وتشجيع الأسئلة والتساؤل».

وفي إطار وعي الأسرة بدور القراءة في حياة أطفالها كمحفز لطاقاتهم، وموقد لمشاعل إبداعاتهم، تبدو الحاجة ماسة إلى أدب الأطفال كأسلوب تربوي متكامل؛ تسعى التربية الإبداعية إلى توجيه ميل الطفل نحوه، فأدب الأطفال يسهم في تنمية قدراته الإبداعية والابتكارية وإطلاق طاقاته التعبيرية، ويشكل دافعا مهما للبحث والاستطلاع، كما يسهم في تنمية الصفات اللازمة للتفكير الإبداعي، إضافة إلى تنمية مهارات أخرى تنمي الإبداع.

يقول حسن شحاتة[٦]: «إن مجال أدب الأطفال بما يتضمنه: قصص، وأشعار، ومجلات، وكتب، ومسرح، وموسيقا، وأفلام، وبرامج إذاعية مسموعة ومرئية، مجال مهم، له دوره كأسلوب للتربية الإبداعية للطفل، من خلال تنمية القدرات الابتكارية والخلاقة لدى أطفالنا. ففي أدب الأطفال خبرات متنوعة شاملة ومتكاملة، والطفل يتلقى من هذه الخبرات ما يعده للاستجابة بطريقة موجبة لخبرات حيوية قادمة».

الهوامش

١- موقع القصة السورية، نقلا عن: أدب الأطفال (علم وفن) أحمد نجيب، دار الفكر العربي، القاهرة، جمهورية مصر العربية ١٩٩٤.

٢- أدب الأطفال والتربية الإبداعية، مجلة رؤى تربوية، العدد ١٦، ص ٧٥.

٣- السابق.

٤- الطفل العربي وتكنولوجيا المعلومات، كتاب العربي الشهري، الكتاب ٥٠، مرجع سابق، ص /٢٢٦- ٢٢٧/.

٥- دراسة في أدب الأطفال، نزار نجار، منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق ١٩٩٤، ص /١٩-٢٠/.

٦- أدب الأطفال مدخل للتربية الإبداعية، د. انشراح إبراهيم المشرفي، مدرس المناهج وطرق التدريس، كلية رياض الأطفال، جامعة الإسكندرية، موقع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الرابط الإلكتروني: http://uqu.edu.sa



محمود مصطفى حلمي
كاتب وباحث دراسات

مفهوم تواجد الوالدين في إشباع الأطفال عاطفيا

يعد الطفل هو النواة الأساسية لبناء أي مجتمع، فالطفل الناشئ هو بالتأكيد مستقبل الأسرة والمجتمع بل العالم بأسره، لذا فإن الاهتمام بتنشئة الأطفال تنشئة سوية هو الجانب الأهم في الإرادة الحقيقية لإقامة مجتمع سليم وسوي.

ربما أكبر العقبات التي تضعف تنشئة الأطفال تنشئة سليمة هو غياب الوالدين، وغياب الوالدين لا يعني فقط اختفاء الأب والأم عن حياة أبنائهم، بل ربما يعيش الأبوان مع أبنائهم في بيت واحد لكنهم رغم ذلك يكونوا غائبين عنهم وعن الحضور في تفاصيل حياتهم بشكل صحيح.

تواجد الآباء والأمهات في حياة الأبناء يعني بشكل واضح أن يسكنوا قلوب أبنائهم وعقولهم قبل أن يشاركوهم مسكنا واحدا أو يكونوا معا أسرة واحده، لذا فإن الكثير من الآباء والأمهات قد يقعوا فريسة الجهل بما قد يحتاجه أبناؤهم من اهتمام أو رعاية أو تواجد حقيقي في حيواتهم الخاصة قبل العامة وفي الغرف المغلقة قبل المدرسة أو الشارع أو النادي.

الكثير من الآباء والأمهات يعتقدون أن كل دورهم تجاه أبنائهم هو مجرد الإنفاق عليهم وسد احتياجاتهم من ملبس أو مأكل أو مشرب أو أدوات رفاهية أو غير ذلك، لكنهم في تلك الحالة يقعون في جب الخداع الأكبر، لأن الحقيقة هي أن أبناءهم يحتاجون إليهم أكثر مما يحتاجون إلى أموالهم أو تلك الرفاهيات التي يتسابق الآباء في تلبيتها للأبناء ظنا منهم أن ذلك يكفيهم أو أن هذا فقط هو دورهم فقط تجاه أبنائهم.

كما أن شعور الطفل بالحاجة إلى الإشباع العاطفي، وعدم تلبية هذه الحاجة تجعله عرضة للتعلق بكل ما من شأنه أن يمنحه هذا الدفء العاطفي، ولو كان متطرفا أو مجرما.

لذلك حث الشرع الحنيف على رعاية اليتيم والمسح على رأسه وتقبيله، لأنه أشد الأطفال حاجة إلى من يعوضه ما فقده من حنان الأبوة أو الأمومة.

قال الشاعر

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... هم الحياة وخلفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له ... أما تخلت أو أبا مشغولا

ولا أدل على خطورة هذه الحاجة من تجاوز النبي ﷺ في أدائه بعض الفرائض من أجل هذه الحاجة الطفولية الملحة، فقد تجاوز في صلاته لسماعه بكاء صبي، ونزل من فوق منبره لتعثر الحسن والحسين في الوصول إليه، وحمل أمامه حفيدته لزينب وهو في الصلاة المفروضة، وكان يبدأ بالأطفال بعد عودته من السفر يحملهم ويقبلهم ويردفهم على دابته، وكان يسلم عليهم، ويعطيهم باكورة الثمر، وكل ذلك ثابت عنه في الصحيح.

كما زجر ﷺ أحد أصحابه لإهماله إشباع هذه الحاجة، حيث دخل الأقرع بن حابس على النبي ﷺ فرآه يقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال الأقرع: «أتقبلون صبيانكم؟ إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحدا منهم قط، فرد عليه النبي ﷺ: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»» (متفق عليه).

ومن أهم تلك الاحتياجات التي يجب أن يدركها الآباء والأمهات تجاه أبنائهم:

الحب

ربما أكثر ما يحتاجه منا أبناؤنا هو الحب بشكل واضح، والحب لا يعني أن تتواجد مشاعر حبنا لهم في قلوبنا فذلك حادث بالفعل، فالفطرة التي خلقنا الله عليها تزرع في قلب كل أب وأم حب أبنائه بشكل كبير، بل حبا ليس له حدود، لكن ما أعنيه هنا هو أن نظهر ذلك الحب تجاه أبنائنا بشكل حقيقي وواضح وصحيح، وأن نلتمس الطرق التي تظهر لأبنائنا ذلك الحب من داخل قلوبنا وليس من داخل جيوبنا.

المفهوم الخاطئ الذي قد يخدع الكثير من الآباء والأمهات هو اعتمادهم على حبهم لأبنائهم في داخل قلوبهم، ويغفلون بذلك عن إخبار أبنائهم بذلك الحب بشكل واضح ومنطوق، بينما يحتاج الأبناء إلى أن نخبرهم بشكل صريح أننا نحبهم، نحبهم كما هم، لأنهم أبناؤنا، لأنهم جيدون، لأنهم يحبوننا أيضا، ربما إخبار الأبناء بذلك ليل نهار ودون تقيد بوقت أو ظرف محدد سوف يصنع فارقا كبيرا مع الأبناء، بل سيشبعهم بشكل كبير من الناحية العاطفية واللازمة لنشأة شخص متوازن من الناحية النفسية.

الوقت

معني الوقت هنا هو إعطاء الأبناء قدرا جيدا وكافيا من أوقاتنا، وذلك يعني المكوث معهم أكبر قدر ممكن، ولا يعني المكوث التواجد معهم في مكان واحد وفقط، بل إعطاؤهم التركيز اللازم بكل الحواس الممكنة، وإشعارهم بذلك الاهتمام بلا ضجر أو تأفف أو ملل، بل نلقاهم بالابتسام والبشر والضحكات بالتأكيد، كما ينبغي أن نشعرهم أن ذلك الوقت مخصص لهم وفقط حسبما تيسر لنا للجلوس معهم وتبادل الكلمات واللعب معهم أيضا.

الاهتمام

ربما يعتقد البعض أن الاهتمام لا يبتعد في معناه عن مفهوم إعطاء الوقت أو الحب، ولكن ما أعنيه هو الاهتمام بشكل حقيقي، فلا يعتبر المكوث مع الطفل أو الجلوس بجواره اهتماما وأنت ممسكا بهاتفك المحمول تتصفحه أو مركزا عينيك في التلفاز أو الجريدة أو منشغلا بإجراء مكالمات هاتفية.

ولنا أكبر القدوة في رسولنا الكريم ومع اشتغاله ﷺ بأمور الجهاد والدعوة والعبادة وأمور الناس إلا أنه كان يلاطف أطفال الصحابة، ويدخل السرور عليهم، ويسأل الطفل عن طائره؛ وهو من هو ﷺ في علو منزلته وعظم مسؤولياته.

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان لي أخ يقال له أبو عمير، كان إذا جاءنا رسول الله ﷺ قال: يا أبا عمير، ما فعل النغير» (النغير: طائر صغير) (البخاري).

لذا فالاهتمام هنا يعني إعطاء الأبناء التركيز الحقيقي بكل الحواس وبكل طريق ممكن، كذلك الاهتمام بكل ما يخص الأطفال بشكل حقيقي، بلا تسفيه أو تقليل من شأنهم أو إبعادهم عن الحياة العامة التي تخصنا، بل يجب الاهتمام بما يحبون بشكل يرضيهم، كذلك الاهتمام بما يريدون فعله ومناقشاتهم فيه وإعطاؤهم الإحساس أنهم يحتلون قدرا كبيرا من مساحة حياتنا بل القدر الأكبر منها.

التقدير

ربما التقدير مفهوم مرتبط في كثير من الأذهان بالبالغين، فمعظمنا يرى أن الشخص البالغ يحتاج أن نقدره ونعطي له الاحترام اللازم في كل النواحي، لكن الحقيقة الواضحة أن الطفل في احتياج شديد للتقدير أيضا، والتقدير يعني بالنسبة إلى الطفل أن نشعره بكيانه وشخصيته، بل نعطيه الإحساس بأن اهتماماته مهمه أيضا لنا، وتفكيره موضع تقدير وإعجاب من الجميع، كذلك اختياراته هي اختيارات ذكية وجيدة وذلك لا يمنع أن نعدل من تلك الاختيارات أو نصحح مسارها إن ارتأينا المصلحة في ذلك ولكن بأسلوب بسيط وتشجيع واضح دون تثبيط الطفل أو التقليل من أهمية تفكيره أو تسفيه أرائه واختياراته.

ونرى التقدير واضحا أيضا في معاملة نبينا الكريم مع الأطفال،

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟، فقال الغلام: لا، والله لا أوثر بنصيبي منك أحدا، قال: فتله (وضعه في يده) رسول الله ﷺ (البخارى).

وفي ذلك إشارة من النبي ﷺ بالاهتمام بالطفل، والتأكيد على إعطائه حقه، وإشعاره بقيمته، وتعويده الشجاعة وإبداء رأيه في أدب، وتأهيله لمعرفة حقه والمطالبة به.

ربما تلك العناصر الأربعة هي الأهم وليست الأوحد تحت مظلة التواجد الحقيقي في حياة الأطفال، فإظهار الحب وتخصيص الوقت والاهتمام والتقدير خطوات في غاية الأهمية حتى يشعر الأطفال بتواجدنا في حياتهم، فكم من أباء وأمهات عاشوا مع أبنائهم سنين طويله وهم غائبين عنهم وعن قلوبهم وحياتهم كلها.

لذا لابد أن نعلم أن تلك المرحلة الأولي من حياة الإنسان هي التي تتكون فيها شخصيته وتتشبع فيها عاطفته وأفكاره التشبع الصحيح والسوي الذي يظهر على الفرد في كل مراحل حياته فيما بعد ويكون الدافع الأكبر في تكوين فردا سليما في مجتمع قوي.



د. عبد الله رمضاني - المغرب
باحث في قضايا الفكر والتربية والأدب

التربية والمجتمع



تعتبر التربية الأساس الذي تبنى عليه صرح كل حضارة إنسانية، ولقيمتها الكبرى نجد التركيز عليها عند كل الأمم والمجتمعات السابقة التي كانت تريد النهوض بشعوبها والمضي بها إلى التقدم والازدهار.

فقد كانت التربية قديما الروح التي تبعث الحياة في القلوب، وتشع الأمل في الوجود، وتعيد البسمة إلى المقهورين، وتكوّن أجيالا يحترمون أسباب وجودهم وتواصلهم مع الآخرين.

مرّت قرون من الزمن والتربية لا تزال تحتفظ بمكانتها ومنزلتها لدى الشعوب والمجتمعات، فقد كانت رسالة يرثها جيل بعد جيل إلى أن فقدت بريقها ولمعانها في القرون المتأخرة خاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

فقد حافظ الغرب على قيمه المادية التي كانت تشكل البناء الفلسفي والتصوري للفكر والفعل التربويين، فأعطانا هذا النموذج الغربي إنسانا يحترم، ولو نسبيا، مبادئ وجوده ويعمل جاهدا من أجل الإعمار والتقدم والابتكار.

هذا النموذج التربوي الغربي، رغم أن عجينته تشكلت من طغيان المادي على الروحي، فإنه حقق طفرة نوعية وفعالة في مجال التنمية البشرية والتقدم التكنولوجي. فدافع الحاجة ودافع الرغبة في الوجود ودافع إثبات الذات وغيرها من الدوافع جعلت الإنسان الغربي يحس أنه مطالب بالتغيير والتجديد واستشراف غد مشرق يعود بالنفع العميم على بلاده والإنسانية جمعاء.

إن هذه التطلعات والطموحات لم تكن شعارات جوفاء أو أحلاما يستلذ بها لحظات ثم تزول، بل رافقها عامل آخر هو الخروج بهذه الآمال العريضة من القوة إلى الفعل، أي تحويل هذه الأماني الجميلة من عالمها الميتافيزيقي إلى العالم الفيزيقي نتلمسها في واقع المجتمع سلوكات وأفعالا مشخصة وواقعية.

لقد كان الإنسان عبر التاريخ يحلم ويفكر كيف يحلق ويطير في الفضاء ويضرب في الأرض طيا للمسافات فاهتدي به تفكيره إلى صنع السيارة والطائرة.. وكان الإنسان كذلك دائم التفكير في علاقة الأشياء بالأرض والأجرام

السماوية فـردّه تفكيره إلـى اكتشاف قـانون الجاذبية وهـكذا دواليـك سـائر الاكتشافات والابتكارات والاختراعات.

كانت هناك علاقة وطيدة ومتينة بين المفكر فيه والـواقـع المنشود أو المـراد إقامته وبناء صرحه. ولعل هذا كله كان سببه الفعل التربوي، فالتربية هي التي كانت تدفع الإنسان إلى التطور والتحول إلى الأفضل. فقد شبّت الأجيال السابقة على حب التغيير البناء وإثبات الـذات وخـدمـة الإنـسـانـيـة. فالتربية رسخت فـي الإنـسـان جـذوة العطاء والفعالية، وأن يكون دائما إيجابيا وفعالا في كل تحركاته وكل أنماط سلوكه.

إن المرء ليقف منبهرا عندما يجد حضارات إنسانية لها الريادة والباع الطويل في جميع الميادين ويتساءل استغرابا قائلا: كيف وصلت هذه المجتمعات الإنسانية إلى الرقي والازدهار الحضاريين؟

إن مشكلتنا اليوم، نحن، في مجتمعاتنا العربية والإسـلامـيـة هـي أن لدينا من أسباب التقدم والرقي الكثير لكننا بكل أسف لم نع بعد هذه الأسباب ولم نفقهها جيدا، وكذلك لم نستوعب الـدرس من غيرنا، علما أن التربية هي التي جعلت الإنسان يوما ما يعترف بجريرته، ويؤثر أخاه على نفسه ويتآخى ويتقاسم معه جميع ممتلكاته. وهي التي جعلت الأفراد متساوين كأسنان المشط كلهم سواء إلا في الخير والعمل الصالح، وهـي التي حثت الإنسان على العلم والمعرفة والإبداع والعطاء، وحذرته من الركون إلى الكسل والتواكل والخنوع والتبعية العمياء.

حقا، لقد سـار الإنسان العربي المسلم ردحا من الزمن يشق طريقه نحو العلا والمجد والسؤدد تدفعه إلى ذلك طاقته التربوية المختزنة، فتراه دائما كان مهتما بالتغيير والتحول والتجديد مع الحفاظ على ثوابته القيمية والأخلاقية، فرأينا أعـلامـا كـبـارا تقف مـنـارات شامخات تضيء درب الطلبة والمتعلمين في شتى الحقول العلمية والمعرفية.

فقد تمخض عن هـذه التربية المتميزة مجتمعا يعرف مـا لـه ومـا عليه، يقف عند حـدوده، ولا يتطاول على حقوق الآخرين، مجتمعا معطاء غيورا يتفانى في خدمة الـواجـب، ويضحي من أجل إسـعـاد الآخـريـن مـتـجـاوزا كل الـفـوارق الأرضية والدنيوية الزائفة. ويعمل بكل إخـلاص وصـدق لنشر ثقافة الـسلام والحـب والـعـمـل والإعـمـار والفاعلية. كـان ديدنـه نشر ثقافة شاملة سداها ولحمتها الإيمـان والعمل والاستقامة والعدل والإحسان والمساواة وحب الخير والفضيلة للإنسانية جمعاء. إن هذه الثقافة التربوية كانت ترخي بظلالها الوارفة على كل شرائح المجتمع، وعليها نما ونشأ وترعرع كل أفراده.

إن طبيعة هذه الثقافة التربوية لم تكن يوما مـا تفصل بـين المعرفة والسلوك الأخلاقي لدى الأفراد. فقد كانت مبنية عـلـى أسـاس روحـي ومـادي، أخـلاقـي وعـلـمـي، أخـروي ودنـيـوي. وكـل فصل أو قطيعة بين هـذه الثنائيات كـان في تقديرها سـيـؤدي حتما إلـى التناقض والتناحر وعدم التوازن في سلم المعرفة والقيم الإنسانية. إن مبدأها الأساس في تركيبها قائم على الاعتدال والوسطية بـين الأخـلاقـي والمـعـرفـي، والـروحـي والمـادي. فمنطقها كـان يتأسس على التوازن والتلازم والتفاعل، إذ كل عنصر يحتاج إلى الآخـر، ولا يكتمل العقد إلا بالربط بين كل مكوناته.

وإذا كانت التربية بهذه الأهمية الكبرى، فإنها إذن الوسيلة الوحيدة التي تتطور بها المجتمعات، وتعمل على جعل أي فرد من أفرادها قادرا على مواجهة تحديات العصر.

وفي هذا الصدد يقول إسماعيل راجي الفاروقي رحمه الله: «ليس هناك أدنى ريب في أن مركز الداء ومنبعه في هذه الأمة، إنما هو النظام التعليمي السائد، إنـه الـتـربـة الخصبة لتربية العلل في المـدارس والكليات تولد وتؤيد عملية تغريب النفس عن الإسـلام: عن تراثه وأسلوبه، إن النظام التعليمي هو المعمل الذي فيه يعجن ويشكل الشباب المسلم، وهناك يصاغ وعيهم في قالب هو صورة ممسوخة للغرب، وتفصم الرابطة بين المسلم وماضيه، وتوضع في وضع حرج، رغبته الطبيعية في التطلع لمعرفة تراث أسلافه. ونتيجة للشكوك التي بثّها هذا النظام في أعماق وعيه تصاب بالتبلد رغبته في أن يقف مع أسلافه على أرض مشتركة لينطلق منها نحو بعث للإسلام جديد وملائم للعصر»(١).

إن روح الإسلام هو الذي خلق من عناصر متفرقة كالأنصار والمهاجرين أول مجتمع إسلامي، حتى كان الرجل في المجتمع الجديد يعرض على أخيه أن ينكحه من يختار من أزواجه بعد أن يطلقها له كي يبني بذلك أسرة.

فـقـوة الـتـمـاسـك الـضـروريـة للمجتمع الإسلامي موجودة بكل وضوح في التربية الإسـلامـيـة، ولكن أي تربية إسلامية؟ التربية الإسلامية المتحركة في عقولنا وسلوكنا والمنبعثة في صورة إسلام تربوي واجتماعي.

وقوة التماسك هذه جديرة بأن تؤلف لنا حضارتنا المنشودة، وفي يدها -ضمانا لذلك- تجربة ألف عام، وحضارة ولدت على أرض قاحلة، وسـط البـدو رجـال الفطرة والصحراء.

وإذا كانت التربية بهذه الأهمية الكبرى، فإنها إذن الوسيلة الوحيدة التي تتطور بها المجتمعات، وتعمل على جعل أي فرد من أفرادها قادرا على مواجهة تحديات العصر.

الهوامش

١- «أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة الـعـمـل» لإسـمـاعـيـل راجـي الـفـاروقـي، ترجمة عبد الوارث سعيد، دار البحوث العلمية الكويت، ط١/١٩٨٤- ص:٢٩.

د. عبدالمنعم عبدالله حسن
الأستاذ في كلية اللغة العربية بالمنصورة



اللحاق بالصالحين

اللحاق الإدراك والبلوغ، ولما كان الصالحون في درجات عالية من الرقي الإيماني، ومنازل رفيعة من السمو العملي طاعة وعبادة وتقى وهدى، ارتقوا معالي الجنان، وتسنموا معارج الكمال وتشوف الخلف إلى إدراك منازلهم، وتشوقوا إلى بلوغ مكانتهم، وتطلعوا إلى كريم مآلهم وعظيم مكانهم كرامة ومثابة.

أجل.. يودون اللحاق بهم عملا وجزاء، يدعو كل منهم ربه أن يلحقه بالصالحين.

«والإلحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم أو يجمع بينه وبينهم في الجنة[1]».

وجاء هذا في موضعين في القرآن الكريم:

١- في قول الله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (يوسف:١٠١).

إن يوسف عليه السلام قد أتم

الله عليه النعم فمكن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، وعلمه فأول لهم ما رأوا، معترفا بفضل من علمه ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ (يوسف:٣٧) وجمع له أبويه وإخوته من البادية وقد أحسن به فأخرجه من السجن إحسان قرب وكرم، ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ (يوسف:١٠٠) فقال (بي) لا (إلي) إنه إحسان ملتصق به قريب منه، بما توحيه الباء من معنى الإلصاق؛ فالتعدية «بالباء أدل على القرب من المحسن»[٢].

نعم متعددة أنعم الله بها على يوسف عليه السلام، وأقر بها عينه، وأسعد بها نفسه، وعوضه خيرا عما لاقاه وكابده فاتقى وصبر، فكان الفرج، وكان البشر.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (يوسف:١٠٠).

وفي أفياء الامتنان وظلال الشكر يدخل في ضراعة مع ربه، معترفا له بنعمته، مقرا له بقدرته، موقنا بنصرته، طامعا في رحمته، راجيا مولاه، أن يتم عليه كرمه في الآخرة كما أتمه عليه في الدنيا؛ فهو سبحانه وليه فيهما الذي يتولاه «بالنعمة في الدارين، وبوصل الملك الفاني بالملك الباقي»[٣].

لقد ملكه وعلمه، فهو سبحانه القادر الذي خلق السماوات والأرض، وهو ولي هذه النعم التي أولاه إياها في الدنيا وهو ولي ما في الآخرة مما هو خير وأبقى.

إن يوسف عليه السلام يضع هذه المناجاة الصادقة الصادرة عن يقين أمام هذا الرجاء الضارع ليلقاه مسلما ويدركه درجات الصالحين داعيا:

﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾

«أي ألحقني بمراتبهم من رحمتك وغفرانك»[٤].

إنه يرجو الله أن يجمعه في الدنيا والآخرة بآبائه إبراهيم وإسحاق وغيرهما من الأنبياء والمرسلين.

٢ - في قول الله تعالى:

﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (الشعراء:٨٣).

يدعو إبراهيم عليه السلام ربه أن يهبه حكما (رب هب لي حكما)، أي «معرفة بك وبحدودك وأحكامك»؛ قال ابن عباس... و(ألحقني بالصالحين) أي بالنبيين من قبلي في الدرجة. وقال ابن عباس: بأهل الجنة؛ وهو تأكيد قوله: «رب هب لي حكما»[٥] وقد استجاب الله دعاء نبيه إبراهيم، فقال: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (البقرة:١٣٠).

هذان هما الموضعان اللذان تجلى فيهما اللحاق بالصالحين في القرآن الكريم وإن بينهما علاقة وطيدة توقفنا على خلق نبوي رفيع يعلمنا من آداب الدعاء ما ينبغي أن نتحلى به أسوة ومنهجا.

فاللحاق بالصالحين مطلب نفيس تمناه الأنبياء، ولعظيم قدره لابد أن تسبقه مقدمات تتواءم ونفاسته، وأن توضع أمامه مداخل تمهد لولوجه، ومن مَن؟ ممن يقدرون قدره، ويعرفون مكانته، صفوة العباد الذين اصطفاهم الله أمناء وحيه، وإن في هذا من دوافع الرجاء ما يبث في النفوس الأمن بالقبول، والثقة في الإجابة مما يدفع إلى التخلق بهذا الخلق النبوي الرفيع في آداب الدعاء.

فيوسف عليه السلام لم يطلب من ربه اللحاق بالصالحين مباشرة وإنما قدم أمامه هذه المناجاة وتلك الضراعة، وهذا الإقرار بعطاء الله وكرمه، ومنه وفضله، وجلاله وكماله.

«رب» بحذف أداة النداء قربا وتقربا، وحبا وتحببا «قد آتيتني من الملك» لأنك وحدك «تؤتي الملك من تشاء» «وعلمتني من

تأويل الأحاديث» فأنت سبحانك المعلم وعلمك ما لم تكن تعلم»، ثم كرر النداء مقترنا بما هو أشمل وأعم.

«فاطر السموات والأرض» خالقهما وقيومهما ونورهما، إلحاحا في الرجاء ثم التوجه المتجرد من كل ولاية إلا ولايته (أنت) لا أحد غيرك.

«أنت ولي في الدنيا والآخرة» أنت ناصري فيهما، وقد تحقق له في الدنيا أثر هذه الولاية ملكا ودعما ونصرا مما يؤكد تثبت اليقين بتحقق أثر هذه الولاية في الآخرة وإنه يومئذ يفوق التمكين في الأرض، ورفع الأبوين على العرش، والخروج من السجن، والمجيء من البدو، إنه ماذا؟

إنه: اللحاق بالصالحين «توفني مسلما وألحقني بالصالحين»، إنها أمنية غالية تستوجب استدرار فضل الله وكرمه لينعم بهذه المنزلة، ويمن بتلك المكانة.

ونبي الله إبراهيم حينما دعا ربه قائلا:

«رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين» جاء هذا الدعاء في سياق من القرب والضراعة والابتهال والثناء على الله الوهاب المتفرد بكل مصادر العطاء، وكل ينابيع الخير، الذي أفرده بمحبته وعبادته دون غيره وما عبدوه وما له عكفوا مما لا يسمع الدعاء ولا ينفع ولا يضر، ثم أخذ يعدد صور النعم المختلفة وألوان العطاء المتعددة، بما تحمل من آيات القدرة ودلائل الوحدانية.

وتعيش مع الآيات معطيات الحوار القرآني الذي دار بين خليل الله وبين أبيه وقومه، وهو يحرك فيهم كوامن الفكر، وينفذ إليهم من مداخل العقل ليقابلوا ذلك بموروث عقدي عن آبائهم الأقدمين.

يتبرأ منه خليل الله إلى عالم من النور والرحمة والمنن» ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ (الشعراء:٧٥-٨٢)

صور من المنن، والفضل والكرم لرب العالمين فلا رب غيره ولا معبود سواه، ولا يقدم هذه المنح إلا هو ولا يقدر عليها إلا المعبود بحق جل جلاله.

هذا التمجيد، وهذا الإقرار بالفضل، وتلك الضراعة والخشية، وذاك الرجاء والثناء.. مدخل ممهد... أمام هذا المطلب النفيس.

«رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين».

وخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ «لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ: «استووا حتى أثني على ربي عزوجل فصاروا خلفه صفوفا فقال: «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت... اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين»[٦].

ففي الحديث الشريف دعاء للنبي ﷺ باللحاق بالصالحين، وثناء على الله جل وعلا أمام هذا الدعاء المبارك.

إن الدعاء باللحاق بالصالحين دعاء نبوي صوره القرآن الكريم ببيانه المعجز، وإن الثناء على الله جل وعلا في افتتاح الدعاء منهج نبوي، وهو من آداب الدعاء، ومن دواعي الرجاء للقبول.

فـ«عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلا يدعو في صلاته فلم يصل عليه، فقال النبي ﷺ: «عجل هذا»، ثم دعاه فقال له ولغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصل على النبي ﷺ، ثم ليدع بعد بما شاء»[٧].

الهوامش

١ - الكشاف، للزمخشري ٣/١١٧.
٢ - نظم الدرر، للبقاعي ٤/٩٩.
٣ - الكشاف ٢/٣٤٥.
٤ - معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٣/١٣٠.
٥ - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٣/٧٦.
٦ - الأدب المفرد، للبخاري ١/٢٤٣. والمستدرك على الصحيحين للحاكم ١/٦٨٦، ومسند الإمام أحمد ٥/١٩١.
٧ - رواه أصحاب السنن، بسند صحيح، راجع التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ، للشيخ منصور علي ناصف ٥/١١٢.



عبدالبر العلمي
باحث في الدراسات الإسلامية
المغرب

التعليم في صيغة المستقبل

لا أحد ينكر أن التعليم هو ركيزة التقدم والرقي في شتى المجالات، لذلك تجتهد الدول والحكومات بشكل دائم في إصلاح ما يمكن إصلاحه لمسايرة روح العصر. لكن اليوم، أكثر من أي وقت مضى، يحتاج التعليم إلى إصلاح عميق جدا، نظرا للقفزة التكنولوجية المدهشة، ونظرا أيضا لظهور أمراض جديدة كما هو الشأن بالنسبة إلى الفيروسات. ولتلك الأهمية نتوقف مع الكاتب والمفكر الأميركي والعالم في مجال المستقبليات ألفين توفلر وتصوره لمسألة «التعليم في صيغة المستقبل».

إن ما نسميه تعليما اليوم، حتى في أفضل مدارسنا وكلياتنا، ليس إلا مفارقة تاريخية ميئوسا منها. إن الآباء يتطلعون إلى التعليم ليهيئوا أبناءهم للمستقبل. والمعلمون يحذرون من أن الافتقار إلى التعليم سوف يشل من فرص الأولاد في عالم الغد. والوزارات ووسائل الإعلام كلها تحث الشباب على البقاء في المدارس مصرة على أنه اليوم أكثر من أي وقت مضى، يكاد

يكون مستقبل الفرد كله متوقفا على التعليم.
ومن هنا يؤكد ألفين توفلر أنه على الرغم من العبارات البليغة عن المستقبل، فإن مدارسنا تتراجع في اتجاه نظام يحتضر أكثر من اتجاهها نحو المجتمع الجديد الذي ينبثق. إن طاقاتها الهائلة ما زالت موجهة لصياغة رجال من طراز عصر التصنيع؛ رجال مسلحين من أجل البقاء في ظل نظام سيموت هو ذاته قبل أن تدركهم الوفاة.
ومن أجل تفادي صدمة المستقبل، يجب أن نخلق نظام تعليم يناسب عصر ما فوق التصنيع. وحتى نفعل، ينبغي لنا أن نبحث عن وسائلنا وغاياتنا في المستقبل بدلا من أن نبحث عنها في الماضي.

الثورة التعليمية الجديدة

في النظم التكنولوجية للغد، سوف تتعامل الماكينات السريعة، المرنة، الذاتية التنظيم مع الأشياء المادية. أما الرجال فسيعالجون الأفكار والبصائر، وسيتزايد باستمرار أداء الماكينات للمهام الروتينية، والرجال للمهام الفكرية والخلاقة. وبدلا من أن يتكدس الرجال والماكينات معا في مصانع عملاقة ومدن صناعية، سيتفرقون على سطح الكرة الأرضية، وتربط بينهم وسائل اتصال حساسة وفورية لدرجة مذهلة. وسيتحرك العمل البشري من المصانع والمكاتب الحاشدة إلى المجتمع المحلي والبيت.
في مثل هذا العالم تتحول أكبر تسهيلات عصر التصنيع قيمة إلى معوقات. إن تكنولوجيا الغد لا تتطلب ملايين الرجال السطحيي التعليم المستعدين للعمل المتساوق في أعمال لا نهائية التكرار، ولا تتطلب رجالا يتلقون الأوامر من دون طرفة عين، مقدرين أن ثمن الخبز هو الخضوع الآلي للسلطة. ولكن تتطلب رجالا قادرين على إصدار أحكام حاسمة؛ رجالا يستطيعون أن يشقوا طريقهم وسط البيئات الجديدة؛ رجالا يستطيعون أن يحددوا موقع العلاقات الجديدة في الواقع السريع التغير. إنها تتطلب رجالا من ذلك النوع الذي وصفه س. ب. سنو بأنهم يحملون المستقبل في عظامهم.
وعليه، لم يعد يكفي لفرد ما أن يفهم الماضي. وحتى لم يعد كافيا له أن يفهم الحاضر، لأن بيئة الحاضر سرعان ما تتلاشى. إنه يجب أن يتعلم كيف يحتسب اتجاه معدل التغيير وأن يتوقعه. إنه، حسب التعبير الفني، يجب أن يكرر مع وضع الفروض الاحتمالية البعيدة المدى حول المستقبل. وهذا ما يجب على معلمه أيضا أن يفعله.
ومن أجل إيجاد تعليم ما فوق التصنيع، سوف نحتاج إلى خلق صور متتابعة وتبادلية للمستقبل، أي افتراضات حول أنواع الأعمال، والمهن، والحرف التي قد تحتاج إليها خلال العشرين إلى الخمسين عاما المقبلة، وافتراضات عن أشكال الأسر والعلاقات الإنسانية التي ستبرز، وأنواع المشكلات الأخلاقية والمعنوية التي ستثور، وأنواع التكنولوجيا التي ستحيط بنا، والبنى التنظيمية التي سينبغي لنا أن نبنيها.
وبوضع مثل هذه الفروض، وتحديدها، ومناقشتها، ومنهجتها، وتطويرها باستمرار، سيمكننا أن نستنتج طبيعة المهارات الإدراكية والفعالة التي سيحتاج إليها أهل المستقبل لاجتياز أزمة التغيير المتسارع بسلام.
لهذا يرى توفلر أنه يجب أن يوجد مجلس للمستقبل في كل مدرسة ومجتمع محلي: فرق من الرجال والنساء مكرسة لسبر المستقبل في اهتمامات الحاضر. ومن خلال اختطاط «أشكال مفترضة للمستقبل» وتحديد استجابات تعليمية متماسكة لهذه الأشكال وطرحها للمناقشة العامة النشيطة، تستطيع هذه المجالس أن يكون لها تأثير قوي في التعليم.
وحيث إنه لا توجد جماعة ما تستطيع أن تدعي لنفسها حق احتكار الرؤية المستقبلية، فإن هذه المجالس يجب أن تعمل بأسلوب ديموقراطي. صحيح أن هذه المجالس لن تستغني عن المتخصصين، ولكن مجالس المستقبل لن تنجح إذا ما استولى عليها المعلمون والمخططون المحترفون أو أي فئة أخرى غير مختارة ديموقراطيا. وبالتالي فإن الطلبة يجب أن يشتركوا فيها منذ البداية، ولكن ليس تمثيلا شكليا كل مهمته البصمة بالموافقة على آراء الكبار، بل يجب أن يشترك الطلبة في قيادة هذه المجالس، إن لم يكن المبادرة أصلا بإنشائها، وذلك حتى تناقش وتصاغ «المستقبلات المفترضة» بواسطة أولئك المفروض فيهم أنهم سيخلقونها ويعيشونها.

مناهج الأمس واليوم

فيما يتعلق بمناهج الدراسة، يرى توفلر أنه ينبغي لمجالس المستقبل ألا تفترض أن كل مادة تدرس اليوم إنما تدرس لأسباب ضرورية، بل يجب بدلا من ذلك أن تبدأ من نقطة عكسية هي: أنه لا ينبغي أن يتضمن المنهج المطلوب أي مادة،

ما لم تبرر احتياجات المستقبل ضرورتها تبريرا قويا، فإن كان سيترتب على ذلك حذف جانب كبير من المنهج فليكن.

ويضيف توفلر لسنا نقصد من وراء هذا القول أي نوع من العداء للثقافة، أي دعوة إلى تحطيم الماضي كلية. كما أنه لا يقترح تجاهل المواد الأساسية كالقراءة والكتابة والرياضيات. إنما الذي نعنيه هو أن عشرات الملايين من الأطفال يجبرون اليوم بحكم القانون على إنفاق ساعات عديدة وثمينة من حياتهم في طحن واجترار مواد مشكوك إلى أبعد حد في أن تكون لها أي منفعة مستقبلا.

لذا، فإن مجالس المستقبل ينبغي لها في نضالها من أجل الارتقاء بالتعليم، أن تقيم من أنفسنا لجانا لمراجعة المناهج. إن المحاولات المبذولة حاليا بواسطة سلطات التعليم لتعديل منهج الفيزياء، أو تحسين وسائل تعليم اللغة الإنجليزية أو الرياضيات، لا تعدو –على أكثر تقدير– أن تكون فتاتا. فبينما قد يكون من المهم الحفاظ على عناصر من المناهج الحالية وإدخال التغيير تدريجيا، فإن ما نحن في حاجة إليه حقيقة ليس مجرد محاولات عفوية للتطوير. إن مقتربا منهجيا من المشكلة ككل هو ما نحن في حاجة ماسة إليه.

ولا ينبغي بأي حال من الأحوال أن تشرع هذه اللجن في وضع منهج موحد جديد وثابت لكل الأغراض، بل على العكس يجب أن تبتكر مجموعة من المناهج المؤقتة والمصحوبة بالإجراءات الكفيلة بإعادة تقويمها وتجديدها مع مرور الوقت. فيجب أن تكون هناك طريقة لما يجعل المناهج تتغير من دون حاجة إلى تفجير صراعات مريرة في كل مرة.

التنوع في المعطيات

من طبيعة المجتمعات أن تختلف وتتغير. وأكثر من هذا، فمهما أوتينا من قدرة على البصيرة والتنبؤ، فلن نستطيع أن نتنبأ بالضبط بما ستكون عليه الأوضاع المتعاقبة للمجتمع في المستقبل. وفي هذه الحالة، سيكون من الأصوب أن نتحوط في مراهناتنا التعليمية. وكما يعمل التنوع السلالي على حفظ الأنواع، كذلك فإن التنوع التعليمي يزيد من فرص البقاء للمجتمعات.

وبدلا من تنميط التعليم في المرحلتين الأولى والثانوية، اللتين تفرض فيهما على التلميذ قاعدة المعطيات نفسها؛ في التاريخ والرياضة والبيولوجيا والأدب والأجرومية، واللغات الأجنبية.. إلى آخره، يجب أن تحاول الحركة المستقبلية في التعليم إيجاد مجال اختيار واسع التنوع من المعطيات، يجب أن يسمح للأطفال باختيار أرحب مما هو متاح لهم الآن. ويجب أن يشجعوا على تذوق واختبار تشكيلة من البرامج القصيرة الأجل (ربما لمدة أسبوعين أو ثلاثة أسابيع) قبل أن يستقروا على اختيار المنهج الطويل المدى. كما ينبغي أن تقدم كل مدرسة عشرات من المواد الاختيارية المرتكزة كلها على الحاجات المفترضة للمستقبل.

ويجب أن يتوسع مدى الموضوعات ليشمل إلى جانب معالجة «المعلوم» من عناصر مستقبل ما فوق التصنيع، عناصر أخرى تعالج المجهول وغير المتوقع، ومن الممكن، وقد يجدر بنا أن نفعل ذلك بتخطيط نوع من «مناهج الاحتمالات» أي برامج تعليمية تستهدف تدريب الناس على تناول مشكلات ليس لها وجود فحسب، بل أغلب الظن أنها لن تتواجد أيضا.

إننا نحتاج على سبيل المثال إلى اختصاصيين في مجالات رحبة التنوع من التخصصات لمواجهة احتمالات رهيبة، وإن كانت غير مرجحة مثل: احتمال تلوث الكرة الأرضية بميكروبات قد تأتي بها رحلات الفضاء من الكواكب والنجوم، أو نشوء الحاجة إلى الاتصال بالحياة الفوق أرضية، أو المخلوقات الرهيبة التي يمكن أن تنتج عن التجارب التي تجرى على السلالات والوراثة.

إن مبدأ التنوع إذن سوف يفرض عددا أقل من البرامج، وسيزيد من الاختيار بين التخصصات الضيقة. وبالتحرك في هذا الاتجاه، وبإيجاد مناهج الاحتمالات، ستتوافر للمجتمع ثورة هائلة من المهارات الرحبة التنوع بما فيها المهارات التي قد لا يستخدمها مطلقا، ولكن من الأصوب إعدادها حتى تكون جاهزة للاستخدام الفوري في حالة ما إذا أسفر المستقبل عن خطأ في تقديرنا لاحتمالاته.

لا جدال إذن في أن التعليم هو السبيل المنقذ من التخلف والانحطاط، لكن لا يجب أن نفرغ التعليم من محتواه الأخلاقي، وإلا فإننا سنواجه كوارث ستكون نتيجتها سلبية على البشرية جمعاء، إذ إنه لو اتجهت كل الدول إلى الاهتمام بالاختراعات والتكنولوجيا المدهشة وغيرها من الأمور الأخرى، فمن الممكن جدا أن نجد من يخترع أشياء تضر بالبشرية. لذا لا بد من استحضار الوازع الديني والأخلاقي كي يشعر الإنسان أنه فعلا أمام مسؤولية تفرض عليه تقديم ما ينفع لا ما يضر.



عبد المعز محمد حباشي
باحث تربية رياضية

الرياضة في الإسلام

الإسلام دين عامر خالد، مقصده الأساسي هو الاهتمام بالإنسان وتهذيبه ورفعته، ولقد اهتم الإسلام بالإنسان في جميع الجوانب؛ الروحية منها والبدنية، على حد سواء، عكس المعتقدات والمجتمعات الأخرى التي اهتمت بجانب على حساب الآخر، فلقد دعا الإسلام إلى الاهتمام بالبدن وقوته فقد قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ (الأنفال:٦٠).

وقال ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»(١).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل».

فالإسلام دين يمجد القوة، ويدعو إلى تنميتها؛ بقصد حماية النفوس وتهذيبها وصيانة الحقوق والأوطان والمجتمعات، وأيضا لأن أغلب تكاليفه وفرائضه تعتمد في أدائها على قوة البدن؛ فالجسم القوي أقدر على أداء تكاليف الإسلام بمختلف أنواعها دون تعب أو نقص.

ومن الأساليب التي دعا الإسلام إلى تنمية القوة البدنية بها الرياضة، وهناك الكثير من الوقائع والأحداث التي تشهد بمكانة الرياضة في الإسلام، فقد كان رسول الله ﷺ قويا يحب القوة، ولا عجب في ذلك، فالإسلام دين قوة وغلبة، فضلا عن كونه شريعة ودستور حياة.

وقد ذكر الشيخ محمد الغزالي ثلاث وقائع تدل على قوة النبي محمد ﷺ وهي:

ذهابه من مكة إلى الطائف ماشيا على قدميه، ولم يكن الطرق ممهدا كما هو الآن، بل وعرا، ومعروف عنه أنه يقع في منطقة كلها جبال وهضاب، ومعنى ذلك أن الرسول ﷺ قد تسلق هذه الجبال في مسيرته تلك، وهذا لا يحدث إلا من شخص قوي البنية.

مشى الرسول ﷺ هو وصاحباه (علي بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة)، رضي الله عنهم أجمعين، ولم تكن هناك أي وسيلة نقل، فكانوا يتبادلون السير والركوب نظرا لوجود راحلة واحدة فقط، فكان اثنان يمشيان والآخر يركب، وقد خجل الاثنان كيف يركبان ويدعان النبي ﷺ يمشي، فرفض النبي ﷺ رفضا باتا بأن يستمر في الركوب، وقال إنكما لستما بأقدر مني على المشي ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر ومشى المسافة المقررة.

وفي غزوة الخندق كان يحفر الرسول ﷺ مع أصحابه، وعندما اعترضتهم صخرة ضخمة إذ عجزوا عن ضربها وتفتيتها، لجأوا إلى الرسول ﷺ، فجاء إليها وضربها بمعوله.

صور الرياضة في الإسلام

صور الرياضة في الإسلام كثيرة، فالتكاليف الإسلامية نفسها يشتمل كثير منها على رياضات لمختلف أعضاء البدن، بالإضافة إلى إفادتها في تغذية الروح واستقامة السلوك؛ فالصلاة مثلا تعمل على تنشيط كل البدن، ويقول عن ذلك صاحب كتاب «الإعجاز الرباني في جسم الإنسان»: «إن الصلاة مصحة ربانية، مصحة بدنية ونفسية، وعصبية، ففيها تتحرك كل عضلة من عضلات الجسم تقريبا، وتحسن عمل القلب وتوسع الشرايين، والأوردة، وتنعش الخلايا، وتنشط الجهاز الهضمي، وتعمل على زيادة مرونة المفاصل وإزالة التيبس، وتقوية الأوتار والأربطة»[٢]، وكذلك الحج وغيرهما من العبادات.

ومن هنا دعني، أخي القارئ، أعرج بك على معنى الرياضة من الناحية اللغوية وحكمها في الإسلام قبل أن نخوض في صور وأنواع الرياضة التي أقرها الإسلام.

الرياضة في اللغة العربية

الرياضة البدنية: القيام بحركات تكسب البدن قوة ومرونة..

ويقال: راض الحيوان: أي ذلله أو دربه. ويقال: راض اللؤلؤ: أي ثقبه[٣].

حكم الرياضة في الإسلام

الحكم العام للرياضة في الإسلام هو أنها جائزة شرعا؛ لأن الأصل في الأشياء الإباحة ولا يحرم شيء إلا بدليل قطعي ثابت، ولا تحرم الرياضة إلا إذا تعدت ممارستها الحدود والآداب التي وضعها الإسلام لها.

وهناك الكثير من الرياضات التي تواضع عليها الناس في هذه الأيام أقرها الإسلام منذ أكثر من ١٤٠٠ عام ومن هذه الرياضات ما يلي:

العدو

هو تدريب على سرعة المشي اهتم به الإسلام لإعداد المسلمين للجهاد ونشر الدعوة والسعي لتحصيل الرزق، وكان ﷺ أسرع الناس مشية، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «ما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ»[٤].

وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «كان النبي ﷺ إذا مشى مشى مجتمعا يعرف أنه ليس بمشي عاجز ولا كسلان»[٥].

وقد سابق النبي ﷺ السيدة عائشة، رضي الله عنها، فسبقته، ثم سابقها بعد ذلك فسبقها فقال هذه بتلك[٦].

السباحة

عن عطاء بن أبي رباح قال: «رأيت جابر بن عبدالله وجابر بن عمير الأنصاري يرميان فمل أحدهما فجلس فقال له الآخر: كسلت؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين - المرمى - وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليمه السباحة»[٧].

الرماية

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي»[٨].

وقد أكد النبي ﷺ على المسابقة بالسهام حيث قال: «وارموا واركبوا، لأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا»[٩]، والمعنى أن تعلم الرمي خير من تعلم الركوب لأن السهم يفيد في مواطن الحرب والسلم.

قال الزركشي: «وينبغي أن تكون المسابقة والمناضلة فرض كفاية؛ لأنهما من وسائل الجهاد وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب، والأمر بالمسابقة يقتضيه».

المصارعة

وهي رياضة تعتمد على جذب اللاعبين أحدهما للآخر من دون إيذاء أي منهما للآخر. ومن المشهورين بالمصارعة في الإسلام محمد بن الحنفية وسمرة بن جندب.

وفي هذا قال سمرة بن جندب رضي الله عنه: «أتت بي أمي المدينة فخطبها الناس، فقالت: لا أتزوج إلا برجل يكفل لي هذا اليتيم.. فتزوجها رجل من الأنصار وكان رسول الله ﷺ يعرض غلمان الأنصار في كل عام فيلحق من أدرك منهم، قال: وعرضت عاما فألحق غلاما وردني، فقلت: يا رسول الله، لقد ألحقته ورددتني ولو صارعته لصرعته.. قال: فصارعه.. فصارعته فصرعته فألحقني»[١٠].

الفروسية

كان العرب ومن قديم الزمان يهتمون بركوب الخيل وتعليم أبنائهم ذلك فكان الصغير منهم عندما يبلغ الثامنة من عمره يكون قد أتقن الفروسية بجميع مهاراتها لما فيها من قوة واستعداد للحرب حتى في الحالات المفاجئة وكذلك للمساعدة فى حالات السلم كما نوه بذلك الله تعالى في قوله: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ

﴿ صُبۡحٗا ٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ٥ ﴾ (العاديات:١-٥).

وكذلك أوصى الله تعالى نبيه ﷺ بإعداد المسلمين للحرب والأخذ بأسباب القوة في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾، ومعنى من رباط الخيل تعهدها بما يحافظ على قوتها ويجعلها في استعداد تام للحرب.

ومنه قول كعب ابن مالك:

أمر الإله بربطها لعدوه
في الحرب إن الله خير موفق
لتكون غيظا للعدو وحيطا
للدار إن دلفت خيول النزق

وروي عنه ﷺ أنه سابق بالخيل كما روى عبدالله بن عباس، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي أضمرت من الحفياء، وأمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وأن عبدالله بن عمر كان فيمن سابق به[11].

رياضة الجولف

وكانت تشبه إلى حد كبير لعبة تسمى «المداحي»، وكانت عبارة عن أحجار كشكل القرصة وتحفر حفرة فترسل تلك الأحجار نحوها، ومن تقع حجارته في الحفرة يكون فائزا. قال الحارث بن رافع: «كنت ألاعب الحسن والحسين بالمداحي».

رفع الأثقال

وكانت تسمى «الربع»، والربع هو حمل الحجر باليد لإظهار القوة، ويسمى الحجر المحمول «المربوع».. والدليل على أن رياضة رفع الأثقال كانت موجودة على عهده ﷺ ما رواه أنس أن النبي ﷺ مر بقوم يربعون حجرا فقال: «ما يصنع هؤلاء؟». قالوا: يرتبعون حجرا يريدون الشدة. فقال النبي ﷺ: «أفلا أدلكم على من هو أشد منه، أو كلمة نحوها، أملككم لنفسه عند الغضب»[12].

المبارزة

وكانت تعرف عند العرب بـ«النقاف»، وهو أصل المبارزة بالسلاح المعروفة في شكلها الحالي، وهو ما رآه ﷺ من رقص الحبشة عندما كانوا عنده، وهو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: «بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله ﷺ بحرابهم، إذ دخل عمر بن الخطاب، فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها، فقال له رسول الله ﷺ: دعهم يا عمر!»[13].

الوثب العالي

وكان يعرف بـ«القفيزي»، حيث كانت توضع عارضة خشبية يتقافزون عليها، ولها نظام خاص لإجادتها[14].

هذه نماذج للرياضة البدنية التي أقرها الإسلام وحث عليها ووضع الآداب العامة لممارستها، والتي تتضح من خلالها مرونة الإسلام وشموله لكل مظاهر الحضارة في الإطار العادل الذي تحصل به منفعة الفرد والمجتمع.

وفي النهاية، أوضح لك، أخي القارئ، أن المسلم يجب أن يتحلى بالإيمان والصبر بجانب قوة البدن؛ لأن قوة البدن وحدها لا تكفي، فربما تتحول من دون الإيمان إلى نقمة بعد أن كانت نعمة، وهنا أذكر لك قول الشيخ الدكتور محمد البهي في توضيح معنى قوله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[15]، حيث قال: «وقوة المؤمن ليست في قوة عضلاته بقدر ما هي في قوة قلبه بالإيمان، وقوة عقله بالمعرفة، وقوة إرادته بالسلوك المستقيم، وهنا يمكن أن يكون قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (الأنفال:٦٥) موضحا لهذه القوة؛ فالصبر، الذي جعل أمارة على القوة حتى يكون العدد القليل المتحلي به أشد تفوقا على العدد الكثير الذي لم يكن له هذا الوصف»[16].

الهوامش

١- مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز، برقم ٦٩٤٥.
٢- انظر: الإعجاز العلمي في جسم الإنسان، د. علي فؤاد علي مخيمر، ص:٣٥٣، دار الجمهورية، ط٢٠١٢م.
٣- انظر: المعجم الوسيط، مادة (ر و ض)؛ والمعجم الرائد، مادة (ر ا ض).
٤- أحمد في مسنده، برقم ٨٩٣٠، وقال إسناده حسن.
٥- البغوي في شرح السنة (٣٢/١٢).
٦- سنن أبي داود، باب: الجهاد، برقم ٢٥٧٨.
٧- الطبراني في الكبير، برقم ١٧٨٥.
٨- سبق تخريجه.
٩- سنن أبي داود، حديث رقم ٢١٩٣.
١٠- السنن الكبرى للبيهقي.
١١- متفق عليه، البخاري، برقم ٤٢٠؛ ومسلم، برقم ١٨٧٠.
١٢- الطبراني في مكارم الأخلاق، برقم ٣٧.
١٣- متفق عليه، البخاري، برقم ٢٩٠١؛ ومسلم، برقم ٨٩٣.
١٤- انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة، ج١، ص:١٣٣.
١٥- سبق تخريجه.
١٦- انظر: محمد البهي، الدين والحضارة الإنسانية، ج١، ص:١١، الأزهر الشريف، مجمع البحوث الإسلامية، ٢٠١٧م.

حوار: علاء الدين حسن
كاتب وصحفي سوري



رعاية البيئة

إذا كان السلام الروحي ضروريا للإنسان؛ فإن أولى مراحل هذا السلام، هي مرحلة السلام مع البيئة، والتعامل معها بروح الصداقة والمودة.

ولتسليط الضوء على البيئة وأهميتها، نلتقي الأستاذة: سماح سعد، ماجستير في البيئة، والمدرسة في ثانوية الأمل الخاصة والثانوية الشرعية في مدينة الحسكة (السورية)، والمهتمة بالشؤون البيئية.

● أهلا وسهلا بك أستاذة سماح، لو أردنا بداية أن نعرف البيئة، ماذا يمكن أن نقول؟

- أشكرك أستاذ علاء، على هذا اللقاء الكريم، وإجابة عن سؤالك أقول: هناك من يعرف البيئة بمعنى الحياة والطبيعة، وهناك من يتصور الجانب السلبي لهذا المفهوم كالأضرار، التلوث، تدهور المعيشة، استنزاف الموارد الطبيعية، الاستهلاك غير العقلاني، الاعتداء على الأراضي الزراعية.

وأمام هذه التصورات المتعددة للجوانب البيئية؛ نسلم بأن لكل مفهوم من هذه المفاهيم علاقة معينة بالبيئة، مع العلم أن الباحثين في قضايا البيئة -قديما وحديثا- يسلمون بأن مفهوم البيئة يساير ضرورة الاعتناء بالطبيعة.

- كلمة البيئة مشتقة من الفعل الرباعي: (بوّأ). يقول الله عزوجل: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف:٧٤). ويقال في اللغة: تبوأت منزلا؛ بمعنى: هيئة، أو المكان، أو الحال.

• واصطلاحا: ماذا تعني البيئة؟

- أول من صاغ كلمة (إيكولوجيا) هو العالم هنري ثورو عام ألف وثمانمئة وثمانية وخمسين، ولكنه لم يتطرق إلى تحديد معناها وأبعادها.

أما العالم الألماني المتخصص في (علم الحياة) أرنست هيكل؛ فقد ذكر كلمة (إيكولوجي) بدمج كلمتين يونانيتين: «المنزل أو المكان الموجود والعلم».

ويعرف الباحث (ريكاردوس)؛ وهو مؤسس جمعية أصدقاء الطبيعة، يعرف البيئة على أنها مجموعة العوامل الطبيعية التي تؤثر على الكائن الحي، أو التي تحدد نظام حياة مجموعة من الكائنات الحية المتواجدة في مكان ما، وتؤلف وحدة إيكولوجية مترابطة.

وتعرف البيئة أيضا على أنها مجموعة العوامل البيولوجية والكيميائية والطبيعية والجغرافية والمناخية المحيطة بالإنسان والمساحات التي يقطنها، والتي تحدد نشاط الإنسان واتجاهاته، وتؤثر في سلوكه ونظام حياته.

• هذا في الاصطلاح، ماذا عن التعريف العلمي للبيئة؟

- من التعريفات العلمية للبيئة، ما قاله البعض: إن للبيئة مفهومين: البيئة الحيوية، وهي كل ما يختص بحياة الإنسان وعلاقته بالمخلوقات الحية، والبيئة الطبيعية التي تشمل موارد المياه، والتربة، والمساكن، والجو والطقس، وغير ذلك من الخصائص الطبيعية.

• التعريفات الدقيقة للبيئة توصلنا إلى أنواعها، هل من إشارة إلى ذلك؟

- في الواقع، يوجد نوعان للبيئة: بيئة مادية (الهواء، الماء، الأرض). بيئة بيولوجية (النباتات، الحيوانات، الإنسان).

• للبيئة -كما هو معروف- أقسام ثلاثة: الطبيعية، الصناعية، والاجتماعية، هل ثمة تأثير متبادل بين الأقسام الثلاثة؟

- نعم، هناك تأثير متبادل بين الأقسام الثلاثة التي أشرت إليها أستاذ علاء، وهي مرتبطة بالتقدم الذي أحدثه الإنسان؛ لذا ينبغي على الإنسان أن يكون عاملا إيجابيا؛ حتى يحافظ على ذاته ومحيطه.

• تتعرض البيئة لغلط تعامل الإنسان معها، أين تتمثل خطورة هذا الغلط بالدرجة الأولى؟

- إذا كانت البيئة هي المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر؛ فإن أول ما يجب على الإنسان تحقيقه حفاظا على هذه الحياة: أن يفهم البيئة فهما صحيحا بكل عناصرها ومقوماتها وتفاعلاتها المتبادلة، ثم يقوم بعد ذلك بعمل جماعي جاد؛ لحماية البيئة وتحسينها، للحصول على رزقه دون إتلاف أو فساد، إلا أن الإنسان ومع كل ما يسمعه من قصص الأمم السالفة وما يراه من انهيار سريع في بيئة الكوكب والنظم الإيكولوجية؛ مازال يساهم في تدهور البيئة وتدميرها، ومن أوجه النشاطات البشرية المسيئة للبيئة: الاكتظاظ السكاني، وقطع الأشجار الذي يؤدي إلى إحداث تغيرات مناخية، وإلى تآكل التربة، وانخفاض جودة الهواء والمياه الصالحة للشرب، وهذا يقود إلى هجرات جماعية، وربما إلى حدوث صراعات على مصادر المياه.

• ما هو دور العلماء والمفكرين والباحثين وأهل الاهتمام إزاء هذه المخاطر؟

- تم تبني مجموعة شروط وأحكام دولية، وأضحت الإجراءات الدولية المتعلقة بحماية البيئة والحفاظ عليها معترف بها قانونيا على الصعيدين المحلي والعالمي، بالإضافة إلى التعاون البناء بين القائمين على المشروعات وعلماء البيئة، وكل مشروع يستهدف استثمار البيئة يجب أن يدرس بواسطة المختصين وفرق من الباحثين؛ ليقرروا ويعملوا على التخفيف من التأثيرات السلبية المحتملة، بالإضافة إلى تنمية الوعي البيئي، وضرورة إصدار قوانين دولية ملزمة لجميع الدول؛ لحماية البيئة، ومعاقبة كل من يقوم بتخريبها.

• لعلنا نتفق -أستاذة سماح- على أن أهم مكون في البيئة هو الإنسان؛ بل لعله العامل الأهم في إحداث التغيير، فمنذ وجوده وهو يتعامل بشكل مباشر ويومي مع مكونات البيئة، ولقد امتدت يد الإنسان -للأسف الشديد- إلى قطع الأشجار على نطاق واسع، وهذا تصرف جائر وغير جائز، فهو يحول الأرض الخضراء إلى عشوائية واضحة، وخاصة فيما يتعلق ببناء المصانع والأبنية بشكل مكثف.. إلى أي مدى يؤدي هذا التصرف إلى الإخلال بتوازن النظم البيئية، وإلى أي درجة ينعكس أثر ذلك على

الحياة والمجتمع وعلى الإنسان نفسه؟

- أستاذ علاء! نتيجة للتصنيع والتكنولوجيا الحديثة ظهرت آثار خطيرة جدا في البيئة؛ فانطلاق الأبخرة والغازات وإلقاء النفايات أدى إلى اضطراب السلاسل الغذائية، وانعكس ذلك على الإنسان الذي أفسدت الصناعة بيئته، وجعلتها في بعض الأحيان غير ملائمة لحياته، كما يتضح ذلك في تلويث المحيط المائي؛ فهي ترتبط بحياة الإنسان بعلاقات مباشرة وغير مباشرة، من أمطار ونبات وحيوان، والتلوث الجوي سببه هو ما يصدر عن المصانع ووسائل النقل والأدوات المشعة، وتلوث التربة يحصل نتيجة استعمال المبيدات والأسمدة على نطاق واسع؛ فينعكس ذلك على الكائنات الحية (النبات والحيوان)، ويؤدي إلى انقراض الكائنات الحية؛ الأمر الذي ينعكس أثره على الإنسان في نهاية المطاف.

• ما دور الإيمان المتلازم مع العمل الصالح هنا؟ أليس على هذا الأساس يتم الحفاظ على البيئة؟

- الإيمان الذي يتلازم بطبيعته مع العمل الصالح، له دور كبير في الحفاظ على البيئة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ما قد أعده الله تعالى للمؤمنين الذين يحرصون على العمل الصالح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾(الكهف:١٠٧).

والعمل الصالح -كما تعلم أستاذ علاء- هو كل عمل نقصد به وجه الله، وهو مبني على يقظة الضمير، ويهدف إلى كل خير.

• أشرنا في سياق هذه المحاورة إلى أهمية الماء، الماء حياة، ما هي ضوابط التعامل مع الماء باعتباره من أهم موارد البيئة؟

- مشكلة نقص المياه هي من أهم القضايا التي تركز عليها منظمات حقوق الإنسان، ومن أهم الحلول والإستراتيجيات في هذا السياق: التعليم والتوعية من أجل التقليل من استنزاف المياه العذبة، وابتكار تقنيات جديدة للحفاظ على مصادر المياه وتطويرها، وتجنب الإسراف في استخدام المياه المخصصة للري وتطوير محطات تنقية موفرة للطاقة الشمسية، بالإضافة إلى تطوير أنظمة تجميع مياه الأمطار للمناطق التي تعاني من شح المياه، والتقليل من استخدام المياه في الصناعة، ومعالجة تلوث المياه، والتخفيف من آثار التغيرات المناخية، وتطبيق إدارة شاملة بناء على نهج علمي وعملي؛ للإشراف على جميع الموارد المائية الطبيعية.

• التلوث البيئي، لا شك هو خطر جدا؛ ما هو هذا التلوث؟ وما أقسامه؟

- التلوث البيئي: هو كل تغيير يطرأ على الصفات الفيزيائية أو الكيميائية أو البيولوجية لهذا الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، ويؤثر سلبا على صحته، أو يؤثر على ما يربي من حيوانات، أو ما ينمي من موارد زراعية.

وينقسم التلوث إلى قسمين، هما:

التلوث المادي: مثل الهواء والماء والتربة.

التلوث غير المادي: مثل التلوث السمعي كالضوضاء؛ مما يسبب ضجيجا يؤثر على أعصاب الإنسان، وإلى حدوث إصابة قد تؤدي إلى الصمم، بالإضافة إلى التلوث الثقافي والفكري، والتلوث البصري..

• كيف يمكننا الحماية من تلوث الهواء والتربة والضجيج وغيرها من أنواع التلوث؟

- يمكن حماية البيئة من التلوث عبر القيام ببعض الأمور الصائبة، مثل: عدم حرق النفايات وخاصة الكيميائية، وعدم رمي أعقاب السجائر على الأرض، فعقب السيجارة يمكن أن يبقى على الأرض لمدة تصل إلى خمس وعشرين سنة دون أن يتحلل، كما تحتوي هذه الأعقاب على مواد كيميائية شديدة السمية قابلة للذوبان، وهي -أي السجائر- أحد أهم أسباب الحرائق على المستوى العالمي.

ولحماية البيئة أيضا: علينا تفقد المركبات، والتأكد من صلاحيتها، وممارسة رياضة المشي كبديل لركوب السيارة، والتخفيف قدر الإمكان من المبيدات السامة، وترشيد استخدام المياه، والتركيز على زراعة الأشجار.

• نعلم بأنه تم تخصيص يوم واحد للبيئة في كل عام، هل هذا كاف؟

- لا شك أن تخصيص يوم واحد للبيئة في كل عام غير كاف؛ فنحن نحتاج إلى أن نجعل كل أيام الحياة أياما لرعاية البيئة وحمايتها.

• أخيرا: الكلمة لك أستاذة سماح في نهاية هذا اللقاء..

- إن الإشراف الجيد على البيئة ليس مسؤولية شخصية وحسب؛ بل هو قيمة عامة، وواجبنا يتمثل في استخدام الأرض بشكل جيد، وإعمارها بالشكل الذي دعا إليه القرآن الكريم.



استطلاع:
علاء عبد الفتاح

سوق الخيام ينتعش وروّاد البرِّ يستبشرون

عندما تعود الحياة إلى طبيعتها بعد خفوت الابتلاء ووصول البلاد إلى مناعة مجتمعية وبر للأمان، تنشط الأسواق التي كانت شبه مهجورة كسوق الخيام بمنطقة الري بالكويت، حيث ورش صناعة الخيام بمختلف قياساتها وألوانها وطرزها وبعد قرار السماح بالتخييم في البرِّ في الفترة من ١٥ نوفمبر ٢٠٢١ إلى ١٥ مارس ٢٠٢٢ ينتعش هذا السوق وتدب الحياة في أوصاله من جديد،الوعي الإسلامي زارت سوق الخيام والتقت ببعض رواده، فهذه الصناعة التي تمتُّ للأصالة والتراث بصلة كبيرة لا تجدها إلا مقابل سوق الجمعة وبالقرب من طريق المطار رقم (٥٥) عندما تصعد بسيارتك إلى طريق تم تمهيده أخيرا ليصل بك إلى



مدخل السوق الذي يتخذ شكل مربع ينقصه ضلع واحد، على اليمين وعلى اليسار تلاحظ العمال وأغلبهم من الجنسية الباكستانية يفردون الأقمشة المتينة التي تتحمل شدة الشمس صيفا والأمطار الشديدة في بداية الشتاء، ثم يبدؤون في أخذ المقاسات وتقطيع الأطوال المطلوبة ومن ثم حياكتها على ماكينات خاصة.

سامي جاد مشرف إحدى هذه الورش يستقبلنا ويمدنا ببعض النصائح التي لا غنى لروّاد البر عنها، يقول:

عندما يهل فصل الصيف وتحديدا بعد انتهاء موسم التخييم يأخذ كثير من العمال عطلتهم السنوية ويعودون إلى بلادهم ولا يتبقى في السوق إلا النذر القليل وهذه فرصة لمن أراد أن يشتري خيمة بسعر أقل من المعتاد أثناء الموسم، نسأله: معنى ذلك أن الشركات تخسر طوال فترة الصيف؟

فيقول: نعم، يقل النشاط المعتاد لكن هناك من يرغب في صناعة ديوانية يضعها في حديقة منزله أو فوق سطح البيت، ونسأله عن الأسعار فيقول: الأسعار تتراوح ما بين ٢٥ دينارا للمتر المربع و٤٥ دينارا وفقا لعدد طبقات الخيمة الديوانية فقد تكون ثلاث أو خمس أو سبع طبقات.

هذه الطبقات تعزل الحرارة والصوت ولا تظهر الهيكل الحديدي ويمكن تركيب إضاءات مختلفة عليها ووحدة تكييف بالإضافة إلى النوافذ والأبواب، فكأنك تقطن ببيت مستقل، ونتوجه معه إلى نموذج للديوانية منصوبة بالفعل في مدخل مقر عمله ونتلمس صدق ما قاله بأنفسنا، فالديوانية تكاد تكون غرفة مستقلة مؤثثة ومكيفة ولكن سعرها ربما يتعدى ألف دينارا.

يؤذن المغرب ونسأله عن المسجد القريب فيشير إلى خيمة كبيرة بنظام الديوانيات أوقفها أصحاب الورش الخيرون لله وبزيارتها نتأكد من أن المهارة التي شيدت ديوانية بهذا الحجم لن تعجز عن الصمود أمام متقلبات السوق.

نجم الدين، رغم عمله المتخصص في زيارة معالم الكويت ومتابعة كل جديد إلا أنه يخبرنا بطزاجة معرفته لهذا السوق، وكان يبدي اندهاشه من هذا المكان الذي يعج بالعمل في طقس شديد الحرارة، يقول الرجل المصطحب ابنه معه ليدله على هذا المعلم الذي يفوح برائحة بيوت الشعر والبداوة الأصيلة: من الغريب أن العمالة الباكستانية هي الأغلبية هنا رغم أن صناعة الخيام صناعة عربية من الطراز الأول! كما ان الأسعار فوق قدرة محدودي ومتوسطي الدخل وهنا نعرف من العمال أن الخيام الهندية والباكستانية يتراوح سعرها ما بين ١٥٠ دينارا إلى أربعمائة دينارا حسب حجمها وهي أسعار مناسبة إلى حد ما، كما أن البعض يأتي بخيمه القديمة لكي يصلح عيوبها ويعيد استخدامها مرة أخرى.

ينشط سوق الخيام ويستعد رواد البر لاستقبال الموسم ببشر وابتهاج.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث





سلسلة الأعلام المتشابهة (٦٠)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (ابن خيران)

١- أبو علي بن خيران الكبير (ت: ٣٢٠هـ)

هو أبو علي الحسين بن صالح ابن خيران البغدادي، أحد أئمة المذهب، قال الخطيب: كان من أفاضل الشيوخ وأماثل الفقهاء، مع حسن المذهب وقوة الورع، وأراد السلطان أن يوليه القضاء فامتنع واستتر، وسمر بابه لامتناعه[١].

٢- ولي الدين بن خيران (ت: ٤٣١هـ)

هو ولي الدين أبو محمد أحمد ابن علي بن خيران المصري، الملقب بولي الدولة، صاحب ديوان الإنشاء للظاهر ثم للمستنصر، بمصر. من مصنفاته: (ديوان شعر) صغير، و(مجموع رسائل)[٢].



٣- أبو الحسين بن خيران

هو أبو الحسين علي بن أحمد بن خيران البغدادي.

درس عليه الشيخ أبو أحمد عبدالوهاب ابن محمد البغدادي. من مصنفاته: (اللطيف) في الفقه الشافعي، وهو دون (التنبيه)، كثير الأبواب جدا، يشتمل على ألف ومائتي باب وتسعة أبواب، ولم يرتبه المصنف الترتيب المعهود، حتى إنه جعل الحيض في آخر الكتاب، ونقل فيه في كتاب الشهادات عن ابن خيران الكبير[٣].

المتفق والمفترق في اسم (المطيعي)

١- المطيعي (ت: ١٣٤٨هـ)

هو فوزي باشا ابن جورجي المطيعي، وزير، من رجال القانون بمصر. تخرج بمدرسة الحقوق في القاهرة، وعين مستشارًا بمحكمة الاستئناف الأهلية، ثم وزيرًا للزراعة.

من مصنفاته: (كنز الإصلاح في شرح قانون المتشردين وحمل السلاح)، و(شرح قانون العقوبات الجديد)، توفي في شهر حزيران[٤].

٢- محمد بخيت المطيعي (ت: ١٣٥٤هـ)

هو محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي، مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهائها.

ولد في بلدة المطيعة من أعمال أسيوط سنة: (١٢٧١هـ)، وتعلم في الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه، وانتقل إلى القضاء الشرعي، وعين مفتيًا للديار المصرية.

من مصنفاته: (إرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمة)، و(أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدع من الأحكام)، و(حسن البيان في دفع ما ورد من الشبه على القرآن)، و(إزاحة الوهم في مسألتي الفونوغراف والسكورتاه)، و(الكلمات الحسان في الأحرف السبعة وجمع القرآن)، و(القول المفيد في علم التوحيد)، و(الأجوبة المصرية عن الأسئلة التونسية)، و(البدر الساطع على جمع الجوامع) في أصول الفقه. توفي بالقاهرة[٥].

٣- محمد نجيب المطيعي (ت: ١٤٠٧هـ)

هو محمد نجيب بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد بن بخيت المطيعي الطوابي.

ولد بالطوابية من قرى مصر سنة: (١٣٤٠هـ) ونشأ بها، ثم انتقل إلى الإسكندرية، ثم إلى السودان وعمل رئيساً لقسم السنة وعلوم الحديث بجامعة أم درمان، ثم انتقل إلى السعودية فعمل عميداً في معهد أبي بكر الصديق في جدة، من أهم شيوخه: الشيخ محمد حبيب الشنقيطي، والشيخ محمد علوي عباس المالكي، من مصنفاته: (تكملة المجموع شرح المهذب)، و(تاريخ النقود الإسلامية)، و(صلة السنة بالقرآن)، و(البخاري المفترى عليه)، و(أحكام التصوير في الإسلام)، و(درة الناصحين على أبشار اللامذهبين)، توفي بجدة في السعودية، ودفن بالبقيع بالمدينة المنورة[٦].

الهوامش

١- انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٩٢/١) وطبقات الشافعية الكبرى (٢٧١/٣)

٢- انظر: معجم الأدباء (٥/٤) والأعلام للزركلي (١٧٢/١) ومعجم المؤلفين (٧/٢).

٣- انظر: طبقات الفقهاء لابن منظور (ص: ١١٧) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١٤١/١)

٤- انظر: الأعلام للزركلي (١٦٣/٥) ومعجم المؤلفين (٨٢/٨).

٥- انظر: الأعلام للزركلي (٥٠/٦) ومعجم المؤلفين (٩٨/٩).

٦- انظر: موقع ويكيبيديا.



هشام الصباغ
باحث لغوي

الفقيه المستنير
الشيخ حسن مأمون

■ فقيه مستنير صاحب جهود إصلاحية مؤثرة ونبوغ وتفوق علمي في أمور الدين والدعوة، قضى معظم حياته الوظيفية قاضيا يستعرض أدلة فقهاء المذاهب الفقهية المختلفة، وكان ذا بصيرة ملهمة في فقه النصوص الشرعية والإلمام بمقاصد التشريع ومعرفة أنماط الفتوى وأسباب تنوعها.

■ مصري الجنسية، قاهري المولد والنشأة، أزهري التعليم.. ولد لبيت من بيوت العلم والسيادة.. فوالده من علماء الدين ذائعي الصيت غزيري العلم كريمي الأخلاق، كان إماما لملكي مصر)فاروق ومن بعده فؤاد)؛ إذ كان إماما لمسجد الفتح بقصر عابدين الذي يؤدي فيه ملك مصر الصلاة.. وقد ورث الابن أباه في العلم والأخلاق والشهرة والتصدر والقيادة والإمامة.

■ بضمير القاضي النزيه، والعالم الخبير، والفقيه الرشيد، عاش حياته في ثبات واتزان، تحفه محبة الناس وتقديرهم؛ عامتهم وخاصتهم.. ورغم قضائه معظم حياته بعيدا عن الأزهر، فإن الأزهريين جميعهم اجتمعوا على حبه وتقديره وتوقيره، إذ كان لا يتعاطى معهم إلا مرتديا عباءة القاضي دون النظر لصفة من أمامه ووصفه؛ فكلهم عنده سواء أمام ميزان الحقوق والواجبات.

■ اشتهر بمكانته العلمية وأخلاقه الحميدة وإلمامه بالمعرفة الفقهية، ما جعل الأنظار تلتفت إليه حتى عين قاضيا لقضاة السودان بمرسوم ملكي صدر في عام ١٩٤١م.

■ كان يجد لذة كبرى في الدراسات الفقهية، تنسيه ما يتعرض له من أمراض وآلام، وحينما أثقلته أعباء الشيخوخة وتناوشته أمراضها، ترك مسؤولياته وتفرغ للعبادة والعلاج.. إنه مفتي الديار المصرية والإمام الأكبر للأزهر الشريف الشيخ الفقيه المستنير حسن مصطفى مأمون.

المولد والنشأة

■ خرج إلى الحياة في أيام هي الأفضل عند الله، إذ ولد مع خواتيم الأيام العشرة الأولى لذي الحجة من عام ١٣١١هـ الموافق لعام ١٨٩٤م، بحي الخليفة في القاهرة.

■ منذ صغره عني والده بتربيته تربية دينية قويمة؛ فحفظ القرآن الكريم وجوده، وفي بداية حياته التحق بالأزهر الشريف ودرس فيه: التفسير، والحديث، والتوحيد، والتصوف، والفقه، وأصوله، وعلم الكلام، والنحو، والصرف، والعروض، والمعاني والبيان، والبديع والأدب، والتاريخ، والسيرة النبوية.

■ وفي الأزهر درس على يد كبار مشايخ عصره، الذين وجدوا فيه ذهنًا متفتّحًا، وقريحة متوقّدة، وعقليّة قضائيّة ظهرت بشائرها في بواكير شبابه، وقد آثر دراسة العلوم الفقهيّة، وأحبّه أستاذته وأحبّهم وتنبؤوا له بمستقبلٍ زاهر في القضاء.

■ بعد أن أنهى دراسته الأزهرية اتجه إلى مدرسة القضاء الشرعي، التي كانت غصنا يانعا في دوحة الأزهر الشريف، حرص القائمون عليها على اختيار أفضل الأساتذة المتازين للتدريس بها، وجذبوا إليها صفوة طلاب الأزهر، وقد أقبل الشيخ على الدراسة بها، حتى تخرّج فيها سنة ١٩١٨م.. وكان إلى جانب إتقانه للغة العربية ملما باللغة الفرنسية فجمع بذلك بين الثقافتين العربية والفرنسية.

حياته العملية

■ بعد تخرجه في مدرسة القضاء الشرعي تنقل الشيخ مأمون بين مختلف المحاكم الشرعية بمصر، فعين بداية موظفا بالقضاء الشرعي في محكمة الزقازيق في محرم عام ١٣٣٨هـ، ثم نقل في شوال من العام نفسه إلى محكمة القاهرة الشرعية، وفي رجب من العام التالي تمت ترقيته إلى قاضٍ من الدرجة الثانية ونُقِل إلى محكمة طنطا الشرعية.

■ وفي جمادى الآخرة من عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، نقل إلى محكمة مصر الشرعية، ثم تمت ترقيته إلى قاض من الدرجة الأولى في الشهر نفسه، ثم إلى قاض عام أول فبراير عام ١٩٣٩م.

■ شهرته العلمية وفضائله الخلقية ومعارفه الفقهية كانت كفيلة بلفت الأنظار إليه، ولذا فإنه ظل يترقى في القضاء الشرعي حتى صدر مرسوم ملكي بتعيينه قاضيًا لقضاة السودان في عام ١٣٥٩هـ/١٩٤١م.

■ بعد ٦ سنوات قضاها في السودان عاد إلى القاهرة ليعيين رئيسًا لمحكمة

القاهرة الشرعية الابتدائية، ثم تمت ترقيته إلى عضو في المحكمة الشرعية العليا عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م، ثم أصبح نائبًا لها في عام ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، ثم عُيِّن رئيسًا للمحكمة الشرعية العليا في عام ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

■ لما قربت سن إحالته إلى المعاش قام مجلس الوزراء بمد عمله سنة أخرى بناءً على طلب وزير العدل وذلك للحاجة الماسة إليه.. وفي عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م اقترح وزير العدل على مجلس الوزراء إسناد منصب المفتي إلى فضيلته فوافق المجلس، وتقلد الشيخ منصب المفتي وظل فيه لمدة سنتين اعتبارا من ٨ من رجب ١٣٧٤هـ/ الأول من مارس سنة ١٩٥٥م، إلى أن صدر قرار جمهوري (رقم ٢٤٤٤ لسنة ١٩٦٤م) بتولي فضيلته مشيخة الأزهر.

توليه المشيخة

■ اعتلى الشيخ مأمون كرسي مشيخة الأزهر خلفًا للإمام الشيخ محمود شلتوت، فعمل جاهدًا على إعلاء شأن الأزهر، وإزالة المصاعب التي كانت تعترضُ طريقه وتعوقُ تقدُّمه، بعد أنْ صدر القرار الجمهوري في ٢٦ يوليو ١٩٦٤م، وكان القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م، الخاص بإصلاح الأزهر قد سار خُطوات في سبيل التنفيذ، فقاد الإمام هذه الحركة الإصلاحية في رفقٍ ولين، وذلّل كثيرًا من العقبات التي اعترضت طريق التطوير، كما سخّر قلمه ولسانه لحركة الإصلاح، وكان ممّن أحبوا الإمام محمد عبده، وآثروا منهجه في البحث والدرس، وطبق هذا المنهج ونفّذه بكلِّ دقة وأمانة.

فقه الإمام

■ فقه الإمام بين يتضح فيما أصدره من فتاوى، وفيما كتبه في الموسوعة الفقهيّة التي يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة: لا يتقيّد بمذهب معيّن، فهو يلتمسُ الحقيقة أنّى وجدها في أقوال بعض الصحابة أو التابعين، ويؤيِّد رأيه بعد ذلك بالأدلّة عقلاً ونقلاً.

مواقف

■ كان للإمام العديد من المواقف والآراء التي عكست روحه الجهادية والوطنية، وكان دينه أشدّ سلطانًا عليه من متع الدُّنيا ومناصبها الزائلة، فقد حارب الاستعمار في السودان من خلال دروسه وخطبه هناك، ونافح عن الدين واشتد في الرد على من يدعون إلى المذاهب الحديثة، لا سيما من اتخذوا من مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية -يومئذ- منصة للترويج للاشتراكية يخطبون ود مسؤولين، فقام مغضبا وأعلنها مدوية في المؤتمر أن الاشتراكية وغيرها ليست من روح الإسلام مع يقينه بأن تصريحه هذا سيثير غضب المسؤولين، ولكنه كان لا يخشى في لله لومة لائم.

نيابة وأوسمة

■ في عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م عين فضيلته عضوا بمجلس الأمة (مجلس الشعب)، كما تولى رئاسة مجلس إدارة مسجد الإمام الشافعي وظل محتفظا بهذا المنصب حتى وفاته..

■ كما منح وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ومنح اسمه وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى بعد وفاته عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣ م، بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر.

مجهوده العلمي

■ امتلأت حياة الإمام حسن مأمون بالنشاط البحثي والثراء العلمي، ترك خلالها مجموعة من المؤلفات المتنوعة تنوعت بين دراسات وأبحاث فقهية، كما أشرف الإمام على الهيئة العلمية القائمة على تصنيف الموسوعة الفقهية الكبرى التي يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وكتب وراجع بعض موادها الفقهية، وترك ثروة عظيمة من العلم والمعرفة نذكر منها على سبيل المثال: «الفتاوى» (أصدر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الجزء الأول منه، وطبعته دار التحرير للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٦٩، والجزء الثاني لدى أنجال الإمام معد للطبع)، «دراسات وأبحاث فقهية متنوعة» (نشرها الإمام، صدر منها بضعة عشر جزءا)، «السيرة العطرة» (سلسلة أبحاث كتبها الإمام وأذاعها، طبع منها البعض والآخر ما زال مخطوطا)، «الجهاد في الإسلام» (دراسات كتبها الإمام منها تسع مقالات مكتوبة ولكن لم تنشر)، «تفسير موجز لسور: الضحى والانشراح.. والقدر» (لم ينشر).. وغير ذلك الكثير.

مساهمته مع «الوعي»

■ كان لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون مشاركتان مع مجلة «الوعي الإسلامي»، جاءت الأولى مع إشراقة المجلة الأولى وحملت عنوان: «تحية وتوجيه»، فيما كانت الثانية مع العدد ٢٢ وكانت تحت عنوان: «تحية رمضان».

وفاته

■ في يوم ٢٧ من ربيع الثاني ١٣٩٣هـ الموافق ٢٩ من مايو ١٩٧٣ لبى الإمام حسن مأمون نداء ربه، ووافته المنية بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال.

المصادر

- كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- دار الإفتاء المصرية.
- الأزهر في ألف عام.
- موقع معرفة.



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

كتاب السنن الكبرى

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

ويأتي «كتاب السنن الكبرى» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بكتاب السنن الكبرى

وهو موسوعة حديثية جمعها الإمام البيهقي، مرتبة على أبواب الفقه.

التعريف الإمام البيهقي

هو الحافظ العلامة، الثبَت الفقيه، شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني؛ ولد في شعبان، سنة: أربع وثمانين وثلاثمائة (٣٨٤ هـ).

مؤلَّفاته

له عِدَّة مؤلفات نذكر منها:
كتاب: السنن الكبرى في عشرة مجلدات، وكتاب: السنن والآثار في، وكتاب: الأسماء والصفات في مجلدين، وكتاب: المدخل إلى السنن الكبرى، وكتاب: مناقب الشافعي، وكتاب: مناقب أحمد، وكتاب فضائل الصحابة...

سبب تأليف كتاب السنن الكبرى

قال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي غفر الله له ولوالديه: ... وإنما أشرت في هذا الكتاب إلى ما يظهر منه مرادي، ويتَّضح به مقصودي، وهو أنِّي منذ نشأت وابتدأت في طلب العلم أكتبُ أخبار سيدنا المصطفى ﷺ وعلى آله أجمعين، وأجمَعُ آثار الصحابة الذين كانوا أعلامَ الدين، وأسمَعُها ممَّن حمَلَها، وأتعرَّف أحوال رواتها من حُفَّاظها، وأجتهد في تمييز صحيحها من سقيمها، ومرفوعها من موقوفها، وموصولها من مرسلها، ثم أنظر في كتب هؤلاء الأئمة الذين قاموا بعلم الشريعة وبنَى كلُّ واحد منهم مذهبَه على مبلغ علمه من الكتاب والسُّنة، فأرى كل واحد منهم رضي الله عنهم جميعهم قصدَ الحق فيما تكلَّف، واجتهد في أداء ما كلف...، ثم خرَّجت بعونِ الله عز وجل سننَ المصطفى ﷺ وما احتجنا إليه من آثار أصحابه رضي الله عنهم، على هذا الترتيب، في أكثر من مائتَي جزء بأجزاء خِفاف، وجعلت له مدخلًا في اثنَي عشر جزءًا؛ ليَنظُر إن شاء في كلِّ واحد منهما مَن أراد معرفة ما عرفته من صحة مذهب الشافعي رحمه الله على الكتاب والُسنة... فمن خلال هذا النص يتَّضِحُ بجلاء سببُ تأليف الإمام البيهقي لكتبه بصفة عامة، فذكر فيه أنه منذ نشأته ٍوهو يهتمُّ بالحديث، يميز صحيحه من سقيمه، ثم ينظر فيما ذكره أصحاب المذاهب، من حيث مدى ارتباط اجتهاداتهم بالنص الشرعيِّ، فاقتنع في الأخير بمذهب الشافعي؛ لكونه الأكثر ارتباطًا بالنص الشرعيِّ من الكتاب والسُّنة.

المحتوى العام لكتاب السنن الكبرى

قسم الإمام البيهقي كتابه السنن الكبرى إلى اثنين وسبعين (٧٢) كتابًا، مرتبة على أبواب الفقه المعهودة عند الفقهاء، حيث افتتح كتابه بكتاب الطهارة، وثنَّى بمجموعة من الكتب اندرجت كلُّها تحت قسم العبادات؛ من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، حيث إن العَلاقة واضحة بين كتاب الطهارة وكتاب الصلاة الذي جاء بعده؛ من حيث كون الأولى وسيلةً إلى الثانية، فقُدِّمت عليها تنظيرًا وتطبيقًا، كما أه قدم الصلاة على غيرها من العبادات اقتداءً بالقرآن الكريم، وبحديث النبي ﷺ الذي جمع أركان الإسلام. ثم جاء بعده قسم المعاملات الذي اشتمل في مُجمَلِه على المعاملات المالية، والأسرية، والجنائية، والقضائية.

عدد أحاديث كتاب السنن الكبرى

بلغ عدد أحاديث هذا الكتاب النفيس - حسب طبعة دار الكتب العلمية، بتحقيق عبدالقادر عطا- (٢١٨١٢) حديث.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذه الموسوعة النفيسة، والتي تتألف من (١١) مجلدا، وهي في متناول قراءها الكرام المهتمين بكتب الحديث النبوي.

المصادر:

كتاب السنن الكبرى.
سير أعلام النبلاء.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

❖ إعداد / تركي محمد النصر

إذا أراد اللّه بعبد خيرا

قال العلامة ابن القيم رحمه اللّه: إذا شرح اللّه صدر عبده بنوره الذي يقذفه في قلبه؛ أراه في ضوء ذلك النور حقائق الأسماء والصفات التي تضل فيها معرفة العبد، إذ لا يمكن أن يعرفها العبد على ما هي عليه في نفس الأمر، وأراه في ضوء ذلك النور حقائق الإيمان، وحقائق العبودية، وما يصححها وما يفسدها. وتفاوت معرفة الأسماء والصفات والإيمان والإخلاص وأحكام العبودية بحسب تفاوتهم في هذا النور.

(**انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ١/١٠٨**)

من درر أبي حازم رحمه اللّه

قال سفيان بن عيينة، عن أبي حازم رحمهما اللّه:

❖ اشتدت مؤونة الدين والدنيا.

قيل: وكيف ذاك يا أبا حازم؟

قال: أما الدين فلا تجد عليه أعوانا، وأما الدنيا فلا تمد يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه.

❖ وقال عنه أيضا: ليس للملوك صديق، ولا للحسود راحة، والنظر في العواقب تلقيح للعقول.

❖ وقال عبيد اللّه بن عمر، عن أبي حازم: لا تكون عالما حتى يكون فيك ثلاث خصال: لا تبغي على من فوقك، ولا تحقر من دونك، ولا تأخذ على علمك دنيا.

❖ وقال يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم: ما أحببت أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم، وما كرهت أن يكون معك في الآخرة، فاتركه اليوم.

❖ وقال رحمه اللّه: انظر كل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى مت.

❖ وقال رحمه اللّه: يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة.

❖ وقال رحمه اللّه: انظر الذي يصلحك فاعمل به وإن كان ذلك فسادا للناس، وانظر الذي يفسدك فدعه وإن كان ذلك صلاحا للناس.

❖ وقال رحمه اللّه: شيئان إذا عملت بهما أصبت خير الدنيا والآخرة، لا أطول عليك.

قيل: ما هما يا أبا حازم؟

قال: تحمل ما تكره إذا أحبه اللّه، وتترك ما تحب إذا كرهه اللّه.

(**انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٢/٢٧٦**)

وصف أخلاق أهل الوفاق

❖ فلان خلقه كنسيم الأسحار على صفحات الأنوار.

❖ أخلاق قد جمعت الحرية أطرافها، وفرشت المروءة أكنافها.

❖ أخلاق تجمع الأهواء المتفرقة على محبته، وتؤلف الآراء المشتتة في مودته.

❖ أخلاق هي المسك لولا فأرته، والورد لولا مرارته، والماء لولا إسراعه إلى الكدر، والروض لولا حاجته إلى المطر.

❖ قد جمع شرف الأخلاق إلى طيب الأعراق.

(انظر: غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص **الفاضحة، للوطواط: ١/٣٢**)

الدعاء برد القضاء

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه اللّه: من جاد على عباد اللّه؛ جاد اللّه عليه بالعطاء والفضل، والجزاء من جنس العمل.

(**انظر: لطائف المعارف: فيما لمواسم العام من الوظائف: ١/١٦٧**)

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

الأربعون النووية

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: دعاء (اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه).
هذا دعاء بدعي باطل؛ لأن معناه أنه مستغن، أي: افعل ما شئت ولكن خفف، وهذا غلط.
فالإنسان يسأل الله عز وجل رفع البلاء نهائيا، فيقول: اللهم عافني، اللهم ارزقني، وما أشبه ذلك.
(انظر: شرح الأربعين النووية: ص/٦٦)

ذكر اللّه يقمع الشيطان

قال العامة ابن القيم رحمه الله: ذكر الله يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه، كالسياط والمقامع التي تؤذي من يضرب بها، ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيلا ضئيلا مضنى؛ مما يعذبه ويقمعه به من ذكر الله وطاعته.
وفي أثر عن بعض السلف: أن المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي الرجل بعيره في السفر؛ لأنه كلما اعترضه صب عليه سياط الذكر والتوجه والاستغفار والطاعة، فشيطانه معه في عذاب شديد، ليس بمنزلة شيطان الفاجر الذي هو معه في راحة ودعة، ولهذا يكون قويا عاتيا شديدا.
فمن لم يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر الله تعالى وتوحيده واستغفاره وطاعته؛ عذبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار، فلا بد لكل أحد أن يعذب شيطانه أو يعذبه شيطانه.
(انظر: بدائع الفوائد: ٢/٢٥٦)

لا تستبطئ الإجابة إذا دعوت

❖ من سعادة المرء أن يكون خصمه فهما، وخصمي لا فهم له. قيل له: ومن خصمك؟ قال: نفسي تبيع الجنة بما فيها من النعيم المقيم بشهوة ساعة.
❖ للتائب فخر لا يعادله فخر؛ فرح الله بتوبته.
❖ لا تستبطئ الإجابة إذا دعوت، وقد سددت طرقاتها بالذنوب.
❖ الليل طويل فلا تقصره بمنامك، والنهار نقي فلا تدنسه بآثامك.
❖ استسلم القوم عندما فهموا.
❖ رضي الله عن قوم فغفر لهم السيئات، وغضب على قوم فلم يقبل منهم الحسنات.
(انظر: صفة الصفوة، لابن الجوزي: ٢/٢٩٢)

الدعاء خير من اللقاء

قال هرم بن حيان لأويس القرني: صلنا بالزيارة.
فقال له أويس: قد وصلتك بما هو خير من الزيارة واللقاء، بالدعاء بظهر الغيب، إن الزيارة واللقاء ينقطعان، والدعاء يبقى ثوابه.
(انظر: تاريخ دمشق: ٩/٤٤٩).

ذكر اللّه يقمع الشيطان

قال العامة ابن القيم رحمه الله: ذكر الله يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه، كالسياط والمقامع التي تؤذي من يضرب بها، ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيلا ضئيلا مضنى؛ مما يعذبه ويقمعه به من ذكر الله وطاعته.
وفي أثر عن بعض السلف: أن المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي الرجل بعيره في السفر؛ لأنه كلما اعترضه صب عليه سياط الذكر والتوجه والاستغفار والطاعة، فشيطانه معه في عذاب شديد، ليس بمنزلة شيطان الفاجر الذي هو معه في راحة ودعة، ولهذا يكون قويا عاتيا شديدا.
فمن لم يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر الله تعالى وتوحيده واستغفاره وطاعته؛ عذبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار، فلا بد لكل أحد أن يعذب شيطانه أو يعذبه شيطانه.
(انظر: بدائع الفوائد: ٢/٢٥٦)





إعداد: التحرير

القابضون على الجمر (تجربة شخصية)

ادركت يقينا أن حبيبي وشفيعي محمد ﷺ لا ينطق عن الهوى وأنه لا شيئ في حياة الأولين والأخرين إلا و ذكرها الحبيب ﷺ بدى ذلك واضحا عندما خرجت من منزلنا لأول مرة لاكتشاف العالم الخارجي من خلال العمل حيث رغبت أنا ووالداي في تغيير نمط حياتي الرتيب الخالي من أي جديد تحمست بكل طاقتي لاستقبال هذا الحدث الجديد وما إن وصلت الى العمل حتى انطفأت روحي كما لم يحدث من قبل لم يكن العمل في حد ذاته معوقا لي فقد استقيت إتقان العمل وتربيت عليه منذ نعومة أظافري وهذا كله من فضل الله علي ثم بفضل والداي الحبيبان ولكن ما تفاجأت به ولم أحسب له حسبانا هو الأخلاق المنهارة و سوء المعاملة الذي تعرضت له في البداية وكاني هبطت من كوكب اخر ادركت اني كنت اعيش في عالمي الرقيق الصغير المفعم بالأخلاق والاحترام تعرضت لصدمة الواقع الذي لم يخطر لي انه بهذا القدر من السوء ولكني حمدت الله على ذلك فالله بعفوه الواسع وكرمه الذي لاحدود له جعل لي في قلوب الناس جميعا حبا ورحمة واحتراما وكأن الله أعطاني تلك المحنة ليعلمني كيف تسير الحياة وأن الحياة ليست بلون واحد وانما فيها من الالوان والاشكال الكثير وانه ليس بالضرورة ان اجد كل الناس نسخة عني وعن تربيتي ولكني أشكر الله من أعماقي اني ابنه لوالدي – وما كنت لاتمنى غير ذلك... – وهذا من اكتمال فضل الله علي.

وفي النهاية رسالتي تلك لكم يا من تقبضون على الجمر فهذا هو عصركم الذي ستعانون فيه ولكن الله سينتصر لكم من حيث لا تعلمون وستلقون ذلك في الدنيا والآخرة فطمئنوا قلوبكم وتأكدوا ان الله لا يظلم مثقال ذرة وإن ما عند الله هو خير وابقى واعلموا أن الحساب قادم لا محال فليغفل كل إلاحرالاحزنسان ما بداله.

رفيدة رجاء محمد طاهر
كاتبة حرة



الاستخدام الآمن وظاهرة إدمان الأطفال للإنترنت!!

ونحن نحتفي ونحتفل باليوم العالمي للاستخدام الآمن للإنترنت حري بنا أن يكون استخدامنا نحن ومن نعول من أطفال وكبار آمن؛ بتبصير صغارنا قواعد الأمان في استخدام الإنترنت، والأهم من ذلك مراعاة آداب وقواعد وأخلاقيات استخدام الإنترنت، والأكثر أهمية من ذلك هو استخدام وسائط التواصل الاجتماعي والألعاب الإلكترونية باعتدال، حيث إنه في ظل التعليم الإلكتروني لوحظ أن بعض الأطفال الذين هم في مراحل التعليم قد يقضي خمس ساعات في الألعاب الإلكترونية بالإضافة إلى الساعات المتعدة في التعلم عبر التعليم عن بعد، وهذا قد يدخل أبناءنا في مرحلة خطيرة ألا وهي ظاهرة إدمان الأطفال للإنترنت، وهو ما يتنافى وقواعد الاستخدام الآمن للإنترنت مما يجعلنا نطلق أدوات الإنذار بالخطر حفاظا على صحة وشخصية أطفالنا، وهو ما يوجب علينا ضرورة الاستخدام الآمن للإنترنت؛ حتى نقي أطفالنا من أخطار وسلبيات ظاهرة إدمان الأطفال للإنترنت!!

د. محمد عباس محمد عرابي
باحث دراسات إسلامية

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com







أطفالنا.. وحسن الخلق

الأطفال هم مرآة المجتمع، فعن طريقهم يستطيع المجتمع أن يرى صورته مستقبلا، والأطفال أيضا هم نواة الجيل المقبل، إن أحسنا إعدادهم أمكننا ضمان جيل سليم نافع، أما إن أهملناهم فستكون النتيجة كارثة اجتماعية في المستقبل.

والدين الإسلامي دين شامل كامل، ما ترك خيرا إلا وأمر به، ولا شرا إلا وحذر منه، أمر بالأخلاق الحميدة، والخلال المجيدة، ووجه إلى التحلي بها، وأرشد على الآداب الفاضلة، والخصال السامية، ودعا إلى الاتصاف والتحلي بها. مما يؤلف القلوب ويقربها، ويجمع النفوس ويربطها. قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١).

ولقد قال الرسول ﷺ في الحديث الشريف «إن أقربكم مني منزلا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا في الدنيا»، كما قال ﷺ «إن من خياركم أحاسنكم أخلاقا» كما قال أيضا عن نفسه ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (رواه الترمذي).

أن التوجيهات النبوية في الحث على حسن الخلق كثيرة ومعروفة، وسيرته ﷺ نموذج يحتذى به في الخلق مع نفسه، ومع زوجاته، ومع جيرانه، ومع الصغير والكبير.

ولقد اتفق كثير من الباحثين على أن السنوات الأولى من عمر الطفل لها آثار باقية في تكوين الشخصية، فإن كان هدفنا هو صياغة الإنسان المسلم فإن الاعتناء بالتربية الأخلاقية وحسن الخلق للطفل يصبح أمرا بالغ الأهمية، بل ربما هو المرتكز الأساسي لهذه الصياغة، فالطفل إذا يجب أن يربى على حسن الخلق والصدق وحب الخير للآخرين والتعاون والتسامح والانضباط عند الغضب، مع مراعاة مراحل النمو للطفل.

ومن هذا المنطلق يجب غرس القيم الإسلامية والأخلاق النبوية الحميدة في نفوس أطفالنا منذ الصغر، مع ضرورة وضع رؤية تربوية شاملة ومتكاملة توجه جميع أنشطة وبرامج المؤسسات التربوية لمواجهة المخالفات السلوكية بالحكمة والموعظة الحسنة.

د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد - جامعة الباحة

مسك الختام

التحذير من الغيبة

الغيبة: أن تذكر أخاك من ورائه بما فيه من عيوب يسوؤه ذكرها، فإن كان صدقا فهو غيبة، وإن كان كذبا فهو البهت والبهتان، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته» (رواه مسلم) ومعنى بهته: أي كذبت عليه، والبهتان هو الباطل.

والمؤمن عفيف اللسان طيب النفس لا يذكر أحدا بسوء، ورسولنا الكريم ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (رواه البخاري) فيجب على كل مسلم أن يحفظ لسانه عن ذكر معايب الناس سواء في محضرهم أو في مغيبهم.

وقد نهانا القرآن الكريم عن الغيبة نهيا صريحا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ (الحجرات:١٢) فالآية الكريمة تتضمن خطابا للمؤمنين تأمرهم باجتناب الكثير من الظن لأن بعض الظن إثم، وتنهاهم عن التجسس على الناس، وتنهاهم عن الغيبة، والأصل في كل منهي عنه أنه حرام، فالذي يغتاب أخاه المسلم كمن يأكل لحم أخيه الميت، وذلك للتنفير من الغيبة وبيان أثرها السيئ.

ويجب على المسلم أن يتقي الله عزوجل ويكون طاهر اللسان لا يذكر الناس بما يكرهون، ولا يتتبع عيوبهم، بل يفكر في عيوب نفسه ويحاول إصلاحها، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نحفظ ألسنتنا، وبين لنا خطورة الكلمة السيئة والتي قد تكون سببا في دخول النار.

ففي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ أخذ بلسان معاذ بن جبل وقال له: «كف عليك هذا» فقال: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» (رواه الترمذي) وقال حديث حسن صحيح.

ففي الحديث السابق يخبرنا الرسول ﷺ أن كلمات السوء هي أكثر ما يلقي الناس في النار.

وقال ابن عباس: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك.

وقال ابن عباس أيضا: اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن تذكر به، ودع منه ما تحب أن يدع منك.

ويجب على من يسمع الغيبة ألا يصدق المغتاب، ويجب عليه أن ينصحه بالابتعاد عنها، ويذكره بحرمتها، وينهاه عن الخوض في أعراض الناس، ويطلب منه أن يتوب إلى الله ويستغفره، فالغيبة حرام بالإجماع يجب على الإنسان أن يستغفر الله سبحانه وتعالى منها، ويعزم على تركها وعدم العودة إليها مرة أخرى.

حسن عثمان حسن
مدرس لغة عربية وباحث لغوي

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .



مصرف التنمية المجتمعية

وقف على دعم الجهود المبذولة لرفع مستوى
الخدمات العلمية والثقافية والاجتماعية

العدد ٦٧٨ - السنة ٥٩ - صفر ١٤٤٣ هـ - سبتمبر/أكتوبر ٢٠٢١م

العدد (٦٧٩) ربيع الأول ١٤٤٣ هـ - أكتوبر/نوفمبر ٢٠٢١م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية جامعة

استشراف المستقبل



- في رحاب المولد النبوي
- أثر القرآن في نفوس العرب
- العقيدة وسبل إحيائها

مجانا مع العدد: براعم الإيمان


مجلة الوعى الإسلامى

www.alwaei.gov.kw

alwaeiq8@gmail.com
موقع مجلة الوعي الإسلامي


مصرف الاطعام



وقف على توفير المواد الغذائية
للمحتاجين وإفطار الصائم والأضاحي



Q8APF

WWW.AWQAF.ORG.KW



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

عام جديد وأمل متجدد

ها نحن اليوم نستقبل عاما دراسيا جديدا بعد أن ودعنا بالأمس القريب عاما دراسيا أودع فيه أبناؤنا خلاصة جهودهم بعد تمام توكلهم على الله عز وجل، وما بين وداع واستقبال تمضي بنا الحياة إلى أجل أراده الله لبني آدم كلهم.

نتطلع في هذا العام الدراسي الجديد إلى زكو في الأخلاق، وتأدب في النفوس، وسمو في الهمة، فبالعلم يرفع شأن الأمم، وتزهو مكانتها عند خالقها أولا، وبين الأمم ثانيا، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة: ١١). فلا ريب بأن العلم هو طريق الوصول الأمثل إلى رضوان الله جل وعلا، فمن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، كما أخبر بذلك المعلم الأول ﷺ، كيف لا! فبالعلم نحفظ لأمتنا العزة والكرامة، وبه نرتفع بالمجتمع المسلم بما يحقق المهمة العظيمة التي ألقاها الله على عاتق بني آدم وهي إعمار الأرض.

وقد سما الإسلام بالعلم حتى جعل أهله ورثة للأنبياء، فقال نبي العلم والمعرفة: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا، ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (أبو داود)، بل وأمرنا ربنا أن لا نقف في العلم عند حد معين، وإنما أمرنا بالتزود من العلم فقال لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾(طه: ١١٤).

ومع هذه الانطلاقة المباركة - وبعد أن هجرت المقاعد الدراسية بسبب جائحة كورونا التي ما زال العالم يعاني من تبعاتها - نوجه الكلام إلى صناع الأجيال ومشاعل النور والرحمة من مربين ومربيات: يا من جعلكم الله نبراسا يضيء دروب أبنائنا إلى المعالي، ها قد أقبل عليكم فلذات أكبادنا لينهلوا من معين العلم الذي جعلكم الله مستأمنين على إنفاقه، فالجميع ينتظر منكم علوما نافعة جامعة لخيري الدنيا والآخرة، فالله الله في غرس الإيمان في النفوس، والله الله في السمو بالأفكار والمعتقدات والعلوم، وتمثلوا قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣)، ونوصيكم وأنفسنا بالإخلاص للوصول بهذه الأمانة إلى حيث أراد لها الله أن تصل بيسر وسهولة وتيسير، فقد أوصانا خير المعلمين، وإمام المربين بهذا فقال: «علموا، ويسروا ولا تعسروا» (أحمد). كما نذكر أنفسنا جميعا بقول نبينا ﷺ: «ما من وال يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم، إلا حرم الله عليه الجنة» (البخاري).

وهذه همسة لطيفة أهمس بها في آذان أولياء الأمور الفضلاء: لنكن لأبنائنا قدوة صالحة في طلب العلم والعمل به، ولنغرس في قلوب أبنائنا حب العلم وأهله، وإجلال المعلمين والمعلمات وتوقيرهم واحترامهم، ولنعلم أبناءنا الأدب قبل العلم، ولنحرص على تعليم أبناءنا القرآن الكريم مع العلوم الدنيوية؛ فبه يرفع الله أقواما، ويخفض به آخرين، فعلم القرآن أشرف العلوم، ولا تستقيم بقية العلوم إلا بالأمانة التي نستمدها من كتاب الله وتعاليمه.

وأخيرا: نتوجه بالوصية إلى أبنائنا وأحبابنا الطلبة، جدوا، واجتهدوا، واصبروا وصابروا واحتسبوا، فإن الغايات النبيلة لا تدرك بالتمني، فباشروا سعيكم إلى المعالي مع كمال التوكل على الله، فإنه سيأخذ بأيديكم؛ ومن أخذ الله بيده؛ وفقه وفتح له أبواب الخير ويسرها له.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٧٩/ ربيع الأول ١٤٤٣ هـ
العام التاسع والخمسون
أكتوبر / نوفمبر ٢٠٢١م

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٢٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٢٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



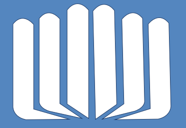
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

العلم وبناء المستقبل

إن الأمم التي تسلك سبيل النهوض والتقدم لا تقتات على أمجاد الآباء ولا تنظر إلى الماضي إلا بالقدر الذي يدفعها إلى صناعة الحاضر وبناء المستقبل.

كن ابن من شئت واكتسب أدبا
يغنيك محموده عن كثرة النسب
إن الفتى من يقول هأنذا
ليس الفتى من يقول كان أبي

أما الأمة التي تعيش في رحاب الماضي ولا تتجاوزه فهي أمة محكوم عليها بالفشل والتعثر الدائم، ولا سبيل إلى نهوضها وارتقائها إلى مصاف الأمم المتقدمة، بل هي سائرة في محلها تنتظر العون ممن تقدم عليها.

وسبيل صناعة الحاضر وبناء المستقبل هو الاهتمام بالتعليم والبحث العلمي وإعطاؤه الأهمية الكبرى والأولوية القصوى، ذلك أنه طريق النهوض وسبيل الصعود والارتقاء في مجالات الحياة كافة لمن أراد ذلك.

ونحن على أبواب عام دراسي جديد ينبغي أن نهتم بالناشئة في المدارس والطلاب في معاهد العلم المختلفة، لنصنع جيلا يغير واقع أمتنا الإسلامية ويرتقي بها إلى مواقع الريادة ومصاف القيادة في مختلف العلوم والمجالات كما كان أسلافنا العظماء.

نبني كما كانت أوائلنا
تبني ونفعل مثلما فعلوا

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- باقي دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. محمد حسن بدرالدين
باحث دراسات إسلامية



استجابة الدعاء.. إضاءات قرآنية

نتناول في هذا المقال مسألة الاستجابة في الدعاء، لنجيب عن سؤال يطرحه كل مسلم، وهو أن المسلمين يدعون باستمرار فرادى وجماعات، ويخصصون أوقاتا معتبرة لذلك، ولكن لا نرى دائما استجابة، وهو إشكال ظاهر للعيان، فهل هو سوء في الفهم، أم خطأ في تدبر القرآن؟ هذا إشكال رأينا أنه يستحق البحث.

إن ظاهرة عدم فهم طبيعة الاستجابة للدعاء قديمة، ولكنها مرتبطة بفهم آيتين من القرآن الكريم.

الأولى: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ (الأنفال:٥٣)

والثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ (الرعد:١١).

إن الله سبحانه وتعالى لا يغير نعمه التي أنعم بها على الناس، مثل نعم الرزق الحسن والأمن والرخاء والاستقرار، حتى يغير الناس ما بأنفسهم من أحوال وأسباب، تكثر فيها الذنوب، ومظاهر الفساد والظلم.

الدعاء أهم مقامات العبودية:

حدثت في تاريخ المسلمين فترات زمنية حرجة جدا، دعا الناس فيها، ولم تظهر لهم استجابة، بسبب تحويل أسباب الحق والنصر إلى أسباب تعطيل وهزيمة. وهذا الفخر الرازي (ت/٦٠٦هـ) مثلا، يؤكد هذا الإشكال فيقول: «اختلف الناس في الدعاء، فقال بعض الجهال: الدعاء شيء عديم الفائدة. وقال الجمهور الأعظم من العقلاء: إن الدعاء أهم مقامات العبودية. فمن أبطل الدعاء فقد أنكر القرآن».[1]

ثم اتجه الرازي للبحث في إشكالية الاستجابة، فقال في تفسيره لآية (البقرة: ١٨٦): «في الآية سؤال مشكل مشهور، وهو أنه تعالى قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ (غافر: ٦٠) وقال في هذه الآية: ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ (البقرة:١٨٦)، وكذلك ﴿أَمَّن

﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (النمل: ٦٢)، ثم إنا نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب».[٢]

ثم أجاب الرازي بطريقته الجدلية السنية. وملخصه ما يأتي: «أولها: أن الداعي لا بد وأن يجد من دعائه عوضا، إما إسعافا بطلبته التي لأجلها دعا وذلك إذا وافق القضاء، فإذا لم يساعده القضاء فإنه يعطى سكينة في نفسه، وانشراحا في صدره، وصبرا يسهل معه احتمال البلاء الحاضر، وعلى كل حال فلا يعدم فائدة، وهو نوع من الاستجابة».

وثانيه: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: «دعوة المسلم لا ترد إلا لإحدى ثلاثة: ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، إما أن يعجل له في الدنيا، وإما أن يدخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء بقدر ما دعا»، وهذا الخبر تمام البيان في الكشف عن هذا السؤال، لأنه تعالى قال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ولم يقل: أستجب لكم في الحال».[٣]

استجابة الدعاء تفضل من الله على عباده:

أما الشيخ الطاهر بن عاشور (ت/١٣٩٣هـ) فقد رأى أن الآية التي فسرها الرازي: «دلت على أن إجابة دعاء الداعي تفضل من الله على عباده، غير أن ذلك لا يقتضي التزام إجابة الدعوة من كل أحد وفي كل زمان، لأن الخبر لا يقتضي العموم، ولا يقال: إنه وقع في حيز الشرط فيفيد التلازم، لأن الشرط هنا ربط الجواب بالسؤال وليس ربط للدعاء بالإجابة، لأنه لم يقل: إن دعوني أجبتهم».[٤]

نلاحظ من خلال تلك الاجتهادات والتفسيرات، أن الشروط مرتبطة بالاستجابة. فعلينا بقراءة الآيات القرآنية الخاصة بالاستجابة. ولنبدأ بالآية الآتية محل البحث: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر:٦٠). ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: هو قول الله لعباده، والجملة شرطية: ﴿ٱدْعُونِىٓ﴾ هو الشرط، و﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ هو جواب الشرط، وليس فيها شرط أو بيان لاستجابة الله للدعاء. فالمفهوم مطلق: يدعو المؤمن فيستجيب الله لدعائه، ومن هذا المفهوم الصحيح للآية وقع الإشكال الذي عرضه الرازي وغيره: «إنا نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب»، من الفهم الخاطئ اعتبار الله تعالى في خدمة البشر، كالآلة يكفي الضغط على زرها فتشتغل، هذا قلب للمقامات والأدوار. فجدل العلاقة بين الدعاء وعدم الاستجابة، تكون لأسباب ثلاثة على الأقل:

السبب الأول: أن الداعي لم يدع الله تعالى، فانتفت الاستجابة.

السبب الثاني: طلب الداعي ما ليس من حقوقه، ولا من مشمولاته، فتنتفي الاستجابة، ونسمع الكثير من الأدعية من هذا النوع، مثل المبالغة في الدعاء على العدو والمخالف.

السبب الثالث: طلب الداعي من الله شيئا ممكنا، فاستجاب له الله، ولكن الداعي لم يتبين الاستجابة. لأن كيفية الاستجابة من مشمولات الله عز وجل، ولا دخل للعبد فيها.

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل: ٦٢)، هذه الآية من الآيات التوضيحية لإشكالية فهم الاستجابة: لا يستجيب الله لدعاء مشرك، والوساطة ضرب من الشرك.

إضاءات قرآنية أخرى:

هناك إضاءات قرآنية أخرى نلتمسها في الآيتين الآتيتين:

الأولى: قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ (الرعد:١٤).

والثانية: قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ (غافر:٥٠).

ورد في الآيتين مصطلح الكافرين. والكفر أنواع منه الشرك ومنه الأديان الوضعية. ومن المسلمين من يشملهم الكفر كالمنافقين والجاحدين لنعم الله عليهم، وكل ظلم هو كفر، فدعاء تلك الطوائف من المسلمين -في ضلال- أي لا يستجيب الله لأدعيتهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٦)، فهي تفصل ما ورد مطلقا في آية (غافر:٦٠) ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

﴿سَأَلَكَ﴾: هو سؤال واحد يتعلق بالاستجابة، يمكن أن يوجهه المؤمنون للرسول عليه الصلاة والسلام، هل يستجيب الله لدعائنا؟

لم يرد في الآية: فقل إني قريب أجيب، فالله تعالى يخاطب عباده مباشرة، لأن مسألة الدعاء والاستجابة علاقة خاصة بين العبد وربه، فلا مجال أن يستأثر أحد بالدعاء والاستجابة ويسخرها لنفسه، كما حصل في بعض الأديان.

﴿عِبَادِى﴾: لا بد أن تتحقق صفة العبودية في الداعي؟

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: هو تأكيد لارتباط الإجابة بالدعاء، فلا إجابة إن لم يحدث الدعاء. ولكن، لماذا قال سبحانه: ﴿أُجِيبُ﴾ هنا، وقال: ﴿أَسْتَجِبْ﴾ في آية (غافر: ٦٠)؟ لعلنا نجد الجواب في مقارنة بناء الآيتين.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠).

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

تتكون آية غافر من جزئين كما يظهر في الجدول.

الأول: إخبار مطلق للناس جميعا في قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمُ﴾ أي رب المؤمنين والكافرين.

والثاني: تقييد وتفصيل، يجعل الذين يستكبرون عن عبادة الله لا يشملهم الخبر، لأنهم لا يعبدون الله، فمن الطبيعي والمنطق ألا يستجيب لأدعيتهم.

نجد البناء نفسه في آية البقرة بفارق معتبر، وهو ربط جزأي الآية بحرف العطف الفاء، إلا أن لهذا الحرف معنى يتجاوز العطف وهو الشرط، فالآية كلها جملة شرطية: الشرط فيها هو جزؤها الأول بحرف: ﴿وَإِذَا﴾، وجواب الشرط هو جزؤها الثاني. وبهذا الأسلوب اختلف بناء الآية ومضمونها عن آية غافر، رغم أنهما تتكاملان، ولا يمكن فهم إحداهما إلا بالأخرى، والجدول يبرز الاختلاف والتكامل في مقابلات لفظية.

المقابلة الأولى: بين ﴿عِبَادَتِى﴾

﴿عِبَادِى﴾: انتفاء فعل العبادة بسبب الاستكبار يخرج الإنسان من مفهوم ﴿عِبَادِى﴾ فلا حظ له في وعد الله بالاستجابة لدعائه.

والمقابلة الثانية: بين: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ وبين: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾، وبهذه المقابلة يتخذ مصطلح ﴿عِبَادِى﴾ صبغة تشمل المؤمنين والكافرين جميعا.

إذا كان العبد مؤمنا انطبق عليه الجزء الأول من آية غافر، وإذا كان من المستكبرين عن عبادة الله، فإن الله جعل له باب الاستجابة لدعائه في الجزء الثاني من آية البقرة، فليستجب لله هو أولا، وليؤمن بالله ليجيب الله دعوته كلما دعاه. فآية البقرة هي عقد يقترحه الله على عباده المستكبرين عن عبادته، وقد حذرهم في الجزء الثاني من آية غافر: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

وخلاصة هذا العرض، أن الإيمان هو الشرط الأساسي الذي بدونه لا يستجيب الله لأي كان إذا دعاه، فهل للمؤمنين شروط للاستجابة؟

من شروط الاستجابة للدعاء في القرآن الكريم:

لا تهم شروط الدعاء غير المؤمنين، بما أن المستكبرين عن عبادة الله لا حظ لهم في الدعاء إلا إذا آمنوا. ولذلك نكتفي بالتذكير بأهم الشروط التي وردت في القرآن، وتوضح كيف تحصل الاستجابة للدعاء، عاجلا أو آجلا.

- لا يجعل المسلم في دعائه وسيطا بينه وبين ربه، فذلك نوع من الشرك.
- لا يدعو المسلم ربه بما ليس له فيه حق، ولا هو من مشمولاته. فليكتف بما هو في حاجة إليه.
- لا يدعو المسلم بالشر أو الهلاك على أي كان من خلق الله، فقد يعود عليه، وهو لا يشعر.
- يدعو المسلم ربه في نفسه تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول، فلا يصيح ولا يتكلف. أورد البخاري: عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا. فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنه معكم إنه سميع قريب».(٥)
- ومن أخلاقيات الدعاء: الإكثار منه، والصبر والتواضع واجتناب كل أنواع الظلم، وأن يكون المأكل والمشرب والملبس حلالا، وأن يعبر المسلم عن إنسانيته في أسمى معانيها.

الهوامش

١- الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، ط: (٣)، بيروت، ١٤٢٢هـ. (٢٦٣/٥).
٢- المرجع السبق، (٢٦٥/٥).
٣- المرجع نفسه، (٢٦٥/٥).
٤- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، (١٨/٢).
٥- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط:(١)، الرياض، ١٤٢٢هـ. (٥٧/٤).



د. محمد عزب
أستاذ العقيدة المشارك

العقيدة وسبل إحيائها في نفوس الموحدين

تمثل العقيدة الصحيحة صمام الأمان للأمة الراشدة، فمبنى العقيدة وسرها على تعظيم الله تعالى والاستسلام له، ومدار الأمر كله في العقيدة على عبادة الله تعالى والاستعانة به في كل الأمور، فهو وحده الذي بيده تصاريف الأمور والأقدار.

قال ابن القيم: قيل: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب، جمع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن، وجمع معاني القرآن في المفصل، وجمع معاني المفصل في الفاتحة، ومعاني الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)[١]. فمدار الأمر على العبادة والاستعانة بالله وحده.

لوحظ أن السلف استمدوا منهجهم الشرعي من التوجيهات النبوية تجاه العقيدة؛ وكانت طريقتهم تلك معنية بالعمل أكثر من التنظير والدخول في تفريعات ومناقشات تشوش صفاء العقيدة، أو تذهب بهيبتها في النفوس، وحين ننظر بإمعان لهذا المنهج الذي استلهمه السلف في العمل والبحث، فإننا نراه دائما معنيا بالعمل على حساب التنظير والبحث والتنقيب عما لا يورث العمل، كالبحث عن مكنون الغيب الذي استأثر الله تعالى به، فالمرء يحاسب عما يفعل لا عما حجب عنه، وهذا ينقلنا لإبراز بعض معالم المنهج النبوي تجاه الإرشاد للعمل وترك التكلف عما لا تكليف به.

ولنأخذ على سبيل المثال قضية البحث عن وقت حصول الساعة، فقد جاء عن أنس بن مالك: أن رجلا سأل النبي ﷺ: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «ما أعددت لها»[٢].

إذا العبرة في الساعة بأمرين:

أولهما: اليقين بحدوثها، وهذا يدفع للأمر الثاني؛ وهو: الاستعداد المستمر لها.

أما تحديد الزمن فلكونه لا تترتب عليه فائدة صار الانصراف عن معرفته هو الأحق.

إذا عدنا لمسألة الساعة والبحث عنها ومحاولة تحديدها، وتحديد وقتها، نجد أن نفرا انشغلوا بهذا الزيف، وتركوا أصل ما يجب بخصوصها، فالذي يجب بخصوصها هو: (أنه لا بد منها، ولذلك لما سئل عليه الصلاة والسلام عن الساعة؛ قال للسائل: «ما أعددت لها؟»؛ إعراضا عن صريح سؤاله إلى ما يتعلق بها مما فيه فائدة، ولم يجبه عما سأل)[٣].

فمتى الساعة: سؤال زائف، لا يترتب عليه فائدة

والمسألة الحقيقية هي: ما أعددت لها؟

فمعرفة الساعة يترتب عليه الاستعداد، والواجب أن يكون الاستعداد هو النقطة الدائمة في الإيمان بها.

وبهذا ندرك أن المنهج النبوي يوجه إلى المطلوب، ويوجه إلى عدم الانشغال مما لا فائدة من الانشغال به أو البحث عنه.

في أزمنة التواصل:

العقيدة ودراستها ومدارستها اليوم تواجه تحديا كبيرا، ولدته وسائل التواصل الحديثة، حيث يتعاظم تيار الإلحاد، ومذهب الإنسانية، وتعظيم الأنا، هذا على مستوى أمة الدعوة، أما على مستوى أمة الإجابة فقد بدأت الوسائل الحديثة تحل محل مجالس العلم، والكتب المقروءة على الشيوخ في حلقات العلم، فضلا عن وجود بدائل تقنية حديثة حلت محل الكتب – وأصبح ذلك كله يشكل جزءا كبيرا من حالة الثقافة... وأصبحنا اليوم في عصر يشبه الفاصل بين عصرين، فكما كانت الطباعة فاصلة في الكتاب بين المطبوع منه والمخطوط، اليوم نحن نعيش عصر الفاصلة بين المطبوع والمحوسب من الكتب من ناحية، وبين تيارات تمور بين الناس تارة بفعل فاعل، وتارة بكونها ولدتها الحياة المعاصرة بتقلباتها، وبعض مسائل العقيدة تحولت إلى قضايا، وبعضها تحول من قضية زائفة إلى حالة مجتمعية شغلت المجتمع وعطلت قسما كبيرا من جهود أفراده.

من هنا كان الانتباه لما يجب في تناول مسائل العقيدة هو الحري، بدلا من إضاعة الوقت والجهد فيما لا يعود على الأمة بالنفع، أو يعود على نموها وريادتها بالخير.

معيار الأمر

يشير الشاطبي رحمه الله إلى معيار القضايا، ويرى أن منها قضايا لا ينبغي الانشغال بها لأنها زائفة، ويحدد حدود الزيف بقوله: (كل مسألة لا ينبني عليها عمل؛ فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي)[٤]

إذا معيار القضية التي لا يجب الانشغال بها هو ألا يترتب على بحثها عمل، ومجرد بحثها خروج عن المساق الشرعي لبحث القضايا، ثم يحدد الشاطبي معنى العمل بقول: (أعني بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح، من حيث هو مطلوب شرعا)[٥].

فحتى عمل القلب والجوارح منوط بكونه عملا دل عليه الشرع، وكل قضية خلت من عمل القلب أو عمل الجوارح هي قضية زائفة لا قيمة لبحثها.

دراسة الأسماء الحسنى

تأتي آيات القرآن لافتة إلى فضل

الأسماء الحسنى، وضرورة التوجه لله تعالى بها، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ (الأعراف: ١٨٠)

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة»[٦]، وقد اختلف العلماء في المراد بقوله ﷺ: (من أحصاها) قال ابن بطال: (يحتمل أن يكون الإحصاء المراد في هذا الحديث - والله أعلم -: العمل بالأسماء والتعبد لمن سمى بها.

فإن قال قائل: كيف يكون مجرد إحصاءها عملا؟

قيل له: وجه ذلك أن ما كان من أسماء الله تعالى مما يجب على المؤمن الاقتداء بالله تعالى فيه: كالرحيم والكريم والعفو والغفور والشكور والتواب وشبهها، فإن الله تعالى يحب أن يرى على عبده حلاها ويرضى له معناها، والاقتداء به تعالى فيها. فهذا العمل بهذا النوع من الأسماء.

وما كان منها مما لا يليق بالعبد معانيها كالله والأحد والقدوس والجبار والمتعال والمتكبر والعظيم والعزيز والقوى وشبهها، فإنه يجب على العبد الإقرار بها والتذلل لها والإشفاق منها، وما كان بمعنى الوعيد كشديد العقاب، وعزيز ذي انتقام وسريع الحساب وشبهها، فإنه يجب على العبد الوقوف عند أمره واجتناب نهيه. واستشعار خشية الله تعالى من أجلها خوف وعيده، وشديد عقابه هذا وجه إحصائها عملا فهذا يدخل الجنة إن شاء الله[٧].

فهذا المعنى هو الذي ينبغي أن يتم في تناول الأسماء، بيان وجه التعبد بها، والعمل لله تعالى بمقتضاها وما دلت عليه، وتوجيه النفوس لتعظيم الله تعالى ومحبته والخوف منه من خلال التمكن لآثار الأسماء الحسنى في النفوس.

موازنة بين طريقتين

حين وازن ابن تيمية بين كتاب ابن برجان الأندلسي الذي ألفه في الأسماء الحسنى، وكتاب أبي حامد الغزالي قال: «الغزالي يقول: في بيان أن كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه[٨]، أما ابن برجان فذكر التعبد ولم يذكر التخلق»[٩].

ورأى شيخ الإسلام أن لفظ التعبد أحرى من لفظ التخلق، فنحن نتعبد بالأسماء لا نتخلق بها، فالإحصاء لأسمائه تعالى هو العمل بها؛ لأن مجرد العد لا يفيد؛ فقد يعدها المنافق والكافر وذلك غير نافع له... وقد جاء الذم لمن حفظ الحروف وضيع العمل ولم يقف عند الحدود، ومدح من عمل بمعاني القرآن وإن لم يحفظ الحروف، فدل هذا على أن الحفظ والإحصاء المندوب إليه هو العمل. ويوضح هذا أيضا ما كتب به عمر بن الخطاب إلى عماله: إن أهم أموركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه. ولم يرد عمر بحفظها إلا المبالغة في إتقان العمل بها من إتمام ركوعها وسجودها وإكمال حدودها لا حفظ أحكامها وتضييع العمل بها[١٠].

أخيرا:

العقيدة اليوم بحاجة ملحة لاستلهام طريقة السلف في التعاطي معها، أن تكون العقيدة هي الحاكمة والموجهة لسلوك الفرد وتصرفاته، يراقب الله تعالى في كل أحواله: مكاسبه، تصرفاته، حركاته، سكناته.

ولا يصح أن نجعل العقيدة نقطة للخصومات والمفاصلات، ولا قضية تعكر الصفو، ويسعى كل واحد للانتصار في وجه لا تعود على أصل البلاغ المبين بفائدة، فالعقيدة كل العقيدة بمقدار ما عملنا بها، وجعلناه حاكمة في تصرفاتنا الظاهرة والباطنة، ووقتها سيكون الكتاب المبين هدى لمن كان كذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ (البقرة: ٢- ٣).

فمن كان إيمانه بالغيب كإيمانه بالشهادة نال هدى القرآن، وفاز بحظه العظيم منه.

الهوامش

١- مدارج السالكين ١/ ٩٥.
٢- متفق عليه.
٣- الموافقات في أصول الفقه دراز (٤٦/١).
٤- الموافقات، (٤٥/١).
٥- السابق نفس الموضع.
٦- متفق عليه.
٧- شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٢٠).
٨- المقصد الأسنى (ص: ٤٥).
٩- انظر كتابه: شرح أسماء الله الحسنى، فهو يعقب على الأسماء بقوله: الاعتبار. التعبد.
١٠- شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٢١).



فهد الشمري
صحافي وباحث دراسات إسلامية

السماح بأداء العمرة من الخارج

السعودية تلبي مشاعر المسلمين

بعد توقف امتد لسبعة أشهر نظرا للقيود التي فرضت لمواجهة انتشار فيروس كورونا في العالم أجمع، أعلنت السلطات في المملكة العربية السعودية استئناف أداء مناسك العمرة مجددا.

ولما كانت الشعائر الدينية من أكثر جوانب الحياة تأثرا بجائحة كورونا وخاصة فريضتي الحج والعمرة فقد آثرت السلطات في المملكة العربية السعودية أن تكون العودة تدريجية وعلى مراحل، حيث سمحت في المرحلة الأولى بدخول ستة آلاف شخص للحرم المكي أي ما يعادل ٣٠٪ من الطاقة الاستيعابية، على أن تتم زيادة الأعداد أسبوعيا شرط الالتزام بالتعليمات الصحية الصادرة من الجهات المختصة.

تلا ذلك -وبعد نجاح المرحلة الأولى- البدء في المرحلة الثانية من خطة العودة حيث وصلت أعداد المعتمرين فيها إلى يقارب ٧٥٪ من الطاقة الاستيعابية للحرم المكي.

وفي التاسع من أغسطس الماضي سمحت السلطات السعودية بتلقي طلبات العمرة من خارج المملكة العربية السعودية بطاقة استيعابية تصل إلى ٦٠ ألف معتمر، موزعة على ٨ فترات تشغيلية، لتصل الطاقة الاستيعابية إلى مليوني معتمر شهريا، وكانت سلطات الحج والعمرة في السعودية قد منعت قدوم حجاج ومعتمرين من خارج المملكة منذ قرابة عام

ونصف العام بسبب تفشي جائحة فيروس كورونا في مختلف أنحاء العالم.

وفي الخامس عشر من أغسطس الماضي أيضا قررت المملكة العربية السعودية، رفع الحظر عن ٢٣ دولة من الدول المدرجة في قائمة الدول الممنوعة من أداء العمرة حتى إشعار آخر، وهي: هونغ كونغ، وأرمينيا، وكوراكاو، والصين، ونيكاراغوا، وإيران، والسويد، ومقدونيا، وألمانيا، والولايات المتحدة، وغينيا بيساو، وتايوان، واليابان، وإيرلندا، والبرتغال، ومكاو، وبريطانيا، وسويسرا، وإيطاليا، وفرنسا، وجزر فيرو، وليبيريا، والجبل الأسود.

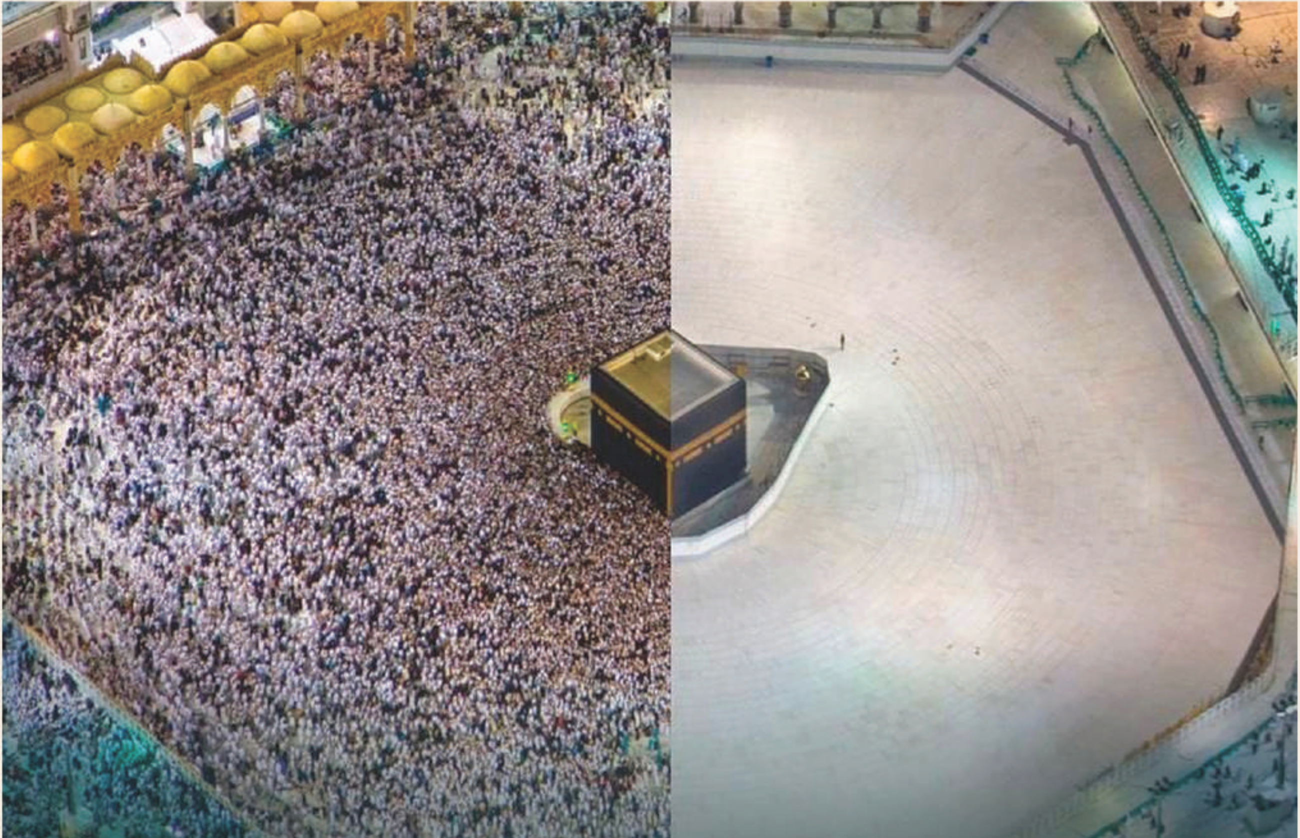
الأعمار المصرح لها بالعمرة

تتراوح أعمار المصرح لهم بالعمرة بين ١٨ و٧٠ عاما، ولا يمكن إصدار تصريح العمرة لمن هم دون ١٨ عاما ولمن تجاوزوا ٧٠ عاما حتى لو تلقوا التطعيم.
كما أنه لا يمكن إضافة الأطفال كمرافقين، في حين يسمح بإضافة الأم كمرافق.

وفي ٣٠ سبتمبر الماضي أعلنت وزارة الحج والعمرة السعودية بالتنسيق مع الجهات المختصة قرار رفع الطاقة الاستيعابية اليومية إلى ١٠٠ ألف معتمر، و٦٠ ألف مصلٍ يوميًا.

يأتي هذا القرار في إطار الخطة التي أعدتها وزارة الحج والعمرة السعودية لاستئناف أداء العمرة تدريجيا اعتباراً من ٤ أكتوبر ٢٠٢٠ للمواطنين والمقيمين في داخل المملكة، وبعد ذلك للمعتمرين والزوار من خارجها، وذلك بعدما علّقت أداء هذه المناسك في مارس ٢٠٢٠ بسبب تفشي وباء كورونا.

وشددت السلطات في المملكة العربية السعودية على أنّ قدوم المعتمرين والزوّار من خارج المملكة سيتمّ بشكلٍ تدريجي، ومن الدول التي تقرّر وزارة الصحة عدم وجود مخاطر صحيّة فيها تتعلّق بجائحة كورونا، وتضمنت العودة لأداء مناسك العمرة والزيارة الالتزام بالاشتراطات والشهادات الصحية





قبل المجيء إلى المملكة.

شروط العمرة

ولضمان سلامة قاصدي المسجد الحرام والمسجد النبوي فقد تم وضع عدد من الشروط والضوابط، منها:

أن يكون المعتمر محصنا صحيا كاملا وحاصلا على جرعتين من لقاح فيروس كورونا.

أو أن يكون أمضى ١٤ يوما بعد تلقيه الجرعة الأولى من اللقاح.

أو أن يكون محصنا متعافيا من الإصابة.

وبالنسبة للفئات العمرية المسموح لها بأداء العمرة من خارج المملكة العربية السعودية فهي الفئة من ١٨-٥٠ عاما، ومن داخل المملكة فيسمح للفئة العمرية من ١٨-٧٠ عاما بالتوجه إلى المسجد الحرام لأداء العمرة وإلى المسجد النبوي لأداء الزيارة، وكذلك تقديم شهادة فحص كورونا بنتيجة سلبية تثبت عدم إصابة المعتمر بالفيروس، شريطة أن يتم إصدار الشهادة من مختبر موثوق من دولة المعتمر على ألا تتجاوز ٧٢ ساعة من وقت أخذ العينة حتى وقت الوصول إلى السعودية.

وأخيرا الحجز المسبق لأداء العمرة والصلاة في المسجد الحرام والزيارة للمسجد النبوي والصلاة في الروضة الشريفة، وذلك وفقا للضوابط والطاقة الاستيعابية المعتمدة عبر أحد التطبيقات الخاصة بالهواتف المحمولة.

«توكلنا» و«اعتمرنا»

ولتأدية مناسك العمرة يجب أن يقدم الراغب طلبا عبر تطبيقين على الهواتف الذكية، أولهما تطبيق «توكلنا»، للتأكد من خلو المتقدم من فيروس كورونا، وتطبيق آخر هو «اعتمرنا»، لتسجيل البيانات واختيار موعد أداء العمرة أو أداء الصلاة، ثم الحصول على تصريح يسمح بأداء العمرة، والتنظيم الحالي لحجز العمرة يسمح بإصدار تصريح كل ١٥ يوما.

وبخصوص نقل معتمري الداخل، أفادت وزارة الحج والعمرة بأن عدد الركاب في الحافلة لن يتجاوز ٥٠٪ من الطاقة الاستيعابية للحافلة، مع المحافظة على ترك مسافة آمنة داخل الحافلة، وتوفير المعقمات والتأكد من تصاريح المعتمرين من داخل المملكة والصادرة من تطبيقي «اعتمرنا» و«توكلنا» قبل الصعود للحافلة.

اللقاحات المعتمدة في المملكة هي:

- فايزر.
- أسترازينيكا.
- موديرنا.
- جرعة واحدة من لقاح جونسون آند جونسون.

ارتياح عام

ويأتي قرار استئناف العمرة تدريجيا للمعتمرين الملقحين الوافدين من دول العالم ليشكل انفراجة لملايين المسلمين حول العالم، بعد نحو ١٨ شهرا من تعليق قبول المعتمرين من خارج المملكة بسبب جائحة كوفيد-١٩.

وجاء هذا القرار بعد نحو ثلاثة أسابيع من تنظيم المملكة موسم حج مصغرا شارك فيه ٦٠ ألف حاج من سكان البلاد الملقحين بالكامل ضد فيروس كورونا، وبعد أسبوع من فتح السعودية أراضيها أمام السياح الملقحين بالكامل.

ويعتبر القرار خبرا سارا لملايين المسلمين حول العالم الذين حرموا من أداء العمرة منذ مارس ٢٠٢٠ بسبب جائحة كورونا.

محمود مرغني موسى
باحث دراسات إسلامية



مولد سيد المرسلين

ما يكاد يهل علينا شهر ربيع الأول من كل عام، حتى تعمنا الفرحة والبهجة وتهتز أروحنا طربا، ونفوسنا غبطة، ففي هذا الشهر الكريم كان مولد سيد المرسلين سيدنا محمد، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فبمولده أضيئت الدنيا بعد ظلام، واخضرت الأرض بعد جدب، وجرى الماء فروى الأرض العطشى، وما عليها من بشر ونبات، لقد كان مولد الحبيب -صلوات ربي وسلامه عليه- مولد فجر جديد، يحمل للبشرية الخير والرفاهية بعد العناء من ظلم التفرقة بين صنوف الخلق، بسبب اللون والنسب، فلا حقوق لبني البشر غير السادة الأقوياء.

كان أهل مكة غلاظ شداد، وفي أخلاقهم أنفة وكبرياء، منهم القائمون على خدمة الكعبة، ومنهم القائمون على خدمة معبوداتهم من أصنام وأوثان.

فبمولده حمل لنا في طياته النور المبين، والحق المتين؛ وبشرى بزوال دولة الشرك والكفر والإلحاد، وعبادة الخالق رب العباد.

كانوا -وأقصد بذلك سكان جزيرة العرب- قوم يعبدون أحجارا، ينحتونها بأيدهم، يصنعونها تماثيل، ويسجدون لها ويعبدون، ويصنعون عرائس ودمى من الحلوى أو العجوى ويعبدونها، وإذا مسهم الجوع التهموها.

هذه صورة مصغرة من بعض من أحوال العرب في جزيرتهم، وجاء الرسول ﷺ لهدايتهم، ولكنهم كذبوه رغم ما أراهم من معجزات وما أظهر لهم من دلائل.

كان من الصعب عليهم الانصياع إلى ما جاء به الرسول الكريم، لما دعاهم حين أذن الله تعالى له بالجهر بالدعوة أنفة وكبرياء، فكانت المشقة، وكان العنت في تبليغ الرسالة.

وأهل الكتاب من اليهود والنصارى ممن كانوا يقطنون جزيرة العرب، عرفوا سيد الخلق من كتبهم، وسمعوا خبره من أنبيائهم، عرفوا زمانه ومكانه كما عرفوا أن ذلك الوقت من الزمان، هو زمان خروج نبي عربي اسمه أحمد، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦).

نزول الوحي:

عندما نزل الوحي على الرسول الكريم سيدنا محمد لم يؤمر بتبليغ الرسالة إلى الناس، بل كان الأمر قاصرا على إبلاغ رسالة ربه إليه، قال تعالى ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ (العلق ١-٥) لم يكن للرسول الكريم في ذلك الوقت من ينصره أو يعينه على إبلاغ دعوته من المحيطين به، لذلك لم يكن الجهر بالدعوة أمر سهل ويسير، وعندما استتب الأمر كان الأمر من رب العالمين بإبلاغ الرسالة إلى الناس كافة والجهر بالدعوة، فكانت الحرب، وكان الإيذاء والمقاطعة له ولأهله، فكانت كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

وللحديث بقية.



د. هشام طه محمود سليم
كاتب وباحث

في رحاب المولد النبوي

لو يعلم جميع الناس عظيم قدر رسول الله ﷺ لدخلوا جميعهم الجنة. وذكرى ميلاده ﷺ فرصة عظيمة لجميع المسلمين حتى يشحذوا طاقاتهم كلها، فيوجهونها نحو التزام سنته، واستشراف أوامره ونواهيه بقلوب متلهفة تمتلئ شوقا للقياه ﷺ في جنة الخلد عند مليك مقتدر.

أهمية إرسال الأنبياء

لا غنى للبشر عن إرسال الرسل والأنبياء إليهم من الله سبحانه وتعالى على مر الأزمان. ذلك أن الناس منذ آدم عليه السلام محتاجون إلى منهج يلتزمونه حتى يحيا جميعهم في سلام، وحتى يقف كل منهم عند حدوده، يعرف ما له وما عليه نحو الآخرين، حتى إن بعض البشر ممن لا يؤمنون بأي رسالة قد اضطروا لتنظيم القوانين الوضعية التي تحدد حركة كل منهم في المجتمع حتى لا يتعدى أي منهم على حريات الآخرين.

غير أن القيمة العظيمة التي يحققها ويتميز بها المنهج الديني دون غيره - من المناهج الوضعية التي تنظم حياة البشر هي ما يزرعه من وازع داخل ضمير كل إنسان يمنعه من ارتكاب الموبقات ولو لم يره أحد، فكل إنسان قيم على نفسه، يستشعر مراقبة اللّه له في جميع حركاته وسكناته فيهتدي بهداه، يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ (الشمس: ٧-١٠).

ولكن الوازع الديني قد يضعف لدى بعض البشر، وهنا هم يحتاجون إلى ردع خارجي من المجتمع حولهم يوجههم ويهديهم إذا ضلوا سبيلهم.

يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ (هود: ١١٦).

أما إذا انعدم الوازع الديني لدى مرتكب المعصية، وكذلك انعدم الردع العام للمخطئين في مجتمع ما، فاستمرأ الجميع الخطأ، واعتاد الجميع ارتكاب المعاصي دون شعور بتأنيب من ضمير أو بحياء من الغير، وهو ما حدث بالفعل لدى العديد من الأمم السابقة كقوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط.... وغيرهم، فهنا لا بد أن يتدخل الوحي من الله سبحانه وتعالى ليدرك البشر من أن يهلكوا أنفسهم بالمعاصي فيستحقون العذاب.

فحين يضل البشر يدركهم الله سبحانه وتعالى برحمته فيوحي إلى خير عباده منهم بالرسالة التي تحمل المنهج القويم للعباد فتعيدهم إلى جادة الصواب، وتهديهم إلى الصراط المستقيم أيا كان زمانهم على مر الأيام، وأيا كان مكانهم على سطح الأرض، يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤). فالمرسلون والأنبياء، هم حملة الرسالات من الله سبحانه وتعالى إلى البشر، ينقلها إليهم أمين الوحي جبريل عليه السلام فينقلونها بدورهم إلى أقوامهم حتى يسيرون في طاعة الله سبحانه وتعالى فيدخلون الجنة بكرمه.

محمد ﷺ خاتم الأنبياء.. لماذا؟

أرسل الله سبحانه وتعالى المرسلين إلى الأمم مبشرين ومنذرين بحسب ما أصاب كل أمة منهم من صنوف الضلالات والأهواء، فهؤلاء قد أشركوا بالله سبحانه كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح عليه السلام، وأولئك قد طففوا الكيل كقوم مدين عليه السلام، وآخرون قطعوا الطرق وارتكبوا الفواحش كقوم لوط عليه السلام، فأرسل الله سبحانه وتعالى إلى كل منهم نبي يعالج ما أصابهم من خلل، ويهديهم سواء السبيل.

بل إن حكمة الله عز وجل قد اقتضت أن يرسل أكثر من رسول أو نبي في نفس الوقت إلى أكثر من أمة، فقد أرسل نبي الله لوط عليه السلام إلى قومه في نفس زمان وجود نبي الله إبراهيم عليه السلام[1]. وقد دعا إلى ذلك تباعد المسافات بين البلدان والمدن، مع عدم وجود وسائل يسيرة للانتقال والاتصال بينها.

فهناك عيوب وآفات تفردت بها كل أمة عن الأخرى مما استدعي حاجة كل منها إلى علاج يختلف عن الأخرى، فضلا عن صعوبة وصول الرسالة التي يحملها كل نبي إلى أمة غير أمته فقط نظرا لبعد المسافات بين تلك الأمم.

أما وقد سبق في علم الله سبحانه وتعالى أن الكرة الأرضية كلها ستصبح عما قريب كقرية واحدة نظرا لاكتشاف وسائل حديثة متطورة للانتقال بين البلدان في لحظات أو في ساعات قليلة كالسيارات والطائرات، ونظرا لاكتشاف وسائل حديثة متطورة للتواصل بين الناس بدأ من وسائل الإذاعة كالراديو والتلفاز والهاتف الأرضي حتى وسائل التواصل الاجتماعي من خلال الانترنت واللابتوب والموبايلات الحديثة. وبالتالي فإن ما يحتاج أمة من البشر من أمراض جسدية أو نفسية، وما يصيب أمة من البشر من عيوب فكرية أو مسلكية سينتشر في وقت قصير بين غالب البشر ولو كان أولهم في شرق الأرض وآخرهم في غربها.

ومن ثم فإن العالم لن يحتاج في مستقبله سوى رسول واحد يختم به المولى عز وجل الأنبياء والرسل، ويختم بمنهج رسالته كافة الرسالات التي جاء بها الأنبياء السابقون.

وما دامت أخطاء البشر واحدة على مستوى الأرض المعمورة كلها، فهم لا يحتاجون إلا لكتاب واحد هو القرآن الكريم، وإلا لسنة نبي واحد هو خاتم المرسلين محمد ﷺ.

وها هو القرآن يتلى في كافة الإذاعات الخارجية والداخلية مفسرا بأهم اللغات في العالم يستطيع أن ينهل منه القاصي والداني، وها هي سنة رسول الله ﷺ تملأ الآفاق من خلال منابر المساجد المنتشرة في الأرض كلها، ومن خلال شاشات الكمبيوتر يستطيع أي إنسان أن ينهل من معينها بضغطة زر واحدة وهو جالس مطمئن في بيته.

ومع كل ذلك فقد تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه العزيز من التحريف والتبديل بقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(الحجر: ٩).

محمد ﷺ أسمى الناس خلقا

بالتأكيد لا بد أن هناك من البشر أحدهم يتميز عن الباقين بمستوى أخلاقي لا يباريه فيه أحد.. فالبشر ليسوا سواء.. فإن لم يكن محمد ﷺ



أعلى الناس وأسماهم خلقا فمن؟! وقد شهد له جميع الناس بحسن الخلق في الماضي[2] والحاضر[3] إلا قليلا ممن دفعهم الحقد والتعصب إلى عداوة غير مبررة، فقد لقب قبل بعثته ﷺ بالصادق الأمين، وحكموه ﷺ في خلافاتهم، مثلما حدث في مسألة: من الأحق من القبائل بوضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة بعد أن قام أهل مكة بإعادة ترميمها وبنائها[4]، وكفى برسول الله ﷺ شرفا وقدرا أن زكاه الخالق سبحانه وتعالى بقوله:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

فنعم الأسوة الحسنة الاقتداء به ﷺ في حركاته وسكناته، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١).

وقد جاء رسول الله ﷺ برسالة شاملة هدفها إرساء الأخلاق الحسنة وترسيخ العدل على الأرض، ووضع المبادئ التي تكفل ذلك في المجتمع. فها هو ينبئنا عن نفسه فيما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» [5].

رحمة للعالمين

أرسل المولى عز وجل رسوله ﷺ بالكتاب العزيز ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. يقول تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم: ١). كما أرسل الله عز وجل رسوله محمد رحمة للعالمين يقول تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، ومن ثم فقد كان رسول الله ﷺ رحمة للبشر في حياته بسعيه بينهم هاديا وبشيرا، وهو رحمة للبشر بعد مماته ما داموا ملتزمين بسنته. يقول تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٣)، فهو ﷺ رحيم بالعباد، تتألم نفسه لآلامهم، وهو حريص عليهم يسعى بكل جهده لإنقاذهم من النار، مصداقا لقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(التوبة: ١٢٨).

كيف نحتفي بمولده ﷺ؟

الاحتفال بمولد الرسول ﷺ، والاحتفاء به لا يكون إلا بالعمل على اتباع سنته والحرص على ذلك في كل مظاهر الحياة، الاحتفاء به ﷺ لا يكون إلا بشحذ الطاقات والهمم للتأسي به في العبادات والمعاملات فنحذو حذوه لنتحلى ونتزين بأخلاقه الكريمة، فقد كان ﷺ هينا لينا، يرحم الكبير ويعطف على الصغير، وينصر الضعيف، ويعين المحتاج. كان ﷺ: متعبدا، متبتلا، صادقا، أمينا، شجاعا، مقداما، عادلا، حليما، وفيا، متواضعا، رؤوفا، رحيما، كريما، سمحا، متفائلا..... كان ﷺ خلقه القرآن.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين انك حميد مجيد.

الهوامش

١- الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير - قصص الأنبياء - تحقيق أبي عمار مراد بن عبد الله- دار التقوى -الطبعة الأولى - ص ١٧٧.

٢- أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري - السيرة النبوية - تحقيق الدكتور محمد فهمي السرجاني - الجزء الأول - المكتبة التوفيقية - ص ١٤٢.

٣- أنيس منصور نقلا عن مايكل هارت - الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ - الزهراء للإعلام العربي - من ص ١٣ : ١٩.

٤- عباس محمود العقاد - عبقرية محمد ﷺ - كتاب للنشر والتوزيع -ص ٨٥.

٥- رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢٧٣).



خالد عبدالنعيم منصور
باحث دراسات إسلامية

الاقتداء بخير ولد آدم .. طريق للفلاح

من أهم ما يمكن للمرء المسلم استلهامه في حياته معرفة سيرة سيد خلق ولد آدم والاقتداء به، ولقد كان النبي ﷺ قدوة كاملة في جميع جوانب سيرته، إيمانا وعبادة وخلقا وسلوكا وتعاملا مع غيره، وفي جميع أحواله، كانت سيرته مثالية للتطبيق على أرض الواقع، ومؤثرة في النفوس البشرية؛ فقد اجتمعت فيها صفات الكمال وإيحاءات التأثير البشري، واقترن فيها القول بالعمل، ولا ريب أن القدوة العملية أقوى تأثيرا في النفوس من الاقتصار على الإيحاء النظري؛ لهذه العلة أرسل الله تعالى الرسل ليخالطهم الناس ويقتدوا بهداهم، وأرسل الله سبحانه الرسول ﷺ ليكون للناس أسوة حسنة يقتدي بها الناس.

ولقد عاش الرسول ﷺ بعد نزول الوحي ثلاثا وعشرين سنة، حدثت فيها جميع أجناس الأعمال التي يمكن أن تقع للإنسان والمجتمع والدولة؛ منها ثلاث عشرة في مكة، حيث كان الكفر مسيطر على الأوضاع، والرسول ﷺ يدعو الناس سرا وجهرا، والصحابة يستخفون بإيمانهم، والرسول ﷺ يقابل أصنافا متنوعة من البشر؛ منهم من يرق قلبه لكلام الله، ومنهم من قلبه كالحجارة، ومنهم المتردد والخائف والمنتفع الباحث عن السلطة.

ولا شك أن محبة النبي ﷺ وتعظيمه مرتبة عليا من الإيمان، وهي نتيجة لمعرفة أخلاقه العظيمة، وسنته الطاهرة، ورسالته الرحيمة، وحبه لأمته وفضله على البشرية جمعاء.

وأول خطوة في الاقتداء بالنبي ﷺ الإيمان به نبيا مرسلا من عند الله تعالى، وتصديقه فيما أتى به من شريعة وعقيدة وأخلاق، فمعرفة النبي ﷺ شرط واجب في الاقتداء به، وعلى قدر المعرفة يكون الحب ويكون الاتباع ويكون الاقتداء. والوقوف على أخلاقه ﷺ، يجعل المرء في غاية الإعجاب والانبهار والانجذاب إلى شخصيته ﷺ. وطاعة الرسول ثاني خطوة في طريق الاقتداء به ﷺ، وهي علامة صدق الإيمان به ﷺ، وطاعته واجبة بالقرآن فالاقتداء يكون بالاتباع والامتثال للسنة الشريفة، والاهتداء بهديه ﷺ. وقد أوجب الله تعالى اتباع سنة نبيه، ثم تأتي محبة النبي ﷺ وتعظيمه مرتبة عليا من الإيمان، وهي نتيجة لمعرفة أخلاقه العظيمة، وسنته الطاهرة، ورسالته الرحيمة، وحبه لأمته وفضله على البشرية جمعاء، فهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير. محبته ﷺ نتيجة لاتباع سنته والسير على منهاجه والعيش في ظلال الإيمان والطاعة، حتى تصفو النفس وتسمو الروح، وتتعلق بالعالم العلوي، فتتعلق بالله تعالى، وبنبيه ﷺ، فيذوق المؤمن المحب حلاوة الإيمان.

وأخيرا ننصح بنشر دعوته ﷺ لأنه إذا حصلت المعرفة بالنبي ﷺ، وتحققت محبته، وتمت طاعته واتباعه، لزم نشر دينه وإحياء سنته، ونصرته ﷺ، ورد الشبهات عنه. وهذا من تمام الاقتداء به ﷺ.

د. أحلام عباسي - المغرب
دكتوراه دراسات إسلامية





السياسة الإصلاحية للرسول ﷺ بمكة المكرمة

عرف الرسول ﷺ بخلقه الرفيع، وخلاله الحميدة التي أجمع عليها القاصي والداني قبل البعثة النبوية وبعدها، وهي مؤهلات أخلاقية رفيعة مكنته من محبة الناس وحسن اتباعهم له، باتفاقهم على أمانته وصدقه وحسن معشره، وصور ذلك مبثوثة بادية في كتب السير وقبله كتاب الله الذي شهد له وزكاه في خلقه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وهذا شرف تفرد به سيد الخلق محمد ﷺ ولا يمكن أن ينافس في شرفه وقدره وعظيم شأنه أحد غيره.

فقد امتاز سيد الخلق محمد ﷺ في الفترة ما قبل بعثته وتكليفه بالنبوة، بحكمة ورجاحة عقل بالغة، وذلك من خلال حرصه -عليه الصلاة والسلام- على الإصلاح بين القبائل والمبادرة إلى حقن الدماء، فكان تحكيمه في قضية الكعبة[١] موفقا وتعادلا، يقول الدكتور علي الصلابي: (طريقة فض التنازع كانت موفقة، وعادلة، ورضي بها الجميع، وحقنت دماء كثيرة، وأوقفت حروبا طاحنة، وكان من عدل حكمه ﷺ أن رضيت به جميع القبائل، ولم تنفرد بشرف وضع الحجر قبيلة دون الأخرى، وهذا من توفيق الله لرسوله ﷺ، وتسديده قبل بعثته...)[٢]، هذا الشرف الذي حظي به محمد ﷺ راجع لمكانته بين قومه، وما امتاز به من حسن خلق وصفاء سريرة كما سبق بيانه، يقول الدكتور ضياء العمري: (إن حادثة تجديد بناء الكعبة قد كشفت عن مكانة النبي ﷺ الأدبية في الوسط القرشي...)[٣].

فكيف كان نهجه وسنته ﷺ في قومه بعد البعثة، وما هي السياسة التي انتهجها سيدنا محمد ﷺ مع قومه؟ وما هي أهم التدابير التي حرص عليها في هذه المرحلة خاصة؟ هذا ما سأعمل على بيانه من خلال هذه الورقة وذلك في محورين أساسيين: المحور الأول: طبيعة الرسالة

الإصلاحية بمكة المكرمة.
المحور الثاني: التدابير الإصلاحية لرسول الله ﷺ بمكة.

● المحور الأول: طبيعة الرسالة الإصلاحية بمكة المكرمة:

أولا: الرسول ﷺ ومهمة بناء الإنسان الجديد:

كانت مسؤولية الرسول ﷺ، بعد أن أمره ربه بتبليغ الرسالة ونشر الدعوة بين الناس هي تخليص هذا الإنسان من دنس الشرك والكفر، إلى طهارة ونقاوة الفطرة القائمة على الخضوع والامتثال لأوامر الله الواحد الأحد قال تعالى والخطاب لسيدنا محمد- عليه الصلاة والسلام-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾(المدثر: ١-٤)، فدلت هذه الآيات الوجيزة على المهمة الأساسية المناطة برسول الله في تلخيص دقيق لها، يقول الدكتور كامل سلامة: (وتعد هذه الآيات أول أمر بتبليغ الدعوة، والقيام بالتبعة، وقد أشارت هذه الآيات إلى أمور هي خلاصة الدعوة المحمدية، والحقائق الإسلامية؛ التي بني عليه الإسلام كله، وهي: الوحدانية، والإيمان باليوم الآخر، وتطهير النفوس، ودفع الفساد عن الجماعة، وجلب النفع)[٤]، وأهم منفعة تتحقق لهم هي إخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فكانت دعوته بداية إلى أهل بيته وأصحابه والمقربين إليه ممن شرح الله صدرهم للإيمان، وهدى قلوبهم إلى نور الإسلام، وقد استمرت الدعوة سرا مدة ثلاث سنوات عمل فيها -عليه الصلاة والسلام- على تربية المسلمين وفق منهج رباني هدفه إصلاح الفرد إصلاحا جذريا قوامه كتاب الله، (إن المنهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ في تربية أتباعه هو القرآن الكريم، وكان النبي ﷺ يربي أصحابه تربية شاملة؛ في العقائد، والعبادات، والأخلاق، والحس الأمني وغيرها...)[٥]، وقد كان تعليم المسلمين واجتماعهم في دار الأرقم بن أبي الأرقم، حيث يتعلمون من رسول الله ويحفظون ما ينزل عنه من الوحي، يقول الدكتور علي الصلابي: (كانت المادة الدراسية التي قام بتدريسها النبي ﷺ في دار الأرقم، القرآن الكريم، فهو مصدر التلقي الوحيد، فقد حرص الحبيب المصطفى ﷺ على توحيد مصدر التلقي، وتفرده، وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج، والفكرة المركزية التي يتربى عليها الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والجماعة المسلمة)[٦]، وقد أحيط هذا المقر الذي يجتمع فيه المسلمون للتعليم والتعلم بسرية تامة، فكان بعيدا عن أنظار قريش وتخميناتها[٧] .(❖)

ثانيا: التربية على الصبر ومجاهدة النفس:

بعدما تمكن رسول الله ﷺ من تزكية نفوس المسلمين، وصقل أرواحهم بأخلاق الدين الجديد، بعيدا عن فتن الدنيا وملذاتها، آن الأوان أن تتسع هذه القاعدة وتعم الدعوة أرجاء مكة، حيث أذن الله لنبيه بالجهر بالدعوة ونشرها على نطاق أوسع، إلا أنها - وكما هو الحال في بداية أي تغيير وثورة عن المألوف- لقيت الدعوة لله تعالى- صدودا وإعراضا كبيرا من قبل أهل قريش وزعمائها ويؤكد هذا ما ذهب إليه الدكتور الصلابي: (كانت النتيجة لهذا الصدع هي الصد، والإعراض، والسخرية، والإيذاء، والتكذيب، والكيد المدبر المدروس، وقد اشتد الصراع بين النبي ﷺ وصحبه، وبين شيوخ الوثنية وزعمائها، وأصبح الناس في مكة يتناقلون أخبار ذلك الصراع في كل مكان، وكان هذا في حد ذاته مكسبا عظيما للدعوة)[٨]، ومن أشد أنواع الإيذاء ما لاقاه أبو بكر الصديق، وبلال الحبشي، وعمار بن يسار وأبوه وأمه- رضي الله عنهم أجمعين- لكن رغم كل هذه المحن ومحاولات الصد دخل إلى دين الله عدد كبير من أهل مكة، والقبائل المجاورة، من ذلك إسلام ضماد الأزدي، وعمرو بن عبسة السلمي، والحصين والد عمران -رضي الله عنهما-، كما استجاب لنداء الفطرة الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري -رضي الله عنهم أجمعين- والذين كان لهم الفضل في نشر الرسالة والحفاظ عليها من الفتن، التي واجهها الرسول الكريم والصحابة -رضوان الله عليهم- بالصبر على الإيذاء والاحتساب لرب العباد إيمانا منهم بعدالة قضيتهم وصدق دعوة نبيهم، واستجابة لتعاليم قائدهم فقد: (كانت تعليمات الرسول ﷺ لأفراد المسلمين ألا يواجهوا العدو، وأن يضبطوا أعصابهم، فلا يشعلوا فتيل المعركة، أو يكونوا وقودها، وإن أعظم تربية في هذه المرحلة هي صبر أبطال الأرض على هذا الأذى دون مقاومة...)[٩]، إلا أن الاعتداءات أخذت تتسع والأذى يعظم وينتشر، عندما أحس المشركون بالهزيمة رغم كل المغريات المادية التي قدموها للنبي ﷺ مقابل التخلي عن دعوته، فكان رده الرفض، مما جعل قريش تفكر في طرق جديدة لإخضاع الرسول- عليه السلام- وأتباعه لمطالبها، فتحالفت مع اليهود واستعانت بهم خاصة أن الهدف الجامع بينهما واحد وهو إسقاط الدعوة والقضاء

عليها، بل عملت على حصار المسلمين في شعاب مكة اجتماعيا بمنع الزواج بين الطرفين، واقتصاديا بالنهي عن البيع والشراء منهم... وسد الطريق أمام المسلمين في التعامل مع التجار الوافدين خارج مكة)[١٠]. الأمر الذي كان وقعه شديدا على نفوس المسلمين.
من خلال ما سبق يتبين أن رسول الله ﷺ كان هدفه الأساسي ومنهجه هو بناء إنسان جديد بعيد عما ألفه في الجاهلية من عادات وسلوك، وذلك بالدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد ونبذ ما دونه من الأصنام والأوثان، حتى يحصل لهذه الأمة الجديدة التمكين في الأرض، وبما أن الله عز وجل جعل للتمكين في الأرض سننا وأسباب تتبع، فما هي أهم التدابير التي اعتمدها -عليه الصلاة والسلام- لإصلاح أفراد الأمة المسلمة بالمرحلة المكية؟

• المحور الثاني: التدابير الإصلاحية لرسول الله ﷺ بمكة المكرمة:

غني عن البيان أن التدبير يكون بالعقل والمعرفة والتروي، والسياسة تقتضي اللين والرفق والتأني، مع الشدة في موضع الشدة، وضبط المصلحة وحفظ الذات والحرص على حسن القيام بأمور الناس وقضاء حاجاتهم بالكياسة والذكاء، وصون الأعراض والانقياد للعدل والصبر على الأذى وطرح الشهوات وإيثار الحسن من اللذات، والإنصاف من الفضائل، واستعمال القوة لنجدة الضعيف، ورفع الظلم ومقاومة الفساد، وتقدم التربية على السيطرة والإنتاج على الاستهلاك.
ومما لا يحتاج لبرهان أن التدبير أمر لازم من أجل خلق سياسة للجميع، وأنه وسيلة ناجعة للتفكير في معضلة التفاوت بين الناس في الصفات والرتب...(١١)، ومن تدابيره ﷺ في هذه المرحلة الفاضلة إقراره لمجموعة من المبادئ والقواعد منها:

أولا: تقرير مبدأ المساواة في تلقي الوحي والهداية:

إن من أولى المهام التي أنيطت بالنبي ﷺ مهمة الدعوة إلى الله الواحد الأحد لا شريك له، وبالتبع مهمة التربية وإعادة التقويم؛ أي تربية الأتباع على القيم الرفيعة والأخلاق الفاضلة، بتوجيه سلوكهم نحو الأفضل والأصلح حتى يصبحوا عناصر نافعة وفاعلة داخل الجماعة، ولكي يتحقق هذا الهدف وينجح عليه الصلاة والسلام في مهمته، كان لزاما عليه التحلي بمجموعة من المهارات والأساليب تساعده في تهيئة أفراد صالحين في مجتمع صالح بعيد عن كل أصناف الشرك والوثنية، وصور التعصب للقبيلة، والتفاخر بالأنساب والأحساب، والانتقاص من الضعيف الفقير وإن كان مظلوما، أو الانتصار للقوي الغني وإن كان ظالما، فقد (استعان النبي ﷺ في ربط المجتمع الداخلي، وتوحيد جبهته؛ لتكون قوية في مواجهة الحرب النفسية الموجهة ضدها بالمساواة بين أفراد هذه الجبهة، وإعطائهم الحرية، فهم لا يدخلون إلى هذا المجتمع إلا بالحرية، ثم كانت لهم في داخله حرية الرأي وحرية التعبير، والمشورة، فقد أتى محمد ﷺ بمبدأ المساواة بين جميع الناس، الحاكم والمحكوم، والغني والفقير، وبين جميع الطبقات، وقد كان لهذا المبدأ العظيم أكبر الأثر في نفوس أتباع النبي ﷺ، وجعلهم يتحابون ويتماسكون، ويفتدون بأرواحهم، ويدافعون عنه بكل ما أوتوا من قوة وعزيمة؛ فهو ﷺ لم يقر تفاوتا بين البشر بسبب مولد، أو أصل، أو حسب أو نسب، أو وراثة، أو لون، والاختلاف في الأنساب والأجناس، والألوان لا يؤدي إلى اختلاف في الحقوق والواجبات أو العبادات؛ فالكل أمام الله سواسية، وعندما طلب أشراف مكة من رسول الله ﷺ أن يجعل لهم مجلسا غير مجلس العبيد والضعفاء، حتى لا يضمهم وإياهم مجلس واحد، بيّن الرسول ﷺ أن جميع الناس متساوون في تلقي الوحي، والهداية)[١٢].
فكان من أهم التدابير الإجرائية التي بادر إليها النبي محمد ﷺ - وهو في بداية دعوته- رفع شعار المساواة وتطبيق العدل بين الخلائق، فكان العدل هو المظلة التي يحتمي بها المظلوم قبل الظالم، والفقير قبل الغني، الأمر الذي هيأ الجو لاستقبال واستحسان هذه الدعوة التي لقيت إقبالا من قبل الناس بمختلف مشاربهم وأطيافهم، فهي دعوة تنبذ كل أصناف الإقصاء والعنصرية والظلم والتعصب، رغم ما اكتنفها في البداية من مصاعب وشدائد جمّة، ومن ذلك ما سنراه في النقطة الموالية، فكيف تعامل - عليه الصلاة والسلام مع هذا الوضع؟ وما هي الإجراءات العملية التي اقترحها سيد الخلق ﷺ على أصحابه للتخلص من كيد ومكر قريش بهم؟

ثانيا: الأخذ بالأسباب والتوكل على الله:

لما ضاق الأمر على المسلمين وكثر الصد من قبل قريش، وتضاعفت صنوف الإيذاء، من ضرب وشتم وقذف، ومقاطعة إلى أن وصل بهم

الأمر إلى استباحة الدماء بالقتل والضرب، خاف رسول الله على أصحابه من هذه الفتنة العظيمة، والشر المستطير لقريش وتربصهم بالمسلمين، فعمل ﷺ على البحث عن مكان أكثر أمانا لحماية دعوة الإسلام والمسلمين، فكانت أرض الحبشة هذا البلد الذي كان أهله على دين النصارى، وخارج حدود مكة، قال ابن إسحاق: (فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانة من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه» ... فكانت أول هجرة كانت في الإسلام)[١٣]، وقد كان اختيار الرسول ﷺ لهذا البلد ناتجا عن أسباب عدة من أهمها:

ما صرح به -عليه الصلاة والسلام- وهو العدل الذي امتاز به ملك الحبشة النجاشي وصلاحه، بالإضافة إلى أن الحبشة مكان آمن للدعوة وقاعدة جديدة للانطلاق، الأمر الذي سيساعد على نشر الدعوة خارج مكة، وحدث الهجرة للحبشة يقتضي من القائد الفذ ضرورة الأخذ بالأسباب وحسن التوكل على الله، (إن الفقه السياسي الأعظم، والتخطيط النبوي الأعمق من الرسول ﷺ وهو يمضي في بناء دولة الإسلام، ويدرس كافة الاحتمالات المتوقعة، ويبحث في كل مكان عن الأرض المناسبة لقيام دولة الإسلام أو لحماية العقيدة فيها...).

إن التدابير الإصلاحية التي قام بها الرسول ﷺ بمكة المكرمة كانت تهدف إلى تحقيق خطة أمنية هدفها الأساسي الدعوة إلى دين الله الواحد والحفاظ على الصفوة المؤمنة، بحماية العقيدة الإسلامية مما يمكن أن يشوبها أو يهددها من كيد أعداء الإسلام والمسلمين، وذلك بتشكيل فكر جديد وأخلاق جديدة مخالفة تماما لما كان سائدا قبل البعثة، وحتى يتحقق هذا الهدف، كانت الحاجة ماسة إلى الدعوة خارج أسوار مكة وذلك بعرض الإسلام على القبائل، يقول الدكتور أحمد حمد: (لا بد لنجاح الدعوة المنشود واستمرارها الممدود وتحقيق عالميتها من دولة أو قوة منظمة أو مجموعة من الناس يربطهم رباط قوي أو قل قبيلة، فالقبيلة شكل من أشكال الدولة، وإن استطعنا أن نقول إن القبيلة أسرة كبيرة، فنستطيع أن نقول أيضا: إن الدولة قبيلة كبيرة)[١٤]. وحتى تنجح هذه القبيلة الكبيرة وتحقق الغرض المراد من وجودها لا بد من التزام يربط الراعي بالرعية من خلال العهد على الطاعة والبيعة على النصرة والتمكين لهذه الدولة الناشئة في الأرض، وهذا ما تم فعلا وطبق عمليا في الفترة النبوية التي امتازت بوفور الأمن وسيادة العدل رغم العراقيل التي واجهتها في البداية، فكان بذلك الرسول الكريم نموذجا يحتذى في حسن القيادة والتدبير لشؤون الدولة الإسلامية العادلة، منهجها تقوى الله عز وجل، ونبذ ما دونه من الأوثان والأصنام، كيف لا وهو الرحمة المهداة كما وصفه رب العزة جل وعلا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء، الآية: ١٠٧)، رحمة ألفت بين القلوب، وجلت عنها صدأ الجهل والوثنية والعصبية البغيضة، فمن آمن به سعد ونجا، ومن لم يؤمن به خاب وخسر.

الهوامش

١ - للاطلاع على حادث التحكيم في وضع حجر الكعبة المشرفة يمكن الرجوع إلى سيرة ابن هشام، ص: ١٢٥، سيرة ابن إسحاق المسماة ب: كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، لمحمد بن إسحاق بن يسار تحقيق: محمد حميد الله تقديم الأستاذ: محمد الفاسي، ص: ٨٨.

٢ - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (دروس وعبر)، للدكتور: علي محمد محمد الصلابي، الجزء: الأول: ص: ٨٩-٩٠.

٣ - السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور: ضياء العمري، الجزء: الأول، ص: ١١٦.

٤ - دولة الرسول ﷺ من التكوين إلى التمكين، للدكتور: كامل سلامة الدقس، ص: ١٨١، دار عمار - عمان، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٥ - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (دروس وعبر)، للدكتور: علي محمد محمد الصلابي، الجزء: الأول: ص: ١٢٧.

٦ - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (دروس وعبر)، للدكتور: علي محمد الصلابي، الجزء: الأول: ص: ١٣٦.

٧ (❖)- ينظر: أسباب اختيار دار الأرقم كأول مدرسة في الإسلام، من خلال كتاب: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (دروس وعبر)، للدكتور: علي محمد محمد الصلابي، الجزء: الأول: ص: ١٣٧- ١٣٨.

٨ - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (دروس وعبر)، للدكتور: علي محمد الصلابي، الجزء: الأول: ص: ٢٢٦.

٩ - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (دروس وعبر)، للدكتور: علي محمد الصلابي، الجزء: الأول،: ص: ٣٢٤.

١٠ - نفسه: ص: ٣٢١، (بتصرف).

١١ - مقال بعنوان: فن السياسة وحسن التدبير لصاحبه زهير الخويلدي، ص: ١٤٣-١٤٤. مجلة: يتفكرون العدد الأول، ربيع ٢٠١٣ م، صادرة عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود (بتصرف).

١٢ - السيرة النبوية (دروس وعبر)، للدكتور: علي محمد الصلابي، الجزء: الأول: ص: ٢٩١.

١٣ - السيرة النبوية، لابن هشام، الجزء: الأول، ص: ٢٠٦.

١٤- الجانب السياسي في حياة الرسول ﷺ، للدكتور: أحمد حمد، ص: ٣٤.



الزبير مهداد
كاتب وباحث في التربية والثقافة

جمالية الأخلاق في الفكر المقاصدي

شارك عدد من الفقهاء المجتهدين في التأسيس لفقه المقاصد، منهم إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت: ٤٧٨هـ)، وتلميذه الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، والعز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ)، وشهاب الدين القرافي (ت٦٨٥هـ)، وابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) وتلميذه ابن قيم (ت: ٧٥١هـ)، والشاطبي[1] (ت: ٧٩٠هـ)، هذا الأخير الذي يعد من أهم من أرسى أسس الفقه المقاصدي، من خلال كتابه الموافقات في أصول الشريعة الذي كشف فيه عن منهجه التجديدي في العقلية الإسلامية، حيث يحوز الفضل في تأصيل أصول الفقه، والكشف عن أهمية مقاصد الشريعة في أحكام العبادات والمعاملات؛ وأبان فيه عن اتجاه تجديدي في المنهج العقلي الأصولي، وجهده التجديدي في ميدان الأصول لم يتجه إلى المحتوى، بل انصبّ على المنهج، أي الطريقة التي يتعامل بها العقل مع ما يواجهه من قضايا.

والغاية من فقه المقاصد تقصي الحكمة من وجود الشيء ضمن فلسفة الخلق، إيمانا بأن الله عز وجل خلق الكائنات لغاية وحكمة، ووضع الشرائع التي حرمت ما حرمت وأحلت ما أحلت لحكمة ومصلحة، ودور الفقيه المجتهد استنباط هذه الغايات والمصالح من التشريعات حتى تكون الأحكام مراعية لها وملتزمة تحقيقها. فالمقاصد هي: (الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد)[٢].

قال الشاطبي في الموافقات: إن الشارع قد قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والدنيوية، وذلك على وجه لا يختل لها به نظام، لا بحسب الكل ولا بحسب الجزء(٣)؛ وإن القصد الشرعي من وضع الشريعة، إخراج المكلف من داعية هواه حتى يكون عبدا لله اختيارا كما هو عبد الله اضطرارا[٤].

ومراعاة المقاصد في تفسير النصوص الشرعية يضمن حماية النص من أي تأويل خاص يخضع للأهواء الشخصية، لأن المقاصد محددة مضبوطة، والأخذ بأي وجه يتنافى مع المقاصد باطل، بينما دلالة ألفاظ النصوص على معانيها قد تحتمل عدة وجوه[٥]، فالبحث عن المقاصد في أحكام الشريعة يستدعي رد الأحكام إلى أصولها، وإعمال العقل فيها، واستجلاء مقاصدها وترتيب سلم القيم.

الأخلاق في الميزان

أولى الشاطبي في كتابه الموافقات عناية لقضايا العقل والإيمان والمعرفة والعمل وغيرها من المباحث المهمة التي تعتبر مجالا لبحث الأصوليين، إلى جانب ذلك أولى موضوع الأخلاق والآداب اهتمامه، وفصل فيه الحديث بشكل لطيف.

في الموافقات يؤسس الشاطبي كل الأحكام على أساس أصولي، القرآن في الدرجة الأولى، ثم السنة في الدرجة الثانية، بعدها تأتي الأصول الأخرى. وعلى ضوء ذلك عرض المعايير الإسلامية للتفريق بين الخلق الحسن للإعلاء من شأنه، وبين الخلق السيئ للحط منه.

يؤكد الشاطبي أن الأخلاق ليست غاية في حد ذاتها، بل هي وسيلة خادمة للأصل الضروري، محققة لمصالح الدين والدنيا الأساسية التي يترتب عن الخلل فيها خلل في نظام الحياة كله. وهي المسماة بالحقوق الخمسة: (النفس، العقل، العرض، الدين والمال) التي بينها الشرع[٦]. لذا لا يجب أن يتعارض خلق من الأخلاق مع هذه المصالح، أو يؤدي إلى خلل في واحد منها، لأن ذلك يلبس قسم الضروريات لبسة الحرج والعنت، ويضيق على المكلف ما وضعته الشريعة في الشعائر الدينية من سعة وبسطة، وتسبب له في حرج، ولا يبقى معها خصال معاني العادات ومكارم الأخلاق موفرة الفصول مكملة الأطراف. وهذا ما لا يستحسنه أهل العقول، بل يتعارض مع الشريعة والرسالة الإسلامية التي بنيت على التكليف بالتوسع، وعلى رفع الحرج، وعلى مكارم الأخلاق[٧].

وفي تصنيف المقاصد رتبها الشاطبي في طبقات ثلاث: طبقة الضروريات، ثم الحاجيات، ثم التحسينيات. وقال بعد تعريف هذه المقاصد وترتيبها: إن مجموع الحاجيات والتحسينيات ينتهض أن يكون كل منها كفرد من أفراد الضروريات، وذلك أن كمال الضروريات من حيث هي ضروريات إنما يحسن موقعه حيث يكون فيها على المكلف سعة وبسطة من غير تضييق ولا حرج، وحيث يبقى معها خصال معاني العادات ومكارم الأخلاق مكملة الأطراف موفرة الفصول، حيث يستحسن ذلك أهل العقول[٨].

وإذا أخل بذلك لبس قسم الضروريات لبسة الحرج والعنت، واتصف بضد ما يستحسن في العادات وصار الواجب الضروري متكلف العمل وغير صاف في النظر الذي وضعت عليه الشريعة وذلك ضد ما وضعت عليه. وفي الحديث: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (مسند البزار عن أبي هريرة)؛ فكأنه لو فرض فقدان المكملات لم يكن الواجب واقعا على مقتضى ذلك. وذلك خلل في الواجب ظاهر، أما إذا كان الخلل في المكمل للضروري واقعا في بعض ذلك وفي يسير منه، بحيث لا يزيل حسنه ولا يرفع بهجته ولا يغلق باب السعة عنه، فذلك لا يخل به وهو ظاهر[٩].

جمالية الأخلاق الحسنة:

يعرف الشاطبي المصالح

التحسينية بأنها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدلسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق، وهي جارية فيما جرت فيه الأوليات.

ففي العبادات كإزالة النجاسة، وبالجملة الطهارة كلها، وأخذ الزينة، والتقرب بنوافل الخيرات من الصدقات والقربات وأشباه ذلك، وفي العادات كآداب الأكل، والشرب، ومجانبة المآكل النجسة، والمشارب المستخبثات، والإسراف والإقتار في المتناولات.

فهذه الأمور راجعة إلى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية، إذ ليس فقدانها بمخل بأمر ضروري ولا حاجي، وإنما جرت مجرى التحسين والتزيين[10].

وإسهاباً في مناقشة موضوع الأخلاق وبيان جمالية الآداب الإسلامية، تكلم الشاطبي عن استفادة الآداب الشرعية من المعاني الثانوية، لا من جهة الوضع بل من جهة التأسي والتأدب بالقرآن الكريم، وبين ذلك على سبعة أوجه وهي:

١- أن القرآن أتى بالنداء من الله للعباد ومن العباد لله إما حكاية وإما تعلما. ونداء الله لعباده يكون مسبوقا بحرف النداء المقتضي للبعد، ثابتا غير محذوف، يفيد التنبيه. أما نداء العبد لله فقد جاء من غير حرف نداء ثابت لأن الله منزه عن التنبيه، على أدبين:

أ - أحدهما ترك حرف النداء.

ب - الآخر استشعار القرب.

كما أن في إثبات الحرف في القسم الآخر التنبيه على معنيين:

● إثبات التنبيه لمن شأنه الغفلة والإعراض والغيبة وهو العبد؛

● الدلالة على ارتفاع شأن المنادي وأنه منزه عن مناداة العبد.

٢- ونداء العبد للرب نداء رغبة وطلب لما يصلح شأنه، فأتى في النداء القرآني بلفظ الرب في عامة الأمر تنبيها وتعليما لأن يأتي العبد في دعائه بالاسم المقتضى للحال المدعو بها. وذلك أن الرب في اللغة هو القائم بما يصلح المربوب.

٢- أتى في الكناية عن الأمور التي يستحيا من التصريح بها، كما كنى عن الجماع باللباس والمباشرة، وعن قضاء الحاجة بالمجيء من الغائط، كما قال في نحوه: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ (المائدة: ٧٥)، فاستقر ذلك أدبا لنا استنبطناه من هذه المواقع.

٤- أتى فيه بالالتفات الذي ينبئ فيه القرآن عن أدب الإقبال من الغيبة إلى الحضور بالنسبة إلى العبد إذا كان مقتضى الحال يستدعيه، وكذلك إذا كان اقتضاه الحال.

٥- الأدب في المناظرة أن لا يفاجئ الرد كفاحا دون التقاضي بالمجاملة والمسامحة، وذلك أدعى إلى القبول وترك العناد وإطفاء نار العصبية.

٦- الأدب في ترك التنصيص على نسبة الشر إلى الله تعالى، وإن كان هو الخالق لكل شيء في آيات كثيرة.

٧- الأدب في إجراء الأمور على العادات في التسببات وتلقي الأسباب منها، وإن كان العلم قد أتى من وراء ما يكون أخذا من مساقات الترجيحات العادية. والترجي والإشفاق ونحوهما إنما يقع حقيقة ممن لا يعلم عواقب الأمور، فينبغي لمن كان عالما بعاقبة أمره، بوجه من وجوه العلم الذي هو خارج عن معتاد الجمهور، أن يحكم فيه عند العبارة عنه بحكم غير العالم، دخولا في غمار العامة، وإن بان عنهم بخاصية يمتاز بها، وهو من التنزلات الفائقة الحسن من محاسن العادات[11].

تعاضد الجمال والأخلاق الحسنة:

إن القاسم المشترك بين الأخلاق الحسنة والجمال هو بعثهما في النفس الأحاسيس الجميلة من سرور ورضا، ويشكلان مكونا هاما من مبحث القيم العليا وهي: الحق والخير والجمال. فجمال الأفعال ملائمة لمصالح الخلق، وقاضية لجلب المنافع وصرف الشر عنهم[12]، لذا ترتبط التربية الجمالية بالتربية الأخلاقية، وتعدان معا وجهين لعملة واحدة، تكمل الواحدة الأخرى وتدعمها. وكما دعا الإسلام إلى مكارم الأخلاق وحث على التمسك بها، فإنه دعا إلى الاهتمام بالجانب الجمالي في الحياة الإنسانية



وفي عاداته وعباداته. وأمر بالعناية بمظهر المسلم والحرص على التجمل فيه وأخذ الزينة. وفي القرآن الكريم والسنة النبوية نصوص كثيرة ترشد إلى هذا.

فالجمال حسن الخلق أو الخلق أو الفعل، أو جميع هذه الصفات، تلحظ في الناس والأشياء وتبعث السرور في النفس، فجمال الأخلاق كونها على الصفة المحمودة من العلم والحكمة والعدل والعفة وكظم الغيظ، وجمال الأفعال وجودها ملائمة لمصالح الخلق وقاضية لجلب المنافع فيهم وصرف الشر عنهم، وجمال الخلقة يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلائما، والإسلام علم الإنسان أن يبذل وسعه ليكون جميلا في مظهره وجوهره ومطعمه وملبسه ومسكنه[١٣]. والإنسان بما أوتي من عقل وبصيرة، وباسترشاده بالدين قادر أن يجعل من أهدافه أن يكون جميلا في صورته وكل متعلقاته.

وقد تختلف مقاييس الجمال باختلاف البيئات والثقافات والأزمة وأذواق الناس وميولهم، إلا أن الجانب المتصل فيها بالأخلاق يظل ثابتا لا يتغير ولا يختلف الناس حوله بتغير الأزمنة والأمكنة، إذ أن الأخلاق الفاضلة جميلة ومتفق عليها عند الجميع، والجمال الذي يراعي الأخلاق لا اختلاف حول قيمته وأهميته وضرورته.

اعتبارا لاتصال الجمال بالأخلاق، فإن العناية بالتربية الجمالية ونشرها يخدم التربية الخلقية ويدعمها، لأن النشء الذي نضج في ذهنه الذوق الجمالي وقدره يتطلع إلى مثالية سامية؛ مثالية الحق، والخير، والجمال فيصور الفضيلة في شكل جذاب يناسب أن يصير خلقا فيه.

فالشعور بالجمال نعمة كبيرة تبعث على الرضا والسكينة والطمأنينة وسائر الأحاسيس المريحة، تمج فيها النفس كل قبيح. وتربية الذوق خير ما يقدم إلى الناشئ من ناحية تقويم أخلاقه، لأن الذوق الجمالي يشمل السلوك، وانعدامه يؤدي إلى خشونة المعاملة وسوء السلوك. فالتعلق والتمسك بالجمال يساعد على التمسك بالخير والنفور من الشر، ومن ثم يؤدى إلى تنمية الأخلاق الحسنة، ما يعد من أهم أهداف التربية الجمالية.

الهوامش

١- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي اللخمي: فقيه كبير وأصولي شهير من أهل غرناطة، توفي بها عام ٧٩٠. أخذ عن جماعة من علماء الأندلس والمغرب حتى تفقه ونبغ وكان له فضل تجديد علم أصول الفقه. أهم مؤلفاته كتاب الموافقات في أصول الشريعة.

٢- الريسوني، أحمد: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) ص ٧.

٣- الموافقات في أصول الشريعة، حققه عبد الله دراز، بيروت، دار المعرفة، د ت. ج٢ ص٣٧.

٤- الموافقات ج٢ ص١٦٨.

٥- عباس، محمد حسم. الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره. مكة المكرمة. رابطة العالم الإسلامي. ١٤١٤. (سلسلة دعوة الحق:١٠) ص ٨٤

٦- الموافقات ج٢ ص٢٤.

٧- الموافقات ج٢ ص٢٣.

٨- الموافقات ج٢ ص٢٣.

٩- الموافقات ج٢ ص١٢.

١٠- الموافقات ج٢ ص١٢.

١١- الموافقات ج٢ صفحات ١٠٣ إلى ١٠٧.

١٢- محمود، عبد الحليم: تربية الناشئ المسلم. المنصورة. دار الوفاء، ١٩٩٢ ص ٣١٢.

١٣- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٧١.



أ.د. وجيه يعقوب السيد
أستاذ النقد الأدبي
جامعة عين شمس

أديب العربية الكبير: مصطفى صادق الرافعي





هذا الأديب الكبير يعد واحدا من كبار الأدباء والنقاد والمفكرين في العصر الحديث، بشهادة معاصريه، رغم معاناته الطويلة مع المرض والإعاقة؛ إذ أصيب في مرحلة مبكرة من عمره بمرض أفقده القدرة التامّة على السمع، وقد أثر المرض على طريقة حديثه ونطقه، لكن ذلك لم يمنعه من مواصلة السعي بجدية طلبا للعلم، فعكف على مكتبة جده وأبيه، وراح يقرأ كل ما يستطيع فهمه وهضمه، وإذا كانت هذه الإعاقة قد منعته من مواصلة تعليمه في المدارس النظامية، فقد فتحت أمامه آفاق القراءة والاطلاع من منابعها الأصيلة، ولم تمنعه من التواصل مع العالم الخارجي؛ فكان مشاركا فاعلا في الحياة الثقافية والفكرية، يخوض المعارك ويخرج منها منتصرا في أغلب الأحيان.

إنه الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي؛ ولد عام: (١٨٨١م)، لأبوين ترجع أصولهما إلى طرابلس- الشام، حيث وفد جده: عبد القادر من الشام ليستقر بمصر في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، وكان عالما وفقيها تخرج على يديه كبار علماء مصر، كما تولى أبوه منصب القضاء، وعمل في عدد كبير من المحاكم الشرعية في مختلف أقاليم مصر،

وصار رئيسا لمحكمة طنطا الشرعية، وقد عرف بالورع والتقوى، والشدة في الحق، وغزارة العلم، وقد ورث الابن عن أبيه هذه الصفات، فكان قويا صلبا في قول الحق، غزير العلم مثقفا، لم يكف عن القراءة حتى آخر لحظة في حياته.

وفي كنف هذه الأسرة المحافظة نشأ الرافعي نشأة قويمة؛ فحفظ ما تيسر له من القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، وكان لذلك أكبر الأثر في كتاباته وسلوكه وطريقة تفكيره، كما نشأ محبا لتراث أمته وارتبط به ارتباطا وثيقا، فاطلع على كتابات الأقدمين وعرف قيمتها، فهي كنوز حقيقية لكنها تحتاج إلى غواص ماهر لاستخراج لآلئها فكان هو هذا الغواص.

ورغم أصوله الشامية كان الرافعي شديد الاعتداد بمصريته، فعلى أرضها ولد، وعلى أرضها عاش، وعلى أرضها انطلقت شهرته لتصل إلى كافة بقاع الأرض.

وكثيرا ما كان يرد على من يتهمه في وطنيته ساخرا: أفتراهم يتهمونني في مصريتي لأنني في زعمهم غير مصري، وفي مصر مولدي وفي أرضها رفات أمي وجدي؟!

أصيب الرافعي بمرض التيفوئيد عندما كان في العاشرة من عمره، وبعد أن نال الشهادة الابتدائية، فكان من مضاعفاته فقده للسمع، كما ترك هذا الداء أثرا واضحا في النطق والكلام عند الرافعي، فوجد عزاءه وراحته في القراءة والاطلاع بعد أن انقطع عن المدرسة بسبب هذه الإعاقة، وتلقى الرافعي أقداره بكل رضا واستسلام وسكينة نفس، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم!

وبذلك اجتمعت للرافعي كل أسباب المعرفة والاطلاع، وكانت محنته ومرضه – رغم قسوتها ومرارتها – خيرا وبركة عليه وعلى الأمة؛ فقد عرف سبيله إلى العلم والنبوغ منذ وقت مبكر، وانقطع إلى القراءة انقطاع الزاهد، الذي لا تغريه الحياة بكل ما فيها من ملذات وشهوات، فكان هذا النتاج العلمي والأدبي الغزير، الذي فاق به الرافعي كثيرا من أقرانه الأصحاء وغير الأصحاء.

كان الرافعي يدرك أن ما فاته من تحصيل للعلم – بسبب عدم استكماله للدراسة في المدارس النظامية – ليس بالأمر اليسير ولا الهين، وأن عليه إذا أراد اللحاق بأقرانه، أن يصل الليل بالنهار قراءة واطلاعا وتأليفا، وألا يسمح لأحد مهما كان شأنه أن يضيع أغلى ما يملك؛ وهو الوقت، وأنه يجب أن ينفق كل لحظة فيما يعود عليه وعلى أمته بالنفع والفائدة، لذلك كانت العين لا تقع عليه إلا وهو ممسك بكتاب أو مجلة أو صحيفة، سواء كان في بيته أو في القطار أو في الشارع، وكان إذا زاره ضيف وأطال الجلوس عنده، جاء بكتاب وأشرك الزائر معه في القراءة، ويظل يقرأ حتى ينصرف زائره، وهو بهذا يضرب المثل في استثمار الوقت، وعدم إضاعته بأي شكل من الأشكال، لأن الوقت هو أثمن ما يملكه الإنسان حقا.

والرافعي هنا يذكرنا بابن الجوزي المؤلف والمحدث والمفسر المعروف، الذي ألف ما يزيد على أربعمائة كتاب في مجالات العلم المختلفة، منها كتاب الأذكياء، وكتاب الحمقى والمغفلين، وكتاب صيد الخاطر، وكتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، وغيرها من الكتب المفيدة والعظيمة النفع؛ حيث كان قليل الاختلاط بالناس إلا للضرورة، وكان إذا زاره ضيف استقبله وأحسن وفادته، لكنه كان لا يضيع وقته فيما لا يفيد، فكان يستغل وقت الزيارة في تقطيع الأوراق التي سيكتب فيها وبري الأقلام التي سيكتب بها، فقد كان يعرف قيمة الوقت، لذلك أنجز هذه المؤلفات العظيمة التي أفادت الأمة، ولا تزال آثارها ممتدة حتى يومنا هذا.

إن كثيرا من الناس لا ينقصه الذكاء، ولا يفتقدون إلى الطموح، ولا إلى الرغبة في النجاح والتفوق، ولكن ينقصهم التخطيط وإدارة الوقت إدارة جيدة، واختيار ما يناسبهم ويناسب قدراتهم من أعمال وتخصصات، فلا شك أن الإنسان إذا أحب تخصصه واكتشف مواهبه، سيكون أكثر حماسة وإتقانا لعمله وتفانيا، وستكون له بصمة واضحة في مجال عمله، أما التقليد وافتقاد الهدف وغياب التنظيم، فسينتج شخصية ضعيفة وباهتة، لا تضيف شيئا إلى مسيرة العلم والتقدم، ولا

تترك أثرا يذكر بعد رحيلها، ولم يكن الرافعي يفتقد إلى الذكاء أو الطموح أو إدارة الوقت، وكان عاشقا لأمته وتراثها، مكبا على القراءة والكتابة فترك لنا هذا الإنتاج الغزير، الذي نهلت ولا تزال تنهل منه الأجيال.

يقول الأديب الكبير الأستاذ محمد سعيد العريان وهو أحد تلامذة الرافعي، الذين لازموه في حله وترحاله، وكان يقضي معظم وقته بصحبته: كان الرافعي هبة الله إلى الأمة العربية المسلمة في هذا الزمان، لينبهها إلى حقائق وجودها، وليردها إلى مقوماتها، وليشخص لها شخصيتها التي تعيش باسمها ولا تعيش فيها، والتي تعتز بها ولا تعمل لها.

يرحمه الله! لقد عاش في خدمة العربية سبعا وثلاثين سنة من عمره القصير، وصل بها حاضرها الماثل بماضيها البعيد؛ فهي على حساب الزمن سبع وثلاثون ولكنها على الحقيقة عصر بتمامه من عصور الأدب، وفصل بعنوانه في مجد الإسلام.

لقد عاش غريبا ومات غريبا، فكأنما كان رجلا من التاريخ بعث في غير زمانه ليكون تاريخا حيا ينطق بالعبرة ويجمع تجارب الأجيال، يذكر الأمة العربية الإسلامية بماضيها المجيد، ثم عاد إلى التاريخ بعد ما بلغ رسالته. لقد خفت الصوت، ولكنه خلف صداه في أذن كل عربي وفي قلب كل مسلم، يدعوه إلى الجهاد لمجد العرب ولعز الإسلام. (انظر: حياة الرافعي: ص ١٧).

الرافعي في الوظيفة:

وكما لم تمنع الرافعي إعاقته من مواصلة القراءة والتأليف، والتواصل مع الناس، فإنها لم تمنعه من العمل والوظيفة، فقد التحق بوظيفة كاتب بإحدى المحاكم بمدينة طنطا بمصر، وكان عمره أقل من عشرين عاما، وظل يتنقل من مدينة إلى أخرى، حسبما تقتضيه ظروف العمل، وكان الكتاب صديقه الدائم والملازم له في حله وترحاله، وقد أكسبه العمل في المحكمة خبرات كثيرة وواسعة؛ حيث اطلع على صور ونماذج متنوعة من البشر.

وكان الرافعي شديد الاعتداد بنفسه، مؤمنا بموهبته، ساعيا بكل السبل لتحقيق هدفه الأسمى، دون أن يصيبه كبر أو غرور، وعرف عنه الشهامة والنخوة، فكان يقوم بمساعدة زملائه في العمل، ولم يعرف عنه تقصير أو تراخ في عمله، ومع ذلك لم يسلم من بعض الشكاوى الكيدية، التي تتم عن حسد من بعض زملائه في العمل.

كان الرافعي يعتقد أن الموظف الناجح، هو من ينجز أعماله ويقوم بما أسند إليه من أعمال، لا من يكون همه الجلوس على الكرسي، والحضور والانصراف في وقت محدد، لذلك شكاه أحد مديريه إلى وزارة العدل، وطلب إقالته لأنه يتأخر في الحضور، وعندما سأل المحقق الرافعي عن سبب تأخيره قال له: أنا هنا للعمل، ولا أستحق الإدانة إلا إذا قصرت وأخطأت فيما يسند إلي من عمل، أما إذا كانت الوظيفة تعني الحضور والانصراف في وقت بعينه، والجلوس على كرسي حتى يحين موعد الانصراف، فلا إثم علي إن تمردت على هذا التحكم، ثم أضاف الرافعي قائلا: إنكم لا تملكون مني إلا هاتين الإصبعين ساعات من النهار.

وأعجب كلام الرافعي المحقق واقتنع بوجهة نظره، فكتب تقريرا مفصلا للوزارة يدافع فيه عنه وقال في ها التقرير: إن الرافعي ليس من طبقة الموظفين الذين تكبلهم الوزارة بقيود الوظيفة، بل إن هذا الأديب له حق على الأمة أن يعيش في أمن ودعة وحرية، ولولا أنه رجل قنوع وزاهد، لما ظل في هذا المكان ولا في تلك الوظيفة، دعوه يعيش كما يشتهي أن يعيش، واتركوه يعمل ويبدع لهذه الأمة في آدابها ما يشاء أن يبدع، واكفلوا له العيش الرخي في هذا المكان.

ويالها من كلمات ملهمة تدل على بصيرة المحقق ومعرفته بقدر الرافعي، ولا عجب في ذلك فقد كان المحقق هو الأديب والشاعر المعروف حفني ناصف.

وقد حفظ التحقيق وانتصر منطق الرافعي، ولم يعد لأحد سلطان عليه، فكان يحضر وينصرف وقتما يشاء، لكنه كان ينجز أعماله على أكمل وجه، حتى أن زملاءه كانوا يستعينون

به وبخبراته في أدق المسائل، وقد توثقت الصلة بين الرافعي والأديب الكبير حفني ناصف فيما بعد، حين تولى ناصف القضاء في محكمة طنطا.

مواهبه المتعددة:

اتجه الرافعي في بدايته إلى الشعر فكتب عددا من القصائد والأناشيد الوطنية، والشعر فن وموهبة يعتمد على رقة الطبع ورهافة الحس وعمق التجربة، ولم يكن ينقص الرافعي شيء من ذلك، لكنه بمرور الوقت وجد موهبته الحقيقية في النثر، وكان الذي لفت نظره إلى هذه الموهبة هو الكاتب الكبير: إبراهيم اليازجي؛ فقد أهداه الرافعي نسخة من أول ديوان شعري له، مصحوبة بمقدمة نثرية بليغة، فظن اليازجي أول الأمر أنها ليست من إنشائه لجودتها ونضج أفكارها، فلما تأكد له أنها من إبداعه كتب يشيد به وبأسلوبه ويتنبأ له بمستقبل عظيم، والعجيب في الأمر أن الرافعي كان وقتها في الثالثة والعشرين من عمره، ومع ذلك استطاع أن ينتزع إعجاب كثير من كبار أدباء عصره، وتنبأوا له بمستقبل زاهر في عالم الأدب والكتابة، وكان ممن أشاد به وبفنه: الشيخ محمد عبده، والزعيم مصطفى كامل، والشاعر حافظ إبراهيم، ومحمود سامي البارودي، وسعد زغلول، والأهم من ذلك رأي القراء الإيجابي فيه وفي أدبه.



كان الرافعي في بداياته طموحا ومتعجلا للشهرة، لذلك راح يناطح كبار الشعراء ويقارن نفسه بهم، بل كان يضع نفسه في مصافّ الكبار رغم أنه لم يكن قد جاوز الخامسة والعشرين من عمره بعد، ومن الطرائف التي ذكرها الأستاذ محمد سعيد العريان؛ وهو أحد المقربين من الرافعي وكاتب سيرته الذاتية، أن الرافعي في بداية حياته الأدبية كتب مقالة بدون توقيع، وقام بنشرها في مجلة الثريا قسم فيها الشعراء إلى ثلاث طبقات؛ وقد وضع نفسه في الطبقة الأولى، بينما وضع أحمد شوقي وخليل مطران وحفني ناصف وغيرهم من كبار الشعراء في الطبقة التي تليه، كان هذا بالطبع في بداية عهده بالكتابة، لكنه في آخرة من حياته تخلى عن هذا الطموح وترك الشعر، ليتبوأ مكانته اللائقة بين كتاب النثر والمقال.

وإذا كان من شيء يستفاد من هذه التجربة؛ فهو أن الرافعي لم يكن شخصا جامدا ولا متحجرا، بل كان شخصا شديد الطموح والسعي لإثبات ذاته وسط هذه الكوكبة الكبيرة من الأدباء والكتاب، وكان في تلك المرحلة المبكرة من عمره يختبر موهبته وإمكانياته في الكتابة، فلما وجد أن الكتابة النثرية هي الأقرب إلى نفسه أسس لنفسه طريقة ومذهبا في الكتابة يعرف به ويشار إليه بالبنان.

لقد كان في اتجاه الرافعي إلى النثر

خير كبير على الأدب العربي، فقد زود المكتبة العربية بعدد كبير من المقالات والكتب المهمة في بابها، كانت مع غيرها من أهم عوامل نهضة الأدب والكتابة في العصر الحديث؛ فقد كانت دراسة الأدب تعتمد على الذوق الشخصي للناقد، فأضاف الرافعي في كتابه: تاريخ آداب العرب الذي صدر في أجزاء ثلاثة، الدعوة إلى دراسة الأدب دراسة علمية، تقوم على البحث والاستقراء والمقارنة، وكان عماده في ذلك ما كان يتحلى به من دأب وصبر وطبع أصيل واطلاع واسع.

وتنوعت كتابات الرافعي تنوعا عجيبا؛ فألف في تاريخ الأدب، وفي إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وفي النفس البشرية، وفي العديد من القضايا والتأملات الإنسانية، وأفرد مساحة كبيرة للدفاع عن الإسلام ضد المتهجمين عليه والمتربصين به، فكان الرافعي بحق أهم المدافعين عن القرآن الكريم في العصر الحديث، كل ذلك في بيان عذب ولغة عربية أصيلة، شكلت وعي الأجيال وأثرت في أساليب الكتاب والمبدعين.

لم يكن الرافعي يرى في العلة التي أصابته وهو في مقتبل شبابه إلا نعمة من الله عز وجل، اختصه بها وعوضه عنها نبوغا وذكاء كبيرا، وبيانا لم يتوفر لغيره من الأدباء والكتاب، ولا شك أنه لا يوجد شيء يعين المصاب والمبتلى على احتمال مصابه مثل التسليم والرضا بقضاء الله وقدره، وقد انعكس ذلك في كتاباته وفي مواقفه النبيلة تجاه أهل الابتلاء والفقراء.

مؤلفاته وأهم معاركه الأدبية:

يعد كتابه: تاريخ آداب العرب من أهم كتب الرافعي، وقد صدر في فترة مبكرة من عمره، وحاز رضا الأدباء والكتاب والمدرسين، وكان له تأثير كبير على أساتذة الأدب في الجامعة المصرية آنذاك، كما قدم الرافعي عددا من الكتب النثرية المهمة التي أودعها خلاصة رأيه في الجمال والحب والعلاقات الإنسانية، وتمتاز هذه الكتب بجمال العبارة وروعة التصوير وحسن البيان وقوة الحجة، على أن كتابه: تحت راية القرآن يعد من الكتب المهمة للغاية، التي شكلت وجدان عدد كبير من الباحثين والدارسين إلى يومنا هذا، حيث تصدى خلاله للدكتور طه حسين، وفند آراءه في الشعر الجاهلي وغيرها من الآراء، التي كان الرافعي يراها مخالفة لأصول المنهج العلمي السليم.

ولا أحب أن أستطرد كثيرا في هذا الأمر، فربما كان مجال ذلك الدراسات النقدية والأدبية، ويكفي هذه اللمحة التي تثبت صلابة الرافعي في الحق، ودفاعه المستميت عن رأيه، وعدم تراجعه عن موقفه، على أنني لا أحبذ خوض المعارك وأن يستنزف الإنسان وقته وجهده في صراعات قد لا تكون مجدية، وأرى أن الوصف الأفضل لمثل هذه الصراعات والخلافات الفكرية بين المفكرين والأدباء هو الحوار، ذلك لأن المعركة يكون هدفها في النهاية هو الانتصار على الخصم بأي صورة من الصور، أما الحوار فهو جسر مهم للتفاهم والتواصل بين الفرقاء، ويكون الهدف منه هو الوصول إلى الحق أيا كان مصدره، ولله در الإمام الشافعي إذ يقول: رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري يحتمل الصواب.

لقد كانت تلك المعارك التي خاضها الرافعي رحمة الله عليه ومعظم كتاب جيله مجهدة للغاية، ولم تكن كلها خالصة لوجه العلم سواء من جانبه أو من جانب خصومه، فكان بعضها استجابة لدوافع ذاتية وتصفية حسابات قديمة بين الأدباء والمفكرين، وربما كانت طبيعة ذلك العصر هي التي فرضت عليهم خوض هذه الصراعات، ولذلك إن كان من عبرة نخرج بها من هذه المواقف؛ فهي أن نتعلم فن الحوار، وأن نعود أنفسنا على قبول الرأي الصحيح مهما كان قائله، وأن نلتمس العذر لصاحب الرأي المخالف، وأن نرد عليه بالحجة بدلا من الصراع والاتهام والعنف، وغير ذلك من الأساليب التي تهدد الوحدة، وتنذر بخطر حقيقي.

من أقوال الرافعي:

هذه جملة من أقوال الرافعي اخترناها من كتابه: وحي القلم، لنرى من خلالها بيانه العذب والرائق وروعة تصويره وسداد رأيه وفكره.

❖ أيها الناس، انطلقوا في الدنيا انطلاق الأطفال يوجدون حقيقتهم البريئة الضاحكة، لا كما تصنعون إذ تنطلقون انطلاق الوحش يوجد حقيقته المفترسة.



❖ النفس أسمى من المادة الدنيئة، وأقوى من الزمن المخرب، ولا دين لمن لا تشمئز نفسه من الدناءة بأنفة طبيعية، وتحمل هموم الحياة بقوة ثابتة.

❖ لا تضطربوا؛ هذا هو النظام. لا تنحرفوا؛ هذا هو النهج. لا تتراجعوا؛ هذا هو النداء. لن يكبر عليكم شيء ما دامت كلمتكم: اللّه أكبر!

❖ كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجر ينبوع الضوء المسمى النهار، يولد النبي صلى اللّه عليه وسلم؛ فيوجد في الإنسانية ينبوع النور المسمى بالدين. وليس النهار إلا يقظة الحياة تحقق أعمالها، وليس الدين إلا يقظة النفس تحقق فضائلها.

❖ بالانصراف إلى الصلاة وجمع النية عليها، يستشعر المسلم أنه قد حطم الحدود الأرضية المحيطة بنفسه من الزمان والمكان، وخرج منها إلى روحانية لا يحد فيها إلا باللّه وحده.

❖ بحسب المؤمن إذا دخل داره أن يجد حقيقة نفسه الطيبة، وإن لم يجد حقيقة كسرى ولا قيصر.

❖ الشباب هو القوة؛ فالشمس لا تملأ النهار في آخره كما تملؤه في أوله.

❖ وكنا نسمع قرآن الفجر وكأنما محيت الدنيا التي في الخارج من المسجد وبطل باطلها، فلم يبق على الأرض إلا الإنسانية الطاهرة ومكان العبادة؛ وهذه هي معجزة الروح متى كان الإنسان في لذة روحه مرتفعا على طبيعته الأرضية.

وفاته:

رحل الرافعي عن دنيانا في فجر الأحد، يوم: التاسع من شهر مايو، عام: (١٩٣٧م)، فقد استيقظ كعادته لصلاة الفجر وتلاوة القرآن الكريم، فأحس بآلام شديدة في بطنه سقط على إثرها مغشيا عليه وفارق الدنيا، تاركا حزنا لا ينقطع وغصة كبيرة في قلوب أهله ومحبيه، وكان عمره إذ ذاك سبعة وخمسين عاما، وهو عمر قصير جدا قياسا بما تركه وما قدمه للمكتبة العربية، وقد قضى عمره كله في الكتابة والتأليف والدفاع عن العربية والعروبة والإسلام، وكانت صدمة كبيرة أصابت قراءه بالحزن الشديد، فمن الذي بإمكانه أن يسد مسده أو يعوض غيابه.

يقول الأستاذ محمد سعيد العريان: مات الرافعي فانطوت صفحة من تاريخ الأدب في مصر، وانقرض جيل من أدباء العربية كان له مذهب ومنهاج، ولكن الرافعي الذي مات وغيبه الموت قد ترك وراءه تراثا من الذكريات والآثار الفنية، ستتعاقب أجيال قبل أن يفرغ الأدباء من دراستها والحديث عنها؛ وإنها لذكريات تثير في كل نفس ما تثير من عوامل الكره أو المحبة، وإنها لآثار.

لقد مات الرافعي؛ ولكن اسمه سيبقى ما بقيت العربية، وليس بعيدا ذلك اليوم الذي يجتمع فيه أدباء العربية من كافة أقطارها ليجعلوا ذكرى الرافعي موسما من مواسم الأدب وحلبة يتسابق فيها أهل البيان. رحم اللّه الرافعي أمير البيان وشيخ العربية وأحد المنافحين والمدافعين عن الإسلام والعروبة، الذي تبوأ قمة المجد ووصل إلى أعلى درجات النجاح رغم معاناته مع المرض والإعاقة، وترك لعشاق الأدب والعربية ثروة فكرية وأدبية عظيمة لا ينقطع نفعها أبدا.



د. راوية نور الدين عتر
عضو الهيئة التدريسية في كلية الشريعة بجامعة دمشق

حذار من الخديعة المقنعة

أصبحت الأفكار الباطلة المضلة تفرض نفسها علينا وعلى أولادنا في ثوب رسائل علمية على شتى مواقع التواصل الاجتماعي.

من ذلك رسالة وصلتني من فترة عن قرون ضائعة تفصلنا عن حديث رسول الله ﷺ، وكنت أرى الأمر لا يحتاج لرد لبداهة ذلك، لكنني لما طلبت بعض الفاضلات ذلك وأصرت عليه، وذلك لانتشار تلك الرسالة وتأثر الناس بها، وجدت لزاما أن أكتب موجزا عن ذلك، فكتبت خلاصة يؤخذ منها جزئيات كثيرة، أتركها لمحبي الحقيقة.

وبداية أقول: من أبرز ما يميز هذه الحقبة الزمنية التي نعيش فيها حالة الانفصام العلمي والذهني التي استشرى بلاؤها أكثر من ذي قبل! وذلك أننا نقرأ على مواقع التواصل وما شابهها ما يثلج الصدر ويبهج القلب من الحث على اتباع أساسيات

البحث العلمي والمنهج الموضوعي فيه، ثم نصاب بالخيبة الشديدة؛ لما نراه على أرض الواقع من نسف لكل تلك الدعاوى العريضة، وطمس لأصول ومبادئ البحث العلمي الأساسية، وإذا بغالب الناس -حتى النخبة المثقفة منهم- ينبهرون بأشياء لا وزن لها، سوى أنها غريبة تخالف مألوفهم ومسلماتهم، حتى ولو كانت تلك المسلمات صحيحة قطعا.

وهذا كلام مجمل لا بد للمسلم أن يعرفه، كي يعينه على فهم القضية.

إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى سيدنا محمد ﷺ بالقرآن الكريم بلفظه ومعناه، وأوحى إليه بالحديث الشريف بالمعنى، فمعناه من عند الله تعالى واللفظ من عند رسول الله، وقد دلت آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل على هذا الأمر الأساسي، منها: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤)، ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: ٦٤)، فالحديث الشريف مفصل للقرآن الكريم وشارح له، وهو بداهة المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم، وذلك بنص القرآن نفسه، فقد جاءت الآيات قاطعة ببيان وجوب طاعته ﷺ، منها: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر: ٧)، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾ (المائدة: ٩٢)، وغيرها كثير.

ولأجل تلك الأهمية البالغة لحديث النبي ﷺ -الحديث والسنة بمعنى واحد عند المحدثين- اهتم الصحابة فمن بعدهم بتبليغه ونقله لمن بعدهم على أدق صورة ممكنة.

فالحديث الشريف قد نقله إلينا الصحابة فمن بعدهم، معتمدين على أمرين أساسيين: ضبط الصدر والسطر؛ أي الحفظ في الصدور، والكتابة في السطور.

أما الحفظ في الصدور فقد توافر من الدواعي له والأسباب المساعدة عليه في عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم، ما ألخصه فيما يلي:

- صفاء الذهن عموما ولدى العرب خصوصا لعوامل اجتماعية وتاريخية ساعدت على ذلك، فاشتهر فيهم الحفظ المتقن، ولذلك لم يكن عجيبا حفظهم للمعلقات وغيرها من القصائد الطويلة.
- دافع كل من الحب والاهتمام الذي يكفل أن تزداد طاقة الحفظ والتذكر أضعافا مضاعفة.
- بساطة الحياة التي تعد عاملا مهما يساعد على قوة الذاكرة عندما تخلو من التعقيدات.
- طبيعة حديث رسول الله ﷺ، فكان يتكلم بتؤدة، بحيث لو عد كلامه عاد أحصاه، وكذلك ما أوتيه من جوامع الكلم، وتكراره لكلامه ثلاثا في أحيان كثيرة.

وأما الكتابة فقد بدأت من العهد النبوي المبارك، فقد كانت هنالك العشرات من الصحف التي كتبت آنذاك، منها: الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ومنها: صحيفة عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه وغيرهم، ولا يقال: إن النبي ﷺ قد نهى عن كتابة الحديث الشريف، لأنه قد ثبت عنه أيضا ﷺ أنه قد أذن بذلك لبعض الصحابة، وذلك أن الأمر منوط بخشية الالتباس بالقرآن الكريم، فحيث تؤمن هذه الخشية يكون الإذن بكتابة حديث رسول الله ﷺ، وحيث توجد الخشية يكون المنع.

العدالة تعني التقوى بما تشتمل عليه من صدق وأمانة وغيرها

واستمرت الكتابة في عهد التابعين، ومن أهم ما كتب: صحيفة همام بن منبه (ت/١٣١هـ) دونها ورواها عن أبي هريرة (ت/٥٩هـ)، وفيها شيء يسير من أحاديث ذلك الصحابي الجليل، والزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله (ت/١٢٠هـ) وغيرهم كثير.

وسواء كانت الرواية ممن حفظ ذهنيا أو اعتمد على الكتابة، كانوا يشترطون أن يكون الراوي ثقة؛ أي: عدلا ضابطا، والعدالة تعني التقوى بما تشتمل عليه من صدق وأمانة وغيرها، وصيانة المروءة والعرف الشرعي الصحيح، والضبط يعني: القدرة على استحضار ما سمعه وحفظه بدقة بحيث يؤديه كما سمعه.

ومن الجدير بالذكر هنا: أنه ما وقع أي فرق أو اختلاف بين ما رواه الرواة والمحدثون من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة معتمدين على حفظهم وذاكرتهم، وبين ما وصل إلينا من الأحاديث المدونة في هذه الصحف التي كتبها ودونها همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي هذا دليل على أن الرواة والمحدثين الذين رووا حديث



رسول الله ﷺ معتمدين على حفظهم إنما نقلوه بأمانة تامة ودقة بالغة، فلم يبق هناك مجال لسوء الظن بهم أو الشك في حفظهم.

وانتقلت تلك المحفوظات -بالذهن أو بالكتابة- من الصحابة إلى التابعين فمن يليهم، حتى كان عصر المؤلفات التي نظمت فيها كتابة الحديث الشريف أكثر، فأصبحت تصنيفا مبوبا، ومن أوائل تلك المصنفات المنظمة: (الموطأ) للإمام مالك بن أنس (ت/١٧٩هـ)، وتتالت المصنفات، لكن هذا كما أسلفت لا ينفي وجود تدوين مدونات سابقة للحديث الشريف.

ويجدر بالذكر أيضا أن كتابة الحديث الشريف قد أخذت صبغة جماعية رسمية في مطلع القرن الثاني للهجرة، إذ أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت/١٠١هـ) ولاته على الأمصار بحمل العلماء على تدوين الحديث الشريف، وهذا معروف مسجل في كتب التاريخ والتراجم، ومن تلك الصحف والكتب التي كتبت على عهده مع المحفوظات في الصدور كتب المصنفون في الحديث النبوي كتبهم.

يفترض أن الرد على تلك الرسالة العجيبة قد توضح من خلال ما سبق، لكن مع ذلك لا بد من إفراد بعض التساؤلات الساذجة بجواب، وهاكم تلك الأسئلة:

كلام كثير فيه تكرار وإعادة يسأل أين خطب الجمعة التي خطبها النبي ﷺ، ثم توجد هذه الأسئلة بهذه الأرقام:

الأسئلة

١ - اين كتبة الرسول ﷺ وأين ما خطته أيديهم؟

٢- أين ما كتب ونقل عن آل البيت جميعا؟

٣- أين ما كتبه صحابة الرسول؟

٤- أين الحفظة والثقات من شخصيات الصحابة والتابعين العرب؟

٥- هل رجال الدين عقدوا صفقات مع الخلفاء على حساب الدين؟

٦- هل العهد الأموي الغير مستقر كان السبب بحجب تلك الأحاديث أو تزويرها؟

٧- من حرق أو أتلف المخطوطات الأصلية للأحاديث والسيرة بدقتها وبشهودها؟

٨- من كانت له مصلحة حجب الحقائق؟

٩- هل صراع الأمويين مع خصومهم وغيرهم كان سبب ذلك الحجب؟

١٠- لو لم تجدوا مؤلفات البخاري ومسلم أمامكم، فماذا ستكون حياتكم في أيامكم هذه؟

١١- من له مصلحة بأن يستبعد القرآن الكريم ويستبدله بالأحاديث النبوية التي تقولت على النبي وجاءت بتحريم ما لم يحرمه رب العالمين أصلا في كتابه؟

الجواب باختصار:

● ما كتبه الصحابة رضي الله عنهم موجود إما نقلا في كتب أخرى أو في بعض مكتبات العالم الإسلامي. مثلا: صحيفة أبي هريرة والتي تحوي الأحاديث التي كتبها عنه تلميذه همام بن منبه مطبوعة بتحقيق الدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادي، وصحيفة أبي موسى الأشعري مخطوطة في مكتبة شهيد علي بتركيا، وصحيفة أبي سلمة نبيط الأشجعي مخطوطة في دار الكتب الظاهرية.

● جواب رقم: (٢) و(٣) فيما سبق ذكره من تلخيص.

● جواب سؤال (٤) مبثوث في العشرات بل المئات من الكتب المصنفة خصيصا لهذا الأمر الموثقة بشكل منهجي علمي.

● جواب (٥) و(٦) و(٩): يوجد من

خلال مطالعة كتب التاريخ الإسلامي وما أكثرها، ويكفي أن أذكر مثالا واحدا، وهو أن أكثر الأحاديث المروية في فضائل الصحابة إنما كانت في فضل علي رضي الله عنه عن قمة النزاهة العلمية في العهد الأموي فضلا عن غيره.

● (٧) و(٨): إن كان السؤال عن تعمد الإتلاف فهذا أمر لم يحصل البتة، أما إن كان عن حصول التلف لسبب قاهر فمعروف ما تعرضت له الأمة من غزو المغول وغيرهم.

● رقم (١٠): من عجائب الدنيا أنهم يظنون أنه لا يوجد سوى الكتب الستة من المصنفات في الحديث الشريف، في حين أنها تبلغ المئات.

● أما رقم (١١) فهل يعقل أن من كتب تلك الترهات لم يقرأ القرآن قط؟! ومع ذلك يجد له آذانا صاغية! إن هذا لأمر عجاب!

● خطب النبي ﷺ قد نقلت ووصل إلينا، منها ما هو غير مكرر، فكثيرا ما كان عليه الصلاة والسلام يكرر معاني مهمة في خطب عديدة، وذلك لمساس حاجة الناس إليها. ولكثرة ما نقل الرواة من خطب النبي ﷺ قام جماعة من العلماء بجمع تلك الخطب في مصنفات خاصة وعديدة، ومن أهمها:

١- «خطب النبي ﷺ»، لعلي بن محمد المدائني (ت/٢٢٤هـ)

٢- «خطب النبي ﷺ»، لأبي أحمد العسال (ت/٣٤٩هـ).

٣- «خطب سيدنا الرسول ﷺ وصحابته»، لمحمد شفيق الأرواسي (ت/١٩٧٠م).

٤- «خطب النبي ﷺ جمع ودراسة»، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية، سنة: (١٤٢٠هـ)، لعبد الملك بن سالم السيابي.

٥- «خطب الرسول الكريم محمد ﷺ: دراسة توثيقية تحليلية»، رسالة ماجستير تقدم بها مصعب نوري محمود العزاوي إلى كلية التربية في جامعة بغداد سنة: (٢٠٠٤م).

وغيرها من المصادر التي تحتوي خطب النبي ﷺ كثيرة، لكنني آثرت الاختصار.

لماذا يصدق كثير من المسلمين أي كلام يقال مما يهدم أساسيات ديننا دون أي محاولة جادة للتأكد والتثبت

ملاحظات مهمة:

سابقا كان الجاهل يصنف صنفين: لا يدري ويدري أنه لا يدري، ولا يدري ولا يدري أنه لا يدري وهو شرهما، لكن يبدو أن القسمة أصبحت ثلاثية فنحن أمام جاهل لا يدري ويدري أنه لا يدري، ويوهم الناس أنه يدري!

أليس من المضحك المبكي أن ذلك الكلام بما فيه من مغالطات واضحة يجد من يصفق له!

أليس من الكارثي في ميزان البحث العلمي إهمال التخصص في العلوم وترك اللجوء لأهل العلم الشرعي المختصين كي يبينوا ما اشتبه على المرء.

● واضح أن الكاتب لا يعرف التفرقة بين أئمة المذاهب الفقهية، وبين من تفرغوا لتصنيف الحديث الشريف أو السنة.

● الكاتب جاهل بأبجديات العلم في علمي الحديث الشريف والتاريخ الإسلامي.

● الكلام ليس إلا اجترارا لقديم من سقط القول ورد عليه بردود كثيرة والغاية منه إبطال الدين كليا من خلال صرف الناس عن العمل بالسنة المطهرة.

● ذلك المقياس المزعوم للأجيال، حيث زعموا أن الجيل يتكون له صلة بالعلوم التجريبية، ما صلته بأبحاث الحديث؟! أليس الأساس أن يستطيع المرء الحفظ والتذكر أو الكتابة والنقل منها؟؟ ألا يمكن أن يكون ابن (٧٠) أقدر في هذه المهمة من ابن (٣٠)؟!

● المأساة هنا:

أن المثقفين هنا بعضهم قد تحول إلى إنسان عامي، يصدق كل ما يقال له، ويتبع كل ناعق، دون أي إعمال للفكر، ولا أي استخدام للمنهجية العلمية.

السؤال المهم هنا: لماذا يسمح المسلمون حولنا الدين إلى كلأ مباح يرتع فيه من يشاء من المضلين المغرضين؟!

لماذا يصدق كثير من المسلمين أي كلام يقال مما يهدم أساسيات ديننا دون أي محاولة جادة للتأكد والتثبت، هل يكون الدين أهون وأقل شأنا من المال الذي يتحرون كل السبل للمحافظة عليه، كأن الأمر كذلك!

فبدلا من أن تأخذ معشر القراء الغيرة لدينهم عند قراءة ذلك الهراء وما يشابهه إذا بهم ينقلبون رأسا على عقب إلى مجرد فرد من قطيع متأثر بما يقال من أباطيل يصوغها أعداء الدين، الذين لم يكفوا عن محاولاتهم منذ القديم ولكن سلفنا الصالح كان أصلب رأيا واعتقادا.

أين العقل وأين الفكر؟

أين الدين أين العقيدة؟

أ.د. محمد إبراهيم العشماوي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه في جامعة الأزهر



بين استحضار معنى العبادة والتنافس في المظاهر الاجتماعية!

الأفراح والمآتم..

حين نتدبر قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢)؛ ندرك أن المسلم مأمور بأن تكون حياته كلها لله، أعني أموره العادية التي يقوم بها بحكم العادة البشرية، والجبلة الإنسانية، كالطعام، والشراب، والزواج، والتناسل، وليست العبادات فحسب، وذلك بأن يصحح النية فيها، فينوي بها التقرب إلى الله تعالى، ونفع الناس، وغير ذلك من النيات الصالحات، ومظاهر البر والخيرات، حينئذ يكون المسلم قد ربح في دنياه وأخراه، ربح في دنياه التوفيق، والثناء الحسن الجميل، وربح في أخراه رضا الله، والجزاء العظيم الجزيل.

ولكن ابتلي المسلمون في العصور المتأخرة بتقليد النمط الغربي في سائر أمور حياتهم، واتخذوه نموذجا وقدوة، وتراجع معنى العبادة لصالح معنى العادة، فتحولت كثير من العبادات الاجتماعية إلى مظاهر اجتماعية، وعادات عرفية، يتنافس الناس في التباهي بها، ويحرصون عليها أشد الحرص طلبا للمحمدة، ودفعا للمذمة.

وعلى سبيل المثال صار الزواج الذي هو عبادة اجتماعية؛ مظهرا للتباهي والتفاخر بتكلفة الحفل، ومكانة المدعوين، وأنواع الطعام والشراب التي تقدم، ومع أن الشاب يتزوج ليكمل نصف دينه؛ إلا أنه في حفل زفافه ربما يضيع دينه كله، بما يكون في الحفل من مظاهر اللهو والعصيان، كالرقص، والسفور، والتبرج، والاختلاط الماجن المستهتر، والنظرات المحرمة بين الجنسين.

وفي الحديث «صوتان ملعونان: مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة».

وقد تنبه بعض الشباب اليوم إلى خطر هذه العادة على حياتهم الزوجية؛ إذ المعاصي تزيل النعم، والسيئات تمحق البركات؛ وتذهب الخيرات، فاختصروا تكلفة حفل الزواج على الوليمة التي هي سنة مشروعة، واقتصروا على احتفال النساء بالعروسين، من غير اختلاط إلا بالمحارم، وادخروا بقية التكاليف لأداء عمرة، أو فعل مبرة، فبورك لهما في حياتهما الزوجية!

وأكثر الزيجات التي تحول فيها الزواج من معنى العبادة إلى المظهر الاجتماعي التنافسي؛ غالبا ما تبوء بالفشل في شهورها الأولى؛ لأن ما بني على باطل فهو باطل، فضلا عن أن مثل هذه الحفلات يدخلها الحسد والعين، وإن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر.

إن إنفاق مئة ألف جنيه مثلا أو أقل أو أكثر في حفل زواج مستهتر؛ أمر لا معنى له إلا غياب معنى العبودية لله عزوجل

في تصرفاتنا، مع أنه واهب النعم، وشكر النعم واجب، وهذا كفران بالنعم، ونكران للمنعم.

وإنه لمن الخذلان وحرمان التوفيق؛ أن ينفق المسلم آلاف الجنيهات في معصية ولا ينفق جنيها في طاعة!

وأما المآتم فقد كان ينبغي أن تكون عبرة لأصحابها؛ فإن حال الميت يدعو إلى الاعتبار؛ فإنه قد ترك مظاهر الدنيا الكاذبة، وقدم على الله وحده في لفافة وخرقة، لا أنيس ولا جليس له إلا عمله الصالح، ولكن يأبى بعض المسلمين إلا تحويل المآتم إلى مهرجانات تنافسية، ومفاخرات اجتماعية، بشكل الصوان المنصوب للتعزية، والخدمات المقدمة فيه، وبشهرة القارئ، وارتفاع أجره، وبمكانة المعزين الاجتماعية، وألقابهم الوظيفية، مع أن التعزية عبادة عظيمة، يواسي فيها المسلم أخاه، ويعتبر بحال الميت.

لقد صارت أكثر المآتم اليوم عبارة عن مهرجانات استعراضية للأزياء والسيارات والسيجار والقهوة، واختفى فيها معنى العبادة والقربة، فاختفت منها الموعظة والعبرة، حتى ربما رأيت المعزين يدخنون، ويشربون القهوة، ويتحدث بعضهم إلى بعض في أمور الدنيا، ويضحكون، ولا يبكون، ولا بالميت يعتبرون، وكيف يتم لهم ذلك وهم يجلسون هذه الجلسة المرفهة المنعمة المفعمة بمظاهر الدنيا الفارغة؟!

لقد ذكرتني هذه المظاهر الفارغة التي وضعت في غير موضعها؛ بقول الشاعر:

أرى أهل الثراء إذا أميتوا
بنوا فوق المقابر بالصخور!
أبوا إلا مباهاة وفخرا
على الفقراء حتى في القبور!

لقد كان أولى بأهل الميت أن يدخروا هذه الأموال ليتامى الميت، أو لعمل صدقة جارية على روحه، ويكتفوا بعمل ختمة قرآنية يدعون فيها الفقراء، ويطعمونهم، ويتصدقون عليهم، ويهبون ثواب الختمة لميتهم؛ فإن هذا هو الأنفع لميتهم، لو أرادوا، ولكنهم قدموا حظوظ أنفسهم على حظ الميت، خوف التعيير الاجتماعي، وتلك أنانية بغيضة!

بل إن بعض العبادات الشعائرية أيضا؛ صار بعض المسلمين يمارسونها بحكم العادة، دون استحضار معنى العبادة، فيصلون كما يصلي الناس، ويصومون كما يصوم الناس، ويحجون كما يحج الناس، ولم تخل هذه العبادات أيضا من مظاهر التنافس الاجتماعي.

متى يفيق المسلمون من هذه السكرة إذن؟!



د. آندي حجازي
أكاديمي في علم النفس التربوي

استشراف المستقبل حاجة أم ترف؟

كثيرا ما يتطلع الإنسان إلى المستقبل وينتظر ما سيحدث به، ويتساءل هل المستقبل سيكون أفضل أم أسوأ مما يعيش فيه؟

وهل صعوبات الحياة وتحدياتها ستقل أم تزداد؟

وهل أوضاعه كإنسان ستتحسن أم تتراجع سوءا؟

وكثير من التساؤلات حول المستقبل وما سيكون عليه تساور ذهن الإنسان على مر الزمن وفي كل العصور، وهذا أمر طبيعي؛ لأن المستقبل عالم غامض ومجهول ومقلق بالنسبة للإنسان، والحقيقة أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى عالم غيب السموات والأرض، ولا يستطيع أحد من البشر أن يتكهن ما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد، سواء فيما يتعلق بمستقبله الشخصي أو على صعيد أمته ومجتمعه أو عالمه، فلا يعلم الغيب إلا الله تعالى.

مفهوم استشراف المستقبل

في خضم أحداث الحياة والخبرات التي يمر بها الإنسان، وباعتماده على دراسات وإحصاءات ومعلومات يجمعها، قد يستطيع استشراف جانبا من المستقبل، فكيف ذلك؟

الاستشراف لغة معناه: الارتفاع والعلو والإطلالة على الشيء، كأن نقول: شرفة المنزل، أي المكان المطل الذي يمكن أن نرى منه جزءا أوضح من المنظر يختلف عن الأماكن المنخفضة الأخرى.

ومن هنا أقتبس لفظ استشراف المستقل، فهو لا يعنى أن نتنبأ بما سيحدث في المستقبل، فهذا كما قلنا من علم الغيب الذي اختصه الله تعالى لنفسه، ولكن بمعنى دراسة الواقع والماضي والأوضاع الحالية والعوامل المؤثرة والإحصاءات المتعلقة بها وتحليلها والتعمق بها من أجل توقع ما سيكون عليه المستقبل القريب من النواحي المادية الملموسة، وبالتالي: القدرة على بناء الخطط المستقبلية

والتخطيط بشكل سليم واتخاذ القرارات بناء على معطيات الواقع بما يفيد المجتمع أو المؤسسات أو الأفراد، لتحقيق الأهداف وتقليل المخاطر والمشكلات، وتاليا سيتضح المفهوم بشكل أوسع ومن خلال الأمثلة.

تقدم الدول

هل ثمة علاقة بين استشراف المستقبل والتقدم في الدولة؟
قد يتضح ذلك من خلال الأمثلة، فإن كانت الدولة -على سبيل المثال- تريد التخطيط بشكل سليم لبنية تحتية قوية متطورة لمدينة من مدنها، فهذه عملية يجب أن لا تكون عشوائية، بل لا بد أن تكون مخططة ومدروسة بشكل مناسب وسليم ومستشرفة المستقبل من أجل تحقيق المراد.
فتستطيع مثلا أن تخطط شوارع وطرقا وأنفاقا وجسورا ملبية لحاجات الواقع وما يتوقع ان يكون في المستقبل من تزايد لأعداد السكان والطلب المتزايد على المحلات التجارية والشوارع والطرق، وذلك بناء على ما لديها من إحصاءات في الزيادات السكانية، وكم هي الزيادة المضطردة لعدد السكان في آخر عشر سنوات وفي آخر عشرين عاما وهكذا، فتدرس كم يتوقع أن تبلغ الحاجات، وذلك من أجل أن تخطط بشكل استراتيجي لشوارع عريضة واسعة كبيرة ذات خدمات ومواصفات متقدمة، تحل مشكلة التزايد في عدد السكان وتمنع الازدحامات والاختناقات المرورية لعشرات السنوات للأمام، بل لمائة عام أو أكثر إن كانت تستشرف المستقبل بشكل كبير، بدلا من أن تعاني تلك الدول من أزمات مرورية خانقة كما يحدث اليوم في كثير من مدننا العربية نتيجة سوء التخطيط المستقبلي.
وعلى سبيل المثال ولأجل توضيح الفكرة، تعجب إن ذهبت إلى مدينة اسطنبول من مساجدها العثمانية القديمة العريقة، فكيف لمسجد بني في القرن الخامس عشر أو السادس عشر الميلادي أن يصمد في بنائه إلى الآن! بل وتراه شامخا قويا عزيزا متينا تقام فيه الصلوات الخمس كالجامع الأزرق، وجامع السلطان أحمد، وجامع آية صوفيا، وجوامع بمدن أخرى كجامع السليمانية والسلطانية وغيرها، فالحقيقة أن الخليفة آنذاك والمهندس المعماري مثل المهندس سنان الذي صمم الجامع الأزرق وغيره قد طبق مفهوم استشراف المستقبل بشكل كبير ومبدع، حيث قرر أن يبني بناء او مسجدا متينا قويا هندسيا يعيش لمئات السنين او قد يكون لآلاف السنين، ويخدم التزايد في عدد السكان والمصلين! وللآن مر أكثر من خمسمائة عام وهو صامد يحقق الأهداف التي بني لأجلها، فأي استشراف للمستقبل كان لديهم؟!
حيث هذا الاستشراف يحتاج لمقومات: كالذكاء والإبداع والفن، والإخلاص والعمل الجاد الدؤوب، ويحتاج عمليات التحليل والتركيب الذهني والتفكير العلمي والمنطقي، والاتقان والتخطيط المتميز المبدع، حيث كان بإمكانه بناء مسجد يصمد فقط لمائة عام أو لعشرات السنوات فحسب، ولكن المسؤولين استشرفوا زيادة عدد السكان والمصلين عبر العصور، وبالتالي حسنات ترصد لهم ما دامت تقام فيه الصلوات ما بقي قائما عبر الأزمان.
وفي المقابل؛ تجد دولا الآن وفي زماننا تبني أرصفة أو شوارع وبعد أقل من عشر سنوات تجدها مهترئة مدمرة في أجزاء كثيرة منها تحتاج إلى صيانة!

التخطيط

ومن جانب آخر؛ فإن الدولة إن أرادت التخطيط كذلك لمشاريع تنموية أو بيئية كمشاريع تعليمية أو زراعية او مياه او تطويرية أو اقتصادية كبناء مصانع ومستشفيات وجامعات وغيرها، فإنها لا بد لها من مراجعة المعلومات السابقة التي لديها حول الموضوع وجمع المعلومات الحالية ودراسة جدوى الحاجات والمخاطر والفوائد التي تعود على المجتمع والجهات المنفذة والداعمة، وذلك من أجل التخطيط الفعال واتخاذ القرارات السليمة في موقعها المناسب، فهذا كله هو فحوى عملية استشراف المستقبل، لصنع مستقبل أفضل قائم على البحث والدراسة والتنقيب والنظر للأمام، لا التخبط والعشوائية في اتخاذ القرارات!
فلا يمكن لدولة أن تتقدم وتتطور وتسير على خطى راسخة ما لم تستشرف مستقبلها، وهذا معناه لا بد من تتضافر جهود أبنائها، فكل في موقعه مسؤول أن يدرس الوضع الحالي والأوضاع السابقة ويناقش ويحلل الخطط والاستراتيجيات والأهداف والرؤى التي لديه، ويجلس جلسات عصف ذهني مع من حوله، وصولا لاتخاذ القرارات الصائبة فيما يتعلق بمستقبل كل مؤسسة مهما كان نوعها وحجمها، فاستشراف المستقبل هام جدا لصناعة القرارات الصائبة، بناء على معطيات الواقع والماضي والتعلم من أخطاء الماضي وعوائقه.

حل

إن الهدف الرئيسي من استشراف المستقبل سيكون ليس فقط اتخاذ القرارات، بل هو حل المشكلات التي تعاني منها الدول أو على الأقل عدم تفاقمها ومحاولة الوصول إلى حلول

تساعدها، كحل مشكلات نقص المياه في الدولة أو مشكلة البطالة أو قلة الاستثمارات، أو الهجرة الخارجية للأدمغة وأصحاب الأموال والشباب الطموح، أو المساهمة في معالجة مشاكل البيئة والتلوث البيئي والاحتباس الحراري وتلوث المصانع، ومشكلة التصحر وقلة الزراعة والأمن الغذائي، وضيق الشوارع وازدحام الطرق، فكل هذه المشاكل تحتاج من المسؤولين كل في موقعه إلى استشراف المستقبل وتوقع ما سيكون عليه إن لم يتخذوا الإجراءات والحلول المناسبة، وتوقع كيف سيكون شكل المستقبل من هذه الناحية التي هم في صددها إن هم خططوا بشكل سليم، وبناء على إحصاءات ودراسات ومعطيات بيئية وواقعية.

وعلى سبيل المثال، فإن الكثير من الدول بدأت تستشرف المستقبل فيما يتعلق بمستقبل الطاقة والانبعاثات الحرارية التي تتولد من حرق النفط والغاز مما يزيد من حرارة الأرض والاحتباس الحراري، وباتت تدرك أن الاعتماد الكلي على النفط والغاز الطبيعي قد لا يكون هو الحل الأنسب البعيد المدى في التشغيل للطاقة بكل أنواعها ومواقعها، لأنه قد ينضب في غضون مائة سنة أو أقل، إضافة لتكلفة النفط المرتفعة والتلوث الذي يحدثه ومساهمته في رفع حرارة الأرض، والمخاطر الناجمة إن استمر الاعتماد عليه.

فأضحت الكثير من تلك الدول التي استشرفت شكل المستقبل الذي سيكون عليه إن استمر الوضع على ما هو عليه، تبحث عن مصادر طاقة بديله ونظيفة وصديقة للبيئة، فمنها من اعتمد على الطاقة الشمسية، ومنها من اعتمد على طاقة الرياح كتوليد طاقة كهربائية للمدن، ومنها من اعتمد طاقة المياه ككندا والباكستان والصين، والكثير من الدول الآن تشغل الكهرباء في مؤسساتها ومستشفياتها وجامعاتها وأماكن العبادة لديها كالمساجد على الطاقة الشمسية كالأردن والكثير من الدول الأوروبية واليابان والصين وغيرها، وهناك دول أصبحت تولد الطاقة من حرق نفاياتها والمواد العضوية التي تتضمنها، بل وتشتري نفايات الدول المجاورة بأسعار زهيدة من أجل استغلالها في توليد الطاقة ومنها ألمانيا، ودول أخرى تولد جزءا من الوقود من الذرة كالبرازيل والولايات المتحدة.

فمصادر الطاقة المتجددة كما هو اسمها تتجدد دائما في الطبيعة لا تنضب، ليس كالطاقة الثابتة غير المتجددة التي تنضب بمرور الزمن ولا تتجدد، ولذلك فهي مكلفة والتنقيب عنا مكلف واستخراجها وتنقيتها مكلفة كذلك.

تربية أبنائنا

ومن جانب آخر مختلف تماما عن البيئة المادية وما يتعلق بها؛ فإن التربية والتنشئة للأطفال في زماننا تحتاج لاستشراف المستقبل من أجل تجنب مخاطر التربية والتنشئة التي نربي عليها أبناءنا في هذا الزمان، فمثلا تجد الكثير من أبنائنا وأطفالنا اليوم يقضون الساعات الطوال والطوال جدا وراء شاشات الأجهزة الإكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي بشتى أنواعها، بل وإن تعليمهم أصبح عن بعد ومن خلال تلك الأجهزة الإلكترونية، مما فاقم الأمر سوءا!

فعلينا أن ندرس الواقع ومخاطره ونستشرف المستقبل فنسأل أنفسنا: ما شكل الجيل الذي سينشأ في المستقبل من نتاج هذه التربية؟ كيف ستكون أدمغتهم؟ وصحتهم وأجسادهم وحواسهم؟ وطريقة تفكيرهم ومعلوماتهم؟ والنواحي الاجتماعية والانفعالية لديهم؟ وكيف ستكون علاقاتهم وصداقاتهم، هل جميعها افتراضية وعن بعد؟ وكيف سيعيشون عالم الواقع فيما بعد؟ وهل هذه الوسائل والمصادر المتاحة لهم ستبقى دائمة أم ستتراجع أم تزداد؟ وما دورنا كأمهات وآباء ومربين في كل ما يحدث وسيحدث؟

فإن نحن تصورنا المستقبل فبالتأكيد سنقلل ساعات جلوسهم مع تلك الأجهزة، وسنحددها قدر الإمكان، وسنعمل جاهدين على انخراطهم بأنشطة اجتماعية تعود عليهم بالفائدة وتشعرهم بالعالم الحقيقي، كزيارة الأهل والأقارب والأصدقاء، وكاللعب بالساحات والحدائق، وممارسة أشكال من الرياضة، والتشجيع على استغلال الأوقات بالقراءة والعبادات، وبتنمية المواهب والذكاءات.

فاستشراف المستقبل حقيقة وليس خيالا، وحاجة وليس ترفا، وهو مهم لمعرفة كيف نربي أبناءنا في هذا العالم سريع الغيير والتأثير في العقول والحواس، وإلا فإننا سنندم حيث لا ينفع الندم، ونجد أبناءنا متفلتين بعيدين عن هويتنا وثقافتنا وتعاليم ديننا وعاداتنا وأفكارنا وأمنياتنا.

وأخيرا نسأل الله تعالى السلامة والتوفيق والسداد في التربية والتعليم والتخطيط لمستقبلنا.



عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية

نظرة على المستقبل

تطورت محاولات التعرف على المستقبل ودراسته والكشف عما يخبئه، حتى أصبحت علما قائما بذاته يقوم على أسس علمية وقواعد ثابتة لضمان توفير قراءات مستقبلية دقيقة ومستندة إلى معطيات فعلية.

لم تعد عملية استشراف المستقبل مسألة ترف وجهد ضائع بلا فائدة، إنما باتت هدفا استراتيجيا يسعى الجميع إلى تحقيقه والفوز في قراءات صحيحة للمستقبل، على ضوئها يتم بناء الكثير من الخطط والتصورات لحاضر ومستقبل أي بلد.

ومع تحول العالم إلى قرية صغيرة نتيجة الطفرة الهائلة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وسهولة انتقال البيانات، التي أدت إلى إلغاء حدود الزمان والمكان، فإن أهمية استشراف المستقبل تتزايد يوما بعد يوم، وتكتسب قيمة أكبر لمواجهة المتغيرات العالمية التي باتت تأثيراتها ملموسة في كل مجالات الحياة المختلفة.

واتجهت الكثير من الدول والحكومات وحتى المؤسسات والشركات الخاصة إلى إنشاء مراكز وإدارات لاستشراف المستقبل والتخطيط الاستراتيجي على ضوء المتغيرات التي يشهدها العالم من أجل بناء رؤية وأهداف مستقبلية تؤدي إلى تحسين الإمكانات والمهارات، وترفع من كفاءة وجودة الإنتاج، وتحافظ على بقاء هذه الجهات المهتمة باستشراف المستقبل في دائرة التنافس الشديد في مجالات العمل المختلفة.

قضية استشراف المستقبل ليست مسألة سهلة وبسيطة كما قد يتصور البعض، إنما هي أمر بالغ التعقيد يخضع لضوابط وأسس معينة، ومبني على معطيات وتحليلات للكثير من الأحداث والمعلومات في الماضي والحاضر، كما إنه يتطلب وجود أشخاص أكفاء متخصصون في مجالات العمل المختلفة بغية تحقيق قراءات صحيحة وسليمة للمستقبل. ولعل أحد أهم الأمور التي يجب الحرص عليها للوصول إلى استشراف صحيح للمستقبل هي الاطلاع على تجارب الآخرين، ومعرفة مسارات حياتهم، وطريقة عملهم، ثم القراءة الجيدة للحاضر والماضي حتى تكون الرؤية المستقبلية متسقة مع واقع الأحداث والتطورات المتوقعة.

وعندما نهتم باستشراف المستقبل فإن الهدف ليس إصلاح الحاضر بقدر ما هو تدارك أخطاء المستقبل حتى لا تتم إعادة عثرات الماضي، ومن أجل أن تكون الرؤية واضحة عند اتخاذ قرار مرتبط بالمستقبل، وهذا لن يتحقق من دون تفعيل عملية الاستشراف التي من شأنها -إذا تمت بشكل صحيح- أن تحقق اقتناص الفرص وتوفر الانطلاقة الفعالة والناجحة لأي مشروع أو عمل مستقبلي. فكلما فهمنا كيفية استشراف المستقبل، وعرفنا كيف نخطط له، فإنه يصبح من السهولة بمكان اتخاذ القرار الصائب والسليم، ووضع الخطط والاستراتيجيات والبدائل المتاحة في التعامل مع الوضع المستقبلي في كل مجالات الحياة المختلفة، سواء كانت في الجانب الاقتصادي أو الصحي أو التنموي أو الأمني، أو غيرها من الأمور التي تحتاج إلى تخطيط ودراسة قبل التعامل معها.



القاهرة - الطيب حسين:
دار الإعلام العربية

قراءة المستقبل.. ذات الفرد وحصانة المجتمع



الاستشراف نحو المستقبل، من الأمور المهمة لتأهيل الفرد والمجتمعات المتقدمة، خاصة في عملية صنع القرار، لما ينطوي عليه من التعامل مع المستقبل بمنهجية واضحة، ترمي إلى تحقيق أقصى قدر من الاستفادة، مع تجنب أكبر حجم من الخسائر قدر الإمكان.
وتتركز الحاجة الملحة لهذه العملية، في أنها باتت متطلبا عصريا لكل مجتمع، خاصة مع تسارع الأحداث، وظهور التحديات بشكل متلاحق، ما يجعل عملية التحصين التي يوفرها استشراف المستقبل، أمر حتمي.. وهذا ما يؤكده متخصصون لـ«الوعي الإسلامي».. عبر السطور التالية.

الدكتور حسن شحاتة، أستاذ المناهج بكلية التربية جامعة عين شمس، يؤكد أن عملية الاستشراف محورية وضرورية لبناء الدول الحديثة والمتقدمة.. مشددا على ضرورة أن يقوم الاستشراف على رؤية علمية، تحدد الاحتياجات اللازمة لبناء الإنسان وبناء العمران، موضحا أنه يتطلب فريق عمل من ذوي الفكر المستنير، والرؤية المنفتحة، والمرونة في اتخاذ القرار.

البدء من المستقبل:

وأكمل شحاتة موضحا أن هذا الفريق المقترح يجب أن يكون متناغما للبدء في عملية الاستشراف، مشيرا إلى أن البدء من المستقبل ينطوي على الإبداع، وينطوي على رؤى جديدة تحدد مسار العمل من المستقبل إلى الواقع، وليس من الواقع إلى المستقبل، موضحا: «لأننا نحدد الرؤية المستقبلية في ضوء المتغيرات المتلاحقة، سواء كانت هذه المتغيرات أيديولوجية أو تكنولوجية أو كانت دولية».

وأوضح: «بمعنى أن البدء من الوضع القائم إلى الوضع القادم، هذه رؤية لا تنطوي على الإبداع، ولا تنطوي على فكر جديد، لكن الرؤية الاستشرافية لابد أن تبدأ من المستقبل القريب في ضوء رؤية المتغيرات الدولية والمتغيرات العلمية والتكنولوجية

والاجتماعية، وهذا العمل لابد أن يكون صادرا عن مجموعة وليس عن فرد.

وعن مواصفات فريق العمل هذا، أكد أستاذ المناهج بكلية التربية، أنه لابد أن يكون منفتحا في التفكير ومرنا وذا رؤية ثاقبة تنطوي على الإبداع، والإبداع بمعنى تقديم شيء جديد مفيد.

وقال: «لا بد أن نرجع من هذه الرؤية المستقبلية إلى الواقع، ونحدد الوقائع والمحطات التي تتطلب تكريس الواقع لخدمة المستقبل».

وأكد شحاتة أن استشراف المستقبل ضرورة لكل مؤسسة من مؤسسات الدولة، إلا أنه لفت إلى الأهمية القصوى لرؤية قمة الجهاز في الدولة، موضحا أنه يجب أن تكون لديها رؤية مستقبلية، لأن جميع المؤسسات في الدولة تسير وفق هذه الرؤية المستقبلية لقمة الجهاز.

وشدد أستاذ مناهج التربية، على أن استشراف المستقبل متطلب أساسي لبناء دولة حديثة ومتقدمة، لافتا إلى أن مدة التنبؤ يجب أن تكون في حدود خمس سنوات، لأن المتغيرات متسارعة، وليس في أذهان الجميع رؤية لما سيكون عليه العالم بعد هذه المدة، وفق قوله.

استراتيجية استباقية:

في السياق ذاته، يقول السفير محمد العرابي، وزير الخارجية المصري الأسبق، إن المستقبل لا يأتي دائما كما نتوقع، ففي بعض الأحيان تفاجئنا أمور لم تكن في الحسبان، مثل فيروس كورونا على سبيل المثال. وتابع أنه لم يتوقع أحد على مستوى العالم ظهور هذا الفيروس، لكن في النهاية أي استراتيجية لأي دولة يجب أنها تقرأ الأخطار القادمة قبل وقوعها، وتستعد لها، موضحا أن هذه ما تعرف بـ «الاستراتيجية الاستباقية».

وتابع العرابي أن هناك دائما مدخلات غير متوقعة تحدث، يتحتم على صانع القرار مواجهتها في حينها، مضيفا: «لكن دائما قراءة المشهد السياسي والتغيرات الاستراتيجية الموجودة فيه، تفرض على أي قيادة استشراف المستقبل عندما تسعى لاتخاذ قرارات سليمة، تستطيع من خلالها مواجهة التحديات والعمل للمستقبل».

ونفى العرابي قدرة الجميع على الوصول إلى هذا المستوى من قراءة المتغيرات، وترجمتها إلى احتمالات قد تقع، لذا يتطلب الاستشراف مهارات وقدرات خاصة.

وقال: «إذن عملية استشراف المستقبل مهمة بما يشمل قراءة المشهد السياسي المتوقع والمقبل في أي منطقة، ودولا كثيرة لا تستطيع أن تتبنى استراتيجية استباقية، وبالتالي نجدها تعاني من تداعيات كثيرة».

وأشار العرابي إلى «أن الاستراتيجية الاستباقية توفر جهدا ووقتا وتحقق نتائج إيجابية، لأنك إذا كنت مستعدا لأي حدث قد يقع، فهذا يحول دون أن يفاجئك هذا الحدث بوقوعه، ثم تبحث عن مواجهته حينها، وربما لا تنجح في هذا الأمر، كل هذا يثبت أهمية عملية الاستشراف في صنع القرار، ومواجهة الأحداث المقبلة».

د. حسن شحاتة، عملية محورية وضرورية لبناء الأفراد والدول الحديثة

الغيب والاستشراف

بدوره، قال د. عبدالعزيز النجار أحد علماء الأزهر الشريف: إن هناك فرق بين التوقعات وبين الغيب، موضحا أن الغيب من الأمور التي يستأثر اللّٰه عز وجل بعلمها، وهي أساس من الأسس التي يبنى عليها الإيمان لقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ (سورة البقرة:١-٢)، بخلاف التنبؤ أو التوقع القائم على منهجية علمية.

وتابع أن الغيب هو الشيء غير المشاهد، وبالتالي ينبغي علينا أن نعلم أن هناك أمورا استأثر اللّٰه عز وجل بها، مصداقا لقوله جل جلاله: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ (سورة النمل:٦٥).

وأكمل النجار أن هناك أمورا يجريها اللّٰه عز وجل لبعض عباده عن طريق التنبؤ أو التوقع، موضحا أن كون الأمر المتوقع مبني على العلم والأمور التجريبية، مثل توقع هزة أرضية، أو أمر كوني أو سقوط أمطار، أو توقع قيام حرب بين طرفين، أو هزة اقتصادية أو ارتفاع أسعار بعض السلع أو انخفاضها أمر لا

جدال فيه ويكون مبني على أسس علمية... فهذا ليس من علم الغيب، بل قائم على أسس علمية مشروعة، ومعطيات يتوقع المتخصصون بناء عليها النتائج، والتي قد تكون صادقة، أو قد تخالف الواقع في بعض الأحيان.

وأضاف أن النجاح يعود إلى عدة أمور منها توفيق الله عز وجل، يقول الله عز وجل ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ (سورة الروم:٢-٣)، متسائلا: «من أخبر بهذا هنا؟، الذي أخبر به هو الله عز وجل، وهذا نوع من علم الغيب الذي استأثر به الله سبحانه وتعالي، فالغيب المطلق لا يعلمه إلى الله، أما الأمور العلمية المبنية على مقدمات تعطي نتائج، فليست من علم الغيب».

النجار لم يتوقف عند هذ الحد، بل أكد أن الأخذ بهذه العلوم وتبنيها، إنما يندرج تحت طلب العلم الذي حض عليه الإسلام، موضحا أنها دعوة إلى عدم الاستسلام، وأن الناس يعملون في الأرض ويمشون فيها، فالله عز وجل ذللها لهم، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (سورة الملك:١٥).

وتابع أن السعي والمشي في الأرض والعلم، كل هذه من الأمور التي كشف الله عز وجل بها على يد بعض عباده.

وضرب النجار مثالا بالألفاظ التي تطلق على الاكتشافات الجديدة، موضحا أنها مكتشفات وليست مخترعات، لأنها موجودة بالفعل لكن العلماء اكتشفوها، مشيرا إلى أن هذه



من الأمور التي يفتح الله عز وجل بها على يد بعض خلقه، كي يستفيد منها البشر.

المخطط الحياتي

من جانب آخر، أكد الدكتور جمال فرويز، استشاري الطب النفسي بالأكاديمية الطبية العسكرية، أنه حتى على صعيد الأفراد، دائما تلجأ الشخصيةالر الناجحة إلى شيء اسمه المخطط الحياتي.

وأوضح أن هذا الأمر يتلخص في أن يضع الشخص نصب عينيه الإمكانيات المتاحة لديه حاليا، ثم يضع في مقابلها طموحات معينة يرغب في تحقيقها، وعندما يحقق الهدف المنشود في الفترة المعينة التي ضمنها خطته، يبدأ بعدها في البحث عن هدف أعلى، وهكذا.

وأكمل فرويز أن كل هدف يحققه الفرد ترتفع في مقابله الإمكانيات التي يمتلكها، موضحا أن كل هذا يجعله شخصية ناضجة وناجحة.

وتابع أنه توجد شخصيات متعجلة، لا تمتلك قيما أو أخلاقيات في إدارة شئون حياتها، وتسعى إلى تحقيق أهدافها دون اعتبار لعملية استشراف المستقبل، أو مردود هذا على المجتمع أو المحيط الخاص بها.



وأوضح استشاري الطب النفسي، أن كل هذا يؤكد أهمية هذا العملية، فالإنسان إذا أراد أن يكون ناضجا ناجحا فلابد أن يكون لديه مخطط حياتي لكل أمر في حياته، وأن يكون متدرجا وله بدائل، بحيث إذا فشل أحدها تبنى الآخر على الفور، ثم الثالث حال عدم التوفيق في الثاني، وهكذا.

وقال: «لكن إذا أي مخطط فشل، وظل الشخص يبكي على اللبن المسكوب، فلن يحقق أي شيء في حياته، بدليل هؤلاء الأشخاص الذين يدخلون في أزمات نفسية، أو آخرين ممن يقدمون على إدمان المواد المخدرة، أو الهروب من المجتمع نتيجة فشلهم في تحقيق طموحاتهم».

فرويز لفت إلى أن استشراف المستقبل ضروري، مع الاقتناع بإمكانية حدوث شيء غير متوقع، مثل كورونا، موضحا أن هذا الفيروس أثر على طموحات بعض الناس ممن لم يكونوا يتوقعون حدوث أمر بهذا الحجم من التأثير على حياتهم.

وأكد أن هذا الجانب الأخير يستدعي بلا شك، توقع أمور سلبية قد تحدث عند عملية استشراف المستقبل، أو وضع خطط للسير عليها، حتى يتم تجنب الخسائر الكبيرة بنجاح، وحتى لا تكون عائقا ينهي طموحاتنا.

أهمية التخطيط:

بدوره، قال الدكتور أشرف الشامي الأستاذ المساعد بكلية الإعلام بجامعة الأهرام الكندية: إن فكرة

استشراف المستقبل للأفراد، ترتكز على موضوع التخطيط.

وتابع أن التخطيط للحياة يستدعي دراسة الواقع والمستقبل، ومعرفة احتياجات الفرد، وأهدافه، وما الذي يرغب في تحقيقه تحديدا.

وأكمل الشامي أن هذه الأهداف يجب أن تكون مكتوبة، وعلى أساسها يبدأ الفرد في التخطيط لها، ومن ثم العمل وفق هذه الخطة.

وذكر أن كل شخص له أهدافه الخاصة به، والتي تكون متوافقة مع معتقداته وميوله وهواياته، موضحا أنه قد تكون الأهداف قوية وكبيرة جدا، لكنها قد تكون غير مناسبة للفرد، ومناسبة لآخر، وهكذا.

وأضاف أستاذ الإعلام بجامعة الأهرام الكندية، أنه هناك خطأ يقع فيه كثير من الناس، وهو أن بعض الآباء يحاولون جعل أبناءهم، يحققون أهدافهم التي عجزوا أو فشلوا في تحقيقها، ما يصيب الأبناء بالإحباط لعدم تحقيق أهدافهم الخاصة بهم.

وأوضح أن الأبناء في هذه الحالة، يبدأون في الاجتهاد من أجل تحقيق أهداف آبائهم، ومع الوقت في مرحلة معينة من مراحل حياتهم، يكتشفون أنهم لم يصنعوا شيئا، لأن كل ما صنعوه إنما كان من أجل تحقيق رغبات الوالدين، فيصابون بالإحباط، مضيفا أن هذا ليس من أدوار الآباء على الإطلاق.

وشدد أنه بالتالي، «فإن الأهداف يجب أن تكون مبنية على رؤية ورغبة الفرد وقدراته، أنا فلان، ماذا أريد؟، وما هي أهدافي في الحياة؟، وكيف أحققها؟، وما أمتلكه من قدرات؟، وهكذا».

د. النجار: الأخذ به يندرج تحت طلب العلم الذي حض عليه الإسلام

ولفت إلى أن هذه الأهداف لها اتجاهات كثيرة، منها الهدف الروحاني، أو الهدف الرياضي أو الجسماني، ومنها الهدف الخاص بالعمل أو الدراسة، وما إلى ذلك.

وتابع أن جميع هذه الأهداف، تجعل الفرد يبدأ في التخطيط لمستقبله، وكيف يكون، وبأي وسيلة أو بأي طرق يستطيع أن يسير فيه، كي يصبح المستقبل مشرقا وطيبا، وكي يستطيع تحقيق الأهداف التي يرغب في إنجازها.

وذكر الشامي أن كل هذه الأمور تحتاج إلى أن يجلس المرء مع نفسه أسبوعيا وشهريا وسنويا، ليحدد أهدافه ويخطط لها، ويرى كيف سينفذها، ويراجعها أيضا.. وهذه الجلسة السنوية أو الشهرية أو الأسبوعية، بمثابة عملية مشابهة لسن المنشار، موضحا أن العمل بالمنشار باستمرار دون سنه، سيفقده القدرة على القطع، وبالتالي التوقف لسنه بعد فترة من العمل، أمر ضروري لاستمرار العمل نفسه ونجاحه.

د. الشامي: يستدعي معرفة إمكانات الفرد واحتياجاته وأهدافه

وأوضح أستاذ الإعلام، أن حجة بعض الأفراد، هي عدم امتلاك الوقت الكافي للجلسة الدورية لمتابعة خطته، ووضع ما يناسب لتنفيذها، لأنه يريد أن يحقق الأهداف بالعمل باستمرار، مشيرا إلى أنه هنا يشبه عمل المنشار دون سن.

وذكر أن الساعة أو النصف ساعة التي سيجلسها الفرد مع نفسه، من أجل متابعة خطته، ستحدث فارقا كبيرا جدا على صعيد تحقيق الأهداف، ونتائج الخطة.

وكشف أن من الأهداف ما هو على المدى الطويل، ومنها ما هو على المدى القصير، لافتا إلى أن الأهداف طويلة المدى تحتاج إلى خطة طويلة كذلك، وليست كل يوم أو كل أسبوع.

وعن مراجعة خطته، قال: إن السنة يمكن أن يقسمها الفرد إلى أشهر، في كل شهر عليه تنفيذ بعض الأمور وفق الخطة، والأشهر مقسمة إلى أسابيع، موضحا أنه يبحث في كل أسبوع هل نفذ خطوات هذه الأسبوع كما ضمنها خطته، وكذلك الشهر، ومن ثم العام، وفق جلسات دورية.

وشدد الشامي على ضرورة التعامل مع النفس بمرونة كي تصبح الحياة سعيدة، بحيث قد يصنع الفرد أقل مما هو مرسوم، أو أكثر، فلابد أن تكون هناك مرونة، ولا يسير الإنسان وراء نفسه وكأنه يمسك بكرباج في يده، عند أي تقصير يلوم نفسه ويجلد ذاته، لأن هذا يجعل الإنسان في حالة نفسية سيئة، مشددا على أنه يجب على كل إنسان أن يأخذ في اعتباره أنه إنسان، قد يخطئ وقد يصيب وقد يقصر أو يجتهد، وقد ينجح أو يفشل، وهكذا، أما عملية جلد الذات فمرفوضة.



د/محمد عطيه متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف

الرؤية الإيجابية واستشراف المستقبل

يقف الناس مواقف شتى من المستقبل ما بين متفائل حذر يرقب الأوضاع ويبني التوقعات بعد دراسة ما بين يديه من معطيات، وآخرون يبنون نظرتهم على جرف هار من الوهم، ينهار في أول اختبار، ويصاب صاحبه بشتى ألوان الانهيارات النفسية والجسدية والعقلية مع أول خيبة أمل يلقاها أو تلقاه، وقسم ثالث يملك نظرة سوداوية لا ترى إلا نصف الكوب الفارغ، تستحضر الإخفاقات ويغيب عنها ما منحها الكريم الوهاب سبحانه وتعالى من توفيق وتأييد.

النظرة الإيجابية ضرورة حياتية:

وتبدوا أهمية الحديث عن النظرة الإيجابية في أوقات الأزمات بما تحمله هذه الأزمات من كرب وألم يضيق الرؤية الاستشرافية للخروج من المأزق، ويصيب العقول والقلوب باليأس واليأس نقيض الإيمان، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

إن النظرة الإيجابية للمستقبل تعطي للقلب ثباتا يستطيع معه القيام بالتفكير الذي يستخلص الدروس والعبر، ويحرك الهمم نحو العمل الجاد، الذي يشعر معه المرء أنه قام ببعض ما يجب عليه نحو نفسه ومجتمعه وأمته، كما تعين على الصبر الذي ينبني على إدراك سنن الله تعالى في قيام الحضارات والخروج من الأزمات، وأنها لا تتم بين عشية وضحاها، كما تحث على البداية القائمة على التفاؤل والتخطيط، تلك البداية التي تتجاوز الكسل والتسويف والمعوقين ﴿وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب: ١٨)، بل يحزنهم أن يعمل الآخرون، بينما هم في حياة أشبه بالموت، وتستنفر النظرة الإيجابي للمستقبل حب الحياة وغريزة البقاء لتحرك الإنسان نحو مقاومة كل عوامل الفشل والضعف.

توسع النظرة الإيجابية للمستقبل من الأفق، وتحسن من قدرة الإنسان على إدراك الظرف الحالي، ويشعر معها أن العبور من الأنفاق المظلمة إلى ساحات الحلول العملية أمر ممكن، بل واجب ينبغي المبادرة إليه بأسرع ما يمكن.

بل هناك علاقة بين النظرة الإيجابية للمستقبل وبين تعزيز الصحة العامة من خلال الجهاز المناعي، ولا شك أن الحالة الجسدية للشخص ترتبط بحالته النفسية التي تتأثر سلبا أو إيجابا بنظرته للمستقبل.

النظرة الإيجابية بين الإيمان والتنشئة:

ترتبط النظرة الإيجابية بإيمان المؤمن بربه وحسن ظنه في الله تعالى، لذلك تحتاج إلى مخزون معرفي من النصوص الشرعية والوقائع التاريخية والحياتية، وملاحظة آثار رحمة الله بخلقه ولطفه سبحانه وتعالى بهم، كما ترتبط النظرة الإيجابية بالتربية السليمة المتوازنة التي تقوم على غرس التفاؤل في نفس الناشئة، من خلال المواقف المتعددة والقراءات المتنوعة وفتح آفاق فكره وروحه على ملاحظة القدوات الحسنة وطريقتهم في التعامل مع المشاكل، كما ترتبط النظرة الإيجابية بمصاحبة الناشئ وتقديم الدعم النفسي له في أوقات الأزمات.

ومهما كانت وطأة الواقع ثقيلة، إلا أن المؤمنين يوقنون بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤)، فيستشرفون المستقبل بقلوب ملأوها حسن الظن بالله تعالى، ويستجيبون لأمر ربهم، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

وفي كتاب الله تعالى نماذج تبشر المؤمنين بالفرج، وتعلي من قيمة النظرة الإيجابية للمستقبل، أورد ابن كثير في تفسيره عن عكرمة، قال: لما نزلت ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ (سورة القمر:٤٥) قال عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع، وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فعرفت تأويلها يومئذ.

ونفهم من سياق الرواية أن الآية نزلت في وقت لم يفهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه معناها، بل لعله لم يتصوره، فهم لا يأمنون على أنفسهم بين أعدائهم، فكيف سينتصرون عليهم؟ ماذا سيكون شعور إنسان بأن ما هو فيه من ضيق سينتهي، لا بد أن نظرته للحياة ستتحسن، وإقباله على العمل الصالح سيزداد، بما ينعكس على الحالة العامة للمجتمع والأمة.

أسباب غياب النظرة الإيجابية:

١- يغيب عن البعض إدراك طبيعة الحياة وأنها مرحلة اختبار ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢)، وهذا الاختبار أحيانا يكون يسيرا وأحيانا يكون شاقا مضنيا

٢- كما يغيب عنهم أن الأزمات لا تستمر، بل يدرك أصحاب النظرة الإيجابية أن كل أزمة معها مفاتيح حلها، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ (الشرح: ٥- ٦).

٣- يغيب عنهم كم الأزمات التي مرت على الإنسانية ثم تجاوزها البشر واستفادوا منها: خبرة تجنبهم العديد من الكوارث، كما ازداد المؤمنون إيمانا بقدرة الله تعالى ولطفه، وإظهارا لمعادن الناس الطيب منها والخبيث، بل كم أزمة مرت على الإنسان نفسه وأخرجه الله منها بمكاسب ومزايا لم تكن لتتوافر له لولا وجود هذه الأزمة.

٤- يغيب عنهم الثمار المرة للنظرة السوداوية من القلق الذي يحرم من لذة الحياة والبؤس، الذي ينقل سريعا إلى المرض والعزلة التي تضيق معها الأرض بما رحبت.

٥- يغيب عنهم أن كل تجربة لم تكلل بالنجاح للخروج من الأزمة، لا ينبغي أن تلقينا في أودية النظرة السلبية، بل هي خبرة مكتسبة، تدلنا على أن هذا الطريق خطأ وتعيدنا مرة أخرى إلى النظرة الشاملة للمشكلة، ووضع تصور جديد للخروج منها، والاستعانة بأهل الحكمة والأمانة الذين يمدون أيديهم بالخير.

٦- يغيب عنهم أنه إذا اسودت نظرتنا للمستقبل لا يمكننا أن نعمل بقول النبي ﷺ: «إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها» قال الإمام الهيثمي: رواه البزار، ورجاله أثبات ثقات، لعله أراد بقيام الساعة: أمارتها، فإنه قد ورد: «إذا سمع أحدكم بالدجال، وفي يده فسيلة فليغرزها، فإن للناس عيشا بعد». انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٤/ ٦٣).

لابد أن تؤسس النظرة الإيجابية على

الحقائق وليس على الأوهام، لأن النظرة التي تبنى على أوهام لا تلبث أن تتبدد وتنهار صروح الأمل التي بنيت عليها، ومن ثم يقع صاحبها في حالة نفسية سيئة، إذ تظلم الدنيا في عينيه، ويعجز عن المحاولة من جديد إلا من رحم الله.

جاءت تعاليم الإسلام تفتح أبواب الرجاء على مصراعيها، وتجعل من نظرة المسلم أحد المحددات لرؤيته للمستقبل، قال رسول الله ﷺ يقول: «قال الله -جل وعلا-: أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيرا له، وإن ظن شرا فله» انظر: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان تحقيق حسين أسد وقال: إسناده صحيح (٢/ ٤٦١)، فإذا ظن العبد بربه خيرا انعكس ذلك على رؤيته لمستقبله، فسعى نحو الغد يرجو تأييد الله تعالى ومعونته. يوقن المسلم أن الماضي والحاضر والمستقبل بيد الله تعالى، وقد وعدنا ربنا عز وجل خيرا، وهيأ لنا أسباب الفلاح، ومكننا بما منحنا من نعم أن نتعامل مع ظروف الحياة المختلفة، وما نحب وما نكره، إن النظرة الإيجابية للمستقبل تنتقل من شخص لشخص، كما أن النظرة السلبية تنتقل من شخص لشخص.

معززات النظرة الإيجابية:

١- ومما يحفز على النظرة الإجابية للمستقبل المقارنة بين المستقبل المأمول وبين ما نكره أن نكون عليه في المستقبل القريب أو البعيد المقارنة بين تحقيق الطموحات أو الوقوع في الإخفاقات، هذه المقارنة تجعل النفس تفر من الوضع السيء إلى الوضع الجيد، وتوفر دافعا قويا للعمل نحو مستقبل أفضل، وقد كان من قبلنا يسلكون هذا المسلك فيما يتعلق بالاستعداد للآخرة، قال إبراهيم التيمي: مثلت نفسي في النار أعالج أغلالها وسعيرها، آكل من زقومها، وأشرب من زمهريرها، فقلت: يا نفس، إيش تشتهين؟ قالت: أرجع إلى الدنيا، فأعمل عملا أنجو به من هذا العقاب، ومثلت نفسي في الجنة مع حورها، وألبس من سندسها وإستبرقها وحريرها، قلت: يا نفس، إيش تشتهين؟ قال: فقالت: أرجع إلى الدنيا فأعمل عملا أزداد فيه من هذا الثواب، قلت: فأنت في الدنيا وفي الأمنية. انظر: الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٩٣).

ولا ينبغي أن تقتصر هذه المقارنة بين ما نرجو من مكان ومكانة في الدار الآخرة، فإن الطريق إلى الجنة أو إلى النار والعياذ بالله تعالى يمر عبر الدنيا، وما يقدمه الإنسان من عمارة الأرض بسم الله تعالى وابتغاء مرضاته، فينبغي أن يكون هذا القول الحكيم نصب أعيننا عندما تظللها السحب السوداء التي تملأ النفوس بالنظرة السلبية للمستقبل.

٢- حفلت دواوين السنة بما يعزز النظرة الإيجابية للحاضر والمستقبل، ومن ذلك قوله ﷺ: تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة. (رواه الإمام الترمذي في سننه وقال: هذا حديث حسن غريب (٣/ ٤٠٤)).

هذه الأعمال تعود أولا بالنفع على من يقوم بها، وهذا النفع في الدنيا والآخرة، فكلما كان المرء إيجابيا يعين الناس على مشقات الحياة كلما عاد ذلك بالنفع على روحه المعنوية، ومن ثم تتحسن نظرته للحياة تبعا لذلك، ويشعر أن له قيمة في مجتمعه، كما تعود على من توجه لهم هذه الأعمال أيضا، بالإضافة إلى ما يجنيه المجتمع كله من ثمرات وبركات.

هذه البسمة الصادقة التي تخرج من قلب طاهر، كم تدخل السرور! وكم تمسح من أحزان! وهذا التوجيه الذي يتلقاه من ضل طريقه لهدفه يرشده لأقصر الطرق وأمنها، وإذا كان التائه يشعر بالسعادة إذا وجد من يرشده للطريق الصحيح، فكيف يشعر من ضلوا طرق الهداية والفلاح حينما يتخبطون ويتألمون؟! ثم يأتي من يهديهم إلى الصرط المستقيم من يعيدهم إلى رحاب الإنسانية ومن يعيدهم إلى قافلة الخير والبناء، بم يشعر أصحاب البصر الضعيف حينما يصطدمون بما حولهم ومن حولهم فيتحطمون أو يحطمون ما بطريقهم؟ كيف يشعرون بالامتنان لمن ينقذهم من هذا المأزق؟ ونفس هذا يقال في إماطة الأذى عن الطريق، الأذى المادي والمعنوي، وكم يشعر المرء أن هناك من يدرك ما ينتابه من مشاعر ومن يمد يد العون له؟!

هذه المشاعر كفيلة أن تعيد النظرة الإيجابية للحاضر والمستقبل، بينما يمكننا التفكير في شخص يتجرع مرارات الألم، لكنه لا يجد من يشعر به ولا يقدر ما هو فيه من بؤس، كيف سيعامل مجتمعه، وكيف ستكون نظرته للمستقبل؟؟



عبد الله الظفيري
صحافي وباحث

المستقبل وتحقيق الإنجازات

تتزايد الحاجة إلى استشراف المستقبل يوما بعد يوم، لاسيما بعدما أصبح موضوع الاستشراف من الضرورات الملحة في العصر الحديث، لمواجهة المتغيرات وتطورات الأحداث المتسارعة والتي لم يعد بالإمكان التعاطي معها ومسايرة تطورها من دون تخطيط مسبق مبنى على رؤية استشرافية من شأنها تحقيق الإنجازات وتلافي العقبات.

وعندما نتحدث عن استشراف المستقبل فإننا نتناول آلية ووسيلة معينة تنامت أهميتها لما لها من دور كبير في فهم تحديات المستقبل، ووضع البدائل والخيارات المتاحة لتعزيز المنافع وتجاوز العقبات بشكل يؤدي إلى زيادة فرص الحالة المستقبلية التي نسعى إلى الوصول إليها.

استشراف المستقبل ليس أكثر من محاولة لرسم صورة تقريبية عن واقع الحال في المستقبل من أجل تجنب الإشكاليات والعثرات، وضمان تحقيق الأهداف والأولويات دون الدخول في فجائية الأحداث واحتمالات تأثيراتها السلبية على مسارات العمل والخطط المستقبلية.

وتنبثق أهمية الاستشراف من كونه يؤدي إلى تسهيل حياتنا في المستقبل، ويساعد في حسن اتخاذ القرار، لأنه يعتمد على دراسة التغييرات المحتملة وكيفية التعامل معها، والبحث عن الفرص الاستثمارية وطرق الاستفادة منها، وتوقع العقبات والمشاكل وآلية تجاوزها وتجنب الوقوع فيها.

هذا الدور الذي يقوم فيه الاستشراف هو الذي ميزه عن غيره من دراسات المستقبل، وأكسبه أهمية بالغة جعلت له المكانة والاهتمام من قبل مؤسسات القطاع الحكومي والخاص، كونه يساهم بشكل كبير في إحداث نقلة نوعية في العمل، ويرتقي بالأداء بشكل غير أسرع في ظل المنافسة الشديدة وازدياد حجم المعرفة وظهور وسائل جديدة في العمل.

وتزايد أهمية الحاجة إلى استشراف المستقبل تجعل من هذا الموضوع أولوية يجب أن تكون في مقدمة اهتمامات الحكومات والقطاعات الخاصة، وجعلها جزءا من عملها، حتى تكون قراراتها الحالية مرتبطة برؤية مستقبلية تتضمن تحقيق الإنجازات ومواجهة التحديات.

وكلما تسارعت المتغيرات العالمية زادت الحاجة إلى نشر الوعي بأهمية استشراف المستقبل، ومعرفة ما يخبئه وكيفية الإحاطة في اتجاهاته، ولا يكون ذلك إلا من خلال جهد مشترك يقوم على عقد الدورات التدريبية وورش العمل، ونشر البيانات الصحفية والإعلامية، وإجراء المقابلات المرئية والمسموعة مع المختصين وأصحاب الشأن، لإبراز أهمية دراسة المستقبل ومفهوم الاستشراف، لما له من دور في توفير الأرضية المناسبة لمواجهة التحديات المستقبلية وتحقيق الأهداف واقتناص الفرص.





د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

المسلمون وقرار النهوض الحضاري

المستقبل وما يحمله من أمور يشكل هاجسا وهمًا لا يسلم منه إنسان، فالجميع في همّ ما سوف يحدث في المستقبل سواء، وإذا كان استشراف المستقبل على هذا النحو أمر فطري وبديهي جُبل عليه الإنسان، فإن هذا الشعور أو الإحساس تجاه المستقبل لا يكفي للتعامل مع ما هو قادم، وإنما يجب أن يتحول هذا الشعور إلى مشاريع تستشرف المستقبل بكل ما يحمله في طياته من أحداث وتغيرات.

جهد علمي منظم يؤول إلى صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة التي تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع معينة أو مجموعة المجتمعات عبر مدة زمنية تمتد لأكثر من عشرين عاما، وذلك عن طريق التركيز على المتغيرات التي يمكن تغييرها بواسطة القرارات(1).

استشراف المستقبل توجه عالمي

لم يستطع عالمنا المعاصر في زمان تيارات الكوكبة والقولبة، أن يصمد طويلا في ظل التغيرات الكثيرة والمتلاحقة فانهارت حدوده وتقاربت أجزاؤه، وانصهرت أجناسه، فلا شيء يبقى على حاله، فكل الأشياء تتغير، ومن لم يستعد للتغيير ويعد العدة للتعامل والتعايش معه فحتما سيجرفه تيار التغيير رغما عنه إلى مكان قد لا يرغبه، ومن هنا كان الاتجاه نحو التفكير في القادم البعيد أو المستقبل البعيد نسبيا، متخطيا نطاق الخطط الاستراتيجية التقليدية (القصيرة

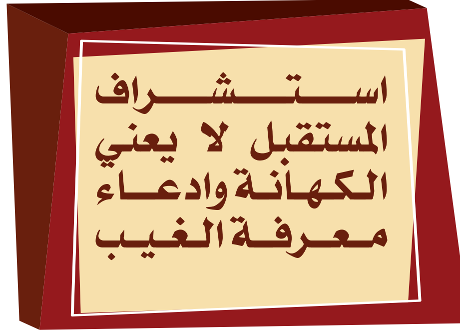
والمتوسطة والطويلة) المدي، والتي لم تعد كافية لتوقع ومواجهة القادم البعيد، مما جعل الاهتمام بالدراسات المستقبلية من الضرورات التي لا غنى عنها، ولم تعد ترفا تأخذ به تلك الدول أو تتركه، فالقرن الحادي والعشرين يحمل من عواصف التغيير ما يحمل البشرية على الاستعداد له والأخذ بأسباب مواجهته، بجهد علمي يستشرف هذه التغيرات وما تنذر به من تحديات وما تنبئ عنه من فرص.

ولعل هذا ما حدا بالغرب إلى تجاوز عتبة الاهتمام بالمستقبل القريب منه والتي أصبحت من الأمور المحسوم أمرها بالنسبة لهم بصورة كبيرة، استشرافا للمستقبل البعيد نسبيا عن بعدي الحاضر والمستقبل القريب، فصار هو الشغل الشاغل للدوائر المتحكمة في صنع القرار، في إطار الصراع من أجل التحكم والسيطرة على العالم في مرحلة ما بعد المستقبل القريب.

الموقف العقدي من استشراف المستقبل

الجهود الغربية في مجال استشراف المستقبل على ما قدمته من أبحاث ودراسات في هذا المجال إلا أنها تصطبغ بالصبغة العقدية الغربية، النابعة من التصور الغربي للكون ودور الإنسان المحوري فيه والمتمثلة في أن الإنسان هو سيد الكون وأن كل ما فيه يجب أن يسخر لخدمة شهواته ونزواته دون شرط أو قيد.

أما التصور الإسلامي للكون ودور الإنسان فيه، فإنه يختلف تماما عن



التصور الغربي فالتصور الإسلامي مصدره الوحي، والذي حدد وبين دور الإنسان ومكانته فيه، فهو مستخلف استخلفه الله في هذا الكون، ومهمته الوحيدة هي عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦) وكل ما يقوم به من أعمال في هذا الكون يدور حول هذا الأمر، وهو محاسب على أعماله في الدنيا بين يدي الله سبحانه وتعالى في الآخرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة:٧).

الضوابط الشرعية لاستشراف المستقبل

استشراف المستقبل لا يعني الكهانة وادعاء معرفة الغيب، بل هو عمل عقدي نابع من عقيدة المسلم وإيمانه بها وفقا للضوابط الشرعية التالية:

أولا: التسليم المطلق بأنه لا يعلم الغيب إلا الله ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النمل:٦٥).

ثانيا: الإيمان بالقدر خيره وشره، ففي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤال جبريل عليه السلام الرسول ﷺ عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال -أي جبريل عليه السلام-: صدقت». (مسلم)

ثالثا: استشراف المستقبل هو من باب الأخذ بالأسباب والتوكل على الله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق:٣)، ولا يعول عليه بذاته.

منهج الإسلام في استشراف المستقبل

يتميز الإسلام في استشراف المستقبل بمنهج رصين تتعدد جوانبه ولكنها تتكامل ولا تنفصل، تنبثق من السنن الإلهية واستشراف المستقبل التصور الإسلامي للكون ودور الإنسان المسلم والذي يمكن المسلمين من ريادة العالم الدينية والحضارية ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (النور:٥٥).

جوانب منهج الإسلام في استشراف المستقبل

- الجانب الفردي: ويمثل هذا الجانب في استشراف مستقبل الأسرة والاستعداد لما يمكن أن يتعرض له

الأبناء مستقبلا، واتخاذ القرارات التي من شأنها مواجهة أن تضمن لهم حياة مستقرة، قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (النساء:٩)، وفي الحديث: عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «قلت: يا رسول الله، أنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: لا، قلت: أفأتصدق بثلثه؟ قال: الثلث، والثلث كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» (متفق عليه).

- الجانب المجتمعي: سنة الوقف سنها ﷺ لضمان استمرار أعمال الخير والبر وعدم توقفها بعد موت صاحبها، بحيث يكون الوقف بعيدا عن أنصبة الميراث مستقلا بنفسه بعيدا عن أي منازعات أو مشاحنات، ففي الحديث: عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن عمر بن الخطاب ﷺ أصاب أرضا بخيبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها» قال: فتصدق بها عمر، أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القربى وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير متمول (متفق عليه).

- الجانب الدعوي: قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:٣٣)، وفي الحديث عن تميم الداري، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر» (أحمد).

- الجانب الحضاري: سيادة المسلمين وريادتهم وقيادتهم للعالم أجمع، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (الرعد:٤١)، ذكر الطبري في تفسيره: أن الحسن كان يقول في تفسير هذه الآية: «هو ظهور المسلمين على المشركين» وفي الحديث: عن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض» (جزء من الحديث - مسلم).

- الجانب العام: ويتعلق بأحوال الناس وأخلاقهم، ففي الحديث: عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي، يغربل الناس فيه غربلة، وتبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم، وأماناتهم، فاختلفوا، وكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه، قالوا: كيف بنا يارسول الله إذا كان ذلك؟ قال: «تأخذون بما تعرفون، وتدعون ما تنكرون، وتقبلون على خاصتكم، وتذرون أمر عوامكم» (أبو داوود).

وهنا استشراف لما يكون عليه الناس وضعف دينهم وتبدل أحوالهم وتدني أخلاقهم وكيفية التعامل مع هذه الشخصيات.

السنن الإلهية مدخل لاستشراف المستقبل

تعاني منهاج استشراف المستقبل الغربية من قصور في الرؤية، والتي قد ترجع إلى عدم القدرة على قراءة الواقع وتحليله والرغبة في السيطرة وتعديل موازين القوى وفقا لمصالح بعض الدول، أو للإفراط في الخيال والمثالية، متجاوزة بذلك ومسقطة للواقع والتاريخ.

وعلى العكس من ذلك تماما فإن استشراف المستقبل من منظور إسلامي يعتمد على الربط بين الماضي بكل أبعاده والواقع، وهذا ما يجعل السنن الإلهية هي المدخل لاستشراف المستقبل عند المسلمين، والسنن الإلهية بما لها من خصائص لعل أهمها أنها ربانية المصدر موحى بها إلى النبي ﷺ فهي لا تحابي أحد، ثابتة تتحقق ولا تتخلف، شاملة لكل نواحي الحياة، تؤكد لنا أن الأمة تستطيع التغيير وتجاوز الواقع إلى مستقبل أفضل إن هي أحسنت قراءة السنن والاعتبار بها من خلال مشاريع استشرافية بحثية تساعد على اتخاذ قرارات من شأنها النهوض والتمكين الحضاري للأمة الإسلامية ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ (الحشر:٢)، فالكون بكل ما فيه يسير وفقا لقوانين إلهية محكمة لا تتبدل ولا تتخلف ولا تحابي ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ

﴿ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ (فاطر:٤٣)، فمن فهم ووعى وعمل تحققت فيه سنة النصر والتمكين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ (محمد:٧). ومن ابتدع وغير تحققت فيه سنة الاستبدال ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(المائدة:٥٤).

تطبيقات من القرآن والسنة لاستشراف المستقبل

من القرآن الكريم: نقف عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ (القصص:٨٥).

نزلت هذه الآية على النبي ﷺ في منطقة الجحفة وهو في طريق هجرته من مكة إلى المدينة، وفي الآية استشراف لمستقبل المسلمين بعد الهجرة من مكة إلى المدينة وانتصارهم وتمكينهم من العودة إلى مكة فاتحين منتصرين وقد حدث ذلك بعد ثماني سنوات من نزول هذه الآية.

من السنة النبوية نقف على ما جاء في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي، هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال: فإن طالت بك حياة، لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحدا إلا الله -قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد؟! ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى ابن هرمز، ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحدا يقبله منه. (جزء من الحديث - البخاري).

ثم يعلق عدي رضي الله عنه على ما سمعه من النبي ﷺ فيقول: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة، لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه. (جزء من الحديث - البخاري).

ونجد في هذا الحديث استشراف النبي ﷺ لمستقبل الإسلام وانتصاره، محددا عددا من الأحداث التي ستقع، وقد طال العمر بعدي بن حاتم رضي الله عنه حتى كان شاهدا على تحقق ما سمعه من النبي ﷺ، فقد فتحت الحيرة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فيمن شهد معركة القادسية والانتصار على الفرس، وقد حدثت زيادة المال في عهد عمر بن عبدالعزيز، قال عنها البيهقي في الدلائل: فيه تصديق ما روينا في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه».

ضرورة تأسيس المراكز البحثية الاستشرافية وتوفير الدعم المادي لها

المسلمون أولى باستشراف مستقبلهم

من المفارقات الغريبة أن الغرب يستشرف مستقبل الإسلام ويعي تماما أن الإسلام هو القوة القادمة التي ستقود العالم، رغم ما يعتري المسلمين من ضعف وتخلف، وهذا مسألة وقت لا أكثر ولاسيما بعد أفول وسقوط المناهج الرأسمالية، والاشتراكية، وعجزها عن مواجهة مشكلات البشر وتوفير الاستقرار النفسي والمادي لهم، وإذا كان هو حال الغرب تجاه استشراف مستقبل الإسلام، فنحن أولى بذلك منهم بل أقول إن هذا الأمر صار فرض عين على الأمة أن تقوم به من خلال تأسيس المراكز البحثية الاستشرافية وتوفير الدعم المادي لها ووقف الأوقاف عليها، واصطفاء العقول الاسلامية المتميزة للعمل في هذه المراكز، وتشجيع العمل البحثي الاستشرافي، تنتهج منهج بحثي مستمد من الكتاب والسنة بفهم سليم يعين على فهم الواقع وتحليله وربطه بالماضي، مهتما ومنتبها للسنن الإلهية، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ (فصلت:٥٣).

الهوامش

١- أحمد عبد الفتاح زكي وآخرون: الدراسات المستقبلية، دار المسيرة للنشر والتوزيع ط١، عمان الأردن، ٢٠٠٣، ص١٨.



السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية

استشراف المستقبل.. ضروري لفهم ذاتنا وواقعنا

في التجديد الفكري المطلوب ثمة عدة قضايا على العقل المسلم أن يوليها الاهتمام اللازم بها، وأن يسعى لإحسان التعامل معها؛ لأن ذلك مما يكفل له الحيوية والفاعلية، ويخرجه من الأزمة الحضارية التي تكبله وتعوقه عن المسير.

ومن هذه القضايا: التعود على التفكير المستقبلي اهتماما واستشرافا، وإدراج ذلك ضمن محددات التخطيط والتنفيذ؛ بحيث لا تأتي الخطوات محصورة في اللحظة الآنية، أو الهموم الحاضرة، فضلا عن الانجذاب إلى الماضي والتعثر في مشكلاته؛ وإنما تأتي الخطوات متجاوزة ذلك دون تجاهل، ومستفيدة منه من غير أن يكبلها، ومتطلعة إلى الغد الآتي، بشيء من الحساب والدراسة ما أمكن.

في معنى المستقبل واستشرافه:

المستقبل في اللغة مشتق من مادة (قبل)؛ و«القاف والباء واللام: أصل واحد صحيح، تدل كلمه كلها على مواجهة الشيء للشيء، ويتفرع بعد ذلك؛ فالقبل من كل شيء: خلاف دبره؛ وذلك أن مقدمه يقبل على الشيء. والقبلة سميت قبلة لإقبال الناس عليها في صلاتهم، وهي مقبلة عليهم أيضا. ويقال: فعل ذلك قبلا (بكسر القاف)، أي مواجهة»[1].

فالمستقبل هو ما نواجهه من الزمن؛ وقد تكون هذه المواجهة قصيرة فتشمل اللحظة التالية للحظة التي نعيشها، وقد تطول فتشمل الأيام والسنوات؛ أي أن المدى الذي يتسع لمعنى المستقبل مدى واسع جدا لا حد له.

ولهذا، فالآخرة هي بهذا المعنى مستقبل لنا، لأن الزمن الذي نحياه لا ينتهي عند حدود الدنيا، وإنما هو زمن ممتد لما بعدها؛ بخلاف من يعتقدون بأن الدنيا هي مبتدؤهم ومنتهاهم.

وأما كلمة الاستشراف فهي من مادة (شرف)، و«الشين والراء والفاء: أصل يدل على علو وارتفاع. فالشرف: العلو. والشريف: الرجل العالي. ويقال: استشرفت الشيء، إذا رفعت بصرك تنظر إليه»[2].

فاستشراف المستقبل يعني النظر إليه، والتطلع لما يحمله، ودراسة احتمالاته، والاستعداد لمتغيراته.

و«المستقبل مستقبلات، أو لنقل مستقبلات عديدة ممكنة؛ ولذلك فإن استشراف المستقبل هو بالأساس استكشاف لماهية هذه المستقبلات الممكنة، قبل تحديد



ماهية المستقبل المرغوب فيه والممكن تحقيقه. والاستشراف ثورة حقيقية للفكر، تفيد أن الإنسان يعتزم أن يكون فاعلا في التاريخ، لا مجرد تابع أو رعية؛ إنه يعني الدفع بقدرة الإنسان على تحويل مجرى الأحداث، قبل فوات الأوان، والتحكم في مسار مستقبله من خلال صناعته وفق إرادته الواعية الحرة ورؤيته المبصرة، وذلك عبر مقاربات كمية وكيفية على حد سواء، تروم تحويل الظواهر إلى مؤشرات قابلة للقياس، أو تضع سيناريوهات متعددة وفق آماد زمنية قاصية أو دانية، أو تبني فهما أفضل لمقومات المستقبل الموجهة للفعل الحاضر»[٣].

وإذا كان المهتمون بالمستقبل يخططون لسنوات خمسة أو عشرة، أو أكثر من ذلك؛ فإن المسلم يمثل في تفكيره المدى الأوسع في الاهتمام بالمستقبل واستشرافه والتخطيط له؛ لأنه في خطواته يضع في اعتباره الدنيا، متجاوزا إياها إلى الآخرة.. أو هكذا يجب أن يكون.

في ضرورة المستقبل:

من المهم أن ندرك أن التفكير في المستقبل أمر ضروري وليس خيارا يمكن الاستغناء عنه، فضلا أن يكون الانشغال به ترفا فكريا. ويستمد التفكير في المستقبل ضرورته، من عدة أمور؛ أهمها:

● أن المستقبل آت: فالزمن ثلاثة أجزاء؛ جزء مضى، وجزء نعيشه، وجزء سيأتي؛ وهذا الآتي هو في حكم الموجود لأنه لا مفر منه. وهنا لا نقصد أن الغد قد يأتي وأحدنا غير موجود، قد توفي؛ وإنما نقصد الآتي أو المستقبل بالمعنى الجماعي، لا الفردي. بل حتى على المستوى الفردي هناك آت لا مفر منه وعلينا الاستعداد له، أي الآخرة. إذن، فالمستقبل آت، «وكل ما هو آت قريب» كما قال ابن مسعود[٤]، وعلينا الاستعداد لهذا الآتي، قرب أو بعد.

● المستقبل مؤثر في الحاضر: بخلاف ما قد يبدو من أن التفكير في المستقبل، تفكير في غير الموجود؛ فإننا نلاحظ أن التفكير في المستقبل ينعكس على الحاضر ويؤثر فيه.

فمثلا، من يضع خططا خمسية أو عشرية لبلد يسكنه عشرة ملايين، حتما سيختلف في خطواته الحاضرة عمن يخطط لبلد يسكنه

أضعاف هذا العدد. وهكذا.. فالتفكير في المستقبل مؤثر في الحاضر غير منفصل عنه.

● الاستشراف يساعدنا على فهم ذاتنا وواقعنا: فالدراسات المستقبلية، في أحد أبرز محدداتها، معرفة علمية منظمة للذات؛ إذ تنطوي على دراسة الواقع الراهن، وبناء المشاهد الاحتمالية الاستكشافية والمعيارية البديلة، وتحدي الفاعلين المختلفين المؤثرين فيه حسب كل مشهد، وإثارة إشكاليات العلاقة بين التحليلات الاستشرافية ومسائل التخطيط على المستويين المتوسط والطويل المدى، وبناء السياسات والاستراتيجيات(٥).

● عدم التفكير في المستقبل يوقع في المشكلات: فمن يتجاهل استشراف المستقبل أو لا يستعد للمستقبل على النحو المرجو له، فإنه سيفاجأ بمشكلات لم تكن في حسبانه، وسيجد نفسه أمام واقع أو حاضر لم يستعد له ولا يعرف كيف يتعامل معه؛ مما ينتج عنه مشكلات لا حصر لها، وأزمات قد يعجز عن حلها.

● استشراف المستقبل يحسن من قدراتنا: فعندما نستعد للمستقبل بما يستحقه من الدراسة والتخطيط، فإننا نكون أكثر قدرة على إدارة الموارد وتعظيم العائد منها، بجانب تحسين قدراتنا ومهارتنا الذهنية والعملية في التخطيط والتنفيذ.

● الدول والحضارات تتفاوت بقدر عنايتها بالمستقبل: فدرس التاريخ يخبرنا أن الدول والحضارات تكون أكثر فاعلية وأقدر على الحضور والعمران والمنافسة، كلما استعدت للمستقبل، واتخذت له الأسباب المعينة، ووضعته ضمن خططها وبرامجها.

في متطلبات المستقبل:

لا شك أن استشراف المستقبل وحسن الاستعداد له، يتطلب جملة من الأمور والمهارات؛ لأن هذا الاستشراف دربة لا تتوافر لدى المرء فجأة، ولا بطريقة عشوائية؛ وإنما تأتي تدريجيا وبطريقة مدروسة. ومن أهم ما يتطلبه الاستعداد للمستقبل:

● إدراك أهمية الاستعداد للمستقبل: إذ كيف نستعد لأمر لا ندرك أهميته! بل قد يزدري البعض هذا الاهتمام بزعم التوكل على الله والثقة في تدبيره! وإن هذا لفهم خاطئ يحول دون إدراك أهمية الاستعداد للمستقبل وضرورته.

● الفهم الصحيح لسنة السببية: فقد أقام الله تعالى الكون على سنن وقوانين، وجعل النظام والانتظام مدار هذا الكون: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠). فالفهم الصحيح لسنة السببية، التي هي إحدى السنن الإلهية التي لا تتبدل ولا تتغير، يمثل أحد متطلبات الاستعداد للمستقبل؛ لأن هذا الاستعداد هو نفسه سبب من الأسباب التي علينا اتخاذها تجاه هذا المستقبل الذي يغيب عنا. فإذا لم نفهم قانون السببية، وركنا إلى العشوائية أو الاتكالية، كيف يمكن أن نستعد للمستقبل ونتخذ له ما يليق به من أسباب وخطط!

● الاستيعاب الجيد للماضي: فمن أهم خصائص السنن الإلهية أنها ثابتة مطردة، تتكرر متى تكررت موجباتها. وقد أشار ابن خلدون لذلك بقوله: «الماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء»(٦). ولو لم تكن السنن الإلهية متكررة، لما كان ثمة فائدة من الأمر بالسير في الأرض والاعتبار بالماضين: ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧). فمن يستوعب الماضي بدروسه وعبره، سيكون أقدر على التعامل مع المستقبل.

● ترشيد الموارد: فالاستعداد للمستقبل له تكلفته، ويتطلب الحفاظ على الموارد المتاحة وتعظيم الاستفادة منها، بحيث لا تنفد ويصبح الرصيد خاويا. ولهذا، فأحد شروط استدامة التنمية وأهدافها هو ترشيد الموارد المتاحة، لاسيما الموارد الطبيعية.

● تكامل الخبرات: فالمستقبل -مثل الحاضر- متعدد الجوانب، ومختلف النشاطات، والاستعداد له يتطلب حيازة خبرات في هذه المناحي كلها؛ مما يستدعي بالضرورة تعاون أصحاب العلوم والمعارف والمهارات؛ لأن الاستعداد للمستقبل فوق طاقة اختصاص بعينه.

● إدراك حق الأجيال القادمة: فالمستقبل -لاسيما في منظوره البعيد- يتعلق بالأجيال القادمة، وحسن الاستعداد له يتطلب معرفة حق الأجيال القادمة على الأجيال

الحاضرة؛ من حيث حسن التوطئة لها، والإبقاء على قدر من الموارد الحاضرة وإدخارها. وقد أدرك هذا الأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بصدد تقسيم الأراضي المفتوحة؛ حين رفض توزيع سواد أهل العراق على الفاتحين، حتى لا تضيع حقوق الأجيال القادمة، وقال: «فما لمن جاء بعدكم من المسلمين؟»(٧). وهذا الاجتهاد من عمر رضي الله عنه دال أبلغ الدلالة على استشراف المستقبل، وإدراك حق الأجيال القادمة فيما هو حاضر من ثروات وخيرات.

نماذج مستقبلية:

كما سبقت الإشارة، فإن انطلاق المسلم من رؤية معرفية متميزة ترى في الدنيا دار عمل، تتبعها دار جزاء؛ يعوده على أن يمد بصره خارج حدود زمنه الضيقة التي يتيه فيها كثيرون، ظانين أن الدنيا دار قرار بعدها العدم!!

وقد حفل القرآن الكريم بنماذج عملية توجه المسلم إلى إطلاق بصره ووعيه خارج الحدود التي يضيقها زمان أو مكان؛ فجاءت سورة الروم لتلفت إلى ما يجري من صراع خارج جزيرة العرب بين القوتين العظميين آنذاك، فارس والروم، ولتخبر بأن الجولات بينهما لم تنتهي وستتغير في بضع سنين: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ (الروم: ١-٤).

كما ضربت سورة يوسف نموذجا علميا لمواجهة الشدائد وإدارة الأزمات، حتى يطمئن الناس على أقواتهم: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (يوسف: ٤٧- ٤٩).

ومن ناحية أخرى، فإن الأحاديث النبوية التي تتحدث عن آخر الزمان وعلاماته ومعاركه، تضع أمامنا صورة مستقبلية لما يجب أن نكون عليه، ولما ينبغي أن نحذر منه.. وتعودنا، بهذه النهج، على التفكير المستقبلي.

كما أن شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المرتبط بضرورة ألا يترتب على الأمر أو النهي ضرر أشد أو فوات مصلحة أكبر، إنما هو شرط يأخذ في الاعتبار مستقبل فعل الأمر أو النهي.. ومثل ذلك «فقه المآلات»؛ فهو أيضا يرتبط بمستقبل الإقدام والإحجام، أو الإتيان والترك.. مما يمثل إشارات مهمة على طريق تعلم استشراف المستقبل.

لحظة ممتدة:

وهكذا.. ففي «الوعي المطلوب» للانطلاق الحضاري يتلاشى الحاجز بين الأزمنة؛ بحيث يصير استيعاب الماضي شرطا لحسن التعامل مع الحاضر، تماما كما يصبح مد البصر للمستقبل شرطا لتوظيف الحاضر والإفادة منه..

فلا الماضي يصير ماضيا، أي منتهيا.. ولا المستقبل يصبح مستقبلا، أي غائبا.. الثلاثة يصيرون واحدا.. والزمن يكون ممتدا- طولا وعرضا، أو رأسا وأفقا- في لحظة واحدة وليس في لحظات متعاقبة..

لقد آن الأوان ليأخذ استشراف المستقبل منا مأخذ الجد، وموضع الفكر والعمل.. اليوم وليس غدا..

الهوامش

١- مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥/ ٥١، ٥٢).

٢- مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣/ ٢٦٣).

٣- استشراف للدراسات المستقبلية، (ص: ٦)، الكتاب السنوي الأول، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (٢٠١٦م)، قطر.

٤- عن معمر بن برقان، قال: قال عبد الله بن مسعود: «كل ما هو آت قريب، ألا إن البعيد ما ليس بآت، لا يعجل الله لعجلة أحد ولا يخف لأمر الناس، ما شاء الله لا ما شاء الناس»، انظر: المعجم الكبير، الطبراني، (٩/ ٩٨).

٥- استشراف للدراسات المستقبلية، (ص: ٥).

٦- المقدمة، ابن خلدون، (١/ ٢٩٢).

٧- عن إبراهيم التيمي، قال: لما فتح المسلمون السواد قالوا لعمر: اقسمه بيننا، فإنا افتتحناه عنوة، قال: فأبى، وقال: فما لمن جاء بعدكم من المسلمين؟ وأخاف إن قسمته أن تفاسدوا بينكم في المياه، قال: فأقر أهل السواد في أرضيهم، وضرب على رءوسهم الجزية، وعلى أرضيهم الطسق (الخراج)، ولم يقسم بينهم. انظر: كتاب الأموال، أبو عبيد، (ص: ٧١).



مياسة النخلاني
قاصة وباحثة يمنية

العتمة لم تخلق لنا

وحين ظننت أن كل شيء انتهى، وأن الأبواب جميعها أوصدت أمامي، وأني أصبحت ورقة خريف يابسة توشك أن تغادر الغصن العالي إلى الأرض الجافة والمتشققة، وأثناء استعدادي لهذا السقوط المؤلم بدأت الأسئلة تطرق رأسي بقسوة؟! لماذا يحدث لي كل هذا؟ لماذا وصلت لهذه المرحلة من التخلي عن كل شيء؟ لماذا لا تمطر السماء ماء باردا لتروي الغصن الذي تشبث به فتبعث روح الحياة في روحي مجددا؟ لماذا لا تأتي النجدة قبل أن أتهاوى تماما وأتناثر حطاما على الأرض الجافة؟ لماذا وصل بي

الحال إلى هذا الانزلاق في الظلمة رغم أني بذلت ما بوسعي للبقاء في النور؟ ولماذا أحلامي الجميلة تذهب إلى أولئك الذي لم يحلموا بها يوما وتتركني جسدا خاويا من أي حماسة أو روح قتالية؟!

لم أرغب يوما سوى بالتحليق عاليا، لكنني ها أنا ذا أقف بمواجهة السقوط دون أشرعة، دون قارب نجاة أو حتى حبل واه متدلٍ من المجهول يوهمني بأني سأكون بخير حتى وإن تحطمت إلى قطع متناثرة.

لطالما واجهت المصاعب أثناء صعودي واحدا تلو الآخر، هزمتها بكل صبر وثبات وتحملت ضرباتها الموجعة، انحنيت مرارا وتكرارا للعاصفة حتى تمضي، وحين تمضي أواصل النهوض غير عابئة بالأغصان التي تحطمت عليّ أثناء مرور العاصفة، لملمت نفسي وواصلت الصعود دون الالتفات للخلف أو لحجم الألم الذي قاسيته، لأن عيني قلبي لم تكن ترى سوى للأعلى حيث منيت نفسي أني سأجد بعض العزاء الجميل هناك وشيئا من السكينة، أقنعت نفسي أني سأحصد ما زرعه صبري وكفاحي الطويل.

وفقط حين أوشكت على لمس قمة آمالي العريضة بيدي، حين أوشكت أحلامي أن تتحقق واحدة تلو الأخرى، تلاشت من أمام عيناي كسراب يقبع في قلب صحراء موحشة، تصدعت الأرض من تحتي وعلى حين غرة ابتلعتني هاوية مظلمة، مهما واصلت السقوط لا أصل أبدا إلى القاع، ولا أرتقي مجددا وكأني علقت في بقعة مظلمة من اللامكان، وفي محاولاتي المتكررة لمغادرتها استنفدت ما تبقى لدي من طاقة وإصرار، وأخيرا فقدت اتزان روحي وعقلي وبدأت أتخبط عاجزة عن إيجاد ركن صلب اتكئ عليه، أو استرشد به للخروج من العتمة للنور.

مر وقت طويل قبل أن أدرك أنني إنما انزلقت عميقا لذاتي، وأن العتمة التي اشتكيت منها مرارا إنما هي تتنامى في أعماقي أنا وتسحبني لداخلها دون رحمة، وأن العالم لم يتخل عني بل أنا من ابتعدت عنه وانزويت مبعدة كل يد تحاول الإمساك بي أو جذبي خارج الدائرة التي رسمتها حولي بدقة، وأني بيدي أوصدت الأبواب أمامي خوفا من مواجهة مصير مجهول أو صدمة جديدة، ودون أن أشعر واصلت بناء الجدران واحدا تلو الآخر لتعزلني تماما عمن حولي وتمنع النور من الوصول إلي أو حتى طرق بابي.

أقنعت نفسي أنها النهاية وألا سبيل للخروج من الهاوية السحيقة، وانصياعا لمخاوفي من السقوط أكثر رفضت الإمساك بأي يد تمتد نحوي مرددة في داخلي: وكيف لي أن أعلم أن هذه اليد لن تفلتني؟!

لكن الظلمة موحشة والقاع لا يتيح لنا أن نتنفس الهواء النقي أو حتى الاستمتاع بشروق شمس الصباح البهي، في القاع تتساوى الأيام والليالي ولا تكاد الشهور والسنوات تعني شيئا سوى أرقام تمر علينا مرور الكرام، نغمض أعيننا ونفتحها لندرك أن ثمة سنوات قد مضت من أعمارنا وستمضي مثلها بإغماضة أخرى دون الالتفات لنا أو حتى البحث عنا وسط الزحام.

في الهاوية المظلمة نحن لا شيء سوى أفواه تتنفس وأجساد تتحرك بشكل روتيني ممل.

وفقط حين أدركت أنني إنما أقبع حبيسة الجدران التي صنعتها حولي بنفسي، وأن الهاوية التي أتهاوى داخلها إنما هي ذاتي التي هربت إليها من فشلي ومن العالم حولي، وأنني لا أنتمي للعتمة أبدا وإنما خلقت للنور والنور فقط، حينها بدأت عيني باستعادة قدرتها على الإبصار وبدأ قلبي يتلمس حوله ليدرك أن ثمة نتوءات هنا وهناك، ثمة أيادٍ ممدودة لي بكل حب وتفانٍ تنتظر مني أن أتمسك بها لتشدني نحو الأعلى، حيث النور والأرض المتماسكة والصلبة.

لأنه في اللحظة التي نوشك أن نقنع أنفسنا أن نتأقلم مع الظلمة الممتدة حولنا، ونبدأ بالاستعداد لتقبل الأمور على ماهي، تستنفر قلوبنا وعقولنا طاقتها الكامنة لنبدأ بتلمس طريقنا للبحث عن مصدر النور الذي يتيح لنا رؤية انعكاس الذات التي كنا عليها أو التي أردنا أن نكون عليها.

بإصرار نحطم القوقعة التي حشرنا أنفسنا داخلها لنتنفس أخيرا الهواء النقي ونتمتم بتعجب: ما الذي أوشكت أن أفعله بنفسي؟!

نحن لا نسقط إلا حين نقرر السقوط. لا تتشكل العتمة حولنا إلا حين نرغب نحن أنفسنا بالابتعاد عن النور. لا يتخلى عنا العالم إلا حين نتخلى نحن عن أنفسنا، ولا تتركنا الأغصان التي نزهر عليها إلا حين نرفض نحن البقاء رفقتها في الأعلى.



د. منير لطفي
طبيب وكاتب

في العجلة الندامة

ذات يوم لاهب خانق، تجاوزت حرارته الأربعين حتى صار كالأتون يغلي منه الدماغ، وتشبع هواؤه بالرطوبة فبات لزجا ثخينا يكاد يكتم الأنفاس؛ آثرت السلامة وطلبت المثوبة بالمكث في المسجد ما بين صلاتي المغرب والعشاء، لاسيما وأن الوقت بينهما أقصر من شهقة، وسرعان ما ينقضي انقضاء البرق اللامع على صفحة السماء.

وعبر مكتبة باذخة تحرس المحراب ذات اليمين وذات الشمال، وتسكنها أمات كتب العقيدة والتفسير والفقه والسيرة والحديث؛ التقطت مجلدا من نتاج قريحة الإمام ابن قيم الجوزية عليه رحمة الله، ثم خلوت به قريبا من مكيف للهواء ضبطت حرارته على ست عشرة درجة مئوية، واستويت على حشوة إسفنجية وثيرة ذات مسند للظهر تبرع بها المحسنون من أهل الخير ونثروها نثر الحب في جنبات المسجد.

ومع اقتراب أذان العشاء، أقبل علي الإمام متهللا مسلما، إذ هو صديق حبيب تشجيني تلاوته الهادئة الندية، وتسعدني طيبة قلبه ونقاء فطرته. وما إن جلس إلى جواري وحدق بغلاف الكتاب الماثل بين يدي، حتى قال في ثقة يحسد عليها: قبل أربع سنوات، أهدي إليّ هذا الكتاب بأجزائه الأربعة، وفورا أهديته إلى مركز الوفاء والأمل. فرفعت حاجبي وسألته مستغربا: ولم لم تحتفظ بهكذا كنز قال عنه ابن عثيمين: «قَلّ أن يوجد في كتب الإسلام مثله؟» ولماذا مركز الوفاء والأمل دون غيره؟ فأجاب: وما حاجتي إلى ما لا يفيدني، مركز الوفاء والأمل يقوم على خدمة (المعوقين) وهو أحق به مني! فسحبته من شحمة أذنه سحبة صديق مازح، وقربت العنوان من عينيه، وقلت: اقرأ يا ابن جني ودقق: فقرأ: أعلام (الموقعين). وعندها ضربنا كفا بكف، وضحكنا سويا حتى دمعت العيون، ثم عزم على استرداد كتابه (أعلام الموقعين عن رب العالمين) الذي ربما لم يقربه مركز الوفاء ولا فض غلافه، خاصة بعدما شرحت له ما عناه ابن القيم بأعلام الموقعين من القضاة والمفتين القائمين بين الناس بأحكام الشريعة.

وقريب من ذلك الموقف الطريف اللاذع، لاح لي يوما كتاب (التفسير البسيط) للإمام الواحدي، وكان أول لقاء لي به، فقلت في نفسي: بساطته تكفيه يوما أو بعض يوم للإجهاز عليه حرثا ودرسا، وإذ بي أجده خمسة وعشرين مجلدا، حوت بين دفافها من النكات البلاغية والاستطرادات اللغوية ما تنوء باستيعابها أذهان المختصين من العلماء وطلبة العلم، وعندها أدركت أنني قبالة مغلاق لا أملك مفتاحه، وهممت بأن الكتاب ليس دوما يقرأ من عنوانه. وبعد زمن زال فيه جهلي باللغة، أدركت أن الرجل على حق، وأن العنوان يوافق المضمون، إذ إن بسيطه من البسط والاتساع، لا الإيجاز والاختصار كما شاع بيننا الآن! وما أكثر التحريف في اللغة بيننا.

والواقع أن هذه العجلة في قراءة عناوين الكتب وما تحدثه من لبس، تبدو قليلة الخطر وتافهة الأثر مقارنة بما يحدث حين نتعجل قراءة البشر ونطلق الأحكام على الناس كمدفع رشاش سريع الطلقات وبمنطق طفولي ساذج، فلا سفر ولا بيع ولا شراء ولا جوار ولا مأكل ولا مشرب، بل نظرة سطحية وموقف عابر ورأي فطير ثم نصنفهم تصنيفا قاطعا نبني عليه دون مراجعة! وهكذا تولد قطيعة يصعب رتقها وضغائن تأبى عودة المياه إلى مجاريها، على اعتبار أن النفوس كالزجاج لا يجدي لهشيمها لصق ولا ينفع مع كسرها جبر.

أظنكم توافقونني على أن المثل العتيق الذي يتعهد به الآباء الأبناء وتتزين بحروفه مؤخرة السيارات: «في العجلة الندامة وفي التأني السلامة»، لا يزال ساريا بقوة، وقابلا للتعميم في شتى مناحي الحياة المادية والمعنوية. كما أظنكم توافقونني على أن الحكمة المقطرة تقطن مقولة الأمريكي بنيامين فرانكلين: «خذ وقتك في كل شيء فالتسرع يؤدي إلى الضياع»، ومقولة التشيكي الألماني كافكا: «تتبع كل الخطايا من خطيئتين أساسيتين: التسرع والكسل».



محمد محمد عيسى
شاعر وأديب

وكبا الذي قد غر بالأفراح

يا ويح مقدمنا أتى بنواح ... فهل الخروج يكون شبه صداح؟!

أبناء آدم لم يكونوا جوقة ... تغري الجميع برقة ومزاح

شتى من الأشكال يعرف جمعهم ... وهم كما الأمزاج في الأقداح

يتنافرون إلى الممات تقودهم ... حمم الهوى ومنازل الأرواح

إن جاء جمع منهم بحقيقة ... ردوه إخوته بكل وقاح

ضمن الكريم لكل فرد منزلا ... وأضاء درب السعي صوب كفاح

وأشار ألا تحزنوا لمصيبة ... فالليل لا يبقى إلى الإصباح

وكذا الحياة مراحل مكرورة ... لا تستبد بها دنى الأتراح

سكنوا الوهاد بما يتاح لهم بها ... واستكثروا من ظلها الوضاح

هبطوا إلى الدنيا وكانت صلبة ... فاستسهلوا أصلابها بنجاح

فأتت إليهم وردة محفوفة ... بمكاره، ومفاتن، وجراح

فنجا الذي قد عاش فيها زاهدا ... وكبا الذي قد غر بالأفراح



أ. د. محمد حسان الطيان
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

أثر القرآن في نفوس العرب

كان للكلمة البليغة في نفوس العرب أثر كبير، بل سحر عجيب، يصنع الأعاجيب.

فقد كانت ترفع وتخفض، وتدني وتبعد، وتصلح وتفسد، وتأسو وتجرح، ترفع قوما، وتخفض آخرين، قد ترفع قوما إلى أعلى عليين ببيت من الشعر، كبني حنظلة بن قريع بن عوف بن كعب، وكان يقال لهم بنو أنف الناقة يسبون بهذا الاسم في الجاهلية، وسبب ذلك أن أباهم نحر جزورا وقسم اللحم، فجاء حنظلة وقد فرغ اللحم وبقي الرأس، وكان صبيا، فجعل يجره، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أنف الناقة. فلقب به، وكانوا يغضبون منه حتى قال فيهم الحطيئة:

سيري أمام فإن الأكثرين حصى
والأكرمين إذا ما ينسبون أبا
قوم هم الأنف والأذناب غيرهم
ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا؟!

فعاد هذا الاسم فخرا لهم وشرفا فيهم.

وقد تخفض آخرين إلى أسفل سافلين.. ولعل أبرز مثال عليهم بنو نمير، وكان بنو نمير أشراف قيس وذوائبها، حتى قال جرير فيهم:

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فما بقي نميري إلا طأطأ رأسه.

إذا هذا أثر الكلمة وعمل الشعر، وهذا هو أثر البيان، فالشعر إذا رضي أرضى، والبيان إذا سمح صافح الآذان وأفرح القلوب. على حد قول السري الرفاء يصف شعره:

إذا ما صافح الأسماع يوما
تبسمت الضمائر والقلوب

وإذا ما غضب قرع الأسماع وصكها، وجرح القلوب وأدماها:

جراحات السنان لها التئام
ولا يلتام ما جرح اللسان

قد يلتئم الجرح الذي يجرحه السيف أو الرمح، أما ما يجرحه اللسان فلا يمكن أن يلتئم.

بيان القرآن

أردت أن أوضح هذا الأثر العظيم للكلمة البليغة وللبيان، قبل أن أبين: ماذا فعل القرآن بنفوس الذين كانوا أصحاب هذا البيان؟



على هؤلاء القوم نزل القرآن ببيان لا أرق ولا أعذب، ولا أحلى ولا أعلى، ولا أجمل ولا أعظم منه، ببيان سجدت له قلوبهم وأفئدتهم قبل أن تسجد له رؤوسهم وجباههم، ببيان أذعنت له النفوس والأرواح، قبل أن تذعن الأجساد والأشباح.

حتى تلك النفوس الكافرة أحنت له الهامات، وكانت تستمع إلى كتاب الله بإصغاء، كانت تستمع إلى كلام الله بتعجب وإعجاب، فلم يملك رؤوس الشرك إلا أن يأمروا غلمانهم بالتشويش والصفير والتصفيق والمكاء والتصدية، واللغو، فقال فيهم ربنا جل وعلا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾(فصلت:٢٦).

بل إن بعض رؤوس الكفر كانوا يستمعون القرآن خلسة، قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث: أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا. فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا. فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود: فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا.

مشاهد من أثر القرآن

وأريد أن أوجز هذا الأثر في مشاهد أعرضها، تبرز أثر القرآن في نفوس القوم:

لبيد مع القرآن

فمن ذلك مشهد واحد من أعظم شعراء العرب، وهو لبيد بن ربيعة العامري، لبيد هو صاحب إحدى المعلقات السبع المشهورات:

عفت الديار محلها فمقامها
بمنى تأبد غولها فرجامها

وهو قامة من قامات الشعراء العظام، لبيد عندما سمع كلام الله -جل وعلا- أخذ على نفسه ألا يقول شعرا، فما قال في الإسلام إلا بيتا واحدا:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي
حتى تسربلت بالإسلام سربالا

وما قال بعده بيتا قط، سكت عن الشعر لأنه أدرك أنه أمام كلام أعظم وأسمى من هذا الشعر، لبيد الذي قال بحقه رسولنا ﷺأصدق أو أشعر كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

وفي لبيد وسكوته عن الشعر يقول شيخنا الشيخ صالح الفرفور رحمه الله تعالى:

أتيتهم بكتاب الله معجزة
أخجلت قسا وسحبانا وحسانا
ألقى لبيد عصاه حين أعجزه
قول فصيح بآيات لعمرانا
ولم تجد قط في شعر قريحته
شتان شعر وآي الله شتانا
هذا البيان الذي تبقى عجائبه
رغم الأنوف وإن شانوه بهتانا

يريد هذا البيان بيان الله - جل وعلا- في القرآن.

عمر بن الخطاب مع القرآن

ومن ذلك موقف سيدنا عمر رضي الله عنه الذي تحول بسماع القرآن من قاصد قتل إلى طالب هدي، وكان قد استل سيفه وعزم على قتل رسولنا ﷺفصادفه في الطريق من غير قصده، إذ أخبره أن أخته قد صبأت قائلا له: أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ فغير وجهته، واتجه إلى بيت أخته مغضبا، وهناك.. هناك سمع كلام الله يتلى في سكينة وخشوع، سمع آيات بينات من أوائل سورة طه:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ (طه:١-٥).

ثم تلاها بنفسه فخشع لها وخضع، ولان بها قلبه وتأثر، وما لبث أن قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!

واتجه إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم، حيث يجتمع الرسول ﷺ وأصحابه ليعلن إسلامه وهو يقول:

يا رسول الله، جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله.

فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة، عرف منها أهل البيت أن عمر قد أسلم.

وثمة المزيد من هذه المشاهد.. نعرض لها في مقال لاحق إن شاء الله تعالى.

حسن عثمان حسن
أديب وباحث لغوي



هما سبيلان

يقول الكاتب الكبير عباس محمود العقاد:

هما سبيلان من يبغ السلامة لا يأسف على الحق أو يحلم برؤياه
ومن بغى الحق في الدنيا فلا أسف على السلامة إن خانته دنياه

لقد أعجبت بهذين البيتين حين قرأتهما لأول مرة، وجعلت أرددهما في نفسي، وأقول حقا إن كلمة الحق عسيرة في كل وقت، خصوصا في عالمنا الذي نعيشه اليوم، وقد تعرض الأنبياء صلوات الله عليهم لصنوف الأذى بسبب كلمة الحق التي صدعوا بها واضحة جلية في وجه الزيف والباطل.

وأجمل ما في هذين البيتين ما تضمناه من حكمة بليغة وإيجاز رائع؛ فإننا لو حاولنا نثر هذين البيتين لاحتجنا إلى صفحات كثيرة، وهذه هي عبقرية الإيجاز أن يقدم لك المعنى مختصرا فيسهل حفظه ويسهل تأمله والتفكير فيه والاستفادة منه، وقديما قالوا: البلاغة هي الإيجاز.

وعلى الرغم من أن هذين البيتين ينتميان إلى شعر الحكمة الذي يحمل خلاصة خبرات قائله وتجاربه في الحياة، وتقل فيه غالبا الصور البلاغية الجميلة؛ لأن الحكمة تخاطب العقل، فإن هذين البيتين الجميلين تضمنا صورا رائعة مثل: «يحلم برؤياه» والضمير يعود على الحق، ومثل: «إن خانته دنياه».

واعتمد الشاعر في صياغة هذين البيتين على أسلوب الشرط، الذي يعتمد على مقدمات تؤدي إلى نتائج واضحة لا لبس فيها ولا غموض، فمن يرد السلامة من الشرور والمكاره فلا يحزن على ضياع الحق أو يحلم برؤيته، وهذا هو السبيل الأول، سبيل من يحرصون على المكاسب الدنيوية من أي طريق ولا يأبهون إلا لما فيه مصلحتهم حتى ولو كانت على حساب الحق والعدل.

أما السبيل الثاني فهو سبيل المؤمنين الورعين الذين يحرصون على الحق ولا يلتفتون إلى ما قد يصيبهم في سبيل ذلك من أذى، فلا يأسفون على السلامة إن تعرضوا لمكروه أو خانتهم دنياهم؛ لأن كلمة الحق مرة وثقيلة على النفوس الضعيفة التي لا تعرف إلى الإيمان طريقا.

وفي هذين البيتين محسن بديعي يوضح المعنى ويبرز المفارقة بين هذين السبيلين، هو المقابلة، فالشاعر جعل الحق في مقابل السلامة وكأنهما ضدان؛ لأن الحرص على كلمة الحق في كثير من الأحيان قد يعرض صاحبه للسجن أو القتل أو لصنوف

مختلفة من الأذى في نفسه وأهله وماله.

ولأهمية الحق جعل الله الحق اسما من أسمائه، قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ (المؤمنون:١١٦) وقال: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ (النور:٢٥) وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:٩٠). وكلمة الحق هي الطريق إلى العدل ورفع الظلم، وإنكار الحق من المنكر والبغي، والحق هو طريق الله وطريق أهل الله الذين لا يخشون في الله لومة لائم؛ ولذلك جعل الرسول ﷺ كلمة الحق جهادا، بل من أفضل الجهاد في قوله: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[١]. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لامرئ يقوم مقاما فيه مقال حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولا يحرمه رزقا هو له»[٢] وأمرنا ﷺ بقول الحق، فقال لأبي ذر: «قل الحق وإن كان مرا»[٣]، وقال له: «لا تخف في الله لومة لائم»[٤].

ويجب على الإنسان المؤمن ألا يرضي الناس بسخط الله؛ لأن الناس لن يغنوا عنه من الله شيئا، بل عليه أن يتحرى الحق وأن تكون غايته الأسمى إرضاء الله عز وجل، وفي الحديث الصحيح الذي أورده الترمذي في سننه أن معاوية كتب إلى عائشة أم المؤمنين أن اكتبي إلى كتابا توصيني فيه ولا تكثري علي، فكتبت عائشة إلى معاوية: سلام عليك، أما بعد؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس»[٥].

والمؤمن يجب أن يخشى الله ولا يخشى الناس، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول في حق إذا رآه أو شهده أو سمعه»[٦].

ومن الحق أيضا أن يحرص الإنسان على الصدق والعدل وألا يقصر في أداء ما عليه من حقوق تجاه الآخرين، وأن يقوم بها خير قيام، ومن حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «ستكون أثرة وأمور تنكرونها. قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم»[٧].

وقول الحق يكون بالحكمة والموعظة الحسنة والرفق واللين وليس بإيذاء الناس والتطاول عليهم بالقول أو بالفعل، فما أحرانا بقول الصدق والحق! حتى نفوز برضا ربنا سبحانه وتعالى.

الهوامش

١ - شعب الإيمان: للبيهقي، تحقيق: حمدي الدمرداش محمد العدل، الجزء السادس، ص:٢٥٧٧، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٢ - السابق: نفسه، ص:٢٥٧٦.

٣ - السابق: نفسه، الجزء الرابع، ص:١٧٧٢.

٤ - السابق: نفسه، الجزء الرابع، ص:١٧٧٢.

٥ - سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ص:٥٤٤، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٦ - مسند الإمام أحمد بن حنبل: أشرف على تحقيقه شعيب الأرناؤوط، الجزء السابع عشر، ص:٦١، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٧ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم: محمد فؤاد عبدالباقي، ص:٤٠٠، دار الحديث بالقاهرة، ٢٠٠٧م.



أ.د. عبد المنعم عبد الله حسن
الأستاذ بجامعة الأزهر

صلى عليك الله

قبل النبوة قد قضيت سنينا   عرفوك فيها صادقًا وأمينا
تسمو على دنس الجهالة راقيا   وحفظت من سوء الضلال مصونا
حتى بعثت متممًا لمكارم   وبثثت هديًا في النفوس مكينا
قابلت بالإحسان كل إساءة   فإذا قسوا وجدوا رحابك لينا
في هديك اللفظ الرقيق تصدق   لاقي التبسم في هداك يقينا
في وجه من تلقى تبش حفاوة   فغدا التعامل في رقيك دينا
وغدًا التسامح والتراحم والوفا   أسسًا تمكن للهدى تمكينا
وتنزل الذكر المبارك هاديا   للناس يهدي للفلاح مبينا
قد جاء دستور الحياة وموردا   عذبًا وحبلًا للإله متينا
والسنة العصماء في أعطافه   نوران فاضا للهدى تبيينا
نبعان للحق المبين تعانقا من   صارا لتشريع الإله معينا
يعتصم بهداهما فقد اهتدى   وارتاد حصنًا للإله حصينا
صلى عليك الله ما صدح الهدى   والله أكبر تنشر التأذينا

شذرات

عمرو طه
قاص مصري

بدلا من التطفل على خصوصيات الناس، حاول أن تتطفل على المناطق المظلمة في عقلك، تلك البقع التي لم تحظ بنعمة الفهم حتى الآن.
أحمد خالد توفيق

يَشعر التافهون ببهجة كبرى حين يقحمون أنوفهم في حياة غيرهم.
كارلوس زافون

شخصيا أفضل أن أرى «كمبيوترا» يفوز ببطولة الشطرنج العالمية.. الجنس البشري يحتاج إلى درس في التواضع.
ريتشارد دوكنز

إذا كنت تقشعر من كل أشكال الظلم، إذا أنت رفيقي.
نيتشة

السلام على الضاحكين وفي قلوبهم سنين بكاء، أولئك الذين قرروا العيش ولم تحالفهم الحياة بعد.
جلال الدين الرومي

قيمة الإنسان هي ما يضيفه إلى الحياة بين ميلاده وموته، فإن كانت حياتك روتينية رتيبة لا تحتوي على ما يجملها من إبداعات تارة، ومن جنون تارة أخرى، فهذا يا صاحبي هو صك النسيان الذي تكلمت عنه.
مصطفى محمود

الإبداع أن تقول الكثير من القليل من الكلمات.
بتلر

استطلاع

استطلاع:
علاء عبد الفتاح





الجدران والأسقف مزدانة برسم آيات من الذكر الحكيم:

بيت المرايا بالكويت فكرة مبتكرة في صرح فني

بيت المرايا في منطقة القادسية بالكويت من المزارات السياحية، المغبون حقها إعلاميا، فبالرغم من أن أصحاب البيت خاضوا تجربة جديدة بتحويل القسيمة التي كانت سكنية إلى متحف تشكيلي بقطع المرايا يزدان بآيات كتاب الله، إلا أن عدد زواره محدود للغاية ربما يسهم في قلة الزيارات تلك الضوابط الصحية التي وضعتها الإدارة اتقاء لنشر العدوى وأخذا بالأسباب التي لا تمنع بالطبع من قدر الله وقضائه.

الوعي الإسلامي زارت بيت المرايا، وتجولت في غرفه وصالاته وطوابقه لتكشف عن متحف ربما هو الأول من نوعه بمنطقة الخليج، بل أيضا عن قصة إصرار ودأب استمرت نحو خمسين عاما في صمت.

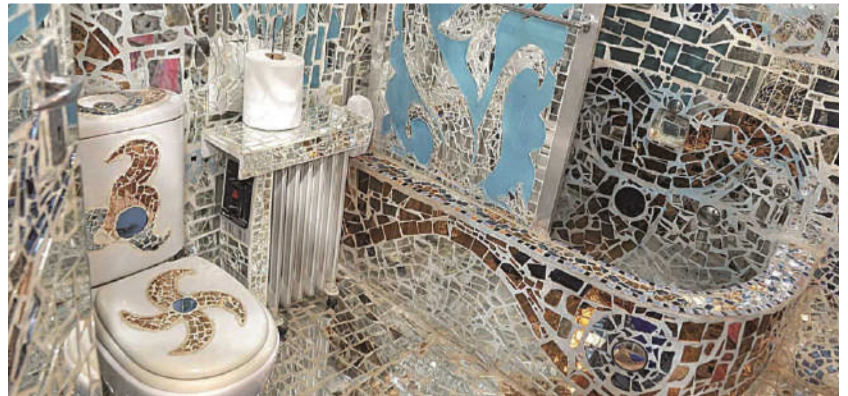
ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل يتعداه إلى الفائدة الملحوظة من تدوير مخلفات كانت ستلقى في الصحراء،





فإذا بها تزين الجدران في لوحات متناسقة الألوان، عاكسة أضواء مسلطة عليها بدقة.

يرجع تاريخ بيت المرايا إلى عام: (١٩٦٠م) عندما بنيت هذه القسيمة كالعشرات غيرها في منطقة القادسية، وحدث ذات يوم -وفقا لما ترويه لنا السيدة ليديا القطان مبتكرة الفكرة وصاحبة المشروع بتشجيع من زوجها أحد رواد الفن التشكيلي الكويتي خليفة القطان- أن أرادت حماية الجدران من خطوط ابنتها الصغيرة جليلة ابنة السنوات الخمس، فصنعت كسوة للجدار بقطع مرايا قديمة تكسرت بعض جوانبها، ونجحت الفكرة، بل وراقت للزوج، فقامت السيدة ليديا باستغلال وقت فراغها، وشكلت لوحات مما وجدته في بيتها من مرايا تستغني عنها، ثم صارت تطلب من الأصدقاء والمعارف منحها ما لديهم من مرايا مكسورة، لتحطمها أكثر وبرؤية فنية تشكلها متجاورة وبدقة معتمدة على طريقة الفسيفساء التي اشتهر بها الفن الإسلامي، لا سيما في الأندلس وبلاد المغرب العربي، وشيئا فشيئا تبلورت الفكرة، وأعجب الزوار بما بدأه أصحاب البيت، حتى أن أحدهم -وكان يملك مصنعا للمرايا- عرض توصيل صناديق قطع المرايا التي



تخلفت عن الصناعة، وكانت ستلقى في حاويات المخلفات، إلى بيت القطان للاستفادة منها في هذا العمل الابتكاري، بعد تقسيمها وتوزيعها حسب الألوان والأشكال.

وتمر السنوات وينمو العمل، ويتم كساء المدخل بأكمله ثم المطبخ فالأرضيات فغرف المنزل، حتى الدرج المؤدي إلى الطابق الثاني، كله مغطى بقطع المرايا.

تطلق صاحبة البيت على الغرف أسماء مقصودة بحسب ما تحتويه الغرفة من أشكال، فهنا غرفة الأرض، وهناك غرفة المجرة، وتلك بالأعلى غرفة الكون، وكلها تمثل عالما من الخيال، خاصة عندما تدخلها وهي مظلمة، ثم فجأة تنبثق الضواء من أماكن مختلفة، وتنعكس على قطع المرايا والمجسمات المعلقة بالسقف.

بعد وفاة صاحب البيت خليفة القطان رحمه الله عام: (٢٠٠٣م) تم تحويل البيت إلى متحف، وحجز التذكرة لزيارته يتم عن طريق موقعه الإلكتروني وملإ استمارة كوفيد: (١٩).

ولا بد من ذكر بعض الملاحظات السريعة التي قد تفيد الزائر، وهي ضرورة الالتزام بارتداء حذاء خفيف، يتسلمه عند وصوله، كما أن المواقف لا تتوفر لأكثر من سيارتين في الزيارة الواحدة بجانب البيت، وليس أمامه، وأيضا لا بد من الإشارة إلى كرم الضيافة الذي يحظى به الزوار، مع بشاشة الاستقبال من سيدة عمرها اقترب من الخامسة والثمانين، ابتكرت فكرة ودورت مخلفات مصانع المرايا وصنعت عالما تشكيليا جميلا لا يغيب عنه ذكر الله.



محمود عبدالرازق العدوي
صحافي وباحث في مجال الإعلام الإسلامي



الأمانة العامة للأوقاف والتنمية المجتمعية



جمعية منهاج الصالحين الخيرية توزيع ٨٠٠ أضحية على الأسر المتعففة واليتامى والمحتاجين

نواصل - بفضل الله - استعراض جوانب من مسيرة عطاء الأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت التي تأسست عام: (١٩٩٣م)، وأسندت اليها «اختصاصات الدعوة إلى الوقف، والقيام بكل ما يتعلق بشؤونه، بما في ذلك إدارة أمواله واستثمارها، وصرف ريعها في حدود شروط الواقف، وبما يحقق المقاصد الشرعية للوقف، وتنمية المجتمع حضارياً وثقافياً واجتماعياً؛ لتخفيف العبء عن المحتاجين في المجتمع»، حيث نسلط الضوء في هذا العدد على مشروع مصرف الأضاحي الذي تنفذه الأمانة العامة للأوقاف سنوياً، بالتعاون مع عدد من الجهات الحكومية والأهلية الخيرية الكويتية داخل الكويت وخارجها - امتثالاً لأمر الله تعالى: «فصل لربك وانحر»، وتنفيذاً لشروط الواقفين من خلال الأوقاف المشروطة بصرف ريعها على مصرف الأضاحي، بصفتها ناظراً على هذه الأوقاف -من خلال اتفاقيات تعاون تم توقيعها - مع هذه الجهات والهيئات - لتنفيذ هذا المصرف وفق خطط ودراسات تفصيلية للمناطق والكميات والفئات المستحقة - وهذه الجهات هي: وزارة الخارجية والبنك الكويتي للطعام، وجمعية إحياء التراث الإسلامي، وجمعية الإصلاح الاجتماعي، وجمعية صندوق إعانة المرضى، والجمعية الخيرية العالمية للتنمية والتطوير، وجمعية التميز الإنساني.

ويهدف مشروع الأضاحي إلى إحياء شعيرة الأضحية والذبح لله سبحانه وتعالى، والتعبير عن معنى التكافل بين المسلمين، حيث إنه يمنح الفرصة للمضحين ببذل أضاحيهم لإخوانهم المحتاجين. ومساعدة الأسر المتعففة والفقيرة في هذه الأيام المباركة، وإدخال السرور عليهم، وقد ثبتت مشروعية الأضحية بنصِّ القرآن الكريم في قوله تعالى: (فصل لربك وانحر)، وفي السُّنة النبوية، حيث إنّ النبي ﷺ قد قام بها في


فريق جمعية الإغاثة ويبدو جانباً من عملية توزيع الأضاحي


الجمعية الخيرية العالمية للتنمية والتطوير تنفذ مشروع مصرف الأضاحي في الكويت


فريق جمعية التميز الإنساني المشارك في عملية توزيع الأضاحي

حياته، وحثّ أصحابه عليها، كما أن الأمة الإسلامية قد أجمعت على مشروعيتها.

وقد اعتمدت الأمانة العامة للأوقاف مؤخراً (٩٥٠ ألف دينار كويتي) لتنفيذ مشروع مصرف الأضاحي لهذا العام: (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، من خلال المؤسسات الحكومية والأهلية، التي قامت بتنفيذ المصرف على أكمل وجه، ومنها ما يلي:

البنك الكويتي للطعام والإغاثة: توزيع ٢٥٠٠ أضحية على المحتاجين والأرامل والأيتام بدعم من أمانة الأوقاف:

تفعيلاً لاتفاقية التعاون بينهما، نفذ البنك الكويتي للطعام والإغاثة مشروع الأضاحي لهذا العام: (٢٠٢١/١٤٤٣م)، بدعم من الأمانة العامة للأوقاف، حيث قام بتوزيع: (٢٥٠٠ أضحية) داخل دولة الكويت من خلال كوبونات استفاد منها: (٢٥٠٠ أسرة متعففة)، شملت آلاف الأفراد، وفق دراسة دقيقة ولوائح أعدها البنك للأسر المستحقة؛ حرصاً منه على مواصلة القيام بدوره الإنساني والخيري لمساعدة المحتاجين بالتعاون مع أمانة الأوقاف.

وأعلن بنك الطعام أن (١٢ ألف شخص) استفادوا من «مصرف الأضاحي»، معرباً عن شكره لمساهمة الأمانة العامة للأوقاف في المشروع. ومبيناً أن توزيع الأضاحي تم بمقر البنك في منطقة الصليبية، بواسطة الفريق التطوعي المدرب لدى بنك الطعام؛ وفقاً لقاعدة البيانات الموجودة لديه، مع الحرص على تطبيق الاشتراطات الصحية.

(١٥٠٠) أسرة متعففة

تحت شعار: «أعظم شعيرة»، وبدعم من الأمانة العامة للأوقاف، نفذت جمعية الإغاثة الإنسانية مشروع الأضاحي لهذا العام، حيث استفاد منه أكثر من (١٥٠٠) أسرة فقيرة ومتعففة، بإشراف كامل من فريق الجمعية على عملية الذبح والتوزيع. حيث أعلنت الجمعية قيامها بتنفيذ الاتفاقية المبرمة بينها وبين الأمانة العامة للأوقاف لتنفيذ هذا المشروع، وفق الشراكة الاستراتيجية بينهما، مشيرة إلى أنها حريصة على إرساء دعائم هذه الشراكة مع كل مؤسسات العمل الخيري الحكومية والأهلية والقطاع الخاص؛ بهدف تقديم خدمات إنسانية ونبيلة للمجتمع بكل شرائحه.

(٦٨٨) أسرة بدعم من أمانة الأوقاف

أعلنت الجمعية الخيرية العالمية للتنمية والتطوير تنفيذ مشروع مصرف الأضاحي في الكويت، بالتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف، مشيرة إلى توزيع لحوم الأضاحي على (٦٨٨) أسرة بإجمالي عدد أفراد (٣٦١٢) شخصاً، موزعين على محافظات الكويت، وثمنت الجمعية تعاون الأمانة العامة للأوقاف، الذي يأتي في إطار الشراكة الاستراتيجية بينهما والذي يشمل العديد من المجالات، مبينا أنها رافد أساسي لمشروعات الجمعية المختلفة. مبينة أنها وزعت كذلك المواد التموينية والسلّات الغذائية على أسر الأيتام والأرامل في الكويت، ضمن سعيها المستمر لدعم تلك الفئة وإعانتها، وإلى استفادة آلاف الأشخاص من لحوم الأضاحي خارج الكويت أيضاً في: (١١) بلداً عربياً وإسلامياً.

٥٥٠ أضحية على ٢٣٥٠ مستفيداً

أعلنت لجنة التعريف بالإسلام عن تنفيذ مشروع الأضاحي لهذا العام: (١٤٤٢هـ) بالتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف، مبينة أنه تم توزيع (٥٥٠) أضحية، وأن عدد المستفيدين بلغ أكثر من ٢٣٥٠ من المهتدين


جانب من عملية توزيع الأضاحي ويبدو فريق توزيع الأضاحي بجمعية إعانة المرضى



والمهتديات الجدد والجاليات المسلمة من غير الناطقين باللغة العربية داخل الكويت، حيث تم التوزيع تم في كل أفرع اللجنة المنتشرة في محافظات الكويت.

وأعربت اللجنة عن شكرها لأمانة الأوقاف نظير هذا الدعم السخي لمشروع الأضاحي هذا العام، وعلى ما تبديه من تعاون دائم مع لجنة التعريف بالإسلام، مؤكداً أن هذا التعاون – الذي تجسده الاتفاقيات بين اللجنة والأمانة – كان سبباً في تنفيذ العديد من المشاريع التي استفاد منها آلاف المهتدين الجدد والجاليات المسلمة.

منهاج الصالحين

و(٩٠٪) من الأضاحي من الأمانة العامة للأوقاف:

أعلنت جمعية منهاج الصالحين الخيرية عن توزيع عدد: (٨٠٠) أضحية على الأسر المتعففة واليتامى والمحتاجين خلال عيد الأضحى المبارك، وأن حوالي (٢٧٠٠) أسرة استفادت من الأضاحي، مشيدة بالجهود التي قدمتها الأمانة العامة للأوقاف والمتميزة في دعم المشاريع الخيرية والإنسانية، مبينة أن ٩٠٪ من الأضاحي كانت من الأمانة العامة للأوقاف وأن (١٠٪) من الأهالي المتبرعين، شاكرة الأمانة العامة للأوقاف على جهودها المتميزة.

التميز الإنساني

نفذت جمعية التميز الإنساني مشروع الأضاحي تحت شعار «وفديناه» بدعم من الأمانة العامة للأوقاف، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وبإشراف كامل من الجمعية على عملية الذبح والتوزيع، وبمشاركة عددا من الفرق التطوعية، حيث استفاد من هذا المشروع أكثر من (٢٠٠٠) أسرة متعففة أو متضررة من جائحة كورونا، بالإضافة إلى توزيع لحوم الأضاحي على عدد: (٥٠٠) من عمال النظافة في منطقة صبحان، مع الالتزام بتعليمات وزارة الصحة وتطبيق جميع الاشتراطات الصحية.

إعانة المرضى

بناء على الاتفاق الذي تم إبرامه مع الأمانة العامة للأوقاف والذي يقضي بتوفير عدد (٨٩٩) أضحية لأسر المرضى وعمالة المستشفيات، إضافة إلى المحتاجين من فئات أخرى داخل المجتمع، نفذت جمعية صندوق إعانة المرضى مشروع الأضاحي لعام: (٢٠٢١م)، وقامت بتوزيع الأضاحي على المستحقين – وفق الشروط الشرعية للأضحية والإجراءات والاحترازات الصحية – وشمل ذلك قرابة: (٤٨٤) أسرة بها أكثر من (٢٢٥٠) فردا من أسر المرضى المعوزين، إضافة إلى (٧٥٠) تقريبا من عمالة المستشفيات في منطقة الصباح الصحية.

مصرف الأضاحي خارج الكويت

وفي السياق ذاته – نفذت أمانة الأوقاف مشروع مصرف الأضاحي للعام: (٢٠٢١م) من خلال وزارة الخارجية بإشراف العديد من السفارات والقنصليات الكويتية في الخارج.. وفيما يلي نماذج مضيئة ما تم إنجازه في بعض الدول:

أمانة الأوقاف توزع لحوم الأضاحي على ٣٨٢٠ أسرة في السودان من خلال السفارة الكويتية:

وزعت الأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت لحوم الأضاحي هذا العام على (٣٨٢٠) أسرة في سبع ولايات سودانية تحت إشراف سفارة دولة الكويت في الخرطوم، وعبر تمويل من الأمانة العامة للأوقاف التي قدمت لحوم الأضاحي لعدد:



الأمانة العامة للأوقاف توزع الأضاحي في هولندا



عملية توزيع الأضاحي والمواد الغذائية في مقر بنك الطعام





(٣٨٢٠) أسرة فقيرة ومتعففة، في سبع ولايات سودانية، مما ساهم في إدخالهم البهجة والفرح على نفوس آلاف المحتاجين.

.. وفي هولندا:

نفذت الأمانة العامة للأوقاف مشروع مصرف الأضاحي في هولندا بإشراف سفارة دولة الكويت في لاهاي وتنفيذ المعهد الإسلامي دار الهدى بأمستردام.

.. وفي البوسنة والهرسك

نفذت الأمانة العامة للأوقاف مشروع الأضاحي خلال أيام عيد الأضحى المبارك على الأسر المحتاجة في البوسنة والهرسك، بإشراف سفارة دولة الكويت في سراييفو، من خلال جمعية البر الخيرية.

.. وفي فلسطين

نفذت الأمانة العامة للأوقاف مشروع الأضاحي على الأسر المحتاجة في قطاع غزة والقدس والضفة الغربية - والتي وصلت إلى (٣٠٠٠) أسرة فلسطينية - بإشراف سفارة دولة الكويت لدى المملكة الأردنية الهاشمية، والمحالة إلى دولة فلسطين وتنفيذ جمعية وفا للتنمية.

.. بالأردن:

نفذت الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت مشروع لحوم الأضاحي على (٥٥٢) أسرة بالأردن - بإشراف سفارة دولة الكويت في عمان - والذي استهدف اللاجئين السوريين والشرائح الأردنية المحتاجة، حيث تم توزيع الأضاحي بتوجيهات من الحكومة الكويتية، وبتمويل من الأمانة العامة للأوقاف الكويتية بالتعاون مع (تكية أم علي) بالأردن.

.. في كردستان العراق:

وزعت دولة الكويت - من خلال الأمانة العامة للأوقاف - (١٥ طناً) من لحوم أضاحي العيد على (٧آلاف) عائلة نازحة ولاجئة تضم نحو (٣٥ ألف) شخص، بإشراف القنصلية العامة لدولة الكويت في أربيل، ويعتبر المشروع تقليد سنوي لدولة الكويت من خلال توزيع الأضاحي الذي تتبناه الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، بالتعاون مع مؤسسة البارزاني الخيرية.

.. في باكستان:

في سياق البرامج والمشاريع التي تنفذها دولة الكويت من أجل إحياء سنة الأضحية، وبإشراف السفارة الكويتية في باكستان، نفذت الأمانة العامة للأوقاف مشروع الأضاحي في جمهورية باكستان الإسلامية، والذي يستهدف آلاف الأسر الفقيرة والمحتاجة، في العديد من الأقاليم والمناطق الباكستانية، تحت اشعار إحياء سنة وتعاون، مراعية بذلك التوزيع الجغرافي وتنويع الشرائح المستفيدة من المشروع، حيث تم تنفيذ هذا المشروع.

المصادر: إدارة المصارف الخاصة - كونا - وكالات- صحف كويتية



صابر علي عبد الحليم
إمام وخطيب

حق الطفل في التربية على حرية الرأي والتعبير

ونعني بحق الطفل في التربية على حرية الرأي والتعبير: تمكين الطفل وإفساح المجال له في أن يبدئ رأيه، ويفسح عما في داخله، وفي كل ما يدور حوله بحرية تامة.

تحكي أم في واحد من كتب اليونيسكو صدر في العام الدولي للطفل: أنها كانت تصحب طفلها في سيارتها لأول مرة إلى الحضانة، ووجدته صامتا، فسألته فيما يفكر؟ أجاب: كنت أفكر في الطريق التي أستطيع بها أن أصادق زملائي في الحضانة. سألته: هل وجدتها؟ أجاب: نعم، سألتفت حولي باحثا عن زميل في مشكلة وأحاول مساعدته، وبذلك نصبح أصدقاء[1].

لقد واجه الصغير مشكلة هي البحث عن صديق، واستطاع أن يجد لمشكلته حلا مرضيا، بل رائعا.

إن تدريب الأطفال على التفكير وعلى التعبير، وعلى اتخاذ القرار من حقوقهم التي يجب أن تحترم، ولسوف يتعود الصغير على التفكير البناء إذا نحن أشركناه معنا واستطلعنا رأيه، فإذا ما أخذنا به وثق في نفسه وقدرته على المشاركة، وإذا لم نعمل به تعلم أن هناك الرأي الآخر الذي له احترامه.

وهناك خطأ نقع فيه نحن الكبار، حين نحاول أن نحول أطفالنا إلى

مجرد متلقين فيتربون على السلبية، وخير نموذج لذلك ما يحذرنا منه أساتذة في الغرب أن كثيرين من الآباء يعتبرون أبناءهم أكوابا صغيرة من الشاي، وأنهم أي الكبار أباريق، تسكب ما فيها في الأكواب[٢].

وفي الأمور السياسية الوطنية والقومية يجب أن يتربى الطفل أن يمارس حرية الرأي والتعبير في كل ما يجري على الساحة السياسية للبلاد، وذلك من خلال التدريب الفعلي على إجراء انتخابات تقوم على أساس من الشورى وحرية الرأي في اختيار الشخص المناسب، ويتم ذلك من خلال التجربة العملية والممارسة الفعلية، من خلال تدريب الطلاب داخل مدارسهم على الديمقراطية والشورى، على أن يتم في النهاية اختيار من يمثلهم في حركة تفاعلية تقوم على أساس حرية الرأي والتعبير.

يقول فضيلة الشيخ عطية صقر: «يجب إفساح المجال للطفل لكي يبدي رأيه بحرية تامة، ثم إصلاح خطئه بالحسنى، وهو ما يعود الطفل التأمل والاستنتاج ومعالجة المشكلات ومواجهة الأزمات بقوة، والحذر كل الحذر من تسفيه رأيه، فذلك يجرح كبرياءه، أو يدعوه إلى الجبن»[٣].

وتحترم السنة النبوية الطفل في إبداء الرأي والتعبير، فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عمر قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أتى بجمار نخلة فقال: إن من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم، لا يسقط ورقها، أخبروني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلة، فأردت أن أقول، ثم نظرت، فإذا أنا أصغر القوم سنا فسكت، فقال رسول الله ﷺ: هي النخلة. فنقل ذلك إلى أبيه عمر. فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا»[٤].

يقول ابن القيم تعليقا على هذا الحديث: ففي هذا الحديث حرص العالم السائل على أصحابه وتمرينهم واختبار ما عندهم، وفيه ضرب الأمثال والتشبيه، وفيه ما كان عليه الصحابة من الحياء، ومن أكابرهم وأجلالهم وإمساكهم عن الكلام بين أيديهم، وفيه فرح الرجل بصواب ولده وتوفيقه[٥].

إن فرح عمر بابنه عبد الله أنه لو قال: «إنها النخلة» يدل بوضوح أن الشريعة الإسلامية جعلت حق حرية الرأي والتعبير من أهم الحقوق الإنسانية خاصة للطفل.

هذا وقد ورد في المنهج الإسلامي في رعاية الطفولة الصادر عن لجنة من الأزهر الشريف واليونسيف ما نصه: «ومشاركة الطفل في إبداء الرأي مهما كان رأيه سخيفا أو بسيطا أو بعيدا عن مصدر المشكلة، وأخذ رأيه في المشاكل وعدم الاستخفاف به، وتوضيح ما في رأيه، أو ما شاب رأيه من خطأ، وإبداء الرأي الصحيح أمامه سواء كان رأي والده، أم والدته، مشاركة الطفل على هذه الصورة شيء يستحق الاهتمام بالعناية، أنه يصوغ الصبي صياغة جديدة، ويوجهه التوجيه السليم، وبهذا نكون قد استفدنا في تربيته من عدة جهات»[٦].

هذه الصياغة الجادة عن حق الطفل في حرية الرأي والتعبير هو اقتباس من الشريعة الإسلامية؛ لأن الشريعة الإسلامية تحرص كل الحرص على حرية الرأي والتعبير كحق إنساني أصيل.

وما تقضي به الشريعة الإسلامية في إعطاء الطفل حقه في حرية الرأي والتعبير كي يصير إنسانا سويا ذكيا، هو ما تقضي به المادة الثانية والعشرون من إعلان القاهرة لحقوق الإنسان جاء فيه: «لكل إنسان الحق في التعبير بحرية عن رأيه بشكل لا يتعارض مع المبادئ الشرعية، ولكل إنسان الحق في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفقا لضوابط الشريعة الإسلامية»[٧].

وعليه فإن الطفل هذا أول من يأخذ حقه في قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالتقصير في أداء حقوق الطفل على المستوى الأسري والدولي والعالمي يعد منكرا، وإعطاء الطفل حقوقه من الأسرة والمؤسسة يعد معروفا يستوجب الشكر والعرفان.

الهوامش

١- أ. عبد التواب يوسف، فصول عن حقوق الطفل، من مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، (ص/١١٨).

٢- المرجع السابق نفسه (ص/ ١١٥).

٣- موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، تربية الأولاد في الإسلام، الطبعة الأولى، (١٤٢٤هـ)، مكتبة وهبة، (٤/ ٣١١).

٤- البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، حديث رقم: (١٣١)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة، حديث رقم: (٢٨١١).

٥- ابن القيم، زاد المعاد، الناشر: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، الطبعة الرابعة عشر، (١٤٠٧هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، (٤/٣٦٤).

٦- أ. عبد التواب يوسف، فصول عن حقوق الطفل، (ص/ ٩٨).

٧- د. محمد نعمان جلال، مصر العروبة والإسلام وحقوق الإنسان، دار الغد العربي، القاهرة، (١٤١٣هـ)، (ص/٢٨١).

نانيس خطاب
أخصائي نفسي





لست كاذبا.. ولكن؟!

إن الكذب من أسوء الصفات التي يتصف بها الشخص، وقد قال رسولنا الكريم ﷺ إن المسلم لا يكذب، والكذب دائما يبدأ بسيطا ثم يكبر حتى يوقع صاحبه في مصائب كبيرة، ولذلك يجب أن نعرف أولا ما تعرف الكذب.

• تعريف الكذب

هو قول الشخص كلام غير صحيح مع المعرفة التامة بذلك، لغرض ما في نفسه، وهو سلوك مكتسب وغير موروث.

• متي تميز الطفل بين الكذب والصدق؟

- الكذب من الصفات التي غالبا يتصف بها الطفل وخاصة في السبعة أعوام الأولى من حياته، ويكون الطفل قبل السبعة أعوام كثير الكذب، وفي هذا العمر لا يميز الطفل بين الكذب والصدق.

• هل يعترف الطفل بكذبه؟

- لا يعترف الطفل بكذبه في هذا العمر، ودائما يقول جملة واحدة مكررة، أنا لست كاذبا، ورغم ذلك تصر الأسرة هي الأخرى على أن الطفل كاذبا، وترغمه على الاعتراف بكذبه، وقد يصل الأمر إلى أن تعاقب الأسرة الطفل إذا رفض الاعتراف بكذبه.

• لماذا تخاف الأسرة من كذب الطفل؟

دائما تخاف الأسرة من كذب طفلها، ويعتبرون هذا الكذب في الصغر هو بداية الطريق للكذب حتى يصبح طفلهم كاذبا عندما يكبر، بل تخاف أن يصبح طفلها كاذبا طوال حياته.

● ما أنواع الكذب عند الأطفال؟

أنواع الكذب عن الأطفال كثيرة ومنها:

١- الكذب الخيالي.
٢- الكذب الالتباسي.
٣- الكذب الوقائي.
٤- الكذب الدفاعي.
٥- الكذب التقليدي.
٦- الكذب العنادي.
٧- الكذب الانتقامي.
٨- الكذب الادعائي.

نبذة عن كل نوع

١- الكذب خيال

يتميز الطفل من (٢:٧) أعوام بخيال واسع خصب، ويظهر في تلك المرحلة الكذب الخيالي وهو أن يتخيل الطفل أشياء لم تحدث، مثل قتل الأشرار أو مقابلة شخصيات كرتونية أو غيره من التخيلات، ونستطيع علاج هذا النوع من الكذب بأن نوضح للطفل بجمل بسيطة واضحة مثل «خيالك رائع»، أو «حكاياتك أعجبتنا»، أو «اكتب تلك الحكايات وسنشتريها منك»، ونتفق معه على دفع مبلغ مادي بسيط.

٢- الكذب الالتباسي

وهو عدم أدراك الطفل الفرق بين الحلم والواقع وقد يحلم الطفل ويحكي ما حلم به على أساس أنه واقع، وعلاج هذا النوع من الكذب بأن نوضح له أنه مجرد حلم وليس واقع فعلي.

٣- الكذب الوقائي

وهو أن يحمي الطفل نفسه من ضرر أو عقاب قد يناله، مثل كسره لكوب، وتصميمه أنه لم يكسره، وعلاج هذا الكذب أن نمسك غضبنا، ولا نصرخ في وجه طفلنا ولا نعاقبه بالضرب ونستوعب قلقه وخوفه ولا ننعته بالكاذب ونتركه فترة زمنية بسيطة، ثم نتحاور معه ونضع له طرق جديدة وشروط في التعامل، مثل دفع ثمن الكوب من مصروفه لو كان قد كسره عن قصد.

٤- الكذب الدفاعي

يدافع الطفل عن شخص يحبه مثل أخيه أو صديقه فيدافع عنه بالكذب وقد يلجأ لشهادة كاذبة لإنقاذ من يحبه ، وعلاج هذا الكذب عدم وضع الطفل في هذه المواقف التي تضغط عليه وتضطره أن يكذب لينقذ من يحبه.

٥- الكذب التقليدي

وهو تقليد الطفل لكذب حدث أمامه من أحد أفراد أسرته فيقلد كذبهم وتوضع الوعود الغير منفذه تحت طائلة الكذب، وعلاج هذا الكذب أن نكون قدوة للطفل وعدم وعده بأشياء لا نفعلها سواء هدية أو عقاب.

٦- الكذب العنادي

وهو أن يضطر الطفل لتنفيذ أوامر بدون رغبة منه فقد نضغط على الطفل ليقوم بتنظيف أسنانه وهو يرغب في اللعب فيقوم الطفل تحت ضغط ويقول إنه قد نظف أسنانه وهو لم يفعل، وعلاج هذا الكذب أن نتفق مع الطفل ونتحاور معه بتأدية وظائفه التي يريدها في مقابل وقت للعب، ووضع بروتوكول توضح فيه ما له وما عليه.

٧- الكذب الانتقامي

فيكذب الطفل لينتقم من شخص يكرهه فقد يدعي الطفل أن زميله قد مزق له كتابه، وعلاج هذا الكذب أن نحاول حل مشكلة الطفل مع من يكرهه وممكن استشارة طبيب نفسي إذا تكرر الموقف.

٨- الكذب الادعائي

وهو من أخطر أنواع الكذب وهو تهويل في الكلام ويكون ناتج عن أحساس الطفل بالنقص، فقد يدعي الطفل أنه يمتلك سيارة فاخرة مثلا، وعلاج هذا الكذب اهتمام الأسرة بالطفل بقدر أكبر وتوضيح أن الحب الأسري والترابط أهم من الأموال، وتعديد المميزات التي يمتلكها الطفل، وإن أكثر الطفل من هذا الكذب يجب استشارة طبيب نفسي.

● ما علاج الكذب؟

- علاج الكذب

١- يجب أن تكون الأسرة هي القدوة لطفلها، ولا تكذب أمام الطفل ثم تطلب منه بعد ذلك عدم الكذب.

٢- لا نخلف وعد مع الطفل سواء بهدية، فلا تعده بتحقيق مطلبا له أو تقديم هدية له، ثم تكذب عليه ولا تحقق ما وعدت به، كما أننا إذا هددنا الطفل بعقاب لابد من معاقبته لأن عدم عقابه يندرج تحت مخالفة الوعد.

٣- عدم نعت الطفل بالكذب مهما حدث منه، ويجب عدم مواجهة الطفل بكذبه، فالمواجهة قد تجعل الطفل يعاند ويكذب أكثر، كما أن مواجهة الطفل تكسر حاجز الخوف عند الطفل وتجعله يكذب بلا خوف.

٤- عدم تأنيب الطفل عند قوله الحقيقة، فعندما يعترف الطفل بالحقيقة، يجب على الأسرة تشجيعه وعدم تأنيبه أو معاقبته.

٥- قراءة قصص عن قيمة الصدق لأطفالنا، القراءة تساعد الطفل على اكتساب صفات حميدة دائما.

أطفالنا هم نبتتنا فيجب الحفاظ عليهم ويجب أن نكون أصدقاءهم.



حسن بن محمد تونس
باحث دراسات إسلامية

تأخر سن الزواج

تعتبر مسألة تأخر سن الزواج لدى الشباب اليوم من أكبر الظواهر الاجتماعية السلبية في مجتمعنا الإسلامي، وهي تشغل الكثير من العائلات. وفي الحقيقة، إن هذه الظاهرة ناتجة عن العديد من الأسباب، لعل من أبرزها مشكلة البطالة التي تفشت في السنوات الأخيرة في أوساط العديد من الشباب، وذلك نتيجة صعوبة إيجاد فرص عمل مناسبة للجميع بفعل توخي سياسات اقتصادية وتنموية فاشلة في جل الدول العربية، بالإضافة إلى الارتفاع الكبير الذي أصبحت عليه تكاليف الزواج، فضلا عن غلاء المهر الذي يعد من أهم معوقات الزواج، والذي حال دون تحقيق الكثير من الشباب حلمهم في الزواج وفي تأسيس أسرة وإنجاب أولاد والمساهمة في بناء المجتمع.

إن كل هذه العوامل قد ساهمت في تأخر سن الزواج لدى فئة كبيرة من الشباب العربي، وحتى في الامتناع عنه لدى العديد منهم، الأمر الذي أصبح يشكل خطرا يهدد سلامة المجتمع وترابطه؛ لأن هذا الأمر يؤدي إلى فقدان الاستقرار النفسي والتوازن الاجتماعي لدى الشباب من كلا الجنسين، كما يساهم على المدى الطويل في تهرم المجتمع وعدم قدرته على خلق أجيال جديدة.

ولقد أدت ظاهرة تأخر سن الزواج إلى ارتفاع معدل العنوسة، الأمر الذي ترتبت عليه العديد من المشاكل النفسية والاجتماعية والأخلاقية، ودفع بالكثير من الشباب إلى الوقوع تحت تأثير حالة من الشعور باليأس والكبت والإحباط ودفع العديد إلى اتباع سلوك غير سوي، الأمر الذي أدى إلى تفشي حالة من الانحطاط الأخلاقي والتفسخ القيمي والخروج عن ضوابط الشرع وارتكاب المحرمات التي نهى الله عنها.

واليوم أصبح العديد من الشباب العربي، خصوصا المقيمين في بلاد الغرب، يلجأون إلى الزواج من نساء أجنبيات نظرا لعدم كلفة هذا الزواج، خصوصا من الناحية المادية،

غير أنه وفي كثير من الحالات قد يؤدي إلى انحراف عدد من الشباب عن تعاليم دينه ويضطره إلى العيش والاستقرار في بلد الزوجة غير المسلمة، كما نتج عن ذلك بروز جيل جديد من الزواج المختلط الفاقد للهوية وذلك تحت تأثير الثقافة الغربية التي ولد وترعرع فيها.

كما أن ظاهرة هجرة الشباب العربي، التي عرفت في السنوات الأخيرة نسقا مرتفعا وغير مسبوق، قد فاقمت بدورها من ظاهرة العنوسة.

إن الزواج هو ركن أساسي في حياة كل مسلم ومسلمة، ومن دونه لا تستقيم الحياة، ولقد حث الرسول ﷺ على ضرورة تيسير هذه المسألة وعدم إثقال كاهل الشباب المقبل على الزواج بالشروط المادية المجحفة، ولابد من التركيز فقط على الجانب الخلقي للشاب ودينه، ولقد قال الرسول ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد» (أخرجه الترمذي).

إن الهدي النبوي يدعو إلى اتباع كل السبل التي من شأنها أن تيسر مسألة الزواج للشباب، ولذلك لا داعي للمبالغة في شروط الزواج وتكاليفه طالما كان الشاب صالحا وتم التأكد من أخلاقه واستقامته.

والإسلام حارب العنوسة، وأوضح السبل الكفيلة باستقرار الفرد وتوازن المجتمع، فالله قد خلق الرجل للمرأة وخلق المرأة للرجل ونظم العلاقة بينهما، وذلك عن طريق الزواج الذي يعد الوسيلة الوحيدة التي تضمن للمرأة كرامتها وعفافها.

إن التمسك بقيمنا الدينية واتباع العادات الحسنة يعدان من أهم أسباب القضاء على هذه الظاهرة، ودعا رسولنا الكريم إلى ضرورة التعجيل بتزويج الشباب والعمل على التيسير في مسألة المهور ومساعدة الفئة الفقيرة وغير القادرة على الزواج.

ومساعدتهم على تحسين أوضاعهم المعيشية.

إن مشكلة العنوسة تهدد اليوم بفساد المجتمع بأكمله، وإن معالجة أسبابها قد أصبحت أمرا ضروريا وذلك لتدارك كل جوانبها السلبية وتأثيراتها الاجتماعية والنفسية والأخلاقية الخطيرة على مستقبل الفرد والمجتمع.

إن التصدي لظاهرة غلاء المهور وارتفاع تكاليف الزواج وكذلك محاربة العادات السيئة التي تزيد من صعوبة تحقيقه والتمسك بقيمنا الدينية واتباع الهدي النبوي من شأنها أن تحد من ظاهرة تأخر الزواج لدى الشباب.



يحيى عثمان
مستشار سابق بمجلس الوزراء



التربية

تعتبر التربية من أهم الأنشطة التي يقوم بها الإنسان عبر التاريخ، ومن التعاريف الهامة للتربية، إنها منظومة شاملة ومتكاملة من العلوم والفنون الخاصة بصناعة الغد. إن العامل المشترك بين الدول المتقدمة إنها أولت التربية الأهمية المطلقة فبنت جيلا استطاع أن يتقدم بها على سائر الأمم، وفي المقابل فإن العامل المشترك للدول المتخلفة إهمالها لتربية جيل قادر على أن يواكب حركة التقدم، والتنافس العالمي فباءت في ذيل الأمم. وقد اعتنى الإسلام بتنشئة أجيال قوية قادرة على رفع راية التوحيد آخذة بكل أسباب القوة الروحية والمادية. فثمرة التربية الحقيقة في الإسلام عباد عاشوا حياتهم في معية الله.

التربية

يمكن تعريف التربية بأنها نشاط تفاعلي بين المربِّي والمربَّى، بهدف استثارة الدوافع لدى المربى لتنمية معارفه وصقل مهاراته وإطلاق قدراته الروحية والعقلية والوجدانية والبدنية، مما يساعده على أن يكون قيمة مضافة متميزة للمجتمع.

سمات التربية

نشاط تفاعلي بين المربي والمربى

التربية ليست إصدارا لأوامر أو نصائح في اتجاه واحد من الوالد لابنه، ولكنها قراءة لحالة الابن ثم التفاعل معه بناء على حالته، ومرة أخرى فهم رد فعل الابن، ثم اختيار الأسلوب المناسب لرد فعل الأبن وهكذا.

استثارة الدوافع لدى المربى

قد يستجيب الولد لتوجيه والده، ولكن إذا نجح الوالد في استثارة دوافع الولد، فقد ضمن ليس فقط الفعل المراد بكفاءة، ولكن أيضا استمرارية الأفعال ذات العلاقة. فمثلا قد يستجيب الابن للتوجيه بالمذاكرة، ولكن إذا تم له استثارته للمذاكرة من خلال الحديث عن حلمه بمستقبله وبيان أثر العلم على قيمة الإنسان، فسيحرص الابن ليس فقط على المذاكرة، بل تحصيل العلم خارج البرامج الدراسية.

تنمية المعارف وصقل المهارات وإطلاق القدرات

التربية منظومة لتنمية العمليات العقلية وتدريب الجوارح على كفاءة التعامل معها، وإطلاق القدرات الكامنة في داخله المربى.

مجالات التربية

الروح: ربط المربى بمعية الله، والمرجعية الدينية للعلوم.
العقل: أدوات التفكير والتزود المعرفي.



الوجدان: التفاعل الوجداني مع أسرته أصدقائه، وكيفية التعبير عن مشاعره وفهم مشاعر الآخرين وحسن التفاعل المناسب معها.

البدن: التربية البدنية وممارسة نمط صحي للحياة.

ثمرة التربية

قيمة مضافة متميزة للمجتمع: ليس هدف التربية حشو مخ الابن بالمعلومات، ولكنها وسيلة لأن يكون قيمة مضافة متميزة للمجتمع وليس استنساخا لأحد مهما كانت قيمته.

الإسلام والتربية

التربية فرض وليست فضلا

أولى الشارع الحكيم التربية أهمية خاصة، فرسالة الرسل إلى البشرية هي تربيتهم ليعبدوا الله ويقيموا شرع الله ويعمروا الأرض، وعلى نهجهم كل ولي، فالتربية فرض عين على كل من ولي أمرا من أمور المسلمين، يقول الله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ (التحريم:٦)، وعن عبدالله بن عمرو ابن العاص-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت»، صححه الألباني في المشكاة، رقم: (٣٣٤٦). وقوله ﷺ: «كفى بالمرء إثما» أي: لو لم يكن له من الإثم إلا هذا لكان ذلك كافيا، كفى به إثما أن يضيع يقوت.

التربية مسؤولية المجتمع المسلم كله

يقول الرسول ﷺ: «ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته» متفق عليه. لذا فالتربية مسؤولية اجتماعية مشتركة، فرغم أنها فرض عين على كل راع، إلا أنه في المجتمع المسلم تتضافر جهود الجميع: الوالدان والإعلام والشيخ والمدرس والمدرب والجار، في تربية جيل الغد ومن ثم صناعة غد أفضل للأمة.

التربية عملية مستمرة

مسؤولية التربية تظل بأعناقنا ما دمنا أحياء، فهذا يعقوب عليه السلام وهو على فراش الموت يتابع ما سبق له أن بذله مع أبنائه ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (البقرة:١٣٣). إن التربية نشاط حياتي، أي أنها مرتبطة بالحياة ومظهر من مظاهرها، ولا تتوقف عند مرحلة عمرية محددة، بل أن التربية مستمرة ما دمنا أحياء.

التربية تبادلية

روى مسلم في الصحيح من حديث تميم الداري، يقول ﷺ: «الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»، (البخاري/ باب الإيمان ٥٥). إن كل أفراد المجتمع يربوا ويتربوا، حتى الطفل مع أبيه! نعم، عندما يتبع الأب أسلوبا تربويا ويكون ردة فعل الولد سلبيا، فهذه رسالة ضمنية من الولد إلى والده بأن عليه أن يغير أسلوبه معه، أي أن الولد يربي والده ليكون أبا صالحا كما يربي الوالد ولده ليكون عبدا صالحا. لذا فالتربية تبادلية بين كل أفراد المجتمع

كاليدين يغسل كل منهما الأخرى.

خصوصية التربية

وهذا هو بيت القصيد والذي سنتناوله من خلال الإجابة على استشارة إحدى الأخوات والتي تقول في رسالتها:

«أنا سيدة متزوجة ورزقني الله ثلاث بنات وأربعة أولاد، زوجي -جزاه الله عني وعن أولا دنا خيرا- رجل أعمال فرغم أنه خريج قسم الفلسفة إلا أنه ورث حب العمل الحر عن أبيه رحمه الله، والذي يدر علينا بفضل الله دخلا كبيرا يكفل لنا معيشة على قدر كبير من الرفاهية. كما أنه يهتم بنا جدا، ومهما كانت درجة وأهمية انشغالاته، إلا أنه حريص كل الحرص على علاقته بأبنائه، ولكن من وجهة نظره هو، ويبرر ذلك بأن من يحبهم أكثر منه؟ وهو الأعلم بمصلحتهم، وقد عركته الحياة فمن حق أولاده عليه أن يقدم لهم ثمار خبرته فلا يقعوا فيما وقع هو به من أخطاء، طبعا كل أب يسعى لذلك وهذا شيء طيب. أب قد يبدو مثاليا! نعم قد يبدو مثاليا! ولعلك أستاذي تتعجب عما قلت عنه، كيف أقول إنه قد يبدوا مثاليا؟ لإن مأساتنا معه في قصة تربيته والتي يعتبرها نموذجه الأمثل في كل ما تضمنته ودليله على ذلك هو وإخوانه وكلهم ذكور على دين وخلق وإن تباينوا في نجاحهم المهني فمنهم الطبيب صاحب المستشفى والمهندس صاحب الشركة، ومنهم من لم يوفق بنفس القدر من وجهة نظر زوجي لإنهم يعملون موظفين لدى الغير.

يعلل زوجي ذلك بأن إخوانه الذين تربوا في فترة الدخل المحدود وكانوا يساعدون والدهم في عمله قد تربوا على الجد والمشقة وعاشوا حياتهم على نهج والدهم وهم الذين قد نجحوا، أما إخوانه الذين تمتعوا برغدة العيش فلم تعركهم الحياة فلم ينجحوا مثل الآخرين. لقد كان والد زوجي رحمه الله رجلا أميا يعمل نجارا وكان يشهد له بالأمانة وكان عصاميا جادا وفقه الله لفتح دكان صغير ثم أصبح مصنعا كبيرا له عدة فروع. انعكست هذه الحياة على أسلوبه في تربية أبنائه، خاصة ابنه الأكبر زوجي والذي عاش فترة نموه المهني وكابد معه مشقة الحياة وكان يحبه جدا، فتأثر بجده واجتهاده فكان يعمل معه بعد عودته من دراسته وكان يحل واجباته المدرسية في دكان والده، فلم يعرف طعم اللعب، وكان دخل والده بالكاد يكفي متطلبات حياتهم، وكان يدخر ويستثمر في دكانه ويزيد من الانفاق ليتوافق من نمو الأسرة، ولكن بقدر. وكما يحكي زوجي عن والده، إنه كان يرى أن التعبير عن الحب للأولاد يفسدهم ويعتبره تدليلا وميوعة، وكان كثيرا ما ينهر والدتهم إذا وجدها تحضن أو تقبل أحد الأولاد تعدى سن الصبا، ومن أمثلته التي لا يفتأ أن يكررها علينا إن الأولاد مثل الحديد كلما أشتد عليه النار زادت صلابته.

ورغم إن زوجي كريم جدا إلا أنه يخاف عليهم من أن يضع أي مال في أيديهم! تخيل حتى الولد الأكبر وهو في المرحلة الجامعية، لا يأخذ مصروفا! يبرر زوجي ذلك بأنه يوفر بالبيت كل ما يمكن أن يطلبه الأولاد. رغم وجود سائق وسيارة خاصة بالأسرة، إلا أن زوجي مشترك لابننا في سيارة الجامعة، وعادة ما يرجع ابننا مجهدا بعد قضاء وقت طويل في الذهاب والعودة بسيارة الجامعة، كما أنه عمل له اشتراك في المواصلات العامة حتى يتعود على الخشونة ويصير رجلا -من وجهة نظره-. كما أنه رغم وجود الإنترنت، لكنه قبل الاشتراك، اتفق مع إحدى الشركات الخاصة بالحماية الإلكترونية لضمان حجز المواقع حتى العادية وقصرها على مواقع البحوث والدراسات مع إرسال تقرير يومي له عن المواقع التي كانت هناك محاولات للاطلاع عليها!

طبعا زوجي يحب أولادنا مثل أي أب، إلا إنه يستنسخ تجربة تربيته والتي يراها فوق مستوى النقد، والتي تقوم على قاعدة أساسية وهي أن الشدة وتحميل الأولاد فوق طاقاتهم وعدم التعبير عن حبه لهم والمبالغة في تخويفهم من معارضة ما يراه هو فقط، لدرجة أنه لا يحق لأي منهم مناقشة أمر ما أصدره لهم، فهو الذي كان يدير لهم حياتهم حتى اختيار الكلية التي التحق بها ابننا الكبير كانت قراره.

هذه السياسة والتي نجحت من وجهة نظره في تربيته وإخوانه الذكور، يطلقها كما مارسها والده على جميع الأولاد ذكورا وإناثا، مما يزيد الأمر سوءا على البنات».

التحليل

أولا: خصوصية التربية

يمكن تعريف الموقف التربوي بأنه توجيه لفظي أو إيحائي أو بدني أو معرفي أو سلوكي أو...، مما يؤدي إلى استثارة المربى للاستجابة لما يهدف إليه المربي.

إن نجاح الموقف التربوي يتوقف على مدى توافقه مع نفسية كل من المربي والمربى والبيئة التربوية. لذا فمن الأخطاء الفادحة تربويا: استنساخ أي موقف تربوي وتطبيقه كما هو، ونتوقع أن نحصل على نفس النتائج.

تصرف الإنسان في موقف ما (سواء أكان والدا أو ولدا): هو تفاعل نمط شخصية في بيئة نفسية في موقف ما، وسنحاول في إيجاز بيان مفهوم كل منها:

نمط الشخصية

الشخصية تتضمن المواقف (أو الاتجاهات) وأنماط التفكير والمشاعر والأفعال والتفاعل مع المواقف والتوتر (أو الكرب) الناتج من المواقف اليومية مع الآخرين، وعليه فيمكن تعريف نمط الشخصية بأنها منظومة مرنه شاملة ومتكاملة لسمات الفرد، وأنماط سلوكه. حيث إن لكل إنسان سمات ذاتية، واجتماع هذه السمات يكون له شخصية منفردة، ويمكن تصنيف هذه السمات في أربع مجموعات:

بواعث أو مصادر النشاط

وهي موزعة على خط نسبي من عشر درجات ما بين (ذاتي .. اجتماعي).

إدراك المعلومات والخبرات

وهي موزعة على خط نسبي من عشر درجات ما بين (حسي .. حدسي).

نماذج اتخاذ القرارات

وهي موزعة على خط نسبي من عشر درجات ما بين (عقلاني .. عاطفي).

التفاعل مع البيئة المعيشية

وهي موزعة على خط نسبي من عشر درجات ما بين (حازم .. مرن).

مما يتضح معه مدى التباين الهائل بين أنماط شخصيات البشر، فمن إبداع الله في خلقه، انفراد كل إنسان منذ بدء الخلق ببصمة أصابع غير متطابقة مع غيره، أيضا هناك نمط شخصية (بصمة نفسية) لكل إنسان لا تتغير، وسبحان الله بصمة الأصبع لا تتغير ولكن البصمة النفسية تتغاير بسبب مؤثرات كثيرة، لا مجال للاسترسال فيها.

البيئة النفسية

ينشأ الأخوة في مراحل عمرهم الأولى في بيئة واحدة، ولكن بناء على أنماط الشخصية المتباينة والمتغايرة لكل منهم، فإنهم يعيشون في بيئات نفسية أيضا متباينة ومتغايرة.

المواقف النفسية

هو تغير ما يحدث في البيئة النفسية يتصرف فيه الشخص تصرفا ما، بناء على طبيعة تفاعل نمط شخصيته في البيئة النفسية في اللحظة الآنية التي حدث فيها التغيير.

وبناء على مفهوم نمط الشخصية والبيئة النفسية والمواقف النفسية، فإن نجاح الموقف التربوي بين والد وولده اليوم، لا يعني بالضرورة تحقيقه لنفس النجاح غدا، فما بالنا باستنساخ منهجية تربوية مارسها والد مع أولاده الذكور من عقود، ويطبقها على أولاد من الذكور والإناث. لا حرج بل يجب تقييم تجارب منهجيات تربية والدينا لنا وأخذ المناسب وتعديله بما يتناسب مع نمط كل ولد من أولادنا. بل وأؤكد أن قراءة كل ما كتب عن التربية، وحضور كل المحاضرات والمشاركة في الورش والندوات ومشاهدة الفيديوهات واستشارة المتخصصين في مجالات التربية، ما هي إلا تجميع لآراء وتجارب وأطروحات تساعدني في محاولة فهم نمط شخصية أولادي ومن ثم الاجتهاد في صياغة منهجية التربية الخاصة بكل ولد والتي أحرص على تحديثها مع تطور وتغاير نمط شخصيته واختيار المناسب منها بناء على الموقف التربوي المراد توجيه ولدي فيه. وهنا يمكن التنويه إلى مقولة «لا تؤدبوا أولادكم بأخلاقكم، لأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم»، هذا الكلام لا يعرف عن علي بن أبي طالب ﷺ ولا عن أحد من الصحابة أو غيرهم من السلف الصالح، إنما يعرف من قول سقراط، («إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٦٥)، «الملل والنحل» للشهرستاني (٢/١٤٤)).

ثانيا: جناحا التربية

- الحب دون ميوعة وحزم دون قسوة.
- الثقة.

وهذا ما سنتناوله بمشيئة الله في العدد القادم



المرسي محمود شولح
كاتب دراسات إسلامية

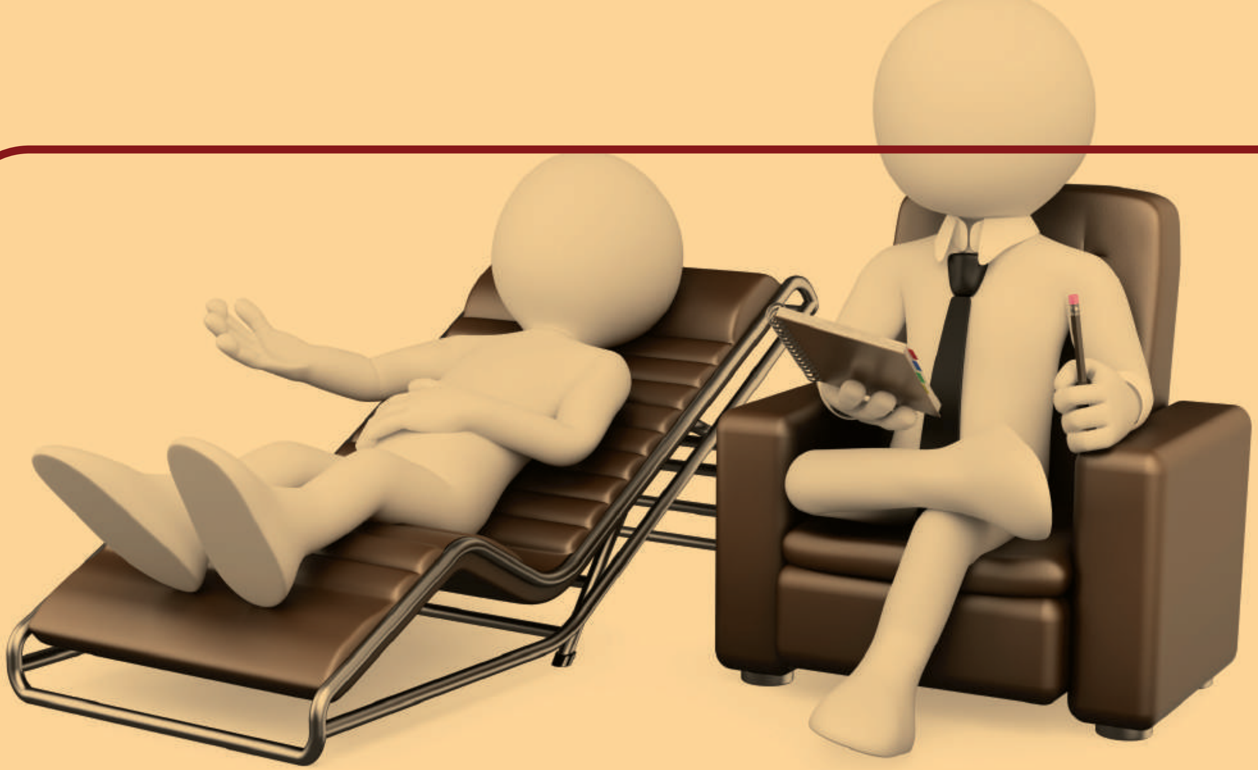


المخاطر النفسية للمشكلة الاقتصادية

الإيمان علاج للأزمات النفسية والمشكلات التي يشعر الإنسان أنها فوق طاقته، وفوق إمكاناته وقدراته، فيتسلح بسلاح الإيمان، ويعيش وفق إمكاناته، ولا يضيع طاقته الفكرية في غير مكانها، ولا يهدر تأمله وتركيزه.
وتدخل المجتمع ضروري لعلاج ظاهرة الشرود الفكري، والأولى بالمحيطين بالإنسان الملمين بظروفه التدخل من أجل المساعدة والمساندة والإسهام في إنجاد الرجل من ورطته.

تدخل أبي بكر ﵁ في بعض المشكلات

تدخل أبي بكر ﵁ بين الرسول ﷺ وأزواجه.
عن جابر بن عبدالله ﵄ قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم. قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا. قال: فقال: لأقولن شيئا أضحك النبي ﷺ. فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة». فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده. (صحيح مسلم).
- يتمثل البعد النفسي فيما يأتي:
ظاهرة الشرود التي يعاني منها البعض في الواقع المعاصر لها أسباب كثيرة، منها المشكلات الزوجية، فالبعض يكون موجودا بقالبه في عمله وفي دوائر الحياة المختلفة، ولكنه شارد بفكره وبعيد بخلده؛ بسبب ما يمر به وما يقع له، والسكوت وتقطيب الجبين لهما أبعادهما النفسية وأسبابهما العميقة التي قد يجتهد الناس في معرفتها والوصول إليها، ولكنهم يعجزون ولا يفلحون، ولا يتحقق المراد إلا بتصريح الإنسان بحالته، ونطقه بحقيقة مشكلته.
وفي هذا دليل على مكانة أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، ومنزلتهما عند رسول الله ﷺ، حيث كان الناس جلوسا ببابه ﷺ ولم يكن يأذن إلا لهما، وهذا باعتبار مكانتهما.
وتتضح لنا سرعة بديهة أبي بكر ﵁، فعندما رأى وجوم النبي ﷺ وسكوته أدرك أن سبب ذلك هو نساؤه، ولم يتوقف أبو بكر ﵁ عند إدراكه وتصوره، بل سعى إلى تغيير حالة رسول الله ﷺ من خلال تفكيره في أن يقول شيئا يكون مضحكا لرسول الله ﷺ، وهو بهذا لا يريد أن يراه ساكتا واجما، وإنما يريد أن يراه ضاحكا، لإدراكه أن الضحك والبسمة يعيدان إلى الإنسان عافيته ويستردان له أريحيته النفسية ويجعلانه يزاول مهامه ويجدد نشاطه



ويتفاعل مع الناس.
ونجح أبو بكر ﷺ في تغيير حالة رسول الله ﷺ، فضحك رسول الله ﷺ من مدخل أبي بكر ﷺ في كلامه معه، وفهم النبي ﷺ مقصد أبي بكر من هذا القول، وإرادته إخراجه ﷺ من حالة السكوت والوجوم.

رد فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

لما علم أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما، سبب غضب رسول الله ﷺ جاء ردهما متمثلا في مبادرتهما إلى بنتيهما، ووجأ عنقيهما، وهما بهذا يعبران عن رفضهما لتصرف بنتيهما، وعدم تصورهما مخالفتهما رسول الله ﷺ، وسؤالهما النفقة، وتكليفه بما لا يطيق، وهذا دليل على حبهما لرسول الله ﷺ، وموافقتهما أمره، وامتثالهما لرغبته ﷺ.
ويؤخذ من هذا أن تطمين الزوج ومساندته في موقفه أمران مهمان، فأبو البنت طالما رأى أن موقف الزوج صحيح فما ينبغي أن ينصر ابنته في الباطل، أو يرفع من صوتها عليه، أو يعالج المسألة ببساطة ويتعامل معها بصورة عادية، أو يهمش منها، أو يقلل من حجم المشكلة، فمثل هذه الأمور لا تتناسب مع حجم المشكلة الزوجية، ولا ترضي الزوج، ولا تشعره بسلامة موقفه وصحة وضعه.
ولم يكتف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بوجأ العنق، وإنما خاطبا البنتين بقول واحد، معاتبين لهما، ومستنكرين فعلهما، وغير راضيين عن سؤالهما رسول الله ﷺ ما ليس عنده.

دور المرأة

المرأة المسلمة الواعية عليها عامل كبير في إبعاد زوجها عن المشكلات النفسية، وعدم تحميله الهموم بتكليفه ما لا يطيق، وإلزامه بما يعجز عنه، وإنما عليها أن تدرك دخل زوجها، وأن تعي طاقته، وأن تسير في حدود هذه الإمكانات، ولا تدمر أسرتها وتفسد علاقتها بزوجها.
عن أبي هريرة ﷺ قال: دخل رجل على أهله، فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية، فلما رأت امرأته قامت إلى الرحا فوضعتها، وإلى التنور فسجرته، ثم قالت: اللهم ارزقنا، فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأت. قال: وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئا. قال: فرجع الزوج وقال: أصبتم بعدي شيئا؟ قالت امرأته: نعم، من ربنا، قام إلى الرحا فرفعها، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «أما إنه لو لم يرفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة» (أخرجه أحمد والبزار).
وفي هذا بيان لواجب الرجل عند وقوع الضائقة، فعليه أن يخرج ملتمسا الرزق لأهله، وعلى المرأة أن تشارك هذا الهم وألا تكون عبئا عليه، بل تساعد في حل المشكلة وتحافظ على بيتها واستقرار أسرتها.

دور المجتمع

لابد من مشاركة الآخرين في همومهم، وألصق الناس بالإنسان أهله، لابد لهم من مشاركته في همومه، ومواساته في أحواله.
قال ابن القيم رحمه الله: «المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه».
وأولى الناس بالمواساة هم أهل البيت من الزوجة والأولاد، ولا يكون مستساغا أن يواسي الرجل الأصدقاء ولا يواسي أهل بيته، فالمواساة يحتاج إليها الإنسان بحكم الظرف الذي وضع فيه، وبالطابع البشري الذي جبل عليه.

تراجم

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث





سلسلة الأعلام المتشابهة (٦١)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الحصني)

١- تقي الدين الحصني (ت: ٨٢٩هـ)

هو تقي الدين أبو بكر بن محمد ابن عبد المؤمن الحسيني الحصني الدمشقي الشافعي، فقيه من أهل دمشق، نسبته إلى الحصن، من قرى حوران، وإليه تنسب.

ولد سنة: (٧٥٢هـ)، قدم دمشق، وسكن البادرائية، أخذ عن شرف الدين الغزي ونجم الدين ابن الجابي وشمس الدين الصرخدي وغيرهم.

من أبرز تصانيفه: (كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار)، و(دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد)، و(شرح منهاج الطالبين)، و(شرح صحيح مسلم)، و(تنبيه السالك على مظان المهالك)،



و(قمع النفوس)، توفي بدمشق في شهر جمادى الآخرة[١].

٢- شمس الدين الحصني (ت: ٩٧١هـ)

هو شمس الدين حسين بن علي بن عبد الرحمن الحصني الشافعي، محدث، نحوي.

ولد سنة: (٩٢٣هـ)، وأخذ عن رضي الدين الغزي وابن طولون وشهاب الدين الطيبي وغيرهم.

من أبرز مصنفاته: (التعريف في نظم التصريف) منظومة تصريف العزي، نظمها وهو ابن (١٤) سنة، وقرظه بعض العلماء، و(منازل المسافر) نظمها أثناء رحلته إلى القسطنطينية، و(مصباح الظلام في علم حديث الرسول عليه الصلاة والسلام)، و(الجوهرة في القراءات العشر)، و(المقدمة الكافية) في النحو، وشرحها (المفهمة الشافية)، توفي بدمشق[٢].

٣- الحصني (ت: ١١٧٣)

هو حسين بن مصطفى بن عبد الرحمن الحصني الشافعي، عالم فقيه.

ولد بدمشق، من أبرز مصنفاته: (حاشية على المنهاج)، توفي بدمشق ودفن بباب الصغير[٣].

المتفق والمفترق في اسم (ابن المنير)

١- شرف الدين بن المنير (ت: ٧٣٦هـ):

هو شرف الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن منصور بن المنير الإسكندري المالكي، مفسر، له شعر ونظم.

ولد سنة: (٦٥١هـ)، أخذ عن عميه: ناصر الدين وزين الدين.

من أبرز مصنفاته: (تفسير لكتاب الله)، و(أرجوزة في القراءات السبع)، و(ديوان في المدائح النبوية)، توفي بالإسكندرية[٤].

٢- ناصر الدين بن المنير (ت: ٦٨٣هـ)

هو ناصر الدين أبو العباس أحمد ابن محمد بن منصور الجذامي الإسكندراني المالكي.

ولد بالإسكندرية سنة: (٦٢٠هـ) ونشأ بها، وولي قضاءها وخطابتها مرتين، ودرس بعدة مدارس.

من أبرز مصنفاته: (المتواري على تراجم أبواب البخاري)، و(الانتصاف من الكشاف)، و(تفسير حديث الإسراء)، و(تفسير مشكلات أحاديث يشكل ظاهرها)، و(مختصر التهذيب للبغوي) في الفقه الشافعي، توفي يوم الجمعة من شهر ربيع الأول[٥].

٣- زين الدين بن المنير (ت: ٦٩٥هـ)

هو زين الدين أبو الحسن علي ابن محمد بن منصور الجذامي الإسكندراني المالكي.

ولد في شهر ربيع الأول سنة: (٦٢٩هـ)، ولي قضاء الإسكندرية مدة، ودرس وأفتى وصنف، وكان له مدرسة للإقراء.

من مصنفاته: (شرح صحيح البخاري)، و(القصيدة النبوية)، و(حواشي على شرح البخاري لابن بطال)، و(الكلام على تراجم البخاري).

توفي بمكة المكرمة يوم عيد الأضحى من شهر ذي الحجة[٦].

الهوامش

١- انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤/٧٦) والأعلام للزركلي (٢/٦٩) ومعجم المؤلفين (٣/٧٤).

٢- انظر: الكواكب السائرة (٣/١٤٣) والأعلام للزركلي (٢/٢٤٧) ومعجم المؤلفين (٤/٣٠).

٣- انظر: سلك الدرر للمرادي (٢/٦٢) ومعجم المؤلفين (٤/٦٢).

٤- انظر: ذيل التقييد (٢/١٥٧) والأعلام للزركلي (٤/١٧٧) ومعجم المؤلفين (٨/٨٢).

٥- انظر: بغية الوعاة للسيوطي (١/٣٨٤) وشجرة النور الزكية (١/١٨٨) والأعلام للزركلي (٣/١١٦).

٦- انظر: شجرة النور الزكية (١/١٨٨) والأعلام للزركلي (٦/٥٠) ومعجم المؤلفين (٩/٩٨).



هشام الصباغ
باحث لغوي

الآمدي شيخ خطاطي القرن العشرين

حامد الآمدي

«لما بلغت ما بلغت حمدت الله وسميت نفسي حامدا»

■ ذاع صيته وبلغت شهرته الآفاق.. جل وقته وحياته كرسه في خدمة فن الخط العربي؛ أسمى الفنون الإسلامية وأقدسها؛ فقصده طالبو تعلم كتابته من مختلف دول العالم للأخذ منه وتعلم مهارات الخط وجماله وزخرفته على يديه.

■ من يعرفه ويعلم فضله على الخط العربي وغزارة التراث الذي خلفه.. يعلم يقينا أن ترجمة بسيطة كهذه لن توفيه بعض حقه؛ فهو أحد عباقرة الخط العربي الذين ارتقوا به إلى السمو في القرن العشرين، حتى غدا شيخ الخطاطين المبدعين، ومقصد الطلبة والمتذوقين.

■ أبهر في كل الخطوط التي مارسها، ولم يبدع في خط دون آخر.. وعينه عدسة فنية دقيقة تلتقط ما ترى.. ويده بارعة في رسم الانعكاسات الشعاعية وعلى حقيقتها.. استطاع أن ينمي ملكته الفطرية بنفسه، ويقيم توازنا بين يده وبصره بشكل منسق إلى أبعد حدود التنسيق.

■ موهبته فذة، قدم أعمالا رائعة في فن الخط تشهد على عبقريته.. وفي حياته كتب المصحف الشريف بخط يده (وهو أثره الكبير الخالد) فطبع ونشر.. وهذا شرف وفخار لم يحظ بهما إلا عدد يسير من الخطاطين.

■ رغم تحول اللغة الرسمية في بلده عن الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، ما ألقى بثقله على ظروفه الاقتصادية وجعلها أكثر صعوبة، فإنه ظل يؤدي رسالته المقدسة بكل حب.. رسالة المحافظة على الحرف العربي بجماله وإبداعه.. إنه شيخ الخطاطين في القرن العشرين موسى عزمي (أو حامد آيتاش الآمدي).

النشأة والتعليم

■ في قرية اسمها «آمد» بالقرب من مدينة ديار بكر في تركيا ولد موسى عزمي، الملقب بـ«حامد آيتاش آمدي» عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، لأب كان يعمل قصابا، وجد لوالده خطاطا يدعى «آدم الآمدي».

■ في بداية حياته ألحقه والده بكتاب الصبيان في مسجد «أولو» بقريته، وفيه تعلم القراءة والكتابة، ولفت الأنظار إليه بشغفه بالرسم وحب دروس الخط، حيث بدأ بالكتابة والتخطيط بقلم الخط (القصبة) وعمره لم يتجاوز تسع سنوات.

■ بعد انتهائه من الكتاب انتقل إلى المدرسة الرشيدية العسكرية (المرحلة الإعدادية في مدارس اليوم) في ديار بكر، وفيها تعلم خط الرقعة على يد أستاذه وحيد أفندي، و«الثلث» على يد أستاذه أحمد حلمي بك (معلم الرسم وضابط الجاندرما)، كما تعلم منهما خطوط اللغتين اللاتينية والرومانية.

■ في عام ١٩٠٦م، أنهى حامد الإعدادية، واتجه إلى إسطنبول لدراسة القانون في مدرسة القضاة (كلية الحقوق)، لكن هدفه الأساسي كان الوصول إلى مركز الخط (إسطنبول)، حيث كبار الخطاطين وروائع الأعمال الخطية المنتشرة في مساجد ومقابر وطرقات عاصمة الدولة العثمانية.

■ لم تمكث دراسته القانون إلا عاما واحدا؛ ترك بعدها «القضاة» والتحق بمدرسة الصنايع النفيسة (أكاديمية الفنون الجميلة الآن)، بمعاونة أستاذه مدحت بك بعد أن لاحظ موهبته الرائعة في الخط.

محنة تدشن حياته العملية

■ أثناء دراسته في «الفنون الجميلة» توفي والده مصدر دعمه المالي الوحيد (١٩٠٨م)، ما اضطره إلى ترك الأكاديمية والبحث عن وظيفة يعتاش منها، فعمل بأشياء بسيطة إلى أن أعلنت وزارة المعارف العثمانية عن حاجتها إلى مدرس للخط، فدخل حامد الامتحان وتفوق فيه لكنه لم يعين نظرا لصغر سنه آنذاك (١٨ سنة) عن السن القانونية، غير أن موهبته وقدراته أثارت إعجاب المسؤولين الذين قاموا بتعيينه للاستفادة من ملكاته العظيمة.

■ عمل مدرسا لعام واحد، وانتقل بعدها إلى العمل في مديرية مطبعة الرسومات لعام أيضا، ثم تم تعيينه في مطبعة المدرسة العسكرية، ومنها انتقل للعمل لسبع سنوات بمطبعة أركان الحرب العثمانية.. وفي هذه الأثناء استأجر مكتبا صغيرا لأعمال الخط والزنكوغراف بعد الانتهاء من ساعات عمله في المطبعة، وكان

القانون وقتها يحظر على الموظف العام الاشتغال بعمل آخر غير وظيفته الرسمية، فما كان منه إلا أن عمل تحت اسم مستعار (حامد الآمدي).

■ لمع اسم حامد وازدادت شهرته، ما أدى إلى اكتشاف أمره فحوكم واستقال من عمله الرسمي.. ولأن اسم حامد قد جلب الشهرة له، فقد توجه إلى الجهات الرسمية ليغيره من «موسى عزمي» إلى «حامد»، وعن سبب اختياره اسم «حامد» تحديدا يقول: «لما تفتحت موهبتي باكرا وعرفت من زملائي الخطاطين ومن باقي معجبي فن الخط أن لي إبداعا مميزا ومهارة واضحة.. حمدت الله على هذه النعمة وسعيت إلى أن أسمي نفسي حامدا».

محنة التحول إلى «اللاتيني»

■ في عام ١٩٢٦ م، تحولت تركيا عن الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، ما كان له وقع سلبي على الآمدي أثر في مستوييه الفني والاقتصادي بشكل كبير، وجعله يبحث عن وسيلة أخرى لكسب العيش، فتعلم فن الطباعة وممارسة الحرف اللاتيني، وحول مكتبه إلى مشغل لعمل الحفر على الكليشهات، وكتابة الخطوط بالحروف التركية الحديثة (اللاتينية).. واقتصر عمله في الخط العربي على اللوحات التي كانت تطلب منه، مثل كتابة البطاقات الشخصية لبعض المشاهير، وعلى خطوط المساجد، بالإضافة إلى تعليم الكثير من التلاميذ الوافدين عليه من داخل تركيا وخارجها.

أسلوبه في التعليم

■ «رب يسر ولا تعسر» دعاء يتبارك به الآمدي.. كان يبدأ به مع من يريدون تعلم الخط، يستغرقون في تعلم كتابته ٦ أشهر كاملة، يتابعهم عن كثب ليعلم خلالها أيهم أصبر على تعلم جمال الخط.. فإذا صبر الطالب وأثبت قدراته كان يعلمه كتابة الحروف الهجائية ويصحح له أسفل الحرف، ثم كتابة الألفية وتقليد بعض الآيات القرآنية كواجب منزلي بعدها تنتهي الدروس ويمنح الطالب الإجازة في الخط.

ليرة ذهبية.. ومتحف المدرسة

■ عشق حامد الخطوط العربية وشغف بها وكان نتيجة هيمانه بها رسوبه في عامه الأول في «الرشيدية»؛ فمنعه والده من مزاولة الخط وطالبه بالالتفات إلى دروسه.. لكن حامد كان قد تعاون مع أحد معلميه الخطاطين في كتابة لوحة على قطعة قماش تحمل عبارة «يحيا السلطان» بمناسبة عيد جلوس السلطان عبدالحميد الثاني على العرش، فضلا عن محاولته كتابة طغراء السلطان، ما دفع المسؤولين في ديار بكر إلى منحه ليرة ذهبية مكافأة له، فطار بها فرحا إلى والده ليخبره، فشرح صدر والده، وسامحه وأذن له في معاودة مزاولة فنه.

■ وكما عشق الآمدي الخطوط العربية أحب الرسم وبرع فيه، حتى أنه قلد في «الرشيدية» خريطة في أطلس مدرسي بدقة متناهية، ما أثار إعجاب أستاذه في الجغرافيا ودفعه إلى إيداعها متحف المدرسة.

أهم أعماله

■ أعماله الفنية يصعب إحصاؤها، لكن أهمه: كتابة القرآن الكريم مرتين: إحداهما طبعت في تركيا والأخرى في ألمانيا، والنسختان تعدان من روائع المصاحف التي طبعت في العالم.. كما خط الآمدي طغراء السلطان عبدالحميد الثاني (سلطان الدولة العثمانية)، وطغراء الملك فيصل (ملك السعودية)، وطغراء رضا شاه بهلوي (شاه إيران).. كما كتب خطوط أربعين حديثا نبويا وكثيرا من كتب تعليم الخط والآلاف من الكتابات الإسلامية والمدائح النبوية والأشعار المختلفة بالإضافة إلى عناوين كتب كثيرة وشواهد قبور.. وغيرها.

مساهمته مع «الوعي»

■ للآمدي العديد من المشاركات مع «الوعي الإسلامي»، إذ لم يكن لمثل هذا العلم ألا تخفى روائعه عن قراء المجلة التي سارعت إلى نشر لوحاته ورسوماته عبر كثير من أعدادها التي يصعب حصرها في هذه الترجمة البسيطة.

وفاته

■ تدهورت صحة الآمدي في أواخر أيامه، فرقد في مستشفى «نمونة» في إسطنبول لسنة ونصف السنة، حتى أغمض عينيه وفاضت روحه إلى بارئها يوم الثلاثاء ٢٤ رجب ١٤٠٢هـ/ ١٨ مايو ١٩٨٢م، وصلي عليه في جامع «شيشلي»، الذي كان حامد يفخر دائما بخط آياته القرآنية.. وتنفيذا لوصيته دفن بجوار شيخ الخطاطين حمد الله الأماسي أفندي في مقبرة أبي أيوب الأنصاري.. وبوفاته فقد العالمين العربي والإسلامي آخر عباقرة الخط العربي في تركيا.

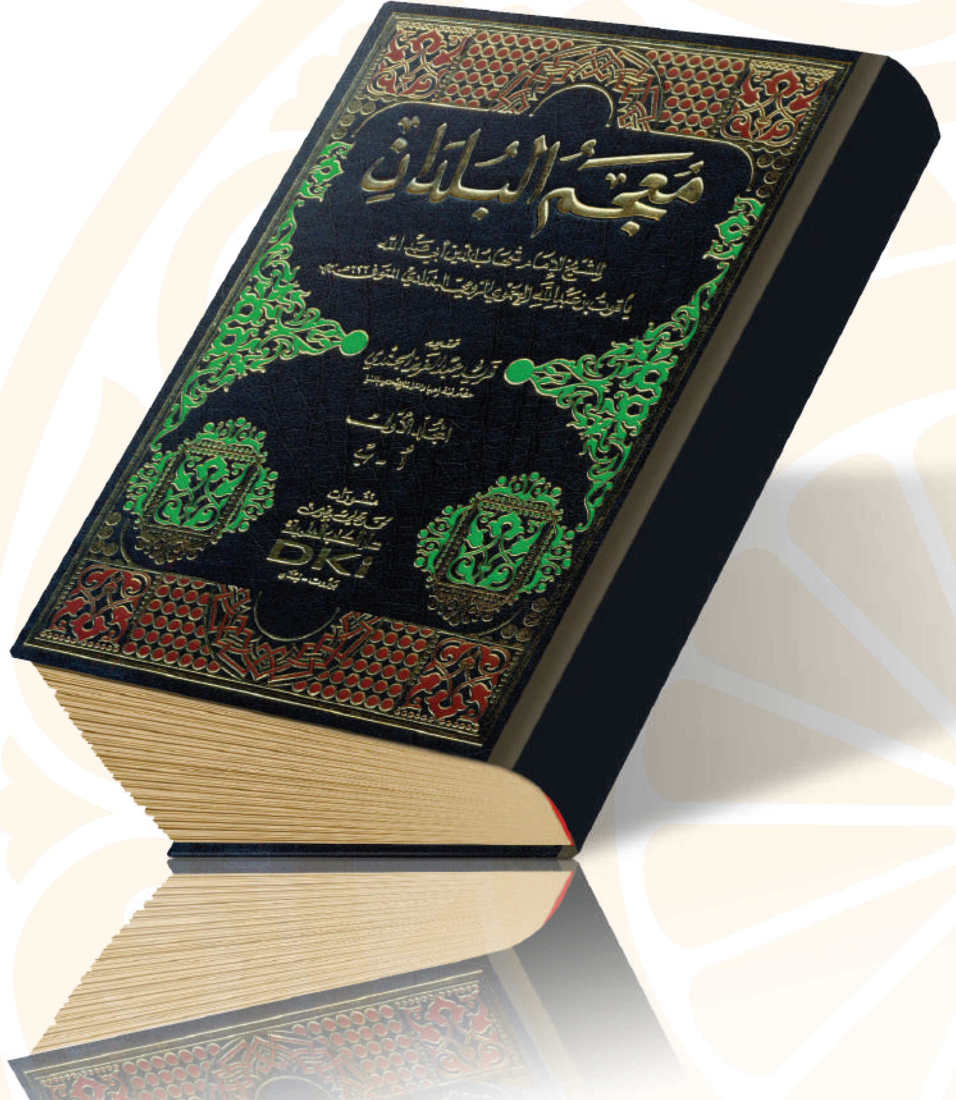
المصادر والمراجع

- كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
- موقع إطار فني (أ. غازي انعيم).
- موقع القافلة (أ. علي سعيد البيك).
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

معجم البلدان



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

ويأتي «معجم البلدان» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بكتاب معجم البلدان

معجم البلدان هو موسوعة شهيرة، للأديب والشاعر الشيخ الإمام: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المشهور بـ: ياقوت الحموي. ولقد كتبها بين الأعوام: (١٢٢٠م و١٢٢٤م).

يعد معجم البلدان مصدرا تاريخيا هاما لوصف تلك الحقبة، وتمت طباعته عدة مرات، وترجم إلى مختلف اللغات.

التعريف بياقوت الحموي

هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (٥٧٤ - ٦٢٦هـ)، رحالة جغرافي، وأديب وشاعر وخطاط ولغوي، من أصل رومي، وقيل: يوناني، سمي بالحموي نسبة لسيده الذي اشتراه عندما أسر وبيع في بغداد، اشتغل بالعلم وأكثر من دراسة الأدب، سكن في مدينة بغداد حتى وفاته، ولقد سمى نفسه: (عبد الرحمن).

انتقل ياقوت كثيرا بين البلدان في صغره، وكان واليه التاجر: عسكر ابن أبي نصر البغدادي الحموي، وقد عامله معاملة الابن، فحفظ القرآن في مسجد متواضع، هو: المسجد الزيدي، على يد مقرئ جيد، وتعلم القراءة والكتابة والحساب، وحين أتقن ياقوت القراءة والكتابة راح يتردد على مكتبة مسجد الزيدي يقرأ بها الكتب، وكان إمام الجامع يشجعه ويعيره الكتب ليقرأها.

سافر مع واليه عسكر إلى عدة بلدان،

وكانت أولى أسفاره إلى: جزيرة قيس، في جنوب الخليج العربي، وكانت جزيرة شهيرة في وقتها بالتجارة. وتوالت أسفار ياقوت إلى بلاد فارس وكافة أرجاء الشام والجزيرة العربية ومصر، صار بعدها ياقوت يسافر بمفرده، وأثناء رحلاته كان يدون ملاحظاته الخاصة عن الأماكن والبلدان والمساجد والقصور والآثار القديمة والحديثة والحكايات والأساطير والغرائب والطرائف.

ولما أدرك ياقوت أهمية التمكن من اللغة والأدب والتاريخ والشعر نظم لنفسه أوقاتا لدراسة اللغة على يد ابن يعيش النحوي، والأدب على يد الأديب اللغوي العكبري.

وعندما بلغ ياقوت: (٢٥) سنة، وتمكن من العلوم المختلفة، ونضجت خبراته الجغرافية عاود السفر مرة أخرى، وعمل في تجارة الكتب، فزار فارس ولقي علمائها وأدباءها، وسافر إلى الشام وزار بلد مولده حماة، وزار نيسابور وتزوج هناك ومكث عامين، ولكنه لم يستطع الاستقرار طويلا فعاود السفر من جديد، وعاد إلى تجارة الكتب مرة أخرى بين مدائن خراسان، ومدينة هراة وسرخس ومرو، ولجمالها مكث بها مدة من الزمن، فهي مركز ثقافي هام، وفي مرو وضع عددا من الكتب، وبدأ في إنجاز مشروعه الكبير لتأليف معجم جغرافي يدون به أسماء البلدان، وما سمعه ورآه عنها، محققا أسمائها، ذاكرا لموقعها الدقيق، مراعيا الدقة والتحقيق، ذاكرا خطوط الطول والعرض، وموضحا لتاريخها وحكاياتها وأخبارها.

تأليف كتاب معجم البلدان:

في حلب وجد ياقوت الكثير من الاهتمام والترحيب، وكان في رعاية واليها الوزير والطبيب: جمال الدين القفطي، الذي رحب به في مدينة حلب وجعل له راتبا من بيت المال، وقد كان ياقوت معجبا بالوالي لعلمه وقد شجعه وأكرمه، وقضى ياقوت في حلب خمس سنوات، أنهى فيها الكتابة الأولى لمعجم البلدان وكان قد بلغ من العمر خمسة وأربعين عاما.

و سبب تأليف ياقوت لهذا المعجم؛ ما قاله في كتابه: وكان من أول البواعث لجمع هذا الكتاب، أنني سئلت بمرو الشاهجان، عن حباشة اسم موضع جاء في الحديث النبوي، وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية؛ فقلت: أرى أنه حباشة بضم الحاء، قياسا على أصل هذه اللفظة في اللغة، لأن الحباشة: الجماعة من الناس من قبائل شتى، وحبشت له حباشة أي جمعت له شيئا؛ فانبرى لي رجل من المحدثين، وقال: إنما هو حباشة بالفتح، وصمم على ذلك وكابر، وجاهر بالعناد من غير حجة وناظر، فأردت قطع الاحتجاج بالنقل؛ إذ لا معول في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل؛ فاستعصى كشفه في كتب غرائب الأحاديث، ودواوين اللغات مع سعة الكتب التي كانت بمرو يومئذ، وكثرة وجودها في الوقوف، وسهولة تناولها، فلم أظفر به إلا بعد انقضاء ذلك الشغب والمراء، ويأس من وجوده ببحث واقتراء، فكان موافقا والحمد لله لما قلته، ومكيلا بالصاع الذي كلته، فألقي حينئذ في روعي افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوطا، وبالإتقان وتصحيح الألفاظ بالتقييد مخطوطا، ليكون في مثل هذه الظلمة هاديا، وإلى ضوء الصواب داعيا، ونبهت على هذه الفضيلة النبيلة، وشرح صدري لنيل هذه المنقبة التي غفل عنها الأولون، ولم يهتد لها الغابرون؛ يقول من تقرع أسماعه: كم ترك الأول للآخر.

وقد عاود ياقوت السفر مرة أخرى إلى أنحاء الشام والبلدان المجاورة، وكان يودع دائما المعلومات الجديدة التي يجمعها في معجمه؛ فظل يصحح فيه ويضبطه إلى أن توفي عام: (٦٢٣هـ/ ١٢٢٥م)، وقد طلب من صديقه المؤرخ ابن الأثير أن يضع نسخة من كتابه في الجامع الذي شهد أولى مراحله التعليمية. وفي حلب طلب القفطي منه أن يختصر المعجم لكنه كان له رأي آخر لاعتقاده أن الاختصار يشوه الكتب ويفقدها الكثير من قيمتها العلمية.

المحتوى العام لكتاب معجم البلدان

يحتوي هذا الكتاب النفيس على وصف لبلدات ومدن ودول عديدة خلال تلك الفترة بأسلوب عربي بليغ. ويذكر في كتابه المواضيع التالية:

ذكر صورة الأرض وما قاله المتقدمون والمتأخرون من العلماء فيها.

أخبار البلدان والتي يختص ذكرها بموضع دون آخر.

تعريف لوحدات القياس المتداولة في زمانه كالفرسخ والبريد والكورة والميل.

تعريف بمعنى الإقليم وطبيعته.

تعريف بالأراضي والأقاليم التي ينتشر فيها الدين الإسلامي في زمانه.

ذكر البوادي والقفار ومنازل العرب اعتمادا على الشعر العربي والنثر والأمثال.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذه الموسوعة الرائعة والقيمة، والتي تتألف من (٥) مجلدات، وهي في متناول قراءها الكرام المهتمين بتاريخ وجغرافيا البلدان.

المصادر:

كتاب معجم البلدان.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

جمهرة الخطاطين البغداديين.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

إعداد / تركي محمد النصر

الحنين إلى الأوطان:

❖ قالوا: الكريم يحن إلى جنابه كما يحن الأسد إلى غابه.
❖ ويقال: من علامة الكريم أن تكون نفسه إلى مولده توافة، وإلى مسقط رأسه مشتاقة.
❖ وقالت الحكماء: أرض الرجل ظئره، وداره مهده.
❖ وقالوا: الغريب كالغرس الذي زايل أرضه، فهو ذاو لا يثمر، وذابل لا ينضر.
❖ وقالوا: فطرة الرجل معجونة بحب الأوطان، مجبولة على تذكر ماضي الزمان.

(انظر: رسائل الجاحظ: ٢/ ٤٠٠)، (محاضرات الأدباء، للأصبهاني: ٤/ ٥٨٨).

ذكر الله يقمع الشيطان

من وصايا الحكماء لأبنائهم وأقوامهم:

❖ قال الأحنف بن قيس لبنيه: ألا أدلكم على المحمدة: الخلق السجيح (أي: السهل)، والكف عن القبيح.

❖ وقال أكثم بن صيفي لولده: يا بني، ذللوا أخلاقكم للمطالب، وقودوها إلى المحامد، وعلموها المكارم، ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم، وصلوا من رغب إليكم، وتخلقوا بالجود يلبسكم المحبة، ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر.

❖ وقال عبد الملك لبنيه: كلكم يترشح لهذا الأمر، ولن يصلح له إلا من كان له سيف مسلول، ومال مبذول، ولسان معسول، وعدل تطمئن إليه القلوب، وأمن تستقر به في مضاجعها الجنوب.

❖ وقال عامر العدواني: يا معشر عدوان، الخير ألوف عزوف، وإنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه، وإني لم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم.

❖ وقال الأشعث بن قيس لقومه: إنما أنا رجل منكم، ليس لي فضل عليكم، ولكني أبسط لكم وجهي، وأبذل لكم مالي، وأحفظ حريمكم، وأقضي حقوقكم، وأعود مريضكم، وأشيع جنائزكم، فمن فعل مثل هذا فهو مثلي، ومن زاد عليه فهو خير مني، ومن قصر عنه فأنا خير منه.

(انظر: غرر الخصائص، للوطواط: ١/ ٣٥)

من جوامع المدائح:

❖ مدح أعرابي رجلا، فقال: كان والله تعبا في المكارم، غير ضال في طرقها، ولا متشاغل بغيرها عنها.

❖ وقال آخر: فلان لو وجد الكرم في يد غيره لعلم أنه ضالة له.

❖ وذكر أعرابي رجلا، فقال: كأن الألسن والقلوب ريضت له، فلا تنعقد إلا على وده، ولا تنطق إلا بثنائه وحمده.

❖ وقالوا: فلان من شجر لا يخلف ثمره، ومن ماء لا يخاف كدره.

❖ وسأل يحيى بن خالد رجلا عن ابنه الفضل، فقال: تركته وماء الحياء يتحدر من أسارير وجهه، وسيول الجود سائلة من فروج أنامله، ولآلئ العلم منتثرة من مسارب منطقه.

(انظر: محاضرات الأدباء، للأصبهاني: ١/ ٥٢٤).

أول تلبيس إبليس

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم؛ لأن العلم نور، فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء.

(انظر: تلبيس إبليس: ١/ ٢٨٣).

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

كراهة الموت

قال رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه: ما بالنا نكره الموت؟ فقال: «لأنكم أخربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون أن تنقلوا من العمران».

(انظر: درر الحكم لأبي منصور الثعالبي: ص/٢٦)

أمثال الحكماء

- ❖ من أبصر عيبه لم يعب أحدا، ومن عمي عنه لم يرشد أبدا.
- ❖ من لم يكن له من نفسه زاجر، لم تنفعه الزواجر.
- ❖ من ظلم يتيما ظلم أولاده، ومن أفسد أمره أفسد معاده.
- ❖ من أحب نفسه اجتنب الآثام، ومن أحب ولده رحم الأيتام.
- ❖ من سالم الناس ربح السلامة، ومن تعدى عليهم كسب الندامة.
- ❖ من مكن من مظلوم زال إمكانه، ومن أحسن إلى ظلوم بطل إحسانه.
- ❖ من استصلح عدوه زاد في عدده، ومن استفسد صديقه نقص من عدده.
- ❖ من لم يعمل لنفسه عمل للناس، ومن لم يصبر على كده صبر على الإفلاس.
- ❖ من ضيع أمره ضيع كل أمر، ومن جهل قدره جهل كل قدر.
- ❖ من اغتر بمطاوعة القدر، امتحن بمقارعة الغير.
- ❖ من أولع بقبح المعاملة، أوجع بقبح المقابلة.
- ❖ من جاد بماله جل، ومن جاد بعرضه ذل.
- ❖ من استعان بالرأي ملك، ومن كابر الأمور هلك.
- ❖ من قلت تجربته خدع، ومن قلت مبالاته صرع.
- ❖ من ضعف رأيه قوي ضده، ومن ساء تدبيره هلك جنده.
- ❖ من قعد عن حيلته أقامته الشدائد، ومن نام عن عدوه أنبهته المكائد.
- ❖ من لم يقبل التوبة عظمت خطيئته، ومن لم يحسن إلى التائب قبحت إساءته.
- ❖ من أرضى سلطانا جائرا، أسخط ربا قادرا.

(انظر: الأمثال والحكم، للماوردي: ص/٦١).

عشر خصال

عشر خصال في أناس أقبح منها في غيرهم:

- ❖ الضيق في الملوك.
- ❖ الكذب في القضاة.
- ❖ الخديعة في العلماء.
- ❖ الغضب في الأبرار.
- ❖ الغدر في الأشراف.
- ❖ السفه في الشيوخ.
- ❖ المرض في الأطباء.
- ❖ التهزي في الفقراء.
- ❖ الشح في الأغنياء.
- ❖ الفخر في القراء.

(انظر: نهاية الأرب، للقلقشندي: ١٨٨/٨)

بم سودك قومك؟

قال رجل للأحنف بن قيس: بم سودك قومك، وما أنت بأشرفهم بيتا، ولا بأصبحهم وجها، ولا بأحسنهم خلقا؟

قال الأحنف: بخلاف ما فيك يا ابن أخي.

قال: وما ذاك؟

قال: بتركي من أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

(انظر: المستطرف، للأبشيهي: ١٤٦/١).

إعداد: التحرير



يسارعون في الخيرات

لا شك في أن المسارعة في الخير من العبادات التي ترفع قدرك عند الله عز وجل، فطريق الخير معروف ويتطلب أن يسرع المرء خطاه فيه ليبلغ غايته الحياتية فيحسن بذلك عمله ويثقل موازينه، والله عز وجل ذكر أن هذه الصفة الجليلة من صفات المؤمنين، ولو تأملت لوجدت أن الله ربطها بالخشوع في نهاية الآية في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء:٩٠).

وينبغي للمرء أن يستغل فرص المسارعة في الخير في شبابه قبل هرمه، وفي غناه قبل فقره، قبل أن يتبدل حاله، وقد قال ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مسلما ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا، ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا».

ونتاج مسيرة الإنسان في حياته هو ما يقدمه فيها من عمل صالح يبتغي به وجه الله تعالى، فيترك خلفه الأثر الجميل في حياته، لطالما كان الإقدام على فعل الخير مبعثه صدق النفس وتلهفها إلى ما أعده الله لعباده المتقين الذين يسارعون في طاعته حبا له وابتغاء مرضاته، ولك أن تستشعر قول الرسول ﷺ حين قال: «بينما رجل يمشي بطريق، إذ وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له، فغفر له»، وفي رواية: «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس». فلا تستصغرن من المعروف شيئا ولا تتكاسل عن فعل الخير ما دمت تتنفس على هذه البسيطة.

• حسن عباس



الأمل المنير

فور ظهور نتيجة الثانوية العامة في بعض بلادنا العربية نجد ظواهر متناقضة، الفرح الغامر لمن حصل على درجات عالية تؤهله لدخول كليات القمة كما يسمونها! كما نجد الحزن والضيق والتبرم بل والانتحار لبعض من رسب أو حصل على مجموع منخفض!

وهذه أمور تحتاج لمراجعة، طبيعي أن يفرح الناجح ويحزن غيره، ولكن بوسطية واعتدال، فالعبرة بالنجاح الذي يعقبه فلاح.

فكبار المشاهير والناجحين والذين نفعوا البشرية بشكل ملحوظ لم يحصلوا على درجات عالية، وأمثلتهم كثيرة. ولمن رسب أو حصل على مجموع منخفض بالرغم من بذله قصارى جهده نقول له: انظر للأمور بتفاؤل ودع اليأس وتمسك بخيوط الأمل المنيرة!

د. محمد عباس محمد عرابي

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com







يحيا العدل

ما أروعها من نغمة ترتج بها جدران المحاكم وفيها من الدلالات ما يعجز اللسان عن وصفه.

نغمة الحكم العادل تصوب الخطأ، وتقوم العوج، وتنصر الشريعة، فإذا جار القاضي قصدا أو جهلا فهي داهية الدواهي، ورزية الرزايا، كانت هي الأمل الباقي والوحيد للمقهورين والمظلومين من الضعفاء والبسطاء ومن ثم كانت ولاية القضاء في عصور الإسلام الزاهرة تعد من الولايات الخطرة، فلا يتولاها إلا ذووا الخبرة والعلم والأمانة وطهارة اليد والقلب، والقدرة على الفهم والاستنباط، والذي لا يتحقق بغير حفظ كتاب الله تعالى وفهم مقاصد الشريعة وأصول الأحكام.

أوما تدري أيها القاضي أن ثمة مقاصة وخلاص للحقوق في قنطرة من بين الجنة والنار كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا» (فتح الباري، ٥/٩٦)

فويــلٌ ثم ويــلٌ ثــم ويلٌ
لقاضي الأرض من قاضي السماء

• د. علي الخطيب



علمني قميص يوسف

«علمني قميص يوسف»:

أن الفراق لا يطاق، وأن أسعد ساعات المحبين اللقاء بعد الفراق.

«علمني قميص يوسف»:

أن أنزع اليأس من قلبي مهما بلغ الهم والكرب، ففي الغيب أسرار عجيبة.

«علمني قميص يوسف»:

أن المظلوم منصور ولو كان صغيرا لا يدرك، أو مكلوما لا يفصح، أو غافلا لا يعي، أو عاجزا لا يقدر.

«علمني قميص يوسف»:

أن الله معك ومعي ومع من يستشعر وجوده ونصره، وله هبات ومبشرات يرسلها تارة لتثبت وتارة اختبار لك وتارة محبه منه لك.

«علمني قميص يوسف»:

مهما تهيأت لك ظروف المعصية وأي معصية كانت استحضر خوفك من الله وردد: (معاذ الله).

• فيصل الهديب

مسك الختام

من أنت؟!

كان سلفنا الصالح رضي الله عنهم يذكر أحدهم الأخ من إخوانه بالليل، فيقول: «ما أطولها من ليلة» فإذا صلى الغداة غدا إليه، فإذا لقيه؛ التزمه، أو عانقه.

إذا لم تكن تعرف من صاحبك في الطريق فلن تستطيع أن تعرف من أنت.

لكن ستجد أن النبي ﷺ أعطاك جوابا شافيا وكافيا حين قال: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» (رواه أبو داود).

وقد قيل إن «أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فأخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب».

أخوة الدين رباط القلوب نسمو بها نحو معالي الدروب

لذلك سأكرر عليك السؤال مرة أخرى وأقول لك «من أنت!؟»

أخوتك ثابتة راسخة بأخوة الدين؟ أم اكتفيت بأخوة النسب؟

كما تعلم أخي الغالي - أختي الكريمة أن الأمة ستجتمع في ذلك اليوم المشهود ويجمع الله الخلق جميعهم، وكلا منا سيلقى ما قدم من أعمال صالحة وطالحة، واختيارك لمن تصاحب سيكون من ضمن أعمالك، فهل تظن أن اختيارك لهم صحيح أم غير ذلك؟ هل تظن أنه سيصحبك إلى جنات النعيم أم ستصرخ بوجهه قائلا: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴾ (الزخرف:٣٨).

من أي الفريقين أنت؟!

قرر الآن أنك ستختار أصحابا يرضى الله عنهم ويجمعكم تحت عرشه ويظلكم بظله يوم لا ظل إلا ظله، واختر صاحبا ينير لك حياتك ويكون لك منجيا بعد مماتك.

لذا؛ قل لي من تصاحب، أقول لك من أنت.. فالرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال.

وقيل لأحد الحكماء: الصديق أحب إليك أم القريب؟

فقال: القريب أيضاً يحب أن يكون صديقاً.

محمد العودة



مصرف الصدقات

وقف على دعم بعض الفئات الضعيفة والمحتاجة
في المجتمع،لسد حاجتها،وحفظ كرامتها

العدد ٦٧٩ - السنة ٥٩ - ربيع الأول ١٤٤٣ هـ - أكتوبر/نوفمبر ٢٠٢١م

العدد (٦٨٠) ربيع الآخر ١٤٤٣ هـ - نوفمبر/ديسمبر ٢٠٢١م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية جامعة

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

تماسك الأسرة



- البُنيانُ المَرصُوصُ في ضوءِ السُّنَّة
- ظَاهِرِيَّةُ ابن حزم في تفسيرِ مرجعِ الضَّمير
- التَّعامُلُ العِلميُّ مَعَ مَواقِعِ التَّواصُل

مجلة الوعى الإسلامى  www.alwaei.gov.kw  alwaeiq8@gmail.com  موقع مجلة الوعي الإسلامي 



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

الأسرة الصالحة أساس المجتمع الصالح

لا ريب في أن الإسلام ربط بين تربية الفرد وتهيئة المجتمع الصالح، وجعلهما ركنين أساسيين لبناء صرحه الشامخ الأبدي؛ فجعل الإسلام الأسرة هي الأساس لهذا الصرح، فعني بتكوينها منذ اختيار كل من الزوجين للآخر، وذلك على أساس متين جاء في قوله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (رواه البخاري)، وفي قوله أيضا: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (رواه ابن ماجه). فبالأسرة الصالحة نؤسس مجتمعا فاضلا يسري فيه الصلاح، وتسوده المحبة والإخاء، ويكثر فيه التناصح والتكاتف، فأفراده لا يتحاسدون، ولا يتباغضون، ولا يتدابرون، ولا يبع بعضهم على بيع بعض؛ لأنهم اتخذوا الشريعة منهج حياة لهم، وجميعهم تربى في كنف أسرته على أن كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه؛ فأي سعي يهدف إلى بناء مجتمع صالح لا يمر عبر العناية بالأسرة فهو سعي لا يمكن أن يثمر. فالأسرة تشكل للفرد الملجأ والطمأنينة والعش الحاني، وبغيرها سيصبح الإنسان تائها، هائما على وجهه.

من بين ظهراني الأسرة الصالحة ينطلق العمل بأشرف مسؤولية كلف بها الإنسان وهي مسؤولية إعمار الأرض، إعمارها من خلال الشريعة التي ارتضاها الله تبارك وتعالى لعباده، وهي شريعة محمد ﷺ، حيث جاءت عامة ووافية وكافية، واستوعبت جميع الأغراض والمجالات المختلفة إلى يوم الدين، والفرد المسلم هو من أسرة مسلمة قد تربى على الإسلام فهو مصدر إشعاع ونور لهذا الصرح العالي الشامخ، وعند ذلك يكون المجتمع قد تم إعداده إعدادا صالحا.

وإذا تقرر ذلك؛ فإن الإنسان لا بد أن يستمر في سعيه في هذه الحياة، وهذا السعي والاجتهاد هو طريق ممتلئ بالمتاعب والابتلاء والآلام والمصاعب، فلا بد من التخطيط الجاد بعد كمال التوكل على الله، فيربي رب الأسرة أفرادها وفق منهج معين، وخطط مدروسة هادفة، فهو راع في أسرته ومسؤول عن رعيته.

أما ترك الأسرة كريشة تتطاير بها رياح التغيير كيفما شاءت فهو عبث بالمجتمع عموما، فتقع المصيبة على الأسرة إذا خرج بعض أفرادها عن المنهج المرسوم لهم، وعن المهمة المنوطة بهم، فإذا سكت ربها وسكت القائمون على الإصلاح فلم يقوموا المعوج، ولم يصححوا المسار، ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، فهنا تكون المصيبة وتقع الكارثة، فقد حذر نبي الرحمة من هذا فقال: «إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة» (رواه أحمد).

وختاما: فإن الأمانة الكبرى التي تقع على عاتقنا كمربين هي أن نعالج أخلاق أبنائنا كما نعالج أجسادهم، فإنهم أمانة غالية، يجب أن نحصنهم من غوائل المعصية وشؤمها، وآفات الذنوب وآثارها من خلال حراسة حصن الأسرة بالإيمان العميق، وبالخلق المتين، وبالقدوة المثالية الحسنة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ (التحريم:٦).

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٨٠/ ربيع الآخر ١٤٤٣ هـ
العام التاسع والخمسون
نوفمبر/ديسمبر ٢٠٢١م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٢٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٢٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



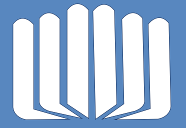
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

حصن الأمان

الأسرة هي لبنة المجتمع ونواة الدولة، وبالحفاظ عليها وقيامها بدورها في تربية الأجيال وتنشئة الشباب تتماسك الأمة، وفي الآونة الأخيرة أصبحت الحملة قوية على هذا الحصن لتقويضه والقضاء على ما تبقى منه، تارة بإبراز المشاكل الزوجية وتضخيمها فتكون النتيجة هي إحجام الشباب عن فكرة الزواج وعزوفهم عنه، وتارة بتصوير الحياة الزوجية على أنها جحيم قاتل أهون منه أن يعيش المرء حرا طليقا منفلتا من كل قيد متنصلا من كل مسؤولية. ولكي نحافظ على هذا الكيان ونعيد إليه دوره لابد أن نُظهر الوجه الفاضل للعلاقة الزوجية ونقدرها حق قدرها، ونبرز النماذج الصالحة وهي كثيرة، ولا نضخم القليل السيئ ونجعل منه أصلا يبنى عليه، فالأسرة هي السكن والمودة، وهي الرحمة والتعاطف المتبادل بين الزوجين، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١).

وإذا نهض كل من الزوجين بمسؤولياته، وبذل الرجل الوسع من جهده وماله ولم يبخل على زوجه وولده، وبذلت المرأة الجهد من عاطفتها واحتوائها لزوجها وأولادها، وُجدت الأسرة المتوادة المترابطة المتراحمة، وينشأ عن هذه الأسرة وأمثالها الأبناء الصالحون والمجتمع المتماسك المترابط المتعاون على البر والتقوى.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- باقي دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

أ.د. محمد حسان الطيان
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق



سطوة القرآن



تروي لنا كتب السيرة أن رسولنا الكريم ﷺ تلا على مسامع الوليد بن المغيرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:٩٠).. فماذا كان منه؟

هاكم قصته كما وردت في كتب السيرة:

«وروينا عن عكرمة مرسلا في قصة الوليد بن المغيرة أنه قال لرسول الله ﷺ: اقرأ علي. فقرأ عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:٩٠). قال: أعد. فأعاد النبي ﷺ. فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر. وقال لقومه: والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته»[1].

موقف صناديد قريش

ولكن صناديد قريش ورؤوس الكفر فيها لم يرضهم هذا الكلام؛ لأنه سيزيد من إقبال الناس على دين محمد، وسيغريهم به، وسيؤكد لهم أنه الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فما كان ردهم؟!

جاء في المستدرك على الصحيحين للحاكم:

«أخبرنا أبو عبدالله محمد بن علي الصنعاني بمكة، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأ عبدالرزاق، عن معمر، عن أيوب السختياني، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له. قال: وماذا أقول «فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار

مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته». قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: « هذا سحر يؤثر يأثره من غيره.

فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (المدثر:١١)»[٢].

رد القرآن على الوليد

لو كانت كلمة الوليد الأولى في الثناء على القرآن ووصفه بأجمل الأوصاف ونعته بأجمل النعوت قد قيلت في شعر شاعر.. أو أدب ناثر.. لغره الثناء والمدح، وجعله يتجاوز عن الافتراء والقدح، ولكنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو فوق كل ثناء، وأعلى وأجل من أن ينال منه ذم أو قدح، ولذا فقد مرغ أنف الوليد بالتراب، وفضحه على رؤوس الأشهاد ببيان عجب تسلل إلى أدق خلجات نفسه وخطرات ضميره وهواجس فكره، ليصف حاله وهو يحاول أن يجد نعتا يذم به القرآن ويكفر عن مقولته الأولى أمام صناديد قريش: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ (المدثر:١١-٣٠).

إنها قطعة معجزة من رائع النغم ومتساوق اللحن، تنساب منها الأنغام علوية، في قوة آسرة[٣].. تهتك ستر الرجل، وتفضح هواجسه، وتنفذ إلى خطرات نفسه، وإلى تردده.. وتفكره.. وإدباره.. وإقباله.. ثم تؤذن بحرب من سولت له نفسه أن يطعن بالقرآن وتتوعده بأشد العذاب، بل هي تذهب متعالية إلى أبعد من ذلك، حين تجعل من طعنه هذا قرآنا يتلى إلى يوم القيامة: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾.

أي علو هذا وأي بيان؟! إنه قرآن ربي..

من إعجاز القرآن

لم يكن الوليد هو المشرك الوحيد الذي مرغ القرآن أنفه، وكشف ستره، وقصم ظهره ببيان سيبقى خالدا على وجه الزمان، بيان سيقرأه الملايين من الناس في كل زمان ومكان، بيان يتعبد فيه المسلمون ربهم بالصلاة والقراءة والتدبر والتفسير!

بل لقد فضح القرآن صناديد الشرك، وزعماء قريش، عندما وقفوا في وجه الدعوة الخالدة دعوة الإسلام.

فنزل في حق كبيرهم أبي جهل وهو من هو قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۩ ﴿١٩﴾﴾ (العلق:١٥-١٩).

ونزل في حق عم النبي أبي لهب وامرأته قوله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴿٥﴾﴾ (المسد:١-٥).

والسؤال الذي قد يخطر هنا: لو أن واحدا من هؤلاء أسلم كما أسلم غيره من عتاة قريش، كعمر بن الخطاب مثلا من قبل، وأبي سفيان من بعد، فما موقف القرآن بعد أن نزل فيهم ما نزل؟ وما موقف النبي عليه الصلاة والسلام؟! وما موقف الصحابة الكرام رضوان الله عليهم؟!

بل لو أن أحدهم سولت له نفسه أن يكذب القرآن، وأن يأتي إلى الرسول ليتظاهر بالإسلام مبطنا الكفر والشرك، لا لشيء، بل ليطعن في كتاب الله الذي فضحه، فماذا يمكن أن يكون؟!

كل هذا لم يكن.. وكل هذا لن يكون.. وكل هذا لا يكون!

فالله الذي برأ النسمة.. وخلق الخلق.. وأنزل القرآن يعلم السر وأخفى، ويعلم أن واحدا من هؤلاء لن يقوى على ذلك، ولن يكون منه شيء من ذلك.

فكلمة الله هي العليا، وحاشا أن ينال منها أحد، ومن هذا الأحد أمام الملك القهار مكور الليل والنهار.. رب العباد الجبار.. سبحانه؟!

فاعتبروا يا أولي الأبصار.

الهوامش

١- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأبي بكر البيهقي، (ص ٢٦٨).

٢- المستدرك على الصحيحين للحاكم، (٥٥٠/٢).

٣- إعجاز القرآن، عبدالكريم الخطيب، (ص ٢٣).

د. بديع السيد اللحام
أستاذ الحديث بكلية الشريعة
جامعة دمشق-سوريا



البنيان المرصوص في ضوء السنة النبوية

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فإن التشريع الإسلامي ممثلا بالسنة النبوية المطهرة؛ أكد على تماسك المجتمع وتعاضده، إذ هو العامل الأساس والحاسم في ارتقاء الأمة، وسلوكها سبيل العزة والكرامة، ولقد شبه النبي ﷺ المجتمع المؤمن بالبنيان الذي تتشابك مكوناته ليصبح عصيا على التفكك والانهيار في وجه أعتى العواصف والرياح، قال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»، فكل واحد من أفراد المجتمع يشد ظهر أخيه وصاحبه ويعينه على سبيل نجاته، قال الإمام القرطبي[1]:

«هذا تمثيل يفيد الحض على معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأن ذلك أمر متأكد لا بد منه، فإن البناء لا يتم ولا تحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضا ويقويه. وإن لم يكن ذلك انحلت أجزاؤه وخرب بناؤه، وكذا المؤمن لا يشتغل بأمر دنياه ودينه إلا بمعاونة أخيه ومعاضدته ومناصرته، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه وعن مقاومة مضاده؛ فحينئذ لا يتم له نظام دنيا ولا دين ويلحق بالهالكين».

ومقتضى هذا الكلام يتحقق بتمسك أفراد المجتمع بما يحقق المودة والرحمة في حياتهم وجميع تعاملاتهم، وإلا يفعلوا ذلك فإن البناء الاجتماعي يعيش في حالة من المشقة والألم ربما أودت به إلى السقوط والانهيار، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[2]، هذا وإن الذي يفضي إلى مجتمع الرحمة والمودة إنما هو التمسك بالأخلاق والقيم التي زرعها الحبيب المصطفى في أمته، وكانت عنوان بعثته ودعوته ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[3].

ولذلك نجد أن السنة النبوية

تضمنت الكثير من محاسن الأخلاق التي تحتاجها البشرية، وهي أخلاق ميسرة واقعية ليست عصية عند التطبيق العملي، بل إننا نجدها ظاهرة في شخص النبي ﷺ - وهو الأسوة الحسنة - بأجلى صورها وأتم معانيها، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وأسوة الرسول الأعظم شاملة لمجالات الحياة بكل أطوارها وتصاريفها، كيف لا وقد كان هذا النبي الأكرم قرآنا يمشي بين الناس على الأرض، كما أخبرتنا الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما لما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت للسائل: «ألست تقرأ القرآن؟»، قال: بلى، قالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»[٤]، وفي رواية قالت: «كان خلقه القرآن، يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه»[٥].

وهذا الذي ذكرناه جعل هذه المكارم والأخلاق التي تحلى بها الرسول الأسوة ﷺ ملبية للفطرة الإنسانية، تلك الفطرة التي فطر الله الناس عليها قبل أن تجتالهم شياطين الإنس والجن، فعن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم»[٦].

ومعنى اجتالتهم الشياطين: أي استخفتهم فجالوا معهم في الضلال، ومعنى الحديث: يقول الله تعالى: خلقت عبادي جميعا حنفاء على الفطرة، فاستخفت بهم الشياطين وحرفتهم عن دينهم وجعلت ما نحلت لهم من رزق فهو لهم حلال فحرم عليهم الشيطان ما أحللت.

ودعني عزيزي القارئ أضع نصب عينيك في هذه المقالة بعضا من تلك الأخلاق والقيم التي تحلى بها حبيبك الأعظم وأحضك عليها من خلال سنته المشرفة:

العدل:

حرص الرسول ﷺ على تأكيد هذا المبدأ؛ ليتبناه أفراد المجتمع قاطبة في دقيق شؤون حياتهم وجليلها، وكان عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة في تمثل مبدأ العدالة في حياته ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فها هو يقسم بين زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل، ويقول: «اللهم هذا قسمي، فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»[٧]، كما بين أنه يجب تطبيق العدل بين الأولاد، وبين الأصحاب، وبين جميع أفراد الرعية من غير استثناء، ولو كان الأمر متعلقا بفلذة كبده وأحب الخلق إلى قلبه، ألم يقل عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: «وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[٨].

وها هو ﷺ يقف أمام أعظم جمع عرف في تاريخ السيرة النبوية - في حجة الوداع - قائلا: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى»[٩].

الوفاء بالعهد:

لقد حفلت السنة بالنصوص الدالة على هذا الخلق الكريم؛ لما فيه من خير في تحقيق المصالح، ونبذ الخلافات والمنازعات، وحل المشكلات، فقد حذرت أحاديث المصطفى أشد التحذير من التهاون في الأخذ بهذا الخلق، فقال عليه الصلاة والسلام: «لكل غادر لواء ينصب - أو يرى - يوم القيامة يعرف به»[١٠]، وقال ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما»[١١]، وأما البشرية فلم تعرف تشريعا يجرم الغدر ويعده محرما إلا في بداية القرن العشرين الميلادي، وذلك عام: (١٩٠٧م)، عندما نص القانون الدولي على أنه «من المحظور قتل، أو جرح أفراد من الدولة، أو الجيش المعادي باللجوء إلى الغدر»، وفي حديث أبي رافع القبطي رضي الله عنه قال: بعثتني قريش إلى النبي ﷺ، قال: فلما رأيت النبي وقع في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله لا أرجع إليهم، قال: «إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، ارجع إليهم، فإن كان في قلبك الذي فيه الآن، فارجع»[١٢]، فهذا الحديث أصل لقضية لم تعرفها البشرية إلا في القرن العشرين وهي قضية حصانة السفراء، وهذا يؤكد على أن من مقاصد التشريع الإسلامي تحقيق مصالح الإنسانية وحقوق الإنسان من خلال الوفاء بالعهود والمواثيق.

الرحمة:

إذ أولت السنة المطهرة أهمية كبرى لهذا الخلق النبيل، فالرحمة العامة من مقاصد الرسالة المحمدية، وذلك ما أظهره البيان الإلهي في كتابه الخالد بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، فقد وصفت الآية بعثة النبي ﷺ بكونها رحمة للعالمين ... وقد اشتملت هذه الآية على مدح الرسول ﷺ ومدح مرسله سبحانه تعالى، ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله تعالى للكافة، وبأنها رحمة الله تعالى بخلقه... وأكد الحبيب المصطفى هذا المعنى في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، فقال ﷺ: «إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة»[١٣].

وتفصيل ذلك يظهر في:

أ - تخلق نفسه الزكية بخلق الرحمة.

ب - وإحاطة الرحمة بتصاريف شريعته.

فالله تعالى أرسله رحمة لجميع الأمم، مؤمنهم وكافرهم، وقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على خلق الرحمة؛ وذلك لارتباطها الكبير بمجمل العلاقات الإنسانية الاجتماعية ببعدها الأسري والاقتصادي والسياسي، فلا يخلو أي تصرف إنساني عن هذا الخلق السامي حتى شمل الرحمة بالحيوان، قال رسول الله ﷺ: «بينا رجل بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا، فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خفه ماء، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجرا؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجرٌ»[١٤]، فالرحمة لما تمكنت من كيان هذا الرجل دفعته إلى الإحسان لحيوان أعجم كانت سببا لغفران ذنوبه.

وقد أنبأنا النبي ﷺ أن رحمة الله تعالى إنما ينالها من يرحم الخلق، وأن رحمته تعالى لا تنال إلا برحمة الناس، فقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء، الرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله»[١٥]، وقد أكد عليه الصلاة والسلام على خلق الرحمة في صور كثيرة، أذكر منها:

أ - الرحمة بالصغار والعطف عليهم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ثم قال: «من لا يرحم لا يُرحم»[١٦].

ب - الرحمة للمخالفين: عن محرز بن قيس أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أمر بشاة فذبحت، فقال لقيمه: هل أهديت لجارنا - وكان من أهل الكتاب - شيئا؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[١٧].

فبين من هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها، وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفي الحيوان، فلم يخلقه الله عبثا.

وبعد فإن ما تقدم في أحاديث المصطفى ﷺ من الدعوة إلى القيم الأخلاقية ينسجم مع الفطرة الإنسانية ويصلح لجميع المجتمعات في جميع الأزمنة، وإن المقصد منها إيصال الخير إلى جميع الناس وإسعادهم في حياتهم الدنيا ويوم يقوم العباد لرب العالمين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الهوامش

١- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٥٦٥).
٢- أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).
٣- أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، وأحمد في المسند (٨٩٥٢).
٤- أخرجه مسلم (٧٤٦).
٥- المعجم الأوسط للطبراني (٧١).
٦- أخرجه مسلم (٢٨٦٥).
٧- أخرجه أبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، والنسائي (٣٩٥٣)، وابن ماجه (١٩٧١).
٨- أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).
٩- أخرجه أحمد (٢٣٤٨٩).
١٠- أخرجه البخاري (٣١٨٦)، ومسلم (١٧٣٦).
١١- البخاري (٣١٦٦).
١٢- أخرجه أبو داود (٢٧٥٨)، وأحمد (٢٣٨٥٧)، وابن حبان (٤٨٧٧).
١٣- أخرجه مسلم (٢٥٩٩).
١٤- أخرجه البخاري (٢٤٦٦).
١٥- أخرجه الترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٦٤٩٤).
١٦- أخرجه البخاري (٥٩٩٧).
١٧- أخرجه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٤).



عايد الجاسم
صحافي وباحث



العالم قرية صغيرة

ليس ثمة أسرة خالية من المشاكل، في ظل مجتمعات تتنوع فيها المشكلات المالية والاقتصادية والصحية والتعليمية، وتعاني من التغيرات المجتمعية والتأثيرات الخارجية، نتيجة التطور والانفتاح على الآخر ودخول تكنولوجيا الاتصالات الحديثة التي سهلت عملية التواصل والاتصال وحولت العالم الى قرية صغيرة تتنقل فيها البيانات والمعلومات والصور والفيديوهات بكل سهولة ويسر من دون ضوابط أو قيود. هذه العوامل والمؤثرات الكثيرة ساهمت في تشكيل وسائل ضغط على الأسر التي باتت أمام تحديات الحفاظ على التماسك والتراحم والتواد بين أفرادها لمواجهة واقع معاصر مليء بالصعوبات والضغوطات التي تتطلب وضع آليات وخطط للتعامل مع هذه الظروف بغية تجاوزها وعدم التأثر بها لما لها من انعكاسات سلبية على حياة الأسر وتاليا على المجتمعات باعتبار أن الأسرة هي النواة والوحدة الأساسية لكل مجتمع. وتختلف التحديات التي تواجهها كل أسرة تبعا للظروف المعيشية والبيئة المحيطة وطبيعة تكوين الأسرة ذاتها، لكنها في الغالب تتركز حول خلافات بشأن الحقوق والواجبات والمسؤوليات الملقاة على عاتق كل طرف، والأوضاع المالية والوقوع تحت ضغوطات العمل وغلاء المعيشة الذي بات يؤثر بشكل كبير في حياة الكثير من الأسر لعدم مقدرتها على مواجهة الأعباء المالية وما تتطلبه الحياة الحديثة من مصاريف والتزامات مالية متزايدة. وليس فقط نقص الإمكانات المالية هو التحدي الوحيد أمام الأسر إنما أيضا الوفرة المالية والإسراف والمبالغة في الإنفاق تمثل تحديا آخر أمام كل أسرة مقتدرة ماليا في مواجهة الانعكاسات السلبية للسيولة المالية العالية التي قد تقود الى الانحراف والتمادي في الممارسات والتصرفات الخاطئة.

وكلما اقتربت الأسرة من الدين الإسلامي كانت أكثر تماسكا وقوة وقدرة على تجاوز تحديات الحياة خصوصا أن الشريعة الإسلامية أولت الأسرة عناية واهتماما كبيرين لما لها من دور أساسي في تحقيق النهضة والتنمية بالمجتمعات لأن تماسك الأسرة وصلاحها هو صلاح وقوة لكل مجتمع. ولا ينبغي ترك الأسرة المسلمة تحت خطر التفكك الأسري والضعف وعدم القدرة على مواجهة التحديات المختلفة، إنما يجب الاهتمام بتربية الأسرة المسلمة وتنمية الوازع الديني بين أفرادها وتثقيفهم وتوعيتهم من خلال العديد من البرامج والأنشطة المختلفة لمساعدتهم على التماسك والتواد ومواجهة التحديات وتذليلها، لخلق أسر قوية قادرة على صناعة المستقبل وبناء أجيال تملك مقومات النجاح والتقدم.



إعداد: عبد السلام الشبراوي

افتتاح دور الانعقاد الثاني لمجلس الأمة الكويتي

صفحة بيضاء لكويت جديدة

تفضل صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، أمير دولة الكويت في: (٢٦ أكتوبر، ٢٠٢١م)، بافتتاح دور الانعقاد العادي الثاني، للفصل التشريعي السادس عشر لمجلس الأمة.

وأعلن سموه افتتاح دور الانعقاد العادي الثاني للفصل التشريعي السادس عشر لمجلس الأمة، ودعا في النطق السامي في جلسة الافتتاح المولى سبحانه وتعالى أن يوفق الجميع لما فيه الصلاح والرشاد لخدمة دولة الكويت وأهلها الأوفياء.

وفيما يلي نص النطق السامي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الإخوة رئيس وأعضاء مجلس الأمة ... المحترمين

الحضور الكرام...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

على بركة الله وبعونه سبحانه وتعالى نفتتح دور الانعقاد الثاني للفصل التشريعي السادس عشر لمجلسكم الموقر، داعياً المولى سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا لما فيه الصلاح والرشاد لخدمة وطننا الكويت وأهله الأوفياء.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

من جهته ثمن سمو رئيس مجلس الوزراء الشيخ صباح الخالد توجيه سمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد دعوة ممثلي السلطتين التشريعية والتنفيذية إلى الحوار الوطني الذي أثمر عن التوافق بين السلطتين تحقيقاً للمصلحة العليا للبلاد، لافتاً إلى أن ذلك يأتي بالعمل على تحقيق الاستقرار السياسي الدائم وقواعد تعاون بنّاء بين كافة الأطراف في مجلس الأمة وخارجه تفتح صفحة بيضاء لكويت جديدة.

تسخير جميع الطاقات

وأكد الخالد خلال إلقائه الخطاب الأميري في جلسة افتتاح دور الانعقاد العادي الثاني للفصل التشريعي ال (١٦) لمجلس الأمة، أن أعباء المسؤولية الجسيمة في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ البلاد تقع على عاتق المجلس والحكومة معا بما يستوجب تسخير جميع الطاقات والإمكانات وتغليب المصالح العليا، وتتضافر كل الجهود لمواكبة التطورات المتسارعة في العالم ومواجهة التحديات والمتغيرات بإقرار منهج إصلاحي شامل ينهي حالة الركود والجمود ويشيع أجواء الأمل والتفاؤل.

وجاء في الخطاب: إنه بناء على التوجيه السامي لسمو أمير البلاد، انطلق الحوار بين ممثلي السلطتين التشريعية والتنفيذية لمناقشة سبل تحقيق المزيد من الاستقرار السياسي، وتهيئة الأجواء لتعزيز التعاون بين السلطتين وفقا للثوابت الدستورية، ولقد ثمن الجميع هذا التوجيه السامي مع التطلع لإنهاء حدة الاحتقان والتوتر السياسي الذي ساد دور الانعقاد الماضي.

وأضاف الخالد: بفضل من الله فقد أثمر هذا الحوار عن التوافق بمد يد التعاون بين السلطتين تحقيقا للمصلحة العليا للبلاد، وقد أكد على ذلك الغالبية من أعضاء مجلس الأمة من خلال الالتماس المرفوع إلى سمو الأمير لتفضل سموه بالعفو عن بعض أبناء الكويت المحكوم عليهم في قضايا تحكمها ظروف حدوثها وتوقيتها، وذلك بالعمل على تحقيق الاستقرار السياسي الدائم وقواعد تعاون بنّاء بين كافة الأطراف في مجلس الأمة وخارجه تفتح صفحة بيضاء لكويت جديدة.

وتابع: وإعمالا لما جبل عليه الشعب الكويتي الوفي من العادات الكريمة من تسامح ومحبة وتسامي، وحرصا من سمو الأمير على المحافظة على الوحدة الوطنية وحل الملفات التي تشكل عائقا، فقد قرر سموه استخدام صلاحياته الدستورية المقررة بالمادة: (٧٥) من الدستور.

تكريس العادات الكويتية

وذكر الخالد: ومن هذا المقام فباسمي وإخواني الوزراء وباسمكم جميعا أرفع لسموه وافر تقدير أهل الكويت وخالص الدعوات لسموه بالصحة والعافية على الاستجابة السامية استمرارا من سموه في تكريس العادات الكويتية الأصيلة، مع التعهد لسموه بأن توطيد التلاحم والتعاون بين المجلس والحكومة سيظل رائد الجميع لبذل مزيد من الجهد والعمل ليكون دور الانعقاد هذا حافلا بالإنجازات التي تنسجم مع آمال وتطلعات أهل الكويت في مجتمع يعم الخير والرخاء أرجاءه، والأمن والاستقرار ربوعه.

وقال رئيس مجلس الوزراء: لا شك أن اهتمامات الحكومة كثيرة، وقد تضمنها برنامج عملها الذي تناول أهم محاور مواجهة مختلف القضايا والمشكلات التي تهم الوطن والمواطنين، كما أنه قدم خلال جلسات الحوار بين ممثلي السلطتين الذي انطلق بناء على التوجيه السامي عدد من المقترحات النيابية المتعلقة بهذا البرنامج، لا شك أنها جديرة بالاهتمام والدراسة مع الترحيب بأي مقترحات جديدة تسهم في الإسراع بتحقيق الرخاء والازدهار.

وتطرق الخالد إلى أهم الشؤون العامة



التي جرت خلال العام المنقضي، مؤكداً أن الحكومة لن تألو جهدا في سبيل تنفيذ تطلعات وطموحات المواطنين في الغد المشرق.

وقال: لقد عاصرنا جميعا ما مر به العالم أجمع - والكويت جزء ليست بمعزل عنه- من إجراءات وقائية احترازية لمواجهة جائحة فيروس كورونا وتخفيف آثاره على جميع نواحي الحياة، ولقد تم بفضل الله وتوفيقه النجاح في اجتياز هذه المرحلة واتخاذ إجراءات العودة للحياة الطبيعية. ولقد سعت الحكومة بكل جهد واهتمام إلى تطويق هذا الوباء، والعمل على المحافظة على الصحة العامة للمواطنين والمقيمين بإجراءات احترازية أدت بفضل من الله إلى الحماية الكاملة للمجتمع وللصحة العامة، وتخفيف الأضرار إلى الحد الأدنى، ويشهد كل منصف على جهود الحكومة وخاصة وزارة الصحة بكافة منتسبيها لإنجاح المنظومة الصحية وعدم انهيارها من الإجراءات التي اتخذها، وتبني الحملة الوطنية للتطعيم ضد فيروس كورونا، وقد بلغت نسبة متلقي جرعتي اللقاح من المستحقين ما يزيد على: (٨٢) في المئة، من خلال إنشاء (١٠٣) موقع لتلقي اللقاحات.

وأكد أنه رغم الظروف الاستثنائية فلم تغفل الحكومة القضية التعليمية، حيث استمر التعليم واستكمال عملية التحصيل العلمي لأبنائنا وبناتنا الطلبة، واتخذت الحكومة قرارات ضمان جودة التعليم وفق الإجراءات والاحترازات من خلال التعليم عن بعد، وعقد الاختبارات الورقية والعودة الآمنة لأبنائنا وبناتنا الطلبة في كافة المراحل التعليمية.

وأشار الخالد إلى أن العالم يمر بتحديات اقتصادية نتيجة الآثار المترتبة على الجائحة، وتقلبات الأسواق العالمية، الأمر الذي يتوجب على السلطتين التعاون باتخاذه خطوات جادة لتنفيذ الإصلاحات الاقتصادية والمالية لمعالجة الاختلالات الهيكلية التي يعانيها اقتصادنا الوطني وفق برنامج زمني مدروس وعاجل، ومن أهم خطواته: الحد من مظاهر الهدر، وترشيد الإنفاق الحكومي، وتنويع مصادر الدخل، وإعادة النظر في سياسة تسعير الخدمات وسياسة الدعم المالي للسلع والخدمات، بما يضمن وصوله إلى مستحقيه الفعليين ودون المساس بأوضاع ذوي الدخل المحدود.

وأفاد بأنه سعيا لتأمين مقومات الإصلاح الاقتصادي تؤكد الحكومة على ضرورة إعطاء القطاع الخاص دوره الفعال في دفع عجلة التنمية، وهو ما يستلزم المزيد من التعاون الواعي البنّاء بين مجلسكم الموقر والحكومة لوضع أولويات العمل المشترك لإصدار مشروعات القوانين التي تحقق تلك الأهداف الوطنية.

الرعاية السكنية

وأوضح أن توفير الرعاية السكنية لمستحقيها من أهم الأولويات التي تحظى باهتمام الحكومة وعنايتها حرصا على تأمين العيش الكريم والاستقرار للأسرة الكويتية. وفي خصوص قضايا الأمن، لا شك أن الأمن يأتي على رأس أولويات العمل الحكومي، ففي مجال الأمن الدفاعي



تتركز الجهود في المحافظة على استقلال وسلامة وسيادة الوطن وتعزيز القدرات الدفاعية والقتالية للقوات المسلحة، وتأمين احتياجاتها من القوى البشرية المؤهلة. وفي مجال الأمن الداخلي فإن الحكومة ماضية في تجهيز وإعداد رجال الأمن، ودعم المؤسسات الأمنية وتطويرها للقيام بمهامها ومسؤولياتها في مواجهة القضايا الأمنية، فيما يعزز الاستقرار والطمأنينة وسلامة المجتمع. وفي خصوص السياسة الخارجية فإن الحكومة تتولى تجسيد التوجيهات التي رسمتها القيادة السياسية العليا والمؤسسات الدستورية كثوابت مبدئية راسخة في سياسة الكويت الخارجية، آخذة على عاقتها مسؤولية تحقيق أمنها الوطني، ورعاية مصالحها العليا، وفي ذات الوقت تحقيق الخير والسلام والرخاء لشعوب المنطقة والعالم أجمع.

ولفت إلى أن الحكومة تؤكد على تأمين كافة المقومات التي تضمن تنفيذ مبدأ استقلالية القضاء الشامخ، ودعم سلطاته، وتحقيق رسالته السامية في انفاذ القانون واحترامه، ليبقى الحصن الحصين للعدالة ولوطن، يأمن فيه الجميع على أرواحهم وحرياتهم وأموالهم. كما تؤكد الحكومة مجددا على اتخاذ كافة الإجراءات للقضاء على الفساد بجميع أشكاله المباشرة وغير المباشرة، واستئصاله وتجفيف منابعه، ولا سيما تأمين متطلبات تعزيز النزاهة والتحول الرقمي وتطوير الأداء الحكومي، وإعادة هيكلة الجهاز التنفيذي للدولة، وتركيبة القوى العاملة، وتطوير تشريعات الخدمة المدنية، وإعداد برامج التدريب المناسبة للمستويات الوظيفية المختلفة بما يكفل رفع الكفاءة والقدرة لجميع العاملين بالدولة.

وبيّن أن أعباء المسؤولية الجسيمة في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ وطننا الغالي تقع على عاتق المجلس والحكومة معا، حيث إن تحقيق ذلك مسؤولية مشتركة تستوجب تسخير جميع الطاقات والإمكانات، وتغليب المصالح العليا، وتتضافر كل الجهود لمواكبة التطورات المتسارعة في العالم، ومواجهة التحديات والمتغيرات بإقرار منهج إصلاحي شامل ينهي حالة الركود والجمود، ويشيع أجواء الأمل والتفاؤل، ويطلق مسيرة الوطن الغالي على درب التنمية والازدهار، مع التأكيد بأن من أولويات الحكومة قضايا الصحة والتعليم والإسكان، وقضايا المرأة والشباب والاستثمار في تنمية عقولهم وطاقاتهم، وخلق مسارات مهنية مستدامة لهم، ودعم كافة المقترحات التي من شأنها تحقيق الرخاء المجتمعي والتطوير المؤسسي وفق أطر القوانين المنظمة.



تفعيل مبادئ الحوار

وفي كلمة ألقاها رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم في افتتاح دور الانعقاد العادي الثاني من الفصل التشريعي السادس عشر بحضور حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد، وسمو ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد، أشاد الغانم بدعوة سمو أمير البلاد للحوار بين السلطتين كبادرة ساهمت بكسر الجمود والركود السياسيين، مثنياً في الوقت ذاته على التجاوب السريع والفوري لممثلي الأمة من مختلف الأطياف والتوجهات مع هذه الدعوة الكريمة.

وأكد الغانم أهمية تفعيل مبادئ الحوار والتوافق وسياسة المائدة المستديرة والنقد البناء لحل المشكلات المصيرية بدلاً من وصفات التصارع والاشتباك السياسي والطعن والتشكيك والتخوين.

ورحب في مستهل كلمته بسمو أمير البلاد قائلاً: «بالأصالة عن نفسي ونيابة عن الزملاء أعضاء مجلس الأمة أرحب بكم يا سمو الأمير أجمل ترحيب في بيت الشعب الذي شهد قبل عام ونيف بيعة الشعب وإجماعه عليكم حاكماً وأميراً وأباً للسلطات لا تدشيناً لحكم جديد، بل امتداداً لحكم قديم راسخ ومتأصل، حكم توارثته أسرة الخير كابراً عن كابر، وعادلاً عن عادل، رسخته بالحكمة والشورى، وعززته بالعدل وإحقاق الحق، وسجلته عبر التاريخ سيرة للمسؤولية وفن الاضطلاع بها وتحملها، فمرحباً بكم أيها الوالد الكبير بين أبنائك وإخوانك».

وأضاف: «كما أرحب عظيم الترحيب بعضدكم وسندكم وسيف يمينكم سمو ولي العهد الأمين الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح رعاه الله، الذي حظي قبل عام على ثقة سمو الأمير الغالية وبثقة وإجماع وبيعة شعبكم الأصيل».

وذكر الغانم: «يا صاحب السمو.. لا أحد فينا ينكر حالة عدم الرضا التي تكتنف قلوبنا جميعاً، عدم الرضا من الجمود الذي اعترى العمل السياسي في الكويت والمراوحة - إن لم أقل التراجع - على صعيد التعاطي السياسي مع قضايانا الوطنية».

وقال: «بعد إضاعة الكثير من الوقت، وبعد أن فوتنا العديد من الفرص المواتية للبدء في العمل الجماعي البنّاء جاءت دعوة سموكم إلى الحوار بين السلطتين كتدخل سام من قبلكم وكبادرة ساهمت في كسر الجمود والركود، فكان أن رد ممثلو الأمة من مختلف الأطياف والتوجهات على هذه الدعوة بالتجاوب السريع والترحيب الفوري».

وتابع: «هنا يتوجب علي للتاريخ أن أتوجه بالشكر الجزيل لأخي الكريم سمو رئيس مجلس الوزراء والأخوة الوزراء والمستشارين بالديوان الأميري على تفاعلهم ومثابرتهم طيلة جلسات الحوار، والشكر موصول لإخواني النواب الذين تعاطوا مع الأمر بمنطق المسؤولية فكانوا - بحق - رجال دولة شاركوا بجدية وتفاعلوا بواقعية وعملوا بإيجابية».

واستطرد قائلاً: «أخص بالشكر الأخ الزميل د. عبيد الوسمي الذي شهد له الجميع بأنه قد تجاوز آلامه وكابد أوجاعه فقرر قطع رحلته العلاجية مجازفاً بصحته تلبية لدعوة المقام السامي للحوار وتغليباً للمصلحة الوطنية العليا، فلم يتخذ من خلافه السياسي معنا ذريعة للتخلي عن مواجهة القضايا المصيرية، بل تسامى على ذلك بموضوعية وأقدم على المشاركة بمسؤولية».

وأضاف: «كان لمشاركة الدكتور عبيد

الوسمي بالغ الأثر في نجاح أولى خطوات الحوار، وكان ذلك محط ثناء ومحل إطراء ليس من الشعب الكويتي فحسب، بل ومن القيادة السياسية أيضاً، فله من الأمة عاطر الثناء وصالح الدعاء بأن يمن الله عليه بعاجل الشفاء».

وذكر: «عقب الانتهاء من بعض ملفات هذا الحوار استمعتم يا سمو الأمير إلى مرئياته وأعطيتم مباركتكم لكل خطوة من شأنها تحقيق الاستقرار السياسي وإشاعة مناخ التعاون والإنجاز».

قلب أبوي

وقال الغانم: «لأنكم يا سمو الأمير تحملون بين جوانحكم قلباً أبوياً حانياً، ولأن سيرتكم وسيرة من سبقوكم هي سيرة التسامي والتسامح والترفع، أعلنتم وكان إعلاناً مفرحاً ومبهجاً بتفعيل المادة: (٧٥) من الدستور، والمتعلقة بالعفو الخاص، وكلفتم رؤساء السلطات الثلاث باقتراح الضوابط والشروط المتعلقة بهذا الملف، ليتحقق التلاقي المحمود بين الإرادة الأميرية والرغبة الشعبية وفق الأطر الدستورية المتعارف عليها».

وتابع: «نأمل من الله تعالى أن تتوج جهودنا جميعاً في تحقيق انفراجات يسعد بها الشعب الكويتي بمباركة ورعاية من سموكم الكريم».

وبين: «من خلال قراءة التاريخ البعيد والقريب نستطيع أن نقول وبشكل يكاد يصل إلى الجزم بأن الحوار والتوافق وسياسة المائدة المستديرة والعصف الذهني المتواصل، والكلمة الطيبة الصادقة، والأسلوب الحضاري الراقي، والنقد البناء كانت دائما الوصفة المثلى لحل كل مشكلاتنا».

وشدد: «لا التصارع ولا الاشتباك السياسي الموتور ولا الطعن ولا التشكيك ولا التهديد ولا الوعيد ولا التخوين سبل ناجحة لوضع مشكلاتنا على طريق الحل».

وقال: «أريد أن أقول هنا وبكل وضوح: لقد أخطأنا جميعاً جميعاً ودون استثناء، فلا نكابر وقد كانت هناك ومنذ الجلسة الأولى لدور الانعقاد الأول أفعال وردود أفعال وشد وجذب».

وأوضح الغانم: «إذا كنا نريد فتح صفحة جديدة يستفيد منها المواطن المهموم بمشكلاته الحقيقية والمستحقة فلا بد لنا من الرجوع إلى الثوابت الدستورية كما رسمها المؤسسون الأوائل».

وذكر الغانم: «أقول هنا وبكل وضوح: إن تحقيق الاستقرار السياسي لا يعني عدم المحاسبة أو التحصين كما يشاع من قبل البعض، وإنما يتم تحقيق الاستقرار السياسي بالاستخدام الحصيف والصحيح والحكيم للأدوات الدستورية كما رسمه آباؤنا المؤسسون».

وأشار: «لقد جربنا التصارع كثيراً وأضعنا الكثير من الوقت، واستنزفنا الكثير من الطاقات والجهود فماذا جنينا؟؟ ما زال الشعب يشتكي من ملف التعليم والملف الصحي، وما زالت الأسر الكويتية تنتظر حلولاً عملية لمشكلة الإسكان، وما زال الملف الاقتصادي وإصلاحه معطلاً وجامداً، وما زال النفط مصدر دخلنا الوحيد ونحن للأسف غافلون عن تلك الاستحقاقات».

وشدد: «الواجب علينا جميعاً أن نتداعى إلى توحيد جهودنا نحو قضايانا الوطنية المصيرية التي لا تحتمل التأجيل والتسويف والتجاهل، وأن نتفق على تبنيها ونتحد في توليها بطرح واقعي وفق برنامج عملي، بعيداً عن المزايدات السياسية والأساليب الفوضوية، لنحمل بصدق هموم الشعب على عاتقنا تحقيقاً لطموحاته وتلبية لاحتياجاته».

وقال الغانم في ختام كلمته: «أجدد الترحيب بكم يا سمو الأمير وسمو ولي العهد الأمين بين أبنائكما وبناتكما، داعياً المولى تعالى أن يحفظكما من كل شر، وأن يمتعكما بموفور الصحة والعافية، وأن يحفظ الكويت وأهلها من كل شر ومكروه».



د. رمضان فوزي
(دكتوراه في اللغة العربية)

ظاهرية ابن حزم في تفسير مرجع الضمير وأثرها الفقهي

يعد الإمام أبو محمد علي ابن حزم من أعلام المذهب الظاهري الذي استتبت بذرته الأولى على يد داود الأصبهاني في المشرق العربي، بعد أن انتقل إلى الأندلس على يد بعض علماء قرطبة المبرزين، بعد أن كاد أن ينتهي وينقرض في المشرق، فتسلم ابن حزم إمامة المذهب، وعمل على إحياء أصوله مرة أخرى، حتى صار له شيوخ اختصوا بالذود عنه.

والمذهب الظاهري مذهب فقهي، سمي بهذا الاسم نسبة إلى قيامه على الأخذ بظاهر نصوص الكتاب والسنة دون تعليلها، ومن ثم عدم قياس غيرها عليها؛ فهذا النوع من الفقه قائم في جانب كبير منه على نقض القياس وفلسفته.

وإزاء هذا الأمر كانت لابن حزم اختياراته الفقهية المبنية على أدلة من الكتاب والسنة، تأثر في استنباطها بظاهريته الواضحة في توجيه هذا الدليل توجيها لغويا، يتماشى مع مذهبه.

ومن هذه المسائل التي برزت فيها ظاهرية ابن حزم: تفسيره مرجع الضمير، وأثر ذلك في بعض استنباطاته الفقهية.

فالأصل في الضمير المتصل أن يعود على متقدم عليه في الرتبة، وفي حالة تعدد مرجعيات الضمير فإنه يعود على الأقرب منها، إلا إن دل دليل على أنه لغير الأقرب[1].

وقد وردت مواضع في القرآن الكريم جاز فيها الترخص في عودة الضمير إلى أقرب مذكور لأمن اللبس، منها:

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ (يوسف: ٧- ٨)؛ فالواو في ﴿قَالُواْ﴾ تصلح للإخوة وللسائلين، ولكن القرينة تجعلها للإخوة وتحول بينها وبين أن تكون للسائلين، وهذه القرينة هي قول الإخوة ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا﴾؛ لأن الأب لم يكن أبا للسائلين.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ (يوسف: ١٧)؛ فالضمير في ﴿فَأَكَلَهُ﴾ يصلح ليوسف وللمتاع، ولكن القرينة تجعل الضمير ليوسف؛ لأنه لم يعهد من الذئاب أكل الأمتعة[2].

مرجع الضمير عند ابن حزم:

عقد ابن حزم فصلا في كتاب (الإحكام في أصول الأحكام) عن الضمير ومرجعيته سماه: «الكناية بالضمير»، يقول فيه: «والضمير راجع إلى أقرب مذكور لا يجوز غير ذلك؛ لأنه مبدل من مخبر عنه أو مأمور فيه. فلو رجع إلى أبعد مذكور لكان ذلك إشكالا رافعا للفهم، وإنما وضعت اللغة للبيان. ألا ترى أنك لو قلت: (أتاني زيد وعمرو وخالد فقتلته) أنه لا خلاف بين أحد من أهل اللغة في أن الضمير راجع إلى خالد، وأنه لا يجوز رده إلى زيد ولا إلى عمرو؟

فإن وجد يوما ما في شيء من النصوص رجوع الضمير إلى أبعد مذكور، فهو بمنزلة ما ذكرنا من نقل اللفظ عن موضوعه في اللغة.

ولو قال: أتاني زيد وعمرو وخالد وعبد الله فقتلتهم؛ لكان راجعا بلا خلاف بين أحد من أهل اللغة إلى جميعهم وكلهم»[3].

بتأمل كلام ابن حزم -السابق تناوله- من الناحية النظرية يلاحظ أنه اقتصر على حالة واحدة، وهي «عود الضمير على أقرب مذكور»، ولم يتطرق لباقي الحالات مثل: أن الأصل في الضمير أن يعود على الاسم المتقدم، وقد يعود على متأخر في اللفظ متقدم في الرتبة، وأنه قد يستغني عن المفسر في اللفظ بما يدل عليه حسا، وقد يدل على المفسر للعلم به وإن لم يتقدم له ذكر، وقد يتقدم معنى المفسر ولا يتقدم لفظه صراحة، وقد يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة وذلك كضمير الشأن والقصة ونعم وبئس والتنازع...[٤] وغيرها من الحالات التي لم يشر إليها ابن حزم، وإن كان لبعضها تأثير في توجيه بعض الأحكام.

التطبيق الفقهي لهذا الرأي عند ابن حزم:

انعكس رأي ابن حزم في مرجعية الضمير في تطبيقاته الفقهية بصورة لا تخلو من ظاهرية واضحة في بعض المسائل؛ تتمثل في مبالغته في مراعاة شرط «العودة إلى أقرب مذكور»، وعدم الالتفات إلى قرائن أخرى تساعد في تحديد مرجعية الضمير، مثل قرينة التضام أو التلازم وقرينة السياق وغيرها كما سيتضح في مناقشة بعض آرائه في القضايا التالية:

المسألة الأولى- القول بأن الخنزير كله رجس حاشا الجلد:

ذهب ابن حزم إلى تحريم الخنزير كله ما عدا جلده الذي أخرجه نص آخر من دائرة التحريم إذا دبغ، ودليله في ذلك عودة الضمير على أقرب مذكور حتى وإن كان مضافا إليه في قول الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ (الأنعام: ١٤٥)؛ حيث يرى أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ عائد على الخنزير وليس على اللحم؛ حيث يقول: «وأما شعر الخنزير وعظمه فحرام كله، لا يحل أن يتملك ولا أن ينتفع بشيء منه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾، والضمير راجع إلى أقرب مذكور؛ فالخنزير كله رجس، والرجس واجب اجتنابه بقوله تعالى: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠)، حاشا الجلد فإنه بالدباغ طاهر بعموم قوله عليه السلام: (وأيما إهاب دبغ فقد طهر)[٥]»[٦].

وقال في موضع آخر: «وأما الخنزير فإن الله تعالى قال: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا ...﴾، والضمير في لغة العرب التي نزل بها القرآن راجع إلى أقرب مذكور إليه، فصح بالقرآن أن الخنزير بعينه رجس؛ فهو كله رجس، وبعض الرجس رجس، والرجس حرام واجب اجتنابه؛ فالخنزير كله حرام لا يخرج من ذلك شعره ولا غيره، حاشا ما أخرجه النص من الجلد إذا دبغ فحل استعماله»[٧].

تثير هذه القضية إشكالية جديدة في مرجع الضمير إذا كان قبله تركيب إضافي؛ فهل يعود على المضاف أم المضاف إليه؛ حيث اختار ابن حزم عوده على المضاف إليه (الخنزير) دون المضاف (اللحم)، مقدما ظاهرية القرب المكاني على قرينة الإضافة التي يجب أن تراعى في مثل هذا السياق، فجعل الخنزير كله محرما حاشا الجلد الذي أحل بحديث نبوي، وهو في هذا متفق مع رأي بعض الأحناف[٨].

وقد ذهب النحاة إلى أنه إذا عاد الضمير على تركيب إضافي، وتعذرت عودته إلا إلى واحد منهما تعين عودته إلى المضاف؛ لأنه المقصود بالكلام، وأن المضاف إليه جاء استطرادا بطريق التبع، وإن كان يجوز -استثناء- عودته على المضاف إليه دون المضاف، والضابط في ذلك سياق الكلام، ووجود دليل عليه، وقد ورد ذلك في قول الله تعالى: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٧)؛ فالضمير في ﴿مِيثَٰقِهِۦ﴾ عائد على المضاف إليه وهو لفظ الجلالة، وقوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (النحل: ١١٤)، وغيرهما من الآيات.

أما الآية موضع الشاهد فقد اختلف موقف النحاة ومعربي القرآن من عودة الضمير فيها إلى ثلاثة اتجاهات -بالإضافة لرأي ابن حزم-:

الأول: يرى عودته على «لحم الخنزير»، والثاني: يرى عودته على كل المذكورات قبله، والثالث: يخطئ عودته على المذكورات قبله كلها، ويرى جواز عودته على اللحم أو على الخنزير.

لكني أرجح عودة الضمير على «لحم الخنزير»، دون الخنزير أو على جميع المذكورات قبله، وبذلك يكون المقصود بالتحريم هنا هو لحم الخنزير -كما هو رأي بعض الشافعية[٩] والمالكية[١٠]؛ وذلك للأسباب التالية:

- عودة الضمير على اللحم أولى من عودته على الخنزير؛ لأن رب العزة لو أراد عوده على الخنزير كله لما كان لذكر اللحم هنا فائدة، ولقال: «أو خنزيرا فإنه رجس» بدلا من: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾؛ لأن اللحم داخل بالتبعية في كل الخنزير.
- سياق الحديث في الآية عن تحريم بعض أنواع المطعومات: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ ...﴾،

وهذا يقتضي تخصيص الحديث عن المطعوم من الخنزير وهو اللحم، ويخرج منه غير المطعوم من جلد وشعر وغيره، فإذا سأل أحد عن شحمه ودهنه وغيره مما يؤكل، قيل: إن ذلك ربما يدخل في عموم اللحم.

- تخصيص الحديث في أكثر من موضع من القرآن عن تحريم الأنواع الثلاثة نفسها المذكورة في هذه الآية، ونصت دون مجال للبس أو التأويل على تحريم لحم الخنزير وليس الخنزير كله، كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ...﴾ (البقرة: ١٧٣- والنحل: ١١٥)، وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ (المائدة: ٣).

المسألة الثانية: لزوم الجزية على أهل الكتاب جميعا، الحر منهم والعبد:

يرى ابن حزم أن الجزية لازمة على أهل الكتاب جميعا الحر منهم والعبد، والذكر والأنثى، والغني والفقير، وحجته في ذلك عودة الضمير على أقرب مذكور في قول الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: ٢٩)؛ حيث يقول: «الجزية لازمة للحر منهم والعبد، والذكر، والأنثى، والفقير البات، والغني الراهب سواء من البالغين خاصة، لقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. ولا خلاف في أن الدين لازم للنساء كلزومه للرجال ولم يأت نص بالفرق بينهم في الجزية، وأما نحن فإنما معولنا على عموم الآية فقط.

فإن قالوا: إنما تؤخذ الجزية ممن يقاتل قلنا: فلا تأخذوها من المرضى، ولا من أهل بلدة من بلاد الكفر لزموا بيوتهم وأسواقهم ولم يقاتلوا مسلما.

فإن قالوا: أول الآية: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. قلنا: نعم، أمرنا بقتالهم إن قاتلونا حتى يعطي جميعهم الجزية، عن يد كما في نص الآية؛ لأن الضمير راجع إلى أقرب مذكور»[١١].

في هذه القضية خالف ابن حزم المذهب الغالب للفقهاء في وجوب الجزية على الرجال المقاتلين فقط كما سيأتي لاحقا؛ إعمالا لمذهبه الظاهري في عودة الضمير على أقرب مذكور؛ حيث راعى الأقربية المكانية دون مراعاة لأي قرائن أخرى؛ فـ«حتى» في قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا﴾ للغاية، وهذا يقتضي فعلا قبلها قابلا للامتداد حتى حدوث الغاية منه، وهو ما يتحقق في: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ولا يتحقق في أهل الكتاب، وعلى ذلك يكون المعنى: «أي يستمر قتالكم إياهم إلى أن يعطوا الجزية»[١٢].

وقد نقل القرطبي أن إجماع العلماء على أن الجزية واجبة على الرجال المقاتلين الأحرار البالغين، مستشهدا بهذه الآية محل الدراسة؛ حيث يقول: «قال علماؤنا -رحمة الله عليهم-: والذي دل عليه القرآن أن الجزية تؤخذ من الرجال المقاتلين؛ لأنه تعالى قال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ ...﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾؛ فيقتضي ذلك وجوبها على من يقاتل. ويدل على أنه ليس على العبد وإن كان مقاتلا؛ لأنه لا مال له، ولأنه تعالى قال: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا﴾، ولا يقال لمن لا يملك: حتى يعطي. وهذا إجماع من العلماء على أن الجزية إنما توضع على جماجم الرجال الأحرار البالغين، وهم الذين يقاتلون، دون النساء والذرية والعبيد والمجانين المغلوبين على عقولهم والشيخ الفاني»[١٣].

المسألة الثالثة: لا دية ولا كفارة على المسلم في قتل الذمي:

ذهب ابن حزم إلى أنه إن قتل مسلم عاقل بالغ ذميا، أو مستأمنا، عمدا أو خطأ، فلا قود عليه، ولا دية، ولا كفارة، ولكن يؤدب في العمد خاصة، ويسجن حتى يتوب كفا لضرره. وحجته في ذلك هي عود الضمير على المؤمن دون الذمي في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٩٢)؛ حيث يقول:

«وإنما أوجبنا الدية في قتل الكافر المسلم خطأ بعموم قول الله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾ الآية، فعم بهذا قاتل المؤمن خطأ، ولم يخص بذلك مؤمنا من كافر، ولم يأت

دليل من قرآن ولا سنة ولا إجماع يخص ذلك؛ فوجب إمضاؤها على عمومه.

وأما هذه الآية فلا حجة لهم فيها أصلا؛ لأن نصها أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾، فصح بنص هاتين الآيتين نصا جليا لا يمكن أن يتأول فيه شيء أن هذا الحكم، إنما هو في المؤمن المقتول خطأ فقط، ثم قال عز وجل: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾؛ فصح بالضرورة التي لا مدخل للشك فيها أن في (كان) من قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ﴾ ضميرا راجعا إلى أول مذكور لا يمكن غير ذلك البتة، فإذ لا بد من هذا، والضمير في لغة العرب لا يرجع إلا إلى أقرب مذكور قبله إلا ببرهان يدل على غير ذلك؛ فليس في هذه الآيات أقرب مذكور ولا أبعد مذكور إلا المؤمن المقتول خطأ فقط؛ فصح بيقين لا إشكال فيه أن مراد الله تعالى بقوله: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ أنه مؤمن يقتل خطأ كما قال الحسن وجابر بن زيد»[14].

موطن الخلاف في الآية من الناحية اللغوية عائد إلى مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾؛ فهل الضمير راجع إلى عموم القتيل أم القتيل المؤمن المذكور في بداية الآية؟

فقد تمسك ابن حزم بعود الضمير هنا على أقرب مذكور في الآية وهو «المؤمن»، في حين ذهب غيره إلى أنه عائد على عموم القتيل حتى ولو لم يكن مذكورا في الآية، وبناء عليه أوجبوا الدية للذمي كما هي للمسلم، وهو قول أبي حنيفة[15] والثوري. وهو مروي عن ابن مسعود، وقد روي عن عمر وعثمان، وقال به جماعة من التابعين[16]، ومن حججهم اللغوية أن المسلم المقتول خطأ سواء كان من أهل الحرب، أم كان من أهل الذمة داخل تحت قوله: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾؛ فلو كان المراد من هذه الآية هو المؤمن لكان هذا عطفا للشيء على نفسه، وهو لا يجوز، بخلاف ما إذا كان المؤمن المقتول خطأ من سكان دار الحرب؛ فإنه تعالى إنما أعاده لبيان أنه لا تجب الدية في قتله، وأما في هذه الآية فقد أوجب الدية والكفارة، فلو كان المراد منه هو المؤمن لكان هذا إعادة وتكرارا من غير فائدة، وهو لا يجوز.

ومن الناحية اللغوية فإنه يجوز أن يكون الضمير في هذه الآية عائدا على عموم المقتول؛ حيث إنه قد يستغني الضمير عن مفسره بحضور مدلوله حسا أو علما[17]، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١)، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ (هود: ٤٤).

وبناء عليه فيجوز أن يكون الضمير عائدا على عموم المقتول، الذي يفهم ضمنا من سياق الحديث عن القتل في الآية.

كما يجوز أن يكون عائدا على المقتول المؤمن، من باب عودة الضمير على أقرب مذكور، كما ذهب إليه ابن حزم ومن وافقه، اتساقا مع ظاهر القاعدة وهو ما يتماشى مع منهج ابن حزم الظاهري.

وبناء على ما سبق فإن النفس تطمئن للقول بعودة الضمير على عموم المقتول، وبناء عليه تكون دية أهل الذمة مساوية لدية المسلم، وهذا يتسق مع حفظ الإسلام للنفس البشرية بعمومها وعدم إزهاقها إلا بالأسباب المعروفة، والإسلام معني بحفظ نفوس أهل المواثيق والعهود، كما هو معني بحفظ نفوس أهله.

وهكذا نجد كيف كان للتفسير الظاهري للنصوص أثره الواضح في الاستنباط الفقهي عند ابن حزم، وأصحابه من رؤوس المذهب الظاهري.

الهوامش

١- ارتشاف الضرب من لسان العرب: (١/ ٤٨١)، وشرح التسهيل: (١/١٥٦، ١٥٧).
٢ - انظر: البيان في روائع القرآن: (ص: ٢٣٤) د. تمام حسان.
٣ - الإحكام لابن حزم: (٤/٢٦، ٢٧).
٤ - ينظر: شرح التسهيل: (١/١٥٦، ١٥٧)، وارتشاف الضرب من لسان العرب: (١/ ٤٨١).
٥ - أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه.
٦ - المحلى: (١/١٢٤).
٧ - المحلى: (٧/٥١٧).
٨ - ينظر الاختيار لتعليل المختار للموصلي: (١/١٩)، والمبسوط للسرخسي: (١/٨٥)، شرح فتح القدير للسيواسي: (١/٩٣)، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم: (١/١١٠).
٩ - الأشباه والنظائر للسبكي: (٢/ ٢٣٧، ٢٣٨).
١٠ - شرح خليل للخرشي: (٦/٥٠).
١١ - المحلى (٧/٣٤٧، ٣٤٨).
١٢ - ينظر: التحرير والتنوير: (١٠/٦٨).
١٣ - تفسير القرطبي: (٨ /١١٢).
١٤ - المحلى: (١٠/٤٥٩).
١٥ - الحجة على أهل المدينة: (٤/٣٢٢)، و(٤/٣٥٠، ٣٥١)- محمد بن الحسن الشيباني- تحقيق: مهدي حسن الكيلاني القادري- عالم الكتب- بيروت- ١٤٠٣هـ، والحاوي الكبير: (١٢/٦٩٧).
١٦ - ينظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد: (٢/٤١٤).
١٧ - للمزيد حول هذه المسألة ينظر: ارتشاف الضرب (١/٤٨١)، والبرهان في علوم القرآن (٤/٣٠- ٣٩).



أ.د. محمد إبراهيم العشماوي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه
جامعة الأزهر

التعامل العلمي مع مواقع التواصل

مواقع التواصل الاجتماعي ليست مصدرا للحقيقة المطلقة!

اليوم أصبحت تسمع وتشاهد وتقرأ عليها الشيء ونقيضه، والأمر وعكسه، وترى التضارب بين الأخبار والمعلومات على نحو يحير العقل ويدهشه، فالشيء حسن وقبيح، ونافع وضار، في وقت واحد، على موقعين مختلفين! والرجل صادق وكاذب، وأمين وخائن، في وقت واحد، على موقعين مختلفين! والخبر حاصل وغير حاصل، ومثبت ومنفي، في وقت واحد، على موقعين مختلفين!

ومن أسباب إقناعك بكلا الرأيين؛ استعمال الإبهار في العرض، عن طريق وسائل التقنية الحديثة، كالفوتوشوب، والانفعالات النفسية المفتعلة من مقدم المادة العلمية أو الإخبارية التي تظهره بمظهر المتأثر حتى يؤثر!

ومن دقائق علم النفس الإعلامي أن الإنسان يصدق ما تميل إليه نفسه، ويكذب عكسه، كما يميل إلى تصديق المشاهير دون غيرهم، ويميل إلى تصديق من له حيثية معتبرة كأن يكون حاصلا على دكتوراه أو متوليا منصبا كبيرا!

وأنا أدلك على شيء يذهب عنك هذه الحيرة، استنادا إلى قواعد علم الحديث، حسبما بينته في كتابي: (قواعد علم الحديث وتطبيقاتها في حياتنا المعاصرة)، وهو من الأبواب التي ولجتها، والطرق التي سلكتها، تقريبا لهذا العلم للناس، وتوظيفا له، للاستفادة الحاضرة منه، بإخراجه في صورة قواعد تسهم في ضبط سير الحياة، عن طريق التفكير العلمي السديد!

وخذها في نقاط:

أولا: المعتمد في قبول الأخبار والمعلومات؛ التخصص، والمعرفة والشهرة بذلك بين الناس، فلا يسمع الحديث إلا من محدث، ولا الفقه إلا من فقيه، ولا الطب إلا من طبيب، ولا الخبر إلا من موقع إخباري متخصص!

ثانيا: لا يكفي أن يكون مقدم المادة متخصصا، معروفا مشهورا بين الناس بهذا التخصص، بل لا بد أن يكون ثقة، وتعرف ثقته بالتجربة، وموافقه لغيره من الثقات، وتنزهه عن التهمة، فإن اشتهر بالكذب أو التدليس أو كان متهما بشيء يزيل ثقته؛ وجب ألا يسمع له!

فإن لم يعرف حاله من صدق أو كذب أو عدالة أو جرح أو تخصص أو غيره؛ فهو مجهول الحال بالنسبة لك، فيجب عليك التوقف في قبول خبره وعلمه إلى أن يتبين حاله، فإن تبين فاعمل بمقتضى ما تبين لك، وإلا فاستمر على التوقف، ومعناه ألا تصدقه ولا تكذبه، وارجع إلى الأصل، كأنك لم تطلع على ما قدمه لك من علم أو خبر!

ثالثا: عند تضارب الأخبار والمعلومات يراعى في الترجيح بينها ما سبق من التخصص، والمعرفة والشهرة به، والثقة، ويضاف إليها كثرة العدد، فما كثر عدده أولى بالقبول مما قل عدده، مع أن هذا ليس مطردا؛ لاحتمال تواطؤ الكثرة على الكذب والتدليس، كما هو حال الكتائب الإلكترونية التي تعمل لصالح جهات بعينها، فتملأ الدنيا ضجيجا بالأخبار والمعلومات المغلوطة؛ لتحقيق أهداف بعينها، وهي تعلم أن الإكثار مظنة الإقناع؛ إذ يقول الناس: إن الخبر يملأ السوشيال ميديا، ونحو ذلك مما يدل على تصديق الناس للمنتشر المشهور وإن كان باطلا!

فهذه ثلاث قواعد مبنية على التفكير العلمي، مستنبطة من قواعد علم الحديث، يمكنها أن تزيل عنك الحيرة وأنت تتعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي أو أي مصدر حقيقي أو اعتباري من مصادر تلقي الأخبار والمعلومات؛ لتضبط حياتك بمنطق العلماء، لا بمنطق الهمج الرعاع أتباع كل ناعق، وبالله التوفيق.



د. محمد عزب
أستاذ العقيدة المشارك

تحين الغفلات

تأتي على الناس فترات يكون النشاط للعبادة ضعيفا، ويكون الاهتمام بأمرها فيه تراخ من الناس، هذا التراخي قد يكون ليلا خيم على الوجود، وقد يكون حرا يلهب الأجساد، وقد يكون بردا له زمهرير، وقد لا يكون شيء من ذلك، ولكن يكون المجتمع في أشهر لا ينشطون فيها للطاعة، أو في مواسم تكثر فيها الغفلات، هنا تكون الفرصة مواتية للتميز ونيل ما عند الله تعالى؛ في الحديث عن أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يحبهم الله، رجل أتى قوما، فسألهم بالله، ولم يسألهم بقرابة بينهم وبينه، فتخلف رجل بأعقابهم، فأعطاه سرا لا يعلم بعطيته، إلا الله والذي أعطاه وقوم ساروا ليلهم، حتى إذا كان النوم أحب إليهم نزلوا، فوضعوا رءوسهم، فقام يتملقني، ويتلو آياتي، ورجل كان في سرية، فلقوا العدو، فهزموا، وأقبل بصدره، حتى يقتل، أو يفتح لهم».[1]

في صنيع الثلاثة استغلال لفرصة الغفلة، رغم أنها ليست غفلة بمعنى الانصراف عن الطاعة.

من هنا كان استغلال فرصة الراحة المدرسية، وفرصة العودة من العمل، وفرصة النوم في آخر الليل، وفرصة انشغال الناس بحديث دنيوي لا داعي له هي فرصة للراغبين بالقرب من الله تعالى، ففي الحديث: أن رجلا قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»[2].

هذا رجل عامل أقاربه بنقيض فعلهم، واستغل فرصة قطيعتهم للمزيد من صلتهم، فأمره النبي أن يواصل على الدرب، ولا يصدنه صدودهم عن صلتهم، وهذا يجعل له عند الله تعالى حافظا.

إن المرء لو تلفت يمينا أو يسارا لانتبه وقت الغفلات فشغله بذكر أو استغفار أو عمل صالح أو صلة أو معاملة حسنة بيديها.

الهوامش

١- صحيح ابن حبان، وصححه الأرناؤوط.
٢- أخرجه مسلم.

أ. د. أبو المعاطي الرمادي
جامعة الملك سعود الرياض



زهد النبي ﷺ

الزهد هو الإعراض. زهد في الشيء أعرض عنه وتركه مخافة الحساب أو العقاب، وزهد في الدنيا: ترك حلالها مخافة الحساب، وترك حرامها مخافة العقاب، والزهد الانصراف إلى العبادة وترك ملذات الدنيا، والإعراض عنها احتقارا لها.

ولا يعني الزهد في الإسلام ترك متع الحياة الدنيا كلية والإعراض عن ملذاتها، وحرمان النفس مما تشتهيه، كما يظن البعض؛ فلا حرمة في الأخذ المقنن من كل شيء، ولا قيود على التمتع بالملذات الحلال، إذا صحب الأخذ قناعة مع سخاوة النفس وسلامة القلب. ولعل غنى بعض صحابة رسول الله ﷺ وعدم إعراضه عنهم، أو رفضه لرغد عيشهم خير دليل على ذلك.

والزهد عبادة الأنبياء وأولي العزائم القوية من الصالحين القادرين على كبح جماح النفوس الميالة بطبعها نحو الشهوات والملذات. ونبينا ﷺ إمام الزاهدين في الدنيا وملذاتها. كان همه القرب من ربه والفوز برضاه، فعاش حياته على اليسير من متع الدنيا، يلبس الغليظ من الثياب، وينام على الحصير، ويتوسد وسادة حشوها الليف، ويركب الحمار، ويردف بعده، ويجلس على الأرض، وكان جل طعامه التمر والماء.

لقد وجد ﷺ الإعراض عن الدنيا بوابة الاقتراب، وترك ملذاتها مولج الرضا، فأعرض وترك، وعاش زاهدا في نعيم الدنيا، راغبا في خير الآخرة.

عن عبد الله بن عباس قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه، فقلت: يا رسول الله، ألا آذنتنا فنبسط تحتك ألين منه؟ فقال: مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا، كراكب سار في يوم صائف، فقال تحت شجرة ثم راح وتركها. مسند أحمد. وعن ابن حيان، عن هشام، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كانت ضجعة رسول الله من أدم[1]، حشوها ليف. سنن أبي داود.

وسئلت حفصة، ما كان فراش رسول

اللّه ﷺ في بيتك؟ قالت: مسحا[٢] نثنيه ثنيتين فينام عليه، فلما كان ذات ليلة قلت لو ثنيته أربع ثنيات لكان أوطأ له، فثنيناه له بأربع ثنيات، فلما أصبح قال: «ما فرشتم لي الليلة»، قالت: قلنا: هو فراشك إلا أنا ثنيناه بأربع ثنيات، قلنا: هو أوطأ لك. قال: «ردوه لحالته الأولى، فإنه منعتني وطاءته صلاتي الليلة». رواه الترمذي .

وكان يفضل أن يشبع يوما ويجوع يوما على أن تكون له الجبال ذهبا، فالشبع يستلزم شكر المنعم وحمده، والجوع يقتضي التضرع له، فكان في شبعه يشكر، وفي جوعه يتضرع إلى ربه. عن أبي أمامة قال: قال رسول اللّه ﷺ عرض علي ربي بطحاء مكة ذهبا، فقلت: لا يا رب، ولكن أجوع يوما وأشبع يوما. فإذا شبعت حمدتك وشكرتك، وإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك. سنن الترمذي.

وما عرف عنه ﷺ أن شبع ثلاثة أيام متصلة من طعام أبدا. عن أبي حازم قال: رأيت أبا هريرة يشير بإصبعه مرارا ويقول: والذي نفس أبي هريرة بيده، ما شبع رسول اللّه ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله» صحيح البخاري.

وكانت نار إعداد الطعام لا تشعل في بيته ﷺ لشهور. عن عروة بن الزبير عن أم المؤمنين عائشة –رضي اللّه عنها –أنها كانت تقول: «يا بن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول اللّه ﷺ نار، فقلت: يا خالة، ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول اللّه ﷺ جيران من

لقد كان رسول اللّه ﷺ مدرسة في الزهد، عرف حقيقة الدنيا، فعزف عنها وعن متاعها

الأنصار كانت لهم منائح[٣]، وكانوا يمنحون رسول اللّه ﷺ من ألبانهم، فيسقينا»؛ صحيح البخاري.

لكنها لم تكن منح دائمة؛ ففي أحايين كثيرة كان ﷺ لا يجد ما يسد جوعه، فيطوف في طرقات المدينة عله يجد من يطعمه. عن أبى هريرة قال: خرج النبي ﷺ في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر، فقال: ما جاء بك يا أبا بكر؟ فقال: خرجت ألقى رسول اللّه ﷺ أنظر في وجهه وأسلم عليه، فلم يلبث أن جاء عمر، فقال: ما جاء بك يا عمر؟ قال: الجوع يا رسول اللّه، قال، فقال رسول اللّه ﷺ: وأنا قد وجدت بعض ذلك، فانطلقوا إلى منزل أبى الهيثم بن التيهان الأنصاري، وكان رجلا كثير النخل والشاء، ولم يكن له خدم، فلم يجدوه فقالوا لامرأته أين صاحبك؟ فقالت: يستعذب لنا الماء، فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة يزعبها[٤]، فوضعها ثم جاء يلتزم[٥] النبي ﷺ ويفديه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديقته، فبسط لهم بساطا، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقنو فوضعه، فقال النبي ﷺ أفلا تنقيت لنا رطبه، فقال يا رسول اللّه: إني أردت أن تختار...» سنن الترمذي.

لقد كان ﷺ قنوعا باليسير من متاع الدنيا، زاهدا في أبسط النعم، إذا جاع ولم يجد ما يأكله ربط على بطنه حجرا ودعا ربه أن يرزقه بأقل القليل. عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا»[٦]. صحيح مسلم. وكان لا يبقى في بيته من هذا القليل إلا ما يحتاجه، وما فوق الحاجة يتصدق به. عن أنس قال: كان النبي ﷺ لا يدخر شيئا. سنن الترمذي، وما تبقى يجهز به الجيوش. فعن عمر بن الخطاب قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء اللّه على رسوله مما لم يوجف[٧] المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، وكانت لرسول اللّه ﷺ خاصة، وكان ينفق على أهله منها نفقة سنة، وما بقي جعله في الكراع[٨] والسلاح عدة في سبيل اللّه. صحيح البخاري.

لقد كان رسول اللّه ﷺ مدرسة في الزهد، عرف حقيقة الدنيا، فعزف عنها وعن متاعها، وسخر جهده لنعيم الآخرة الدائم الأبدي، وجد في الإعراض طهارة للنفس من دنس السعي خلف ما هو زائل، وفي الترك عبادة ثوابها عن اللّه عظيم، فقاوم شهوات نفسه، وروض ميول قلبه، ففاز بالدنيا وبالآخرة.

الهوامش

١–أدم: جلد مدبوغ.
٢– المسح: كساء خشن من الصوف.
٣– المنائح: الشاة أو الناقة التي بها لبن.
٤– يزعبها: يحملها بصعوبة لامتلائها.
٥– يلتزم: يعانق ويقبل.
٦– قوتا: حاجة اليوم من الطعام.
٧– يوجف: يسرع السير.
٨– الكراع: الدواب الصالحة للحرب.

تحقيق - نادر أبو الفتوح
صحافي مصري



اليوم العالمي للتسامح

يحتفل العالم بيوم التسامح في السادس عشر من نوفمبر كل عام، وجاءت هذه المبادرة الدولية منذ عدة سنوات لمواجهة التعصب والكراهية، بهدف ترسيخ التعايش السلمي وقبول الآخر، الأمر الذي يؤكد أن الشريعة الإسلامية سبقت تلك المبادرات الحديثة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، وجاء الإسلام بهذه المبادئ تجسيدا لكونه الدين الخاتم وإعلاء للأخوة الإنسانية، بهدف أن يعيش الناس جميعا مطمئنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، فقامت مبادئ الشريعة على قواعد خمس وهي حفظ الدين والنفس والمال والعقل والعرض.

علماء دين من جانبهم أكدوا في حديثهم مع «الوعي الإسلامي» أن الدعوات العالمية الحديثة في مجال التسامح استمدت مبادئها من تعاليم الشريعة الإسلامية، الأمر الذي ينفد أكاذيب المغرضين الذي يحاولون دائما تشويه صورة الإسلام، ووجهوا رسالة للمنصفين وأصحاب مبادرات نشر التسامح عالميا بأن يوضحوا للغرب أن الإسلام دين التسامح والبر والرحمة، لأن ذلك ضمانة لتحقيق السلم ونبذ الكراهية، ومواجهة أصحاب الدعوات المغرضة التي تهدف لتنامي الصراع والتعصب.

علماء دين: مبادرات نشر التسامح عالميا استمدت مبادئها من تعاليم الشريعة الإسلامية

التسامح منهج إسلامي

في البداية يقول الدكتور مختار مرزوق عبدالرحيم، عميد كلية أصول الدين السابق جامعة الأزهر في حديثه مع «الوعي الإسلامي»: إن منهج الإسلام قائم على التسامح مع الناس جميعا، ونصوص الشريعة تحث على التسامح وضرورة نبذ العنف والكراهية، والحق

سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨)، وهذه الآية الكريم تجسد عظمة الإسلام، وتمثل دعوة للصفح والعفو والتعامل بالحسنى، لأن الإسلام جعل التسامح من أعلى درجات الإيمان، بهدف أن يعيش الناس في أمن وأمان وطمأنينة، وأن تمتد هذه الحالة إلى العالم أجمع، لأن رسالة الإسلام رسالة عالمية، جاءت بالرحمة والخير للناس جميعا، وينبغي أن نظهر هذا الوجه المشرق للإسلام، ويعرف الجميع في العالم أن هذه هي رسالة الإسلام السمحة، لكون ذلك ضمانة لمواجهة الأكاذيب والافتراءات التي يطلقها أعداء الإسلام، لأن هذه الأكاذيب تؤذي مشاعر المسلمين.

الإسلام ينبذ الكراهية

ومن جانبه يشير الدكتور نبيل السمالوطي، عميد كلية الدراسات الإنسانية الأسبق جامعة الأزهر بالقاهرة في حديثه مع «الوعي الإسلامي»: إن المبادرات الدولية في مجال التسامح جاءت كرد فعل لانتشار موجات التعصب والعنف والكراهية، وإذا كان البعض يرى أن تخصيص يوم للتسامح عالميا يعد إنجازا، فإننا ينبغي أن نوضح أن الشريعة الإسلامية حملت كل معاني التسامح والبر والعفو قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، والحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:٩٠)، كما أن مبادئ الشريعة تقوم على حفظ النفس والدين والمال والعقل والعرض، بهدف أن تعيش الإنسانية في سعادة بعيدا عن التعصب والكراهية والعنف، كما أن الشريعة الإسلامية أوجبت التعامل بأخلاق الإسلام مع الناس جميعا، وشددت على الحفاظ على حقوقهم وعدم ظلمهم، وهذه المعاني تجسد دعوة الإسلام للتسامح لأنه دين السلام والرحمة، ينبذ الكراهية والتعصب ويهدف لتحقيق السعادة للبشرية جمعاء.

رسالة للمنصفين

ومن جانبه يوجه الشيخ عبد الحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر، رسالة للمنصفين الذين يطلقون مبادرات للتسامح والتعايش السلمي عالميا، وطالبهم بأن يذكروا للعالم أجمع أن هذه الدعوات الحديثة استمدت مبادئها وقواعدها من منهج الدين الإسلامي، وأن عليهم أن يذكروا ذلك صراحة في الغرب، لأن أعداء الإسلام دائما ينكرون هذه الحقيقة بل يسعون دائما لتشويه صورة الإسلام ويزعمون أنه دين القتل والإرهاب كذبا وبهتانا، إما عن جهل وإما عن قصد لنشر الأكاذيب والمغالطات، فالإسلام قائم على البر والإحسان وحسن الخلق، ومهما ظهرت دعوات ومبادرات عالمية في مجال التسامح والتعايش السلمي، فإنها لن تصل إلى الحد الذي وصلت إليه تعاليم الشريعة الإسلامية في هذه المجال، وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي الكريم ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (رواه البخاري)، وهذا يؤكد أن التسامح من أعلى القيم والأخلاق التي حث عليها الإسلام.

نبذ الكراهية والتعصب منهج إسلامي لتحقيق السعادة للبشرية جمعاء

وثيقة المدينة نموذجا

ويوضح الشيخ الأطرش أن وثيقة المدينة التي وضعها الرسول الكريم ﷺ هي أول دستور في التاريخ يوجب الالتزام بالتسامح والتعايش السلمي وقبول الآخر المخالف، وهذه الوثيقة مستمدة من الشريعة الإسلامية، وما تضمنته من قواعد تعد نموذجا فريدا، ولم تصل إليها مبادرات أو دعوات حديثة في مجال نشر التسامح ونبذ الكراهية والتعصب، والدعوة للأخوة الإنسانية والتعاون لتحقيق مصلحة الإنسانية جمعاء، ونصوص القرآن الكريم حملت مصطلحات التسامح البر العفو الصفح مرات عديدة، وكلها معاني الرحمة والمودة والإخاء، والسلام هو القاعدة الأساسية في الإسلام، والحرب استثناء وهي حرب للدفاع، والإسلام لم يكن أبدا باحثا عن الحرب، وكان النبي الكريم ﷺ يأمر أصحابه أن لا يبدأوا القوم بقتال حتى يكون العدو هو البادئ بالقتال، والحق سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة:١٩٠)، ومن كل ذلك يتبين بشكل قاطع إن الشريعة الإسلامية سبقت النظم الحديثة في إرساء قيم التسامح والتعايش السلمى، وهذا ما يردده كثير من المنصفين في الغرب، وهذا أبلغ رد على أعداء الإسلام.

السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية





الأسرة.. تحديات التماسك والتواد

على مر الأزمان والأماكن، واختلاف الأجيال والثقافات، تبدو الأسرة قاسما مشتركا بين بني البشر؛ لا تخلو منها أمة، ولا تجهلها حضارة؛ كيف لا، ومنذ أن هبط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض قد تشكلت منهما النواة الأولى للبشرية، والصورة الأولى للأسرة التي عنها تناسل سائر الناس، وتفرعت جميع الأسر.. فالبشرية لم تبدأ «فردا»، تلك كانت مرحلة سابقة على النزول إلى الأرض، وإنما بدأت «أسرة»!

ولهذا، فالأسرة فطرة وركيزة اجتماعية معا؛ فالرجل يميل لشريكته في الأسرة؛ إذ الزوجية قانون الحياة: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات:٤٩)، والمجتمع يتشكل من مجموع عريض من الأسر؛ فالأسرة نواة المجتمع، وركيزته الأساسية.

ولا يخفى أنه كلما كانت الأسرة قوية متماسكة فاعلة، نابضة بالحياة، فياضة بالمودة والرحمة؛ كان ذلك عونا للرجل والمرأة ليقوم كل منهما بوظيفته خير قيام، وعونا للمجتمع ليقوم هو أيضا بوظيفته خير قيام.

وأي محاولة لتجاوز كيان الأسرة، سواء بالهدم ليحل محلها المجتمع في الرعاية والتربية، أو بإيجاد أنواع شاذة ترتكس في وهدة الشهوة، هي محاولة تخالف أصل النشأة التي جعل الله الناس عليها، وتضاد الفطرة

السليمة التي لم يصبها انحراف!

ضرورة الأسرة

وإذا كانت الأسرة على هذا النحو من التناسق مع الفطرة السوية التي لم تتلوث ولم تنحرف، ومن التناغم مع طبيعة المجتمع وتكوينه ووظيفته؛ فإنها حينئذ تكون على مستوى كبير من الأهمية والضرورة.

فأهمية الأسرة وضرورتها تتبدى لنا من عدم استطاعة الرجل والمرأة أن يقوما بوظائفهما إلا من خلال هذا الكيان المتماسك المتناغم المترابط، أي الأسرة؛ فالحياة لا تصلح والناس فرادى لا رباط بينهم.. إن الحياة حينئذ ستنقرض بعد فترة قصيرة، ولن تتتابع الأجيال تحمل راية إعمار الأرض جيلا بعد آخر.. هذا إذا توقف التناسل بتوقف إنشاء كيان الأسرة.

وأما إذا حاول البعض أن يتجاوز هذه «المؤسسة الفطرية»، أي الأسرة، وظن أن الزواج ليس إلا لإفراغ الشهوة، التي يمكن أن تجد طريقها خارج الإطار الفطري الذي يرضاه الله وتستحسنه العقول المستقيمة.. وظن أيضا أن مسألة تربية الأبناء يمكن أن تتوافر لها مؤسسات من المجتمع تغني عن الوظيفة الثانية للأسرة، وهي التربية والرعاية.. فإن هذا الظن هو عين الوهم والخداع والتزييف!

ذلك أن محاولات تجاوز الأسرة، وترك الحبل على غاربه لداعي الشهوة، واتباع غواية الشيطان وحديث النفس الأمارة بالسوء؛ لم ينتج عنها إلا مزيد من الانحلال والتفكك، ولم تعد على المجتمعات التي سلكت ذلك إلا بالسلب والتيه[1]!

إن الكيان الأسري تتعدى فوائده ما هو شائع من الحفاظ على الأعراض وتربية النشء تربية صحيحة، إلى ترسيخ قيم أخرى كثيرة، ليس أقلها تعويد أفراد الأسرة على المسؤولية ومهارات القيادة، وعلى قيم الإيثار والتضحية، وعلى أن المرء لم يخلق لنفسه ولا ينبغي أن يعيش لذاته.. وإنما يحقق ذاته من خلال دور اجتماعي يضطلع به، ومسؤولية ينجح في القيام بها على النحو المرجو.. إضافة إلى إيجاد الدافع للعمل واكتساب المال، وإنفاقه حسب الاحتياجات والأولويات.

وبإيجاز؛ فإن الأسرة توجد للحياة معنى، وتحقق للإنسان ذاته، وتفسح له آفاقا ممتدة من الأمل.

أهداف الأسرة

إذن، الأسرة تهدف أول ما تهدف إلى إيجاد سبيل شرعي فطري، أي يقره الشرع ويوافق الفطرة، لإشباع الشهوة.. وهذا مقصد مهم من مقاصد الزواج، أي الاستعفاف؛ ولا ينبغي التقليل من هذا المقصد تحت دعاوى براقة أو خداعة، مثل الزهد، والإقلال من متاع الدنيا.

والهدف الثاني: تربية النشء تربية صحيحة؛ فلن يجد الطفل مثل حضن أبويه ورعايتهما؛ بل إن تربية الأبناء تعود بالنفع على الآباء أنفسهم، وتمثل لهم ضرورة مثلما هي للأبناء ضرورة! وانظروا إلى الأسر التي حرمت نعمة الذرية كيف تعيش غير سعيدة، وكيف تمضي عليها الأيام في كدر! ولهذا امتن الله على عباده بنعمة الأولاد فقال: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ (الشورى:٤٩-٥٠).

الهدف الثالث: إكساب أفراد الأسرة، من الزوج والزوجة والأبناء، مهارات القيادة وقيم المسؤولية، والخروج بالإنسان من ضيق الذات إلى فضاء المجتمع، ومن الـ«أنا» إلى الـ«نحن».. فالأسرة «مجتمع مصغر»؛ فيه قائد ورعية، ويلزمها التعود على التدبير والتخطيط والتضحية والإيثار والشورى والمبادرة، وكل ما يلزم «الأسرة الكبيرة»/ المجتمع، من قيم ومهارات! ولو اكتسب المرء هذه القيم من خلال «مجتمعه المصغر»/ الأسرة، لسهل عليه أن يلتزم بها وينقاد لها في «أسرته الكبيرة»/ المجتمع.

تميز الإسلام في التأسيس

والإسلام يتميز في تأسيسه الأسرة تميزا لافتا؛ إذ هو لم ينظر للأسرة من حيث التكوين المادي فحسب، علاقة الرجل بالمرأة حسيا؛ وإنما راعى التكوين النفسي والروحي، حين أسسها على المودة والرحمة؛ بل جعل ذلك هو الأساس الذي ينصلح به التكوين المادي. فماذا يتبقى من الأسرة إن نزعت منها المودة والرحمة غير بناء مهلهل!

فقال سبحانه في معرض الامتنان على عباده: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١). فمن تمام رحمة الله

تعالى ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة: وهي المحبة، ورحمة: وهي الرأفة[٢].

كما أن الإسلام شرع جملة من التوجيهات والآداب قبل تكوين الأسرة وبعدها، من شأنها أن تحافظ على هذا الكيان مترابطا متماسكا، وتجعله فاعلا في الحياة، ناشرا الخير والمعروف.. فندب إلى حسن اختيار الزوجة طبقا لمعيار الدين والخلق، وحافظ على الطفل وهو جنين لم يخرج للحياة بعد، وأمر بتربيته تربية حسنة، ورصد الأجر لحسن القيام على أمر الزوجة والأبناء.. حتى في التأديب جعل آدابا ينبغي الالتزام بها، لكي يؤدي التأديب الهدف منه، ولا ينقلب إلى نوع من القسوة وإهانة كرامة الإنسان..

وجاءت سيرة النبي ﷺ مع أزواجه لتقيم النموذج العملي في رعاية الأسرة والقيام على ما يصلحها، وتأسيسها على المودة والرحمة والتفاهم والتكامل؛ حتى في خدمة أهل البيت، مما يأنف عنه الرجال عادة، كان ﷺ مشاركا لأهل بيته فيما يحتاجون؛ فحين سئلت السيدة عائشة: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله (تعني خدمة أهله) فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»[٣]. فضلا عن الحرص على إدخال السرور عليهم[٤]، والتجاوز عن الهفوات[٥]، والوفاء لذكراهم بعد الرحيل[٦].

تحديات الأسرة

لا شك أن الأسرة تواجه تحديات جساما تتناسب مع أهميتها وخطورة وعظم المسؤوليات والآمال المعلقة عليها؛ فكلما كان الأمر عظيما كانت تحدياته على قدر ذلك! وهذه التحديات يكون منها ما هو قبل الزواج، وما هو بعده.

- تحديات ما قبل الزواج: فقبل الزواج هناك تحدي إحسان الاختيار وعدم الانسياق لمظاهر خادعة غير دالة على الجوهر؛ من حيث التكوين الخلقي والنفسي، الذي أساسه الدين والقيم والبيئة الجيدة؛ مما نجده في السنة النبوية فيما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، وحسبها، ودينها، وجمالها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك»[٧]. ونجده في هذا التحذير: «إياكم وخضراء الدمن. فقيل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء»[٨].

وهذا يلفت الأنظار إلى أهمية عقد دورات تدريبية على كيفية اختيار شريك الحياة، والمواصفات التي ينبغي توافرها، وكيفية استطلاع القيم والعادات المشتركة التي يمكن أن نستشف من خلالها وجود مساحة جيدة للتفاهم يمكن البناء عليها.

فللأسف، يغيب هذا الوعي عن شبابنا قبل الزواج، لنفاجأ بأن التركيز يكون على زاوية واحدة، هي الشكل والمظهر، بينما يغيب الانتباه لما هو أكثر أهمية، أي الجوهر!

وقد تكون ضغوطات الحياة دافعا للسير في ترجيح معايير معينة عند الاختيار، تتصل بالشكل أو الوضع المادي.. ثم نصحو بعد ذلك على مشكلات لا حصر لها، وعلى اكتشاف غياب التفاهم وعدم وجود مساحة مشتركة!

- تحديات ما بعد الزواج: وأما بعد الزواج فالتحديات كثيرة ومتنوعة، أهمها: استدامة المودة، وتحديات اقتصادية، واجتماعية، وثقافية.

- استدامة المودة: فإذا كانت المودة والرحمة منهج الأسرة، وسياج الحفاظ عليها من عوامل الفتور والشقاق؛ فإن المطلوب أن يكون الزوجان على إدراك بأهمية استدامة هذه المودة والرحمة؛ سواء من حيث التخلق بأخلاق الرحمة والصفح والعفو، والتحلي بالأدب وحفظ اللسان وكتمان السر واحترام المقام ومراعاة الخاطر.. أو من حيث معرفة مهارات الحياة الزوجية التي تستبقي المشاعر الجياشة والحب المتوهج..

فالحياة بتقلباتها وانشغالاتها قد تنسي الزوجين أن يهتما بهذا الجانب؛ مما تنتج عنه مشكلات لاحقة وقد لا يعرف سببها؛ بينما الحقيقة هي أن خفوت داعي المودة والرحمة، وإهمال العناية بذلك، هو السبب؛ لأنه الأساس الذي تقوم عليه الحياة الأسرية.

- تحديات اقتصادية: الأسرة عليها أعباء مالية تزداد مع تتالي الأيام وإنجاب الأبناء؛ وعلى الزوجين أن يوفقا بين الدخل والإنفاق، وأن يرتبا الأولويات والحاجات تبعا لذلك، وأن يحذرا من تراكم الأعباء الاقتصادية، فإن ذلك يدفع للاستدانة ويحمل الأسرة أكثر من طاقتها، وتكون له آثار على الاستقرار والهدوء اللازمين لحياة أسرية ناجحة مطمئنة.

وإدارة شؤون الأسرة اقتصاديا لها مهارات، يمكن تعلم أساسياتها من خلال دورات ما قبل الزواج، بجانب التعلم من التجارب والأخطاء بعد الزواج.. المهم ألا يغيب عن بال

الزوجين ضبط هذا الأمر؛ لترشيد النفقات، وتجنب مضاعفات الديون.
- تحديات اجتماعية: لا تعيش الأسرة في جزيرة منعزلة، وإنما هي جزء من كل، ووحدة من وحدات المجتمع. وإدارة العلاقة مع مكونات المجتمع لها فنون ومهارات، على الزوجين معرفتها؛ حتى ينسجما مع المحيط الاجتماعي ويشاركا فيه بفاعلية، ولا يشعرا بالغربة أو الانطواء أو الضغط النفسي.
فعليهما معرفة كيف يتواصلان مع الأهل والأقارب والجيران، وما حدود التقارب أو التباعد، وما واجبهما في المناسبات الاجتماعية المتنوعة، وكيف يمكن أن يشاركا في عمل تطوعي. وليعلما أن هذا الدور الاجتماعي الناجح سيعود بالإيجاب على علاقتهما داخل الأسرة؛ لأن الحياة الأسرية الناجحة ليست علاقة بين فردين منقطعين، وإنما هي علاقة بين أسرتين وعائلتين، ضمن تفاعل اجتماعي صحي.
- تحديات ثقافية: وأعني بها معرفة القيم التي يجب أن تترسخ داخل الأسرة، سواء بين الزوجين أو عند الأولاد؛ فالأسرة محضن تربوي بالأساس.. وأيضا معرفة التحديات التي تطرح لزعزعة استقرار الأسرة، وإضعاف الترابط بين الزوجين من خلال العبث بمفاهيم القوامة وتكامل الأدوار ووظيفة كل من الرجل والمرأة؛ وكذلك ما يواجه الأبناء من تحديات وأفكار، لاسيما مع سهولة الوصول إليهم، وتقديم محتويات جذابة تسيطر على اهتماماتهم؛ فقد أصبح الهاتف في يد كل ابن نافذة له على العالم بلا قيد! وإن لم يترافق مع ذلك- بل يسبقه- توعية وانتباه، سيكون من السهل أن يقع الابن فريسة لمفاهيم مغلوطة أو لتصرفات خاطئة، ليس أقلها ما نسمعه عن ألعاب تقوم على فكرة التحدي، وتنتهي بحركات خطيرة تودي بحياة البعض، فضلا عن احتواء بعض هذه الألعاب على أفكار وتصرفات مخالفة للقيم الإسلامية، مثل السجود لصنم داخل اللعبة!
بهذا يتضح لنا أن الأسرة كيان مهم جدا، له دور أساسي في تلبية أشواق الإنسان وتربيته تربية متكاملة، بجانب تهيئته اجتماعيا وإكسابه القيم والمهارات للنجاح في الحياة والتفاعل مع الآخرين.. كما يتضح أن ثمة تحديات كثيرة تواجهها الأسرة، علينا الانتباه لها ومعالجتها بشيء من الحكمة والوعي؛ حتى نحافظ على الكيان الأسري، ونحقق له ما يلزم من التماسك والتواد والتراحم والسكن.

الهوامش

١ - قال هاري بنسون (مدير الاتصالات بمؤسسة الزواج البريطانية): إن الإحصاءات تظهر أعراض «وباء مروع هو التفكك الأسري». وأضاف: «تدلل آخر البيانات الخاصة بالمملكة المتحدة أن (٤٥٠) طفلا من كل (١٠٠٠) ينفصل آباؤهم، قبل أن يبلغوا السادسة عشرة». وأشار إلى أن التفكك الأسري يكلف الحكومة البريطانية (٤٤) مليار جنيه إسترليني كل عام. انظر: تقرير على موقع «بي بي سي» عربي، بتاريخ: ٢٩ ديسمبر ٢٠١٢م. ومن قبل حذر مفكرون غربيون كثيرون من انحلال الأسرة، مثل عالم الاجتماع بتريم أ.سوروكين، الذي أصدر كتابه المهم: «المحركات الاجتماعية والثقافية»، عام: ١٩٣٧م، وفيه حذر من أن «الأسرة بوصفها اتحادا مقدسا بين زوج وزوجة وآباء وأطفال ستواصل التفسخ، وسوف تتضاعف حالات الانفصال والطلاق حتى يختفي أي اختلاف معترف به بين الزواج والعلاقة الجنسية المحظورة، وسوف ينفصل الأطفال عن آبائهم في أعمار مبكرة جدا، وسوف يصبح البيت بالكاد مجرد سكن ليلي». نقلا عن: «رؤية الفوضى- استطلاعات عن انحسار الحضارة الغربية»، «ب.ج.براندر»، ص: (٤٥٣، ٤٥٤) ترجمة: هاشم أحمد محمد، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٦م.

٢ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٠٩/٦.

٣ - رواه البخاري عن الأسود، حديث رقم: (٦٧٦).

٤ - كما في القصة المعروفة عن تسابقه ﷺ مع السيدة عائشة.

٥ - فقد أنكر عمر بن الخطاب على زوجته أن تراجعه، فقالت له: ولم تنكر أن أراجعك؛ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ٤٩٣/٩، حديث رقم: (٤١٨٧).

٦ - كما في وفائه ﷺ للسيدة خديجة، بإكرامه صديقاتها بعد وفاتها؛ فعن السيدة عائشة، رضي الله عنها، قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ، ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة. أخرجه البخاري (٣٨١٨)، ومسلم (٢٤٣٥).

٧ - أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

٨ - قال العراقي في تخريج «الإحياء»: رواه الدارقطني في الأفراد، والرامهرمزي في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري. قال الدارقطني: تفرد به الواقدي وهو ضعيف. إحياء علوم الدين، ٤١/٢.

د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه والأصول



دور الفقه في حفظ الأسرة وتماسكها

أولت الشرائع السماوية الأسرة عناية فائقة، لكن كانت عناية الإسلام بالأسرة كنواة للمجتمع أكثر عناية واهتماما؛ من جهة وضع مبادئ للتأسيس في مرحلة الاختيار، ومبادئ لسير الحياة الأسرية حتى تحقق المقاصد التي شرعت من أجلها، وكذلك من جهة مبادئ إصلاح الخلل الذي قد ينشأ في الأسرة، والمبادئ التي تنظم إنهاء العلاقة الزوجية، إن كانت المصلحة في إنهائها. وعلى هذا، فقد جاءت عناية الإسلام بالحياة الزوجية والأسرة عناية من الابتداء، وقصد الاستمرار، وكذلك الانتهاء عند الحاجة والضرورة.

خريطة الأسرة في الفقه الإسلامي

والمتتبع للحديث عن الأسرة والحياة الزوجية في الفقه الإسلامي سيجد أنها احتلت مكانة عظمى ومساحة واسعة من الحديث عن الأحكام الفقهية المنظمة لتلك الحياة، وبناء تلك الأسرة والحفاظ عليها، فجاء حديث الفقهاء عن مشروعية الزواج وبناء الأسرة في المجتمع، وبيان الحكم والمقاصد منها؛ حتى تكون بمنزلة الأهداف التي يجتمع الشركاء من الزوجين والأولاد فيها، لأجل تحقيقها، كما جاء بالترغيب في تكوين الأسرة وحث أفراده عليها. كما أوضح الفقهاء أنواع الأنكحة مقارنة بالنظم الأخرى، سواء في الجاهلية القديمة، أو الجاهلية المعاصرة، كما أوضح الفقهاء أسس اختيار الزوجين، وبيان أحكام الخطبة، وتحدثوا عن أركان النكاح من الصيغة والعاقدين والولي، وبيان شروط انعقاد النكاح من: «أهلية التعاقد في النكاح، اتحاد مجلس الإيجاب والقبول، وموافقة القبول الإيجاب، وألا تكون المرأة محرمة على العاقد، الولي -عند من يراه شرط انعقاد، وإعلان النكاح»، وكذلك شروط الصحة من: «المهر، وخلو الزوجين من العيوب المستحكمة، وخلو العقد من التغرير والتخيير». كما تكلم الفقهاء عن

الشـروط التي تدخل عقد النكاح، وبينوا آداب العقد وآداب الزفاف، وأثـر اخـتـلاف الـعـقـيـدة فـي عقد النكاح، كما تكلموا عن أنواع الفرقة من الخلع والطلاق والرجعة والإيلاء والظهار واللعان، والعدة، كما تكلموا عن أحكام الحقوق والواجبات سواء تعلقت بالأولاد والزوجة من الرضاع، والنفقة والحضانة، أو حتى الجانب المالي من الميراث والوصية، وغيرها مما عرف بفقه الأحوال الشخصية.

وتلك الخريطة الفقهية تبين لنا أهمية الأسرة وبيان أن الإسلام جاء بدستور شامل مفصل ينظم أمور الأسـرة إنشاء واستمرارا وانتهاء، بل وحتى العلاقة بعد موت أحد الشركاء فيها.

تكوين الأسرة من مقاصد الشريعة

وقد جاء في الشريعة ما بين أهمية تكوين الأسـرة وتوضيح مقاصد الشريعة من تكوينها، ويأتي تكوين الأسـرة ذاتها من أوائل مقاصد الشـريعة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ (النحل:٧٢)، فنص القرآن الكريم أن من النعم على العباد أن يكون للرجل زوجة، وأن يكون للمرأة زوج، وأن يكون لهما أبناء وأحفاد، وهو ما يعرف في علم النفس بـ«الأسرة الممتدة»، بل يظهر مقصد تكوين الأسرة من كونه سنة اجتماعية من سنن الله تعالى في الأنبياء السابقين والأمم قبل أمة محمد ﷺ، فهي سنة اجتماعية مستقرة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗ ﴾ (الرعد:٣٨)، فبهذا يبين أن تكوين الأسرة في المجتمع مما قصد الشارع إقامته وحث عليه، ووضع القواعد المنظمة والآداب المرعية والوسائل الشرعية التي تحقق ذلك المقصد.

وفي بيان تحقيق مقصد الأسـرة، جاءت نصوص السنة النبوية أيضا، من ذلك ما رواه معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: لا. ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم» (أخرجه أبو داود والنسائي). فمع كون الزواج من امرأة مسلمة جميلة وذات حسب جائز شرعا، إلا أن النبي ﷺ حث على الزواج من المرأة التي تلد؛ لاستمرار النوع الإنساني ولقصد الإنجاب الذي هو مقصد من مقاصد النكاح من جهة، ووسيلة لتحقيق مفهوم الأسرة التي هي أكبر من الزواج، ولا يعني هذا تحريم الزواج ممن لا تلد، فالزواج منها جائز، على أن القصد من الحديث الإشارة إلى أهمية تكوين الأسـرة التي تتكون من الزوجين والأولاد والأحفاد؛ ليكون تحقيق مقصد الأسرة مستديما مستمرا.

وكان الحث على الزواج من وسائل تحقيق مقصد تكوين الأسـرة، وقد فهم الصحابة أهميتها، وكونها مقصدا شرعيا، ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: قال لي ابن عباس، رضي الله عنهما: «هل تزوجت؟ قلت: لا. قال: تزوج، فإن خير هذه الأمة كان أكثرهم نساء» (يعني رسول الله ﷺ).

العوامل الفقهية في حفظ الأسرة وتماسكها

والمتتبع للأحكام الفقهية التي تتعلق بالأسرة ليجد أن غالب هذه الأحكام تساهم في حفظ الأسرة؛ سواء من جانب الوجود والتحقيق؛ من خلال مشروعية الـزواج، أو حفظها من جانب العدم، وهو تحريم الطلاق إلا لضرورة أو حاجة، كما ورد عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق، من غير بأس: فحرام عليها رائحة الجنة» (أخرجه أبو داود والترمذي).

وما ذكره الفقهاء في أبواب أحكام الأسـرة من مسائل فقهية؛ يلاحظ أن غالبها تحمل في طياتها وسائل حماية الأسرة من الانهدام، ورعايتها للاستمرار، وبيان ذلك ما يلي:

الخطبة

شـرع الله سبحانه الخطبة بين الرجل والمرأة (حماية استباقية)، وذلك أن عدم التعارف بين الخاطبين يعد مؤشرا – في الغالب– لتعرض الأسـرة للانهيار وإنهاء الحياة الزوجية، وما يترتب على ذلك من مفاسد على الرجل والمرأة وعلى الأولاد، وهي آثار سلبية لها أخطار وأضرار، وصيانة للأسـرة من أن تتعرض مستقبلا لتلك الهزات التي تعصف بها، أو تجعل الحياة كدرا ونكدا، يتصبر فيه كل من الزوجين في حياة غير مرغوب فيها، حث النبي ﷺ على الخطبة، ورفض أن يتزوج الرجل المرأة من دون أن يراها ويجلس معها ويتناقش معها؛ حتى يتعرف كل منهما على الآخر؛ تمهيدا لاتخاذ قرار الزواج أو العدول عنه، وفي اتخاذ قرار الزواج تحقيق لمقصد تكوين الحياة الزوجية، وفي العدول عنه صيانة من الوقوع في

الأضرار، فإن الإسلام لا يهدف إلى بناء أسر هشة ضعيفة لا قيمة لها، ضررها أكبر من نفعها، ويدل على ذلك ما ورد عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه خطب امرأة، فقال له النبي ﷺ: «انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» (أخرجه الترمذي والنسائي، وعند النسائي: «فإنه أجدر»). فأبان النبي ﷺ أن مشروعية الخطبة هي استمرار الحياة الزوجية ودوامها. قال التوربشتي في «الميسر في شرح مصابيح السنة» (٣:٧٤١) في شرح الحديث: «يعني أن يكون بينكما المحبة والاتفاق». والمحبة والاتفاق من أسس تماسك الأسرة واستمرارها وبقائها على الوجه الذي شرعت من أجله.

إجراء عقد النكاح

وفي اتخاذ قرار الرجل الإقدام على الزواج، وتأكيده بإجراء عقد النكاح دليل على صدق نيته، وتحقيق واقعي لإنشاء الأسرة، ورغبة في بقائها واستمرارها والحفاظ عليها، وتوثيق لعظم هذا العقد، كما قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ (النساء:٢١).

الحقوق والواجبات

كما أن الأحكام الفقهية التي تتعلق بالحقوق والواجبات، هي وسائل لتحقيق الاستدامة والتماسك الأسرى، فالزواج شركة اجتماعية، فيها شركاء، وعلى كل شريك عدد من الواجبات، وله عدد من الحقوق، وهذا هو الحد الأدنى الذي يحفظ للأسرة تماسكها واستمرارها، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة:٢٢٨)، وساوى النبي ﷺ بين الرجل والمرأة في المسؤولية، لأنها شراكة اجتماعية بينهما، كما في الحديث الذي أخرجه الشيخان عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الأمير الذي على الناس، والرجل على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها، وولده، وهي مسؤولة عنهم». قال ابن قدامة في «المغني» (١٨/٧): «قال بعض أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ التماثل هاهنا في تأدية كل واحد منهما ما عليه من الحق لصاحبه، ولا يمطله به». وقد قسم الفقهاء الحقوق والواجبات بين الزوجين إلى ثلاثة أنواع: حقوق خاصة بالزوج، وحقوق خاصة بالزوجة، وحقوق مشتركة بينهما. على أن الحياة الزوجية لا تستقيم بالحقوق والواجبات فقط، بل تكون أكثر تماسكا حين يتعامل كل منهما مع الآخر من باب الفضل والتفضل، والتغافل عن الهفوات، وأن ينظر كل منهما إلى البذل من جهته قبل العطاء، فإن كان هذا توجها من كلا الطرفين؛ كانت الأسرة أكثر تماسكا.

العشرة بالمعروف بين الزوجين

ومن وسائل حفظ استقرار الأسرة وتماسكها ما حث عليه الشارع على العشرة بالمعروف بين الزوجين، كما قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء:١٩). وقد جعل فقهاء المالكية العشرة بالمعروف من الواجبات الدينية بين الزوجين، فهي واجبة ديانة لا قضاء. قال الإمام الكاساني (من فقهاء الحنفية) في «بدائع الصنائع» (٢/٣٣٤): «من أحكام النكاح الصحيح المعاشرة بالمعروف، وأنه مندوب إليه ومستحب.. وكذلك من جانبها هي مندوبة إلى المعاشرة الجميلة مع زوجها». وقال الفقيه المالكي ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣٦٣/١): «أي العشرة بالمعروف واجب على الزوج ولا يلزمه ذلك في القضاء إلا أن يجري الناس في ذلك على سوء عادتهم، فيشترطونه ويربطونه بيمين».

ومن أنفس ما قيل في العشرة بين الزوجين ما قاله الجصاص (من فقهاء الحنفية) في «أحكام القرآن» (١٣٢/٢): «ومن المعروف أن يوفيها حقها من المهر والنفقة والقسم، وترك أذاها بالكلام الغليظ، والإعراض عنها، والميل إلى غيرها، وترك العبوس والقطوب في وجهها بغير ذنب».

فقه الصلح والنشوز

ومن وسائل حفظ الأسرة وتماسكها ما أورده الفقهاء من حرمة نشوز المرأة، وحرمة نشوز الزوج، وهو حفظ لتماسك الأسرة من جانب العدم، ويلاحظ أن النشوز ينسب إلى الزوجين، فيقال: نشوز المرأة، ونشوز الرجل. وقد حثت الشريعة على الصلح بين الزوجين، وعلاج الخلل الناشئ عن ذلك النشوز من أحد الطرفين أو كليهما، وجاءت الشريعة في هذا المقام مستعملة وسيلتين عظيمتين، هما: الترغيب والترهيب. وقد أقر الإسلام مشروعية الصلح بين الزوجين، ووعد بتحققه عند صدق النوايا من

الـزوجين والحكمين، كما فـي قوله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء:٣٥).

وفي خطاب الزوجة أخرج مسلم عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك»، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ (النساء:٣٤).

وفـي نشوز الـزوج، قـال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء:١٢٨).

الفرقة والطلاق

كما كـان فقه الطـلاق والـفـرقـة بين الزوجين وما ورد في ذلك من أحكام فقهية، هو في حقيقته إما أن يرمي إلى الحفاظ على الأسرة وتماسكها، أو إنهائها على الـوجـه الـذي يمنع الـضـرر على الجـانـبـين، وقـد قـررت القاعدة القرآنية ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ (البقرة:٢٢٩).

ومـن أعجب ما ورد في أحكام فقه الطلاق أنها ترمي إلى الحفاظ على الأسرة وتماسكها، ولو طبق المسلمون فقه الطلاق لقلت نسبة الطلاق بين الـزوجـين، ولحفظت الأسـرة، وبيان ذلك ما يلي:

الترهيب مـن الـطـلاق، وجعله غير مرغوب فيه، بل قد يكون حراما؛ يأثم الرجل بفعله، وتأثم المرأة بطلبه.

- ألا يطلق الرجل زوجته وهي حائض، أو في طهر جامعها فيه؛ لأن العادة ألا يكون مرغوبا في المرأة في هذه الحال عند بعض الناس.

- ومنها: النهي عـن الـطـلاق ثلاثا، بـل يـكـون طـلـقـة واحـــدة، ولـهـذا قـال الله تـعـالـى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ (البقرة:٢٢٩)، يعني أن الطلاق مرة بعد مـرة، فيطلق الرجل زوجـتـه، ثم يراجعها.

- الحث على المراجعة بعد الطلاق، والـصـبـر عـلـى الأذى وتحـمـل مـا لا يحمده الرجل من امرأته، كما روى أبو هريرة ﵁ (عند مسلم): أن رسول الله ﷺ قال: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا، رضي منها آخر».

- إذا طلق الرجل زوجته، فيجب ألا يـخـرج الـرجـل زوجـتـه مـن بيته، ولا تخرج المرأة من بيت زوجها، بل تبقى فيه حـال الـعـدة، لأن بقاء الزوجين حـال الـطـلاق وقـت الـعـدة فـي بيت واحـــد، يـكـون فـرصـة لـلـتـراجـع ورد الرجل زوجته إليه، ربـمـا كـان اتخاذ قرار الطلاق خطأ يتدارك، فإن بقيت الزوجة في بيت زوجها وقت العدة، ولـم يفكر الرجل في إرجـاع زوجته، فـهـذا مـؤشـر إلـى اسـتـحـالـة الحياة الزوجية بينهما، ودليل على صواب قرار الطلاق، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ (الـطـلاق:١)، أمـا إخراجها أو خروجها من بيت الزوجية، ففيه فتح لباب الشيطان، والخصومة التي لا يفكر معها في الرجوع، لهذا نهي عن إخراجها وخروجها، فالإنسان قد يتغير تفكيره، فلا تكون هناك عجلة في إخراج المرأة من بيتها، ولا أن تصر هي على الخروج كما هو حال كثير من النساء، ادعاء الحفاظ على كرامتها؛ فالشيطان يـوسـوس لكلا الـزوجـين لإنهاء الحياة الزوجية، ولكن المرء قد يفيء من خطئه.

تربية الأولاد

ومن أهم وسائل حفظ البيت وتماسك الأسـرة وجـود الأبـنـاء والـشـراكـة في تربيتهم، فقد يتحمل الرجل زوجته لأجـل أبنائهما، وقـد تتحمل المـرأة زوجـهـا لأجـل أبـنـائـهـا، فـكـان وجـود الأولاد بـركـة عـلـى الـزوجـين وبـركـة على البيت كله، وسببا مـن أسباب الدوام والبقاء والتماسك والاستمرار، ذلـك أن الله تعالى فطر فـي قلوب الأبـويـن محبة الأبـنـاء، وهــي محبة غير مكتسبة، بل محبة جبل الأبوان عليها، وهـي مـوجـودة فـي كل الآبـاء والأمهات، بعيدا عن معتقدهم، وجاء الإسـلام ليزيد ذلـك الأمـر، ويجعل الأبناء زينة الحياة مع المال، كما قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الكهف:٤٦)، وقد جعل الله تعالى الـولـد الـصـالـح مـن الباقيات الـصـالـحـات، كما فـي حـديـث مسلم وأصحاب السنن: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا مـن ثـلاثـة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».



القاهرة - إسلام لطفي
دار الإعلام العربية

تماسك الأسرة

المجتمع المسلم لبنات متراصة يعضد بعضها بعضا، نواتها العلاقة الزوجية الناجحة بين الطرفين. ويتحقق التماسك الأسري بالاختيار الصحيح لطرفي الزواج، والتوافق بين الزوجين، والاحترام المتبادل، وقيام كل منهما بدوره تجاه الأسرة.. وحث الشريعة الإسلامية على الترابط بين أفراد الأسرة باعتبارها أساس المجتمع، والخلية الأولى في تكوينه.

الدكتور عبدالفتاح العواري، عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، يؤكد أن الشريعة الإسلامية حرصت على تعزيز التماسك الأسري، وأحاطت ذلك بسياج منيع، خصوصا أن التماسك والترابط بين أفراد الأسرة الواحدة يمثلان لبنة كبيرة في بناء الدولة والوطن.

مسؤولية مشتركة

وأوضح الدكتور العواري أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فيهما كثير من النصوص التي تبين مكانة الرجل كرب للأسرة يتحمل المسؤولية كاملة نحو زوجته وأولاده،

د. العواري: شريعتنا الإسلامية جعلت حماية الأسرة مسؤولية مشتركة

وأيضا تحث الزوجة على أن تتحمل مسؤولياتها تجاه أولادها وزوجها وماله وعرضه، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته» (متفق عليه).

وأضاف أن من يفرط في واجباته نحو أسرته من كلا الطرفين يكون آثما، وفي الحديث: «إن الله سائل

كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» (أخرجه النسائي في الصحيح، وابن حبان في صحيحه).

وأشار إلى أن رعاية الأسرة وحمايتها من التفكك والانهيار مسؤولية دينية شرعية وواجب مقدس لا تفريط فيه، ومن يفرط فيه من كلا الطرفين يبوء بإثم تفريقه. فقد أوجب الشرع الحنيف واجبات على الرجل والمرأة، حيث قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة:٢٢٨).

وتابع: كثير من الآيات والأحاديث واضحة في دلالتها ما يجب على الرجل نحو المرأة، وما يجب على المرأة نحو الرجل، فنساء النبي ﷺ حينما قمن بتظاهرة عليه للمطالبة بزيادة نفقاتهن، فقال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم:٤)، وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ (الأحزاب:٢٨-٢٩)، حتى تتماسك الأسرة وتنشئ جيلا صالحا وأفرادا مترابطين متماسكين، وإن من يتخلى عن دوره فقد يخرج أولاده إلى المجتمع كقنابل موقوتة، تهدم ولا

د. إبراهيم البيومي: تأثير سلبي للإعلام والدراما والظروف الاقتصادية

تبني، تخرب ولا تعمر.

واستكمل: كما حددت الشريعة الإسلامية علاقة الأبناء بالآباء والأمهات، لأن الفطرة السليمة عند الآبوين جعلت العاطفة لديهم جياشة، لكن جاءت الوصية للأبناء تجاه الآباء والأمهات، حيث قال الله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ (لقمان:١٤).

كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف:١٥).

وقال تعالى أيضا موصيا الأبناء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء:٢٣)، حيث قرن الله تعالى الإحسان للوالدين بالتوحيد.

د. الحديدي: الأسرة نواة المجتمع وركنه الركين

نسيج المجتمع

وقال د. أسامة الحديدي، مدير مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية، ومدير وحدة لم الشمل بالأزهر إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكرمه واصطفاه على الخلق، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠).

وأضاف أن من مقاصد الشريعة الإسلامية أن نحافظ على النسل، وهذا لا يأتي إلا من خلال أسرة مستقرة ومستقيمة، استقامت لها أسباب الحياة بناء على هذا التسخير الرباني، استقامت هي في حياتها حتى استقرت لها الحياة واستقر لها الكون.

وقد أمرنا النبي الكريم ﷺ بالمحافظة على هذا النسيج لأن الأسرة هي نواة المجتمع وركنه الركين، وحجر الزاوية في المجتمعات كلها.

فإذا كانت هناك أسرة مستقرة كانت هناك مجتمعات آمنة وناجحة، وفق ما لفت مدير وحدة لم الشمل، مؤكدا أن الله تعالى بيّن الترابط والتماسك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا

﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١). وهذه الآيات توضح أن هذا السكن هو الدافع إلى الترابط والتماسك الأسري، والمودة والرحمة هما السكن الذي نتحدث عنه.

وأشار إلى أن العنف في المعاملة بين أفراد الأسرة ينتج عنه الكثير من المشكلات، أولها الجريمة الأسرية، وانحراف الأبناء، والتفكك الأسري، لذلك يجب أن ترسخ في الأذهان الفكرة السليمة التي يجب أن تعمل الأسرة من خلالها حتى يتحقق لها استقرارها، ويحقق أمنها وأمانها وسلامها النفسي وتسامحها الداخلي، حتى ينعم الأبناء بحياة هانئة بعيدا عن التشويش الفكري والعقلي الذي يحول بينهم وبين تحصيل أفكارهم النافعة.

وشدد الحديدي على ضرورة أن يقوم كل من الآباء والأمهات والأبناء بدورهم من حقوق وواجبات حتى يتحقق الترابط المطلوب لهذه الأسرة، ونقتدي بالرسول الكريم ﷺ في معاملاته مع أبنائه وزوجاته.

البوصلة غائبة

وفي سياق متصل، قال الدكتور إبراهيم البيومي، أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومي المصري للبحوث الاجتماعية والجنائية إن الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمعات، مؤكدا أن الدراسات الاجتماعية أثبتت خلال الثلاثين عاما الماضية أن الأسرة تتعرض للتفسخ والضعف وتدهور الترابط داخل الوحدة الأسرية ذاتها.

وليد عبدالمقصود: الأسرة مستهدفة ويجب حمايتها وإعادة الاعتبار إليها

وأوضح أن الظروف الاقتصادية هي العامل الأول في الانهيار الأسري، حيث إن أغلب حالات الطلاق والجريمة داخل الأسرة كان سببها العامل الاقتصادي، مؤكدا أن ضعف التنشئة والتربية للأسرة يعد من العوامل الأخرى التي تتسبب في هذا الانهيار.

وأكد أن الأجهزة المعنية بشؤون التربية والتنشئة والثقافة والإعلام في كثير من المجتمعات العربية تعمل عكس وظيفتها، حيث تسهم في إضعاف الأسرة وتفكيكها وليس في تقويتها وتعزيزها وتماسكها، فنجد الإعلام يركز على نشر الحوادث التي تعمل على الانهيار الأسري والتفكك، بهدف الإثارة، ورفع نسبة المشاهدات، وهذا الأمر ينشر الجريمة ويكررها، وهناك أدبيات غائبة فنشر قصص الجرائم يجب أن يتم بشكل معين وطريقة محددة، تحت ميثاق أخلاقي للنشر بشكل عام، والجريمة الأسرية بشكل خاص، حتى لا تكون مدرسة لصغار المجرمين.

د. علاء الغندور: دور محوري للأم في حماية الأسرة وتماسكها

وأشار إلى أن المادة الدرامية المطروحة حاليا في غالبية الأعمال الفنية من مسلسلات وأفلام تهدم بنيان الأسرة وتعزز الانفلات الأخلاقي، ويغيب عن معظمها القيام بتوصيل رسالة هادفة لمصلحة المجتمع، خصوصا على المستوى الاجتماعي، مشددا على ضرورة تضافر الجهود في حل الأزمات الاقتصادية، إلى جانب تدعيم الرسالة التربوية والتنشئة الأخلاقية والقدوات السلوكية، بالإضافة إلى مراقبة المواد الفنية التي تقدم للجمهور.

وسائل «الخراب الاجتماعي»!

إلى ذلك، أكد وليد عبدالمقصود مسؤول حملة «معا لإنقاذ الأسرة»، أن هناك غيابا للتماسك الأسري في ظل وجود وسائل التواصل الاجتماعي، التي جعلت كل فرد من أفراد الأسرة بمعزل عن الآخر، وأصبحت الأسرة متواجدة ظاهريا، وفي الحقيقة كل فرد يعيش في عالمه الافتراضي، واصفا إياها بوسائل «الخراب الاجتماعي»!

وأوضح أن تدخل الأطراف الخارجية والخرس الزوجي ساهما بشكل كبير في التفكك الأسري في ظل غياب المحبة والرحمة والمودة، مؤكدا أن سوء الاختيار نتيجة لمعايير غير صحيحة، وغياب القيم، وانتشار المواد المخدرة من أبرز التحديات التي تواجه الأسرة العربية أيضا.

وشدد على ضرورة الابتعاد عن إدمان وسائل التواصل الافتراضي، بوضع روشتة علاج تتضافر فيها الحكومات العربية ووسائل الإعلام المختلفة، إلى جانب ضرورة تدريس مادة «التربية



الأسرية» على مستوى العالم العربي في جميع مراحل التعليم، تحت إشراف علماء الدين وخبراء النفس والاجتماع والأسرة، بالإضافة إلى ضرورة وضع دورات إلزامية للمقبلين على الزواج في المراكز النفسية والاجتماعية والأسرية، مع الحاجة إلى توعية إعلامية لتغيير فكرة المراكز النفسية في الأذهان لدى المجتمعات العربية كونها أصحبت إحدى وسائل تحضر الأمم، حتى يعود التماسك الأسري كما كان موجودا في السابق، مع ضرورة وضع حلول جذرية للجريمة الأسرية، والدراما التي تحتوي على العديد من مشاهد العنف ضد المرأة والبلطجة والدعارة والأغاني والتي تنعكس سلبا على الأسرة، بالإضافة إلى التطبيقات المشبوهة مثل التيك توك وخلافه التي تسببت في الانهيار الأسري، لذلك فإننا بحاجة إلى جهود كبيرة لاجتياز هذه الأزمة.

خطر الندية

الاستشاري النفسي الدكتور علاء الغندور يرى أنه عند غياب تأهيل الأم في تربية الأبناء تحدث الكثير من المشكلات، وعندما تغيب دورات التأهيل النفسي والسلوكي والتربوي للمقبلين على الزواج تحدث التحديات.

وذكر أنه في القرن الماضي كانت نسبة تعليم المرأة ضعيفة، لكنها كانت تتعلم كيف تكون طاعة الزوج، وبالفطرة كانت تؤمن بالتضحية في الحياة من أجل إنشاء جيل رائع وعظيم، لكن مع بدء زيادة تعليم المرأة والتوعية والإعلام، وسن بعض التشريعات الخاصة بها، بدأت الندية والتمرد والصراع، حيث كان الشعار في البداية «أنا وأنت إلى الأبد» فأصبح «أنا أو أنت لأقرب فرصة»، فزادت معدلات الطلاق!

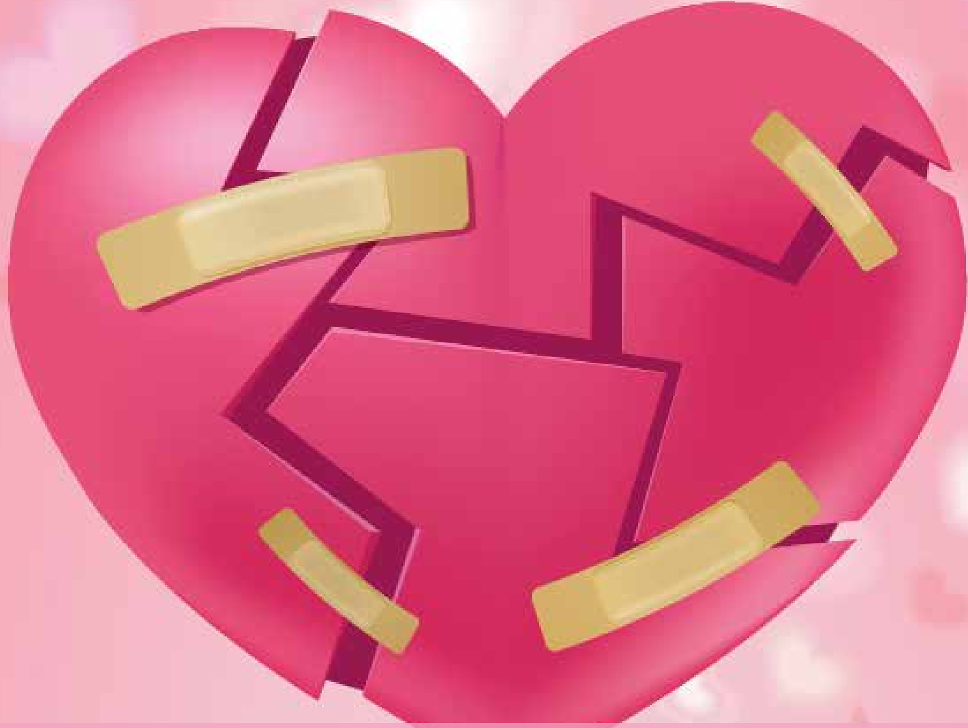
وأكد أن التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج ضرورة كبيرة كونهم يتلقون الكثير من المعلومات والتدريب على كيفية التعامل.

وأوضح أن الكثير من الأبناء لديهم مشاكل نفسية كبيرة بسبب صراخ الأم الدائم، والمشاجرات بين الزوجين، الأمر الذي يجعل الطفل يحتفظ بهذه المشاهد في عقلة الباطن فينشأ شابا معقدا نفسيا قد يصل به الأمر إلى الانتحار أو الاستقطاب أو الاكتئاب وارتكاب الجريمة، ومن هنا ندق ناقوس الخطر.

وطالب الغندور بضرورة الفحص النفسي والمتابعة للأشخاص كل ستة أشهر، على غرار الفحص الجسدي، مشددا على ضرورة عمل لائحة إجبارية على جميع المسلسلات لتغيير الاستراتيجية، خصوصا أن إلقاء الضوء على الجريمة يساعد على انتشارها، بالإضافة إلى تربية الأبناء تربية تربوية حديثة، بحيث لا يتشاجر الزوجان أمام الأطفال، وعدم التفرقة بين الأبناء، وتدخل الأشخاص الحكيمة التي لديها القدرة على الحل وتوازن الأمور عند المشكلات، إلى جانب بث برامج توعوية تتعلق بالتماسك الأسري في وسائل الإعلام.

د. ناجي عبدالله الخرس
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف





أعداء الحياة الزوجية

تعتبر الأسرة الركيزة الأساسية لبناء المجتمع، وقد اعتنى الشارع ببسط أحكامها من خلال قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (النساء:١٩).

والزواج في الإسلام ليس مسألة فردية، بل له بعد اجتماعي وإنساني وتربوي، ومن ثم فإن الاعتناء التام والتحصين المحكم لحماية الأسرة من التفكك والفرقة لهما الأولوية لسد الخلل واستدراك الأخطاء التي وقعت من غفلة الوالدين، والاستعمال الخاطئ للأجهزة الإلكترونية من قبل الأبناء، مع ضعف الوازع الديني والثقافة الشرعية.

فكم من بيوت ذهبت عنها السعادة رغم أن الزوجين بذلا وسعهما لتحقيقها، لكنهما وقعا في أخطاء أذهبت جهودهما سدى، أخطاء يحسبها الناس هينة ولكنها بمنزلة عدو يهدم الحياة الزوجية.

العدو الأول: إفشاء الأسرار

البيوت أسرار، وهي أمانة يجب أن نحافظ عليها. البيوت ليست محلا للثرثرة أو الفضفضة للأصدقاء أو حتى للأرحام، إلا في حالة الضرورة فقط وبإذن الزوجين.

ولا يظن أحد أن من يفشي سر بيته لصديقه أو قريبه أنه سيحفظ سرك الذي ضاق به صدرك، وصدق الشاعر حين قال:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذي يستودع السر أضيق

وفوق هذا وقبله، فإن حفظك لسر بيتك مطلب شرعي يتعبد به المرء ربه سبحانه. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا عسى أحدكم أن يخلو بأهله، يغلق بابا ثم يرخي سترا ثم يقضي حاجته ثم إذا خرج حدث أصحابه بذلك. ألا عسى إحداكن أن تغلق بابها وترخي سترها فإذا قضت حاجتها حدثت صواحبها». فقالت امرأة سعفاء الخدين: والله يا رسول الله إنهن

ليفعلن وإنهم ليفعلون. فقال: «فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة على قارعة الطريق فقضى حاجته منها ثم انصرف وتركها»[1]، وفي رواية: «والناس ينظرون إليه»[2].

وقد حذر النبي ﷺ من كشف الأسرار وتسريب الخلافات الزوجية فقال: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»[3].

تقول إحدى الأمهات: تزوجت ابنتي منذ عشر سنوات، ما اشتكت إلي ولا إلى والدها من زوجها قط، لم تخبرني أبدا عن مشكلة إلا بعد حلها، غاية ما كانت تطلبه مني الدعاء، حتى إنني كنت أعرف أنها تواجه مشكلة عندما تلح علي في طلب الدعاء.

الأسرار أنواع ودرجات

أعظمها: العلاقة الخاصة بين الزوجين، ثم الخلافات بين الزوجين، ثم: خصوصيات البيت.

الأول: العلاقة الخاصة بين الزوجين

فهذه يجب أن تكون في بئر عميقة داخل النفس، وقد مر علينا حديث النبي ﷺ: «الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه»، والإفضاء: أن يصل إليها بالمباشرة والمعاشرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ (النساء:٢١).

والثاني: الخلافات بين الزوجين

الخلافات الزوجية أمر طبيعي لا يكاد يخلو منها بيت، لكن إذا وصلت الأمور إلى طريق مسدود، بحيث تكون الخلافات مستمرة يوميا، يكون الحل بالآتي:

١ – الحوار وهو لغة التفاهم، والحوار ليس المقصود منه نقل الكلمات فقط، بل نقل الأفكار والمشاعر والعلاجات.

٢ – البدء بالأمور المتفق عليها، مثل المحافظة على الأولاد.

٣ – الحرص على خفض الصوت، حيث إن أكثر من: ٩٠ في المئة من الخلافات سببها رفع الصوت، فالغضب يصاحبه في الغالب رفع الصوت، عندها تثور المشاعر ويفقد كل منهما التحكم في أقواله وأفعاله.

٤ – استحضار الغاية من الحوار. وهو الوصول إلى الحقيقة أو المصلحة المشتركة، وليست انتصار أحدهما على الآخر، كأن يقول لها: «الحمد لله أنك اعترفت بخطئك»، أو هي تقول: «ألم أقل لك إني أعرف أكثر منك».

٥ – ترك الألفاظ الجارحة أو البذيئة.

والثالث: خصوصيات البيت

لا يجوز نشرها حتى لا تصبح الأسرة كتابا مكشوفا أمام الآخرين أو نشرة أخبار، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ (التحريم:١٠).

كانت امرأة نوح تطلع قومه على سره، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به. وكانت امرأة لوط إذا استضاف لوط أحدا أخبرت أهل المدينة ممن يعملون السوء؛ أي ليأتوا فيفعلوا بهم الفاحشة[4]. وعن الضحاك قال: ما بغت امرأة نبي قط، (فخانتاهما) أي في الدين لا في العرض.

تدخل أهل الزوج وأهل الزوجة

من أهم أسباب زيادة حجم المشكلات، تدخل الأهل، خصوصا إذا كان الزوجان حديثي الزواج، فلا ينبغي أن يكون الأهل أوصياء أو محامين للزوج أو الزوجة، ولا يسمح لهما بالتدخل، إلا إذا طلب الزوجان معا هذا التدخل.

● **أسباب تدخل الأهل في الحياة الزوجية:**

١ – شعور الأهل بالمسؤولية المستمرة عن الأولاد حتى بعد الزواج.

٢ – صراع الأجيال بين الأبناء والآباء (ما كان صحيحا قبل أربعين عاما لم يعد كذلك).

٣ – إنقاذ الأبناء من تكرار تجربة الزواج الفاشل (تخلي الزوج عن زوجته منذ ثلاثين سنة)، (الأب الذي تعرض للخيانة الزوجية).

أهمية الحكمين

قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (النساء:٣٥).

– اختيار الحكمين من أهل الزوجين لمعرفتهما بالزوجين، واطلاعهما على أحوالهما.

– وهذان الحكمان ليسا وكيلين عن الزوجين، وإنما حكمان لهما حق

إصدار الأحكام الملزمة للزوجين، قال تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ (النساء:٣٥).

- هنا ذكرت الآية أن الحكمين لن ينجحا في التوفيق، إلا إذا أرادا الإصلاح، فالنية سبب لصلاح العمل، ومعنى هذا أنه يجب أن يكون الحكمان على الحياد دون التحيز لأحد.

العدو الثاني: نكران المعروف

مع مرور الأيام تبدي بعض الزوجات وكذلك الأزواج، التسخط والتذمر من الحياة الزوجية التي كانت في الأيام الأولى من الزواج فياضة بالحب والحنان. حتى يصل الأمر إلى استصغار كل جهد فيه معنى العطاء والتعاون والتكافل، ومع كثرة التسخط يغيب الإحساس بالرضا والقناعة.

قال ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[٥]، وقال ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»[٦].

القناعة علامة على الرضا بقدر الله، كما أنها تهون صعوبة الحياة.

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن. قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا، قالت ما رأيت منك خيرا قط»[٧].

وقد ترد الزوجة بأن ما يفعله الزوج إنما هو واجب عليه لا يحتاج إلى شكر، فلا شكر على واجب. لكن الحقيقة أن حاجة النفس البشرية إلى التقدير حاجة فطرية، وهذا من الشكر لله تعالى.

العدو الثالث: المن بين الزوجين

ليس هناك أثقل على النفس، وأضيع للعمل من المن بين الناس، فالمنان ينسى فضل الله فيما عمل وينسبه إلى نفسه، ويتخلى عن الإخلاص الذي هو شرط لقبول العمل.

قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. فقلت: من هم يا رسول الله فقد خابوا وخسروا؟ قال: المسبل إزاره، والمنان عطاءه، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[٨].

والمنان: الذي يمن بما أعطى.

قال ابن عباس، رضي الله عنهما: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله وتصغيره وستره، فإذا عجلته هنأته، وإذا صغرته عظمته، وإذا سترته أتممته.

فالمن من أحد الزوجين على الآخر، مؤشر على أن العلاقة بينهما في خطر، إذ غالبا ما يحمل المنان شعورا بالتفوق أو بالظلم أو بالفضل، وكلها مشاعر سلبية في العلاقات الزوجية.

العدو الرابع: سوء الظن

حضت الشريعة على الثقة واجتناب سوء الظن بين الزوجين، فالغيرة إذا كانت زائدة عن الحد، تكون شكا واتهاما، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان فتى منا حديث عهد بعرس، قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله. فاستأذنه يوما، فقال له رسول الله ﷺ: خذ عليك سلاحك، إني أخشى عليك قريظة. فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوى إليها الرمح ليطعنها به وأصابته غيرة. فقالت له: اكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني. فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش»[٩].

بعض الأزواج مريض بمرض الشك المر الذي يحيل الحياة الزوجية إلى نكد لا يطاق، ويحول استقرار البيوت إلى بركان محموم، فلا يصح أن يسيء الرجل الظن بزوجته، وليس له أن يسرف في تقصي كل حركاتها وسكناتها، وهي كذلك.

الحياة الزوجية نعمة قبل أن تكون مسؤولية، والحياة الزوجية أمانة قبل أن تكون تكليفا، فالحياة الزوجية من أعظم آيات الله، فلنحافظ عليها.

قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١).

الهوامش

١ - الترغيب والترهيب للمنذري: ٣/١٢٧، والحديث له شواهد تقويه.
٢ - سنن أبي داود: ٢/٦٢٧، وهو في صحيح الجامع: ٧٠٣٧.
٣ - رواه مسلم: ٤/١٥٧.
٤ - تفسير ابن كثير: ٨/١٩٨.
٥ - أبو داود: ٤٨١١، صحيح الألباني.
٦ - الترمذي: ٢٥١٣.
٧ - البخاري: ٢٩، ومسلم: ٩٠٧.
٨ - أخرجه ابن ماجه: ٢٢٠٨، وصححه الألباني.
٩ - مسلم: ٢٢٣٦ - ٢٨٩٤.



د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف



صناعة الوداد

يحفل العالم بالعديد من المصانع التي تخرج ما تشتهيه الأنفس، غير أن هذه المنتجات تفتقر إلى منتج لا تخرجه الآلات، ولكنه يصنع في القلوب، وإذا شحت هذه السلعة من سوق العلاقات الإنسانية أصيبت الحياة بالعطب، وكانت أقرب إلى الموت.

عندما قالوا: الإنسان مدني بطبعه، هل كانوا يقصدون أنه يأنس بالناس، ومن واجبه أن يؤنس الناس كذلك؟ وكيف لا يفعل وعلاقة المحبة قامت بينه وبين الجمادات، فقد عبر النبي ﷺ عن الحب المتبادل بينه وبين جبل أحد فقال: (هذا أحد، وهو جبل يحبنا ونحبه) (متفق عليه)، وإذا كانت هذه هي الصورة الطبيعية للعلاقة بين بني البشر وما حولهم من مكونات البيئة، فما هو التصور الصحيح للعلاقة بين أبناء الأسرة الواحدة؟.

تتأسس العلاقة بين المسلمين عامة، وداخل الأسرة خاصة، على المحبة والألفة، ولكن كسائر العلاقات تنمو وتزدهر بوجود ما يعززها، وتخبوا وتذبل عندما يلحقها الإهمال من أطراف هذه العلاقة، والعلاقات الأسرية من أشد العلاقات حساسية، نظرا لتشابكها وترتب الحقوق منذ اللحظات الأولى لقيامها.

وهذا يقودنا إلى ضرورة العناية بها، وتحقيق كل ما يحافظ عليها قوية متينة مزدهرة مثمرة أطيب الثمار، وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الأسرة لا ينبغي أن يقتصر على الوالدين والأبناء، بل يشمل الأعمام والعمات والأخوال والخالات والجد والجدة من ناحية الأب والأم.

ومن الأمور التي تساعد على خلق جو من المودة، وتعمل على بقائها، ويمكن أن نتعبرها هي المواد الخام التي ندخلها لمصنع القلب المحب، لتخرج علاقات سوية داخل محيط الأسرة والمجتمع، لتخرج لنا بشرا متزنا، يتبادل الألفة والود مع الآخرين:

- التعاون: ومفهوم التعاون أعم من أن يكون مجرد تقسيم للأعمال بين أفراد الأسرة، بل المشاركة في العمل الواحد متى ما أمكن ذلك، وقد عرفت الحياة الإسلامية في أنقى صورها هذا التعاون الذي يقوم على التقاسم ويقوم على الاشتراك في العمل الواحد، فعن الأسود قال سألت عائشة: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله تعنى خدمة أهله (صحيح البخاري).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: تزوجني الزبير، وما له في الأرض من مال ولا مملوك، ولا شيء غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء، وأخرز غربه[1] وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ. (صحيح البخاري).

وإذا تصورنا أن التعاون هو مشاركة في حمل الأعباء وتخفيفها عن

أحد أفراد الأسرة، فإنه كذلك يوفر فرصة لغرس المحبة ولتنميتها ولإشعار الطرف الآخر بالاهتمام من خلال القيام ببعض أعبائه، وخلال التعاون على القيام بالعمل يتبادل أفراد الفريق كلمات التشجيع والثناء، ويشعر كل طرف بحرص الآخر على نجاحه، وبتكرار هذه المشاركة تثبت المودة بين أفراد الأسرة كبيرها وصغيرها، أبنائها وبناتها.

- العدل: ومما يرسخ المودة بين أفراد الأسرة العدل، فإن شعور أحد أفراد الأسرة بالظلم يحمله على العدوان على الشخص المميز، فإن عجز عن العدوان لرادع من دينه أو لضعفه امتلأ قلبه بالحقد والغيظ والحسد، وسعى إلى التنفيس عن هذا الحقد بكل ما أمكنه، ولنا في أخوة يوسف خير مثال، عندما شعروا بتميز يوسف عليهم فقالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف: ٨)، وكانت طريقتهم في الضغط على أبيهم حتى ينالوا نصيب يوسف عليه السلام في الحب: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ (يوسف: ٩).

والكبار والصغار في منتهى الحساسية تجاه أي تصرف يحمل تمييزا لأحد أفراد الأسرة، وتبقى هذه المشاعر حبيسة ولو لسنوات طويلة، حتى يتم تفسير سبب التمييز أو تعويض من يشعر بأن تمييزا وقع ضده.

والعدالة لا تعني المساواة، بل تعني إعطاء كل فرد حسب حاجته، مما يترتب عليه بالضرورة وقوع التفاوت، وهذا يحتاج إلى توضيح مشمول بالعطف والرفق والتحمل، ومع الأيام يكبر الصغير ويفهم أن طبيعة الحياة قائمة على التفاوت، بل يمكن دعوة من يشعرون بتمييز الغير إلى المشاركة في بذل العطف الزائد والعطاء، فهذا واجب أفراد الأسرة لمن يحتاجه، كما يمكن إفهامه أن قدرته على العطاء نعمة تستحق الشكر للمنعم سبحانه وتعالى.

بهذه العدالة -حسب الوسع والطاقة- وبتقديم التفسيرات لكل تمييز، يحصل لأحد أفراد الأسرة بصورة تناسب المستوى العقلي لمن نخاطب نكون قد خطونا خطوات واسعة على طريق المودة إعلان الحب وإشاعته بالقول والفعل داخل الأسرة وخارجها والتعبير عنه كلما سنحت فرصة.

إن مشاغل الحياة وطول الألف قد يحول بين الإنسان وبين التعبير عن حبه لأفراد أسرته، بل قد يخجل البعض من ذلك، وإذا نظرنا في دواوين السنة نجد هذا السؤال الواضح للنبي ﷺ: من أحب الناس إليك؟ قال: (عائشة)[٢]، هكذا وبلا مواربة، وبالنسبة للأبناء كان النبي ﷺ إذا قدم من مغازيه قبل فاطمة[٣]، أما الأحفاد فكان ﷺ يقول عن الحسن والحسين: (اللهم إنك تعلم أني أحبهما فأحبهما)[٤].

كان النبي ﷺ يحمل أمامة بنت زينب ابنته على عاتقه، ويخرج بها إلى المسجد[٥]، قالوا: هذا دفعا لما كانت العرب تفعله من كراهية البنات.

وقدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ، فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم، فقالوا: لكنا والله ما نقبل، فقال رسول الله ﷺ: (وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة)، وفي رواية: (من قلبك الرحمة)، (صحيح مسلم)، اعتبر النبي ﷺ عدم إظهار العاطفة للأبناء علامة على نزع

الرحمة من القلب.

وإعلان الحب كما نطلبه من الكبير، نطلبه كذلك من الصغير ومن الأخ لأخيه وأخته، ومن المرأة لزوجها والعكس، وبين الوالدين والأبناء، ومن الرجل لوالدي زوجته، ومن المرأة لوالدي زوجها.

ولعل هذا الجانب يحتاج إلى رعاية كبرى وتصحيح لأوضاع خاطئة قائمة مبنية على العداوة بين المرأة ووالدي زوجها، أو على الأقل الفتور الذي لا يتناسب مع صلتهما بالزوج وكذلك بالزوجة، ولا شك أن كل كلمة او موقف يدل على المودة يقدم لوالدي الزوج والزوجة ينعكس بالإيجاب على العلاقة بين الزوجين، بل بين الأسرتين جميعا.

ولعل الفضل للبادئ والمداوم، وفي كل خير.

- لغة المودة: للمودة لغة تخاطب شغاف القلب، وتبدو على قسمات الوجه، تراعي مشاعر الآخرين، وتسقي شجرة المحبة، تجمع المتنافر، وتؤلف بين المتشبهين في الفكر والمشاعر، تعين على قسوة الحياة وشظف العيش، وحتى تكون هذه اللغة معبرة لا بد أن تخرج من قلب محب، وكما قيل: اللسان يغرف من القلب، وأود الإشارة إلى أن الكلمات المزوقة المزيفة تتكشف بعد مرور قليل أو كثير من الزمن، وتصدقها المواقف او تكذبها.

فما أحرانا أن تكون المودة منهج حياة نحافظ بها على العلاقات الإنسانية عامة والأسرية خاصة! نقرب بها البعيد، ونصل بها ما انقطع، ونقوي بها ما ضعف ليستكمل الإنسان إنسانيته.

- بر الوالدين أحد أسباب استدامة الود داخل الأسرة، وأحوج ما يكونان إليه عند الكبر! فكل كلمة طيبة تقع منهما أحسن موقع، وكل كلمة تخرج عن حدود الأدب تترك أسوأ الأثر.

كيف نستديم الود بيننا وبين الوالدين؟

أ - بمؤانسة الوالدين بالذكريات الجميلة، وإشعارهما أن ما صنعاه في الصغر من معروف وإحسان لم ينسه مرور الأيام والليالي.

ب - بطلب المشورة منهما، وكذلك الدعاء.

ج - وبتقديم الهدايا لمن يحبون نيابة عنهما.

د - بقضاء حوائجهما وإن لم يطلبا ذلك.

هـ - وبتيسير لقاء من يحبون من أهل أو صديق.

و- بالنظرة التي تنم عن الإجلال والتقدير، سواء كان ذلك أمام الناس أم فيما بيننا وبينهم، فما بر والديه من حد النظر إليهما.

وبالجملة نستديم الود بإشعارهما أن لهما في القلب أرفع المنازل وأعلى الدرجات.

- تقدير الأبناء: بمناداتهم بأحب الأسماء، وتقدير جهودهم في الدراسة وفي الحياة، وبإعطائهم الفرص، وتحميلهم المسؤولية التي تناسب عمرهم وإعطائهم الحرية اللازمة والمناسبة.

التقارب مع الأبناء:

من خلال جلسات الحوار في شأن الأسرة والمجتمع، والاستماع إليهم مع مراعاة آداب الحديث داخل الأسرة من الكبار والصغار على حد سواء، وإتاحة الفرصة الكاملة للتعبير عن ما يجول بخواطرهم وتحمل اندفاعهم، وتبادل القصص بين الكبار والصغار مع خلط ذلك بمزاح يلتزم بالأدب، ولا ينتقص من صغير مهما كان سنه.

هذه الجلسات من أعظم ما يغذي الود داخل الأسرة، ومما يؤسف له أن بعض الأسر لا تستطيع أن تجتمع في مجلس وتتبادل أطراف الحديث، فما إن يبدأ أحدهم حتى تجد التنافر وكأنهم لا يربطهم رابط؛ تنافر في الأفكار والمشاعر، ولعل سبب ذلك قلة هذه اللقاءات وعدم إدارتها بما يحقق التقارب والتفاهم وما يساعد على وجود جو من الألفة.

- التفقد: تفقد الآلام ما زال منها وما بقي وتفقد الآمال ما تحقق منها وما هو في قائمة الانتظار، وملاحظة أوقات الشرود، ومناقشة أسبابه، إن شعور الإنسان أنه محل اهتمام من حوله يسألون عنه إذا غاب، ويعتنون به إذا حضر، أحد معززات الصحة النفسية والعقلية والبدنية، وأحد السبل لتكوين إنسان صالح ينفع نفسه وينفع من حوله، مع ملاحظة أن التفقد يختلف عن اقتحام خصوصيات الإنسان التي يحب أن يحتفظ بها لنفسه، أو يفضي لمن يختاره من الأقارب أو الأصدقاء.

التفقد سؤال بحب وبدون إلحاح، واكتفاء بما يقدم من إجابات دون الدخول في تفاصيل لا يحب الطرف الآخر أن يقدمها.

إن حياة خالية من أناس تحبهم ويحبوك وتبادلهم المودة الصادقة لهي حياة شظف مهما كان صاحبها غنيا بالمال، ومآل صاحبها الشعور بالاغتراب مهما اكتظ المجتمع من حوله بالناس ومتع الحياة.

الهوامش

١- تخيط الدلو المعد من الجلد.

٢- قال الإمام الترمذي حديث حسن غريب من هذا الوجه سنن الترمذي ت بشار (٦/ ١٨٩).

٣- مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٤٧).

٤- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد (٧/ ١٩٠) قال المحقق إسناده حسن.

٥- سنن أبي داود.

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي



العزلة النفسية والاجتماعية ومستقبل الأسرة

الأسرة هي النواة الأولى والركن الركين في بناء المجتمعات، وهي الأنموذج المصغر لما تكون عليه حال الأمم والمجتمعات، فبصلاحها وتماسكها تنهض وتتقدم الأمم، وبانحرافها وتشتتها تضعف وتنهار الأمم، فالأسرة هي الحاضنة الأولية لكل أفراد المجتمع، التي تتشكل فيها ملامح شخصياتهم ومعتقداتهم وميولهم واتجاهاتهم.

مكانة الأسرة في الإسلام

تمثل الأسرة في الإسلام النواة الأولى لبناء الأمة، ولذا يعول عليها تحقيق مقاصد الشريعة، وسيادة الأمة وتمكينها، وجاء حديث القرآن عن الأسرة من خلال الآيات التي تحدثت عن: (الأهل، والرهط، والعشيرة، والآل)، قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٍ﴾ (هود:٩١)، وقال سبحانه:﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ (الشعراء:٢١٤)، وقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ (التحريم:٦).

كما نجد أن أكبر سور القرآن الكريم بعد سورة البقرة سميت «آل عمران»، والتي تتحدث عن أسرة عمران والد السيدة مريم أم المسيح عيسى عليهما السلام.

والإسلام جعل الزواج هو السبيل الشرعي الوحيد الذي شرعه لتكوين الأسرة وإقامة الحياة الأسرية الشرعية، ولذلك حض

الإسلام المسلمين على الزواج عبر آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية المشرفة.

فالزواج جعله الله آية في خلقه، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١).

وحث المسلمين على الزواج، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور:٣٢).

والتعدد بشروطه وضوابطه الشرعية: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ (النساء:٣).

وجاء في السنة النبوية المطهرة: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: قال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء» (متفق عليه).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ حمد الله، وأثنى عليه، وقال: «لكني أنا أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (متفق عليه).

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أحببت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: «لا»، ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم» (أبو داود والنسائي).

وقد نهى النبي الصحابة عن التبتل فعند البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا» (متفق عليه).

ولأهمية الأسرة فقد وضح الإسلام وأبان أحكامها إجمالا وتفصيلا في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لتكون شاملة لها في جميع مراحلها قبل الزواج بين وأرشد لطرق اختيار الزوج أو الزوجة، وحال قيام الأسرة واستمرار الحياة الزوجية بين حقوق الزوجين وحقوق الأبناء وأسباب ووسائل حسن المعاشرة ودوام المودة والرحمة، كما بين أحكام الشقاق والطلاق والأرث والوصية، وهذه الأحكام كلها تضمن صلاح الأسرة وسعادتها متى التزم بها.

تعريف الأسرة في الإسلام

هي الجماعة المعتبرة نواة المجتمع، والتي تنشأ برابطة زوجية بين رجل وامرأة ثم يتفرع عنها الأولاد، وتظل ذات صلة وثيقة بأصول الزوجين من أجداد وجدات، وبالحواشي من إخوة وأخوات، وبالقرابة القريبة من الأحفاد (أولاد الأولاد)، والأسباط (أولاد البنات)، والأعمام والأخوال والخالات وأولادهم[1].

وتعريف الأسرة في الإسلام فطري ثابت لا يتغير، مرتبط بالشريعة وأحكامها، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم:٣٠).

وذلك على عكس تعريف الأسرة في الغرب والتي تدور في فلكها تعريفات مرفوضة شرعا، فهي لا تقر الرابط الشرعي في العلاقة بين الرجل والمرأة، كما أنه مفهوم غير ثابت، يحتوي العلاقات الشاذة ثنائية أو جماعية بين رجل ورجل أو أكثر وبين امرأة وامرأة أو أكثر: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (الروم:٢٩).

الجوانب الحياتية للأسرة المسلمة

الجوانب الخاصة بالأسرة المسلمة متعددة ومتنوعة، منها العقدي والاجتماعي والنفسي والتربوي، والاقتصادي، والتعليمي.... غير أننا هنا نقتصر على الحديث عن ثلاثة جوانب منها، هي الجوانب العقدية والاجتماعية والنفسية:

الجانب العقدي

الناظر المتأمل في الجوانب الحياتية للأسرة المسلمة يجد أن أهمها وأشرفها هو الجانب العقدي، لذلك فإن الهدف الأسمى الذي يقع على الأسرة القيام به في المقام الأول هو تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى، وتنشئة الأجيال على ذلك، لأنه الغاية من خلق الإنسان ووجوده على هذه الأرض، ومن أجلها أرسل

الرسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، ومن أجلّ مسؤوليات الأسرة تنشئة الأبناء على العقيدة الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:١٣).

ولعل صلاح الأبناء من ثمرات الأسرة المسلمة التي لا ينقطع ثوابها بعد موت الوالدين، وهذا ممتد ببقاء النسل الصالح من جهة الولد والبنت، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (مسلم).

والجانب العقدي هو الموجه والضابط لحياة الأسرة والمنظم للعلاقات بين أفرادها، وبه تتحول العادات إلى عبادات يؤجر عليها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢)، وفي الحديث: «وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في الحرام أليس كان يكون عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال يكون له أجر» (جزء من الحديث، رواه مسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك» (رواه مسلم).

الجانب الاجتماعي

وهو يتعلق بالعلاقات والحقوق والواجبات داخل الأسرة، والتي من خلالها تتم عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء، وتشكيل شخصياتهم واتجاهاتهم، كما يتضمن الجانب الاجتماعي الحقوق والواجبات لكل أفراد الأسرة الأب والأم والزوج والزوجة، فأمر الإسلام الزوج بحسن عشرة زوجه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (النساء:١٩)، قال ابن كثير رحمه الله: «أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم؛ كما تحب ذلك منها، فافعل أنت مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة:٢٢٨)».

وعظم من حق الزوج على زوجته ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» (الترمذي).

وحدد مراحل الشقاق والخلاف بين الزوجين وطرق حلها رأبا للصدع، ومنعا لتفاقم الخلاف، وحفاظا على استمرار العلاقات الطيبة بين الزوجين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء:٣٥).

وحتى في حال وقوع الطلاق أحاط الإسلام العلاقات الاجتماعية بسياج من التشريعات تبين حال العدة والنفقة والإرضاع بحسب حال كل مطلقة، تبقى على علاقة قائمة على الاحترام المتبادل، لعل ذلك يكون سببا لعودة الحياة الزوجية مرة أخرى إذا كان طلاقا رجعيا، بل إنه شرع إقامة الزوجة المطلقة طلاقا رجعيا في مسكن الزوجية طوال فترة عدتها، مالم تكن أتت بفاحشة مبينة قال تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ (الطلاق:١).

الجانب النفسي

الحياة الأسرية في الإسلام حياة قائمة على توفير الجو النفسي الذي يشعر فيه الإنسان بالأمن والسكينة المحاطة بمشاعر المودة والرحمة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١). قال ابن كثير في تفسيره: من تمام رحمته تعالى ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة، وهي المحبة، ورحمة، وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمته بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك، فمشاعر المودة والرحمة هما أساس الحياة الأسرية ، يترتب عليهما تحقيق السكن، فالرحمة مشاعر تبدو في السلوك المتعامل به بين أفراد الأسرة ولا سيما الزوجين، والذي يفضي إلى الاستقرار والهدوء العاطفي، فتتحقق المودة، مما

يترتب عليه أن يكون بيت الأسرة بيت يسكن إليه أفرادها بعد تعب وإرهاق الحياة، وبذلك تتحقق ثلاثية الحياة الأسرية المسلمة السعيدة، وتتجلى مظاهر هذا الجانب في شيوع وسيادة جو عاطفي مغمور بمشاعر الحب والتواصل والواد يتفهم كل فرد مشاعر الآخر دون أن يبديها، ولا شك أن تفهم المشاعر يؤدي إلى التعامل الصحيح تبعا للحالة النفسية «السعادة والحزن، الرضا والغضب»، ففي الحديث عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى»، قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: «أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت علي غضبى، قلت: لا ورب إبراهيم»، قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك» (متفق عليه).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (الترمذي).

كما راعى الإسلام الحالة النفسية للزوجة أثناء فترة الحيض والتغيرات والمشاعر التي تعتريها خلال هذه الفترة قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢).

ومشاعر الحب والرحمة والملاطفة تمتد لتشمل كل المراحل العمرية، الكبار الأبوين والأجداد، والصغار من الأبناء، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

في الحديث: عن أبي هريرة قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم» (متفق عليه).

العزلة النفسية والاجتماعية

قد تتبدل هذه العلاقات الاجتماعية والنفسية إلى النقيض لتحل مكانها العزلة النفسية والاجتماعية، حيث يبقي الشكل العام للأسرة على حالة الزوج والزوجة والأبناء داخل منزل الأسرة العلاقات بينهم قائمة ولكنها علاقات رتيبة لا روح فيها ولا حياة، يوجد انفصال نفسي واجتماعي، الأسرة تجتمع وتبيت تحت سقف واحد بصورة عضوية خالية من العلاقات الاجتماعية، ومفتقرة لمشاعر الحب والرحمة والمودة، كل فرد يمثل حالة بذاته تختلف عن حالة الآخرين.

وقد ترجع أسباب العزلة الاجتماعية النفسية إلى الأسباب التالية:

- ضعف الجانب العقدي في حياة الأسرة.
- انشغال الأب والأم عن الأبناء بسبب العمل والسعي للتحصيل المادي، ولا سيما في حالة عمل الأم وتفضيلها للعمل على الحياة الأسرية.
- سيادة نمط الحياة الغربية وتطبيق أنموذج الأسرة الغربية القائم على الانحلال والمادية.
- الخضوع لتأثير تكنولوجيا الاتصالات ومواقع التواصل الاجتماعي.
- الصراع التقليدي بين الزوج والزوجة والفشل في احتواءه.

ولا شك في أن استمر هذه الحالة من العزلة النفسية والاجتماعية لأفراد الأسرة تهدد مستقبلها، فيقع الطلاق ويكون الأبناء هم الضحية الأولى، ولا سيما أن الوالدين فشلا في رعايتهما حال قيام الحياة الزوجية.

أو قد تستمر الحياة الزوجية بصورة شكلية وفي هذه الحالة يكون الجميع عرضة للانحراف ويكون أيضا الأبناء هم الضحية.

والأسرة على ما لها من أهمية في حياة الأمة الإسلامية وفي ظل المتغيرات المتلاحقة التي لا يقوى الكثير منا على تجنب آثارها، فإن الواجب على الحكومات والجمعيات الخيرية العمل على تقوية الأسرة من الداخل وتكثيف الجهود الدعوية في هذا المجال، وفتح حوار مباشر مع الآباء والأمهات والأبناء لمناقشة المشاكل الأسرية، وإيجاد حلول لها، وتفعيل دور مكاتب وجمعيات الإرشاد والإصلاح الأسري، وتشجيع الأسر على اللجوء إليها، وإقامة الدورات والمحاضرات الإرشادية للمقبلين على الزواج.

الهوامش

١- وهبة الزحيلي: الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، دار الفكر، دمشق ط٤، ١٤٢٩، ص٢٠.



محمد محمود القعقاع
باحث دراسات إسلامية

بناء الأسرة في الإسلام

الأسرة هي اللبنة الأساسية في تكوين المجتمع، فمن مجموع الأسر يتكون المجتمع، وبالتالي فإن صلاحها صلاح له، وفسادها إفساد للمجتمع، وبقوة الأسر قوة ودعم للمجتمع، وبضعفها ضعف له، لذلك اهتم الإسلام اهتماما كبيرا بتلك اللبنة.

اعتنى الشرع الشريف بالأسرة عناية خاصة؛ لما تؤديه من وظائف أساسية تحافظ من خلالها على وجود النوع البشري واستمرار الحياة الإنسانية وفق ضوابط وأحكام ومقاصد شرعية تحفظ مراعاتها ديمومة الصلاح والخير والعمران، فهي نواة أصلية لهذه الحياة، وصورة مصغرة من مجتمعاتها التي من دونها تنقرض السلالة البشرية وتنتهي الحياة الإنسانية.

وتبرز أهمية الأسرة من قيامها بوظيفة ذات أهمية كبرى في بناء المجتمعات والأوطان على أسس قوية، وهي الوظيفة التربوية، سواء كان ذلك دينيا، أو علميا، أو جسميا، أو خلقيا، ويكون ذلك من خلال التنشئة على القيم الصحيحة، والأخلاق الرفيعة، والعادات والتقاليد النافعة التي تتكون منها شخصية الفرد وتغرس فيها المعاني السامية؛ كحب الخير، وفعل الصلاح، وأهمية الوقت وتنظيمه، وحب الأوطان والنهوض بها.

الزواج سنة الله في الكون، فبالزواج تعمر الأرض عن طريق التكاثر والتناسل، كما أن الزواج يكون سكنا لكلا الزوجين، وفيه الطمأنينة والراحة إذا كان اختيار كل من الزوج والزوجة صحيحا، قال رسول الله ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» (رواه مسلم)، ولهذا حثت الشريعة الإسلامية على حسن اختيار الزوجة. وهناك أسس لاختيار الزوجة وهي:

الدين

إن أول أساس وضعه لك الإسلام لاختيار شريكة العمر، أن تكون صاحبة دين، ذلك أن الدين يعصم المرأة من الوقوع في المخالفات، ويبعدها عن المحرمات، فالمرأة المتدينة بعيدة عن كل ما يغضب الرب، ويدنس ساحة الزوج. فها هو ذا رسول الإسلام ﷺ يبين لك أصناف الناس في اختيار المرأة، ثم يدلك على الصواب فيقول: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولجمالها، ولحسبها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (رواه البخاري)، فإذا صرفت نظرك عن الدين، وذهبت تنشد الجمال وحده أو الحسب والنسب، والجاه والمال، فاعلم أنك مغبون، وهمتك قاصرة.

الخلق

أما الأساس الثاني لاختيار شريكة الحياة فهو أن تكون صاحبة خلق، والحقيقة أن هذا العنصر مرتبط ارتباطا وثيقا بالأساس الأول الذي هو الدين، ذلك أن المتدينة لا بد أن تكون صاحبة خلق، لأن دينها سيمنعها من فحش القول، وبذاءة اللسان، وسوء المنطق، وثرثرة الكلام. وعلى كل فحسن الخلق أساس قويم، ومنهج حكيم في البحث عن المرأة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، مرفوعا: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» (رواه مسلم)، وصدق لقمان الحكيم عندما قال لولده: يا بني اتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل المشيب، يا بني استعذ بالله من شرار النساء، واسأله خيارهن، فاجهد نفسك في الحصول على الصالحة الطيبة تلق السعادة أبد الحياة.

أن تكون بكرا

ثم إن الإسلام طالبك ورغبك في

أن تكون امرأتك التي تريد الزواج بها بكرا، وما رغب في ذلك إلا لأن طبعك الإنساني يألف الجديد، وينفر من امرأة مسها واحد قبلك، ولهذا قال نبينا الكريم ﷺ لصاحبه الجليل جابر بن عبدالله عندما علم أنه تزوج ثيبا: «هلا بكرا تلاعبك وتلاعبها» (رواه البخاري)، فعلل الصاحب الجليل زواجه بالثيب بأن أباه قد مات وترك له أخوات صغيرات يحتجن إلى الرعاية والعناية، وأن الثيب في هذه الحالة أقدر على رعاية البيت، ولولا هذا الذي قدره الله وقضاه لكانت بكرا. وفي المرأة البكر فوائد جليلة، ومحاسن وفيرة، حيث إنها تجعل كل حبها لهذا الذي اختارها من بين آلاف النساء.

أن تكون المرأة ولودا

ويعني أن تكون المرأة قادرة على الإنجاب بخلوها من الأمراض التي تمنع الإنجاب، قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة» (أخرجه أحمد)[1].

معايير شخصية لاختيار الزوجة المناسبة:

يختار الزوج المرأة التي يرغب في مشاركتها الحياة الزوجية بحب وتناغم بناء على بعض المواصفات الشخصية الخاصة، ومنها:

الجوهر الداخلي والشخصية المتميزة

حيث إن الجمال الداخلي وشخصية المرأة المتميزة التي لا تشبه الآخرين نقطة جذب مهمة، قد تأسر الزوج وتجعله يختارها كشريكة مستقبلية له، يكمل معها حياته.

المظهر الخارجي الجذاب

ينجذب الرجل للمرأة الجميلة التي تهتم بنفسها، وتمتلك مظهرا خارجيا أنيقا وجذابا. وتختلف معايير الجمال من شخص لآخر، لكنها قد تضم الصفات المرغوبة في الزوجة المستقبلية لبعض الرجال، فيما يفضل البعض النساء اللاتي يتمتعن بمظهر عفوي طبيعي جذاب، ولا يبالغن في استخدام مستحضرات التجميل المختلفة، أو يتمتعن بثقة كبيرة بالنفس، ويفضلن الظهور بطريقة طبيعية وأقل اهتماما بأناقتها.

معايير أخلاقية لاختيار الزوجة المناسبة:

الأخلاق

تدل الأخلاق الحميدة للمرأة على حسن التربية، وهي مؤشر جيد وإحدى علامات الزوجة الصالحة، وتظهر أخلاق المرأة من خلال تعاملها الجيد واللطيف مع الزوج، ومع الأشخاص الآخرين حولهما، وهدوئها، وتقبلها له، وإظهار الاحترام والود له، وهي سبب لكسب وده وإعجابه، ورغبته في مشاركتها الحياة الزوجية السعيدة.

الثقة

تعد الثقة عمود بناء العلاقات، وهي معيار أساسي ينظر له الرجل عند اختيار الزوجة التي سيأتمنها على بيته، وعلى أطفاله، ويمكن للزوج أن يسأل الأشخاص المحيطين بهم عن المرأة التي يرغب في الزواج بها بشكل غير مباشر، لتقييم ثقته بها كزوجة مستقبلية وأم صالحة لأبنائه.

معايير اجتماعية لاختيار الزوجة المناسبة:

١ - تكافؤ المستويات والأهداف: يبحث بعض الرجال عن الزوجة الطموح المستقلة التي تتمتع بمستوى تعليمي أو ثقافي معين يتناسب مع مستواه، وقد يظن البعض أنه سبب للتوافق بينهما من خلال تشابه طرق التفكير، والرغبة في تحقيق الأهداف، فيما قد يرى البعض الآخر أن من الضروري أن تمتلك المرأة طموحات تجعلها ترغب في الخروج والعمل من أجل تحقيقها، وكما ذكر سابقا هذه الأمور تختلف بحسب طريقة تفكير الزوج وشخصيته.

٢ - تحمل المسؤولية والقدرة على مساعدة الزوج: يعتبر نضج الزوجة وقدرتها على تحمل المسؤولية وفهم وإدراك متطلبات الحياة الزوجية أمرا ضروريا لا غنى عنه يبحث عنه معظم الرجال، إضافة لكسبها ثقته وإيمانه بها واعتماده عليها لاحقا، ورغبته في سماع رأيها وطلب نصيحتها عند الحاجة لاتخاذ القرارات الحاسمة في حياتهما عندما يرى نضجها ووعيها وإدراكها الجيد للأمور.

٣ - امتلاك أساليب التواصل الجيدة مع الآخرين: يحتاج الزوجان لإجراء المحادثات، والنقاشات، وبناء الحوارات الهادفة التي تساعدهما على فهم بعضهما لبعض وحل المشاكل التي ستعترض حياتهما لاحقا، والتوصل لقرارات مشتركة وحكيمة، وبالتالي فإنه من الضروري أن تمتلك الزوجة أسلوبا جيدا للتواصل مع الزوج ومع الأشخاص الآخرين من حولها، بحيث تبدي رأيها وتعبر عنه بحرية، وتستمع له بهدوء، وتخالفه الرأي بشكل مهذب، وتحافظ على دوام الود والاحترام بينهما.

٤ - تكافؤ القيم العائلية والمبادئ الشخصية: هنالك بعض المبادئ والقيم الأساسية التي قد يتمتع بها الزوج، وقد تكون من عادات وتقاليد الأسرة،

وبالتالي فإن اختيار زوجة تشاركه المبادئ والاعتقادات سيسهل عليهما التواصل لاحقا، إضافة للانسجام مع العائلة وطباعها أيضا[٢].

فقه الخطبة والزواج في الإسلام

أولا - الخطبة في الإسلام

الخطبة من مقدمات الزواج، فكل شاب مقدم على الزواج، ونوى أن يقصد الحلال إرضاء لله تعالى، لا بد أن يبدأ أولا بالخطبة. وصحيح أن الخطبة تختلف من مكان إلى مكان ومن عائلة إلى عائلة تبعا للأعراف والعادات الاجتماعية، لكن لا بد من أن يكون لها أصول وقواعد في الإسلام.

والخطبة طلب الرجل المرأة للزواج، وهي من الأمور المشروعة التي اجتمع عليها أهل العلم؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ (البقرة:٢٣٥)، كما أجاز ﷺ لمن أراد الخطبة أن ينظر إلى خطيبته النظرة الشرعية وذلك ليتعرف كل منهما على شكل الآخر فيتم القبول بينهما أو الرفض، قال ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل» (رواية جابر بن عبدالله)، ولكن في حكم الشرع تظل هذه المرأة أجنبية عن الرجل؛ فلا يجوز أن تتكشف عليه، وما يفعله البعض من تقديم الهدايا، وإظهار الفرحة، وإعلان الخطبة، ما هي إلا عادات لم يحرمها الشرع طالما لم تتضمن شيئا من المحرمات.

بعد أن توضح مفهوم الخطبة في الإسلام، لابد من إجراءات محددة يجب اتباعها في الخطبة، أما ما يقوم به البعض من إعلان الخطبة، وما يقيمونه من أفراح، وتقديم الهدايا كل ذلك هو عادات مباحة في الأصل، ولا يوجد فيها ما يحرم إلا ما ورد في الشرع تحريمه، ومن هذه الأمور التي ورد أنها ليست من الشرع تبادل الخواتم بين الخطيبين، فهذا التقليد الاجتماعي يقع فيه بعض المخالفات مثل إن بعض الناس يعتقدون في هذه الخواتم أنها تزيد المحبة بين الزوجين وتؤثر على علاقتهما، فهذا اعتقاد جاهلي وتعلق بما لا أصل له شرعا.

ثانيا: الزواج في الإسلام

جعل الله لعقد الزواج شروطا لا بد من تحققها حتى يصح الزواج، وفيما يأتي بيان شروط صحة عقد الزواج:

١ - تعيين كل من الزوج والزوجة، ويكون ذلك إما بتسمية كل من الزوجين، أو بالإشارة إليهما، أو بوصفهما، أو نحو ذلك.

٢ - التراضي بين الزوجين، فلا بد من رضا كل طرف عن الطرف الآخر، ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن» (متفق عليه).

٣ - الإشهاد على الزواج، وذلك لقول رسول الله ﷺ: «لا نكاح إلا بولي، وشاهدين» (رواه البيهقي).

٤ - أن يكون العاقد للمرأة وليها؛ لأن الله تعالى خاطب الأولياء في الزواج، فقال: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ (النور:٣٢)، ولقول رسول الله ﷺ: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل» (صحيح أبي داود)، ويشترط في الولي ما يأتي:

١ - أن يكون عاقلا.

٢ - أن يكون بالغا.

٣ - أن يكون حرا.

٤ - أن يكون متحدا في الدين مع من كان وليا عنها، فلا ولاية لكافر على مسلم أو مسلمة، ولا ولاية لمسلم على كافر أو كافرة.

٥ - أن يكون عدلا، وهي الصفة المناقضة للفسق، وقد اشترط بعض العلماء صفة العدالة، واكتفى بعضهم بالظاهر من عدالة الولي، وقال آخرون يكفي أن ينظر في مصلحة من كان وليا عنها في زواجها.

٦ - أن يكون ذكرا، فلا تزوج المرأة المرأة.

٧ - أن يكون راشدا، ويراد بذلك القدرة على معرفة الكفؤ للزواج.

أهداف الزواج في الإسلام

للزواج في الإسلام أهداف ومقاصد يراد تحقيقها من تشريع الزواج، وفيما يأتي بيان بعض تلك الأهداف:

١ - إشباع الغريزة الجنسية في الإنسان بطريقة تحقق العفة، والصيانة للمجتمع، وبذلك يتم إحصان كل من الزوجين من قبل الآخر، فيعف الزواج صاحبه عن اتخاذ الأخدان، والمسافحة، ونحو ذلك.

٢ - الحفاظ على النوع البشري، واستمرار التناسل بين الناس وحصول التكاثر بذلك.

٣ - حفظ الأنساب من الاختلاط، والإبقاء على نقاء النسل.

٤- توفير بيئة صالحة ومهيأة لتربية الأبناء، والحفاظ على العنصر البشري، من خلال تنشئته نشأة سوية سليمة.

٥ - حفظ المجتمع وصيانته من مظاهر الانحلال والفساد والفواحش.

٦ - تحقيق التواد والتراحم، والألفة بين الزوجين أولا، ثم باقي أفراد الأسرة بشكل عام.

٧ - حصول التعاون في إعمار الكون، وبناء الحياة، ومواجهة ما فيها من صعوبات وتحديات.

٨ - الوصول إلى حالة الكمال الإنساني، فالرجل لا يصل إلى تلك الحالة إلا في ظل الزواج الشرعي، الذي يقوم بتوزيع الواجبات والحقوق

على نحو من العدل، والرحمة، والإحسان، وليس بشكل عشوائي يؤدي إلى افتعال المشاكل بين الرجال والنساء من أجل تحصيل الحقوق، والتنصل من الواجبات(٣).

إشهار الزواج

المطلوب في عقد الزواج هو الإشهاد عليه بشاهدين عدلين، وذلك عند سماع الإيجاب والقبول من الزوج والزوجة، أو من ينوب عنهما، وهذا الإشهاد كاف في صحة العقد، واقتضت النظم العصرية أن يوثق ذلك رسميا، حتى لا يكون هناك إنكار، وحتى تضمن حقوق الزوجين والأولاد، وبخاصة عند ضعف روح التدين وطهارة الذمم. أما الإعلان والإشهار، بحضور عدد كبير، أو بعمل وليمة أو حفل أو إعلان في وسائل الإعلام فذلك سنة، ليشيع العلم بهذا الزواج بين كثير من الناس، ولا يشكوا في علاقة الرجل بالمرأة ولا بالنسل المتولد منهما، والحديث الشريف يقول: «أعلنوا هذا النكاح، واضربوا عليه بالدفوف، واجعلوه في المساجد» (رواه الترمذي وحسنه، لكن ضعفه البيهقي، وهو وإن كان ضعيفا، فهو يدعو إلى الإشهار بالوسائل المتاحة، ومنها الضرب بالدفوف، واجتماع كثير من الناس في مسجد، أو ناد أو أي مكان آخر، مع الحفاظ على كل الآداب).

حقوق الزوجين

الحقوق المشتركة بين الزوجين يشترك كل من الزوج والزوجة بعدد من الحقوق، نذكر منها:

● المعاشرة بالمعروف: وتجب على كلا الطرفين، وتتمثل بعدم الإيذاء، وعدم المماطلة بحق الطرف الآخر مع القدرة على أدائه وعدم التكاسل أو التثاقل منه.

● الاستمتاع: فيحل الزوج لزوجته كما تحل له، ويستثنى من ذلك وجود سبب مانع؛ كالحيض والنفاس والإحرام وغير ذلك من الموانع.

● الميراث: يحق لكل من الزوجين أن يرث الآخر في حال توافرت الشروط المقررة للميراث.

● حرمة المصاهرة: تحرم الزوجة على والد زوجها وأجداده وأبنائه ونسل أولاده وبناته، والزوج كذلك يحرم على والدة زوجته وجداتها وبنات زوجته وبنات أبنائها وما تفرع، ويحرم عليه الجمع بين الأختين وبين زوجته وعمتها أو خالتها، كما يحرم على الرجل الزواج من زوجة أبيه أو زوجة جده وإن علت منزلته، أو الزواج من زوجة الابن أو ابن الابن وما تفرع.

● ثبوت النسب: يثبت نسب الولد لصاحب فراش الزواج الصحيح.

حقوق الزوج

شرع الإسلام للزوج حقوقا خاصة به ومنها:

● الطاعة: فقد اتفق الفقهاء على وجوب طاعة الزوجة لزوجها، على ألا تكون في أي أمر يخالف أوامر الله تعالى أو أوامر الرسول (عليه الصلاة والسلام).

● الاستئذان: على الزوجة ألا تسمح لأحد يبغضه الزوج بدخول بيته، كما يجب عليها ألا تخرج من البيت إلا بإذنه، على أن يكون البيت يصلح للسكن والبقاء فيه وألا يوجد أي سبب يمنعها من البقاء فيه.

● الخدمة: ذهب جمهور الفقهاء من الحنابلة والشافعية وبعض من المالكية إلى القول بعدم وجوب خدمة الزوج على زوجته، إلا أن الأفضل فعل ما جرت به العادة، ويرى الحنفية وجوب خدمة الزوج على الزوجة من باب الامتثال لتوجيهات الشريعة، لا من باب الإلزام القضائي، أما جمهور المالكية فيرون أن على المرأة خدمة زوجها بما جرت به العادة.

● التأديب: يحق للزوج أن يؤدب زوجته إن لم تؤد ما عليها من الحقوق الزوجية تجاهه.

حقوق الزوجة

يترتب على الزوج بعقد النكاح واجبات تجاه زوجته نذكر منها

١ - المهر: يجب على الزوج أداء المهر للزوجة عند العقد الصحيح كما دلت على ذلك نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع العلماء، قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾ (النساء:٤)، وقال الرسول (عليه الصلاة والسلام): «التمس ولو خاتما من حديد» (رواه البخاري ومسلم).

٢ - النفقة: تجب نفقة الزوجة على الزوج، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ (البقرة:٢٣٣).

٣ - العدل: اتفق أهل العلم على وجوب العدل بين الزوجات.

٤ - الإعفاف: حيث يجب على الزوج أن يكف زوجته عن الوقوع بالمحرمات ويكون ذلك بوطئها؛ فتستغني بالحلال عن الحرام.

هذه أهم الأسس التي يتم بناء الأسرة عليها ضمن قواعد ومفاهيم إسلامية وذلك لتحقيق السعادة والاستقرار للإنسان ولتحصين الإنسان المسلم وتحقيق خلافة الإنسان في الأرض وقبل كل شيء طاعة لله تعالى ورسوله.

الهوامش

١ - أسس الاختيار الصحيح للزوجة والزوج، عادل عبدالمنعم أبوالعباس، موقع «إسلام ويب» ٢٠٠٢/١/١م.

٢ - معايير اختيار الزوجة، نوال العتال، موقع «موضوع» ٢٠٢١/٩/٦م.

٣ - شروط الزواج في الإسلام، نادية أبو رميس، موقع «موضوع» ٢٠٢١/٩/١م.



د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية

لا يخفى على كل ذي لب أهمية الأسرة كحلقة من حلقات المجتمع، وبقوتها وشدتها يقوى المجتمع ويشتد، من هنا حرص الإسلام على رعايتها والحفاظ عليها ووضع الأطر والأسس لحمايتها. ولم لا والبشرية بدأت وجودها بأسرة، وأول علاقة جمعت بين الذكر والأنثى هي التزاوج، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١).

الأسرة والتحديات المعاصرة

فما هي يا ترى عوامل التماسك والود التي يحرص عليها الإسلام ويأمر بها؟ أول ذلك حسن العشرة بين الزوجين: إن الإسلام يأمرنا بحسن العشرة وطيب المعاملة في العلاقات الاجتماعية المختلفة، فما بالنا مع الزوجين؟ لا شك أنهما أحق وأولى بحسن المعاملة وطيب العشرة.

فالسياج الأول الذي يشد على أزر الأسرة المسلمة حسن العشرة بين الزوجين، والإسلام أكد وشدد على حسن العشرة وطيب المعاملة ولين الأخلاق عامة عندما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ (فصلت:٣٤)، وقال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (المؤمنون:٩٦)، فلا بد من نبذ الغلظة والفظاظة واللجاجة والعناد والخصام وراء ظهورنا، فلا تعرف طريقا إلى حياتنا اليومية، قال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:١٥٩).

وأكد على حسن العشرة، خصوصا بين الزوجين، وأمر بها، فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (النساء:١٩) وقال: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء:١٩)، وقال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة:٢٢٨)، فالأسرة محاصرة ومحاطة بالمعروف والإحسان، كما قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ (البقرة:٢٢٩)، ويكرر النداء للأهمية: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ (البقرة:٢٣١).

وينهى ويحذر من الإضرار والاعتداء،

فيقول سبحانه: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ (البقرة:٢٣١).

إن إحسان العشرة وصنائع المعروف بين الزوجين وكف الأذى علامة واضحة على الإيمان بالله واليوم الآخر، وهذه السلوكيات أزكى وأطهر وأنفع للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة:٢٣٢)، وهل هناك أكثر من أن ينبهنا الله تعالى إلى أن يتذكر كلا الزوجين ما بينهما من مواقف طيبة، وعواطف زاكية، ومشاعر نبيلة وأهداف ومواقف أظهرت حسن النوايا، وكريم الأخلاق وطيب المعادن؟! قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:٢٣٧).

من هنا تتفجر ينابيع السكينة والمودة والرحمة بين لبنات الأسرة المسلمة لتبقى الأسرة آية وعلامة على قدرة الله سبحانه الذي جمع بين الأبدان، وألف بين القلوب والأرواح، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١).

وأبرز ما في هذه الآية تقديم المودة وتأخير الرحمة، لأن الأسرة تواجه أعباء ومسؤوليات ضخمة وأحمالا ثقيلة، وعملا شاقا، وتبذل جهدا، وجهادا، لهذا كانت المودة قبل الرحمة، والرحمة مرحلة تلي مرحلة المودة، لأن المودة في بداية تكوين الأسرة قبل مواجهة الأعباء والمسؤوليات عواطف مشتعلة، ومشاعر متأججة، لكن مع العمل والكفاح والأعباء الثقال، يتراجع المد العاطفي، وتصاب المشاعر المتأججة بالجفاف! نتيجة لأعباء الحياة الثقال التي أنهكتهما فلا وقت للعواطف والمشاعر، ولا وقت للحب! فإن خفت صوت المودة والحب، فليعل صوت الرحمة وليملأ جنبات البيت.

التماس الأعذار

أمام هذا الزحف الهائل والسيل الهادر من الأعباء والمسؤوليات والأعمال الضرورية التي تغمر الأسرة كان لابد من التماس الأعذار بين الزوجين، لا سيما عند عمل الزوجة، فهي تتحمل فوق طاقتها من عمل خارج المنزل، وعمل داخل المنزل، من إعداد الطعام ونظافة البيت والثياب وترتيب الأغراض الشخصية لكل فرد من الأسرة والعناية بها، ثم في نهاية المطاف كان عليها أن تهتم بنفسها وزينتها لزوجها!

هنا لا ننسى «رفقا بالقوارير»[١]، ولا ننسى التماس الأعذار مع وفرة الأعمال وكثرتها الطاغية، أليست هذه أخلاق القرآن؟ قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٢٨٦).

قال جعفر بن محمد: «إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره، فالتمس له عذرا واحدا إلى سبعين عذرا، فإن أصبته وإلا قل: لعل له عذرا لا أعرفه»[٢].

والتماس الأعذار يساعد على إحسان الظن، وسلامة القلوب من الآفات، والتعاون على الخير، ويقوي الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة، وهو من أكبر دواعي التماسك مع الحفاظ على المودة.

تجنب رشقات اللسان

مع صعوبات الحياة وكثرة الأعباء، ربما يضيق الإنسان أو يمل ويتعب، وربما يزين له الشيطان إنه قد يرتاح إذا نفس عن نفسه بقذف أو سب او عبارات جارحة، لكن هيهات، ليس الأمر كذلك، بل إن الكلمات الجارحة المستفزة قد تبعد المسافات بين الزوجين، وتورث العداوة والبغضاء بينهما، ولم لا ننتقي الكلمات الطيبة، الودود، الرقيقة الحانية لتكون كالبلسم على الجراح والأوجاع المتجددة في أعمال اليوم والليلة، ولا يخفى ما وراء الكلمة الطيبة من أجر عظيم، لقوله ﷺ: «والكلمة الطيبة صدقة» (متفق عليه).

وإذا كان القرآن قد أمر بطيب الكلام وإحسانه للناس جميعا، فما بالنا فيما بين الزوجين!

قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة:٨٣) وقال سبحانه: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ (الحج:٢٤).

إنها كلمات تكتب وتسجل علينا، وترفع إلى علام الغيوب ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر:١٠).

هذا إلى جانب أنه من أخلاق المؤمنين الالتزام بالأدب والأخلاق الحميدة والارتفاع عن سيئ الأخلاق، لقوله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء»[٣]. لماذا نحرم أنفسنا لذة الكلمات الطيبة وعظيم أجرها؟! إن الكلمات الطيبة تقرب المسافات، وتزيل الحواجز، وتبدد الأحقاد، إنها علاج للجراح والآلام، وشفاء لما في الصدور، ومظهر من مظاهر الرحمة بين الزوجين، وتزيد في الألفة والترابط والتلاحم، وتغلق الأبواب أمام البغض والعناد.

غض الطرف وضبط النفس

رأيت قديما في بيوت بعض أقاربنا

رأي العين كيف تبدد المرأة الحكيمة غضب الزوج بكلامها الطيب الهادئ، وعباراتها الرقيقة، والاحترام لقدر الرجل، فتوصد الباب بإحكام أمام المشاكل والغضب الثائر حتى لا يعصف بأركان البيت.

فلماذا لا نستعين بالحكمة والهدوء وضبط النفس، وإحسان ردود الأفعال مع جمال الألفاظ وطيبها؟! لماذا لا نستعين بخلق التغافل، وغض الطرف، لتسير الأمور بسهولة، ولا تتكدر الحياة؟! وفي هذا يقول أبو تمام:

ليس الغبي بسيد في قومه
لكن سيد قومه المتغابي[٤]

علينا بتجاهل بعض التصرفات والحماقات، وغض الطرف عنها، وعدم تتبع العثرات، وإحصاء الزلات، ولا يجعل أحد الزوجين نفسه رقيبا على الآخر، فيكون ذلك سببا للنزاع والشقاق والكراهية.

العطاء: من أكبر عوامل الحفاظ على الأسرة العطاء، لا نقصد به العطاء المادي فحسب، بل نقصد به كل أنواع العطاء المادي والمعنوي، بالكلمات والإشارات والتنبيهات، والنصائح والإرشادات والمواقف النبيلة.

إن الأصل في العطاء المادي أن يكون من الرجل، لقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ (النساء:٣٤).

لكن قد يضيق الأمر على الزوج وتتغير الأمور ويتعسر حاله، فماذا عسى أن تفعل الزوجة؟

إن شرائع الإسلام تدعم عطاء المرأة لزوجها لحفظ الأسرة وبقائها، وثباتها أمام المتغيرات، ولا يخفى على أحد ما كان من موقف السيدة خديجة، رضي الله عنها، من النبي ﷺ ومآثرها فقد أعطت وأنفقت من غير منة ولا ذكر فضل على النبي ﷺ ودعوته، وكان من وفاء النبي ﷺ لها أنه كان يذكر مآثرها، فيقول: «ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء»[٥].

والزوجة يجب أن تنتبه إلى أوضاع زوجها المادية لتسانده عند العسر، وتحافظ على مسيرة الأسرة كما فعلت زينب امرأة عبدالله بن مسعود، رضي الله عنهم، عندما سمعت النبي ﷺ يقول: تصدقن، يا معشر النساء، ولو من حليكن. قالت: فرجعت إلى عبدالله فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة، فأته فاسأله، فإن كان ذلك يجزي عني وإلا صرفتها إلى غيركم، قالت: فقال لي عبدالله: بل ائتيه أنت. قالت: فانطلقت، فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها، قالت: وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة، قالت: فخرج علينا بلال فقلنا له: ائت رسول الله ﷺ، فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقة عنهما، على أزواجهما، وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن، قالت: فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله، فقال له رسول الله ﷺ: من هما؟ فقال: امرأة من الأنصار وزينب، فقال رسول الله ﷺ: أي الزيانب؟ قال: امرأة عبدالله، فقال له رسول الله ﷺ: لهما أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة. (وفي رواية): تصدقن، ولو من حليكن وساق الحديث[٦].

التوحيد وأثره في الروابط العاطفية

إذا قلنا إن عقيدة التوحيد في أسرتنا دائما هي القوة الدافعة للحفاظ على سياج الأسرة فنحن نعمل بإخلاص لله تعالى، ونرجو الثواب من الله تعالى في الآخرة، فعلى الأزواج أن يضعوا ذلك نصب أعينهم.

وتوحيد آخر يقوي الروابط، هو توحيد المواقف، وتوحيد العمل، والمسؤوليات والأعباء، ومواقف الضعف والضيق التي تعتري الأسرة، ومواقف الشهامة والمروءة والأصالة من الزوجين، أوقات الشدة والمرض، والسفر، والمشاكل الطارئة.

كل هذه الأحداث تقوي الروابط وتنمي المشاعر وتزكي العواطف وتوحد القلوب، لماذا يقصر البعض في العطاء، أو المروءة أو الشهامة أو مراعاة الأصول؟

ترتيب البيت من الداخل

نريد أن تكون الأسرة معقلا للوئام والسلام، يفيء كل من الزوجين إلى ظلالها الوارفة طلبا للسكينة والراحة من متاعب الحياة، لا نريد الأسرة مصدرا للشقاء والنصب والنكد والأحزان.

ليمد كل من الزوجين يده إلى الآخر في نهاية كل يوم حافل بالعمل والكدح والعطاء، وتكون هناك مصالحة ولحظات اختلاء بين الزوجين، لتبادل المشاعر والكلمات واللمسات والحوار الهادئ الذي يبدد آلام اليوم وعناءه، هكذا تتماسك الأسرة ولا ينفرط عقدها، وتكون كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه.

الهوامش

١- صحيح البخاري.
٢- شعب الإيمان للإمام البيهقي www.islamweb.com.
٣- صحيح الترمذي ١٩٧٧.
٤- adabworld.com.
٥- البخاري ٣٨٢١، ومسلم ٢٤٣٧ بنحوه مختصرا، وأحمد ٢٤٨٦٤ واللفظ له.
٦- البخاري ١٤٦٦، مسلم ١٠٠٠.



عبدالله الظفيري
كاتب وباحث

اهتمام إسلامي بالتماسك الأسري

شكلت الأسـرة محـورا أساسيا في الشريعة الإسلامية لما لها من دور وأهمية بالغين في المجتمع المسلم، وحظيت الأسـرة باهتمام شديد في الإسـلام الـذي حـرص على العناية بها والحـفـاظ عليها وعلى تماسكها وحمايتها من التفكك والانهيار باعتبار أن الأسـرة عماد المجتمع وصلاحها صلاح لكل المجتمعات.

وجـاء فـي الـقـرآن الـكـريم والسـنـة النبوية الشريفة الكثير من الآيات والأحاديث التي تؤكد أهمية الحافظ على الاستقرار الأسـري، واستمرار العلاقة الزوجية، وتدعو الشباب إلى الزواج، وتبين أهمية أن تكون العلاقة في الأسـرة مبنية على المودة والمحبة والاحترام، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١).

وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لنا رسول اللّه ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء».

لكن في مقابل الحرص على الأسرة وأهـمـيتـهـا، فـإن هـنـاك الـعـديـد من التحديات التي تواجهها الأسرة المسلمة في عالمنا المعاصر، لا سيما بعدما أحدثت ثـورة المعلومات وتكنولوجيا الاتـصـالات الحديثـة انفتـاحـا غير مسبوق، وتأثيرات كبيرة على مستوى وحدة الأسرة وتماسكها أمام مخاطر العولمة وتسيد مجموعة من القيم والعادات الدخيلة وإشاعة نمط الحياة المادي الغربي، وهو ما يتطلب اتباع وسائل تعامل مختلفة تضمن الحفاظ على الأسرة وتماسكها مع مواكبة واقع الحياة العصرية والحديثة، وهذا لن يكون إلا من خلال التمسك بالشريعة الإسـلامـيـة كـمـنـهـج حـيـاة لتنظيم أسلوب حياتنا وتربية أبنائنا، إضافة إلـى نشر التوعية والتثقيف بأهمية وجود الأسـرة وضـرورة الحفاظ على تماسكها وتجنب أي تصرفات سلبية قـد تـؤدي إلـى تفككها، فضـلا عن التسلح بالمبادئ الإسلامية والالتزام بالقيم الاجتماعية وترسيخ أسلوب الحـوار والـنـقـاش وتعـزيـز الاحـتـرام والـتـعـاون مـن أجـل بـنـاء أسـرة قوية وناجحة. وأدركـت الكثير من الـدول التحديات التي تواجهها الأسرة على صعيد تماسكها ومـا ينعكس على المجتمعات من مخاطر نتيجة التفكك الأسري والمشاكل الاجتماعية، فبادرت إلى إدراج قضايا الأسرة ضمن خطط التنمية المستدامة، إضافة إلى تنفيذ العديد من البرامج الهادفة إلى إعلاء مكانة الأسرة ورعاية شؤونها ومعالجة مـشـاكـلـهـا المـخـتـلـفـة فـي مـجـالات الإسكان والصحة والتعليم والقضايا الاجتماعية وغيرها من أبواب تحتاج إلـى مراجعة وتقييم لضمان تمكين الأسرة وتقوية دورها للقيام بواجبها فـي إخـراج أجـيـال تمـثـل مستقبل المجتمعات وتكون قادرة على مواجهة المتغيرات الحديثة.



د. حسين الجرادي
دكتوراه في اللسانيات



وزير مالية مصر الأسبق الأستاذ الدكتور فياض عبدالمنعم حسانين

في ندوة أقامها مركز الكويت للاقتصاد الإسلامي بالأوقاف

(الوافدون من البنوك التقليدية للعمل في البنوك الإسلامية يعتقدون أن البنك ودائع قابلة للسحب في أي وقت واستخدام الأصول يجب أن تكون ديونا قصيرة الأجل توزع أرباحها على أصحاب الودائع)، مؤكدا أن الذين جاءوا من البنوك التقليدية انطبعوا بهذا الطابع فركزوا على المرابحة وانزوت أهداف المؤسسين الأوائل ومقاصدهم.

انطلاقا من تلك الخطة الاستراتيجية لمركز الكويت للاقتصاد الإسلامي التابع لإدارة التخطيط الاستراتيجي بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، والتي تضمنت تحقيق ثلاثة أهداف استراتيجية هي: ترسيخ ثقافة الاقتصاد الإسلامي وجعلها مكونا أساسيا في المجتمع دعما لخطة الدولة للتنمية، وتحفيز الجهات الحكومية ومجتمع الأعمال على تطبيق الممارسات الاقتصادية لدعم التنمية الاقتصادية، والاستخدام الأمثل لأموال الوقف والزكاة وفق نماذج اقتصادية إسلامية في إطار شراكة فعالة.

فقد أقام المركز عبر برنامج زووم ندوة بعنوان: «المصارف الإسلامية اليوم.. تقييم الأداء وفق مقاصد المؤسسين الأوائل»، حاضر فيها وزير المالية المصري الأسبق أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر المستشار الاقتصادي لدار الإفتاء المصرية الأستاذ الدكتور فياض عبدالمنعم حسانين، وأدار الندوة الدكتور بدر العازمي.

المؤسسون الأوائل كانوا يتصورون البنك الإسلامي مؤسسة اقتصادية تنموية استثمارية اجتماعية

ذكر الوزير فياض في بداية الندوة أن الشيخ أحمد بزيع الياسين هو أبرز الداعين لفكرة إنشاء المصارف الإسلامية.. واستطاع بتوفيق الله وبمعونة طائفة متميزة من أعلام الفكر والاقتصاد في عالمنا العربي، التعريف بالفكرة ونشرها في الأمة العربية... ثم وفقه الله لتحويل الفكرة إلى مؤسسة، فأنشأ بيت التمويل الكويتي في عام ١٩٧٨م، وكان قد سبقه تأسيس بنك دبي الإسلامي عام ١٩٧٥م، والبنك الإسلامي للتنمية وبنك ناصر.

البنوك الإسلامية انحرفت عن أهداف المؤسسين الأوائل ومقاصدهم

وضع هؤلاء المؤسسون للمصارف الإسلامية أهدافها في: إقامة وظيفة المال في الإسلام كأداة التنمية المستدامة والإعمار والتنمية الاقتصادية، وتحسين توزيع الثروة في المجتمع وزيادة إنتاج الطيبات.. أي أن يكون البنك الإسلامي بنكا تنمويا استثماريا له دوره الاجتماعي المتميز.. بعيدا عن الربا والاستغلال وإهدار الموارد والنعم الاقتصادية في أغراض الإسراف والترف الاستهلاكي فكانوا يتصورون البنك الإسلامي: «مؤسسة اقتصادية تنموية استثمارية اجتماعية».. وأورد ٤ نماذج من قوانين ونصوص تأسيس البنوك الإسلامية ومن النظام الأساسي منها: بيت التمويل الكويتي وبنك فيصل الإسلامي، والواقع الآن يقول إن البنوك الإسلامية اليوم لم تنجح في هذا، مبينا أن

أهداف المؤسسين الأوائل لم تكن فقط بنوكا موازية للبنوك التقليدية وتقوم بنفس أنشطتها، معزيا ذلك لأسباب عدة منها: أن البنوك الإسلامية لما اشتغلت في المجال المصرفي أحضرت خبرات من المصرفية التقليدية، وهؤلاء يعتقدون أن البنك ودائع قابلة للسحب في أي وقت واستخدام الأصول يجب أن تكون ديون قصيرة الأجل توزع أرباحها على أصحاب الودائع، مؤكدا أن الذين جاءوا من البنوك التقليدية انطبعوا بهذا الطابع فركزوا على المرابحة وانزوت أهداف ومقاصد المؤسسين الأوائل ولم يبذل جهد حقيقي في الإبداع والابتكار، حيث أقنع الوافدون من البنوك التقليدية من القيادات والقيادات الوسطى الملاك العمل بهذه الطريقة لمنافسة البنوك التقليدية، فلم يكن لهم الخبرة الكافية للاستفادة من ثروة التراث الفقهي حيث يوجد نحو ٣٠ عقدا من عقود المعاملات، بينما البنك التقليدي ليس لديه إلا عقد واحد، هو القروض، كما تم ترك الإمكانات الفائقة لهذه العقود، كما لم يحسنوا توظيف المضاربة ولا المشاركة ولم يفهموا مقاصدها، علما بأن فكرة المضاربة تقوم على تحويل التمويل المصرفي بدلا من أن يكون دينا يكون أصلا، ولم يستحدثوا عقودا جديدة كما لم يفهموا العقود الموجودة في التراث الإسلامي ولم يفهموا كيفية استخدامها ولم يفهموا الودائع وكيفية تحويلها إلى استثمار، وكانت الكارثة الأكبر التي حلت في الفكر المصرفي الاعتقاد بأن آلية الفائدة هي أفضل وسيلة، لأنها تغفل النشاط الحقيقي للبنوك الإسلامية، كما لم يتم عمل مراكز معلومات وبحوث سوق، كما لم تعرف كيف تنتقي عقولا تكون أساس المصرفية الإسلامية، كما أنه لم تكن هناك مؤسسات تخرج وتدرب وتؤهل لنا جيلا ثانيا وثالثا ورابعا للعمل في

أهداف المؤسسين الأوائل لم تكن فقط بنوكا موازية للبنوك التقليدية وتقوم بنفس أنشطتها

البنوك الإسلامية.

كما أن الحكومات لما وجدت أن البنوك الإسلامية أنشئت بهذه الأهداف فأعطتها استثناءات فلما وجدتها لم تفعل شيئا سحبت الحكومات هذه الميزات.

وأضاف الوزير فياض: يتجسد عمل البنك الإسلامي وفق هذه الرؤية في مؤسسة لها هيكل خاص في موارده المالية وفي تنظيم هيكله الإداري والوظيفي وفق علاقات وأنشطة تحكمها القيم الإسلامية. والمخالفة للمؤسسة الاقتصادية والمالية الرأسمالية التي تعانق الصراع كأداة تحفيز النمو والتوسعة والإنجاز المادي.

وقال الوزير فياض: إن المؤسسة الاقتصادية الإسلامية مؤسسة تجسد قيم الإسلام في كل جوانبها وعلاقاتها وأنشطتها. فالجميع يسعى بمسؤولية لنجاحها في تحقيق أهدافها التي تنشر الخير والنماء في ربوع المجتمع. فنجد تطبيق ذلك في الهيكل المالي للمصرف الإسلامي. كما تصوره ودعا إليه الرواد المؤسسون للبنوك الإسلامية. ومن أبرزهم أحمد بزيع الياسين رحمه الله... ففي البنك الإسلامي نجد أن موارده موارد مشاركة مخاطرة. في صورة حسابات استثمار بالمشاركة في العائد ربحا أو خسارة وهي ودائع متنوعة الآجال والأغراض... وفي جانب الأصول في البنك الإسلامي

الشيخ أحمد بزيع الياسين كان أبرز الداعين والمؤسسين للبنوك الإسلامية

نجد أن الجانب الأكبر منها استثمارات حقيقية بالمشاركات وعقود المضاربة الشرعية والنسبة الأقل عقود التمويل بالبيوع المؤجلة. وبذلك يحدث التناغم والتنافس بين طبيعة وخصائص ومبادئ الموارد المالية وبين الأصول.. أو بنود التشغيل والاستخدام لتلك الموارد. وذلك يمنح البنك الإسلامي مناعة ومرونة في مواجهة الصدمات المالية في الأسواق. ولإصلاح البنوك الإسلامية:

أضاف الوزير فياض: علينا أن نؤكد هنا على معنى مهم..وهو أن المؤسسات الاقتصادية في المجتمع هي فرع عن الفكر الاقتصادي السائد في المجتمع. أو الفكر الاقتصادي الذي يتبناه المجتمع. وهو أيضا وسيلته لتحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية. والرؤية الفكرية للمصارف الإسلامية ينبغي أن تصاغ وفق ذلك. فتكون البنوك الإسلامية أدوات لتحقيق التنمية المستدامة في المجتمع؛ تجسيدا لوظيفة المال في الشريعة الإسلامية.

وبين الوزير فياض أن ذلك يتطلب هيكلة موارد واستخدامات البنك الإسلامي بتخصيص أكفأ للموارد في الاستثمار في النشاط الاقتصادي الحقيقي... وليس مجرد استبعاد الفائدة على الودائع والقروض والتمويل.

وقال الوزير فياض: إن ذلك معناه أن تتم إعادة الهيكلة الإدارية لنشاط التمويل والاستثمار في المصارف الإسلامية بحيث يكون العاملون في البنك في قطاعات التمويل والاستثمار خبراء في الأسواق للنشاط الحقيقي. وليسوا خبراء في معادلات الائتمان المصرفي... وهذا يتطلب عملا وفق خطة تطوير هيكلي كبير وشامل في المصارف الإسلامية من حيث: الأهداف وأولوياتها، والموارد والتوظيفات وطبيعتها، والهيكل التنظيمي والإداري وسماته المميزة.

محفوظ أمين غريب
كاتب وقاص



تقوى وتصبر

قبيل غروب الشمس استأذن الشاب صابر شقيقته وابنتيها في خروجه من الشقة التي يسكنها معهن بمدينة القاهرة ليؤدي صلاة المغرب، فلما خرج سار غائب الفكر حاضر النظرات فألفى نفسه أمام المسجد الذي تعود الصلاة فيه، فدخله وجلس قرب المحراب يقلب وجهه في سقف المسجد ثم يرمي بنظرات على الأرض، وإذا به ينتفض باكيا أن جاءه إمام المسجد، فأشفق عليه الإمام متسائلا عما يبكيه:

- لا شيء يا سيدي الإمام سوى أنه يعاودني من حين لآخر هم وحزن، إذ ألقى القدر على عاتقي عبئا ثقيلا أجدني أمامه ضعيفا قليل الحيلة وأنا جئت كما تعودت لأصلي وراءك وبنفسي القلقة رغبة في البقاء في المسجد حتى صلاة العشاء لأتلقى منك النصح الذي ينفعني في ذهاب همي وحزني.

- أستأذنك يا بني في ذهابي عقب صلاة المغرب لأزور صديقا مريضا بمسكنه المجاور للمسجد فأعجل إليك لنتحدث معا في أمرك.

وما إن جلس الإمام مع صديقه واطمأن عليه حتى اعتذر له لتعجله الرجوع إلى المسجد، فابتسم صديقه قائلا: لا تعتذر فزيارتك القصيرة هذه انشرح بها صدري وأحسست بعافية في جسدي وتريحني أكثر صحبتك إلى المسجد لأصلي العشاء..

ولما دخل الإمام وصديقه على صابر رحب بهما وعيناه تطرفان بسرعة وهو يفرك جبينه وكأنه يحاول تذكر شيء، فسارع الإمام قائلا له: هذا هو صديقي الأستاذ ماهر العائد من سفر دام تسع سنوات في دولة الكويت حيث كان يدرس لتلاميذه اللغة الإنجليزية.

وفغر صابر فاه من الدهشة وهو يحدق في وجه الأستاذ ماهر قائلا: يا لها من بشرى جاءت بها صدفة جمعت بعد حين من الدهر بيني وبين مدرس اللغة الإنجليزية بالمدرسة الثانوية وأنا تلميذ بها حينذاك وهو الذي أفعم نفسي باحترام له رغم أنه لم يدرس لي اللغة الإنجليزية في أحد الفصول الثلاثة بالمدرسة، ولكن كنت أسمع تلاميذه يشهدون بإتقانه التدريس لهم وحرصه عليهم ورأفته ورحمته بهم فأعجبني أنه في المقام الأول مرب مع كونه معلما..

واتجه الإمام إلى صديقه قائلا: هذا الذي استبشر الآن بلقائك هو المهندس النابه صابر ذو الوظيفة المرموقة بوزارة التنمية المحلية وأنا واحد من الذين يرضون دينه وخلقه..

وجهر الإمام بالتساؤل عما إذا كان صابر يضيق صدره بالتحدث عن الأمر الذي يهمه أمام الأستاذ ماهر، فأجابه صابر بأنه على الإطلاق لا يضيق صدره ومضى قائلا: لما نشأت وشقيقتي الوحيدة في رعاية والدينا عودانا التقوى والصبر فيما نأخذ وندع من أمور الدنيا، وأنا ما زلت أذكر أنه في صباي سمعت والدي يردد أنه يشكر الله على أن جعل له التقوى والصبر نورا يمشي به في الناس، ولقد تبين لي مع كر الأيام أن والدي يمشي بنور التقوى والصبر في معاملته لأهله وللآخرين وفي ممارسته تجارة العطارة، إذ جد صابرا يتقي الله في تنميتها حتى اتسعت فاحتاج إلى أن يشرك مساعدا له في تدبير أمورها فوقع اختياره على شاب فقير يعاني البطالة بعد حصوله على مؤهل متوسط واختصه براتب شهري يعلو فوق الراتب الحكومي، فمضى الشاب متقنا عمله أمينا وتجلى لعارفيه مع مرور الزمن أنه مرضي عنه في دينه وخلقه، ولذلك تقبل والدي رغبته في التزوج بشقيقتي، ثم قدر الله لها بعد عام من الزواج أن تضع توأمتين قرت بهما عينها.

ولأنها احبتهما بأقوى ما يكون الحب تخلت عن عملها بالتمريض في مستشفى حكومي لتحسن تربيتهما ورعايتهما، ثم درجت حياتنا هنيئة

تنساب أيامها في دعة وهدوء حتى جاء يوم عصيب امتدت فيه يد المنية إلى والدي وزوج شقيقتي في حادثة طريق وهما مسافران لقضاء حاجات لتجارة العطارة، وحزنت والدتي حزنا بالغا فمرضت شهرا ولحقت بهما، ولم يترك والدي ميراثا غير الشقة التي أسكنها مع شقيقتي وابنتيها، إذ اشتراها قبيل وفاته من مالكها، وترى شقيقتي بيعها وإيداع ثمنها في وعاء شرعي بأحد البنوك ليكون لنا منه عائد مالي يخفف عني الإنفاق عليها وابنتيها، وها أنا قد ألزمني القدر أن أعول شقيقتي وابنتيها مع دخلي المحدود، ولولا أنني تهزني ذكرى التقوى والصبر حين يوسوس الشيطان في صدري لاتخذت الضلال سبيلا لاكتساب المال الحرام لأتزوج وأعيش مرفها ولكنني في الوقت نفسه أخاف على نفسي الفتنة في ديني وخلقي وأنا في عسر، فها هو يا سيدي الإمام أمري وما أنا به من عسر، فما نصحك لي كي ييسر الله أمري؟.. ورد الإمام على صابر قائلا: يا بن،ي أنت من المحسنين حين صبرت بتقواك على كفالة شقيقتك وابنتيها بعد رحيل والدكم وزوجها عن الدنيا، وأنت يا بني من المحسنين إذ تهزك ذكرى التقوى والصبر إذا وسوس الشيطان في صدرك فتسلك سبيل الرشد في أمور حياتك، وأنت يا بني من المحسنين أيضا حين تخاف على نفسك الفتنة في دينك وخلقك وأنت في عسر، ولكن إذا التزمت أبدا بنور التقوى والصبر تمشي به في الناس فبذلك الالتزام سوف تجاهد في إحسان قولك وفعلك للناس فلا يضيع الله أجر إحسانك إذ يجعل لك من أمرك يسرا والدليل على ذلك في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (يوسف:٩٠).

ولما قضيت صلاة العشاء مضى إمام المسجد إلى مسكنه، فاتجه الأستاذ ماهر إلى صابر قائلا: يا بني، دعني أتوكأ على ذراعك لتوصلني إلى عمارتي وأرجو أن تكون ضيفي لنتجاذب أطراف حديث أراه خيرا، فابتسم صابر مرحبا بالضيافة شاكرا، فلما جلسا راح الأستاذ ماهر يقول بحنو: أصدقك يا بني القول بأنه قد ائتلفت روحي مع روحك خلال جلستنا بالمسجد وأشعر في أعماق نفسي بأن ذلك الائتلاف الروحي يحضني على أن أكون – بعد الله تعالى – في عونك ليغدو أمرك يسرا بعد عسر، ولذلك أشير عليك أن تتقبل رأى شقيقتك ببيع شقتكم واستثمار ثمنها بإيداعه بأحد البنوك ثم إن عمارتي هذه ذات طوابق والطابق الأول شقتان إحداهما نجهزها لتكون عيادة لابنتي الوحيدة الطبيبة في أمراض النساء والتوليد، والشقة الأخرى ما زالت خالية ولعلها تكون بعد بيع شقتكم مسكنا لكم بأجر شهري يسير، وتحتاج ابنتي إلى ممرضة فأرجو أن تتقبل شقيقتك العمل مع ابنتي في العيادة براتب شهري يتفقان عليه، ويسعدني أن تزورنا وشقيقتك وابنتيها غدا ليتم التعارف بين أسرتينا ولتروا العيادة والشقة المجاورة لها.

استأذن صابر في الانصراف وقلبه مرتاح لحديث الأستاذ ماهر.

وتضاعفت سعادة صابر في مساء الغد، إذ ظللت المودة الخالصة زيارة التعارف بين الأسرتين، وجال بذهن شقيقته في ظل تلك المودة بين الأسرتين أن الفرصة سانحة لتهمس إلى شقيقها:

– خيل لي أنني سمعت خفقان قلبك مع نظراتك إلى الطبيبة فهل نخطبها إلى أهلها؟

– هذا أمر يتم في ريث ومهل.

– ولماذا لا نفعل فخير البر عاجله، وأنت نظرت إليها وهي نظرت إليك، و هذا شرط القبول في الزواج؟! فلنسأل الآن وليها عن قبوله ثم يسألها عن قبولها.. وهبت شقيقته لتجلس بجانب الأستاذ ماهر متسائلة عن قبوله الخطبة، فرفت على فمه ابتسامة رقيقة قائلا: يا ابنتي سبق أن قلت لشقيقك بعد جلسة معه بالمسجد إن روحي ائتلفت مع روحه وشهد له إمام المسجد بأنه مرضي عنه في دينه وخلقه، فقبولي أنا لا شك فيه، ولكن يبقى قبول ابنتي وإني سأختلي بها الآن لأسألها.. ولما سألها أبوها أجابت بقبولها فضج أفراد الأسرتين بفرح بالغ. وقبل انصراف الزائرين أقبل الأستاذ ماهر على صابر قائلا: يا بني أرجو أن تتقبل بقبول حسن شرط أن يكون مسكن الزواج بالشقة المجاورة لشقتنا لأنني وزوجتي لا نحتمل بعد ابنتنا الوحيدة عنا مع إقرارنا بمودة وإخلاص بأن شقة الزواج ملك لك ولابنتي، وأضيف يا بني القول بأننا لن نحملك في جهاز الزواج إلا ما تطيقه ليكون زواجك يسرا لا عسر فيه..

وقبيل منتصف الليل عاد صابر هو وشقيقته وابنتاها إلى شقتهم وقلوبهم فرحة، ولما استرخى صابر فوق سريره مضى يتدبر أحداث يومه وأمسه وكيف صار أمره خلالهما يسرا بعد عسر، فراح والنوم يداعبه يهمهم: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (يوسف:٩٠).

د. عاصم عبدربه محمد
دكتوراه في الأدب والنقد



قراءة نقدية في إبداعات «الوعي» الشعرية



(عثمان ذو النورين)

إن قصيدة (عثمان ذو النورين)، للشاعر محمد قنبر أشبه ما تكون بفصل من فصول السيرة أو التراجم، فهي -على كثافتها وقصرها- قد جمعت غالب سيرة عثمان رضي الله عنه، وتلك هي الميزة الأوضح في القصيدة، أعني الكثافة الشديدة التي تحتاج في بسطها إلى سطور كثيرة، فقد تجد في البيت الواحد -بل في الشطر الواحد- أكثر من موقف وأكثر من خبر في سيرة عثمان، فهو يقول مثلا: (عثمان منهم حيي من أوائلهم)، فقد جمع في الشطر أمرين ثابتين في سيرة عثمان، وهو الخبر الثابت في صحيح مسلم الذي وصفه فيه النبي ﷺ بالحياء وأن الملائكة تستحيي منه، والثاني أنه (من أوائلهم)، وذلك أن عثمان كان من أوائل من أسلم في مكة.

ثم يستمر الشاعر في ومضاته الخاطفة المكثفة لسيرة عثمان، فيذكر مبايعة النبي ﷺ بيده بديلا لعثمان في الحديبية، وزواجه بابنتي النبي ﷺ، وهجرته إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وشراءه لبئر رومة، وتصدقه بقافلة كاملة، وتجهيزه جيش العسرة، وختام حياته بالشهادة مقتولا.

وقد استعان الشاعر في مواضع كثيرة ببعض اللفتات البيانية لإبراز مراده، فقد استخدم التشبيه البليغ فجعل الإسلام نورا، وجعل الهدى صبحا، ثم استعان بالاستعارة المكنية فجعل الحق كإنسان يتحرك ويحطم الأوثان التي حول الكعبة.

ويؤخذ على الشاعر ذكره أن أقدام المسلمين قد وطأت أرض خراسان في عهد عثمان، والصواب أن ذلك تم في عهد عمر، ثم أكمل عثمان الجهاد.



(أيا وطنا)

قصيدة (أيا وطنا)، للشاعر اليمني سبأ محمد عباد، هي حبة في عقد بكاء الديار ورثاء الأوطان، ذلك الفن الذي لم يغب عن الشعر على مر التاريخ، وقد رأينا روائع جادت بها قرائح الشعراء في رثاء بغداد أيام التتار، ورثاء الأندلس بعد سقوطها، وغير ذلك كثير.

وهذه القصيدة -باعتبار غرضها- لا تجد فيها تلونا ولا ادعاء ولا عاطفة كاذبة، لأنها تصدر عن نفس مكروبة بفقد الوطن، مكلومة من فراق الأحبة، متحسرة على دمار الديار وتغير الربوع، لذلك فقد أكثر الشاعر من الألفاظ التي تدور في فلك تلك المعاني الحزينة، فذكر في الأبيات (أحن - الدموع - المآسي - تيهي).

ثم يستخدم الشاعر التجسيد ليجعل مشاعره أكثر وقوعا في نفس المتلقي، فتراه يحول وطنه إلى شخص فيجعل له قلبا يحن، ويجعل له خدا تسيل عليه الدموع، ثم يرسخ الشاعر في ذهن المتلقي فكرة الوطنية الحقيقية التي تبذل من أجل الوطن لا غير، فيقول: (أيا وطنا زرعت به فؤادي)، ليبين للمتلقي أن قلبه متجذر في هذه الأرض مرتبط بها، فهو كالنبات الذي إن قلع مات، وهو كالنبات الذي تغذوه هذه الأرض، وهو كالنبات الذي إن ماتت الأرض التي هو فيها مات، وهو كالنبات الذي إن حزنت الأرض حزن.

وأخيرا تتجلى الوطنية وحب الديار في إلحاحه على فكرة الارتباط بحلم العودة إلى الوطن وفكرة عودة الوطن إلى سابق عهده بما يحويه من أهل وجيران وأصحاب وربوع وشجر ومشاعر، دون النظر إلى ما آل إليه الحال الآن، وذلك هو الأمل الذي به يحيا، ودونه يموت.

(هجر الأحبة)

إن قصيدة هجر الأحبة، للشاعر السوري محمد قنبر نفثة من صدر محترق، ودمعة من عين قرحى، فإن مسألة هجر الإنسان لأحبته أو العكس مسألة طالما تحدث الشعراء عنها، وطالما وصفوا أثرها في القلب والجوارح، فهي تسقم النظر فيرى الجميل قبيحا، وتسقم الأذن فلا





تطرب لصوت ولا تلتذ بحديث، وتسقم الجسم فيغدو مرهقا مجهدا ذابلا، فتصبح الدنيا كلها لا لون فيها غير الأبيض والأسود، تتساوى في نظر ذلك الشخص الألوان كلها، والشخوص كلها، والأطعمة كلها، والأرواح كلها.

وقد ألح الشاعر على هذه الفكرة في كل بيت من أبياته، فجعلنا نرى العين وهي تصارع الدمع فيغلبها ويسيل (قهرا فينهمر)، وجعلنا نكابد الشوق للأحبة مع العين والأطيار والبشر فتبكي أرواحنا (وبكت.. من شوقها العين والأطيار والبشر).

ثم يحوك الشاعر من هذه المشاعر عباءة ألقاها على مظاهر الكون فشاركته هذه المشاعر كلها، فإذا بالعندل يغادر الغصن ولا يعود يغرد، وإذا الأقحوان يبهت لونه وتذبل نضارته، وإذا الجدران في البيوت تئن وتتذكر الأحبة الذين كانت صورهم تزينها، وإذا الباب يسأل عن خبر الأهل الذين اعتادوا طرقه وفتحه.

وقد استخدم الشاعر الاستعارة المكنية في مواضع عدة جعلت المعنى أكثر عمقا وأكبر أثرا في النفس، حيث جعل العندليب كإنسان يعتذر، والجدار كشخص يتيم يشتكي، وجعل الباب كإنسان عاقل يسأل ويتكلم.

ويؤخذ على الشاعر أمور قليلة لا تعكر النغم الحزين الصادر من القصيدة، منه في البيت الأخير قوله: (صحراء قاحلة- مصفرة- ما بها ظل ولا شجر)، فالكلمات كلها تؤدي المعنى نفسه، مما يعد تكرارا لم يفد معنى جديدا.

وعندي أن الشاعر يسقط ذلك كله على حال وطنه وما يعتريه من دمار وفراق أحبة وافتراق شمل، فالمعاني كلها تليق بذلك.



(رمضان يا خير الشهور)

قصيدة رمضان يا خير الشهور، للشاعر د.عبد المنعم عبد الله حسن، نموذج من الشعر الديني الذي يتسم بصدق العاطفة، فالشعراء على مر العصور لم يبتغوا من وراء هذا النوع من الشعر لا جوائز ولا عطايا ولا إعجاب، لذا ترى العاطفة فيه لا تكلف فيها ولا اعتمال.

وهذه العاطفة جعلت الشاعر يرى الأشياء كلها على صورة جميلة، فالدنيا أصبحت في نظره سرورا مجسدا فيقول: (الدنيا سرور)، وضوء هلال رمضان أصبح في عينيه بدرا، بل بدر البدور، فيقول: (وهلاله بدر البدور)، والذكر تحول في نظره إلى ضياء ساطع يشرح الصدر ويجلو الهم، فيقول: (فالذكر يتلى ساطعا بهداه تنشرح الصدور).

وقد استعان الشاعر في إبراز معانيه وصوره بأمور عدة، أبرزها أمران:

الأول منها: الاقتباس، حيث أكثر الشاعر -رغم قصر القصيدة- من الاقتباس من السنة المطهرة، فمن ذلك قوله: (واليسر نهج شريعة)، فهو مقتبس من حديث: (إن الدين يسر (البخاري)، وقوله: (فالناس في خير إذا.. ما عجلوا فيك الفطور)، فهو مقتبس من حديث: (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر) (البخاري)، وقوله: (والناس في خير إذا... ما أخروا فيك السحور)، مقتبس من الحديث الذي يقول فيه الصحابي وهو يصف تأخير النبي للسحور: إن النبي ﷺ (جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، قال قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور) (سنن أبي داود).

والأمر الثاني الذي استعان به الشاعر هو: الاستعارة، حيث حول الشاعر ما لا يعقل إلى شخص صاحب عقل حيث يقول: (والصوم عانقه القيام)، وكأن الصوم والقيام شخصان طال افتراقهما بكون كثير من الناس يهجرون القيام ولا يفعلونه إلا في رمضان، فلما جاء موعد التقائهما تعانقا وكأن أحدهما يشتاق للآخر وينتظره.



وليد عبدالماجد كساب
عضو اتحاد كتاب مصر

قراءة نقدية في إبداعات «الوعي» القصصية

«الغائب الحاضر»

عودتنا مياسة النخلاني على الإسهام بقصصها التربوية في هذا الباب، وهو اتجاه نحن أحوج ما نكون إليه في هذه الأيام التي تراجعت فيها القيم بشكل كبير، وفي قصتها «الغائب الحاضر» تتناول قيمة اجتماعية مهمة، وهي الصداقة الحقيقية، وكيف يكون الصديق سندا لصديقه ملهما له.

اختارت الكاتبة عنوانا تقليديا مباشرا هو «الغائب الحاضر» لتؤكد على الوشيجة القوية التي تربط الأصدقاء حتى بعد الرحيل، فالصديق الذي عاش مصدر مودة وإلهام لصاحبه غيبه الموت في وقت تباعد بينهما، فتضاعف ألم الفراق مع ألم التقصير في حق الصديق قبل أن يغيبه الموت ويطويه فيمن طوى.

كذلك أشارت إلى بعد مهم جدا وبعض الإشكالات التي أضفتها وسائل التواصل الاجتماعي على حياتنا، وكيف تأثرت حياتنا بهذه المواقع الافتراضية التي جرّت على المجتمع كثيرا من المشكلات رغم إفادتها.

اعتمدت النخلاني على ضمير المتكلم في السرد، كما اعتمدت على الحوار الداخلي، إذ هما أقرب إلى موضوع القصة القائم على بث المشاعر المختلفة، وأوضحها مشاعر الندم التي تلت رحيل الصديق.

ثمة تعبيرات مجازية جميلة تخللت القصة مثل قولها: «أعجبتني ذاتي التي رأيتها تعكس يوما في عينيه»، وقولها: «كانت شمسي تشرق من بين كلماته»، وقولها: «جاهدت بشدة لجذبه للعتمة التي باتت روحي تعيش فيها».

يعيب القصة ما تخللها من تكرار لبعض الكلمات في السطر الواحد، وهذا مما يضعف النص بشكل كبير.

كما تضمنت القصة حوارا بين البطل الراوي وبين المدير المتسلط حشدت فيه مشاعر الخوف والتردد، وحوارا داخليا بين البطل ونفسه أظهر المشاعر المتلاطمة داخله، من ذلك قوله: «لن أعيد صياغة التقارير وفقا لملاحظاتك الغبية، لن أذهب لأعد لك القهوة الصباحية، ولن أعود مجددا لإضافة السكر الذي أنساه دائما، ولن أذهب لموقف السيارات لأحضر لك المحمول اللعين الذي تتعمد أن تنساه».

على عكس ما توقع القارئ جاءت النهاية، فعبارات التحدي التي حشدتها الكاتبة جعلت القارئ ينتظر تلك اللحظة الحاسمة التي يتخلص فيها البطل من كل قيوده ويكسر أغلاله؛ لكن تأتي لحظة التنوير مغايرة تماما لتوقع القارئ. وأظن القصة لا تعني تلك القيود الاجتماعية فحسب، لكنها أرادت ما هو أبعد من ذلك.

القصة جيدة في مبناها ومعناها، لكن لابد للكاتبة من العمل على إثراء معجمها اللغوي بحيث تضيف مفردات جديدة يمكن توظيفها بشكل أفضل، كذلك تضمن أصل القصة بعض هنات لغوية يجب العمل على تداركها في قابل الأعمال.

«خطوات»

جاءت قصة «خطوات» لتعالج مرضا اجتماعيا استشرى في مجتمعاتنا وهو «التنمر» الذي يؤثر سلبا على الأشخاص والمجتمع. وتزداد ضراوة هذا المرض إذا تعلق بذوي القدرات الخاصة الذين من المفترض أن يكونوا محط اهتمام المجتمع كله لا أن يكونوا عرضة للإساءة ممن يفتقدون الإنسانية والذوق.

اختارت الكاتبة عنوانا لافتا ومشوقا ومتسقا مع القصة، فبطل القصة يعاني من إعاقة جسدية تسبب له ألما نفسيا كبيرا وسط الناس، وكما كانت تؤلمه خطواته ألما جسديا، فإن الألم النفسي لهذه الخطوات في مجتمع لا يحسن التعامل مع أمثاله كان أكبر بكثير.

اتخذت الكاتبة «الراوي العليم» وسيلة للسرد، حيث يقوم بوصف المشاهد الخارجية والداخلية للقصة، كما يعبر عن ذات البطل ووالدته ومعاناتهما في المجتمع الذي يعيشان فيه.

بالإضافة إلى الوصف زاوجت القاصة بين الحوار الداخلي الذي



ينقل مشاعر البطل بكل آلامها ويكشف مكنونات نفسه، والحوار الخارجي الذي يكون البطل فيه طرفا مع والدته، وقد نجحت في توظيف الحوار للتعبير عن البطل، وأحسنت الانتقال بين الحوار والوصف.



«زيارة قصيرة»

هذه أيضا قصة تربوية نبيلة المقصد، تدور حول ويلات الحروب وما تسببه من اغتراب خارجي جغرافي وداخلي نفسي، فليس هناك ما هو أشد فتكا بالمجتمعات من الحروب التي تبعد الإنسان عن موطنه وأهله، وتقطع السبل بين الأحباب، إنها تسحق الإنسانية سحقا. كما تعظم القصة من قيمة التكافل الاجتماعي وجبر الخواطر، لاسيما وقت الأزمات والشدائد، وهي الأوقات التي يكون فيها الإنسان أكثر حاجة إلى من يحنو عليه ويعيد إليه ثقته في المجتمع.

جاء عنوان القصة «زيارة قصيرة» كاشفا بشكل واضح عن محتواها، فالبطلة تروي قصة زيارتها لموطنها بعد سبع سنوات من الاغتراب لترصد ما استجد عليه من مآس، وكيف تغيرت خريطة المكان وتغير ناسه وأصبحوا أكثر بؤسا وشقاء.

اختارت القاصة «ضمير المتكلم» لسرد القصة، وهو الضمير الأليق بموضوع قصتها القائم على وصف المأساة التي خلفتها الحرب على الوطن البائس الفقير وأبنائه الذين دعسهم قطار الحرب بقسوة. كما زاوجت بين الحوار الداخلي والحوار الخارجي، لتكشف عن المشاعر الدفينة لدى شخوص القصة وما انطوت عليه من مرارة ومعاناة، وتصف أحوال الحي.

لا يعيب القصة سوى تكرار بعض الكلمات مثل كلمة «حي» التي تكررت في الفقرة الأولى وحدها سبع مرات، كما أن نهاية القصة جاءت مبتورة في صياغتها، وكان من الممكن أن تكتب بشكل أفضل.

«صرخة طفل»

في قصته «صرخة طفل»، يرسم القاص عمرو طه لنا لوحة من القصص الإنسانية القائمة على مبدأ التكافل الاجتماعي في المجتمع، وهو نظام تفرد به ديننا الحنيف منذ نزول الرسالة على خاتم المرسلين ﷺ.

جاء العنوان مناسبا للقصة، التي هي بمنزلة صرخة لطفل صغير أنهكه السعي في دروب الحياة الوعرة ليساعد والدته المريضة في رعاية أبيه الذي أقعده المرض عن العمل والكسب، كما تلقي القصة الضوء على عمالة الأطفال التي تجرمها القوانين الوضعية في العالم.

أحسن القاص حين استخدم في سرده «ضمير المتكلم» ليعبر بشكل مباشر عن معاناة هذا الطفل، ولكي ينقل مشاعره كما هي، لا بواسطة «الراوي العليم»، فالأول أوقع من الثاني لكونه ينبع من داخل البطل فيكون أقرب إلى نفس القارئ.

استخدم طه المنولوج الداخلي لنقل مشاعره وما يدور داخل نفسه وعقله، كما استخدم المنولوج الخارجي لتعريف الآخرين بمعاناته.



سهير أبوبكر عبد الوهاب الشاذلي
كاتبة صحافية



نماذج من حسان الكلام العربي الذي انتقل إلى اللغة الإنجليزية

أثر اللغة العربية في اللغة الإنجليزية

في القرن السابع عشر بدأت الأمة الإنجليزية تشق طريقها بين الأمم الأوربية الحية، وبدأت تتجاوز عصر النهضة بما فيه من تقلبات وتغيرات، إلى بدايات عصر الحداثة الفعلي.

لذلك لم يكن غريبا أن تهتم بريطانيا باللغة العربية، حيث أن العالم العربي والإسلامي كان في ذلك الوقت وقبله بقرون هو العالم الذي ينشر أضواءه الثقافية والعلمية في كل مكان. وكانت أوروبا عموما وبريطانيا خصوصا تلهث وراء علوم العربية وآدابها. ويذكر الدارسين أن اهتمام الأوروبيين عامة والبريطانيين خاصة بالعربية وعلومها وتعليمها لا يعود إلى القرن السابع عشر فقط، بل بدأ في أواخر القرن التاسع الميلادي، حين أنشأت الدولة الأموية في الأندلس وأنشأ العرب والمسلمون هناك جامعة قرطبة، وزودوها بمكتبة ضخمة، وأقبل طلاب العلم إلى الأندلس من كل حدب وصوب، مما أدى إلى ازدهار علوم الرياضيات والفلك كما يقول تشارلز بنت في كتابه المعنون بـ «دخول العلم العربي إلى انجلترا» (المكتبة البريطانية ١٩٩٧م)

وعلى الرغم من الأهمية الكبرى التي يوليها بعض الدارسين للتأثير الحضاري للحضارة العلمية العربية في الحضارة الغربية، إلا أننا هنا نظهر التأثير الأدبي للغة العربية والمعاني الإنسانية ذات القيمة التي حوتها هذه اللغة فيما حوت في اللغة الإنجليزية.

وقبل الخوض في مادة هذا المقال أورد ما ذكره ابن سنان الخفاجي في كتابه: (سر الفصاحة) وهو يتحدث عن جمال العربية وأفضليتها: «وقد أخبرني أبوداود المطران –وهو عارف باللغتين: العربية والسريانية– أنه إذا نقل الألفاظ الحسنة إلى السرياني قبحت وخست، وإذا نقل الكلام المختار من السرياني إلى العربي ازداد طلاوة وحسنا، وهذا الذي ذكره صحيح، يخبر به أهل كل لغة عن لغتهم مع العربية».

وهذه نماذج من حسان الكلام العربي وطلاوته وسبقه العلمي والأدبي في المعنى والمبنى، حتى أن تأثيره انتقل إلى لغات أخرى، وأهمها اللغة الإنجليزية –قبل شكسبير– عندما يكون السؤال جوابا–:

في الشعر الإنجليزي نعرف ذلك السؤال الذي أصبح جوابا لدي معظم شعوب العالم. وهو سؤال وليم شكسبير في مسرحيته الشهيرة هاملت، القائل: – نكون أو لا نكون، تلك هي المسألة:– to be or not to be،that is the question.

والحقيقة أن الغربيون يرددون بإعجاب في كل مناسبة القول السابق لشكسبير وليس قوله: «هذا هو السؤال» أو «هذه هي المسألة» قولا عجيبا مبتكرا، ففي التاريخ العربي أن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك جيء إليه بأحد الخوارج الثائرين على الدولة، فقال له الوليد: ما تقول في أبي بكر الصديق؟ قال الرجل: خيرا. فسأله الوليد: فما تقول في عمر بن الخطاب؟ قال الرجل: خيرا، فسأله الوليد: فعثمان بن عفان؟ قال الرجل: خيرا. قال الوليد: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك؟ –والد الخليفة الوليد– فقال الرجل: الآن جاءت المسألة، ماذا أقول في رجل كان الحجاج بن يوسف خطيئة من خطاياه؟!

هكذا نطق ذلك الرجل الخارجي الثائر علي دولة الأمويين، بنفس الكلام الذي نطق به أبطال شكسبير، حين تشابهت المواقف الدرامية، فقد كان ذلك الرجل معرضا للقتل بالسيف فورا إذا لم تعجب إجابته الخليفة، أي أنه كان في موقف «أكون، أو لا أكون» الذي وصفه شكسبير بعد ذلك بثمانمائة سنة!

– الطيور على أشكالها تقع:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» (مسند أحمد).

وفي مجمع الأمثال: «الطيور على آلافها تقع»، «كل طير يأوي إلى جنسه»، «جليس المرء مثله».

وقال عدي بن زيد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن مقتدي

وقال أبو الأسود الدؤلي:

لكل امرئ شكل من الناس مثله
وكل امرئ يهوي إلى من يشاكله

وقال أبو العتاهية:

وصاحب المرء شبيه به
فسل عن المرء بأمثاله
وسل عن الضيف بمن أمه
فإنه شبيه بنزاله.

هذا المعنى انتقل إلى اللغة الإنجليزية بمعنى أو بآخر منذ عام: (١٥٤٢م) إلى أن استقر كأحد الأمثال عام: (١٩١٢م) فأصبح:

A man is Known by the company he Keeps

والمعنى: «يعرف المرء بأصدقائه».

- العزلة:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «العزلة راحة من جليس السوء، وقرين الصدق خير من الوحدة»

وقال أبو العلاء المعري:

اجتنب الناس وعش واحدا
لا تظلم القوم ولا تظلم

وقال:

في الوحدة الراحة العظمى فآخ بها
قلبا وفي الكون بين الناس أثقال.

وقال أسامة بن منقذ:

عش واحدا أو فالتمس لك صاحبا
في محتدى ورع وطيب نجار
واحذر مصاحبة السفيه فشرما
جلب الندامة صحبة الأشرار

وقال مهيار الديلمي:

فعش واحدا أو كن من الناس حجرة
فإن الوفاء لفظة مات معناها

وقال الشاعر العربي:

وأرى الوحدة خيرا للفتي من
جليس السوء فانهض إن قعدت

هذا المعنى انتقل إلى اللغة الإنجليزية بمعنى أو بآخر منذ عام: (١٨٢٥م) إلى أن استقر كأحد الأمثال فأصبح:

Better alone than have a false friend for company

والمعنى: «الوحدة خير من معاشرة صديق زائف».

- الصديق مرآة:

قديما قال الشاعر العربي:

ومن يريني عيبي
فذاك خير صحبي
أفديه بالحياة
لأنه مرآتي
أرى بها القبيحا
مني والمليحا

هذا المعنى انتقل إلى اللغة الإنجليزية بمعنى أو بآخر منذ عام: (١٦١١م)، وكانت صيغته:

An old friend an excellent looking-glass

إلى أن استقر كأحد الأمثال عام: (١٦٧٠م)، فأصبح:

The best mirror is an old friend

والمعنى: أفضل المرايا الصديق القديم.

- ما أقل الإخوان!

قال حسان بن ثابت:

أخلاء الرخاء هم كثير
ولكن في البلاء هم قليل
فلا يغررك خلة من تؤاخي
فما لك عند نائبة خليل

وقال أبو العتاهية:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها
فكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا وإن وثبت
يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال الشافعي:

وما أكثر الإخوان حين تعدهم
ولكنهم في النائبات قليل

وقال مهيار الديلمي:

فما أكثر الإخوان بل ما أقلهم
على نائبات الدهر حين تنوب

وقال أبو فراس الحمداني:

أقلب طرفي لا أرى غير صاحب
يميل مع النعماء حيث تميل

هذا المعنى انتقل إلى اللغة الإنجليزية بمعنى أو بآخر منذ عام: (١٦٥٩م)، وكانت صيغته:

In time of prosperity. friends will be plenty؛ in time of adversity ،not one amongst twenty.

والمعنى: يكثر الأصدقاء في زمن الرخاء، وفي أيام الشدة لا تجد واحدا من بين عشرين.

- هند .

المئة في اللغة الإنجليزية: Hundred وفي الألمانية: Hundert

وفي السويدية: Hundra وفي اللغات الجرمانية: Hund، ولا شك في أن جذر هذه الكلمة موجود في اللغة العربية، فكلمة –هند– تعني مئة من الإبل، يقول ابن منظور في لسان العرب: «إن هند وهنيدة اسم للدلالة على المئة من الإبل»، وهي لا تنصرف ولا يدخل عليها الألف واللام. وحتى في الإنكليزية فإن Hundred لا تجمع فيقال: One Hundred و Two Hundred وهكذا.

الألفاظ الإسلامية التي دخلت في اللغة الانجليزية:

القرآن: Alcoran، دخلت هذه الكلمة اللغة الإنجليزية في القرن الرابع عشر الميلادي سنة: (١٣٦٦م).

الله: Allah، بدأ استخدام لفظ الجلالة في اللغة الإنجليزية في بداية القرن الثامن عشر الميلادي سنة: (١٧٠٢م) وبشكل هجائي مختلف هو Alha.

بسم الله: Bismillah، بدأ استخدامها في اللغة الإنجليزية في القرن التاسع عشر الميلادي سنة: (١٨١٣م).

خليفة: Caliph (califfe،calipe) بدأ استخدام هذه الكلمة في الإنجليزية في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي سنة: (١٣٩٣م).

الحج: Hadj، بدأ استخدامها في اللغة الإنجليزية في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي سنة: (١٧٠٤م).

الحاج: Hadji أو hajji، بدأ استخدامها في أواخر القرن السادس عشر الميلادي سنة: (١٥٨٥ م).

الهجرة: Hegira أو hejira، دخلت الإنجليزية عن طريق اللاتينية الوسيطة في أواخر القرن السادس عشر الميلادي سنة: (١٥٩٠م).

قرآن: Koran، دخلت الإنجليزية من العربية مباشرة في القرن السابع عشر الميلادي سنة: (١٦٢٥م).

مكة: Mecca، دخلت الانجليزية من العربية مباشرة في القرن التاسع عشر الميلادي سنة: (١٨٥٠م).

المحرم: Moharram، انتقلت من العربية إلى الإنجليزية مباشرة في أوائل القرن السابع عشر الميلادي سنة: (١٦١٥م).

رمضان: Ramadan، دخلت الإنجليزية في بداية القرن السابع عشر سنة: (١٦٠١م).

وفي الختام:

بعض الكلمات ذات الأصول العربية التي دخلت الإنجليزية مباشرة:

الخوارزمي: algorithm
الجبر: algebra
الإكسير: elixir
طلسم: talisman
القيراط: carat
الكحول: alcohol
مملوك: mameluke
سلطان: sultan
شيخ: sheikh
مؤذن: muezzin
قاضي: cadi
شاش: shash
خروب: carob
زرافة: giraffe
غزالة: Gazelle
الجمل: Camel
سبانخ: spinach
أمير البحر(أدميرال): admiral
العلماء: Ulema
قرنية العين: Cornea
مخازن (مجلة، مخزن السلاح): Magazine
صوف (مقعد وثير) sofa
قنديل (شمع) Candle
قطع: cut
كعك: cake
سكر: Sugar
الفردوس: Paradise
ليمون: Lemon
أرز: Rice
راس: Race
صقر: saker
أسفل (دون): Down
القهوة: Coffe
ترجمان: Dragoman
ياسمين: Jasmine
قميص: Camise
عطار: Attar
جرة: jar
جبس: gypsum
قطن: Cotton

– دار الصناعة: dar as،s، ina`ah (العتاد العسكري أو مكان تخزين الذخائر): ومنها arsenal ومنها النادي الشهير (الأرسنال)

– الطوبة: al-toba ومنها adobe (الطوب) وتعني الطين المستخدم في صناعة طوب البناء: ومنها adobe acrobat والتي نراها غالبا في برامج الكمبيوتر.

شذرات

عمرو طه
قاص مصري

إن اكتساب عادة القراءة وإحاطة أنفسنا بالكتب الجيدة، بمنزلة بناء ملجأ نفسي يحمينا من أغلب مآسي الحياة.
سومرست موم

من الجيد أنك تقرأ، اكتسب عادة القراءة، فسيحين الوقت الذي تعرف فيه قيمة هذه العادة.
أنطون تشيخوف

لا تنبع معاني الأشياء من الأشياء ذاتها، بل من موقفنا منها.
أنطوان إكزوبيري

الصمت دائما أجمل، والشخص الصامت دائما أجمل من الشخص الذي يتحدث.
دوستويفسكي

ضرورة المسافات بينك وبين الناس كضرورة المسافات بين الكلمات لتكوين الجُمل.
شمس التبريزي

حينما أتذكر ذاتي في نفس التوقيت من العام الماضي، أدرك أن عاما واحدا يستطيع تغيير الكثير.
نجيب محفوظ

نهاية الشيء أفضل بكثير من استمراره بشكل باهت.
أحمد خالد توفيق

الغني هو الغني بما في يده عما في أيدي الناس، والفقير هو الذي لا يقنعه في هذه الحياة مقنع، ولا تقف به نفسه عند مطمع.
المنفلوطي



شيماء لطفي
باحثة تربوية



العودة إلى المدارس.. وقفات مع الوالدين

منذ فترة وجيزة عاد إلى واقعنا مشهد محبوب ومنظر زاه جميل، وهو عودة أولادنا إلى مقاعد الدراسة ومعاهد التعلم، ومحاضن التربية. هذه العودة التي أتت بعد انقطاع دام حوالي عام ونصف العام، جربنا فيها -طلبة وأولياء أمور- تجربة التعلم عن بعد -بما لها وما عليها- والتي ألجأتنا إليها ظروف جائحة كورونا اضطرارا.

إن مشهد أولادنا وهم متجهون إلى المدارس والمعاهد والجامعات لمنظر يسر الناظر لمجد أمته، الطموح لعز دينه ومجتمعه، فسلوك سبيل العلم إنما هو طريق من طرق الجنة، قال النبي ﷺ: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة» (رواه مسلم).

ومع عودة الطلاب إلى المدارس عشنا استنفارا للطاقات والجهود في البيوت والأسواق لتأمين مستلزمات الدراسة وتسجيل الأبناء وإعدادهم لخوض معترك العام الدراسي..

إننا بحاجة إلى أن يعي كل أب وكل أم دورهما تجاه أبنائهما وبناتهما، فبعض الآباء يعتقد أن دوره لا يتعدى شراء الدفاتر والأقلام وتسجيل الأبناء في المدارس، واختيار ملابسهم وتجهيز وسائل نقلهم وإعطاءهم المصروف اليومي، وهذا شيء جميل أن يقوم بواجب النفقة على أولاده وهو مأجور على ذلك إذا احتسب ذلك عند الله، فالنبي ﷺ يقول: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله» (رواه مسلم).

ولكن من الخطأ أن يهتم بعض الآباء والأمهات بهذا الجانب؛ جانب النفقة وتوفير الملبس والمأكل والمشرب، دونما عناية بالجانب الأهم؛ وهو الاهتمام بالمخبر لا المظهر، وخدمة القلب والروح، فمهمة التربية والتعليم ليست مقتصرة على المدرسة فحسب، بل للأبوين فيها النصيب الأكبر، فالأب تقع عليه المسؤولية الكبرى في تعليم ولده وتربيته ومتابعته، وهو المخاطب بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ (التحريم:٦)، وهذه الآية أصل في تعليم الأهل والذرية، قال علي رضي الله عنه عن هذه الآية: «﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ أي: علموهم وأدبوهم» (رواه الحاكم وصححه).

وتأتي الخطورة حين ينشغل الوالدان عن أولادهما ويهملان دورهما التربوي والتعليمي المساند للمدرسة متعللين بانشغالاتهم واهتماماتهم وارتباطاتهم وأعمالهم، موكلين دور التربية والتعليم والتوجيه إلى المدرسة وحدها، متغافلين عن أهمية دورهما في تربية أبنائهما، والذي يسبق أي دور لأي مؤسسة تربوية بل يتفوق عليه، فالوالد هو المربي والمعلم الأول في حياة ولده، وهو المسؤول أمام الله سبحانه عن بذل الأسباب لإصلاح ولده وحمايته، قال ﷺ: «إن الله سائل كل رجل عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» (رواه ابن حبان).

نعم إن المدرسة توجه وتربي، لكن الابن لا يقضي فيها معظم وقته! فالمعلم دوره توعوي وتوجيهي وتعليمي، فهو يربي الطالب ويعلمه الدين والصلاة والآداب الشرعية كآداب النوم والأكل والشرب...الخ، ويأتي الأب ليؤكد ذلك فعليا بالمتابعة والتنفيذ، فمن دون متابعة لا أهمية لتوجيه المعلم وتوعيته، والأب هو المخاطب بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (طه:١٣٢)، وهو المخاطب بقول النبي ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين» (رواه أحمد).

إن الأبوين مطالبان بتربية ابنهما التربية الإسلامية الصحيحة، ولنا في رسول الله ﷺ وفي تربية الجيل الأول لأولادهم الأسوة والقدوة، روى البخاري في صحيحه عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاما في حجر النبي ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام، سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك». قال عمر: «فما زالت تلك طعمتي بعد».

وقال سعد: «كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله كما نعلمهم السورة من القرآن».

إن الأبوين مع المدرسة صنوان وعمودان لخيمة نجاح الأبناء، وحضور الآباء إلى المدرسة ومتابعة واجبات الأبناء فيه تشجيع وتحفيز لهم على التحصيل والتفوق وإشعارهم بالثقة والاطمئنان لقرب الأب منهم، ويساعد كذلك في التعرف على ما قد يكون لدى الابن من مشاكل أخلاقية أو نفسية أو صحية لا يعلمها الأب، وقد تكون هذه المشكلة سببا في ضعف تحصيله وتأخره الدراسي، فيساهم حضور الأب وتفاعله في حلها وعلاجها.

إن الأب مطالب أن يتفهم رسالة المعلم ويؤازرها لا أن يحطمها ويدمرها، ولا يتأتى ذلك إلا بأن يكون الأب قدوة أمام أولاده في أخلاقه وسلوكه واهتماماته، حتى لا يهدم ما تغرسه المدرسة والمعلمون من قيم وسلوكيات في نفوس الأبناء.

وإن من واجب الآباء والأمهات أن يغرسوا في نفوس أبنائهم وبناتهم حب العلم والعلماء، وإجلال المعلمين والمعلمات وتوقيرهم واحترامهم طلبا لمرضاة الله سبحانه وتعالى، وأن يعلموهم الأدب قبل أن يجلسوا في مجالس العلم والطلب، وأن يعلموهم الأدب مع الكبار والعطف على الصغار، وأن يعلموهم الهدوء واحترام المساجد ودور العلم والعبادة، فهذه أم الإمام مالك بن أنس لما أراد أن يطلب العلم ألبسته أحسن الثياب ثم أدنته إليها، ومسحت على رأسه، وقالت: «يا بني اذهب إلى مجالس ربيعة، واجلس في مجلسه، وخذ من أدبه ووقاره وحشمته قبل أن تأخذ من علمه»[١]. علمته الأدب قبل أن يجلس في مجلس الدرس والطلب.

وهذه أم سفيان الثوري لما توفي أبوه وكان صغير السن حدثا، أراد أن يطلب العيش والرزق، وينصرف عن طلب العلم، فقالت له أمه: «أي بني اطلب العلم أكفك بمغزلي».

إن استشعار الوالدين لهذه المسؤولية التربوية يسهم في نجاح العملية التعليمية ويؤدي إلى أن تؤتي ثمرتها المرجوة على الوجه الأكمل، فيخرج لنا جيل قد تحلى بالعلم والأدب والأخلاق الحميدة ويكون سبيلا لنهوض الأمة من كبوتها وصحوتها من رقادها.



الهوامش

١- مالك.. حياته وعصره وآراؤه الفقهية، محمد أبو زهرة، ص:٩٥.

د. آندي حجازي
أكاديمية في علم النفس التربوي



الأسرة وتحديات العصر

الأسرة وعلى مر الزمن تعتبر المؤسسة الرئيسة الأولى من مؤسسات التنشئة الاجتماعية للطفل والأبناء، فعملية التنشئة تبدأ من لحظة قدوم الطفل إلى هذه الحياة وتستمر مدى الحياة، لأن الحياة كلها تعلم ومواقف وخبرات حياتية تزيد من معارف الفرد ومن بناء شخصيته.

فعملية التنشئة الاجتماعية تهدف لأن تجعل من الفرد إنسانا متفاعلا ناضجا منتميا لأسرته ومجتمعه وهويته وثقافته ولغته، قادرا على التفاعل مع مجتمعه ومن حوله والقيام بأدواره في المجتمع وقادرا على الإنتاج والعطاء بعد الأخذ.

وبالحقيقة فإن عملية التنشئة السليمة لا تتم بطريقة عشوائية أو فوضوية أو أتوماتيكية، لأنها لو تركت كذلك سينشأ لدينا أبناء في المجتع كثيرو المشاكل والثغرات والأخطاء وبلا أهداف محددة أو طموحات مناسبة، فلا بد للأبناء من التعليم والتوجيه والرعاية الأسرية الصحيحة المتكاملة للفرد من جميع النواحي الجسدية والعقلية والنفسية والاجتماعية والانفعالية والروحية، لكي ينشأ إنسانا صالحا منتجا في المجتمع.

فمثلا تشير أغلب الدراسات التربوية إلى أن الأطفال الذين ينشؤون في أسر مفككة –بمعنى الأبناء فاقدون لإحدى الوالدين، أو الأم والأب منفصلان عن بعضهما، أو الأم والأب كثيرو الصراع والنزاعات والخلافات والعنف أمام الأبناء– فإنهم –أي هؤلاء الأبناء– غالبا ما يعانون من الكثير من المشاكل النفسية والاجتماعية والمعرفية والانفعالية، فغالبا ما يكونون أكثر عدوانية مع من حولهم، وعندما يكبرون تزداد لديهم نسب الجرائم أكثر من غيرهم، أو قد يكونون بالجانب الآخر السلبي للشخصية بمعنى منعزلون أو انطوائيون أو خجلون أو ضعيفو الشخصية، غير قادرين على مواجهة المجتمع والصعاب التي تواجههم، وغالبا ما يكون هؤلاء الأبناء لا أباليون لأي شيء حولهم أو حتى للعناية الشخصية بأنفسهم ومظهرهم ونظافتهم، وقد يقصرون في واجباتهم الدينية كالصلاة لأنهم يفتقرون للنماذج حولهم، أو يقصرون في دراستهم وواجباتهم المدرسية والمجتمعية، وهم يعانون أكثر من غيرهم من حالات الاكتئاب والعزلة ورفض الانخراط بأنشطة عائلية ومجتمعية وذلك نتيجة الإهمال لهم.

ولذلك على الأسرة أن تراعي تنشئة أبنائها على الخير والابتعاد عن الخلافات أمام الأبناء بين الزوجين، وأن تهتم بالمدخلات التي سوف تدخل إلى عقول ومسامع وحواس أبنائها، لأن الأبناء كائنات عاطفية اجتماعية تشعر وتحس وتنمو وتتطور وليست آلات جامدة.

إدراك الوالدين لدورهما في الحياة

فالوالدان اللذان أدركا منذ اللحظة الأولى للزواج أن الهدف من هذا الزواج

ليست فقط قضاء الشهوات الجنسية والعاطفية والنفسية والاجتماعية لهما، بل هناك هدف أسمى من هذا وهو تكوين أسرة رائعة متميزة سوية منتجة تخدم نفسها ومجتمعها، فتعمل بشتى الطرق على دعم نمو أطفالها جسديا وفكريا واجتماعيا ونفسيا وثقافيا نموا سليما لأبنائها، وتعمد منذ اللحظة الأولى للطفل على إشباع حاجاته الجسدية والنفسية والأساسية، وتزوده بالحب والحنان والاستقرار وتشعره بالأمان وتبعده عن مواقف الأذى والخوف والقلق مما يساعده على التكيف مع المجتمع وعلى بناء شخصية سوية فاعلة نشيطة حيوية اجتماعية مستقرة نفسيا.

بل إن الأسرة الواعية الناضجة الفكر تهتم ليس بالجوانب المادية الجسدية للأبناء فحسب، كتوفير الطعام والشراب والملبس والمسكن والتعليم للطفل، بل تهتم أيضا بالجانب الأخلاقي للطفل والجانب الروحي والجانب الثقافي لأبنائها، فتلك الأسرة تتابع أبناءها فيما يدخل على أدمغتهم من مدخلات فكرية ومعلوماتية، لأن هذه حتما ستغير في أفكار أبنائها وعقولهم وتفكيرهم وسلوكياتهم بشكل إيجابي أو سلبي.

التحديات التي تواجه الأسرة اليوم:

ومما سبق نجد أن التحدي الأكبر في زماننا وواقعنا المعاصر أمام الأسرة -وبالأخص الوالدين- هو متابعة ومعرفة وتقنين ما يتعرض له أبناءهم من مدخلات فكرية وحواسية تغير في معرفتهم وثقافتهم وطريقة تفكيرهم، فنرى أن وسائل التواصل الاجتماعي المنتشرة في زماننا والمتزايدة يوما بعد يوم باتت سلاحا ذا حدين، خطيرة جدا على التربية والتنشئة لأبنائنا إن لم يتم متابعة ما يشاهدون وما يتابعون من برامج على تلك المواقع للتواصل الاجتماعي التي ينخرطون بها ويتفاعلون معها، فالأم والأب اللذان سيتركان الحبل على الغارب لأبنائهم ومنذ طفولتهم المبكرة دون أية مراقبة لما يشاهدون ويتفاعلون ويتابعون من برامج ومشاهد وفيديوهات، ودون أية توجيه وتعليم وتفهيم وحوار وإقناع فيما يصح وما لا يصح، وما هو مناسب أو غير مناسب، وما يرضي الله تعالى أو يغضبه مما يشاهدون ويسمعون ويتابعون على وسائل التواصل، فإنه حتما سيتفاجأ الأهل يوما ما بطفل غير منتم لأسرته، مختلف عنهم بعاداته وطريقة تفكيره وثقافته! بل إن هويته الثقافية تصبح مختلفة ممسوحة، فقد يتبرأ من لغته ومن ثقافته ومن عادات مجتمعه الحسنة، ويلحق ويلهث وراء عادات الأجانب والغرب والمجتمعات الغربية عن مجتمعه، وهذا ما بتنا مع الأسف نشاهده ونسمع عنه في مجتمعاتنا العربية.

فيصبح لدى الابن أفكار وعادات وسلوكيات مختلفة تماما عما يتوقع منه والداه ومجتمعه، كيف لا والأم ومنذ نعومة أظفاره قدمت له الأجهزة الإلكترونية ببرامجها وتطبيقاتها اللامحدودة، لكي يسرح ويمرح بها ويتقلب بين شاشاتها ويقلب برامجها متنقلا بين مواقع التواصل الاجتماعي، خارجا من برنامج وداخلا في آخر! يقضي الساعات الطوال خلف تلك الشاشات دون رقيب أو حسيب، ودون توجيه أو إرشاد أسري!

معتقدة تلك الأم أنها تحسن إلى طفلها بأن يصبح منفتحا على التكنولوجية، بل ليقال: إنه كأبناء جيله منفتحا على وسائل التكنولوجية الحديثة، متقدما ببرامجها، متبحرا بها! ولكي تتفاخر تلك الأم أمام من تعرفهم أن ابنها ذكي مبدع، يعرف كيف يستخدم كل تلك البرامج والوسائل التكنولوجية وبشكل أفضل منها ومن والده، مرفوعة الرأس بذلك! أو قد يكون لتريح نفسها وتشغله بالساعات وتنشغل هي فيما يخصها وفي برامج التواصل الاجتماعية التي لم تعد ترحم كبيرا ولا صغيرا من الوقوع في أفخاخها أو قضاء الساعات الطوال عليها دون فائدة حقيقة تذكر، بل هو تضييع لساعات العمر وأيامه ولياليه! بل إن الكثير من الأبناء أصبح ليلهم نهارا ونهارهم ليلا، مخالفين الفطرة السليمة والغريزة البشرية التي هي منذ بدء الخلق!

الوعي لتلك التحديات وخطورتها

ومن هنا فإن التحديات في التنشئة الاجتماعية للأبناء في الأسرة أصبحت كبيرة وخطيرة، ففي الماضي كنا كمتخصصين في التربية نعدد مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ونحصرها في مؤسسة التنشئة الأولى للطفل على مر الزمن وهي الأسرة، ثم المدرسة وهي المؤسسة الثانية للتنشئة للطفل ذات الأهمية في التربية والتعليم، ثم جماعة الرفاق تعمل كمؤسسة تنشئة اجتماعية مهمة للطفل، ثم وسائل الإعلام، والمسجد إن كان يرتاده الأبناء.

ولكن اليوم الموضوع قد اختلف،

ودور تلك المؤسسات في التربية والتنشئة بدأ يضمحل ويتخلف عما كان في السابق؛ مقارنة مع دور وسائل التواصل الاجتماعي المنتشرة اليوم التي تجذب الأبناء والآباء بشكل ساحر تجعلهم يقضون جل وقتهم معها، فإن لم يكن الوالدان على وعي كافي ودراية واسعة بخطورتها ودورها في التنشئة الاجتماعية للأبناء، فإنهم لن يتخذوا أية إجراءات لوقف هذا الطوفان الجارف، فحتى المدرسة لم تعد مصدر المعلومات الرئيسي والفكري للطفل، وحتى المكتبة وجماعة الرفاق لم يعودوا كذلك! لأن هذه المواقع الافتراضية أنشأت رفاقا وهميين على مواقع التواصل الاجتماعي، وغيرت طريقة تفكير الناس واهتماماتهم ومصادر معلوماتهم.

فاليوم أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي هي مؤسسة التنشئة الأولى أو الثانية أحيانا، وباتت هي المربي الأول، والمعلم الأول، والمثقف الاول! منها تؤخذ العلوم والثقافة والفكر، وهنا تكمن الخطورة لما سيترتب على ذلك مستقبلا. والآن مع -التعليم عن بعد- بدأ حتى الكتاب المدرسي وغير المدرسي يقل التعامل معهم والرجوع إليهم، فلم تعد الكتب هي مصدر المعلومات الموثوقة كما كان في السابق! بل أضحت تلك المواقع الاجتماعية هي مصدر المعلومات الفكرية والثقافية والدينية والعلمية فيما تبثه من معلومات متناثرة مشتتة هنا وهناك، قد تكون موثوقة أو غير موثوقة، صحيحة أو غير صحيحة، حقيقة أو خيالية!

فلو وقفنا موقف المتأمل في زماننا نجد أن التعليم لأبنائنا وتنمية فكرهم وعقولهم وأخلاقهم ومعتقداتهم بات في أيد مجهولة! أيد قد تكون صديقة أو قد تكون عدوة، أيد قد تكون مخططة مدركة لما تفعل بالأجيال القادمة تسير وفق خطط مدروسة لهدم الأسرة، وخاصة الأسر العربية والمسلمة.

فعلى سبيل المثال: عندما يستمر الطفل بمشاهدة مناظر التعري التي تظهر له فجأة في مواقع التواصل الاجتماعي، فإنه مع الوقت سيألف تلك المشاهد ويعتقد أنها صحيحة ولا تغضب الله تعالى، وتصبح جزءا من فكره ولبسه ومعتقداته.

بل إن الأبناء والآباء أصبحوا يشاهدون فيديوهات لأشياء كثيرة صحيحة وخاطئة، معقولة أو خيالية، تراعي ديننا ومفاهيمه أو تعارضه، وتشككنا في معلوماتنا الدينية والعقائدية وتحارب فكرنا الديني وتزرع الشك في نفوسنا، وقد كثر اليوم نتيجة لذلك الضلال والجهل الديني ومحاربة الدين والإلحاد بين أبناء المسلمين والعياذ بالله نتيجة تلك البرامج.

الخروج من التحديات

نحتاج اليوم للخروج من تحديات الفتن التي تعصف بأسرنا بأن نعود لضم أبنائنا بين أيدينا نشعرهم أولا بالحب والحنان والأمان في الأسرة، ونجلس معهم الساعات، نبادلهم القصص والحكايات، نحاورهم نسمع لهم ويسمعون لنا، ونتناقش ونتبادل الآراء، نتفق ونختلف ونقنعهم ويقنعوننا بما يدور في خلدهم، نحتاج أن نربطهم بسير عظمائنا من الصحابة والتابعين والسلف الصالح، نذكرهم بأبطالنا وبقدواتنا حتى نخرج من قوقعة التقليد الأعمى للآخرين وللغرب خاصة والشعور الدوني بأنهم أفضل منا!

ونحتاج أن نخرج مع أسرنا في نزهات كما كانت الأسر في السابق يخرجون للطبيعة من أجل اللعب مع الأبناء وتسليتهم وتقوية العلاقات والصلات، والتفكر بملكوت الله وعظيم قدرته تعالى، ونحتاج أن نشارك أبناءنا أنشطة اجتماعية كزيارة أقارب وأصدقاء ونشاطات تطوعية في المجتمع.

ونحتاج أن ندلهم على مواقع تواصل مفيدة وما أكثرها اليوم مثل برامج تقدم دروس تثقيفية دينية وفكرية وعلمية وغيرها، أو برامج ومجموعات تساعد على تفسير القرآن الكريم أو تعليم أحكام التجويد، أو تشرح كتب الأحاديث النبوية أو تحفز حفظ القرآن الكريم أو قراءته، نحتاج أن نربطهم بشتى الطرق بالكتب الجميلة والمجلات المفيدة، ونحتاج أن نشجعهم على ممارسة هواياتهم المفيدة وممارسة الرياضة ورياضة المشي والجري وغيرها، ونرغب أولا وأخيرا أن نذكرهم دوما بالهدف من هذه الحياة وهي طاعة الله وعبادته، فنعلمهم ونذكرهم دوما أن معيارنا الأول والأخير في كل أمر هو ما يرضي الله تعالى لا ما يرضي البشر والغرب.



د. خالد صلاح حنفي محمود
أستاذ أصول التربية المساعد
كلية التربية - جامعة الإسكندرية

تنمر الأطفال: الأسباب والآثار والعلاج

تعد مرحلة ما قبل المدرسة الفترة التكوينية الحاسمة في حياة الإنسان، والتي يتم فيها وضع البذور الأولى لشخصية الإنسان، وفيها يكتسب الإنسان أنماط السلوك الاجتماعي، سواء من خلال المدرسة ويليها في ذلك رياض الأطفال وجماعة الرفاق، ووسائل الإعلام، وهذا بدوره يلقي العبء على المتخصصين في مجالات الطفولة وعلم النفس والتربية، حيث ينبغي توعية الآباء والأمهات والمعلمات بكيفية التعامل مع الطفل وتعويده السلوك السليم.

ويحاول هذا المقال عبر السطور الآتية تحليل ظاهرة التنمر، وأسبابها، وفئات الأطفال المعرضة لها، وآثارها السلبية وكيفية التعامل معها.

ما هو التنمر؟

من الطبيعي أن يظهر الأطفال مشاعر عدوانية تجاه بعض الأشخاص أو الأشياء، لكن أن يتحول الأمر إلى سلوك دائم لدى طفل ما تجاه بعض الأشخاص أو الأشياء، سواء في شكل لفظي أو معنوي أو جسدي، ويصير الطفل متنمرا نتيجة سبب نفسي أو مادي، فإن هذا ما يجب الوقوف أمامه، والتصدي له حتى لا يتفاقم هذا السلوك، ونظرا لانتشار هذه الظاهرة عالميا تحت مسمى «التنمر» قامت منظمة اليونسيف وغيرها من منظمات الطفولة بتنظيم الحملات التوعوية ضد سلوك التنمر وعلاج أسبابه.

والتنمر فعل عدائي يتضمن سلوكا يشير إلى عدم توازن التصرفات، وهو غالبا ما يتكرر عدة مرات، ويأخذ سلوك التنمر أشكالا عدة من العدوان البدني المتعمد مثل: الضرب، أو الركل، أو الدفع، أو العدوان اللفظي والمعنوي، مثل الإغاظة، أو إطلاق مسميات غير لائقة تعبر عن التخويف باستخدام إشارات، أو إيماءات، أو التعبير بانفعالات تتسم بالتهديد والوعيد.

وقد تتسع دائرة التنمر لتشمل عزل الطفل الضحية عن أقرانه أو مقاطعته أو تخويفه باستمرار، مما يؤثر سلبا على مسيرته الحياتية ويجعله غير سعيد.

ويعد التنمر سلوكا خطيرا على جميع الأطفال المشاركين فيه، وهو كما سبق ذكره إيقاع الأذى على طفل أو أكثر بدنيا أو نفسيا أو عاطفيا، وهو شكل متعمد من العدوان يتضمن التهديد بالأذى البدني، أو الاعتداء بالضرب والتهديد والتحرش والإيذاء اللفظي، والإذلال وإطلاق الألقاب.

فقد أشارت دراسة مارتين تيشر Martin Teucher في عام: (٢٠١٢م) إلى أن حجم منطقة الحصين يكون صغيرا لدى الأطفال الذين تعرضوا لمعاملة سيئة، والمعروف أن منطقة الحصين هي منطقة من الدماغ تقوم بدور كبير في التعلم والتذكر.

وفي دراسة ألمانية قام بها ودو دانلوسكي Udo Dannlowski تبين بوضوح انخفاض في الفص الجبهي، وأن هذه التغيرات تلازم الفرد في مرحلة الرشد.

كما بينت دراسة جيوك شوي Jeewook Choi في عام: (٢٠٠٩م) أن تعرض الأطفال للألفاظ الجارحة والمهينة التي تحتقر الطفل لها آثار

مدمرة على أدمغة الأطفال، فهي تؤثر على وظائف الممرات العصبية والمناطق التي تسهم في فهم اللغة، وهذه الإصابات تسبب الأمراض النفسية والجسمية واضطرابات القلق، والفصام، والاكتئاب، بل يمكن أن تعرض الطفل لاضطرابات الشخصية: كالشخصية الحدية غير المستقرة، والشخصية النرجسية، والشخصية القهرية، والشخصية الارتيابية (البارانويا).

كما إنه نتيجة للتطور التكنولوجي المعاصر، فقد نشأت ظاهرة «التنمر الإلكتروني» والتي يعد بيلي بيسلي المعلم الكندي أول من أطلق عليها هذا المسمى، وأنشأ موقعا خاصا بالتنمر أو التسلط الإكتروني في العالم، كما عرفه بأنه سلوك معاد من طرف فرد أو مجموعة بهدف إلحاق الأذى بالآخرين باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بغرض التشهير.

وتتنوع صور التنمر الإلكتروني لتشمل كل سلوك فردي أو جماعي على شكل نشر صور أو فيديوهات الغير والتعليق عليها بتعليقات ساخرة ولا أخلاقية أو نشر المعلومات الشخصية أو التهديد بنشرها، مما يؤدى إلى أضرار نفسية خطيرة على الضحية ودفعه للاكتئاب أو الانتحار.

وبحسب دراسة لجامعة فلوريدا أتلانتيك لتعرض (٧٠٪) من الطلبة لهذه الظاهرة، وبحسب دراسات مؤسسة بيو للأبحاث سنة: (٢٠٠٧م) فقد تعرض (٣٢٪) من الأطفال الأمريكيين للتنمر الإلكتروني، كما أشار اجتماع لجمعيات طب الأطفال عام: (٢٠١٧م) إلى أن عدد الأطفال الذين تأكدت محاولات انتحارهم نتيجة لظاهرة التنمر الإلكتروني قد تضاعفت بين عامي: (٢٠٠٨م و٢٠١٥م).

ضحايا التنمر

اهتمت بحوث علم النفس بموضوع التنمر، وأشارت إلى أن أكثر فئات الأطفال معاناة من التنمر هم الفئات الآتية:

الأطفال المعاقون أو ذوو الاحتياجات الخاصة، فضلا عن الأطفال ذوي صعوبات التعلم وعلاقتهم بالتنمر، وقد أكدت الدراسات أن الأطفال الذين لديهم اضطراب الانتباه والنشاط الزائد من أكثر الفئات عرضة لأن يكونوا ضحايا للتنمر، كما أكدت دراسات أخرى أن الأطفال المعاقين عقليا والمعاقين سمعيا من أكثر الفئات تعرضا للتنمر نظرا لعجزهم ونقص مهاراتهم الاجتماعية.

أشارت أحدث الدراسات النفسية إلى معاناة الأطفال المعاقين بإعاقات جسمية كونهم ضحايا لتنمر الأطفال الآخرين كل حسب نوع الإعاقة ومستواها.

الأطفال الانطوائيون أو الميالون للعزلة يمثلون أهدافا لتنمر الأطفال.

الأطفال المصابون بالأمراض العضوية كالسكري.

الأطفال ذوو اضطرابات الكلام والنطق فإنهم يكونون أكثر عرضة بنسبة (٨٠٪) عن أقرانهم العاديين.

الأطفال المختلفون عن أقرانهم في اللون أو الشكل أو الوزن أو يستخدمون طرقا للكلام مختلفة أو أداء لسلوك غير متعارف عليه.

الأطفال الذين يتصفون بالحساسية والخجل وانخفاض تقدير الذات، ومن يعانون من نقص التوافق الانفعالي والاجتماعي والشعور بضعف التكيف.

الأطفال صغار السن فقد أظهرت الدراسات أن الفئة من (٩-١٢) سنة أكثر تعرضا للتنمر من الفئة من (١٣-١٥) سنة.

وينقسم الأطفال ضحايا التنمر إلى فئتين:

الفئة الأولى: ضحايا سلبيون لا يريدون أن يتعرضوا لهجوم أو إهانة.

الفئة الثانية: ضحايا استفزاز وهم عادة اندفاعيون وعدوانيون تسهل استثارتهم.

الآثار السلبية لظاهرة التنمر

يؤدي سلوك التنمر إلى إحداث الشائعات ونشرها، والرفض والإقصاء من الجماعة وعدم التوازن واختلال ميزان القوى بين الطفل المتنمر والطفل الضحية.

كما يسبب التعرض للتنمر لهذه الفئات الكثير من الآثار السلبية بالإضافة للآثار الجسمية للتنمر، فإن هناك مجموعة لا يستهان بها من المشكلات النفسية، وأبرزها الإحباط وانخفاض في تقدير الذات، وعدم الثقة بالنفس، أو الاكتئاب، أو الشعور بالأعراض السيكوسوماتية المتمثلة في الشعور بالصداع، أو آلام المعدة، أو فقد الشهية أو التعب أو الإرهاق أو قد يصل الأمر إلى التفكير في الانتحار والشروع فيه.

مواجهة ظاهرة التنمر وعلاجها

تتعدد أسباب ظاهرة التنمر منها حرمان الابن من إشباع احتياجاته العاطفية وافتقاده للحنان من الأبوين، أو أن يكون الطفل يقلد سلوك أحد الأبوين العنيف أو شعور الطفل بالكبت أو الإحباط من البيئة المحيطة حوله إلى غير ذلك من الأسباب.

لذلك لا بد من التنسيق بين جميع الأطراف التي تتعامل مع الطفل المتنمر لمعرفة أسباب التنمر وتشخيصه، وتحديد البرنامج العلاجي المناسب، وإرشاد الأبوين لكيفية التعامل بالصورة السلمية للقضاء على تلك الظاهرة.

المراجع

١- أحمد أوزي (٢٠١٨م). جذور العنف ومأسسته التربوية، مجلة الطفولة والتنمية، العدد (٣٣)، (ص: ١٠٩- ١٢٣).
٢- جهاد الفالح (٢٠١٩م). الشر المجهول، المجلة العربية، العدد (٥٠٨)، (ص: ٢٢-٢٣).
٣- فوزية سليم رضوان (٢٠١٩م). التنمر لدى الأطفال وانعكاساته على أقرانهم من ذوي الاحتياجات الخاصة، مجلة العربي، العدد (٧٢٢)، (ص: ١٦٨-١٧١).



سالم حمد القحطاني
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية

اتركوني أهتم بنفسي

نظمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامي بدولة الكويت مشكورة حملة توعية بعنوان: «بيوت مطمئنة»، وكان لي شرف المشاركة في هذه الحملة من خلال تسجيل مجموعة من المقاطع القصيرة، وأثناء الترتيب مع الإخوة المنظمين تحدث أحدهم بحرقة عن حالة متكررة عن الزوجات اللاتي بلغن سن الأربعين، وهي التذمر من الحياة الأسرية، ومن التزامات الزواج بدعوى «اتركوني أهتم بنفسي»، ويؤكد صاحبي تكرّر هذه الحالة عند مجموعة من الزوجات، في مرحلة عمرية متقاربة بعد سن الأربعين.

هذه الحالة تدعو أصحاب الاختصاص لدراستها والوقوف على أسبابها وطرق علاجها، لكني سأتناول جانبا مهما من جوانبها، وهو ما يتعلق بالموازنة بين أن تهتم الزوجة بنفسها وأن تؤدي التزاماتها وواجباتها تجاه الأسرة.

فالزوجة وفق المنظور الشرعي مكلفة بأمانة عظيمة حددها الحديث الشريف: «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها» (رواه البخاري).

ومعنى راعية: حافظة ومؤتمنة على مسؤولياتها تجاه زوجها وأولادها.

فإذا عرفنا هذا التكليف بقي لنا معرفة أنه لا يعارض اهتمام الزوجة بنفسها أبدا، ولا يلزم من أدائه أن تحترق الزوجة لتسعد غيرها، وتعاني في صمت من عدم قدرتها على توفير الوقت والجهد للعناية باهتماماتها الخاصة.

ويبين لنا سلمان الفارسي القاعدة الذهبية التي أقرها ﷺ بقوله: «إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه» (صحيح الترمذي).

وبهذا يظهر أن الحالة السليمة للزوجة في تعاملها في حياتها هي الموازنة بين أداء حقوق زوجها وأولادها وإشباع حاجاتها الخاصة التي لا تنافي الدين والأخلاق.

وحينئذ لن تجد الزوجة تأسفا بعد سنين طويلة من الحياة الزوجية على إغفالها اهتماماتها الشخصية، والندم على أنها احترقت لتضيء للآخرين.

إعداد: علاء عبدالفتاح
صحافي



وكيل الوزارة المساعد للإعلام والعلاقات الخارجية محمد ناصر المطيري
مع مراقب الجاليات يوسف عيسى الشعيب في ملتقى توعوي

مراقبة الجاليات.. دور دعوي مؤثر ومجتمعي بارز

الأوقاف الكويتية حاضنة لمسلمي العالم..

تهتم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت اهتماما خاصا بأبناء الجاليات الناطقين بغير اللغة العربية، وذلك من خلال مراقبة الجاليات والتعريف بالإسلام التابعة لإدارة الإعلام والعلاقات الخارجية بالوزارة، وتنقسم مراقبة الجاليات إلى قسمين: قسم الجاليات ورعاية المهتدين وطلبة البعوث، وقسم التعريف بالإسلام.

ويتجه عمل قسم الجاليات ورعاية المهتدين وطلبة البعوث إلى الإشراف على خطب الجمعة بمساجد الجاليات والتي يبلغ عددها (١٠٠) مسجد بجميع محافظات دولة الكويت، وبعدة لغات منها: (اللغة الهندية- اللغة البنغلادشية- اللغة الإنجليزية- اللغة الفلبينية- اللغة الإندونيسية- اللغة الفارسية- اللغة الباكستانية- اللغة الأفغانية- اللغة السريلانكية- اللغة التركية- اللغة الصينية- اللغة الإثيوبية)، ويتم انتقاء الموضوعات المفيدة والمتعلقة بتصحيح العقيدة وفهم الدين فهماً صحيحاً، ومما يميز الجاليات حرصهم على الحضور المبكر لسماع الخطبة واستفادتهم منها بشكل مباشر، نظراً لأنها تلقى عليهم بلغتهم الأم، كما تكتظ مساجد الجاليات بالمصلين.

ومن مهام مراقبة الجاليات أيضا: تنظيم الدروس الدينية والمحاضرات العامة للجاليات المسلمة الناطقة بغير اللغة العربية، من خلال الخطباء والمحاضرين المعتمدين لدى المراقبة بعدة لغات وبشكل يومي في مختلف المساجد على مستوى مناطق دولة الكويت، حيث يقوم الدعاة بإلقاء المحاضرات بمنهج وسطي معتدل يبرز سماحة ووسطية الإسلام دون غلو أو تطرف.

وتحرص مراقبة الجاليات على دعوة العلماء والمشايخ المشهورين من خارج الكويت للقيام بإلقاء المحاضرات والدورات الشرعية الهادفة لأبناء الجاليات بمختلف اللغات، والتي يقبل عليها أبناء الجاليات بشكل كبير نظرا







لما تمثله لهم من أهمية في الحفاظ على دينهم وأداء عباداتهم بالصورة الصحيحة، ويوجه العلماء والمحاضرون أبناء الجاليات إلى التمسك بقيم الإسلام وإظهار سماحة هذا الدين في التعامل والتعايش السلمي مع الآخرين، وتعليم مبادئ وقيم الدين الإسلامي الحنيف بما يرسخ ويدعم إستراتيجية الوزارة ورؤيتها الهادفة إلى الريادة عالميا في مجال العمل الإسلامي.

كورونا والعمل الدعوي

وخلال فترة جائحة كورونا لم تتوقف المراقبة عن أداء دورها الدعوي فلجأت إلى الاستعاضة عن الدروس والمحاضرات المباشرة في المساجد إلى وسائل التواصل الاجتماعي (إنستغرام - زوم - سناب شات)، فنظمت من خلالها الدروس والمحاضرات الدينية، وبلغ عدد الدروس والمحاضرات التي يلقيها دعاة الجاليات قرابة: (١٠٠٠) درس ومحاضرة شهريا، وقبل الجائحة كانت المراقبة تقوم بعمل تصاريح دورية بالتعاون مع قطاع المساجد للدروس التي يقدمها دعاة ومشايخ معتمدين من قبل المراقبة، ويتم انتقاء العناوين والموضوعات التي تفيد في نشر الدعوة وتعليم الإسلام بأسلوب وسطي معتدل.

مراكز رمضانية

وخلال شهر رمضان المبارك تنظم مراقبة الجاليات مراكز رمضانية خاصة للجاليات الناطقة بغير اللغة العربية، وتخصص الوزارة عددا من المساجد لأبناء الجاليات على مستوى دولة الكويت لإحياء شهر رمضان المبارك، وذلك بإفطار الصائمين- بالتعاون مع شركاء وزارة الأوقاف- وتنظيم المحاضرات والدروس الدينية، وكذلك صلاة التراويح والقيام.

طلبة البعوث

تعنى مراقبة الجاليات والتعريف بالإسلام بتنظيم شؤون طلبة المنح الدراسية الذين يأتون من بلادهم لتلقي العلم على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وينطلق الطلاب إلى أماكن دراستهم حسب مراحلهم الدراسية في المعهد الديني والهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب وجامعة الكويت، وتقدم المراقبة الدورات الشرعية والإدارية لهؤلاء الطلاب بشكل دوري حتى ينتهوا من دراستهم ويعودوا إلى بلادهم، ولا يتوقف دور المراقبة عند هذا الحد بل تقوم برعاية خريجي دولة الكويت الأفارقة المتمثلة في أبناء الجالية الإثيوبية والصومالية، وأيضاً رابطة خريجي دولة الكويت الآسيويين ليقوموا بدورهم الدعوي ويكونوا دعاة خير وسلام، ويقدموا صورة صحيحة عن الإسلام والمسلمين في بلادهم، وتنظم المراقبة لتحقيق هذا الهدف معرض وفعاليات ملتقى الشعوب الدولي، والذي يعتبر من الملتقيات المهمة بالوزارة، وتتم فيه دعوة طلاب المنح الدراسية الذين تخرجوا من دولة



مؤكداً أن المسابقة ساهمت في تشجيع آلاف المهتدين الجدد والجاليات المسلمة على حفظ كتاب الله.

الكويت وعادوا إلى بلادهم فتبوأوا مناصب مميزة فيها، بالإضافة إلى إقامة وتنظيم المهرجانات الثقافية والدعوية السنوية للجاليات.

رحلة الحج والعمرة

وقبل أزمة كورونا كان من عادة المراقبة تنظيم رحلة حج عمرة سنويا لطلبة البعوث ومنسقي وخطباء الجاليات، يصل عدد المشاركين فيها إلى (٥٠) طالبا من طلبة البعوث سنويا، وتساهم رحلتا الحج والعمرة بشكل فعال في تنمية الثقافة الإسلامية وشحذ الوازع الديني لدى المهتدين الجدد والجاليات المسلمة.

تكريم حفظة القرآن الكريم

وقبل جائحة كورونا نظمت المراقبة بالتنسيق مع لجنة التعريف بالإسلام بجمعية النجاة الخيرية حفلا لتكريم الفائزين بمسابقة الرهيماني الثامنة عشرة لحفظ القرآن الكريم للمسلمين الجدد والجاليات الوافدة غير العربية، على مسرح الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وشارك في الحفل ممثلا عن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الوكيل المساعد للإعلام والعلاقات الخارجية محمد ناصر المطيري، والعديد من كبار الشخصيات، ورجالات العمل الخيري والدعوي وأسر الفائزين من الجاليات، وتخلل الحفل تلاوة القرآن الكريم لأحد المشاركين وقد شنفت آذان الحضور.

وقال المطيري: إن حفل تكريم الفائزين في مسابقة الرهيماني يعد نموذجاً مميزاً لأنشطة هذه اللجنة المباركة، حيث يجمع بين خدمة القرآن الكريم، وتشجيع المهتدين الجدد والجاليات على الحفظ المتقن لكتاب الله، والذي بدوره يعكس العلاقة المميزة بين اللجنة والمجتمع، والثقة الكبيرة التي وضعها المحسنون فيها.

وأوضح: إن هذه المسابقة حظيت بمشاركة (١١٦٦٣) مشاركاً ومشاركة منذ تأسيس المسابقة عام: (٢٠٠٢م) من مختلف الجنسيات، وشارك هذا العام بفضل الله تعالى في هذه النسخة: (٨٣٩) متسابقاً ومتسابقة،

وتابع: ومما يثلج الصدر أنه يتم سنوياً تخريج قرابة: (٤٠٠٠) دارس ودارسة بمشروع «علّمني الإسلام» في هذه اللجنة المباركة، والذي يُعنى بتقديم دورات متعددة في حفظ القرآن الكريم والعبادات وتعليم اللغة العربية من خلال وسائل علمية حديثة وطاقم مميز من المشرفين.

التعريف بالإسلام

وتبذل المراقبة من خلال لجنة التعريف بالإسلام جهودا مباركة وحثيثة تجاه رعاية الجاليات الوافدة ضيوف دولة الكويت في شتى المجالات الدعوية والتوعوية والتربوية والتثقيفية، والتي جعلت اللجنة أحد أهم معالم الكويت والعالم الإسلامي في مجال الدعوة وتعريف غير المسلمين بالإسلام.

وتضع مراقبة الجاليات من خلال قسم التعريف بالإسلام خطة استراتيجية لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام وتنظم لذلك أنشطة خاصة للفئات المستهدفة لدعوتها إلى الإسلام، بالتنسيق مع خطباء ومنسقي





ومحاضري الجاليات بمختلف اللغات للقيام بشرح مبادئ وقيم وسماحة الدين الإسلامي بأسلوب وسطي معتدل من خلال المحاضرات والخواطر والدروس الموجهة لغير المسلمين، وتوزع المراقبة الكتب والاسطوانات والمطبوعات المختلفة الخاصة بتعريف غير المسلمين بالإسلام، وتوجه الدعوة لغير المسلمين لحضور المحاضرات العامة، وكذلك المهرجانات الخاصة بالجاليات، ومن خلال التعامل والحكمة في الدعوة وفق الله في هداية عدد كبير من غير المسلمين من مختلف الجاليات.

وبالطبع لا يقتصر الأمر على دخولهم في الإسلام فقط بل يمتد من خلال دعاة الجاليات إلى الاهتمام بالمهتدين الجدد وتعليمهم أمور دينهم ومعاملتهم بالحسنى، والرد على استفساراتهم بمختلف اللغات غير العربية.

دور مجتمعي

وتحرص مراقبة الجاليات والتعريف بالإسلام بالإضافة إلى الجانب الدعوي على إدماج الجاليات المختلفة داخل الكويت بالمجتمع الكويتي، من خلال المشاركة في الأعمال والمشروعات المجتمعية، حيث قامت المراقبة أخيرا بتنظيم حملات التبرع بالدم، وتنفيذ مشاريع تشجير الشوارع في مختلف محافظات دولة الكويت، وتنظيف الشواطئ، والتي لاقت مشاركة كبيرة من أبناء الجاليات وترحيبا واسعا من المسؤولين وعموم الشعب الكويتي.

ومن الجدير بالذكر أن إدارة الإعلام والعلاقات الخارجية تختص بعدة أمور منها:

١- وضع معايير وأسس التعاون مع العالم الخارجي والدعم المادي والمعنوي له.

٢- وضع الخطط العامة والمرحلية لمشاريع وبرامج المساعدات التي تقدم للعالم الإسلامي.

٣- متابعة تنفيذ الخطط والبرامج الموضوعة، وتقييم نتائجها، وإعداد تقارير المتابعة الدورية عن إنجازاتها.

٤- إعداد الاتفاقيات والبروتوكولات ومذكرات التفاهم التي تعقد بين الوزارة والجهات الخارجية، ومتابعة تنفيذها.

٥- اختيار الدعاة على أسس ومعايير معتمدة.

٦- دراسة أحوال الأقليات الإسلامية في الخارج.

٧- دعم وتنمية العلاقات مع الدول والمنظمات الإسلامية وغيرها من المنظمات الإنسانية والثقافية والعلمية وذلك في مجالات العمل المتصلة بالقضايا الإسلامية.

٨- التنسيق الفعال في مجال النشاط الإسلامي والمساعدات الخارجية بين الوزارة والجهات الحكومية والشعبية ذات الصلة.

٩- متابعة ما ينشر ويذاع عن الإسلام في الخارج وتحليله، والتعامل معه بالوسائل المناسبة بالتنسيق مع الجهات المختصة الأخرى في الداخل والخارج.

١٠- توثيق جميع أنواع مساعدات التنمية الاجتماعية الكويتية المقدمة للعالم الإسلامي وإبراز دور دولة الكويت الحضاري الداعم لخطط التنمية الاجتماعية في الدول المستفيدة.

١١- إنشاء قاعدة متطورة للمعلومات المتعلقة بالعمل الإسلامي الخارجي ومتابعة تجديد تلك المعلومات بما يضمن شموليتها، والاستفادة منها في مجال تقديم المساعدات المادية والمعنوية.

١٢- الإعداد والتحضير للاشتراك في المؤتمرات واللقاءات والندوات الإسلامية والخيرية والمشاركة في هذه الفعاليات داخل وخارج الكويت ودراسة ما يصدر عنها من توصيات واقتراحات.

١٣- التنسيق مع الإدارة المعنية لاستقبال الوفود الإسلامية التي تزور البلاد وتسهيل مهمتها ومدها بما يعاونها في تحقيق أهداف الزيارة.



متابعة: محمد العودة





الأمانة العامة للأوقاف تخرج أجيالا من حفظة كتاب الله

«اطمئن» مسابقة كبرى تثلج الصدور

تحت شعار «اطمئن» انطلقت فعاليات مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده الـ(٢٤) في (٢٣) أغسطس (٢٠٢١م)، وتعد هذه المسابقة من أهم مشاريع الأمانة العامة للأوقاف، وتقام من خلال الصندوق الوقفي للقرآن الكريم وعلومه بإدارة الصناديق الوقفية.

وقدمت المسابقة على مدار ثلاثة وعشرين عاما من تاريخها جيلا جديدا من القراء والحفظة يمثلون الكويت في المسابقات والمحافل الدولية، وتهدف إلى تشجيع أبناء الكويت وحثهم على حفظ القرآن الكريم وتجويده.

وأعلن الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف بالإنابة منصور الصقعبي في مقر الأمانة للإعلان عن انطلاق فعاليات مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده في نسختها الرابعة والعشرين لهذا العام تحت شعار «اطْمَئِن»، والتي تقام برعاية كريمة من سمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، وأكد الصقعبي على أن المسابقة بمختلف شرائحها وفئاتها خرجت على مدار تاريخها آلاف المتسابقين، إذ بلغ عدد المتأهلين للتصفيات النهائية منذ انطلاقتها عام: (١٩٩٧م)، حتى عام: (٢٠٢٠م)، أكثر من (٣٤) ألف متسابق ومتسابقة، فاز منهم (٣٦٠٥) من المواطنين مثلوا الكويت في المسابقات العالمية خير تمثيل، وتعد أكبر المسابقات القرآنية المحلية في الكويت.

من ناحيتها، قالت المنسقة العامة للمسابقة مديرة إدارة الصناديق

الوقفية –ندباً– مآرب اليعقوب: «إن تدشين الأمانة لهذه المسابقة التي تقام بمشاركة أكثر من (٤٠) جهة من الجهاتِ الخيرية والرسمية التي تعمل في مَجال خدمة ورعاية القرآن الكريم، هو استمرار لجهود الأمانة في خدمة كتاب الله».

وأشارت إلى أن المسابقة تقدم كعادتها جوائز سنوية تتجاوز (١٥٠) ألف دينار، توزع على الفائزين والجهات الفائزة بالمراكز الأولى، فضلا عن جائزة أفضل منسق، والتي تقدم إلى أفضل ثلاثة منسقين من الجهات المشاركة وفق المعايير والضوابط والشروط الخاصة بالمسابقة.

وأضافت: حرصاً على استمرار هذا النهج، أصبح لزاما علينا تشجيع المواطنين على اختلاف أعمارهم، للإقبال على المشاركة في هذه المسابقة وتدبر كتاب الله تعالى تلاوةً وحفظا وتجويدا، من خلال بيئة روحانية تنافسية هيأتها المسابقة في رحاب مسجد الكويت الكبير الذي يحتضن التصفيات النهائية للمسابقة وتكريم وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية للجهات الفائزة وأوائل الفائزين والفائزات.



فروع المسابقة

يشار إلى أن فروع وأقسام المسابقة تغطي جميع الفئات العمرية من الذكور والإناث من أبناء الكويت، وتشمل فرع القراءات، والمسابقة العامة، ومسابقة المُجِد، والنشء والشباب، والجوائز الخاصة التي تضم بداخلها مسابقات الفئات الخاصة، وهي مسابقة كبار السن، وذوي الاحتياجات الخاصة، ومسابقة المؤسسات الإصلاحية ونزلاء دور الرعاية بوزارة الشؤون الاجتماعية والأحداث.

فعاليات المسابقة

وفي (١٧) أكتوبر (٢٠٢١م) عقد حفل افتتاح التصفيات النهائية للمسابقة، الذي أقيم برعاية معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية عيسى أحمد محمد الكندري، والذي أناب عنه الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف بالإنابة منصور خالد الصقعبي لإلقاء كلمته التي جاء فيها:

للسنة الرابعة والعشرين على التوالي نجتمع مع هذه الوجوه الطاهرة في هذا المكان المبارك على كتاب الله عز وجل، في حفل افتتاح التصفيات النهائية بين كوكبة جديدة من حفظة كتاب الله تعالى، أبناؤنا وبناتنا السفرة الكرام البررة، سائلين الله تعالى أن يتقبل منهم ويجزيهم به خيراً كثيراً.

وكم نحن بحاجة إلى القرآن نتلوه ونتدبره ونحيا به ونتعامل معه، ونتحرك ونصلح أنفسنا ومجتمعاتنا على هديه ونقيم مناهج حياتنا على أسسه ومبادئه وتوجيهاته.

لقد حملت مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده الرابعة والعشرين لهذا العام شعاراً جديداً كما اعتدنا في كل عام، وهو «اطْمَـئِن» الذي استوحته الأمانة العامة للأوقاف –في ظل الظروف الحالية التي تمر بها البلاد والعالم أجمع جراء جائحة كورونا– من دلالات قول الله تعالى في سورة الرعد: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ



﴿ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد:٢٨).

والاطمئنان والسكون يكون بالقرآن الكريم، فإذا ذُكّر المؤمن بآيات الله وجلّ قلبه وخاف مصيره، وحينما يُذكّر بنعم الله ورحمته فإنّه يطمئنّ قلبه وينيب إلى ربّه، فمن يتوجّه إلى ثواب الله وسعة رحمته فإنّه يسكن قلبه، ويأمل رحمة ربّه، ويركن إلى سعة فضله، فيطمئنّ قلبه وتسكن نفسه.

لقد منَّ الله علينا في الأمانة العامة للأوقاف منذ تأسيسها وحتى يومنا هذا برعاية كتابه الكريم وحفظة كتابه الأبرار، ومنَّ علينا بالرعاية السامية للمسابقة من لدن حضرة صاحب السمو أمير البلاد على مدار تاريخ المسابقة.

وإنني أقف هنا اليوم لأشكر الله تعالى على نعمته وتوفيقه في هذه المسابقة واستمرارها حتى هذا اليوم، حيث بلغ عدد المشاركين والمشاركات في التصفيات النهائية لهذا العام (١٩٣٩) متسابق ومتسابقة، عدد الذكور منهم: (٨٦٠)، وعدد الإناث: (١٠٧٩) متسابقة، تأهلوا -بفضل الله تعالى- من خلال (٤٢) جهة رسمية وأهلية تسعى لخدمة كتاب الله تعالى ونشر حفظه وتجويده ورعاية حفظته.

يتسابقون جميعاً في مختلف فئات المسابقة التي تشمل: المسابقة العامة، ومسابقة النشء والشباب، ومسابقة المُجد، وذوي الاحتياجات الخاصة، وكبار السن، والمؤسسات الإصلاحية ونـزلاء دور الرعاية، بالإضافة إلى مسابقة القراءات، وذلك يوميا من الأحد إلى الأربعاء، من الساعة (٣) إلى (٩) مساء، على أسبوعين إن شاء الله، يخصص الأسبوع الأول منها للرجال،

بينما يخصص الأسبوع الثاني للنساء.
لا يسعني في هذا المقام المبارك إلاَّ أن أشيد أولاً بآبائنا وأمهاتنا الأولين الواقفين الذين قدموا أوقافهم، يبتغون بها مرضاة الله سبحانه وتعالى، ومنها أوقافهم على كتاب الله العظيم، ولذا فإننا نزف لهم بشرى ما قدمت أيديهم، وما من الله عليهم من ثمرات وقفهم، التي ننهل من ريعها للصرف على خدمة كتاب الله وحفظة كتابه الكريم.
وها هي طلائع النور، حضرت من كل حدب وصوب لتتنافس في حفظه وتجويده وترتيله، مبتغين فضلا من الله ورضواناً، سائلين الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.
ها هم أبناؤكم وأحفادكم حفظة كتاب الله الكريم، منهم من منَّ الله عليه بكرمه فحفظه كاملاً، ومنهم من يحفظ أجزاءً منه، وهم على طريق النور والهداية ماضون، ليحفظوه كاملاً بإذن الله تعالى.
مستبشرين بحديث نبينا محمد ﷺ: «يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا» (أخرجه أبو داود والترمذي)، وإن القرَّاء لهم من هذا الحديث وافر الحظ وأعلى مراتب الأجر والثواب، مصداقاً لقوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (متفق عليه) والذي فسره راوي الحديث بأن المقصود به الإقراء.
وفي الختام فإنه يطيب لي أن أتوجه بالشكر الجزيل لمقام حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح -حفظه الله ورعاه- لرعايته لهذه المسابقة، وحرص سموه على تنشئة أبناء الكويت على تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة والبعيدة عن الغلو والتطرف.
والشكر موصول لمعالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، السيد عيسى أحمد الكندري لرعايته لهذا الحفل المبارك، وأتقدم بالشكر لجميع اللجان المنظمة والعاملة في المسابقة بالأمانة العامة للأوقاف ولجميع المتسابقين والمتسابقات وأولياء أمورهم، ولكل من ساهم بجهده ووقته في إنجاح هذه المسابقة.
وشهدت ساحات المسجد الكبير التصفيات النهائية لمسابقة الكويت الكبرى لتحفيظ القران الكريم وتجويده الرابعة والعشرين (اطمئن) لعام: (٢٠٢١م) في أسبوعها الأول المخصص للرجال والأولاد مشاركة (٨٩٦) متسابقاً، وبروز عدد من الموهوبين والمميزين، بنجاح كبير وإقبال بلغ ذروته في اليوم الأخير، وشمل ذلك كل من مسابقة القراءات والمسابقة العامة وفئات ذوي الاحتياجات الخاصة والنشء والشباب، ومسابقة المُجد، والمؤسسات الإصلاحية ونزلاء دور الرعاية.
وفي الأسبوع الثاني المخصص للنساء والبنات جرت المسابقة بين المتسابقات المتأهلات للتصفيات النهائية، والبالغ عددهن: (١٠٧٩) متسابقة بزيادة (٢١٩) متسابقة عن الرجال.
يذكر أن أسبوع النساء قد بدأ يوم الأحد الموافق (٢٤) أكتوبر، واستمر حتى الأربعاء (٢٧) أكتوبر، وشمل أيضاً حافظات كتاب الله كاملا وحافظات (٢٥) جزء و(٢٠) جزء و(١٥) جزء وعشرة أجزاء و(٥) أجزاء، وكذلك مسابقة النشء والشباب (بنات) لطالبات الجامعات والمعاهد وطالبات المدارس الثانوية والمتوسطة والابتدائية وتسابقن في حفظ (١) إلى (٤) أجزاء.
وتتميز مسابقة النساء بنبوغ مجموعة من المشاركات أيضاً ممن يمتلكن موهبة خاصة، وتم إن شاء تكريمهن بهدايا قيمة وجوائز من خلال الجهات التي شاركن فيها بالإضافة إلى عمل لقاءات إعلامية معهن من خلال اللجنة الاعلامية لتسليط الضوء على موهبتهن، وإبرازهن في الصحف ووسائل التواصل الاجتماعي.

نماذج من المشاركين

وفي لقاء لـ: «الوعي الإسلامي» مع أحد المشاركين في المسابقة كان هذا الحوار:
كيف يتم تقسيم الوقت بين الحفظ والمراجعة؟
أعتكف بين العصر والمغرب في المسجد المجاور للمنزل وأحفظ وأراجع.
كيف شعورك الآن وقد وصلت إلى التصفيات النهائية؟
أشعر بفرحة ممزوجة برهبة كبيرة لوجود المنافسين والمحكمين والكاميرات، وأتمنى من الله التوفيق والحصول على مركز متقدم.
لو كانت المسابقة والمنافسة عبر الأونلاين هل تختلف؟
طبعًا بوجود هذه الأجواء ومواجهة المشايخ نشعر بالرهبة كثيرا والارتباك، أما بالأونلاين نكون أكثر هدوءا.
وبسؤال بعض المشاركين عن كيفية المراجعة أفادوا بأن المتابعة والمراجعة تكون من الأب والأم، والمراجعة تكون مع مشايخ الحلقات ومع الأصدقاء والمشرفين التربويين في الأندية الصيفية.

التنظيم

تنظيم رائع وراق من الطلبة والمشاركين والطالبات المشاركات في المسابقة، وانتشار المنظمين في كل حلقة في المسجد وأخذ اللقاءات والانطباعات لدى المتسابقين والمتسابقات من قبل اللجنة الإعلامية.



فهد الشمري
صحافي وباحث دراسات إسلامية

طعم العودة إلى الصفوف المتراصة



أدى المسلمون وللمرة الأولى منذ انتشار وباء كورونا صلاة الفجر في المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي بالمدينة المنورة من دون تباعد اجتماعي وبصفوف متراصة، وذلك بالتزامن مع بدء إجراءات العودة للحياة الطبيعية في المملكة العربية السعودية.

وقد أعلن الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بالمملكة العربية السعودية الشيخ الدكتور عبدالرحمن السديس عن جاهزية الرئاسة لاستقبال المعتمرين والزائرين والمصلين في الحرمين الشريفين، وبكامل الطاقة الاستيعابية مؤكدا على إلزام العاملين والزائرين للمسجد الحرام والمسجد النبوي بارتداء الكمامة في جميع الأوقات في كافة أروقة المسجدين، والاستمرار باستخدام تطبيق «توكلنا» أو «اعتمرنا» لأخذ مواعيد الصلاة وزيارة الروضة الشريفة، للتحكم في الأعداد الموجودة في آن واحد.

وجاء إعلان الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بعد صدور قرار السلطات في المملكة العربية السعودية مؤخرا تخفيف الإجراءات والقيود التي فرضت جراء انتشار جائحة كورونا في دول العالم المختلفة.

بدوره أوضح المتحدث الرسمي للرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي هاني بن حسني أن الرئاسة أتمت إزالة كافة الحواجز وملصقات التباعد في المسجد الحرام، وقامت بتخصيص صحن المطاف لأداء الطواف فقط، والاستفادة من كامل الطاقة الاستيعابية للمسعى بجميع أدواره حسب الحاجة لذلك، بناء على أعداد المعتمرين.

وأفاد أن كافة علامات التباعد الجسدي أزيلت تطبيقا لقرار تخفيف الاحترازات، حيث إن جميع المصلين في الحرمين الشريفين هم ممن تلقوا جرعتي اللقاح، مع ضرورة التزامهم بارتداء الكمامات طوال الوقت.

وأكد استمرار عمليات التعقيم الدورية على مدار الساعة قبل وبعد الصلوات، يرافقها تواجد لفرق تعقيم الأسطح والأجواء في كافة أروقة وجنبات المسجد الحرام.

يذكر أن قرار تخفيف هذه الإجراءات والقيود الصحية جاء بناء على ما أوصت به الجهات الصحية المختصة في المملكة، وعطفا على التقدم الملحوظ في تحصين المجتمع والانخفاض الكبير أعداد الإصابات والوفيات.

كما نص قرار تخفيف الاحترازات الصحية على استفادة المتحصلين على جرعتين من اللقاحات المعتمدة لكوفيد (١٩) فقط من هذه الإجراءات.

من جانب آخر وجه وزير الشؤون الإسلامية في المملكة عبداللطيف آل الشيخ بالعودة الحضورية لحلقات تحفيظ القرآن الكريم، ودور تحفيظ القرآن النسائية، مع التأكيد على اتخاذ كافة الإجراءات الاحترازية بالتباعد وارتداء الكمامة والتأكد من التحصين والحالة الصحية.



د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

سلسلة الأعلام المتشابهة (٦٢)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.



المتفق والمفترق في اسم (البديري):

١- شمس الدين البديري (ت: ١١٤٠هـ):

هو شمس الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد البديري الحسيني الشافعي، يقال له: (ابن الميت)، و(البرهان الشامي) عارف بالحديث، من الشافعية. أصله من دمياط، تعلم بها وبالقاهرة. من مصنفاته: (صفوة الملح بشرح منظومة البيقوني في فن المصطلح)، و(الجواهر الغوالي في بيان الأسانيد العوالي) وهو ثبت روايته، و(المشكاة الفتحية في شرح الشمعة المضية للسيوطي) في النحو، و(السلك السديد إلى إرشاد المريد)، و(بلغة المراد في التحذير عن الافتتان بالأموال والأولاد)، توفي بدمياط[١].

٢- شهاب الدين البديري (ت بعد: ١١٧٥هـ):

هو شهاب الدين أحمد بن بدير الحلاق البديري الدمشقي، مؤرخ شعبي، من ناظمي الزجل، وكان حلاقا.

من أبرز مصنفاته: (حوادث دمشق اليومية في تاريخ ما بين: (١١٥٤هـ-١١٧٥هـ) (١٧٤١م-١٧٦٢م)، كتب يومياته بما يقرب من العامية، ووقعت نسختها في يد الشيخ محمد سعيد القاسمي -والد الشيخ جمال الدين القاسمي- فهذبها وأصلحها، وتسلمها الدكتور أحمد عزت عبدالكريم، فعلق عليها ووقف على نشرها[٢].

المتفق والمفترق في اسم (الشبراملسي)[٣].

١- الشبراملسي (ت بعد: ١٠٢١هـ):

هو محمد بن علي بن محمد الشبراملسي المالكي المصري، باحث في الحساب والأوفاق والحروف.

من أبرز مصنفاته: (بهجة المحادث في أحكام جملة من الحوادث)، و(طوالع الإشراق في وضع الأوفاق)، و(النبذة الوفية في وضع الأوفاق العددية)، و(إيضاح المكتتم في حساب الرقم)، و(الدرة البهية في وضع بسائط فضل الدائر بالطرق الهندسية)، و(الإرشاد للعلم بخواص الأعداد)، و(الرجز المفروض في علم العروض)، و(شرح إيساغوجي) في المنطق[٤].

٢- نور الدين الشبراملسي (ت: ١٠٨٧هـ):

هو نور الدين أبو الضياء علي بن علي الشبراملسي المصري، فقيه شافعي، وهو من أهل شبراملس بالغربية بمصر ولد سنة: (٩٩٧هـ)، وكف بصره في طفولته)، وتعلم وعلم بالأزهر الشريف. من أبرز مصنفاته: (حاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني)، و(حاشية على شرح الشمائل النبوية لابن حجر الهيتمي)، و(حاشية على نهاية المحتاج للرملي)، و(حاشية على شرح ابن قاسم للورقات في أصول الفقه) توفي في شهر شوال[٥].

الهوامش

(١) انظر: الأعلام للزركلي (٦٥/٧) ومعجم المؤلفين (٢٦٤/١١).
(٢) انظر: الأعلام للزركلي (١٠٣/١) ومعجم المؤلفين (١٧٣/١).
(٣) على وزن: (عَذْرى زَوِّجي).
(٤) انظر: هدية العارفين (٢٦٩/٢) والأعلام للزركلي (٢٩٢/٦) ومعجم المؤلفين (٥٥/١١).
(٥) انظر: الأعلام للزركلي (٣١٤/٤) ومعجم المؤلفين (١٥٣/٧).



هشام الصباغ
باحث لغوي

سلفه النمر.. وخلفه جاد الحق

الدكتور الوزير زكريا البري

■ علامة متميز، وشخصية ثرية متعددة المواهب متنوعة العطاء، وعلم من أعلام الإصلاح، وأستاذ من أساتذة الشريعة.

■ أحد أساتذة الشريعة البارزين في المجتمع والحياة الأكاديمية المصرية، وقد تولى هذه الأستاذية في أهم جامعتين عربيتين في وقت ما وهما جامعة القاهرة وجامعة الكويت (الناشئة بسمعتها العالية)، كما تولى الأستاذية في «السوربون» وجامعات أخرى قدر لها أن تحتل بعد قليل مكانة مرموقة بين الجامعات العربية ومنها جامعة قطر.

■ سخر قلمه لخدمة الإسلام وثقافته وحضارته ودعوته، وهو مدافع صنديد عن الشريعة، وهمته عالية بالعلم والتعليم، وانشغاله دائم بأوضاع الإسلام والمسلمين ومحاولة النهوض بهم اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

■ يؤكد أن المساواة في مفهوم الدين الإسلامي تفترض المساواة في الحقوق والواجبات بين الجميع، وسيادة القانون، والعدل في الحكم بينهم.. كما أن عدالة الإسلام لا تفرق بين قريب وبعيد، وهي مبعث الاطمئنان والثقة والحب الإنساني، وميزان العدل الإسلامي مبني على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ (النساء:٥٨).

■ الحقوق في الإسلام لديه واجبة التطبيق؛ «لأنها ليست مجرد أفكار نشجع الناس على العمل بها، بل هي جزء من العقيدة وهي وحدة متكاملة مبنية على العدالة والحرية والاحترام، ترفض استعباد الشعوب والدول بعضها لبعض على أساس عنصري أو مذهبي، ذلك لأن الدعوة الإسلامية دعوة إنسانية عظيمة شاملة».. إنه الأستاذ الدكتور زكريا البري.

المولد والتكوين العلمي

■ في العاشر من أبريل عام ١٩٢١م، وفي محافظة البحيرة بدلتا مصر، ولد الأستاذ الدكتور زكريا أحمد مبروك البري، أحد أبرز علماء الشريعة والدعوة الإسلامية في القرن العشرين، لعائلة طيبة متدينة مهتمة بالثقافة والتعليم.

■ في بداية حياته العلمية التحق بحاضنة التعليم الأولي في ذاك الزمان (الكُتّاب)؛ فتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم في سن صغيرة انتقل للدراسة في الأزهر الشريف، حيث حصل على الشهادة «العالية» من كلية الشريعة، كما نال الشهادة «العالمية» مع الإجازة في القضاء الشرعي من كلية الشريعة أيضا.

■ وعلى مستويات متوازية واصل دراساته، فنال أيضا الشهادة «العالمية» والإجازة في التدريس من كلية اللغة العربية، كما دفعه طموحه ونهمه العلمي إلى مواصلة الدراسة في المنفذ الوحيد الذي ظل مفتوحا أمام الأزهريين في معهد الدراسات العربية العليا (التابع لجامعة الدول العربية والذي كان الأستاذ الشيخ على الخفيف يرأس قسم الدراسات القانونية والإسلامية فيه)، ونال درجة «الدبلوم العالية» منه.. وبهذه الشهادات أصبح الدكتور زكريا البري مؤهلا لوظائف الإفتاء والقضاء والتدريس أيضا.

حياته العملية

■ في بداية حياته العملية عين الدكتور زكريا البري موظفا في المحاكم الشرعية، ثم انتقل للتدريس في الجامع الأزهر.. وعند إنشاء مجمع البحوث الإسلامية انتدب أمينا للفتوى فيه، وأمينا لتحرير مجلته.. كما اختير مدرسا للشريعة الإسلامية في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ثم تدرج في وظائف هيئة التدريس حتى أصبح أستاذا لكرسي الشريعة الإسلامية بها، ثم رئيسا لقسم الشريعة في جامعة القاهرة.

١٠ جامعات.. ووزارة

■ أشرف الدكتور زكريا البري على الدراسات العليا في أقسام الشريعة في ٤ جامعات مصرية هي: جامعة المنصورة، وجامعة الزقازيق، وفرع جامعة القاهرة في بني سويف، وفي أكاديمية الشرطة، والمعهد العالي للدراسات الإسلامية الذي كان يرأس مجلس إدارته الشيخ أحمد حسن

الباقوري.

■ أما في خارج مصر فقد امتدت أستاذيته إلى ست جامعات مرموقة هي: جامعة الكويت (أربع سنوات)، وجامعة السوربون، وجامعة قطر، وجامعة الخرطوم، ووجامعة أم درمان، وجامعة صنعاء.

■ اختير الدكتور زكريا البري وزيرا للأوقاف في مايو ١٩٨٠م، خلفا للدكتور عبدالمنعم النمر، وظل وزيرا للأوقاف حتى خلفه الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، كما اختير أيضا عضوا في مجلس الشورى، وعضوا في مجلس الشعب.

الرقابة الشرعية على المصارف

■ مع ازدهار التوجه نحو الصيرفة الإسلامية اختير الدكتور زكريا البري عضوا في الهيئة العليا والفتوى للرقابة الشرعية للاتحاد الدولي للبنوك التي تعمل وفق الشريعة الإسلامية.

■ وعلى مستوى المجامع العلمية والمجالس العليا اختير الدكتور زكريا البري عضوا في مجمع البحوث الإسلامية، وعضوا في مجلس جامعة الأزهر، كما عمل بحكم منصبه رئيسا للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

من آرائه وأقواله

■ «يزعم خصوم الإسلام أنه لا يراعي حقوق الإنسان، ولا يلزم أتباعه باحترامها، وأن الأمم الأخرى سبقت المسلمين كثيرا في هذا المجال.. بينما سبق الإسلام مواثيق البشرية كلها بإقرار حقوق الإنسان منذ نحو خمسة عشر قرنا من الزمان، خصوصا الحق في الحياة، وحق الكرامة، والحق في العدل، وحق الحرية، والحق في المساواة، وحق الاعتقاد، والحق في التعليم.. وغيرها».

■ «أهم أهداف الشريعة الإسلامية هو تحرير الإنسان، ورفع شأنه، وتوفير أسباب العزة والكرامة والشرف له، وإن الحرية حق أساسي له الصدارة والأصالة بالنسبة إلى غيره من الحقوق، حيث تتفرع عنه حقوق مهمة أخرى، منها: الحرية الدينية التي تقتضي أن يكون لكل إنسان اختيار كامل للعقيدة التي يعتنقها ويؤمن بها من غير ضغط ولا إكراه خارجي».

الحرية لدى البري

■ «العقل خاصة الإنسان وامتيازه وشرفه، وهو مناط التكليف والخطاب الإلهي، فبالعقل كان الإنسان إنسانا، وكان امتيازه وتفضيله على غيره.. وللعقل في الإسلام منزلة كبرى، ودرجة رفيعة، حتى إننا لا نجد عقيدة تحترم العقل الإنساني وتعتمد عليه كالعقيدة الإسلامية، كما أننا لا نجد كتابا مقدسا خاطب العقل، وأبرز مكانته الكبرى بمثل ما فعل القرآن الكريم.. والعقل والنقل في ميدان النظر والبحث والتفكير صنوان لا يفترقان، ولا يستغني أحدهما عن الآخر».

■ «يجب أن يكون للإنسان حرية التصرف في أموره الشخصية والمالية، كما يجب أن يكون لكل إنسان ذي أهلية الحق في الاشتراك في توجيه سياسة وطنه في الداخل والخارج، وفي إدارته ومراقبة سلطته التنفيذية. ويتبين موقف الإسلام وحرصه عليها حين نجده يرسي دعائم الحكم على أساس من الشورى والحرية السياسية لجميع المسلمين، فيأمر الله تعالى بها رسوله ﷺ حين قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:١٥٩)».

مجهوده العلمي

■ خلف الأستاذ زكريا البري تراثا فكريا وعلميا كبيرا في مجالي اللغة والفقه الإسلامي، إذ كان له نشاط بحثي وعلمي واسع، وترك مجموعة مؤلفات علمية ومعرفية متنوعة نذكر منها على سبيل المثال: «أصول الفقه الإسلامي»، «الفقه الإسلامي: أطواره في الماضي والحاضر والمستقبل»، «الوسيط في أحكام التركات»، «المواريث»، «من حقوق الإنسان في الإسلام» و«حقوق الأولاد في الإسلام».. وغير ذلك كثير.

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ الدكتور زكريا البري ٦ مشاركات مع مجلة «الوعي الإسلامي»، جاءت تحت عناوين: «الفقه الإسلامي في ماضيه وحاضره ١ و٢ و٣» (ع:٤٠ و٤٢ و٤٤): «سؤال وجواب عن القضية الفلسطينية» (ع:٥٤)، «ملابس النساء» (ع:٦١)، «الوقاية هي العلاج» (ع:٧٧).

وفاته

■ انتقل المفكر الكبير الأستاذ «الدكتور زكريا البري» رحمه الله، إلى جوار ربه سنة ١٩٩١م، عن عمر يناهز ٧٠ عاما، قضى جله منافحا عن الإسلام وفكره وأدبه ولغته العربية، مقاتلا من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية ورد الشبهات الباطلة والأقاويل المضللة وحملات التغريب والغزو الفكري.

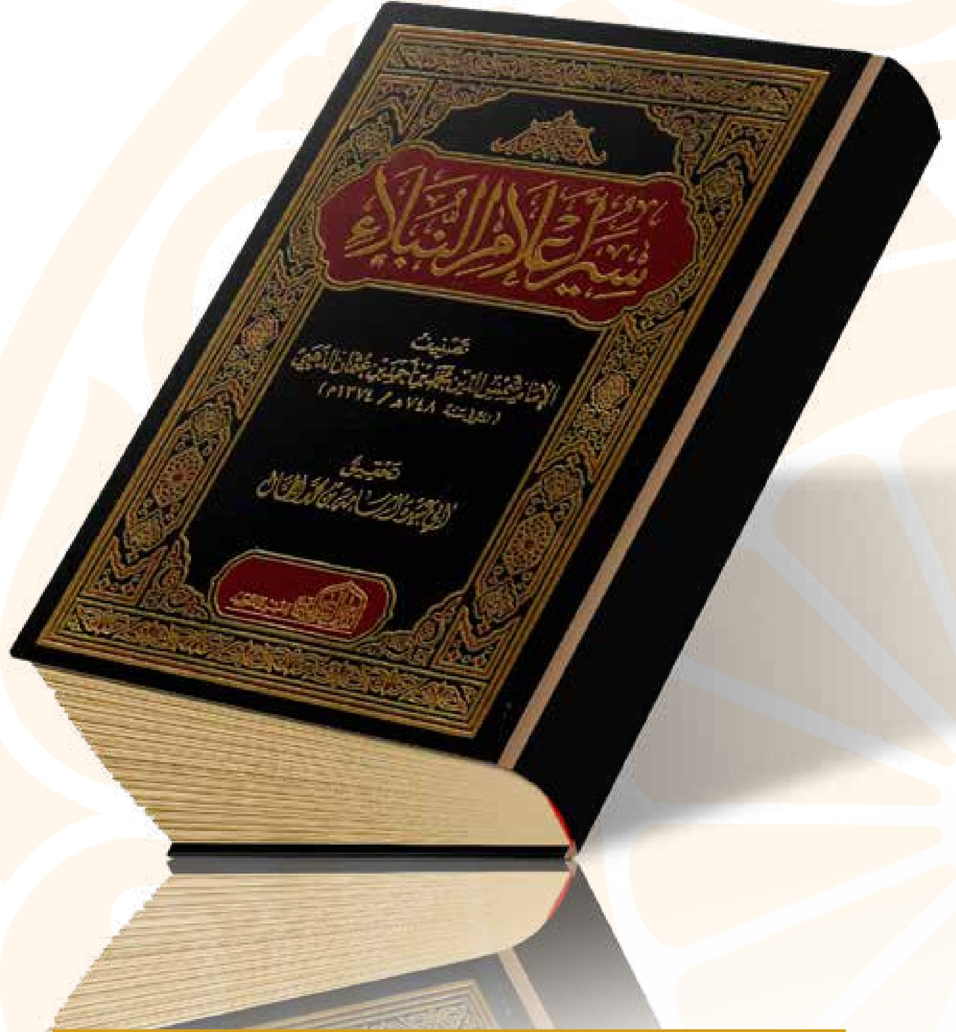
المصادر

- كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
- موقع الجزيرة (الدكتور محمد الجوادي).
- موقع الاثنينية.



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سير أعلام النبلاء



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.
ويأتي «سير أعلام النبلاء» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالكتاب

كتاب موسوعي من أنفس الكتب التي ألفت في بابها، استخرجه الإمام الذهبي (٦٧٣هـ-٧٤٨هـ) من كتابه الضخم: «تاريخ الإسلام»، وهو من أمتع كتب التراجم وأجلها، مما لا يستغني عنها باحث أو قارئ، وصورة صادقة لأعلام الأمة على مدار سبعة قرون.

الإمام الذهبي

أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٦٧٣هـ-٧٤٨هـ/ ١٢٧٤م-١٣٤٨م)، محدث وإمام حافظ. كان وحده مدرسة قائمة بذاتها. فقد جمع بين ميزتين لم يجتمعا إلا للأفذاذ القلائل في تاريخنا: إحاطته الواسعة بالتاريخ الإسلامي؛ حوادث ورجالا، ومعرفته الواسعة بقواعد الجرح والتعديل للرجال. وهو من العلماء الذين دخلوا ميدان التاريخ من باب الحديث النبوي وعلومه، وظهر ذلك في عنايته الفائقة بالتراجم التي صارت أساس كثير من كتبه ومحور تفكيره التاريخي، وقد سمي بالذهبي لأنه كان يزن الرجال كما يزن الصائغ الذهب.
سمع بدمشق، ومصر، وبعلبك، والإسكندرية. وسمع منه الجمع الكثير، وكان شديد الميل إلى رأي الحنابلة، وله تصانيف في الحديث، وأسماء الرجال، قرأ القرآن، وأقرأه بالروايات، وقد بلغت مؤلفاته

التاريخية وحدها نحو مئتي مؤلف، بعضها مجلدات ضخمة.

تبوأ الإمام الذهبي مكانة مرموقة في عصره، تجد صداها فيما ترك من مؤلفات عظيمة، وفي شهادة معاصريه له. وظل الإمام الذهبي موفور النشاط يقوم بالتدريس في خمس مدارس للحديث في دمشق، ويواصل التأليف حتى كل بصره في آخر حياته، حتى فقده تماما، ومكث على هذا الحال حتى توفي يرحمه الله ليلة الإثنين، ٣ ذي القعدة، سنة: ٧٤٨هـ/٤ فبراير، سنة: ١٣٤٨م.

التأليف

ألف الإمام الذهبي كتابه «سير أعلام النبلاء» بعد كتابه العظيم «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام»، حيث بدأ في تأليفه سنة ٧٣٢هـ، أو قبيلها بقليل، وانتهى من المجلد الثالث عشر في أوائل سنة ٧٤٣هـ، حيث إنه قد جعله في أربعة عشر مجلدا، وقد أفرد المجلدين الأول والثاني للسيرة النبوية الشريفة، وسير الخلفاء الراشدين، فقد جاء في طرة المجلد الثالث، تعليق بخط الذهبي ما نصه: «في المجلد الأول والثاني سير النبي ﷺ والخلفاء الأربعة تكتب من تاريخ الإسلام».

المحتوى

نظم الذهبي كتابه «سير أعلام النبلاء» على الطبقات، فجعله في أربعين طبقة تقريبا. وتشير الدراسات على الكتاب إلى أن الذهبي لم يراع إيجاد تقسيم واحد في عدد الطبقات بين هذه الكتب، ولا راعى التناسق في عدد المترجمين بين طبقة وأخرى في الكتاب الواحد، كما لم يلتزم بوحدة زمنية ثابتة للطبقة في جميع كتبه، فقد استعمل الذهبي الطبقة للدلالة على القوم المتشابهين من حيث اللقاء، أي: في الشيوخ الذين أخذوا عنهم، ثم تقاربهم في السن من حيث المولد والوفاة تقاربا لا يتناقض مع اللقيا، وهو أمر يتيح تفاوتا في وفيات المترجمين وفي عدد الطبقات أيضا. وكثيرا ما كان الذهبي يجمع تراجم الأقرباء في مكان واحد، لاسيما الإخوة والآباء والأبناء، وهو بعمله هذا إنما راعى الوحدة التاريخية على حساب الطبقة والزمان.

سار الذهبي في تأليف كتابه وفق منهج محدد، سواء أكان ذلك في انتقاء التراجم أم في انتقاء المادة المذكورة في كل ترجمة، وقد انطلق في كل ذلك من ميزانه الذي يزن به المترجم من جهة، والأخبار التي تجمعت لديه عنه من جهة أخرى، وهو في كل ذلك إنما يصدر عن مفهومه المعين لفائدة كتاب من مثل «سير أعلام النبلاء».

وقد اعتنى الذهبي في «سير أعلام النبلاء» بكل أنواع النقد، فقد عني بنقد المترجمين، وتبيان أحوالهم، وأصدر أحكاما وتقويمات تاريخية، وانتقد الموارد التي نقل منها، ونبه إلى أوهام مؤلفيها، وبرع في إصدار الأحكام على الأحاديث إسنادا ومتنا، وسحب ذلك على الروايات التاريخية.

١- نقد المترجمين: يقوم نقد المترجم عند الذهبي عادة على إصدار حكم في الرجل وتبيان حاله؛ جرحا أو تعديلا. وفي مثل هذه الحال قد يكتفي بآرائهم، أو يرد عليها، أو يرجح رأيا منها، وتكون نتيجة التعديل أو التجريح إصدار أحكام بعبارات فنية لها دلالاتها الدقيقة جدا نحو ثقة وصدق، وصويلح، ودجال، ومتروك، وكذاب، ومجهول...

٢- نقد الأحاديث والروايات: أكثر الإمام الذهبي من إيراد الأحاديث النبوية الشريفة في كتابه سير أعلام النبلاء، وقد عني دائما بالتعليق على هذه الأحاديث من حيث الإسناد والمتن ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

٣- الإنصاف في النقد وعدم التعصب: كان من منهج الذهبي نقل آراء الموافقين والمخالفين في المترجم ليقدم صورة كاملة عنه، وهو طابع عام في كتابه تجده في كل ترجمة من تراجمه.

نسخة «الوعي الإسلامي»

تتزين رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة كاملة من هذه الموسوعة الرائعة والقيمة، والتي تتألف من ٢٨ مجلدا، وهي في متناول قرائها الكرام المهتمين بتاريخ وتراجم العلماء.

المصادر

سير أعلام النبلاء.

الذهبي ومنهجه في سير أعلام النبلاء، بشار عواد معروف، بحث منشور على موقع: https://ar.islamway.net/article بتاريخ: ٢٠١٥/٠١/١٩م.

- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

❖ إعداد / تركي محمد النصر

المروءة

❖ قال بهرام بن بهرام: المروءة اسم جامع للمحاسن كلها.

❖ وقال بعض البلغاء: المروءة جامعة لأشتات المبرات، جالبة لأسباب المسرات، دالة على كرم الأعراق، باعثة على مكارم الأخلاق، ناظمة لقلائد الفوائد، عاقلة لشوارد المحامد.

❖ وقال بعض الحكماء: المروءة سجية جبلت عليها النفوس الزكية، وشيمة طبعت عليها الهمم العلية، وضعفت عنها الطبائع الدنية.

❖ وقالوا: مروءة الرجل: صدق لسانه، واحتمال عثرات إخوانه، وبذل المعروف لأهل زمانه، وكف الأذى عن جيرانه.

❖ وقال أعرابي: والله لولا أن المروءة ثقيل محملها، شديد مؤونتها؛ ما ترك اللئام للكرام منها شيئا.

❖ وقالوا: المروءة الظاهرة: الثياب الطاهرة.

(انظر: التمثيل والمحاضرة، للثعالبي، ص:٤٢٢؛ المروءة، لابن المرزبان، ص:١٣٢)

من روائع الحكم والمواعظ

❖ الاجتهاد في العمل، أصوب من الاتكال على الأماني.

❖ ميسور الرأي عند البديهة، أحسن من الإطناب بعد الفكر.

❖ كفى بالتجارب تأديبا، وبتقلب الأيام عظة.

❖ عثرة القدم أسلم من عثرة اللسان.

❖ عند التمام يكون النقصان، وفي طلب المعالي يكون التغرير.

❖ بالصبر على ما تكره تنال ما تحب، وبالصبر عما تحب تنجو مما تكره.

❖ أبصر الناس من أحاط بذنوبه، ووقف على عيوبه.

❖ لا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعرا.

❖ حسن التدبير مع الكفاف خير من كثير المال مع الإسراف.

❖ صحبة بليد نشأ مع الحكماء خير من صحبة أريب نشأ مع الجهال.

❖ التواضع مع الشرف أشرف من الشرف.

❖ خير الأدب ما حصل لك ثمره، وظهر عليك أثره.

❖ أهون الأعداء كيدا أظهرهم لعداوته.

❖ العاقل لا يستقبل النعمة ببطر، ولا يودعها بجزع.

❖ انفرد بسرك، ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون.

(انظر: الأمثال والحكم، للماوردي، ص:٨٤).

أخذ بأربعة وترك أربعة

دخل عبدالملك بن مروان على معاوية بن أبي سفيان وعنده عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فسلم ثم جلس، فلم يلبث أن قام.

قال معاوية رضي الله عنه: ما أكمل مروءة هذا الفتى!

قال عمرو رضي الله عنه: إنه أخذ بأخلاق أربعة، وترك أخلاقا أربعة:

أخذ:

- بأحسن البشر إذا لقي.
- وبأحسن الحديث إذا حدث.
- وبأحسن الاستماع إذا حدث.
- وبأيسر المؤنة إذا خولف.

وترك:

- مزاح من لا يثق بعقله.
- مجالسة من لا يرجع إلى دينه.
- مخالفة لئام الناس.
- وترك من الكلام ما يعتذر منه.

(انظر: غرر الخصائص، للوطواط: ٤١/١)

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

ريح يوسف

قال أبو منصور الثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩هـ) رحمه الله تعالى: «ريح يوسف» يضرب مثلا فيما يحس به من أثر الشيء السار، كما يحكى أن آدم بن عمر بن عبدالعزيز استأذن على يعقوب بن الربيع وهو على الشراب فأمر برفعه، وأذن له، فلما دخل قال: «إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون» فضحك يعقوب وأمر برد الشراب، ونادمه يومه.

(انظر: ثمار القلوب: ١/ ٥٠)

الرضا بقضاء الله تعالى

قال أبو منصور الثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩هـ) رحمه الله تعالى:

- ما الحيلة وقد حل القضاء، وفرض العزاء لقدر الله، ونزل البلاء الجسيم، وكتب الرضاء والتسليم.
- لا تسخط لقدر الله وهو عدل، ولا تكره لقضاء الله وهو فضل.
- ليعلم أن حكم الله عدل كيف تصرفت الأقدار، ووقعت من كراهة واختيار.
- القضاء غالب، والزمان معط وسالب، ولا خيار على القدر، ولا إيثار على الغير.
- والله العدل، وحكمه الفصل، ومن عنده الفضل.
- قضاء الله ماض، وهو عدل قاض؛ يولي، ويبتلي، ويسلب، ويعطي، ويعير، ويرتجع، ويمتع، وينتزع.
- له الخلق، وفعله الحق.
- أمر الله لا يقابل إلا بالرضا والصبر على ما قضى وأمضى.

(انظر: سحر البلاغة وسر البراعة: ١/ ١١٤)

الكذاب والنمام

قيل لبعض الحكماء: أيما أشر الكذاب أو النمام؟

فقال: الكذاب؛ لأنه يختلق عليك، والنمام ينقل عنك.

(انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، للقلقشندي: ٣/ ٣٦٢)

الأصمعي والكذاب

قال الأصمعي، رحمه الله، لرجل كذاب: أصدقت قط؟

قال: نعم.

قيل له: عجب!

قال: خفت أن أقول: لا، فأصدق.

(انظر: عيون الأخبار، لابن قتيبة: ٢/ ٣١)

الكذب شعار خلق

قال أبو حيان التوحيدي رحمه الله: الكذب شعار خلق، ومورد رنق، وأدب سيئ، وعادة فاحشة، وقل من استرسل معه إلا ألفه، وقل من ألفه إلا أتلفه.

(انظر: البصائر والذخائر: ٢/ ١٦٤).

إعداد: التحرير



وظيفة الأسرة المقدسة

في الإسلام وظيفة مقدسة ورسالة سامية في المجتمع والحياة؛ لذلك توالت عليها ضربات الأعداء وأصحاب الملة العوجاء في الداخل والخارج، لهدم صرحها، ونخر كيانها، ونقض أسسها ودعائمها.

لذلك وجب على المسلمين جميعا حماية الأسر المسلمة والذود عنها؛ وذلك ببنائها على مبادئ الإسلام ودعائمه وأسسه، والابتعاد عن الفرقة والنزاع وكل المشكلات التي تسبب الطلاق وتفكيك الأسرة، واستحضار مراقبة الله تعالى في كل حركة من حركات الأسرة وسكناتها، وتعاون الجميع من الأقارب والجيران والمجتمع على النهوض بالأسر المسلمة ماديًا ومعنويًا...أضف إليه دور التشريعات القانونية المنظمة للعلاقات الأسرية وبإقامة العدل وتحقيق التوازن الأسري وفق ضوابط الشريعة الإسلامية... أضف إليه دور المناهج التعليمية التربوية في تهيئة الأبناء والشباب لبناء أسرة مستقيمة والاهتمام بها والذود عنها.

• عبد الله السيد



الاكتئاب المستتر

الحزن حالة من حالات الإنسان، فالحياة ليست فرحة دائمة، ولا بهجة مستمرة، لذا فإننا لا نستطيع أن نقول إن الحزن هو الاكتئاب، فالاكتئاب أعمق من ذلك بكثير، له كثير من الأعراض والعلامات، وقد وضعت الجمعية الأمريكية للطب النفسي ثماني علامات للاكتئاب، تتمثل فيما يلي:

١- ضعف الشهية مع فقدان الوزن أو فرط الشهية مع زيادة الوزن. ٢- الأرق أو الإفراط في النوم لساعات طويلة.

٣- التهيج الحركي أو قلة الحركة.

٤- فقدان الاهتمام بالأنشطة المعتادة أو نقص الشهوة الجنسية.

٥- فقدان الطاقة أو الإحساس بالتعب.

٦- الإحساس بعدم القيمة والأهمية، أو لوم وتأنيب النفس، أو الإحساس بارتكاب ذنب أو معصية لا يمكن تحديدها.

٧ - تراجع القدرة على التفكير أو التركيز.

٨ - أفكار متكررة تراود المريض عن الموت أو الانتحار.

لكن نوعا من أنواع الاكتئاب لا تتوافر فيه كل هذه الأعراض والعلامات يطلق عليه الاكتئاب المستتر masked depression، يشكو فيه المريض من ألم مزمن لا يستجيب للمسكنات، وعند إجراء فحص إكلينيكي للمريض فإنه يكون سليما، وعندما تجرى له أبحاث معملية فإنها تكون في الحدود الطبيعية، المريض يشكو من التعب المستمر، والإرهاق الدائم، والإحساس بالتوعك.

هناك أمراض عضوية تؤدي إلى أعراض تتشابه مع الاكتئاب المستتر، مثل الأنيميا بأنواعها المختلفة، حيث التعب والإرهاق الذي لا يفارق المريض، ويحدث ذلك أيضا في الأمراض المعدية، وأمراض الغدة الدرقية والجاردرقية، وأمراض الغدة الكظرية، والتصلب المتعدد، وأمراض المخ العضوية، والتجمع الدموي تحت الجافية، وسرطان البنكرياس.

• د. يحيى محمود سنبل

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

alwaeiq8@gmail.com







رسائل تربوية

الطريق إلى الله لا حد له ومفتوح باستمرار ودائما ولايستطيع أي شخص كان أن يحدد لك موقعك في هذا الطريق، فقلبك الصافي بالرحمة والعدل وتمام المعرفة الكاملة للخالق سبحانه، ونواياك الصادقة هما المحددان لموقعك في طريق الله، وسبحانه العدل

اختص نفسه بكمال ما سبق، فحقيقة علاقتك بربك تعرفها أنت، فقد يصلي الإنسان قاصدا البشر وقد يصلي لإبعاد وجهات النظر السيئة عنه وعن أخطائه في السر وفي نفسه، ولا يعلم الحقيقة إلا الله ثم هو، وقد يتصدق لله خالصا وقد يتصدق ليقال منفقا أو لأي غرض دنيوي. وفي النهاية هل يستطيع أي انسان أن يجزم بأن عمل غيره خالص أم تشوبه شائبة؟! الحقيقة لا يعلمها إلا الله وحده، ثم أنت، فكن مخلصا لله في كل أعمالك، وتوجه إلى ربك بقلبك ونواياك، واجعل كل حياتك لله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام:١٦٢-١٦٣).

فيجب أن نحاول أن نرى الصورة كاملة ونصدر الأحكام الصحيحة في كل أمورنا الحياتية، فلا أحد فينا يعلم أين الخير في أحداث الحياة، ومن أجل ذلك تمنينا ألا تحدث لنا أحداث كثيرة كانت تبدو لنا شرا، وتمكن منا الضيق، ثم بعد حدوثها بفترة زمنية سجدنا لله شكرا على حدوثها، فيجب علينا أن نتربى على الرضا وحسن تقبل القدر وتقدير نعم الله علينا على حقيقتها ونضعها

أمام أعيننا ليزداد لدينا الطموح والأمل وتعلو الهمة ونسعى دائما في طريق الخير لنا دنيا وآخرة، وعلينا أن ننسى أطماعنا وألا تكون الدنيا هي كل همنا والمعصية أقرب إلينا من الطاعة، وألا نبعد شيئا فشيئا عن طريق الله، وتقل الآخرة في أعيننا ونضخم من الدنيا ونقلل من نعيم الآخرة الباقي ونقيم على طريقنا إلى الله سدا منيعا من المعاصي وإن أردنا التوبة يمنعنا السد ويعم الظلام ويقل النور بيننا فكلنا يعرف الله ويعرف أنه الغفور الرحيم، وعندما نذنب فنور الله واضح ونور الله للمسلمين القرآن واتباع النبي المصطفى العدنان ﷺ.

ومع مرور الأيام وانقضاء الزمان تناسى بنو آدم الحقيقة، وهي أننا سنحاسب أمام الله، قال تعالى في آخر وحي السماء للأرض: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢٨١).

ومع تخيلنا لمنظر الإنسان يوم الدين وبعد أن يمشي على الصراط من لا يشرك بالله وشملته رحمته سبحانه يأتي على الصراط دون قنطرة المظالم وهي العدالة الإلهية لكل المظلومين من ظالميهم لكل من شتم واغتاب ونم وكذب وقتل وسفك دم وأكل مالا وظلم أهله، وكان في أغلب أحواله في طريق الله على غير هداه سبحانه جل في علاه وهدى الله في القرآن واتباع النبي ﷺ.

وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس:٤٤).

• د. عبدالله الزبير بكر

مِسك الختام

حياة عريضة

حكى أحد الدعاة أن صديقا له كان شغوفا بالتاريخ وقراءة السير وتتبع الأخبار، ونما إلى علمه يوما أن رجلا في قرية ليست بعيدة عن قريتهم قد عمر ونيف على المئة، فبلغت به السعادة مبلغا عظيما، وقرر فور سماع خبر المعمر أن يزوره لعله يسمع من خبر البلد وأحداثه ما لم يقرأه في كتاب، وتأبط دفتره وانطلق إلى قرية الرجل تملؤه الغبطة ويحدوه الفضول وحب الاستطلاع، وكيف لا ولقاؤه سيكون مع «قرن يتكلم»!
يقول الداعية راوي القصة: ثم التقيت صديقي بعد عودته من لقاء المعمر، فإذا حماسه منطفئ، ودفتره فارغ، وأسفه باد! فقلت له: ماذا صنعت في زيارتك للمعمر؟ قال لي: لقد تبدد رجائي بعدما التقيته، لقد وجدت عمر الرجل ليس مئة عام كما بلغني، وإنما عام واحد مكرر مئة مرة، فليس في حياته جديد يستحق التدوين، أو أثر جدير بالاحتفاء، أو أفكار حرية بالمناقشة!

إن قصة هذا المعمر قصة الكم لا الكيف، والطول لا العرض، والكثرة لا الجودة؛ فطول الحياة ليس مؤشرا على عمقها وما تحفل به من إنتاج وعطاء، فكم من حيوات طويلة مر أصحابها في رحلة الدنيا ولم يتركوا فيها أثرا ينبئ عن أنهم مروا من هنا، أو يتركوا على صفحتها سطورا تغري من جاء بعدهم بقراءتها والإفادة منها، وكم من حيوات قصيرة ترك أصحابها وراءهم في مسمع الدهر دويا عاليا، ونقشوا على ألواحها آثارا لا تمحوها الأيام!

والمسلم من هذا الصنف الثاني الذي يربيه الإسلام على أن يكون من أصحاب الحياة العريضة الغنية بصالح الأقوال والأعمال، العامرة بصنوف العطاء والإنتاج، فهو كائن «مستقبلي» بطبيعته، يرى أن أيام حياته مهما طالت فهي قصيرة، وهي تحتاج منه كدحا موصولا ليودع فيها من الأعمال ما ينفعه وينفع من حوله، ويقدمه بين يدي حياة مديدة خالدة جزاء وفاقا على كدحه في هذه العاجلة.

ويوم فهم المسلمون هذا المعنى حق فهمه قدموا للبشرية أجيالا كبيرة الهمم عريضة الآمال، فعرف التاريخ عمر بن عبدالعزيز والشافعي وأبو تمام وسيبويه والفراء والسيرافي واللكنوي.. وغيرهم كثير ممن لم تطل بهم الحياة بمقياس الأيام لكنهم عاشوا حياة عريضة بمقياس العطاء والإنتاج، ويكفي أن تطالع كتاب «العلماء الذين لم يتجاوزوا سن الأشد» للدكتور علي العمران لتقف على سير العشرات ممن عاشوا هذه الحيوات العريضة وتركوا وراءهم آثارا باذخة طالت بها أيامهم بين الناس وإن غابت أجسادهم.

ولعلنا نقرأ حديث النبي ﷺ قراءة جديدة وهو يرشدنا بقوله: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (رواه مسلم)؛ فهو دعوة لكل مسلم أن يعيش حياة عميقة عريضة يعيش فيها وبعدها ممدود الأثر موصول الثواب.

أحمد عبدالمقصود
باحث تربوي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٨١) جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ - يناير ٢٠٢٢م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

الانتحار وفلسفة الحياة والموت

- أمير العفو نشر الوئام
- العوضي للجاليات من ثمرات الأوقاف
- التربية بالثواب

مجلة الوعى الإسلامى  www.alwaei.gov.kw  alwaeiq8@gmail.com  موقع مجلة الوعي الإسلامي 



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

الانتحار... طريق الهوان والخسران

إن النفس هي هبة من الله تعالى للإنسان، لا يملكها إلا هو سبحانه، ولها ابتداء معلوم وأجل محتوم كتبه الله عليها، فقال النبي ﷺ: (إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات، فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أو سعيد) (البخاري)، فهو لن يموت إلا بالأجل الذي كتبه الله له، وقد وضح القرآن هذه الحقيقة بقوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤).

فإنه لا يلجأ إلى الانتحار إلا من لم يرزق الصبر والتصبر، ومن ضعف إيمانه وخارت قواه، فبالصبر يستطيع الإنسان أن يستوعب المصائب والبلايا ويدرك الحكمة من ورائها، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٧)، فيفوز الصابر بصلوات الله عليه ورحمته، وقال رسول الله ﷺ: (ومن يتصبر يصبره الله) (البخاري).

فالمنتحر - للأسف - لم يصدق بوعد الله تعالى حين وعد عباده باليسر بعد العسر، فلم يصدق بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ (الشرح: ٥-٦)، ولا شك بأن المؤمن مبتلى، وما يزال البلاء به في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة كما صح ذلك في الخبر.

والانتحار علامة على سوء الخاتمة؛ لأن من مات على شيء بعث عليه يوم القيامة، لذلك فإنه يبعث يوم القيامة وهو يصيب نفسه بما قتل به نفسه في الدنيا لقوله ﷺ: (من تردى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تحسى سما فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا) (البخاري)، كما أنه من أقبح الكبائر؛ فلم يصل النبي ﷺ على المنتحر زجرا للناس عن مثل فعله، فيما صلى عليه الصحابة.

فلا بد أن يوقن المؤمن أن الابتلاء يكفر السيئات، ويرفع الدرجات لمن صبر واحتسب، وينبغي أن يتفكر من يريد الإقدام على الانتحار: أن الانتحار ليس حلا للمشكلات، ولا سبيلا سويا لمعالجة المعضلات، بل هو طريق هوان وخسران وعناء، ومزلق صعب يودي بصاحبه إلى الشقاء، وتعد على الحياة التي لا يملكها، وأذية وضرر على الأحياء من أهله وذويه. وبالتقوى والصبر تتجلى المصائب والأكدار والأحزان، ويجعل الله لصاحبها من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٨١/ جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ
العام التاسع والخمسون
يناير ٢٠٢٢م

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



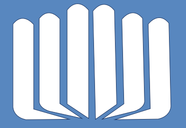
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

كأنه ولي حميم

عندما ننظر لواقع مجتمعاتنا في الآونة الأخيرة.. نجد أن البعض يرفع راية العنف حلا وحيدا واحدا، أمام قضايا أغلبها كان يمكن أن تحل بكلمة طيبة أو حتى ابتسامة أو ربما صمت حتى حين.

ونتساءل: لماذا سرعة الغضب؟ ولماذا الغضب المبالغ فيه أصلا؟

ألم يرشدنا الرسول ﷺ لعلاج الغضب في كلمات قليلات أثبت علم النفس -ولسنا في حاجة لإثبات- أنها طرق ناجحة؟

روى البخاري في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: لا تغضب. فردد مراراً قال: لا تغضب.

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً استأذن على عمر رضي الله عنه فأذن له، فقال له: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل -العطاء الكثير- ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر رضي الله عنه حتى همّ أن يوقع به، فقال الحر بن قيس -وكان من جلساء عمر-: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل.

الحقيقة أننا نحتاج إلى نشر قيمنا الإسلامية وتسليط الضوء على كثير من الآيات والأحاديث الشريفة والقصص التي تنمي في عقولنا ووجداننا التأني وكظم الغيظ والعفو والتسامح والحلم وعدم معاجلة الناس بالعقوبة.

نحتاج إلى أن نتأمل قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ (فصلت: ٣٤).

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- باقي دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي **(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**

د. عبدالناصر سلامة
باحث دراسات إسلامية



تربية الأبناء من خلال سورة الأحقاف

أنزل الله تعالى القرآن ليكون هداية للناس في كل ما يهمهم في شؤون حياتهم مما تتعلق به مصلحتهم العاجلة والآجلة، وقد وصف الله تعالى ما يدل القرآن عليه ويرشد الناس إليه بأنه الأقوم، وذلك يقتضي زيادة في العناية بما جاء به من هدايات وإرشادات، وتقديمها وتفضيلها عما سواها، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء:٩). أي: «للتي هي أعدل وأصوب، وحذف الموصوف ليشمل تقدير المحذوف كل ما هو خير في ذاته، وخير في دلالته، وقد قدره بعض العلماء بما يقرب من هذا الشمول، فقال يهدي للحال التي هي أقوم لتشمل الحال حال المجتمع، وحال الأسرة، وحال الإنسانية، وكل حال هي خير للإنسان في عاجلته وآخرته، معاشه ومعاده»[1].

وإن من مهمات الحياة وقضاياها المركزية التي أرشد القرآن إلى سبيل الرشاد فيها بما هو أقوم، نجد قضية تنشئة الأبناء وتربيتهم، إذ بهذه العملية تتناقل عبر الأجيال الأخلاق والقيم، وبها تبنى الحضارات والأمم، كما أن بها تستدام العطايا والنعم، فما كان القرآن أن يدع قضية كهذه دون إرشاد وتوجيه، يقول ابن عاشور، رحمه الله، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ
عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ
إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ

فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح:٢٧): «وفي كلام نوح دلالة على أن المصلحين يهتمون بإصلاح جيلهم الحاضر، ولا يهملون تأسيس أسس إصلاح الأجيال الآتية، إذ الأجيال كلها سواء في نظرهم الإصلاحي. وقد انتزع عمر بن الخطاب من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ (الحشر:١٠)، دليلا على إبقاء أرض سواد العراق غير مقسومة بين الجيش الذي فتح العراق، وجعلها خراجا لأهلها؛ قصدا لدوام الرزق منها لمن سيجيء من المسلمين»[٢]. يعني بهم التابعين الذين كانوا نتاج التربية والتنشئة الصالحة للصحابة الكرام.

ونحن إذا نظرنا إلى كتاب الله عز وجل لم نجد ما يتعلق بهذا الموضوع من هدايات وإرشادات مجموعا وجاهزا في سورة واحدة أو آيات محددة، وإنما نجد القرآن قد بث ما تعلق بذلك من حكم وأحكام هنا وهناك، وترك أمر الاهتداء إليها إلى المتدبرين فيه، فمن تلك الهدايات ما جاء قريبا يسهل تناوله والوقوف عليه، كما هو الشأن في قصة لقمان وابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ (لقمان:١٣)، أو قصة يعقوب، عليه السلام، وأبنائه في سورة يوسف؛ إذ هي مجال واسع لاستنباط الهدايات والإرشادات القرآنية في هذا الموضوع، ومثله في قصة إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، في سورة الصافات وغيرها.

ومنها - أي الهدايات والإرشادات - ما جاء على غير تلك الصورة من الوضوح، وإنما احتاج إلى نظر دقيق وتدبر عميق للوقوف عليه واستنباطه، ومن هذا الصنف نجد الآية الخامسة عشرة من سورة الأحقاف، والتي اشتملت على معان جليلة ترسم للمؤمن المنهج القويم الذي يجب اتباعه في تربية الأبناء بما يحقق صلاحهم. ومدار الاستنباط من هذه الآية الكريمة يرجع إلى ملاحظة النظم والترتيب والسياق الذي جاءت فيه.

يقول الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف:١٥). يذكر الله تعالى لنا في هذه الآية، التي افتتحت بتوصية الله الابن بالإحسان إلى والديه، أن هذا الابن إذا بلغ سن الأربعين وبلغ أشده، وكان- في الغالب- وقتئذ رب أسرة رجا من الله أن يرزقه الذرية الصالحة، حيث قال: ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾. وقد قدم الله بين يدي هذا الرجاء الأسباب المحققة

له حتى لا يغفل هذا الابن عن الأخذ بها.

الإحسان إلى الوالدين

وأول تلك الأسباب المعينة على إصلاح الذرية، كما يفيده نظم الآية وترتيب جملها، هو الإحسان إلى الوالدين، ولذلك جاء مقدما في الآية على رجاء الذرية الصالحة، وذلك في قوله: ﴿أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ قبل قوله: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ﴾، وكأن معنى هذا النظم والترتيب يقول لنا: من أراد أن يحسن إليه أبناؤه فليحسن هو إلى والديه، لأن الجزاء من جنس العمل. يقول العلامة ابن عاشور في تفسير هذه الآية: «وفي إدماج تلقين الدعاء بإصلاح ذريته مع أن سياق الكلام في الإحسان إلى الوالدين إيماء إلى أن المرء يلقى من إحسان أبنائه إليه مثل ما لقي أبواه من إحسانه إليهما»[٣]. ومما يؤكد هذا المعنى ويقويه ما جاء في الحديث: «بروا آباءكم يبركم أبناؤكم»[٤]. ومعنى هذا الكلام أن تربية الأبناء على الصلاح مشروع يبدؤه الأب من علاقته بوالديه، فكلما أحسن إليهما رأى ثمرة ذلك في مشروعه المستقبلي، وكلما أساء العلاقة بهما خابت مساعيه في الظفر بالذرية الصالحة، ولقي من الشقاء جراء ذلك ما يناسب تفريطه، وقد جاء في الحديث: «كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله تعالى يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات»[٥]؛ أي يعجل عقوبته في الدنيا. وهذه العقوبة قد تأتيه في صورة عقوق ذريته، وهذا من هدايات القرآن وأسراره المغفول عنها.

صلاح الأبوين

وأما السبب الثاني المعين على صلاح الذرية، وفق ما يفيده نظم الآية أيضا، فهو صلاح الأبوين في نفسهما، ولذلك جاء قوله: ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ قبل قوله: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ﴾، فصلاح الآباء من الأسباب العظيمة المحققة لصلاح الذرية، يقول العلامة ابن عاشور، رحمه الله، في تفسيره: «وينشأ عن هذا الصلاح والاستقامة في الآباء دوام الاستقامة في النسل، لأن النسل منسل من ذوات الأصول فهو ينقل ما فيها من الأحوال الخلقية والخلقية، ولما كان النسل منسلا من الذكر والأنثى كان بحكم الطبع متحصلا على مجموع من الحالتين، فإن استوت الحالتان أو تقاربتا جاء النسل على أحوال مساوية المظاهر لأحوال سلفه، قال نوح عليه السلام في عكسه: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾»[٦]، فانظر، مثلا، إلى منشأ فساد الأجيال المتعاقبة على نوح، عليه السلام، تجده راجعا إلى فساد الآباء، إذ فساد الابن لا يحصل من مجرد ولادته من أبوين كافرين أو فاسدين، وإنما يحصل ذلك بما يتلقاه منهما من كفر وفساد، ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه»[٧].

ومن الإشارات القرآنية المؤكدة لهذا المعنى، قول بني إسرائيل لمريم، عليها السلام: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ (مريم:٢٨)، قال أبو حيان الأندلسي: «أنكروا عليها ما جاءت به وأن أبويها كانا صالحين، فكيف صدرت منك هذه الفعلة القبيحة، وفي هذا دليل على أن الفروع غالبا تكون زاكية إذا زكت الأصول»[٨]. وهذا مما لا ينكره الناس إذا حدثوا به، لكثرة ما يرون تصديقه في الواقع.

ولعل ما يزيد هذا المعنى تأكيدا من شواهد القرآن أيضا، قوله تعالى في قصة الغلامين اليتيمين اللذين بنى لهما الخضر، عليه السلام، الجدار حماية لكنزهما حتى يكبرا: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ (الكهف:٨٢)، قال الفخر الرازي: «قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ يدل على أن صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الأبناء»[٩]. وهذه العناية قد تكون عبارة عن تهيئة الأسباب التي تعينهم على الصلاح في حياتهم كتهيئة الرفقة الصالحة لهم، أو صرفهم عن تعاطي كثير من الشهوات المفسدة لدينهم وأخلاقهم، أو غير ذلك من أوجه العناية التي تحقق لهم صلاح الدين والدنيا، ويكون كل ذلك ببركة صلاح الوالدين. وينبغي ألا يفهم أن هذه العناية مقتصرة على الجانب المادي فحسب، كما في قصة الغلامين اليتيمين.

والحديث عن الصلاح في قوله

تعالى: ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ يشمل كل ما يصدق عليه اسم الصلاح من الأحوال والأفعال التي ترضي الله عز وجل، وفي مقدمة ذلك المحافظة على الصلوات الخمس، كما أشار إلى ذلك بعض المفسرين[10]. وهذا مما يقتضيه ما جاء من الأمر النبوي بتربية الأبناء على الصلاة وهم أبناء سبع سنين، والتشديد عليهم بشأنها وهم أبناء عشر؛ فلا بد من القائم على هذه التربية أن يكون ممتثلا لما يأمر به حتى يكون ذلك أدعى للاستجابة له من طرف الأبناء، فإن الدعوة بالفعل والقدوة تكون أبلغ في النفس من مجرد الدعوة بالكلام مع عدم الامتثال. وقس على هذا كل ما يعلمه الآباء الأبناء مما يقوم عليه أمر صلاحهم، فهم محل تأس بالنسبة لهم، زيادة لما لهم من حظوة في قلوبهم تزيد ذلك التأسي قوة. ومن هنا كان أمر صلاح الآباء من أهم الأسباب المحققة لصلاح الأبناء.

كما أن من أهم معاني الصلاح التي يشملها هذا الوصف أيضا في قوله: ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ السعي وراء الرزق الحلال الطيب الذي يتم إدخاله إلى جوف الأبناء، وهو ذو أثر بليغ جدا في صلاح الذرية، فإن ما نبت وترعرع واشتد عوده بالطيب الحلال كان أقرب أن يباركه الله ويصلح شأنه، على عكس ما نبت بالخبيث المحرم من المال، فإن البوار يكون أقرب إليه. وهذا من هدايات القرآن المغفول عنها أيضا.

الدعاء بصلاح الأبناء

وأما السبب الثالث من أسباب صلاح الذرية مما دل عليه نظم هذه الآية من سورة الأحقاف، فهو ملازمة الدعاء بصلاح الذرية والإلحاح على الله بذلك، وهذا المعنى واضح في قوله: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ﴾، فالدعاء من أعظم ما تقضى به الحوائج عموما، والإرشاد إليه في هذا الموضع يدل على أن له أثرا في صلاح الذرية خصوصا، يقول العلامة ابن عاشور في تفسيره للآية المذكورة: «دعوة الأب لابنه مرجوة الإجابة. وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات، لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم»، وفي رواية «لولده» وهو حديث حسن متعددة طرقه»[11].

ولهذا المعنى الذي ذكرناه شواهد كثيرة من القرآن الكريم، حيث أورد الله فيه قصصا كثير من الأنبياء وهم يدعون الله أن يرزقهم الذرية الصالحة، كقول زكريا: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ (آل عمران:38)، وقول إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١﴾ (الصافات:100-101). وما هذه الآيات إلا تعليم وإرشاد للآباء إلى هذا السر العظيم من أسرار إصلاح الذرية، وهو أيضا من هدايات القرآن المغفول عنها من طرف الآباء والأمهات.

وختاما: فإن من شأن العاقل الناصح العناية بما جاء في القرآن من هدايات وإرشادات، خصوصا في أمر خطير مثل تربية الأبناء، هذا إن لم يكن الأخذ بهذه الإرشادات من الأمر الواجب المحتم، لأن الله قد وصف ما يجيء به القرآن بأنه الأحسن والأقوم، وكفى بهذا حافزا للآباء أن يعتنوا بما تم ذكره من هدايات ترشدهم إلى تحقيق أعظم ما يرجوه كل أب وأم؛ وهو رؤية ذريتهم طيبة صالحة، وقد جاء في صفات عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان:74).

الهوامش

1- ينظر: زهرة التفاسير، للشيخ أبي زهرة، ج8، ص:4341.
2- ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج29، ص:214.
3- ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج26، ص:33.
4- أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: (6295)، وقال الهيثمي في المجمع (138/8): رجاله رجال الصحيح.
5- أخرجه الحاكم برقم: (7263)، وقال: صحيح الإسناد.
6- ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج2، ص:303.
7- صحيح البخاري، برقم: 1358.
8- ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج7، ص:257.
9- ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي، ج21، ص:492.
10- ينظر: مدارك التنزيل، للنسفي، ج3، ص:312.
11- ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج26، ص:33.



عبد القادر دغوتي
باحث في الدراسات الإسلامية

دعائم نصرة النبي ﷺ

❖ لم يزل الكفار والمنافقون منذ فجر الإسلام يؤذون رسول الله ﷺ، ويتطاولون على مقامه الشريف، بالسب والافتراء، والقذف والطعن في آل بيته الأبرار وأزواجه الأطهار وأصحابه الأخيار.

❖ فما نراه ونسمعه اليوم من أنواع الإساءات ليس جديدا ولا مستبعدا، بل هو قديم متجدد، وهو أيضا متوقع ومنتظر، ما دام للكفر والنفاق وجود ودولة وراية.

❖ غير أن هذا التعدي المتكرر وهذا الإيذاء المتجدد، لن يطول النبي الكريم ﷺ، ولن يبلغ به الكفار والمنافقون شيئا من رسول الله ﷺ ولا من دينه.. فكم جد كفار قريش من قبل في إيذائه وصد الناس عنه، وكم فكروا وقدروا فما أفلحوا، وكم حاول اليهود والنصارى إطفاء النور الذي جاء به، فخابوا وخسروا، وكم حاك المنافقون من مكائد، وكم دسوا من دسائس، وكم ألقوا من شبه، وكم افتروا من أكاذيب لينفروا الناس عن سنته ودينه، فخاب سعيهم وانقلبوا صاغرين.

❖ فرسول الله ﷺ منصور، ومقامه مصون، ودينه محفوظ، ولو كره الكافرون والمنافقون والمفسدون.. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (التوبة:٤٠)، وقال عز وجل: ﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح:٣). وقد كتب الله سبحانه على نفسه أن ينصر رسله والمؤمنين وينصر الحق، قال جل جلاله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (غافر:٥١). والنور الذي جاء به رسول الله ﷺ سيظل ينير الدنيا، ولن يبلغ الظلاميون والرجعيون إطفاءه أو حجبه، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (التوبة:٣٢-٣٣)، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ (الصف:٨-٩).

❖ أما تلك الإساءات وتلك الاعتداءات المتكررة، فإنما هي في الحقيقة صفعات نتلقاها، نحن المسلمين، عسى أن توقظنا من نوم الغفلة، وصدمات تهز قلوبنا عسى أن تحيي ما مات فيها من مواد الإيمان، وأن تدفعنا لنجدد عهدنا مع الله تعالى، ونوثق صلتنا برسول الله ﷺ، ونسهم في نصرته، وهي فرض عين على كل مسلم وحق له علينا جميعا، وهي سبيل العزة والفلاح، قال الحق سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر:١٠)، وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون:٨)، وقال عز وجل: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف:١٥٧).

فكيف ننصر رسول الله ﷺ؟

❖ تتحقق نصرة رسول الله ﷺ إذا قامت على دعائم متينة، أذكر منها هذه الثلاث الآتية:

الدعامة الأولى: المعرفة

❖ أي: معرفة النبي ﷺ حق المعرفة؛ فإنه بقدر معرفتنا به تكون نصرتنا له.

ومن أوجه هذه المعرفة أذكر الآتي:

ـ أولا معرفة قدره عند الله تعالى:

❖ ويتجلى لنا ذلك في الآيات القرآنية الكثيرة التي أثنى فيها الله سبحانه على رسوله الكريم ﷺ، كما في قوله تعالى مثلا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)، وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ (الشرح:١-٤). قال قتادة: «رفع الله ذكره في الدنيا

والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»[1].

وكما في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ (الأحزاب:٤٥-٤٦)، وقوله في سورة الضحى: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ (الضحى١-١١). قال الإمام أبو الفضل: «تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه:

الأول: القسم له عما أخبره به من حاله بقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾، أي: ورب الضحى، وهذا من أعظم درجات المبرة.

الثاني: بيان مكانته وحظوته لديه بقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، أي: ما تركك وما أبغضك.. وقيل: ما أهملك بعد أن اصطفاك.

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾، قال ابن إسحاق: أي مالك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا...

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾. وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة، وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة. قال ابن إسحاق: يرضيه بالنصر في الدنيا والثواب في الآخرة. وقيل: يعطيه الحوض والشفاعة. وروي عن بعض آل النبي ﷺ أنه قال: ليس آية في القرآن أرجى منها، ولا يرضى رسول الله ﷺ أن يدخل أحد من أمته النار.

الخامس: ما عدده تعالى من نعمه، وقرره من آلائه قبله في بقية السورة من هدايته إلى ما هداه له، أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير، ولا مال له فأغناه بما آتاه، أو بما جعل في قلبه من القناعة والغنى، ويتيما فحدب عليه عمه وآواه إليه.

السادس: أمره بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه بنشره وإشادة ذكره بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. فإن من شكر النعمة الحديث بها، وهذا خاص به عام لأمته»[2].

❖ ويظهر أيضا عظيم قدر نبينا ﷺ عند ربه الكريم في تزكيته سبحانه له في كل شيء:

- فقد زكى عقله فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (النجم:٢).

- وزكى صدقه فقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النجم:٣).

- وزكى بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (النجم:١٧).

- وزكى فؤاده فقال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ (النجم:١١)

- وزكى خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

❖ هذا إضافة إلى ما خصه الله تعالى به من خصائص وكرامات ومعجزات[3].

فهذا وجه من وجوه المعرفة المتعلقة بنبينا ﷺ، والتي يجب أن نكتسبها لتكون لنا دافعا وحافزا لنصرته عليه الصلاة والسلام.

- ثانيا معرفة سنته وسيرته وأخلاقه وآدابه:

❖ أن نعرف سنته في مختلف أمور الحياة الخاصة والعامة: في الأكل، والشرب، واللباس، والنكاح، والنوم، والاستيقاظ، والدخول، والخروج، والركوب، والمشي، والجلوس... إلخ.

❖ أن نعرف أخلاقه في مختلف العلاقات التي تجمعه بالناس: أخلاقه باعتباره ابنا، وأبا، وجدا، وزوجا، وأخا، وجارا، وصاحبا، ورفيقا في السفر، وتاجرا، وشريكا، ودائنا، ومدينا، ومعلما، وخطيبا، وواعظا، وناصحا وقاضيا وحاكما... إلخ.

❖ أن نعرف أخلاقه وآدابه في مختلف الأحوال التي تجري على الناس: في حال الغنى وفي حال الفقر، في حال الصحة وفي حال المرض، في حال الرضا وفي حال الغضب، في حال الحب وفي حال البغض، في حال السلم وفي حال الحرب... إلخ.

❖ وهو عليه الصلاة والسلام صاحب الخلق العظيم كما شهد له بذلك ربه الكريم سبحانه إذ قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه»[4].

❖ ورسالته ﷺ التي بعث بها هي رسالة الأخلاق الكريمة، فقد قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وفي لفظ: «بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[5].

❖ وقد جبله خالقه الحكيم وربه الكريم

سبحانه على كل الأخلاق الحميدة. قال القاضي عياض: «وكان في ما ذكره المحققون مجبولا عليها في أصل خلقته وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة، إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية. وهكذا لسائر الأنبياء، ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك»[٦].

❖ ومن جملة أخلاقه ﷺ: الحلم والعفو، والجود والكرم، والشجاعة والنجدة، والحياء والإغضاء، وحسن العشرة والأدب وبسط الخلق، والشفقة والرحمة، والوفاء وحسن العهد، وصلة الرحم، والتواضع، والعدل والأمانة، والعفة والصدق، والوقار والصمت، والقناعة والرضا، والزهد في الدنيا، والخوف من الله تعالى[٧].

❖ وأصل هذه الأخلاق هو كمال العقل. قال القاضي عياض: «وأما أصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها: فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة، ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة، وصدق الظن، والنظر للعواقب ومصالح النفس، ومجاهدة الشهوة، وحسن السياسة والتدبير، واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل»[٨].

الدعامة الثانية: المحبة والتعظيم

❖ نصرة المصطفى ﷺ تقتضي حبه، بل تقتضي أن يكون حبنا له أعظم من حبنا لأنفسنا وولدنا وأهلنا وآبائنا وأموالنا والناس أجمعين. فما لم نحقق هذه الدرجة من محبة المصطفى ﷺ؛ نكون مقصرين أشد التقصير في حقه وفي نصرته عليه الصلاة والسلام.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (التوبة:٢٤).

قال القاضي عياض رحمه الله: «فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ؛ إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله»[٩].

❖ ولا يكتمل إيمان العبد حتى يكون النبي ﷺ أحب إليه مما سواه، قال عليه الصلاة والسلام: «فو الذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[١٠]، ويخبر عن حال الذين امتلأت قلوبهم بمحبته، فيقول ﷺ: «إن أناسا من أمتي يأتون بعدي، يود أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهله وماله»[١١]، وفي حديث آخر: «من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله»[١٢]

بواعث محبة النبي ﷺ

١ - حب الله له ﷺ: فقد شرفه ربه وأكرمه بأنواع الكرامات وأعطاه مكانة علية وأعلى درجة في الجنة واتخذه خليلا، قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا»[١٣]، وهو عليه الصلاة والسلام أحب الخلق إلى الله تعالى.

٢ - معرفة قدره وجماله وكماله خَلقا وخُلقا: فمن عرف هذا لم يسعه إلا أن يحبه عليه الصلاة والسلام.

٣ - أنه عليه الصلاة والسلام سبب إنقاذنا من الظلمات إلى النور: من ظلمات الجهل والكفر والشرك، إلى نور العلم والإيمان والتوحيد؛ فمن علم ذلك لم يسعه أيضا إلا أن يحبه. «ولأجل هذا كانت المنة ببعثة النبي ﷺ عظيمة، والنعمة بذلك جسيمة، ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا من أدرك الفرق بين الهدى والضلال، وبين الجاهلية والإسلام، وبين رضا الله وسخطه. فمن عرف هذا الفرق وأيقن به علم عظمة هذه النعمة التي لا تعادلها نعمة على ظهر الأرض، وأحب الرسول ﷺ بكل قلبه. ولأجل هذا كان الصحابة أشد الناس حبا لرسول الله ﷺ؛ لأنهم عاشوا الجاهلية وعاينوها عن قرب، فلما جاء الإسلام وأدركوا الفرق بين الظلمات والنور؛ ازداد تمسكهم بالإسلام واشتد حبهم على مر الأيام لهذا النبي العظيم ﷺ»[١٤].

٤ - حبه لأمته وشدة شفقته عليهم وكمال نصحه لهم وإحسانه إليهم:

❖ وقد بين الله تعالى ذلك فقال: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء:٣)، وقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨).

أسباب تستوجب تعظيم النبي ﷺ

١ - أن الله أمرنا بذلك: إذ قال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا

﴿٩﴾ (الفتح:٨-٩). فقوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تعزروا الرسول ﷺ، وتعظموه وتجلوه وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم. و﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي تسبحوا الله.. فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها[٢١].

٢ - لتعظيم الله سبحانه وتعالى له: إذ رفع قدره وأعلى درجته، وأكرمه بأصناف الكرامات، كما مر معنا في الحديث عن قدر النبي ﷺ عند ربه.

٣ - لأن محبته وتعظيمه من محبة الله وتعظيمه: قال ابن القيم رحمه الله: «وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعا لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله ﷺ وتعظيمه؛ فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه؛ فإن أمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له؛ فهي محبة لله ومن موجبات محبة الله. وكذلك محبة أهل العلم والإيمان، ومحبة صحابة رسول الله ﷺ وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله ﷺ»[٢٢].

الدعامة الثالثة: الطاعة والاتباع

❖ وهذه الدعامة متفرعة عن الدعامتين السابقتين، فإننا إذا عرفنا قدره ﷺ؛ أحببناه وعظمناه، وأطعناه واتبعناه.

❖ وطاعة النبي ﷺ تكتمل بأمور، أجملها في الآتي:

١ - طاعته فيما أمر ونهى، وإيثار شرعه وحكمه على هوى النفس وموافقة الشهوة: قال ﷺ: «إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»[٢٣].

❖ وطاعته هي طريق الهداية والرحمة والفوز بالجنة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور:٥٤)، وقال جل وعلا: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله؛ ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني؛ دخل الجنة، ومن عصاني؛ فقد أبى»[٢٤].

٢ - اتباع سنته والاقتداء بهديه في كل شأن من شؤون الحياة: قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنواجذ»[٢٥]، وقال: «من اقتدى بي فهو مني، ومن رغب عن سنتي فليس مني»[٢٦].

٣ - عدم مخالفته، والحذر من تبديل سنته واتباع البدع: قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣)، وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:١١٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[٢٧]، وعنه ﷺ أنه قال: «وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٢٨]، وقال: «من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد»[٢٩]، وقال عليه الصلاة والسلام: «فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم: ألا هلم، ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك. فأقول: فسحقا، فسحقا، فسحقا»[٣٠].

الهوامش

١ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، ص:٢٣-٢٤، بتصرف. تقديم وتحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، وخالد بن محمد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٢ - المرجع السابق، ص:٣٤-٣٥، بتصرف.
٣ - يرجى الرجوع إلى كتاب الشفا للقاضي عياض رحمه الله تعالى، للتوسع في هذا الباب.
٤ - رواه مسلم، رقم ٧٤٦.
٥ - صححه الألباني في صحيح الجامع ٣٣٤٩، وانظر: هامش الشفا، ص:٧٠.
٦ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص:٧٠-٧١.
٧ - نفسه، ابتداء من ص:٧٣ إلى ص:٩٧.
٨ - نفسه، ص:٧٣.
٩ - نفسه، ج٢، ص:١٥.
١٠ - رواه البخاري رقم ١٥، ومسلم، رقم ٤٤.
١١ - حسنه الألباني في الصحيحة ١٦٧٦.
١٢ - رواه مسلم، رقم ٢٨٣٢.
١٣ - رواه مسلم، رقم ٥٣٢.
١٤ - حبيب الله محمد ﷺ، الشيخ محمد حسين يعقوب، ص:٣٣٤، المكتبة التوفيقية، مصر، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
١٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ج٣، ص:٢٠٧، تح: محمد سيد عبد رب الرسول، دار أبو بكر الصديق، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.
١٦ - جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ص:١٨٧.
١٧ - البخاري، رقم ٧٢٨٨؛ ومسلم، رقم ١٣٣٧.
١٨ - البخاري، رقم ٧٢٨٠.
١٩ - الترمذي، رقم ٢٦٧٦.
٢٠ - البخاري، رقم ٥٠٦٣؛ ومسلم، رقم ١٤٠١.
٢١ - الترمذي، رقم:٢٦٦٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٧١٧٢.
٢٢ - الترمذي، رقم ٢٦٧٦.
٢٣ - البخاري، رقم ٢٦٩٧.
٢٤ - مسلم، رقم ٢٤٩.



عن بعض أبناء الكويت المحكومين بقضايا خلال فترات ماضية

أمير العفو.. نشر الوئام

العفو هو التجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، يقال عفا يعفو عفوا فهو عاف وعفو والعفو من أسماء الله الحسنى: قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (النساء:١٤٩)، ونبينا هو القدوة في العفو عن الناس والله تعالى أمر نبينا محمدا بالعفو عن الناس فامتثل أمره، وكان نبينا هو القدوة في العفو عن الناس بقوله وفعله وعندما أعلن الديوان الأميري بدولة الكويت أن سمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد كلف رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم، ورئيس مجلس الوزراء سمو الشيخ صباح الخالد، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء المستشار أحمد العجيل، باقتراح الضوابط والشروط للعفو عن بعض أبناء الكويت المحكومين بقضايا خلال فترات ماضية تمهيدا لاستصدار مرسوم العفو، سادت أجواء البشر والسرور وتفاءل الجميع بمرحلة مقبلة يعود فيها الغائب ويلتم فيها الشمل وتسود أجواء المصالحة الوطنية والتعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية.

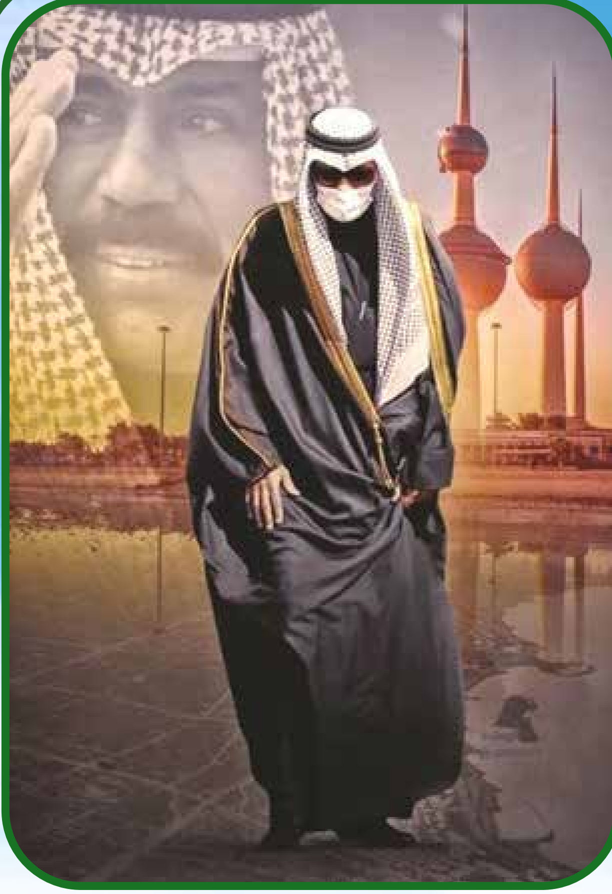
وقد صرح وزير الديوان الأميري الشيخ محمد العبدالله، إنه «بناء على التوجيه السامي لحضرة صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله ورعاه، انطلق الحوار الوطني بين السلطتين التشريعية والتنفيذية(...) وتابع أنه حرصا من سمو الأمير على المحافظة على ما جبل عليه الشعب الكويتي الوفي من العادات الكريمة من تسامح ومحبة وتسامٍ والمحافظة على الوحدة

الوطنية، لما فيه مصلحة الكويت، وإزاء ما نقله رئيسا مجلسي الأمة والوزراء لسموه، وبعد إطلاع سموه على مناشدة ما يقارب أربعين عضوا من الأخوة أعضاء مجلس الأمة، وتأكيد حرصهم على التعاون وتحقيق الاستقرار السياسي، وما نقله مستشارا سموه بشأن ما انتهت إليه لجنة الحوار، فقد قرر سموه استخدام حقه الدستوري وفقا للمادة (٧٥) من الدستور.

وعلى ذلك بين العبدالله أن سمو الأمير كلف كلا من رئيس مجلس الأمة ورئيس مجلس الوزراء ورئيس المجلس الأعلى للقضاء اقتراح الضوابط والشروط للعفو عن بعض أبناء الكويت المحكومين بقضايا خلال فترات ماضية تمهيدا لاستصدار مرسوم العفو.

للعفو تمهيدا لاستصدار مرسوم العفو.

وأضاف أن تلك التوجيهات الكريمة من سمو الأمير تؤكد أيضا أن ديدن القيادة السياسية في بلدنا كان ومازال إشاعة أجواء الاستقرار والوفاق والتعاضد، سائلا الله تعالى أن يحفظ الكويت وشعبها من كل شر ومكروه في ظل قيادة سمو أمير البلاد وسمو ولي عهده الأمين.



سيرة التسامي والتسامح

من ناحيته أكد رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم أن التوجيهات الكريمة من سمو الأمير تؤكد مجددا ما هو مؤكد عبر التاريخ، وهو أن سيرة حكام الكويت عبر القرون هي سيرة الحكمة والتسامي والتسامح.

وتقدم الغانم في سلسلة تغريدات نشرها عبر حسابه الرسمي بموقع التواصل الاجتماعي (تويتر) بالشكر والثناء والتقدير لسمو الأمير على توجيهاته السامية بدءا بالدعوة الكريمة للحوار الوطني بين السلطتين، مرورا بدعمه الكريم لما تمخض عنه الحوار من مرئيات، وانتهاء بقراره تفعيل المادة ٧٥ من الدستور وتكليفه رؤساء السلطات الثلاث باقتراح الضوابط والشروط

ردود فعل

وقد أشار فضلاء إلى أن ما جبلت عليه الكويت منذ التأسيس من قيم التسامح والترابط بين القيادة السياسية والشعب الكويتي المخلص يتكرر اليوم شاكرين صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الصباح لإنهاء هذا الملف.

فالتاريخ يسجل في هذه الأيام إرادة سامية وشعبية تعيد الأمل إلى وطن بأمس الحاجة إلى التلاحم والمصالحة الوطنية والتكاتف جميعا للقضاء على الفساد وبناء وطن شامخ بإذن الله.

وجاء العفو

وقد وعد وما أخلف وعده كعهده أبدا إذ أصدر أمير البلاد مرسومين أميريين بالعفو وتخفيض مدة العقوبة المحكوم بها على ٣٥ شخصا وفقا لما جاء في جريدة (كويت اليوم) الرسمية التي نشرت مرسومين أميريين بشأن العفو وتخفيض مدة العقوبة المحكوم بها على بعض الأشخاص.

وبات أثر العفو على الناس ملحوظا سواء كان على الفرد بعينه أم على أفراد المجتمع كافة، ففيه تقدير الضعف البشري وعدم تحميل الإنسان ما لا يطيقه من العتاب واللوم، ومن هنا يعلم المسلم أنه يعيش في مجتمع متسامح بينما العافي عن الآخرين يرجو المغفرة من ربه، وبالتأكيد يشعر في نفسه براحة وهناء فسبحان الذي أمر عباده بالعفو ورزق خيرتهم تتبع أوامره إذ إن المسامحة والعفو هي صفة من صفات العباد المتقين الذين وعدهم الله بجنات تجري من تحتها الأنهار.



إعداد: فهد المطيري

ثمرة من ثمرات «الأوقاف» الكويتية

«العوضي للجاليات» مركز يعتني بشؤون القرآن الكريم

هو مشروع تبنته إدارة الدراسات الإسلامية وشؤون القرآن الكريم بوزارة الأوقاف الكويتية فقامت بواجبها خير قيام، هو مركز عبدالله العوضي لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم للجاليات غير الناطقة باللغة العربية، وتتركز فكرة إنشاء المركز في وجود جهة مركزية تعنى بشؤون تعليم وتحفيظ القرآن الكريم للجاليات غير الناطقة باللغة العربية، ويدرج في ظلها جميع الحلقات والمراكز الخاصة بهذه الفئة.



ومن أهداف المركز: ربط الجاليات غير العربية بكتاب الله عز وجل، وتمكينهم من حفظه حفظا متقنا على أيدي معلمين ذوي كفاءة عالية، وخدمة القرآن الكريم ونشر علومه وآدابه بين شرائح وفئات المجتمع، مع ترسيخ قيم الوسطية والأخلاق الإسلامية بين أفراد هذه الجاليات ليكونوا صالحين لأنفسهم ومصلحين لمجتمعهم، مما يساهم في استقرار وحفظ أمن المجتمع، وكذلك تخريج دفعات من الطلبة الحافظين لكتاب الله تعالى، حتى يكونوا سفراء لدولة الكويت في بلادهم، مما يساهم في تحقيق رؤية الوزارة (الريادة عالميا في العمل الإسلامي)، وبالطبع تعليم أبناء الجاليات غير العربية القراءة ونطق الحروف العربية بطريقة صحيحة من قبل معلمين ذوي كفاءة عالية.

وقد تم افتتاح المركز رسميا تحت رعاية وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في تاريخ ١٠ أكتوبر ٢٠١٠م.

الإشراف

يحرص مركز العوضي للجاليات على اختيار أفضل المشرفين الفنيين للإشراف على حلقات المركز الداخلية والخارجية، وكذلك يتم اختيار المحفظين بعد اجتيازهم اختبارات إدارة الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن الكريم (العاصمة/ حولي)، ما يساهم في ارتفاع المستوى الفني لطلبة المركز، حيث يتضح ذلك في نتائج الطلبة المتميزة في الاختبارات النهائية التي تقام في نهاية كل دورة، وقد بلغ متوسط نسبة الطلبة الحاصلين على تقدير امتياز منذ نشأة المركز ما يقارب ٩٠ في المئة من الطلبة المختبرين.

طريقة التحفيظ

تسير خطة التحفيظ والتعليم بالمركز على قسمين: الأول: التأسيس، ويضم الطلبة الذين لا يتقنون الحروف العربية والقراءة من المصحف، وفي هذا المنهج يدرس الطالب ثلاثة مستويات من كتاب خاص بالجاليات في ثلاث دورات (الشتوية - الربيعية - الصيفية)، ويتم تعليم الطالب القراءة بمنهج التأسيس بالطريقة الجزئية إلى الكلية ابتداء من الحروف ثم الكلمات ثم الجمل ثم قراءة وتصحيح الفاتحة مع قصار السور، وتأخذ سنة كاملة منهجية كحد أقصى يتعلم الطالب فيها القراءة الصحيحة.

أما القسم الثاني فيضم الطلبة الذين يتقنون وينطقون الحروف العربية والقراءة من المصحف، ويكون على ثلاثة مستويات: الأول يحفظ فيه الطالب حزبا واحدا، وهو حزب ٦٠، مع دراسة منهج ميسر في التجويد، والمتوسط: يحفظ فيه الطالب من حزبين إلى ثلاثة أحزاب في الدورة، أي ما يعادل ٤ أجزاء تقريبا في السنة، مع دراسة منهج ميسر في علم التجويد يناسب هذه المرحلة.



أما المستوى المتقدم فيحفظ فيه الطالب من ٤ إلى ٦ أحزاب في الدورة، أي ما يعادل تسعة أجزاء في السنة، مع دراسة منهج ميسر في علم التجويد يناسب هذه المرحلة.

حلقات المركز

تضاعفت أعداد حلقات تحفيظ القرآن الكريم في مركز





العوضي للجاليات عدة مرات خلال الأعوام السابقة.

فقد بدأ المركز بـ٥ حلقات في عام ٢٠٠٧م، واستمر التوسع في الحلقات إلى أن بلغ العدد في العام الجاري ٦٧ حلقة.

وتنقسم الحلقات إلى حلقات المركز الداخلية التي تمتاز بتخصيص قاعة لكل حلقة على حدة مجهزة بالأدوات الخاصة للعملية التعليمية، كما أن دوام تلك الحلقات يكون في الدوام الرسمي للمركز بالفترتين الصباحية والمسائية، ويوجد بالمركز ٦ قاعات للحلقات، ويتكون عدد طلبة الحلقة الواحدة من ١٥ إلى ٢٠ طالبا.

وحلقات المركز الخارجية التي تنتشر في الغالبية العظمى في محافظات الكويت، وتتخذ من المساجد مقرا لها وتشمل نوعين من الحلقات:

الحلقات العادية: وفي الغالب يكون في المسجد حلقة واحدة فقط تابعة للمركز، ويتراوح عدد الطلبة بها ما بين ١٥ و٢٠ طالبا، على ألا يقل دوام الطلبة بها عن يومين بالأسبوع يتم تحديدهما بالتنسيق مع المحفظ والطلبة بمعرفة المركز، وتمتاز تلك الحلقات بانتشارها في الأماكن البعيدة المتواجد فيها جاليات بأعداد أقل.



حلقات المراكز

يكون في المسجد الواحد أكثر من حلقة وأكثر من محفظ، ونطلق عليها اسم مركز، ويوجد بها أعداد كبيرة من الطلبة، لذلك فإن دوام الحلقات في هذه المراكز يكون ٥ أيام بالأسبوع بالفترتين الصباحية والمسائية لاستيعاب أعداد الطلبة، وتمتاز هذه الحلقات بقربها من التجمعات الكبيرة للجاليات، وتخريج العدد الأكبر من الخاتمين للقرآن الكريم وبمركز العوضي للجاليات يوجد ٧ مراكز خارجية تابعة له. وقد اعتمد المركز نظام التعليم أون لاين باستخدام برنامج ZOOM وذلك منذ بداية جائحة كورونا وحتى الآن.

طلبة المركز

بدأ المركز عمله في عام ٢٠٠٧م، ولم يتجاوز عدد الطلبة المسجلين ٦٥ طالبا، وقد تضاعف عدد الطلبة عدة مرات إلى أن بلغ في العام الجاري ١١٠٠ طالب، موزعين على مختلف الحلقات الداخلية والخارجية، ووصل عدد الطلبة الخاتمين للقرآن الكريم بمركز العوضي للجاليات من ٢٠٠٧م إلى ٢٠٢٠م إلى ٤٦٠ طالبا موزعين على السنوات كالتالي:

م	العام	عدد الخاتمين
١	٢٠٠٧	١٣
٢	٢٠٠٨	٦
٣	٢٠٠٩	١٩
٤	٢٠١٠	١٤
٥	٢٠١١	١٥
٦	٢٠١٢	٤٣
٧	٢٠١٣	٤٢
٨	٢٠١٤	٥٣
٩	٢٠١٥	٣٠
١٠	٢٠١٦	٢٨
١١	٢٠١٧	٣٥
١٢	٢٠١٨	٦١
١٣	٢٠١٩	٥٢
١٤	٢٠٢٠	٤٩
الإجمالي		٤٦٠





الجنسيات المستفيدة

تـزايـدت وتـنـوعـت جـنـسـيـات طلبة الجاليات غير العربية المستفيدة من خدمات مركز العوضي للجاليات، فنجد المركز قد بدأ بعدد قليل من الجنسيات في عام ٢٠٠٧م حيث لم يتجاوز العدد أكثر من ٣ جنسيات، ولكن بعد جهود المركز في استهداف جنسيات جديدة بلغ عدد الجنسيات المسجلة بالمركز أكثر من ٣٥ جنسية في عام ٢٠٢١م، مع تفاوت أعداد الطلبة في كل جنسية عن الأخرى.

برامج المركز

برنامج رحلات العمرة

نظم مركز العوضي للجاليات ١٦ رحلة عمرة خـلال الفترة من ٢٠٠٧م إلى ٢٠١٩م، كبرنامج ومشروع تحفيزي للطلبة.

ونال مركز العوضي للجاليات رعاية خاصة من إدارة الدراسات الإسلامية وعـلـوم الـقـرآن الـكـريم (الـعـاصـمـة/ حولي) منذ نشأته، حيث نجده مشاركا في الأندية الصيفية من عام ٢٠٠٨م وإلى عام ٢٠١٩م. وقد استفاد من هذا النشاط ٢٥٠٠ طالب.

كما شارك المركز في المخيمات الربيعية التي تقيمها الإدارة من أجل إدخال السرور على طلبة الحلقات وتحفيزهم للاستمرار في الحلقات.

بـالإضـافـة إلـى رحــلات المدينـة الترفيهية التي تقام ضمن أنشطة الإدارة، وتنظيم زيــارات لمعرض جـائـزة الـكـويت الـدولـيـة وحـضـور الطلبة لبعض فـعـالـيـات الـجـائـزة وتوزيع الهدايا عليهم.



المشاريع المستقبلية

يتطلع المركز دائما للتطوير وتقديم الخدمات الأفضل والانتشار الواسع، لـذلـك فـإن الـمـركـز لـديـه مـشـاريـع مستقبلية ومن ضمنها:

- زيادة عدد حلقاته لاستيعاب أعداد أكبر من أبناء الجاليات.
- فتح حلقات تحفيظ القرآن الكريم لأبـنـاء الـجـالـيـات غـيـر العربية في المناطق البعيدة عن العمران وكذلك في المناطق الحدودية.
- الـسـعـي لاسـتـهـداف جـنـسـيـات جـديـدة من أبـنـاء الجاليات وزيـادة أعدادهم بالحلقات مثل الجنسيات «الإندونيسية - التركية - الغربية - الصينية»، وذلك وفقا للخطط التي يضعها المركز.
- العمل على عـودة تنظيم رحـلات العمرة السنوية بالتنسيق مع الأمانة العامة للأوقاف، وذلك بعد الانتهاء من جائحة كورونا والـعـودة للحياة الطبيعية.

خدمات عامة للجمهور

يـحـرص الـمـركـز دائـمـا عـلـى تقديم الـخـدمـات الـعـامـة للجمهور، ومن ضمن تلك الخدمات ما يلي:

- عقد دورات تصحيح تلاوة القرآن الكريم للجمهور من أبناء الجاليات غير العربية.
- إقامة اللقاءات التوعوية لطلبة المركز.
- إقامة المحاضرات الدينية للطلبة ونشر القيم الدينية والمجتمعية.
- تجهيز القاعة الرئيسية بالمركز لإقـامـة الأنـشـطـة والفعاليات ذات الـصـلـة بـعـمـل الـجـالـيـات، وكـذلـك استخدامها من قبل الإدارة لإقامة بعض الأنشطة.
- وضع لوحات إرشادية في الشوارع الرئيسية تـدل عـلـى مـكـان تواجد المركز.
- توزيع العُشر الأخير من القرآن الـكـريم الـمـصـاحـب بـتـفـسـيـره على الجمهور بعدة لغات مختلفة.

كلثوم باسعيد
باحثة دراسات إسلامية



بين تولية الأكفاء وعجز الضعفاء وإيثار ذوي المودات



الوظائف

إن أقدار الناس متفاوتة، ومواهبهم متفاوتة، وكفاءاتهم متفاوتة؛ فقد يصلح إنسان لطلب العلم، ولا يصلح لقيادة الجيوش.

فأبو هريرة -مثلا- ممن وعى حديث رسول الله ﷺ وأداه على أكمل وجه، على خلاف الفاروق وسيف الله المسلول اللذين برعا في القيادة السياسية والحربية.

فموهبته في الحفظ قد لا تؤهله للقيادة والولاية.

فوضع كل واحد فيما يحسن ويصلح يستفيد منه المجتمع، «فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة؛ قدم أنفعهما لتلك الولاية وأقلهما ضررا فيها؛ فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوي الشجاع -وإن كان فيه فجور- على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أمينا»(١).

«وإذا كانت الحاجة في الولاية إلى الأمانة أشد قدم الأمين: مثل حفظ الأموال ونحوها، فأما استخراجها وحفظها فلا بد فيه من قوة وأمانة، فيولى عليها شاد قوي يستخرجها بقوته، وكاتب أمين يحفظها بخبرته وأمانته.

وهكذا في سائر الولايات إذا لم تتم المصلحة برجل واحد جمع بين عدد؛ فلا بد من ترجيح الأصلح أو تعدد المولى إذا لم تقع الكفاية بواحد تام»(٢).

لكن إذا اختلت الأوضاع فهذا نذير شؤم على الجميع؛ وضياع للدين والدنيا؛ فعن ابن عباس -رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «من استعمل عاملا من المسلمين وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين»(٣).

وفي رواية أخرى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعمل رجلا من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين»(٤).

وقد قيل: «من استعان في عمله بغير كفؤ أضاعه، ومن فوض أمره إلى عاجز عنه فقد أفسد أوضاعه»(٥).

وعليه فـ«ليحذر كل الحذر من أن يولي أحد الخلق أمرا دينيا أو دنيويا بشفاعة أو رعاية لحرمة أو لقضاء الحق إذا لم يكن أهلا للولاية، ولا ناهضا تحصل بتقليده الكفاية، فإن أحب مكافأة من هذه صفته كافأه بالمال والصلات،

وقطع طمعه عما لا يصلح له من الولايات، ليكون قاضيا لحقه بماله لا بمملكته، قائما بما لا بد منه من حقوق ولايته»[٦].

فـ«المناصب العامة أمانات مسؤولة، وهي من بين أعلى مراتب الأمانة، والتفريط فيها بتسليمها لغير المؤهلين لها يعد خيانة عظيمة»[٧].

ومن العدل استخدام أهل الكفاءة، أما أهل الثقة والرضا والمحبة فلهم من العواطف والأموال متسع وكفاية؛ قيل لخليفة عباسي: «إن لفلان حقا، فإن رأيت أن تقضيه فتوليه ناحية!

فقال: إن لاتصاله بنا حقا في أموالنا لا في أعراض المسلمين ولا أموالهم؛ إنا لا نولي للحرمة والرعاية، بل للاستحقاق والكفاية، ولا نؤثر ذا النسب والقرابة على ذي الدراية والكتابة، فمن كان منكم كما وصفنا شاركناه في أعمالنا، ومن كان عطلا لم يكن لنا عذر عند الناس في توليتنا إياه، وكان العذر في تركنا له وفي خاص أموالنا ما يسعه»[٨].

وهذا الخليفة قد وعى حديث رسول الله ﷺ عن الأمانة وعدم تضييعها أو التفريط فيها؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: «أين -أراه- السائل عن الساعة؟»

قال: ها أنا يا رسول الله.

قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة».

قال: كيف إضاعتها؟

قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[٩].

وقد وعى هذا الأمر الخلفاء الراشدون؛ فكانت خلافتهم غاية في العدل وتولية أهل الكفاية حتى ولو كانوا من الأباعد والموالي والعبيد والحذر من تولية المناصب لأهل القرابة دون نظر في الكفاءة؛ فعن يزيد بن أبي سفيان قال: قال أبو بكر رضي الله عنه حين بعثني إلى الشام: يا يزيد، إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة، وذلك أكثر ما أخاف عليك؛ فإن رسول الله ﷺ قال: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة، فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم، ومن أعطى أحدا حمى الله فقد انتهك في حمى الله شيئا بغير حقه، فعليه لعنة الله، أو قال: تبرأت منه ذمة الله»[١٠].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمسلمين»[١١].

قال ابن تيمية عن ولي الأمر وما يناط به: «فيجب على كل من ولي شيئا من أمر المسلمين أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه»[١٢].

فصاحب الأمر ينتقي ويختار بعد علم واستشارة، ويختار الأكفأ والأصلح، ثم يتابع ويحاسب؛ فالثقة المطلقة مفسدة، والنفوس متقلبة؛ لذا وجود الرقيب والمتابع والمحاسب يجعل الأمور دائما في نصابها، وفي المكان الذي يجب أن تكون فيه وعليه، «فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره؛ لأجل قرابة بينهما أو ولاء عتاقة، أو صداقة، أو مرافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب، أو لضغن في قلبه على الأحق، أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، ودخل فيما نهي عنه»[١٣].

الهوامش

١- السياسة الشرعية، لابن تيمية، ص١٥.
٢- السابق، ص١٧ باختصار.
٣- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ١١٨/١٠.
٤- أخرجه الحاكم في المستدرك، ١٠٤/٤، برقم (٧٠٢٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، حذفه الذهبي من التلخيص، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، ٤٠/٢، برقم (١٣٣٩).
٥- تحرير السلوك في تدبير الملوك، للأعرج، ص٣٦.
٦- تحفة الترك فيما يجب أن يكون عليه الملك، للطرسوسي، ص٥.
٧- تولية المناصب وخيانة الأمانة (مقالة)، لمحمد أبو بكر المصلح، موقع إسلام أون لاين. https://islamonline.net/11382
٨- نثر الدر، للآبي، ٦٢/٣.
٩- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، ٢١/١، برقم (٥٩).
١٠- أخرجه أحمد في مسنده، ٢٠٢/١، برقم (٢١)، وقد ضعف شعيب الأرنؤوط إسناده.
١١- السياسة الشرعية، لابن تيمية، ص٧.
١٢- السابق، ص٨ باختصار.
١٣- السابق، ص٨ باختصار.



د. راوية نور الدين عتر
عضو هيئة التدريس
كلية الشريعة بدمشق

ليس للإنسان إلا ما سعى

لعل من أبرز سمات عصرنا هذا التكاثر بالمنجزات والتباهي بثمرات الأعمال، والنظر لكسب الإنسان وعمله نظرة مادية جافة، تحجر واسعا فتحصر قيمته في نتائجه المحسوسة، وآثاره الملموسة، وتتناسى روحه ومعانيه، تقدر الكم، وتهمل مقصد الفاعل، وهذا كله أورث الإنسان البعيد عن نظرة الشرع للعمل أورثه قلقا وضنكا. وفي خضم ما نسمعه من منجزات ونتائج لأعمال إنسانية، ثمة إشكال يطرح نفسه بقوة هنا هو كالتالي:

ماذا عمن بذل وسعه ولكن أسبابا خارجة عن سيطرته حرمته من استكمال النتائج المرجوة؟ ماذا عمن عمل وجد واجتهد ولكن الظروف المحيطة بشرية كانت أو غيره حرمته من ثمرة عمله؟

ماذا عمن كانت لديه الإرادة والقدرات ولكن ظروفا ما عاندته فلم يستطع مثل فعل أولئك؟ أليس هؤلاء الذين لا نسمع لهم ركزا يشكلون النسبة الأكبر من البشر؟ أفيعقل أن نيتهم الصادقة وعملهم الذي لم يفض لنتيجة قد ذهب أدراج الرياح دونما فائدة، في حين أن غيرهم ممن ساندتهم الظروف والعوامل اجتنوا ثمار أعمالهم وعاشوا لذة نجاحاتهم؟!

إن الجواب إن لم يستند للوحي الرباني يكون بالإيجاب، فلا يكون لأولئك المحرومين سوى تنهدات الحسرة وآلام الخيبة، وشتان بين هذه الحلكة وبين ما يقرره الوحي الرباني من أن الله تعالى لا يضيع أجر عامل ولو لم يثمر ولو لم تكن ثمة نتائج، يقول تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم:٣٩)، فجزاؤه الباقي والخالد منوط بسعيه وكسبه لا بنتيجة ذلك السعي والكسب، وكل ما أنفقه من وقت وجهد وطاقة لا يضيع ولا يبلى جزاؤه، وإن كانت ثمرته ضئيلة ونتيجته ضعيفة بالمقارنة مع غيره، والسعي: العمل والاكتساب، وأصل السعي: المشي، فأطلق على العمل مجازا مرسلا أو كناية. والمراد هنا عمل الخير -وهو كل ما رغب به الشرع- بقرينة ذكر لام الاختصاص.

إن العبرة بكونه ممن ﴿سَعَىٰ﴾ لا بكونه اجتنى ثمرة السعي وذاق حلاوة الإنجاز. إن شريعتنا الغراء في هذا المجال تنصف الإنسان، وتمنحه ما لا تمنحه له قواعد الحياة المادية الجافة والعقلية الاستهلاكية المعاصرة.

ومن أهم المبادئ التي أرساها الدين الحنيف في هذا المجال:

- ربط القبول بالسعي بغض النظر عن النتائج: يقول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ (آل عمران:١٩٥) يقول الإمام الرازي: «اعلم أنه ليس المراد أنه لا يضيع نفس العمل، لأن العمل كلما وجد تلاشى وفني، بل المراد أنه لا يضيع ثواب العمل، والإضاعة عبارة عن ترك الإثابة فقوله: لا أضيع نفي للنفي فيكون إثباتا، فيصير المعنى: أني أوصل ثواب جميع أعمالهم إليكم».

فالعمل أو السعي يحسب ويعتد

به ولا يضيع ثوابه بغض النظر عن نتائجه وثمراته، والضرورة قائمة في أن يؤدي المرء ما أمر به لمجرد كونه مأمورا به، فهو من حيث كونه قد رغب به الشارع مقدس، بحيث لا يكون أداؤه للعمل من جانبه المادي وحده، بل تكون له التفاتة إلى طابعه الديني وصبغته المعنوية، ولذلك فهو مقبول ومأجور ولو لم يثمر ما أمل منه.

- اعتبار العمل بجوهره لا بمقياس الكم في نتيجته: لئن كانت مقاييس البشر في النجاح وضده تعتمد اعتمادا كليا على الكم، فإن المقياس الرباني يعتمد صدق العامل وسعيه دونما نظر للكم وعدد النتائج. ومن أمثلة ذلك قصة رجل من بني عبد الأشهل من الأوس، أصيرم عمرو بن ثابت بن وقش، تأخر إسلامه عن بقية قومه فلم يسلم حتى كان يوم أحد، فأسلم حينئذ وقاتل فقتل قبل أن يسجد لله سجدة، فأخبر عنه النبي ﷺ فقال: «عمل قليلا وأجر كثيرا» (متفق عليه). وكان أبو هريرة يقول: (حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصل قطّ؟ فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو؟ فيقول: أصيرم بنى عبد الأشهل) (مسند أحمد).

في الحديث الشريف الذي يتحدث فيه النبي ﷺ عن يوم القيامة يقول: «عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ﷺ ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد» وفي هذا الحديث نجد أن أعظم مرتبة للعباد وهي النبوة قد تقترن أحيانا مع ضآلة النتائج الظاهرة للعيان، ومع ذلك فإن هذا لا يغض من قدر ذلك النبي ولا ينقص من شأنه؛ فقد قام بأجل مهمة وهي إخبار الناس وتبليغهم عن الخالق سبحانه وتعالى، ولا خلاف أنه لا يضاهي رتبة النبوة رتبة أخرى.

- اعتبار النية الصادقة سببا للقبول ولنيل الأجر والثواب ومضاعفته: لا يقتصر القبول على من تقاعدت به الأسباب فلم ير لعمله نتيجة تذكر، إنما يتعداه لمرحلة أبعد وأدق، وهي القبول عند وجود النية الصادقة في عمل ما هو مطلوب شرعا، والنية هي بمعنى الإرادة والقصد، والمقصود بها حالة وصفة للقلب بمعنى انبعاث القلب إلى ما يراه موافقا للغرض إما في الحال أو في المآل، قال ﷺ: «إنما الدنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء» (الترمذي). فشركه بالنية في محاسن عمله.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة، فقال: «إن بالمدينة أقواما، ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم»، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر» (البخاري).

وكما أن الطاعات مرتبطة بالنيات في أصل صحتها، فالأمر كذلك في تضاعف فضلها، أما الأصل فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فإن نوى الرياء صارت معصية وأما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، إلى ألفي ألف ضعف، كما ورد به الخبر.

إن هذا الاعتبار الضخم للنية يعني نظرة الإسلام الدقيقة للروح في السعي والعمل، ونبذ النظرة المادية الضيقة الجافة التي أضحت قيدا يكبل أنفاس المرء في هذه الحقبة الزمنية من حياة البشرية.

إن ما ذكر سابقا كله لا يعني بحال من الأحوال التهوين من شأن العمل والسعي والإنجاز، والقرآن الكريم قرر أن الحياة الطيبة منوطة بالعمل الصالح المقترن بالإيمان، يقول تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل:٩٧)، ولا يختلف أرباب العقول في أن العمل على اختلاف أنواعه هو روح حياة الإنسان وهو ما يميزه عن سائر المخلوقات، والآية الكريمة لما ذكرت ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ذكرتها بصيغة الماضي دون المستقبل لزيادة الحث على السعي في العمل الصالح، كيلا تسول النفس للإنسان التسويف والتأخير فيقول سأفعل وسوف أسعى، فالنص القرآني يعلمه أنه ليس له إلا ما قد سعى وحصل وفرغ منه.

وإضفاء القداسة على العمل المرغب به شرعا، وجعل قيمته لذاته لا لنتائجه يعني أن المسلم قد امتلأت نفسه بفيض متدفق من الهمة للسعي والعمل، لكنه لا يقصر نجاحه على ثمرة عمله، ولا يحجر من سعة مفهوم السعي كما يصنع غيره، وهذا من شأنه أن يزيده إقبالا على الخيرات والمبرات، وطمأنينة وسكينة إلى عدم ضياع ذرة من جهده عند من لا يضيع لديه ذرة من شيء، لا يشعر بمرارة الحرمان من مكافأته التي كثيرا ما تتخلف عن هذه الحياة الدنيا لأنه يعلم أنه يلقاها عند الحكيم الخبير سبحانه وتعالى.



محمد فتحي النادي
باحث وكاتب دراسات إسلامية

ملالة القلوب والنفوس

من سنة الله في هذه الحياة الدنيا أن يركب الملل القلوب والأنفس؛ فتجدها تشتاق لشيء ما وتكون محبة له حبا جما، ثم إذا بها بعد فترة تمله وتسأم منه وتزهد فيه.

فبنو إسرائيل في رحلة خروجهم من مصر أطعمهم ربنا -جل جلاله- المن والسلوى (والمن شراب حلو كالعسل، والسلوى طائر كالحمام)، فإذا بهم يملون من هذا الطعام الشهي المتوافر السهل ويقولون لموسى الكليم، عليه السلام: ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾ (البقرة:٦١).

وهذه الجبلة الإنسانية كانت مثار عجب من النبي المصطفى، صلوات ربي وتسليماته عليه؛ فقد قيل له يوم جمعة: يا رسول الله، قحط المطر، وأجدبت الأرض، وهلك المال. قال أنس رضي الله عنه: فرفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه، فاستسقى، وما يرى في السماء سحابة، فما قضينا الصلاة حتى إن قريب الدار الشاب ليهمه الرجوع إلى أهله. قال: فلما كانت الجمعة التي تليها قالوا: يا رسول الله، تهدمت البيوت، واحتبس الركبان، فتبسم رسول الله ﷺ من سرعة ملالة ابن آدم، وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا»[١].

وقد قرنها الرازي مع بعض الصفات الأخرى اللازمة للإنسان فقال: «الإنسان مجبول على النسيان وعلى الملالة، فإذا وجد نعمة نسيها في الحال وظلمها بترك شكرها، وإن لم ينسها فإنه في الحال يملها فيقع في كفران النعمة»[٢].

وتوسع في موضع آخر بذكر صفات أكثر فقال: «الخلق جبلوا على: الكسل والغفلة والتواني والملالة»[٣].

والإنسان قد يمل الشهوة واللذة التي كان يظن أنه محروم منها، وأنه لو تحصل عليها فسوف يقيم عليها ولن يبرح عليها عاكفا، فتأتيه الملذات والشهوات فتتكرر عليه ويألفها،

فيسأم منها ويملها، فبعد أن كان يرى أن كمال متعته في اللذة والشهوة، يجد أن متعته قد تنغصت عليه؛ لذا كان يقال: «الملالة تفسخ المودة، وتولد البغضة، وتنغص اللذة»[٤].

وقد يمل الإنسان العبادة التي بها نجاته ورفع درجاته في الآخرة؛ لذا دعا الإسلام إلى عدم تشديد الإنسان على نفسه، وأن يأخذها بالرفق واللين؛ حتى لا تنفر وتستثقل العبادة، وكان رسول الله ﷺ يقول: خذوا من العمل ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا، وأحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دووم عليه، وإن قلت[٥].

وكان النبي ﷺ يعرف النفس الإنسانية جيدا ومدى جموحها، وأنها لا تكون مهيأة في كل أوقاتها لتلقي المواعظ التي بها تزكية القلوب، فكان لا يكثر من المواعظ؛ كان عبدالله بن مسعود يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم. قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها؛ مخافة السآمة علينا[٦].

وهذه الحياة التي يتشبث بها الإنسان ولا يملها وإن طالت قد يسأم منها إذا كثرت عليه التكاليف والواجبات، وأحاطت به البلايا والرزايا، قال زهير بن أبي سلمى:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

ولعلم الصحابة ومن بعدهم بهذا الطبع وتلك الجبلة حاولوا أن يحسنوا قياد النفس، وأن يأخذوها بالسياسة؛ حتى يسلس لهم قيادها.

وكانوا يعرفون أن القلب شديد التقلب، وأن له إقبالا وإدبارا، وله شدة وعزما في أوقات، وفتورا وضعفا في أوقات أخرى.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنه هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فالتمسوا لها من الحكمة طرفا»[٧].

وكان أبو الدرداء يقول: «إني لأستجم نفسي ببعض الباطل؛ كراهية أن أحمل عليها من الحق ما يملها»[٨].

وذلك بالفكاهة أو المزاح أو الطرائف أو الأشعار... إلخ.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «إذا مللتم فأحمضوا، أي: إذا مللتم من الجد فخذوا في شيء من الهزل»[٩].

وقد زاد هذا النص توضيحا ابن قتيبة بقوله: «في حديث ابن عباس رضي الله عنه، أنه كان يقول: إذا أفاض من عنده في الحديث بعد القرآن والتفسير، أحمضوا.

قوله: أحمضوا هو من الحمض، والحمض ما ملح من النبت.

وأراد ابن عباس: إذا مللتم من الحديث والفقه، فخذوا في الأشعار وأخبار العرب؛ لتروحوا بذلك قلوبكم»[١٠].

وهذا المعنى لكسر ملالة النفس والقلب بعد الجد ما قاله عمر بن عبدالعزيز: «تحدثوا بكتاب الله وتجالسوا، وإذا مللتم فحديث من أحاديث الرجال حسن جميل»[١١].

وإذا كان الباري -جل وعز- جعل الملالة من طبائع النفوس والقلوب، فإنه ينشئ البشر خلقا جديدا في الآخرة في صفاتهم الجسمانية والنفسية؛ فيذهب عن أهل الجنة الملالة والسآمة من زوجة أو صديق أو مأكل أو مشرب أو لذة أو شهوة رغم طول المكوث والتكرار.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة:٢٥).

فهم مدفوع عنهم الملل؛ لأن الطعوم لا متناهية، واللذات متجددة، فلا أسقام تنغص الحياة، ولا موت ينغص اللذة، ولا تكاليف للمعيشة من جهد ومال، ولا صراع على منصب أو جاه أو أرض أو قصر أو نهر أو بحر... إلخ.

هم مشغولون بالنعيم الذي لا انقطاع له، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧﴾ (يس:٥٥-٥٧).

مستجابة رغباتهم وأمانيهم بلا جهد منهم أو تباطؤ من خدمهم، يعيشون في سلام دائم وفرح دائم وسرور دائم ولذة دائمة فأنى يكون الملل والسآمة هنالك؟

الهوامش

١- أخرجه أحمد في مسنده، ح(١٢٠١٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».
٢- مفاتيح الغيب، (١٠٣/١٩).
٣- السابق، (٦٤/٩).
٤- بهجة المجالس لابن عبدالبر، ص:١١٥.
٥- أخرجه البخاري في الصوم، باب: صوم شعبان، ح(١٩٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.
٦- أخرجه البخاري في العلم، باب: من جعل لأهل العلم أياما معلومة، ح(٧٠).
٧- العقل وفضله لابن أبي الدنيا، ح(٩٤).
٨- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينوري، ص:(٢٩٥).
٩- المحاضرات لليوسي، ص:٥٦٧-٥٦٨.
١٠- غريب الحديث لابن قتيبة، (١١١/٢) باختصار.
١١- الآداب الشرعية لابن مفلح، (١٠٠/٢).

عبد العالي مرزوق المطيري
باحث دراسات إسلامية





الرهن العقاري الإسلامي أكثر أدوات وأكثر أمانا

قد يبدو للوهلة الأولى أن الرهن العقاري وفق أحكام الشريعة الإسلامية، هو ذاته المفهوم الذي تضبطه الضوابط غير الإسلامية، أو التي يمكننا إطلاق كلمة تقليدية عليها.

ولعل هذا المصطلح الاقتصادي قد بات هو المصدر الضعيف الأخير الذي يمكن اللجوء إليه للحصول على السكن مثلا، فيما لا يزال هذا المفهوم غير متضح المعالم، خاصة ونحن نعيش في مجتمع إسلامي الطابع، يفرق بين الحلال والحرام حين الإقدام على أي مصدر من مصادر التمويل، لأي مشروع من المشاريع على اختلافها، سواء كانت مشاريع استثمارية أو عقارية أو صناعية أو غيرها.

ولعل طرحنا لهذا الموضوع في هذا الوقت بالذات مآله إلى كثرة الحديث عن الرهن العقاري في ظل قانون الرهن الجديد الذي سيتخذ مظلة قانونية لتسهيل أمور الحصول على منزل العمر.

إن الرهن في التعريف الاصطلاحي -كما هو معروف- عبارة عن عقد توثيق غير مستقل بذاته، فهو يأتي تابعا لعقد بيع أو قرض أو نحو ذلك، وفيه نوع ضمانة أن البائع أو المقرض قد يتمكن من الحصول على حقه أو جزء من حقه عندما يعطى صلاحية للتصرف في العين التي تم رهنها عند عدم قدرة المدين على التسديد.

ولعل من أكبر الأشياء التي زلزلت سوق العقار هي تلك الأزمة التي وقعت عام: (٢٠٠٨م)، والتي أعلنت الكثير من البنوك وشركات الاستثمار والتمويل إفلاسها، بالنظر إلى انخفاض قيمة العقارات التي قامت بتمويلها، والتي وصلت إلى مرحلة الهاوية.

وكي نعرض المشكلة على سوق التمويل والاستثمار العقاري، لا بد من الوقوف على بعض أسبابها، كي نكون منصفين فيما نقوله عما حدث في تلك السنة العجفاء.

إن من أبرز أسباب انهيار سوق التمويل والعقار في بلاد الغرب، والتي

دفعت إلى إعلان عشرات البنوك إلى إعلان إفلاسها: هو التقييم العقاري الذي اتسم بطابع المحاباة، والذي أفضى إلى التقييم غير المنطقي والمبالغ فيه، والذي يمكن أن نصفه بالتقييم المغشوش للعقارات، والتي كان أصحابها، سواء كانوا أفرادا أو شركات، يلجؤون إليها للحصول على تمويل لمساكنهم الخاصة أو لمشاريعهم الاستثمارية العقارية الضخمة.

إن حالات التقييم الوهمية تلك كانت السبب المباشر وراء انكفاء سوق العقار، خاصة مع التسهيلات الضخمة التي كانت تمنحها البنوك وشركات التمويل عموما للراغبين في الحصول على تمويلات لاستثماراتهم العقارية.

ونلفت النظر هنا إلى أن انخفاض قيم العقارات آنذاك قد أردى بالسوق العقاري في الهاوية، بالنظر إلى عدم التساوي بين قيم التمويل والقروض مع قيمة العقار، حتى لو حاولت البنوك وشركات التمويل الحصول على حقوقها التمويلية باستردادها عبر وضع اليد على العقارات المرهونة، فإنها لن تصل إلى عشر قيمة التمويل الممنوح لهذا الشخص أو ذاك أو هذه الشركة أو تلك.

وبهذا فوجئت شركات التمويل والبنوك بانهيار القيمة العقارية، مع انعدام القيمة الإيجارية في معظم الاستثمارات العقارية المرهونة، ما أدى إلى عدم قدرتها على التحصيل من قبل عملائها الذين أعلنوا عجزهم عن السداد.

ولعل الذي دفع إلى استخدام هذا المصطلح هو الاستخدام له في النموذج الغربي للإقراض الذي يتم بقصد تمويل الحصول على وحدات سكنية تمويل شخصي للحصول على مسكن أو عقار بشكل عام، ويتميز هذا النوع من القروض بأنه نوع منخفض التكلفة، والسر يكمن في وجود عقد الرهن، حيث إن الممول -وهو البنك- يرهن العقار، وعند تأخر المستفيد في السداد يتولى بنفسه بيع العقار في السوق، ومن ثم يأخذ حصته، ويعيد للمستفيد الباقي إذا ما كان هناك مبلغ زائد على المبلغ المطلوب، وهذا النوع من القروض يعتبر منخفضا من ناحية المخاطرة نتيجة، لأن الممول يستطيع أن يسترد حقه بالكامل أو جزءا منه عن طريق العقار المرهون، ولعل السر تسمية مثل هذا النوع من القروض بالرهن لكي يتم تمييزه عن الأنواع الأخرى من القروض.

التمويل الإسلامي أوسع وآمن

ويبقى هناك تساؤل عن سبب تسلل هذا المصطلح إلى معجم المفاهيم التي درج استخدامها عند المؤسسات المالية التي تقدم أنواعا من التمويل المتوافق مع الشريعة، حيث إنه ومن خلال مقارنة بين الرهن حسب مفهوم المؤسسات التقليدية نجد أنه نوع واحد من القروض، وهو قرض برهن، في حين أن المؤسسات الإسلامية تقدم أنواعا متعددة من التمويل، سواء على المستوى الشخصي أو المؤسساتي.

فعلى سبيل المثال فيما يتعلق بالتمويل الذي يتعلق بالأفراد، يمكن أن تقدم المؤسسات المالية الإسلامية ما يسمى التمويل عن طريق المرابحة، أو ما يسمى التمويل عن طريق المشاركة المتناقصة، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالتمويل المؤسساتي، فيمكن أن يضاف للعقدين السابقين عقد السلم والاستصناع، والمشاركة عن طريق عقد المضاربة.

ولكن، هل مفهوم الرهن العقاري هو نفسه عقد المرابحة الذي تمارسه المصارف اليوم كأحد البدائل المتوافق مع الشريعة؟ فهو في الأصل موجود، ولكن لا تزال السوق المحلية تحتاج إلى دخول عقود، أو ما يسمى منتجات إضافية لتوسيع شريحة المستفيدين.

ولعل من أبرز تلك العقود: ما يسمى عقد المشاركة المتناقصة الذي يمارس بشكل واسع كنموذج للعقود أو المنتجات المتوافقة مع الشريعة في بريطانيا، والذي استفاد منه عدد كبير من المسلمين المقيمين هناك، في حين أن الكثير من المؤسسات المالية التي تقدم بدائل إسلامية في السوق المحلية ما زالت تفضل عقد ما يسمى المرابحة أو التورق، ولم تدخل ضمن عروضها عقود إضافية قد تستقطب عددا أكبر من المستفيدين.

إن ما سبق طبعا كان حديثا عما حدث في أوروبا والغرب عموما، فيما أصيب سوق العقار المحلي بارتدادات تلك الازمة الغربية وإن كان بشيء ضعيف نسبيا.

وبالنسبة للوقت الراهن فإن السوق العقاري يتطلب وضع جهات رقابية شديدة الأهمية على المقيمين العقاريين على اختلافهم، سواء كانوا شركات أو أفرادا من ذوي الخبرة والباع الطويل في مجال التقييم العقاري، كي لا تتعرض أسواقنا لتلك الوعكة الصحية التي أصيب بها السوق الغربي.



وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ

في إطار حملة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت لمواجهة حالات الانتحار التي ارتفع معدلها في الأونة الأخيرة جاءت خطبة الجمعة بتاريخ ١٤ من ربيع الآخر ١٤٤٣هـ - الموافق ١٩/ ١١ /٢٠٢١م تحت عنوان: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

الحَمْدُ لِلَّه الصَّبُور الشَّكُور، العَلِيم القَدِير، الَّذِي جَرَتْ مَشِيئَتُهُ فِي خَلْقه بِتَصَارِيف الأُمُور، وَخَلَقَ المَوْتَ وَالحيَاةَ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ، وَهُوَ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَخِيرَتُهُ مِنْ بَرِيَّته، وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلِيقَته، وَأَصْبَرُهُمْ لِحُكْمِه، وَأَشْكَرُهُمْ لِنِعَمِه، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَصَحْبِه، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا إِلَى يَوْمِ البَعْثِ وَالنُّشُور. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّه:

إِنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ تَمْحِيص وَابْتِلَاء، يَبْتَلِي عِبَادَهُ بِالنِّعَم وَالنِّقَم لِلتَّمْيِيز بَيْنَ السُّعَدَاء وَالأَشْقِيَاء؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢)، وَأَرْشَدَ سُبْحَانَهُ إِلَى أَنَّ السَّبِيلَ إِلَى تَجَاوُز الابْتِلَاء بِالمَسَرَّات هُوَ الشُّكْرُ، وَبِه المَزِيدُ، وَأَنَّ الصَّبْرَ هُوَ السَّبِيلُ إِلَى تَجَاوُز الابْتِلَاء بِالمَصَائِب، وَلِذَلِكَ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَف: إِنَّ الإِيمَانَ نِصْفَان: نِصْفٌ صَبْرٌ، وَنِصْفُ شُكْرٌ.

وَلِهَذَا كَانَ الصَّبْرُ مِنَ الإِيمَان بِمَنْزِلَة الرَّأْس مِنَ الجَسَد، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ -فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو سَعِيد الخُدْرِيُّ رضي الله عنه: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْر» (مُتَّفَقٌ عَلَيْه)، فَمَقَامُ الصَّبْرِ أَعْلَى المَقَامَات؛ لِأَنَّه جَامِعٌ لِمَكَارِم الصِّفَات وَالحَالَات.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

إِنَّ مِنْ أَخْطَر أَشْكَال البُعْد عَنِ الصَّبْر، وَمِنْ أَكْبَر الكَبَائِر: أَنْ يُقْدِمَ الإِنْسَانُ عَلَى التَّخَلُّص مِنْ نَفْسه بِالانْتِحَار؛ لِأَنَّ المُنْتَحِرَ قَدْ جَمَعَ مِنْ صُوَر الاعْتِدَاء أَبْشَعَهَا، وَمِنْ أَشْكَال الجَرَائِم أَخْطَرَهَا، مِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ قَدْ يَئِسَ مِنْ رَحْمَة اللَّه تَعَالَى، وَاللَّه تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾ (النساء: ٢٩-٣٠)، وَمِنْهَا أَنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْ بِوَعْد اللَّه تَعَالَى القَائِل: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ٦﴾ (الشرح: ٥-٦)، وَقَوْل رَسُولِه ﷺ -فِيمَا رَوَاهُ



عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا» (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالحَاكِمُ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَهُوَ صَحِيحٌ)، وَلِذَلِكَ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ المُنْتَحِرَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، بَلْ إِنَّهُ سَيُعَاقَبُ أَيْضًا بِالوَسِيلَةِ الَّتِي اخْتَارَهَا لِقَتْلِ نَفْسِهِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسَمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

إِخْوَةَ الإِيمَانِ:

إِنَّ الإِقْدَامَ عَلَى إِزْهَاقِ النَّفْسِ إِنَّمَا يَكُونُ بِسَبَبِ ضَعْفِ الوَازِعِ الدِّينِيِّ فِي الجَنَانِ، وَعَدَمِ إِدْرَاكِ خُطُورَةِ هَذِهِ الجَرِيمَةِ الكُبْرَى عَلَى الإِنْسَانِ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ حِرْمَانِ النَّفْسِ مِنْ حَقِّهَا فِي الحَيَاةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَمَا يَتْبَعُ الانْتِحَارَ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْوَعِيدِ وَالعِقَابِ الشَّدِيدِ فِي الآخِرَةِ.

كَمَا أَنَّ الإِيمَانَ الصَّادِقَ يَحْمِلُ الإِنْسَانَ عَلَى الثِّقَةِ فِي اللهِ وَعَلَى اليَقِينِ بِهِ جَلَّ فِي عُلَاهُ، وَعَلَى الرِّضَا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَعَلَى الصَّبْرِ عَلَى المَصَائِبِ وَالابْتِلَاءَاتِ وَالمِحَنِ، فَإِذَا ضَعُفَ هَذَا الإِيمَانُ أَوِ انْعَدَمَ: كَانَ الإِنْسَانُ عُرْضَةً لِلْيَأْسِ وَالقُنُوطِ، وَأَضْحَى أَدَاةً طَيِّعَةً لِلْأَفْكَارِ وَالوَسَاوِسِ الَّتِي تُرْدِيهِ إِلَى السُّقُوطِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ الانْتِحَارِ: مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ خَسَارَاتٍ مَادِّيَّةٍ أَوْ مُشْكِلَاتٍ أُسَرِيَّةٍ، أَوْ دُيُونٍ يَعْجِزُ عَنْ وَفَائِهَا أَوْ حُقُوقٍ يَتَصَوَّرُ صُعُوبَةَ أَدَائِهَا، أَوْ بِسَبَبِ القَلَقِ وَالاكْتِئَابِ وَالانْطِوَائِيَّةِ وَالانْفِصَامِ وَالاضْطِرَابِ، أَوْ بِسَبَبِ أَمْرَاضٍ نَفْسِيَّةٍ وَصِرَاعَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ، أَوْ بِسَبَبِ فَشَلٍ فِي دِرَاسَةٍ أَوْ عَمَلٍ، أَوْ نَظْرَةٍ سَوْدَاوِيَّةٍ لِلْحَيَاةِ بِلَا أَمَلٍ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا إِخْوَةَ الإِيمَانِ:

إِنَّ تَعَامُلَ المَرْءِ مَعَ أَحْدَاثِ الحَيَاةِ بِخَيْرِهَا وَشَرِّهَا، وَحُلْوِهَا وَمُرِّهَا، وَنِعَمِهَا وَنِقَمِهَا، وَتَحَوُّلَاتِهَا وَتَقَلُّبَاتِهَا: إِنَّ التَّعَامُلَ مَعَهَا بِالإِيمَانِ الصَّادِقِ لَهُوَ أَعْظَمُ عِلَاجٍ لِدَاءِ الانْتِحَارِ؛ فَإِنَّ المُؤْمِنَ يَشْكُرُ عِنْدَ النِّعْمَةِ، وَيَصْبِرُ وَقْتَ النِّقْمَةِ؛ عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

وَيَجِبُ أَنْ يُدْرِكَ العَبْدُ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ لِلامْتِحَانِ وَالاخْتِبَارِ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك:٢).

وَأَنْ يُوقِنَ بِأَنَّ الابْتِلَاءَ يُكَفِّرُ السَّيِّئَاتِ، وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ؛ لِمَنْ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ڤ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ)، وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (النساء:١٢٣) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا لَنُجَازَى بِكُلِّ سُوءٍ نَعْمَلُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَرْحَمُكَ اللهُ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟ (أَيِ: الشِّدَّةُ وَضِيقُ العَيْشِ)، فَهَذَا مَا تُجْزَوْنَ بِهِ» (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ).

وَلْيَتَفَكَّرْ مَنْ يُرِيدُ الإِقْدَامَ عَلَى الانْتِحَارِ: أَنَّ الانْتِحَارَ لَيْسَ حَلًّا لِلْمُشْكِلَاتِ، وَلَا سَبِيلًا سَوِيًّا لِمُعَالَجَةِ المُعْضِلَاتِ، بَلْ هُوَ طَرِيقُ هَوَانٍ وَخُسْرَانٍ وَعَنَاءٍ، وَمَزْلَقٌ صَعْبٌ يُودِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الشَّقَاءِ، وَتَعَدٍّ عَلَى الحَيَاةِ، وَأَذِيَّةٌ وَضَرَرٌ عَلَى الأَحْيَاءِ، مِنَ الأَهْلِ وَالأَوْلَادِ وَالأَخِلَّاءِ.

وَبِالتَّقْوَى وَالصَّبْرِ وَالإِيمَانِ: تَنْجَلِي المَصَائِبُ وَالأَكْدَارُ وَالأَحْزَانُ، وَيَجْعَلُ اللهُ لِصَاحِبِهَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ (الطلاق: ٢و٣).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِمَحَبَّتِهِ، وَأَحْيِنَا عَلَى سُنَّتِهِ، وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، وَأَكْرِمْنَا بِشَفَاعَتِهِ، اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالمُشْرِكِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ؛ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ قَرِيبٌ سَمِيعٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ، رَبَّنَا ارْفَعْ عَنَّا البَلَاءَ وَالوَبَاءَ، وَالضَّرَّاءَ وَالبَأْسَاءَ، وَأَدِمْ عَلَيْنَا النِّعَمَ، وَادْفَعْ عَنَّا النِّقَمَ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ، اللَّهُمَّ أَغِثْ قُلُوبَنَا بِالإِيمَانِ وَاليَقِينِ، وَبِلَادَنَا بِالأَمْطَارِ النَّافِعَةِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ وَفِّقْ أَمِيرَنَا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِ لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِهُدَاكَ، وَاجْعَلْ أَعْمَالَهُمَا الصَّالِحَةَ فِي رِضَاكَ، وَاجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا، سَخَاءً رَخَاءً وَسَائِرَ بِلَادِ المُسْلِمِينَ.

ملف خاص



أحمد المنزلاوي
عضو اتحاد كتاب مصر

الانتحار وفلسفة الحياة والموت

فـي غـزوة بـدر الـكـبـرى، وبينما المسلمون يتجهزون لحرب المشركين، سمعوا نـداء النبي ﷺ يحفزهم إلى القتال، قال: «قوموا إلى جنة عرضهـا الـسـمـوات والأرض»... إنها الجنة التي طالما اشتـاق لها الصحابة، وعـاشـوا مع أوصافها وصدقوا بوعد الله بها، لكن يبدو أن بعضهم لأول مرة يتصور اتساع الجنة، عرضها السموات والأرض، فإذا به عمير بن الحمام الأنصاري، يقول: يا رسول الله، جنة عرضها الـسـمـوات والأرض؟ قـال: «نعم». قـال عـمـيـر: بـخ بـخ -كـلـمـة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير-. فقال رسـول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ؟». قال: لا والله يا رسـول الله، إلا رجـاءة أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل[١].

دع هـذا المشهد في مخيلتك الآن واقرأ المشهد القادم..

❖❖❖

قـال رسـول الله ﷺ: «كـان فيمن كـان قبلكم رجـل بـه جـرح، فجزع، فأخذ سكينا فحز بها يده، فما رقأ الـدم حتى مـات، قـال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة»[٢].

إننا أمـام نموذجين كل منهما باع حياته في لحظة، الأول باعها رضا بالله، والآخر باعها سخطا على ربه، الأول لم يصبر على تمرات يأكلها من متاع الدنيا، وظنها حياة طويلة، والآخـر لم يصبر على آلام الجرح ووجعه، وظنها حياة طويلة، وفرق بين الصبرين، وفـرق بين البيعين، فـالأول تشوق للجنة وسمع بشرى النبي ﷺ بها، فـألقى بنفسه في ساحة المعركة شجاعا مهابا يبذل ويضحي ويأخذ برؤوس أعدائه ولا يدري أي يد تصيبه وترديه، وأمامه مئات الفرص أن يعود بعد المعركة إلى دنياه.

أما الآخـر فكان جبانا ضعيفا لم يقو على جرح ربما تكون مداواته وشفاؤه بعد يومين أو أكثر، إلا أنه قرر قطع كل فرص النجاة والشفاء والحياة، وقرر أن ينهي حياته بيده، الأول فـاز بـالـجـنـة، والـثـانـي حرم منها.

وقـال الله: «بـادرنـي عبدي بنفسه حـرمـت عليه الـجـنـة»، كـنـايـة عن استعجاله الموت.

نـعـم، أجـل الإنـسـان واحـد ولـو لم يقتل نفسه لم يكن يستأخر أجله إذا مـات، لكن مبادرته كانت من حيث التسبب في ذلك والقصد له والاختيار، وإنـمـا استحق المعاقبة لأن الله لم يطلعه على انقضاء أجله فـاخـتـار هـو قتل نفسه فاستحق المعاقبة لعصيانه[٣].

لقد بـدا لـي المـشـهـدان وأنـا أتابع أخبارا كثيرة عن ظاهرة الانتحار، فجال السؤال في خاطري، ما لنا نرفض سلوك المنتحر؟ مع أننا نقبل صورا كثيرة من التضحية بالنفس وإرهاق الحياة في الجهاد والقتال والمـدافـعـة، كـثـيـر مـن الـنـصـوص الـديـنـيـة تـدعـونـا إلـى الـزهـد في الدنيا والإقـلال من تبعاتها، وفي بعض الـنـصـوص نجد الكثير من ذم الدنيا، والترغيب في لقاء الله، واستذكار المـوت، وتحديث النفس بالشهادة في سبيل الله.

ووجدت أن الفارق هو فلسفة الحياة والموت عند الاثـنـين، حياة المسلم على استعداد أن يضحي بها لإرادة بلوغ غاية ودعم قضية، والذود عن قيمة، فيجازف بتعريض حياته حتى الموت، لكنه لا يباشر الموت بنفسه. أما الانتحار فهو إرادة قتل الذات عن وعي المنتحر وإرادته.

المسلم الحق لا يطلب الموت للموت، ولـكـنـه يـتـعـرض للخطر ويـرضـى بالخطر دفاعا عن قضيته. والمنتحر يـرى في المـوت الـخـلاص والراحة وإنهاء الابتلاء والكدر.

المؤمن تهون عليه نفسه في سبيل الله.. لكن المنتحر تهون نفسه من أجل نفسه، إن قرار الانتحار ينبع مـن سـوء تـصـور فـلـسـفـة الحـيـاة والموت.

الحياة والموت في الفكر الإسلامي، لا يقابلان مفهومي الوجود والعدم، هـذه أهـم قـاعـدة فـي الـتـصـور الإسلامي، المنتحر يظن في موته الـعـدم، يـذهـب إلـيـه ليتخلص من وجـوده، يـداوي آلامـه بالتلاشي والفناء، أما في التصور الإسلامي الصحيح فالموت أمر وجودي وليس أمرا عدميا، فالحياة الدنيا تمثل المرحلة الأولـى من مراحل الوجود الإنـسـانـي، والمـوت هـو نهاية هذه المرحلة، وبداية مرحلة جديدة لذلك الوجود، مرحلة الحياة الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤)، أي: وإن الـدار الآخـرة لفيها الحياة الدائمة التي لا زوال لها، ولا انقطاع، ولا موت معها.

الموت ليس نهاية الطريق، بل هو انتقالة من حالة إلى حالة أخرى، بوابة عبور من هذه الحياة إلى حياة أخرى، بل مع كثير من الدقة، هو

حياة بين الحياتين، حياة البرزخ في قبر يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، حياة لها طبيعة خاصة يعلمها الله كحياة الجنين في بطن أمه التي لا نعلم عنها شيئا، كل حياة ممهدة للحياة الأخرى، غاية الأمر، أن الإسلام حذرنا من الركون للدنيا، ودعانا لأن نعتبرها ممرا لا مقرا، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[٤].

ومعناه: لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنا، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله.

والمنتحر ينظر إلى الدنيا على أنها دار استقرار لا حساب بعدها، يراها غاية في ذاتها، لذلك لا يتحمل كدرها ولا بأسها، أما الذي انكشف له الكون الفسيح بأبعاده الغيبية وعوالمه الأخرى فإنه يصبر على قضاء الله، ويرضى بضيق العيش، يرضى ويصبر لكنه لا يستسلم، فقدر الله مع أنه حق فإنه مدفوع بيدين ضعيفتين ترفعان إلى ربهما في مناجاة كما في الحديث: «لا يرد القضاء إلا الدعاء»[٥]، وضيق العيش مدفوع بالسعي والتوكل والإنماء، قال ﷺ: «لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا»[٦].

وإن كانت الدنيا في تصور المسلم ممرا إلى الآخرة فهي ممر معمر لا مهجور، أرضه نامية لا بور، هذا ما أراده الله القائل: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١)، ممر يعبره العبد ويعمره ويترك أثره قائما لمن بعده، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (يس: ١٢).

ويوم القيامة يحاسب على هذا العمران وما قدم في حياته الأولى لحياته الأخرى، ﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ (الفجر: ٢٣-٢٤)، فليست وظيفة الإسلام بناء الآخرة على أنقاض هذه الحياة، إنه يجعل صلاح الآخرة نتيجة حتمية لصلاح الأولى، فالمسلم الحقيقي هو الذي يعمر دنياه لأخراه، حياته غالية عليه لأنه يدرك أنه مسئول عنها يوم القيامة، يستثمر كل لحظة في عمره ليدخره في آخرته، لا يخشى الموت لكنه لا يباشره بنفسه، لا يركن إلى الدنيا لكنه يعمرها ويستثمرها.

لقد خاض آلاف الصحابة حروبا وغزوات وفتوحات، كلهم حدث نفسه بما حدث به عمير بن الحمام، كلهم تمنى لو فاضت روحه إلى ربه ونال الشهادة، فمنهم من نالها، ومنهم من رجع فأكل وشرب وعافت زوجته ولاعب صغاره، بل وصلوا إلى فارس والروم وبنوا الدور وعمروا القصور وتجاروا وحصلوا الثروات وأسسوا الحضارة.. وكأن شعارهم: مستعدون للموت، قادرون على الحياة.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣).

هذه فلسفة الحياة.. انتظار للموت، لكنه انتظار مع عمل، انتظار مع إعمار، انتظار مع استثمار وادخار، فالموت يطوي صحيفة الأعمال ويغلق باب التوبة أمام الميت، وينقله حيث لا رجوع ولا مستعتب، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ (المؤمنون:٩٩-١٠٠).

مادامت هناك لحظة من الحياة فإنك لا تبادر إلى بترها كما يفعل

المنتحر ويقتل نفسه، بل المؤمن ينتظر ويحيا هذه اللحظة، ولعل أقرب ما يصور هذه الحقيقة قول رسول الله ﷺ: «إن قامت على أحدكم القيامة، وفي يده فسيلة فليغرسها»[(٧)]!! وهذا الأمر بغرس النخلة الصغيرة الخضراء التي يرجى نماؤها بعد زمن، في تلك الآونة العصيبة، له دلالة حافلة. إنه أمر بمواصلة أسباب الحياة، في الوقت الذي تستحصد فيه الحياة. استعجال الموت يأس، الاستعداد للموت ثبات، الانتحار قنوط، والحياة أمل..

المؤمن منهي عن مجرد تمني الموت، فكيف بمباشرته؟ قال الرسول ﷺ: «لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرا»[(٨)]، وفي رواية: «لا يتمنى أحدكم الموت إما محسنا فلعله يزداد، وإما مسيئا فلعله يستعتب»[(٩)].

هذا الحديث يوضح فلسفة الحياة والموت، فالموت يقطع خط الرجعة، والحياة زيادة من الخير، أو فرصة جديدة للتوبة، حياتك بإذن الله، وموتك بإذن الله، عليك أن تستسلم للحظة الموت كما استسلمت للحظة الحياة، لم يكن لك قرار في ولادتك، أتريد أن يكون قرار رحيلك بيدك، ولم تحقق المراد من وجودك في الحياة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢).

إن حياتنا ليست ملكية خاصة لنا، بل هي وديعة الله عندنا ونحن مجرد أمناء عليها، فهمت هذا أم سليم لما مات ولدها الصغير، فقالت لزوجها: «يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوما أعاروا قوما عارية لهم، فسألوهم إياها أكان لهم أن يمنعوهم؟ فقال: لا؛ قالت فإن الله عز وجل كان أعارك ابنك عارية، ثم قبضه إليه، فاحتسب واصبر»!

لقد وهبك الله نفسا كرمها وجعلها سرا من أسراره وحافظ على حياتها بكل سبل الحفظ والرعاية، بل ترخص في شريعته من أجل حفظها، تظن إن بادرته بقتلها وسفك دمها ستكون أحسنت عملك؟

إن نعمة الحياة هبة إلهية عظمى أحاطها الله بسياج الحماية والحفظ، بحيث لا تكون عرضة لأي عبث بها أو إضرار بسلامتها، ولا أدل على أن حفظ الحياة أمر محترم لا يخضع للاستخفاف ولا العبث به من قول الله تبارك وتعالى: ﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ (المائدة:٣٢).

المؤمن قد تضيق عليه الحياة، يبتلى، يمرض، يحزن، ويهتم، ويكتئب، لكنه لا ينتحر، لأنه لا يزال الأمل يحدوه، ولا يزال يبصر الآخرة خلف حجب الغيب، لا يزال يستيقن بربه، ويحسن فيه الظن، وهو رب كل جميل.

إننا بحاجة أن نعيد تشكيل وعي أبنائنا ونربيهم على تلك الأسس، نغرس فيهم معاني الحياة والموت واليوم الآخر، وطاعة الله واليقين فيه والتوكل عليه والرضى بقضائه والصبر على بلائه. ليجدوا الركن الذي يحتمون به في الملمات والشدائد والكرب والمصائب، أن تكون لديهم شجاعة الحياة، لا جبن الانتحار. فالمنتحر يسقط كما تسقط الورقة الذابلة التي كانت تستحق الرعاية من شجرة تسقى من الأهل والمجتمع والنفس الواعية.

الهوامش

(١) صحيح مسلم (١٩٠١).
(٢) رواه البخاري (٣٤٦٣) ومسلم (١١٣).
(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٠٠).
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني.
(٦) رواه الترمذي، وصححه الألباني.
(٧) رواه أحمد وإسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني.
(٨) رواه مسلم.
(٩) رواه البخاري.

د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه والأصول



لماذا الانتحار حرام؟



الانتحار ظاهرة غريبة عن المجتمعات المسلمة، بل هي منافية لفطرة الإنسان ولو كان بلا دين؛ فحب الإنسان نفسه وحب الحياة لدى الجميع فطرة لا تحتاج إلى بيان أو إقناع، وليس أدل على ذلك من فعل موسى، عليه السلام، مع ملك الموت حين فقأ عينه؛ لأنه دخل داره على هيئة آدمي من دون إذنه، لكن الأعجب قول ملك الموت عن موسى إنه لا يحب الموت، كما جاء في الحديث الصحيح عند البخاري ومسلم من قول النبي ﷺ: «أرسل ملك الموت إلى موسى، عليهما السلام، فلما جاءه صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت»، فإن كان موسى، عليه السلام، وهو أحد أولي العزم من الرسل يعبر عنه ملك الموت بأنه لا يحب الموت، فكيف بإنسان عادي؟!

ولكن الغريب أن يصبح الانتحار ظاهرة مع ما تعيشه البشرية من تقدم علمي وصل إلى الترف والترفيه في مجال الحياة، وكان مأمولا أن تختفي تلك الظاهرة مع ما تبذله الشركات العالمية من اختراع وسائل لترفيه الإنسان كي يعيش حياته مرتاحا، فإذا بطائفة من أناس ذلك العصر يزهدون في ذلك الترف ويفضلون عليه الموت انتحارا!

إن النظر إلى إحصائيات الانتحار يخيف الناظر إليها، ففي عام ٢٠١٩م انتحر أكثر من ٨٠٠ ألف شخص وفق إحصائيات الأمم المتحدة، بمعدل حالة انتحار كل ٤٠ ثانية، والتي دعت إلى مبادرة «عش الحياة» للتخفيف من ظاهرة الانتحار، ولكن الأعجب في الإحصائيات أن يكون الشباب هم أكثر الفئات إقبالا على الانتحار، بدلا من الإقبال على الحياة، فغالب من يقدم على الانتحار من الشباب بين سن ١٥ و٢٩، ومن العجائب أن يكون عدد الرجال ضعف عدد النساء في الانتحار، والأغرب من ذلك أن تكون نسبة الانتحار أعلى بين الأغنياء من الفقراء.

وتعد أوروبا الشرقية وكوريا الجنوبية وزيمبابوي وغويانا وسورينام من أكثر الدول في حالات الانتحار، ما يعني غياب الوازع الديني، وأثر الدين والعقيدة في التخفيف من حدة الانتحار، وإن لم يكن الدين مانعا لوقوعه، وإن غاب فيه التدين.

أسباب تحريم الانتحار في الإسلام؟

حرم الإسلام قتل النفس إلا بالحق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء:٢٩)، والآية تحتمل النهي عن قتل الإنسان نفسه، أو قتله لغيره، كما قال الشيخ محمد رشيد رضا في «تفسير المنار» (٣٦/٥): «ظاهر هذه الجملة وحدها أن النهي إنما هو عن قتل الإنسان لنفسه وهو الانتحار، والمتبادر منها في هذا الأسلوب أن المراد: لا يقتل بعضكم بعضا، وهو الأقوى».

لكن ما أسباب تحريم قتل الإنسان نفسه وإقدامه على الانتحار ما دام لا يؤذي غيره؟

أولا- المخالفة الشرعية

فأول سبب من أسباب تحريم الانتحار أنه مخالفة لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، ومن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه من قول النبي ﷺ: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا».

ويلاحظ مع جوامع كلم النبي ﷺ إلا أنه فصل وضرب أمثلة لوسائل الانتحار؛ تغليظا للعقوبة، وتنفيرا من إتيانه، وحثا للمسلم على الحفاظ على نفسه وعدم قتلها.

وروى البخاري ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة»، وهو حديث مجمل في وسائل الانتحار؛ ليشمل كل وسيلة، ولتكون تلك الوسيلة التي يعذب بها يوم القيامة؛ وذلك تنفيرا للنفس من الانتحار.

ثانيا- خيانة الأمانة

فالإنسان لا يملك نفسه التي بين جنبيه، بل هو مؤتمن عليها، فلا يجوز للإنسان أن يتصرف في روحه ولا جسده إلا وفق شريعة الله تعالى، لأن المالك لنفسه على الحقيقة إنما هو الله تعالى، ومن قتل نفسه فقد خان أمانة الله، واعتدى على البنيان الذي خلقه الله، والمطلوب من المسلم أن يؤدي أمانة نفسه إلى ربه كما هي، كما ورد في الحديث

عند أبي داود: «أد الأمانة إلى من ائتمنك»، وإن كان أداء الأمانة للإنسان واجب، فأداء الأمانة إلى الله أوجب.

ثالثا- مخالفة فطرة الله وسنته

فالله تعالى لم يخلق الإنسان لأجل أن يقتل الإنسان نفسه، وإن الحياة هبة من الله تعالى، فكيف للإنسان أن يرفض هبة ربه، وإن من عادة الملوك الغضب على من لا يقبل هبتهم، فكيف بهبة الله تعالى العظمى، ثم إن تدخل الإنسان في إنهاء حياته افتراء على الله، وتعد على حقه سبحانه، فهو الذي له الحق في الموت والحياة، وليس للإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ (النحل:٧٠)، وقد وكل الله تعالى ملك الموت بهذا الفعل، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة:١١)، فعلى المرء أن يعلم أنه مخلوق، وأنه عبد، وأن له حدودا يتصرف فيها ولا يجب أن يتعداها، وأن عليه أن يلتزم حدوده مع الله تعالى، وإلا عوقب وعذب، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (البقرة:٢٢٩)، وقال أيضا: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ (الطلاق:١).

رابعا- مخالفة لمقاصد الشريعة

إن لله تعالى حكمة في خلقه الناس، وفي وهبه الناس أعمارا متفاوتة،



فيموت غالب الناس شيوخا كبارا، ويموت بعضهم رجالا، ويموت بعضهم صغارا، ولله حكمة في كل ذلك.

وإن الانتحار يخالف مقاصد الشريعة الكبرى الخمسة، والتي هي مرعية في كل الأديان، بل كل المناهج والأفكار، كما قال الشاطبي في «الموافقات» (٢/٢٠): «ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة» وذلك على النحو التالي:

حفظ الدين

ينافي الانتحار حفظ الدين، من أكثر من جهة؛ فالانتحار يغيب عنه القائم بالدين، المطبق للشريعة، فحين يقتل الإنسان نفسه، فقد فقد دينه الذي كان يقيمه حال حياته، والذي خلقه الله تعالى لأجله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، وقد كان النبي ﷺ يستحب طول العمر لأجل عبادة الله تعالى، كما جاء في الحديث عند الترمذي: أن رجلا قال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله. قال: فأي الناس شر؟ قال: من طال عمره، وساء عمله.

وإن الإبقاء على النفس البشرية الصالحة فيه عبادة لله تعالى وإقامة لشرعه، من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج والصدقة وبر الوالدين وعمل الصالحات.

حفظ النفس

فالانتحار إنهاء للنفس التي أمر الله تعالى بالحفاظ عليها، واعتداء على أمانة الله تعالى بالإنهاء، وتعد على حق الله تعالى في حفظها، وظلم للنفس التي كان يجب أن تصان وتحفظ، وأن تنال حفظها من الحياة مثل غيرها؛ حتى يأذن الله تعالى بزوالها فيما قدره الله تعالى من مقادير.

حفظ النسل

وفي الانتحار اعتداء على حفظ النسل، لأن الإنسان إذا عجل بقتل نفسه فإنه يمنع التناسل الذي هو أحد المقاصد العلية، وبترك الانتحار والإبقاء على الحياة يحصل التناسل بين البشر، وتتحقق الخلافة التي جعلها الله تعالى لبني آدم على الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ (الأنعام:١٦٥)، ولهذا ربط النبي ﷺ بين القتل والاقتتال من جهة وبين انعدام النسل من جهة أخرى، كما أخرج ابن ماجه في سننه عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا إني فرطكم على الحوض، وإني مكاثر بكم الأمم، فلا تقتلن بعدي».

حفظ العقل

والانتحار ينافي العقل والتعقل، فليس من العقل والحكمة أن يقتل المرء نفسه، وإن العقل الصحيح مع الدين مانع للإنسان من الإقبال على الانتحار، وإن حفظ العقل فيه حفظ للنفس، وإن على المؤمن أن يعمل عقله في حفظ نفسه وعدم الاعتداء عليها، وقد جاء في الأثر: «تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشتاتا.. إن الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وما قسم الله لخلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين».

حفظ المال

وفي الانتحار اعتداء على مال الإنسان، إذ هو إنهاء لمال العبد من جهة، ومنع المال من نموه بعد موته من جهة، وهو اعتداء على أعظم مورد بشري من جهة أخرى.

علاج الانتحار

ومن أهم أدوية وعلاج الانتحار أن يعلم العبد أن الموت والحياة ليسا بيده ولكنهما بيد الله تعالى، فلا ينازع الله تعالى في ملكه، وأن يتأدب مع ربه، وأن يخاف عقابه يوم القيامة، وأن يكون إنسانا سويا يحب نفسه ويحب الحياة، لأن حب الحياة من الفطرة، وأن يصبر على ما ابتلاه الله تعالى، فإن البلاء من أمارات محبة الله تعالى، وأن ينعم بنعيم الله تعالى الذي وهبه الله من العمر والرزق والمال وغيرها من النعم، فإننا في هذه الحياة ضيوف على الله، ومن الأدب مع الله أن نقبل ضيافته، وألا نتعجل شيئا ليس من حقنا، فإن كره المسلم الحياة، فعليه بالدعاء، كما علمنا النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري: «لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلا، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي».



محمد العودة

الانتحار في سجلات منظمة الصحة العالمية

منظمة الحقوق العالمية هي المنظمة المسؤولة عن تأدية الدور القيادي في معالجة المسائل الصحية العالمية، وتصميم برامج البحوث الصحية وتوفير الدعم التقني إلى البلدان ورصد الاتجاهات الصحية، والغرض منها هو توفير أفضل ما يمكن من الحالة الصحية لجميع الشعوب.

وعندما تعرفنا على دور المنظمة و أهدافها العديدة قمنا بالبحث في سجلاتها و معرفة بعض الإحصائيات التي تخص ظاهرة الانتحار التي أصبحت تتفشى في الآونة الأخيرة بشكل مخيف

في عام ٢٠١٩، لقي أكثر من ٧٠٠ ألف شخص حتفهم انتحاراً، أي ما يعادل وفاة واحدة من كل ١٠٠ وفاة.

٧٧٪ من حالات الانتحار في العالم تحدث في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل.

.يعتبر ابتلاع المبيدات، والشنق والأسلحة النارية من بين الأساليب الأكثر شيوعا للانتحار على مستوى العالم.

في كل عام يضع ٧٠٣٠٠٠ شخص نهاية لحياته، وبيد أن أرقام حالات محاولات الانتحار أكبر من ذلك بكثير. وتخلف كل حالة انتحار مأساة تؤثر على الأسر والمجتمعات والبلدان بأكملها وتترتب عنها آثار طويلة الأمد على ذوي الشخص المنتحر.

ويحدث الانتحار في أي مرحلة مراحل العمر، وقد صنف في عام ٢٠١٩ رابع أهم سبب للوفاة بين من تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٩ عاماً على الصعيد العالمي.

ولا يحدث الانتحار في البلدان المرتفعة الدخل فحسب، بل هو ظاهرة تحدث في جميع أقاليم العالم. والواقع أن أكثر من ٧٩٪ من حالات الانتحار العالمية في عام ٢٠١٩ حدثت في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل.

من هم المعرضون للانتحار؟

على الرغم من ثبوت الصلة بين الانتحار والاضطرابات النفسية (خاصة الاكتئاب والاضطرابات الناجمة عن تعاطي الكحول) في البلدان المرتفعة الدخل، فإن كثيرا من حالات الانتحار تحدث باندفاع في لحظات الأزمة عندما تنهار قدرة المرء على التعامل مع ضغوط الحياة، مثل المشاكل المالية، أو الانفصال أو الطلاق أو الآلام والأمراض المزمنة.

وبالإضافة إلى ذلك، ثمة صلة قوية بين النزاعات والكوارث والعنف وسوء المعاملة أو فقد الأحبة والشعور بالعزلة بالسلوك الانتحاري. وترتفع معدلات الانتحار كذلك بين الفئات الضعيفة التي تعاني من التمييز مثل اللاجئين والمهاجرين؛ والشعوب الأصلية، والسجناء، بيد أن أقوى عامل يزيد من احتمال الانتحار هو الإقدام على محاولة انتحار من قبل.

طرق الانتحار

يقدر أن نحو ٢٠٪ من حالات الانتحار العالمية تعزى إلى حالات التسمم بالمبيدات، ومعظمها يقع في المناطق الزراعية الريفية في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل. ومن أساليب الانتحار الأخرى الشائعة قتل النفس شنقا أو بإطلاق نار.

ومن المهم معرفة أكثر طرق الانتحار شيوعا من أجل وضع استراتيجيات أثبتت فعاليتها في الوقاية من الانتحار مثل تقييد الوصول إلى وسائل الانتحار.

حتى الآن، لم تقم سوى قلة من البلدان بإدراج الوقاية من الانتحار ضمن أولوياتها الصحية، ولم يذكر سوى ٣٨ بلدا فقط وجود استراتيجية وطنية للوقاية من الانتحار.

ومن المهم للبلدان إذكاء الوعي المجتمعي وإخراج موضوع الانتحار من دائرة المحرمات لإحراز التقدم في الوقاية منه.



إعداد علاء عبد الفتاح

عشرون نصيحة لتجنب السقوط في فخ الانتحار

إذا الإيمان ضاع فلا أمان، تتجلى هذه المقولة أمام أعيننا في كل وقت، فلا أمان للفرد أو المجتمع بأسره بلا إيمان.

والضياع كل الضياع في البعد عن الدين وعن اليقين بأن اللّه هو الخالق وبيده كل شيء، وأن الإنسان هو المخلوق وليس بيده شيء، حتى نفسه وجسده أمانتان لديه، ليس حرا في التصرف فيهما.

وعندما يدلي خبراء علم النفس والاجتماع بنصائح عامة لكل من مرت على مخيلته فكرة الانتحار، فهذا لا يعني أنها النصائح الكافية الشافية، لكنها محاولات منهم لتجنب هذه الآفة الخطيرة التي أطلت علينا في الآونة الأخيرة.

مجلة «الوعي الإسلامي» مساهمة منها في إيجاد حوائط سد أمام هذه الأفكار الانتحارية الهدامة، جمعت هذه النصائح لكي ينتفع بها.

فالباحث مراد الشوابكة يذكر حقيقة كونية مهمة، وهي أن الحياة لا تكاد تخلو من مكدّرات ومُنغّصات ، فالسعادة الأبديّة غير موجودة على هذه الأرض إطلاقاً، ولا سعادة تدوم، ولا همّ يدوم ، والحياة متقلّبة، وفي أحسن ظروفها معتدلة بين الشدّة والرخاء، ودوام الحال من المحال.

ويذكر الشوابكة في مقال له على شبكة الانترنت موقع: (مودو) أن مثل هؤلاء الذين ضاقت عليهم الدنيا بأحوالها، وفكروا بالانتحار، يُريدون أن يجلبوا لأنفسهم شقاء في الآخرة، ولا يفكر بالانتحار إلا من ضَعُف إيمانه باللّه عز وجل وتراجعت إيمانيّاته، فالإيمان باللّه يسهّل الصعاب، ويُذلّل العقبات، ويكبح جماح الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء، ويقضي على دواعي الشرّ.

والنصيحة الأولى وربما الأهم: هي أن تتذكّر عاقبة قتل النفس، وأنّ صاحبها في النار، ولا حول ولا قوّة إلا باللّه.

والثانية: أنه إذا راودتكَ هذه الفكرة فاطردها، واستعذ باللّه من الشيطان الرجيم.

والثالثة: حاول ألاّ تختلي بنفسك، وألا تبقى وحيداً إذا أحسست بدوّامة الأفكار الهدّامة التي لا تقود إلى خير، بل حاول الجلوس بين الناس، وخصوصاً أصحاب الطاقات الإيجابيّة وأصحاب النفوس المعطاءة.

والنصيحة الرابعة: يقدمها خبراء علم الاجتماع، عندما يركزون على أن تقدّم المساعدة لمن يحتاج إليها، فالإحساس بأنك مفيد لشخص أو كائن ما، يجلب إحساسًا بالقيمة والجدوى، ويعدل المسار الهابط إلى مسار صاعد، ويعود على المجتمع بالنفع والخير، ولعل من أفضها: التطوّع في الأعمال الخيرية، وخاصة الاهتمام بالأطفال الأيتام.

والنصيحة الخامسة: أن تفكر بأنك لست الشخص الوحيد الذي يعاني في هذا الكون، فهناك المئات، وربما الملايين من البشر الذين يعانون من المرض والفقر، كما أن معظم الناس يتعرضون للفشل، ولم يفكر أحد بالانتحار.

النصيحة السادسة: حاول أن تشغل نفسك بما هو نافع لك أيضا، كأن تتعلّم لغة جديدة، أو تمارس هوايتك المفضّلة، أو تخضع لدورات تطوّر بها مهاراتك، ستُملي هذه الأعمال يومك وستشغلك، ولن يكون لديك الوقت حتى تفكر في الانتحار.

النصيحة السابعة: سافر إلى بعض البدان والمدن والقرى، ففي الأسفار خمس فوائد كما قيل، وسترى عوالم أخرى وأناس آخرين، ولو سافرت إلى مجتمعات لم تنل قسطا من الرفاهية كما في بلادك، ستشعر بالنعمة مضاعفة.

النصيحة الثامنة: اقرأ كتبا عن التنمية البشرية، حيث تتضمن هذه الكتب مواضيع تشعرك بالطمأنينة والهدوء، فهي تساعدك على تغيير الطريقة التي تفكر بها، وتعلمك كيف تثق بنفسك وبقدراتك، وكيف تعالج مشاكلك، وكيف تتحدّى الظروف الصعبة وتحقق النجاح.

النصيحة التاسعة: اجلس مع أصدقائك المرحين مثلاً خطِّطوا سوياً للخروج في نزهة إلى الشاطئ أو التخييم في الطبيعة.

النصيحة العاشرة: احرص أيضاً على ممارسة بعض الأنشطة البدنية التي تخلص جسمك من الطاقة السلبية، وستشحنه بطاقة إيجابية كبيرة.

والنصيحة الحادية عشرة: تقدمها هيئة تحرير موقع «Help Guide». للشخص الذي تراوده مثل هذه الأفكار الانتحارية، بأن يضع قائمة بالأشخاص الذي يجب أن يتصل بهم فورا في حالة سيطرت عليه فكرة الانتحار، مثل رقم الطبيب أو المعالج النفسي أو بعض الأصدقاء والأقارب الموثوق بهم.

النصيحة الثانية عشرة: ألا نكتم الأفكار الانتحارية بداخلنا، فمن الأفضل أن يوجد بعض الأشخاص الموثوق بهم مثل الأصدقاء والمعارف، للتحدث معهم يوميا عن الأفكار التي تراودنا.

النصيحة الثالثة عشر: التعرض للشمس لمدة لا تقل عن نصف ساعة يوميا، فمن المعروف أن الأشخاص الذين لا يتعرضون للشمس يصابون بالاكتئاب أكثر من غيرهم، ومن المعروف أيضا أن الاكتئاب يرتبط بالأفكار الانتحارية.

النصيحة الرابعة عشرة: إذا راودت هذه الأفكار الإنسان وسيطرت عليه، فيجب أن يمسك بالهاتف فورا ويتحدث إلى بعض الأصدقاء أو الأقارب أو المعارف، فهذا سيعمل على تهدئته كثيرا، وإذا استدعى الأمر فينبغي الاتصال باختصاصي الصحة النفسية أو بالرقم الساخن لمكافحة الانتحار إن وجد في بلدك أو أي رقم طوارئ محليّ.

ومن المفيد جدا التواصل مع أحد العلماء أو الدارسين أو غيرهم من رجال الدين في مجتمعك.

والنصيحة الخامسة عشر: وللأسف بعض الناس عندما يصابون بالاكتئاب أو تراودهم الأفكار الانتحارية يلجؤون إلى المخدرات أو الكحوليات، فتجب هذه الأشياء تماما، فهي تؤثر على كمياء المخ، وتجعل الافكار الانتحارية أشد سوءا.

النصيحة السادسة عشر: عندما تسيطر على الفرد الأفكار الانتحارية يجب أن لا يستسلم للتفكير فيها أو للتفكير في الأمور السلبية في حياته، بل عليه مقاومتها قدر الإمكان، ومن الوسائل الأكثر نجاحا في مقاومة الأفكار السلبية هي تشتيت الانتباه والتفكير في أي شيء آخر.

النصيحة السابعة عشر: هي زراعة النباتات، أو ممارسة نشاط جديد.

النصيحة الثامنة عشر: ابتعد عن المواقع الإلكترونية التي ربما تشجع على الانتحار باعتباره وسيلة لحل المشكلات.

النصيحة التاسعة عشر: دوّن أفكارك ومشاعرك، وفكر في الكتابة عن الأشياء التي تقدرها في حياتك وتشعر بأهميتها، مهما بدت لك تلك الأشياء بسيطة في لحظة ما.

النصيحة العشرون: تذكر أن الله أقرب إليك من حبل الوريد، فاسجد له واقترب، وأكثر من الدعاء والشكوى لله، وتوكل عليه بيقين كامل أنه الخالق الذي يعلم ما صنع جيدا، ويعرف ما يدور حولك، وبيده وحده سبحانه وتعالى أن يخرجك من الضيق ويدهشك بعطاياه.

وليد عابد
باحث دراسات إسلامية



حياتك أمانة والانتحار خيانة

ما من قضية من قضايا الوجود إلا ولله فيها هدى؛ علمه من علمه؛ وجهله من جهله، ومن المشاهد باستقراء الأدلة: تعظيم ديننا الإسلامي للنفس الإنسانية، فقد أقام لها حدودا، وشرع من أجل حفظها أحكاما؛ لينهض الإنسان بواجب الخلافة في الأرض وعمارتها وعبادة الله، ولكن الإنسان حينما يتسرب إليه الشيطان تتشاءم رؤيته لكل مقدرات الحياة، فلا يهنأ بالسكينة النفسية ولا بالطمأنينة القلبية، وتضيق عليه الأرض بما رحبت، فيشعر بأن غايته في الوجود لم يعد لها معنى، فيفكر في إزهاق روحه التي أودعها الله بجسده أمانة، ونحر جسده الذي استرعاه الله عليه، فهذا يقتل نفسه لأنه عاطل عن العمل، وذلك بسبب مشكلات أسرية، وآخر بسبب فشله في أمر ما، فيظن من فكر في الانتحار أن الراحة في توقف أنفاسه عن الحياة، وما درى المسكين أن الحياة الحقيقية تبدأ من بعد خروج الروح من الجسد، فعند كل نهاية بداية لطريق آخر، ولا يستريح إلا من غفر الله له.

ولو أنا إذا متنا تركنا
لكان الموت راحة كل حي
ولكنا إذا متنا بعثنا
ونسأل بعد ذا عن كل شيء

فحاله كمن لفحته حرارة الشمس فألقى بنفسه في النار؛ فكيف يستجار من الرمضاء بالنار؟!

والانتحار ليست فكرة تتقدح فجأة في ذهن صاحبها؛ لكنها نتيجة تكرار خاطري، وضعف نفسي، وغياب إيماني، وانعدام للثقة والطمأنينة بما ينزل الله على عبده.

زواجر الشرع

ولقد أغلق الشرع الحنيف نافذة الخاطر الذي يعرض الضعيف بالتفكير في الانتحار أو تمني الموت، فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلا، فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي» (أخرجه البخاري).

ففي نهي النبي ﷺ عن طلب الموت -غير المأذون فيه شرعا- بناء سد منيع لقطع أحبال الفكر المؤدية إلى الانتحار. وكيف للإنسان أن يفكر في الانتحار والله به رحيم؟! فمهما تقطعت سبل الحياة، أو أغلق دون الإنسان باب؛ فسيفتح له الرحمن أبوابا، ومهما طال زمن البلاء فمن بعده مع الصبر عوض ومنحة، أو أجر ورفعة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء:٢٩).

فكيف للإنسان أن ييأس مهما أحاط به الكرب والرحمن مولاه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧)

فمن كبائر الذنوب أن يقتل الإنسان نفسه، ويدخل في ذلك الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وفعل الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك.

لذا فقد أغلظت العقوبة على مرتكب هذه الجريمة في حق نفسه المؤتمن عليها، فهي شؤم على صاحبها يوم القيامة، ومما يدل على ذلك قول رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا» (أخرجه مسلم).

الترياق المانع من الانتحار

ولمواجهة دوافع الانتحار لا بد من تقوية الوازع الديني، فالمؤمن له صلابة إيمانية تصد عنه أحداث الحياة؛ والإيمان في قلب العبد يحصنه من الوقوع في أوهام الأفكار، والانجراف في سيل الهزيمة النفسية واليأس، فالمؤمن يتصور عدل الله في التكاليف؛ وفي ابتلائه أثناء خلافته في الأرض، ففي قلبه يقين أن الله لا يحمله ما طاقة له به، وإن شعر بضعف في تحمله رجا من الله العون على أداء التكاليف، وإن عز عليه شيء بقوانين الأرض طلبه بقوانين السماء، وكلما زاد الإيمان بالقضاء والقدر واليوم الآخر لا يجزع الإنسان لما ينزل عليه من محن وأمراض وابتلاءات، بل يستقبل ما يلم به بقلب صابر، ملتمسا على ذلك أجرا، قال رسول الله ﷺ: «إذا أحب الله قوما ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع»، فمن يرد الله به خيرا أوصل إليه مصيبة؛ ليطهره بها من الذنوب، وليرفع درجته، فمن صبر جرى عليه القلم وهو مأجور،

ومن جزع جرى عليه القلم وهو مأزور.

فاقنع بما قسم المليك فإنما
قسم الخلائق بيننا علامها

والذي له أمل في الآخرة، ويوقن بالحياة بعد الموت، وبالحساب والعقاب، وبفضل الله وبالجنة.. لا ينتحر، لأن المؤمن لا يضيق بالمصائب؛ إذ يرى فضل الله عليه في ذلك البلاء.

كذلك تحقيق التوازن بين الحياة الروحية والمادية، فالإنسان يحتاج إلى أن يوازن بين متطلباته الجسدية وآفاقه الروحية، وهذا لا تكاد تجده إلا في الإسلام، ففي الوقت الذي أمر فيه بوجوب صلاة الجمعة؛ وشدد على من يتأخر عنها.. تجده يأمر بالسعي في مناكب الأرض؛ من أجل تحقيق الحاجات المادية الفطرية؛ حتى لا يمزق الإنسان بين الضغط الواقع عليه من كوامنه الفطرية وبين مطلب الربانية المرجوة منه، فالمؤمن الوسطي يمسك بخيط الصعود الروحي؛ حتى يساعده على التحرر من ثقل الجواذب المادية، فيتعلق بالسماء لكنه لا يقطع ما بينه وبين الأرض من صلات، فالإسلام يراعي حاجات الجسد والعقل والروح، وعليه يستطيع الإنسان أن يمارس شهواته في دائرة الحلال، كما أنه يمارس تطلعاته الروحية في دائرة الواقع، أما من أفرط في جانب الماديات فإنها تثقله عن ذوق لذة الاستمتاع بما طاب له، فيشعر بالتبرم والضجر والضيق، فيسعى في إسعاد نفسه لكن لا يتحقق له ذلك، مما يجرفه بقوة نحو التفكير بالانتحار، وإن أراد الله به خيرا حفظه بالهداية إلى الموازنة الروحية المادية.

وإذا أدرك الإنسان حقيقة الحياة الدنيا علم أنه قد تعرض للإنسان بلاءات، وتكدر حياته منغصات، لكن وجب أن يعلم أن هذا هو حال الدنيا، فالكدح والكبد حالان ملازان للإنسان، وكل إنسان يحمل همه الخاص به؛ يسير معه؛ ويكيف نفسه عليه، ولا يوقف الحياة من أجله، بيد أن المؤمن حينما تهب عليه رياح البلاء يميل معها حتى لا ينكسر، ثم يعود إلى أصوله أقوى مما كان؛ يعود بروح جديدة طموحة بما أدبه عليه الأسوة الحسنة موجها: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها» (أخرجه البخاري)، فالفالح الناجح من ينتهي كبده وتعبه برضا الله عنه.

ومما يضيق به من يفكر بالانتحار فقده للعمل، وتكبله بالديون، وغياب العدالة الاجتماعية، والعجز عن توفير ما ينفقه على نفسه وأهله، فقد يحتاج الكريم إلى اللقمة فيذل؛ وليس أشد من الحاجة إذلالا، ومما يكدر صفوه إشعال فتيل النزعة الطبقية، والنفخ في هشيم الفوارق الأسرية، وما يتبعه من تعيير وتنمر، واستهزاء وسخرية.

فجاءت شرائع الإسلام السمحة لتطيب خاطر الإنسانية، وتمسح عليها بلين وجمال العدالة الاجتماعية، فقررت وحدة الجنس البشري من غير تفريق، وأكدت مبدأ التكافل في كل صوره وأشكاله.

وقد تولى الإسلام صيانة هذه الواجبات بالتشريع، فالجميع عباد الله، فجعل للفرد حقه في الكفاية مفروضا، فيفرض على الأغنياء زكاة لضبط شهوة المال، ورفعا للمعاناة عمن ضاقت به السبل.

وبرئ الإسلام من العنصرية والعصبية القبلية إلى جانب براءته من عصبية النسب والأسرة، فالكل عند الله سواء، وجعل الجنس البشري جميعه مكرما، ومن كرامتهم أن حرم بينهم الهمز واللمز والسخرية، فلكل إنسان حرمته التي لا يجوز أن ينتهكها الآخرون عليه، قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، إن ربكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (أخرجه الطبراني).

فهنا تتسع دائرة المشاعر الذاتية الضيقة إلى رحاب الإنسانية في ميدانها الواسع الفسيح، فتتعاضد لبنات الإنسانية فقيرها وغنيها، ويقوى بنيان الأمل، وتزكى الروح المعنوية، وتبث روح النجاح والعمل، فتنهض الإنسانية بخلافتها، وتتفرغ لمهمتها، وتتمنى امتداد العمر لتغرس ما ينفعها في حالها ومآلها.

وإذا قلل المرء سقف طموحه الدنيوي فحينئذ تكون الأهداف في الحياة واقعية؛ ويمكن تحقيقها، تفرح النفس، وتتطلع لتحقيق هدف تلو هدف، أما حين يخطط الإنسان لحياته؛ ويستمع إلى من يبنون صرحا من سراب في عقول الفرد؛ ويحمسونه من أجل تحقيق المستحيل، ويشجعونه على أن يرفع من الأحمال ما لا يطيق، فيوهمونه أن الأزمة العاطفية ستزول بعد محاضرة يلقيها المحاضر العالمي فلان، والنجاح يتحقق في العمل بعد التسجيل بدورة يحاضر به آخر، كل ذلك من غير تحليل لقدراته واستعداداته، وقياس أقصى ما يمكنه تحمله، فحينها تخور قوى الفرد، ويشعر بالعجز حينما يصطدم بالواقع ولا يتحقق له هدف، ويتسرب إليه الإحباط، ويكره الحياة، ويسعى للانتحار، فليفهم كل ساع في عمل أن النجاح يأتي بالتجربة والجهد ومراعاة الواقع، ولا يمنع حينها تحفيز الذات، وتخيل النجاح.

وأخيرا أقول: إن الحياة هبة إلهية كبرى تحتاج إلى أن يعيشها الإنسان بذوق آخر، ملؤها الأمل والفأل والرجاء في أن تكون أخراه أنعم من دنياه.



إعداد
عثمان العنزي

الاكتئاب بوابة الانتحار



يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء:٢٩).

يأتي اللجوء للانتحار نتيجة لحالة من الصراع الذهني والنفسي التي يعيشها الشخص نتيجة أسباب مختلفة ومتعددة، من أبرزها حالة الاكتئاب.

والاكتئاب كما يعرفه مركز الكويت للصحة النفسية «مشاعر اكتئابية تحدث نتيجة الضغوط الحياتية والمادية والمهنية وحالات الوفاة التي تؤثر سلبا على تفكير ومشاعر وسلوك وصحة الإنسان البدنية التي يغلب عليها طابع الحزن بأنواعه».

ومن الملاحظ في السنوات الأخيرة أن حالات الاكتئاب في الكويت بدأت تأخذ تصاعداً ملحوظاً، فقد أعلن مركز الكويت للصحة النفسية إحصائية تُبين أن نسبة الإصابة بالاكتئاب في الكويت تتراوح بين ٩ - ٥٪ وهذا رقمٌ كبيرٌ بالنسبة لعدد السكان وذلك وفقا لما ذكرته وكالة الانباء الكويتية في تقرير لها بتاريخ السادس من أبريل عام ٢٠١٧.

وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أن أسباب الاكتئاب كما تلخصها لنا رئيس الخدمة النفسية الاكلينيكية في مركز الكويت للصحة النفسية آمنة الربيعي فتقول:

إن زيادة الاكتئاب في المجتمع الكويتي تأتي وفقا لجريدة الانباء في عددها الصادر بتاريخ ١٩ يناير ٢٠١٣ نتيجة:

- ❖ الضغوط الحياتية وزيادة متطلبات الحياة اليومية.
- ❖ ضغوط العمل.
- ❖ تحول نمط الحياة البسيطة إلى حياة أكثر تعقيداً.
- ❖ كثرة الصدمات كخسارة مال أو شخص عزيز

ولزيادة التوعية ضد مرض الاكتئاب وضعت دولة الكويت كبقية دول العالم خطة للتوعية تعنى بإحياء اليوم العالمي لمكافحة مرض الاكتئاب الذي يصادف السابع من أبريل كل عام عبر خطة توعوية تقوم بها وزارة الصحة.

وتعتمد الخطة على برامج علمية ومحاضرات متخصصة ورسائل ومواد إعلامية تبث عبر حسابات الوزارة على مواقع التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى مطويات أعدتها منظمة الصحة العالمية للتعريف بالمرض وتأثيره على الأسرة والمجتمع ووسائل تشخيصه وطرق علاجه وللوقاية من ولوج هذا الباب الموحش لابد للإنسان إذا أحس بشيء من أعراض هذا المرض أن يلجا إلى وسائل العلاج عن طريق المتخصصين وأن يزيد في قربه من الله سبحانه وتعالى وأن يسارع الخطى لمرضاة ربه، فكلما قويت علاقة المسلم بخالقه يعيش حالة إيمانية تمنحه القوة النفسية لمواجهة هذه الأمراض والتغلب عليها فلا يلجأ إلى الانتحار وإنهاء حياته بطريقة تغضب الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ (الفتح:٤).

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com



القاهرة - إسلام لطفي
دار الإعلام العربية

الانتحار.. آفة تهدد الأوطان

الانتحار آفة تهدد المجتمعات، كل المجتمعات، يقف وراءها العديد من الأسباب، لا يمكن قصرها على العامل الاقتصادي والضغوط النفسية والاجتماعية، بل تتعدد الأسباب التي قد تدفع الشخص في النهاية إلى الإقدام على الانتحار.. وفيما أظهر العديد من التقارير أن عدد حالات الانتحار بين النساء العاملات زاد في عام ٢٠٢٠م، بسبب التغيرات التي طرأت على ظروف العمل عقب تفشي وباء كورونا، أكدت إحصاءات رسمية أن بعض الدول العربية سجلت لذات السبب مئات الحالات بين شهري يناير ونوفمبر من العام الجاري (٢٠٢١).

سلوك بائس

إلى ذلك، يؤكد استشاري الصحة النفسية الدكتور وليد هندي، أن الانتحار سلوك بائس يتبعه شخص لوضع حد لحياته أمام المشكلات التي تواجهه دون أن يجد لها حلا، أو أن يجد من أحد المساعدة، وقتل النفس بطريقة متعمدة، والفعل المدروس لقتل النفس، وهو أيضا سلوك مضاد للحياة، لافتا إلى أن الله تعالى خلق الإنسان متمسكا بالحياة رغم ضعفه ومرضه والمشكلات التي تواجهه.

وأوضح أن إقبال الشخص على الانتحار هو مؤشر على أن لديه خللا، وأنه لا يسيطر على أفعاله، وهذا يحتاج إلى فتوى من الاستشاري النفسي وليس من رجال الدين.

د. هندي: سلوك بائس يكثر بين المراهقين لانخفاض مفهوم الذات لديهم

وشدد على ضرورة التفريق بين الانتحار المخطط الذي يأتي نتيجة المشكلات النفسية مثل ذهان الهوس الاكتئابي، والفصام، والمصابين بالوساوس القهرية المرضية، والانتحار الاندفاعي، الذي يأتي نتيجة الضغط على نفسه والآخرين، وجذب الانتباه، والحصول على بعض المكتسبات، وإثبات النفس، وهذا النوع من الانتحار يمكن إنقاذه، لذلك لابد من التفريق بين الانتحار ومحاولة الانتحار.

وذكر أن الانتحار من المشكلات الصحية الكبرى على مستوى العالم، خصوصا أن بعض الاحصائيات تؤكد أن كل ٢٠ ثانية تتم عملية انتحار على مستوى العالم، وهو من الأسباب الرئيسية المؤدية للموت من سن ١٥ إلى ٤٤ سنة، وهي الفئة الأكثر إنتاجا، موضحا أنه السبب

الثاني في الوفاة في الفئة العمرية من ١٥ إلى ١٩ سنة، وهذا المؤشر يؤكد أن الانتحار يكثر بين الشباب والمراهقين، وهذا نتيجة انخفاض مفهوم الذات، وهو إحساسه بأنه أقل من الآخرين، لم يجد من يحنو عليه من أهله، وأن أصحابه وأقاربه يعيشون أفضل منه، وهذا يؤدي إلى الاكتئاب الذي يؤدي بدوره إلى الانتحار، إلى جانب قسوة الوالدين ما يجعل البعض يشعل النيران في نفسه وينهي حياته، بالإضافة إلى العزل الاجتماعي نتيجة عدم انتماء الشخص إلى جماعة النشاط والأقران، وإذا واجهته بعض المشكلات يهرب منها إلى الانتحار.

وتابع أن هناك دوافع أخرى للانتحار كتغيرات الجسم الفسيولوجية، علاوة على الاكتئاب وقتامة المستقبل، إلى جانب الاحتجاج بصورة علنية من قبل المراهقين، مؤكدا أن الأمراض المستعصية والعنوسة والاغتصاب واستخدام التكنولوجيا الحديثة وإدمانها من الدوافع أيضا.

وأشار إلى أن من ٧ إلى ١٥ في المئة من حالات الإدمان تؤدي إلى الانتحار، بالإضافة إلى التعثرات الاقتصادية الشديدة والديون وفقدان الحبيب والحزن الشديد، اليأس والقنوت، والفشل الدراسي.

وشدد استشاري الصحة النفسية على ضرورة تعزيز المرونة العقلية لدى الأبناء، وإعطاء شعور بالتفاؤل والترابط، والحد من استخدام العنف، والتصدي للمواد المخدرة، وتعزيز القيم الروحية، وملء أوقات الفراغ، لمواجهة الانتحار.

التوعية الدينية والنفسية

د. عبدالله عزب: من كبائر الذنوب.. وتقوية الوازع الديني طوق النجاة

فيما لفت الدكتور عبدالله عزب، عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ (النور:٦١)، والمنتحر في الغالب يعاني من أمراض نفسية أدت في نهاية الأمر إلى إزهاق روحه نتيجة خلل في الشخصية، مؤكدا أنه ليس من سمات البشر أو اختصاصهم الحكم على المنتحر أو اتهامه بالكفر وخلافه، خصوصا أنها عملية قلبية بين العبد وربه، فالله أعلم بحاله وأمره مفوض إلى الله.. إلا أن الثابت أن قتل النفس من الكبائر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا» (رواه البخاري ومسلم).. وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «أتي النبي ﷺ برجل قتل نفسه بمشاقص فلم يصل عليه» (رواه مسلم).. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ (النساء:٢٩).

وأضاف أن غياب الوعي الديني ساهم في عملية الانتحار، خصوصا أن البعض يجهل حرمانية قتل النفس، قائلا: «حتى وإن لم يكن مريضا نفسيا فيعذر بالجهل الديني بعدم معرفة حرمانية القتل».

وأشار إلى أن هناك أمورا لا يجب التفتيش فيها وفي نواياها، لكن علينا نشر الوعي ومعرفة الدين الصحيح وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وعدم الاعتراض على قدر الله تعالى، إلى جانب التوعية النفسية أيضا حتى نتصدى لتلك المشكلة التي تعاني منها المجتمعات.

تقوية الوازع الديني

في حين أكد الدكتور عبدالحميد زايد، أستاذ علم الاجتماع، أن الانتحار مشكلة اجتماعية تشغل حيزا كبيرا من سلوكيات البشر، مؤكدا أن انخفاض الوازع الديني من أهم دوافع الانتحار، وأن المعتقدات الإسلامية وغيرها ضرورية ويجب أن تكون راسخة في نفوس الأفراد لحماية سلوكهم، وهذا الأمر لا يجعل الشخص يفكر في الانتحار ويعود إلى معية الله سبحانه وتعالى، ويجد تفسيرات دينية لتبعده عن هذا السلوك.

وأوضح أن من الأسباب الاجتماعية للانتحار التغير الشديد في القيم المحورية التي كانت موجودة من قبل كالتعاون والتسامح والكرامة والشهامة وحب الخير، والتي كانت تساعد على التكامل والتماسك الاجتماعي، حتى أصبحت بعد ذلك قيما فردية ومادية،

د. علاء مرسي: عززوا في نفوس أبنائكم التفاؤل والرضا والثقة بالنفس

وبالتالي يحسب الإنسان مدى نجاحه أو فشله بقدرته على تحصيل المبالغ المالية التي تؤمن مستقبله من وجهة نظره.

إلى جانب العولمة، والانفتاح على البعدين الإقليمي والبعد الدولي، والانفتاح على سلوك الأجانب والسلوكيات الثقافية الغربية، وخلق نموذج من الرفاهية الاجتماعية التي تحبط الكثير من الفقراء الذين يتصورون أنهم لن يستطيعوا الوصول إلى هذه الرفاهية والعيش الرغيد.

وتابع أن وسائل الإعلام والدراما العربية خلقت نماذج من البلطجة والسلوكيات غير المحمودة ساهمت بشكل كبير في الإقبال على الانتحار، بالإضافة إلى عدم القدرة على الزواج وبناء الأسرة، والانعزالية وعدم القدرة على جمع الأموال، وهي سبب من أسباب الإحباط التي تؤدي في نهاية المطاف إلى الانتحار.

واستكمل أن نوعية الانتحار تغيرت في أنماطها على مستوى العالم، مشددا على ضرورة معالجة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والتوعية من انتشار الإدمان والتصدي لتلك الأزمة.

الإدمان والدراما

من ناحيتها، قالت د. سوسن فايد، أستاذة علم النفس بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، إن هناك دوافع نفسية واجتماعية تدفع الشخص إلى الانتحار، وتتشابك وتتفاعل عندما تصل إلى درجة من الذروة واليأس، بالإضافة إلى أن طبيعة الشخصية لها دخل كبير جدا والحالة النفسية، وأحيانا كثيرة تكون الشخصية ضعيفة جدا وليس لديها ثقة في

د. زايد: مشكلة اجتماعية بسبب اختلال ميزان القيم

النفس، وتكون هناك أمراض نفسية مثل الاكتئاب العقلي، وهو أقوى من الاكتئاب النفسي، ويحتاج إلى عقاقير وعلاجه مهم جدا، فضلا عن وجود هلاوس عصبية وسمعية ويمكن حالة من الفصام وحالات من الشك القهري وأحيانا يكون هناك تداخل لأكثر من حالة.

وأشارت إلى أنه لا يخفى على أحد أن الإدمان منتشر بطريقة كبيرة بين الشباب، والأخطر هو المخدر المخلق الذي يؤدي إلى حالات من الهيستيريا والهلاوس السمعية والبصرية تخرج الشخص عن الوعي تماما، وإذا تشابك هذا مع المرض النفسي تكون الحالة أكثر خطورة والوصول إلى أخذ قرار بالانتحار.

ولفتت إلى العامل الخاص بالإعلام، لأن الصورة دائما أمام أعين المواطن، إذا كانت في الدراما أصبح الدم والقتل، العين اعتادت عليه تجعل الشخص يتجرأ عليها ولا يرى أنها شيء صعب بل سهل، ولا يجب عرض جرائم القتل، لأن عرضها يجعل طوال الوقت حالة من السهولة في التجرؤ على هذا الفعل.

وأوضحت أنه يوجد جانب خاص بالوعي والتعليم والثقافة، وتوجد

د. سوسن فايد: الإدمان والدراما ضاعفا معدلات الانتحار

نسبة عالية في المجتمعات ليس لديها الخلفية الثقافية التي تحميها ولا قدر من العلم لإعمال العقل والانتقاء بحيث يجد حلولا للمشكلات وفي حالة من حالات الجمود واليأس ولا يوجد لديه مجالات للتفكير أو لتحسين وضعه أو حل مشكلاته لأن التعليم وهمي ليس حقيقيا يجعل عقلية الإنسان منفتحة يستطيع وضع حلول لمشكلاته.

تعزيز الثقة

وأخيرا، قال الدكتور علاء مرسي أستاذ علم النفس، إن هناك عوامل عديدة للانتحار منها أن يكون الشخص لديه خلل في كيماويات المخ وهذا يصيبه بالاكتئاب فيقبل على الانتحار، إلى جانب الإدمان وعدم القدرة على التوقف أو الحصول على مواد مخدرة، بالإضافة إلى إجباره على بعض الأمور في حياته التي تعد ضد رغبته، أو انتقام الشخص ممن حوله، موضحا أن بعض المنتحرين تركوا رسالة تؤكد ذلك، مضيفا أن طريقة انتحار الشخص ترجع إلى شخصيته إذا كان لديه عنف مع نفسه ومع الآخرين، قائلا: إن البعض يعلن عن انتحاره، أي يقصد به أنه وصل لنهاية طاقته في المواجهة، وهي رسالة استغاثة لمن حوله بأن ينظروا إليه وإلى مشاكله، وفي هذه الحالة هناك ضرورة لأن يتردد على طبيب نفسي لإيجاد حلول إلى مشاكله.

وشدد على ضرورة أن ينظر الشخص إلى نفسه نظرة رضا وسماحة وتفاؤل واعتزاز بالنفس، مطالبا الأسرة العربية بضرورة غرز التفاؤل والرضا وبناء النفس الصحي في نفوس الأبناء، بالإضافة إلى لغة الحوار والتفاهم بينهم.



د. محمد عطيه متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

اليأس قتال

يعد اليأس أحد أقصر الطرق الموصلة للانتحار إن لم تتدارك رحمة الله تعالى اليائس، فيبصر النور في نهاية النفق المظلم، وتتفتح آفاق نفسه وعقله لإدراك نعم الله عليه والشعور بقرب فرجه وإحسانه، ذلك أن اليأس قتال، ويحرم الانسان متع الحياة وإن كان يتقلب فيها، وما من إنسان إلا ويشعر بمقدار من الضيق لسبب ديني أو دنيوي، وقد يتطور ضيقه من الناس ومن الواقع إلى يأس من الحياة، وقد يتطور إلى رغبة في إنهاء الحياة.

تضيق الدنيا بالإنسان عندما تتكاثر الضغوط عليه أو ربما لهشاشة نفسه، فمن النفوس من تضطرب لأقل عارض، بل تتخيل المصائب وإن لم يكن لهذا الخيال نصيب من الواقع، وعلى ذلك فبناء الشخصية القوية يعد أحد أهم أهداف الأسرة والمجتمع والأمة.

وأخطر ألوان اليأس ذلك الذي يشعر به صاحبه في اللحظات الأولى لنزول البلاء به، إذ يتسرب إليه أنه لن يستطيع أن يواجه هذه المصيبة لعجزه ولضخامة ما يواجهه، هذا الشعور إذا تمكن من الإنسان ضعف عن المقاومة وخسر هذه المعركة في جولتها الأولى.

والحقيقة أن تقدير حجم المصائب راجع إلى النفس، فالنفوس العامرة بحسن الظن بالله تحسن التقدير وتدرك أن العجز لا يليق بمؤمن، وتتلألىء أمامها أنوار الوصية النبوية، قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»[١]، وتستغيث بما كان يستغيث به النبي ﷺ الذي كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل»[٢].

وإذا كان الخروج من ضيق اليأس وظلمته إلى سعة الرجاء ونوره هو واجب مشترك بين الفرد والأسرة والمجتمع، فما نصيبهم من ذلك:

١- الفرد

أولا: معرفة طبيعة الدنيا:

الإنسان في هذه الدنيا في اختبار كبير هذه الحقيقة، أكدتها نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٧)، وعن أبي سعيد: أن رسول الله ﷺ قام خطيبا، فكان فيما قال: «إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون»[٣]، فإذا أدرك الإنسان أنه في ساحة اختبار كبرى، وأن بعض الاختبارات قد تكون ثقيلة على نفسه، وأن الاختبار لمدة معينة، وسينتهي عن نتائج يظهر بعضها في الدنيا وبعضها في الآخرة، حرص على تجاوز هذا الاختبار وتحقيق أعلى الدرجات، وسأل الله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

ثانيا: رؤية اللطف الإلهي:

اللطف الإلهي سابق على وجود الإنسان في الدنيا، فمن مظاهر ذلك حفظه في بطن أمه وهو جنين، فمهما اصطدمت الأم بشيء فإن السياج الذي حماه الله به يقيه من هذا الاصطدام بلطف اللطيف سبحانه، وتأمل كيف دبر للإنسان وهو جنين في بطن أمه التغذية بواسطة الحبل السري إلى أن تتم الولادة؟، وبعدها تنتقل التغذية من السرة إلى الفم، وتأمل كيف يلهم الله الطفل أن يتجه إلى ثدي أمه ولو في ظلام الليل من غير أن يعلمه أحد أو يشاهد أحدا يصنع ذلك؟ إنه لطف اللطيف سبحانه، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. فإذا كان اللطف الإلهي مصاحبا للإنسان قبل أن يعتني بنفسه وقبل أن يعتني به أحد، فكيف يتركه الله تعالى دون لطف وإحسان؟! ولو حدث ذلك لهلك المخلوق وتلف.

ثالثا: الصبر الإيجابي:

الصبر أحد مؤهلات النجاح في الدنيا والآخرة، فما من عمل يمكن أن يتم دون صبر على إنجازه وتحقيقه، ومن الناس من حازوا نصيبا كبيرا من الصبر، يتحملون آلاما ضخمة يعجز عنها كثير من المحيطين بهم، هؤلاء خطوا خطوات في طريق الصبر الطويل واستعملوا أدواته واستعانوا بالله عز وجل قبل ذلك، لقد صبر هؤلاء أنفسهم، فجزاهم الله تعالى أن من عليهم بنعمة الصبر، قال النبي ﷺ: «ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر»[٤].

رابعا: العمل الجاد:

يدرك المسلم أبعاد الأزمة التي تحيط به ويستعين بالله تعالى على معرفة كيفية التخلص منها وينظر ما هي الأدوات التي تساعده على الخروج من هذا المأزق؟ ما الذي يملكه من هذه الأدوات، وما الذي لا يملكه؟ مَن مِن الناس مستعد لمد يد العون؟ ما هو أقصر الطرق للخروج من هذه المشكلة؟ ثم ينطلق ويتخذ خطواته الأولى ويثابر ويصابر من يحبطه ويدعوه للاستلام، ينظر إلى الجهد الذي يبذله وينظر إلى الثمرة الحلوة التي يريد أن يقطفها فتهون عليه الصعاب.

خامسا: استشعار معية الله تعالى:

ما من إنسان إلا وتواجه العوائق، فإذا استطاع التغلب عليها وجعل منها درجات يصعد عليها إلى المجد، كان ذلك إعلانا أن قدرته أكبر من العوائق، وإذا كان العائق أقوى منه واستسلم أمام هذه القوة التي قهرته خطى بذلك أولى الخطوات نحو الهزيمة، إن لم يستجمع نفسه ويطلب المعونة من الله تعالى، فمهما كانت الهموم كبيرة فنحن نقول في كل ركعة: «الله أكبر»، وعندما خاف موسى وهارون من فرعون وحق

لهما أن يخافا بطشه قال الله تعالى لهما: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ (طه: ٤٦)، وربنا تبارك وتعالى علمنا أنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وكم من ضيق شديد تعرض له بنو آدم ثم نجاهم الله منه؟! نجد ذلك عندما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار، وعندما ألقي يوسف عليه السلام في قعر البئر، وعندما التقم الحوت يونس عليه السلام.

سادسا: التعوذ من الضيق ومما يسببه، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كنت أسمع النبي ﷺ يكثر أن يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال»(٥)

٢- الأسرة

تقديم الدعم النفسي:

تفرض طبيعة الأسرة على أفرادها التواصل المستمر الذي يجعل كل فرد منها -صغيرا أو كبير- على معرفة بأحوال بقية أفراد الأسرة، خبيرا بطبائعهم، مدركا لما يحزنهم ويفرحهم وإن حاولوا إخفائه عن الآخرين، هذه المعرفة وتلك الخبرة ترتب واجب آخر هو إحساس كل مكروب أن بجانبه من يعينه ويحميه ويستمع له ويفكر معه ويشعر بآلامه وآماله.

إن تقاسم الهموم يخففها ويعطي قوة على مواجهتها، كما أن الشعور بالوحدة - وإن كان الإنسان ينتمي لأسرة كبيرة في عدد أفرادها - شعور مرهق للنفس، جالب لمشاعر الأسى، معجل باليأس، وإذا تمكنت هذه المشاعر من نفسه دون أن ينتبه له أحد أو ينتشله من أعماق الوحدة واليأس، بدأت الأفكار السوداوية تغزو عقله وقلبه.

٣- المجتمع

أولا: الشعور بهموم الآخرين: ضرب النبي ﷺ مثلا لما يجب أن يكون عليه المجتمع المؤمن فقال: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٦)، والمطلوب من كل مؤمن ليس الشعور فقط، بل السهر والحمى بما يعنيانه من اطلاع عن قرب على مجريات الأحداث وتقديم المعونة، إن المؤمنين كالجسد الواحد يدرك بعضه ما ألم ببعض تسري فيه روح العافية فينشط وينطلق للخير والبناء والتعمير وإقامة الحق والعدل ويصيب بعضه الألم فيسارع بقية الأعضاء إلى إمداده بما يذهب هذا الألم من دعم مادي ومعنوي هذا الترابط هو سر نجاح المؤمنين هذا الترابط ليس ضرورة بشرية وحاجة إنسانية بل هو فريضة شرعية كلما وهت الصلات بين المؤمنين كلما كانوا أسرع إلى الهلاك وأقرب إلى أن ينال منهم المرض والعدو.

ثانيا: التواصي بالصبر: وصف الله تعالى المفلحين بقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ (العصر:١-٣)، تواصوا بالصبر في أشد الساعات كربا وفي أحرج اللحظات تجد من يحسنون الظن بالله تعالى ومن يوقنون بقرب فرجه سبحانه ومن ينشرون مشاعر الثقة بالله واليقين بما عنده من خير ومن يحثون الآخرين على الصبر ويبينون لهم حسن عاقبته في الدنيا والآخرة.

ودور المؤمن في مجتمعه أن يكون بثباته وحسن يقينه إماما في الصبر يراه الناس فيسلكون سبيله ويقتدون به، وكلما حل في مكان أشاع فيه الطمأنينة.

التواصي بالصبر أحد مفردات الدعم الذي يجب على المجتمع أن يقدمه لكل مكروب بالإضافة إلى الدعم المالي والدعم الفكري الذي يقدم صاحبه فكرة تمكن المكروب من تجاوز أزمته.

إذا قام الإنسان بواجبه نحو نفسه، وقامت الأسرة بواجبها نحو أفرادها المحزونين، وقام المجتمع بواجبه نحو أبنائه المكروبين، استطاع الجميع تجاوز الأزمة، وسلمت لنا أنفس يمكن أن نعيد إلى ووجوهها البسمة، وإلى قلوبها حسن الرجاء في الله تعالى، وإلى سواعدها الطاقة التي تساعد بها في نفع العباد والبلاد.

الهوامش

١- صحيح مسلم
٢- صحيح البخاري
٣- سنن ابن ماجه قال الشيخ الأرناؤوط حديث صحيح
٤- الصحيحين
٥- صحيح البخاري
٦- صحيح مسلم

سالم حمد القحطاني
إمام وخطيب الأوقاف والشؤون الإسلامية



ليلة أرق المقداد رضي الله عنه

في ليلة من ليالي السيرة العطرة، ظهر موقف عجيب لأحد الصحابة الكرام، رضي الله عنهم، مع النبي ﷺ.

موقف جمع بين مشاعر الحزن والفرح، وظهرت فيه بشرية الصحابة في إمكانية ورود الخطأ منهم لكن مع المسابقة في استدراكه، بل وإتباعه بالحسنة، يحدث عن هذا صاحب الموقف نفسه الصحابي الجليل المقداد بن الأسود، كما جاء في صحيح مسلم فيقول: «أقبلت أنا وصاحبان لي وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله فليس أحد منهم يقبلنا، فأتينا النبي ﷺ فانطلق بنا إلى أهله فإذا ثلاثة أعنز -جمع ماعز- فقال النبي ﷺ: (احتلبوا هذا اللبن بيننا). قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه، ونرفع للنبي ﷺ نصيبه. قال: فيجيء من الليل، أي النبي ﷺ، فيسلم تسليما لا يوقظ نائما ويسمع اليقظان. قال: ثم يأتي المسجد فيصلي، ثم يأتي شرابه فيشرب، فأتاني الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبي فقال: محمد ﷺ يأتي الأنصار فيتحفونه ويصيب عندهم، ما به حاجة إلى هذه الجرعة، فأتيتها فشربتها، فلما أن وغلت في بطني -أي استقرت- وعلمت أنه ليس إليها سبيل، قال: ندمني الشيطان فقال: ويحك ما صنعت؟ أشربت شراب محمد؟ فيجيء فلا يجده فيدعو عليك، فتهلك، فتذهب دنياك، وآخرتك، وعلي شملة إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي، وجعل لا يجيئني النوم، وأما صاحباي فناما، ولم يصنعا ما صنعت.

قال: فجاء النبي ﷺ فسلم كما كان يسلم، ثم أتى المسجد فصلى، ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئا، فرفع رأسه إلى السماء، فقلت: الآن يدعو علي فأهلك، فقال: (اللهم أطعم من أطعمني، واسق من أسقاني)، قال فعمدت إلى الشملة فشددتها علي، وأخذت الشفرة، فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن فأذبحها لرسول الله، فإذا هي حافلة -أي مملوءة بالحليب على غير العادة- وإذا هن حفل كلهن، فعمدت إلى إناء.. فحلبت فيه حتى علته رغوة، فجئت إلى رسول الله فقال: (أشربتم شرابكم الليلة)، قال: قلت: يا رسول الله، اشرب، فشرب، ثم ناولني، فقلت: يا رسول الله اشرب، فشرب ثم ناولني، فلما عرفت أن النبي قد روي، وأصبت دعوته، ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض، فقال النبي: (إحدى سوآتك يا مقداد) أي إن هناك أمرا يستنكر قد فعلته يا مقداد. قلت:

يا رسول الله، كان من أمري كذا وكذا. فقال النبي ﷺ: (إنما هذه رحمة من الله)»، إشارة إلى المعجزة بكون الماعز حافلة على غير عادتها، وكونها تحلب مرتين في اليوم.

إن هذه القصة العجيبة للصحابي الجليل المقداد بن الأسود رضي الله عنه تعطينا مجموعة من الفوائد الفريدة، وتتجلى فيها قيم عظيمة؛ ظهرت في عدة جوانب، ففي جانبها الأول رحمة النبي ﷺ بأصحابه، والسعي نحو إطعام جائعهم وسقي الظمآن منهم وسد حاجاتهم، بل وحتى الرأفة بهم والعفو عن مخطئهم، والصفح عن المسيء منهم، وصدق الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨).

أما الجانب الثاني فنراه في سلوك الصحابي الجليل المقداد، بداية من تقصيره في شأن اللبن، وتقلبه تلك الليلة على الفراش، إذ لم يهدأ له بال، ولم يطمئن له حال، بسبب الشعور بالذنب وحصول التقصير تجاه أمانته في حفظ نصيب النبي ﷺ من اللبن. ولا شك أن هذا الشعور علامة واضحة للإيمان القوي الراسخ في قلبه، كما يدل لذلك الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه الذي يقول فيه: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا».

ثم استدراكه ذلك الخطأ بمحاولته أن يذبح ماعزا تعويضا لما فات من حق النبي ﷺ، لكن الله أكرمه بحصول معجزة للنبي ﷺ لم يكن يتخيلها، إذ وجد الماعز قد امتلأت ضروعها من الحليب، على غير عادتها، فالعادة أنها إذا حلبت لم تمتلئ إلا بمضي يوم كامل، لكنها رحمة من الله كما جاء في رد النبي ﷺ.

أما الجانب الثالث، فهو الحوار الذي ذكره الصحابي الجليل والذي دار بينه وبين الشيطان، إذ حري بنا أن نقف عنده ونتأمله، وهو حوار ذو شقين: الأول عندما شجعه على شرب نصيب النبي ﷺ، وزين له الخطأ، وهذه الوسيلة الشيطانية الأولى، وهي التي بين الشيطان بنفسه معالمها، حيث قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر:٣٩)؛ أي: أحبب إليهم المعاصي، وأرغبهم فيها، وأزعجهم إليها إزعاجا، وهذا التزيين من الشيطان يجعل الإنسان يفعل العمل السيئ، فيظنه حسنا: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ (فاطر:٨).

وهذه فتنة عظيمة لبني آدم ما لم يتم ردها بالاستعانة بالله تعالى أن يزين للعبد الحق والصواب، ويحبب له الخير، ويكره له الشر؛ حتى يكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات:٧).

أما الشق الثاني من حوار الشيطان فكان ظاهرا في قول الصحابي: «ندمني الشيطان، فقال: ويحك ما صنعت؟ أشربت شراب محمد؟ فيجيء فلا يجده فيدعو عليك، فتهلك، فتذهب دنياك، وآخرتك».

إن هذه هي الوسيلة الشيطانية الثانية في قصة المقداد رضي الله عنه، تعكس خبث الشيطان في غوايته للإنسان، فإنه يبدأ بتزيين المعصية، ثم هو نفسه يندم الإنسان على المعصية إذا وقع فيها.

كما تؤكد استغلال الشيطان لكل حالة يكون فيها الإنسان، ويؤجج وساوسه ليصير الإنسان حزينا آيسا من رحمة الله.

وقد جاء هذا الأمر في الحديث الصحيح الذي قال فيه ﷺ: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك ودين آباء أبيك؟ فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول؟ فعصاه فهاجر، ثم قعد له في طريق الجهاد، فقال: تجاهد، فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة ويقسم المال؟ فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك، كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته، كان حقا على الله أن يدخله الجنة» (السلسلة الصحيحة، ٩٢٧٩).

وفي قصة المقداد رضي الله عنه التي بين أيدينا تأكيد هذا السعي الحثيث من الشيطان الرجيم لغواية الإنسان في جميع أحواله.

كما ثبت عند مسلم من قوله ﷺ: «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه».

لكن المقداد رضي الله عنه لم يستجب للوسواس الثاني، بل بادر بالسعي للتكفير عن الخطأ، والعمل على تعويض النبي ﷺ، فلما علم الله هذا منه سخر له معجزة ترضي ضميره، ويتحقق فيه دعاء النبي ﷺ: «اللهم أطعم من أطعمني، واسق من أسقاني».

حينها فرح المقداد رضي الله عنه فرحا شديدا، حتى إنه لسقط على الأرض من شدة الضحك والسرور، وانزاح عنه هم الموقف الذي كان فيه والذي سبب له الأرق، وجعله يتقلب في فراشه لا يأتيه النوم.

وهكذا هو المؤمن يفرح بفضل الله عليه، ورحمته، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس:٥٨).

كما أنه في حياته يجتهد ما استطاع أن يتخذ الشيطان عدوا، وألا يستجيب لوساوسه حتى لا يقع في الخطيئة، والندم.



د. آندي حجازي
علم النفس التربوي

تسع صور لتكريم الله تعالى للبشر

لقد كرم الله تعالى الإنسان بصور وطرق كثيرة لا تعد ولا تحصى، وتجعل الإنسان يعجز شكرا أمام نعم الله تعالى ومواهبه وعطاياه اللامنتهية للبشر، ومن أعظم تكريمه تعالى للإنسان أن خلق له العقل البشري، وأعطى لهذا العقل قدرات هائلة على التفكير والإنتاج والإبداع والتحليل والتخيل والاكتشاف والتفكر والتأمل والتمييز والتعلم، ما جعله يتطور ويتقدم وينتج ويخترع ويتقدم في عالمه. فلولا ما وهب الله تعالى للإنسان من تلك الميزات لما وصل الإنسان إلى ما وصل إليه اليوم من التقدم والعلم والمعلومات، فهي من تكريم الله للبشر بما أعطاهم من مواهب عقلية وإمكانات، والحمد لله الوهاب العظيم.

العقل البشري وإمكاناته

وأيضا من تكريم الله للإنسان أن الله أعطى العقل البشري القدرة على الاختيار والتمييز بين الحق والباطل، وبين الصحيح والخاطئ، وبين ما فيه مصلحته الدنيوية والأخروية، وبناء على هذه القدرة سيتم محاسبته يوم القيامة على أفعاله وأقواله، فالله تعالى كرم الإنسان وجعله مخيرا حرا في اختياره وأفعاله وأقواله وسلوكاته وانفعالاته وعواطفه ومواقفه كامل الحرية، وإلا فلن يكون من العدل محاسبته على أفعاله إن لم تكن له حرية الاختيار.

وقد يدعي من يسيئون التصرف في أفعالهم أو لا يؤمنون بالله أنهم أحرار في سلوكاتهم ومعتقداتهم وإن خالفت الدين والعرف، فنقول لهم: نعم، أنتم أحرار، أي خلق الله لكم حرية الاختيار لسلوكاتكم وتفكيركم وأقوالكم، وهي ما سيحاسبكم عليه الله تعالى بناء على أنكم بالفعل أحرار في الاختيار، فالحرية سلاح ذو حدين، إما لك وإما عليك، قال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ (سورة الشمس: ٧-١٠).

اللغة والقدرة على الكلام والتعلم

ومن عظيم تكريم الله تعالى للإنسان أن وهبه القدرة على الكلام، بل وأعطاه القدرة على فهم اللغات وتعلمها من أجل التواصل اليسير بين البشر، وقد اخترع الإنسان مئات بل آلاف اللغات، وهذا من الإعجاز الخلقي من الله تعالى للإنسان، أن أعطاه تلك القدرة الهائلة على تعلم اللغة بكل تفاصيلها، بل وتعلم لغات عديدة، وأن يعبر عن نفسه عن طريق الكلام، وهذه القدرة أفادت بني البشر في تواصلهم الحياتي مع بعضهم البعض على مر العصور، وأفادتهم في حل الكثير من مشاكلهم وفي فض نزاعاتهم وخلافاتهم، وأفادت الأنبياء والرسل بإيصال ما



يريدون من رسائل سماوية إلى بني البشر وإلى أبناء جلدتهم.
وأعطى الله الخالق القدرة للإنسان على تعلم اللغة منذ الصغر وتعلم عدة لغات دون الخلط بينها، فسبحان الخالق المبدع! قال عز وجل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (سورة الروم: ٢٢).
ومن تكريم الله للإنسان أن أعطاه القدرة على التعلم والتعليم، وهو قادر على اكتساب المعارف وتداولها وتخزينها في ذاكرته واستعادتها عند الحاجة، بل والبناء عليها وعلى معارفه من أجل إنتاج علم جديد ومعلومات مفيدة تفيد البشرية جمعاء.
ومن أجل ذلك بنيت المدارس والجامعات والمكتبات ودور العلم المختلفة والتي انتشرت على مر الزمن، مفيدة له صالحة لحاله، وتنقل العلم من جيل إلى آخر ليتعلمه ويسهل أمور حياته وليحسن فيه، بل ومنح الله تعالى الإنسان القدرة على التربية للأبناء والتوجيه والإرشاد والتعليم والتصويب للأخطاء، ما لم يكن لغيره من المخلوقات.

جمال الخلقة البشرية

ومن جمال التكريم الله العظيم للإنسان أن خلقه بأجمل صورة، وجعله يمشي على رجلين، لا على أربع ولا على بطنه ككثير من مخلوقاته، بل جعل الإنسان شامخا عزيزا، مرفوع الجبهة، منتصب القامة، مشرفا مكرما على سائر المخلوقات الأرضية، وخلقه بصورة جميلة حسنة محببة للنفس، وجعل له الرأس في مكانه والعينين والأذنين والفم والأيدي والأرجل، فجعله في أجمل رسم وخلقة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين:٤). وقيل في تفسير الآية أنه ليس شيء من الحيوان إلا وهو منكب على وجهه غير الإنسان قائم.

تسخير الكون والكرة الأرضية للإنسان

ومن رحمة الله تعالى في خلقه أن جعل له القدرة على العلاج واختراع الأدوية المناسبة له من أجل العلاج والاستشفاء، ولم يجعل تلك القدرة لأحد من المخلوقات غير بني البشر، علينا نحمد الله تعالى هذه النعم التي تعمل استقرارا للإنسان وطمأنينة.
ومن جميل تكريم الله تعالى للإنسان أن سخر له الكون والكرة الأرضية للعيش الميسر عليها، فسخر له الأرض بكل مقدراتها، فسخر له الجبال والنباتات والطيور ليأكلها، والأنعام ليركبها ويستفيد منا، وسخر له البحار والأنهار وما تشملها، وسخر له النجوم ليهتدوا بها، وسخر الشمس والقمر والأفلاك في السماء، وهذا التكريم لم يعطه الله تعالى لغير بني البشر، فباقي مخلوقاته لم تعط مثل هذه المسخرات، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (سورة الإسراء:٧٠)

التنقل في الأرض وخارجها

ومن روعة التكريم أن الله كرم بني البشر، بأن رزقهم وسائل النقل والانتقال داخل المدن وبين البلدان والقارات وخارج حدود الأرض والسفر في الجو والبحر والفضاء، فسخر له الدواب والطائرات والسفن والقوارب والقطارات والسيارات والعربات والمركبات الفضائية والصواريخ الاستكشافية التي تكتشف الفضاء وغيرها. وجعل تلك الوسائل آمنة في البر والبحر فحملهم عليها -بقدرة الله تعالى- دون أن يغرقوا، أو أن تسقط بهم الطائرات إلا إن قدر الله تعالى ذلك.

الطيبات من الرزق

ومن تكريم الله الخالق للبشر كما قال في الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (سورة الإسراء:٧٠) أن رزقهم من الطيبات، وهي تشمل شتى أنواع المأكل والمشرب والملبس والأثاث والمراكب ورفاهية العيش، فرزق الله تعالى الإنسان أصنافا كثيرة من النباتات والمأكولات والمشروبات والأطعمة والحلوى وأدوات العيش وغيرها، ما يجعل الإنسان يجد المتعة والفائدة في شتى أنواع الطعام اللذيذ، والحمد لله تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.
ومن مظاهر تكريم الله تعالى للبشر أن وهب للإنسان الملبس والملابس الجميلة الحسنة التي تستر سوأته، وتجعله مكرما مميزا عن سائر الكائنات كالحيوانات التي لا ترتدي شيئا من الملابس، فهذه من تكريم الله تعالى للإنسان.
ولكن للإسف إن الكثير من الناس في هذا العالم لا يقدر هذه النعمة، ويخرج إلى الناس في ملابس غير ساترة، بل فاضحة تكشف العورات وتشف وتصف ما وراءها، والله تعالى قال: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ

﴿وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٢٦) فاللباس هو بشتى أنواعه الساتر للعورات، وريشا تدل على اللباس الفاره الفاخر، ولكن الله تعالى يؤكد على التكريم من خلال لباس التقوى وهو اللباس الواسع الطويل الساتر كلباس الملوك والملكات القديرات في الأزمان السابقة، بل هو كلباس أهل الجنة ساترا من سندس وإستبرق وغيرها، فاللباس الجميل هو من النعيم في الجنة.

القدرة على بناء الأبنية وتنوعها

ومن التكريم الجميل للإنسان أن أعطاه القدرة على بناء البيوت والمساكن والعمارات والأبنية والأبراج والمساجد والمستشفيات والأسواق والمدارس.. وبأشكال مختلفة وتنوع هائل لا يحصى، وسخر له في باطن الأرض المواد التي يحتاجها لبناء بيوت جميلة مزخرفة، تسعده في عيشه وتميزه عن سائر مخلوقاته، فباقي الكائنات المختلفة وإن كانت تبني بيوتها، ولكنها تبنيها بنفس الطريقة، سبحان الله! فتبنيها بغريزتها، فترى مثلا جميع أعشاش الطيور ذات شكل واحد، وترى حفر الحيوانات في الأرض بنفس الطابع، وهكذا، أما الإنسان فهو الوحيد الكائن القادر على بناء أبنية جميلة وعظيمة ومتنوعة وبمساحات وأشكال وغايات مختلفة، بل وبناء الطرق والجسور والأنفاق وغيرها، فضلا من الله تعالى ومنة.

العبادة الطوعية للخالق وتذوق حلاوتها

ومن أعظم التكريم الإلهي لبني البشر أن جعلهم مكلفين ورزقهم الطاقة الاختيارية والفطرية على العبادة، ورزقهم القدرة على العمل الصالح وبطواعية، وليس إكراها لهم، فجميع المخلوقات تعبد الله وتسبحه، ولكنها قد لا تشعر بجمال تلك العبادة أو أهميتها أو عظمتها أو راحتها النفسية، بل هي مجرد خضوع للخالق العظيم، أما نحن البشر فجعل الله الإنسان العابد يستمتع بعبادته وبقربه من الله تعالى، يتذوق طعم الذكر وحلاوة التسبيح وتلاوة القرآن الكريم وباختياره، بل وأنزل له الكتب السماوية المرشدة له الهادية للطريق القويم، فالحمد لله أن كرمنا بني البشر بعبادته طواعية واختيارا لا قصرا وإجبارا؛ ما يجعلنا نذوق جمال القرب منه تعالى وحلاوة الصلة به، بل ورزقنا القدرة على التراجع عن الخطأ والتوبة والاستغفار، والقدرة على الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى، ورزقنا استجابة الدعاء، ففضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا، والحمد لله رب العالمين.

الجنة ونعيمها

ومن أجمل وأعظم ما كرم الله تعالى به بني الإنسان والمؤمن بخالقه وبرسله وبأركان الإيمان والتوحيد لله تعالى والقائم بحقوقها، هو الجنة ونعيمها والخلود بها مكافأة للإنسان المؤمن الطائع لله على عمله في الدنيا وصبره على الابتلاءات وضنك العيش وصعوبته، وصبرا على طاعة ربه وأوامره، فالجنة تكريم من الله تعالى لبني البشر لم تحظى به الكثير من المخلوقات سوى الجن. فاللهم ارزقنا الفردوس الأعلى ورؤية وجهه الكريم التي هي أعظم تكريم لبني البشر يوم القيامة، اللهم اجعلنا منهم وممن يرزقون الحسنى وزيادة.



عايد الجاسم
صحافي وباحث

الخلقة الحسنة..
من مظاهر تكريم الإنسان

لا تعد ولا تحصى نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان. ويكفي أن ينظر كل شخص إلى نفسه ليعرف نعم الله تعالى عليه. ليس فقط لأنه خلقه في أحسن صورة، ولكن لأنه سخر الكون كله لخدمته وتحقيق سعادته.

وعندما يشاهد الإنسان نفسه ويطلع على صورته يدرك مقدار ما أنعم الله عليه من أفضال ونعم. وليس خلق الإنسان بهذه الصورة الحسنة إلا تكريم من الله تعالى للبشر.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين: ٤).

وليس فقط الشكل الجميل والخلق الحسن هو ما منحه الله تعالى للإنسان، إنما أيضا أكرمه بالعقل والنطق والإدراك، وميزه عن كثير من خلقه بهذه النعم، كما أكرم الله تعالى الإنسان بالصفات الحسنة الكثيرة والأخلاق النبيلة، والعديد من المميزات التي جعلت له هذه المكانة في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (سورة الإسراء: ٧٠).

لكن الله تعالى لم يخلق الإنسان عبثا، ولم يكرمه ويفضله على الكثير من المخلوقات ويسخر له ما في البحر والبر، ويرزقه من الطيبات والأنعام من دون أن يقوم بواجبات خلقه.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾. (المؤمنون:١١٥-١١٦).

عندما كرم الله تعالى الإنسان وخلقه بهذه الصورة الحسنة ومكنه في الأرض وميزه بالعقل والإدراك وفضله على باقي المخلوقات، ليس ليأكل ويشرب ويتناسل كالبهائم، إنما ليعمر الأرض ويعبد الله تعالى، ويشكره على تكريمه ونعمه الكثيرة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

ولم يكن خلق الله تعالى للبشر لحاجته لهم إلى عبادته، لكنه لأنه جلت قدرته يحب من عباده أن يعبدوه ويدعوه ويطيعوه، ونفع هذه العبادة عائد للبشر أنفسهم.

ويجب على الإنسان أمام هذا التفضيل والتكريم الرباني أن لا يحيد عن الغاية التي من أجلها خلق، ويعمل على التقرب إلى الله تعالى بالعبادات والطاعات والأعمال الصالحة ويبتعد عن المعاصي والشهوات وما يغضب الله من قول أو فعل لينال ثواب الدنيا والآخرة.



شيماء لطفي
باحثة تربوية

تكريم الإسلام للإنسان.. المرأة نموذجا

جاء الإسلام والمجتمع الجاهلي يأكل بعضه بعضا وتنقض أواصره عروة تلو أخرى، فلا حق لضعيف ولا كرامة له، فهو مجتمع منقسم إلى طبقات: طبقة السادة وطبقة العبيد. والسادة منقسمون فيما بينهم؛ فليس بنو فلان كبني فلان، وليس الرجل كالمرأة، فأراد الإسلام أن يحرر العقول والأفهام من خطورة هذه الممارسات الخاطئة فدعا إلى الوحدة والمساواة وتحقيق العدل بين الناس جميعا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ (الحجرات:١٣)، وقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى» (أخرجه أحمد).

وكانت الحلقة الأضعف في هذا المجتمع هي المرأة، التي كانت تنتهك حرمتها ويعبث بحقوقها من أقرب الناس إليها، فالمرأة -عند كثير من الجاهليين- لا رأي لها ولا حق لها ولا ميراث لها، وحين تولد البنت فبمجرد سماع خبر ولادتها تنقلب الحياة عند أبيها إلى كابوس مزعج وخطب مدلهم يسود له وجهه وينوء كاهله بحمله ويتوارى عن الأعين مخافة الفضيحة، ويضع نفسه بين خيارين: أن يتركها تعيش ويتحمل الذل والهوان ونظرة الانتقاص من المجتمع الجائر، أو يدفنها حية ويتخلص منها، ويصور القرآن هذا المشهد أبلغ تصوير، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٥٩﴾ (النحل:٥٨-٥٩)، فغيّر الإسلام هذه النظرة وجعل البنت والولد على قدم المساواة، بل حبب في البنات وجعل الإحسان إليهن ورعايتهن وتربيتهن بابا من أبواب الجنة، قال ﷺ: «من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين (وأشار بأصبعيه)» (الترمذي).

وإذا كبرت البنت وحان وقت زواجها لم يكن لها من الأمر شيء ولا رأي ولا حتى استشارة، فجعل الإسلام رأيها معتبرا وحقها في اختيار زوجها محفوظا، فعن عائشة، رضي الله عنها، أن النبي ﷺ: «البكر تستأذن». قلت: إن البكر تستحيي. قال: «إذنها صماتها» (البخاري). وعن عبدالله بن عباس أن النبي ﷺ قال: «الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر يستأذنها أبوها في نفسها، وإذنها صماتها، (وربما قال: وصمتها إقرارها)» (مسلم).

بل تعدى الأمر ذلك أن جعل لها حق نقض عقد زواجها إذا أبرمه وليها بغير إذنها، فعن عائشة، رضي الله عنها، أن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته وأنا كارهة، قالت: اجلسي حتى يأتي النبي ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها. فقالت: يا



رسول الله، قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء» (النسائي).

وكان من عادات الجاهلية أن الرجل إذا مات فلا حق لبناته ولا زوجاته في ميراثه بل هو حق خالص للذكور، بل كانت تورث كما يورث متاع البيت، وكان مشروعا عندهم الزواج عن طريق الميراث على نطاق واسع في الجزيرة العربية، فعندما يتوفى رجل، يرث ابنه جميع زوجاته باستثناء أمه، وفي مثل هذه الحالة، يكون الابن لديه العديد من الخيارات المختلفة، فيستطيع أن يبقيهن كزوجات له، ويتم ترتيب الزواج بالشراء للزوجات اللواتي يريد أن يبقيهن له ليعطيهن المهر، أو أنه يمكن أن ينفصل عنهن، وفي جميع الحالات، كما هو الحال في غالبية عادات الزواج في ذلك الوقت، كانت للمرأة حقوق قليلة أو معدومة، وكانت تجبر على اتباع الأوامر أو اتباع وريثها، إذا مات الرجل وله زوجة وأولاد من غيرها كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره، فهو يعتبرها إرثا كبقية أموال أبيه، فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: «كان الرجل إذا مات أبوه أو حموه فهو أحق بامرأته، إن شاء أمسكها، أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها، أو تموت فيذهب بمالها» (رواه أبو داود)، فجاء الإسلام ليرفع من كرامة المرأة ويجعلها صنوا للرجل وشريكا له، فأوصى بالمرأة وجعل لها حقها، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ (النساء:١١)، وليس الإسلام في هذا متحيزا إلى الرجل على حساب المرأة وإنما معيار الميراث وفلسفته يرجعان إلى درجة القرابة وموقع الجيل الوارث، فإذا اتحدت درجة القرابة وموقع الجيل الوارث زاد الذكر على الأنثى باعتبار الأعباء المالية التي يتحملها بمقتضى قوامة الرجل على المرأة ومسؤوليته عنها، فليس الأمر إذن على إطلاقه، فالمرأة ترث مثل الرجل أو أكثر من الرجل أو ترث ولا يرث الرجل في أكثر من ثلاثين حالة، ولا ترث نصف الرجل إلا في أربع حالات فقط[1].

هكذا أعطى الإسلام للمرأة حقوقها وأعاد لها كرامتها المسلوبة، مراعيا حالها من حيث كونها: أما، أو زوجة، أو بنتا، أو أختا، وأعلى من شأن المرأة وحفظ لها كرامتها، واحتفى بها أيما احتفاء، مسجلا سبقا في هذا المضمار على جميع الشرائع والقوانين الوضعية، التي ما زالت تتهم الإسلام بسوء المعاملة للمرأة، متناسية فضله وسبقه عليها جميعا.

الهوامش

١ - فلسفة الميراث في الإسلام، د. محمد عمارة.



عبد الله الظفيري
كاتب وباحث

الخلافة في الأرض..
أعظم تكريم إلهي للإنسان



تتبدى مظاهر تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان في صور ووجوه مختلفة، ليس السبب راجعًا أن الله تعالى خلق الانسان في أحسن تقويم وأجمل صورة، ولا لأنه سخر له ما في الارض ويسر له الأمور كلها، ولا لأنه متعه بالعقل والإدراك وجعله سيد المخلوقات، إنما السبب أن الله تعالى جعله خليفته في الأرض، وهذا من أعظم التكريم الإلهي لبني آدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣٠).

عندما خلق الله تعالى الإنسان وأوجده من العدم، منحه التكريم العظيم، بأن جعله خليفته في الأرض، وأنعم عليه بالعطايا والمنح والنعم العظيمة ليقوم بالدور الواجب عليه في هذه الدنيا، فكان الإنسان نوعا متفردا عن باقي الكائنات الأخرى، متميزا بالعقل والإدراك والروح، وهي من أهم الصفات التي ميزته عن غيره، ليقوم بعمارة الأرض وعبادة الله الواحد القهار لا يشرك به شيئا، خصوصا أن الكون كله سخره الله تعالى لخدمة ومصلحة الإنسان.

وجاء الاسلام ليعطي الإنسان حقوقه التي تضمن له أداء مهمته في الأرض وفق شرع الله، فصان عرضه وكرامته وحرم إيذائه وإهدار دمه وأمواله، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ (الإسراء:٣٣).

ولم يحرم الله تعالى الإيذاء الجسدي فقط، بل حرم أيضا الإيذاء المعنوي كالغيبة، والنميمة، لضمان حصوله على حياة كريمة وآمنة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ (الحجرات:١١).

ومنح الله تعالى الإنسان الحق في الحصول على حياة ومعيشة كريمة بما يتناسب مع قيمته في هذه الدنيا، كما حرم على الإنسان إيذاء نفسه أو تعمد إهلاكها، ولم يكفل الله له الاحترام والكرامة في حياته فقط، بل وبعد مماته، من خلال غسله وكفينه وعدم ذكر الموتى إلا بالخير.

وفي مقابل هذا التكريم والاهتمام الرباني في الإنسان، فإن الله تعالى جعل الإنسان محاسبا على تصرفاته، لأنه سبحانه لم يخلقه عبثا، كما أن على الإنسان واجبات عليه القيام بها، فقد أمره الله سبحانه وتعالى في السعي وعمارة الأرض وطلب العلم والتعلم وإعلاء كلمة الله وعدم الشرك به، وإقامة العدل وأداء الحقوق، قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٨). ودعا الله سبحانه وتعالى الإنسان الى التقرب إليه بالطاعات والعبادات والأعمال الصالحة.



خالد عبدالنعيم منصور
باحث دراسات إسلامية

ثقافة التمرد

تشير مفردة التمرد في المعاجم اللغوية إلى صورة من صور العصيان، و«تمرد عليه» أي: عصاه وعانده، متمسكا بموقفه مجاوزا الحد. والتمرد في علم الاجتماع يعرف بأنه الخروج على أعراف المجتمع والنظام العام.

وقد يطلق التمرد على فعل احتجاجي، فقد يتمرد المجتمع على نفسه، فيصوغ لحاضره قواعد جديدة تزيح القديمة وتبدل الأحكام.

ويعتبر التمرد من وجهة النظر السيكولوجية هو إحدى السمات الشخصية التي تظهر على سلوك الأطفال والمراهقين بشكل خاص، ويمكن أن يزيد الرفض من أجل السبب أو اللاسبب من قبل الأهل من زيادة تعمد الأطفال للتمرد، أو العكس.

ويتطور سلوك التمرد لدى المراهقين بشكل خاص فيأتي بما هو سلبي ويصبح بمنزلة ظاهرة سيئة جدا، ويمكن أن يكون البداية لحدوث كل ما هو إيجابي.

خصائص الفرد المتمرد

يفضل الشاب المتمرد أن يكون مستقلا، ويحب ألا يقال له: افعل كذا أو اترك كذا، بل يفضل أن يقوم هو بإعطاء الأوامر ويكره أن يكون مقيدا بأي شكل من الأشكال، وهو لا يحتاج إلى أن يكون الوضع إلى خطأ أو ممل أو حتى مثالي للتحول إلى خيار آخر، فهو يفعل ذلك لأنه يشعر بأنه يريد أن يفعل ذلك.

إيجابيات التمرد

المتمردون عادة ما يكونون لديهم حسن نية، إلى جانب كونهم عاطفيين وحساسين جدا، كما أنهم يتمتعون بصلابة وقوة إرادة. ولديهم إمكانات كبيرة لاستكشاف وقيادة الآخرين من خلال قنوات مجهولة، وحماس المتمردين جدير بالإعجاب، بصرف النظر عن صحة أو خطأ قضيتهم وعن اتفاقنا أو اختلافنا معهم.

إن التمرد لا يعني الانسلاخ عن ثوابت القول أو إنه مجرد اختلاف مع الآخر. التمرد فعل، والفعل ثقافة، والثقافة في أحد أوجهها سلوك اجتماعي، والتمرد لا يعني الفوضى، لأنها نتاج تخلف.. والتمرد لا يعني أن هناك هروبا من واقع أو احتجاجا على سكون أو صمت أو ضيم أو حزن.

إن التمرد الذي نحتاجه هو التمرد الثقافي الذي يفضي إلى حلول وليس إلى خراب مدمر. ومن أهم ظواهر التمرد على المجتمع، التمرد الفكري. حين يرى بعض الأفراد أن المجتمع لا يستطيع أن يتفهم المتغيرات الحديثة والتطور الفكري الجديد.

ونقول إنه يجب أن يسترعي التمرد اهتمام الوالدين، ولكي يطمئن الآباء، فإن تمرد الطفل ومعارضته دليلان على صحته النفسية والفكرية وتطور شخصيته وذكائه، فلا شك أن وجود طفل متمرد هو وضع خاص، يتطلب من الوالدين رعاية فائقة، وتأمين إطار سليم لرعاية تطور شخصية الطفل، ويفضل التركيز على إيجابيات الابن المتمرد قبل أي شيء آخر، أو أي خطأ يرتكبه.

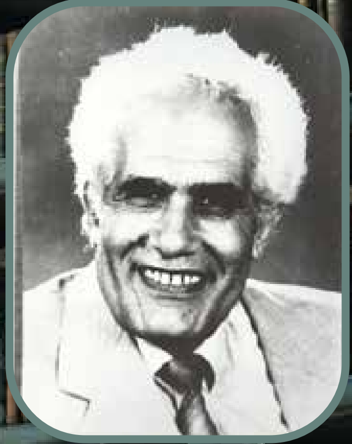
بل ويفضل أن يمنح الوالدان ابنهما المتمرد مساحة آمنة للتجريب والاختبار؛ لكي يبنيا خطة التعامل لاحقا على نتائجها وقدراته في مواجهة العقبات والمخاطر، ويعتمد الوالدان أسلوب الحوار ونقاش الابن فيما يفكر به ويطمح إليه، باحترام شديد لوجهة نظره وأحلامه، ومن دون توجيه أي نصائح في حينه، وينبغي أن يكون الوالدان أول من يعزز ثقة ابنهما بنفسه، وأول من يتقبله بعيوبه وأخطائه ومشاكله من دون أن يشعر بأنهما يتفضلان عليه بهذا الحب وهذا التقبل.

ويجب الاستماع لكل ما يفكر فيه الابن/ الابنة ويطمح إليه، وقضاء وقت طويل معه لفهم أسباب رفضه ما يعرض عليه وتمرده. والابتعاد عن الاتهامات والتوبيخ تماما وتجنب نعته بصفات سلبية تقلل من قيمة تفكيره وما يريد.



د. محمود صالح البيلي
دكتوراه في الأدب والنقد





من الأدباء العلماء

الدكتور أحمد مستجير والمزج بين العلم والأدب

كان الدكتور مستجير رحمه الله يتعجب في اللقاءات الصحفية والإذاعية، من إثارة أسئلة ترتبط بالعلاقة العكسية بين الخيال والعلم، وأسئلة أخرى يتخيل مثيروها أن ثمة علاقة من العداء بين الأدب والعلم، أو أنهما يسيران في اتجاهين متضادين! وفي التصدي لمثل هذه المغالطات كان مستجير يؤكد أن العالم لا بد له من خيال خصب؛ حتى يستطيع أن يقفز بخططه العلمية، وبرامجه البحثية، على صعوبات الواقع، ويتجاوزه إلى ما ينبغي أن يكون، من تحقيق ما كان يعد من قبيل الأحلام وأوهام الخيال، فالعالم الحقيقي لا بد له من حظ وافر من الخيال. وكان، في المقابل، يؤكد على أن الأديب لا بد له من قسط من الثقافة العلمية، بل والمنهجية العلمية، فهي من الأدوات التي تمكنه من إثراء رؤيته، وضبط إيقاعه؛ إذ لا مندوحة له من وجود نوع من التكامل المعرفي، الذي يثري التجربة الإنسانية، ويعمقها، ولا يتأتى ذلك إلا بالثقافة المتكاملة.

أحمد مستجير سيرة ومسيرة

ولد الدكتور أحمد مستجير في الأول من ديسمبر ١٩٣٤م بمحافظة الدقهلية، حصل على بكالوريوس العلوم الزراعية من كلية الزراعة جامعة القاهرة عام ١٩٥٤م، وعقب تخرجه عمل مهندسا زراعيا في أكتوبر من العام ذاته لمدة خمسة وخمسين يوما في عزبة الفؤادية، فكانت الكتب التي اصطحبها معه هي ملاذه الوحيد في هذا المكان الجديد، ولما لم يجد في هذا العمل ما يرضي طموحه العلمي والمعرفي، إضافة إلى ملابسات أخرى، لم يجد بدا من إنهائه، فعوضه الله عن هذه الوظيفة بأخرى هي أفضل منها، وأقدر على إرضاء فضوله العلمي؛ فعمل في المركز القومي للبحوث، وحصل على الماجستير في تربية الدواجن عام ١٩٥٨م، ثم عين معيدا بكلية الزراعة بجامعته التي تخرج فيها، ثم ابتعث إلى إنجلترا؛ ليحصل على دبلوم وراثة الحيوان بامتياز من جامعة «إدنبره» عام ١٩٦١م، فكانت المرة الأولى التي يحصل فيها باحث على

هذا التقدير الكبير من المعهد العلمي المرموق، ثم حصل على الدكتوراه من الجامعة نفسها سنة ١٩٦٣م، وبعد عودته إلى وطنه اشتغل بالتدريس في كليته التي تخرج فيها إلى أن أصبح عميدا لها عام ١٩٨٦م، ثم انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٩٤م، وفاز بجائزة الدولة التقديرية في العلوم الزراعية عام ١٩٩٦م، وجائزة مبارك (النيل حاليا) للعلوم عام ٢٠٠١م، وكان عضوا في العديد من الجمعيات واللجان العلمية والهيئات الدولية، وقد توفي بالنمسا عام ٢٠٠٦م[١].

ومن مؤلفاته العلمية: في بحور العلم، مقدمة في علم تربية الحيوان، دراسة في الانتخاب الوراثي في ماشية اللبن، التحسين الوراثي لحيوانات المزرعة.

ومن كتبه الأدبية: في بحور الشعر.. الأدلة الرقمية لبحور الشعر العربي، مدخل رياضي إلى عمود الشعر العربي، ديوان شعري نشر تحت عنوان: «عزف ناي قديم» عام ١٩٨٠م، ديوان شعري آخر بعنوان: «هل ترجع أسراب البط» نشر عام ١٩٨٩م.

ومن مترجماته: في مجال الفلسفة: ترجم لفيلسوف العلم كارل بوبر كتابه ذائع الصيت: «بحثا عن عالم أفضل». وفي مجال علم الوراثة: يترجم لأحد العلماء الذين اكتشفوا الـ دي إن إيه DNA وهو العالم واطسون صاحب كتاب: «اللولب المزدوج».

وفي مجال الفيزياء: يترجم كتاب العالم المشهور هوفمان المعنون: «قصة الكم المثيرة».

أما في مجال الأدب: فقد ترجم «أفكار تافهة لرجل كسول» و«ثلاثة رجال في قارب» للقصصي المعروف جيرم ك. جيروم[٢].

أسلوبه العلمي المتأدب

للدكتور مستجير أسلوب مميز جمع فيه بين العلم والأدب «فالوضوح، والبساطة، والوصول إلى الهدف من أقصر طريق مع المحافظة على جمال العبارة، واستهجان الإغراق في التعميمات المضللة، أو المصطلحات المقززة، والبعد عن استخدام الكليشيهات الجاهزة، أو التعبيرات اللغوية المستهلكة، كل هذه المميزات تحمل بالقطع سمات من ذات صاحبها وقسماته، وقد كانت هذه بعض سمات أسلوب أستاذنا الدكتور أحمد مستجير، هذا فضلا عما تتميز به عبارته أيضا من رشاقة، وقصر، وشاعرية موحية»[٣].

ولذا فقد «كتب مستجير كثيرا من المقالات؛ التي مزج فيها بين الأدب، والعلم، والفلسفة، مزجا متوازنا، له مذاقه الخاص الذي يستمرئه جيدا كل محب للمعرفة والثقافة، بمفهومها الواسع»[٤].

وعن تلك المقالات وعن صاحبها يقول أحد الباحثين: «يقدم مقالاته العلمية بأسلوب أدبي رفيع، يجعل القارئ في شوق إلى الإتيان على الموضوع كله، وهو يعتمد على التراث في كثير من مقالاته، مما يكشف عن أصالته، وموهبته الأدبية»[٥].

«إنهم يقتلعون الأشجار».. مثالا

وعلى سبيل الاستشهاد والتدليل على هذه الموهبة الفذة في تأديب العلم نعرض لمقال: «إنهم يقتلعون الأشجار»[٦] بشكل مجمل ليستبين لنا أسلوب الرجل في كتاباته العلمية المتأدبة والمنهج الذي ارتضاه لنفسه في هذا الميدان.

يتحدث الدكتور أحمد مستجير في هذا المقال عن ظاهرة اجتثاث الأشجار والنباتات؛ مستهلا مقاله بسرد قصة اقتلاع بضع شجرات كانت بإزاء منزله؛ ما أثر في نفسه أشد الأثر، مبديا دهشته لجرأة الإنسان على إزالة هذا الجمال؛ الذي يمنح البصر المتعة والراحة، ويسكب في النفس الهدوء والسكينة، داعيا البشرية أن تندب ملايين الأشجار التي تموت بفؤوسها التي لا ترحم.

ثم فصل في سرد مذابح الأشجار؛ التي يجتثها الإنسان كل عام من الغابات الاستوائية المطيرة؛ لغرض الزراعة، ولكنه يفشل في تحقيق بغيته؛ لأن الزراعة غير صالحة في هذه المناطق لاعتبارات بيئية، فضلا عن أنه لم يعد قادرا على أن يعيد ما أفسدت يداه؛ فقد حطم بتحطيم الغابات ثروة بيولوجية: من نباتات، وحيوانات، وكائنات دقيقة، وبات في استنزاف هذه الأنواع تهديد لبقاء الإنسان ذاته.

ثم تناول الكاتب مشاكل البيئة التي عدها صنفين: أولهما: تغير في البيئة المادية تتحول به إلى حالة غير ملائمة للحياة، والثاني: تناقص التنوع البيولوجي، وذهب إلى أن هذا الصنف لا يمكن إصلاحه، بخلاف الأول الذي يمكن إصلاحه إلى حد كبير، وذهب إلى أن الدول تعد ثرواتها ثلاثا: المادية، والثقافية، ثم البيولوجية، التي رآها لا تؤخذ بمأخذ الجد، ودلل على زعمه بالعجلة الحالية لتناقص الأنواع؛ فالأرض ستفقد خمس ما تحمله من أنواع في ظرف ربع قرن.

ثم ذكر إحصاء لعدد الكائنات الحية؛ فكان تقدير العلماء لها بنحو ١,٤ مليون نوع من النباتات، والحيوانات، والكائنات الدقيقة، مشيرا إلى أن التنوع الهائل في الحشرات، والنباتات الزهرية ليس مجرد صدفة؛ فالمملكتان مرتبطتان ارتباطا وثيقا، ثم أوضح النتائج المترتبة على اختفاء الحشرات من على ظهر الأرض، مؤكدا عودتها إلى ما كانت عليه منذ نحو ستمئة مليون عام.

ثم أحصى عدد النباتات الصالحة للأكل، التي استخدمها

الإنسان عبر تاريخه الطويل؛ فوجدها سبعة آلاف نوع، واليوم يعتمد على ما لا يزيد على عشرين نوعا لا أكثر، توفر وحدها ٩٠ في المئة من غذائه؛ مصرحا بأن من بين النباتات المجهولة غير المستعملة ما يفضل بعض النباتات الزراعية الحالية، وتحتاج إلى من يكتشفها وينشرها، وتولى عرض بعض الأمثلة المختارة من هذه النباتات؛ التي تستحق أن تعرف؛ معددا فوائد كل نوع مما ذكر، وأماكن نموها، واصفا شكلها ومظهرها، وكيفية استغلالها، وما سوف تجنيه البشرية من التحسين الوراثي لكل منها.

ثم ختم مقاله باقتراح إنشاء قسم خاص بوزارة الزراعة؛ تكون مهمته إدخال، وأقلمة، وتحسين مثل هذه المحاصيل.

أما عن المعالجة التحليلية النقدية فأول ما يلاقي القارئ ويلفت نظره عنوان المقال: «إنهم يقتلعون الأشجار»، الذي جاء متوسط البنية، على هيئة جملة اسمية خبرها مضارع، فأفاد التجدد والاستمرارية، وكأن الكاتب يلمح إلى أن جريمة اجتثاث الأشجار مستمرة ومتجددة، عبر الأجيال المتتابعة، لم يتريث الإنسان مليا، أو ينتبه مفكرا إلى المخاطر البيئية المترتبة على هذا العمل الأثيم، وهو عنوان كذلك جذاب، لا تستتر فيه الروح الأدبية، المتأثرة بالثقافة الأجنبية؛ متمثلة في الأدب الغربي؛ إذ إن التناص واضح مع رواية عالمية عنوانها: «إنهم يقتلون الجياد.. أليس كذلك»(٧)، مع بعض التحريف في عنوانها بما يناسب المقام الحالي.

ويبدأ الدكتور مستجير مقاله بمقدمة قصصية واقعية، متوسطة الطول؛ أتى بها كتمهيد مثير لما يتلوها من مضمون علمي، وحملها مشاعره وبعض تجاربه، يستنفر بها عقل القارئ، ويغريه بالإتيان على المقال، وحقائقه العلمية، ومما جاء فيها: «كانت هناك في مواجهة منزلي فيلا، أمامها أربع أشجار (الجكرندا)، الشجرة الملكية كما تسمى، في شهر مايو من كل ربيع كانت تزهر على العظم على الأفرع قبل أن تنمو أوراقها الجديدة؛ فتصبح شعلة من اللون الأزرق البهيج الرائع، تستمر شهرا أو نحوه، تملأ فيه الدنيا في أعيننا حبا وإيمانا، وذات يوم من سنتين هدمت الفيلا، واجتثت الأشجار، وضاع منا كل ذلك الجمال؛ لتحل محله عمارة سكنية قبيحة؛ تحجب الضوء حتى عن نباتات حديقتي الصغيرة»

ثم يحلق الكاتب بالمتلقي، بعد هذه البداية الشائقة، في رحلة ماتعة ممتدة عبر طائفة من الأفكار الجزئية، التي تلبي متطلبات المضمون المقالي، وتمتزج فيها النظرة الموضوعية العلمية بالرؤية الذاتية الوجدانية، فيبصر المتابع من سمات العرض، في هذا المقال، الاستعانة بالإحصائيات العلمية؛ وذلك مما يضفي عليه مصداقية علمية تقنع وتشبع، فحينما يسترعي انتباه الكاتب بعض جرائم الإنسان في حق الغابات؛ تراه يعرضها قائلا: «إنه يجتث في كل عام ما لا يقل عن مئة ألف كيلومتر من الغابات المطرية، يقتل من الغابات في كل عام مساحة توازي مساحة سويسرا وهولندا مجتمعتين، ويضيع منها سنويا ما لا يقل عن خمسة آلاف نوع من الكائنات الحية في كل عام، نفقد من الكائنات الحية عشرة آلاف ضعف ما كان يضيع طبيعيا قبل ظهور الإنسان».

وفي المقال تشاهد الدقة في تقرير الحقائق العلمية، ومن ذلك: «لو اختفت كل الحشرات وغيرها من مفصليات الأرجل؛ فلن يتمكن الإنسان من أن يعيش بعدها أكثر من بضعة أشهر، لا هو، ولا معظم البرمائيات، والزواحف، والطيور، والثدييات، وستنتهي بعد هذه معظم النباتات الزهرية، ومعها معظم الغابات، سيتعفن سطح التربة، وتزدهر الفطريات فترة ثم تموت، ستعود الأرض إلى ما كانت عليه منذ نحو ستمئة مليون عام».

وتجد التركيز على الجوانب الحيوية، التي تلبي حاجة القراء في هذا المقال، عندما يتم توظيف المضمون العلمي والاقتصادي وإسقاطه على واقع الناس المعيش، كأن يقول: «إن إنقاذ هذه الأنواع المثقلة بالجينات المجهولة قد يفيدنا في الزراعة، وفي الطب، وفي الصناعة، إنها تحمل في مادتها الوراثية كنزا لا يفنى، كلما أخذنا منه تكشف عن لآلئ أكثر، إننا نفقد بفقدها مصادر مجهولة للمعلومات العلمية، ونحطم بتحطيمها ثروة بيولوجية: من نباتات، وحيوانات، وكائنات دقيقة تحمل داخلها إمكانات لتطوير أدوية، ومحاصيل زراعية، وبستانية، ونباتات خشبية، وبدائل للبترول.. إلخ».

ومن الواضح اعتماد المقال على التعبير الوصفي المباشر، بيد أن الكاتب أحيانا يقرن بين التعبير المباشر والتعبير القصصي الذي يتخلل المقال، ومن ذلك تلك القصة الطريفة التي وردت في غضون الحديث عن أحد أنواع النباتات، الذي كان مستغلا استغلالا اقتصاديا، ولولا قصة تاريخية عجيبة لأصبح من أهم المحاصيل الغذائية في العالم اليوم، ثم سرد تلك القصة: «عندما فتح الأسبان المكسيك عام ١٥١٩م، كان يسكنها الشعب الأزنكي، كان هذا الشعب يستخدم نبات (الديسم) في طقوسه الدينية؛ إذ كانوا يصنعون أصناما من عجينة مكونة من بذور هذا النبات، وبعد تحميصها وطحنها ومزجها بدم الضحية تكسر هذه الأصنام، أثناء الاحتفالات الدينية؛ ليأكلها المؤمنون، وهذا أمر اعتبره الغزاة الكاثوليك منافيا لدينهم؛ فحرموا الديانة الأزنكية، ومنعوا زراعة هذا النبات!».

وجاءت ألفاظ المقال فصيحة، بعيدة عن العامية، تتميز

بالسلاسة والرقة، والبعد عن الغريب المستهجن، الذي تتعذر معرفة معناه، فهي في عمومها متداولة شائعة بين أصحاب الثقافة، وظفها الكاتب بالشكل الذي يبلغ أفكاره ناصعة لا التباس فيها إلى قرائه، وتتميز التراكيب في هذا المقال بالرشاقة، والشاعرية الموحية، والاستعانة بالجملة الاعتراضية التي تفيد في مجملها التوضيح والتفسير، وإضاءة بعض جوانب الفكرة المطروقة.

والكاتب يشرح فكرة علمية، ويبرهن عليها، ويقرر حقيقة، ويرسيها في نفوس قرائه؛ لذلك فهو يستخدم الأسلوب الخبري التقريري؛ الذي يوضح الحقائق ويقنع بها، وهذا دأبه من أول المقال إلى منتهاه، ومع ذلك فإنه يستخدم الاستفهام في بعض المواضع التي تتطلب مخاطبة الوجدان؛ كأن يقول: «ستضيع مئات الآلاف من أنواع النباتات وسيتمكن البعض من التأقلم، لكن ماذا سيحدث بالضبط؟ لا أحد يدري!».

وفي المقال موسيقى داخلية حزينة سارية بين أعطافه، ذات نغم شجي يغلف بعض مواضعه؛ لا سيما وهو يندب الأشجار التي تقتلع ليل نهار بأيدي البشر: «هكذا يضيع منا الجمال، وتلك اللمسة الحنونة التي منحنا إياها الخالق، هكذا نبددها في لحظة، دون سبب معقول، ثم نجلس، رؤوسنا في أيدينا، نسترجع الماضي الجميل، في العين أحلام، وفي النفس اكتئاب. أثر في كثيرا اقتلاع شجرة، أو بضع شجرات، لكن للبشرية أن تندب ملايين الأشجار التي تموت بفؤوسنا التي لا ترحم».

وتجد في المقال التأثر بالشعر العربي وتضمينه في أكثر من موضع، بما يخدم فكرته، ويكسوها ثوبا من الجمال والمتعة الفنية؛ ومن ذلك قوله: «وعاد إلى ذاكرتي الهمشري وقصيدته أحلام النارنجة الذابلة، التي يرثي فيها نارنجة كانت قرب شباكه، تعطر حياته:

نارنجتي والله مذ فارقتني
وأنا حليف كآبة خرساء
أصبحت بعدك في انقباض موحش
وكأنني منه مساء شتاء»[8]

ولأن الكاتب ملم بالثقافة الأجنبية؛ فقد ضمن مقاله ما ينم عن ذلك؛ حين عرض لبعض أنواع النبات؛ التي كان الغرب يجهل قيمتها؛ بينما: «كان شعب الهند يقدسها، لقرون طويلة، كان الناس هناك ينظفون أسنانهم بأغصانها الصغيرة، ويدهنون جلدهم بعصير أوراقها؛ لعلاج الأمراض الجلدية، ويشربون شايها كمقو... رأى الهند إذن أن لهذه الشجرة قوى سحرية فسموها (صيدلية القرية) ثم ابتدأ العلماء في الغرب يعتقدون أن الهنود كانوا على حق، وبدأوا يستخلصون منها كيماويات لمقاومة الجراد الصحراوي، ولمقاومة حشرات المخازن، والنمل الأبيض... وكمسكن، وضد تسوس الأسنان، والتهاب المفاصل... نبات كان مجهولا نقصد أن الغرب كان يجهله نبات يستحق الانتباه!».

ثم في النهاية تهبط تلك الرحلة على مدرج الخاتمة؛ التي صاغها الكاتب على شكل نصيحة توجيهية أتت في صورة استفهام، ومناشدة لوزارة الزراعة بإنشاء قسم خاص تكون مهمته إدخال هذه المحاصيل؛ التي استعرض بعضا منها، ولا تخفى النظرة المستقبلية الاستشرافية في تلك الخاتمة أيضا عندما يقول الكاتب: «هل يزعج حقا أن أقترح إنشاء قسم خاص بوزارة الزراعة؛ تكون مهمته إدخال، وأقلمة، وتحسين، مثل هذه المحاصيل ومنها العشرات في مصر؟ لقد أدخلت الوزارة بالفعل شجرة النيم، وتبقى مهمة تكثيرها، وتحسينها، واستغلالها تحت الظروف المصرية.. كم سيكون مهما حقا أن نجرب غيرها!».

وبعد تلك الجولة الثرية التي أبحر من خلالها الدكتور مستجير في هذا الموضوع العلمي؛ المغذي للعقل، المثير للوجدان، ترى موهبته الأدبية قد تجلت في تحويل تلك النظريات العلمية البحتة إلى صور نابضة ناطقة؛ في وضوح وبساطة وجمال عبارة، وبأسلوب رشيق مزج فيه بين الأدب والعلم مزجا متوازنا له مذاقه الخاص، ومعلنا عما تنطوي عليه بحور العلم من أسرار.

الهوامش

١ - ينظر: من أعلام الثقافة العربية.. معجم تراجم: مجمع اللغة العربية، ص٦٥، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م. وكذلك: فرسان الثقافتين: د. محمد فتحي فرج، ص:١٨٤-١٨٥.

٢ - ينظر: السابق.

٣ - فرسان الثقافتين: د. محمد فتحي فرج، ص:١٨٥.

٤ - ينظر: فرسان الثقافتين: د. محمد فتحي فرج، ص:١٨٩.

٥ - اتجاهات المقال وخصائصه الفنية في مجلة الهلال من سبتمبر ١٩٩٢م إلى ديسمبر ٢٠٠٠م: د. محمد عبدالحميد غنيم، ص:٢٦٩، دار الزهراء للطباعة بالزقازيق، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٦ - ينظر مقال: «إنهم يقتلون الأشجار»، د. أحمد مستجير، مجلة الهلال، ص:٨-١٤، العدد رقم ٤، ١ أبريل ١٩٩٥م.

٧ - ينظر رواية: «إنهم يقتلون الجياد.. أليس كذلك؟»: هوراس ماكوي، ترجمة: صلاح حزين، دار أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن.

٨ - الهمشري شاعر أبوللو.. دراسة ملحقة بقصائد الهمشري: جمعها وقدم لها: صالح جودت، تأليف: د. عبدالعزيز شرف، ص:١٩٤.



محمد ثابت توفيق
(قاص وكاتب وناقد مصري)

عاش رافعا لراية القرآن الكريم مدافعا عن «العربية»

مصطفى صادق الرافعي نابغة الأدب المظلوم حيا وميتا (٢/١)

قليلا ما يتذكر أحد اليوم الأديب المدافع عن «العربية» والإسلام مصطفى صادق الرافعي وإبداعه، الذي سيظل حتى يرث الله الأرض ومن عليها شاهدا له ومدافعا بمواقفه ومداد قلمه عن طريق الحق، إنه «إمام الأدب وحجة العرب»، كما أطلق عليه الأديب الراحل شكيب أرسلان، وقد كان اللقب الأحب إلى الرافعي[١]، أو كما قال عنه الراحل الإمام محمد عبده: «لله ما أثمر قلمك، ولله ما ضمن لي قلبك لا أقارضك ثناء بثناء، فليس ذلك شأن الآباء مع الأبناء، ولكني أعدك من خلص الأولياء، وأقدم صفك على صف الأقرباء، وأسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفا يمحق الباطل»[٢]

ولد الراحل مصطفى صادق بن عبدالرازق بن سعيد بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي في ناحية بهتيم بمديرية القليوبية على بعد قرابة عشرين كيلومترا من العاصمة المصرية القاهرة في عام ١٢٨٩هـ، ووافق ميلاده شهر يناير ١٨٨٠م، وتوفي بطنطا من أعمال مديرية البحيرة وقتها، وعاصمة محافظة الغربية اليوم، في عام ١٣٥٦هـ ووافقت وفاته يوم ١٠من مايو ١٩٣٧م.

من أبرز مؤلفاته «المعركة تحت لواء القرآن» أو «تحت راية القرآن»، و«إعجاز القرآن والبلاغة النبوية» وهو الكتاب المتمم لسابقه، وطبع على نفقة الملك فؤاد للمرة الثالثة بعام ١٩٢٦م، وقد ضمنه ما كان بينه وبين الأديب الراحل طه حسين بمناسبة كتاب الأخير «في الشعر الجاهلي». وللرافعي، أيضا، «تاريخ آداب اللغة العربية» الصادر عام ١٩١١م في ثلاثة أجزاء، وهي الكتب التي كرسها للدفاع عن الإسلام وبيان كذب دعاوى خصومه، وأيضا للاهتمام باللغة العربية كأداة لحمل الإعجاز القرآني الفريد ضد من يحاولون هدمها استجابة لدعاوى مغرضة.



أبرز محطات حياته

رغم أصوله الشامية، رأى الرافعي منذ تفتح وعيه أن وطنه الأعم هو بلاد الإسلام، أو بتعبيره: «كل أرض يخفق فيها لواء الإسلام ولواء العربية».

أصيب رحمه الله في المرحلة الابتدائية بمرض «التيفود» الذي أقعده في البيت لفترة طالت بعض الشيء؛ فلما عاود الدراسة بدأ يفقد سمعه شيئا فشيئا، ثم اضطر لترك التعليم بالكلية لفقر أسرته ليعين كاتبا ومحصلا ماليا بمحكمة طنطا الأهلية منذ عام ١٨٩٩م حتى يوم وفاته؛ فما أغناه راتبها، ولولا جنيهات كان يتبلغ بها ويتعايش عبر مكافآت نشر لمقالاته هنا وهناك، وأحيانا قصائده الشعرية؛ ربما تعذرت عليه الحياة.

وفي المجمل فقد عاش الرافعي كادحا في عمله البعيد كل البعد عن قامته العالية في عالم الأدب.. حتى إنه حينما كان يزور أحد تلاميذه من مدرسي اللغة العربية في المدرسة الابتدائية بطنطا كان يغبطه على العمل الذي يحظى به بل كان يتمنى لو قام مقامه، وكان سبب الغبطة المباشر لدى الرافعي توقعه أن يجد في عمله بالتدريس ما يقربه من مادة الإبداع؛ إذ سيلقى بين التلاميذ ما يدعوه للكتابة عنهم، وهو بالفعل ما فعله في بعض تلك الزيارات فكتب مقالات: «الطفولتان»، «أحلام في الشارع»، و«بين قطين»، وأعانه على هذا وجود أبنائه في مراحل التعليم ورغبته في إفادة وزارة

المعارف آنذاك.

تـزوج الرافعي وعمـره أربعة وعشرين عـامـا، أي عـام ١٩٠٤م، مـن شقيقة صديقه الأديب عبد الرحمن البرقوقي، صـاحب مجلة «الـبـيـان»، وأنجـب أحد عشر من الـذكور والإنـاث، مات منهم واحد وبقي عشرة، وعلى قدر ما وهبه الزواج التقليدي المبكر من استقرار على قدر ما زاد من مسؤولياته، ومن طرف آخر أعانه على الإبداع والكتابة.

تقوى الرافعي لربه

ولم تكن براعة الرافعي وضميره الحي اليقظ فـي دفـاعـه عـن الـقـرآن الكريم فحسب، وإنـما تبدت بصورة بـارزة في حرصه في الغالب على عدم كتابة إلا ما يرضي ربه في جل كتاباته، وللحقيقة فـقـد كـان الـرافـعـي بشـرا أصـاب فـي كتاباته لكن وقـف كثير ممـن تصدوا بالكتابة عنه أمـام معركته الأدبيـة مع الـراحـل الأديـب عباس محمود العقاد وقفة تساؤل، خصوصا أمام كتابه «على السفود» وهجومه الشديد على العقاد، لكن يبقى للرافعي عموما قصب السبق فـي العـصـر الـحـديـث عـلـى الأقـل عبر دفاعه عن الإسلام و«العربية»، وهو ما أكده الراحل الدكتور مصطفى الشكعة بعد قراءة كتاب: «تحت راية القرآن» إذ كتب: «ومهما يكن القول فإن هذا الكتاب بمـا حـوى مـن أحــداث ونمــاذج كتابية إسلامية، ودفاع عن روح العقيدة، يضع الرافعي في مكانته اللائقة، على رأس كُتّاب الفكرة الإسلامية في عصره، بل في عصور أخـرى، من عصور التاريخ ماضيه وقادمه، وهو واحد من الكتاب المعاصرين القلائل، الذين فهموا الإسلام فهما صحيحا، وغـاصـوا فـي أعـمـاق الشريعة، مستكشفين كنه نورانيتها، وروعة قدسيتها»[٣].

تـشـابـه الـرافـعـي مـع الأديـب الـراحـل طه حسين في إصابة لحقت بهما في الـصـغـر، فـكـان الأول أصـم فيما كـان الأخـيـر كـفـيـفـا، وتـشـابـه الـرافـعـي مع الأديـب الراحل عباس محمود العقاد، رحمهما اللّه، في عدم إتمـام تعليمهما واكتفائهما بالمرحلة الابتدائية، وقد دفع ذلك الرافعي للجد والإبـداع؛ بل لعل صممه وتوقفه عند الابتدائية من التعليم دفعا همته الأدبية وساقا بيانه للارتفاع إلـى مصاف ومكانة كبار أدبـاء جيله؛ وساعده على هذا قناعته وعدم تعلقه بزينة الحياة من مال وافر وثراء. وكان الرافعي شديد الإيمان بربه تعالى، حتى إن الراحل الأديب محمد سعيد العريان رافقه بعض سنوات حياته الأخيرة فكان يراه حينما يقارف من الأمور البسيطة مما لا يخلو منها بشر، فكان يؤوب ويعود لنفسه سريعا ليقول: أو تظن أنه من المروءة أن نفعل هذا؟!

تجاهل الأصدقاء والأعداء للرافعي

لـقـي الـرافـعـي تجاهـلا شـديـدا يسأل أصدقاؤه عنه قبل أعدائه، وفـي ذلك كتـب الـراحـل الأديــب مـحـمـود محمد شاكر في مجلة «الرسالة» في الذكرى الثالثة لرحيل الرافعي، في مقاله «نجوى الرافعي»: «كنا روحين تناظرتا من بعيد، وتناسمتا من قريب، فعرفته وعرفني، كان بيننا سر جامع لا أدري كيف أصفه، ولـكـن كـان مـن يعرفني ويـعـرفـه يجد آثاره، ويرى من بعض بيناته ما لا أحب أن أحدث به، ومع ذلك فأنا أقصر في حقه ما لم يقصر أحد ممن توجب عليه الصداقة بعض واجباتها، ولم يكن ذلك لأنـي لا أريـد؛ بل لأنـي لا أستطيع ولا أطيق، فما زلت كلما ذكرت الرافعي - وقد مضت سنوات - أجد لذعة حزن في قلبي ترسل آلامها في كل سابحة من دمـي». على أن اللّه تعالى قيض لحياة الرافعي بل لتراثه من يجمعه ويقوم على العناية به عناية المحب فيضيف محمود شاكر: «ولكن اللّه لم يخل حق الرافعي من رجل يقوم عليه، ويحسن النظر فيه، فهيأ له الأخ سعيد العريان، يرد كل ما وجـب على أصـدقـاء الـرافـعـي وأبنائه وتلامذته ومتبعيه»[٤].



الهوامش

١- حياة الرافعي، محمد سعيد العريان، سلسلة ذاكرة الكتابة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م.

٢- وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الأسرة المصرية، ٢٠٠٣م.

٣- مقدمة د. عز الدين البدوي النجار لكتاب الرافعي: «على السفود»، تصحيح وتعليق: حسن السماحي سويدان، دار البشائر، دمشق، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٤- نجوى الرافعي، محمود محمد شاكر، مجلة الرسالة: العدد ٣٥٨، ٣ مايو ١٩٤٠م.



علاء الدين محمد الهدوي فوتنزي
كاتب وباحث هندي

د.عثمان أبوزيد لـ«الوعي الإسلامي»: آفتنا تقليد المغلوب للغالب

بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية التقينا مع المستشار الإعلامي رئيس تحرير مجلة الرابطة بمكة المكرمة د. عثمان أبوزيد وهو أستاذ للإعلام في عدد من الجامعات العربية، وله مؤلفات عديدة، آخرها كتاب: لغة الإعلام، تناول اللقاء بعض الهموم والمشكلات المتعلقة باللغة العربية في هذا العصر الرقمي، وما يراه ضيفنا من رؤية لمستقبل هذه اللغة الشريفة.

كيف يمكننا جعل اللغة العربية منافسا قويا للغات المحلية في البلدان الآسيوية وفي الهند على سبيل المثال؟

ليس المطلوب أن نجعل اللغة العربية منافسة للغة الوطنية ولا بديلا عنها، وعلاقتهما علاقة تكاملية، أو هكذا ينبغي أن تكون ولا سيما وسط الشعوب المسلمة، حيث إن للعربية موقعا خاصا وينظر إليها المسلمون على أنها لغة مقدسة، ولو استطاعت اللغة العربية أن تكون اللغة الثانية بعد اللغة القومية فهذا هو المرغوب فيه، وإن كانت بعض الشعوب المسلمة قد تعربت إلى درجة أنها اتخذت اللغة العربية لغتها الأولى.

رأيت في إندونيسيا وماليزيا وضعا متقدما للغة العربية، وبالأخص لدى المسلمين، ورأيت ذلك في نيجيريا وأجزاء من الساحل الإفريقي الشرقي، ونرى اللغة العربية في دولة مثل جنوب السودان، هي لغة التخاطب الوحيدة بين القبائل المختلفة.

وأنا مطلع بدرجة ما على أحوال اللغة العربية في الهند، وهي جيدة في مناطق مثل كيرالا، وأقل مستوى في أماكن أخرى، وكل هذا بدافع ثقافي، إذ تعد اللغة أحد أبرز الرموز الثقافية، فبقدر الاحترام والقبول للحضارة العربية والإسلامية يكون للغة شأنها وعزها.

كيف يمكننا أن نجعل اليوم العالمي للغة العربية يوما عالميا ليس في العالم العربي وحده بل في جميع أنحاء العالم؟ وإلى أي مدى أنتم راضون عن الأثر الذي يحدثه الاحتفال بهذا اليوم في التعريف باللغة العربية؟

الغرض من هذا اليوم هو إزكاء الوعي باللغة العربية وتعزيز مكانتها، وكما هو معلوم؛ فإن منظمة الأمم المتحدة أرادت أن تجعل من تاريخ إدخال اللغة العربية ضمن لغات الأمم المتحدة يوما للاحتفال، ويشتمل الاحتفال على مناشط علمية وثقافية في أرجاء العالم، وتتخذ الجهات ذات الصلة المباشرة باللغة العربية شعارا لكل عام، وكان شعار العام الماضي: «العربية والعلوم».

في شهر ديسمبر من العام الماضي في وقت الاحتفال بهذا اليوم زرت مجمع اللغة العربية في الخرطوم العاصمة السودانية ووقفت على العديد من البرامج المعدة، وكان هناك احتفاء خاص بالمعجم التاريخي للغة العربية الذي يرعاه حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان القاسمي، وكلما كان الاحتفال عمليا، يكون



ذلك أفضل.

ولـلإجـابـة عـن الـشـق الـثـانـي من الـسـؤال أقـول: لسـت راضـيـا عن الأثـر الـذي يحدثه هـذا الاحتفال، لأن الكثير من الجهات تتجاهل هذا اليوم أو تكتفي بمظاهر احتفالية لا مغزى منها.

ما هـي الجـهـود والـبـرامـج والـرؤى المحتملة لرفع نسبة المادة المنشورة باللغة العربية في الشبكة الدولية من حيث الكم، ومستواها من حيث الكيف؟

هـذا سـؤال جـيـد، لاحـظ بعض المشتغلين بدراسات الحاسب الآلي في اليابان أن اللغة العربية تتصدر سائر اللغات باعتبارها أكثر اللغات وضـوحـا صوتيا فـي استخدامات الحـاسـب الآلـي، يـضـاف إلـى ذلك إحصائية المتكلمين باللغة العربية التي تؤكد أنها خامس لغة عالمية، ومـع كل ذلك تبقى نسبة المحتوى العربي في حـدود: (٣٪) فقط من المحتوى العام، ويبقى أهل العربية هم أفقر الناس من حيث المحتوى الموجود في الشبكة العالمية.

قبل ثمانية أعوام، كنت في جاكرتا أقدم محاضرة لطلاب الدراسات العليا في جامعة شريف هداية الله الإسلامية، وقد سألني أحد الطلاب عـن الـفـقـر الـشـديـد فـي المراجع والمصادر المتاحة باللغة العربية في شبكة المعلومات الدولية، وقـال إن منهج الاقتباس عندهم يمنع الأخذ من مصادر غير محكمة، لكن أغلب المجلات العربية المحكمة لا وجود لها في الإنترنت.

لعل الـوضـع الـيـوم أفضل من تلك الـسـنـوات، لكننا نتطلع للمزيد، والمأمول عناية أكبر بالمحتوى العربي كما وكيفا، ويحصل ذلـك بتطوير المحتوى من حيث الصياغة الحسنة وتقديمه في وعاء فني راق، إن كان الطعام جيدا وطريقة تقديمه غير جيدة فقدنا شهيتنا، لنجعل من تطوير المحتوى الرقمي للغة العربية مسؤولية شخصية، وعلى كل فرد أن يتولى هذه المهمة بنفسه.

ما هو الـدور الـذي يمكن أن تقوم به المؤسسات التربوية والتعليمية والبحثية مثل المـدارس والمـراكـز والـجـامـعـات فـي الـتـعـريـف بالـيـوم العالمي للغة العربية؟

يمكن لـلـمـدارس أن تجـعـل حصة مدرسية للحديث عن اللغة العربية ومكانتها في العالم وضرورة العناية بترقيتها، وفي الأنشطة الصفية مثل الإذاعـة المدرسية وطابور الصباح والـجـمـعـيـة الأدبـيـة؛ مـكـان مـلائم لتناول موضوعات اللغة العربية، والمـراكـز والـجـامـعـات بإمكانها أن تخصص بـرامـج ثقافية وعلمية، ويعد لها من وقت مبكر، ويجب ألا يقتصر الاحتفال بأهل اللغة العربية وحـدهـم، بل يشارك فيه الآخـرون لتحقيق الـتـنـوع الـثـقـافـي وفـكـرة العالمية التي أرادتها الأمم المتحدة.

كـيـف يمكن تـقـويـة وحـمـايـة الـلـغـة الـعـربـيـة فـي ظـل التضييق الـذي يمارس عليها؟

لا شك أن هناك مظاهر لتراجع اللغة العربية، كما نشاهد في سوق العمل، حيث تستفحل اللغة الأجنبية، وتكاد تطرد اللغة الوطنية، نشاهد ذلك في المطاعم والفنادق والمستشفيات، ونـلـحـظ ذلـك فـي أسـمـاء المعامل والشركات، وفي اللافتات المرفوعة، هذا ناشئ من عقدة قديمة أشار لها ابن خلدون بتقليد المغلوب للغالب في نحلته ولغته وسائر عوائده.

ويـوم أن كـانـت الـغـلـبـة للحضارة العربية الإسـلامـيـة، كان الأوروبيون يقلدوننا، نشأت أولى الجامعات في المغرب العربي، وفي سنة: (٨٤١م) أقام المسلمون أول جامعة في أوروبا، ويوم قامت أكسفورد كانت لغة تعليم العلوم بالعربية، وكان كبار العلماء الأوروبـيـيـن يستخدمون المصطلح العربي في الطب والكيمياء وسائر العلوم، أكبر حماية للغتنا تكمن في وحدتنا وقوتنا وتقدمنا الحضاري.

إلـى أي مـدى أسـهـمـت أو تسهم الجهود الحالية لنشر اللغة العربية للناطقين بغيرها؟ وهل ما تقوم به مؤسسات تعليم العربية للناطقين بغيرها كـاف بـرأيكم أم أن هناك المزيد مما يمكن القيام به في هذا الاتجاه؟

تتهيأ اليوم فرص أكبر في تنمية الـلـغـة ونـشـرهـا، وجـود الـقـنـوات الفضائية والمواقع الإلكترونية يتيح فـرصـة عظيمة لتلقي الـلـغـة، كان نـادرا فـي المـاضـي أن تسمع اللغة مـن أفـواه بنيها، ولا يحصل ذلك إلا بالانتقال من بلد إلـى آخـر، أو في الحج والسياحة والتجارة، الآن يستطيع كل راغب في تعلم اللغة أن يسمعها سائغة فصيحة عن طريق الوسائل الإعلامية.

وطبعا التلقي المباشر أكثر أثرا، ومن تجربتي الشخصية فـإن الانتقال إلى بلد يتكلم اللغة والانـدمـاج في ثقافته والاحتكاك اليومي يساعد فـي تحصيل الـلـغـة والـتـعـمـق بها، أمـا المعاهد الخاصة بتعليم اللغة

العربية للناطقين بغيرها، فلا شك أنها اضطلعت بدور مهم في نشر اللغة العربية، وقد شهدت مولد أول معهد على نطاق العالم عام: (١٩٧٤م) ، هو معهد الخرطوم الدولي لتعليم اللغة العربية، الذي أصبح تابعا لجامعة الدول العربية، وانتشرت هذه المعاهد في كل أرجاء العالم اليوم، بل نشأت معاهد في أمريكا واليابان والصين تسد حاجة تلك البلاد لدارسي العربية الذين يرومون العمل في الدبلوماسية أو التجارة أو السياحة.

التطورات التكنولوجية والتحولات الرقمية؛ هل كان لها أثر إيجابي أم سلبي على اللغة العربية؟

لها أثر إيجابي وأثر سلبي، لكن الإيجابي أكثر بالطبع، عندما كتبت رسالتي للدكتوراه التي نوقشت عام: (١٩٨٩م)، وكانت عن لغة الخبر الصحفي، كنت بدأت الدراسة بفرضية أن الصحافة كان تأثيرها سلبيا في اللغة العربية، لكني انتهيت إلى نتيجة بعكس ذلك، وأثر الصحافة في تنمية النثر العربي واضح، إذ أنشأت الصحافة نثرا وسطا بين فصحى التراث والعامية هي اللغة الإعلامية السائدة اليوم.

على ذلك نستطيع قياس الأثر الإيجابي والسلبي الناجم عن التطور الرقمي، وبأيدينا اليوم توجيه هذا التطور لمصلحة لغتنا وهويتنا أو أن نتقاعس ونجعلها وبالا علينا، صحيح أن العولمة كانت وطأتها على الشعوب ثقيلة جدا، لكن من الممكن أن نوجه العولمة لمصلحتنا.

عندما أتانا الاستعمار جعل لغة التدريس هي لغة المستعمر، وكان إلى وقت قريب اللغة التي ندرس بها في مدارسنا بجمهورية السودان هي اللغة الإنجليزية، وفي مصر صدر عام: (١٨٩٩م) قرار بجعل لغة التعليم في كل المراحل باللغة الإنجليزية، واستطاع الوطنيون أن يقاوموا هذا التوجه، ولا شك أن نشأة المراكز والمعاهد والمدارس الدينية في شبه الجزيرة الهندية كانت رد فعل أيضا لأعمال المستعمرين.

هل يكفي اللغة العربية يوم عالمي للإشادة بها وبتاريخها؟

لا يكفي طبعا، لنجعل اليوم العالمي يوما للتذكير بمهامنا الحضارية، ويوما للتوعية، هناك يوم نسميه يوم الأم، فهل نجعل لأمنا يوما واحدا في العام، ونهملها سائر الأيام، هذا غير مقبول!

بناء على قولكم عن الأثر السلبي لحالة العولمة على العديد من الجوانب الإقليمية بما في ذلك اللغات؛ هل تعتقد أن القبول العالمي للغة الإنجليزية تهديدا لنمو اللغة العربية؟

تفرض اللغة الإنجليزية نفسها في بعض المناطق من العالم، وكذلك اللغة الفرنسية كما هو الحال في شمال إفريقيا، هذه الهيمنة يمكن أن تأخذ بعدا سلبيا عندما نهمل اللغة القومية بالكامل أو يكون نمو اللغة الأجنبية على حساب لغاتنا الوطنية.

بعض البلاد قلبت المعادلة مثل ماليزيا، وأحيانا تفرض الخريطة اللغوية في بلد ما إستراتيجية معينة، فقد جعلت ماليزيا اللغة الإنجليزية لغة أساسية في التعليم والإدارة، وما كان لهم في وجود ثلاثة إثنيات إلا أن يفعلوا ذلك، وأظن أن المحصلة كانت إيجابية.

المهم في التخطيط اللغوي ألا تطغى لغة على أخرى بالكامل، بل إن التخطيط السليم يجعل من وجود لغة أجنبية سبب إثراء للغة القومية، حتى في الإطار التأهيلي الشخصي امتلاكك للغة جديدة، هو تقوية للغتك الأصلية، أنا درست اللغة الإنجليزية في المدرسة والجامعة، ودرست الفرنسية بجهد خاص وألممت بطرف منها، وكان ذلك تعضيدا لملكتي اللسانية بشكل عام وتعريفا باللغة الإنجليزية بشكل أفضل.

في ظل العلاقة العريقة التي بدأت منذ فترة طويلة مع العالم العربي وثقافته، هل تعتقد أن ولاية كيرالا تستحق إشارة خاصة فيما يتعلق باللغة العربية وانتشارها في جميع أنحاء العالم؟

ثمة مراكز ومساجد ومعاهد مشهورة في كيرالا من قديم، ولعل اسم المنطقة كما فهمت هو محرف من الاسم العربي: «خير الله»، ولغتها: «مالايالم» هي: «ما لا يعلم» بالعربية، كما أخبرني سفير السودان السابق في الهند الدكتور الخضر هارون.

وتعرفت على مجموعة طيبة من خيار أهل كيرالا وهم أكثر أهل الهند صلة بالحضارة العربية الإسلامية، وبي رغبة في زيارة هذه البلاد، وسبق أن تلقيت دعوات كثيرة لكن الظروف لم تسمح، نرجو أن تسلم الهند وبلاد العالم كافة من هذا الوباء وتتاح للناس من جديد أن يسيروا في الأرض دون عوائق... ضمير المسلم لا يعرف الحدود!



د. أبو زيد بيومي
عضو اتحاد كتاب مصر

اقرأ كتابك

مهما علا شأن البغاث وحلقوا
مهما علا جدر الخداع تسلقوا
فلسوف يهوي ما بنوا حتما بهم
ولسوف يأتيهم زوال مطلق
فاليوم طالت في الخداع حبالهم
وغدا عليها جيدهم سيعلق
أفمن يؤسس فوق جرف ما بنى
أو يستوي مع من بفعل يصدق
هذا سينهار البنا حتما به
أما التقي إلى نعيم يسبق
هذا يفتش عن متاع زائل
يغتاله موت وقبر ضيق
أما الذي أرضى الإله فإنه
لا ليس للدنيا بعين يرمق
هذا يخادع كي يفوز بلذة
فهنا يغني أو هناك يصفق
أما الصدوق فلا يغير وجهه
هو كالشموس بكل أرض مشرق
هذا بزيف سار خلف ضلاله
فأحاطه ليل طويل مطبق
لكن من أرخى جناحا للهدى
دوما تراه وفي الضياء يحلق
كل امرئ يجزى بسابق فعله
فانظر مليا أي باب تطرق
كل يؤول إلى الإله مصيره
اقرأ كتابا بالحقيقة ينطق



محمد محمد الشحات أبوعيد
كاتب وقاص

زيارة منزلية

بعد منتصف الليل بنصف ساعة رن جرس التلفون على الطبيب فاستقبله بمشاعر مختلطة وتساءل: أهو رزق وفير من زيارة منزلية، أم واجب إنساني وأداء لمهمة تربى عليها؟ وسرعان ما لبس ملابس الخروج، وحمل حقيبته وأدواته، وقادته رجلاه في جوف الليل إلى حيث العنوان والشقة، إذ كانت تسكن فيها أم مع أربع من بناتها؛ إحداهن مريضة والوالد غير موجود فقد اختفى فجأة ولم يعلمن عنه شيئا. غاب الأب والله باق حي لا يموت، ولما اشتد المرض على ابنتها ولت الأم وجهها ناحية الميضة للوضوء ثم الخلوة مع الله في جوف الليل والكون هجع حيث بابه لا يغلق أبدا، وأخذت تصلي وتبتهل وتبكي بكاء حارا وهي ترفع يديها إلى السماء في وقت غال ونفيس عجز الأصحاء أن يلتقوا مع الله في نداء السحر. وفجأة طرقات على الباب، فجزعت الأم وارتعدت أوصالها وتأخرت.. ولما زاد الطرق سلمت أمرها لله وقالت لعله خير. وتقدمت ناحية الباب، وإذا بها تفتح فتجد أمامها طبيبا مع حقيبته يسألها: أعندكم مريض؟ فترد عليه: نعم. فيدخل ويكشف على البنت وتردد الأم في نفسها لعلها رحمة الله جاءت. وعندما أنهى الطبيب الكشف كتب وصفة العلاج وأعطاها للأم فأخذتها بيد متثاقلة سائلة نفسها ومن يشتري؟ وهم بالخروج منتظرا من الأم أن تدس في جيبه الأجر كالعادة، فلما اقترب من الباب طلب الأجر، قالت له ليس معي مال، فرد عليها فلماذا تطلبين الطبيب لزيارة منزلية طالما غير قادرة؟ قالت له: لم اتصل بك واشتد الحوار بينهما حتى علا الصوت الذي أيقظ من في الشقق المجاورة. فنادت عليه إحدى السيدات: هنا المريضة يا دكتور وأنا اتصلت عليك. فالتفت مندهشا إلى الأم وهي واقفة على باب شقتها التي لم تفكر يوما بالاتصال بالطبيب في زيارة منزلية لقصر اليد فهم من أهل الطابور الطويل في ساحات المستشفيات العامة.

قال الطبيب الذي بدأ صوته يتراجع، وانكسر صوته أمام الأم المسكينة وتراجع قائلا: أخبريني بالقصة، فقصت قصتها في عجالة وهو يسمع ولم يستطع أن يمنع دمع عينيه، وكانت الأم قد لجأت إلى من لا يغفل ولا ينام ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ (البقرة:٢٥٥)، وأخذت تبكي وتطلب منه سبحانه رحماته... فأمطرت السماء رحمة لا ترد، وفي الأسحار تستجاب الدعوات، حيث السكينة، إذ ينزل ربنا سبحانه إلى السماء الدنيا فيزداد خشوع العبد فيشعر بيد الله تعالى تلامس شغاف قلبه، جاءت الرحمة في صورة طبيب، فالبشر ستار لقدر الله تعالى وصورة من صور رحمته التي لا حدود لها ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ (الأعراف:١٥٦).

جاء الطبيب وكشف على البنت المريضة بلا أجر -بقدر الله- والأم الموصول قلبها المفعم يقينها بالله أن ما حدث تدبير رباني غير موازين كثيرة في معتقدات الناس فالله حاضر في ضمير هذه الأسرة فلم يتركها.

ولما أجابته باختصار عن حالهم قرر في الحال علاج البنت فاشترى لها الدواء وفرض على نفسه نفقة شهرية تساهم في ستر حال الأسرة الكريمة. إضافة إلى ما كان يقوم به أهل الحي، إذ فرض كل واحد على نفسه شيئا من متطلبات البيت؛ فمنهم من يشتري اللحم وآخر الخضار ومن يشتري متطلبات المدارس وآخر يتكفل بنفقة العيد، فكانت الطلبات تذهب في سرية وكتمان «استعينوا على قضاء حوائجكم بالسر والكتمان» الحديث.

واستمر الحال حتى عاد الوالد من غربته القسرية بمشيئة الله إلى حضن أسرته لتروي له الأم لطف الله بها؛ إذ كان بلا حدود، ويروي لهن قصته من البداية حتى النهاية.

شذرات

عمرو طه
قاص مصري

الصدق والصراحة قد لا يكسبانك الكثير من الناس، لكن سيوفران لك أفضلهم رغم قلتهم.
جابريل جارسيا ماركيز

الهموم مقدمات –في أحيان كثيرة– لنعم مخبوءة.
الرافعي

ظننت القوة في المواجهة فقط، فاتضح أنها في التجاهل أحيانا.
د. مصطفى محمود

لا تصدقوا الكلمات اللطيفة، خذوا الحقيقة من أفواه المواقف.
نجيب محفوظ

قد لا نستطيع إصلاح كل شيء، لكننا نستطيع الابتعاد عن كل ما يعكر مزاجنا ويؤذينا.
برتراند راسل

من أكبر أخطائي أني كنت أمر على لحظات الفرح مرورا عابرا، وأعيش الحزن بكل مشاعري.
سومرست موم

نحن لا نرتب أماكن الأشخاص في قلوبنا.. أفعالهم تتولى ذلك.
أندري تاركوفسكي

الأمر ليس بكثرتهم حولك، إنما بمن يأتيك دون أن تناديه، ومن يربت على كتفك دون أن تخبره بأنك مثقل.
دستويفسكي

بقلم: عبدالرحمن سعد
صحفي وباحث في الدراسات الإسلامية



اليوم الدولي للطلاب

في السابع عشر من شهر نوفمبر، من كل عام، يحتفل العالم باليوم الدولي للطلاب، الذي يعود مبدؤه إلى عام ١٩٣٩م، إلا أن الإسلام سبق العالم إلى الاحتفاء بطلاب العلم، وأعلى قدرهم، قبل أكثر من أربعة عشر قرنا، حتى رفع مكانتهم إلى درجة سامقة، لا تدانيها منزلة، بعد النبوة.

ومع بدء العام الدراسي أخيرا في معظم دول العالم؛ يجدر بنا أن نلقي إطلالة سريعة على نظرة الإسلام إلى «طلب العلم»، وتفرده برفع مكانة طلابه، وارتقائه بمنزلتهم إلى مرتبة سامية، لم تعل عليها سوى مكانة الأنبياء، ومقام النبوة عند الله. قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة:١١)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر:٩).

ويكفي أن نطالع عشرات النصوص من القرآن الكريم والأحاديث المطهرة لنعلم أن طلب العلم في الإسلام هو أشرف غاية وجه إليها الأنظار، فاسترخص فيها الأعمار، واستثمر فيها الأموال، ودعا إلى بذل الجهود فيها والأوقات، لا سيما علم العقيدة والشريعة، حتى جاء الأمر بالقراءة في أول آي الوحي المنزل، بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١).

بل دعا سبحانه وتعالى نبيه ﷺ إلى الاستزادة من العلم، فقال عز من قائل: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه:١١٤).

أجمع العلماء على أن الآية «واضحة الدلالة في فضل العلم؛ لأن الله لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم» (فتح الباري)، لذا كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إذا تلا هذه الآية، يدعو قائلا: «اللهم زدنا علما، وإيمانا، ويقينا».

واعتبر الإسلام أن العلم في الدين دليل على خير عظيم من قبل الله، تعالى، يسوقه إلى صاحبه.. قال ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» (متفق عليه).

كيف لا، والعلم من أهم أسباب دخول الجنة؟ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر» (رواه مسلم).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير» (صححه الترمذي).

قال ابن القيم: «وضع الملائكة أجنحتها له تواضعا له وتوقيرا وإكراما لما يحمله من ميراث النبوة» (مفتاح دار السعادة). بل استشهد الله سبحانه العلماء، وقرن شهادتهم بشهادته، وشهادة الملائكة؛ فقال سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران:١٨). قال القرطبي في تفسيره: «الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء».

بل أخبرنا رسول الله ﷺ أن الله - سبحانه وتعالى - يبغض الدنيا وما فيها، إلا العلماء، وطلبة العلم، وذكره، وطاعته؛ قال ﷺ: «ملعونة الدنيا، ملعون من فيها، إلا ذكر الله، وما والاه، وعالما ومتعلما» (حسن، رواه الترمذي وابن ماجه).

من هنا كان «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، كما ورد في الحديث النبوي الذي رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

وفي رواية: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء، حتى الحيتان في البحر» (صحيح الجامع للألباني).

العلم بالله أشرف العلوم

يسعى الناس سعيا حثيثا، ويبذلون الغالي والنفيس، من أجل تحصيل علوم الدنيا، والتمذهب بمذاهبها، غافلين عن العلم الأعظم، والشرف الأسنى، ألا وهو نوع العلم الذي يتعلمه المرء؛

لا سيما إذا كان مفتاح الطريق إلى الله تعالى، وأساس شرائعه، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، ألا وهو معرفة العبد ربه وحبه وخشيته، وهو ما أجمعت الرسل على الدعوة إليه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٢٥).

ولما كان «شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم هو الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، فالاشتغال بفهم هذا العلم، والبحث التام عنه، اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب، لذلك بينه الرسول ﷺ غاية البيان» (تفسير أسماء الله الحسنى، عبدالرحمن السعدي، ص:٦-٨).

وأكد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، يرحمه الله، فقال: «لا ريب أن الذي أوتي العلم والإيمان أرفع درجة من الذين أوتوا الإيمان فقط كما دل على ذلك الكتاب والسنة. والعلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثته الأنبياء» (مجموع الفتاوى).

أنموذج موسى والخضر

هذا أنموذج لطلب العلم بين النبي موسى، والعبد الصالح «الخضر»، عليهما السلام، ذكره القرآن الكريم، والحديث النبوي؛ يؤكد لنا دعوة الإسلام إلى السعي في طلب العلم، حتى لو أدى ذلك إلى الارتحال بعيدا عن الأوطان، مع التحلي بحسن التلقي، ودقة الأخذ، والصبر على التعلم، والتزام الرفق، والتلطف أمام المعلم، وطاعته، والعمل بالأهم، والتثبت قبل الحكم على شيء، وعدم الحياء في طرح السؤال، مع تقدير عظم العلم، وجلال قدره عند الله تعالى، ورأسه «العلم بالله»، و«الخشية منه».

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ (الكهف:٦٠).

إن طالب العلم هنا موسى، عليه السلام؛ هو نبي الله، ورسوله، وكليمه، بينما المعلم عبد أنعم الله عليه بعلم وافر، ونستخلص من قصتهما شروطا عدة لطلب العلم، أولها الشغف به، وحبه، وشدة الرغبة فيه، حتى إن موسى، عليه السلام، سار حقبا (أي أزمانا طويلة) على قدميه في سبيله، على الرغم من بعد المسافة، وطول المدة، حتى قال لفتاه: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾، لكن شدة الرغبة في طلب العلم، رغم تقدمه في السن؛ قد أعانته على تحمل مشاق الترحال، وجعلته يتحمل وعثاء السفر؛ متابعا خطابه لفتاه: ﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾ (الكهف:٦٢).

إن موسى، عليه السلام، أعلم الناس بالله وقتها، وهو معلمهم منهاجه وشرعته، ورغم ذلك كان حريصا على الاستزادة من العلم؛ إذ أخبره ربه بأن هناك من هو أدرى منه بأمور لم يحط بها علما، فارتحل طالبا مزيدا من العلم، بتواضع شديد، فاستدر عطف معلمه، في أدب جم - رغم نبوته ورسالته - أن يعلمه مما أنعم الله عليه ليتعلم منه: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ (الكهف:٦٦).

الموقف من علوم الدنيا

يوضحه ابن القيم، يرحمه الله، فيقول إن «حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها.. إلا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون إلا في بعض المدن الجامعة، أما أهل البدو والكفور وعامة بني آدم فلا يحتاجون إلى طبيب، وهم أصح أبدانا ممن هو متقيد بالطبيب، أما الشريعة فمبناها على الوحي المحض، وما يقدر عند عدمها ففساد الروح والقلب جملة، وهلاك الأبدان» (مفتاح دار السعادة).

وقد أصاب الحافظ الحكمي، عين الحكمة، بما نظمه من شعر، في فضل العلم، إذ قال:

العلم أشرف مطلوب وطالبه
لله أكرم من يمشي على قدم
العلم نور مبين يستضيء به
أهل السعادة والجهال في الظلم
العلم أعلى حياة للعباد كما
أهل الجهالة أموات بجهلهم
العلم والله ميراث النبوة لا
ميراث يشبهه طوبى لمقتسم
لأنه إرث حق دائم أبدا
وما سواه إلى الإفناء والعدم
العلم يا صاح يستغفر لصاحبه
أهل السماوات والأرضين من لم
كذاك تستغفر الحيتان في لجج
من البحار له في الضوء والظلم
وإن أجنحة الأملاك تبسطها
لطالبيه رضا منهم بصنعهم
والسالكون طريق العلم يسلكهم
إلى الجنان بارئ النسم
كفاك في فضل العلم أن رفعوا
من أجله درجات فوق غيرهم
وكان فضل أبينا في القديم على الـ
أملاك بالعلم من تعليم ربهم
كذاك يوسف لم تظهر فضيلته
للعالمين بغير العلم والحكم
وما اتباع كليم الله للخضر الـ
معروف إلا لعلم عنه منبهم
وقدم المصطفى بالعلم حامله
أعظم بذلك تقديما لذي قدم
كفاهم أن غدوا للوحي أوعية
وأضحت الآي منه في صدورهم
وخصهم ربنا بصرا بخشيته
وعقل أمثاله في أصدق الكلم
والعالمون على العباد فضلهمو
كالبدر فضلا على الدري فاغتنم
وفضلهم جاء في نص الكتاب وفي الـ
حديث أشهر من نار على علم.



القاهرة - نادر أبو الفتوح
صحافي مصري

«ميتافيرس» واقع افتراضي جديد

كثيرة هي التحديات التي تواجه الشباب المسلم، الأمر الذي يتطلب مزيدا من التوعية لترسيخ القيم والأخلاق، في ظل الحديث عن واقع افتراضي جديد عبر الإنترنت أطلق عليه «ميتافيرس»، هذا التطور الغريب في السوشيال ميديا يجعل مستخدميه يعيشون في عالم افتراضي بتقنيات مستجدة، والمؤكد أن ذلك يحمل تأثيرات سلبية كثيرة خصوصا على الشباب المسلم، فإذا كانت الأسرة المسلمة تتابع الشباب والناشئة بالنصيحة والتوجيه من مخاطر الإنترنت، فما بالنا بهذا التطور الذي ينقل مستخدميه من عالم افتراضي إلى واقع افتراضي، كل ذلك أثار قلق الأسر المسلمة خوفا من السلبيات التي قد يحملها هذا المجهول الإلكتروني.

علماء دين من جانبهم أكدوا في حديثهم مع «الوعي الإسلامي» أن التحديات التي تواجه الشباب والأسرة المسلمة سوف تظل وتتجدد بشكل مستمر، وهذا يتطلب يقظة من علماء الدين وخبراء علم الاجتماع وكافة المؤسسات المعنية بالفكر والثقافة، لمواجهة هذه العوالم الافتراضية التي تستهدف الشباب، وطالبوا بعدم القلق من هذا المجهول بل علينا أن نستعد بالوعي المستنير، وأن تكون هناك خطط للتوعية تتعاون فيها كافة المؤسسات الدينية والثقافية والإعلامية والتعليمية.

التوعية لمواجهة التحديات

في البداية يقول الدكتور سامي الشريف، رئيس لجنة الإعلام بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية والأستاذ بكلية الإعلام جامعة القاهرة: إن التكنولوجيا الحديثة تأتي بالمتغيرات التي تكاد تعصف بالقيم في المجتمعات الشرقية، وكل يوم تأتي وسائل التواصل الاجتماعي بمستجدات تجعل الإنسان يعيش في عالم افتراضي، وهذا أمر خطير وخصوصا في المجتمعات العربية والإسلامية، لأن هذه المستجدات تجعل الشباب عرضة للأفكار التي تتنافى مع تعاليم الشريعة الإسلامية، والمؤكد أن التوعية هنا تكون من خلال التربية الإعلامية التي نستطيع من خلالها أن نواجه مخاطر ميتافيرس، وذلك من خلال التعامل مع مستجدات الإعلام الإلكتروني، وتوعية الشباب وتوجيههم للتفرقة بين الغث والسمين، والحلال والحرام، المفيد والضار، لأننا في الأساس لا يمكن أن نمنع الشباب من متابعة هذه البرامج، لأن وسائل التواصل الحديثة تخترق المجتمعات، والحل الأمثل لمواجهة هذه التحديات يتمثل في التوعية وتحصين الشباب من الأفكار التي تهدف للسيطرة على عقولهم، وأن يكون هناك استعداد لهذا التطور الالكتروني، ونحن في الأساس لا يشغلنا أن نعرف تفاصيل هذا الواقع الافتراضي، بقدر ما يجب أن نشغل أنفسنا بكيفية حماية الشباب والناشئة، وضرورة الاستفادة من أهل العلم وخبراء تكنولوجيا الاتصالات، لوضع خطط لتفادي الآثار السلبية.

تحصين الشباب

ومن جانبه أوضح الشيخ عبد الحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر في حديثه مع «الوعي



الإسلامي» أن المخاوف التي تنتابنا ظهرت منذ الحديث عن ميتافيرس، تحمل قلقا من انتهاك حرمة البيوت، أو وجود علاقات تؤدي لارتكاب أفعال محرمة شرعا، أو الدخول في تعاملات تحرمها الشريعة الإسلامية، لأن الجانب السلبي لوسائل التواصل الاجتماعي يستنزف طاقات الشباب في أمور محرمة، وقد تتفاقم تلك المحرمات وتأخذ أشكالا متعددة، فالخوف أن تسود هذه الأمور لدى الشباب، لأن هذا يعني السيطرة على قلب وعقل ومستقبل الأمة، مؤكدا أن هذه المخاوف طبيعية، ويجب أن يتعاظم دور الأسرة لتحصين الشباب بجانب دور الخطاب الديني، فكما تقوم الأسرة بدورها في حماية الشباب من الإدمان والإلحاد والتطرف، عليها أن تؤدي نفس المهمة لتحصين الأبناء من مخاطر وسائل التواصل، وبشكل عام الوقاية تكمن في التوعية الدينية وترسيخ القيم والحوار مع الأبناء وتحذيرهم من أصدقاء السوء، بجانب دور كافة مؤسسات المجتمع، وأن يكون الهدف الأول للجميع التأكيد على أن الالتزام بتعاليم الشريعة الإسلامية يعد ضمانة للحياة السعيدة، وأن ما هو محرم في الواقع يعد أيضا محرما في الواقع الافتراضي، والمسلم يجب أن يكون ظاهره كباطنه، وأن يبتعد عن كل المحرمات، والحق سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:٣٢)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء:٣٦).

الحفاظ على منظومة القيم

ومن جانبه يقول الدكتور نبيل السمالوطي، عميد كلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر سابقا في حديثه مع «الوعي الإسلامي»: إن وسائل التواصل الحديثة أصبحت تثير قلق الأسر المسلمة، في ظل سلبيات كثيرة وجرائم تقع نتيجة الاستخدام الخاطئ لها، والقضية الأهم التي يجب أن نتناولها ليست أن هناك واقعا افتراضيا جديدا ينتظر العالم عبر وسائل التواصل وشبكة الإنترنت، لكن الأمر الذي يعني الأمة الإسلامية أن نحافظ على منظومة القيم ونعلي من تعاليم الشريعة الإسلامية، وترسيخ المبادئ التي حملها لنا الإسلام، في هذه الحالة لا يمكن لأي مستجدات أن تنال من المجتمع المسلم، والحق سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص:٧٧)، فكل ما يؤدي لتدمير الأخلاق يعد فسادا في الأرض، وهنا نقول للشباب: إن المحرم والمجرم في الواقع الحقيقي الذي نعيشه، يعد محرما أيضا في هذا الواقع الافتراضي، كلها في إناء واحد لا يمكن التفرقة بينها، وعلاجها يكون بنفس الطريقة وهي التمسك بتعاليم الشريعة وأن تقوم الأسرة بدورها، ويكون هناك خطاب ديني يراعي هذه المستجدات ويحذر من مخاطرها، ويوجه الأسر لكيفية التعامل مع الأبناء والمراهقين، وهنا تكمن أهمية الدعوة الإلكترونية التي تخاطب الشباب بنفس الوسائل التي يقبلون عليها، فهذا نوع من تجديد الخطاب الديني الذي يراعي الواقع وقضايا العصر.



د. يوسف علي حسن بدر
دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

تربية البنات

هل نحتاج إلى التذكير بأن بناء الأسرة في الإسلام بناء متين كله محبة واحترام متبادل، وأن نظام الأسرة في غالب الأمم الأخرى -والمعاصرة منها بالذات- نظام متفكك قائم على الأنانية والبحث عن المصلحة الشخصية لكل فرد في الأسرة؟

لا أظن أننا بحاجة إلى ذلك، غير أن الواجب علينا لفت الانتباه إلى أن كل تقليد لوضع اجتماعي أجنبي عن المجتمع المسلم تكون نتيجته فقدان جزء من طمأنينة الأسرة المسلمة بقدر ما تخلت عن منهج الإسلام وأخذت من تلك الأنظمة الهزيلة اجتماعيا.

أساس الأسرة السعيدة هو الأسرتان السعيدتان قبلها: أسرة الزوج وأسرة الزوجة، وما رآه الزوجان من سعادة في أسرتيهما سيطمعهما في السير على المنوال نفسه.

والمأساة التي تعيشها كثير من الأسر المسلمة اليوم، والتي تصل كثيرا إلى الطلاق أو حافته، سببها تهجين الثقافة، من خلال ما يتلقفه الرجل والمرأة من وسائل الإعلام المختلفة، وأحيانا من خلال القوانين النافذة المخالفة لروح الشريعة الإسلامية في بعض البلدان.

ولنأت الأمر من أوله، حيث رزق المسلم بنتا أو أكثر، في مجتمع كان في الجاهلية يكره البنات، وقد يصل بهم الحال إلى وأدهن، وليست الجاهليات المحيطة بالعرب آنذاك بأحسن حالا من العرب في التعامل مع البنت.

هنا تأتي التوجيهات النبوية الكثيرة للعناية الخاصة بالبنت؛ احتراما

لحقها كإنسان، وتمهيدا لأسرة متماسكة متوادة ستنشئها حين تكبر وتتزوج؛ وخلاصة تلك الأحاديث الشريفة أن رحمة الوالدين بالبنت تؤدي إلى الإحسان إليها، وللإحسان صور ذكرتها الأحاديث النبوية، من أهمها:

١ - توفير الطعام والشراب والكسوة المناسبة لهن في نوعها حسب طاقة الأب، وفي شكلها بما يغرس القيم الإسلامية المتعلقة بالعفاف والستر والافتخار بالانتساب إلى الإسلام.

٢ - تربيتهن تربية صحيحة على آداب الإسلام.

٣ - تزويجهن إذا جاء الرجل الكفء، لا عضلهن، ولا رميهن لمن لا يعرف دينه وخلقه.

٤ - الصبر على كل ما يلقاه من لأواء وضراء وسراء في سبيل تربيتهن؛ وذلك ابتغاء مرضاة الله.

فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعمهن وسقاهن، وكساهن من جدته، كن له حجابا من النار يوم القيامة»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كان له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهن، وضرائهن، وسرائهن، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن»، فقال رجل: أو اثنتان يا رسول الله؟ قال: «أو اثنتان»، فقال رجل: أو واحدة يا رسول الله؟ قال: «أو واحدة»[٢].

وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئا غير تمرة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته، فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار»[٣]، وفي رواية «من يلي من هذه البنات شيئا، فأحسن إليهن، كن له سترا من النار»[٤].

ونقل الحافظ ابن حجر عن شيخه الحافظ العراقي: أنه يحتمل أن يكون معنى الابتلاء هنا: الاختبار، أي: من اختبر بشيء من البنات لينظر ما يفعل أيحسن إليهن أو يسيء، ولهذا قيده في حديث أبي سعيد بالتقوى؛ فإن من لا يتقي الله لا يأمن أن يتضجر بمن وكله الله إليه، أو يقصر عما أمر بفعله، أو لا يقصد بفعله امتثال أمر الله وتحصيل ثوابه، والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر: وفي حديث ابن عباس عند الطبراني: «فأنفق عليهن وزوجهن وأحسن أدبهن»، وشرط الإحسان أن يوافق الشرع لا ما خالفه.

وقال: الظاهر أن الثواب المذكور إنما يحصل لفاعله إذا استمر إلى أن يحصل استغناؤهن عنه بزوج أو غيره كما أشير إليه في بعض ألفاظ الحديث.

وقال: وفي الحديث تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالبا عن القيام بمصالح أنفسهن، بخلاف الذكور لما فيهم من قوة البدن وجزالة الرأي وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل تدرك له ابنتان، فيحسن إليهما ما صحبتاه، أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة»[٦].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا؛ جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه[٧].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن؛ فله الجنة»[٨]، وفي رواية: «ثلاث أخوات، أو ثلاث بنات، أو بنتان، أو أختان»[٩].

قال شارح الحديث رحمه الله: (من عال ثلاث بنات) أي: تعهدهن وقام بمؤنتهن. (فأدبهن) أي: بآداب الشريعة وعلمهن[١٠].

والنتيجة:

أن يحجب الوالدان عن النار ويدخلا الجنة قريبا من رسول الله ﷺ. هذا في الآخرة، أما في الدنيا فإن الوالدين ينشئان بنتا قادرة على بناء بيت متماسك ملؤه المحبة والمودة، لا تنخر فيه سموم النميمة، ولا تؤثر عليه الثقافات الدخيلة.

الهوامش

١ - سنن ابن ماجه (٣٦٦٩).
٢ - مسند أحمد (٨٤٢٥).
٣ - صحيح البخاري (١٤١٨).
٤ - صحيح البخاري (٥٩٩٥)، ومسلم (٢٦٢٩) كتاب البر والصلة.
٥ - فتح الباري (٤٢٨/١٠).
٦ - سنن ابن ماجه (٣٦٧٠).
٧ - صحيح مسلم (٢٦٣١).
٨ - سنن أبي داود (٥١٤٧).
٩ - أبو داود (٥١٤٨).
١٠ - عون المعبود، ج١٤، ص:٣٨، ط. دار الكتب العلمية.

مريم ثروت
باحثة إعلامية



ليس بالعقاب وحده يؤدب الطفل

التربية بالثواب

جرت العادة بمعاقبة الطفل بمجرد أن يخطئ وكأنه ارتكب جرما كبيرا من دون مراعاة من والديه لصغر سنه وقلة وعيه وإدراكه، ومن المؤكد أن العقاب هو من أهم أدوات التربية ووسيلة يلجأ إليها البعض لـردع المخطئ، ولكن السؤال هنا: هل يمكن الاعتماد فقط على العقاب كوسيلة للتربية؟

للإجابة على هذا السؤال يجب أن نذكر أن التربية بمفهومها البسيط تهدف إلى تعويد الطفل على شيئين هما: الامتناع عن السلوك الخاطئ والقيام بالسلوك الصحيح. وإذا كان العقاب يجدي نفعا في منع الخطأ، فلابد من وسيلة أخرى تعين الطفل على عمل الصواب.

وتتنوع وسائل التربية الإيجابية، فمنها التربية بالقدوة والموعظة والثواب والقصة.. وغير ذلك، وفي مقالنا هذا نلفت النظر إلى التربية بالثواب والتي تهدف إلى خلق جيل سوي واع يدرك ما حوله، جيل صالح في نفسه مصلح لمجتمعه يعمل جاهدا لخدمة دينه وأمته، فتنهض به الأمة ولا تتعثر.

والتربية بالثواب مقدمة على العقاب، وذلك لأنها أعظم فائدة وأعمق أثرا في نفس الطفل، اتجه إليها فقهاء التربية الإسلامية وشجعوا عليها، ومما يشير إلى ذلك توجيه النووي للمعلم في من وجده من التلاميذ حافظا للدرس، فيقول: «فمن وجده حافظا، مراعيا له: أكرمه وأثنى عليه وأشاع ذلك ما لم يخف فساد حاله بإعجاب ونحوه».

وتحمل التربية بالثواب العديد من الجوانب الإيجابية ومنها:

١ - يطول أثرها في نفس الطفل وفي سلوكه وفعله، فتجده يبادر بفعل الصواب ويبعد نفسه عن الخطأ، وأيضا يتقبل كل ما يتلقاه من والديه ويستجيب لهما.

٢ - تجعل الطفل يكرر العمل الجيد ويتعود عليه.

٣ - تعطي الطفل مزيدا من الثقة في نفسه وتشعره بالفخر

وتدفعه إلى نجاحات أخرى.

يحدثنا الدكتور فريد سكينار (أستاذ علم النفس التربوي بجامعة هارفارد) قائلا: «إن الخطأ الذي يقع فيه معظم الآباء والأمهات ويتسبب في سوء سلوك الأولاد هو أنهم لا يلتفتون إلى الطفل إلا حينما يخطئ فيعاقبونه على الخطأ، أما حينما يقوم بتصرف سليم أو سلوك حسن فإنهم يتجاهلونه، بينما الواجب أن يكافئوه بسخاء ليكرر السلوك الطيب حتى يصبح عادة متأصلة في نفسه.. (وأضاف إلى ذلك أن) الطفل مغرم بجذب انتباه أبويه وما داما لا يلتفتان إليه إلا إذا أساء فإنه يسيء ويتعود الإساءة»[1].

وإذا أردنا أن نربي أبناءنا تربية سليمة نقية تجعل منهم نشأ سليم العقل والنفس والبدن، نشأ يسمو بأمته فتكون رائدة بين الأمم، فلابد من مقومات لهذه التربية حتى تنجح هذه التربية وتؤتي ثمارها، ومن أهم هذه المقومات:

١ - المصداقية، وهي تعني أن المربي إذا وعد الطفل بأمر ما فعليه أن ينفذه، فمثلا إذا وعده أن يكافئه مكافأة محددة إذا قام بسلوك جيد، فعليه أن يفي بوعده؛ لأن ذلك أدعى إلى زيادة الثقة بين المربي والطفل مما ينعكس على حسن تربيته.

٢ - فالله تعالى امتدح سيدنا إسماعيل - عليه السلام - فقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ (مريم:٥٤).

وعن عبدالله بن عامر قال: دعتني أمي يوما ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: «وما أردت أن تعطيه؟»، قالت: أعطيه تمرا، فقال لها رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تعطه شيئا، كتبت عليك كذبة»[2].

فإذا كذب المربي فإنه تسقط هيبته عند طفله وربما شجعه ذلك على أن يكذب اقتداء به، فيضيع ما بذله المربي في التربية سدى.

المساواة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ (النحل:٩٠). وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل جالس مع النبي ﷺ فجاءه ابن له، فأخذه فقبله، ثم أجلسه في حجره، وجاءت ابنة له فأخذها إلى جنبه، فقال النبي ﷺ: «ألا عدلت بينهما؟»[3].

والأدلة على ذلك كثيرة، حيث حرص الإسلام على المساواة بين الأبناء والعدل بينهم في كل شيء، خصوصا إذا استحق كل واحد منهم الثواب؛ لأنه إذا فرق الوالدان بين أبنائهما نشأ بينهم الحقد والغيرة والحسد وهو ما لا تسعى إليه التربية أبدا.

٣ - الاعتدال: وهو يعني أن تكون المكافآت متدرجة في قيمتها المعنوية والمادية من غير إفراط ولا تفريط؛ لأن المبالغة في الإجزاء ينشأ عنها استخفاف الطفل بالمربي وعدم الوثوق بقدرته على التقويم وما يقال في المبالغة يقال في الإقلال المخل.

٤ - الواقعية: حيث ينبغي أن يكون الثواب على سلوك قد وقع فعلا، ولا يصلح أن يثاب الطفل على سلوك لم يفعله حتى لا يتهاون الطفل ويكون ذلك نوعا من العبث المفضي إلى السخرية.

٥ - التعجيل: ويقصد بذلك أن يكون الثواب عقب الفعل أو القول مباشرة؛ لأن ذلك يحدث أثرا كبيرا في نفس الطفل ويزيد من دافعيته نحو العمل الطيب وتكراره والثبات عليه، وفي ذلك يقول الشاعر:

ولقد وعدت وأنت أكرم واعد ... لا خير في وعد بغير تمام

أنعم علي بما وعدت تكرما ... فالمطل يُذهب بهجة الإنعام

٦ - التنويع: حيث إنه من الأفضل أن تتنوع صور الإثابة من حين إلى آخر فيكون الثواب تارة ماديا وتارة معنويا حتى لا يمل الطفل ويصبح الثواب شيئا عاديا، بل الأجمل في ذلك أن تمنح الطفل فرصة اختيار مكافأته، ومن شأن هذه الخطوة أن تمنحه الثقة في ذاته وتعزز سلوكه الطيب.

ونختم بقول الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله - فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارا، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبت إنك عققتني صغيرا فعققتك كبيرا وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا[4].

فحري بنا أن نحسن إلى أولادنا ونكون نعم القدوة والأسوة الحسنة حتى ننعم بجيل صالح سوي يبني ولا يهدم، يصلح ولا يفسد، جيل ترتقي وتفتخر به أمتنا بين الأمم.

الهوامش

١ - «كيف تتعاملين مع أبنائك؟» للأستاذ جمال الكاشف ص:٤٦-٤٧.

٢ - رواه أبو داود في سننه رقم (٤٩٩١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٧٤٨).

٣ - رواه البزار في «مسنده»، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٨٨٣).

٤ - «تحفة المودود بأحكام المولود»، ص:٢٢٩.



د. يحيى عثمان
مستشار بمجلس الوزراء سابقا

دور المسنين وبر الوالدين

إن بر الوالدين فرض على كل مسلم، وإن كانا كافرين ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان: ١٥)، ويقول الرسول ﷺ: (رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف، قيل: من؟ يا رسول الله، قال: من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما، أو كليهما فلم يدخل الجنة)[1].

قد يشاء الله ويتقدم العمر بالوالدين، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (النحل:٧٠)، ويصبح أمر البر عسيرا، فيحذرنا الله من قول «أف» لهما، يقول عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء:٢٣- ٢٤).

فلا خلاف على أن بر الوالدين فرض، وليس فضلا على أولادهما، أيا كانت حالة الوالدين من ضعف بدني أو عقلي، ولو كانا كافرين، وهو معلوم من الدين بالضرورة، بل إنه من خلق الفطرة السوية.

والسؤال الذي كثيرا ما يطرح، هل إيداع الوالدين كليهما أو أحدهما دار المسنين يتنافى مع البر؟ وأن من يفعل ذلك من الأولاد عاق؟

أرى أن الإجابة ليست على الإطلاق: نعم أو لا! ودعونا نقرأ معا الرسالة التي وردت إلينا على بريد الاستشارات، ونطرح بعض الحالات التي عرضت علينا، والله ولي التوفيق: أستاذي الفاضل، أنا في كرب شديد، وأخاف أن أكون عاقا لوالدي كما يتهمني إخوتي، متزوج من زوجة فاضلة كانت حريصة منذ زواجنا على مساعدتي على بر والدي، وتسعد باستضافتهما من وقت لآخر. كان الأمر سهلا في بداية زواجنا منذ حوالي خمسة عشر عاما، حيث لم يكن لدينا أولاد، وكان والداي بكامل صحتهما. أما الآن فقد رزقنا الله بثلاثة أولاد، يحتاجون كل دقيقة من وقت أمهم، ويشعرون بضيق المكان بسبب وجود والدي. أما عن حالة والدي عافاهما الله فقد أصيب والدي بالزهيمر، أما والدتي فقد أقعدها المرض، وأثر ذلك على نفسيتها، فأصبحت تثور على كل شيء وتصرخ في الأولاد؛ ما أثر على علاقتهم بها، وعلى مستوى دراستهم وسلوكياتهم. حتى أنا أشعر أنني كثيرا ما أفشل في تعاملي معهما، أجد صعوبة في إسعادهما، فمثلا كثيرا ما تتصل والدتي علي بالدوام، وهي ثائرة، لأن حفيدها الذي يبلغ أربع سنوات يعمل ضوضاء! وعبثا أحاول أن أنهي المكالمة، وإن لم أرد أسمع عند عودتي محاضرة في بر الوالدين. كم أشعر أنني حقا مقصر، فوالدي الذي أخاف منه على نفسه أو على أولادي، لأنه فقد القدرة على تقييم التصرف، والأخطر أن صحته البدنية جيدة، ويتحرك دون وعي لما يقول أو يفعل، ولكنني لا أستطيع أن أمكث بجانبه للالتزامات التي علي.

إن حالتهما تقتضي تناول أدوية في مواعيد محددة، وتتولى زوجتي ذلك في فترات وجودي بالعمل، ولكن حدث أن اضطرت زوجتي للخروج لأمر طارئ، وتعرضت والدتي لأزمة، وشاء الله أن أعود في اللحظات الحرجة. كنت أعمل (دوام مسائيا)، ولكن لتدهور حالتهما، آثرت المكوث بالمنزل لخدمتهما وتخفيف العبء على زوجتي، مما أثر على دخلي. فاض الكيل بزوجتي وأعطتني مهلة شهر، وإلا ستترك المنزل ومعها الأولاد للمعيشة في بيت عائلتها لأتفرغ أنا لبر والدي.

عرضت الأمر على إخوتي، وخيرتهم بين توزيع استضافة والدينا بيننا، أو أن نلحقهما بإحدى دور رعاية المسنين.

- الأخ الأول مقيم بإحدى الدول الغربية أسقط ما يراه من إيداع الأولاد لوالديهم دور المسنين بالغرب، وانقطاع صلتهم بهم، وتساءل كيف يصل بي الجحود بوالدي أن اقترح إيداعهما دور المسنين؟ وأعطى محاضرة في بر الوالدين، وكيف كافح والدي حتى وصلنا لما نحن فيه من نجاح، فكيف يكون جزاؤهما التخلص منهما بإيداعهما دور المسنين؟ وعرض علي مساعدة مالية نتيجة ترك عملي المسائي لرعاية والدي.
- الأخ الثاني رغم قدرته المالية ومعيشته في فيلا كبيرة، ويتوافر بها العديد من الغرف والخدم، إلا أنه منذ زواجه وهو نادرا ما يرفع التليفون للسؤال عن والديه، ويتعلل بانشغاله، كما أنه لا يمكنه استضافتهما، لأن زوجته ترفض! وأيد بقوة فكرة دور الرعاية، وأنها الحل الوحيد للمشكلة مهما كانت التكلفة، ولكن ما آلمني تبريره بأن «ما أحد فاضي يراعي أحد»، كل منا عنده ما يكفيه من مشاغل والكد على متطلبات أسرته ورعاية الأولاد والخوف من المخاطر التي يتعرضون لها أولى. وأنهى حديثه بأن تفضل علينا بأنه مستعد أن يتحمل تكلفة دور الرعاية عن الأخ الذي لا يستطيع.
- إحدى الأخوات رغم أنها دائمة الزيارة لوالدينا والتواصل معهما وتبدي أقصى درجات البر، ولكنها اعتذرت عن عدم استضافة والديها، لأنها رفضت استضافة أم زوجها، فكيف لها أن تطلب من زوجها ذلك؟
- الأخت الصغرى تعيش مع زوجها وأولادها الأربعة في شقة من غرفتين، وعرضت استضافة والدتنا فقط، على أن نتحمل نفقة معيشتها.

أستاذي الفاضل، رغم حبي الجم وتذكر قصة كفاح والدي، والأهم هو خوفي من غضب ربي لأن أكون ابنا عاقا، إلا أنه رغم كل نبذله أنا وزوجتي حتى أولادنا في رعاية والدي، لا يمثل شيئا مما يحتاجانه من رعاية، ويشعران بتقصيرنا تجاههما! نفسيا أرفض فكرة دور الرعاية، ولكن ماذا أفعل وجزاكم الله خيرا؟

التحليل

- كما هو معلوم أن بر الوالدين فرض، ولكن كيفية البر تتوقف على قدرات الأولاد ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:٢٨٦)،

فالمولى جل شأنه لا يكلفنا إلا بما هو في وسعنا، فحج البيت الحرام يسقط على من لا يستطيع، كما أن الله الخالق القادر يعلمنا أن ندعوه بألا يحملنا فوق طاقتنا.

● إن الشيخوخة عادة ما تتسبب في تدهور الصحة النفسية والعصبية والبدنية، وأصبح التعامل مع كبار السن يتطلب متخصصين؛ لذا لم يعد أمر رعاية الوالدين المتقدمين بالسن يقتصر على مصاحبتهما لعيادة الطبيب والإشراف على تناولهما الدواء. وفي المقابل أصبحت متطلبات الحياة تفرض على رب الأسرة بذل جهود مضنية لتوفير حياة كريمة لأولاده، وقد تعمل أيضا الزوجة للمساهمة في تكاليف المعيشة، ناهيك عن تحديات تربية الأولاد، وضيق أماكن المعيشة بأفراد الأسرة فضلا عن استضافة الوالدين. أؤكد هذا ليس تبريرا للتقصير في بر الوالدين، ولكن دعوة لتغيير مفهوم حق الوالدين المطلق في البر.

● الأصل أن يتسابق الأولاد في كل أنواع البر المادي والمعنوي لوالديهم، وأن يقوموا هم بهذا البر سواء أكان استضافة أم رعاية، وإن اختلفوا في الفوز بهذا الفضل العظيم، فالتساوي في فرص البر حتى لا يحرم أحد من الأجر. أما إذا اختلفت قدراتهم فالأفضلية لمن له قدرة أكثر على البر، وعذر الله من لا يستطيع، هذا إذا لم تتطلب رعاية الوالدين عناية وخبرات خاصة.

● قد تتطلب حالة الوالدين رعاية خاصة، يصعب على الأولاد القيام بها، أو تنقصهم المعرفة والمهارات والقدرات التي تمكنهم من ذلك، مما قد يؤثر سلبا على حالة والديهم إذا قاموا هم برعايتهم، هنا يجب على الأولاد توفير هذه الرعاية عند أحد منهم، وإن تعذر فلا حرج مطلقا، بل يجب توفيرها في دور الرعاية، طبقا لقدراتهم المادية، كما أنه من البر بالوالدين ألا يشعرا بأنهما عبء على أولادهما، أو أنهما قد سببا ضيقا حتى لأحد حفدتهما.

● إن استضافة الوالدين في الرعاية، لا يعني مطلقا التخلص منهما، بل يجب كل الحرص على حسن التواصل معهما بزيارتهما، على الأقل أحد الأبناء يوميا، ناهيك عن التواصل التليفوني، والاطمئنان عليهما ومؤانستهما ومتابعة حالتهما مع الأطباء.

الحل المقترح

● واضح من بيانات الحالة التي نحن بصددها، أن حالة الوالدين تتطلب رعاية خاصة، وهناك صعوبة في توفيرها بمنزل أحد الأولاد؛ لذا فمن البر بالوالدين توفير إقامة لهما بإحدى دور الرعاية وبما يتناسب مع قدراتهما المالية مجتمعة، وقد عرض أحد الأولاد تحمله لنصيب من لا يستطيع.

● كما سبق بيان أن استضافة دور الرعاية للوالدين ليس عبئا قد تخلصنا منه وأوكلناه إلى دور الرعاية، ولكنه بر بالوالدين إذا اقتضت حالتهما ذلك وقد عجزنا عن توفير الرعاية المتطلبة لحالتهما، لذا يجب المبالغة وأؤكد مرة ثانية المبالغة في التواصل معهما بالزيارة والتليفون، حتى نزيل ما من المؤكد أن يتطرق لذهنهما إننا قد أودعناهما دور الرعاية تخلصا من عبئهما.

● كيف يعرض قرار دار الرعاية على الوالدين؟

من الخطأ أن يقترح أحد الأولاد ذلك، ولكن يمكن الاتفاق مع الطبيب المعالج بأن يقرر هو ذلك، «إن الوالدين يحتاجان رعاية خاصة إننا لن نستطيع توفيرها لهما»، ثم الأولاد يعارضون، فيقرر الطبيب «أنا الطبيب وأنا المسؤول عن حالتهما»، ويتركان القرار لوالديهما، ويستدرك الطبيب ناصحا للوالدين بأهمية دور الرعاية لهما.

الحاجة إلى دور رعاية المسنين

عادة ما يحتاج المسنون إلى رعاية نفسية وبدنية تخصصية، يستحيل على الأولاد أداؤها، وقد تحول قدراتهم المالية دون إلحاق والديهم بدور رعاية المسنين، لذا وجب على الدول الإسلامية أن تكرم كبار السن، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»[2]، وإن من إكرام المسنين توفير دور رعاية لمن يحتاج منهم. كما أنه باب من أبواب الخير العظيمة مثل الوقف والصدقة لإنشاء هذه الدور ورعايتها، سواء بالمال أو بالوقت، كأن يتصدق الأطباء والاجتماعيون والنفسانيون وكل من يستطيع أن يقدم خدمة للمسنين الذين لا يمكن لأولادهم القيام برعايتهم.

الهوامش

(١) صحيح مسلم/ خلاصة حكم المحدث: صحيح.

(٢) حسن - رواه أبو داود، باب في تنزيل الناس منازلهم، رقم ٤٢٠٣، وابن أبي شيبة، برقم ٥/ ٢٢٤، والبيهقي، رقم ٢٥٧٣، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، ٣/ ٧٨.



زهراء محمد هلال محايري
أديبة وباحثة

الحب النافع..
مفتاح السعادة الحقيقية

خلق الله عز وجل الإنسان معجزة ناطقة، تنطق بعظيم خلق الله في كل حين، وجعله في أحسن تقويم متكاملة فيه مزايا العقل والروح والجسد، فأعطاه عقلا يفكر به ويحلل ما يراه ويسمعه، وجسدا يحتاج لما يحتاج من القوت والغذاء والطعام، وقلبا تتجاذبه المشاعر والعواطف من كل جهة.

وقد حكم الباري عز وجل على هذا القلب أن ينبض بالحب ويحيا به، فإن هو شغله بحب الذات والأنانية وشرار المحبات فقد أهلك نفسه بيده، وإن هو شغله بالحب النافع الراقي فقد سعد بالدنيا والآخرة.

ولا ريب أن سلطان عرش القلب لله عز وجل.. مبدع الأكوان، ومصور الإنسان، وخالق الجمال، ولمن أخذ بيدنا لسعادتنا وانتشلنا من وحل الضياع والتيه إلى بستان مزهر منير بطاعة الله، إنه رسول الله ﷺ. قد تجسد فيه أكمل جمال قدره الله لبشر على هذه الأرض، لم يعرف سكانها جمالا كجماله، لا قبله ولا بعده ﷺ، يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: (رأيته في حلة حمراء، لم أر شيئا قط أحسن منه ﷺ)، وهو صاحب تلك الشخصية الفريدة العظيمة المنيفة الذي من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، ارتفعت أخلاقه مجدا وسناء على كل ولد آدم.. فهو الشفوق العطوف على أمته والمعلم الناصح لصحابته والأب الحنون على أولاده، هو صاحب الصبر عند الصدمة الأولى، وسيد الحلم وقت غلظة الأعراب وجفائهم.

ما أحلى كلامه! كأن منطقه خرزات نظم، وما أثمن نصائحه! تتناغم إرشاداته مع كل الموجودات، العقل والقلب والروح والجسد، فتلبي كل الحاجات، وتغني ذرات الكون أغنية الشوق للحن وصاياه تردد: هل عرف هذا العالم يا رسول الله السعادة إلا بلقياك؟

رسولنا المصطفى ﷺ صاحب أجمل بيان عرفه التاريخ، يخرج من فيه المبارك كلمات الهداية وأنوارها وأسرارها، قال الصحابي: (إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه)، وكأني أرى كلمات العربية تتسابق لتحظى بشرف النطق من سيد الأمة.

شرف الله عز وجل الإنسانية بقدوم سيدها المبجل في أشد أوقاتها ظلمة وضياعا ليكون رحمة للعالمين، وتتذوق راحة البال والسكينة الحقيقية في ظلال شرعه الحنيف.

ما من إنسان ولا حيوان ولا مخلوق إلا وقد شمله عطفه المبارك، وفي تعاليم الإسلام نال الإنسان مكانته الحقيقية خليفة لله على هذه الأرض، ونالت المرأة مكانتها سيدة وعالمة وطبيبة بعد أن كانت مكسورة في مجتمعها وموؤودة في أرضها.

قال الشاعر: حيث آن الأوان وقد كبر ووصل ذلك اليتيم الأربعين.. فإن الأقدام الدامية التي كانت تسير على الرؤوس قد تزكت.. ذلك المعصوم حرر الإنسانية في النفخة الإيمانية التي بثها في قلوب الناس.. وأنقذ العاجزين والمضطهدين الذين لم يكن لهم حق سوى الذل والهوان.. كل ما تملكه الدنيا فهو من هباته ﷺ... فالبشرية كلها مدينة لذلك المعصوم ﷺ.

حقا إنه جمال الحياة وسعادتها! وبحبه ﷺ يكتسب العمر معنى وقيمة، ويتعلم محب رسول الله ﷺ من محبوبه الجد والعزيمة وكل الخصال الجميلة.. فهل كان الجمال يوما إلا هديا لنبينا محمد؟ وكم تحمل المشاق في سبيل هدايتنا؟ فهل نستثقل أن نكون أوفياء له في كل حين؟ أوفياء الوفاء الحقيقي الذي يجعلنا نصلي عليه بحب، ونخدم سنته بشغف، ونزرع بذرة حبه في كل الترب وكل الطرق، نتقرب إلى الله عز وجل من بابه الأوحد باب رسول الله ﷺ، ونقرأ في كتب سيرته العطرة وحديثه العنبري، ونشكر المولى على هذا الحب الذي يجعلنا على بصيرة من أمرنا رغم تقلبات الحياة الصعبة، ونستحضر هدف رضاه واتباعه في كل أمور حياتنا ونجاحاتنا، حتى نجتاز امتحان الحياة الدنيا بسلام، ثم نلقاه على الحوض وعسى يكرمنا ربنا بصحبته ﷺ في روح وريحان وجنة نعيم آمين يا رب العالمين.

متابعة
فهد خلف الشمري



خمسة وعشرون نبيا ورسولا وخمس لغات وأكثر من مئة وخمسين مادة فلمية

منظمة العالم الإسلامي تشارك في معرض عن الأنبياء عليهم السلام

في سابقة تعد الأولى من نوعها، شاركت منظمة العالم الإسلامي في المعرض العالمي «اكسبو ٢٠٢٠م» بدولة الإمارات العربية المتحدة، بتقديم النسخة الأولى من المعرض الدولي الحضاري: الأنبياء عليهم السلام كأنك تراهم.

ويعد المعرض الأول والأضخم من نوعه، حاملا رسالة حضارية عالمية كبرى عبر عرض سير رواد البشرية، وخير الإنسانية، وصفوة الخلق، الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، عبر أحدث التقنيات وأكثر الوسائل تأثيرا.

من خلال رسالة حضارية عالمية كبرى بادرت رابطة العالم الإسلامي بإطلالة على العالم من بوابة «إكسبو ٢٠٢٠م» وتقديم معرض «الأنبياء عليهم السلام كأنك تراهم» ليعكس جمال رسالة الإسلام العالمية وكريم أخلاق الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بأسلوب علمي إبداعي وبأحدث التقنيات وأمتع الوسائل.

وقد لاقى المعرض إقبالا كبيرا وحضورا جماهيريا عالميا، بما يؤصله من معاني الحب والخير والمودة والسلام والتسامح والتعايش والتعاون على الخير، عبر أحدث التقنيات وأجمل الوسائل بمضمون علمي إبداعي، كأنموذج أرقى لما يجب أن تكون عليه الإنسانية، وأن تسير على هديه البشرية.

سيتم خلال المعرض التعريف بخمسة وعشرين نبيا ورسولا، هم الوارد ذكرهم في القرآن الكريم، بخمس لغات عالمية هي: العربية والإنجليزية والفرنسية والعبرية والإندونيسية، وبأسلوب تفاعلي يعرف الزائر بأسمائهم وألقابهم وصفاتهم وخلقهم وطفولتهم وأماكن بعثهم والكتب المنزلة عليهم وأقاربهم وأقوامهم وخصائصهم ومعجزاتهم









ولغاتهم وأخلاقهم، عن طريق أكثر من (١٥٠) مادة فلمية بلغات متنوعة، وإعداد (١٤) خريطة إعلامية يومية بلغات متنوعة، تحمل عناوين جذابة، يعرف الزائر من خلالها ما هي المادة التي ستعرض، وما هي مواعيدها، ومدة العرض، إضافة إلى عدد من المطبوعات والمؤلفات العلمية والهدايا التذكارية.

وأهم ما يميز المعرض شموله على محتوى علمي تأصيلي، ومضمون حضاري نبوي، إضافة إلى سير الأنبياء جميعا من منظور مؤصل وموثق، ورؤية شاملة، مع التأكيد أنهم جميعا إخوة كما جاء في الحديث الصحيح: «الأنبياء إخوة لعلات: دينهم واحد، وأمهاتهم شتى».

ويعمل المعرض على توظيف التكنولوجيات الرقمية وبعدد من اللغات العالمية، تسخيرا للهدف المنشود حيث يحتوي المعرض على أحدث التقنيات التي تأخذ الزائر إلى عالم آخر، لتضعه في قلب الحدث وكأنه مع النبي في سيرته ومسيرته وأحداث حياته، إضافة إلى تجربة الجدارية التفاعلية «رسالتك إلى الإنسانية»، التي تم تصميمها خصيصا لإرساء عدد من المفاهيم الإنسانية بهدف إزالة الفواصل العنصرية وتخطي الصراعات الثقافية السلبية بين البشر، وتعميق مفهوم حق الآخر في العيش بكرامة وحرية وأهمية التعايش معه.

ويتضمن المعرض حملة بعنوان: الإسلام دين السلام، تقدم «سجلا للمواقف الإنسانية» التي حفل بها التاريخ القديم والحديث، بهدف تفعيل دور الدين في حياة البشر على تنوعهم، وتسليط الضوء على المشتركات الإنسانية التي تتفق فيها الأديان كلها، ودور تلك المشتركات في غرس الأخلاقيات الحميدة التي تساعد في التفاعل مع الآخر المختلف، والتعايش معه في جو من التسامح والتسامي، وتشتمل على موضوعات رئيسية، منها: مواقف إنسانية من حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبخاصة نبينا محمد ﷺ المبعوث بالشريعة الخاتمة.

ويستمر المعرض طيلة أيام الأسبوع على مدى ستة أشهر، هي الفترة المقررة لمعرض إكسبو (٢٠٢٠م)، ابتداء من الأول من أكتوبر (٢٠٢١م)، وحتى نهاية أبريل (٢٠٢٢م).

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث





سلسلة الأعلام المتشابهة (٦٣)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الغزنوي):

١- أبو الحسن الغزنوي (ت: ٤٦٥هـ):

هو أبو الحسن علي بن عثمان الغزنوي، صوفي.

من آثاره: (كشف حجب المحجوب لأرباب القلوب) في التصوف[١].

٢- أبو المعالي الغزنوي (ت: ٥٠٠هـ):

هو أبو المعالي عبد الرب بن منصور بن إسماعيل الغزنوي الحنفي، فقيه.

من تصانيفه: شرح مختصر القدوري سماه: (ملتمس الإخوان في فروع الفقه الحنفي)[٢].

٣- نجم الدين الغزنوي (ت: ٥٥٠هـ):

هو نجم الدين أبو القاسم محمود



بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي، مفسر، فقيه، أديب، لغوي، شاعر.

من تصانيفه: (جمل الغرائب في تفسير الحديث)، و(إيجاز البيان في معاني القرآن)، و(التذكرة والتبصرة) تشتمل على ألف نكة[٣].

٤- ناصر الدين الغزنوي (ت: ٥٨٢هـ):

هو ناصر الدين عالي بن إبراهيم بن إسماعيل الغزنوي الحنفي، فقيه، مفسر.

كان مقيمًا في حلب، من أبرز مصنفاته: (تقشير التفسير)، و(شرح مقدمة النحو لابن بابشاذ)، و(مشارع الشرائع) في الفقه، وشرحه (المنابع في شرح المشارع)[٤].

٥- الغزنوي (ت: ٥٩٣هـ):

هو أحمد بن محمد بن محمود الغزنوي الكاشاني الحنفي، فقيه، أصولي.

من أبرز مصنفاته: (الروضة في اختلاف العلماء)، و(المقدمة الغزنوية) في الفقه، و(روضة المتكلمين في أصول الدين)، توفي في حلب[٥].

٦- سراج الدين الغزنوي (ت: ٧٧٣هـ):

هو سراج الدين، أبو حفص عمر بن إسحق بن أحمد الهندي الغزنوي الحنفي،: فقيه، أصولي، منطقي، صوفي.

ولد سنة: (٧١٤هـــ)، وقدم القاهرة، وولي قضاء الديار المصرية.

من أبرز مصنفاته: (التوشيح في شرح الهداية)، فقه حنفي، و(الغرة المنيفة في ترجيح مذهب أبي حنيفة)، و(زبدة الأحكام في اختلاف الأئمة)، و(شرح بديع النظام)، و(شرح المغني للخبازي) في أصول الفقه، و(شرح الزيادات) في فروع الحنفية، و(شرح عقيدة الطحاوي)، توفي في شهر رجب[٦].

الهوامش

١- انظر: كشف الظنون (١٤٩٤/١) وهدية العارفين (٦٩١/١) ومعجم المؤلفين (١٤٨/٧).

٢- انظر: الأعلام للزركلي (٢٩٢/٦) ومعجم المؤلفين (١١١/٥).

٣- انظر: بغية الوعاة (٢٧٧/٢) والأعلام للزركلي (٤٣/٨) ومعجم المؤلفين (١٥٧/١٢).

٤- انظر: هدية العارفين (٤٣٥/١) والأعلام للزركلي (٢٤٩/٣) ومعجم المؤلفين (٥٢/٥) (٤/٧) (٣٧/٨).

٥- انظر: الأعلام للزركلي (٢١٧/١) ومعجم المؤلفين (١٥٦/٢).

٦- انظر: هدية العارفين (٧٩٠/١٠) والأعلام للزركلي (٤٢/٥) ومعجم المؤلفين (٢٧٦/٧).



هشام الصباغ
باحث لغوي

موسوعة بشرية إسلامية

المفكر أنور الجندي

■ مفكر وعالم وكاتب وأديب وباحث متجرد لفكره، عاش أكثر من ثمانين عاما، قضى معظمها منافحا عن الإسلام وفكره وأدبه ولغته العربية.. بعيدا في ذلك كله غاية البعد عن مجالات الشهرة والبحث عن النجومية، أو إحداث دوي كأنما هو زاهد أو راهب في صومعة لا يتطلع إلى شيء في هذه الحياة، سوى أمر واحد هو أن يقول كلمته.

■ باكرا؛ وهو دون الثامنة عشرة من عمره، وبلا مرور بأطوار الكتاب والباحثين والمؤلفين المختلفة، بدأت رحلته مع التأليف والتصنيف.. وللعجب جاءت بدايته ناضجة فكريا ومكتملة الرؤية، تملؤه ثقة من أدواته البحثية وعدته العلمية، ريانا من ثقافته العربية والإسلامية الأصيلة التي قوامها مزيج من دراسات الأدب والعلوم والفقه والتاريخ والسنة والشرائع والقرآن الكريم.

■ امتلك قدرة عجيبة على التأليف الموسوعي والمعجمي، وإعداد الكتب الضخمة الممتدة التي تتناول جزئيات كثيرة، وفروعا شتى.. وأسلوبه في الكتابة سهلا واضحا مشرقا يميل إلى التبسيط وتقريب الثقافة العامة لجمهور المتعاملين دون تقعر أو تفيهق أو جنوح إلى الإغراب والتعقيد..

■ صوب قلمه نحو قضايا عصره، وواجه تحديات الغزو الفكري ورياح المذاهب والنظريات والفلسفات المادية، موقنا بانتصار كتيبة الحق على كتائب الباطل.. فآتت كتبه أكلها في تثقيف الشباب المسلم وتحصينه من الهجمات الثقافية الغربية المادية والعلمانية التي لا ترضى إلا بان تقتلعهم من جذورهم وأصالتهم.

■ يقال إن لكل امرئ من اسمه نصيبا؛ وبالفعل كانت رسالته، مذ أمسك بقلمه «نورا» للأمة؛ يردها به إلى نور الحق أصل كل نور، و«تنويرا» يقاوم به تغريبها ويدفع عنها غزوا فكريا يريد سلخها من جلدها، ويحاول تغيير وجهتها، وتبديل هويتها، وإلغاء صبغتها الربانية.. كما أنه وقف «جنديا» بالمرصاد لكل دعاة التغريب، يكشف زيفهم، ويهتك سترهم، وإن بلغوا من المكانة ما بلغوا.. ولم يجر خلف بريق الشهرة، ولم يسع لكسب المال والثروة، أو الجاه والمنزلة، وإنما كان أكبر همه أن يعمل في هدوء، وأن ينتج في صمت.. نعم هكذا هي حياة المفكر الأديب والكاتب الكبير والمدافع العتيد والموسوعي الإسلامي أنور الجندي.

المولد والنشأة

■ في صعيد مصر، وعلى ضفاف النيل، ولعائلة عريقة عرفت بالعلم؛ ولد أحمد أنور سيد أحمد الجندي عام ١٩١٧م، في قرية «النخيلة» إحدى قرى مركز «ديروط» بمحافظة أسيوط، وهي واحدة من أجمل بلاد الصعيد، حيث تسقيها ثلاثة روافد للنيل هي: الإبراهيمية وبحر يوسف والدلجاوي، وهي المنطقة التي شهدت مولد شاعر عظيم في وقت معاصر لأنور الجندي، هو شاعر الكوخ محمود حسن إسماعيل.

■ في سن صغيرة حفظ أنور القرآن الكريم كاملا في كتّاب القرية، ثم تدرج في مراحل تعليمية متتابعة، إلى أن أنهى دراسة التجارة بالمرحلة التعليمية المتوسطة، بعدها التحق بوظيفة في بنك مصر، لكن شغفه العلمي لم يتوقف، فواصل دراسته أثناء عمله، حيث التحق بالجامعة الأميركية في الفترة المسائية ودرس الاقتصاد وإدارة الأعمال، إلى أن تخرج فيها مجيدا للغة الإنجليزية التي درسها خصيصا ليستطيع متابعة ما يثار من شبهات حول الإسلام من الشرق والغرب ويقوم بالرد السديد عليها، ومنها اتجه إلى العمل الحكومي خلال عشر سنين، ثم انتقل بعد ذلك إلى الصحافة.

تكوينه الفكري والعلمي

■ رحلة التكوين الفكري والعلمي لدى أنور الجندي كانت جهدا ذاتيا في جانبها الرئيسي، بحيث يمكن القول إنه ثقف نفسه بنفسه إلى حد كبير، فالرجل كان موسوعيا في المطالعة والتحصيل، ويكفي أن نذكر سطورا من كلماته تدلل على ذلك، يقول رحمه الله: «قرأت بطاقات دار الكتب، وهي تربو على مليوني بطاقة، وأحصيت في كراريس بعض أسمائها.. راجعت فهارس المجلات الكبرى كالهلال والمقتطف والمشرق والمنار والرسالة والثقافة، وأحصيت منها بعض رؤوس موضوعات.. راجعت جريدة الأهرام على مدى عشرين عاما.. وراجعت

المقطم والمؤيد واللواء والبلاغ والجهاد.. وغيرها من الصحف، وعشرات من المجلات العديدة والدوريات التي عرفتها في بلادنا في خلال هذا القرن، كل ذلك من أجل تقدير موقف القدرة على التعرف على موضوع معين في وقت ما».

■ منذ بدأ عمله في مجال الصحافة رسم لنفسه مخططا يهدف إلى تقديم خطة كاملة لمقاومة التغريب والغزو الثقافي، ثم اتجه بعد ذلك إلى العمل في مجال أسلمة العلوم والمناهج وتأصيل الفكر الإسلامي وبناء البدائل الإسلامية، وأوقف عمره لنصرة الإسلام، فوقف على أخطر الثغور التي ولج منها الأعداء إلى ديار المسلمين وعقولهم.. ألا وهو ثغر الغزو الفكري.. فكان نعم الحارس الأمين.

١٩٤٠م

■ يشكل عام ١٩٤٠م علامة فارقة في حياة الأستاذ أنور الجندي، ففيه قرأ ملخصا عن كتاب «وجهة الإسلام» لمجموعة من المستشرقين، ولفتت نظره مؤامرة التغريب، ما كان له أثر كبير في تحول حياته من هادئة ناعمة إلى حياة جهاد بالكلمة، وهو يصف ذلك بقوله: «وبدأت أقف في الصف: قلمي عدتي وسلاحي من أجل مقاومة النفوذ الفكري الأجنبي والغزو الثقافي، غير أني لم أتبين الطريق فورا، وكان عليّ أن أخوض في بحر لجي ثلاثين عاما.. كانت وجهتي الأدب، ولكني كنت لا أنسى ذلك الشيء الخفي الذي يتحرك في الأعماق.. هذه الدعوة التغريبية في مدها وجزرها، في تحولها وتطورها».

■ فأخذ يبحث عن هذه المخططات (الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي) والتغريب، ويتجه نحو قضية كبرى هي تصحيح المفاهيم: «فأمضيت عشر سنوات كاملة بين أضابير دار الكتب.. فقد كان ضروريا أن أعرف جذور العملية ممثلة في الصحافة التي كانت تُعايش ذلك العصر منذ الاحتلال البريطاني ١٨٨٢م.. وإلى ذلك اليوم كانت أعمالي قائمة أساسا على التعريف بعظمة الإسلام وتاريخه وتراثه وتقديم صورة الأمة الإسلامية في مجال عظمة تاريخها وأمجادها».

إسهاماته

■ كان للجندي موقع محدد بدار الكتب لا يغيب عنه إلا لضرورة، فقد كان باحثا دؤوبا وذا همة عالية، وبدأ الجندي بميدان الأدب، أكثر الميادين غزوا وقتذاك وأعلاها صوتا وأوسعها انتشارا، وبلغ اختراقه حدا كبيرا، فواجه قمم هذا الميدان، مثل طه حسين والعقاد ولطفي السيد وسلامة موسى وجورجي زيدان والحكيم.. وغيرهم، وأقام الموازين العادلة لمحاكمة هؤلاء في ميزان الإسلام وصحة الفكرة الإسلامية، فأخرج عشرات الكتب من العيار الفكري الثقيل مثل: «أضواء على الأدب العربي المعاصر»، و«الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والتجمع والحرية»، و«أخطاء المنهج الغربي الوافد»، و«إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام»، خص منها طه حسين وحده بكتابين كبيرين، هما: «طه حسين وحياته في ميزان الإسلام»، و«محاكمة فكر طه حسين»؛ ذلك لأن الجندي كان يرى أن طه حسين هو قمة أطروحة التغريب، وأقوى معاقلها، ولذلك كان توجيه ضربة قوية إليه هو قمة الأعمال المحررة للفكر الإسلامي من التبعية، وخلال ذلك كان يتحرى الدقة والإنصاف، فقد جاءت كتاباته الرصينة منصفة في الوقت نفسه لأصحاب الفكرة الإسلامية الصحيحة من أمثال مصطفى صادق الرافعي وعلي أحمد باكثير والسحار وكيلاني وتيمور.. وغيرهم من أصحاب الفكر المعتدل والأدب الملتزم.

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ أنور الجندي عشر مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «تساؤلات الشباب، ع١٢٨»، و«لنتحرك من داخل قيمنا ومفاهيمنا، ع١٢٩»، و«الشريعة الإسلامية والمؤتمرات الاستعمارية، ع١٥٠»، و«الفلسفة الصهيونية مخطط ضد الإسلام، ع١٧٠»، و«رياح السموم في أفق المجتمع الإسلامي، ع١٧٥»، و«الرافعي ودفاعه عن الإسلام، ع١٧٨»، و«أهل القرن الخامس عشر الهجري، ع١٨١»، «في قضية الاقتباس من الغرب، ع١٩٤»، و«الفكر الإسلامي والمنهج الرباني والفلسفة، ع٢١٥»، و«على أبواب قرن جديد، ع٢٥٧».

وفاته

■ في مساء الاثنين ١٣ ذي القعدة ١٤٢٢هـ الموافق ٢٨ يناير ٢٠٠٢م، انتقل إلى جوار ربه المفكر الكبير الأستاذ أنور الجندي عن عمر يناهز ٨٥ عاما، قضى منها في حقل الفكر الإسلامي قرابة ٧٠ عاما، يقاتل من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية الأصيلة ورد الشبهات الباطلة والأقاويل المضللة وحملات التغريب والغزو الفكري.

المصادر

- كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
- موقع الجزيرة (حلمي القاعود).
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- موقع «رؤية بيديا».
- موقع «ديوان العرب».
- المكتبة الشاملة.



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

ويأتي كتاب: «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بكتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى

هو كتاب في تاريخ المدينة النبوية، مدينة الرسول ﷺ، من تأليف: نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد بن علي الحسني السمهودي (٨٤٤هـ-٩١١هـ).

التعريف بالإمام نور الدين السمهودي

هو الإمام نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد بن علي الحسني السمهودي (٨٤٤هـ-٩١١هـ)، من أشهر المؤلفين الذين كتبوا عن المدينة المنورة وتاريخها، ولد ونشأ في قرية سمهود هي إحدى القرى التابعة لمركز أبو تشت في محافظة قنا في جمهورية مصر العربية، كان والده رجل علم، فقرأ عليه القرآن الكريم وحفظه وحفظ بعض كتب المتون، ثم قرأ عليه عددا من كتب الحديث الشريف. وعندما بلغ مرحلة الشباب انتقل إلى القاهرة فدرس على عدد من علمائها، وفي سنة: (٨٧٣هـ) رحل إلى المدينة المنورة وقرأ على عدد من الشيوخ في المسجد النبوي، ونال الإجازة منهم وتصدر للتدريس في إحدى الحلقات فدرس الفقه والحديث، ثم رحل إلى مكة المكرمة وأقام فيها مدة من الزمن ودرس في المسجد الحرام وزار بيت المقدس وأقام فيه لبعض الوقت، ثم عاد إلى المدينة المنورة وتزوج من إحدى العائلات المقيمة فيها واستقر بها بقية عمره يدرس في المسجد النبوي.

مؤلفات السمهودي

ألف الإمام في الفقه والحديث والتاريخ، واهتم أكثر بتاريخ المدينة النبوية. ومن هذه المؤلفات نذكر:

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: وهو من أشهر مؤلفاته، عني فيه بدارسة معالم المدينة النبوية الطبيعية والعمرانية والجغرافية.

خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، وهو اختصار لكتابه: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى.

ورود السكينة على بسط المدينة.

ومن مؤلفاته الأخرى:

جواهر العقدين في فضل الشرفين. الإفصاح في مناسك الحج. أمنية المعتنين بروضة الطالبين. الثمار اليوانع على جمع الجوامع، للمحلي. الجوهر الشفاف في فضائل الأشراف. اقتضاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ. إكمال المواهب. أمنية المعتنين بروضة الطالبين. الانتصار لبسط روضة المختار. تحرير العبارة في بيان موجب الطهارة. حاشية شرح العقائد. حواشي على الدميري. فمنها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط، ومنها ما هو مفقود. وللإمام السمهودي مؤلفات أخرى كثيرة تلفت في الحريق الذي شب في المسجد النبوي عام: (٨٨٦هـ).

المحتوى العام لكتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى:

اهتم الإمام السمهودي في كتابه: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى اهتماما كبيرا بوصف معالم المدينة، سواء المعالم الموجودة في زمانه أو المعالم التي ذكرها من سبقوه، فكتب عنها كتابة شاهد عيان ووصفها بدقة، كما كتب عن المعالم التي زالت فحاول أن يتتبع آثارها، ونقل عمن كتب عنها. مثل المساجد التي صلى فيها رسول الله ﷺ ولم تعد قائمة. وكتب أيضا عن الأحداث التاريخية، وركز على التاريخ القديم، فنقل الروايات المختلفة عن تأسيس يثرب والقبائل التي استوطنتها، وسرد أخبارهم في الجاهلية، كما سرد أخبار المدينة في العهد النبوي. ولم يهتم بتاريخ المدينة بعد ذلك ما عدا أحداث قليلة متفرقة وهي: البركان الذي انفجر في حرة واقم سنة: (٦٥٤هـ)، والحريق الذي شب في المسجد النبوي سنة: (٦٥٤هـ)، وسنة: (٨٨٦هـ)، حتى الأحداث التي وقعت في فترة إقامته في المدينة المنورة لم يؤرخ لها سوى حريق: (٨٨٦هـ).

قسم السمهودي كتابه هذا -كما ذكر في مقدمته- إلى ثمانية أبواب، وقسم كل باب إلى عدة فصول يختلف عددها من باب إلى باب.

الباب الأول: في أسماء هذه البلدة الشريفة.

الباب الثاني: في فضائلها، وبدء شأنها، وما يؤول إليه أمرها، وما يتعلق بذلك.

الباب الثالث: في أخبار سكانها في سالف الزمان، ومقدمه ﷺ إليها...

الباب الرابع: فيما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم، والحجرات المنيفات...

الباب الخامس: في مصلى النبي ﷺ في الأعياد، وغير ذلك من مساجد المدينة...

الباب السادس: في آبارها المباركات، والعين والغراس والصدقات، التي هي للنبي ﷺ منسوبات...

الباب السابع: في أوديتها وأحمائها وبقاعها وجبالها وأعمالها ومضافاتها...

الباب الثامن: في زيارته ﷺ...

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذا الكتاب النفيس، والذي يتألف من (٥) مجلدات، وهو في متناول قرائها الكرام المهتمين بتاريخ المدينة النبوية.

المصادر

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

إعداد / تركي محمد النصر

الحياء دليل الدين الصحيح

- ومِن أخلاقهم: صونُ الوجه بقناع الحياء، وعقلُ اللسان عن اللجَاجِ والمِراء.
- قالوا في حَدِّ الحياء: التَّوقِّي من فعل المَساوئ خوف الذَّمِّ.
- ويُقال: الحياءُ خوفُ المستحيي من تقصير يقعُ به عند مَن هو أفضلُ منه.
- الحياءُ دليلُ الدِّين الصَّحيح، وشاهدُ الفضل الصَّريح، وسِمةُ الصَّلاح الشَّامل، وعنوان الفلاح الكامل.
- وإنَّ لكلِّ شيء خُلُقًا، وخُلُقُ هذا الدِّين الحياء، وهو لا يأتي إلا بخير.
- والحياءُ اسمٌ جامعٌ يدخل فيه الحياءُ من اللّه تعالى، لأنَّ ذَمَّه فوق كلِّ ذَمٍّ، ومَدحَهُ فوقَ كلِّ مَدحٍ.
- والحياءُ من النَّاس يكون بكفِّ الأذى، وتركِ المجاهرة بالقبيح.
- وأمَّا استحياء الرَّجل من نفسه فهو ألَّا يأتي في الخلاء إلَّا ما يأتي في الملأ.

(انظر: غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، للوطواط: ١/ ٥٠)

من نوادر القول

- المودَّةُ قرابةٌ مُستفادةٌ.
- الهديَّة تُذهبُ السَّخيمة.
- المُزاحُ يورثُ الضَّغينة.
- السَّاعاتُ تهدمُ الأعمار.
- الحسدُ ينشئُ الكمَد.
- المخذولُ مَن كانت له إلى اللئام حاجةٌ.
- العُسرُ غربةُ الوَطن.
- المزاحُ يأكل الهيبة.
- المعاونةُ في الحقِّ ديانةٌ.
- المعاونةُ في الباطل خيانةٌ.
- نُصرةُ الحقِّ شرفٌ، ونصرةُ الباطل سَرَفٌ.
- العَيَانُ أنَمُّ مِنَ اللسان.

(انظر: الأَمثال والحِكم، للماوردي: ص/ ١٣٠).

الماوردي يصف كتابَه

قال العلَّامةُ علي بن محمَّد بن حبيب الماوردي، المتوفَّى سنة: (٤٥٠هـ) واصفًا كتابَه الماتع (الأمثال والحِكم): وقد ضمَّنتُ كتابي هذا من سُنَّة رسول اللّه ﷺ أحاديث وجيزة الألفاظ واضحة المعاني، ومن أمثال الحكماء، وأقوال الشُّعراء ما كان عذب البديهة سائر الذِّكر.

وجعلتُ ما تضمَّنه من السُّنَّة ثلاثمئة حديث، ومن الحكمة ثلاثمئة فصل، ومن الشِّعر ثلاثمئة بيت، وقَّسمتُ ذلك عشرة فصُول، أودعتُ كلَّ فصل منها ثلاثين حديثًا، وثلاثين فصلًا، وثلاثين بيتًا، فيكون ما يتخلل الفصول من اختلاف أجناسها أبعث على درسها واقتباسها.

(انظر: الأمثال والحِكم: ص/ ٤٩)

فَضَحَهُ رِياؤه

دخل على الخليفة المنصور رجلٌ بين عينيه كركبةِ البعير يريدُ القضاءَ، فقال: إن كنت أردتَ اللّهَ بهذا فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه، وإن كنت أردت خداعنا فما ينبغي أن ننخدعَ لك.

(انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني: ٢/ ٤٢٩)

مشاركة: يعقوب الجناع

الشَّريعة

قال العلَّامةُ أبو علي أحمد بن محمَّد بن يعقوب مسكويه، المتوفى سنة: (٤٢١هـ) رحمه اللَّه تعالى: والشَّريعة هي التي تقوِّم الأحداثَ، وتعودهم الأفعال المرضيَّة، وتعدُّ نفوسَهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ إلى السَّعادة الإنسيَّة بالفكر الصَّحيح والقياس المستقيم.

وعلى الوالدين أخذهم بها وسائر الآداب الجميلة بضروب السِّياسات... حتَّى إذا تعوَّدوا ذلك واستمرُّوا عليه مدَّة من الزَّمان كثيرة، أمكن فيهم حينئذ أن يعلموا براهين ما أخذوه تقليدًا، ويُنبَّهوا على طرق الفضائل واكتسابها، والبلوغ إلى غاياتها بهذه الصِّناعة.

(انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ص/٤٥)

لم يمش ماشٍ شرٌّ من واشٍ

❖ قال بعضُ الحكماء: لم يمش ماش شرٌّ من واشٍ، والسَّاعي بالنَّميمة يُهلكُ نفسَه ومَن سعى به ومَن سعى إليه.

❖ وقالوا: الأشراء يتَّبعون مَساوئ النَّاس، ويتركون مَحاسنهم، كما يتتبَّعُ الذُّبابُ المواضعَ الألِمَة من الجسد ويترك الصَّحيحة.

❖ وقالوا: النَّمامُ شرٌّ من السَّاحر؛ فإنَّ النَّمامَ يُفسدُ في السَّاعة الواحدة ما لا يُفسدُ السَّاحرُ في المُدَّة الطَّويلة.

(انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، للقلقشندي: ٢٩٣/٣)

بيَّض لحيتَه ليسوِّد صحيفته

ذَمَّ البديع الهمدانيُّ قاضيًا بالرِّياء، فقال: بيض لحيته ليسوِّد صحيفَته، وأظهر روعَه ليخفيَ طمعَه، وقصَّر سبَالَه ليظهر سِربالَه، ويغشى محرابَه ليملأ جِرَابه... يبرزُ في ظاهر أهلِ السَّمتِ وباطِن أصحاب السَّبت.

(انظر: سحر البلاغة وسر البراعة، للثعالبي: ٧٩/١)

نصف لسان ونصف وجه

قال سعيد بنُ أبي العروبة رحمه اللَّه: لأَن يكونَ لي نِصفُ لسانٍ ونِصفُ وجه، على ما فيهما من قُبح المنظر وسوءِ المَخبَر؛ أحبُّ إليَّ من أن أكونَ ذا وجهَين، وذا لسانين، وذا قولين مُختلفَين.

(انظر: البيان والتَّبيُّن، للجاحظ: ١٠٢/٢)

الملابس

قال العلَّامةُ أبو علي أحمد بن محمَّد بن يعقوب مسكويه، المتوفى سنة: (٤٢١هـ) رحمه اللَّه تعالى: إنَّ الأحسنَ بأهل النُّبل والشَّرف من اللباس البياض وما أشبهه، حتَّى يتربى على ذلك ويسمعه كلُّ مَن يقرب منه ويتكرَّر عليه، ولم يترك مخالطة مَن يسمع منه ضد ما ذكرته، لا سيما من أترابه ومَن كان في مثل سنِّه ممَّن يعاشره ويلاعبه.

(انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ص/٦٨)





إعداد: التحرير

الأذن الوسطى

في الأذن الوسطى ترتكز ثلاث عظيمات دقيقة رقيقة، في تتابع وتوال، وهي المطرقة malleus والسندان incus والركاب stapes، بحيث ترتكز المطرقة على طبلة الأذن، أما عظمة الركاب فترتكز في الناحية الأخرى على بداية الأذن الداخلية، في منطقة الكوة البيضاوية، والتي تعمل على تركيز وتقوية الصوت، بمقدار ٢٢ مرة، نظرا لأن مساحة طبلة الأذن تساوي ٢٢ مرة قدر مساحة الكوة البيضاوية.

وتتعلق هذه العظيمات الثلاث بجدار الأذن الوسطى بواسطة عضلات ملساء تتحكم في درجة حساسية هذه العظيمات. وتجويف الأذن الوسطى غير منتظم، حيث يفتح في الناحية السفلية من البلعوم عن طريق قناة ستاكيوس Eustachian tube لمعادلة الضغط على جانبي طبلة الأذن.

• د. يحيى سنبل

نعم الله لا تحصى



إذا كنت ذا عينين جميلتين فانظر إلى من عادمهما.

إذا كنت قادرا أن تذعن للأصوات والأغاني فانظر إلى من ابتلي بلغة الإشارة.

إذا كنت سليم الجسم والعقل فانظر إلى ذوي الاحتياجات والضعفاء.

إذا كنت قادرا على النهوض إلى المسجد فانظر إلى من لزم السرير منذ دهور.

إذا كنت قادرا أن تتمتع بمناظر الطبيعة فانظر إلى من ضربه الدهر وصار ما بين الجدران الأربعة.

إذا كنت قادرا أن تتصدق بما في يدك فانظر إلى من يرجو أن يتصدق بمال نفسه دهورا.

إذا كنت قادرا أن تشبع بطنك فانظر إلى من انتظروا وراء أكوام النفايات والسلات.

نعم، أنت في نعم الله المولى العلي، أنت مغمور بنعمته الواسعة إلى حد يفوق الوصف، أنت محتضن تحت رحمته الواسعة، نعم أنت تدوم في أمن وسلام.

وما أجمل قول حبيبنا المصطفى ﷺ: «أنظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم».

كان هناك رجل عامل يقف بأعلى العمارة، والحاجة دفعته ليدعو شريكه الذي يقف في الأسفل، حاول العامل بأقصى قدره، ولكن صاحبه كأنما أصابه الصمم.. ألقى عشرين روبية ليلفت انتباه صديقه، ولكن الشريك أخذ العشرين روبية واشتغل بشغله، فألقى خمسين روبية، ولكن الشريك أيضا أخذها وانشغل بعمله، ثم ألقى مئة روبية، واستمرت الحال بلا تغير.. استشاط العامل غيظا وألقى حجرا صغيرا بجانبه، فحدث ما ليس في الحسبان. تنبه الشريك ووقع نظره إلى أعلى العمارة.

أيا ذوي القلوب الراقية والصافية... ما استهدفت بسرد هذه القصة إلا العود إلى أحوالنا المسيرة.

قد أنعم الله سبحانه وتعالى علينا بنعم وآلاء عديدة، وغمرنا برحمته وكنفه، أولا وقبل كل شيء أصبحنا مسلمين. إن أسمى وأرقى النعم التي أنعم الله بها علينا هي أن خلقنا مسلمين، فنعمة الإسلام هي نعمة عظيمة

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com





جدا، بل هي أعظم النعم على الإطلاق، فيا لحظ من خلقه الله مسلما في بيئة مسلمة... وبأوفر الأموال وأرغد العيش وألذ الطعام وأجمل الملابس هكذا تطول سلسلة النعم إلى لا نهاية مصداقا لقول الله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ (النحل:١٨).

ولكن هناك أمرا مقلقا ومؤسفا، وذلك أننا ننسى الله واهب النعم في أيام الخصب والغنى. وفي جانب آخر، إذا ألم بنا المرض الشديد أو الابتلاء نتقرب إلى الله.. نعم، هذه طبيعة الإنسان وسنة الحياة التي نقشت في جدران الحياة. ولكن علينا أن نتغير، ولنغتنم أوقاتنا في الشكر والثناء على الله لنعمته الوافرة، ورحمته الواسعة.

• عبدالرؤوف توتي



من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

هذه جوامع من الكلم تنسب إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فيها وجازة اللفظ وغزارة المعنى، لعلنا نتأملها ونستفيد منها في أفعالنا وأقوالنا، وأقواله البليغة كثيرة جدا ومنها:

- استنزلوا الرزق بالصدقة.
- بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد.
- من أطاع التواني ضيع الحقوق ومن أطاع الواشي ضيع الصديق.
- لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب ألا يعصى شكرا لنعمه.
- كفى بالأجل حارسا.
- اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم.
- العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى.
- أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله.
- البخل جامع لمساوئ العيوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء.
- احذر أن يراك الله عند معصيته ويفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين.
- تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه.
- التقى رأس الأخلاق.
- كفاك أدبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك.
- منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا.
- كفى بالقناعة ملكا وبحسن الخلق نعيما.
- الطامع في وثاق الذل.
- بكثرة الصمت تكون الهيبة وبالتواضع تتم النعمة.
- كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع.
- إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة.
- ثمرة التفريط الندامة وثمرة الحزم السلامة.
- لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان.
- من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها.
- من كثر كلامه كثر خطؤه.
- عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار.
- قيمة كل امرئ ما يحسنه.
- لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالأدب ولا ظهير كالمشاورة.
- إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه.
- من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا.
- لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه.
- أفضل الزهد إخفاء الزهد.
- الصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جنة.

• حسن عثمان حسن

مسك الختام

المرأة صانعة الأجيال

لا يخفى ما للمرأة من دور رائد في بناء المجتمعات، حيث تعتبر الأم تعتبر المعلم الأول لطفلها، ووظيفتها التربويّة ذات أثر عميق؛ في تنمية وعيه، وتكوين شخصيّته؛ وتنشئته على الفضائل والقيم ومكارم الأخلاق.

ورحم الله شاعر النيل حافظ إبراهيم، عندما قال في قصيدته المشهورة:

من لي بتربية النساء فإنها ... في الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا ... بالري أورق أيما إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الأولى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق

وقد أدرك بعض ساسة الغرب أن مفتاح التغيير في أي مجتمع لا بد أن يكون من خلال تغيير موقع المرأة في المجتمع والأسرة، فعملوا على صرفها عن وجهتها ومهمتها الأساسية، وهي تنشئة وتكوين الأجيال، وهذا ما نبّه عليه شيخ الإسلام مصطفى صبري رحمه الله، فقال: «معلوم أنّ مسألة المرأة لا زالت أعظم المسائل الاجتماعية في الأعصر الحديثة، وأكبر ما تفترق به الحضارة الغربية عن حضارة الإسلام».

وفي تاريخنا الإسلامي الكثير من الأمثلة المشرّفة الدالة على تحمّل المرأة مسؤولياتها التربوية، ونهوضها بواجباتها تجاه أبنائها وأسرتها، أسوق منها - على سبيل المثال- قصة عالمين كبيرين مشهورين؛ كان للمرأة أثر كبير في نجاحهما وتكوينهما في سنّ مبكرة، هما أبو الوليد الباجي، وابن حزم الأندلسي.

أما أبو الوليد الباجي: فهو ذو الوزارتين، القاضي، الإمام، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب، من باجة الأندلس، صاحب التصانيف المشهورة، المتكلم، الفقيه، الأديب، الشاعر، يقول أبو الوليد: كان أبي من تجار القيروان من باجة القيروان، وكان يختلف إلى الأندلس، ويجلس إلى فقيه بها، يقال له أبو بكر بن شماخ، وتعجبه طريقته، فكان يقول: تُرى أرى لي ابناً مثلك، فلما أكثر من ذلك القول، قال له ابن شماخ: إن أحببت أن ترزق ابناً مثلي فاسكن بقرطبة، والزم أبا بكر، محمد بن عبد الله القبري، واخطب إليه ابنته، فإن أنكحكها، فعسى أن ترزق مثلي، فقدم قرطبة، ولزم أبا بكر القبري سنة، وأظهر له الصلاح، فأعجب بطريقته، ثم خطب إليه ابنته بعد سنة، فزوجه بها.

وأما ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد (ت: ٤٥٦ هـ)؛ فقد قال عن النساء: «وهن علمتني القرآن، وروينني كثيراً من الأشعار، ودربنني في الخط...».

زهير محمود حموي
باحث في التراث
العربي والإسلامي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٨٢) جمادى الآخرة ١٤٤٣ هـ - يناير/فبراير ٢٠٢٢م

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

القُرآنُ منهجُ حياةٍ ورسالةٌ عالميّةٌ



- ظاهِرةُ الفتاوى الشّاذّة.. أسبابٌ وحُلول
- الأبعادُ الدّرامِيّةُ للنّصوصِ القرآنيّةِ
- أبناؤنا والتّفوّقُ الدّراسي


مجلة الوعى الإسلامى


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي


مصرف الاطعام



وقف على توفير المواد الغذائية
للمحتاجين وإفطار الصائم والأضاحي



Q8APF

WWW.AWQAF.ORG.KW



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾

إن أعظم إكرام لهذه الأمة أن أنزل الله إليها أحسن الكتب، وأرسل إليها أفضل الرسل، وزينها بأيسر الشرائع، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، وبه جملها؛ تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله. وقد جعل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم نوره في الأرض كلها، وحجته الباهرة على أهلها، يخرج من الظلمات إلى النور، ويدعو إلى الإيمان والسعادة والحبور، ويهدي إلى الجنة دار الخلود والسرور، قال عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء:٩).

إن هذا القرآن العظيم هو حبل الله المتين، ونوره المبين، وعروته الوثقى التي لا انفصام لها؛ فعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أبشروا وأبشروا، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟» قالوا: نعم. قال: «فإن هذا القرآن سبب (أي: حبل) طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا» (أخرجه ابن حبان وابن أبي شيبة).

أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، وأي شرف للإنسان أسمى من هذا الشرف؟ وأي منزلة عز يتبوأها أكرم من هذه المنزلة؟ فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله أهلين من الناس»، قال: قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن؛ هم أهل الله وخاصته». فما أعظم خسارة من هجر القرآن، ولم يهتم بالقرآن تعلما ولا تعليما، ولا فهما ولا حفظا ولا تعظيما! ولا قراءة ولا تدبرا، وما أشد حسرة ذلك الذي لم يجعل لنفسه نصيبا يوميا من كتاب الله العزيز! قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء:٨٢).

لقد أعز الله بالقرآن هذه الأمة التي كانت في ذيل الأمم، فحملت بالقرآن مشعل الحضارة والنور للبشرية، وأقامت العدل والإنصاف في البرية، حتى غدت مثالا في الأمم يحتذى، ذلك كله يوم كانت تعمل بقرآنها، وتقتدي برسولها، وتعتز بإسلامها، ولكنها حين أهملت قرآنها، وتنازلت عن قيمها السامية، وتاريخها المجيد؛ جرت على نفسها الظلم والاستعباد، والتخلف والاستبداد؛ فنحن أمة أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله.

ومن فضل الله على بلدي الكويت أنها تقيم في كل عام العديد من الجوائز والمسابقات الكبرى لحفظ القرآن الكريم والعناية به، منها: جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءته وتجويد تلاوته والتي تقام الآن على أرض الكويت؛ وهي مسابقة سنوية تنظمها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية؛ فأسأل الله أن يحفظ الكويت وأهلها بحفظها للقرآن الكريم، وأهله، الذين هم أهل الله وخاصته.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٨٢/ جمادى الآخرة ١٤٤٣ هـ
العام التاسع والخمسون
يناير - فبراير٢٠٢٢م

رئيس التحرير

فهد محمد الخزّي

المراقب المالي والإداري

طلال عثمان العثمان

التحرير

علاء الدين عبدالفتاح
أمين حميد عبدالجبار
د. تركي محمد النصر

الإخراج والجرافيك

أبوراوش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني

مطابع العصرية

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



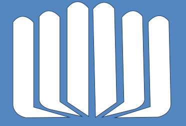
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • قطر: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

القرآن هداية وإعجاز

إن أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم كونه كتاب هداية للناس أجمعين، يقبلون عليه فيجدون فيه الهداية التي تخرجهم من الظلمات إلى النور، قال الله تعالى: (الم ❁ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة:١-٢). وقد جعل الله تعالى هداية الخلق غاية من غايات نزول القرآن الكريم، فقال سبحانه وتعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل: ٨٩)، فتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الكريم عن ربه تعالى فبلغه للناس، وهداهم به إلى الصراط المستقيم، ففتح به عينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا، فأثر حتى في نفوس المشركين لدرجة أنهم لم يستطيعوا إخفاء ذلك الشعور الذي أحدثه فيها، فاضطرهم لمدحه بالقول وإن لم يؤمنوا به؛ قال الوليد بن المغيرة: "والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليحطم ما تحته".

ولما علم المشركون قوة تأثير القرآن على النفوس نهوا عن استماعه، وأمروا بإحداث الضجيج عند تلاوته؛ حتى لا يصل إلى أسماع الناس، قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) (فصلت: ٢٦).

ورغم كل هذه التشديدات المحذرة من سماع القرآن إلا أنهم لم يفلحوا في منع الناس من التأثر بالقرآن الكريم، فأسلم لسماعه الطفيل بن عمرو الدوسي، وفي المدينة أسلم لسماعه سادات يثرب كأسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهما وبإسلامهما دخل الإسلام كل بيت في المدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها مما يبين قوة تأثير هذا القرآن العظيم على النفوس وأخذه بمجامع القلوب.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



التحرير





ولي العهد ناقلا تحيات الأمير للحكومة الجديدة:

العمل الدؤوب بروح الفريق الواحد

أدت الحكومة الكويتية الجديدة برئاسة الشيخ صباح خالد الحمد صباح الأربعاء ٢٩/ ١٢/ ٢٠٢١ في قصر بيان اليمين الدستورية أمام سمو ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح.

وقال سمو ولي العهد، في كلمة عقب أداء الحكومة لليمين الدستورية: يسرني أن أنقل إليكم تحيات وتهاني صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه وتهانينا لكم باختياركم للوزارة وتقاسم مسؤولياتها، متمنين لكم كل التوفيق والسداد، ومقدرين ما قدمه إخوانكم الوزراء السابقون من جهود مخلصة لدى أداء مسؤولياتهم.

إن أمامكم مسؤوليات وواجبات تتطلب العمل الدؤوب بروح الفريق الواحد لمواصلة مسيرة الإصلاح وتنفيذ البرامج الاقتصادية ودفع عجلة التنمية في البلاد.

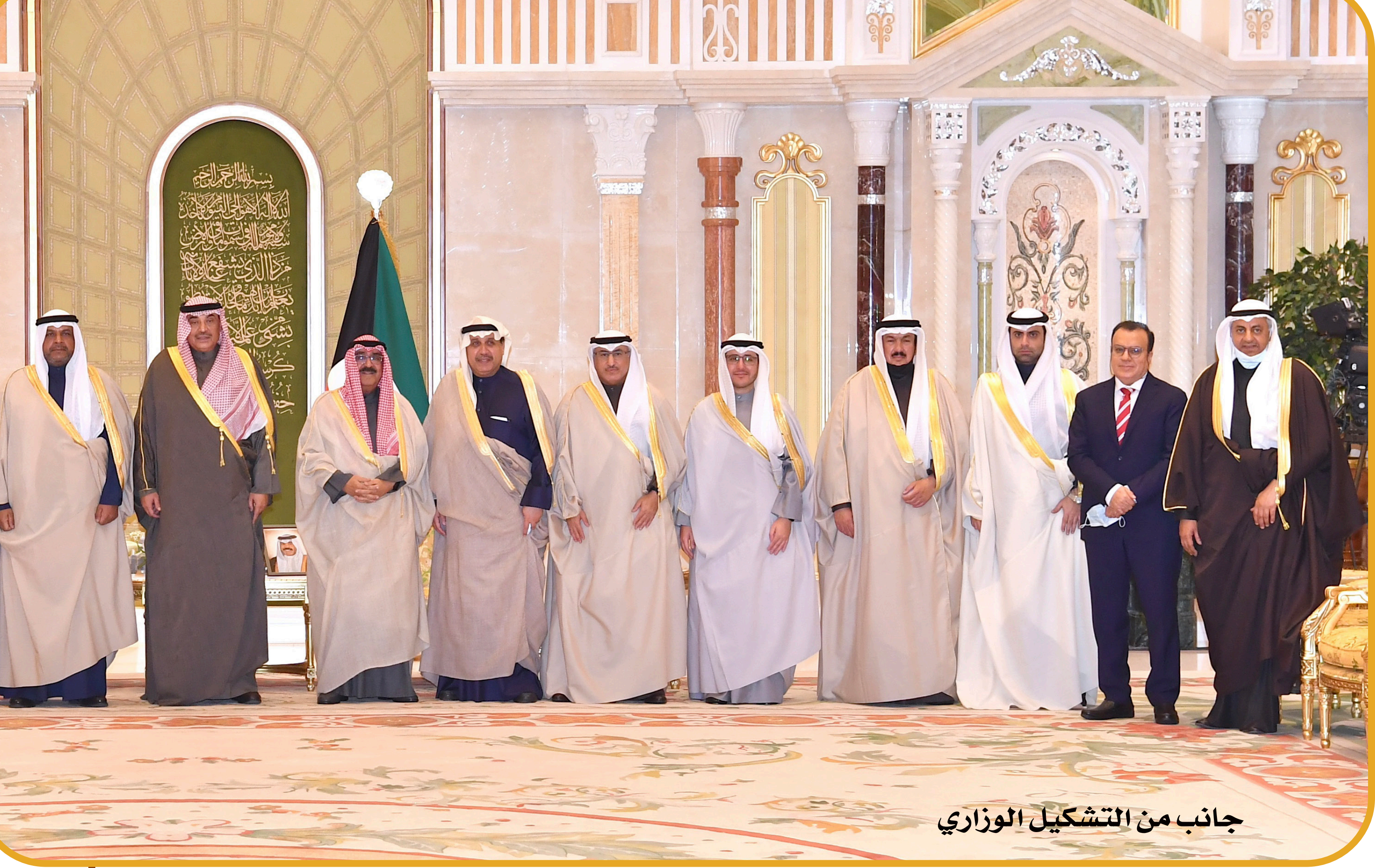
وإننا نتطلع بكل أمل وتفاؤل إلى أن يسود التعاون المثمر البناء بين السلطتين التشريعية والتنفيذية لإقرار وتنفيذ التشريعات والقوانين التي تصب في مصلحة الوطن والمواطنين، مع الالتزام والتمسك بالدستور الذي نعتز ونفخر به.

سائلين المولى تعالى أن يسدد الخطى تحقيق كل ما ننشده لوطننا العزيز من نمو وازدهار في ظل القيادة الحكيمة لحضرة صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله ورعاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبدوره، قال سمو الشيخ صباح خالد الحمد الصباح رئيس مجلس الوزراء، في كلمته: إن مسيرة الإصلاح وتعديل الخلل الاقتصادي والبرامج التنموية سيكونون من الأولويات، وسوف يكونون دائما في صلب عملنا لترجمتها إلى أرض الواقع.

وتعهد ببذل أقصى جهد ممكن وأكبر طاقة لتنفيذ وترجمة كل



جانب من التشكيل الوزاري

توجيهات أمير البلاد وولي العهد. وأعلنت الكويت تشكيلة الحكومة الجديدة في البلاد برئاسة الشيخ صباح خالد الحمد الصباح.

وفي ١٥ نوفمبر الماضي، صدر أمر أميري يقضي بالاستعانة بولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح لممارسة بعض الاختصاصات الدستورية لأمير البلاد.

وفي ٢٣ فبراير الماضي أصدر سمو ولي العهد الكويتي الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح أمرا أميريا بتشكيل الحكومة برئاسة الشيخ صباح خالد الحمد الصباح.

واحتفظ الشيخ حمد جابر العلي الصباح بمنصبه نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للدفاع، وتم تعيين الشيخ أحمد منصور الأحمد الصباح نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للداخلية، فيما احتفظ الشيخ الدكتور أحمد ناصر المحمد الصباح بمنصبه وزيرا للخارجية ووزير دولة لشؤون مجلس الوزراء.

وتولى محمد عبداللطيف الفارس منصب نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الكهرباء والماء والطاقة المتجددة في الحكومة الجديدة فيما احتفظ بمنصبه وزيرا للنفط.

وأسندت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية لعيسى أحمد الكندري، فيما تولت رنا عبدالله الفارس منصب وزير دولة لشؤون البلدية ووزير دولة لشؤون الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، كما احتفظ علي فهد المضف بمنصبه وزيرا للتربية ووزيرا للتعليم العالي والبحث العلمي.

وعين المستشار جمال هاضل سالم الجلاوي وزيرا للعدل ووزير دولة لشؤون تعزيز النزاهة فيما تولى حمد أحمد روح الدين حقيبة الاعلام والثقافة، وخالد مهوس سليمان السعيد وزارة الصحة، وعبدالوهاب محمد الرشيد وزارة المالية ووزارة الدولة للشؤون الاقتصادية والاستثمار.

وتولى علي حسين الموسى منصب وزير الأشغال العامة ووزير دولة لشؤون الشباب، بينما تولى فهد مطلق الشريعان منصب وزير التجارة والصناعة، وتولي مبارك العرو منصب وزير الشؤون الاجتماعية والتنمية المجتمعية ووزير دولة لشؤون الإسكان والتطوير العمراني، والنائب محمد عبيد الراجحي وزير دولة لشؤون مجلس الامة.

وتعد هذه هي المرة الرابعة التي يؤلف فيها الشيخ صباح خالد الحمد الصباح حكومة منذ أن كلفه أمير الكويت الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح رحمه الله بتأليف الحكومة لأول مرة في نوفمبر ٢٠١٩.



مصطفى يعقوب عبد النبي
كبير باحثين بهيئة المساحة الجيولوجية
(سابقا)

دلالة علمية وتصحيح واجب

الأحجار الكريمة في القرآن الكريم...

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨).

إن هذه الآية الكريمة الجامعة المانعة، إنما هي حقيقة من الحقائق المطلقة التي ليست بحاجة إلى مراجعة أو بحث أو دليل، فلم يترك القرآن الكريم شأنا من شئون الكون بما فيه السماوات والأرض، ما كبر منهما وما صغر، وما شمخ منهما وما استدق، إلا وكان له ذكر بطريقة أو بأخرى - في آياته تفصيلا أو إيجازا. كما تحدث القرآن الكريم أيضا عن كل شيء يهم الإنسان في حياته الدنيا أو الآخرة، كما

تحدث أيضا عن الماديات الملموسة أو المعنويات المحسوسة، ونعني هنا بالماديات الملموسة أصناف من النباتات كالتين والزيتون، وأصناف من الحيوان كالإبل والخيل، ونعني هنا بالمعنويات المحسوسة؛ فضائل الأخلاق والكرم والأمانة...إلخ. ومن ضمن ما تحدث عنه القرآن الكريم من ماديات ملموسة؛ المعادن (Minerals) وذلك في قسمين من أقسام تصنيف المعادن، الأول: وهو ما يطلق عليه؛ المعادن العنصرية (Native elements) مثل الحديد والنحاس والذهب والفضة، كل حسب استخدامه وفائدته للإنسان، والآخر ما يطلق عليه: الأحجار الكريمة (Gemstones) مثل اللؤلؤ والياقوت والمرجان، وجميعها ذكرت في مجال واحد وهو مجال الزينة.

وقد ذكر اللؤلؤ منفردا، في أكثر من آية كريمة منها قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾(الحج: ٢٣، وفاطر: ٣٣)، وقوله تعالى: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ (الواقعة: ٢٣)، ومن الآيات التي ذكر فيها مع المرجان، قوله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾(الرحمن: ٢٢)، ومن الآيات الكريمة التي ذكر فيها الياقوت والمرجان، قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٥٨).

ولعله من الضروري أن نلم إلمامة سريعة بماهية الأحجار الكريمة عامة، والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم بصفة خاصة، حتى يمكن فهم الدلالة العلمية من هذا الذكر.

الأحجار الكريمة... الخصائص والتاريخ:

من المعروف أن عدد المعادن الموجودة في الطبيعة يقرب من ثلاثة آلاف معدن، القليل منها هو الشائع المشهور، والغالبية العظمى هي النادرة التي لا يدري من أمرها سوى المختصين من الباحثين في المعادن. ومن أقدم المعادن التي عرفها الإنسان واتخذها زينة له، لما فطر عليه بني البشر من حب الزينة والتجمل، تلك الطائفة التي عرفت باسم: «الأحجار الكريمة». وعلى الرغم من أن الأحجار الكريمة ليست منفصلة عن المعادن، بل هي جزء أصيل منها، إلا إنها قد استقلت بعلم خاص بها وهو علم الأحجار الكريمة. (Gemology)، حيث يختص هذا العلم بدراسة هذه الطائفة من المعادن من حيث نشأتها وخصائصها الفيزيائية والكيميائية، وطرق البحث عنها وأساليب تشكيلها وتقييمها. كذلك يندرج تحت هذا العلم بعض المواد العضوية الطبيعية التي تدخل في إطار الأحجار الكريمة والتي ليست من المعادن أو الصخور؛ مثل اللؤلؤ والعنبر والمرجان.

ومن الحقائق التي أغفلها تاريخ العلم أن علم المعادن (Mineralogy) هو علم عربي، وذو نسب في العروبة عريق، بدليل أن أسماء المعادن المعروفة والمشهورة في العصور الوسطى هي إما أسماء عربية الأصل، أو معربة قد نقلها الغرب عن اللغة العربية عندما تَرجم التراث العربي إلى اللغة اللاتينية قبيل وإبان عصر النهضة الأوروبية، وأصبحت من ثوابت علم المعادن في جميع المراجع بلغات العالم المختلفة [1]. غير أن هناك أمرا غاية في الأهمية قد غاب عن فطنة مؤرخي العلم، بل لم يلتفت إليه أحد من الباحثين عربا وغير عرب. وهذا الأمر هو ما يتعلق بمصطلح (Gemology) أي علم الأحجار الكريمة، فهذا المصطلح لا يعرف تاريخه، أو بدء ظهوره في أدبيات علوم المعادن على وجه التحديد، وأغلب الظن أن هذا المصطلح ظهر في مراجع علوم المعادن عندما بدأ الغرب يتقدم منذ القرن التاسع عشر أشواطا بعيدة في مجال العلوم المختلفة، ومن بينها بالطبع علوم المعادن (Mineralogy)، وشيئا فشيئا تفرع عن هذا العلم علوم أخرى والتي من بينها بالطبع «علم الأحجار الكريمة». وقد يتعجب البعض عندما نقول أن هذا المصطلح هو مصطلح عربي الأصل، عربي النشأة، عربي التسمية، غير أن العجب سرعان ما يزول ويحل محله الإعجاب بما خلفه العرب من تراث علمي، فقد جاء في كتاب «مفتاح السعادة» لطاش كبرى زاده (المتوفى ٩٦٨ هـ / ١٥٦١ م): «علم الجواهر: وهو علم باحث عن كيفية الجواهر المعدنية البرية كالألماس واللعل والياقوت والفيروزج، والبحرية كالدر والمرجان وغير ذلك، ومعرفة جيدها من رديها بعلامات تختص بكل منها، ومعرفة خواص كل منها وغايته، وغرضه لا يخفى على إنسان، والتصانيف فيها كثيرة» [2].

إن هذه الفقرة الواردة في كتاب «مفتاح السعادة» تدل على ملاحظات عديدة، بعضها غاية في الأهمية، وربما تصحح مفاهيم كثيرة في تاريخ العلم، لأن مصطلح: «علم الجواهر» من المصطلحات التي تظهر للمرة الأولى في سجل تاريخ العلم، ومن



المرجع أن هذا المصطلح غير المسبوق ليس من بنات أفكار المؤلف بل هو مصطلح سابق على تأليف الكتاب قد استقاه المؤلف من مصادر سابقة لم تصل إلينا بدليل وجود أكثر من كتاب يتضمن في عنوانه لفظ «الجواهر» مثل: «الجواهر وصفاتها» لابن ماسويه (ت: ٢٤٣ هـ)، و«الجماهر في معرفة الجواهر» للبيروني (ت: ٤٤٠ هـ)، و«أزهار الأفكار في جواهر الأحجار «للتيفاشي (ت: ٦٥١ هـ)، و«خب الذخائر في أحوال الجواهر» لابن الأكفاني (ت: ٧٤٩ هـ)، لذا فإننا نرى أنه من الواجب استبدال مصطلح «الأحجار الكريمة» التي هي ترجمة حرفية للمصطلح الإنجليزي (Gemstones) وإحلال مصطلح «الجواهر» بديلا عربيا لها في مراحل التعليم المختلفة. وعلى هذا الأساس فإن العرب كان لهم فضل السبق في معرفة أن الأحجار الكريمة أو إن شئنا الدقة: الجواهر، هي من العلوم المشتقة من علوم المعادن باعتبارها طائفة مميزة من المعادن أو على حد وصف التعريف؛ جواهر معدنية. ليس هذا فحسب، بل إن التعريف السابق لم يكتف بجعل الأحجار الكريمة علما من العلوم فحسب، بل حدد ماهية واختصاص هذا العلم بقوله: علم باحث في كيفية الجواهر المعدنية، ومعرفة جيدها من رديها، ومعرفة خواص كل منها، وغايته وغرضه «وهو نفس الاختصاص الذي لا زال على حاله حتى الآن».

ولعل الأمر الجدير بالبحث والتأمل حقا؛ هو أن هذا التعريف قد تضمن أول تصنيف للأحجار الكريمة على أساس علمي سليم، إذ قسم الأحجار الكريمة على أساس طبيعة النشأة أو ما يعرف في أدبيات علم المعادن (Made Of Origin) فقد قسم التعريف، الأحجار الكريمة إلى قسمين:

الأول: معادن طبيعية ليس لأي كائن حي دخل في تكوينها، بمعنى أنها تكونت بفعل العوامل الطبيعية، وتوجد ضمن الصخور الحاوية لها، أو في الرواسب الناتجة من عمليات التعري، وهي تمثل الغالبية العظمى من الأحجار الكريمة مثل: الماس والياقوت والزمرد والزبرجد...إلخ.

الثاني: معادن ترجع في نشأتها إلى الكائنات الحية مثل: اللؤلؤ والمرجان والعنبر.

وهو عين التصنيف الحديث في مراجع الأحجار الكريمة باللغات المختلفة.

اللؤلؤ والياقوت والمرجان..من وجهة نظر العلم:

أولا: اللؤلؤ:

يذهب التفسير العلمي الحديث إلى أن اللؤلؤ يتكون نتيجة دخول يرقات متطفلة إلى داخل المحاريات وهي الكائنات البحرية من ذوات المصراعين.. وفور دخول اليرقة المتطفلة إلى داخل المحارة تقوم المحارة بحماية نفسها فتحيط هذا الجسم الغريب بمجموعة من الخلايا والأنسجة التي تبدو في صورة طبقات دائرية تحيط باليرقة المركزية..

والخلايا والأنسجة التي تفرز تكون بسبب نشاط أنسجة الحيوان الرخوي الموجود بالداخل، وكنوع من الدفاع عن النفس.. ويطلق على هذه الخلايا الدائرية: «عرق اللؤلؤ» (Nacre).. ويتألف «عرق اللؤلؤ» من آلاف الخلايا نصف الشفافة، تحيط ببعضها البعض لتكون في نهاية الأمر عرق اللؤلؤ.. الذي يتكون من معدن الأراجونيت (Aragonite).

وتشتهر الأقطار المطلة على الخليج العربي باستخراج أثمن وأغلى أنواع اللؤلؤ منذ أقدم العصور وحتى الآن.

ثانيا: الياقوت:

الياقوت ليس نوعا واحدا بل يوجد أكثر من نوع من أنواع اليواقيت، لعل أشهرها ذكرا في التاريخ؛ الياقوت الأحمر (Ruby) والياقوت الأزرق (السفير) (Sapphire) فكلاهما نوع من أنواع معدن الكورندم (Corundum) الذي يتكون كيميائيا من أكسيد الألمونيوم، وكلاهما أيضًا له نفس الخصائص الفيزيائية والكيميائية، إلا أنهما يختلفان في شيء واحد هو اللون، وتمتاز اليواقيت بصلابتها العالية إذ إنها أصلب المعادن قاطبة باستثناء الماس، وتعد الهند وسريلانكا من أشهر الدول التي يوجد بأرضها الياقوت وأنواعه[٣].

ثالثا: المرجان:

يتكون المرجان من ألياف من معدن الكاسيت (Calcite) شجرية الشكل من أنواع مختلفة من الحيوانات المرجانية المتشعبة صغيرة الحجم. وتعيش هذه الحيوانات في المياه الضحلة بالقرب من سواحل البحار ومنها البحر الأحمر والخليج العربي، والمرجانيات التي يتم استخدامها كأحجار كريمة قد تكون بيضاء أو وردية أو حمراء [٤].

الدلالة العلمية:

إن ذكر هذه الآيات عن عدد من الأحجار الكريمة وتحديدا اللؤلؤ والياقوت والمرجان لهو مؤشر على دليلين:

الأول: وهو دليل علمي محض، ففي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٥٨)، فهذه الآية إنما هي إشارة ضمنية لأول تصنيف للأحجار الكريمة على أساس علمي سليم، لا يخلو مرجع من المراجع في أي لغة من لغات العالم من التنبيه عليه، وهو أن الأحجار الكريمة تصنف تبعا لطبيعة النشأة إلى قسمين؛ الأول: أحجار كريمة طبيعية، أي إنها تكونت في الطبيعة شأنها في ذلك شأن معادن الأرض جميعا، ومن هذا النوع: الماس والياقوت والزمرد والزبرجد ...إلخ.

الثاني: أحجار كريمة عضوية النشأة، مثل اللؤلؤ والمرجان والكهرمان (العنبر). فذكر الياقوت والمرجان في آية واحدة تعني مجموع الأحجار الكريمة بنوعيها الطبيعية والعضوية باعتبار أن الياقوت هو العنوان الممثل للأحجار الكريمة الطبيعية، بينما المرجان هو الممثل للأحجار الكريمة العضوية النشأة.

تصحيح واجب

يكاد يجمع المفسرون على الفائدة المشتركة لهذه الأحجار الكريمة الثلاثة على أنها زينة يتحلى بها الإنسان توكيدا لقوله تعالى بالنسبة لما يخرج من البحر من اللؤلؤ والمرجان: ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾(النحل: ١٤)، وفي آية أخرى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ (فاطر: ١٢).

إذن فهذه الأحجار الكريمة الثلاثة وبالطبع باقي هذه الطائفة من الأحجار لها فائدة واحدة فقط لا تتعداها وهي الزينة، أي ما يتجمل به الإنسان من حلي. غير إن من يقرأ التراث العلمي العربي يجد أشياء غريبة كل الغرابة فيما يتعلق بالأحجار الكريمة، وينسبون إليها ما ليس فيها من فوائد، وهي أقرب إلى الخرافات والخوارق. والسبب في ذلك كله أن حركة الترجمة الواسعة النطاق في العصر العباسي والتي بلغت ذروتها في عصر الخليفة المأمون، مما هو معروف ومشهور، خضعت للكثير من السلبيات منها سوء الترجمة، وتزيد النقلة وأحيانا تزيد النساخ أنفسهم [٥] فسادت في التراث المنقول من تراث اليونان والفرس أشياء لا تستقيم عقلا ومنطقا، إلا أن الخرافات أو الأساطير في هذا السفر أو ذاك من تراث العرب العلمي لم تكن بضاعة عربية الأصل، وأنها أي الخرافات ليست أصلا من أصول العقلية العربية، والدليل على ذلك ما نحن فيه من ذكر الأحجار الكريمة اللؤلؤ والياقوت والمرجان ما جاء في «عجائب المخلوقات» للقزويني نقلا عن أرسطو: «قال أرسطو: من خاصية الدر أي اللؤلؤ أنه ينفع من الخفقان والخوف، ويصفي دم القلب جيدا، ومن جعل الدر واللآلئ ماء رجراجا فإنه إذا طلي به البياض الذي في الجسد برصا أو بهقا أذهبه بإذن الله تعالى» [٦].

وعن الياقوت: «قال أرسطو: من تختم بالياقوت لا يعلق ببدنه الطاعون، وإن عم أهل البلد، ونبل في أعين الناس وسهل عليه أمور المعاش»[٧]، وعن



المرجان: «قال أرسطو: يدخل في معالجات العين، ويصلب الحدقة»[٨]. ذلك بعض ما ورد في مؤلفات التراث العربي من خرافات من جراء حركة الترجمة ونقلها الكتاب العرب في مؤلفاتهم اتساقا وتماشيا مع الأمانة العلمية المطلقة في النقل بغض النظر عن فحوى المنقول صوابا أم خطأً، فالعهدة على الراوي كما يقال في العادة، ولعل تك الأمانة العلمية المطلقة إنما هي صدى من أصداء علم الحديث حيث الدقة في السند والرواية، وما تلك العنعنات الكثيرة التي يحفل بها التراث العربي لاسيما التراث الديني والتراث التاريخي سوى دليل على تلك الأمانة العلمية في النقل عن الغير.

ودون بحث أو تدقيق أو تمحيص ظن المستشرقون ومؤرخو العلم من الغربيين أن وجود مثل هذه الخرافات إنما هي أصل من لوازم العقلية العربية، فوصف بعضهم الإنتاج العلمي العربي بالجهالة [٩].

والحقيقة أن تلك الخرافات جاءت نتيجة مباشرة لترجمة كتاب «الأحجار» المنسوب إلى أرسطو والتي وردت فيه تلك الخرافات وأشباهها، والتي نقلها العرب في مؤلفاتهم، وهكذا لم يسلم علم المعادن (Mineralogy) عند العرب ممثلا في الأحجار الكريمة الثلاثة من نظرة جائرة ترد معارف العرب العلمية فيه إلى أصول يونانية ممثلة في كتاب «الأحجار» المنسوب إلى أرسطو، يقول مارتن بلسنر (M. Plessner): «وكان المؤلفون المسلمون يقبلون بشغف على الإفادة من كتاب الأحجار المنسوب لأرسطو»[١٠]. ولعل هذا القول ينم عن خبث واضح وجهل عميق، أما الخبث فهو اعتقاده بشغف المسلمين على الإفادة من كتاب الأحجار المنسوب لأرسطو، ومعنى هذا شغف المسلمين بالخرافات، والفوائد الطبية المزعومة في الكتاب، أما الجهل العميق فمرده جهل هذا المستشرق بمنهج التأليف في التراث العربي، فهذا «الشغف» الذي يدعيه بلسنر، إنما هو أحد السمات الأساسية في التراث العربي الذي يعتمد في كثير من أدبياته على أقوال السابقين كما قيلت، وكما هي كنوع من توثيق المصادر الذي يصب في مجرى الأمانة العلمية التي افتقدها علماء الغرب وهم يسطون على الإنتاج العلمي العربي[١١].

ومن الغريب أن هناك من ذهب في رأيه بما لا يبعد كثيرا عما نادى به بلسنر إن لم يكن قد تجاوزه إذ يقول: «ولم يتقدم العرب كثيرا في علم المعادن، ويفسر غرامهم بالحجارة الكريمة واهتمامهم بالمزايا الخفية للمعادن التي ذكرها الكتاب العرب»[١٢].

والحقيقة أن القائل قد جانبه الصواب عندما غمز من العقلية العربية التي تهتم بـ «المزايا الخفية» للأحجار الكريمة، دون أن يتعرض لأصحاب هذه المزايا الخفية، والقائلين بها، من أرسطو وغيره من حكماء اليونان. وجانبه الصواب أيضا عندما لم يدرك طبيعة ونهج التأليف العربي الذي يعتمد الأمانة العلمية في نقل أقوال السابقين، وإيرادها كما هي دون التعرض لمحتواها، الأمر الذي جعل القائل يعتقد أن العرب كانوا

مصدقين لـ «المزايا الخفية» للأحجار الكريمة كما وردت في مؤلفاتهم نقلا عن الغير.

نخلص من هذا لنقول: إن هناك مفهوما مغلوطا يجب أن يصحح، حتى لا نجد أنفسنا عندما نطالع تاريخ العلم، إننا أمام تاريخ يخلو من أي دور للعرب فيه، وبالتالي لا نجد ذكرا للعرب في بناء الحضارة الإنسانية، لذا فإن هذا المفهوم المغلوط يجب أن يصحح حماية للنشء العربي من سطوة المفاهيم الخاطئة التي لحقت بالعلم والعلماء العرب. ويتمثل التصحيح هنا بالنسبة للأحجار الكريمة، والتي تمثل في اعتقادنا التراث العلمي العربي في أمرين:

الأول: لو قرأ الغرب القرآن الكريم وما كتبه مفسرو القرآن الكريم حول تلك الأحجار الثلاثة، لأدركوا جميعا العقلية العلمية العربية، التي تأبى أن تكون الخرافة لها مكان بينها، وأن تلك الأحجار إنما هي للزينة والتجمل فقط منذ أن عرفها الإنسان قديما وحتى الآن.

الثاني: وإذا غفلت أعين الغرب سهوا أو قصدا عما جاء بتفسير المفسرين حول الآيات المتضمنة للأحجار الكريمة ممثلة في اللؤلؤ والياقوت والمرجان، فهل غفلت أيضا عما أورده البيروني في كتابه: «الجماهر في معرفة الجواهر»، والذي حققه فرد منهم، فقد رفض الاستشهاد بكتاب «منافع الأحجار» لعطارد الحاسب والذي تأثر فيه بحركة الترجمة قائلا: «ولعطارد بن الحاسب كتاب سماه: «منافع الأحجار» أكثر فيه من هذا الباب إلا أنه خلطه بمثل العزائم والرقى فاسترذل» [١٣]. كما أنه حدد فوائد الأحجار الكريمة بقوله: «نريد الآن نخوض في تعديد الجواهر والأعلاق النفيسة المذخورة في الخزائن فكلاهما رضيعا لبان في بطن الأم وفرسا رهان في الزينة والنفع» [١٤].

ولعل أبرز ما في كتاب الجواهر أنه قد نفى تماما أي خواص طبية أو سحرية للأحجار الكريمة وذلك في قول البيروني واصفا الجواهر بأنها: «كلها لعب ولهو وزينة وتفاخر لا تنفع في شيء من أمراض البدن» [١٥].

ولعل الجملة الأخيرة تهدم ما ذهب إليه الغرب، لدى الحديث عن تأثير كتاب الأحجار المنسوب إلى أرسطو في معرفة العرب بالمعادن، وهذا هو الظاهر من الحديث، غير أن الشواهد تبين القصد الحقيقي وهو الطعن في العقلية العلمية العربية وتأثرها بالأوهام والخوارق.

ولعل خير رد وإحقاقا للحق وإنصافا للعقلية العربية، وتصحيحا لمفاهيم شتى مغلوطة حول هذا الأمر، نذكر كل من يشكك أو يطعن في العقلية العربية، بأن الغالبية العظمى من العلماء العرب قد رفضوا رفضا قاطعا أشهر خرافة من خرافات اليونان في العصور الوسطى، فقد رفض العلماء العرب نظرية أرسطو القائلة بإمكان تحويل العناصر الخسيسة كالحديد والنحاس إلى عناصر نفيسة كالذهب والفضة، تلك النظرية التي لو كان قبلها العلماء العرب لتأخر سير علم الكيمياء قرنا أو يزيد من الزمان، دليلا على تقدم ورقي العقلية العلمية لدى العلماء العرب [١٦].

الهوامش

١- الأصول العربية لأسماء المعادن في اللغات الأجنبية، مصطفى يعقوب عبد النبي، آفاق الثقافة والتراث، العدد ٦٥، مارس ٢٠٠٩م، ص ١٣٧ -١٥٣.

٢- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبرى زاده، تحقيق د. علي دحروج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٣٠٩.

٣- المعدنيات والصخور للأثريين، مصطفى يعقوب عبدالنبي وآخرين، (مطبوعات جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا)، القاهرة، ٢٠١٦م، ص ١٥١.

٤- موسوعة الأحجار الكريمة، د. زكريا هميمي، دار هبة النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٥٠.

٥- راجع «مؤلفات العرب في المعادن بين النقلة والنساخ»، مصطفى يعقوب عبد النبي، الدارة، العدد ٤، رمضان ١٤١٠هـ، ص ١٧٦ -٢٠٦.

٦- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني، تحقيق سعد كريم الفقي وكرم السيد الأزهري، دار ابن خلدون، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص ٢٣٦.

٧- المصدر السابق، ص ٢٥٢.

٨- المصدر السابق، ص ٢٤٨.

٩- تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، د. عبد الحليم منتصر، دار المعارف، القاهرة، ط ٨، ١٩٩٠م، ص ١٢٨.

١٠- تراث الإسلام، شاخت وبوذورث، ترجمة د. حسين مؤنس وآخرين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م، ج ٢، ص ٢٦٧.

١١- راجع «عصر النهضة الأوروبية أو عصر السطو على العلم العربي»، مصطفى يعقوب عبد النبي، الإمارات الثقافية، العدد: ١٦، ص ١٤ وما بعدها.

١٢- تاريخ العرب، فليب حتى، ترجمة محمد مبروك نافع، دار التوزيع والطباعة والنشر، القاهرة ط ٢، ١٩٤٩م، مج ٢، ص ٤٨٥.

١٣- الجماهر في معرفة الجواهر للبيروني، تحقيق سالم الكرنكوي، حيدر أباد، الدكن، ١٣٥٥هـ، ص ٢١٧.

١٤- المصدر السابق، ص ٣١.

١٥- المصدر السابق، ص ٢٠٠.

١٦- تبرئة العقل العربي من خرافة تحويل المعادن، مصطفى يعقوب عبد النبي، الجسرة الثقافية، العدد: ١٠، خريف ٢٠٠١م، ص ١٨١ -١٩١.



د. رمضان فوزي بديني
(دكتوراه في اللغة العربية)

الاختلاف في إفادة الواو مطلق الجمع وأثره في الحكم الفقهي

«الواو» هي أصل حروف العطف، وأم بابها؛ ذلك أنها أكثرها استعمالا؛ ولذا جاء مخرجها شفهيا سهلا في النطق؛ حيث إنها لا تحتاج إلا إلى انضمام الشفتين دون اتصالهما، وهذا ما يناسب كثرة الاستعمال والدوران في الكلام.

وعلل بعض النحاة كونها أصل العطف بأنها لا تدل على أكثر من الاشتراك فقط، وأما غيرها من الحروف فيدل على الاشتراك وعلى معنى زائد. فإذا كانت هذه الحروف تدل على زيادة معنى ليس في الواو صارت الواو بمنزلة الشيء المفرد وباقي الحروف بمنزلة المركب، والمفرد أصل للمركب[1].

ويتفق الأصوليون مع النحاة في هذا الرأي؛ يقول أحد الأحناف وهو علاء الدين البخاري: «وأصل هذا القسم الواو؛ لأن العطف لإثبات المشاركة، ودلالة الواو على مجرد الاشتراك، وسائر حروف العطف يدل على معنى زائد على الاشتراك؛ فإن الفاء يوجب الترتيب معه، وثم يوجب التراخي معه. فلما كانت في تلك الحروف زيادة على حكم العطف صارت كالمركبة معنى، والواو مفرد، والمفرد قبل المركب. والحاصل أن العطف لما كان عبارة عن الاشتراك والواو متمخضة لإفادة هذا المعنى دون غيره صارت أصلا في العطف»[2].

لكن وقع خلاف في بعض دلالات الواو، منها دلالتها على مطلق الجمع؛ فرغم اتفاق جمهور النحاة والأصوليين على هذا الرأي؛ فقد ذهب بعضهم إلى أنها تفيد الترتيب وليس مجرد الجمع، على النحو التالي:

أولا- القول بأنها لمطلق الجمع:

اتفق أكثر النحاة والأصوليين على أن الواو تفيد مطلق الجمع[3] من غير إشعار بخصوصية المعية أو الترتيب؛ ومعنى ذلك أنها تدل على التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي أسند إليهما من غير أن يدل على أنهما معا بالزمان أو أن أحدهما قبل الآخر، ولا ينافي هذا احتمال أن يكون ذلك وقع منهما معا، أو مرتبا على حسب ما ذكرا به، أو على عكسه، ولا يفهم شيء من ذلك من مجرد الواو العاطفة. فإذا قلت: قام زيد وعمرو،

احتمل ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكونا قاما معا في وقت واحد. الثاني: أن يكون المتقدم قام أولا. الثالث: أن يكون المتأخر قام أولا[٤].

فقد ذكر سيبويه أن «الواو لا تلزم الشيئين أن يكون أحدهما بعد الآخر، ألا ترى أنك إذا قلت: (مررت بزيد وعمرو) لم يكن في هذا دليل أنك مررت بعمرو بعد زيد»[٥].

وممن نص أيضا على أنها لمطلق الجمع، ولا تفيد ترتيبا: المبرد[٦]، والزمخشري[٧] وابن هشام[٨]، والزركشي[٩].

أما الأصوليون فلم يختلف رأيهم كثيرا عن رأي النحاة في هذا السياق؛ حيث ذهب جمهورهم إلى أنها (الواو) لمطلق الجمع؛ حيث يقول صاحب «كشف الأسرار شرح أصول البزدوي»: «وأصل هذا القسم الواو وهي عندنا لمطلق العطف من غير تعرض لمقارنة ولا ترتيب، وعلى هذا عامة أهل اللغة وأئمة الفتوى»[١٠].

وذكر تقي الدين السبكي أن المختار «أنها لمطلق الجمع لا تدل على ترتيب ولا معية، فإذا قلت: جاء زيد وعمرو فقد أشركت بينهما في الحكم من غير تعرض لمجيئهما معا أو لمجيء أحدهما بعد الآخر، فهي للقدر المشترك بين الترتيب والمعية»[١١].

أما الإمام السرخسي فيفسر الأمر تفسيرا منطقيا فيقول: «إنهم وضعوا الفاء للوصل مع التعقيب، وثم للتعقيب مع التراخي ومع للقران.

فلو قلنا بأن الواو توجب القران أو الترتيب كان تكرارا باعتبار أصل الوضع، ولو قلنا إنه يوجب العطف مطلقا لكان لفائدة جديدة باعتبار أصل الوضع، ثم يتنوع هذا العطف أنواعا لكل نوع منه حرف خاص.

ونظيره من الأسماء؛ الإنسان فإنه للآدمي مطلقا، ثم يتنوع أنواعا لكل نوع منه اسم خاص بأصل الوضع، والتمر كذلك... فكذلك الواو للعطف (مطلقا) باعتبار أصل الوضع»[١٢].

وقال أبو بكر الجصاص: «الواو في اللغة للجمع. وذلك حقيقتها»، ثم احتج برأي أحد أئمة اللغة وهو المبرد، قائلا: «وقال المبرد: الواو للجمع ولا دلالة فيها على الترتيب لأنك إذا قلت: رأيت زيدا وعمرا لم يعقل من اللفظ رؤية أحدهما قبل الآخر إذ جاز أن يكون رآهما معا أو رأى عمرا قبل زيد»، ثم خطّأ رأي من قال بإفادتها الترتيب محتجا ببعض الأدلة النقلية والعقلية[١٣].

ومن الأدلة التي استند إليها هؤلاء ما يلي:

أولا: النقل عن أئمة اللغة العربية؛ فقد قال أبو سعيد السيرافي: أجمع النحويون واللغويون من الكوفيين والبصريين إلا قليلا منهم، وجمهور الفقهاء على أن الواو للجمع من غير ترتيب.

ثانيا: الاستقراء التام من كلام العرب في مجيئها لما لا يحتمل الترتيب أو يقتضي خلافه فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ (البقرة:٥٨) وفي الآية الأخرى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ (الأعراف:١٦١) والقصة واحدة؛ فلو كانت الواو تقتضي الترتيب لوقع التناقض بين مدلولي الآيتين.

ثالثا: أن الواو استعملت في مواضع لا يسوغ فيها الترتيب نحو: تقاتل زيد وعمرو، واختصم بكر وخالد، وجمعت زيدا وعمرا، والمال بين هذا وهذا وسيان قيامك وقعودك.

ولا يتصور الترتيب في شيء من ذلك، لأن المفاعلة لا تكون إلا من اثنين جميعا وكذلك بقية ما ذكر، ولا يصح الإتيان في شيء منها بالفاء ولا ثم، فلا تقول تقاتل زيد فعمرو، ولا المال بين هذا ثم هذا، ولا سيان قيامك فقعودك.

رابعا: أن القائل: «جاء زيد وعمرو» يحسن أن يقال له: جاءا معا أو تقدم زيد أو تقدم عمرو؟ ولو كانت الواو تقتضي الترتيب لما حسن هذا الاستفسار.

خامسا: قوله ﷺ في الحديث الذي صححه الحاكم: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان. قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» فهذا يدل على أن الواو للجمع لا للترتيب[١٤].

القول بإفادتها الترتيب:

في مقابل رأي أكثر النحاة والأصوليين هناك رأي آخر يقول بإفادتها الترتيب، وهو رأي منقول عن قطرب، وثعلب، وأبي عمر الزاهد غلام ثعلب، والربعي، وهشام، وأبي جعفر الدينوري. لكن قال هشام والدينوري: إن الواو لها معنيان: معنى اجتماع، فلا تبالي بأيتهما بدأت، نحو: اختصم زيد وعمرو، ورأيت زيدا وعمرا، إذا اتحد زمان رؤيتهما. ومعنى اقتران بأن يختلف الزمان؛ فالمتقدم في الزمان يتقدم في اللفظ، ولا يجوز أن يتقدم المتأخر. وعن الفراء أنها للترتيب حيث يستحيل الجمع[١٥].

أما الفقهاء والأصوليون فقد نقل هذا الرأي عن الإمام الشافعي، وذكر بعض الحنفية أنه نص عليه في كتاب أحكام القرآن، وبعضهم أخذه من لازم

قوله في اشتراط الترتيب في الوضوء والتيمم ومسألة الطلاق[16].

واستدل القائلون بهذا الرأي بما يلي:

أولا: ما جاء في الآيات التي وقع الترتيب على مقتضى ما فيها من تقديم وتأخير، كقوله تعالى: ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ﴾ وما ذكر معه.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾، وثبت في حديث جابر رضي الله عنه الذي ساقه في صفه الحج بقوله: إن النبي ﷺ لما خرج إلى السعي قرأ هذه الآية وقال: «نبدأ بما بدأ الله به»، هكذا في صحيح مسلم بصفة الخبر، وهو عند النسائي والدارقطني في رواية بصيغة الأمر: «ابدأوا بما بدأ الله به».

ثالثا: ما جاء في صحيح مسلم أن خطيبا قام بين يدي النبي ﷺ فقال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى»، والدلالة من هذا ظاهرة فإنها لو كانت لمطلق الجمع لم يكن بين الكلامين فرق.

رابعا: ما روي أن عمر رضي الله عنه أنكر على سحيم عبد بني الحسحاس قوله: (كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا)، وقال: «لو قدمت الإسلام على الشيب». وأن الصحابة -رضي الله عنهم- أنكروا على عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أمره بتقديم العمرة على الحج، واحتجوا عليه بقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾، فلولا أنهم فهموا من الآية الترتيب لما أنكروا ذلك عليه وفهم الصحابة رضي الله عنهم حجة في مثل ذلك لأنهم أهل اللسان.

خامسا: أن الترتيب على سبيل التعقيب وضعوا له الفاء، وعلى سبيل التراخي وضعوا له ثم، ومطلق الترتيب وهو القدر المشترك بين الخاصتين معنى معقول أيضا فلا بد له من لفظ يدل عليه بالوضع؛ لأن المقتضي لذلك قائم، والمانع منتف، ويلزم من ذلك أن تكون الواو هي الموضوعة له إذ لا غيرها موضوع له بالاتفاق[17].

قول آخر بإفادتها ثلاثة احتمالات:

وهو قول لابن مالك؛ حيث يقول: «والمعطوف بالواو إذا عري من القرائن احتمل المعية احتمالا راجحا، والتأخر احتمالا متوسطا، والتقديم احتمالا قليلا، ولذلك يحسن أن يقال: قام زيد وعمرو معه، وقام زيد وعمرو بعده، وقام زيد وعمرو قبله؛ فتؤخر (عمرا) في اللفظ وهو متقدم في المعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾(الدخان: ٣٧)، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ ...﴾(الحاقة: ٩).

ومن عطف المقدم على المؤخر قول أبي العيال الهذلي:

حتى إذا رجب تولى وانقضى
شعبان قدرنا لوقت رحيلهم
وجماديان وجاء شهر مقبل
سبعا يعد لها الوفاء فتكمل[18]

وقد اجتمع عطف المقدم على المؤخر، وعطف المؤخر على المقدم في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ (الأحزاب: ٧)، ومن عطفها بقصد المعية قول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾(البقرة: ١٢٧)»[19].

الأثر الفقهي لهذا الرأي:

انبنى على الخلاف السابق بين جمهور النحاة والفقهاء القائلين بعدم إفادة الواو الترتيب من جهة، والشافعية ومن تابعهم القائلين بإفادتها الترتيب من جهة أخرى.. خلاف في بعض المسائل الفقهية، أكتفي بإحداها هنا على سبيل التدليل، حسب ما يقتضيه المقام والمقال، وهي: الاختلاف في حكم ترتيب غسل الأعضاء في الوضوء، بناء على دلالة الواو في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ



﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ (المائدة:٦).

فقد ذهب القائلون بعدم إفادتها الترتيب إلى عدم وجوب الترتيب بين الأعضاء في الغسل، في حين ذهب الفريق الثاني إلى فرضيته، يقول ابن رشد في بداية المجتهد: «اختلفوا في وجوب ترتيب أفعال الوضوء على نسق الآية؛ فقال قوم: هو سنة، وهو الذي حكاه المتأخرون من أصحاب مالك عن المذهب، وبه قال أبو حنيفة والثوري وداود. وقال قوم: هو فريضة، وبه قال الشافعي وأحمد وأبو عبيد.

وهذا كله في ترتيب المفروض مع المفروض، وأما ترتيب الأفعال المفروضة مع الأفعال المسنونة، فهو عند مالك مستحب، وقال أبو حنيفة: هو سنة»[٢٠].

ثم ذكر أن من أسباب اختلافهم «الاشتراك الذي في واو العطف؛ وذلك أنه قد يعطف بها الأشياء المرتبة بعضها على بعض، وقد يعطف بها غير المرتبة، وذلك ظاهر من استقراء كلام العرب، ولذلك انقسم النحويون فيها قسمين، فقال نحاة البصرة: ليس تقتضي نسقا ولا ترتيبا، وإنما تقتضي الجمع فقط، وقال الكوفيون: بل تقتضي النسق والترتيب؛ فمن رأى أن الواو في آية الوضوء تقتضي الترتيب قال بإيجاب الترتيب، ومن رأى أنها لا تقتضي الترتيب لم يقل بإيجابه»[٢١].

وممن رجح عدم وجوب الترتيب الإمام القرافي مستندا إلى الدلالة اللغوية للواو التي لا تفيد إلا مطلق الجمع، ويؤكد أن «الله تبارك وتعالى عدل عن حروف الترتيب، وهي الفاء وثم إلى الواو التي لا تقتضي إلا مطلق الجمع، وذلك يدل على عدم وجوبه»[٢٢].

ويقول السرخسي رادا على من قالوا بأن الترتيب ركن في الوضوء: «ألا ترى أنه لو انغمس في الماء بنية الوضوء أجزاه، ولم يوجد الترتيب. ومواظبة النبي ﷺ على الترتيب في الوضوء لا تدل على أنه ركن؛ فقد كان يواظب على السنن كما واظب على المضمضة، والاستنشاق، وأهل اللغة اتفقوا على أن الواو للعطف مطلقا من غير أن تقتضي جمعا، ولا ترتيبا فإن الرجل إذا قال: جاءني زيد، وعمرو كان إخبارا عن مجيئهما من غير ترتيب في المجيء، قال الله تعالى ﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (آل عمران: ٤٣) فلا يدل ذلك على ترتيب الركوع على السجود، وكذلك في الآية أمر بغسل الأعضاء لا بالترتيب في الغسل»[٢٣].

من خلال ما سبق يتضح أن هناك رأيا معتبرا للكثير من الفقهاء بأن ترتيب غسل الأعضاء المفروضة في الوضوء ليس واجبا، بناء على دليل لغوي، وهو إفادة الواو مطلق الجمع وليس الترتيب، وذلك في مقابل الرأي الآخر المشهور بأن الترتيب واجب؛ وهو ما يحمل قدرا من التيسير في الحكم الذي قد يكون مطلوبا في بعض الحالات مثل وضوء الأطفال أو المسلمين الجدد أو في حالة النسيان وغيرها.

الهوامش

١- ينظر: أسرار العربية: (ص: ٢٦٧).
٢- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: (١٠٩/٢)، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي، دار الكتاب الإسلامي، دت.
٣- هناك فرق بين «مطلق الجمع» و«الجمع المطلق»، والصواب في هذا السياق أن يقال: الواو لمطلق الجمع، لا للجمع المطلق؛ لأن الجمع المطلق هو الجمع الموصوف بالإطلاق؛ لأنا نفرق بالضرورة بين الماهية بلا قيد، والماهية المقيدة، ولو بقيد لا. والجمع الموصوف بالإطلاق ليس له معنى هنا؛ بل المطلوب هو مطلق الجمع، بمعنى أي جمع كان، سواء كان مرتبا أو غير مرتب. ونظير ذلك قولهم: مطلق الماء، والماء المطلق (ينظر الجنى الداني: ١٦٢).
٤- ينظر: الفصول المفيدة في الواو المزيدة: (ص: ٦٨)، والجنى الداني في حروف المعاني: (ص: ١٥٣، ١٥٨).
٥- الكتاب: (٢٩١/١)، وينظر أيضا: (٤٢/٣).
٦- المقتضب: (١٤٨/١).
٧- المفصل: (ص: ٤٠٤).
٨- مغني اللبيب: (٣٠/٢، ٣١).
٩- البرهان: (٤٣٦/٤).
١٠- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: (١٠٩/٢).
١١- الإبهاج في شرح المنهاج: (٣٣٨/١) - تقي الدين السبكي - دار الكتب العلمية -بيروت.
١٢- أصول السرخسي: (٢٠١/١) - محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي - دار المعرفة - بيروت.
١٣- ينظر: الفصول في الأصول: (١/ ٨٣ -٨٧) - أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي - ط وزارة الأوقاف الكويتية.
١٤- للاستزادة ينظر الفصول المفيدة في الواو المزيدة: (ص: ٧٣) وما بعدها.
١٥- الجنى الداني في حروف المعاني: (ص: ١٥٨، ١٥٩).
١٦- الفصول المفيدة: (ص: ٦٨-٦٩). وينظر: نهاية السول للإسنوي: (١/ ٣٣٨)، وفواتح الرحموت: (١/ ٢٢٩)، وكشف الأسرار: (٢/ ١٠٩).
١٧- ينظر: الفصول المفيدة: (ص: ٨٩-٩٥).
١٨- البيتان من بحر الكامل (شرح الكافية الشافية: ١٢٠٥/٣، وديوان الهذليين: ٢٥٤/٢، والأغاني: ١٦٤/٢٤ - أبو الفرج الأصفهاني - تحقيق سمير جابر - دار الفكر).
١٩- ينظر: شرح التسهيل: (٣٤٨/٣-٣٥٠).
٢٠- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: (٢٣/١) - ابن رشد الحفيد - دار الحديث - القاهرة.
٢١- المرجع السابق نفسه.
٢٢- الذخيرة: (٢٧٨/١). وينظر أيضا: شرح مختصر خليل للخرشي: (١٣٥/١)، وكشف الأسرار شرح أصول البزدوي: (١٠٩/٢)، والجامع لمسائل المدونة: (٣٩/١)، ورؤوس المسائل (المسائل الخلافية بين الحنفية والشافعية) للزمخشري: (١٠٢/٩).
٢٣- المبسوط: (٥٦/١)- محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة - بيروت.



تركي عيسى المطيري
وكيل وزارة الأوقاف المساعد لقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية

ظاهرة الفتاوى الشاذة.. أسباب وحلول

منصب الإفتاء شأنه عظيم في الإسلام، وله مكانة مرموقة، وقد حث الشارع سبحانه على القيام به في كتابه الكريم: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة:١٢٢)، وأخبر النبي ﷺ بعظم منزلة العلماء بقوله: «وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر» (رواه الترمذي وصححه الألباني). فلعُلو هذا المطلب وأهميته ما كان لأحد أن يناله حتى يقطع شوطا كبيرا من عمره في طلب العلم الشرعي ومعرفة دقائقه؛ لأن الفتوى في الحقيقة هي توقيع عن رب العالمين، وقد قال ابن المنكدر رحمه الله: «العالم بين الله تعالى وخلقه، فلينظر كيف يدخل بينهم».

لذلك يقول الإمام مالك رحمه الله: «ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك». وروي عن غيره قريبا مما قال؛ لذلك كان لفتاواهم هيبة ولمذاهبهم قوة علمية يصعب توهينها.

من جانب آخر، حذر الرب سبحانه وتعالى من القول عليه من غير علم حيث قال في كتابه العزيز: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (النحل:١١٦).

وقد أرعبت هذه الآية قلوب سلف هذه الأمة وقضّت مضاجعهم، فحملتهم على التورع عن الفتوى، ولم يجاملوا أحدا على حساب دينهم، وكانوا يتدافعون الإفتاء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا- كما سيأتي ذكره.

ومن احتد على الإفتاء منهم كان يلتمس مراد الله تعالى في مظانه بعيدا عن الأهواء أو القول بغير علم، ولا يخجل أحدهم إن لم يحر جوابا أن يقول: «لا أعلم»، فمما جاء في ترجمة الإمام مالك رحمه الله تعالى: «أنه ربما كان يسأل عن خمسين مسألة

فلا يجيب في واحدة منها»، وهو من هو في علم الكتاب والسنة والفقه، لكن من المؤسف أن ثمت ظاهرة سيئة بدت تطل برأسها منذ سنوات تناقض هذا المنهج الفريد، مما يوجب على الباحثين المعنيين أن يرصدوا هذه الظاهرة ويبحثوا عن الحلول المناسبة لها.

الظاهرة

من عجائب هذا الزمان، وهو مليء بالعجائب! أننا أصبحنا نسمع من غرائب الفتاوى -ما يشيب له الرأس- تنسب لدين الله من غير تحرير ولا تدقيق، حتى لبّست على العامة دينهم، وفتحت الباب أمام المختص وغير المختص أن يدلي بدلوه ويقول ما يشاء، وأن يجتهد في إثبات الفتوى أو نفيها من غير علم.

ولو كان الذي يتسابق في إطلاقها في وسائل الإعلام ممن هم مولعون بغريب القول من أحداث الأسنان، أو ممن ليس لهم في العلم ناقة ولا جمل، لما أسفنا عليهم بقدر ما نأسف على بعض ممن أوتوا نصيبا من الكتاب يسارعون في الفتوى غير مراعين للضوابط الشرعية والمسالك العلمية في الإفتاء، مما جعل لفتواهم تبعات سلبية أكثر بكثير من المصلحة التي كانت في ظنهم.

وفي الحقيقة أنا لا أريد من هذه المقالة الفصل في هذه المسألة أو تلك، أو تبيين الخطأ من الصواب في تلك الفتاوى، فتلك المهمة لها مقام آخر، وإنما أريد رصد سبب هذا السيل الجرار من هذه الفتاوى التي شغلت العالم، ونقلت الفقه من ميادين التعليم والتعلم إلى ميادين الإعلام والمتاجرة والانتصار للذات، وكثر الخوض فيها حتى إنه تكلم فيها من ليس له في الفقه حفنة من علم، بل في بعض الأحيان تكون الردود على هذه الفتاوى مشوبة بسوء الظن في المفتي، وقد تأخذ منحى آخر عند البعض عندما يجعل هذه الفتوى أو تلك معيارا لتصنيف المدارس الفقهية النشطة في الساحة، فبدا لي أن أقف معها وقفة راصد لها، ومتأمل لمخاطرها، ومحاول لمعرفة أسبابها وطرق علاجها.

أسباب هذه الظاهرة

أ - تعدد وسائل الإعلام وسهولة التعامل معها

إن الإعلام شأنه شأن كل صنعة، فهو سلاح ذو حدين، ويسر التعامل معه كان له فضل كبير في نشر العلم وتيسير إيجاد المعلومة، كما كان له الفضل في تسيير مصالح الناس على اختلاف أشكالها.

غير أن الجانب الآخر له كان له الأثر السيئ الواضح على سلوكيات وأفهام ومعتقدات المجتمعات. وما يهمنا هنا هو انتشار تلك الفتاوى التي لا زمام لها ولا خطام، فمن السهل جدا أن أنشئ موقعا خاصا على الشبكة العالمية، ثم أنقل تلك الفتاوى الشاذة، القديم منها والحديث، لجذب الجمهور، بل ومن الأيسر أن أرسل بريدا إلكترونيا أو رسالة عبر «واتساب» تحمل من الغث ما تحمل، من فتاوى لا ترتكز على أصول صحيحة.

ولا يهمنا أن يكون هذا النقل تم بحسن نية أو بخلافه، ولكن من المهم أن نسلط الضوء على وسائل الانتشار الحديثة كقنوات «يوتيوب» و«فيسبوك» و«تويتر»...الخ، ناهيك عن الوسائل التي أصبحت تقليدية! والتي أصبح من فضول القول ذكرها كالتلفاز والمذياع والصحف، فتعدد قنوات وسائل التواصل الإلكترونية -لاسيما قنوات الإثارة الإعلامية- كفيل بأن يبرز إلى الجماهير الكثير من العلماء وغير العلماء من خاملي الذكر وقليلي البضاعة العلمية.

ب- التعالم

مما ابتليت به الأمة في هذا العصر كثرة المتعالمين، وليس هذا ادعاء مجردا من الدليل، بل هذا واقع ملموس مع الأسف، ونشاهد بين الفينة والأخرى من يتكلم في مسائل يتورع عنها كبار العلماء، ولقد شاهدنا الكثير من تلك النماذج على صفحات الإنترنت، وعلى بعض الفضائيات حتى أصبحت الفتوى مهنة من لا مهنة له، بل ومن العجيب في بعض الأحيان أن المستفتي لا يعرف المفتي، ولا المفتي -كما يظهر من جوابه- عالم بموضوع الاستفتاء.

وعجبي لا ينقضي من عامة الناس كيف يسلمون دينهم لمن لا يعرفون، فإن كانوا في السابق يقولون سموا لنا رجالكم، لمعرفة صحة سند الحديث، بسبب انتشار آفة الوضع، فينبغي علينا اليوم أن نقول سموا لنا مفتيكم، وعرفوا الناس بتاريخه العلمي ومن أهّله لمنصب الإفتاء، لمعرفة صحة فتواه.

فلقد كثر المتسرعون للإفتاء، المتشوفون له، حتى كثرت السقطات، وعظمت الزلات، وصدق -والله- الخطيب البغدادي، رحمه الله، في قوله في كتابه «الفقيه والمتفقه»: «وقل من حرص على الفتوى، وسابق إليها،

وثابر عليها إلا قل توفيقه، واضطرب في أمره، وإذا كان كارها لذلك غير مختار له، ما وجد مندوحة عنه، ولا قدر أن يحيل بالأمر فيه على غيره إلا كانت المعونة له من الله أكثر، والصلاح في فتواه وجوابه أغلب».

ج- غفلة العالم والقنوات المشبوهة

هناك علماء أفاضل، لهم شأن عظيم في العلم، نكن لهم كل تقدير واحترام، غير أنه ليس لهم خبرة كافية في التعامل مع وسائل الإعلام، لاسيما المشبوهة منها، وربما لا يكونون مستحضرين أيضا مدى خطرها؛ فيفتون بفتوى قد تكون هلامية حمالة أوجه، فيعبث بها عابث من الإعلاميين ذوي المآرب السيئة فيصعب تداركها لسعة انتشار الوسيلة الإعلامية؛ فتفهم الفتوى خطأ على غير الوجه المراد.

وفي الحقيقة إن هذه الغفلة غير معذور فيها؛ فعلى العالم الحرص والدربة على التعامل مع وسائل الإعلام مادام أنه سمح لنفسه بالظهور فيها، لاسيما في وقت لا يخفى مدى تأثير الإعلام على الجماهير.

د- عدم الالتزام بالمذاهب الإسلامية المشهورة، والأقوال المعتبرة المبنية على الأدلة الصحيحة، والمراعية للأصول والقواعد الفقهية، واتباع الشاذ من الأقوال، والمهجور من الآراء، والتذرع بالحجة غير المنطقية لبعض المفتين بأن هذا ما أدى إليه اجتهاده، وكأن أصحاب الأقوال المعتبرة لا يأخذون من المعين الشرعي نفسه الذي يأخذ منه حتى يفتقر إلى أقوال هجرتها الأمة، ولم يتابع أحد قائلها.

هـ- إنزال الفتوى الخاصة منزلة العموم

وهذه من الأخطاء الفادحة التي يقع فيها بعض المفتين؛ فتجده يُسأل على الهواء في إحدى القنوات عن مسألة خاصة لا تتعدى حيثياتها دائرة المستفتي، فيجيب إجابة عامة موهمة، وهذه في الحقيقة من الكوارث! فلا هو الذي خص المستفتي بفتواه، ولا عامة الجمهور مستوعبون خصوصية الفتوى، وهنا يقع اللبس.

ويزيد الطين بلة إن كابر المفتي وأصر على صواب فتواه ورفض التوضيح والبيان لخطئه في فتواه بصيغة العموم.

وكم هو جميل من المفتي أن يكون ذكيا لماحا، فإذا ما عُرض عليه استفتاء يحمل في طياته بعض الخصوصية بحيث لا يسوغ للمفتي أن يصرح بفتواه على الملأ، أن يؤجل الفتوى إلى وقت مناسب، كأن يطلب من السائل أن يتصل على هاتفه الخاص مثلا في وقت لاحق، أو أن يحيله إلى شيخ آخر أو... إلخ.

خطرها

ينبغي على العالم أن يخاطب الناس بما يفهمون به حكم الله تعالى، ويبسط لهم حيثياته، هذا من جانب، ومن جانب آخر لا يخاطبهم بما تترتب عليه مفسدة أعظم من المصلحة التي ترتجى من فتواه، فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود ﵁ أنه قال: «ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة».

فبالله عليكم لو قارنا مصلحة إحدى الفتاوى الشاذة المثيرة للجدل أو حتى الفتاوى الخاصة التي يعالج فيها المفتي إشكالا شرعيا بالمفسدة المترتبة على نشرها للعامة، فهل تغلب المصلحة المفسدة أو العكس؟

إن أردنا معرفة ذلك فلنجب على هذه الأسئلة المهمة، التي ينبغي للعالم أن يستحضرها عند الإجابة على الاستفتاءات التي لها أحكام خاصة، أو التي لها فتاوى استثنائية للضرورة مثلا أو غير ذلك، من خلال القنوات الفضائية أو وسائل التواصل التي يشاهدها الملايين:

- كم مشاهد من هذه الملايين في عالمنا الإسلامي يفتقر إلى فتواه الشاذة أو الخاصة؟
- وكم سامع للفتوى سيقبلها؟
- وهل السامعون لها أو جمهور الناس مؤهلون لفهم مثل هذه الفتاوى؟
- وهل من المصلحة إطلاقها بهذا الشكل؟ ...إلخ.

فمن استطاع أن يجيب على هذه الأسئلة فسيعرف مدى المفسدة المترتبة عليها.

● صعوبة تداركها بعد انتشارها

لا شك في أن الفتوى إذا قال بها العالم -لاسيما في وسيلة إعلامية كالقنوات الفضائية- من الصعب جدا تداركها، فلابد للعالم أن يحتاط لدينه كما عليه أيضا أن يحتاط لدين الناس؛ لأن ما سيقع فيه الناس من آثام بسبب فتواه ستكون تبعاته عليه عظيمة عند الله عز وجل.

● الأقلام المغرضة وترجيح المصلحة

ومما ينبغي للمفتي التنبه له أن الساحة

ليست خالية من مخالفين، وأحيانا من خصوم له ولمنهجه، وأن باب الحرية الذي دخل منه ليخاطب الجماهير سيدخل منه المخالف والخصم أيضا؛ فينبغي له أن يفرق بين حلقة العلم ومخاطبة الجمهور على اختلاف شرائحه وتوجهاته.

ولا ينسى أن من منهجه تحقيق المصلحة العظمى، وهي الحرص على هداية الناس، وأنه بإطلاق مثل هذه الفتاوى قد ضيع «بلح الشام وعنب اليمن»؛ فهو قد فتح الباب لخصومه لانتقاد منهجه، ويا ليت أن ضرر نقدهم لا يتعدى شخصه وفتواه، بل إن أقلامهم وأصواتهم ستطول العلماء الثقات وتزعزع شخصيتهم في أعين العامة -كما سيأتي ذكره.

● اتساع رقعة الجدل وإلهاء الأمة عن مصالحها

سئل الإمام الشافعي، رحمه الله، سؤالا فسكت ولم يجب، فقيل له، فقال: «حتى أدري أن الفضل في السكوت أو في الجواب». هكذا كان سلف الأمة يراعي قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وإنه من فضول القول إن مثل هذه الفتاوى تدخل الأمة في جدال كبير وخلاف مذموم، وفيها من المفاسد الشيء الكثير مما يفوت تلك المصلحة المزعومة عند ذلك المفتي المطلق لتلك الفتاوى الضعيفة.

ومما لا شك فيه أن من المصالح العظيمة التي تقع على عاتق العلماء جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفهم، ونبذ الفرقة والاختلاف كما جاء في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، فلِم نغفل عن هذه المصلحة العظمى لأجل تمرير فتوى على خلاف ما أجمع عليه جماهير أهل العلم إن لم نقل قد خرقت الإجماع؟!

فباب العذر للمفتي واسع بأن يحجم عن الإفتاء بالآراء الضعيفة، وله من الحرج الشرعي مندوحة بأن يحيل إلى من هو أوثق منه أو أن يفتي بقول معتبر أو أن يسكت، وفي السكوت سعة، فما الدافع يا ترى لإصرار بعض المفتين على إطلاق مثل هذه الفتاوى؟!

● الإسهام في إضعاف مكانة العلماء أمام شرائح المجتمع وعدم الوثوق بهم

ليعلم أصحاب الفتاوى الشاذة والضعيفة أن فتاواهم في بعض الأحيان معاول هدم لثقة الجماهير بالعلماء العدول؛ لأن من طبيعة الناس الوثوق بعامة أهل العلم، ويصعب عليهم في كثير من الأحيان تمييز من هو ثبت في فتواه ممن هو على خلاف ذلك، فكثرة السماع للشاذ من الفتاوى تجعل عدالة أهل العلم محل شك لدى أفراد المجتمع، لاسيما العوام منهم.

علاجها

أ - الورع عن الفتوى في المسائل المشكلة، والبعد عن التصدي لكل شاردة وواردة من غرائب الأسئلة، وليستحضر المفتي قوله ﷺ: «أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار»، كما استحضره سلف الأمة، فقد كان الصحابة، رضي الله عنهم، يتورعون عن الفتيا، ويود كل منهم لو كفاه أخوه إياها، كما ثبت ذلك عنهم بأسانيد صحيحة، منها ما ثبت عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: «لقد رأيت ثلاثمئة من أهل بدر ما منهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتوى» (رواه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» بسند صحيح)، وروى الإمام ابن المبارك في «الزهد» بسند صحيح عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: «أدركت عشرين ومئة من أصحاب النبي ﷺ -أراه قال: في هذا المسجد- فما كان منهم محدث إلا ودّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مفت إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا»، وروى أيضا بسند صحيح أن ابن عمر، رضي الله عنهما، سئل عن شيء، فقال: «لا أدري»، ثم أتبعها بأخرى، فقال: «أتريدون أن تجعلوا ظهورنا لكم جسورا في جهنم، أن تقولوا أفتانا ابن عمر بهذا».

فإذا كان هذا هو منهج السلف فما بال البعض اليوم يتدافعون إليها، لا منها، وليس إلى الفتيا فحسب بل إلى الغريب منها والشاذ؟!

وقد وقفت كثيرا عند رواية عن الإمام مالك، وقد ذكرت شيئا منها آنفا، ونصها «أنه ربما كان يُسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها»، وكان يقول: «من أجاب في مسألة فينبغي قبل الجواب أن يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب»، ولا أظن أني مجازف إن قلت لو سئل بعض من يتصدر للإفتاء اليوم الخمسين نفسها التي وجهت إلى مالك، رحمه الله، لأجاب عليها وهو متكئ على أريكته!

ب- إحالة الاستفتاءات المشكلة إلى المجامع الفقهية وهيئات الإفتاء ودورها في عالمنا الإسلامي

لا يكاد يخلو بلد عربي ولا مسلم، بل في كثير من دول العالم، من وجود دار للإفتاء، فضلا عن الهيئات والمجامع الفقهية. فكم هو لائق بالمفتي إن

عرضت عليه بعض الفتاوى المشكلة أن يحيلها إلى من هم أكثر علما وأتقن في فن الفتوى، وليس هذا ببدع من القول، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن أوسع الصحابة فقها، كان يدعو الصحابة لاستشارتهم في بعض المسائل الفقهية، ومما يؤيد ذلك ما روي عن الشعبي والحسن وأبي حصين -وهم من التابعين- أنهم انتقدوا بعض المتسرعين بالفتوى والمغترين بما معهم من العلم فقالوا: «إن أحدكم ليفتي في المسألة، ولو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر»، وما أشبه الليلة بالبارحة.

ج- وضع ميثاق لوسائل الإعلام في الدول الإسلامية

فمع هذا الانفتاح الإعلامي الرهيب بين أقطار الأرض، وسرعة انتشار الخبر ينبغي حقيقة على وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية، وبالأخص ذات الطابع الجدي، أن يكون لها ميثاق ينظم ما يعرض وما ينشر فيما يخص الإفتاء، وأن تضع ضوابط وحدودا للاستفتاء والفتوى.

وكذلك من خلال سن قوانين لتنظيم هذه البرامج، لاسيما أن لها تأثيرا كبيرا على الجماهير في البلاد الإسلامية، وأنها تشكل مرجعا لكثير من شرائح المجتمع.

د - الرجوع لتوصيات مؤتمر الإفتاء والعمل بمقتضاها حيث حوت بنودا جوهرية ودقيقة

من المناسب جدا أن نذكر هنا بعض التوصيات ذات الصلة التي جاءت في المؤتمر الذي قامت به وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت -مشكورة حيث كانت سباقة في رصد مثل هذه الظواهر- والذي عقد في عام ٢٠٠٧ تحت عنوان:

«منهجية الإفتاء في عالم مفتوح.. الواقع الماثل والأمل المرتجى»، فمن تلك التوصيات:

١ - ضرورة تحقق المؤهلات العلمية الواجب توافرها في القائم بأمور الإفتاء؛ كالعلم بالقرآن والسنة، ومواطن الإجماع، والمعرفة التامة بقواعد الاستنباط، مع ملازمة التقوى.

٢ - مراعاة المفتي للجانب التربوي والتعليمي عند إجابته عن أسئلة المستفتين.

٣ - لا تعتبر الفتوى الصادرة عن أي جهة كانت صحيحة إلا إذا اعتمدت على دليل شرعي معتبر، وكانت متسقة مع المقاصد الشرعية.

٤ - أن تكون الفتوى القائمة على الضرورة فيما يخص الأمة صادرة عن اجتهاد جماعي، دون أن ينفرد بها آحاد الفقهاء والمفتين، إلا أن تكون الضرورة مما لا يختلف فيها.

٥ - ألا تعمم الفتوى الخاصة المبنية على أساس الضرورة على جميع الأحوال والأزمان والأشخاص؛ إذ إن الضرورة تقدر بقدرها.

٦ - دعوة معدي البرامج الدينية ومقدميها، ومحرري الشؤون الإسلامية في الصحف والمجلات وسائر وسائل الإعلام الأخرى، إلى ضرورة الاستعانة بعلماء الشرع الموثوقين، للإشراف على برامجهم، وعدم فتح الباب أمام غير المؤهلين للعبث بها تحقيقا للتعاون المثمر بين الجهات العلمية والجهات الإعلامية.

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز لرؤيتي حول أسباب وخطورة وحلول ظاهرة الفتاوى الشاذة، بقيت كلمة أهمس بها في أذن كل طالب علم يتطلع إلى خدمة أمته بما ينفعها، أقول له:

لا شك في أن الأمة بحاجة ماسة إلى كل شبابها، كل فيما يخصه، وما تخصصت به أنت أكبر بكثير من أن تلقط كل شاذ من الفتاوى وتبثه، وتصطاد كل شارد من القول فتزيد عليه وتنقص ثم تحسب أنك أتيت بما لم يأت به الأول.

قد رشحوك لأمر لو فطنت له
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

إن ثمة ملفات للأمة بحاجة إلى من يدرسها ويقدم حلولا ناجعة لها، فلدينا من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والتربوية ما يفتقر إلى دراسات شرعية تطرح حلولا له.

بل لدينا فئات من المجتمع تعاني من سوء فهم لمعنى التدين، وهي ضائعة بين الإفراط والتفريط، نحتاج إلى من يقدم لها برامج شرعية لمعالجة هذا الفهم الخاطئ لمفهوم التدين... الخ.

وكلمة أخيرة لمن لا يتورع عن الإفتاء بما يخالف به جموع المسلمين عبر وسائل الإعلام -خاصة- من غير مصلحة عامة تذكر، أذكرك بحديث المصطفى ﷺ: «إن لله تبارك وتعالى خزائن للخير والشر مفاتيحها الرجال، فطوبى لمن كان مفتاحا للخير مغلاقا للشر وويل لمن جعله مغلاقا للخير مفتاحا للشر» (كتاب السنة ٢٩٦، ورواه ابن ماجه بلفظ آخر).

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



شيماء لطفي
باحثة تربوية

جنة الدنيا

إن من طبيعة الدنيا أنها دار ابتلاء واختبار وعمل، والمؤمن يعيش فيها مكابدا مشقاتها متحملا ما تلقي به الأيام من محن وابتلاءات رجاء ثواب الله وابتغاء مرضاته، كيف لا وقد أدرك من مطالعته وتدبره لكتاب الله تعالى أنه ليس مخلوقا فيها للنعيم والراحة وإنما للمشقة والتعب قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ (البلد:٤). قال ابن القيم: فإن الإنسان مخلوق في شدة بكونه في الرحم، ثم في القماط والرباط، ثم هو على خطر عظيم عند بلوغه حال التكليف ومكابدة المعيشة والأمر والنهي، ثم مكابدة الموت وما بعده في البرزخ وموقف القيامة، ثم مكابدة العذاب في النار، ولا راحة له إلا في الجنة.

وهذا لا يتنافى مع رحمة الله بالإنسان، بل إن كل بلاء يقدره الله على العبد إنما هو من تمام مصلحته، والله لا يقدر ما يقدر إلا لحكمة، وحسبك ما يساق للمؤمن من الأجور، ويرفع به من الدرجات بسبب تلك المكابدات والمشاق، ولو لم يكن في تلك المكابدات والمشاق إلا تشويق الإنسان إلى الجنة وإعلامه أن الراحة إنما تكون فيها، لكفى.

ويزداد شقاء الإنسان في هذه الدنيا إذا علق قلبه بها وجعلها منتهى آماله ونهاية طموحاته فيشقى بها ولو حاز الخير كله، قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له» (أخرجه الترمذي).

ومن طبيعة الإنسان أنه يريد دنيا بلا ابتلاءات ولا محن، وكأنما خلقت له وحده، يريدها صفوا لا كدر فيها، وراحة لا عنت ولا مشقة فيها، قال الشاعر:

جبلت على كدر وأنت تريدها
صفوا من الأقذاء والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب في الماء جذوة نار

ومن طبيعة الإنسان أيضا أنه لا يرضى بحال، قال العقاد:

صغير يطلب الكبرا
وشيخ ود لو صغرا
وخال يشتهي عملا
وذو عمل به ضجرا
ورب المال في تعب
وفي تعب من افتقرا
وذو الأولاد مهموم
وطالبهم قد انفطرا
ومن فقد الجمال شكا
وقد يشكو الذي بهرا
ويشقى المرء منهزما
ولا يرتاح منتصرا
ويبغى المجد في لهف
فإن يظفر به فترا

إن الحل لمعضلة طبيعة الحياة وطبيعة الإنسان أن يتقبل الإنسان أقدار الله فيها بنفس راضية مطمئنة حتى يرضيه الله في الدنيا والآخرة، وأن يتعامل مع الدنيا على أنها ممر وليست دار مستقر، فيعمل لها بقدر بقائه فيها، ويعمل للآخرة بقدر بقائه فيها، قال الفضيل بن عياض: «لو كانت الدنيا ذهبا يفنى، والآخرة خزفا يبقى، لكان ينبغي أن تؤثر خزفا يبقى على ذهب يفنى.. فكيف والدنيا خزف يفنى والآخرة ذهب يبقى؟».

وإذا ملأ العبد قلبه بالرضا هدى الله قلبه وشرح صدره واطمأن لأقدار الله تعالى، فالله تعالى يقول: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن:١١)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» (أخرجه الترمذي وابن ماجه). وقال عبدالواحد بن زيد رحمه الله: الرضا هو باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين.



خالد صالح المسافر
كاتب وباحث



ومضات حول أول مجلس نيابي بالكويت

مجلس الأمة في الكويت هو عبارة عن صرح ديموقراطي يتيح للجميع التعبير عن آرائهم عبر ممثليهم تحت قبة البرلمان، والمشاركة في اتخاذ القرار، ومحاسبة المقصرين في حقوق الشعب، مما ساهم بشكل كبير في التطور الحضاري للدولة منذ تأسيس المجلس وإلى يومنا هذا.

والمادة السادسة من الدستور الكويتي تنص على: «نظام الحكم في الكويت ديموقراطي السيادة فيه للأمة».. ومن هنا بدأت الحياة السياسية الديموقراطية الأولى في تاريخ الكويت المشرق. وبين سطور المادة السادسة نلتمس احترام الحاكم للمحكوم، والحرية التي كفلها الدستور للأمة الكويتية في التعبير عن إرادتها الحرة في اختيار ممثليها في البرلمان.

استمر العمل بالمجلس التأسيسي لمدة سنة و١٥ يوما، وصدر من خلاله الدستور الكويتي، الذي اعتمد في تاريخ ١١ نوفمبر ١٩٦٢م، من قبل حاكم البلاد وأبي الدستور المغفور له بإذن الله الشيخ عبدالله السالم الصباح.

من هنا، ومن خلال الدستور الكويتي، صدر قانون الانتخاب رقم ١٩٦٢/٣٥م، تمهيدا لإجراء أول انتخابات لمجلس الأمة في تاريخ الكويت بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٦٣م، حيث كان عدد الناخبين ١٦٨٨٩ ناخبا، وعدد المرشحين ٢٠٥ مرشحين موزعين على ١٠ دوائر انتخابية بمعدل ٥ مقاعد لكل دائرة (٥٠ نائبا عن الأمة)، وأسفرت الانتخابات عن نجاح ١٢ عضوا من المجلس التأسيسي و٣٨ نائبا جديدا. بعد انتهاء الانتخابات قدمت




الحكومة استقالتها، وبتاريخ ٢٨ يناير من السنة نفسها تم تشكيل حكومة جديدة برئاسة المغفور له بإذن الله الشيخ صباح السالم الصباح.

في الجلسة الأولى والنطق السامي يوم ٢٩ يناير ١٩٦٣م، شرف صاحب السمو أمير البلاد الشيخ عبدالله السالم، رحمه الله، حفل افتتاح مجلس الأمة، ودعا سموه الجميع إلى الحرص على «وحدة الصف في هذه الدولة العربية»، وأقسم على احترام الدستور وصونه في سبيل استقلال الوطن وحرية الشعب ومصالحه، ثم ألقى سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ صباح السالم الصباح، رحمه الله، خطاب الحكومة، وتحدث عن نظام الحكم المؤقت وقيام المجلس التأسيسي وأكد حرص الحكومة على الإسهام المستمر في جميع الشؤون المحلية والخارجية. وقال إن الحكومة تضع نصب عينيها أمر المساهمة الفعالة في إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية، ثم انتخب المجلس النائب عبدالعزيز الصقر رئيسا والسيد سعود عبدالرزاق نائبا للرئيس بأغلبية ٣٤ صوتا مقابل ٢٩ صوتا نالها النائب جاسم القطامي.

وشهد هذا المجلس الأول العديد من الأحداث السياسية المهمة والملهمة لمجالسنا الحالية، ففي هذا المجلس تم تقديم أول استجواب إلى وزير الشؤون الاجتماعية والعمل عبدالله مشاري الروضان من قبل محمد أحمد الرشيد بخصوص توزيع ٣٠ قسيمة في منطقة العديلية بمساحة ١٠٠٠ متر، وفي تاريخ ١١ يوليو تمت مناقشة الاستجواب، وتم الاكتفاء بالمناقشة برد الوزير. كما تم تقديم استجواب إلى وزير الكهرباء والماء الشيخ جابر العلي من قبل راشد التوحيد بخصوص إيصال التيار الكهربائي وإنارة الشوارع ومد أنابيب المياه وتحصيل الرسوم، وقد نوقش الاستجواب على مدار جلستين في ٢٢ فبراير و٣ مارس ١٩٦٤م، وكذلك شهد هذا المجلس استقالة أول رئيس له، وهو العم عبدالعزيز حمد الصقر، بسبب الأزمة الدستورية في تفسير المادة ١٣١ بشأن الفصل بين العمل العام والتجارة، شهد وتاريخ ٧ ديسمبر استقالة نواب التيار التقدمي: العم أحمد الخطيب وسامي المنيس وعلي العمر وراشد التوحيد ويعقوب الحميضي وجاسم القطامي وعبدالرزاق الزيد الخالد وسليمان خالد المطوع، اعتراضا على إقرار بعض القوانين التي اعتبروها مقيدة للحريات، واستقال كذلك مضحي المعصب وسليمان الحداد، وجرت انتخابات تكميلية بتاريخ ٩ فبراير ١٩٦٦م، وذلك لتعويض استقالات النواب.

ولهذا المجلس إنجازات كثيرة، أهمها إصدار قانون اللائحة الداخلية رقم ١٢ لسنة ١٩٦٣م بتاريخ ١٥ مايو ١٩٦٣م، وما زال العمل بهذه اللائحة إلى مجالسنا الحالية، وهذا بحد ذاته دليل واضح بأن هذا المجلس شهد رجالات دولة حقيقيين كانت الكويت نصب أعينهم، وساهموا وبشكل ملحوظ في وضع نظام أساسي ينظم العمل البرلماني.

وبهذا الحديث التاريخي وبهذا الدستور العظيم تحولت الكويت من بلد قبلي ومناطقي إلى دولة لها كيان بين الدول المجاورة والدول الديموقراطية بنظام أساسي متكامل يحفظ كرامات الناس وحقوقهم وأموالهم.



السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية

القرآن الكريم.. كتاب هداية ورسالة مفتوحة

لا يزال المسلمون بحاجة إلى القرآن الكريم وإلى التعرف على هداياته وتوجيهاته ومقاصده، ما كانوا بحاجة إلى أن يتعرفوا على اللّٰه تعالى، وعلى أنفسهم وعلى حياتهم.. والإنسانية جمعاء لا نستثنيها من هذه الحاجة؛ فالقرآن الكريم كتاب هداية ورسالة مفتوحة بامتداد الزمان والمكان، للناس جميعا..

وهذه الحاجة إلى القرآن الكريم حاجة متجددة، لا تقف عند عصر، ولا تنفد عند جهود؛ وإنما يظل القرآن نبعا فياضا لكل من يرد حوضه، ونورا يتلألأ لكل من يلتمس منه النور..

وكما أن هموم الإنسان وأشواقه متجددة ومتنوعة؛ فإن عطاء القرآن الكريم متجدد، وأدويته ذات فاعلية باستمرار.. وينبغي ألا يكون لدينا أدنى شك في أن حاجاتنا ستجد شبعها وريها لدى القرآن الكريم؛ شريطة أن نقبل عليه بحب، وأن نقرأه بوعي، وأن

نسترشده بأدب؛ أدب لا يفرض عليه قراءة مسبقة، ولا يتقول عليه باطلا، ولا يتجاوز آياته وتوجيهاته بدعاوى واهنة!

في تعريف القرآن الكريم:

ومن المهم أن نطل على تعريف القرآن الكريم، لأن في تعريفه بيانا لأهم خصائصه ومميزاته. وقد ذهب العلماء في تعريفه لغة واصطلاحا مذاهب شتى، لكننا سنقف عند أشهرها وأوجزها.

والقرآن لغة من قرأ؛ والأصل في هذه اللفظة الجمع. وكل شيء جمعته فقد قرأته. وسمي القرآن قرآنا لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض؛ وهو مصدر كالغفران والكفران[١].

وفي الاصطلاح تعددت تعاريف العلماء للقرآن بسبب تعدد الزوايا التي ينظر العلماء منها إلى القرآن، وأشملها: القرآن هو كلام الله المنزل على النبي محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المعجز ولو بسورة منه[٢].

وللقرآن الكريم أسماء متعددة، أشهرها «القرآن» و«الكتاب»؛ وقد روعي في تسميته: «قرآنا» كونه متلوا بالألسنة، كما روعي في تسميته: «كتابا» كونه مدونا بالأقلام؛ فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه. وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد؛ أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى؛ فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلا بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة. ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر. وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبيها، بقي القرآن محفوظا في حرز حريز، إنجازا لوعد الله الذي تكفل بحفظه؛ حيث يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند[٣].

في خصائص القرآن الكريم:

للقرآن الكريم عدة خصائص يتصف بها، وتميزه عن غيره من الكتب المنزلة على الأمم من قبلنا، وتميزه أيضا عن مجمل الوحي الذي جاء به النبي ﷺ؛ أي عن الحديث القدسي والسنة القولية بأنواعها.

وقد بحث العلماء في الصفات الخاصة بـ«القرآن» فوجدوا أنها تنحصر في الإنزال على النبي ﷺ، والإعجاز، والنقل وبالتواتر، والكتابة في المصاحف، والتعبد بالتلاوة. ورأى بعض العلماء زيادة التوضيح والتمييز، فعرفه بجميع هذه الصفات، واقتصر بعضهم على ذكر الإنزال على النبي، والإعجاز؛ لأن ما عداهما من الصفات ليس من الصفات اللازمة، لتحقق القرآن بدونها في زمن النبي ﷺ، فقالوا في تعريفه: هو الكلام المنزل على محمد ﷺ، المعجز. واقتصر بعضهم على ذكر الإعجاز فحسب؛ لأنه وصف ذاتي للقرآن إذ هو الآية العظمى المثبتة لرسالة نبينا محمد ﷺ، ولكون القرآن المنزل عليه من عند الله لا من عند البشر[٤].

ونقف هنا وقفة موجزة مع ثلاث خصائص للقرآن الكريم، وهي أنه:

● كتاب منزل: فالقرآن الكريم أوحى به الله تعالى لنبيه محمد ﷺ، لفظا ومعنى؛ فهو ليس من تأليف بشر؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل: ٦)، وأخبر النبي ﷺ بذلك صراحة فقال: «ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» (متفق عليه من حديث أبي هريرة).

● كتاب محفوظ: فقد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه في لغته التي أنزله بها، ونزهه عن التحريف أو التبديل أو الزيادة أو النقصان؛ ولم يكل ذلك للبشر كما هو شأن الكتب السابقة على القرآن؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ

﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، وقال: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ (فصلت: ٤٢).

● كتاب معجز: أي تحدى الله تعالى المشركين أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة مثله، أو بسورة من مثله! قال ابن كثير: محمد ﷺ بعثه الله في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء؛ فأتاهم بكتاب من الله عز وجل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا؛ وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبدا[٥].

هذه إذن أهم خصائص القرآن الكريم، وبالتالي فمن الخطأ البين الذي لا لبس فيه أن يحاول البعض تقديم «قراءة معاصرة» للقرآن تنطلق مما حدث مع كتب الأمم الأخرى، بزعم أن «النص المقدس» ينبغي إعادة قراءته وإخضاعه لمقاييس النقد والتأويل! ذاك قياس مع الفارق يتعامى عن خصائص القرآن الكريم الثابتة التي تجعله كتابا متفردا متميزا، بما توافر له من تنزل وحفظ وإعجاز!

في هداية القرآن الكريم:

وإذا كان القرآن الكريم كتابا معجزا قد تحدى الله تعالى به الناس أن يأتوا بمثله، فإن هذا الإعجاز ينصرف بالأساس إلى ناحية النظم في القرآن، أي إلى الجانب اللغوي والبلاغي؛ وهذا الإعجاز يتطلب وجود أناس يكونون على مستوى هذا التحدي، قد أتقنوا اللغة وبلغوا فيها شأوا عظيما؛ كما هو الجيل الذي تنزل القرآن لمخاطبته وتحديه.

وثمة إعجاز آخر لا يختص بفئة معينة ذات قدرة لغوية وبيانية فائقة، وإنما هو إعجاز يسري نفعه لعموم من يتصل بالقرآن، ويبذل ثمرته للناس جميعا؛ وهو الإعجاز المتصل بهداية القرآن الكريم، وقدرته على اجتذاب النفوس والعقول إليه بيسر عجيب؛ يكفي أحدهم أن يستمع لبضع آيات منه، فإذا نور القرآن يتجلى على قلبه، وأشعته تنفذ إلى وجدانه، وهدايته تأخذ بلبه وفكره!

وقد نبه الشيخ محمد الصادق عرجون إلى هذا الفارق المهم بين هاتين الناحيتين من إعجاز القرآن، إعجاز النظم وإعجاز الهداية؛ فقال: «والإعجاز بالهداية هو معجزة القرآن الخالدة خلود العقل. أما الإعجاز الأسلوبي في براعة البيان وروعة الأداء، فهو إعجاز خاص بمن يفهمه ويزنه بميزان ركائزه من البلاغة العربية التي ذهب أهلها بعد أن استعجموا... وبالهداية كان الإعجاز عاما شاملا للزمان والمكان والأجيال والأفكار»[٦].

إن القرآن الكريم لم يتنزل من أجل أن يلفت الناس إلى أسرار العربية ومظاهر فصاحتها، وإن كان مشتملا على ذلك، وتحدى العرب في هذه الناحية؛ لأنها هي الناحية التي يجيدونها.. وإنما جاء لمقصد أسمى، ولهدف أجل، ولغاية حددها هو بنفسه، في أكثر من موضع؛ مثل قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ (إبراهيم: ١). وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾ (الإسراء: ٩). وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (الحديد: ٩). فهداية القرآن الكريم هي إعجازه الأكبر الذي لا يبلى على مر الزمان؛ لأن عطاءه ونوره لا يتوقفان عن الإشعاع.. بل القرآن الكريم- كما وصف بحق- لا يزال غضا طريا كأن عهده بالوجود أمس[٧]!

وهداية القرآن «هداية تامة»، لا يمكن أن يقوم مقامه فيها كتاب آخر؛ إذ هو من عند من خلق الإنسان وسواه ويعلم ما يصلحه وما يفسده: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).. وهي أيضا «هداية ممتدة» تتجاوز الزمان والمكان، ولا تنحصر في بقعة أو في جيل، إنها تخاطب الإنسان أينما كان وحيثما وجد، وعلى أي مستوى كان فكره.. كما أنها «هداية باقية» لا تنمحي ولا تبلى؛ لأن القرآن رسالة الله الخاتمة إلى قيام الساعة؛ فلا نبي بعد محمد ﷺ ولا وحي بعد القرآن.

في حب القرآن الكريم:

إن موجبات حب القرآن الكريم

أكثر من أن تحصى؛ وأولى هذه الموجبات أن نحبه لأنه كلام الله تعالى؛ الذي تفضل علينا بالخلق والإيجاد، وسخر لنا السماوات والأرض وما فيهن، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وحملنا في البر والبحر.. كما تفضل علينا سبحانه بالهداية والدلالة على طريقه، وأرسلنا إلينا رسوله ﷺ وأنزل معه الكتاب..

فمحبتنا لله تعالى، صاحب الإنعام المادي والمعنوي، توجب محبتنا لكلامه، وتجعلنا ننشغل بكتابه العزيز تلاوة وتدبرا وتطبيقا ودعوة إليه؛ حتى يكون القرآن محور حياتنا، ومنهاج خطواتنا؛ به نسترشد فيما نأتي ونذر، وإليه نتحاكم في الفكر والتربية والتشريع، ومنه ننطلق في حياتنا الفردية والاجتماعية على السواء.

نحب القرآن الكريم لأن به سعادتنا في الدنيا والآخرة؛ وننال الأجر المضاعف والدرجات العليا؛ ولأن منه نستمد النور في فهم النفس واستيضاح الطريق وتبصر العواقب: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ (المائدة: ١٥- ١٦).

ولهذا كانت العلاقة طردية بين محبة الله تعالى ومحبة كتابه العزيز؛ وكان الانشغال بالقرآن والتزام أوامره واجتناب نواهيه دليلا على المحبة الصادقة لله تعالى، تلك المحبة التي تتجاوز القول باللسان إلى العمل بالجوارح.

وكانت تلاوة القرآن من أولى صفات المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾ (فاطر: ٢٩- ٣٠). وحضنا النبي ﷺ على قراءة القرآن فقال: «اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه» (رواه مسلم من حديث أمامة الباهلي).

في رسالة القرآن الكريم:

كما أشرنا، فإن هداية القرآن تتجاوز الزمان والمكان، ولا تنحصر في بقعة أو في جيل، إنما هي هداية تخاطب الإنسان أينما كان، وحيثما وجد، وعلى أي مستوى كان فكره.. ولهذا، فرسالة القرآن «رسالة مفتوحة» عبر الزمان والمكان؛ يخاطب بها كل جيل كأنما هي رسالة له وحده، ويجد فيها كل زمان حلا لمشكلاته كأنما تنزل القرآن الساعة!

وما أبأس الذين يزعمون «تاريخانية القرآن»؛ أي يرتبط بظرف زمانه ومكانه الذي تنزل فيه، ويخضع لتطور الزمن! وما أشد تهافت دعواهم وأبعدها عن حقيقة القرآن!

إن ختم النبوة برسالة النبي ﷺ يقتضي أن يظل الكتاب الذي تنزل عليه ذا عطاء متجدد، حتى لا يخلو زمان من قائم لله بالحجة.. ولو جعلنا الزمن حاكما على أفهامنا للقرآن، لانقلب الحال وصار «البشري» مقدما، و«الإلهي» مؤخرا؛ ولما بقي من القرآن شيء بعد ذلك حين نتخلى عن بعض أحكامه كل فترة من الزمن بزعم عدم مسايرتها!! إن هذا لنوع من التلاعب لا يختلف في نتيجته عمن حرفوا كتبهم وبدلوا نصوصها؛ ذاك تحريف في النص وهذا تحريف في المضمون، والنتيجة واحدة!

إن تنزل القرآن الكريم نعمة كبرى تستحق الشكر، وإن تكفل الله تعالى بحفظ كتابه نعمة كبرى أيضا تستحق الشكر.. بقي أن نتعرف على هذه النعمة ونعرفها للآخرين، وأن نرتفع لمستوى القرآن الكريم ولعمق حقائقه وتجلياته؛ حتى يكون لنا نورا في الدنيا وشفيعا يوم القيامة..

الهوامش

١- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٤/ ٣٠).

٢- علوم القرآن الكريم، د. نور الدين محمد عتر، (ص: ١٠).

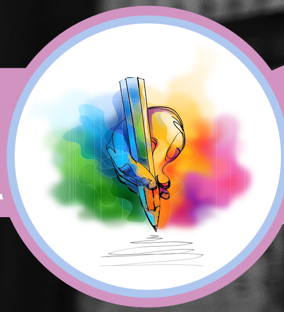
٣- النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز، (ص: ٤١، ٤٢).

٤- المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد أبو شهبة، (ص: ٢١، ٢٢).

٥- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/ ٤٥).

٦- محمد رسول الله.. منهج ورسالة، بحث وتحقيق، عرجون، (١/ ٦).

٧- راجع مقالي: هداية القرآن.. إعجازه الأكبر، بموقع: «إسلام أون لاين».

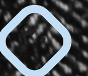


محمد عطيه متولي
إمام وخطيب اول بوزارة الأوقاف

إنسان الحضارة في التصور القرآني

خلق الله تعالى الإنسان وميزه عن كثير من خلقه، وكتب له التكريم والتفضيل، كما قال جلا وعلا: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ **(الإسراء:٧٠).**





وذلك التكريم جاء من عدة أوجه، أهمها:

التكريم في الخلقة، كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين:٤)، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ (الانفطار:٦ - ٨)، ومما يدل على تكريم الله تعالى للإنسان في خلقته قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون:١٤)، ويشهد لهذا أن تكوين الإنسان جاء تكوينا مختلفا عن بقية الخلق، فهو مخلوق من طين في أحسن صورة.

التكريم بالعقل: ثم ميزه بالعقل، وقد جاء حديث القرآن عن العقل مباشرة في تسع وأربعين آية منه، فجاءت مرة بصيغة (عقلوه)، ومرة (نعقل)، ومرة (يعقلها)، وجاءت (يعقلون) (٢٢) مرة، و(تعقلون) (٢٤) مرة، وجاء ذكر العقل بصيغ أخرى في عشرات الآيات.

التكريم باللغة: كما ميز الله تعالى الإنسان مع العقل باللغة، فالمجموعات البشرية لها لغات تتفاهم بها فيما بينها، حتى وصل عدد اللغات في العالم إلى أكثر من (٧٠٠٠) لغة.

التكريم بالتفكير: كما ميز الله الإنسان مع حسن الخلقة والعقل واللغة بالتفكير، وقد جاء التفكير في القرآن في (١٩) آية، وختمت سبع آية بقوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،

وكان هذا التفضيل والتكريم لأجل أن يقوم بوظيفته العظمى من بناء الحضارة على الأرض، التي تقوم على أساس: وحدانية الله، وعمارة الكون.

مقومات حضارة الإنسان في القرآن

تقوم حضارة الإنسان على عدة مقومات من أهمها:

- **العبودية**: فليس مقصود بناء حضارة الإنسان مجرد التشييد والبناء فحسب، بل قامت حضارة الإنسان في القرآن على العبودية لله تعالى، وما يتبع ذلك من انضباط في السلوك، ومراقبة لله في كل التصرفات والأفعال، حتى تكون حضارة ربانية منضبطة بقواعد الشرع الحنيف، لا أن تكون قائمة على هوى الإنسان ومزاجه، ولا يفهم من ذلك أن القرآن يقيد الإنسان في تشييد حضارته، بل يضع له الأسس التي تضمن الاستقرار والبقاء لتلك الحضارة، وأن تكون وفق منظومة القيم القرآنية، فيدور الإنسان مع تعاليم الله حيث دار، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢)، فهناك من يبني الحضارة ليشد مجدا لشخصه أو دولته أو أمته، لكن هذه الأهداف أهداف ثانوية تأتي بعد الأهداف العليا للحضارة في القرآن، فلا يمكن للعبد أن يخرج عن طاعة سيده، بل يزدان حين يسير وفق منهج سيده الذي وضعه له.
- **الاستخلاف**: ارتبط الإنسان بالحضارة والمعرفة منذ النشأة الأولى، ولا نعرف حضارة إلا للإنسان من بين الخلائق مع اختلافها، فلا نعرف حضارة للجن، أو حضارة للملائكة، ولا نعرف حضارة لغيره من المخلوقات التي كانت قبله، وأول تلك المظاهر في ارتباط الإنسان بالحضارة، هو الاستخلاف، وما تحويه الكلمة من معاني التعاقب والتوارث بين بني البشر، وذلك التوارث يشمل مقومات الحضارة من المعرفة والعلم والحكمة وما تنتجه من مظاهر الحضارة المادية من تشييد المباني والزراعة والصناعة والتكنولوجيا والفنون والآداب وغيرها، وهذا المقوم الأول للحضارة كان منذ إخبار الله ملائكته ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣٠)، وتوحي الآية بالتمكين بكل معانيه، فالاستخلاف والخلافة لابد أن يكون لها مقومات عدة، لكن أساسها هو البقاء والاستمرار والتواصل والتوارث، ولو إلى حين، ذلك الحين الذي يترجم بآلاف السنين التي لا يعلم مداها إلا الله تعالى، وما يحصل خلال هذا الاستخلاف من وجود أجيال متعاقبة، يرث كل جيل ما تركه الجيل السابق من المعرفة والعلم والتقدم والإنجاز، وتبني عليه الأجيال اللاحقة ما بدأته الأجيال السابقة، في تناغم عجيب، ولهذا كانت الاستخلاف أحد مقومات حضارة الإنسان، وإحدى نعم الله تعالى التي أنعم بها على البشر، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾

(الأنعام:١٦٥)، كما أن الاستخلاف الذي هو أحد المقومات الحضارية للإنسان يقصد به التنافس والابتلاء والنظر فيمن يخلف أفضل، ويشيد حضارة أعظم، أساسها الإيمان، وبناؤها العمل الصالح الذي يحقق الغاية من الوجود، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس:١٤)، وحين يكون الاستخلاف بين الأجيال من عند الله تعالى، وأنه سبحانه سيطلع على ما عمل كل جيل من الأجيال، ففيه روح التنافس في الإنجاز والعطاء والبناء الحضاري، وحصول نوع من التسابق والتنافس المحمود، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين:٢٦).

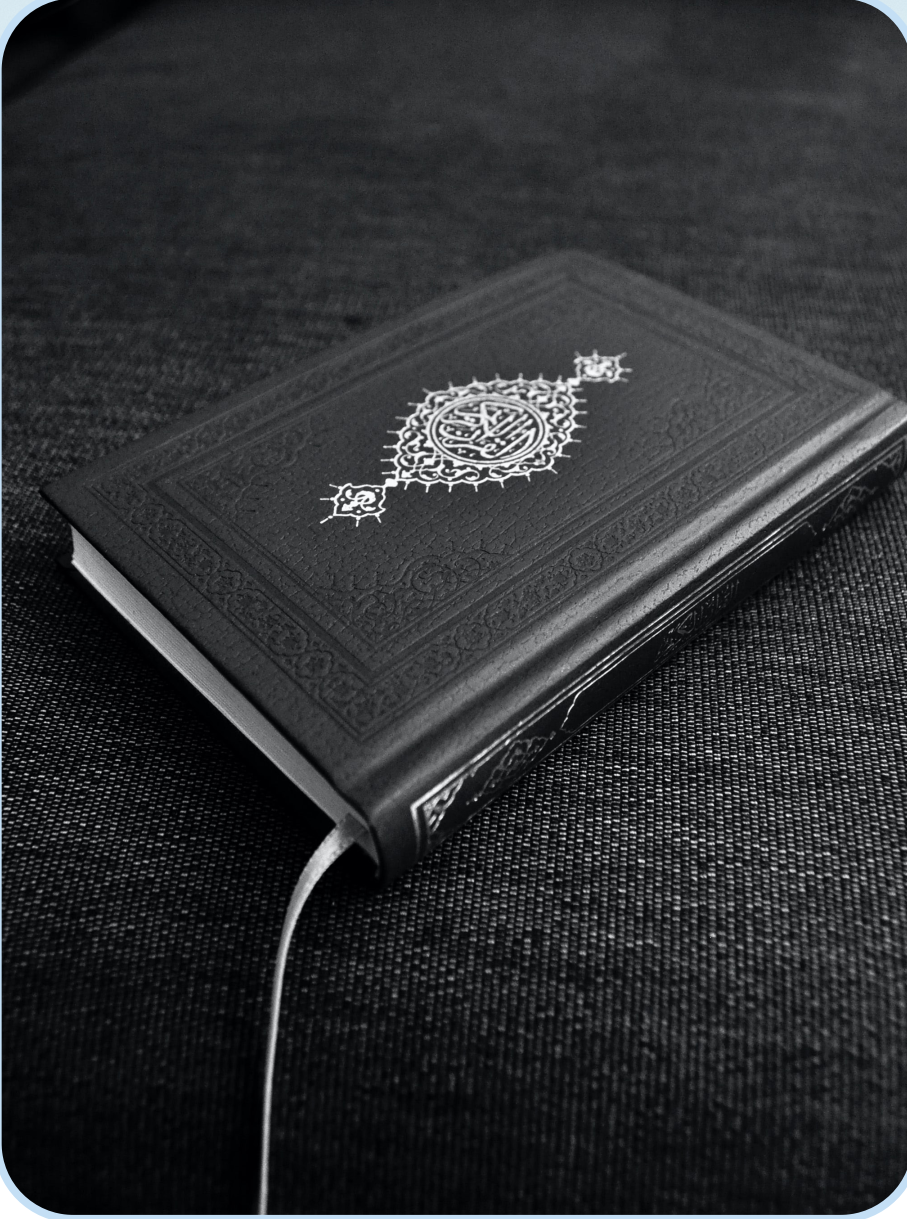
- **المعرفة والعلم:** ويشير القرآن إلى خاصية في خلق الإنسان تميز بها عن غيره، وهو العلم والمعرفة، وقد ظهر لنا اليوم جليا أن مفاتيح العلم التي تعلمها الإنسان الأول – آدم عليه السلام– امتدت إلى أجيال بعيدة من أبنائه، حتى إنهم لم يرتضوا أن يكتشفوا الأرض التي يعيشون عليها فحسب، بل تطلعوا إلى السماء ليبحثوا في نجومها وكواكبها، وما زالوا يحاولون استكشاف الكون باعتباره هو مسرح الحضارة، متسلحين في ذلك بسلاح العلم والمعرفة، ولما كان مطلوبا من الإنسان بناء الحضارة على الأرض، فإن الله تعالى أهل الإنسان الأول – آدم عليه السلام– بالعلم والمعرفة، لأنه لا حضارة بلا علم أو معرفة، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة:٣١)، وتشير الآية إلى أهمية الإحاطة والشمول في مقوم من مقومات الحضارة، بل أسه وأساسه وهو العلم، فتعليم آدم الأسماء كلها، يشير إلى العلم في دوره في بناء الحضارة يحتاج إلى الإحاطة الشاملة الكاملة، حتى يكون قادرا على إنشاء تلك المنظومة الحضارية.

ولما شككت الملائكة في قدرة الإنسان على قيامه بالبناء الحضاري المرتقب على الأرض، كانت التجربة المعرفية الأولى والتي أجاد فيها آدم، وكيف لا يجيده وقد علمه الله بذاته العلية، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (البقرة:٣١ – ٣٣)، ويشير قوله تعالى ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة:٣٣) أن العلم الذي وهبه الله تعالى آدم عليه السلام، والذي سيورثه لأبنائه من بعده لابد أن لا يقتصر على مجال معين، بل هو مجال رحب يشمل السموات والأرض، وأن الله تعالى علم آدم وسيعلم أبناءه من بعده بعض أسرار السموات والأرض، والتي ستساهم في بناء حضارة الإنسان.

ويشمل العلم – باعتباره أحد مقومات البناء الحضاري– البحث والاكتشاف، حتى تستمر مسيرة العطاء الإنساني واستكماله حضارته، من خلال الفكر والتفكر، والبحث والتجريب، كما قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت:٢٠).

- **العلوم التجريبية والصناعات:** لم يغفل القرآن أن يعلم الإنسان في بناء الحضارة العناية بالعلوم والصناعات، وحفل القرآن الكريم بعشرات الآيات التي تتكلم عن العلوم التجريبية والصناعات، باعتبارها أحد مقومات الحضارة، فتكلم القرآن عن الطب والهندسة بأنواعها، والزراعة والصناعة، والفلك، والحساب، كما أشار إلى عديد من الحرف التي لا يستغني عنها الإنسان في بناء حضارته، مثل: الخياطة والحدادة والتجارة وصناعة الغزل والنسيج والفلاحة والغوص وصناعة صياغة الذهب والفضة، وصناعة الفخار، والملاحة، والكتابة، ومهنة الخبز والطحن، وغسل الثياب والصباغة، والجزارة، والنحت، والرمي والفروسية، وغيرها مما يحتاجه الإنسان في حياته وفي بنائه لحضارته.

- **البناء الاجتماعي لحضارة**

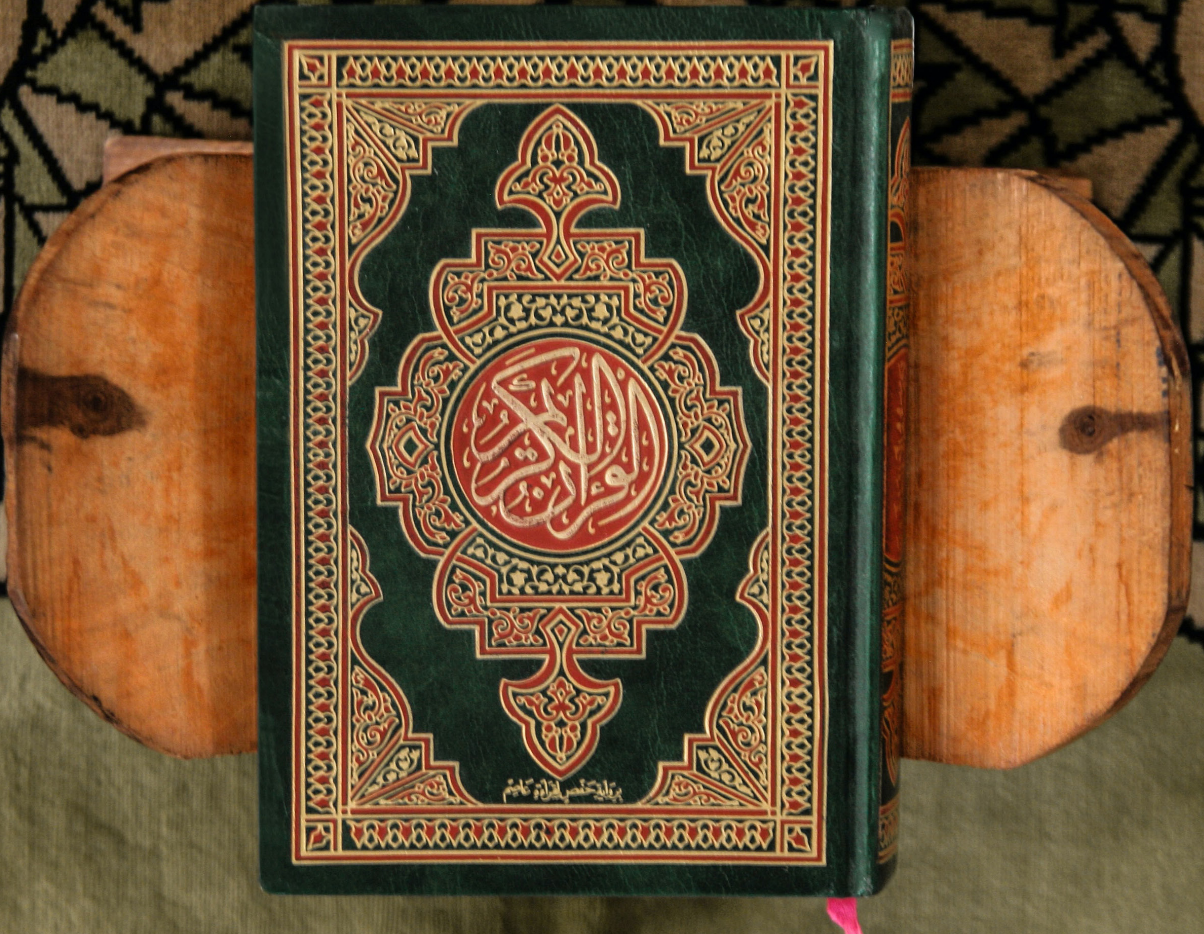


الإنسان: كما لم يغفل القرآن الكريم الجانب الاجتماعي وأثره في بناء الحضارة، من ذلك: الزواج وتكوين الأسرة: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ (النحل:٧٢)، كما أوصى القرآن ببر الوالدين، وتقديرهما، كما قال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (البقرة:٨٣)، كما اعتنى بالجيران والمساكين واليتامى والأرامل وأصحاب الحاجات والخدم وغيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء:٣٦)، بل اعتنى القرآن بطريقة الحوار بين الناس وحفظ المشاعر بينهم، كما قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (الإسراء:٥٣)، كما دعا إلى الفضيلة ورعاية الحرمات، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:٣٢)، وحرم الله القتل والاعتداء بين الناس، حتى تكون النفس البشرية محفوظة مصونة، فقال: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ (الإسراء:٣٣)، ودعا إلى إقامة العدل وحفظ الحقوق والصدق في المعاملة والبيع والشراء، فقال: ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (الإسراء:٣٥)، وحث على التواضع في التعامل بين الناس وحرمة التعالي عليهم، فقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ (الإسراء:٣٧).

هذه بعض لمحات عن إنسان الحضارة في القرآن، والمتتبع لآيات القرآن الكريم سيجد أنه أوجد منظومة متكاملة لهذا الإنسان المنشود، من حيث سلامة العقيدة وصحة العبادة، ورعاية العلم والمعرفة، والسعي نحو بناء مجتمع فاضل على الأرض، قوامه الأخلاق الفاضلة والسعي نحو المعالي في الدنيا والآخرة.



د. آندي حجازي
أكاديمية في علم النفس التربوي



القرآن منهج حياة ورسالة عالمية

القرآن الكريم كلام الله تعالى المتعبد بتلاوته والمنزل باللغة العربية على قلب سيدنا محمد ﷺ بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام، وقد نزل ليكون دستور حياة وشريعة سماوية من خالق البشر إلى البشر، وليتناسب مع جميع الأزمان والأماكن والأشخاص والشعوب، فهو كتاب خالد كتب الله تعالى له البقاء إلى ماشاء الله إلى يوم اقتراب الساعة وقيامها، فعندها سيرفع من الصدور والمصاحف، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (سورة الحجر: آية ٩).

فقرآننا كتاب جامع شامل متنوع المسارات والأهداف والرؤى عظيم في التربية والتعليم والتشريع، فأنت إن أردت الأحكام والمعاملات الاجتماعية والإقتصادية كقضايا الزواج والطلاق والميراث وحسن الجوار وصلة الأرحام، ومعاملات التجارة والبيع وأحكام الربا والقمار وشرب الخمر وأكل الميتة وغيرها فستجدها في القرآن الكريم، وإن رمت العبادات والصلة الروحية بالخالق فهو كتاب مليء بآيات تحث على العبادات كإقام الصلاة وإيتاء

الزكاة وإقامة شعائر الحج والصيام في رمضان والحث على الصدقات ومساعدة الآخرين وثواب ذلك كله عند الله تعالى وجنات الخلود.

وإن ابتغيت القصص فقرآننا مليء بقصص الأنبياء والأقوام السابقة وبعض قصص الحيوانات، وقصص من سيرة رسول الله ﷺ والصحابة، وإن أردت الآداب والأخلاق فحتما ستجدها في قرآننا العظيم، كآداب الاستئذان وآداب الطعام وآداب الطريق وغض البصر وحسن المعاملة وأن تعفو عن الناس وتبلغهم مأمنهم، وأن لا تكون فظا بالتعامل وعدم رفع الصوت وغيرها، فقرآننا العظيم مليء بالآداب؛ فانظر إلى سورة لقمان ووصايا لقمان لابنه بعدم الشرك بالله، وببر الوالدين وخاصة الأم وحسن المعاملة، وعدم التكبر، والصبر، وخفض الصوت، قال الله تعالى موضحا تلك الآداب: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)﴾ (سورة لقمان: ١٣-١٥). وقال تعالى أيضا: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ (١٩)﴾ (سورة لقمان: ١٧-١٩).

كتاب محكم لا خطأ به

قرآننا متقن الكتابة والقواعد اللغوية والعقلية، فلا يمكن أن تجد به خطأ نحويا، بل بالعكس قد اقتبست من قرآننا كل قواعد اللغة العربية، وتحدى العرب الذين هم أهل الصنعة في اللغة أن يأتوا بمثله ولم يستطيعوا ولا بآية من آياته، واعترفوا أنه ليس كلام بشر، وليس ككلامهم وأشعارهم.

ومن دقته ومتانة نظمه أنك ومن أول صفحة تقرأها ومن أول آياتها تجده يبدأ بالتأكيد بأن هذا الكتاب هو الكتاب الحق، ويؤكد أنه هو الهدى، وأنه لا ريب فيه ولا شك فيه، وأنه الكتاب المحكم وكتاب الهداية والرشاد ودليلك في الحياة وطريقك للآخرة، فكل الكتب الأرضية التي يكتبها البشر تبدأ عادة بالاعتذار لقرائها إن بدر منهم أي خطأ بالكتاب وأنه غير مقصود؛ إلا قرآننا فهو ومن أول آية يؤكد فيه الله تعالى منزل الكتاب أن هذا كتاب لا خطأ به ولا شك، وأنه الكتاب الحق، قال تعالى: ﴿الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)﴾ (سورة البقرة: آية١-٢) وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ (سورة فاطر: ٣١)

وهو مهم للهداية للبشر ودليل لهم يدلهم على خالقهم ويجيب تساؤلاتهم حول الخالق للكون وحول الدنيا والحياة البرزخية وما بعد الموت والبعث والحساب والجنة والنار، وتخيل لو أن شخصا صنع آلة كهربائية على سبيل المثال، أليس سيرفق معها (كاتلوجا) دليلا إرشاديا لكيفية الاستخدام وتعليمات الاستخدام السليم؟ وكذلك قرآننا هو دليلنا في هذه الحياة؛ لحياة فضلى سليمة من المشاكل والعقبات، موصلة إلى رضى الخالق وإلى مكافئآته في الجنات لمن أطاع أوامره، فلا أوضح من قرآننا العظيم في توضيح مصير المؤمنين الطائعين لله يوم القيامة، ومصير الكافرين الضالين والمعاندين لله تعالى ولاتباع أوامره، وموضحا لكل ما نحتاجه من قواعد للعيش في هذه الأرض بخير وسلام، وصولا للآخرة.

فضل القرآن

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ



إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾
(سورة فاطر: ٢٩-٣٠)، وقال تعالى بنفس سياق الآيات مبينا فضل القرآن الكريم ومن يتبعه أنه في الجنات لأنه كان سابقا بالخيرات والعمل الصالح لم يظلم نفسه:
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾
(سورة فاطر: ٣٢-٣٥).

وقال رسول الله ﷺ مبينا الفارق بين يتعامل مع القرآن الكريم ويتلوه وبين من لا يتعامل معه ومن يتمسك به ومن يهجره: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن؛ كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر» (رواه البخاري).

فالقرآن الكريم كلما أعطيته من وقتك قراءة وفهما وتعلما ووقتا

وتطبيقا له، فإنه سيعطيك من بركاته الدنيوية والأخروية، ولا يدرك هذا إلا من جربه وذاق من فضله وبركته.

كتاب محفز للإبداع

قرآننا العظيم كتاب تدور من خلاله الكثير من العلوم والمعارف والعلوم اللغوية والشرعية والعقلية، فهو ليس مجرد رسالة سماوية لإقامة العبادات، ومعرفة الحلال والحرام، وإنما هو موجه للنشاط الفكري والحركي والاجتماعي والعملي والعقلي والإبداعي وللتفكر بالكون وللعمل والانتاج؛ فالقرآن العظيم مع السنة النبوية شكلا مادة دافعة كبيرة للحضارة الإسلامية للتقدم على مر العصور؛ فتألقت تلك الحضارة لأكثر من عشرة قرون قبل أن يدخل أهلها اليوم في سبات عميق بعد أن ابتعدوا عن التمسك بدستورهم وكتابهم الرباني الذي هو من خالق البشر والذي هو سبب في البركة في حياتهم لو أعطوه من وقتهم، كما كان السلف الصالح يقضون وقتهم معه، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (رواه البخاري)، ولا ننسى دور سيدنا عثمان بن عفان في نسخ المصاحف ونشرها في الأمصار الإسلامية لشدة حرصه على هذا الكتاب العظيم دستور هذه الأمة وكتابها الرصين الخالد الذي إن تمسكنا به وبسنة نبينا الكريم لن نضيع ولن نضعف أمام باقي الأمم.

رسالة عالمية خالدة

ورسالة الإسلام رسالة عظيمة ممتدة خالدة واسعة تتسع لكل البشر، لأنها من خالق البشر والذي يعلم ما يصلح لأحوالهم، والله جعل القرآن الكريم الرسالة الخاتمة الصالحة لكل زمان ومكان، فالرسالات السابقة وبمرور الزمن يقل تأثيرها، أما رسالة الإسلام فالزمن لا ينقص من قوتها وشموليتها وعظمتها ومرونتها، بل يزيد لأنه لا يغلق الحوار مع الشعوب الأخرى، بل يفتحها أمامهم للغوص في تفاصيله وعلومه وأحكامه وأهدافه وعجائبه.

فقرآننا يقدم أبعادا جديدة، من خلال تطور المعرفة البشرية والاتجاه نحو دراسة الكون وما يؤكد الإعجاز العلمي الذي فيه، ويقدم الأدلة على الصانع الحكيم، وعلى الإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته، فهذه الرسالة جاءت شاملة لكل جوانب الحياة جوانبها لتوازن بين مختلف جوانبها، ولم يعد الإنسان كذلك في ظل الإسلام يعيش حالة الانشطار بين حياته الروحية وحياته الدنيوية كما هو عند الغرب اليوم أو كما كان قبل الإسلام.

ولعظمة هذه الرسالة فهي الرسالة السماوية الوحيدة التي طبقت عمليا على يد الرسول الذي جاء بها، وقد انفردت الرسالة الإسلامية بهذا، وسجلت نجاحا واضحا في هذا التطبيق، فاستطاعت التحول من الفهم النظري إلى التطبيق العملي الميسر لكل من يتبعها، فتحولت الأوامر الإلهية إلى سلوك وأخلاق ومعاملات يومية مع الفرد ومع المجتمع، الأمر الذي لم يتحقق للرسالات أو الأديان والمذاهب الأخرى.

وهذه الرسالة المقدسة العظيمة رسالة الإسلام وكتابها القرآن العظيم، لم يقتصر تأثيرها على الأمة الإسلامية فقط؛ بل امتد ليكون قوة مؤثرة في العالم أجمع، قوة فاعلة في كل العالم على امتداد التاريخ، فحتى أن الباحثين الأوروبيين غير المسلمين الدارسين للحضارة الإسلامية وأثرها على الشعوب يعترفون بما قدمته حضارة الإسلام العظيمة لتلك الشعوب، وتأثيرها في تحريك شعوب أوروبا ودفعها إلى التقدم في شتى جوانب الحياة العلمية الحضارية.

ورسالة الإسلام لأنها خالدة شاملة فهي رسالة محبة وتفاهم وسلام ووئام وتعايش مع الآخر وتقبل للآخرين، وهي رسالة تعطي للآخرين حرية الاختيار في اختياراتهم المطروحة أمامهم وفي جوانب حياتهم، وهو يسمح للآخرين بالدخول به واتباعه، فالإسلام ليس كالديانة اليهودية التي لا يعمل أبناؤها على نشرها، ويقتصرون على إبقائها بين اليهود أنفسهم، ولا يسمح لغير من أصله يهودي بالدخول بها، ولذلك تجدهم أقلية بالعالم، أما إسلامنا وقرآننا فهو رسالة مفتوحة لكل العالم، كل أحد يستطيع القراءة به والدخول في حضن هذا الدين القويم، والحمد لله رب العالمين.

ولا ننسى أن الله تعالى سيحاسب الجميع على اختيارهم الدين الإسلامي أو البقاء على ما هم عليه، فلنحسن خيارتنا ولنكسب أنفسنا ولنتبع الهدى للفوز بالجنة.



د. ناجي عبدالله الخرس
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

عظمة مقاصد القرآن

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء:٩).

هذه الآية العظيمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن الكريم، لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خير الدنيا والآخرة[١]. ص

وفيها إيماء إلى ضمان سلامة أمة القرآن من الحيدة عن الطريق الأقوم[٢]. من هدي القرآن الذي هو أقوم هداية إلى حل المشكلات العالمية بأقوم الطرق وأعدلها[٣].

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾، هكذا على وجه الإطلاق، فيشمل الهدى أقواما وأجيالا بلا حدود من زمان أو مكان. يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق



الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق.

ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله. فهناك تلازم بين العقيدة والمعاملة، والعبادة والأخلاق، كما في قوله ﷺ: «من لم يدع قول الزور....» و«أن من إجلال الله تعظيم ذي الشيبة المسلم».

ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحد الاحتمال، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦).

ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض، أفرادا وأزواجا، حكومات وشعوبا، دولا وأجناسا، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى. ولا تميل مع المودة والشنآن، ولا تصرفها المصالح والأغراض. الأسس التي أقامها الخبير لخلقه، وهو أعلم بمن خلق، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل. فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم، ونظام المال، ونظام الاجتماع، ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان[٤].

عظمة مقاصد القرآن

معنى المقاصد في اللغة: هو إتيان شيء وأمه[٥]. وهو الاعتزام والتوجه[٦].

مفهوم المقاصد من خلال تعبيرات بعض العلماء:

قال الغزالي رحمه الله: مقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم[٧].

وقال الآمدي رحمه الله: المقصود من شرع الحكم: إما جلب مصلحة، أو دفع مضرة، أو مجموع الأمرين[٨].

ويمكننا تعريف «مقاصد القرآن» بأنها: «ما توجه القرآن نحو تحقيقه»[٩].

أهمية مقاصد القرآن

إن فهم مقاصد القرآن ضرورة دينية، وحاجة دعوية.

أما كونه ضرورة دينية: فلأنه بالفهم الصحيح للقرآن يستقيم سلوك المسلم في حياته، ويحرص على العمل به، ويلتزم أحكامه وهديه.

وأما كونه حاجة دعوية: فلأنه بقدر فهم مقاصد القرآن، وإحسان عرضها، يقبل الناس عليه، ويتمسكون بهديه.

إقامة الدين وحفظه

وقد حصره الإمام الغزالي، رحمه الله، في ثلاثة مقاصد مهمة، وهي: تعريف المدعو إليه، وتعريف الصراط المستقيم، وتعريف الحال عند الوصول إليه[١٠].

أولا: تعريف المدعو إليه

إن أعظم مقاصد القرآن الكريم هو معرفة الله تعالى حق المعرفة، لأنها تورث الطاعة الحقة، فيخلص العبد عبوديته لله تعالى. ولهذا كانت آية الكرسي أعظم آية في القرآن، لأنها عرفت بالله وبينت عظمته وجلاله وجماله سبحانه.

ومن دون معرفة الله يقع الخلل في إقامة شرعه، فيتولد من ذلك أعظم مفسدة، وهي صرف العبودية لسواه. وقد سماه الله تعالى ظلما عظيما فقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:١٣).

وقد وبخ الله المشركين على شركهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ (الحج:٧٣).

ثم بين تعالى بعد ذلك السبب الرئيسي في هذا الشرك، أن المشركين: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:٧٤).

أي: «فما عظموه حق تعظيمه، إذ لو فعلوا ما أشركوا معه الضعفاء والعجز، وهو الغالب القوي، فكيف يشاركه الضعيف الذليل»[١١].

ثانيا: تعريف الصراط المستقيم

قال الإمام الغزالي رحمه الله: وعمدة هذا الصراط المستقيم

أمران: الملازمة والمخالفة. أي ملازمة صراط الموحدين من الذين أنعم الله عليهم ومن عليهم بالهداية والتوفيق، ومخالفة صراط المشركين من الذين غضب الله عليهم، والضالين عن الهدى ودين الحق.

ثالثا: تعريف الحال عند الوصول إليه (الثمرة)

إن القرآن العظيم يحض كثيرا على مكارم الأخلاق ومحاسنها في العادات والمعاملات، منها:

العفو في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة:٢٣٧). والعدل في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة:٨)[١٢].

رفع الحرج

رفع الحرج من سنة الأنبياء جميعا، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۚ﴾ (الأحزاب:٣٨). أي هذا حكم الله في الأنبياء قبله، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج[١٣].

ومن أهل التأويل من اعتبر قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦)، دليلا على عدم وقوع التكليف بما لا يطاق في شرائع الله جميعا، لعموم لفظ «نفسا» الذي ورد في سياق النفي، لأن الله تعالى ما شرع التكاليف إلا للعمل واستقامة أحوال الخلق، فلا يكلفهم ما لا يطيقون فعله[١٤].

إذن فالسماحة واليسر من أبرز أوصاف شريعة الله التي جاءت في كتابه العظيم، فقد قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥)، وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ (المائدة:٦).

والحكمة في سماحة شريعة القرآن العظيم: «أن الله جعل هذه الشريعة دين الفطرة، وأمور الفطرة راجعة إلى الجبلة، فهي كائنة في النفوس، سهل عليها قبولها، وقد ظهر للسماحة أثر عظيم في انتشار الشرعية طول دوامها، فعلم أن اليسر من الفطرة، لأن في فطرة الناس حب الرفق»[١٥].

رفع الحرج في العبادات كالصلاة

قصر الصلاة مثال على رفع الحرج الذي هو من مقاصد الشريعة، حيث قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ (النساء:١٠١).

قال الصحابي الجليل يعلى بن أمية رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما قال الله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾، وقد أمن! فقال: عجبت مما عجبت منه. فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»[١٦].

وجاء في «فتح الباري» ما نصه: «إن الجمهور لم يأخذوا بهذا المفهوم - وهو قصر الصلاة فقط في الخوف - فقيل لأن شرط مفهوم المخالفة أن لا يكون خرج مخرج الغالب، وقيل هو من الأشياء التي شرع الحكم فيها بسبب ثم زال السبب وبقي الحكم كالرمل»[١٧].

وقال الطيبي، رحمه الله: «في الحديث تعظيم شأن الرسول ﷺ، حيث أطلق ما قدره الله تعالى، ووسع على عباده تعالى ونسب فعله إلى الله عز وجل»[١٨].

تقرير كرامة الإنسان

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان:٢٠).

ومن أجل ذلك أنكر القرآن العظيم على بعض البشر انتكاس فطرتهم، حيث جعلوا القوى المسخرة لهم آلهة يعبدونها من دون الله، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت:٣٧).

وأنكر على بعض آخر من البشر فقدان كرامتهم، وكونهم أذنابا لغيرهم، وهم الذين حكى الله تعالى قوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ (الأحزاب:٦٧).

وأنكر على آخرين غلوهم في تقديس البشر حين أطاعوهم في معصية الله، فقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ (التوبة:٣١).

إسعاد المكلف في الدارين

ومن يتبع هدى الله المتمثل في القرآن الكريم، لا يعتريه ضلال في هذه الدنيا، وينتفي عنه الشقاء في الآخرة، فقال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه:١٢٣).

وهذه الهداية إلى الصراط المستقيم تستلزم سعادة الدنيا والآخرة، فقد جمعها الله تعالى في كثير من الآيات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧).

فقد نصت الآية الكريمة على السعادة الدنيوية في قوله تعالى: ﴿حَيَاةً طَيِّبَةً﴾، كما نصت الآية على السعادة الأخروية في قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

السعادة في منطق البشر

كثيرا ما يخطئ السواد الأعظم من البشر في مفهوم السعادة، فظنوا أن السعادة في أنواع المآكل والمشارب والملابس والمناكح، ولذة المال والتفنن في أنواع الشهوات، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (التوبة:٥٥).

قال ابن القيم، رحمه الله، تأكيدا لهذا المعنى: «ولا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ (الانفطار:١٣-١٤)، مختص بيوم المعاد فقط، بل هو في نعيم في دورهم الثلاث، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاث، وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من برد القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى ومحبته، والعمل على موافقته؟»[١٩].

سكينة القلب

لا شك في أن الحياة الطيبة تكمن في سكينة القلب واطمئنانه، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (الفتح:٤)، وقال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨).

وصيغة المضارع في قوله ﴿تَطْمَئِنُّ﴾ توحي بتجدد هذا الاطمئنان وديمومته، وهو في حاجة إلى من يرعاه ويحضنه، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعبادات، وعند ذلك يصبح صاحبه في أطيب حال في الدنيا ونعيم الآخرة[٢٠].

وهذا ما أكده أيضا العز بن عبدالسلام، رحمه الله، في قوله: «ومن السعادة أن يختار المرء لنفسه المواظبة على أفضل الأعمال فأفضلها، حيث لا يضيع بذلك ما هو أولى بالتقدم منه، والسعادة كلها في اتباع الشريعة في كل ما ورد وصدر، ونبذ الهوى فيما يخالفها»[٢١].

الهوامش

١ - أضواء البيان، ٣/٣٧٢.
٢ - التحرير والتنوير، ١٤/٣٣.
٣ - أضواء البيان، ٣/٤١٢.
٤ - في ظلال القرآن، ج٤، ص:٢٢١٥.
٥ - معجم مقاييس اللغة، ٢/٤٠٤.
٦ - لسان العرب، ٣/٣٥٥.
٧ - المستصفى من علم الأصول، ٢/٤٨١.
٨ - الأحكام في أصول الأحكام، ٣/٢٧١.
٩ - عظمة القرآن، ص:٢٢٩-٢٣٠.
١٠ - جواهر القرآن، ص:٢٣، بتصرف بسيط.
١١ - التحرير والتنوير، ١٧/٢٤٦ - ٢٤٦.
١٢ - الكليات الشرعية في القرآن الكريم، د. الحسن حريفي، ١/١٧٣ - ١٧٧.
١٣ - تفسير ابن كثير، ٦/٤٤٨.
١٤ - التحرير والتنوير، ٢/٥٩٧.
١٥ - مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ص:٢٧١.
١٦ - مسلم، ١/٤٧٨، ج٦٨٦.
١٧ - فتح الباري، ٣/٢٧٠.
١٨ - عمدة القاري، ٧/١١٨.
١٩ - الجواب الكافي، ٨٤.
٢٠ - التحرير والتنوير، ١٢/١٨٢.
٢١ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ١/١٧.



د. محمد أحمد عزب
أستاذ العقيدة المشارك

القرآن وحضارة الإنسان

حين جاءت الرسالة الخاتمة -رسالة الإسلام- انتشلت بتعاليمها البشرية من السقوط الذي تردت فيه إلى آفاق سامقة، وأصبحت النفوس التي كانت تتقاتل بالأمس القريب على مذقة لبن، صارت تتنازل عن نفوسها طاعة لله وحده، وصارت تضن بالوقت أن يضيع في غير الطاعة أو يصرف في غير فائدة، وإذ يعرف ابن خلدون الحضارة بقوله: (الحضارة إنما هي تفنن في الترف، وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه، من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله)[1].

فالمعيار هنا عند ابن خلدون في تعريف الحضارة هو حضارة الشيء، أو حضارة العمران، وهي مظاهر ترف تظهر في الأمم بعد استقرارها، وبعد وفرة المال بين مكوناتها المجتمعية على اختلاف وجودهم في السلم الاجتماعي، فتتفرغ لتنويع الصناعات وتتفنن في الزخارف والملابس، ويتطرق الأمر ليشمل مع التفنن في الصناعات والبنايات ومظاهر الترف -لتعبيد الطرق وإنشاء الترع وغير ذلك.

لكن هذا البعد في تعريف الحضارة وتوصيفها لم يكن مقصودا بالأصالة في رسالة الإسلام، لقد صنع الإسلام النفوس، وصنعت النفوس الحضارة، فكانت نفوس فريدة صنعت حضارة فريدة، فلم يبدأ بالحضارة، ولكنه بدأ بالإنسان، فكانت الحضارة إنسانية بقدر من قام عليها.

وكان في المقصود من صناعة الإنسان تحويل أفكاره تجاه الكون إلى طاقة إيجابية تتفكر في خالق الكون وتطيع أمره وتتعبد بأسمائه وصفاته، فإذا جاءت الحضارة بمعناها عند ابن خلدون جاءت خادمة للإنسان ومعمرة للكون ومصلحة للفساد، فهي مقصودة بالتبعة لا بالأصالة، أي أنها ليست مرفوضة أو محرمة، بل هي تابعة خادمة للأصل، ومعينة على تمكين إنسان الاستخلاف ليطيع الله رغبا ورهبا، ولم تجعل منه خادما لها ذليلا لمتطلباتها، تنتكس بتطورها فطرته، وتسقط قيمه وأخلاقه ومبادئه ، ويبيسعى فيها خلف الدرهم والدينار، والقطيفة والخميصة.

القرآن يحط من شأن من اهتم بمظاهر العمران على حساب الإنسان:

في آيات الذكر الحكيم نجد أن كل ما كان من استغلال الأرض وتسخير ما فيها مع الغفلة عن تعبيد النفس وتذليلها لله عبث بلا قيمة، ففي التنزيل العزيز: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝٢٨ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۝٢٩﴾ (الدخان: ٢٥ - ٢٩)، وحين سخر قارون إمكاناته في كسب المال والاستفادة من خيرات الأرض واغتر بذلك، وغفل عن الله تعالى الذي منحها له، آل مصيره إلى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ (القصص: ٨١)، فكل ماله لا قيمة له، لأن الذي يجعل للأشياء قيمة هو واهبها -عز وجل-، والذهب والفضة والحجارة والصخر كله في ميزان الله سواء، وإنما استمدت الأشياء قيمتها من واهبها سبحانه، ولو شاء لجعل الصخر ذا قيمة، والذهب والفضة بلا قيمة، فالأمر كل الأمر هو له تعالى، فمن اغتر بما أوجده أو صرفه فيما يغضبه فلا قيمة له ولا وزن.

ولعلنا نلاحظ نهاية بائسة للحياة في لحظة هي الأكثر في تاريخها



اهتماما بالشيء، وإهمالا للإنسان، ففي الحديث: قال رسول الله ﷺ: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد»[٢]. وفي التنزيل الحكيم: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ (يونس: ٢٤)، فظلال الآية يعطي فضاء رحبا في ظل ما نعيشه أن يوما ما سيظن الناس أن بإمكانهم تغيير نظام الأرض، مما يدعوهم للزهو والكبر، حينها تكون قدرتهم وزينتهم التي أنفقوا فيها أعمارهم بلا أثر، لأنهم وقتئذ سيكونون شرار الناس حيث تدركهم الساعة وهم أحياء، وتصير حضارتهم بلا أثر.

وقريب مما حل بقارون ما حل بقوم عاد ففي التنزيل العزيز: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ (فصلت: ١٥، ١٦)، فعاد الذين شيدوا حضارة تالدة في الصخر أذهبتها الرياح وأبقتها بلا أثر.

القرآن يعطي النموذج الحضاري الأعلى للإنسان:

في حديث القرآن عن ردود أفعال كثير من الأمم على الرسل والرسالات، عرض القرآن لنماذج إنسانية سامقة، لم يمنعهم ضعفهم أو خشية الخذلان من الجهر بالحق في ساعة البأس، فقد غلبوا الإنسانية على كل ما سواها، ففي التنزيل الحكيم: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (يس: ٢٠)، كان الرجل على ما تذكر الروايات هو حبيب النجار، وكان منزله عند باب من أبوب المدينة بعيدا، وكان سقيما، قد أسرع فيه الجذام[٣]، لم يمنعه جذامه وسقمه وبعد مسكنه - من نجدة المرسلين في لحظة التكذيب الفاصلة.

وفي التنزيل الحكيم أيضا إكبار لموقف مؤمن آل فرعون مشابه لموقف مؤمن آل ياسين: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ (غافر: ٢٨).

بل كانت نصيحة لقمان حقيقة وجديرة بأن يسجلها القرآن، ويجعلها ذكرا يتعبد المؤمن بها لله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)، ولم تكن الإشادة بالمواقف الإنسانية الملهمة مقتصرة على مواقف الرجال بل كانت أيضا لمواقف المرأة ففي التنزيل الحكيم: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (آل عمران: ٣٥)، وحكى عن امرأة فرعون: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (التحريم: ١١)، واستقصاء هذا وتتبعه مما يطول.

أثر الإسلام في صناعة الإنسان:

في تتبع أثر الإسلام في صناعة إنسان الحضارة نجد أن سير النبلاء، وأحاديث الأنقياء تبيض الصفحات.

يذكر صاحب حلية الأولياء: أن أنس بن مالك- رضي الله تعالى عنه - أوصى، أن يغسله محمد بن سيرين. فصادف موت أنس رضي الله عنه وجود ابن سيرين في الحبس، فذهبوا له وقالوا: استأذنا الأمير أن تخرج لتغسل صاحب

رسول الله ﷺ، فأذن. فقال ابن سيرين: إن الأمير لم يحبسني، إنما حبسني الذي له الحق، فأذن له صاحب الحق فخرج فغسله[٤].

هذه القصة التي تبين كيف أن الإنسان الذي صنعته الشريعة يعرف قضية استقلال الأحكام، فإذا كان لذي حق حقا، فليس لأي سلطة أن تستثني في هذا الحق، إنما يكون الاستثناء فقط لصاحب الحق، وليس لسلطة القضاء ولا سلطة التنفيذ أي تدخل في رفع عقوبة وجبت لصاحب حق، والذي قرر هذا في هذه الواقعة ليس صاحب الحق بل المتهم ذاته، الذي رفض أن يخرج إلا بأذن من له الحق في ذلك.

وحين كان ابن سيرين في محبسه، يبدو أن السجان قد رق له، ونزلت في قلبه محبته، فيذكر النووي أن ابن سيرين لما حبس في السجن قال له السجان: إذا كان الليل فاذهب إلى أهلك، وإذا أصبحت فتعال. فقال: لا والله لا أعينك على خيانة السلطان[٥].

فالسجان يأذن له بالخروج، ويرفض ابن سيرين مغادرة الحبس؛ رعاية لحق من له الحق في ذلك.

لكن السؤال هنا: ما الذي اقترفه ابن سيرين من التهم حتى حبس؟ فمثل ابن سيرين من الاستقامة والورع ما يحول بينه وبين سجن الاتهام الجنائي!

يقول المؤرخون إن: سبب حبس ابن سيرين أنه اشترى زيتا بأربعين ألف درهم، فوجد في زق منه فأرة، فقال: الفأرة كانت في المعصرة، فصب الزيت كله[٦].

إذا: كان سبب سجنه هو ضياع ماله؛ حيث تورع أن يبيع زيتا للناس احتمل أنه يحمل نجاسة دم الفأر الذي ربما مر عليه كل الزيت أثناء نزوله من المعصرة.

بهذه الطريقة صنع الإسلام الإنسان، إنسان الحضارة الذي يقبل بانهيار رأس ماله ودخوله الحبس على أن يطعم الناس طعاما يدخله الشك، فليس هناك مجال للبحث والتحري خلف بضاعة يبيعها مسلم صنعته تعاليم الإسلام.

ثم هو يأبى أن يخون السلطان الذي بسط له يد البيعة حتى ولو ساعده جند السلطان.

كما يأبى أن تتغول سلطة التنفيذ أو القضاء على سلطة ذي الحق، حتى ولو كان في تنفيذ وصية أوصاه خادم رسول الله صلوات الله عليه.

عود على بدء:

في اجتماع الملأ مع فرعون لمحاجة نبي الله موسى فيما ادعاه فرعون، جمع فرعون السحرة من كل أقطار مصر، فجاؤوا إليه وقالوا له قبل بدء النزال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (الشعراء: ٤١)، وحين تم النزال، ووقع الحق آمن السحرة، فال فرعون مهددا: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الشعراء: ٤٩)، فكان ردهم عليه: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٥١)، وحين ننظر في دعوات الأنبياء نجد نبي الله لوط يقول لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٨٠). ونجد شعيبا عليه السلام يقول: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٨١)، وهكذا تسير مسألة التهذيب الإنساني سابقة لكل عمارة، ومتقدمة على كل بناء، فإذا بني الإنسان جاء بناء الكون مستقيما على يده، وإذا عمر الكون قبل أن يبني الإنسان ساد الظلم وسادت الأنانية، وسادت أخلاق الفاسدين وهي ما تستوجب حياة البؤس، مما يؤذن بالانمحاء والاستبدال، نقل أبو نعيم عن: وهيب بن الورد المكي، قال: «يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي وعظمتي ما من عبد آثر هواي على هواه إلا أقللت همومه، وجمعت عليه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، واتجرت له من وراء كل تاجر، وعزتي وعظمتي وجلالي، ما من عبد آثر هواه على هواي، إلا أكثرت همومه، وفرقت عليه ضيعته، ونزعت الغنى من قلبه، وجعلت الفقر بين عينيه، ثم لا أبالي في أي واد من أوديتها هلك»[٧]

فإنسان الحضارة في القرآن له صفات شتى، رعاية ما أمر الله تعالى، وإيثار رضاه، ورعاية الحق، والأمانة، والبعد عن الخيانة، ونصرة المظلوم، ودعم الحق، والسهر على مصالح الخلق، والاهتمام بأمر الناس من حوله، وإحاطتهم بنصحه، وفرحه بفرحهم، يستوي في ذلك الذكر والأنثى، الصغير والكبير.

فامتد عمرانه وتوزعت رحمته ورفقه حتى شملت الحيوان، وكانت ظاهرة الوقف الخادمة للإنسان أولا من أعظم مظاهر تشييد الحضارة التي تبأ بالإنسان حيث اهتمت بالتعليم، وبالمشافي، واهتمت بمساعدة ذوي الحاجات، فكانت حضارة الإنسان قبل أن تكون حضارة العمران، فجاء العمران إنسانيا بقدر من قام عليه.

الهوامش

١- تاريخ ابن خلدون (١/ ٢١٦)
٢- صحيح ابن خزيمة (٢/ ٦)، وحسنه الأعظمي.
٣- تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٤).
٤- حلية الأولياء (٢/ ٢٦٧).
٥- تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٨٤).
٦- تاريخ بغداد (٣/ ٢٨٣).
٧- حلية الأولياء (٨/ ١٤٧).



عايد الجاسم
صحافي وباحث

القرآن الكريم.. معجزة كل العصور

عندما نتحدث عن القرآن الكريم، فإننا نتحدث عن كتاب هداية ورحمة، ليس للمسلمين فحسب، إنما للناس كافة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:٢). فالقرآن الكريم كتاب يهدي من الضلالة ويدل على طريق الخير والسعادة.

ولم ينزل الله سبحانه وتعالى هذا الكتاب للمسلمين وحدهم إنما جاء للناس أجمعين. وفي سورة الفاتحة التي نقرأها في كل صلاة، نردد في البدء دائما قول الله تعالى: «الحمد لله رب العالمين»؛ فالرسالة السماوية أرسلت لكل الناس وليس لفئة دون أخرى.

ويظهر الخطاب القرآني أن كلام الله لم يوجه للمسلمين وحدهم إنما شمل المسلم وغيره، فالقرآن الكريم كتاب صالح لكل زمان ومكان، وهو معجزة في كل العصور، وهدايته لا تنقطع عن البشرية كلها، لأن هدف نزوله هو هداية الناس وإرشادهم إلى طريق الحق والصواب.

ويزداد عبر الزمان إعجاز القرآن الكريم وأثره البالغ في نفوس من يسمعه ويقرأه ويتمعن في آياته ومعانيه.

ورغم كل ما تعرض له القرآن الكريم من محاولات تحريف وتشويه وطباعة محرفة وتعمد الترجمة الخاطئة والإتيان بكلام لتقليده ومحاكاته، فإن هذا الكتاب المحفوظ بأمر الله ظل باقيا في الصدور محفوظا في قلوب وعقول المسلمين لا يأتيه الباطل، وصدق الله العظيم حينما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر:٩).

فالله تعالى تكفل بحفظ هذا القرآن من كل تحريف وتبديل وزيادة ونقصان أو تغيير في ألفاظه ومعانيه، كما أودعه سبحانه في قلوب عباده الذين حفظوا كتاب الله وصانوه بالقراءة والتلاوة والكتابة والعمل في أحكامه.

ولم يزل القرآن الكريم حافظا للغة العربية التي نزل بها، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف:٢).

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين لأن لغة العرب أفصح اللغات، وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني، وليفهم المكلفون بالإيمان به ألفاظه ومعانيه وأنه ليس من كلام البشر، إنما هو كلام رباني.

وساهمت هذه الميزة في ترجمة القرآن الكريم بشكل صحيح إلى كل لغات العالم بهدف نشر الدين الإسلامي وإبراز سماحته وما يتضمنه من نظام حياة آمنة ومستقرة وتنظيم لسلوكيات الأفراد والمجتمعات لتحقيق التعايش والتآلف والعيش الكريم.



أ.د. محمد حسان الطيان
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق



لولا القرآن ما كانت العربية

يوم شاء الله - وله الحمد - لهذه اللغة الشريفة أن تكون لغة القرآن الكريم، تتلى بها الآيات، وتزكى بها الأنفس، ويعلم بها الأميون الكتاب والحكمة... كان ذلك - في الوقت نفسه - إيذانا بأمرين اثنين:

أولهما: حرب شعواء - لم تقف ولن تقف - على هذا اللسان المبين... كيف لا، وهذه اللغة هي الرباط المتين الذي يشد بعض أبنائها إلى بعض، ويصل مشرق هذه الأمة بمغربها، وحاضرها بمستقبلها، وقد شهدنا نماذج من هذه الحرب الدائرة على العربية، بدءا من هجمات الشعوبيين ومكرهم عبر التاريخ، وانتهاء بمعاول المغرضين والمناوئين والمتربصين بالعربية الدوائر، عليهم دائرة السوء!

وثانيهما: فتح باب من العناية بهذه اللغة - لم يغلق ولن يغلق - إذ إن علوم العربية على اختلافها إنما نشأت في رحاب القرآن الكريم حفظا له، ورواية لقراءاته، ودراية بمعانيه، وفهما لدلالاته، وتذوقا لبلاغته، ووقوفا على أسراره وخباياه، ووصولا إلى تلمس وجوه الإعجاز فيه.

ومن هنا قال كثير من الباحثين في علوم اللغة: «لولا القرآن ما كانت العربية».

القرآن مفتاح العربية:

القرآن مفتاح العربية، فبه عرفت، وبه انتشرت، وبديمته اهتزت وربت، ولخدمته أينعت وأثمرت، من أجله نشأت علومها، وتنوعت فنونها، وباصطفائه لها شرفت ونبهت وانتقلت من المحلية إلى العالمية، ومن القبلية إلى الأممية، فغدت لغة الأمة الإسلامية.

يقول الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات:

«فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم..»[1].

ومن ثم كان العلم بالعربية أساسا لكل من أراد الإلمام بعلوم القرآن الكريم تفسيرا وتأويلا.. ونحوا وإعرابا، وقراءة وتجويدا، ووقوفا على الغريب، ومعرفة بالناسخ والمنسوخ، والمحكم والمفصل، والعام والخاص... إلخ.

وسأكتفي - في هذا المقال - بعرض جانب من علوم القرآن الكريم، وهو علم غريب القرآن لندرك العلاقة الوثيقة بينه وبين علوم العربية.

غريب القرآن:

مع نزول القرآن الكريم منجما على رسول الله ﷺ كان الرسول أول مفسر لكتاب الله عز وجل ولا غرو فهو المعلم الأول لصحابته رضوان الله عليهم يتلو آيات القرآن الكريم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويلقنهم تفسيره. واقتدى بهديه كبار الصحابة فكانوا من بعد المعلمين والمفسرين، على أن أبرزهم في هذا الميدان كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعن أبيه، ابن عم رسول الله ﷺ وهو الذي اختصه الرسول بدعائه المشهور:

«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[2]؛ فكان حبر الأمة وترجمان القرآن، وغدا مرجع الصحابة والتابعين ومفزعهم، وما أكثر ما حمل لنا التاريخ من أخبارهم يسألونه عن مسائل أبهمت عليهم في كتاب الله عز وجل، فيكون جوابه حاضرا ودليله شافعا، وقد اختط لنفسه في هذا منهجا يدل على حذقه وسعة علمه، إذ عول في تفسيره على كلام العرب، وأشعارهم، وكان يقول:

«الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه».

ويقول أيضا: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب»[3].

ولا أدل على منهجه هذا من أسئلة نافع بن الأزرق له، وهي الأسئلة التي اشتهرت بمسائل نافع بن الأزرق، ورويت من غير ما طريق وصنف فيها غير ما مصنف، ولعل أجود نشرة خرجت بها مجموعة، تلك التي نهض بها الأخ الصديق الأستاذ الدكتور محمد الدالي - رحمه الله - إذ حقق هذه المسائل من أقدم نسخة محفوظة تعرف لها، وجمع لها مالم يرد في تلك المخطوطه مما تفرق في بطون المصادر والمراجع فبلغت عنده (٢٨٧) مسألة نورد فيما يلي نماذج منها:

«قال: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ (الرحمن:٣٥) ما الشواظ؟

قال: اللهب الذي لا دخان له.

قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك من قبل أن ينزل الكتاب على محمد ﷺ؟

قال: نعم، أما سمعت قول أمية بن خلف، وهو يهجو حسان بن ثابت، وهو يقول:

ألا من مبلغ حسان عني ... مغلغلة تدب إلى عكاظ

أليس أبوك فينا كان قينا ... لدى القينات فسلا في الحفاظ

يمانيا يظل يشب كيرا ... وينفخ دائبا لهب الشواظ

قال: صدقت.

فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ (الرحمن:٣٥) ما النحاس؟ قال: هو الدخان الذي لا لهب فيه. قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك؟ قال: نعم. أما سمعت بقول النابغة:

يضيء كضوء سراج السليط ... لم يجعل الله فيه نحاسا

يعني دخانا. قال: صدقت(٤).

فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ (الإنسان:٢) ما الأمشاج؟ قال: هو ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا في الرحم كان مشيجا. قال وهل كانت العرب تعرف ذلك؟ قال: نعم. أما سمعت قول أبي ذؤيب الهذلي:

كأن النصل والفوقين منها ... خلاف الريش سيط به مشيج

فجالت فالتمست به حشاها

فخر كأنه خوط مريج[٥].

ومن طريف هذا الخبر أن المبرد روى هذه النهاية له في كتابه الفاضل:

وتحدث عمر بن شبة قال: بينما ابن عباس فى المسجد الحرام وعنده ناس من الخوارج وابن الأزرق يسائلونه، إذ أقبل عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة فقال: أنشدنا، فأنشده:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر

غداة غد أم رائح فمهجر

حتى جاء على آخرها. فأقبل عليه ابن الأزرق فقال: تالله يابن عباس، إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد لنسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل علينا، ويأتيك مترف من مترفى قريش فينشدك:

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت

فيخزى وأما بالعشي فيخسر

فقال ابن عباس: ليس هكذا قال: فكيف قال؟: فأنشده:

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت

فيضحى وأما بالعشي فيخصر

فقال: ما أراك إلا وقد حفظت هذا البيت، قال: نعم! وإن شئت أن أنشدك القصيدة كلها كما (أنشدك) أنشدتك، قال: نعم، فإني أشاء، فأنشده القصيدة حتى جاء على آخرها، ثم أقبل على عمر فقال: أنشد، فأنشده:

تشط غدا دار جيراننا

فقال ابن عباس:

وللدار بعد غد أبعد

فقال: كذا قلت! قال: كذا يكون- إن شاء الله- فاضطرب ابن أبي ربيعة وخجل، فقال له ابن عباس: إنما عنيت أنك أنت قلته، قال: يا عم، فكيف علمت؟ فقال: لا يكون بعد هذا إلا ذا[٦].

إن دلالة هذا الخبر لا تقتصر على الاهتمام بغريب اللغة ونشوء المعجمات، وهو اهتمام قديم دعا إليه كبار الصحابة من قبل، وتبدى ذلك في كثير من أقوالهم، كقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«تعلموا الشعر، فإن فيه محاسن تبتغى، ومساوئ تتقى، وحكمة الحكماء، ويدل على مكارم الأخلاق»[٧].

وروي أنه كتب إلى أهل الأمصار: «أن علموا أولادكم الفروسية والعوم، ورووهم الشعر»[٨].

بل تعدى ذلك إلى عدة أمور أهمها:

أولا: مبلغ العناية التي كان ابن عباس يوليها للعربية ولفن من أعظم فنونها وهو الشعر.

ثانياً: عدم تحرجه من إنشاد الشعر واستشهاده في بيت الله الحرام.

ثالثا: رسم منهج لعلمين من علوم العربية، أولهما: علم غريب القرآن، وثانيهما: علم المعجمات.

علوم العربية الأخرى:

وكذا كان الحال مع سائر علوم العربية من نحو وصرف وتجويد وأصوات وقراءات وبلاغة... وغيرها، فكل علم من هذه العلوم إنما نشأ في كنف القرآن ورحابه، وفي سبيل خدمته وفهمه وإقامة حروفه وتراكيبه ومبانيه ومعانيه، ومن تتبع تاريخ هذه العلوم ونشأتها والأخبار التي رويت في ذلك وقف على نوادر وطرائف تشهد بهذا وتؤكده.

وفي هذا يقول أستاذنا الأستاذ سعيد الأفغاني رحمه الله:

«بين علوم القرآن وعلوم اللغة العربية ترابط محكم فمهما تتقن من علوم العربية وأنت خاوي الوفاض من علوم القرآن فعلمك بها ناقص وهي الأساس وقدمك فيها غير ثابتة، وتصورك للغة غامض يعرضك لمزالق تشرف منها على السقوط كل لحظة، وسبب ذلك واضح لكل من ألم بتاريخ العربية، فهو يعلم حق العلم أنها جميعا نشأت حول القرآن وخدمة له»[٩].

الهوامش

١- مفردات القرآن ١/٥٥.
٢- مسند الإمام أحمد ٤/٢٢٥.
٣- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/٦٧.
٤- مسائل نافع بن الأزرق ٣٥ / ٣٧.
٥- مسائل نافع بن الأزرق٣٧.
٦- الفاضل للمبرد ص: ١١.
٧- كنز العمال ٣/ ٨٥٥.
٨- أنساب الأشراف للبلاذري ٣٧٦/١٠.
٩- من مقدمة تحقيقه لكتاب حجة القراءات لابن زنجلة.



عبدالله الظفيري
كاتب وباحث

هداية القرآن.. إعجاز مستمر



كلما قرأنا القرآن الكريم وأمعنا النظر في تفسير آياته ومعانيه، اكتشفنا معاني جديدة وأسرارا كامنة في جوف هذا الكتاب الكريم لم تدركها العقول ولم تصل إليها الإمكانات في التفسير، لتكون سببا جديدا في هداية الناس ومعرفة طريق الحق والاستقامة. وما زال الناس يدخلون في دين الإسلام منذ نزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ وظهور الإسلام للمرة الأولى في مكة المكرمة وإلى أن تقوم الساعة، فالإعجاز القرآني أسهم في دخول الناس في هذا الدين العظيم، وأرشدهم وهداهم إلى طريق الحق والصلاح، فما تحتويه آيات القرآن الكريم من عوامل استمرار وبقاء وصلاحية لكل زمان ومكان ساهم في هداية الناس ودخولهم في الإسلام. وكلما نظر الناس إلى هذا القرآن العظيم وجدوا فيه من المعاني التي لم تتكشف لمن قبلهم، فهو كتاب يلائم كل جيل من الأجيال وكل فترة زمنية وكل عصر من العصور، قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:٨٢). ويمتاز القرآن الكريم بأن الكثير من آياته لا تحتاج إلى علماء لتفسيرها، بل هي سهلة ميسرة أنزلها الله تعالى ليفهمها كل الناس، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر:١٧). ويملك القرآن الكريم أسرار التجدد والعطاء التي تجعل منه كتابا صالحا في كل العصور، ومعجزة كل زمان، فمن خصائص هذا الكتاب العظيم أنه جاء رحمة وهداية وإرشادا للناس أجمعين، وله قدرة على النفاذ إلى العقول والقلوب وتحقيق احتياجات الإنسان في الجوانب الفكرية والروحية لما يتضمنه من منهج متكامل لحياة سليمة على مستوى الفرد والمجتمع. فهداية القرآن الكريم للناس باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم:١)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء:٩).

الواجب علينا الالتزام بكتاب الله واتباع منهجه والعيش مع آياته لنرتقي بحياتنا وسلوكياتنا وتصرفاتنا، ونقيم حياة مستقرة مبنية على التعايش والتعاون وتؤدي إلى نهضة مجتمعاتنا وتطورها لنحظى برضا الخالق وننال ثواب الدنيا والآخرة.



د. صلاح فضل
باحث أكاديمي

القرآن الكريم وتغيير الشخصية الإنسانية

القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ، المعجز بلفظه ومعناه، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

معجزة الله الخالدة، تعهد سبحانه بحفظه من التبديل والتغيير، ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر:٩)، قال قتادة وثابت البناني: حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلا أو تنقص منه حقا؛ فتولى سبحانه حفظه فلم يزل محفوظا، أنزله على النبي ﷺ، تأييدا وإعجازا، ليخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، فيه الخير والفلاح والسعادة لمن اتبع هداه فقد دل على الخير وأبوابه وحذر من الشر وطرقه، قال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾ (الإسراء:٩).

والقرآن الكريم كلية الشريعة وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه لأنه معلوم من دين الأمة[1].

بناء الشخصية المسلمة

العقيدة هي الأساس والقاعدة التي تشكل ملامح الشخصية الإنسانية، يستوي في هذا الأساس المؤمن والكافر، فمن هذه العقيدة ينبع تصور الإنسان عن الكون وخالقه ودوره في هذا الكون، ومن ثم تتشكل سلوكيات واخلاقيات ومعاملات الإنسان وفقا لعقيدته، التي تملك عليه كل حياته.

والقرآن الكريم هو أساس عقيدة المسلم وبالتالي هو الضابط والمكون لشخصية المسلم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ



﴿ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ (الحجرات:١٥)

ويتضح لنا من تفسير الطبري لهذه الآية أثر العقيدة في بناء الشخصية وبالتالي أفعال وسلوكيات صاحبها: «إنما المؤمنون أيها القوم الذين صدقوا الله ورسوله، ثم لم يرتابوا، يقول: ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوة نبيه ﷺ وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شك منه في وجوب ذلك عليه».

وهذا الأساس العقدي الذي يشكل الجوانب النفسية والاجتماعية للمسلم، والتي تتجلى لنا في مشاعره الداخلية وأخلاقياته ومعاملاته وسلوكياته، والتي تلتزم بما قال الله وقال رسول الله ﷺ أوامر يأتمر بها، ونواه ينتهيها، ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ (إبراهيم:١).

وشخصية الرسول ﷺ هي الأعظم والأصدق في بيان أثر القرآن على شخصية المؤمن، فجاء في السنة المطهرة، حديث طويل في قصة سعد بن هشام بن عامر حين قدم المدينة وأتى عائشة رضي الله عنها يسألها عن بعض المسائل، فقال: «فقلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن، قال: فهممت أن أقوم ولا أسأل أحدا عن شيء حتى أموت...» (رواه مسلم).

تغيير الشخصية

العقيدة إيمانا أو كفرا هي التي تشكل شخصية الإنسان، فهناك من يعتقد في الملل والعقائد والنظريات البشرية التي قعد ونظر لها بشر مثل البوذية، والهندوسية، والماركسية، وهذه العقائد تشكل شخصيات اتباعها وأخلاقهم وسلوكياتهم، رغم ضررها ومخالفتها للفطرة الإنسانية.

فإذا ما كان القرآن الكريم هو أساس العقيدة فيقينا فإن الأمر يختلف، فالقرآن كتاب هداية قال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (المائدة:١٥-١٦).

وهذا الكتاب له تأثير على الشخصية الإنسانية لأنه يخاطب فطرتها التي فطرها الله عليها، ويزيل عنها ما غشاها من أرجاس الجاهلية ففي الحديث: إن أبا هريرة رضي الله عنه، كان يحدث، قال النبي ﷺ: ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ (الروم: ٣٠) (متفق عليه)

وجاء في حديث عياض بن حمار رضي الله فيما رواه النبي ﷺ عن رب العزة «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم» (رواه مسلم)

فلو خلي بين الناس وفطرتهم والقرآن الكريم فإن النتيجة الحتمية هو دخولهم في دين الله أفواجا مع تغير المعتقد تتغير الشخصية، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ (الأنعام:٣٣)

ولهذا الأمر شواهد من الماضي والحاضر.

فعتبة بن الربيع عندما أنصت واستمع للقرآن تغير حاله و كاد أن يسلم، وقد ذهب عتبة مفاوضا عن قومه لرسول الله ﷺ فلما فرغ من عرضه، قرأ عليه رسول الله ﷺ سورة فصلت فلما سمعها منه عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك).

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال

بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط! والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله- يا أبا الوليد بلسانه! قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم. والقصة طويلة أوردها بن هشام في السيرة النبوية، وبن كثير في تفسيره.

وتأثير القرآن في غير المسلمين عربا أو عجما لا ينقطع وما نشاهد في مقاطع الفيديو الدعوية التي تبث عبر موقع اليوتيوب لشباب مسلمين في أوروبا يسمعون غير المسلمين لآيات من القرآن الكريم فتلاحظ التغير السريع الذي يحدث على مشاعرهم وعلى وجوههم نتيجة تأثرهم الشديد بسماع القرآن وهم لا يفهون اللغة العربية، قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (الحشر:٢٠).

إسلام الصحابيين سعد بن معاذ وأسيد بن حضير أنموذجا لأثر القرآن في تغيير الشخصية:

لقد كان القرآن الكريم عاملا جوهريا في هداية الصحابة رضوان الله عليهم ودخولهم الإسلام والذي تحولت شخصياتهم من كفار يحاربون الإسلام من أجل الدنيا، إلى مؤمنين يحاربون الدنيا باسرها من أجل الإسلام، نذكر هنا مثالا على ذلك: قصة اسلام الصحابيين الجليلين سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير رضي الله عنهما: فعندما علما -وكانا لا زالا مشركين- بمقدم مصعب بن عمير ومعه سعد بن زرارة رضي الله عنهما، قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدما، قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته.

فلما قدم أسيد بن حضير على مصعب بن عمير قال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا: فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله. ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي. فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم.

ولما قدم سعد بن معاذ على مصعب بن عمير قال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامدا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، قال: فلما رآه قومه مقبلا، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم[٢].

وبتحليل قصة إسلام الصحابيين الجليلين، سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير رضي الله عنهما،

نـدرك أثـر الـقـرآن الـكـريم في صياغة الشخصية، فالموقف كما أورده بن إسحاق نستخلص هذه النتائج لأثر القرآن الكريم في تغيير الشخصية الإنسانية:

أولا: كراهيتهما الشديدة للإسلام قولا وفعلا، الشتم وحمل الحربة، والعصبية الجاهلية الشديدة في محاربة الدعوة للإسلام في يثرب.

ثانيا: الأسلوب الدعوي لمصعب بن عمير رضي الله عنه، اعتمد على تلاوة القرآن الكريم على مسامعهما.

ثالثا: التأثير المباشر للقرآن الكريم في بناء الشخصية المسلمة.

رابعا: الأثر الواضح لهداية القرآن على الوجوه «لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم» «نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم».

خامسا: المناصرة للدعوة الإسلامية فهذا سعد بعد ساعات من إسلامه يدعو قومه للإسلام: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: «سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة»، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة.

وفي زماننا نسمع ونشاهد عن كثيرين دخلوا الإسلام وتحولت حالهم من حال الى حال، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ (البقرة:٢٥٧).

يوسف إستس، أسلم وأصبح من أشهر الدعاة للإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية وقد أسلم على يد الشيخ أناس كثيرون مستخدما لذلك طريقة تجمع بين الجدية والمرح حين إجابته على كثير من الهجمات الحادة على الإسلام والمسلمين.

وكان قبل الإسلام أسمه جوزيف إدوارد إستس، ولد في الولايات المتحدة ونشأ في أسرة بروتستانتية مسيحية وأصبح واعظا. حصل على شهادة ماجستير في الفنون سنة ١٩٧٤م وشهادة الدكتوراه في علم اللاهوت.

يقول الشيخ يوسف أستس: «كنت عدوا للإسلام فيما مضى، ولم أتوان عن نشر النصرانية، وعندما قابلت ذلك الشخص الذي دعاني للإسلام، فإنني كنت حريصا على إدخاله في النصرانية، وليس العكس»

ومثله دعاة كثر كانوا قبل اسلامهم من أشد أعداء الإسلام، مثل: يوسف إسلام، وصلاح الدين بير فوجل أبو حمزه الألماني[٣].

قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ (الزمر:٢٢-٢٣).

التوازن النفسي

إن معية القرآن الكريم تورث المسلم صفاء وتوازنا نفسيا في مواجهة الآثار النفسية التي يتعرض، نتيجة متاعب الحياة، فهو شفاء ورحمة، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الإسراء:٨٢).

وفي الحديث: عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما قال عبد قط إذا أصابه هم وحزن: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله عز وجل همه، وأبدله مكان حزنه فرحا. قالوا: يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات، قال: أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن» (رواه أحمد).

الهوامش

١- الشاطبي: الموافقات، (ص: ١٤٤).

٢- القصة على طولها أوردها ابن هشام في السيرة النبوية وعرضها الكاتب هنا باختصار.

٣- المعلومات من موقع ويكيبيديا.



د. محمود صالح البيلي
دكتوراه في الأدب والنقد



د. محمد المخزنجي والثقافة الثالثة

من العلماء الأدباء

ظهرت في حقبة زمنية سالفة دعوات -وسطرت كتابات- تدعو إلى المقارنة بين العلماء والأدباء، أو بين الثقافة العلمية والثقافة الأدبية، وأيهما أكثر نفعا وأجدى لتقدم البشرية؛ فتعصب بعضهم للعلم، وتحزب بعضهم للأدب، واحتدم الصراع، واتسع التفاوت في الرؤى؛ مما حدا بكل فريق للتشرذم مع عشيرته، والتموضع عند ثقافته، لا يتعداها إلى الأخرى، وكان ذلك دافعا للدعوة الخالصة من قبل عدد من النقاد، ورواد الثقافة إلى تضييق المسافة و جسر الهوة بين العلم والأدب لصالح البشرية جمعاء؛ ولذا فقد ظهرت طائفة ثالثة تبنت المزاوجة بين الثقافتين، والاغتراف من المحيطين الزاخرين؛ فبرز ما سمي بـ: (الثقافة الثالثة)، وهي التي تجمع -في الكتابة- بين محاسن الثقافتين، وتصهرهما في بوتقة واحدة تقطر علما وأدبا، ويكون من أخص سماتها أنها تمتع وتقنع، وتشبع رغبات العقل المتطلع إلى المعرفة، كما أنها تستثير العاطفة وتحرك الوجدان، وكان من رموز هذا اللون المقالي د. محمد المخزنجي الذي مزج في مقالاته العلمية بين مخاطبة العقل وإقناعه، ومناشدة النفس وإمتاعها.

المخزنجي سيرة ومسيرة

ولد د. محمد المخزنجي بالمنصورة عام: (١٩٤٩م)، ودرس الطب في جامعتها، ثم تخصص في الطب النفسي والعصبي، وحصل على درجة الاختصاص العالي في هذا المجال من أوكرانيا، وهناك أيضا قدم رسالة عن علاج الأمراض النفسية بالطرق غير الدوائية، ثم هجر الممارسة الطبية والتحق بأسرة تحرير مجلة العربي الكويتية منذ عام: (١٩٩٢م)، وعمل بها محررا علميا فمستشارا لتحريرها في القاهرة، والمخزنجي أديب مرموق وهو واحد من أهم كتاب القصة العربية القصيرة، إضافة لكونه كاتب مقال أسبوعي في صحف مصرية عدة، منها الدستور والشروق والمصري اليوم، وتبدو من خلال تلك المقالات طريقته في المزج البارع بين مخاطبة العقل وإقناعه، ومناشدة النفس وإمتاعها.

مؤلفاته

أثرى المخزنجي المكتبة العربية بفيض غزير من المجموعات

القصصية والكتب الثقافية المختلفة، فمن القصص القصيرة: (الموت يضحك، سفر، البستان، أوتار الماء، رشق السكين، حيوانات أيامنا، فندق الثعالب).

ومن الكتب: (لحظات غرق جزيرة الحوت)، وهو كتاب عن كارثة تشيرنوبيل، و(جنوبا وشرقا)، وهو كتاب رحلات، و(مداواة بلا أدوية)، وهو كتاب في الطب التكميلي، و(حكايات بيتنا الأرض)، وهو كتاب يجمع عددا من المقالات التي كتبها في مجلة العربي الصغير.

جوائزه

حاز كاتبنا على عدد من الجوائز منها: جائزة أفضل مجموعة قصصية صدرت في مصر سنة: (١٩٩٢م)، عن مجموعة البستان، ثم جائزة مؤسسة ساويرس لأقصر مجموعة قصصية، نشرت ما بين عامي: (٢٠٠٢ و٢٠٠٤م) عن مجموعة: «أوتار الماء»، ثم جائزة الأدب المصري لكبار كتاب القصة القصيرة عام: (٢٠٠٥م)[١].

أسلوبه العلمي المتأدب

يتحدث المخزنجي عن نفسه -في أحد الحوارات الصحفية- وأنه اشتغل «بالثقافة الثالثة»: «متمثلة فيما أنشره في السنوات الأخيرة عن نصوص تمزج المعرفة العلمية بالسرد الأدبي»[٢].

وعن عمله محررا علميا في مجلة العربي واشتغاله بـ«الثقافة الثالثة» يقول: «وراقت لي مهمة المحرر العلمي، وأتاحت لي إمكانيات غير مسبوقة للحصول على أحدث ما يصدر في العالم في هذا المجال، وزحفت كتب الثقافة الثالثة على مكتبتي كما زحفت هذه الثقافة على كتابتي... ففتح نافذة -ولو بحجم ثقب إبرة- لشعاع ثقافي جديد، وهو أمر جيد موجود في العالم، نعم.. ولكنه نادر لدينا»[٣].

طوق الندامة وأطواق السلامة.. مثالا:

وعلى سبيل الاستشهاد والتدليل على هذه الموهبة الفذة في تأديب العلم من خلال التطبيق العملي للثقافة الثالثة نعرض لأحد مقالات المخزنجي (طوق الندامة وأطواق السلامة)[٤] بشكل مجمل، ليستبين أسلوب الرجل والمنهج الذي ارتضاه لنفسه في هذا الميدان الدقيق.

يتحدث الكاتب في هذا المقال عن تلك الهالة من الشعر الكثيف التي تحيط بوجه وعنق ذكور الأسود البالغة، التي سماها الطوق، والعلماء يسمونها (اللبدة)، ومن ثم فقد تناول توقف علماء الأحياء التطورية حائرين لعشرات العقود أمام هذه الهالة الأسدية التي لهم فيها شأن؛ إذ تبدو للناظر العجول منحة زهو، وإشارة قوة، ونذير بطش، على الرغم من أنها أيضا منذ بزوغها نذير شؤم للشبل الطالع.

ثم عرض بعض ميزات هذه اللبدة؛ إذ إن لها دورا في حماية رقبة ودماغ الأسد من عضات الخصوم الباترة، ومن طعنات أنياب الأسود المنافسة، كما أنها تخفف من أثر نهشات اللبؤة التي تبلغ قمة غضبها من فرط الألم في موسم التناسل.

ومع هذا فإن الكاتب رأى عدم جدواها أمام أدوات قتال أخرى -طاحنة للعظام وقاصفة للأعناق- لدى طرائد كبيرة ضخمة، مدججة بالقرون الحادة، والوزن الهائل، مؤيدا ما ذهب إليه بأن روى مواجهة مع إحدى جواميس براري الجنوب الأفريقي، انتهت بهزيمة ساحقة، انهار على إثرها تكوين الغضنفر انهيارا مذهلا.

ثم استلهم بعض ما ورد في كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) للقزويني عن الأسد، ورد بعضه لابتعاده عن مفهوم العلم الدقيق المقنع، وأقر ما عده ملاحظة صحيحة ومدهشة -من أن الأسد لا تفارقه الحمى- لأنها حقيقة أثبتها العلم الحديث، مؤكدا أن اللبدة من مسببات العنت في حياة الأسد؛ فهي تراكم الحرارة في جسمه إلى درجة تهدده بحمى مخية، وعلى هذا فهي ليست من محفزات بقاء الأسد بقاء أكفأ في الحياة، مع ما بها من مخايل الرهبة، وشدة البأس، لكنها شر لابد منه لمخلوق مصمم ليعيش في حروب دموية لا تنقطع، وهنا يربط بينه (كحربجي مضطر) وبين البشر الذين أججوا الحروب من غير اضطرار؛ لداعي العصبية أو الطائفية.

وأخيرا يبين مصير الأسد المهزوم، حيث يهيم شريدا خائرا، عاجزا أن يقيم أوده، فيغدو ذيلا ذليلا -في زمرة أخرى- بعد أن كان سيدا مطاعا.

وفي ختام مقاله يعاود الربط بين (حربجي) الغابات، و(حربجية) الطائفية، وما يشكله ذلك من معاول هدم؛ لكيان عالمنا العربي

والإسلامي.

الخصائص الفنية

وبعد هذا العرض لمضمون المقال نتحول لتحليل خصائصه الفنية؛ فأول ما يطالعك هذا العنوان المتوسط البنية، الذي يجمع بين أكثر من نمط من أنماط العنوان؛ حيث فيه تناص واضح مع التراث باستدعاء المثل العربي (في التأني السلامة وفي العجلة الندامة) مع إعمال التغيير الذي يوافق المناسبة الحالية، كما يظهر جليا الموسيقا التي تفوح من أعطاف العنوان، فهو يجمع في بنيته بين أكثر من محسن إيقاعي يتمثل ذلك في السجع والجناس اللذين يسبغان عليه النغم الجذاب اللافت.

وبعد الولوج إلى المقال عبر عتبة العنوان تجد المقدمة قصيرة لا استطراد فيها، متداخلة الأنماط؛ لأنك تكاد تبصر الكاتب وهو يدخل إلى الموضوع مباشرة بدون مقدمات، ومع ذلك فهي تفسيرية؛ بتسليطها الضوء على ما قد يعتري القارئ من إيهام في العنوان، وما قد يعقب ذلك من تساؤلات من قبيل: أي طوق يقصد الكاتب؟ ولم كان طوق ندامة، والأطواق غالبا ما تكون أداة إنقاذ لا إتلاف؟ وما أطواق السلامة التي أرادها؟ فأسفر الكاتب عن مراده في مستهل مقاله قائلا: «ذلك الطوق، تلك الهالة من الشعر الكثيف المشع التي تحيط بوجه وعنق ذكور الأسود البالغة».

ثم بعد تلك المقدمة الكاشفة؛ يستطرد الكاتب في إبراز مراده عبر الأسلوب الوصفي المباشر؛ مستثمرا نمط تحليل الفكرة العامة التي تتبلور في لبدة الأسد؛ وما يجني صاحبها من منافع بسببها، وما قد تجر عليه من مضار ومصائب؛ فيقسمها إلى أفكار جزئية تتمثل في عناوين فرعية تحديدا للقول في عناصر الموضوع، ولم تغب المقارنة عن المقال حين يوازن الكاتب بين الأسد واللبؤة في لمحة سريعة: «يغدو أشبه بأنثى دون أن يمتلك حتى قدرات الأنثى الأرشق، والأكثر جلدا في الصيد، فهي أخف منه بما يقارب النصف، وحرارة دمها لا تشتعل بالحمى سريعا مثله».

وتتسم الألفاظ في المقال بالسهولة والرقة، والحرص على استعمال الألفاظ الفصيحة، وبسط الفكرة في تسلسل مقنع، واختيار اللفظة على قدر المعنى، والبعد عن استعمال الألفاظ الغريبة، إلا ما كان من استعمال لاحقة دخيلة على اللغة العربية من اللغة التركية وهي اللاحقة (جي) التي تدل على أصحاب المهن المختلفة؛ فحينما قصد وصف الأسد بأنه مسعر حرب، أو صاحب حرب نعته بقوله: (حربجي) كما وسم دعاة الطائفية والعصبية بأنهم (حربجية)، ولعل في هذا النعت الناشئ عن توظيف الدخيل ما يوصم هذه الصفة بوصمة عار، تنفر منها ذوي البصائر، وأولي النهي.

ومما يلاحظ في المقال أن الجملة تأتي طويلة مركبة، مستفيضة الأركان، وافية النعوت والإضافات، وقليلا ما تكون قصيرة البنية؛ وما ذلك إلا صدى لطبيعة المقال، الذي يقوم بناؤه على شرح ظاهرة من الظواهر العلمية في عالم الحيوان، بشكل مبسط، وما قد يتطلبه ذلك الهدف من جمل طويلة مبينة لما في العقل من أفكار، ومفاهيم دقيقة، ومن تلك الجمل طويلة البنية ما جاء ضمن الحديث عن لبدة الأسد المهيبة الرهيبة، وما عسى أن تثير من دهشة وتساؤل لدى علماء الحيوان: «لكن أهل العلم الذين جبلوا على النظر إلى ما وراء المظاهر والسطوح، باحثين عن الحقائق الأعمق والأصدق من كل خيلاء التوهمات البشرية، لهم في هذه الهالة شأن آخر».

ومن الجمل القصيرة -على قلتها- قوله عن الأسد: «وكثيرا ما يظل شريدا وحيدا، أو يهيم مع مجموعة من الذكور المشردين، يصيدون بشقاء، ويأكلون بتقاتل، ويموتون ناقصي عمر».

ويتسم المقال باللجوء إلى الجملة الاعتراضية التفسيرية التي تسلط الضوء على صفة لأمر ما، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الكاتب في سياق حديثه عن اللبدة وإقراره أنها عندما تظهر خفيفة لطيفة حول وجه وعنق الأسد الصبي، تضعه على شفا اختيارين كلاهما مر: «أولهما: أن يصدع لأمر أبيه -الذكر المهيمن على المجموعة العائلية المسماة (زمرة)، أو عمه إذا لم يكن أبوه هو المهيمن- فيغادر أرض أهله ونشأته إلى براري التيه، وثانيهما، أن يرفض المغادرة ويدخل في عراك دام مع أبيه، أو عمه، ليقصي أيهما، ويصير هو المهيمن. لكن المغادرة هي الأرجح».

وفي المقال اقتباس من الحديث الشريف حين يقول الكاتب متحدثا عن الأسد، وما حباه الله تعالى به من مظاهر تساعده على اقتناص طعامه؛ للاستمرار على قيد الحياة: «هو ميسر لما خلق له، بأنيابه ومخالبه وقوته»[٥].

وترى في المقال استدعاء لبعض التراث العربي، والمأثور الشعبي؛ حين يوصف هذا الطوق الأسدي بأنه ليس: «من محفزات بقاء الأسد بقاء أكفأ في الحياة، لكنه شر لابد منه، لمخلوق مصمم ليعيش في حروب دموية لا تنقطع، وتقصف عمره قبل الأوان».

ففي قوله: (شر لابد منه)؛ استدعاء لجزء من مقولة منسوبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٦]، و(تقصف عمره قبل الأوان) مما يجري على ألسنة العامة في سياق الدعاء أو التحسر، وإن كان معنى (قصف) في بعض استعمالاتها الفصيحة: كسر[٧].

ويلاحظ في المقال صدور الصورة عن خيال محلق سيال، لا يستند الكاتب في رسمها على أداة تصويرية واحدة، إذ إنه يمزج بين بعض أنماط الصورة، ويصهرها في بوتقة واحدة؛ ليحصل على لوحة فنية متشابكة الألوان، متعددة النغمات، ويركب منها صورة كلية متضامنة، ومن ذلك الوصف التفصيلي الذي صوره لمعركة دامية بين أسد وجاموسة برية، فهذه اللوحة في المقال اكتظت بالعديد من الصور الجزئية التي تتكامل فيما بينها؛ لتكون صورة كلية؛ تؤدي الغاية التي يرومها الكاتب، مع توظيف للصورة بشتى ركائزها الأساسية من تشبيه، واستعارة، وتشخيص، وحقيقة لنقل الحدث؛ كأن القارئ يرى مشهدا متحركا نابضا على الحقيقة، وليس تصويرا فنيا رسمه الكاتب بقلمه، عماده فيه اللغة بألفاظها وتراكيبها، وهنا تتجلى براعة الكاتب -في التصوير- عند استعراضه الدقيق لتلك المعركة الحامية الدامية، الأمر الذي ينم عن ذوقه الفني، وقدرته البيانية، وحرصه على إبراز الجزئيات الدقيقة، والتفصيلات الموحية، مع ما يعتريها من إيحاءات مبطنة؛ تشف عن فكرة الصراع من أجل البقاء، في عالم لا يرحم ضعيفا، ولا يعطف على صغير، وما عسى أن يبذله ساكن هذه المملكة من أجل إرادة الحياة في وجه الموت المتربص ليل نهار.

ثم يصل الكاتب -بعد تلك الجولة في البراري التي صحب فيها سيد الغابة- إلى حافة النهاية؛ التي استهلها بما يرهص بالوصول إلى الخاتمة، رابطا بين الأسد كمسعر حرب في الغابة، وبين بني البشر الذين يقومون بهذا العمل؛ بداعي الطائفية، ففي ختام تساؤلي استشرافي يقول: «وأخيرا، هل ننتبه أن نكير أصوات (حربجية) الطائفية يشكل أخطر معاول هدم عالمنا العربي والإسلامي، بل المشرق كله؟».

وبعد استعراض هذا المقال يبدو بجلاء طريقة المخزنجي في المزج البارع بين مخاطبة العقل وإقناعه، ومناشدة النفس وإمتاعها؛ فكان ذلك صدى لما آمن به، وعمل على نشره، حين أذاع عن نفسه اشتغاله بالثقافة الثالثة، إذ إن المضمون العلمي للمقال لا يحول مطلقا دون إمتاع القارئ وإثارة وجدانه، بالإضافة إلى ما يمنحه له من غذاء العقل وتنمية الفكر، ومن اليسير للمقال العلمي أن «يتأدب» ويتسم بالتشويق إذا حاكته يد ماهرة بفنون الأدب، مثلما لصاحبها قدم راسخة في حقول العلم.

الهوامش

١- مداواة بلا أدوية: د. محمد المخزنجي، ص ٢٤٥، الطبعة: الثانية يونيو ٢٠١٠م، دار الشروق.

٢- جريدة الأهرام: من حوار أجرته الجريدة معه، ص١٣، بتاريخ ٢٠١٨/٦/١١م.

٣- السابق.

٤- ينظر: مقال: طوق الندامة وأطواق السلامة: د. محمد المخزنجي، جريدة المصري اليوم، ص٨، الخميس ٢٠١٧/١٢/٢١م، السنة الرابعة عشرة، العدد: ٤٩٢٨.

٥- وهنا تأثر غير مباشر، واقتباس ضمني من حديث الرسول الكريم: «كان النبي ﷺ في جنازة، فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة» قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة؛ فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء؛ فييسر لعمل أهل الشقاوة» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ (الليل:٥-٧)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب سورة الليل، كتاب التفسير (ج ٤ ص ١٨٩١ رقم ٤٦٦٦).

٦- ينظر: شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء: ١٩، ص٦٩، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٧- ينظر: مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ص٥٦٠، تحقيق : محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، طبعة جديدة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.



محمود كحيلة
ماجستير الآداب والنقد المسرحي

ما اتصل عالم بعلم إلا اكتشف معجزات سجلها القرآن الكريم بكل وضوح ودقة قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، مؤكدا للعالمين أنه كتاب معجز جامع شامل كافة العلوم، المعلوم منها والمجهول.

الأبعاد الدرامية للنصوص القرآنية

وعلم الدراما علم أدبي، ولد من الشعر الذي تفنن في صياغته شعراء يونان قدماء، وكان ذلك قبل نزول الإسلام بألف ومئتي عام على الأقل، ورغم أنه علم عريق له تاريخ طويل، إلا أنه تعطل درسه عربيا وإسلاميا، بسبب إهمال الترجمة العربية الإسلامية للدراما، لأنها ولدت شعرا، وكانوا أشعر الناس، ولأن التمثيليات التي كانوا يصادفونها كلما هموا بالترجمة كانت تقوم على صراع بين نخبة القوم مع الآلهة وأنصاف آلهة، وكانوا تخلصوا حديثا من «٣٦٥» إله احتلوا جداران الكعبة المشرفة لمئات السنوات.

سبقنا الغرب إلى معرفة الدراما بحوالي «٢٥٠٠» عام، فتفوقوا في صناعتها، وأدركوا من أسرارها وأهميتها، ما جعلهم يولونها مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة بين الأنشطة الاقتصادية والقومية، بينما نحن العرب لا زلنا نحاول بكل طاقتنا أن نحصي ما فات علينا من دراما، وهذا مستحيل أن ننجزه، بينما نتابع كل معاصر كي ننتج ما يمثل عالمنا ويمثلنا كما نبتغي أن نمثل، وهذا أمر غير يسير.

تفنن الإغريق القدماء في إنشاء حكايات هدفها تهذيب الناس وغرس قيمة الانتماء والوطنية في وجدان الجماهير التي كانت تعوض بالنقود عن الوقت الضائع، في مشاهدة عروض تبدأ مع شروق الشمس، أي في وقت العمل، لأجل أن يرتقوا بالضمير العام للمجتمع، وتنتهي بالغروب، وقد صنعوا بتلك المبادرة أهم حضارة في فلسفة الأخلاق والانتماء في تاريخ الإنسانية، بتوظيف قصص خيالية إسطورية، لدعم أخلاق المواطنين وتعزيز قيمة الانتماء.

ورغم ذلك فإن كل ما تركوه من أدب درامي مسرحي مرموق، يبدو بلا وزن أمام دراما القرآن المعجز، التي تجاوزت المعنى البسيط والظاهري والسطحي الذي نتداوله للدراما إلى معناها الفكري ومغذاها الفلسفي العميق ومنطقها في توالي الأحداث بتسلسل متصاعد يسلم بعضه، منطلقا من الخاص إلى العام، ومن الأصغر إلى الأكبر، كما تنتظم في الحياة، إذ تنطوي قصص القرآن الكريم على معاني ظاهرة وأخرى خفية، وتشتمل على تعاليم وقيم مختصرة ومفهومة، لكي تصل إلى المتلقي من أقرب الطرق وبأقل عدد من الكلمات، بصورة من أروع صور الإيجاز لمواقف يطول شرحها فيما يتعلق بالتفسير وأسباب النزول.

ومن أبرز مظاهر الإعجاز القرآني في جانبها الدرامي اختيار المتلقي، إذ لم يشأ الخالق سبحانه وتعالى أن يخاطب بتلك الكلمات التي من نور جمهور لا يعي الإعجاز فيها، فكان يسحرهم وقعها، رغم أنها من معجم الألفاظ والكلمات التي اعتادوها وبرعوا في توظيفها، والتي ترتب بأساليب وطرق لم يألفوها من قبل، وهي تبهرهم بحلاوتها، وتسحرهم بطلاوتها، ولابد أنهم حاولوا محاكاتها حتى أصابهم اليأس من أن يأتوا بآية من مثله، ويمتاز الأسلوب القرآني بالإيجاز مع الحفاظ على سحر وجمال اللغة العربية التي كرمها الله عندما جعلها لغة القرآن، وأكرمنا نحن العرب عندما جعلها لغة لنا.

تعتمد الدراما بقالبها العريق والمعاصر على أفكار رئيسية، تعالج في صيغة قصص أو حكايات جاذبة، لاهتمام الناس بما تشتمل عليه من مواقف مختارة بعناية فائقة من الواقع والتاريخ والخيال ومعروضة بمهارة، إلا أن كل ما أنتجته الإنسانية عبر تاريخها الطويل مع الدراما في الغرب والشرق، يظل قليلا باهتا هزيلا أمام القصص القرآني، لأسباب عدة:

منها: أنها حكايات حقيقية، أجراها الخالق وحفظها في كتابه الكريم، لما بها من حكمة وعبرة وموعظة حسنة تنفع الناس، وتبقى ما بقيت الحياة، والدراما التي يصنعها بشر، مهما بلغت من بعد نظر وخيال ومبالغة، تبدو محدودة قليلة القدر أمام بعض وقائع الواقع التي تفوق أحيانا الخيال.

ومنها: خلوها من الأهواء والرياء والنفاق ومفاسد الأخلاق، لذلك هي منتجة طبيعيا، خالية من التصرف البشري الذي يفسد كثير من الأشياء.

كذلك ينصح كتاب الدراما بالسعي للوصول إلى المعاني المرجوة بأقل عدد ممكن من الكلمات، لكي يضمنوا بذلك إيقاعا سريعا لما يكتبون من حوارات، وما يقترحون من أفعال درامية فيما يسمى بالسيناريو الدرامي، وهو التعبير الذي يوصل المعاني من دون أن يرافقه كلام، ونموذج ذلك مشهد مواجهة سحرة فرعون لأكثر الأنبياء ذكرا بالقرآن الكريم موسى عليه السلام، الذي بادر وهو الطرف الأضعف على أرض المشهد الدرامي أمام سحرة يدعمهم الفرعون قائلا: ﴿أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ (يونس:٨٠) وهذا



وضع يكسب الموقف بعض المرح، ويجلب كوميديا تنقل الدراما من قالبها الإنساني والوجداني إلى حيث التأمل والعقل الذي يستعد لاستقبال القادم في ترقب واهتمام، وما أن يلقي السحرة حبالهم وعصيهم فيطمئن السحرة أنهم سحروا أعين الناس، ويرجعوا الفضل إلى الفرعون: ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ (الشعراء:٤٤).

وهنا يشتعل المشهد وتنطلق الدراما نحو آفاق لا قبل لبشر بها، ولو لم تجر على أرض الواقع لما قدر بشر على محاكاتها، أن ينتصر فرد واحد على هذا الحشد من البشر وآلهة البشر، كانت المفاجأة الكبرى في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الشعراء: ٤٥).

وهكذا تبدل الحال وتسبب إلقاء عصى موسى في إلقاء السحرة سجدا أمام الجماهير وزلزل عرش الفرعون أمام شعبه والمتخصصون الذين استعان بهم لاحراج موسى عليه السلام أشهروا العصيان: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ (الشعراء: ٤٦) سجد السحرة لرب موسى الحاضر رغم الغياب الظاهري وانقلبوا على الفرعون الحاضر الغائب الذي أوشك دوره على الانتهاء، حيث سقطة البطل في النهاية التراجيدية التي ترسخ لها الدراما، والتي تجلب التطهير وتحرض على احترام الآخر وتدعم مكارم الأخلاق.

الجملة الحوارية الواحدة في القرآن الكريم يمكن صياغتها بعدة طرق، بينها: فروق طفيفة وتنطوي على معاني عميقة، منها: قوله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ (يوسف:٩١)، وتكرر الأمر في آية تالية من نفس السورة مع زيادة حرف واحد في الكلمة الأولي والكلمة الأخيرة، رغم أن الجملة كلها مكونة من كلمات ثلاث، هي قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ (يوسف: ٩٧)، والمعنى واحد تقريبا، حيث يعتذر إخوة يوسف ويعترفون بما ارتكبوا من خطأ بحق أخيهم، وكان الحديث موجها ليوسف في المرة الأولى، لذلك جاءت (إن) مخففة، وتؤكد الجملة باللام كونهم أدركوا أن ما فعلوه من ذنب بحق يوسف عليه السلام تألمت به ضمائرهم وكلهم رأوا أن ما فعلوه، كان لصالحه فأعزه الله ورفعه من القاع التي لا زالوا عندها، بينما هو في وضع متفهم لإرادة الله التي تحكمت بفعلهم، كما تحكمت في عاطفة زليخا الزائدة عن الحد معه، والتي أودت به إلى السجن الذي تسبب في أن يصبح يوسف عزيز مصر، وكل ذلك جعله يستغفر لهم الله من دون أن يطلبوا

منه ذلك، بينما في الجملة المشابهة التي كانت في حوار لهم مع الأب والوضع مختلف، جاءت بأسلوب توكيد عبر تشديد النون (إنا)، ومجيئ (نا) لتثبيت الفعل الخاطئ لهم بحق أبيهم الذي حرموه بفعلهم أحب الأبناء ولوقت طويل، ولم ينل من ذلك إلا الحزن والبكاء إلى حد فقد البصر، ولذلك أجل أبوهم الاستغفار لهم رغم أنهم كانوا يستعجلون.

الإعجاز القرآني ثابت بكل الأنواع الأدبية والأنشطة الإنسانية، لأن معجزة القرآن لم تتوقف عن الحضور لحظة، في أي مشهد من مشاهد الإنسانية، لأنها قادرة على السيطرة على فكر ووجدان الشعوب، بما تنطوي عليه من معجزات نلمحها.

مثلا في تأثير الآية الكريمة بسورة الروم: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ (الروم: ٢- ٣) والروم كانوا قوة عظمى تسيطر على العالم وقت نزول الآية الكريمة، وكان الروم قوم كتاب بعد إعلانهم المسيحية ديانة لهم في القرن الرابع الميلادي، وأهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من الوثنيين، ولذلك كان المسلمون يشجعون الروم، بعكس الكفار الذين كانوا يتمنون هزيمة الرومان، وكانت سعادتهم تزيد وتستمر كلما مر الوقت ولم يتحقق ما نزلت به الآية الكريمة إلا في اللحظات الأخيرة التي أكدت عليها الآية الكريمة بدقة متناهية وهو: ﴿بِضْعِ سِنِينَ﴾ (الروم: ٤)، وكلمة: (بضع) تشمل الأعداد من ثلاثة إلى تسعة، وفتحت مجالا أوسع للترقب والانتظار، كما يفعل صناع الدراما يؤجلون النهاية التي يمكن أن تستشفها من البداية إلى لحظة الختام، وكلما بعدت من دون ملل كان ذلك ممتعا للمتابع.

كان النبي محمد ﷺ على يقين أن الروم سيغلبون، وأن كلام الله جل علاه إن لم ينسخ فلابد من أن يتحقق، ولذلك غلب الروم، وتحقق قول الحق في لحظة دقيقة تجعلها معجزة من المعجزات الدراما للقرآن الكريم، إذ تأخرت طويلا، ولكنها جاءت ككل الأحداث التي نتعجلها في موعدها، وينسحب ذلك أيضا على سورة المسد التي هدد فيها أبو لهب بقوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (المسد: ١)، وكان أبو لهب يعرف أنه لو أعلن إسلامه -ولو على سبيل التظاهر والنفاق كما فعل المنافقون- لأوجد مدخلا للنيل من معجزة القرآن، ولكنه لم يفعل، لأن الخالق أدرى به من نفسه، ويعلم علم الغيب ويعلم ما يخفى على العالمين.

ويوصي خبراء الدراما الجيدة بتكوين جمل وأفعال تسرد للماضي وتقر الحاضر وتستشف المستقبل، وينطبق ذلك على محكم آيات القرآن الكريم الذي يعد أعظم مرجع لتعليم لغة الدراما، وكذلك الحادثة أو الصراع الذي نرى نموذجا له في قصة يوسف عليه السلام، عندما يتصارع الأشقاء، ويتطور الأمر إلى العنف والإجرام من غير مبالاة بصلة الدم والرحم، وهذه علاقات إنسانية مستمرة ومتكررة، ولا زالت أشرس الصراعات تكون مع أقرب الناس، وكأن المرء لا يجد منافسا من غير أقرب الناس، وتتميز قصة يوسف عليه السلام عن بقية القصص بورود أهم وقائعها في سورة واحدة من سور القرآن، هي سورة يوسف، بينما جاءت بقية القصص متفرقة بين السور ومنتشرة بين الآيات بصورة كبيرة، حتي تصل نسبتها إلى ما يقارب ثلث القرآن الكريم.

وقد يسبب تكرار الأقوال والأفعال مللا لدي القارئ والمتلقي إلا في الدراما، عندما توضع بعناية في مواقف مختارة، ويسمى التكرار عند صناع الدراما: «لازمة»، وكأنها من مستلزمات الموقف أو الشخصية الدرامية، وتتكرر جملة كريمة واحدة إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمن هي قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن: ١٣) وكان تكرارها لازما لتنبيه القوم إلى اللانهائية نعم الله، وجعل جل في علاه هذا الفاصل القرآني يفصل الحديث بين كل نعمة وأخرى بغية الرجوع إلى رأي المخاطب، لكي يصدق بنفسه على قول الخالق، وهذا بلغة الدراما سلوك ملحمي يهدف إلى دمج المتلقي في الحالة القرآنية، كي يسهم في اكتمال المعنى إلى جانب إحداث تلاحم بين كلام الله وبين جمهور خلقه المستقبلين لرسالته سبحانه وتعالى.

هذه محاولة لفتح نافذة على الإعجاز الدرامي للغة القرآنية، ابتغاء تأمل تلك المعجزة الربانية، في ضوء ما من الله به علينا من علم، وما أكرمنا به من معرفة، وكما قال الإمام الغزالي: «إن الدين دواء، والعلم غذاء، وليس الدواء بمغن عن الغذاء، وليس الغذاء بمغن عن الدواء».



وليد عبدالماجد كساب
عضو اتحاد كتاب مصر

قراءة نقدية في إبداعات الوعي القصصية

للنقد دور كاشف في بيان النصوص، الإبداعية فهو يلقي الضوء على ماتفرد به الكاتب/الكاتبة من أسلوب فضلا عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبها إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.

ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها سواء، في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.



«تقوى وتصبر»

في قصته «تقوى وتصبر» يحاول الكاتب محفوظ غريب معالجة قيمتين جليلتين من قيم الدين الإسلامي الحنيف، وهما كما تبدوان من العنوان: «التقوى والصبر»، وهما قيمتان ساميتان احتفى بهما القرآن الكريم حفاية كبيرة -ربما أكثر من غيرهما- ومن ثم أقام الكاتب أساس حكايته على الآية الكريمة التي هي مدار سورة يوسف وقصته: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (يوسف:٩٠).

أما العتبة الأولى من العتبات النصية للقصة (العنوان)؛ فقد جاءت واضحة لا إيهام فيها (التقوى والصبر)، ولو اختار القاص عنوانا رمزيا لكان أدعى إلى تشويق القارئ، لاسيما أن العنوان هو العتبة الأولى التي يطالعها المتلقي في القصة فتثير شهيته وتحفزه على المضي قدما في القراءة إلى نهاية القصة.

وقد جاء أسلوب الكاتب بسيطا هو الآخر يخلو تماما من التقعر والغموض، ويعتمد على العبارة الواضحة في ألفاظها ومضمونها رغبة منه في الولوج المباشر في نفس المتلقي والتأثير فيها، لكن غلب عليه الأسلوب الوعظي المباشر. والحقيقة أن القارئ يرغب فيمن يتسلل إلى نفسه في ثنايا الكلمات وطيات القصة بشكل غير مباشر، كما أصاب التكرار أجزاء كثيرة من القصة، ويمكن أن نضرب لذلك مثالا؛ فبطل القصة (صابر) تكرر وروده خمس عشرة مرة، منها مرتان في سطر واحد، ومرتان وثلاث في الفقرة الواحدة.

مزج الكاتب في قصته (تقوى وتصبر) بين الوصف المباشر من ناحية، والحوار الخارجي (المنولوج) والداخلي (الديالوج) من ناحية أخرى، وإن طغى الوصف على الحوار، وطغى «المنولوج» على «الديالوج»، كما اعتمد في بناء قصته على تقنية «الراوي العليم» الذي يحكي القصة ويسرد أحداثها ويصف شخوصها للقارئ من أولها إلى آخرها، وربما اختار أسلوب «الراوي


لغة وأدب
تقوى وتصبر



العليم» ليعبر عن مقاصده بشكل مباشر من دون مواربة. كما اعتمد على التذكر عند سرد حكايته للشيخ والمعلم.

اختار الكاتب مسرح الأحداث لقصته -التي طالت كثيرا بلا مبرر وتاهت أحداثها قليلا- أربعة أماكن: (شقة الأخت/ الشارع/ المسجد/ بيت المعلم أو الصهر فيما بعد)، وكان للمسجد النصيب الأكبر منها لارتباطه الروحي بهاتين القيمتين الدينيتين، وليوصل إلى القارئ مدى تماهي هذه البقعة الطيبة الطاهرة مع كل جميل من القيم الإسلامية السامية.

تطورت أحداث القصة بشكل بطيء، حيث بدأت باستقرار ظاهر للحدث الذي سرعان ما بدأ يتوتر، وهو ما نراه جليا في بداية القصة حيث يقول: «قبيل غروب الشمس استأذن الشاب صابر شقيقته وابنتها في خروجه من الشقة التي يسكنها معهن بمدينة القاهرة ليؤدي صلاة المغرب، فلما خرج سار غائب الفكر حاضر النظرات فألفى نفسه أمام المسجد الذي تعود الصلاة فيه، فدخله وجلس قرب المحراب يقلب وجهه في سقف المسجد ثم يرمي بنظرات على الأرض، وإذا به ينتفض باكيا..»، ثم اشتد هذا الصراع أو معاناة البطل حتى وصلت ذروتها، ثم جاءت لحظة التنوير في القصة لمصلحة البطل الذي خرج من البيت يائسا كسيرا فعاد إليه مفعما بالأمل مجبورا، يقول: «وقبيل منتصف الليل عاد صابر هو وشقيقته وابنتاها إلى شقتهم وقلوبهم فرحة، ولما استرخى صابر فوق سريره مضى يتدبر أحداث يومه وأمسه وكيف صار أمره خلالهما يسرا بعد عسر، فراح والنوم يداعبه يهمهم: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (يوسف:٩٠).

إن هذا النص الذي نحن بصدد قراءته هو محاولة جادة لكتابة قصة قصيرة جيدة ذات مضمون رسالي؛ لكن القاص تنقصه القراءة الجيدة والدائمة في مجالات القصة المختلفة وطرائق كتابتها وتقنياتها الفنية المختلفة، والوقوف على ما خلفه أعلام القصة الكبار من قصص أدبية متميزة تلقاها القراء بالقبول والاستحسان منذ زمن ولا تزال مقصدهم ومهواهم حتى يومنا هذا.

«زيارة منزلية»

في قصته «زيارة منزلية» يتناول الكاتب محمد أبوعيد قضية إيمانية بالغة الأهمية وهي العناية الإلهية، فإذا كان التفكير مهمة العبد؛ فإن التدبير وحده يكون لله الذي يدبر الأمر من


لغة وأدب

زيارة منزلية

السماء إلى الأرض.

- عنوان القصة «زيارة منزلية» عنوان مركب مباشر ومعبر تماما عن محتواها ومضمونها، إذ يتناول زيارة قام بها طبيب على سبيل الخطأ لا عن قصد إلى منزل لم يستدعه أصحابه؛ فأنقذ الله بها روح مريضة لا تملك من متاع الدنيا ما يكفي لاستدعائه.
- هذه القصة من القصص الرائجة في المجتمع المصري يتناقلها الناس استدلالا على عناية الله تعالى وقدرته التي لا حد لها، وقد أعاد الكاتب صياغتها وتقديمها في قالب قصصي وعظي.
- استخدم الكاتب لغة سهلة مباشرة لا لبس فيها، واكتنفت النص تعبيرات دارجة من مثل: «رن جرس التلفون على الطبيب»، «وسرعان ما لبس ملابس الخروج»، و«الليل إلى حيث العنوان والشقة»، و«يكشف على البنت»، و«فكانت الطلبات تذهب في سرية وكتمان»...إلخ.
- شابت القصة بعض عبارات غير مفهومة من مثل: «أهو رزق وفير من زيارة منزلية، أم واجب إنساني وأداء لمهمة تربى عليها؟»؛ فالكاتب يتركنا في حيرة إذا رحنا نفسر العبارة الأخيرة التي تتحدث عن الواجب الإنساني في مقابل الكشف المنزلي المعتاد.
- في القصة تناص واضح: موضعان من القرآن الكريم وموضع من السنة النبوية المطهرة، ولو تم هذا التناص بشكل انسيابي ومتجانس داخل النص بدلا من هذا التوظيف المباشر لكان أفضل.
- في المجمل فإن القصة ذات مغزى إيماني كبير وإن كان حظ البيان فيها قليلا، فبالإضافة إلى متعة السرد لابد أن تكون لغتها بليغة تدهش القارئ وتستميله.

أ.د. عبد المنعم عبد الله حسن
الأستاذ في كلية اللغة العربية



لغة الكتاب

لغة الكتاب .. وذاك خير وسام	ومقامها في المجد خير مقام
بلغت بآفاق السمو مكانة	وتسنمت في الفضل كل سنام
وبيانها مثل، نسيج وحدة	بلغ العلا في دقة الإحكام
نهر يفيض بلاغة وفصاحة	ويطيب مورده على الأيام
تزهو به كل العصور وتحتفي	وصدى الزمان روائع الأنغام
دوى على أرض الجزيرة فجره	وأنساب عبر الكون في تهيام
ملأ الحياة، وإن صدح نشيده	قبس يبدد صمت كل ظلام
وتشيب ناصية الزمان، وإنه	غض، فتى، يانع الأحلام
ما ذاع فينا اليوم .. في أقوالنا	وبما تسطره رؤى الأقلام
أثر لما دوى هناك على الربى	بين الجبال وقمة الآكام
ماقاله «شوقي» وهدهد حسنا	صوت يذكرنا «أبا تمام»
حلق من التاريخ تجمع بيننا	فإذا الهوية في عري وزمام
أمس يعانق يومنا، ويشدنا	لغد طموح واعد بسام
لغة الكتاب هوية عربية	قوى دعائمها هدى الإسلام
حملت بلاغ الوحي ذكرا خالدا	فإذا هما في لحمة ولزام
وغدت به محفوظة طول المدى	في كل ناحية، لكل أنام
ومع اللغات تفاعلت بمرونة	وتواصلت بمشاعر الأرحام
قد أثرت، وتأثرت، وتحاورت	والأخريات بمنطق ووئام
فتحت ذراعيها لوافد ساحها	من كل علم في رضا وسلام
فازداد بالتعريب واسع متنها	فإذا معاجمها كبحر طام
وبيانها السحر الحلال، فكم به	تهمي المعاني من فيوض غمام
روض تفوح زهوره وعطوره	بأريجها فاقت شذى الأنسام
لغة الكتاب مبينة، معطاءة	تسخو بما استعصى على الأفهام
الحرف فيها شاعر، ونسيجها	نبع العلوم، ومصدر الإلهام
لغة الكتاب .. بها نتيه ونحتفي	ولها التجلة في ذرا الإعظام
ولها علينا أن نصون جلالها	ونحوطها بالحب والإكرام
ونذود عنها ما يعكر صفوها	من هجر فصحاها للحن كلام
حتى نطيب ما نقول بعطرها	وخطابنا يرقى لبعد سام
وتضيء في أقوالنا وكتابنا	ودروسنا، وبساحة الإعلام
لغة الكتاب لدى اللغات جميعها	أم معلمة، وخير إمام



نجاح عبد القادر سرور
شاعر وكاتب

فخر اللغات

أخبر فؤادك أن الحب في الضاد
عمري ومن بعدها أهلي وأولادي
خمسون قضيت من عمري أصاحبها
محراب روحي وترتيلي وأورادي
خمسون عاما وحرف الضاد يسبقني
نحو المنابر سبق البلبل الشادي
نبع من النور في الفردوس أنتجها
كي يحتويها كلام البارئ الهادي
فخر اللغات وآي النور غلفها
بالقدس يا دوحة الأنوار فازدادي
فيها اشتقاق كموج البحر يعشقه
أهل التحضر عشق الصادق البادي
إني حزين لحراس.. برامجهم
قد أهملتها بتقديم وإعداد
إني حزين لأقوام وقد أخذوا
يتندرون بها في السوق والنادي
إني حزين لشعب لا هويته
يرعى ولا يرتقي لمكانة الضاد
الضاد قد جمعت لمحمد كلما
فيه ارتقائي وتهذيبي وإسعادي
الضاد قد أنتجت أدبا وتربية
شعرا ونثرا لأولادي وأحفادي
الضاد تجمع بين العرب قاطبة
تنساب في أمة كالنيل في الوادي
الضاد أعطت لنا أسرار متعتها
في كل ذكر وترنيم وإنشاد
الضاد عز بلادي بل هويتها
مثل الهواء ومثل الماء والزاد
إن الذين تخلوا عن لسانهمو
ساروا بتيه بلا نور ولا هادي



إبراهيم راضي
قاص وكاتب

وبكينا

أقبلت على والبشر في عينيها، والبسمة تزين ثغرها، والفرحة تعلو وجهها، وكأنها قد حققت نصرا طال انتظاره، تمد يدها كمن جاءت لصغيرها بلعبته المفضلة، وضعتهم في يدي وهي تضغط الكلمات في فيها ضغطة تناسب ضغطة يدها بهم وقالت: «خذ يا ولدي».

انبسطت أسارير وجهي وزاره طيف ابتسامة، ما لبث أن ارتحلت وخلفت ورائها دهشة، اتسعت لها عيناي كبئرين لا قرار لهما، هزت أمي رأسها تشجيعا كي أقبض يدي عليهم، إلا أن رياح الأسئلة قد هبت في ذهني، ولا سبيل لانتهاء موسمها إلا بعد هطول إجابات الربيع فتخمد زوبعتها.

كيف عرفت بحاجتي إليهم؟ ومن أين أتت بهم؟ فلم يعد لها أحد في هذه الدنيا غيري منذ وفاة أبي، ومنذئذ وقد صرت لها الصاحب والحبيب والابن الغالي، عشنا معا وحدتنا ووحشة الأيام، فالوجود المادي لشخص ما بجوارك لا يدفع عنك بالضرورة الوحشة، فقد يعمقها ويسبر أغوارها في نفسك، وخاصة حين ينتمي كلا منكما إلى عالم آخر في كل أبعاده وسياقاته، فالجيل الذي ينظر إلى الماضي بحنين وشوق من الصعب أن ينخرط مع من يتوثب للمستقبل بأفكاره وآماله؛ إلا أن متطلبات الحاضر تفرض عليهم التعايش وتوزيع المهام.

أذكر يوم عدت من العمل بعد يوم طويل، أحمل هما أثقلني، وإرهاقا أتعبني؛ فهويت على أول مقعد قابلني، وزفرت كل المتاعب والهموم في زفرة واحدة، ولكنها استغرقت وقتا كان كافيا لإخراج أمي من عالمها المفضل -المطبخ- لم أشعر بها إلا وهي تضع يدها اليمنى على يسراي، والتي ارتخت على مقبض الكرسي، وأخذت تمسح بيسراها على رأسي، وتنطق بكلمات خرجت من شغاف القلب: «مالك يا نور عيني؟»

حاولت المراوغة كغزال يهرب من صياده، وهو يعلم أنه سيسقط في النهاية في فخاخه، لا أريد أن أثقل همومها، فهي مذ زحف الشيب في رأسي وقد تسلل الحزن إلى قلبها، فكانت تنظر لنفسها على أنها عبئ على وعائق أمام زواجي، فكل من تقدمت لخطبتهن رفضن العيش مع أمي في نفس الشقة، حتى الفتاة الشقراء ذات العيون العسلية زميلتي في العمل رفضت هي الأخرى، وكأنه وجب علينا لكي نبدأ حياتنا أن تكون على أطلال قلب من سهرت وأمضت الليالي في راحتنا.

قررت في النهاية أن أنتظر فرصة العثور على شقة في العمارة التي أقطن فيها، أو في إحدى العمارات القريبة منها حتى لا أبتعد عن أمي وأتركها نهبا لوحش الوحدة، وفي نفس الوقت أضمن حياة مستقلة لزوجة المستقبل.. هكذا الآمال والأحلام تظل تكبر وتكبر حتى تخطفنا من الواقع وتأسرنا في شباك الخيال.

ظلت أمي تلاحقني وتحاصرني كفأر دخل الشقة على حين غفلة منها لكي تعرف سبب هذه الحال، وكما الجيران يعرفون أنها لن تهدأ ولن تنام حتى تمسك بالفأر، أدركت أنا أيضا أنها لن تفك حصاري حتى أخبرها بهمي.

ذكرت لها ما كان من مديري في الشركة، إذ علق تجديد عقدي على دورة تأهيلية لرفع الكفاءة والخبرة، وأن هذه الدورة تحتاج إلى خمسة آلاف جنيه، وأني كنت أسوف طيلة الفترة الماضية لعله يتجاوزني أو ينساني، استمعت وهي تلتهم الكلمات بعينيها ولم تزد على أن قالت: «لا تقلق بإذن الله تفرج».

انتبهت من شرودي لأجدها ما زالت أمامي تهز رأسها تشجيعا لي كي آخذ رزمة النقود، سألتها عن مصدر المال فقالت بصوت ملأه التسليم: «لا تشغل بالك يا ولدي، فك ضيقتك أولا ثم نرى».

سحبت يدي، وأقسمت ألا أمس هذا المال حتى أعرف مصدره، فتقهقرت يدها وارتاحت على فخذها، وأطرقت برأسها وزحفت يدها اليسرى حتى بلغت غطاء رأسها، فأزاحته بأصابعها من ناحية الأذن، فلم أر أقراطها، فأدركت أن المال ثمنها، وأسفل ذقنها رفعت رأسها لأعلى بيدي، ونظرت في بئر عينيها وقد التمعتا ببريق أعلمه تماما؛ فهذا هو الدمع العصي، فلكم كانت تحب هذه الأقراط! لما لها من ذكرى طيبة، فهي هدية عرسها من جدتي، الشيء الوحيد الذي يذكرها بأمها، ولكم رأيت أمي تجلس أمام المرآة وتتلمس القرط بأناملها وهي تنظر إليه بحنين وشوق!

سلبني الوجد من شدة التأثر، ولفني الصمت حتي رأيت دمعة طفرت من عينيها؛ فأسرعت بأناملي لترشف نداها، فقالت بصوت غلب عليه النشيج لما في النفس من شجن: «هو أنا عندي أعز منك يا بني».

لماذا التضحية دائما من نصيب الأمهات؟ أشعر بأن مداد حياة الأمهات يزداد بالتضحية، وقد أدركن ذلك؛ فاحترفنها، انهرت بين يديها أقبلها؛ فأفلتتها وأخذت رأسي في حضنها وبكينا.

شذرات

عمرو طه
قاص مصري

وإنك لو تأملت أحوال الناس، لوجدت أكثرهم عيوبا أشدهم تعيبا.

الجاحظ

وأدركت أن دنياك إن ضاقت فأنت الضيق لا هي.

الرافعي

في قمة سعادتك وفي قمة حزنك احذر أن تتخذ قرارا، لأنه سيكون إما قرارا متسرعا أو قرارا مهزوزا.

واين داير

لا قيمة لمعروف قال فاعله: أنا فعلته.

نجيب محفوظ

الناس يؤذي بعضهم بعضا بقدر النقص الموجود لديهم.

جان بول سارتر

لا تجهد نفسك بالتوضيح، لأن البعض يُصغي فقط لما يُريد سماعه.

بابلو كويلو

أعان الله أصحاب الظنون السيئة، فهنالك مسافة طويلة جدا بينهم وبين الراحة.

د. مصطفى محمود

التجاهل وقت الغضب ذكاء
والتجاهل وقت المصاعب إصرار
والتجاهل وقت الإساءة تعقل
والتجاهل وقت النصيحة البناءة غرور
فانتبه متى تتجاهل

جورج ماكدونالد



أ.د. أحمد محمود عيساوي
أكاديمي وباحث جزائري

الإبحار في طمي الجاهلية الإلكترونية

أنقذوا الأجيال القادمة

هذا العنوان المثير الذي اخترته لمقالي الفكري والاجتماعي الواقعي، ليس من باب الخيال العلمي الذي يستهوي الغالبية العظمى من الكتاب والروائيين والصحفيين.. لغرابته وإثارته وتميزه، كما أنه ليس من مباحث البلاغة والبيان وأفانينهما الجذابة في عالم الكتابة والكلمة الفضفاضة، أو من خيالات عوالم الجنوح والأسطورية والمثالية والميثولوجية الوثنية الحالمة، كما أنه ليس من قبيل التمني الدعوي الذي تجيش به نفس الداعية الصادق مع تجليات الصفحات المشرقة من تاريخ الإسلام ودعوته الناصعة، أو حتى من روح التعصب أو التحامل أو التجني على جمهور المستخدمين الإلكترونيين العريض والواسع أو على فئات الاتصاليين والمتعاملين الدائمين، سواء المدمنون منهم أو المستلبون أيضا، أو من جماهير المتعاملين اليقظين والواعين والمتحكمين في برنامجهم اليومي المنظم لأوقات التعامل والتفاعل مع الشبكة الإلكترونية الواسعة والمثيرة والمغرية جدا.. أو غيرها من مجالات وفضاءات الكتابة التقليدية أو المعاصرة.. فهو ليس من هذا القبيل البتة.

بل المقال هو منجز معرفي ومعلمي جادت به تجليات الخير والنور المنبعثة في النفس، وهو من صميم الواقع الحياتي اليومي لشريحة مدروسة من شرائح المجتمع العربي المسلم المعاصر، إذ تتميز هذه الشريحة الاجتماعية وتتشابه وتختلف أيضا داخليا وخارجيا عن غيرها من الشرائح بأمور ومسميات وخصائص كثيرة جدا، لا يمكن حصرها وعدها وحسابها، إلا بمباضع البحث العلمي التجريبي الميداني، أو بدراسة مضامين وبنى ومكونات الخطاب الحقيقي لهذه الشريحة والتعرف على دلالاته عن كثب، ولكن هذه الشرائح -للأسف- على الرغم من تباينها العقدي والروحي واللغوي والثقافي والجغرافي تتشابه في عمليات

الانخراط الطوعي والتلقائي والمرضي والإدماني في الإبحار اللجي حد الغرق في شبكات الزخم الإلكتروني اللامتناه، الإيجابي والسلبي معا مع سائر الشرائح المشابهة والمخالفة لها محليا وعالميا، دينيا وثقافيا ولغويا وأخلاقيا وقيميا.

وعليه فبين تلك الشرائح الإلكترونية السالفة الذكر قاسم مشترك أعظم وواحد، وهو: السياحة أو الإبحار الطوعي أو المرضي في عوالم وبحار الطمي الإلكتروني العولمي. وموضوعنا هو: (الجاهلية الإلكترونية)، فما هي هذه (الجاهلية الإلكترونية)؟ وهل هي سليلة جاهلية ما قبل مجيء الإسلام.

(الجاهلية الإلكترونية) هي مصطلح جديد من منحوتات وإشراقات واشتقاقات عالم البيان والروعة والجمال العربي المنبعث من أنوار اللغة العربية وهي تعكف على تتبع تجليات الحياة الواقعية، ولداته من المصطلحات الاشتقاقية العربية: (الأمية الإلكترونية) و(الجريمة الإلكترونية) و(الاحتيال والنصب الإلكتروني) و(البيع والتسوق والتسويق الإلكتروني) و(الغش الإلكتروني) و(التعليم والدعوة والفتوى والزواج والطلاق والخلع الإلكتروني).. التي دخلت عالمنا ومنظومتنا القيمية والأخلاقية، وانتشرت وتحكمت فيه بقوة منذ ما يقارب عقدا من الزمن: (١٤٣٠هـ- ٢٠١٠م)، وطغت على الكثير من ممارساتنا وأساليبنا وسلوكاتنا وتواصلاتنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية العربية والإسلامية.. واصطبغت بصبغتها اصطباغا كليا، حتى صارت ظاهرة اجتماعية بل إنسانية واسعة الانتشار، واستحالت -بفرض نفسها- موضوعا قابلا للبحث والدرس من مختلف الزوايا والاتجاهات والمناهج والعلوم..

ومبعث هذه الإطلالة البحثية رسالية المعلم الدينية والأخلاقية والقيمية والمهنية والاجتماعية والثقافية والوطنية.. تجاه الطلبة الذين يدرسهم طيلة مسار عام دراسي كامل مهما اختلفت مستوياتهم ومراحل تعليمهم. وهو المعلم الذي يتمتع معهم بمحاسن ومنافع الراحة في العطلة، وهو الذي يعيش معهم ويلقاهم في سائر الأيام، ويودعهم ويستقبلهم ويجلس إليهم، ويوصيهم ويمنيهم في الغدو والرواح.. ويكتشف فيهم عن قصد ودراية منحى التصاعد والتنازل المعرفي والإيماني الذي انتابهم خلال العطل والإجازات، وهو ما حصل معي وأنا أمارس -بكل رسالية مهنية- وظيفة المعلم الذي غادره طلابه بعد دراسة جادة ومثالية دامت سداسي كامل لقضاء سبعة عشر يوما كاملة بعيدا عن رحاب ومدرجات وأقسام ومكتبة الجامعة.

فتحولت تلك الأيام السبعة عشر بلياليها إلى ميدان بحث رقمي وإحصائي وتغييري.. فماذا أنجز أستاذ (منهجية البحث العلمي في العلوم الإسلامية) في مجال عمله الدعوي والعلمي الواقعي؟ وكيف حول المنهج العلمي والميداني ودراسة المضمون ومناهج الإحصاء إلى وسيلة للدعوة الإسلامية في حصة رسالية لا بد منها لكل مدرس توكل على مهنة الأنبياء والمرسلين؟ حتما إنه التساؤل الذي يجب أن يطرحه كل أستاذ على نفسه أولا ويحوله إلى طلابه ثانيا، ومفاده: كيف قضيتم أيام العطلة؟ وكيف تم تقسيمها؟ وما هو البرنامج الذي وضعتموه من أجل الانتفاع بمحاسنها؟ وما هو المنجز الكبير الذي حصلتموه وأنتم في مرحلة الكسب المعرفي والادخار العلمي؟ على حد ما ذهب إليه الإمام الماوردي (ت/ ٤٥٠هـ) في كتابه (أدب الدنيا والدين) عندما قسم حياة طالب العلم إلى أربع مراحل أساسية، هي: الحفظ والكسب، الادخار، الإنفاق، البذل للغير[1].

وكان السؤال محرجا أن تتحول المعارف النظرية في علوم المنهجية والبحث العلمي إلى معالجة دينية حقلها معارف التربية والتزكية ومراقبة ومحاسبة النفس، وأن تتحول أيضا تلك الأيام إلى أرقام وأعداد وحسابات واقعية عملية، وهي في أصلها كذلك، ولن تكون غير ذلك في قاموس الفرد المسلم، والأكثر حراجة لجماهير الطلاب أن يتحول العدد إلى برنامج محاسبة يومي، ينطلق أساسا من مصادر الشريعة الإسلامية الكبرى، حيث يصرح القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿.. فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ (الرعد: ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن

كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، وقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤)، وقوله تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ (المجادلة: ٦)، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ (الانشقاق: ٧-١٢).. ومن السنة النبوية المطهرة ممثلة في قوله عليه الصلاة والسلام الذي يرويه أبوبرزة نضلة بن عبيد الله الأسلمي رضي الله عنه: (لا تزول يوم القيامة قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن علمه فيما عمل فيه، وعن ماله من أين أخذه وفيما أنفقه؟)[٢].

ومن قوله ﷺ فيما يرويه عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه: (لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟)[٣].

وقد تحولت المسألة وتساؤلاتها الإشكالية إلى عملية حسابية وإلى برنامج عمل يومي مع تطبيقات الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ميزانه الضابط، الذي ألزم به نفسه ورعيته (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم -أنفسكم- قبل أن توزن عليكم)[٤]. وصارت السبعة عشر يوما وليلة أربعمئة وثماني ساعات بمعايير الشريعة الإسلامية. كما قسمت تلك الساعات وفق الجدول الآتي: تسع ساعات للنوم والراحة في اليوم، وتسع ساعات في اليوم للسعي والنشاط والكد والكسب، وست ساعات باقيات من اليوم وهي زهرته وريحانته وزبدة فائدته ومنفعته، فماذا فعلنا بها؟ وماذا أنجزنا فيها؟

وبمعادلة أخرى تتحول الساعات إلى الآتي:

١ – ٩ سا × ١٧ يوما = ١٥٣ ساعة للنوم والراحة.

٢ – ٩ سا × ١٧ يوما = ١٥٣ ساعة للسعي والكد والنشاط.

٣ – ٦ سا × ١٧ يوما = ١٠٢ ساعة خلاصة اليوم وزهرة شبابه وهو المعني به طالب العلم.

ومن خلال نتائج الأبحاث العلمية التي قامت في هذا المجال[٥]، فإن الطالب الجاد المتوسط القراءة، أي الذي يقرأ مئة وخمسين كلمة في الدقيقة، والذي يسطر ويضع برنامجا يوميا في حياته يمكنه أن يقرأ عشرين كتابا في هذه الساعات المقدرة بـ (١٠٢) ساعة على مدار سبعة عشر يوما، بحيث يحوي كل كتاب مئة وخمسين صفحة، ويتضمن (٢٧٦٥٠) كلمة، وبعملية حسابية فإن هذا الكتاب لن يأخذ من وقته سوى خمس ساعات فقط، وهكذا يستطيع أن يقرأ عشرين كتابا، فكيف به إذا احتسب عدد أيام الأسبوع بـ: (١٦٨) ساعة، وعدد ساعات الشهر (٧٦٨) ساعة، فلينظر كم سيقرأ في الشهر؟ وكم سيقرأ في السنة؟ وكم سيقرأ طوال عمره الذي يصل إلى السبعين أو الثمانين؟

ولكن النسبة الكبيرة من طلابي -للأسف- لم تستفد من العطلة في القراءة والمطالعة بالرغم من توصياتي الشديدة لهم قبل العطلة، إلا القليل منهم ممن هداهم الله لترسم طريق النور والهدى والرضوان، والآخرون صمتوا فأجبت عنهم بشكل تلقائي، وقلت لهم وأنا أعلم -والعالم هو الله وحده- بما يدور في البيوت: (طبعا لقد كنتم تبحرون في طمي الجاهلية العولمية الإلكترونية دون رقيب)، فصمتوا وتألمت.. وقلت في نفسي أين قاعدة الإصلاح؟

قاعدة ومنطلق الإصلاح

ولعلنا نترسم من القاعدة الأصولية التي ضبطها الخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبد العزيز (٣٩-١٠١هـ) عندما احتك المسلمون الفاتحون بالشعوب والأمم المفتوحة ووجدوا حياتهم مخالفة للفطرة والشريعة، وانداحوا للتماثل معهم في السكنى والتزاوج والمصاهرة والمعاملة والتبادل.. فقال قولته الشهيرة، التي صارت قاعدة أصولية محكمة: (تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور[٦])، أي: بمقدار ابتعادهم عن الشريعة والتحلي بمعالم الفطرة السوية ينحرفون وراء غي شهواتهم ورغبات أنفسهم التي ليس لها حد قاطع سوى العجز وشلل الجوارح المفضي إلى الموت.

ومن هذه القاعدة ننطلق إلى إنقاذ



ما يمكن إنقاذه ممن تبقى سليم الفطرة من أبنائنا، ممن نقدر على التحكم فيهم وهم في سن الطفولة البريئة، وذلك منذ سنيهم التربوية والتعليمية الأولى، وهم لم يتجاوزا بعد سن الخامسة عشرة من العمر، ففيها يمكن غراسة واستنبات العادات الحسنة فيهم إلى درجة التحكم. فإن تجاوزوها انفلت عقالهم من قيود التحكم والسيطرة، إلا بمقدار ما استزرعناه فيهم من خير سابق. وهنا وجب استثمار السنين الأولى من العمر وبرمجتهم وتكوينهم وتأطيرهم وتأديبهم وتعويدهم على الفضائل وجلائل الأعمال، ومنها التعود على ممارسة فعل القراءة المقدس، حتى يصير عادة مستحكمة فيهم. فينشأون على عادة المطالعة ليلا، وتكون آخر عهدهم وخلودهم للنوم.. وهي عادة يمكن التحكم فيها وغرسها في سلوكات وعادات الأطفال الصغار مع بذل جهد مقبول من الشرح والتوضيح والبناء المعرفي المتكامل، وتوفير البيئة الاجتماعية المناسبة، والمناخ الثقافي الملائم، وتوفير الظروف المعرفية الأسرية المساعدة، كوجود مكتبة بيتية، ووجود أبوين وإخوة يقرأون أيضا، وينتقلون من كتاب لآخر ويتبادلونه بينهم بعد أن يبينوا قيمة الحقائق الكامنة فيه. وتعويد أفراد الأسرة على زيارة المكتبة واقتناء الجديد لكل أفراد الأسرة بمن فيهم الأطفال الصغار، والاحتفاء بالكتب والمؤلفات الجديدة، وانتظار وترقب صدورها، والسؤال والبحث عنها في المكتبات، ومعرفة أسباب تأخرها عن النزول إلى رفوف المكتبات، وإجراء المناقشات والحوارات في البيت على كتاب مثير، أو مؤلف متميز، أو قضية مهمة أو مصيرية.. وشهود المعارض والمناسبات والفعاليات العلمية والثقافية والفكرية، وحضور الندوات والمؤتمرات والملتقيات والأيام التكوينية والدراسية والثقافية وشهود مناقشات الرسائل العلمية والدروس المسجدية اليومية والأسبوعية.. ونحوها، فضلا عن ابتكار كل أم وأب مسلم لطريقة مناسبة لهم في الأسرة انطلاقا من هذه التجربة الأسرية الناجحة، وننقذ أبناءنا من جحيم العولمة والانفلات، ونسعفهم من لظى الجاهلية الإلكترونية وشقيقاتها.. فانتبهوا أيها الآباء وأنقذوا أنفسكم وأبناءكم والأجيال المسلمة من الجاهلية الإلكترونية بكل ما تستطيعون.

الهوامش

١- انظر: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، مؤسسة ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، (ص: ٦٦).

٢- أخرجه ابن حبان والترمذي والطبراني، برقم: (١١١٧٧).

٣- أخرجه الترمذي والطبراني وأبو يعلى، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: (٩٤٦).

٤- أول من نسبها للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحافظ ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ص: ٢٢) والإمام أحمد بن حنبل في الزهد (ص: ١٢٠) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥٢/١) وغيرهم.

٥- انظر: أحمد محمود عيساوي (حي ١٤٤١هـ ٢٠٢٠م)، التغيير بالقراءة، سلسلة روافد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الإصدار ٧٧، صفر ١٤٣٥هـ يناير ٢٠١٤م، (ص: ١٢٩-١٤٤)، أحمد محمود عيساوي، الدافعية للقراءة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، (ص: ١٣٠-١٤٠).

٦- أول من نسبها للخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبد العزيز، أبو زيد القيرواني (ت: ٣٨٦هـ)، وابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) ناقلا إياها عن الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ) في شرح صحيح البخاري (٢٣٢/٨)، وابن حجر العسقلاني في فتح الباري (١٣/ ١٤٤) وغيرهم.

د. خالد صلاح حنفي محمود
أستاذ بجامعة الإسكندرية



المساندة الاجتماعية للطفل



مع تعقد الحياة اليومية، وتطورها السريع، وزيادة مطالبها، يواجه الإنسان في هذا العصر الذي أطلق عليه عصر الضغوط، عديدا من المواقف والأحداث اليومية الضاغطة التي تمثل تهديدا لتوازنه النفسي وتزيد من قلقه، وتوتره وعدم رضاه عن وضعه الحالي، مما زاد من تعقيد أسلوب حياة الأفراد، الأمر الذي نتج عنه ظهور توترات نفسية لديهم، انعكست سلبا على إنتاجهم وشعورهم بالإحباط نتيجة عجزهم عن التكيف مع المتغيرات السابقة.

ومن هنا اتجهت الأبحاث والدراسات النفسية إلى أساليب مواجهة الضغوط الانفعالية وتحقيق الرضا عن الحياة، وبرز مفهوم المساندة الاجتماعية وصورها المختلفة لمواجهة تلك الضغوط.

ويقصد بالمساندة الاجتماعية «الدعم الانفعالي والمادي والأدائي الذي يتلقاه الفرد من قبل الآخرين المحيطين به - الأسرة، الأصدقاء، الجيران، زملاء العمل أو الفصل- ومدى قدرة الفرد على تقبل وإدراك هذا الدعم».

وقد نال هذا المفهوم الكثير من الاهتمام والعناية من قبل الباحثين اعتمادا على مسلمة مؤداها أن «المساندة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد من خلال الجماعات التي ينتمي إليها: كالأسرة، الأصدقاء، والزملاء في العمل أو المدرسة أو النادي تقوم بدور كبير في خفض الآثار السلبية للأحداث والمواقف السيئة التي يتعرض لها، وهي مؤشر هام من مؤشرات الصحة النفسية ومتغير وسيط مخفف من الآثار السلبية الناتجة عن ارتفاع مستوى الضغوط والتي تتمثل في القلق، والاكتئاب، والتوتر، والوحدة، كما أن العلاقات الاجتماعية قد تكون مصدرا للسعادة في حد ذاتها كما أوضح العالم النفسي الشهير «مايكل أرجايل» في كتابه سيكولوجية السعادة.

كما تلعب المساندة الاجتماعية دورا هاما في تعديل العلاقة بين إدراك أحداث الحياة الضاغطة والأعراض السيكوباثولوجية عامة وأعراض الاكتئاب خاصة، فهي لا تخفف من وقع هذه الضغوط فحسب، ولكن



قد يكون لها آثار واقية من أثر هذه الضغوط. كذلك تلعب المساندة الاجتماعية دورا هاما في الشفاء من الاضطرابات النفسية، وتسهم في التوافق الإيجابي والنمو الشخصي للفرد، وللمساندة الاجتماعية أهميتها في الحياة المدرسية من أجل التكيف وزيادة الدافعية والقدرة على الإنجاز الأكاديمي والوصول إلى الأهداف المرجوة.

وتعد المساندة الاجتماعية مصدرا مهما من مصادر الدعم النفسي والاجتماعي الفاعل الذي يحتاجه الإنسان، إذ يساهم حجم المساندة الاجتماعية ومستوى الرضا عنها في تحديد كيفية مواجهة الفرد لأحداث الحياة الضاغطة بجميع أشكالها وكيفية تعامله مع هذه الأحداث وأساليب مواجهتها، كما تقدم المساندة النفسية دورا مهما في إشباع الحاجة إلى الأمن النفسي، وخفض مستوى المعاناة النفسية الناتجة عن شدة هذه الأحداث الضاغطة.

وتؤكد الدراسات أن المساندة المقدمة عن طريق العلاقات الاجتماعية وتعلم المهارات الاجتماعية من العوامل

المهمة التي تقي الفرد من العديد من الاضطرابات النفسية، والتي قد تتمثل في القلق والاكتئاب والشعور بالوحدة النفسية.

وتزيد المساندة الاجتماعية من قدرة الفرد على مقاومة الإحباط، فهي تسهم في توفير الراحة النفسية، وتؤدي دورا أساسيا في الشفاء من الاضطرابات النفسية كالقلق، والاكتئاب، والوحدة النفسية، كما تلعب دورا في التوافق الإيجابي والنمو الشخصي للفرد، وكذلك تقي الفرد من الآثار الناتجة عن الأحداث الضاغطة، وتخفف من حدة هذه الآثار.

وتؤدي المساندة الاجتماعية دورا مهما لاستمرار الإنسان وبقائه، وهي التي تعزز كيان الفرد من خلال إحساسه بالمساندة والدعم من المحيطين به، وبالتقدير والاحترام من الجماعة التي ينتمي إليها والشعور بالانتماء والتوافق مع المعايير الاجتماعية داخل مجتمعه، وهي التي تساعده أيضا على مواجهة أحداث الحياة الضاغطة بأساليب إيجابية فاعلة، وتدعم احتفاظ الفرد بالصحة النفسية والعقلية، وتمنحه الرعاية والتشجيع، والنصح والمساعدة في جميع مواقف حياته، مع إشباع حاجاته الأساسية في الحب والقبول، والشعور بالأمان.

أنماط المساندة الاجتماعية

للمساندة أنماط متعددة، فقد أوضح هاوس House (١٩٨١م) وحسب الله (١٩٩٦م) أن هناك أربعة أنماط رئيسية للمساندة الاجتماعية هي: المساندة الانفعالية التي تنطوي على الرعاية والثقة والقبول؛ والمساندة المعلوماتية التي تنطوي على إعطاء معلومات أو تعليم مهارة تؤدي إلى حل مشكلة أو موقف ضاغط؛ والمساندة الأدائية أو بالفعل التي تنطوي على المساعدة في العمل والمساعدة بالمال؛ ومساندة التقدير التي تتضمن إظهار التقدير للشخص نتيجة عمل ما.

وظائف المساندة الاجتماعية

للمساندة الاجتماعية وظائف متعددة، فهي تسهم في توفير الراحة النفسية، حيث أن التفاعل الاجتماعي المساند يولد درجة من المشاعر الإيجابية التي تحقق الصحة النفسية وتخفف المعاناة من بعض الاضطرابات النفسية كالقلق، والاكتئاب، والوحدة النفسية، كما أن لها وظيفة نمائية عندما يكون لدى الفرد شبكة من العلاقات الاجتماعية الحميمة التي تساعده على تحقيق التوافق الإيجابي، ولها وظيفة وقائية في مساعدة الفرد على مواجهة الأحداث الخارجية التي يدركها على أنها شاقة وتمثل ضغوط عليه. (مايكل أرجايل، ١٩٩٣م).

وللمساندة الاجتماعية أهميتها في الحياة المدرسية من أجل التكيف في البيئة المدرسية، وزيادة الدافعية والقدرة على التحصيل والرغبة في الإنجاز والوصول إلى الاهداف المرجوة، حيث أوضحت الدراسات الحديثة وجود علاقة ارتباطية بين المساندة الاجتماعية والدافع إلى الإنجاز أو الدافع إلى التحصيل الدراسي، وأن انخفاض مستوى المساندة من شأنه أن يؤدي إلى انخفاض في مستوى التحصيل.

دور الأسرة

للأسرة دور كبير في دعم أبنائها منذ مراحل الطفولة المبكرة، إذ تمثل شبكة من العلاقات الإنسانية والاجتماعية، وينشأ الطفل في هذه المنظومة معتمدا عليها اعتمادا كاملا في سنوات حياته الأولى، وهي السنوات لها أهمية البالغة في صقل شخصيته، وتنمية قدراته، كما يتأثر بالعديد من المشاعر والعواطف ويتعلم كيفية التعبير عنها أو كبتها كمشاعر الحب والغضب، والحزن، ومصادر المساندة الاجتماعية التي تمنحها الأسرة سواء أكانت مادية أم معنوية أم تربوية تتوقف إلى حد كبير على أمور عدة أهمها: ثقافة الوالدين وثقافة البيئة المحيطة، والضغوط التي تواجهها الأسرة، وطبيعة المناخ الأسري. ويشير علماء النفس إلى أن الفرد الذي ينشأ وسط أسرة مترابطة تسودها المودة والألفة يصبح قادرا على تحمل المسؤولية بصورة أفضل، وتصبح لديه مهارات وصفات قيادية.

دور جماعة الرفاق

فمساندة الأصدقاء لبعضهم البعض وقت الشدة، ووقوفهم إلى جانب بعضهم فيما يواجهونه من ظروف وتحديات تحتاج إلى تضافر الجهود، تؤدي إلى زيادة الثقة بالنفس والثقة بالآخرين، وتحافظ على مقومات الصداقة، والمودة من التفكك، والانهيار، وتنمى مشاعر المشاركة مع الآخرين، وبالتالي إشباع حاجات انتمائه مع البيئة المحيطة وتخفف

من الآثار النفسية السلبية.

دور المجتمع

للمجتمع دور مهم في تقديم المساندة الاجتماعية بأنواعها المادية والمعنوية وبصورة أقوى مما تقدمه الأسرة أو الأصدقاء، نظرا للقوى الاجتماعية والاقتصادية التي يتمتع بها.

فالعلاقات الاجتماعية تعد من أهم مصادر المساندة الاجتماعية، والحماية من تأثير الضغوط المختلفة بحيث تشكل للفرد درعا واقية من الانحرافات والعزلة، مما يجعله يعيش مطمئنا هادئ النفس، كما تساعده أن يكون شخصا فاعلا ومنتجا في المجتمع فالمساندة التي يتلقاها الفرد من الآخرين، ترتبط بالصحة والاستقرار النفسي والاجتماعي، وهي تتكون من علاقات اجتماعية متميزة، تتمثل في المودة، والصداقة، الحميمة، والانسجام والتكامل، واحترام الفرد، وتقديم المساعدة المادية والعاطفية له. وكلما كانت لدى الأفراد علاقات اجتماعية قوية مع الآخرين ومبنية على التفاعل الإيجابي فإنهم يكونون أفضل من الناحية النفسية من أولئك الذين يفتقرون إلى مثل هذه العلاقات، فهذه العلاقات تسهم في التوافق الإيجابي، والنمو الشخصي للفرد، والراحة النفسية، والتخفيف من بعض الاضطرابات، كالقلق والاكتئاب والوحدة النفسية.

استراتيجيات

أولا الاستراتيجيات الإيجابية: وهي تلك التي يوظفها الفرد للتغلب على الضغوط الحياتية وتجاوز آثارها، من خلال الأساليب الإيجابية الآتية:

التحليل المنطقي للموقف الضاغط بغية فهمه والتهيؤ الذهني له.

البحث عن معلومات وبدائل متعلقة بالموقف الضاغط.

ثانيا الاستراتيجيات السلبية: وهي تلك التي يوظفها الفرد في تجنب الأزمة، والإحجام عن التفكير فيها، من خلال الأساليب السلبية الآتية:

الإحجام المعرفي لتجنب التفكير الواقعي والممكن في الأزمة.

الاستسلام للموقف الضاغط وترويض النفس على تقبله.

البحث عن البدائل عن طريق الاشتراك في أنشطة بديلة ومحاولة الاندماج فيها بغية توليد مصادر جديدة للإشباع، والتكيف بعيدا عن مواجهة الضغوط الحياتية.

وهكذا فإن للمساندة الاجتماعية والمساندة النفسية والعلاقات الاجتماعية دورا أساسيا في حياة الفرد، فهي تساعده على مواجهة الضغوط والأزمات، وتجعله أكثر قدرة على تحملها ومواجهتها بصورة سليمة، وتعزز لديه الثقة بالنفس وتدعم التماسك الاجتماعي، ولا يعد وجود المساندة الاجتماعية شيئا مهما، ولكن الأهم منه هو رضا الفرد عن هذه المساندة.

ماذا يمكن أن نفعل لدعم المساندة الاجتماعية للطفل؟

١- لا بد أن يهتم الآباء والأمهات في توجيه الاهتمام بتقوية شبكة العلاقات الاجتماعية الفعالة للطفل، والتوازن في تقديم كافة أشكال الدعم الأسري بصوره المختلفة للطفل، وعدم التركيز على الدعم المادي فقط أو الأسري فقط، بل لا بد من التوازن بين الاثنين.

٢- بث برامج اعلامية إرشادية موجهة للآباء بغرض التأكيد على الدور الإيجابي لمساندة الآباء للأبناء.

٣- التخطيط لبرامج إرشادية من قبل المهتمين في مجال التربية وعلم النفس بهدف تقديم العون للأطفال الذين يعانون من اضطرابات نفسية لفقدانهم المساندة سواء من قبل الأسرة أو من قبل النظراء.

٤- تنمية روح التعاون بين الأطفال والتلاميذ منذ الصغر بدلا من تنمية روح التنافس والصراع على التفوق الدراسي أو الأكاديمي.

٥- العمل على تنمية الثقة بين الأطفال سواء في أنفسهم أو فيمن حولهم، وتنمية الدافع للإنجاز لديهم.

٦- شغل أوقات الفراغ للأطفال من خلال الأنشطة والبرامج الهادفة المشبعة لاحتياجاتهم والتي تتناسب مع ميولهم واهتماماتهم.

٧- دراسة المشكلات التي يعاني منها الأطفال والعمل على حلها لتجنبهم التعرض للاضطرابات النفسية.

٨- دراسة الأساليب الإرشادية المناسبة التي تدفع الأطفال إلى تكوين اتجاه إيجابي نحو ذاتهم بما يساعدهم على تحقيق قدر كاف من الصحة النفسية.

المراجع

١- أسماء السرسي، وأماني عبد المقصود (٢٠٠١م): المساندة الاجتماعية كما يدركها المراهقين وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية، جامعة الملك عبد العزيز.

٢- عامر أحمد السويداني (٢٠١٨م): المساندة الاجتماعية في مواجهة الضغوط الحياتية، مجلة العربي، العدد: (٧١٣)، (ص ١٦٦-١٦٩).

مايكل أرجايل (١٩٩٣م). سيكولوجية السعادة، ترجمة: فيصل عبد القادر يونس، مراجعة: عدنان الشطي، مجلة العلوم الاجتماعية، (مج ٢٤، ع ٣، ص ص ٢٤٧-٢٥٠).

٣- مروى محمد شحته (٢٠١٢م): مقياس إدراك المساندة الاجتماعية لدى المسنين، مجلة رابطة التربويين العرب، (ع (٣٠)، ج(١)، ص ١٤١- ١٥٣).



عثمان إسماعيل محمد حسين
باحث تربوي

أبناؤنا والتفوق الدراسي.. الطريق والثمار

من أسعد اللحظات التي يعيشها الوالدان خاصة وأفراد الأسرة عامة أن يروا التفوق الدراسي وقد حل على الأسرة ضيفا تحوطه نشوة الفرحة والتهاني والتبريكات والجميع يشتم عبق الزهو والفخر بأبنائهم وقد رفعوا رؤوسهم تباهيا وتفاخرا بفلذات أكبادهم الذين عانوا ما عانوا وتحملوا ما تحملوا في سبيل نيل شرف تلك اللحظة.. لحظة جنى الثمار واعتراف التاريخ بهم وبطريقهم المثمر في حياتهم.

والتفوق الدراسي مزيج بين القدرات والصناعة، فالصناعة تعني خلق وإيجاد هوية التفوق، أما القدرات فتعني وسائل تفعيل وتحقيق العوامل التي من أجلها نيل وأحرز هذا التفوق الذي هو حلم كل أسرة وأمنية كل دارس وطريق كل مجتهد.

ومن المؤكد أن التفوق الدراسي يكاد يكون من أصعب صنوف التفوق في الحياة عامة وذلك لتعدد أبعاده ودعائمه وما يحتاجه من وسائل مساعدة في غاية اللزوم والأهمية تعتمد في معظمها على الجانب المعنوي حيث تتطلب الدقة البالغة والإرادة القوية الصارمة في تنفيذها.

❖ ومن أجل أن يعيش أبناؤنا تلك اللحظات الفارقة في حياتهم.. لحظات التفوق والفخر بأنفسهم عليهم أن يضعوا نصب أعينهم

بعضا من الأسس والعوامل التي تثبت ممارستها نتائج مبصرة لتحقيق هوية التفوق الدراسي ومنها:

❖ الإيمان بالله عزوجل إيمانا مطلقا بأن كل ما يجنيه الإنسان مقدر ومكتوب ولكن ما على الإنسان إلا العمل والاجتهاد قانعا ذاته عما يبذله من جهد وكد وتعب فبقدر الجهد تكون الثمار اليانعة ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (النجم:٣٩).

واليقين التام بأن التوفيق بيد الله متوكلين عليه حق التوكل نية وعملا ويقينا.

❖ المواظبة على استمرارية التعلق بالله عزوجل عبادة وطاعة، ومنها المحافظة على تأدية الصلوات الخمس على وقتها وقراءة ما تيسر من القرآن الكريم يوميا كتهيئة روحية وروحانية للاستيعاب المعرفي وخلق القدرة النفسية على الاستعداد للإلمام بما يتلقى العقل من الفهم والادراك والاستيعاب.

❖ أن يتميز أبناؤنا بصفة «الطموح» متشبعين بها لأنه الباعث والدافع والشعلة التي تضيء طريق كل هدف مراد تحقيقه وهو الدافع المعنوي وراء تحقيق كل ما تصبو إليه النفس من آمال وأحلام، فالطموح سمة الدارس المتطلع إلى رسم مستقبل أفضل يتمناه ويأمله وبدونه لا قيمة للإنسان ولا معنى للحياة.

❖ أن يحدد أبناؤنا هدفهم الذي يبغونه في حياتهم وألا يلقوا بأنفسهم في دائرة الصراعات والاختيارات ومآزق الحيرة والتحير ملزمين ذاتهم بوجود التكيف النفسي إزاء ما يتمنونه وأن تستريح أنفسهم لما يأملونه في حياتهم دون ضغوط من الغير وسيطرة رأى من الآخرين.

❖ أن يستقل أبناؤنا بشخصياتهم في تحقيق ذاتهم مراعين قدراتهم وميولهم بعيدا عن أية مؤثرات من حولهم معتزين بأنفسهم متمسكين برأيهم ووجهة نظرهم في رسم صورة مستقبلهم وحياتهم كما يريدون، راضين كل الرضا عما يسلكون من طريق قانعين كل الاقتناع بما يجنون من ثمار.

❖ على الأبناء أن يدركوا ويتفهموا أن التفوق يلزمه «استثمار الوقت وتنظيمه وتقسيمه» وألا يهدروا ذلك الوقت فيما لا ينفعهم وأن يحرصوا كل الحرص على أن يستفيدوا من اليوم الواحد تنظيما وتخطيطا وتفعيلا ولا مانع من وضع خطة يومية وأسبوعية وشهرية مما يلزم ذلك قوة الإرادة والتصميم والعزيمة في تحقيقه وتنفيذه.

❖ أن يتعود الأبناء على التفوق منذ إلحاقهم بالتعليم خاصة في مراحله الأولى وأن يضعوا في الحسبان أن الدرجة الواحدة لها قيمتها ونصف الدرجة له أهمية، فكلاهما مصير ومستقبل وحياة وبذلك تستمر هوية التفوق ملازمة لهم.

❖ ومن الأفضل أن يراعي أبناؤنا «التوازن في الاستيعاب بين فروع العلوم المختلفة» فلا يجب أن يكون الاهتمام بفرع على حساب فرع آخر مما يؤدي الى خلل في الإلمام لكن التوازن يؤدي إلى إيجابية السيطرة على فهم سائر العلوم المقررة وإتقان استيعابها وبث روح الاطمئنان والطمأنينة في النفس على المستوى العلمي عامة.

❖ ولا ينسى أبناؤنا أن يضعوا نصب أعينهم عامل «القدوة» كعنصر مساعد وهام في تحقيق التفوق، فاتخاذ المثل الأعلى والقدوة ضرورة تربوية نفسية حتمية وحافز معنوي لتحقيق التفوق وكحافز فعلى مؤثر من باب الغيرة المحمودة.

❖ ولا يتجاهل أبناؤنا الترفيه بين وقت وآخر ليستريح العقل وتهدأ الأعصاب وتلتقط الأنفاس تجنبا للملل والسأم والرتابة وتجديد الإرادة والعزيمة والإصرار مرة أخرى، فلا مانع من تخصيص يوم من كل أسبوع يمارس فيه أبناؤنا هواياتهم وألعابهم وألوان مرحهم المختلفة بعده يقبلون على دراستهم بشغف ونهم شديدين واستيعاب وفهم وتحصيل له نتائجه المثمرة.

❖ ويبقى الدور المحوري في خلق هوية التفوق الدراسي وهو الدور الأسرى المتمثل في «الوالدين» حيث يقع عليهما العبء الأكبر في الرعاية والاهتمام ودقة المراقبة والملاحظة والتشجيع والتوجيه والإرشاد وتقديم العون المادي والمعنوي الدائمين للأبناء.

❖ إن التفوق الدراسي له لذته ومذاقه وفرحته التي لا تعادلها فرحة بأي شيء آخر ذلك لأنه هو المفتاح الآمن لحياة كريمة يتلذذ بها الإنسان ويعيشها مستقبلا، وإثبات ذات يعتز بها صاحبها راضيا عنها قنوعا بها، إن لحظة التفوق يكتبها التاريخ بمداد من ذهب على صفحاته وتبقى زهوا وفخرا وتخليدا لا تجرؤ ولا تستطيع محوها الأزمان والدهور.



كريمة بداوي
باحثة دراسات إسلامية

المسلمون في الغرب وفقه الرخص الشرعية

مسائل عديدة يطرحها المسلمون اليوم في بلاد الغرب تتعلق بمعاشهم وعباداتهم، ظروفهم وأحوالهم، لها من الخصوصية ما يجعل أغلب السائلين منهم يرغب في الحصول على رخص شرعية، تبيح لهم المحظور وتيسر عليهم الشاق الممنوع، غير أن الكثير منهم يجهل مفهوم الرخصة الشرعية وحكمها، كذا موجباتها وضوابطها، وفي غياب الفهم الحقيقي المستند إلى العلم الشرعي، تتضارب الآراء والفتاوى، خاصة إذا توجه السائل إلى من لا يملك عدة فقهية كافية، أو انتقل في أسئلته من جهة إلى أخرى، وبين الإباحة والمنع يقع المستفتي في الحيرة والتردد، وهو ما ينافي مقصد الشريعة الإسلامية التي جعلت للمكلف من كل ضيق مخرجا، ولكل إشكال جوابا ومنفذا.

وتنحصر أهم الأسباب التي تدعو الجالية المسلمة أو المسلمين عموما في البلاد الغربية إلى البحث عن رخص ومخارج في:

١- طبيعة الحياة الغربية:

التي تفرض على الفرد مسايرتها خاصة إذا تعلق الأمر بالطلبة المسلمين أو العمال المداومين، الذين لا يجدون في الغالب وقتا كافيا أو مكانا مناسبا لأداء الصلوات المفروضة أو صلاة الجماعة، أو يضطرون للتعامل مع المصارف، وعقود التأمين، أو العمل في متاجر تقدم محرمات كالخمر والخنزير، أو إلى غير ذلك من المسائل، التي يخضع المسلم بموجبها لأحكام وقوانين الدول الغربية كالبيوع والعقود، والنكاح والطلاق والميراث إلى غير ذلك.

٢- الحوادث والمستجدات:

كمسألة منع الحجاب أثناء الدراسة أو العمل، ومسائل منع المسلمين في بعض الدول الغربية من ذبح الأضاحي، أو رفع الأذان، أو إظهار سنن وشعائر الإسلام.

٣- ظروف وأحوال خاصة:

فلا يخضع جميع من يعيش في بلاد الغرب إلى نفس الأحكام في مسائل الرخص، بل إن منهم من تعتبر ظروفه وأحواله خاصة ومنهم من لا تعتبر. لذا فمن الضرورة بمكان رفع اللبس عن هذا الموضوع بمزيد من البيان نبدأه بتعريف الرخصة..

الرخصة لغة: راجعة إلى معنى اللين والسهولة ومنه الرخص ضد الغلاء.

اصطلاحا: تطلق على ما وضع عن هذه الأمة من التكاليف الشاقة والأعمال العسيرة، وعلى ما كان من المشروعات توسعة على العباد مطلقا.

ويقابلها العزيمة: وهي ما شرع من الأحكام الكلية ابتداء، ومعنى كونها كلية أنها لا تختص ببعض المكلفين دون بعض، ولا ببعض الأحوال دون بعض كالصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد، وأحكام البيوع والجنايات، وسائر شعائر الإسلام الكلية.

ومعنى شرعيتها ابتداء: أن يكون قصد الشارع بها إنشاء الأحكام التكليفية على العباد أول الأمر.

أما الرخصة فما شرع لعذر شاق، استثناه الشارع من أصل كلي يقتضي المنع مع الاقتصار على موضع الحاجة فيه.

فشروط تحقق الرخصة هي:

١- وجود العذر.

٢- كونه شاقا.

٣- أن الرخصة مستثناة من أصل كلي يقتضي المنع.

٤- الاقتصار في الترخيص على موضع الحاجة دون غيره.

أما الشرط الأول: فليس له ضابط أو حد مطرد، بل يختلف العذر



بحسب المكلف، والأحوال والأزمان، وكذا طبيعة الأعمال، فليس سفر الإنسان في أيامنا هذه كالسفر في الأزمنة السابقة، وكذلك الصبر على الشدائد والمشقات، يختلف من إنسان لآخر، ويختلف أيضا باختلاف قوة النفوس ومجاهدتها، لذلك أقام الشارع في جملة من الرخص السبب مقام العلة، فجعل السفر سببا للقصر والإفطار، ولم يجعل المشقة، وترك الكثير من الأسباب موكولة إلى الاجتهاد.

الشرط الثاني كون العذر شاقا: فإذا كان العذر لمجرد الحاجة من غير مشقة، فلا يسمى رخصة، وإنما يدخل هذا تحت أصل الحاجيات، وهو باب آخر غير باب الرخص، وبذلك لا تعد بعض المسائل المطروحة للاستفتاء رخصا، لأنها لا تصل إلى مرتبة المشقة، ولا يقال باشتراط القطع واليقين في المشقة، بل يكفي أن يظن الإنسان وقوعها، من غير توهم أو تخيل.

الشرط الثالث الاستثناء: فالرخص ليست مشروعة ابتداء، بل هي أحكام عارضة واستثنائية.

الشرط الرابع الاقتصار على موضع الحاجة: فشرعية الرخص جزئية، فعلى سبيل المثال، الحاضر إذا انقطع سفره، وجب عليه الرجوع إلى الأصل من إتمام الصلاة وإلزام الصوم، فكذلك جميع مسائل الرخص، وبهذا تفترق عن الأحكام التي تشبه الرخصة، وليست في حقيقة الأمر رخصا، لأنها مشروعة وإن زال العذر، كشرعية القرض والسلم والمساقاة.

حكم الرخصة: الإباحة مطلقا، وقد ترخص – عليه الصلاة والسلام – بأنواع من الرخص وهو القائل: إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه.. وفي الصحيح: خذوا من العمل ما تطيقون فإن الله لن يمل حتى تملوا.

محاذير ينبغي اجتنابها في مسائل الرخص

لما كانت المشقة التي هي مظنة التخفيف، ترجع إلى نظر المكلف، وكان فقيه نفسه في هذا المجال، لأن الفقيه والمجتهد قد يصعب عليه تقدير حقيقة المشقة وحجمها، بالنسبة للمستفتي فهي أمر باطن لا يقدره غير صاحبه إلا أن يكون عليها دليل في الظاهر، كان لزاما علينا أن نحذر من اتباع أهواء النفوس المفضية إلى المفاسد، فهناك من الناس في بلاد الغرب، من تحلو له مفاتن الحياة ومباهجها فيستزيد من ملذاتها المادية، ويتعلل في نهاية المطاف



بمشقة الامتثال لأحكام الشرع، باحثا عن الرخص لاقتناص أغراضه، وقد ذم الله تعالى من اعتذر بأهواء النفس ليترخص كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ..﴾ (التوبة:٤٩).

الحذر من زلة العالم

وأكثر ما تكون عند الغفلة عن اعتبار مقاصد الشرع في الاجتهاد، وهو إن كان على غير قصد ولا تعمد، فصاحبه معذور مأجور، لكن ينبني على اعتمادها وتقليدها خطر ومفسدة، لذلك فلا ينبغي الاستدلال برخص تبين للمسلمين اليوم عن طريق المجامع الفقهية المعتمدة عدم شرعيتها.

وقد يتساءل البعض عن تعارض الأخذ بالعزيمة والرخصة في المسألة الواحدة، والجواب كما يقرره الإمام الشاطبي -رحمه الله-: إذا كان أصل العزيمة حقيقيا ثابتا فالرجوع إلى أصل العزيمة حق، والرجوع إلى الرخصة ينظر فيه بحسب كل شخص وبحسب كل عارض، هذا إذا لم يأت دليل من الخارج يدل على اعتبار الرخصة والتخفيف.

وفي الختام نقول إن الأدلة على رفع الحرج عن هذه الأمة عديدة، يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨)، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥). ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ (سورة النساء:٢٨).

والشريعة الإسلامية هي الحنيفية السمحة، أنزلها الله سبحانه وتعالى رحمة بالعباد، لذا ينبغي على الفقهاء والمفتين التزام منهج التيسير ورفع الحرج، خاصة بالنسبة للناشئة الملتزمين بأحكام الدين في بيئة علمانية غربية أو المسلمين الحديثي العهد بالإسلام، فقد يؤدي ترك الترخص مع وجود أسبابه إلى الانقطاع عن العمل والتنفير والعجز عن الامتثال لأوامر الشرع ونواهيه وهو خلاف مقصود الشارع.

المصادر:

المواقفات - الإمام الشاطبي.
إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك - الونشريسي.

فهد الشمري
صحافي وباحث



فقدته الأمة الإسلامية.. عالما جليلا وقاضيا مهيبا

سماحة الشيخ اللحيدان في ذمة الله

فقدت الأمة الإسلامية عالما من علمائها الأجلاء، هو سماحة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان (١٩٣٢ - ٥ يناير ٢٠٢٢م) تقبله الله في واسع رحمته، وجزاه عنا خير الجزاء، لما قدم من علم سيظل -إن شاء الله- نبراسا للأجيال، جيلا بعد جيل.

والشيخ اللحيدان -لمن لا يعرفه- هو عالم شريعة وداعية، وإمام وخطيب سعودي، شغل حتى عام: (٢٠٠٩م) منصب رئيس المجلس الأعلى للقضاء، ويعتبر منذ عام: (١٩٩٢م) المتنفذ الأول في المجلس الأعلى للقضاء.

ولد الشيخ اللحيدان في مدينة البكيرية في منطقة القصيم عام: (١٩٣١م)، وتخرج في كلية الشريعة بالرياض عام: (١٩٥٩م)، وعمل سكرتيرا وملازما قضائيا للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية السابق في الإفتاء بعد تخرجه، إلى أن عين عام: (١٩٦٣م) مساعدا لرئيس المحكمة الكبرى في الرياض، ثم صار رئيسا للمحكمة عام: (١٩٦٤م).

حصل على رسالة الماجستير من المعهد العالي للقضاء عام: (١٩٦٩م)، واستمر رئيسا للمحكمة الكبرى إلى أن عين عام: (١٩٧٠م) قاضي تمييز وعضوا في الهيئة القضائية العليا.

وعين في عام: (١٩٨٢م) رئيسا للهيئة الدائمة في مجلس القضاء الأعلى، واستمر في ذلك نائبا لرئيس المجلس في غيابه، إلى أن عين عام: (١٩٩٢م) رئيسا للمجلس في الهيئة العامة والدائمة.

وهو أيضا عضو في هيئة كبار العلماء منذ إنشائها عام: (١٩٧١م) وعضو في رابطة العالم الإسلامي، وكان له نشاط في مجلة: (الراية الإسلامية) ومديرها ورئيس تحريرها، وله دروس في المسجد الحرام تذاع، وفتاوى في برنامج: (نور على الدرب)، وله محاضرات وندوات ومشاركة في مناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه، نُحي من رئاسة القضاء العدلي عام: (١٤٣٠هـ).

ومن مؤلفات الشيخ اللحيدان: (شرح القواعد الأربع)، و(فضل دعوة محمد بن عبد الوهاب)، و(إيضاح الدلالة في وجوب الحذر من أصحاب الضلالة)، و(شرح حديث معاذ: حق الله على عبيده).



وفي يوم الأربعاء (٢ جمادى الآخرة ١٤٤٣هـ) الموافق (٥ يناير ٢٠٢٢م) توفى الله الشيخ الجليل عن عمر ناهز (٩٠) عاما بعد معاناة مع المرض، وكان قد تعرض قبل أسابيع من وفاته لوعكة صحية دخل على إثرها المستشفى.

وقد نشرت أسرة اللحيدان تغريدة على موقع تويتر جاء فيها: إنا لله وإنا إليه راجعون، أحسن الله عزاءنا وعزاء الأمة الإسلامية في وفاة شيخنا ووالدنا صالح بن محمد اللحيدان، رحمه الله رحمة واسعة، وأقيمت الصلاة على شيخنا بعد صلاة العصر من ذلك اليوم بجامع الراجحي بالرياض، فإنا لله وإنا إليه راجعون.



المطيري في مقر المجلة الجديد

المكتبة درة «الوعي الإسلامي»



الوكيل المساعد لشؤون الإعلام يتوسط رئيس التحرير والمراقب المالي والإداري



لقاء جمع الوكيل المساعد لشؤون الإعلام مع مسؤولي مجلة الوعي الإسلامي

في جولة تفقدية زار وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد للإعلام والعلاقات الخارجية محمد ناصر المطيري مقر مجلة «الوعي الإسلامي» الجديد لمتابعة سير العمل، وخلال هذه الزيارة افتتح المطيري مكتبة «الوعي الإسلامي».

وتعد المكتبة بمنزلة الأيقونة للمجلة لما تحويه من كتب في مختلف المجالات التراثية والمعاصرة، كما تحتوي المكتبة على جملة من الموسوعات العلمية والأدبية منها موسوعة الحضارة الإسلامية وموسوعة الغد والموسوعة العربية الميسرة ودائرة المعارف الإسلامية وموسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة والكويت للتقدم العلمي والموسوعة الفقهية.

كما تشتمل مكتبة «الوعي الإسلامي» على جملة من المجلات التراثية منها الرسالة والثقافة والهلال وحضارة الإسلام والمسلم المعاصر والبحوث الإسلامية والأزهر والمنار والمورد والشهاب والمشرق والمقتطف والاقتصاد الإسلامي والشباب والكتاب العربي وغيرها.

وتضم المكتبة بين دفتيها جملة من الحوليات منها حولية كلية الدراسات الإسلامية، ومجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ومجلة كلية الشريعة بالمغرب وغيرها.

وقد حصلت المجلة على العديد من الدروع لمساهمتها في كثير من المناسبات الثقافية والعلمية منها المشاركة في معرض الإصدارات الثالث لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عام: (٢٠١١م)، وفي معرض الكتاب عام: (٢٠١٢م)، حيث حصلت المجلة على درع إدارة الإسكان الطلابي وشؤون الطلبة الوافدين، ومهرجان إصدارات الوزارة الخامس عام: (٢٠١٣م)، وحصلت المجلة على درع المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب لمشاركتها في مهرجان أجيال المستقبل (٢٤) عام: (٢٠١٣م)، ومن خلال «براعم الإيمان» حصلت المجلة على درع مهرجان الطفولة الثاني والثالث عام: (٢٠١٣م) و(٢٠١٤م).

وعلى الصعيد الخارجي ساهمت «الوعي الإسلامي» في إنجاح ملتقى «رحلة الخير الشبابية» إلى إندونيسيا عام: (٢٠١٢م).



إعداد
عبدالسلام الشبراوي

«الأوقاف الكويتية» جمعت إصداراتها في موقع واحد

«المحتوى الإسلامي» موقع شامل

دشن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية: عيسى الكندري، أول موقع من نوعه في العالم يشمل جميع الإصدارات الشرعية لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، وهو موقع «المحتوى الإسلامي»، بتاريخ: (٢٠٢١/١٢/١م)، وذلك بحضور وكيل وزارة الأوقاف المهندس: فريد عمادي، والوكلاء المساعدين وقيادات ومسؤولي وموظفي الوزارة على مسرح مبنى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

من جانبه، قال وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المهندس فريد عمادي: إن الوزارة تحتفل اليوم بتدشين وإطلاق أول محتوى شرعي من نوعه في العالم وهو: «المحتوى الإسلامي».

وقال عمادي: إن موقع المحتوى الإسلامي هو موقع يقدم محتوى حصريا بالغالب، ويخص ما تم إصداره من قبل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من كتب وموسوعات وخطب ومجلات وجميع الإصدارات، سواء صوتية ومرئية، لتجمع في مكان واحد، وتقدم كمرجع وخدمة لعامة المسلمين في العالم.

وأضاف: يتميز محتوى وزارة الأوقاف بالثقة الكبيرة التي تم اكتسابها عبر عشرات السنين من العمل الدؤوب من خيرة العلماء والباحثين الذين قدموا وبذلوا الكثير من الوقت لخدمة هذا



وزير الأوقاف عيسى الكندري أثناء تدشين «المحتوى الإسلامي» وعن يمينه وكيل الوزارة فريد عمادي

الدين، ليظهر ويبرز الدر المكنون الذي تزخر به الشريعة السمحه، والتي حث على الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة واتباع هدي النبي ﷺ بالدعوة إلى الله بمنهج وسطي، كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة:١٤٣).

وقال عمادي: حملت وزارة الأوقاف على عاتقها قيما رفيعة تلتزم بتحقيقها من خلال وضع معايير كان من أبرزها الريادة عالميا، وكان هذا الموقع المتميز بما يحتويه من نوادر تهم الباحث والقارئ على حد سواء، هو باكورة ما تقدمه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للعالم انطلاقا من الريادة عالميا، وهو هدف استراتيجي نصت عليه الخطط الموضوعة في سابق الأعوام من قبل وزارة الأوقاف الإسلامية، وها هو اليوم أصبح واقعا بعد أن كان حلما، والأجمل أن هذا الموقع اليوم هو بداية فقط لما ستقوم به وزارة الأوقاف تجاه المحتوى بتنقيحه ورعايته وتغذيته بالمزيد من المصادر النافعة من مختلف الأنواع المقروءة أو المرئية، وذلك باستخدام أفضل التقنيات المتوافرة في هذا المجال.

ودعا عمادي إلى مزيد من العمل والجهد لتحقيق جميع أهداف وغايات استراتيجية وزارة الأوقاف التي وضعت منذ سنوات وسارت على نهجها جميع الإدارات والقطاعات.

وشكر عمادي كل من كان له دور في تحقيق هذا الحلم الذي أصبح اليوم واقعا ملموسا نعيشه، ونستفيد من نهر المعلومات التي يحتويها في الكويت، وتفيض خيراته إلى جميع المسلمين حول العالم، فلهم منا جزيل الشكر وعظيم الامتنان.



د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه والأصول

الصكوك السيادية في ندوة مركز الكويت للاقتصاد الإسلامي

أقام مركز الكويت للاقتصاد الإسلامي ندوته الشهرية، التي جاءت بعنوان: «الصكوك السيادية ودورها في التنمية الاقتصادية»، حيث استضاف الأستاذ الدكتور محمد البلتاجي رئيس الجمعية المصرية للتمويل الإسلامي، وعضو مجلس الأيوفي، وذلك في يوم ٣١ أكتوبر ٢٠٢١م، عبر منصة زووم.

وقد تناول د. البلتاجي الحديث عن أهمية الصكوك السيادية، ودورها الفعال في المساهمة في تنفيذ المشاريع الكبرى للدول، بما في ذلك مشاريع البنية التحتية.

الصكوك السيادية من أبرز وأهم وسائل التمويل الإسلامي

وبدأ بتعريف الصكوك السيادية بأنها أوراق مالية حكومية متساوية القيمة، وقابلة للتداول، تصدر لمدة لا تتجاوز ثلاثين عاما، وتمثل حصصا شائعة في حقوق منفعة الأصول؛ وفق نشرة الإصدار الخاصة بها. وأبان الفروق بين الصكوك والسندات، فالصكوك مشاركة في الملكية ومشاركة في الربح

والخسارة، بخلاف السندات، التي لا يتحمل فيها حاملها أي خسارة، كما أن الصك يمثل سهما ماليا في الأصول والمنافع، والسند يمثل حصة في التمويل المالي التقليدي، والصك دليل على نقل الملكية في عمليتي البيع والشراء، والسند لا يتعلق بالملكية بل بالمبلغ النقدي، والصك يرتبط بمدة المشروع ابتداء وانتهاء، بخلاف السند، ونشرة إصدار الصكوك مبنية على الضوابط الشرعية، بخلاف السند الذي لا يتضمن تلك الضوابط الشرعية.

أنواع الصكوك

كما أشار الدكتور البلتاجي إلى أنواع الصكوك، والتي تنقسم إلى نوعين: الأول: صكوك قابلة للتداول؛ وهي تشمل الإجارة والمشاركة والمضاربة، والنوع الثاني: صكوك غير قابلة للتداول؛ وهي تشمل: السلم والاستصناع والمرابحة.

وأوضح د. البلتاجي أطراف إصدار الصكوك، وهي: المشروع والنشاط التجاري، والجهة المستفيدة حكومية كانت أو غير حكومية، وجهة الإصدار، وهي شركة التصكيك، التي تصدر لهذا الغرض فقط، ووكيل السداد الذي قد يكون بنكا أو غيره، وأمين الحفظ، وهو الجهة الوسيطة بين العميل وشركة الحفظ المركزي، ومدير الاستثمار وأمين الاستثمار ومتعهد الدفع، وضامن التغطية، ومتعهد إعادة الشراء أو الاسترداد، ومستشار الإصدار وشركات التصنيف الائتماني، وهيئة الرقابة الشرعية، والمستشار القانوني، ومراقبو الحسابات.

يجب أن تمول الصكوك المشاريع التنموية وليس سداد ديون الدولة

أهمية الصكوك السيادية

وتطرق د. البلتاجي إلى أهمية الصكوك السيادية، حيث إنها تستخدم لتمويل المشروعات العامة للدولة، كما أنها تساهم في البعد عن الاقتراض من الأسواق الدولية والتي تخفف العبء عن الموازنة وتخفض عجز الموازنة، وهي بدورها تسهم في جذب شريحة من أصحاب رؤوس الأموال وفق أحكام الشريعة، خصوصا في المشروعات التنموية، ومن مزاياها أنها تتيح للحكومات الحصول على تمويل لمشروعاتها خارج القطاع المصرفي بما يؤدي إلى توزيع المخاطر، ومن أهم فوائدها أنها تساعد في إدارة السيولة على مستوى الاقتصاد الكلي من خلال امتصاص فوائض السيولة بتوفير تمويل مستقر وحقيقي للدولة، بمعنى أن تكون الصكوك السيادية إحدى أدوات السياسة النقدية، التي تساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية، كما أنها تساهم في تطوير سوق المال من خلال طرح أوراق مالية قابلة للتداول.

أنواع التصكيك

ولفت د. بلتاجي الانتباه في الندوة إلى أنه يجب في الصكوك أن تكون مدعومة بالأصول بحيث يمتلك حملة الصكوك الحق في التصرف فيها وبيعها حال التعثر من جهة الإصدار، وحذر من التصكيك القائم على الأصول، الذي لا يخول لحامل الصكوك التملك ولا التصرف فيها حال التعثر أو الإفلاس، كما حذر أيضا من الصكوك التي يقصد بها سداد عجز موازنة الدولة، لأنها لن تكون أصولا حقيقية.

الصكوك السيادية إحدى أدوات السياسة النقدية التي تساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية وتطوير سوق المال

تجارب ناجحة

وقدم البلتاجي نماذج ناجحة في مجال التمويل بالصكوك، منها: شهادات المشاركة الحكومية (شهامة)، و«صكوك الاستثمار الحكومية»، وكل منهما بالسودان، وصكوك البنك الإسلامي للتنمية ٢٠١٢م، وتجربة مبنى وزارة المالية بالأردن، وتجربة البنية التحتية بالإمارات، وتجربة المحطات الكهربائية بالسعودية، وكذلك بعض التجارب الأخرى في ماليزيا وغيرها.

وفي ختام الندوة كانت هناك بعض الأسئلة التي أجاب عنها ضيف الندوة، والمداخلات التي عقب عليها، وهو ما أثرى الندوة من خلال تلك المشاركات من العديد من المشاركين من مختلف الدول.

يذكر أن مركز الكويت للاقتصاد الإسلامي يقيم ندوة شهرية عبر «زووم» يعالج فيها بعض أهم قضايا الاقتصاد الإسلامي، وذلك تحقيقا للهدف الأول من الخطة الإستراتيجية والذي ينص على نشر ثقافة الاقتصاد الإسلامي وجعله مكونا من مكونات المجتمع الكويتي.



استطلاع
علاء عبد الفتاح

الصيدلية الإسلامية في الكويت.. نهضة مبكرة وكنز من المعارف

هنا في قلب الكويت النابض بحركة التاريخ وأيام النهضة الأولى تقع صيدلية متحفية تتبع المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الذي رمم مبنى الصيدلية وحوله لمتحف في الثالث والعشرين من مارس عام ٢٠١١ برعاية وحضور سمو أمير البلاد الراحل الشيخ صباح الأحمد رحمه الله.

المكان تحديدا في ساحة الصرافين حيث المدخل الشرقي لسوق التمور والخضراوات من جهة ومدخل (سوق التناكة) من جهة أخرى، وهنا أسفل متحف كشك مبارك كانت المحلات التجارية في طابق أرضي بينما الحاكم مؤسس دولة الكويت الحديثة يجلس في كشكه يستمع إلى أهله وناسه ويفصل في أمورهم.

عندما تزور المباركية وتدلف إلى ساحة كشك مبارك لن تلتفت إلى هذه الصيدلية لأنها تتوارى عن الأنظار بلا أضواء أو لوحات إرشادية كافية لتعريف الراغبين في زيارتها بها، لكن ما إن تدخلها

في عام ٢٠٠٥ صدرت السيرة الكاملة عن عبدالإله القناعي من خلال كتاب ومجهود مميز لمركز البحوث والدراسات الكويتية، من خلال دراسة للباحث د.خالد الجارالله تحت عنوان (دوا خانه).

حتى تنتقل بآلة الزمن المتخيلة إلى حركة الحياة عام ١٩٢٠م.. معداتها البسيطة ووصفاتها الطبية المجربة ووثائقها المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.. كلها تدعوك للتأمل في أول صيدلية بالكويت حيث اللافتة «الصيدلية الإسلامية للعلاج وبيع الأدوية».

نستحضر هذا الجهد المحمود الذي قام به المرحوم -بإذن الله- عبدالإله القناعي في تقديم العلاجات للمرضى والدواء لهم بالاعتماد على الخبرة التي تكونت لديه أثناء عمله مع الأطباء في مستوصف دار الاعتماد البريطاني خلال الفترة من ١٩٠٩م حتى عام ١٩١٨م، ونستحضر حركة التعليم

آنذاك، إذ تعلم صاحبنا من والده الملا عبدالله بن محمد القناعي علوم الدين واللغة العربية والأدب واللغة الإنجليزية وأدب التدوين وحفظ الوثائق قبل أن يعمل كاتبا خاصا للمعتمدية السياسية البريطانية في الكويت عام ١٩٠٤م، وبسبب كفاءته وإخلاصه في العمل -كما يقول الدكتور خالد الجار الله- منحته الحكومة البريطانية وشاحا ولقب (خان بهادر) تقديرا لجهوده وإخلاصه في العمل.

هذه المكانة المرموقة للملا عبدالله مكنت ولده عبدالإله من الحصول على فرصة عمل كمساعد لطبيب مستوصف المعتمدية البريطانية في عام ١٩٠٩م ما مكنه من اكتساب الخبرة والاطلاع على العديد من الأمور الطبية، إضافة إلى تمكنه من خلال هذا العمل من الاطلاع على أحوال المرضى والاحتكاك بكل أفراد المجتمع وبناء علاقات اجتماعية مع الكثير من الأسر الكويتية.

تدرب عبدالإله على فنون الطبابة والتطعيم ووصف العلاجات ومعرفة استعمال الأدوات الجراحية في مستوصف المعتمدية البريطانية حتى عام ١٩١٢م حيث توقف المستوصف عن العمل وأغلق أبوابه بسبب الحرب العالمية الأولى، ثم فكر في الانتفاع بما اكتسبه من خبرة طبية أثناء عمله في مستوصف المعتمدية فعمل على تجهيز مكان مناسب لممارسة مهنته الطبية ثم سافر عام ١٩١٩م إلى مدينة بومباي الهندية للاطلاع على الأدوية وطرق استعمالها والتعرف على المعدات الطبية المستعملة للأغراض العلاجية إلى جانب التعرف على بعض البضائع الخاصة بالعناية بالنظافة العامة.

وأخيرا قام بتجهيز مقر الصيدلية أو كما كان يطلق عليها (الدوا خانه) لتصبح عيادة طبية متكاملة يقدم فيها مختلف الخدمات والعلاجات الطبية للناس طيلة فترة العشرينيات والثلاثينيات من بدايات القرن الماضي.

حين تدخل الصيدلية تجد الواجهات الزجاجية تحيط بأدوات قديمة كانت تستخدم في التطبيب، وتجد زيا معلقا للحكيم ممارس الطبابة وعددا من الوثائق القديمة، تتجه من واجهة إلى أخرى مستديرا في مساحة وإن كانت ضيقة فهي كافية لرحلة في تاريخ أمة معطاءة.







د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث









سلسلة الأعلام المتشابهة (٦٢)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (البرزنجي):

١- محمد البرزنجي (ت: ١١٠٣هـ)

هو محمد بن رسول بن عبد السيد الحسني البرزنجي الشافعي، عالم بالتفسير والحديث والأدب، ومن فقهاء الشافعية.

ولد بشهرزور سنة: (١٠٤٠هـ) وتعلم بها، ورحل إلى همذان وبغداد ودمشق وإسطنبول ومصر، واستقر في المدينة المنورة، فتصدر للتدريس بها.

من أبرز مصنفاته: (الإشاعة في أشراط الساعة)، و(ضياء السراج في ليلة الإسراء والمعراج)، و(بغية الطالب لإيمان أبي طالب)، و(النفحة الفايحة في مسائل الفاتحة)، و(الجاذب الغيبي في حل مشكلات ابن العربي)، و(أنهار

السلسبيل لرياض أنوار التنزيل، ومزاج الزنجبيل لحياض أسرار التأويل) في شرح تفسير البيضاوي، و(النواقض للروافض)، و(شرح ألفية المصطلح)، و(خالص التلخيص) مختصر تلخيص المفتاح، و(القول السديد والنمط الجديد في وجوب رسم الإمام والتجويد)، توفي في المدينة المنورة، ودفن بالبقيع[١].

٢- حسن البرزنجي (ت: ١١٧٢هـ)

هو حسن بن محمد بن علي بن بابا رسول الحسيني البرزنجي، الشافعي، صوفي، مرب.
من مصنفاته: (أسرار القلوب وكشف الحجاب عن المحجوب)، و(إزالة الوهم والالتباس وإزاحة الوسواس عن بعض الناس)[٢].

٣- زين العابدين البرزنجي (ت: ١١٧٧هـ أو ١١٨٧هـ)

هو زين العابدين جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي الشافعي، صوفي، فاضل.
ولد بالمدينة المنورة في شهر شعبان، وتولى إفتاء الشافعية فيها.
من أبرز مصنفاته: (قصة المولد النبوي)، و(قصة المعراج)، و(البرء العاجل بإجابة الشيخ محمد غافل)، و(الجنى الداني في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني)، و(جالية الكرب بأصحاب سيد العجم والعرب) رسالة في أسماء البدريين والأحديين، و(النفح الفرجي، في فتح الجته جي)، و(التقاط الزهر من نتائج الرحلة والسفر)[٣].

٤- زين العابدين البرزنجي (ت: ١٢١٤هـ)

هو زين العابدين بن محمد البرزنجي، مؤرخ من أعيان المدينة.
من مصنفاته: (كشف الحجب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور) كتب سنة: (١١٩٥هـ)[٤].

٥- عبد الصمد البرزنجي (ت: ١٢٢٠هـ)

هو عبد الصمد بن حسن بن محمد بن علي بن بابا رسول البرزنجي الحسيني الشافعي، صوفي، عالم، أديب.
من مصنفاته: (منظومة تحفة الصلاة)، و(حاشية على شرح الألفية للسيوطي)، و(شرح دلائل الخيرات)، و(منظومة في مثلثات قطرب)[٥].

٦- جعفر البرزنجي (ت: ١٣١٧هـ)

هو جعفر بن إسماعيل بن زين العابدين المدني البرزنجي، قاض من أعيان المدينة المنورة، فقيه، ومؤرخ، وأديب.
ولد في السليمانية، من أعمال شهرزور في العراق سنة: (١٢٥٠هـ)، وكان أبوه رحل إليها من المدينة عند مهاجمة محمد علي باشا للحجاز، وسافر جعفر إلى الأزهر، وكان يحسن مع العربية التركية والفارسية والكردية، وتصدر للفتوى والتدريس بعد وفاة أبيه، وعين قاضيا لصنعاء، وللقضاء بسيواس في تركيا، وعاد إلى المدينة المنورة مفتيا ومدرسا إلى أن توفي.
من أبرز مصنفاته: (نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين) في تاريخ المسجد النبوي، و(الشجرة الأترجية في سلالة السادة البرزنجية)، و(تاج الابتهاج على النور الوهاج في الإسراء والمعراج)، و(شواهد الغفران في فضائل رمضان)، و(الكوكب الأنور على عقد الجوهر في مولد النبي الأزهر) شرح لقصة المولد النبوي، توفي بالمدينة المنورة، ودفن بالبقيع[٦].

٧- شهاب الدين البرزنجي (ت: ١٣٣٧هـ- أو ١٣٣٢هـ)

هو شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن زين العابدين المدني البرزنجي الشافعي، أديب، من أعيان المدينة المنورة، أصل أسرته من شهرزور في العراق.
ولد في المدينة، وتعلم بها وبمصر، وكان من مدرسي الحرم المدني، وتولى إفتاء الشافعية في، وانتخب نائبا عنها في مجلس النواب العثماني بإسطنبول، واستقر في دمشق أيام الحرب العالمية الأولى. من أبرز مصنفاته: (المناقب الصديقية)، و(مناقب عمر بن الخطاب)، و(مقاصد الطالب في مناقب علي بن أبي طالب)، و(النظم البديع في مناقب أهل البقيع)، و(النصيحة العامة لملوك الإسلام والعامة)، و(فتكة البراض بالتركزي المعترض على القاضي عياض) وهو رسالة في الرد على محمد الشنقيطي، و(جواهر الإكليل في الخديوي إسماعيل)، توفي بدمشق ودفن بالصالحية[٧].

الهوامش

١- انظر: هدية العارفين (٣٠٢/٢)، والأعلام للزركلي (٢٠٣/٦)، ومعجم المؤلفين (٣٠٨/٩) (١٦٥/١٠).
٢- انظر: هدية العارفين (٢٩٩/١)، ومعجم المؤلفين، (٢٨٦/٣).
٣- انظر: هدية العارفين، (٢٥٦/١) ، والأعلام للزركلي (١٢٣/٢) ومعجم المؤلفين (١٣٧/٣).
٤- انظر: الأعلام للزركلي (٦٥/٣).
٥- انظر: هدية العارفين (٥٧٥/١) ومعجم المؤلفين (٢٣٥/٥).
٦- انظر: هدية العارفين (٢٥٦/١)، والأعلام للزركلي (١٢٢/٢)، ومعجم المؤلفين (١٣٤/٣).
٧- انظر: إيضاح المكنون (٦٥٤/٢) ، والأعلام للزركلي (٩٩/١) ،ومعجم المؤلفين (١٦٤/١).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

أطلس دول العالم الإسلامي

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

ويأتي كتاب: «أطلس دول العالم الإسلامي» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالكتاب

هو أطلس وكتاب في آن واحد، يتألف من أكثر من: (٢٦٠) صفحة، يلم معلومات موجزة عن الدول الإسلامية في هذا العالم، وعن حالة المسلمين في دول العالم الأخرى، للدكتور شوقي أبو خليل، نشرته دار الفكر بدمشق في طبعته الأولى، سنة: (١٩٩٩م).

فهو أطلس لأنه يحتوي على (٨٧) مصورا تفصيليا، وأكثر من (١٧٥) مصورا صغيرا، ومصوراته كلها ملونة بما يميز دولة عن أخرى، وهو كتاب جغرافي تاريخي اقتصادي لدول منظمة المؤتمر الإسلامي والدول ذات الأكثرية المسلمة أو التي فيها أقليات مسلمة.

التعريف بالكاتب

ولد شوقي محمد أبو خليل في بيسان، عام: (١٩٤١م)، فتدرج في تعليمه إلى أن وصل إلى المرحلة الجامعية، فأكمل دراسته الجامعية في كلية الآداب قسم التاريخ في جامعة دمشق عام: (١٩٦٥م)، ثم سافر إلى أذربيجان ليحصل على دكتوراه في التاريخ من أكاديمية العلوم.

وبعد عودته منها عمل مدرسا لمادة التاريخ في ثانويات مختلفة في المحافظات السورية، ثم تدرج في المناصب الإدارية:

فعمل أستاذا لمادة الحضارة الإسلامية والاستشراق بكلية الدعوة الإسلامية (فرع دمشق) في مجمع الشيخ أحمد كفتارو ما بين: (١٩٨٦-١٩٨٨م).

ثم محاضرا في كلية الشريعة بجامعة دمشق في السنوات: (١٩٨٨-١٩٩٧م).

ثم نصب أمينا عاما لجامعة العلوم الإسلامية والعربية- دمشق، عام: (١٩٩٢-١٩٩٧م).

ثم عين مديرا للتحرير في دار الفكر منذ عام: (١٩٩١م) وحتى تاريخ وفاته، وهي الدار التي أصدر منها معظم كتبه الأخيرة.

وكان أيضا رئيسا لشعبة التاريخ والحضارة في معهد جمعية الفتح الإسلامي، وأستاذا للتاريخ فيه منذ عام: (٢٠٠٠م)، كما درس مادة التاريخ في كلية الدعوة الإسلامية وفي كلية الشريعة في جامعة دمشق.

توفي شوقي أبو خليل يوم الثلاثاء، (١٤ رمضان، ١٤٣١هـ/ الموافق ٢٤ أغسطس، ٢٠١٠م)، وصلي عليه يوم الأربعاء في جامع طارق بن زياد، ودفن في مقبرة بئر التوتة في المهاجرين.

مؤلفات شوقي أبو خليل

ألف شوقي أبو خليل العديد من المؤلفات خاصة في التاريخ الإسلامي، حيث وصلت إلى ما يقرب: (٧٠) مؤلفا، نذكر منها:

سلسلة هذا هو الإسلام، الإسلام في قفص الاتهام، آراء يهدمها الإسلام، عوامل النصر والهزيمة، غزوة تبوك، صلح الحديبية، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، أطلس انتشار الإسلام والعديد من المؤلفات الأخرى.

المحتوى العام

تحدث هذا الأطلس النفيس عن (٥٥) دولة، وهي الدول التي تتألف



منها منظمة المؤتمر الإسلامي، و(٦) دول فيها أكثرية مسلمة ولكنها ليست في منظمة المؤتمر، وهي: إثيوبيا وإريتريا وتوغو وغانا ومقدونيا وموزامبيق، ثم تحدث عن أقاليم في دول غير إسلامية فيها مسلمون بنسبة عالية ولكن هذه الأقاليم تخضع لدول كبيرة فتقل نسبة المسلمين في الدولة كلها، ويصل عدد هذه الأقاليم والدول إلى سبعة وأربعين إقليما ودولة.

فتناول مواضيع ومعلومات متنوعة ومتميزة، نذكر منها

- معلومات جغرافية عن كل دولة: يتناول دولة من الدول الإسلامية أو إقليما يقيم فيه مسلمون، فيضع اسم الدولة بالعربية والإنجليزية وعلمها وشعارها وعاصمتها ومساحتها وعدد سكانها حسب إحصائهم في سنة يحددها، ثم عددهم المتوقع لعام: (٢٠٠٠م)، ويذكر نسبة المسلمين فيها، كما يذكر لغة البلاد، والعملة النقدية المتداولة فيها.

- معلومات تاريخية واقتصادية: حيث إنه يتحدث عن زمن وصول الإسلام إلى هذه البلاد، وكيف وصل إليها، والمراحل التاريخية التي مرت بها بإيجاز، ويتحدث عن اقتصادها في هذه الأيام، وما تنتجه من زراعات وصناعات.

وقد رتب دول كل قسم من الأقسام الثلاثة المذكورة ترتيبا هجائيا حسب أسمائها باللغة العربية، فبدأ بأذربيجان والأردن وأفغانستان، وألبانيا والإمارات العربية المتحدة وإندونيسيا وأوزبكستان وأوغندا.... وهكذا.

وعلى هذا المنوال سار في حديثه عن كل دولة إسلامية أو إقليم فيه أكثرية مسلمة.

وقد ألحق بكتابه هذا عدة جداول تحوي معلومات الدول الإسلامية حسب المساحة أو حسب السكان... وجداول عن عدد المسلمين ونسبتهم في الدول غير الإسلامية.

ووضع أخيرا فهرسا هجائيا عاما لكل المدن والدول والمعالم الجغرافية، وأعلام الرجال والأقوام الواردة في المصورات أو في صفحات المعلومات.

نسخة «الوعي»

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة من هذا الأطلس النفيس، والذي يتألف من مجلد واحد، وهو في متناول قرائها الكرام المهتمين بتاريخ الدول الإسلامية وجغرافيتها.

المصادر

أطلس دول العالم الإسلامي.

صدقي البيك، أطلس دول العالم الإسلامي، مقال منشور بتاريخ: (١٨/٠٣/٢٠١٣م الموافق: ٦/٥/١٤٣٤هـ). على موقع الألوكة:

https://www.alukah.net/sharia/0/51916/#ixzz7B1zZ02Bt

الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



هشام الصباغ
باحث لغوي

مفكر وأديب وشُرطي

الشاعر حسن فتح الباب

■ عملاق في شعره، لم يتوقف فقط عند الشعر العربي التقليدي الذي اعتدناه، بل انطلق بكل قوة إلى عالم الشعر الحر، وكتب القصيدة العمودية الرومانسية -في ذلك الوقت- شأن أبناء جيله من شعراء الخمسينيات؛ فكان مجددا بكل معنى الكلمة، حتى وصف بأنه من أهم رواد الشعر الحر ومن مؤسسيه.

■ شخصية متعددة المواهب، فلم يكن شاعرا فقط، ولم يكن ناقدا فقط، أو باحثا في القانون الدولي فقط، أو باحثا استراتيجيا فقط، بل كان كل ذلك معا بقوة وفهم عميق، وكان أستاذا فيها جميعا.. كما أتقن عدة لغات؛ أبرزها الإنجليزية والفرنسية، ما أهله للولوج في الثقافة الغربية، التي هضم منها ما يفيد بيئته.

■ كثيرون كتبوا عن شعره وأجمعوا على أنه لم يتجمد عند مرحلة بعينها، بل ظل يتطور عبر الزمن.. وكتاباته صورة تعكس الواقع كما يراه هو؛ يلتمس العبرة من أحداثه، من دون أن يوقع القارئ في شراك اليأس، بل يدعوه للتطلع إلى غد أكثر حرية وعدلا وجمالا رغم عثرات الطريق، والإيمان بأن أشعة الفجر تنبثق دائما من رحم الظلمات، وأن أجمل الأيام ما لم يأت بعد.

■ رغب في أن يقدم صورة عن حياته للجيل الجديد، وأرادها صورة صريحة بلا رتوش، فكتب عن نفسه، وعرّى ذاته، ولم يكتم زلاته ومعايبه، واعترف بها جميعا؛ مبررا: «فلعلهم يجدون فيها ما يحثهم على الصدق مع النفس ومع الآخرين؛ فإن لم تكن سيرة الحياة ترجمة أمينة فأولى بصاحبها أن يعفينا من عناء قراءتها؛ فالاعتراف نوع من البوح الصادق، وهو أحرى بالأديب ليكسب خبرته الآخرين. أما السياسي الذي يدون مذكراته فإنه عادة يضخم حسناته أو يبرر أخطاءه، هذا إذا امتلك شجاعة الإفضاء بها.. وهكذا أردت أن أقول ما يقال وما لا يقال».

■ حياته كانت ممتلئة بالأحداث المثيرة؛ قاسية أحيانا، وحالمة في بعض جوانبها.. لكن بوصلته كانت دائما الإنسان، فله عنده مقام عظيم، نلمسه في شعره، فنجده يتغنى فيه لأبنائه وأحفاده وكل من ترك بصمة في حياته أو حياة الوطن.

■ يرى أن الشاعر إذا فقد براءة الطفولة فالأجدى به أن يترك الشعر لأن وظيفته تصوير وقائع مضيئة في الحياة البشرية بدرجة واضحة تبلغ قلب المتلقي وتثير فيه أنبل العواطف وأجمل الرؤى.

■ كانت حياته ثرية بالأحداث المرتكزة على المعرفة والعلم القائم على التطور النابع من القواعد التاريخية الصادقة والرؤية المستقبلية الثاقبة.. وكان للصورة موقع فعال في هذه الأحداث تجسد من خلالها خطوات مهمة توضح معالم المستقبل والحاضر والماضي.

■ رغم حصوله على ليسانس الحقوق، ثم ماجستير العلوم السياسية، فدكتوراه القانون الدولي، وعمله ضابط شرطة، فإنه لم يترك الشعر، الذي لازمه دائما، وكان معه في كل عمل ومكان وجد فيه، ولذا حفر بإبداعه الجمال والخلود والتميز في تاريخ الأدب العربي المعاصر.. إنه الدكتور الأديب والشاعر اللواء حسن فتح الباب.

نشأته

■ ينتمي إلى عائلة صوفية مغربية؛ فجده العالم الصوفي علي الحافي، المدفون ببلدة «منسافيس» بأبي قرقاص في محافظة المنيا بصعيد مصر.. والعائلة كلها تنتمي إلى قبيلة بني حرام بالجزيرة.

■ هاجر أبوه (فتح الباب حسن) من قريته «منسافيس»، إلى القاهرة، حيث التحق بالأزهر الشريف، وسكن في حي شبرا العريق، الذي يعد صورة مصغرة لمصر في إيجابياتها وسلبياتها، وفي حارة «المجدلي» منه وُلد شاعرنا في ٢٧ نوفمبر ١٩٢٣م.

■ توفي أبوه وهو في مقتبل العمر، فعاش اليتم منذ سن الثامنة، وكفله جده لأمه، وكان قاسيا في معاملته، فأراد حسن إثبات قدرته على إعالة نفسه وإخوته وأمه، فطلب من معلمه الأول (أحمد أفندي يوسف) أن يتوسط له للعمل في مكتبة بشارع عبدالعزيز في ميدان العتبة بالقاهرة، واتفق مع صاحبها على ٣ جنيهات راتبا شهريا، غير أنه أعطاه جنيهين ونصف الجنيه، فبدأ وتر مجابهة الذل والظلم يشتد في قيثارته الشعرية، عازفا لحن المقاومة الذي لم يقتصر على صاحب المكتبة فقط بل شمل المستعمر الغاصب والحاكم القاهر لشعبه وأنواع المظالم كلها.

حياته العملية

■ واصل الشاعر حسن فتح الباب رحلته التعليمية حتى حصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٤٧م، وماجستير العلوم السياسية عام ١٩٦٠م، والدكتوراه في القانون الدولي عام ١٩٧٦م، من جامعة القاهرة، ثم أوفد إلى الخارج في بعثات دراسية. وقد عمل بعد تخرجه في سلك الشرطة، وكان آخر المناصب التي تقلدها مدير القضاء العسكري في وزارة الداخلية ثم تقاعد ليخلو لإبداعه ويتفرغ له.

■ بدأ فتح الباب مسيرته الشعرية والأدبية في الأربعينيات، ونشر إنتاجه في معظم المجلات والصحف والإذاعات المصرية والعربية، كما اختير للتحكيم في كثير من المسابقات الشعرية بصفته من كبار النقاد، إذ بدأ مسيرته النقدية في الستينيات وصدر له أكثر من ثمانية كتب نقدية ما بين مصر وتونس ولبنان.

.. الجزائر وفتح الباب

■ شغلته الجزائر؛ بلد المليون شهيد وبلد الثورة، وأحوالها وأخبار مقاومتها للاستعمار منذ الخمسينيات، وبدأ عشقه لها، وبمجرد تقاعده من الشرطة برتبة لواء عام ١٩٧٦م، انتقل إليها، حيث عمل أستاذا للقانون الدولي والعلوم السياسية بكلية الحقوق في جامعة وهران، وأسهم بمحاضراته وكتاباته وشعره خلال فترة عمله في الجزائر في حركة التعريب وفي النهضة الثقافية والأدبية، واختير عضوا منتسبا في اتحاد الكتاب الجزائريين، وألف عن ثقافتها موسوعة وأكثر من سبعة مؤلفات.. وعن وهران كتب الكثير من القصائد.

طه حسين والمنحة

■ صُدف أن استمع عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين في مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية (كان الأول فيها) إلى شعر فتح الباب حينما كان الأخير طالبا في تلك المرحلة، فأعجب به جدا، وبعد انتهاء المسابقة ناداه حسين، وأثنى عليه، وأشاد بموهبته، وأعطى له منحة مجانية بكلية الآداب قسم اللغة العربية.. وظل فتح الباب يتفاخر كثيرا بهذا الأمر، لا سيما أنه وطد الصلة بينه وبين حسين، وكان كثيرا ما يذهب إليه بعد ذلك ليسمعه ما ينظمه من أبيات ليتلمس جودتها من تعبيرات وجهه وتعليقه عليها.

المؤلفات

■ مؤلفاته تربو على الخمسين، وتقدم للقارئ معرفة واسعة وعلما غزيرا وصورة واقعية، تبرز عبقرية شاعر خلاق وناقد رائع.. وضمت المؤلفات: ٢١ ديوان شعر و١٢ كتابا في النقد الأدبي، وكتابا في أدب الرحلات، وكتابين في السيرة الذاتية، وكتاب قانون، وكتب شرطة، و٧ كتب دينية، و٣ مسرحيات شعرية، ومختارات شعرية مترجمة من اللغات الأجنبية، ومؤلفات في الحضارة العربية الإسلامية وفي القانون الدولي والعلوم السياسية، كما ترجمت العديد من قصائده.

جوائز

■ حصل فتح الباب على العديد من الجوائز منها: جائزة المجلس الأعلى للآداب والفنون بالاشتراك مع وزارة الثقافة ١٩٧٥م، عن ديوانه «حبنا أقوى من الموت» (مستوحى من ملحمة أكتوبر)، وجائزة مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين ١٩٩٢م، عن ديوانه «أحداق الجياد»، ورشحه اتحاد كتاب مصر لجائزة الدولة التقديرية ٢٠٠١م، ومنحه اتحاد الكتاب العرب جائزة القدس في أكتوبر ٢٠٠١م، ومنحه اتحاد كتاب مصر جائزة التميز عام ٢٠٠٧م.

مساهماته في «الوعي»

■ للشاعر الكبير حسن فتح الباب ست عشرة مساهمة مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «التسامح الديني (١ و٢)، ع:١٢٥ و١٢٦»، و«غفران (قصيدة)، ع:١٣٨»، و«الملامح الأساسية للدعوة العلمية في الإسلام، ع:١٤٦»، و«إلى مجال النور (قصيدة)، ع:١٤٨»، و«الكشف عن أصحاب الكهف، ع:١٥٥»، و«التخطيط لتحقيق النصر في غزوة بدر، ع:١٦٥»، و«عبر مستلهمة من غزوة حنين، ع:١٧٨»، «حافظ إبراهيم شاعر الإسلام (١ و٢)، ع:١٨٢ و١٨٣»، و«حركة البحث العلمي والعلاقات الدولية، ع:٢٠٣»، و«عبدالكريم الخطابي في المغرب، ع:٢٠٧»، و«تلمسان مدينة الفكر الإسلامي، ع:٢١٧»، و«من عبر الجهاد/ حرب التحرير الجزائرية، ع:٢٢٠»، و«مآثر العلماء الجزائريين، ع:٢٣٢»، و«مكافحة التبشير في الجزائر، ع:٢٣٤».

وفاته

■ بعد مسيرة إبداعية استمرت أكثر من نصف قرن، غيب الموت آخر رواد شعراء الخمسينيات الشاعر الكبير حسن فتح الباب صباح الاثنين ٢٨ سبتمبر ٢٠١٥م، عن عمر ناهز ٩٢ عاما.

المصادر والمراجع

- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
- الموقع الرسمي للشاعر اللواء د. حسن فتح الباب.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- جريدة: الجريدة، العربي الجديد، الدستور، الوفد.

إعداد/ تركي محمد النصر

وفاء العهد وأداء الأمانة

❖ قالوا: الوفاءُ أفضلُ شمائل العبد، وأوضحُ دلائل المَجد، وأقوى أسباب الإخلاص في الودِّ، وأحقُّ الأفعال بالشُّكر والحمد.

❖ قالوا: الوفاءُ أتمُّ حميدِ الخلال، ومُنتهى غايةُ الكمال، تَمَسُّ الحاجةُ إليه، وتجبُ المحافظة عليه، ولقد صار رسمًا دارسًا، وحُلَّةً لا تجدُ لها لابسًا، ومَنقبةً قلَّ أن تجدَ فيها مُستأنسًا.

❖ ويُقال: بالوفاء تُملَكُ القلوبُ، وتُستدامُ الإلفةُ بين المحُبِّ والمحبوب.

❖ وقالوا: مَن تحلَّى بالوفاء، وتخلَّى عن الجفاء، فذلكَ من إخوانِ الصَّفاء.

❖ وقالوا: الوفاءُ ضالَّةٌ كثيرٌ ناشدها، قليلٌ واجدها.

❖ وقيل: الوفاء من شِيم الكِرام، والغدرُ من خلائق اللئام.

❖ وقالوا: إذا تُرِكَ الوفاءُ نزل البلاء.

❖ ويُقال: مَن أودَع الوفاءَ صدورَ الرِّجال مَلكَ أعناقَهم.

❖ ويُقال: مِنَ الوفاء: تشوُّقُ الرَّجل لإخوانِه، وحنينه إلى أوطانه، وتلهفُهُ على ما مضى مِن زمانه.

(انظر: غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، للوطواط: ١/ ٧٨)

من لطائف الحِكم

❖ مَن دام كسلُه خاب أملُه.

❖ مَن كثُرَ اعتبارُه قلَّ عِثارُه.

❖ مَن جارَ حُكمُه أهلكه ظُلمُه.

❖ مَن لزم الرُّقاد عدِمَ المُراد.

❖ مَن بذلَ فلسَه صانَ نفسَه.

❖ مَن زرعَ العُدوان حصدَ الخُسران.

❖ مَن قنِعَ بالرِّزق استغنى عن الخَلق.

❖ مَن رضي بالمقدور قنِعَ بالميسور.

(انظر: الأمثال والحِكم، للماوردي: ص/ ١٥٢).

أقرَّ اللّه عينَه

قال المفضَّل بن سلمة بن عاصم المتوفَّى سنة: (٢٩٠هـ) رحمه اللّه: قولهم أَقَرَّ اللّه عَيْنَه؛ قال الأصمعيُّ: المعنى أبرَدَ اللّه دمعتَه، لأنَّ دمعةَ السُّرور باردةٌ، ودمعةَ الحزن حارةٌ. وأقرَّ مشتق من القَرُر، وهو الماء البارد.

وقال غيره: معنى أقَرَّ اللّه عينك، أي: صادفتَ ما يُرضيك فتقرَّ عينك من النَّظر إلى غيره.

ويقال للثَّائر إذا صادف ثأرَه: وقعتَ بِقرَّك، أي صادف فؤادك ما كان متطلِّعًا إليه فقرَّ.

(انظر: الفاخر: ١/ ٦)

لو خرس الخاطئون ما تكلمت عجوزكم

قال محمَّدُ بنُ عبيد رحمه اللّه: دخلنا على امرأة بالبصرة يُقال لها: عفيرة، فقيل لها: ادعي اللّه لنا؟ فقالت: لو خرس الخاطئون ما تكلَّمت عجوزُكم، ولكنَّ المحسنَ أمرَ المُسيءَ بالدُّعاءِ، جعلَ اللّه قِراكم من بيتي الجنَّة، وجعلَ الموتَ منِّي ومنكم على بال.

(انظر: المقلق، لابن الجوزي: ١/ ٥٢)

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

درع داود عليه السلام

قال أبو منصور الثَّعالبيُّ المتوفَّى سنة: (٤٢٩هـ) رحمه الله تعالى: (درعُ دَاوُد) قَالَ اللَّه عز وَجل فِي قصَّة دَاوُد: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ (سورة سباء: ١٠-١١)، قَالَ المُفسِّرون: كان الحديد في يده كالعجين في يد أحدكُم، وقالُوا في قَوله: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾، أي: لا تضيق ثقب مسامير الدروع فتخرق، ولا توسعها فتقلق. قالُوا: ولم يكن قبل داوُد دروع، وإنَّما كانت صفائِح من حدِيد مَضرُوبة، وهو أوَّل مَن عملهَا ولبسها وألبسها، قال أبو ذؤيب:

وعليهما مَسرُودتان قضاهما ... داوُد أمتن من سوابغ تبع

وأحسن السلامى في قوله من قصيدة لعضد الدولة:

ألبستهم نسج دَاوُد فنلت بهم ... ملك ابن داوُد إذ دانت له الأُمم

(انظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ١/ ٥٦)

الثعالبيُّ يصف مرضَه

وَصَفَ أبو منصور الثعالبيُّ المتوفَّى سنة: (٤٢٩هـ) مرضَه وصفًا بديعًا فقال: عرضَ لي مَرضٌ أساءَ بالنَّجاةِ ظنِّي، وكادَ يصرفُ وجهَ الإفاقة عَنِّي، لو رآني لرآني خلالًا، ولو شئته لطرقتُه خيالاً، هو شورى بين أمراض أربعة: حُمَّى لا تَغِب، وصُداع لا يخِف، وزُكَام يكِد، وسُعال لا يكف.

علَّةٌ هو في أسرها مُعتَقل، وبقيدها مُكبَّل، أمراضٌ توالت عليَّ، وأساءت بي وإليَّ، فأنا أشكوها وأشكر الله تعالى إذ جعلها عِظة وتذكيرًا، ولم يبقَ منها حتَّى الآن إلا يسيرًا.

(انظر: سحر البلاغة وسر البراعة: ١/ ٨٠)

الواجب على العاقل

قال العلَّامةُ أبو علي أحمد بن محمَّد بن يعقوب مسكويه، المتوفى سنة: (٤٢١هـ) رحمه اللّه تعالى: يجبُ على العاقل أن يعرف ما ابتلى به الإنسان من هذه النَّقائص التي في جسمه وحاجاته الضَّرورية إلى إزالتها وتكميلها، إمَّا بالغذاء الذي يحفظ به اعتدال مزاجه وقوام حياته، فينال منه قدر الضَّرورة في كماله.

❖ ولا يطلب اللذة لعينها، بل قوام الحياة التي تتبعه اللذَّة. فإن تجاوز ذلك قليلًا فبقدر ما يحفظ رتبته في مروءته. ولا يُنسب إلى الدناءة والبُخل بحسب حاله ومرتبته بين النَّاس.

❖ وأمَّا باللباس فالذي يدفع به أذى الحرِّ والبرد ويستر العورة، فإن تجاوز ذلك، فبقدر ما لا يستحقر. ولا ينسب إلى الشُّحِّ على نفسه، وإلى أن يسقط بين أقرانه وأهل طبقته.

❖ وأمَّا بالجماع، فالذي يحفظ نوعه وتبقى به صورته، أعني طلب النَّسل، فإن تجاوز ذلك فبقدر ما لا يخرج به عن السُّنَّة، ولا يتعدَّى ما يملكه إلى ما يملك غيره.

❖ ثمَّ يلتمس الفضيلة في نفسه العاقلة التي بها صار إنسانًا، وينظر إلى النَّقائص التي في هذه النَّفس خاصة، فيروم تكميلها بطاقته وجهده.

❖ فإن هذه الخيرات هي التي لا تستر، وإذا وصل إليها لا يمنع عنها الحياء، ولا يتوارى عنها بالحيطان والظُّلمات، ويتظاهر بها أبدًا بين النَّاس وفي المحافل.

❖ وهي التي يكون بها بعض النَّاس أفضل من بعض، وبعضهم أكثر إنسانيَّة من بعض، ويغذُّون هذه النَّفس بغذائها الموافق لها، المتمِّ لنقصانها كما يغذُّون تلك بأغذيتها الملائمة لها.

(انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ص/ ٤٥)





إعداد: التحرير

ضوابط ممارسة الرياضة في الإسلام

أحل الإسلام الترفيه عن النفس بوسائل الترفيه والترويح المختلفة، وخاصة الأنشطة الرياضية لما لها من إدخال المرح والسرور على النفس، وأيضا قضاء وقت فراغ الشباب فيما هو نافع لهم، ولكن مع مراعاة بعض الشروط والضوابط التي تضمن ممارستها في إطار المباح، وبدون هذه الضوابط أو إذا اختل شرط منها تدور ممارسة الأنشطة الرياضية في دائرة المنهي عنه، ومن هذه الضوابط ما يلي:

١- مراعاة عدم كشف العورة أثناء ممارسة الأنشطة الرياضية، فهو أمر محرم في كل الأحوال.

٢- مراعاة عدم الاختلاط بين الجنسين، فالرجال يمارسونها مع بعضهم، وكذلك النساء، فالرياضة كما هي مباحة للرجال مباحة أيضا للسيدات.

٣- عدم اتخاذ شيء فيه الروح غرضا، مثل اتخاذ الطيور للرمي أو التحريش بين الحيوانات لتصارع بعضها بعضا.

٤- ممارسة أنواع الرياضة التي لا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية.

٥- مراعاة عدم وقوع الأذى بالطرف الآخر أثناء ممارسة الأنشطة الرياضية، مثل المصارعة الحرة وغيرها.

٦- ألا تؤدي ممارسة الأنشطة الرياضية إلى فوات فرض من العبادات كالصلاة، أو أن يضطر ممارسها إلى الإفطار في حال الصيام.

٧- ألا تحمل ممارسيها على التعصب المقوت لآرائهم.

٨- ألا تمارس الأنشطة الرياضية بغرض القمار والمراهنات.

٩- مراعاة التحلي بالأخلاق الفاضلة أثناء ممارسة الأنشطة الرياضية وعدم التلفظ بالبذيء من الألفاظ.

عبدالمعز محمد حباشي



المدن والبلدان في القرآن

ذكرت بلاد ومدن في كتاب الله، مثل: المدينة ومصر وسيناء وسبا والارض المقدسة والاحقاف ومدين.

ذكرت المدينة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ (التوبة:١٢٠).

وذكرت مصر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف:٩٩).

وذكرت سيناء في قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ (المؤمنون:٢٠).

وذكرت القدس في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة:٢١).

وذكرت الأحقاف في قوله تعالى:الاحقاف ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الاحقاف:٢١).

وذكرت مدين في قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ (الاعراف:٨٥).

وذكرت سبأ في قوله تعالى ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ (النمل:٢٢).

عمرو عبدالتواب

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:



alwaeiq8@gmail.com





أهمية الوقت

الوقت هو الحياة، فلا بد للإنسان العاقل أن يستفيد من الوقت، فلا يضيعه فيما لا يفيد، وتنظيم الوقت أساس النجاح، وهو شيء ضروري لإنجاز العمل، فهو يساعد الإنسان على تحقيق أهدافه في وقت أقل، فالزمن يمر ولا يتوقف ولا ينتظر أحدا، فمن الحكمة أن لا يضيع الإنسان ساعة من عمره دون أن يستفيد منها، وصدق من قال: «الوقت من ذهب».

فالعاقل لا بد أن يكون واعيا بأهمية الوقت وكيفية الاستفادة منه، ويجب أن يدرك أن الوقت أغلى من المال، لأن المال الضائع يمكن تعويضه، أما الوقت الضائع فلا يمكن تعويضه، والدقيقة التي تذهب لا يمكن إعادتها، ونعمت الحكمة القائلة: «الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك»، لذلك قال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما العبد الصحة والفراغ» (رواه البخاري).

فيجب أن لا نضيع الوقت فيما لا فائدة منه، لأنه نعمة كبرى من نعم اللّٰه، يجب المحافظة عليها واستغلالها الاستغلال الأمثل، قال بعض العلماء: «أهم نعم اللّٰه على العبد ثلاث: الإيمان والصحة والفراغ»، وقال ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك» (ذكره المنذري في الترغيب والترهيب).

فعلى المسلم أن يغتنم وقت فراغه في طاعة اللّٰه والأعمال الصالحة والعبادة وقراءة القرآن وذكر اللّٰه عز وجل وتحصيل العلم النافع ليسعد في الدنيا والآخرة، والوقت هو رأس مال الإنسان لو أحسن الاستفادة منه لحقق الخير الكثير لنفسه ولمجتمعه، ولقد أحسن الشاعر أبو العتاهية حين قال:

إن الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أي مفسدة

والجدة -بكسر الجيم وفتح الدال- هي وفرة المال والغنى، فالشاب الذي يملك المال ولديه الوقت ولا يحسن استغلال هذه النعم فيما يعود عليه وعلى مجتمعه بالخير، فإنها تكون طريقا إلى الفساد، والذي يضيع وقته يضيع حياته، وصدق أحمد شوقي حين قال:

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثواني

فإذا كانت الحياة مجموعة من الدقائق والثواني فيجب على العاقل أن يستغل هذه الدقائق والثواني فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ولا يضيعها، وقال بعض البلغاء: «من أمضى يومه في غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد أثله -جمعه وأصله- أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه».

فيجب علينا أن نعي أهمية الوقت وألا نسيء استخدامه لأنه المورد الوحيد الذي لا يمكن استرداده.

حسن عثمان حسن

مسك الختام

البر وجوامع القيم

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٧).

ترتبط هذه الآية بسورة الماعون ارتباطا عضويا، لأنها توضح الإجمال المقصود في تلك السورة. لم تبدأ الآية: بليس الدين ولا ليس الإسلام، ولا ليس الصدق، ولا ليست التقوى، وإنما بليس البر. وهذا عجيب حقا. وقد كشف بناء آية البقرة أن للبر معاني شاملة جمعها المولى تبارك وتعالى في آية واحدة. فما هو البر ولماذا هذا الشمول؟

قال الزبيدي (ت١٢٠٥هـ): «البر: الصلة. وقال بعض العلماء: البر: الصلاح. وقال آخرون: البر: الخير. قال: ولا أعلم تفسيرا أجمع منه لأنه يحيط بجميع ما قالوا. والبر: الاتساع في الإحسان إلى الناس. قال بعض أرباب الاشتقاق: إن أصل معنى البر السعة، ومنه أخذ البر مقابل البحر، ثم شاع في الشفقة والإحسان والصلة. وتصور منه التوسع في فعل الخير. وقد اشتمل عليهما قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ (البقرة: ١٧٧). وعلى هذا ما روي أن الرسول سئل عن البر فتلا هذه الآية. فإن الآية متضمنة للاعتقاد والأعمال». (تاج العروس، ج٦، ص٦٩).

من المعنى اللغوي، نفهم معنى البر في القرآن: فهو الصلة والاتساع في الإحسان إلى الناس، والشفقة والتوسع في فعل الخير، أي الرحمة في أوسع مجالاتها، وأرقى مفاهيمها وأسمى أغراضها. وفي تحديد القرآن لمفهوم البر نلاحظ نظاما تام البناء:

الأول: هو الاعتقاد: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾.

الثاني: العمل الاجتماعي: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾.

الثالث: العبادات: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾.

الرابع: الوفاء والأمانة: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾.

الخامس: الصبر: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾.

والنتيجة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾.

إن الترتيب مقصود في حد ذاته. فالآية كلها في شكل دائري وهي لا تقرأ قراءة خطية، وإنما قراءة تصاعدية. لأن بناء الآية يجعل مضمونها ينطلق من الله تعالى ويعود إليه. والعمل الاجتماعي المتمثل في صلة الرحم والجوار والتكافل الاجتماعي في كل مظاهره، هو أولى أولويات الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين. وتلك أيضا أولى أولويات الإسلام ومقاصده.

د. محمد حسن بدرالدين
باحث دراسات إسلامية

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي



مصرف الصدقات

وقف على دعم بعض الفئات الضعيفة والمحتاجة
في المجتمع،لسد حاجتها،وحفظ كرامتها

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٨٣) رجب ١٤٤٣هـ - فبراير/ مارس ٢٠٢٢م

دامت أفراحك يا كويت العز

- الإسلام والحفاظ على البيئة
- دور المسنين وبر الوالدين
- محاضرات الشيخ الشعراوي

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

مجلة الوعي الإسلامي  www.alwaei.gov.kw  alwaeiq8@gmail.com  موقع مجلة الوعي الإسلامي



مصرف الاطعام

وقف على توفير المواد الغذائية
للمحتاجين وإفطار الصائم والأضاحي


Q8APF

WWW.AWQAF.ORG.KW



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

المواطنة الصالحة.. والانتماء الصادق

لقد أسبغ الله جل جلاله نعمه الظاهرة والباطنة على دولتنا الحبيبة (الكويت)؛ فمن عليها وعلى شعبها بنعمة التحرير بعد الاحتلال، والأمن بعد الخوف، والاستقرار بعد الشتات، وذلك بعد أن تعرضت هذه البلاد الآمنة المسالمة للغزو الذي خرب البلاد وشتت العباد، وسلب الممتلكات ومارس شتى أنواع القهر لشعب يعيش في أمن ومحبة وسلام.

إن موادعة بلدنا الكويت لأصدقائه، وحفظه لحسن الجوار، وأياديه البيضاء المنتشرة في شتى أرجاء المعمورة كل هذا كان من ثمراته أن سخر له الأشقاء والأصدقاء من جميع دول العالم ليقفوا معه في محنته؛ فدافعوا عن حقه في المحافل الإقليمية والدولية، وسخروا له الإمكانات وجيشوا لأجله الجيوش لمعاونته على تحرير أرضه من عدوان المعتدين؛ فمن الله عليه بالأمن بعد الخوف، وبالحرية والكرامة بعد القهر والأسى، فما أجلها من نعمة، وما أعظمها من عطية! فاللهم لك الحمد أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا.

وبفضل الله وجوده وكرمه ينعم بلدنا الكويت ببيئة اجتماعية متناغمة متآلفة، وتماسك داخلي متميز وفريد في ظل رعاية الله عز وجل أولا ثم بقيادة حكيمة متوازنة رشيدة، مدافعة عن حريته وكرامته ومكانته العزيزة بين دول العالم المتقدم.

ولا شك في أن هذه النعم التي ما زالت تترى على هذه البلاد تحتاج إلى مزيد من شكر المنعم جل جلاله، فالشكر هو سبيل المحافظة عليها، فلولا فضله سبحانه لما كنا ننعم بالوطن والأمن والأمان والعيش الرغيد، وقد وعد الله سبحانه وتعالى بزيادة النعم واستمرارها عند شكره؛ فقال في كتابه العزيز: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ (إبراهيم:٧). وقد كان نبينا ﷺ يكثر من قوله: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (رواه أبو داود).

هذا وينبغي أن نعلم أن جحود النعمة سبب لتحولها إلى نقمة، قال الله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ (النحل:١١٢).

هذا، ويجب علينا أن نقابل هذه النعمة بالشكر المتمثل بإخلاص العبادة وكمال التوحيد لله رب العالمين، والبعد عن محارم الله، وأن نعمل على استمرار العطاء، وزرع الأيادي البيضاء التي بدأها أجدادنا في كل مكان، كما أنه ليس من الشكر إظهار الصخب وتبذير الأموال فيما لا ينفع.

وختاما: فإن الكويت تستحق منا الإخلاص والتقدير، والانتماء الصادق والمواطنة الصالحة، والعمل على إرساء دعائم العطاء، والمحافظة على عقيدة المجتمع وهويته الإسلامية، والحرص على رفعته وتقدمه ووحدته، ونبذ الفرقة والتنازع، والالتفاف حول قادتها والنصيحة لهم، لا سيما في الأوقات العصيبة والفتن التي تحيط بالمنطقة العربية والإسلامية، وفي ظل هذه الجائحة الصحية التي تعصف بالعالم.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٨٣/ رجب ١٤٤٣ هـ
العام التاسع والخمسون
فبراير – مارس ٢٠٢٢م

المراسلات
رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت – هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي – ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية–٤٣ شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



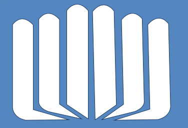
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ – ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ – فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ – فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣– ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ – فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ – فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ – فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ – فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ – فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ – فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ – فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ – فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ – فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ – فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

ذكرى التحرير

الأيام الوطنية تحمل ذكريات من عبق الزمن الماضي، تذكرنا بأمجاد الآباء والأجداد الذين قدموا أرواحهم رخيصة دفاعا عن الأوطان وتخليصها من قبضة المحتلين الغاشمين، وحماية للشرف والعرض والدين.

وفي شهر فبراير من كل عام تحتفل الكويت بذكرى تحرير الكويت من العدوان الغاشم وهي تستذكر بفخر واعتزاز بطولات قيادتها وشجاعة أبنائها والوقفة الصادقة للدول الشقيقة.

ويستلهم الكويتيون من ذكرى التحرير العديد من الدروس المستفادة التي تعينهم في النهوض بالحاضر والتطلع للمستقبل، مستذكرين مواقف لا تنسى وهم يستعيدون ذكرى الغزو قبل ٣١ عاما.

فمنذ اللحظات الأولى للاحتلال الغاشم في فجر ٢ أغسطس ١٩٩٠، أعلن المواطنون الكويتيون رفضهم للعدوان، ووقوفهم صفا واحدا في الداخل والخارج إلى جانب قيادتهم الشرعية للدفاع عن وطنهم وحريتهم.

كذلك جاءت الكثير من المواقف العربية والدولية لتدين النظام الغاشم وتطالبه بالانسحاب الفوري والتراجع عن عدوانه على دولة الكويت.

كل هذه المواقف العربية والدولية جاءت نابعة من اعترافها بحق الكويت في الاستقلال والسيادة التامة على أراضيها وحق الكويتيين في العيش بحرية وكرامة على أراضيهم.

التحرير

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



محمد عبدالباقي
باحث دراسات إسلامية

معجزة القرآن

القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ المتحدي بأقصر سورة منه، وقد كان لكل نبي معجزة من جنس ما برع فيه قومه، فموسى عليه السلام حين أرسله الله تعالى إلى فرعون أعطاه معجزة العصا واليد وغيرهما، وعيسى عليه السلام أعطاه الله آيات، منها: إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى.

فقد كانت معجزة النبي محمد هذا القرآن المعجز؛ روى البخاري بسنده عن النبي ﷺ قال: «ما من نبي إلا أوتي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحي إلي، فأود أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»(1).

وكانت معجزة النبي محمد تلك المعجزة اللغوية التي تحدى بها الحق سبحانه وتعالى العرب البلغاء الفصحاء، أهل اللسان والبيان، تحداهم أن يأتوا بمثله قال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور:٣٤)، فعجزوا فأنزل الله سقف التحدي لبيان سطوة القرآن وإعجازه، فتحداهم أن يأتوا ببعض سور مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (هود:١٣)، فلم يستطيعوا، ثم أن يأتوا ولو بسورة من مثله، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (يونس:٣٨)، وقال سبحانه: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (البقرة:٢٣-٢٤)، وظل التحدي قائما إلى قيام الساعة للإنس والجن على السواء قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء:٨٨)، وهذا التحدي قائم إلى قيام الساعة.

وهذا رجل من أفصحهم لسانا وأبينهم



منطقا وأعلمهم شعرا ونثرا، الوليد بن المغيرة، لما طلبت قريش منه أن يقول في القرآن قولا يبلغ قومه أنه كاره له، ومنكر له، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما)، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له. قال: وماذا أقول «فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته» (رواه الحاكم وصححه)[٢].

لقد برع العرب قبل الإسلام في علوم اللغة براعة لم يسبق لها مثيل، فقد كانوا يقيمون أسواقا للكلمة يتنافس فيها الشعراء والخطباء والبلغاء، فمنهم فحول الشعراء وأصحاب المعلقات، ومنهم الخطباء الفصحاء الذين لا يشق لهم غبار، ويقيمون لجنة من الحكام لتحكم بينهم في الفصاحة والبلاغة والبيان.

يروى أن الأصمعي كان يتحدث في مجلس، واستشهد بالآية: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم».

فسأله أعرابي: كلام من هذا؟

فرد الأصمعي: هذا كلام الله.

فقال الاعرابي بثقة: هذا ليس كلام الله.

فاستغرب الأصمعي والحضور من إنكار الإعرابي آية من كتاب الله، فسأله: هل أنت من حفظة القرآن؟

قال الأعرابي: لا.

قال الأصمعي: هل تحفظ سورة المائدة؟ (التي بها هذه الآية).

قال الأعرابي: لا.

فتناول الأصمعي المصحف وفتح سورة المائدة وهو يقول بثقة: هذه هي الآية، اسمع: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ (المائدة:٣٨).

فتنبه الأصمعي للخطأ، حيث إنه أخطأ في قراءة نهاية الآية بقوله: «والله غفور رحيم»، والصحيح هو «والله عزيز حكيم».

فأعجب بنباهة الأعرابي الذي فطن إلى الخطأ رغم أنه ليس من حفظة القرآن، فسأله: يا أعرابي.. كيف عرفت؟

قال الأعرابي: عز فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع[٣].

كانت سطوة القرآن وبلاغته على العقول والقلوب عجيبة، جعلتا المنكرين والمشككين ينهون الناس عن سماعه، ليس هذا فحسب بل وأن يشوشوا على غيرهم حتى لا يصل الحق إلى قلوبهم، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ (فصلت:٢٦)، وما ذلك إلا لعلمهم بإعجاز هذا الكتاب وبيانه الساحر وفصاحته الخلابة، ونظمه الرائع.

الطفيل بن عمرو رجل شاعر عاقل لبيب من قبيلة دوس اليمنية، كان الطفيل رجلا شريفا فقالوا له: أبا الطفيل، إنك قدمت بلادنا فهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، فرق جماعتنا، وإنما قوله كالسحرة يفرق بين المرء وأبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمع منه. قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت على ألا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا (قطنا) من أن يبلغني من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه.

قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله قائم يصلي عند الكعبة، قال فقمت قريبا منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله. قال: فسمعت كلاما حسنا. قال: فقلت في نفسي واثكل أمي إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته، فمكثت حتى انصرف رسول الله إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا لي، فوالله ما برحوا يخوفنني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فاعرض علي أمرك فعرض علي الإسلام وتلا علي القرآن، فوالله ما سمعت قولا قط أحسن ولا أمرا أعدل منه، وقال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام. ولقد أسلم بإسلام الطفيل أبوه وزوجته ونفر من قومه[٤].

الهوامش

١ – رواه البخاري، فضائل القرآن، (٤٥٩٨).

٢ – المستدرك على الصحيحين، ٥٥٠/٢، لأبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى:٤٠٥هـ).

تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، عدد الأجزاء:٤.

٣ – التفسير الوسيط للواحدي ١٨٥/٢؛ التحرير والتنوير ١٨١/٢؛ صفوة التفاسير ٣١٥/١.

٤ – الموسوعة القرآنية، ٧٧،٧٨،٧٩/١، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى:١٤١٤هـ) الناشر: مؤسسة سجل العرب، الطبعة:١٤٠٥هـ.



د. مراد زهوي
أستاذ بجامعة السلطان مولاي سليمان

وقفات بيانية مع سورة القيامة

ابتدأت السورة الكريمة؛ بالقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة على أن البعث حق لا ريب فيه، ثم ذكرت طرفا من علامات ذلك اليوم المهول، الذي يخسف فيه القمر، ويتحير البصر، ويجمع فيه الخلائق والبشر للحساب والجزاء، وتحدثت السورة عن اهتمام الرسول ﷺ بضبط القرآن عند تلاوة جبريل عليه، فقد كان عليه السلام يجهد نفسه في متابعة جبريل، ويحرك لسانه معه ليسرع في حفظ ما يتلوه، فأمره الحق سبحانه بأن يستمع للتلاوة، ولا يحرك لسانه به. وذكرت السورة انقسام الناس في الآخرة إلى فريقين: سعداء وأشقياء، فالسعداء وجوههم مضيئة تتلألأ بالأنوار، ينظرون إلى الرب جل جلاله، والأشقياء وجوههم مظلمة قاتمة، يعلوها الذل والقترة. ثم تحدثت السورة عن حال المرء وقت الاحتضار، حيث تكون الأهوال والشدائد، ويلقى الإنسان من الكرب والضيق ما لم يكن في الحسبان. وختمت السورة الكريمة بإثبات الحشر والمعاد بالأدلة والبراهين العقلية.

الأسرار البيانية

حفل القرآن الكريم بجملة مباركة من الأسرار البيانية والبلاغية، حيث تحدى الله تعالى به فصحاء العرب وبلغاءهم، فأفحموا وعجزوا على أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله أو بآية من مثله، بما تضمنه من هذه الأسرار. وسأقصر الكلام في هذا المقال على الأسرار البيانية في سورة القيامة.

فأول ما يطالعنا منها

١- سر دخول «لا» النافية على فعل «أقسم» في الآية الأولى والثانية: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾(القيامة:١-٢) «لا» هذه هي «لا» النافية، جيء بها قبل فعل «أقسم» لنفي الحاجة إلى القسم، لأن المقسم هو الله تعالى، والمقسم به هو «يوم القيامة والنفس اللوامة». أما المقسم عليه فهو «أن البعث والنشور حق، وأن الله يبعث من في القبور». دل عليه قوله سبحانه في الآية الثالثة: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ (القيامة:٣)، وتقديره «لتبعثن»[1].

والله تعالى ليس بحاجة إلى أن يقسم بشيء من مخلوقاته على إثبات ما هو حق لا ريب فيه؛ كالبعث وغيره، ولهذا أدخل «لا» على الفعل، في هذه السورة الكريمة وفي غيرها من السور التي يكون فيها ضمير الفعل عائدا عليه سبحانه وتعالى من مثل

قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ (الواقعة:٧٥).

فإذا تأملنا ذلك تبين لنا أنه لا يجوز القول إن «لا» زائدة للتأكيد، لأن القول بالزيادة في القرآن الكريم لا يستقيم مع ما تقدم، ثم إن كلام الله تعالى منزه عن الزيادة والعبث...

كذلك لا يجوز القول إنها لام الابتداء، أشبعت فتحتها، فتولدت منها ألف فصارت «لا»، لأن هذا الإشباع موضع إلباس بـ «لا» النافية ويقتضي أن يكون فعل القسم للمستقبل. وفعل القسم يجب أن يكون للحال. ولهذا تكلف بعضهم فقدر دخولها على جملة من مبتدأ وخبر، تقديره: «فلأنا أقسم» ثم حذف المبتدأ.



أما القول إنها نافية لكلام تقدم ذكره، ثم استؤنف القسم بـ «أقسم» فهو قول بعيد، لأنه يقتضي القراءة على وجوب الفصل بين «لا» و«أقسم» وكل القراءات فيها على الوصل...

وقولهم: إن «لا» هناك «لا» في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ (سورة النساء: ٦٥). ليس بشيء لأن هذه مفصولة عما بعدها، وتلك موصولة، وأبعد من هذا القول قول من ذهب إلى أنها لنفي الفعل «أقسم» على أن يكون إخبارا، لا إنشاء على تقدير: أن المقسم به يستحق إعظاما فوق القسم[٢].

٢- سر نفي الفعل «نجمع» بـ «لن» وتخصيصه بـ «العظام» في الآية الثالثة، ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾.

الاستفهام في الآية الكريمة لإنكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه. و«لن» - في مذهب الخليل - أداة مركبة من «لا» النافية، و«أن» المصدرية، ولا يلزم ما اعترض عليه سيبويه من تقديم المفعول عليها، لأنه يجوز في المركبات ما لا يجوز في البسائط، ومن خواصها أنها تدل على نفي إمكان الفعل في المستقبل بعد أن كان محتملا للحال.

وبيان ذلك أنك إن قلت: «يسرني أن يقوم زيد خطيبا «دلت «أن» على إمكان القيام. فإن قلت: «لن يقوم» دلت «لن» على نفي إمكان القيام الذي دلت عليه «أن»...

فإذا ثبت ذلك فمعنى «لن» هو نفي الإمكان بـ «أن» ومن خواصها - أيضا - أنها تنفي ما قرب، ولا يمتد معنى النفي فيها كامتداده في «لا»، إذا قلت: «لا يقوم زيد»، لأن «لا» هي لام بعدها ألف، ممتد بها الصوت ما لم يقطعه تضييق النفس، فآذن امتداد لفظها بامتداد معناها و«لن» بخلاف ذلك.

تأمل بعد ذلك - قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ (الأعراف:١٤٣) كيف نفى فعل الرؤية بـ «لن»، لأنها تنفي إمكان الفعل، وأن النفي بها لا يتأبد، خلافا للمعتزلة، بدليل قوله في صفة المؤمنين ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ (سورة القيامة: ٢٢-٢٣) فرؤيته تعالى ليست بمستحيلة، وإنما هي جائزة يوم القيامة، جاء فيها بـ «لن» مقيدة بمدة الحياة الدنيا.

ثم تأمل قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ (سورة الأنعام: ١٠٣) - كيف نفى فعل الإدراك - بـ «لا» لأنها تنفي ما يستحيل وقوعه، والنفي بها أبدي يمتد إلى ما لا نهاية. فالله تعالى لا يدرك أبدا، وإن رآه المؤمنون يوم القيامة فأبصارهم لا تدركه، تعالى عن أن يحيط به مخلوق[٣]، ويتضح هذا المعنى إذا علمنا أن إدراك الشيء هو أن يحاط به من كل الجوانب، ولا يلزم من نفيه نفي الرؤية، لأنه أخص منها، تقول العرب: رأيت الشيء، وما أدركته.

وقولهم: إن «لن» لتأبيد النفي، وإنها

تشعر باستحالة المنفي بها عقلا، مردود كثيرا بكثير من الآيات، من مثل قوله سبحانه: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا﴾(سورة التوبة: ٨٣) وقوله تعالى: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾(سورة هود: ٣٦) ونحوهما... فهذه كلها جائزات عقلا، لولا أن الخبر منع من وقوعها. وليس في ذكر «الأبد» ما يناقض ذلك، فقد يكون «أبدا» بعد فعل الحال[٤].

والدليل على بطلان مذهبهم قوله تعالى في صفة اليهود: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾(سورة البقرة: ٩٥) مع أنهم يتمنون الموت يوم القيامة، بدليل قوله تعالى على لسانهم: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾(سورة الزخرف:٧٧) فهذا تمن للموت، فلو اقتضت «لن» دوام النفي تناقض الكلام.

أما نحو قوله تعالى: ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾(سورة الحج: ٧٣)؛ فجاء النفي فيه بـ «لن» لظن المشركين أن الآلهة التي يعبدونها قادرة على (الخلق)... فإذا ثبت ما ذكرنا أدركنا سر الجمع بين «أن» و«لن» في قوله تعالى: ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ ولو قيل: (أن لا نجمع عظامه) دل ذلك على خلاف المراد...

٣- سر اختيار لفظ «البنان» وتخصيصه بـ «التسوية» في الآية الرابعة: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾. أي: نسوي أصابعه أو أطرافها. قال الزرقاني: «أرجوا أن تقف قليلا عند تخصيص «البنان» بالتسوية في هذا المقام، ثم تستمتع بعد ذلك إلى هذا العلم الوليد (علم تحقيق الهوية) في عصرنا الأخير، وهو يقرر: أن أدق شيء وأبدعه في بناء جسم الإنسان هو «تسوية البنان»، حتى إنه لا يمكن أن تجد بنانا لأحد يشبه بنان آخر بحال من الأحوال. وقد انتهوا من هذا القرار إلى أن حكموا «البنان» في كثير من القضايا والحوادث ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾(المؤمنون:١٤)»[٥]، وكذلك فإنه لا ظهور على العدو إلا به ﴿وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال: ١٢)، أي الأصابع أو أطرافها لأجل أنهم بها يقاتلون.

٤- سر التكرار في السورة:

ومن الأسرار المعجزة في هذه السورة الكريمة ما جاء فيها من تكرار في الآيتين: الأولى والثانية. وفي الآيتين الثامنة والتاسعة، وفي الآيتين: الرابعة والثلاثين والخامسة والثلاثين.

أما الآية والثانية فهما قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾. سبق وذكر أن «لا» إنما جيء بها قبل الفعل «أقسم» لنفي الحاجة إلى القسم... وهذا هو سر البيان فيها.

وأما تكرارها مع الفعل «أقسم» ففيه سر آخر من أسرار البيان. وبيان ذلك: أنه لو قيل: «لا أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة» احتمل ذلك معنيين: أحدهما: نفي الحاجة إلى القسم بهما مجتمعين.

والثاني: نفي الحاجة إلى القسم بأحدهما دون الآخر. وأما قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾، فيدل على نفي الحاجة إلى القسم بهما مجتمعين ومتفرقين.

وأما الثامنة والتاسعة فهما قوله تعالى: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ كرر لفظ «القمر» لأنه تعالى أخبر عنه بغير الخبر الأول. فخسف القمر غير جمعه مع الشمس. وخسفه معناه: ذهب ضوؤه وأظلم. قال أبو حاتم محمد بن إدريس: «إذا ذهب بعضه فهو كسوف، وإذا ذهب كله فهو خسوف»[٦]، والمراد من جمع الشمس والقمر: أن الله تعالى يجمع بينهما يوم القيامة، ويلقيهما في النار، ليكونا عذابا على الكفار... وفي قراءة ابن مسعود: (وجمع بين الشمس والقمر)[٧]... وغلب المذكر على المؤنث لاجتماعهما. ولو قلت: «طلع الشمس والقمر» لقبح، كما يقبح «قام هند وزيد» إلا أن نزيد الواو الجامعة، لا العاطفة. وأما في الآية فلا بد أن تكون الواو جامعة، ولفظ «نجمع» يقتضي ذلك، وعليه يكون «القمر» معمولا لفعل تقدر في معنى الفعل الاول، وقد أغنى عن إعادته، وناب منابه حرف العطف، وهذا من الأسرار البديعة، التي لا تراعى إلا في البيان الأعلى[٨].

وأما الآيتان الرابعة والثلاثون والخامسة والثلاثون، فهما قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ۝٣٥﴾، كرر «أولى» أربع مرات في هاتين الآيتين الكريمتين، للمبالغة في التهديد والوعيد. قال الكرماني: «فإن قوله: «أولى» تام في الذم، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾(سورة محمد:٢٠)، فإن جمهور المفسرين ذهبوا إلى أنه للتهديد. وإنما كررها، لأن المعنى: أولى لك الموت، فأولى لك العذاب في القبر ثم أولى لك أهوال يوم القيامة، وأولى لك عذاب النار، نعوذ بالله منها»[٩].

٥- سر دخول الواو على «لو» الشرطية في الآية الخامسة والثلاثين: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾.

أي: الإنسان حجة بينة على نفسه، يوم القيامة، وشاهد عليها وحده،

بما جنت واقترفت من الموبقات، لأن جوارحه تنطق بذلك: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(سورة النور: ٢٤)، والتاء في قوله (بصيرة) للمبالغة، كـ «راوية» و«علامة». وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾، يريده: إنه لو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه، يجادل عنها فلن ينفعه ذلك.

وأكثر النحاة والمفسرين على القول بأن «الواو» الداخلة على «لو» هي «واو» الحال. وذهب بعضهم إلى القول بأنها «زائدة». ويتفق الجميع على أن «لو» هنا بمعنى «إن» الشرطية، ومن قواعد النحاة: أن «إن» الشرطية إذا وقعت بعد واو الحال تعرب (وصلية) أي: زائدة. وكل ذلك تكلف وتعسف، لأنه يخل بمعنى الكلام ونظمه.

ولعل الصواب في ذلك أن نقول: إن قوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ جملة تامة وهي جملة خبرية. أما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ فهو عبارة شرطية، جعلت شرطا للجملة الأولى وقيدا لها - وهذ العبارة الشرطية إما أن تكون مشتملة على «الواو» كقولنا «يعطي السائل لو كان فقيرا». أو تكون مجردة من الواو، كقولنا «يعطى السائل، ولو كان غنيا». فالإعطاء الأول مشروط بكون السائل فقيرا، وليس كذلك الإعطاء الثاني. والفرق بينهما أن الأول يجري بوجود الشرط، لأن كون السائل فقيرا يناسب أن يعطى، وأن الإعطاء الثاني يجري رغم وجود الشرط، لأن كون السائل غنيا لا يناسب أن يعطى. ولهذا يسمى الشرط الأول: «إيجابيا» ويسمى الشرط الثاني «سلبيا»[١٠].

ولكون الثاني سلبيا أدخلت عليه «الواو» لتحصن المعنى، ولتقوم بوظيفة الربط بين الجملة الخبرية والعبارة الشرطية، ويؤتى بمثل هذا الرابط - عادة - عندما لا يوجد انسجام مباشر بين العبارتين، فصار معنى التركيب: يعطى السائل رغم كونه غنيا. أما على القول بأن «الواو» حالية فيكون المعنى: يعطى السائل حال كونه غنيا. ولا يخفى ما بين هذين المعنيين من فرق في بيان المعنى المراد. وأما على القول بزيادة «الواو» فيفسد المعنى تماما، لأنه يجعل الغنى شرطا في الإعطاء. ولهذا لا يجوز إسقاط هذه الواو من الكلام.

ولو كانت زائدة لما اطرد مجيئها في البيان القرآني. وعليه يكون معنى الآية الكريمة: الإنسان يشهد على نفسه، رغم مجيئه بكل معذرة، ولذلك ينبغي أن يطلق على هذه الواو مصطلح «واو الرغم» أو (رغمية)، بدلا من قولهم (حالية) أو (زائدة)[١١]. هذا عن معناها، أما عن إعرابها فتعرب: رابطة. و«لو» بعدها شرطية.

ومن ذلك قوله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (سورة يوسف: ١٧). أي: وما أنت بمؤمن لنا رغم كوننا صادقين. وقوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ (سورة البقرة: ٢٢١)، أي: الأمة المؤمنة خير من الحرة المشركة رغم إعجابكم بها. ومثل هذه الواو في دخولها على «لو» «الواو» الداخلة على «إن» الشرطية، نحو قولنا: «أكرم زيدا، وإن أساء إليك»، أي: أكرمه رغم إساءته. وإلى هذا ذهب السهيلي، فقال: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى، وإن سرق»، ولو لم يكن في الكلام الواو، لكان الزنى شرطا في دخول الجنة، ولكن الواو حصنت المعنى»[١٢].

هذا فيض من غيض مما احتواه نظم السورة المبارك من أسرار بلاغية، ولطائف لغوية، ودلالات بيانية، تمتد من خلالها إلى سائر سور الكتاب الكريم، وآيه المحكم، مما يرسخ حقيقة كونه معجزة نبي الإسلام الخاتم، التي تحدى بها فصحاء العرب وبلغائهم وفحول شعرائهم وفطاحلهم، فأفحموا وعجزوا على أن يأتوا بآية من مثله، فضلا عن أن يأتوا بمثله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (سورة الإسراء: ٨٨).

الهوامش

١- الجامع لأحكام القرآن: (٢١/٤٠٧).

٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي: (٢٣/٤٦٨).

٣- بدائع الفوائد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية: (١/١٠١).

٤- حاشية الكشاف لأحمد بن محمد المعروف بابن المنير: (٢/١١٤).

٥- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني: (١/٢٠).

٦- الجامع لأحكام القرآن: (٢١/ ٤١١-٤١٢).

٧- الجامع لأحكام القرآن: (٢١/٤١٢).

٨- بدائع الفوائد: (١/٢٢).

٩- أسرار التكرار في القرآن لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق عبد القادر أحمد عطا: (ص: ٢١٢).

١٠- الجملة الشرطية عند النحاة العرب لأبي أوس إبراهيم الشمسان، (ص: ٣٥٧ - ٣٥٨).

١١- المرجع نفسه: (ص: ٣٥٧ - ٣٥٨).

١٢- أمالي السهيلي عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقيق: محمد إبراهيم البنا: (ص: ٩٧).



التحرير

محاضرات الشيخ محمد متولي الشعراوي في الكويت عام ١٣٩٤ هـ الموافق ١٩٧٤م



بدءًا من هذا العدد تقدم مجلة الوعي الإسلامي لقرائها في العالم كله مجموعة محاضرات تربوية وثقافية وتوجيهية شهرا بعد شهر أسداها فضيلةُ الشيخ محمَّد متولِّي الشَّعراويُّ. رحمه الله. أثناء زيارته الميمونة إلى الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة، حيث حلَّ الشَّيخ الشَّعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها، وألقى رحمه الله خلال هذه الزِّيارة محاضرات إيمانيَّة في العديد من مساجد الدَّولة والجمعيات الخيرية، وأخرى تعليميَّة في عدد من مدارس وزارة التَّربية، وأخرى توجيهيَّة وإرشاديَّة في الكليَّة العسكريَّة بدعوة من وزير الدَّاخليَّة والدِّفاع آنذاك سمو الشيخ سعد العبد الله الصباح رحمه الله. وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجلعها الله في ميزان حسناته، ثمَّ خصَّ ابنُه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلَّة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تَّحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراوي، المتوفَّى سنة (١٤١٩هـ)، وقد كتب هذه التَّرجمة الوافية المرفقة للشَّيخ الشَّعراوي فضيلة الأستاذ الدَّكتور محمَّد رجب البيومي رئيس تحرير مجلَّة الأزهر سابقًا، رحمه الله تعالى.

المحاضرة الأولى

محاضرة الشيخ محمد متولي الشعراوي
في مسجد عبدالله العثمان
بتاريخ (١٨/ ٩/ ١٩٧٤م) الموافق (٢) رمضان (١٣٩٤هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، ومن أولى بالحمد منه وهو رب العالمين؟! سبحانه، نعتز بالعبودية له؛ لأنه الرحمن الرحيم، عنه صدر الكون كله، وإليه يعود الكون؛ لأنه مالك يوم الدين، اللهم كما خصصناك بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فأعنا بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، حتى تجعلنا من أهل صراط المستقيم ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، أذن الخير التي استقبلت آخر إرسال السماء لهذه الأرض، ولسان الصدق الذي بلغ عن الحق منهجه للخلق، وبعد:

فسبحانك ربي لا علم لنا إلا ما علمتنا، لا يلام متكلم إن قصر، ولا يمدح متكلم إن أجاد، إنما هي أرزاق السامعين، يجريها الله على ألسنة المتكلمين، وإذا كنا هذه الليلة نلتقي تحت لواء الإسلام في بلد إسلامي، وفي زمان كرمه الله، فأنزل فيه القرآن، وفي مكان هو بيت من بيوت الله، فقد اجتمعت خصائص الخير والحق والجمال، وإنه لحديث في الله، لزمان كريم على الله، في بيت منسوب إلى الله، وإذا كانت مساجد الله في الأرض جميعها بيوتا لله فمعنى ذلك أنها الأمكنة التي خصها خلق الله؛ حتى لا يفعلوا فيها شيئا إلا عبادة الله، وبقية الأرض لهم مشاع، يعملون فيها زراعة وتجارة وصناعة وتعليما، ولهم أن يصلوا فيها، أما إذا حجرنا مكانا، وحولناه بيتا لله فلا يجب أن يقام فيه شيء إلا عبادة الله، وبذلك تكون النسبة في المكان إلى بيت الله أنه لا يزاول فيه عمل إلا عبادة الله، ولذلك تخفق كثير من الصفقات التي تعقد في المساجد، ويخفق الأمر الدنيوي الذي يتكلم فيه في المساجد، فإذا كلمك إنسان في أمر يتعلق بدنياه في بيت الله فاحكم بأن الأمر مخفق ولا بركة فيه؛ لأن رسول الله دعا ألا يبارك الله في صفقة تعقد في المسجد؛ لأنه الزمن اليسير الذي أخذه الله منك من الزمن كله؛ لتنصرف إليه وحده، وبقية الأزمان مملوكة لك خارج البيت تفعل فيها ما تشاء، فإذا كان وقت الصلاة الذي تحضر فيه في المسجد لا يتطلب منك في اليوم كله إلا ساعة، فما أخذه الله من زمانك يعادل ساعة، ثم ترك لك (٢٣) ساعة، أتشارك الله في الساعة التي جعلتها له؛



لتجعل نصيبا لك فوق (٢٣) ساعة، وتستكثر ساعة لوقوفك بين يدي ربك؟! ذلك هو بيت الله كما يجب أن يكون، اعتكاف فيه تلقي الفروضات، وأسرار من الحق؛ لأنك صنعة الله، والصنعة حين تكون بين يدي صانعها لا يترك فيها خللا، إن أي صناعة توضع بين يدي مهندسها الذي صنعها لاشك في أنه سينظر فيها بعين الإصلاح والتقويم، ويصلح فيها الخلل، لكن صانع البشر مادي، فهو يصلحها بأشياء مادية، لكن الحق يصلحك بأسرار الغيب في ذاته، فلا تدر ماذا صنع الحق فيك وأنت بين يديه، فتخرج مستقر النفس، مستريح القلب، هادئ البال، نافضا عن نفسك أغلال الحياة كلها، ماذا يراد من صنعة الله صفاء غير هذا؟! وإذا كانت بيوت الله هذه أمكنة خصها خلق الله؛ حتى لا يذكر فيها إلا الله، لكن باختيار خلقه، فكيف يكون المتجه في بيوت الله التي هي من اختيار خلق الله؟! شاء الله أن يجعل بيوت الله في الأمكنة جميعها التي اختارها خلقه ليعبدوه فيها، وأن تتجه إلى بيت



العم فهد حمود الجار الله رحمه الله



أ.د. خالد الجار الله

اختاره لنفسه بنفسه، لذلك كانت الكعبة قبلة هذه البيوت جميعا؛ لأنها بيت الله باختيار الله، وبيوت الله جميعها باختيار خلقه، وما دام ذلك بيتا باختيار الله فلابد أن تكون البيوت باختيار خلق الله تابعة في المتجه لبيت اختاره الله.

وإذا اجتمعت الخصوصيات في الحدث والزمان والمكان، وجدت خواص الخير كله، وقد سمعتم أخي القارئ يقرأ قول الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ (الحج:٦)، تلك هي قضية الوجود الأولى التي يجب أن يشغل بها العقل الإنساني أولا، لا العقل الإيماني؛ لأن العقل الإيماني قد ارتبط والتزم بإلهه، أما العقل الإنساني غير المرتبط بالإله فيجب أن يبحث في الكون نفسه؛ ليربط نفسه بذلك الإله، وإن لم يفعل ذلك كان عقله هباء، وحياته كلها ضياعا؛ لأنه ينظر في نفس، فيجده خلقا من خلق الله يقوى على شيء ويعجز عن أشياء، ويعرف شيئا ويجهل أشياء، ويقهر على أشياء ويختار شيئا، إذن: فتلك آلة معقدة، ولغز كوني، يجب أن يبحث لنفسه عن حل، ما



ولد محمد متولي الشعراوي في (١٦) إبريل سنة (١٩١١م) بقرية دقادوس، مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وحفظ القرآن الكريم في قريته، وتلقى التعليم الديني بمعهد الزقازيق، فكلية اللغة العربية بالأزهر، حتى حصل على الشهادة العالمية سنة (١٩٤١م)، وبعدها نال إجازة التدريس سنة (١٩٤٣م)، وعين مدرسا بمعهد طنطا الأزهري ثم معهد الإسكندرية ثم معهد الزقازيق، وأعير للعمل بالسعودية سنة (١٩٥٠م) مدرسا بجامعة الملك عبد العزيز، وعاد إلى مصر ليكون وكيلا لمعهد طنطا سنة (١٩٦٠م)، فمديرا للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف سنة (١٩٦١م)، فمفتشا للعلوم العربية بالأزهر سنة (١٩٦٢م)، فرئيسا لبعثة الأزهر بالجزائر سنة (١٩٦٦م)، فأستاذا زائرا بجامعة الملك عبدالعزيز سنة (١٩٧٠م)، فرئيسا لقسم الدراسات العليا بها سنة (١٩٧٢م)، وعاد إلى مصر، وقد طار صيته العلمي فعُيِّن وزيرا للأوقاف سنة (١٩٨٠م)، فعضوا بمجمع البحوث الإسلامية سنة (١٩٨٠م)، وانتخب عضوا بمجمع اللغة العربية سنة (١٩٨٨م).

كان الأستاذ محمد متولي الشعراوي ظاهرة علمية فريدة، حيث تألق نجمه فجأة بعد الخمسين فجذب الأنظار إليه على نحو غير معهود، وتناقل حديثه الخاصة والعامة معا؛ إذ استطاع أن يرضي الجانبين بما رزق من وضوح الأسلوب وقوة الحجاج، وقد تهافتت الإذاعات المرئية والمسموعة في شتى بقاع العالم العربي على تسجيل دروسه الأسبوعية.

كما تطلعت دور النشر إلى طبع مؤلفاته على أوسع نطاق، وكان اسمه يسبق مقدمه في الرحلات التي قام بها داخل العالم العربي وخارجه، مما لم يقدر لغيره على هذا النحو المنفرد؛ وذلك لأن الرجل جمع من مواهب

الذي جعله قادرا على بعض الأشياء وعاجزا عن بعض آخر؟! ما الذي جعله مقهورا على بعض الأشياء ومختارا في بعض الأشياء؟! ما الذي جعله يعلم أشياء، ويسأل عن أشياء؟! لو أنه بطبيعته صالح لأن يعلم لعَلِم كل شيء، ولو أنه بطبيعته صالح لئلا يعلم لجَهِل كل شيء، ولو أنه صالح بطبيعته لأن يختار لما قهرته الأحداث على شيء، ولو أنه صالح بذاته لأن يكون قادرا على كل شيء لما عجز عن شيء، لكن واقع الحياة في الناس يدل على أنهم إن قدروا مرة فقد عجزوا، وإن علموا مرة فقد جهلوا، وإن اختاروا مرة فقد قهروا، فوجب على العقل أن يبحث عن هذه القوة التي تأتي عليه بأفعال لا يستطيع دفعها، وتعلمه أشياء لا يستطيع حسها ولا إدراكها، وتقهره على أشياء لا يستطيع دفعها مهما أوتي من قوة، كل ذلك يجعل العقل المجرد عن الإيمان يجب أن يبحث له عن مهمة في هذا الوجود؛ حتى يحل لغز نفسه، وإن لم يحل لغز نفسه يكون قد جهل نفسه، وما دام قد جهلها فلا تنتظروا له خيرا؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة، فكيف ينظر الإنسان ليحل هذا اللغز؟ يقول: لماذا أقدر وأعجز، وأعرف وأجهل، وأقهر ولما أختر؟ ولماذا لم أكن على لون واحد من هذه الأشياء؟ حين يتجه العقل ليبحث ويحل هذا اللغز لا يجد أمامه علما استقرائيا يقنعه إلا العلم المادي الذي يعيشه، والأمور المحسة التي يراها، فمنها ينطلق الاستدلال على وجود هذه القوة التي تقدر على ما لا يقدر عليه، وتقهره على ما لا يختار، وتعلمه ما لا يعلم، حين يهتدي إلى هذه القوة بنظره في الكون نقول له: ما الكون؟! الكون باستقراء الطبيعيين والماديين أجناس، كل جنس له خاصية ومهمة ورسالة يؤديها، لكن أجناسا تعلو على أجناس في الخواص والمهمات؛ فأدنى الأجناس في الكون الجمادات، فإذا شاء الله لجماد من الجمادات أن يعطيه النمو صار جنسا آخر اسمه: النبات، تميز عن الجماد فقط بظاهرة النمو، ثم يجيء جنس أعلى من النبات، فيميزه الله بخاصية، هي خاصية الحس والحركة، فيأتي عالم الحيوان، ثم يجد جنسا آخر أعلى من هذه الأجناس، فيه من المادة خواصها، ومن النبات خواصه، ومن الحيوان خواصه، لكنه يمتاز بشيء آخر؛ هو ذلك الفكر، ومهمته أن يختار بين البديلات، أما الذي لا بديل له فلا عمل فيه للفكر البتة، إنما عمل الفكر في الشيء الذي له بديل.

إذن: فالإنسان أرقى هذه الأجناس؛ لأنه امتاز عن الحيوان بالفكر، والحيوان ممتاز من النبات بظاهرة الحس والحركة، والنبات ممتاز من الجماد بظاهرة النمو، والجماد هو أدنى هذه الأجناس، وما دام الإنسان ممتازا من الأجناس جميعها فهو سيدها جميعا؛ سيد الحيوان والنبات والجماد، فهل صنع هذه السيادة لنفسه بقوته وقدرته؟ لا، كان يجب عليه أن ينظر بفكره ليعرف من الذي صنع هذه الأشياء له؛ ليستمتع بها وينتفع، وهو عاجز حتى عن إدراك معناها، نحن لم ندرك الشمس وانتفعنا بها، ولم ندرك القمر، وإن كنا قد أدركناه صعودا، فنحن لا نعرف تكوينه، ومع ذلك انتفعنا به طوال هذه الملايين من السنين، فوجب على العقل أن يبحث عن مهمة، الجماد له مهمة؛ إنه يغذي النبات والحيوان والإنسان، والنبات له مهمة؛ إنه يغذي الحيوان والإنسان، والحيوان في خدمة الإنسان، فما مهمتك أيها الإنسان؟! هنا نقف لنسأل الإنسان المكرم: ما مهمتك وخدمتك وعملك في الكون؟ إن لم تبحث لنفسك عن مهمة فسيكون الجماد والنبات والحيوان خيرا منك، لذلك وجب عليك أن تبحث لنفسك عن مهمة، وإلا كنت أتفه شيء في هذا الوجود.

إذا كانت مهمة الجماد قد ارتبطت بأجناس أعلى منه؛ وهي النبات والحيوان والإنسان، ومهمة النبات ارتبطت بنوعين أعلى منه؛ وهما الحيوان والإنسان، ومهمة الحيوان ارتبطت بالإنسان، فيجب أيضا أن تتسامى أنت في مهمتك وترتبط بقوة أعلى من هذه القوى كلها. ابحث عنها جيدا، وافتح أذنك جيدا؛ حتى إذا سمعت مبلغا عن الله معرفا لذاتك بالله فعض عليه بالنواجذ؛ لأنه هداك إلى الضالة التي كنت تنشدها، أما إذا عزفت عن ذلك فستظل إنسانا تافها مغمورا، وحين تنفض عنك الحياة الدنيا تلقى الجزاء الأخير الذي لا راد له.

إذن: فمهمة الإنسان أولا: أن يبحث عن موقعه في الكون، مهمته في الوجود، وعليه أن يبحث ثانيا، نقول له: أأنت سخرت الجماد لخدمتك؟! فيجيب: ليست لي قوة أسخر بها الجماد؛ لأنني لم أعرف تكوين عناصره، ولا أعرف كيف أستخدمها. فنسأل: هل سخرت النبات لخدمتك؟ يقول: لا أعرف. فنسأل: أأنت سخرت الحيوان لخدمتك؟ يكون الجواب: لا أقدر. إذن: فمن الذي سخر لك هذه الأشياء؟! لابد أن تكون هناك قوة أقوى منك ومن هذه الأجناس، أخضعت الأجناس كلها؛ لتكون في خدمتك، وأنت يجب عليك إيمانيا أن تبحث لك عن مهمة، لابد أن تكون مهمتك مع القوة التي سخرت لك ما لا تقدر عليه، وحين تنتهي إلى هذه القوة تنظر في الكون نظرة أخرى، هي التي عرضها الحق سبحانه وتعالى فيما قرأ أخي وزميلي، قال: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۥ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (الحج:١٨) هذه غيبيات، والمقصودون هم الملائكة والجن، ونحن -المؤمنين- لا نراهم، لكنهم ساجدون خاضعون لله، والشمس والقمر والنجوم والجبال هي أجناس الجماد، والجنس الثاني هو النبات، والجنس الثالث هو الدواب أو الحيوان، وأجناس الوجود هذه جميعها خاضعة لله؛ ما وجدنا ترابا تأبى على حامله، وأرضا امتنعت من إعطاء الزرع حين توضع فيها البذرة وتسقى بالماء، كلها مسخرة لقوانين الحق، وما رأينا نباتا امتنع من انتفاعك به، وما رأينا حيوانا شرد عنك ونز[1] ولم يسخر لك.

كل شيء في الكون من الأجناس مسخر لما خلقه الله، ولكن للأسف كان الانقسام عند الناس، والإجماع في الأجناس التي كانت قبل الإنسان، وهي الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، ولكن الانقسام حصل في الناس فقط، فقال الله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ (الحج:١٨).

في الكون خصمان من أرقى أجناسه، ينحدران من واحد هو الإنسان نفسه، وهما: المؤمن والكافر، فكثير من الناس خضعوا لله، وهم المؤمنون والطائعون، وكثير منهم لم يخضعوا لله، وهم الكافرون والعاصون والمتمردون، فهذان خصمان اختصما في ربهم، وكان من الواجب بداهة أن يكون عندهم إجماع على الحق والخضوع لمنهج الله، وهذا تكريم للإنسان الذي خلق بفكر، والفكر يختار بين البديلات، فربما يغلبه هواه وتغلبه نفسه، فتنطمس معالم الحق في نظره، فيؤثر شهوة نفسه على طاعة الله، ويؤثر زائل الدنيا على خالد الآخرة، وهو في ذلك إنسان عقله تافه؛ لأن أقل مبادئ النفعية -كما قال العلماء- أن تنظر إلى نفع الشيء؛ هل هو نفع طويل وعال في كميته ومتيقن، أم قصير وضئيل وغير متيقن؟ فالتاجر حين يشتري صفقة من الصفقات متأكد تماما، أو يغلب على ظنه أنه سيأتي بأكثر مما أعطى في الثمن، ولو لم تكن في باله تلك النفعية لجبن عن التجارة، والحق سبحانه وتعالى قدر على البشرية، فجعل الربح والمكسب سوطا يلهب الإنسان؛ ليتحرك في الحياة، ولو لم يقدر ذلك لما صنع الإنسان شيئا، ولذلك إذا أردت أن تفاضل بين اثنين وفق قانون النفعية فقس أيهما أنفع وأبقى زمانا وأكثر كما وتيقنا.

إذا نظرت إلى هذه الدنيا مهما كانت طويلة -والبحث هنا ليس في فنائها، ولكن في دنياك أنت- ستجد أنه ليس لك منها إلا عمرك فيها، فالدنيا في قياس ذاتك منتهية؛ لأن الذي يبقى لغيرك لا صلة لك به، وستقول: دنيا ستمتد لواحد غيري بعدي، فهي عندي عمري فيها، فمثلا: لو كان مدى عمرك فيها ومتوسطه سبعين عاما فهي محدودة، ولكنها غير متيقنة؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يتيقن أنه سيعيش سبعين عاما مظنونة، فمدة الدنيا محدودة وغير متيقنة؛ لأن من الجائز أن يموت الإنسان وسنه يوم، أو يموت وسنه عشرون، فالمدة غير متيقنة، ونعيمك في دنياك على قدر ما تملك من إمكانيات، يزداد بازديادها وينقص بنقصانها، فلو قارنت بين الدنيا محدودة الأجل والآخرة غير محدودة الأجل لوجدت صفقة الدنيا خاسرة، ولو قارنت بين الدنيا والآخرة لوجدت أن الدنيا مظنونة؛ نظرا لمتوسط الأعمار، وأن الآخرة متيقنة، فهي إذن مقارنة بين صفقة متيقنة وصفقة مظنونة، كأنك تقارن بين صفقة منتهية وصفقة غير منتهية، وفي مقارنة أخرى بين إمكانياتك وإمكانيات الله ستجد أنه شتان ما بينهما، وفي ظل هذه المقارنات ستجد أن الذين يؤمنون بالله ويؤثرون الآخرة هم أذكى الناس في التجارة؛ لأنهم عرفوا كيف يبدلون غير المحدود بالمحدود، وغير المتيقن بالمتيقن، وكيف يبيعون إمكانياتهم ويأخذون ويشترون إمكانيات الله، وهم بذلك الكيسة والعقلاء، وهذا ما يفسر طرح الله هذه القضية في معيار التجارة، فيقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون:١)؛ لأنهم

الإقناع إلقاء وتعبيرا، وتفهما لنفسيات المستمعين ما جعله مطمع الأنظار، وحين لقي ربه في (٢٢) صفر سنة (١٤١٩هـ) الموافق (١٧) يونيو سنة (١٩٩٨م) ودعه الجمهور بما فاق كل تصور في التشييع، ودفن بقرية دقادوس مسقط رأسه.

كانت دروس التفسير هي العماد الأول لنشر أفكاره الدينية، والاجتماعية، والخلقية، وقد صادفت ذيوعا مستفيضا بما سلكه من منهج في إلقائها؛ إذ يسوق أفكاره متناسقة متسلسلة، ويجعلها شبيهة بالقضايا المنطقية ذات النتائج الملزمة دون غموض، فإذا اتضحت القضية أيدها بالنص القرآني المحكم، فيكون بعد الاقتناع السابق دليلا ملزما لا يقبل النقض، وقد أخذ عليه استطراده في بعض الأحيان، وهو نوع من التشويق يرضي الكثرة التي ترحب بالطرائف النادرة، وحين جمع تفسيره في مجلدات متتالية حذف الاستطرادات، ومضى التفسير على سننه المعهود، وقد أوجد الشيخ بهذه الدروس ذات الإقبال الكاسح جامعة علمية شعبية، تنتقل إلى المشاهدين في منازلهم، فتعطيهم الدروس الشافية، وكأنهم يجلسون في معهد علمي.

كان تفسير الإمام الشعراوي ركنا قويا من أركان الرسوخ الإيماني في قلوب المسلمين، ومن مزاياه أن الشيخ اتصل بشذور من علوم النفس والتربية والاجتماع والعلوم الحديثة فاعتملت في نفسه، وساقها في طيات الشرح، فاقتنع بها المنصتون.

وكانت قضايا المجتمع الإسلامي شغله الشاغل في درس التفسير، فكل ما تعج به الصحف من قضايا المرأة والشيوعية والرأسمالية والوجودية كان مجال تفكير الشيخ، فهو يلتمس المناسبة في الآية الكريمة، ويشن النقد الجارح على من يحاولون تجاهل النص القرآني، موضحا أنهم بسلوكهم المخطئ ليسوا مع المنطق في شيء، وقد خاصم الشيخ رؤوس التفكير المارق علنا، فاضطروا إلى السكوت عما يأفكون، بعد أن دعاهم للمناظرة علنا أمام الجمهور، فعلموا أن الموقف الفصل وما هو بالهزل، فتراجعوا صامتين.

وقد رزقه الله من حسن الاستنباط وعمق التحليل ما قمع كل ضلال، وضرب المثل لذلك

دخلوا في تجارة رابحة، وقد سماها الله تجارة؛ لأنه يعلم حرص الإنسان على النفع والكسب، فيقول له: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (الصف:١١،١٠)؛ أي: إذا كنت تحرص على النفع والكسب فأنا أدلك على تجارة خير من تجارتك.

فالكيس من اتجر هذه التجارة وعرف كيف يضع حركة حياته ومجهوده في شيء نافع، أما الذين ينظرون إلى زخرف الحياة، فنقول لهم: أنتم قصار النظر؛ لأنكم اتجرتم بالمحدود غير المتيقن على قدر إمكانياتكم، ولكنكم تركتم صفقة أعلى، غير محدودة ومتيقنة على قدر إمكانيات الله، وبهذا يكون المؤمنون هم المفلحون، وقد عرض القرآن هذه المسألة بقوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ (الحج:١٩)، ثم فصل فقال في الفريق الأول: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١﴾ (الحج:١٩-٢١)، وقال في الفريق الثاني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (الحج:٢٣)، وبذلك يكون الدين قد دلك على الصفقة الناجحة الرابحة؛ لذلك أقول: لا يظن ظان أن الدين جاء ليحدد حركته في الحياة، إن الدين يحدد حركتك؛ لأنك قد تتحرك حركة طائشة مجنونة كما يتحرك كثير من الناس، وهو يريد منك أن تتحرك حركة حازمة عالمة لا يأتي بعدها ندم وإنما خير، وكان من حكمة الحق سبحانه وتعالى عرض هذه المسألة.

حين نستقرئ الكون لا نجد عذرا لنا في الكفر؛ لأن سر الحياة والإحياء أوقف العقول عنده حيرى إلى الآن، في الحقيقة يستطيع الصناع من البشر أن يصنعوا آلات؛ يأخذون من مادة الأرض المخلوقة لله، ويعملون طاقتهم وفكرهم المخلوقين لله؛ لينتجوا هذه الآلات من صناعتهم، ولكن هل تحقق هذه الآلات ضرورة من ضرورات الحياة؟ إنها تحقق فقط طرفا من ترف الحياة، فمثلا: كوب الماء الذي نشربه يحقق طرفا من ترف الحياة دون ضروراتها التي لا عمل للإنسان فيها؛ لأنه عاجز عنها، فكأن الحق حينما خلق الإنسان وضمن له ضروريات حياته بقيوميته، ضمن بذلك بقاء عناصر وجوده، كالطعام والشراب والهواء، وهي ضرورات الحياة ذاتها، أما ما كان غير ذلك فهو من كماليات الحياة؛ لأن الناس قد عاشوا بغير ميكرفون وتلفاز، وبغير علم بالكهرباء، ومع ذلك عاشوا سعيدين، فإذا أردتم أن تسعدوا نفوسكم فأعملوا عقولكم المخلوقة لله في المادة التي خلقها الله لكم، وبعد ذلك استنبطوا من أسرار الوجود ما يعينكم على أمر حياتكم، أما ضرورات الحياة فقد ضمنها الله لكم دون عمل منكم.

وإذا نظرت إلى فلسفة القوت في هذه الدنيا تجد أن القوت يتسور حياة الإنسان المرهونة بطعام وشراب وهواء، وهنا قد يسأل سائل: ما عمل الإنسان في هذه العناصر؟ إن عمله في الطعام أكثر من عمله في الشراب، ولا يمكن القول: إن عمله في الشراب أكثر من عمله في الهواء؛ لأنه لا عمل له أبدا في الهواء، فغاية ما يصنعه حين يشرب أن يجعل الماء رائقا منقى من الأدران، ولذلك تجد الحق سبحانه وتعالى حينما تكلم على مسائل القوت وضمان الحياة في الكون يلفتك لفتة دقيقة إلى أنه لم يأمنك على أخيك، ولم يأمن أخاك عليك، وجعل قوام الحياة الضرورية من عمله هو، وجعل للإنسان نصيبا من العمل وفقا لحاجة الإنسان الذي قال عنه العلماء: إنه يستطيع أن يصبر دون قوت ثلاثين يوما حسب الشحم في جسده، ويصبر على الماء من ثلاثة أيام إلى عشرة، فحاجة الإنسان إلى الماء أقوى من حاجته إلى الطعام، ولذلك كان احتكار الطعام وملكه بالنسبة إلى الإنسان أكثر من احتكار الماء؛ لأنك ما دمت تصبر على الطعام شهرا فمن الجائز أن يحتكر شخص الطعام، ويمنعك منه ويتركك تعيش شهرا، وأنت هنا تستطيع أن تحتال وتجعله يعطف عليك، وتستطيع أي قوة أخرى أن تعينك وتساعدك، ولكن صبرك على الماء أقل؛ وهذا لا يملك إلا نادرا، فيبقى مشاعا، ولكن العنصر الأساسي في بقاء الحياة هو الهواء الذي لا تقوى على تركه لحظة واحدة، ولهذا لم يملكه الله لأحد، ولم يجعل لأحد استطاعة احتكاره، وجعل نصيب الغني فيه كنصيب الفقير، ونصيب القوي كنصيب العاجز، على قدر ما تتسع له رئته، وعلى قدر ما ينفذ من خياشيمه، يأخذ منه ما شاء؛ لأنه العنصر الضروري والأساسي في الكون، هب أن إنسانا غضب عليك وهو يملك الهواء فمنعه عنك، ففي الوقت الذي يستغرقه حتى يرضى عنك تكون قد مت، ولكن إن غضب عليك فلم يعطك شرابا فستكون فيك طاقة لأن تعيش عشرة أيام، وإذا منع عنك طعاما ستكون فيك طاقة لتعيش ثلاثين يوما، حتى يأذن الله بالفرج، أو تحتال في صنع حاجة، إذن نجد في تملك الإنسان الهواء قتلا للأنفس وفسادا بالغا؛ لذلك لم يملك الله الهواء لأحد قط، وإن كان قد ملك بعض الماء والطعام.

وذلك كله من رحمة الله بخلقه، فكأن الحق سبحانه وتعالى لم يأمن الإنسان على أخيه الإنسان؛ حتى وإن كان الإنسان أخا الإنسان، فإن الله ربنا جميعا، والرب أرحم من الأخ؛ لذلك حينما شغل رسول الله ﷺ بأمر أمته قال الله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ (الشعراء:٣)؛ أي: لو أردت يامحمد لجعلت أمر أمتك بيدك ما دمت مشغولا بها هذا الشغل وتحبها هذا الحب، فيقول الرسول ﷺ: يا رب، لا، لا، أنت أرحم بهم مني؛ لأنه رب، ومحمد أخ للمؤمنين، فلم يقبل أن يكون أمر أمته بيده، ورأى أن يكون الأمر باقيا في يد

الرب؛ لأنه الرحمن الرحيم.

إذا نظر الإنسان في الكون نظرة فاحصة عاقلة تقدمية لا نظرة رجعية فسيقول كما يقول التقدميون: إنه يريد أن يرفهنا إن صدق، ولكن الإيمان يجعلني في دنيا أخرى فوق هذه الدنيا، وفي مستوى أعلى من مستواها، إنني في دنياي هذه أعيش بأسباب الله، ولكنني في الآخرة أعيش بكلمة «كن» من الله، وأنت تعيش في دنياك بدخلك ومجهودك في دولة الأسباب التي من الممكن جدا أن يتقدم العالم فيها ويرتقي، حتى إذا ما أراد إنسان أن يأكل لحما يضع يده على زر كهربائي فيأتيه، وإذا أراد أكل فاكهة يضع يده على زر الفاكهة فتأتيه، وإذا أراد شرب القهوة يضع يده على زر القهوة فتأتيه، من الممكن أيضا أن يتقدم البشر إلى حد أبعد من هذا وإلى درجة أن يخطر في بال الإنسان أن يأكل اللحم وهو جالس في مكانه فيأتيه؟! أيمكن للإنسانية أن تتقدم ماديا إلى هذا الوضع؟ لا يمكن، ولكنها في الآخرة تعيش بمحض الخاطر الذي يخطر على بالها، فهل هناك تقدمية أرقى من هذه؟!

إن تقدميتهم لابد فيها من الآلية والعمل والشحن بيد إنسان يعمل، أما في الآخرة فشأن آخر، فمتى خطر أي شيء على بالك تجده أمامك، وتلك تقدمية ليس بعدها تقدمية أبدا في الوجود، ولن تصل عقول البشر إلى تقدمية مثل هذه أبدا.

ربما أراد بعض الناس أن يصدوا المسلمين عن دينهم فقالوا: إنه دين رجعي، نقول لهم: إن الرجعية لا تذم في ذاتها؛ لذلك علينا أن ننظر فيها أهي رجعية إلى الخير؟ فإن كانت كذلك هل تكون رجعيتنا شرا؟! طبعا لا، إن كانت الرجعية إلى الخير فهي خير، إن هؤلاء الناس يريدون أن يصفوا أفكارنا بالرجعية، ويصفوا أفكارهم بالتقدمية، ونحن نسألهم: ماذا تقصدون بالتقدم؟ وماذا تصنعون؟ أترفون الحياة؟! وماذا يكون بعد ذلك؟ وأين أنتم من الصفقة الثانية؟! لماذا أغفلتموها؟!

وإذا ما استعرضنا رقعة الأرض وجدناها أعصابا مشدودة، ودماء فائرة، وأفكارا ثائرة، وقوى متصارعة، وحربا حامية أو باردة، فما هذا الجنون الذي يسيطر على العالم؟! إن العالم قد فقد المنهج الذي يزن أموره ويحقق له أمنه وسعادته؛ لذلك يعذر الملحدون في ابتكارهم القوانين بعقولهم، ويعذر الغرب الذي حرف دين الله في ذلك أيضا، ولكن ما عذر المسلمين في المشي وراء هؤلاء؟! هؤلاء ملحدون لا يعرفون ربا، وليس عندهم منهج من مناهج الحياة، ولكن المسلم عنده منهج الله الذي صنعه وخلقه، وقد سبق القول: إن أقل مبادئ الإنصاف تقتضي أن صانع الصنعة هو الذي يحدد قانون صيانتها، فمن يصنع الصنعة يقول لك: تصونها بكذا وكذا، أما أن يصنع صانع صنعة ويأتي غيره ليحدد قانون صيانتها في الكتالوج[٢] فهذا خطأ؛ لأن الذي يحدد قانون صيانة الصنعة هو صانعها، والإنسان صنع الله وخلقه، لم يدع أحد لنفسه هذا الصنيع، وما دام الأمر كذلك فدعوا الله يقنن[٣] لذلك الإنسان بنفسه، فإن خلق الله ثم قننتم أنتم فستضطرب الأمور، وتقلق النفوس؛ لأن الإنسان لا يقنن إلا لما يعلمه، وأنت عرفت ملكة في النفس، وجهلت ملكات كثيرة، عرفت غريزة الجوع؛ فأعطيتها طعاما، وعرفت غريزة العقل؛ فأعطيتها فهما، ولكن ماذا عرفت عن النفس والعاطفة والغريزة في تحكمها في الإنسان وملكات الوجدان والتوكل

بما تحداه به أحدهم حين سأله بقوله: إن الله يقول عن نفسه: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ (لقمان:٣٤)، ونحن الآن نعرف ما في الأرحام بالكشف الإشعاعي، فرد الشيخ في رسوخ: ومن قال إن علم الأرحام مقصور على الذكورة والأنوثة فحسب؟! ألا يتضمن هذا العلم هيئة الولد، ولونه، وحالته التي سيكون عليها، شقيا أو سعيدا، ممتد العمر أم مختزله، هادئ النفس أو منفعلا؟! ويسمع المعترض فيصمت.

وقد تواضع الشيخ حين كرر أن ما يلقيه من الدروس ليس تفسيرا للقرآن، ولكنه خواطر إيمانية، تفد على قلب المؤمن، فيفصح بما جاش في خاطره، ولو أن القرآن يمكن تفسيره بما تمناه الله دون نقص لكان الرسول ﷺ أولى بتفسيره، لكنه يبين للناس ما يفيدهم على قدر حاجتهم.

وهذا احتياط إيماني لا يمنع أن نقول: إن هذه الخواطر من صميم التفسير؛ لأنها تدور في فلك الكتاب المبين.

وقد تحدث الشيخ عن الإعجاز القرآني فقرر أنه لا يكون في السورة أو الآية أو الكلمة فحسب، بل في كل حرف، واستشهد لذلك بما يؤيد منحاه، كما قرر أن القرآن كتاب الزمن والإعجاز بتوالي العصور، وسيجد من وجوهه في الغد ما لا نعرفه اليوم.

ومن أعظم ما كتبه الأستاذ كتاب «رد على الملاحدة والعلمانيين»، وفيه قرر أن العلمانية ازدهرت في أوروبا؛ لأن الكنيسة تحكمت في الناس، أما الإسلام فليس في حاجة إليها؛ إذ ليس لدينا تسلط كنسي، وليس لدينا حجر على الفكر، وإذا كانت الكنيسة بسيطرتها قد عاقت التقدم الفكري، فالإسلام بسماحته وعدالته قد حمى الحرية، وترك للعلم أن يغزو الكون بما يكشف عن مخبآته، وأعلام الأمة في العصور الزاهرة هم الذين رفعوا الحضارة الإنسانية في بغداد والقاهرة وقرطبة حين كانت أوروبا غارقة في الظلمات، والذي يقرأ هذا الكتاب يجده قد صحح مفهوم العقيدة، ثم انتقل إلى المذاهب المعاصرة فحاربها بسلاح لا يفل.

وختم القول بالحديث عن قضية المرأة في الإسلام، فأوضح كيف صان هذا الدين كرامتها،

والـوحـي؟! إنك لم تعرف شيئا عن ذلك كله، فكيف تقنن لصنعة لا تعرف تكوينها؟!

فدخول الإنسان إلى ذاته ليقنن لنفسه عبث؛ لذلك الذي يقنن للإنسان يجب أن يكون خالقه، وسيظل العالم في التراب إلى أن يعود إلى رشده، ويعرف أنه لا يمكن أن يستقيم أمره إلا إذا رد قانون صيانة الإنسان إلى خالق الإنسان.

لما حرفت النصرانية واليهودية كتبها كانوا معذورين في ضلالهم وبحثهم، أما المؤمنون فلا عذر لهم؛ لأن عندهم المنهج الموثق، وعلى الرغم من ذلك ضلوا عنه، أفلا يكون عجيبا أن يطلب إلينا أن نبشر بديننا عند هؤلاء؟! قبل أن نبشر غير المسلمين بالإسلام؟! علينا أولا أن نثبت الإسلام في نفوس المسلمين، ليصبح كل مسلم أنموذجا تطبيقيا لمنهج الله: في حركاته وسكناته وكل أعماله، فيلفت بهذا السلوك أنظار العالم، فإذا تساءلوا: لماذا هو كذلك؟ يجابون: لأنه مسلم. فيلفتهم ذلك إلى الإسلام، وهنا يحضرنا دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام الوارد في القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الممتحنة:٥)، أيعقل أن يكون سيدنا إبراهيم أبو الرسل فتنة للكافرين؟! نعم، حين يقول: أنا رسول، ومنهج الله كذا وكذا، ثم لا يكون صورة تطبيقية للمنهج يقول الناس: لو كان هذا يصدق منهجه لعمل به، وكذلك نظر الناس إلى الإسلام، ورأوه في أفعال المسلمين، فهم لا يقرؤون عن الإسلام، بل يرون المسلمين.

في السابق كان المسلم المطبق لمنهج الله يذهب إلى أي بقعة من بقاع الأرض التي لا تعرف لغته؛ لأنه لا يخاطبها بها، ولكنها تعرف سلوكه وسمته وورعه ومنهجه في الحياة، فيعجبها ذلك السمت[٤] والورع والمنهج، وتسأله عنه، فيقول: هذا ديني، الإسلام يأمرني بكذا، فيلتفت هؤلاء إلى الإسلام ليبحثوا فيه، فلا يرون من المسلمين إلا اسمهم فقط؛ لأنهم في مضمونهم بعيدون من منهج الإسلام، فيقولون: لو كان في الإسلام خير لما تأخر هؤلاء؛ لأنهم يظنون أن كل مسلم سلوكه إسلامي، وهم مخطئون بذلك؛ لأنهم لا يفرقون بين الإسلام والمسلمين، فالإسلام أصبح اسما، ونحن نريده الآن وصفا؛ لأنه أيا كان المسلم فمنهجه وزمامه لربه، وبهذا يكون حجة على الإسلام، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى؛ ليدلنا على هذا المنهج المتبع في الدعوة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت:٣٣)، فالمسلم يجد سر توفيقه في إسلامه.

حين دخل يوسف عليه السلام السجن، ودخل معه فتيان، لجآ إليه وطلبا تأويل رؤيا لهما، فقال الله عز وجل فيهما: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ (يوسف:٣٦).

والسؤال هنا: ما الذي جعل السجينين يلجآن إلى يوسف ويقولان له: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾؟! من المؤكد أنهما جلسا ينظران إلى حركات يوسف وتصرفاته وأفعاله، فوجداها أفعالا جميلة، إذن: حتى المنحرف يحب المحسن في عمله، فالكاذب يحترم الصادق، والخائن يحترم الأمين، لأن القيم هي القيم ثابتة باقية؛ ولما آلت المسألة إلى أمر يتعلق بهما لم يخدعا نفسيهما، وذهبا إلى يوسف وقالا: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، لكن كيف سيكون رد يوسف؟! أيجيبهما دون أن يكترث لأمرهما؟ هذا ليس من شأن الداعية، وإنما من شأن الداعية أن ينتهز الفرصة لدعوته؛ لذلك قال في نفسه: هما محتاجان إليَّ الآن؛ لأن الأمر يتعلق بهما، ويريدان أن يعرفا تأويل رؤياهما، وهذه فرصة للدعوة إلى الله، لاسيما بعد أن قالا فيه: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، فما عساهما قد عرفوا من إحسانه؟! هل رأوا منه أدبا وسلوكا مهذبا وسمتا طيبا ولسانا عفا؟! وهل هذا كل ما عنده؟! إن عنده من الإحسان ما لا يعلمانه، يخبرهما بغيبياتهما، وينبئهما بما يأكلان غدا من الطعام، قال الله في ذلك: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ (يوسف:٣٧)، وفوق ذلك عنده كنوز إحسان قوي كثيرة، ومع ذلك لم يدع لنفسه الغرور، فقال لهما: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾(يوسف:٣٧)، وبهذا يكون قد لفت القوم المنحرفين إلى مصدر العلم والحكمة دون أن يقدم نفسه، فلم يقل: أنا رجل فذ وعبقري وأصيل، وقال عوضا عن ذلك: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾؛ إيناسا لهما؛ حتى يدخلا في ذلك الدين، ويصيرا أيضا من المحسنين الذين يطلعهم الله على أسرار غيبه، وبفطنة وحنكة قدم لقضيته بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ (يوسف:٣٧-٣٨)، وبعد ذلك يدخل في قضيته الأساسية، فيسأل: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف:٣٩)، فهل لقضيته علاقة بالرؤيا؟!

إن الرؤيا كانت سببا لجعل السجينين يحتاجان إلى يوسف، فانتهز الداعية الحق هذه الحاجة؛ لأن فكرهما وعواطفهما وإحساسهما وعقلهما سيبقون معه ما داما محتاجين إليه، فإذا عرفا الجواب عن الحاجة انفصلت الصلة بينهما وبين يوسف؛ لذلك انتهز الفرصة، وأخر حاجتهما، فهو يريد أن يقول لهما ما يريده هو، ولا يفسر الرؤيا إلا بثمن رباني، هو ثمن الدعوة إلى الله، منتهزا فرصة الحاجة، قائلا:

﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾؛ أي: إنني أعبد إلها واحدا، علمني وجعلكم تحكمون بأني محسن، وأنتم تعبدون آلهة متفرقين، فلم لا تذهبون إليهم؟! جئتم لتعرفوا أمركم من عبد إله واحد، وتركتم آلهتكم المتعددة، وأنتم تعلمون أنها لن تغنيكم شيئا؛ لذلك أتيتم إليَّ.

وبعد أن دعاهما إلى الله استثمر المعنى النفسي في نفس السجينين، وأجابهما عن مرادهما، فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ (يوسف:٤١).

إن شأن الداعي إلى الله أن يدعو أولا بالأسوة السلوكية، حتى إذا ما التفت الناس إلى سلوكه وقوام منهجه وحركته في الحياة سألوا أنفسهم لماذا هو كذلك؟ فيجابون: لأنه مسلم مرتبط بمنهج إلهي إسلامي، يصنع حركته وفق مراد الله، وذلك سيجعلهم يبحثون عن الإسلام.

كان يقيم المسلم في كثير من بلدان العالم سفارات، فيهدي الشعوب البعيدة بسلوكه، أما اليوم فينظر أصحاب هذه البلاد الغربية أو الشرقية إلى السفارة المسلمة، فيجدون أن المسلمين قد ذهبوا إلى عاداتهم فأخذوها عنهم، ولم يستطيعوا أن يأخذوا إلى دينهم واحدا؛ لأن السلوك غير إسلامي، ولكي يكون السلوك إسلاميا يجب على كل واحد أن يكون في الخارج أنموذجا إسلاميا يلفت الناس غير الإسلاميين إلى منهج الإسلام، فالمسلمون هم الحجة على الإسلام اليوم، وما داموا كذلك فاللوم عليهم، وهم المسؤولون عن فتنة الكافرين عن ديننا، وانصراف الناس عن منهجنا؛ لذلك إذا أردنا أن نبشر بديننا فلا يجدي أن نقول: ديننا يقول كذا وكذا، وإنما نقول: ديننا هو الذي يجعلنا نفعل كذا وكذا، تلك هي الأسوة التطبيقية؛ ولذلك قبل أن نشغل بتبشير غير المسلمين بالإسلام يجب أن نعمل جاهدين لتثبيت الإسلام في نفوسنا.

وفقنا الله جميعا؛ حاكمين ومحكومين لجعل منهج الله مطبقا في كل صغيرة وكبيرة، وحتى نلفت إلى ديننا أعناق الدنيا وأبصارها؛ ليعلموا أنا لم نتخلف إلا حين أعرضنا عن ديننا، وأننا حين كنا متمسكين بديننا كنا سادة الدنيا طيلة ألف سنة، فإن أردنا أن نعود سادة الدنيا علينا أن نعود إلى ما كان عليه آباؤنا المسلمون الأوائل؛ لنكون الدولة الأولى في العالم.

وفقنا الله إلى منهجه، وأيد كل داع إلى الخير بدعوته، ووفقنا في كل ما نأتي وكل ما ندع، وجمعني الله وإياكم على خير ما يحب ويرضى، إنه سميع مجيب، والسلام عليكم ورحمة الله.

الهوامش

١- نز الظبي نزيزا: عدا وأسرع. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٥١/١٥).

٢- الكتالوج: كتاب أو منشور مصور يحتوي على قائمة أو عرض لمنتج، ويتضمن عادة معلومات وصفية لهذا المنتج. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر (١٨٨٩/٣).

٣- قنن المشرع: وضع القوانين ودونها. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر (١٨٦٤/٣).

٤- السمت: الطريق. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٥٦٦/٤).

ولم يجعلها خليلة تمتهن، بل زوجة ذات حق، ولها شخصيتها المالية التي تنكرها أكثر قوانين أوروبا الآن!

وباب الأسئلة والأجوبة يصور معدن الشعراوي الفقيه، حيث حفل بإجابات قاطعة لم تغرق في النقول الفقهية والتعريفات الاصطلاحية، بل اتجهت إلى العقل المباشر، تشرح له القضية، فإذا اتضح مدلولها جاء السند القرآني، أو الأثر النبوي مؤيدا الفتوى بما يوجب الاقتناع، وإذا كانت الأسئلة قد نشرت أولا على مدى سنوات في مجلة «حواء» مع الإجابة المقنعة فإن أكثرها قد دار حول المرأة، وقد جهر الأستاذ بحكم الإسلام في مجلة جاهرت كثيرا بما يخالف قول الله، ولكن الشيخ قد لقف الأباطيل فبددها، ولم تستطع المجلة أن توقف النشر؛ لأن السائلات والسائلين يطلبون رأي الشعراوي بالذات، وعلى يده فهمت قضية المرأة على وجهها الصحيح.

إن مؤلفات الرجل كثيرة موفورة، وقد طبعت طبعات عدة، فشرقت وغربت، وقدمت للقراء مكتبة مستنيرة صادفت هوى المخلصين، وأقنعت من حي عن بينة، وما زالت تطبع إلى الآن فتشفي صدور قوم مؤمنين، رحم الله الشيخ، وأنزله منازل الشرفاء من المجاهدين.

١- تفسير الشعراوي ظهر منه عن دار الأخبار أكثر من سبعة عشر مجلدا والبقية تأتي، وهو أوفى مرجع لآراء الإمام، ومنزلته منه كمنزلة (المنار) من مؤلفات السيد محمد رشيد رضا.
٢- القضاء والقدر.
٣- السحر.
٤- الربا.
٥- الرحلات.
٦- الغيب.
٧- قصص الأنبياء.
٨- قصص الحيوان في القرآن.
٩- معجزة القرآن.
١٠- الإسراء والمعراج.
١١- ١٠٠ سؤال وجواب.
١٢- رد على الملاحدة.
١٣- محمد صلى الله عليه وسلم.
١٤- خطب الشعراوي.
١٥- الخير والشر.
١٦- المرأة في القرآن الكريم.
١٧- شبهات وأباطيل.
١٨- الحلال والحرام.



د. محمد محمد صالح عوض
عضو المجمع العلمي
لبحوث القرآن والسنة

دراسات في مناهج المحدثين

الإمام البخاري أمير المؤمنين في الحديث

إن الحياة في ظلال الحديث الشريف، نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتزكيه، وتباركه وتعليه، وإن لرجال الحديث على تعاقب العصور والأزمان أياد بيضاء، وبصمات مشعة على صفحات الفكر الإسلامي، استمدت أنوارها من نور النبوة، ولا عجب! فقد اختارهم الله لهذا الأمر اختيارا، وجندهم له تشريفا به[١].

يقول الحافظ المزي (ت ٧٤٢ هـ): «وأما السنة، فإن الله تعالى وفق لها حفاظا عارفين، وجهابذة عالمين، وصيارفة ناقدين، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فتنوعوا في تصنيفها، وتفننوا في تدوينها على أنحاء كثيرة، وضروب عديدة، حرصا على حفظها، وخوفا من إضاعتها. وكان من أحسنها تصنيفا، وأجودها تأليفا، وأكثرها صوابا، وأقلها خطئا، وأعمها نفعا، وأعودها فائدة، وأعظمها بركة، وأيسرها مؤونة، وأحسنها قبولا عند الموافق والمخالف، وأجلها موقعا عند الخاصة والعامة: صحيح البخاري»[٢].

التعريف به:

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري، ولد يوم الجمعة الثالث عشر من شهر شوال سنة: (١٩٤هـ) في مدينة بخاري، وطلب العلم صغيرا سنة: (٢٠٥ هـ).

ذهبت عينا البخاري في صغره، فرأت أمه في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها: يا هذه إن الله قد رد على ابنك بصره؛ لكثرة بكائك، ولكثرة دعائك[٣].

رحل البخاري إلى شيوخ الحديث وأئمته في مختلف البلاد، فذهب إلى بغداد، والبصرة، والكوفة، ومكة، والمدينة، والشام، وحمص، وعسقلان، ومصر، وسمع كثيرا، وكتب عن أكثر من ألف شيخ، وقد ساعده صبره وذكاؤه وحبه للعلم على بلوغ مرتبة عالية في عصره، حتى أصبح إمام المسلمين في الحديث، ولقبه الأئمة بأمير المؤمنين في الحديث.

كان الإمام البخاري يحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح، وكان واسع المعرفة غزير العلم، أحد أعلام الدنيا في معرفة الصحيح من السقيم، ومعرفة أحوال الرجال، وعلل الأخبار، وكل ما يتعلق بالحديث وعلومه.

وقد شهد الأئمة بعلو منزلته، وعظيم قدره، وأخباره مع شيوخه وأهل العلم وأخبار حفظه وإتقانه كثيرة جدا، ومن ذلك قصته الشهيرة عن حفظه وإتقانه، فعندما وصل إلى بغداد تناقل الناس أخباره، وذاع صيته، فأحب أهل الحديث أن يمتحنوه، فعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن حديث لإسناد غير إسناده، وإسناد متن آخر، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها عليه في المجلس، فاجتمع الناس، وانتدب أحدهم فقام وسأله عن حديث من تلك العشرة، فقال: لا أعرفه، حتى فرغ من العشرة، والبخاري يقول لا أعرفه، ثم انتدب آخر من العشرة، فكان حاله معه كذلك إلى تمام العشرة، والبخاري لا يزيد عن قوله: لا أعرفه، فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقول: الرجل فهم. وأما غيرهم فلم يدركوا ذلك، ولما فرغوا من إلقاء الحديث عليه التفت إلى الأول فقال: أما حديثك الأول فكذا، وحديثك الثاني كذا، إلى آخر العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وفعل بالثاني مثل ذلك إلى أن فرغ، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل[٤].



كتبه ومؤلفاته:

«الجامع الصحيح» المعروف عند الناس بكتاب: «صحيح البخاري»، وهو أول كتاب صنف في الحديث الصحيح المجرد، واستغرق تصنيف هذا الجامع ست عشرة سنة، ولم يضع في كتابه هذا إلا أصح ما ورد عن النبي ﷺ.

ومن مؤلفاته: الأدب المفرد، والتاريخ الصغير، والتاريخ الأوسط، والتاريخ الكبير وهو أصل كتب الرجال والتواريخ، والتفسير الكبير، والمسند الكبير، وكتاب العلل، ورفع اليدين في الصلاة [٥]. وغيرها.

كتابه (الجامع الصحيح):

الحافظ ابن حجر: «سماه: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»[٦].

سبب تأليفه للجامع الصحيح:

الذي دفع البخاري إلى تصنيف صحيحه هو استطالة الأسانيد، وكثرة طرق الحديث وبالتالي كثرت الأحاديث بما فيها من صحيح وضعيف، وأصبح من العسير تمييز هذا من ذاك. فوفر ذلك الإمام البخاري في كتابه الجامع.

أ- قال الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ): «لما رأى البخاري تلك التصانيف التي ألفت قبل عصره، وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين، والكثير منها يشمله التضعيف، فلا يقال لغثه: سمين، فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين»[٧].

ب - وقال: «وقوي عزمه ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين في الحديث والفقه، إسحاق بن راهويه، حيث قال: لو جمعتم كتابا لصحيح سنة رسول الله ﷺ، قال البخاري: فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع الجامع الصحيح»[٨].

ج - وقال الحافظ أيضا: «وروينا بالإسناد الثابت أن البخاري قال: رأيت النبي ﷺ وكأني بين يديه وبيدي مروحة أذب عنه، فسألت بعض المعبرين، فقال لي: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع»[٩].

موضوعه، والكشف عن مغزاه فيه:

يعد صحيح البخاري مرحلة هامة من مراحل تطور علم الحديث رواية، إذ كانت المؤلفات في هذا العلم قبله لا تفرد الحديث الصحيح بالتأليف، باستثناء موطأ الإمام مالك.

قال الإمام النووي (ت ٦٧٦ هـ): «ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها»[١٠].

وقال الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ): «تقرر أنه التزم الصحة، وأنه لا يورد فيه إلا حديثا صحيحا، هذا أصل موضوعه، وهو مستفاد من تسميته إياه الجامع الصحيح، ومما نقلناه عنه من رواية الأئمة عنه صريحا، ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة، وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة»[١١].

بيان تقطيعه للحديث وفائدة إعادته:

قال ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ): «قال الحافظ محمد بن طاهر المقدسي: اعلم أن البخاري كان يذكر الحديث في كتابه في مواضع ويستدل به

في كل باب بإسناد آخر، ويستخرج منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه معنى يقتضيه الباب الذى أخرجه فيه، وقلما يورد حديثا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد، وإنما يورده من طريق أخرى لمعان أخرى»[١٢].

و قال أيضا: «وأما تقطيعه للحديث في الأبواب تارة واقتصاره منه على بعضه أخرى فذلك لأنه إن كان المتن قصيرا أو مرتبطا بعضه ببعض وقد اشتمل على حكمين فصاعدا فإنه يعيده بحسب ذلك مراعيا مع ذلك عدم إخلائه من فائدة حديثية»[١٣].

شرط الإمام البخاري في صحيحه:

قال الحافظ ابن طاهر (ت ٥٠٧ هـ): «شرط البخاري ومسلم أن يخرجا الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون إسناده متصلا غير مقطوع،... إلا أن مسلما أخرج أحاديث أقوام ترك البخاري حديثهم لشبهة وقعت في نفسه، أخرج مسلم أحاديثهم بإزالة الشبهة مثل حماد بن سلمة، وسهيل بن أبي صالح، وداود بن أبي هند، وغيرهم»[١٤].

وكان من شرط البخاري ألا يدخل في كتابه إلا أصح ما ورد من الحديث، ولهذا ترك الكثير من الصحيح لحال الطول[١٥]، واشترط - بالإضافة إلى الشروط العامة للحديث الصحيح- طول ملازمة الراوي لشيخه، لأن ذلك أدعى إلى حفظه وضبطه، كما اشترط أن يثبت عنده تاريخيا لقاء الراوي بشيخه وسماعه منه الحديث الذى يرويه عنه بصيغة تحتمل السماع وعدمه.

طريقة البخاري في تنظيم كتابه:

قسم البخاري كتابه إلى كتب، والكتب إلى أبواب، بدأه بكتاب بدء الوحي؛ لأنه الأساس لكل الشرائع، إلى أن ختمه بكتاب التوحيد. وعدة كتبه (٩٧) كتابا، وعدة أبوابه (٣٤٥٠). وتجدر الإشارة أن النسخ كما اختلفت في تقديم بعض الكتب والأبواب على بعض، اختلفت في اعتبار بعض الكتب أبوابا، وبعض الأبواب كتبا [١٦].

تكراره لبعض الأحاديث وتجزئتها واختصارها:

جرى الإمام البخاري في صحيحه على تكراره لبعض الأحاديث أو تجزئتها، أو اختصارها في الأبواب المختلفة، وذلك بحسب ما يستخرج منها من الأحكام، وبحسب ما يقتضيه المقام، والبخاري لا يفعل ذلك غالبا إلا لفوائد تعود إما إلى سند الحديث، أو متنه، وقلما يورد حديثا واحدا بإسناد واحد، ولفظ واحد في موضعين إلا نادرا[١٧].

الأحاديث المعلقة في صحيح البخاري:

التعليق هو أن يحذف من مبتدأ إسناد الحديث راو أو أكثر وذلك مثل قول البخاري مثلا: قال مالك عن نافع عن ابن عمر كذا، أو قال مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ. فكل ذلك معلق؛ لأن بين البخاري وبين مالك، ومجاهد بعض رواة غير مذكورين. وتعليقات البخاري منها ما هو مرفوع، وما هو موقوف، وما هو بصيغة الجزم: كقال، وروى، وذكر.

ومنها ما هو بصيغة التضعيف: كقيل وروى ويذكر.

وتعليقات البخاري منها ما هو صحيح، ومنها ما ليس بصحيح، ومنها ما هو على شرطه، ومنها ما ليس كذلك. ولا يقال كيف يورد البخاري في كتابه ما ليس بصحيح؛ لأن الأحاديث المعلقة ليست من أصل الكتاب وموضوعه، إنما هي تذكر للاستشهاد على معنى أو قول أو للترجيح أو لغير ذلك من الأغراض[١٨].

عدد أحاديث صحيح البخاري:

قال ابن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ): «وجملة ما في صحيح البخاري سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا بالأحاديث المكررة، وقد قيل أنها بإسقاط المكررة أربعة آلاف حديث، إلا أن هذه العبارة قد يندرج تحتها عندهم آثار الصحابة والتابعين، وربما عد الحديث الواحد المروي بالإسنادين حديثين»[١٩].

وقال الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ): «فجميع ما في صحيح البخاري من المتون الموصولة بلا تكرير على التحرير ألفا حديث وستمائة حديث وحديثان.

ومن المتون المعلقة المرفوعة التي لم يوصلها في موضع آخر من الجامع مائة وتسعة وخمسون حديثا، فجميع ذلك ألفا حديث وسبعمائة وواحد وستون حديثا، وبين هذا العدد الذى حررته والعدد الذي ذكره ابن الصلاح وغيره تفاوت كثير وما عرفت من أين أتى الوهم في ذلك، ثم تأولته على أنه يحتمل أن يكون العاد الأول الذي قلدوه في ذلك كان إذا رأى الحديث مطولا في موضع ومختصرا في موضع آخر يظن أن المختصر غير

المطول، إما لبعد العهد به، أو لقلة المعرفة بالصناعة، ففي الكتاب من هذا النمط شيء كثير، وحينئذ يتبين السبب في تفاوت ما بين العددين، والله الموفق»[٢٠].

محنته ووفاته:

تعرض الإمام البخاري للامتحان والابتلاء كما تعرض الأنبياء والصالحون من قبله، فصبر واحتسب، وكانت محنته من جهة الحسد الذي ألم ببعض أقرانه لما له من المكانة في قلوب العامة والخاصة، فأثاروا حوله الشائعات بأنه يقول بخلق القرآن، وهو بريء من هذا القول، فحصل الشغب عليه ووقعت الفتنة، وخاض فيها من خاض، حتى اضطر الإمام البخاري درئا للفتنة أن يترك «نيسابور»، ويذهب إلى «بخارى». وبعد رجوعه إلى بخارى استتب له الأمر زمنا، ثم ما لبث أن حصلت وحشة بينه وبين أمير البلد عندما رفض أن يخصه بمجلس علم دون عامة الناس، فنفاه الوالي، فتوجه إلى قرية من قرى سمرقند، فعظم الخطب عليه واشتد البلاء، حتى دعا ذات ليلة فقال: «اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك»، فما تم الشهر حتى مات، وكان ذلك سنة: (٢٥٦ هـ)، وعاش اثنتين وستين سنة، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر»[٢١].

قال الذهبي (ت ٧٤٨هـ): «قال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا منصور غالب ابن جبريل وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله يقول: إنه أقام عندنا أياما، فمرض، واشتد به المرض حتى وجه رسولا إلى مدينة سمرقند في إخراج محمد، فلما وافى تهيأ للركوب، فلبس خفيه، وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها، وأنا آخذ بعضده، ورجل أخذ معي يقوده إلى الدابة ليركبها، فقال: أرسلوني، فقد ضعفت. فدعا بدعوات، ثم اضطجع، فقضى رحمه الله. فسال منه العرق شيء لا يوصف. فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه. وكان فيما قال لنا، وأوصى إلينا أن كفنوني في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ففعلنا ذلك. فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك، فدام ذلك أياما»[٢٢].

عناية العلماء بصحيح البخاري:

«اهتم العلماء على اختلاف طبقاتهم وتباين مذاهبهم بـ «صحيح البخاري» من حيث السماع والرواية والضبط والكتابة، وشرح أحاديثه وتراجم رجاله، واختصاره وتجريد أسانيده»[٢٣].

قال ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ): «ذكر الفربري أنه سمعه منه تسعون ألفا»[٢٤].

وأما شروحه والتعليق عليه ونحوه، فقد قام به العلماء حق القيام بحيث لم يدعوا أمرا يرتبط به إلا بحثوه وتعرضوا له، ولا مشكلا من ألفاظه وأسمائه وتراجمه إلا بينوه وأذهبوا الشبه عنه[٢٥].

من شروح صحيح البخاري:

١ – «أعلام السنن» للخطابي، (ت ٣٨٦ هـ) أول شرح لصحيح البخاري.

٢ – «شرح صحيح البخاري» لابن بطال المالكي (ت ٤٤٩هـ).

٣ – «شرح مشكل البخاري» للواسطي (ت ٦٣٧هـ).

٤ – «شرح البخاري» للنووي (ت٦٧٦هـ)، شرح فيه كتابي «بدء الوحي، والإيمان»، ولم يكمله.

٥ – «الكواكب الدراري» للكرماني (ت ٧٨٦ هـ).

٦ – «فتح الباري » لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، وهو أهم شروحه.

المراجع والمصادر

١- القول المعتبر في مصطلح أهل الأثر: (ص:١١).
٢- تهذيب الكمال: (١/١٤٧)، تدوين السنة نشأته وتطوره: (ص: ١١٤).
٣- سير أعلام النبلاء: (١٢/٣٩٣).
٤- هدى الساري: (ص: ٦٥٢).
٥- هدى الساري: (ص: ٦٦).
٦- هدى الساري: (ص: ٦٥٦).
٧- هدى الساري: (ص: ١٠).
٨- السابق.
٩- السابق.
١٠- هدى الساري: (ص: ١١).
١١- السابق.
١٢- السابق.
١٣- هدى الساري: (ص: ١١).
١٤- شروط الأئمة الستة: (ص: ١٧).
١٥- علوم الحديث: (ص: ١٦).
١٦- التعريف بالكتب الستة: (ص: ٦٢).
١٧- السابق.
١٨- التعريف بكتب الحديث الستة: (ص: ٦٤).
١٩- علوم الحديث: (ص: ١٧).
٢٠- هدى الساري: (ص: ٦٥٩).
٢١- سير أعلام النبلاء: (١٢/٤٦٧).
٢٢- السابق.
٢٣- الإمام البخاري وصحيحه: (ص: ٢٢٨).
٢٤- هدى الساري: (ص: ٦٥٦).
٢٥- الإمام البخاري وصحيحه: (ص: ٢٢٨).



د. بديع السيد اللحام
أستاذ الحديث بكلية الشريعة
جامعة دمشق

مجمع الفضائل

إن دراسة سيرة الحبيب الأعظم والنبي الأكرم ﷺ، والاطلاع على هديه وجميل أفعاله، يشكلان أهمية بالغة في حياة المؤمن، إذ إنهما يحققان له دافعا قويا للمحبة المفضية إلى الاتباع والتأسي والاقتداء؛ فالإنسان مفطور على محبة الكمالات والفضائل، ومفطور على حب الإحسان وجميل الصفات، فإذا ما درس الإنسان - أي إنسان - سيرة هذا الحبيب استشعر فضله عليه؛ إذ كان سبب إخراجه من ظلمات الجهالة والوهم، إلى نور المعرفة والعلم، وهي نعمة من أعظم النعم وإحسان ما بعده إحسان، ولا غرو فقد «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها»[1].



إن سيرة الرسول ﷺ سيرة مفعمة بأزكى وأنفس ما في مسيرة الإنسانية جمعاء - من لدن أول البشر آدم، عليه السلام، وإلى أن يرث المولى الخليقة - من أخلاق كريمة وأعمال منيفة.

وقد شهد بعظم أخلاقه وجميل المعاني التي تحملها نفسه التي بين جنبيه الأعداء، كما سلم بذلك الأتباع، ولو بقيت الأقلام تكتب وتكتب ما وفت هذا النبي ﷺ معشار ما تحلى به من تلكم الفضائل، يقول الأديب الروسي (تولستوي): «لاشك أن محمدا كان من عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة» ثم يتابع قائلا: «يكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسكينة والسلام، فاتحا لها طريق المدنية والرقي»، وختم بالقول: «إن رجلا مثل هذا لجدير بالاحترام والتبجيل والإكرام».

شهد الأنام بفضله حتى العدا
والفضل ما شهدت به الأعداء

والخلاصة، فإن كل خلق محمود ينبغي على الإنسان التحلي به ستجده عند النبي ﷺ بأبهى حلة، وأتم مخبر، قد أخذ منه بالنصيب الأوفى والحظ الأوفر، وأما الأوصاف المذمومة فقد كان عليه الصلاة والسلام أبعد الناس عنها سالما من التلبس بضيء منها، ويكفيه ﷺ شهادة فاطر السماوات والأرض له في كتابه العزيز: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

وسأذكر من خلال هذا المقال صور فضائل نبوية - مما نقل لنا أصحابه وأهل بيته - تدل على ما فطرت عليه نفسه الشريفة من رجاحة عقل ومحبة خير وغير ذلك من المعاني التي نحتاج إلى أن نتمثلها في أيامنا المعاشة؛ لتشرق حياتنا ونسعد في آخرتنا.

رجاحة عقله

لقد ظهر ذلك وتأكد في مواقف كثيرة لعل من أجلها ذلك الموقف الذي حصل عند إعادة بناء الكعبة المشرفة قبل بعثته عليه الصلاة والسلام، وذلك أنه لما بلغ ﷺ خمسا وثلاثين سنة من عمره اجتمعت قريش لإعادة بناء الكعبة، بعد أن تعرضت لعوادي أوهنت بنيانها وصدعت جدرانها، ولقد كان احترام الكعبة وتعظيمها من بقايا ما بقي محفوظا من شرعة سيدنا إبراهيم الخليل، عليه السلام، بين العرب، وقد شارك الرسول ﷺ في بنائها، ولما وصلوا إلى إعادة الحجر الأسود في زاويته من الكعبة اشتجر القوم واختلفوا في من ينال هذا الشرف، واشتد الخلاف بينهم حتى آل بهم الأمر إلى اللجوء إلى الحرب!.. واستعدوا للقتال، وقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما، وتعاقدوا هم وبنو عدي على الموت، فقاموا تعبيرا عن ذلك بإدخال أيديهم في جفنة مملوءة بالدم.

ومكثت قريش على ذلك أياما، ولكنهم اتفقوا أخيرا وهم مجتمعون عند الكعبة، على أن يحكموا أول داخل إليهم، فكان رسول الله ﷺ أول داخل إليهم، فلما رأوه قالوا جميعا: هذا الأمين رضيناه.

فدعا رسول الله بثوب كبير، وأخذ الحجر فوضعه فيه، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا ذلك حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده في مكانه.

لقد استطاع عليه أفضل الصلاة والتسليم بما وهبه مولاه من رجاحة عقل وسداد فهم أن يخمد فتنة كادت أن تقع في بلد الله الحرام، فتنة تستحل فيها حرمة البيت الحرام، فتنة لو وقعت لتطاير شررها وسفكت فيها الدماء، وأفقدت قريش - متولية أمر البلد الحرام ومناسك حجه - هيبتها بين العرب.

حسن عشرته

كان من فضائله ﷺ الاجتماعية ما تمتع به من دماثة الأخلاق المحببة لكل ذي نفس سوية، ظهر ذلك من خلال تعامله مع مواليه وخدمه، وأهل بيته، وعامة أبناء مجتمعه، ومن صور ذلك ما حدثناه سيدنا أنس لما كان خادما عند المصطفى ﷺ، فقد خدم سيدنا أنس رضي الله عنه النبي ﷺ تسع سنين من لدن هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة، وكان أنس عند بدء خدمته للحبيب صغيرا ابن عشر سنين، قال رضي الله عنه: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لم يكن له خادم، فأخذ أبو طلحة بيدي، فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أنسا غلام كيس فليخدمك. قال: فخدمته في السفر والحضر، ما قال لي لشيء صنعته «لم صنعت هذا هكذا؟» ولا لشيء لم أصنعه «لم لم تصنع هذا هكذا؟»[٢]، وفي رواية أخرى للحديث أن النبي ﷺ ربما أرسله في الحاجة فتغلبه طفولته ونزعة اللعب لديه فيلهو مع أترابه فما كان عليه الصلاة والسلام يزيد على سؤاله مبتسما ومداعبا: «هل ذهبت؟»، يقول أنس: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا، فأرسلني يوما لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنيس أذهبت حيث أمرتك؟» قال قلت: نعم، أنا أذهب، يا رسول الله، قال أنس: والله لقد خدمته تسع سنين[٣].

وأما عشرته لأهل بيته عليه الصلاة والسلام فقد سألت عمرة بنت عبدالرحمن السيدة عائشة، رضي الله عنها، قائلة: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في البيت؟ فأجابتها: «كان ألين الناس، بساما ضحاكا»[٤]، وفي رواية أخرى قالت: «كان كالرجل من رجالكم، إلا أنه كان أكرم الناس، وأحسن الناس خلقا، كان ضحاكا بساما»[٥].

عفوه عند المقدرة

لقد تحلى عليه الصلاة والسلام بالحلم والصفح، والإغضاء عن الإساءة، فكانت إساءة المسيء تزيده حلما وصبرا، فكم وكم تجاوز عما بدر من المنافقين مثلا في حقه من التعدي؛ حسا ومعنى، وقولا وفعلا، بل ضرب أروع الأمثلة في العفو عن أعدائه الذين وصلوا إليه محاولين قتله، ولنعرض لواحد من تلك الأحداث، عن جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما، قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد، فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن

من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، ثم إن رجلا أتى النبي ﷺ وهو نائم، فأخذ السيف فاستيقظ، عليه السلام، والرجل قائم على رأسه، قال ﷺ: «فلم أشعر إلا والسيف صلتا في يده، فقال لي: من يمنعك مني؟»، قال: «قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟» قال: «قلت: الله»، قال: «فشام السيف فها هو ذا جالس» ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ[٦].

صبره على الأذى

قال الله تعالى مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (الأحقاف:٣٥)، وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، خير (وفي رواية: أعظم أجرا) من الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»[٧].

وقد ضرب لنا عليه الصلاة والسلام أروع الأمثلة في الصبر على أذى المخالفين المعاندين تعليما لنا للصبر على أذى أبناء جلدتنا الموافقين إذا وقع منهم ما ينغص، ففي غزوة أحد جرح وجه النبي ﷺ، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه؛ فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن توجه إلى مولاه بالدعاء قائلا: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[٨]، وهذه الشدة التي لقيها عليه الصلاة والسلام من قريش يوم أحد هي دون ما لقيه عليه الصلاة والسلام من أهل الطائف لما دعاهم إلى الإسلام، فقد سألت السيدة عائشة، رضي الله عنها، النبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين»، فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»[٩].

مجمع الفضائل

ولو ذهبنا نستعرض فضائله عليه الصلاة والسلام وما يتمتع به من الشمائل لضاق علينا المقام في ذلك، ولذا أوجز فأقول: لقد كان عليه الصلاة والسلام أعلم الناس، وأنصحهم، وأفصحهم وأصحهم لسانا، وأقواهم بيانا، وأصدقهم حديثا، مضرب المثل في الصدق والأمانة والعفة، وكان أرجح الناس عقلا، وأكثرهم أدبا، وأوسعهم شفقة ورأفة، وأكرمهم نفسا، وأعلاهم منزلة.

كان عليه الصلاة والسلام جوادا سخيا كريما منفقا، مكتمل القوة عظيم الشجاعة مقداما، حريصا على هداية الخلائق؛ إنسهم وجنهم، رحيما بهم، وأما حلمه وعفوه ففي المحل الذي لا يجهل.

وإذا ما سألنا عن ملاطفته للجفاة من الأعراب وغيرهم فشيء يصل إلى حد الإعجاب.

وكان عليه الصلاة والسلام يحفظ الود ويحافظ على العقود والمواثيق.

إنها خصال يجدر بكل محب ومتبع أن يتحلى بجانب منها إذ يصعب عليه أن يتمثلها بتمامها، ولو أخذ الناس ببعض تلك الخصال لعرجت الإنسانية في مدارج الكمالات البشرية وتعززت فيها أواصر الخير بين الأفراد والمجتمعات، فصل اللهم وسلم على مجمع الفضائل ومنبعها.

الهوامش

١ - روي مرفوعا أخرجه أبو نعيم في «الحلية»، وصححه البيهقي في «شعب الإيمان»، وقفه على ابن مسعود رضي الله عنه.

٢ - أخرجه البخاري: (٢٧٦٨).

٣ - أخرجه مسلم: (٢٣٠٩، ٢٣١٠).

٤ - مسند إسحاق بن راهويه: (٨٨٠).

٥ - «مكارم الأخلاق» للخرائطي: (٥٦).

٦ - أخرجه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣)، وقوله: «قبل نجد» أي ناحية نجد وهي في غزوة ذات الرقاع كما جاء في بعض الروايات. و«العضاه» شجر له شوك، و«صلتا» أي مسلولا، و«شام السيف» رده في غمده.

٧ - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: (٣٨٨)، وابن ماجه في السنن: (٤٠٣٢).

٨ - أخرجه ابن حبان في صحيحه: (٩٧٧).

٩ - أخرجه البخاري: (٣٢٣١)، ومسلم: (١٧٩٥).



حسن القباني
صحافي وباحث



تناغم بين الأزهر والكويت في خدمة الأمة

تناغم واضح وتقدير متبادل بين مشيخة الأزهر الشريف بمصر ودولة الكويت، سجلته من جديد وثائق المشيخة بتوقيع من الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، أثناء لقائه السفير محمد صالح الذويخ، سفير الكويت بالقاهرة، الخميس ٢ ديسمبر ٢٠٢١م بمقر المشيخة.

ومع انتهاء اللقاء لم يتنه الأثر، لتتجدد حقائق العلاقة المتينة بين المنبر الإسلامي الأكبر للسنة في العالم ودولة الحكمة والوسطية في المنطقة وفق وصف مراقبين، تعززها ثلاث أسباب تتركز في التواصل الإيجابي من شيخ الأزهر والمشيخة مع الكويت أميرًا ومسؤولين، وتفاعل السفراء المتواصل مع المشيخة وإصرار الجانبين على دعم وتعزيز الأهداف المشتركة القائمة على الحفاظ على استقرار الأوطان العربية وخدمة الأمة الإسلامية.

اعتزاز متبادل

السفير محمد صالح الذويخ،[1]، كان واضحا للغاية في لقاء الخميس ٢ديسمبر الماضي، حيث أكد أن «الأزهر مؤسسة إسلامية عريقة تحظى بمكانة كبيرة عالميا بفضل ما تقدمه للعالم وللشعوب العربية والإسلامية من منهج ديني معتدل وسماحة ووسطية تجسد حقيقة الإسلام، وأن الكويت تعتز بعلاقتها مع الأزهر والزيارات المتبادلة خلال السنوات الماضية، بما يعكس متانة هذه العلاقات وأهميتها في خدمة قضايا الأمتين العربية والإسلامية».

وفي نفس الإطار واللقاء أعرب الإمام الأكبر د.أحمد الطيب عن اعتزازه بالعلاقات المتينة التي تربط الأزهر ودولة الكويت الشقيقة في المجالات العلمية والثقافية والعمل الإنساني والخيري، قائلا: «إن الكويت تحتل مكانة طيبة في نفوس العرب والمسلمين».

وأكد أن الأزهر على مدار تاريخه الطويل يحرص على أداء رسالته العلمية والاجتماعية بالطريقة التي تناسب عراقة هذه المؤسسة ودورها المهم تجاه قضايا العالم العربي والإسلامي.

سمو الأمير والإمام الأكبر

العلاقة المتميزة بين شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب مع صاحب السمو أمير دولة الكويت الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، والتي امتدت إلى صاحب السمو الشيخ نواف الأحمد الجابر المبارك الصباح أمير دولة الكويت، أثرت على متانة العلاقة والامتنان المتبادل بين الكويت والأزهر الشريف.

كانت هذه العلاقة واضحة للغاية في النعي الأزهري الرسمي الذي أصدره الشيخ أحمد الطيب في ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٠م عقب وفاة صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح.

وأكد شيخ الأزهر[٢] أن التاريخ شاهد على أن الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، كان قائدا حكيما ومخلصا وداعيا وراعيا للسلام والحوار بين الناس ودائم العمل على نهضة بلاده، وخدمة قضايا الأمتين العربية والإسلامية، حتى استحق بجدارة أن يلقب بـ«أمير الإنسانية».

وأضاف أن الأزهر الشريف لا يسعه في هذا المصاب الجلل، إلا أن يعرب عن خالص التعازي والمواساة للأمتين العربية والإسلامية ولدولة الكويت حكومة وشعبا، داعيا المولى -عزوجل- أن يسكن المغفور له بإذن الله فسيح جناته وأن يلهم أهله وذويه وكل محبيه الصبر والسلوان.

هذا التقدير العميق سبقه زيارتان أخويتان لشيخ الأزهر إلى دولة الكويت في العامين ٢٠١٤م و٢٠١٦م.

وبحسب تقارير كويتية في العام ٢٠١٤م[٣] فقد زار الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب البلاد على رأس وفد إسلامي رفيع المستوى، وتم توقيع بروتوكول تعاون بين وزارتي الأوقاف المصرية والكويتية.

وفي العام ٢٠١٦م، كرم المغفور له صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، أمير الكويت الراحل[٤]، شيخ الأزهر الشريف، بمناسبة اختياره شخصية العام، بحضور صاحب السمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح ولي العهد وقتها، وعدد من الوزراء وكبار الشخصيات.

وتحدث أمير الكويت الراحل في التكريم عن مواقف شيخ الأزهر القوية في إبراز دور الأزهر في هذه الفترة العصيبة التي يمر بها العالم العربي والإسلامي، وبالجهود الطيبة التي أسهم بها الأزهر الشريف في بيان وسطية وسماحة الإسلام، واحترامه للتعددية الدينية والمذهبية، مشيدا بتحمل شيخ الأزهر لتبعات المسؤولية في تلك الفترة العصيبة التي يقف فيها الأزهر في مواجهة التيارات التكفيرية المتطرفة التي تحاول تشويه صورة الإسلام.


شيخ الأزهر أحمد الطيب

من جانبه، أشاد الطيب بجهود أمير الكويت الراحل في دعم التضامن العربي، وفي التضامن مع مصر في مواجهة الإرهاب الذي تواجهه جميع دول المنطقة العربية، موضحا حجم المسؤولية الكبيرة التي تواجه الحكام العرب في ظل التحديات التي تشهدها الساحة العربية والإسلامية، إضافة إلى مواقفه الإنسانية التي شهد بها الجميع، وجعلت من الكويت مركزا للعمل الإنساني.

هذا النهج الأزهري تواصل بعد رحيل «أمير الإنسانية»، حيث تقدم الإمام الأكبر[٥] بالعزاء لصاحب السمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، أمير الكويت، في وفاة الشيخ ناصر صباح الأحمد الجابر الصباح، وزير الدفاع السابق ونجل أمير الكويت الراحل.

رسائل السفراء

وللسفير محمد صالح الذويخ، قدم سبق في التواصل مع مشيخة الأزهر فور تسلمه مهام مسؤوليته في العام ٢٠١٦م، حيث استقبله الإمام الأكبر في مشيخة الأزهر في ١٦ أكتوبر من العام نفسه، وقدم له التهنئة بمناسبة تسلمه مهام عمله الجديد بالقاهرة، متمنيا له دوام التوفيق والنجاح.

وأكد الطيب[٦] مبكرا مع «الذويخ» عمق العلاقات التاريخية بين الأزهر ودولة الكويت، مشيدا بجهود سمو

الكويت في دعم التضامن العربي، وبمواقفه الإنسانية التي جعلت من الكويت مركزا للعمل الإنساني.

من جانبه، أعرب السفير الكويتي عن تقديره لدور الأزهر الشريف في رعاية الفكر الوسطي للإسلام، واحتضانه لأبناء المسلمين من دول العالم كافة للدراسة بمختلف كلياته ومعاهده، مشيدا بجهود الإمام الأكبر في دعم وترسيخ قيم السلام والحوار والتسامح بين مختلف الشعوب والدول.

وفي العام ٢٠١٦م، التقى شيخ الأزهر الشريف السفير سالم غصاب الزمانان[٧]، سفير الكويت بمصر مرتين، قبل انتهاء مهامه في العام نفسه وبعدها.

ففي فبراير ٢٠١٦م قدم الطيب الشكر لدولة الكويت قيادة وشعبا وحكومة على الحفاوة البالغة التي استُقبل بها خلال زيارته للكويت وقت تكريمه، مؤكدا عمق العلاقات التاريخية بين الأزهر ودولة الكويت، مشيدا بالمواقف الإنسانية لسمو أمير الكويت الراحل وجهوده في دعم الأشقاء العرب، ودوره في الحفاظ على وحدة واستقرار الأمة.

بدوره أعرب السفير الكويتي السابق عن تقدير دولة الكويت لدور الأزهر البارز في ترسيخ السلام المجتمعي، وجهوده في مواجهة التيارات الفكرية المنحرفة، كما أعرب عن تقديره لشخص الإمام الأكبر الذي يحظى باحترام كبير من الكويت حكومة وشعبا، مؤكدا أن الأزهر الشريف بمنهجه الوسطي هو حصن الأمة ضد التطرف.

وفي لقاء الوداع[٨] جدد شيخ الأزهر والسفير السابق سالم غصاب الزمانان، الرسالة نفسها، مؤكدين التقدير المتبادل بين الأزهر والكويت وإصرارهما على استكمال رسالة خدمة الأمة.

أهداف مشتركة

ولم تتوقف اللقاءات الرسمية في المسار المشترك بين الكويت والأزهر في العقد الأخير، وكان لافتا التقدير المتبادل والتحفيز المتواصل لتحقيق الأهداف المشتركة في سبيل خدمة الأمة العربية والإسلامية.

وكثيرا ما حضر الأزهر في الاحتفاء بالأيام الوطنية الكويتية[٩]، ومنها تهنئته الكويت بيومها الوطني في ٢٤ فبراير ٢٠٢٠م، والتي سجلت تقدير الأزهر الكبير لجهود أمير الكويت في دعم التضامن العربي وما تشهده الكويت من ازدهار وتنمية واستقرار.

وفي العام ٢٠١٨، استقبل شيخ الأزهر الشريف [١٠] النائب مرزوق الغانم، رئيس مجلس الأمة الكويتي، على هامش المؤتمر العالمي لنصرة القدس.

وأعرب النائب مرزوق الغانم، عن شكره للأزهر الشريف على هذه الفعالية التي جاءت في وقتها لنصرة القدس، وشكره كذلك الإمام الأكبر لنصرته قضايا الأمة والإنسان، مؤكدا أهمية هذا المؤتمر الذي يعقد في حضرة الأزهر وبحضور هذه القامات الدينية والفكرية وما تحمله من تأثير عميق وجمهور عريض.

وفي السياق نفسه أشاد الإمام الأكبر بمواقف الكويت التاريخية الداعمة للقضايا العربية والإسلامية، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية.

ويعد الاحتفال السنوي الذي ينظمه بيت الزكاة الكويتي لتكريم الطلاب المتفوقين الدارسين والخريجين بجامعة الأزهر، أحد سبل التعاون البارز بين المشيخة والكويت في المسار التعليمي.

وفي العام ٢٠١٢م ثمن شيخ الأزهر[١١]، أمام حفل نظمه المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية التابع لبيت الزكاة، الدعم الذي يقدمه المكتب للطلاب المغتربين بجامعة الأزهر، مشيدا بالخدمات التي تقدمها الكويت للمسلمين في أنحاء العالم، وسط دعاء[١٢] يبدو أنه لن ينقطع من الأزهر، ردده الشباب المتفوق في الجامعة وقتها: «اللهم احفظ الكويت وشعبها».

المصادر

١- موقع الأزهر الشريف على شبكة المعلومات الدولية ٢ ديسمبر ٢٠٢١م.
٢- الموقع الإلكتروني لجريدة الشروق المصرية ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٠م.
٣- الموقع الإلكتروني لصحيفة الوطن الكويتية ١٧ فبراير ٢٠١٤م.
٤- الموقع الإلكتروني لصحيفة اليوم السابع ١٨ يناير ٢٠١٦م.
٥- الموقع الإلكتروني لصحيفة الوطن المصرية ٢٠ ديسمبر ٢٠٢٠م
٦- موقع الأزهر الشريف على الشبكة المعلومات الدولية ١٦ أكتوبر ٢٠١٦م.
٧- الموقع الإلكتروني لصحيفة الأهرام المصرية ٩ فبراير ٢٠١٦م.
٨- بوابة أخبار اليوم المصرية ٤ أبريل ٢٠١٦م.
٩- موقع الأزهر الشريف على الشبكة المعلومات الدولية ٢٤ فبراير ٢٠٢٠م.
١٠- المصدر السابق ١٨ يناير ٢٠١٨م.
١١- الموقع الإلكتروني لصحيفة الأنباء الكويتية ١٦ نوفمبر ٢٠١٢م.
١٢- الموقع الإلكتروني لصحيفة الراي الكويتية ٦ ديسمبر ٢٠١٢م.



د.آندي حجازي
كاتبة تربوية

دامت أفراحك يا كويت العز والكرم

أحب أن أشارك دولة الكويت أفراحها في أيامها الوطنية، وإن كنت لست كويتية أو مقيمة على أرضها، ولكني زرتها مرة وأعجبني أهلها، فهي بلد عربي مسلم شقيق معطاء عزيز على قلوبنا، عامر بأهله وبثقافته وعلمه وأفكار شعبه المتسامحة والخيرة والمعطاءة، فأدام الله على الكويت الأمن والأمان والخير والرفاه والعز والتقدم والاستقرار.

فدولة الكويت دولة متقدمة علميا وفكريا وثقافيا واقتصاديا ولله الحمد، تعمل قيادتها على دعم شعبها من جميع النواحي الفكرية والاجتماعية والثقافية والعلمية والتكنولوجية والرفاهية؛ ولذلك أنشأت الجامعات وأهمها جامعة الكويت في العاصمة والتي نشأت عام: (١٩٦٠م) والتي تحتل مرتبة متقدمة بين جامعات الدول الآسيوية، وكذلك أنشأت المدارس والمعاهد والمستشفيات والهيئات الفكرية وبيوت الثقافة «كبيت بدر»، والمتاحف كـ: «محتف الكويت الوطني» (١٩٥٧م) و«المتحف العلمي التربوي» (١٩٧٢م)، و«متحف العلوم والتاريخ الطبيعي» (والذي يحتوي معروضات تتعلق بصناعة النفط والتاريخ الطبيعي والطيران والآلات والالكترونيات والفضاء والقبة السماوية).

كما وأنشأت دولة الكويت لشعبها المراكز العلمية «كمعهد الكويت للأبحاث العلمية» و«للأبحاث الطبية»، والمكتبات الوطنية، و«مؤسسة الكويت للتقدم العملي»، و«نادي الكويت العلمي» (والذي يضم مرصد علمي)، وكما واهتمت بإنشاء المنتزهات وحديقة الحيوان، وانتشرت المساجد المميزة كالمسجد الهرمي في السالمية والمسجد الكبير وغيرها، كما ونشأت في الكويت الأبراج والأسواق المتنوعة ومراكز الترفيه والمطارات (وتضم سبعة مطارات برغم صغر الدولة نسبيا)، فلم تدخر الحكومة وسعا في دعم نهضة وتطور شعبها وأرضها ولله الحمد.

نشر الكويت العلم محليا ودوليا:

ومن الأمور التي تعجبني في دولة الكويت هو اهتمامها بنشر العلم والثقافة لباقي الدول العربية والإسلامية، وهذا الشيء تربينا عليه من الصغر ونحن نرى مجلاتها الفكرية والعلمية تصل لجميع البلاد العربية منذ أكثر من خمسين عاما وللآن، ومنها: «مجلة العربي» و«مجلة العربي الصغير» التي تصدرهما وزارة الإعلام الكويتية، و«مجلة الوعي الإسلامي وبراعم الإيمان» التي تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية مع الكثير الكثير من الإصدارات الشهرية والمتنوعة للوزارة. و«مجلة عالم الفكر» وهي مجلة دورية محكمة تصدر كل ثلاثة أشهر تهتم بنشر الدراسات والبحوث في مجالات الفكر المختلفة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وتنتشر في كل العالم العربي. و«مجلة الطفولة العربية» وهي مجلة محكمة تدعم الأبحاث العلمية المحكمة التي ينشرها باحثو الدول العربية والمتعلقة بالطفولة والتي تصدر بشكل دوري من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي والتي تدعم العلم والعلماء والباحثين في شتى أنحاء الدول العربية.

فالجميل أنه لم يقتصر دور تلك الوزارات والمؤسسات الداعمة جميعها على نشر تلك العلوم على أرض الكويت فقط؛ بل إنها تخطت ذلك لتنشر ذاك العلم في جميع أنحاء البلاد العربية وغير العربية، وهذا محط إعجاب وتقدير ومفخرة لدولة الكويت الشقيقة، والذي نحمد الله على تميزها به واهتمامها بالعلم والتقدم العلمي والفكري العربي.

دولة الكويت دولة الكرم والإغاثة:

كما وتتميز دولة الكويت حكومة وشعبا بالكرم والعطاء المستمر ودعم البلاد الفقيرة والبلاد المنكوبة والبلاد التي تحتاج للمساعدات العاجلة والإنسانية، فهي منذ أن حباها الله تعالى بالنفط فلم تبخل يوما بمورودانه لمد يد العون لباقي الدول التي تحتاج للدعم المادي والإنساني، وقد ساهمت كثيرا في دعم تلك البلاد التي انتشرت بها الفقر والبطالة والمجاعات والحروب والكوارث البيئية كالطوفان والأمراض وغيرها كدول في إفريقيا وآسيا، وذلك الدعم من خلال هيئاتها المختلفة والكثيرة والتي سأسرد أهمها تاليا (وجميعها يمكن الاطلاع على مواقعها الإلكترونية للتعرف عليها وعلى أنشطتها والدول التي تقدم بها يد المساعدة).

ومن تلك الهيئات والجمعيات الخيرية الكويتية: «الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» وهي هيئة مستقلة مقرها الكويت وهي من كبرى المؤسسات العالمية الإنسانية، تأسست عام: (١٩٨٤م)، ذات أنشطة متعددة تقدم

خدماتها للمحتاجين والمنكوبين في مختلف المعمورة بدون تمييز أو تعصب، أو تدخل في السياسة أو الصراعات العرقية.

وأيضا «جمعية الإغاثة الإنسانية» وقد أنشئت في مدينة الكويت لتقديم يد العون والإغاثة العاجلة إلى المسلمين في شتى بقاع العالم الذين يعانون من الفقر والقهر والحروب والمجاعات والأمراض والمساهمة في التخفيف من معاناة اللاجئين ونجدة المشردين في ظروفهم القاسية. وتقوم أيضا بكفالة أسر وأيتام وبناء مساجد وحفر آبار وبناء مراكز تعليمية ومدارس في البلدان العربية والإسلامية المحتاجة كاليمن وغانا وفلسطين وغيرها.

وهناك أيضا «الجمعية الكويتية للإغاثة» وهي جمعية كويتية متخصصة في مجال الإغاثة للشعوب والمجتمعات المنكوبة العربية والمسلمة وقد مدت العون للكثير من الدول العربية والإسلامية المحتاجة، ويمكن الاطلاع على موقعها الإلكتروني.

وكذلك «الجمعية الخيرية العالمية للتنمية والتطوير» وتأسست في (٢٠١٦م). وهي جمعية كويتية خيرية انبثقت من قيم العطاء والخير الأصيلة في كويت الخير، وهي عالمية الرؤية والطموح، تسعى لتقديم خدمات خيرية متميزة لبناء الإنسان وتطويره وتنمية المجتمعات المحتاجة والرقي بها، وتسعى لتقديم إغاثة نوعية تتجاوز الإغاثة التقليدية من مأكل ومشرب ومأوى إلى التعليم والتدريب والتأهيل والتطوير والتنمية بشتى مجالاتها.

وأيضا «جمعية السلام للأعمال الإنسانية والخيرية» في الكويت والتي تعمل على مساعدة أسر محتاجة وبناء مساجد ومراكز طبية وقرى وبيوت ومساعدة مسلمين الرهونجا في بنغلاديش ومسلمي طاجكستان وقرغيزيا وسوريا واليمن وغيرها.



وجمعية «مبرة المتميزين» لنشر القرآن وتحفيظ القرآن بالكويت وتوفير الكفالة ودعم حافظي القرآن وتعمل على خدمة كتاب الله عز وجل وزيادة أعداد حافظيه وتعليم العلوم الشرعية.

مواقف مشرفة لدولة الكويت:

وكما أن الإنسان العربي ليقف عاجزا عن شكر تلك الدولة الخيرة المعطاءة دولة الكويت لما تقدمه من خير ومد يد العون والإغاثة لكل من يحتاج ليس فقط ماديا بل حتى معنويا، فإننا نقدر موقف دولة الكويت العظيم في وقوفها دوما حكومة وشعبا إلى جانب دولة فلسطين العزيزة وفي نصرة قضية فلسطين والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني على أرضه وفي رفض التطبيع مع العدو الصهيوني المحتل لأرض فلسطين المقدسة، ومطالبة دولة الكويت المستمرة ومن خلال قيادتها (آل الصباح الكرام) برد الحقوق للشعب الفلسطيني المنكوب باعتبارها قضية دينية إسلامية قبل أن تكون عربية وإنسانية، فلم تبق في العالم كله اليوم دولة محتلة من قبل دولة اخرى بشكل رسمي سوى دولة فسطين! وهي أرض الأنبياء ومسرى نبينا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم وبها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

ولما تتوانى دولة الكويت قيادة وشعبا في الدعم للشعب الفلسطيني والوقوف إلى جانبه في المحافل الدولية والمحلية والمطالبة بحقوقه، وهذا أمر عظيم يقدر لدولة الكويت يستحق التقدير والإجلال ورفع القبعة لها احتراما وعرفانا.

وهذا ليس غريبا عن دولة الكويت، فهي دائما ما تقف مواقف مشرفة مع كل قضايا الأمة العربية والإسلامية، وتسعى للإصلاح بينها وفض النزاعات والخلافات الأخوية التي تنشأ بين الدول؛ وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة وطرح المبادرات والحلول وتبني المواقف الإيجابية.

ومن هذا المنطلق ومن تلك المواقف الإنسانية والعربية والإسلامية العظيمة والمتنوعة والمميزة فإننا نعتز بدولة الكويت ونحبها ونعتبرها مثالا يتحدى لباقي الدول، ويسعدنا أن نشاركها أفراحها في أيامها الوطنية متمنين لها دوام التقدم والرفاه والعز والخير والأمان والسعادة لأبنائها وقاطنيها، فدمتي عزيزة شامخة يا دولة الكويت.



عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية

معاني الفرحة وحب الوطن

تحمل المناسبات الوطنية في الكويت كل معاني الفرحة والبهجة والسعادة التي يتسابق الجميع على إظهارها في أجواء احتفالية مميزة، في تجسيد لقيم الولاء والانتماء للوطن، وتحظى بمكانة خاصة في نفوس كل فئات وشرائح المجتمع المختلفة التي تحرص على التعبير عن مشاعرها السعيدة بهذه المناسبة الغالية، والتأكيد على اللحمة الوطنية والتلاحم الشعبي ومحبة الوطن.

وتحتفل الكويت في الخامس والعشرين والسادس والعشرين من فبراير في كل عام بذكرى يومي الاستقلال والتحرير بمظاهر زينة واحتفالات رسمية وشعبية شاملة تعكس فرحة أهل الكويت ومحبتهم لبلادهم.

وتنتشر مظاهر الاحتفالات في كل مكان بالكويت فنجدها في الجهات الحكومية والمؤسسات الخاصة ومنازل المواطنين في تنافس لإبراز مظاهر الفرحة والبهجة بهذه المناسبات السنوية.

وتتزين الشوارع والساحات والميادين وبيوت المواطنين والمباني الحكومية والخاصة بالأعلام وأضواء الزينة والصور الوطنية، إضافة إلى إقامة الاحتفالات الرسمية والشعبية والفعاليات المختلفة التي تركز على إظهار مشاعر السعادة وترسيخ قيم الولاء والانتماء والمحبة للوطن، فضلا عن إبراز مسيرة الكويت الحافلة بالعطاءات والإنجازات محليا ودوليا، إضافة إلى مراحل النمو والازدهار والنهضة الشاملة التي تحققت في المجالات المختلفة.

ولا تقتصر الفرحة على الداخل في الكويت لكنها تشمل أيضا السفارات والملحقيات والبعثات الخارجية التي تقيم العديد من الفعاليات والأنشطة المختلفة التي تبرز مظاهر التقدم والنهضة في الكويت ومسيرتها الحافلة بالإنجازات المتنوعة، كما أن الكثير من الدول تشارك الكويت احتفالاتها الوطنية من خلال إقامة بعض الفعاليات الخاصة بهذه المناسبة.

ورغم التغيرات التي شهدتها نوعية وطبيعة الاحتفالات والمناسبات الوطنية طوال السنوات الماضية بحسب كل مرحلة من مراحل التاريخ وما فيها من خصوصية وجمال وفعاليات وأنشطة إلا أنها عبرت جميعا عن المحبة للوطن والحرص على إعلاء كلمته وإبراز مسيرته الزاخرة بالإنجازات والتنمية والتقدم المستمر.

ولم يعد شهر فبراير شهرا عاديا من شهور السنة إنما بات يحظى بمكانة وأهمية خاصة ومحطة يتوقف عندها الكثيرون، لأنه شهر المناسبات الوطنية الذي تقام فيه احتفالات يومي الاستقلال والتحرير، كما أن الكثير من الفعاليات والأنشطة أصبحت تقام في هذا الشهر لتتزامن مع الاحتفالات الوطنية.

ورغم ظروف الأزمة الصحية التي يشهدها العالم بسبب جائحة «كورونا» وتطورات هذا الفيروس ومتحوراته الجديدة التي تتطلب مواجهة والتزاما بالاشتراطات الصحية لمنع انتشار الوباء، فإن احتفالات الكويت الوطنية لا تتوقف، فإذا كانت الجهات الحكومية حظرت التجمعات العامة التي تقام بهذه المناسبة حفاظا على صحة الجميع، فإن هذه المناسبة لن تغيب أبدا عن قلوب وبيوت الناس واحتفالاتهم الشخصية بوطنهم.



عبدالله الظفيري
صحافي وباحث

مسيرة البناء والتنمية



تعيش الكويت احتفالاتها الوطنية بمظاهر فرح وأجواء ملؤها السعادة والسرور، وسط استمرار السعي نحو تحقيق التنمية والرفاهية والعيش الكريم لكل المواطنين.

وتشهد ذكرى يومي الاستقلال والتحرير في: (٢٥ و٢٦) فبراير من كل عام احتفالات واسعة على المستويين الرسمي والشعبي تشمل العديد من الأنشطة والفعاليات التي تعبر عن أجواء الفرح والبهجة بالأعياد الوطنية.

وتتزين الشوارع والساحات والمباني ومؤسسات الدولة المختلفة وشركات القطاع الخاص وبيوت المواطنين بالأعلام والصور وأضواء الزينة بألوانها المميزة، إضافة الى إقامة الكثير من العروض والاحتفالات والأنشطة المختلفة سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي.

ولم تتوقف احتفالات الكويت الوطنية طوال السنوات السابقة، إنما كانت تأخذ شكلها وطبيعتها بحسب ظروف كل سنة، ومع استمرار جائحة «كورونا» التي تتطلب مواجهتها التباعد وتطبيق اشتراطات صحية معينة، تظل الاحتفالات قائمة بمظاهرها المختلفة من أعلام مرفوعة وزينة معلقة على منازل المواطنين واجهزة الدولة، والفرحة الغامرة التي يشعر بها كل من يعيش على أرض الكويت بهذه المناسبة سعيدة.

وتشكل ذكرى الأيام الوطنية مناسبة مهمة للحديث عن مراحل التقدم والازدهار ومسيرة التنمية والبناء الذي حققته الكويت طوال السنوات الماضية، إضافة إلى رصد ملامح المرحلة القادمة وخطوات الإصلاح والنهضة الشاملة التي تسعى البلد في خطى واسعة نحو تحقيقها.

ولم تتوقف مسيرة الكويت في العطاء والبناء سواء على صعيد الشأن الداخلي أو الخارجي في ظل الحرص على تطوير البلد وجعله منارة اقتصادية، وتنمية العلاقات الخارجية مع الدول الصديقة والشقيقة.

وتشهد الكويت حالة التطور والنمو في كل مجالاتها المختلفة سواء على صعيد المباني والمرافق والخدمات والبنية التحتية، في ظل قيادة حكيمة والتفاف شعبي حول قيادته.

وكان الاهتمام كبيرا في بناء الإنسان وتحقيق الرفاهية والعيش الكريم له بتوفير المباني والخدمات والمرافق المتنوعة إضافة إلى احتياجات السكن والصحة والتعليم والتي شكلت أولويات في خطط التنمية الحكومية.

وحظي التعليم بأولوية باعتبار أنه الركيزة الأساسية في التنمية والتطور، والتي تتطلب ليس الاهتمام في المحتوى التعليمي والمعرفي وحسب، إنما حتى في المباني والإنشاءات، فجاءت العديد من المؤسسات التعليمية الراقية التي تم إنشاؤها لتقديم تعليم متطور يواكب المتغيرات العالمية والتقدم التقني والتكنولوجي الذي يشهده العالم.

وفي موازاة الحرص على التنمية الداخلية، اهتمت الكويت بتقوية علاقاتها الخارجية من خلال اتباع سياسة حكيمة ومعتدلة، إضافة إلى تقديم الدعم والمساعدات الإنسانية والتنموية لدول العالم المختلفة، فالعمل الإنساني أحد السمات المميزة في هذا البلد، فتبقى الكويت بلد الإنسانية.



القاهرة - الطيب حسين:
دار الإعلام العربية



وعي يصنع المستقبل

يرسخ «الوعي» أقدام الشباب على المستقبل، فيجعل لهم اليد العليا في نهضة أمتهم، لا سيما في عصر السماوات المفتوحة، والغزو الفكري، وسيل الأفكار المناهضة للمعتقدات والقيم.. وتحفل الأمة الإسلامية، بتاريخ واسع من إسهامات الشباب، وأدوارهم في إقامة حضارة مترامية الأطراف، شع نورها في أرجاء الدنيا.

ومن هذا المنطلق، كانت لنا هذه الإطلالة على آراء كوكبة من العلماء والمتخصصين، ورؤيتهم لهذه الأهمية، وكيفية الانطلاق منها لبناء أجيال قوية، تقود الأمة للحضارة والنهضة والتقدم.

«منحة لا محنة، وفضل من الله به علي، وأرجوه أن يكون سببا في رفع منزلتي عنده».. بهذه الكلمات بدأ أحمد محروس، الطالب في الفرقة الثالثة، بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، حديثه عن حياته، حيث ولد كفيفا، قبل أن يكتشف بعد سنوات إصابته بمرض منعه من الحركة إلا لأمتار، وبحرص وحذر شديدين.

أحمد ابن قرية منيل السلطان، في مركز أطفيح بمحافظة الجيزة، أنموذج للشاب الإيجابي والفاعل في مجتمعه، فضلا عن تمتعه بإرادة وعزيمة قويتين، تدفعانه دائما إلى الاستمرار في السعي نحو تحقيق أهدافه، التي يرى أن كل إنسان يجب أن يكون له أهداف يسعى لتحقيقها، لأن الله لم يخلق البشر عبثا.

نموذج مضيئ

يقول أحمد: «ولدت كفيفا، لم يكن أبواي يعلمان بإصابتي، مرت الأيام وبإجراء بعض الفحوصات الطبية، اكتشفا الأمر، حاولا علاجي، وسعيا في كل طريق وطرقا كل باب، لكن تعذر العلاج، فرضيا بقضاء الله وقدره، وسلما الأمر إليه».

تابع: مرت سنوات الطفولة، وحان موعد التحاقي بالدراسة النظامية، وهنا واجه أسرتي سؤال، أي التعليمين أصلح لحالتي؟ الأزهري أم التعليم العام؟ وبعد بحث وتناصح، اهتديا إلى إلحاقي بالأزهر، وهذا كان من توفيق الله، ونعمه الغامرة علي».

ويتابع: «كانت البدايات صعبة، ففضلا عن الزحام في الفصول الدراسية، كانت إصابتي في بصري تثير اهتمام الأطفال، ولأن جميعنا أطفال، كنت أواجه بعض عبارات التنمر، ولم يكن حينها لدي معرفة بالمعاني الجليلة المنطوية في امتحان الله لي، فكنت أعاني من هذا الأمر، فضلا عن كوني الكفيف الوحيد في القرية، لكن مما فتح الله به علي، هو محاولة قلب الواقع لصالحي، عن طريق المشاركة في المسابقات

التعليمية والأهلية، وحصولي على المراكز الأولى فيها، وعديد من التكريمات المختلفة، هذا الأمر رفع من حالتي المعنوية بشكل كبير جدا، وكان له عظيم الأثر الطيب علي».

وعن تفاصيل مرضه بخلاف العمى يقول: أصبت بمرض العظم الزجاجي، فكانت عظام جسدي معرضة للكسر بكل سهولة، ودون الحاجة إلى حركة.. هذا المرض بدأ بآلام شديدة، مثلت لي معاناة كبيرة حينها إلى الآن، ولكن تغيرت حياتي جذريا، فلم أعد أستطع الحركة دون مساعدة أحد، ليتولى أبي أمري، والذي اعتاد حملي إلى أي مكان وفي أي وقت، كما استدعت حالتي الجديدة، خروج شقيقي من التعليم العام، إلى الالتحاق بالأزهر كي يساعدني ويكون عونا لي، وبفضل الله تمكنت من استكمال تعليمي بتفوق في جميع المراحل، وحصلت على تكريم من المحافظ، وحققت جزءا كبيرا من حلمي بالالتحاق بكلية أصول الدين، والتي أسعى بعد التخرج منها إلى إعداد الماجستير ثم الدكتوراه، أنتظر حاليا إجراء جراحة، ستساعد في حل مشكلتي بشكل كبير، لكن هناك عوائق تواجهها، أسأل الله أن تزول».

الطالب أحمد، وجه نصيحة لأبناء الأمة قائلا: «رسالتي لأبناء أمتنا أولا بالرضا، فالرضا مفتاح كل خير، وهو طريق للسعادة والراحة النفسية ومن ثم القدرة على العطاء وخدمة المجتمع، ثم أوصيهم بالصبر والتحلي بالإرادة والعزيمة، وأن يكون لكل منهم هدف، يسعى لتحقيقه بلا يأس أو إحباط، مؤكدا: الله لم يخلقنا لنأكل ونشرب ونلبس، إنما خلقنا لغاية وهدف، ومن هنا يجب أن يكون لكل منا هدفه في الحياة، وأن يكون نموذجا إيجابيا، فالأمة بأبنائها وسواعدهم، ولا يصدنهم عن طريقهم شيء، مهما اعترض طريقهم عارض، أو واجهتهم مشكلة».

د.شوقي عبداللطيف: اللبنة الأساسية في بناء الأمة

كل المستقبل

إلى ذلك، قال الشيخ شوقي عبداللطيف، وكيل وزارة الأوقاف المصرية سابقا، إن الشباب هم نصف الحاضر وكل المستقبل، وما قامت دولة واشتد ساعدها إلا بأيدي شبابها وسواعدهم، ولذلك نجد أن القرآن الكريم أثنى على الشباب خيرا عندما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ (الكهف:١٣)، وكان الرسول ﷺ، دائما يعتني بالشباب، ولا ننسى الدولة الإسلامية قامت على أكتاف الشباب، مثل سيدنا الإمام علي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وزيد بن حارثة، وأسامة بن زيد، وغيرهم من صفوة شباب الأمة على مر العصور، هم الذين كانوا دائما وأبدا في مقدمة الجيوش، وهم اللبنة الأساسية في بناء الأمة، وكانت لهم الريادة في العمل والكسب الحلال.

وتابع: من هنا كان الرسول ﷺ، يعظم دور الشاب، ونجد أن نبي الله يوسف عليه السلام، ضرب أروع الأمثلة للشباب في الاستقامة والخوف من الله تعالى، وهكذا كان نبي الله موسى عليه السلام، حيث كان يأكل من كسب يده، وهاجر وذاق الأمرين في سبيل بناء المستقبل الواعد، فيجب على شباب الأمة أن يتعلم من هذه الصفوة، التي نحتت في الصخر، وساهمت في بناء دولة الحق وعمادها العلم والعمل، ورأس مالها الصلاح والتقوى، ومن هنا يجب على شباب أمتنا أن ينتبهوا لهذا الأمر، فالاستقامة والصلاح أساس النجاح لأي أمة، تريد النهوض والتقدم والرقي والحضارة.

أضاف أن الوعي يبدأ من الأسرة ممثلة في الأم، يليها الأب، ولا ننسى قول رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء... الحديث)، رواه البخاري ومسلم وابن حبان، فالأم مدرسة إن أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق، ويمكن أن يأتي في المقام التالي المدارس والجامعات، فلابد أن يكون هناك منهج، يأخذ

بنواصي الشباب إلى طريق الحق والاستقامة و الرشاد.

وتابع أنه يأتي بعد ذلك دور الإعلام، فله دور مهم، لكن للأسف نجد المادة الإعلامية في وقتنا الحاضر، هدامة أكثر منها بناءة، تحتاج إلى وعي وتخطيط جيد ونهوض، لأن الشباب في وقتنا الحاضر يعيش حالة من الضياع خاصة على مستوى الوعي، فلابد أن نهتم بشبابنا، ونقدم لهم الأخلاقيات والمثل العليا، ونفتح لهم أبواب العلم والعمل لتحقيق أهدافهم، لأن النفس إن لم يشغلها الحق، شغلها الباطل، وفي حقيقة الأمر، يجب أن تكون هناك ندوات للشباب واهتمام أكبر بهم، لنأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والرشاد.

من أهم خطوات التغيير

وفي هذا السياق، قال الدكتور أحمد زارع، المتحدث الإعلامي لجامعة الأزهر ووكيل كلية الإعلام السابق، إن الوعي بمفهومه العام هو قدرة الإنسان على استيعاب الحقائق والأحداث من حوله، وهو يندرج في قائمة المعايير الأساسية التي تحدد درجة تفاعل الإنسان مع معطيات البيئة والمجتمع، وتتحدد قوة هذا التفاعل أو ضعفه تبعا لما تفرضه المؤثرات التي يتعرض لها في مجتمعه وبيئته، وهذه المؤثرات هي التي تقرر نوعية الاستجابة، وردود الفعل، موضحا أنه من المسلم به أن الوعي يخضع في تشكيله للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية وغيرها، ومن هنا يرتبط الوعي لدى الأفراد ارتباطا وثيقا بأمن المجتمع واستقراره، لأنه نتاج طبيعي للمجتمع وانعكاس للوجود الاجتماعي، فالجمهور الواعي وبخاصة شباب الأمة هو المدرك لما يدور حوله في الحياة والعالم من منافع وأضرار ويتحلى بقدرته على وزن الأمور بميزان صحيح يثمر أفعالا صحيحة، ومن هذا المنطلق يعد الوعي من أهم خطوات التغيير.

د.زارع: شباب الأمة يتعرضون لموجات غزو فكري عاتية لتغييب وعيهم

وأكمل أنه من هنا نجد تعرض شباب الأمة لموجات عاتية من وسائل الغزو الثقافي والفكري التي تحاول تغييب وعيهم بل صناعة وعي يحقق أهدافا سياسية وأخلاقية وفلسفية ودينية وغير ذلك بعيدة كل البعد عن مكونات الأمة الحضارية، ومناقضة لأهداف المجتمعات



العربية والإسلامية في الرقي والتقدم والازدهار، خاصة في ظل السماوات المفتوحة وانفتاح الشباب على كل الأيديولوجيات والثقافات المتعددة.

تابع: من هنا، كان لزاما وفريضة على كل وسائل التنشئة والتثقيف والتعليم وعلى المفكرين والعلماء بداية من الأسرة وانطلاقا من المدرسة والجامعة والمساجد ووسائل الإعلام المختلفة، وغيرها من الكيانات المؤثرة في الواقع المجتمعي، أن تقوم بالحفاظ على تشكيل وعي شباب الأمة بغرس القيم التي تستهدف الحفاظ على المجتمع من الأخطار، وإحداث تغيير حقيقي في سلوك الشباب، نحو القضايا المجتمعية بهدف إيجاد الشخصية الإيجابية التي تتصرف بروح المسؤولية.

وذكر أن ذلك يقتضي أيضا، تحصين شباب الأمة ضد الدعايات والأفكار التي تريد أن تقتلعهم عن مكونات حضارتهم وذلك بتوصيل البيانات والمعلومات الكافية للشباب بصورة مفهومة وميسرة ومقنعة، وذلك بكافة الطرق الممكنة بهدف تيسير المعرفة الإنسانية، وكشف الحقائق وتعريفهم بالقضايا التي تسهم في تحقيق الأمن والسلامة للمجتمع، وذلك على الساحتين المحلية والدولية، حتى يستطيع شبابنا التزود بالخبرة الكافية التي تمكنهم من التعامل مع مختلف القضايا ووضع الحلول المناسبة لها، وإشراكهم بصورة

د.فرويز: الجمود الفكري أحد أهم معوقات إعداد جيل واع

جادة وإيجابية في قضايا المجتمع، من خلال التربية السليمة وبناء الإنسان المدرك لمسؤولياته عن أمن المجتمع في ظل مناخ تسوده الحرية والمسؤولية.

محاربة الجمود

بدوره، قال الدكتور جمال فرويز، استشاري الطب النفسي، إن تنوع مصادر المعلومة ضروري من أجل إعداد شباب واع وإيجابي في مجتمعه، موضحا أن المشكلة التي يعاني منها شباب الأمة في الوقت الراهن هي الجمود الفكري، لأن البعض يعتنق فكرا معينا، ويعتقد اعتقادا جازما أنه الصواب، وبالتالي يرفض كل الأفكار والآراء الأخرى، هذا الجمود يؤدي إلى حالة من اثنتين، إما التطرف، أو الإلحاد للأسف الشديد.

وكشف أن التربية تساهم في تكوين الجمود لدى الأبناء، محذرا من مخاوف الانفتاح، شريطة أن يكون محصنا من الانزلاق في اتباع الأفكار والمذاهب الهدامة أو الضالة، موضحا أن كل ما على الأسرة هو التربية السليمة الصحيحة، ثم تركه يتخذ القرار ويقيس ما يعرض عليه في الحياة، بعد امتلاكه القدرة على تمييز الخبيث من الطيب.

وتابع أنه كلما كان الشاب على تربية مستنيرة، ويمتلك سقفا مرتفعا من الحرية، ويستطيع الحكم على الصواب من الخطأ، كلما كان شخصية ناضجة أكثر، ويكون عنده القدرة على التمييز ما بين الخطأ والصواب بشكل صحيح، لأن الوعي يحميه، ويجعله يتخذ قراراته على نحو بعيد عن الخطأ.

وأكمل أنه من هذا يتضح لنا، أن الشاب كلما كانت قراراته فيها اندفاعية أو انفعالية أو عاطفية، فغالبا يشوبها الخطأ، وبالتالي تترتب عليها آثار سلبية، ستصيب المحيط به لا محالة، وقد يصل صداها للمجتمع في بعض الحالات، وتؤثر فيه بشكل مباشر، والعكس صحيح أيضا، فكلما كان لديه القدرة على الوعي المكتسب، كلما ساهم بإيجابية في محيطه الاجتماعي، ومن ثم أمته.

وذكر فرويز، أن هناك عدة مصادر لبناء الوعي لدى شباب الأمة، تأتي في الرأس منها الأم، فهي رقم ١ و ٢ و٣ في عملية بناء الوعي، ثم يأتي بعدها الأب، والذي كلما تمتع بشخصية ناضجة ومستنيرة، كلما انعكس هذا على أبنائه، بمنحهم المعلومات السليمة، وغرس المعايير الصحيحة في نفوسهم، وبالتالي ستكون نسبة نجاح تربيتهم مرتفعة، ثم يأتي الدور بعد ذلك تباعا، من المؤسسات التعليمية، إلى المسجد وهكذا، وهذه المصادر هي الموثوقة في علم النفس.

د. أحمد عبدالرازق عبدالعزيز محمد
دكتور أكاديمي



شهر رجب وذكرى غزوة تبوك

ارتبط شهر رجب المعظم بأحداث تاريخية هامة، ولنا أن نفخر بها وبأمتنا العربية الإسلامية، ومن الواجب علينا أن نذكر الأجيال القادمة بهذه الأحداث الهامة تقديرا لأهميتها في تاريخ الأمة العربية.

فقد كانت غزوة تبوك في شهر رجب بالعام التاسع من الهجرة هي أهم حدث تاريخي بهذا الشهر؛ لأن بتلك الغزوة حدثت تغييرات كبيرة بالمنطقة، وأصبحت للأمة العربية الإسلامية كلمة مسموعة بالمنطقة، وفرضت سيادتها؛ وبالأخص الجزيرة العربية، وظل هذا حتى يومنا.

غزوة تبوك: تعد من أعظم الغزوات في العهد النبوي من حيث حجم الجيش الذي بلغ تعداده ثلاثين ألفا، وهو عدد لم يسبق في تاريخ العهد النبوي، وتبوك من أطراف الشام، وكانت تحت سلطة الروم، وغزوة تبوك هي استجابة طبيعية لفريضة الجهاد في سبيل الله؛ فهي الغزوة التي خرج رسول الله محمد ﷺ لها في رجب من العام التاسع الهجري، واشتهرت باسم غزوة تبوك نسبة إلى عين تبوك، وهو المكان الذي أنتهى إليه الجيش الإسلامي، وسميت أيضا غزوة العسرة لشدة ما لاقى المسلمون فيها من شدة الحر، ومشقة المسافة والسفر، وقلة المال، والمؤنة والدواب التي كانت تحمل المجاهدين إلى أرض المعركة، وسميت بالفاضحة لأنها كشفت عن حقيقة المنافقين، وهتكت أستارهم وفضحت أساليبهم العدائية الماكرة، وجرائمهم العدائية بحق رسول الله ﷺ؛ فانزل الله قوله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ (سورة التوبة:٨١)[١].

وقد تخلص الجيش الإسلامي في هذه الغزوة من أولئك المنافقين بفضل افتضاح أمرهم، بينما قام الصحابة ببذل المال من أجل مساعدة المسلمين؛ فأنفق عثمان بن عفان نفقة عظيمة، وبلغ الأمر بالضعفاء والعجزة ممن أقعدهم المرض أو النفقة عن الخروج إلى حد البكاء شوقا للجهاد، ونرى حزن الفقراء من المؤمنين لأنهم لا يملكون نفقة الخروج إلى الجهاد في سبيل الله، مثل أبا ليلى عبدالرحمن بن كعب، وعبدالله بن مغفل حيث جاءوا إلى رسول الله وهم يبكون، لعدم وجود ما يتقوتا به على الجهاد؛ فأعطاهما الرسول جملا وبعض التمر ليعينهما على الجهاد، فخرجا مع رسول الله، وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ (سورة التوبة:٩١)[٢].

وفي هذه القصة مثال للإخلاص، وحب نصره دين الله، ونشر دعوته في كل مكان، وفيها مثل للقائد الذي يشعر برجاله، وبرغبتهم الأكيدة في نصرته، ومشاركته الجهاد.

وكانت غزوة تبوك سببا ورسالة من الله لهذه الأمة، بمعنى متى صدقت وأخلصت ينصرك الله؛ فكانت الدولة الناشئة الإسلامية تقف في وجه الكفر بقواه المادية؛ فتهزمه وتنتصر عليه، فقال تعالى: ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (سورة الحج:٤٠).

وقد كان اختيار النبي ﷺ لهذا الموقع -تبوك- إنما لرؤية بعيدة المدى، ويدل على أهمية هذا الموقع، من حيث اشتراكه مع جهات متنوعة داخل الجزيرة وخارجها، كما ظهر حرص النبي على دفع أعداء الروم عن هذه المنطقة، لأن وصولهم إليها واستيلاءهم عليها سيكون خطورة على الجزيرة العربية مهد الإسلام من تلك الجهة، حيث اقتضت الضرورة والمصلحة أن تكون تبوك هي المحطة المناسبة لتلك الغزوة، وقد انتهت المعركة بلا حرب، لأن الجيش الروماني تشتت في البلاد خوفا من المواجهة، مما رسم تغيرات عسكرية بالمنطقة جعلت حلفاء الروم يتخلون عنهم، ويحالفون العرب كقوة أولى في المنطقة العربية؛ فحقق المسلمون انتصارا دون قتال حيث أخلوا مواقعهم للدولة الإسلامية[٣].

أهم نتائج الغزوة:

- إسقاط هيبة الروم في نفوس العرب جميعا، حيث كان الروم قبل هذه المعركة قوة لا تهزم ولا تقاوم، ومن ثم مجرد ذكر محاربة الروم يلقي في نفوس العرب؛ وبالأخص الكفار منهم الرعب من الهزيمة.
- إظهار قوة الدولة الإسلامية القادرة بفضل العقيدة وقوة الإيمان، والقيادة الحكيمة على تحدى القوى العظمى عالميا - حينذاك- ليس بدافع عصبي أو عرقي، إنما بدافع تحريري، حيث تدعو الإنسانية إلى تحرير نفسها من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، ورغم عدم اشتباك القوتين حربيا وهروب الروم من مواجهة المسلمين إلا أن هذه المعركة حققت المرجو منها[٤].
- أصبحت القبائل العربية الشامية الأخرى التي لم تخضع للسيطرة الإسلامية في تبوك تتعرض للتأثير الإسلامي، وبدأ تحويل الولاء من الامبراطورية البيزنطية إلى الدولة الإسلامية الناشئة؛ فكانت تبوك البداية العملية للفتح الإسلامي بالشام. - توحيد الجزيرة العربية تحت حكم الرسول ﷺ، حيث تأثر موقف القبائل العربية من الرسول، والدعوة الإسلامية بعد فتح مكة وخيبر وغزوة تبوك؛ فبادر كل قوم بإسلامهم؛ وبالأخص بعد متاخمة القوة الإسلامية لحدود الروم.
- امتداد سلطان المسلمين حيث قدمت وفود القبائل العربية التي قدمت إلى المدينة من أنحاء الجزيرة العربية بعد عودة النبي من غزوة تبوك لتعلن إسلامها هي ومن وراءها، فقد سمى العام التاسع للهجرة في المصادر الإسلامية بعام الوفود[٥].

وبهذه الغزوة المباركة ينتهي الحديث عن آخر غزوات النبي ﷺ، فقد كانت حياته المباركة غنية بالدروس والعبر التي تتربى عليها أمته في أجيالها المقبلة[٦].

من الدروس المستفادة:

- تمكن العقيدة في قلوب رجال الإسلام، وهي أقوى من كل سلاح وعتاد، وأن الحق لا بد له من قوة تحرسه وترهب أعداءه، وإن تسلل العدو كان من خلال صفوف المنافقين أصحاب القلوب الضعيفة.
- إظهار قوة هذه الأمة من حيث الصبر والمصابرة، وليس هناك مانع بالجهاد بالمال طالما البدن غير قادر على الجهاد.
- جواز القتال في شهر رجب، وهو من الأشهر الحرم، ويجوز ذلك إذا كان لرد خطر عدو باغي أو دفاعا عن الدين والنفس، وغير ذلك.

لقد كانت غزوة تبوك هي إحدى ومضات التاريخ الإسلامي، بقيادة رسول الله ﷺ، ولنا أن نفخر بها، ونعيد ذكراها حتى لا ننسى أننا أمة علمت العالم أجمع بفضل سماحة وعدل وهدى الدين الإسلامي، واقتضاء برسول الإنسانية محمد ﷺ.

الهوامش

١- ابن هشام، السيرة النبوية، (هيئة قصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م)، ج٤، ص١٥٩، ١٦٠؛ صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٨٤، رقم ٧٠٦؛ محمد رضا، تاريخ الإنسانية وأبطالها، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ص٤٤٧

٢- ابن هشام، المصدر السابق، ج٤، ص١٦١، ١٦٢.

٣- ابن هشام، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٠-١٧٢؛ عويض العطوي، غزوة تبوك ودلالة الزمان والمكان، (جامعة تبوك، السعودية، ١٤٢٩هـ)، ص١٢

٤- الشجاع، دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص٢٠٩.

٥- ابن هشام، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٥ وما بعدها؛ ابن قيم الجوزية، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م)، ج٥، ص٤٧٠؛ عبدالرحمن أحمد، المسلمون والروم في عصر النبوة، ص١٠٢.

٦- محمد أحمد باشميل، موسوعة الغزوات الكبرى، غزوة تبوك، (المكتبة السلفية، القاهرة، ١٩٨٨م)، ص٥.

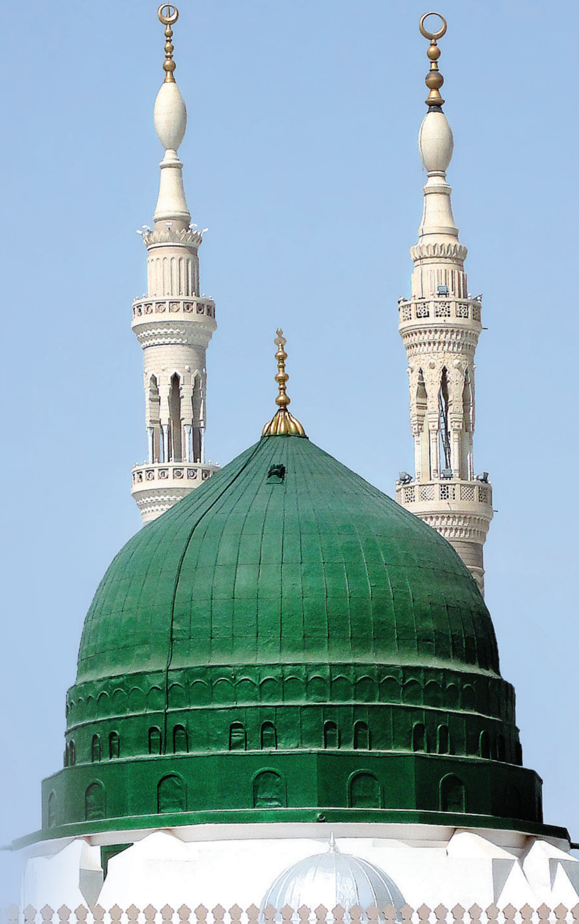


عثمان إسماعيل حسين
باحث تربوي

التساند الاجتماعي في المنهج النبوي.. ظواهره وآثاره

تبدو دلائل الإعجاز الإسلامي (قرآنا وسنة)، واضحة جلية في بناء المجتمعات - كما ينبغي أن تكون - حيث أرسى الإسلام العظيم دعائم هذا البناء ورسخ لأصوله قاصدا الأمان النفسي والاجتماعي والحياتي لبني البشر الذين أراد لهم الله عز وجل أمانة تعمير هذا الكون، فوضع المعايير الاجتماعية السامية التي تصون هذا الكيان المجتمعي تماسكا وترابطا ابتغاء تحقيق ما يسود بين الجميع من مودة وألفة وإخاء وحفاظا على ما بين البشر من صلات وعلاقات وتعاملات.





ولقد جاء المنهج النبوي الشريف بتعاليمه السمحة إرشادا وتوجيها لتقوية الصلات وتجديد العلاقات تجنبا لما قد يطرأ من خلل واضطراب يفقد الحياة هويتها ومذاقها وغايتها.. ومن هنا كانت أسس التساند الاجتماعي ومظاهره المختلفة هي الطريق للحفاظ على بقاء قوة المجتمع الإسلامي كالبنيان المتماسك الذي لا تهزه ريح ولا تقتلعه عاصفة.

ولعل من أروع صور المساندة والمؤازرة والاستقواء ما دعا إليه الرسول الكريم ﷺ في هذا الصدد، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (وشبك بين أصابعه)» (متفق عليه). فالمتأمل في تلك القوة وهذا التماسك كما ورد في السياق النبوي الشريف يجد أنها ما هي إلا نتاج دعائم عدة، منها إرساء فضيلة «الحب» بين قلوب العباد، فإذا ما ساد الحب كانت الحياة وكان البناء والاستقرار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟! أفشوا السلام بينكم» (رواه مسلم). إنها الدعائم التي قد نستهين بها أحيانا لكنها في حقيقتها الأسس الوجدانية لتنمية وتجديد العلاقات وإحياء الترابط بين البشر من وقت إلى آخر.

وما يرسخ لتلك الفضيلة إلا «التواضع» بين بني آدم والبعد عن صلف التعالي وجبروت الكبر وزخرف الحياة وجنون السلطة؛ فالتواضع سيزيد البناء المجتمعي صلابة وقوة وروحا وحياة، ولقد دعا رسول الله ﷺ إلى التواضع كقيمة إنسانية.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» (رواه مسلم).

ومن الدعائم الفعالة والمؤثرة في تحقيق التساند الاجتماعي «صلة الرحم» التي أعلى قدرها وسما بها المنهج النبوي الشريف لما لها من آثارها المحمودة، لو أن كل واحد منا أخذ بها وراعى حق الله فيها، ففيها ترسيخ العلاقة والصلة وتجديد المودة بين الحين والآخر حتى إن رسول الله ﷺ جعل تلك الفضيلة من مقاييس الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت» (متفق عليه). وكأن الحديث الشريف يؤكد أن «صلة الرحم» علاج نفسي تطمئن به وله القلوب والنفوس في التعاملات الحياتية والاجتماعية تنمية وتقوية للأواصر الاجتماعية.

❖ ومن روائع التساند الاجتماعي في المنهج النبوي الشريف «حقوق الجار» وما لها من آثارها الطيبة في ترسيخ الأمن والأمان المجتمعي، ولقد بلغ من أهمية تلك الفضيلة أن السياق النبوي الشريف جاء في صورة المبالغة المحمودة في علاقة الإنسان بجيرانه، فعن ابن عمر وعائشة، رضي الله عنهم: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (متفق عليه). وفي سياق آخر، حيث بلغ من الأثر الطيب ذروته وأسماه، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك» (رواه مسلم). فهل هناك أرقى وأسمى من تلك الأسس لتقوية الروابط الاجتماعية وتذوق الراحة النفسية بين بني البشر؟!

❖ وتبدو مظاهر التساند الاجتماعي في أبهى صورها متمثلة في الحرص على توفير الحياة الكريمة الآمنة للأرملة والمسكينة، حتى إن السياق النبوي الشريف اعتبر تلك الفضيلة جهادا في سبيل الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله (وأحسبه قال: وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر)» (متفق عليه). فمثل تلك الرعاية لهؤلاء ومحاولة رسم البسمة على وجوههم من ثمار السعي في طريق التساند الاجتماعي وضمان راحة القلوب والنفوس.

❖ ومن دعائم التساند الاجتماعي «الشعور بالآخرين» ومراعاة أحوال الغير ومشاركتهم سراءهم وضراءهم والمواساة في الأحزان، وهذا ما أكده سياق الحديث النبوي الشريف في دعوة تربوية اجتماعية لها غايتها ومقصدها، فعن ابن عمر، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» (متفق عليه).

❖ ولم يغفل المنهج النبوي الشريف المحور الوجداني في التساند الاجتماعي، حيث مشاركة المشاعر ومراعاة مقتضى الحال، بل واعتبر ذلك حقا واجبا من حقوق المسلم على أخيه المسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه» (رواه البخاري). إنها مواثيق التساند الاجتماعي بين أبناء الإسلام والتي تكفل الآدمية الحقة في الحياة.

❖ ولكي يرقى الإسلام العظيم بكرامة أبنائه في حياة يسودها نقاء النفوس وصفاء القلوب كان «التكافل الاجتماعي» الذي يضمن لذوي العوز والحاجة حقهم في مال الأغنياء، فكان قانون السماء في فرض «الزكاة»، التي بلغت أهميتها كونها ركنا من أركان الإسلام وما يتبعها من صدقات وأعمال بر وخير بوجوهها المختلفة، مما يؤكد حرص الإسلام على قوة التماسك بين أفراد المجتمع، فعن ابن عمر، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا» (متفق عليه). فالزكاة هنا عبادة وتقرب إلى الله، وبها تكون الحياة ويعيش البشر، وهي الطريق إلى رضا الله وجنة الخلد ونعيم الآخرة.

إن ما جاءت به تعاليم المنهج النبوي الشريف نحو إرساء دعائم التساند الاجتماعي حياة وصونا وبقاء ما هي إلا مواثيق إنسانية اجتماعية تربوية تزيد من التكاتف والتماسك، حيث تأتي بثمارها الطيبة على الكيان المجتمعي هوية وحياة وبشرا. لقد آن الأوان أن نجدد حرصنا على التمسك بالمنهج النبوي الشريف في الحفاظ على صورة المجتمع كما أرادها لنا ديننا الحنيف، وما ذكرنا على سبيل المثال لا الحصر، فالمقصد في بدء الأمر ونهايته تحقيق أمان المجتمع وإسعاد القلوب راحة ورضا وقناعة، وحقيقة الأمر أننا مسؤولون عن تنمية الوعي الديني بتلك الفضائل ومحاولة التذكير بها والدعوة إليها نظرية وتطبيقا فالدين الإسلامي هو دين المعاملة والحياة والسلوك.



د. حسناء عبد الحميد محمد
دكتوراه الفلسفة في التربية
تخصص أصول التربية

الثوابت والمتغيرات في الإسلام والاختلاف المشروع

الاختلاف ظاهرة يزخر بها الكون، وتحفل بمفرداتها الحياة، ويعيشها الإنسان في كل زمان ومكان، فمن اختلاف الليل والنهار والحياة والموت والذكورة والأنوثة، إلى اختلاف الألسن والألوان والميول والعادات والمواهب والقدرات، إلى غير ذلك من تجليات تؤكد الظاهرة، تكشف عن حقيقتها كسنة من سنن هذا الوجود.



وإذ كان الاختلاف بين الناس على مستوى الماديات والمزايا الحيوية أمرا ممكنا، فإن اختلافهم على مستوى الفكر والمعتقد أمر لابد منه بحكم تباين المدارك واختلاف المنازع والمناشئ والتصورات، ليس هذا من الغرابة أن تكون التعددية هي الحالة السائدة بين معتقدات الناس واتجاهاتهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨-١١٩).

وقد كان من مقتضيات الحكمة الإلهية أن تشمل هذه الظاهرة باللطف الإلهي متجليا برسالات الأنبياء التي من شأنها الفصل بين الناس وتجفيف حدة الاختلاف إنقاذه من آفات التطرف والانحراف.

ونحن حين نسلم بأن «الفطرة» و«العقل» في سوائهما لا يسعهما إلا الانسجام مع كليات «الوحي» وثوابته، فإنه لا يمكننا إلا القول بأن معارضة ما يأتي عن طريق الوحي يمثل بغيا على

أصل التكوين ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (الروم:٣٠)، فضلا عما يمثله التجاوز من عصيان للأوامر الربانية، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٥).

لقد افتتح التاريخ البشري بحالة من الاختلاف الوحشي حين استجاب «قابيل» على نوازع الشر وقتل أخاه «هابيل» على الرغم مما انطوى عليه ابن آدم من فطرة وعقل كان بالإمكان أن يجنبانه ذلك الخيار ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس: ٦-١٠).

لهذا فحين يمنح الله الهدى سجية، فليس بالوسع الوقوع في تجاوزات الاختلاف ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ٢١٣).

وإذا كان لابد من الإقرار بأن الاختلاف في مستوياته المعقولة والمقبولة من شأنه أن يوفر حالات من الثراء الفكري والتنوع المفيد، فإن من الواجب التأكيد على أن الاختلاف في حالاته المتطرفة هو مدعاة لإنتاج الكثير من المفاسد والأضرار، وفي سياق تعرفنا على الثوابت والمتغيرات في الإسلام، يمكننا أن نتبين الحدود الفاصلة بين الاختلاف المقبول والاختلاف المذموم.

الثوابت والمتغيرات في الإسلام:

من المسلم به أن النص الديني في الإسلام نص مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إلا أن إلزاميته بدلالة معينة لا تكون إلا إذا كان النص قطعي الورود ولا يتسع لأكثر من دلالة، وكما هو المعروف أن القرآن الكريم قطعي كله في وروده، ولكن الكثير منه ظني في دلالته، أما السنة فتنطوي على القطعي والظني في الدلالة، بينما هي على مستوى الورود[1] موضع اختلاف بين العلماء، ما عدا ما بلغ منها الصحة والقوة عن إجماع.

وهذا يعني أن النص قرآنيا كان أو نبويا، إذا حمل أكثر من دلالة أو أكثر من تأويل[2] فلا يجوز اعتبار واحد من الدلالات أو التأويلات هو المعنى الإلهي المقصود بالضرورة، مما يعني أن الاجتهاد ممكن أن يشمل النص القطعي في وروده ما دامت دلالته غير قطعية.

وبناء على ذلك يمكن القول بأن النصوص القطعية الورود والدلالة وهي تمتد إلى مختلف الدوائر العقدية والعبادية والتشريعية، حري أن تشكل القاسم المشترك لإيمان المسلمين، وأن تمثل العروة الوثقى لوحدتهم، بينما تظل النصوص التي تحمل أكثر من فهم وأكثر من تأويل - وهي تمتد إلى مختلف الدوائر المشار إليها أيضا نصوصا ظنية حتى وإن كانت قطعية الورود، وبالتالي يجوز التعدد فيها فهما وأحكاما.

لقد كان السلف يستخرجون الأحكام الشرعية - كما يقول ابن خلدون من الأدلة على اختلاف بينهم، لأن أغلب الأدلة من النصوص وفي اقتضاءات ألفاظها الكثير من المعاني التي هي محل اختلاف بينهم، يضاف إلى ذلك أن السنة تختلف في طرق ثبوتها وتتعارض في أحكامها، الأمر الذي يحتاج معه المجتهد أو العالم إلى الترجيح، وهذا بحد ذاته محل اختلاف[3].

وإن كان الاختلاف على مستوى النص في حدوده وفي حالاته التي ذكرناها ممكن، فإن هذا اللون من الاختلاف سيتسع في إطار الحالات التي سكت عنها النص أساسا، والتي يحق للمجتهد في كل زمان ومكان أن يواجه إشكالياتها العلمية باستنباط ما يناسبها من إجابات وحلول، في ضوء ما تقدم من المنطقي أن نميز بين قسمين من أقسام الإسلام هما:

الأول: الأصول الاعتقادية والأحكام والقيم الثابتة:

نعني بالأصول والأحكام والقيم كل ما ورد بشأنه نص قطعي الورود والدلالة وعلى نحو محدد وواضح لا يحتمل اللبس أو الغموض، وهو ما يمثل الجانب المطلق في الإسلام والذي لا يتغير بتغيير الزمان أو المكان، وبالتالي لا يصح الاختلاف أو التعدد بشأنه.

ويدخل في هذا القسم:

أ- العقائد الأساسية القاطعة كالإيمان بالله تعالى، وبمحمد رسول الله ﷺ، وبسائر الأنبياء والرسل والكتب السماوية والملائكة واليوم الآخر والجنة والنار والحساب والعقاب والثواب والقضاء والقدر وما إلى ذلك.

ب- الأحكام العملية الأساسية التي جاءت بها الشريعة بطريقة واضحة وحاسمة في جانب الإيجاب أو المنع أو التخيير مثل وجوب الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، وتحريم قتل النفس بغير الحق وأكل أموال الناس بالباطل والزنا وحرمة زواج المحارم[٤] وغير ذلك مما يعد من الدين بالضرورة.

ج- القواعد الكلية[٥] التي أخذت من الشريعة بنص واضح ليس فيها ما يعارضه تقريرا أو تفريعا، أو استنبطت بعد الاستقراء التام وعلم أن الشريعة تجعلها أساسا لأحكامها[٦]، مثل قاعدة المسؤولية الشخصية ﴿ولا تزروا وازرة وزر أخرى﴾ ، ومبدأ الرضائية في العقود ﴿إلا أن تكون عن تراض منكم﴾، وتحريم الضرر ومنعه دون وجه حق، لقوله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام).

إن الإيمان بهذه الأصول والقواعد والأحكام، وبما تتضمنه من قيم ومبادئ، وما يترتب عليها من أخلاقيات ومناهج، هو ما يمنح المرء هويته الإسلامية، ويؤكد للنظام الاجتماعي طابعه الشرعي، وبالتالي فليس للمسلم الخروج عليها أو الاختلاف بشأنها على اعتبار أنها لا تخضع في ثبوتها أو نفيها لاجتهاد المجتهدين ولا لرأي العلماء أو المفكرين، فهي جوهر الحق وجماع الدين ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾ (الروم:٣١).

إنها كلمات الله تعالى التي لا تقبل التبديل ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (يونس:٦٤) حتى أن الكفر والشرك والظلم والفساد ليتجسد في تبديل هذه الكلمات التي تحتل المركزية العليا في التصور والتشريع والسلوك.

كما أنه من غير المقصود أن تقوم للمسلمين وحدة حقيقية دون تحقيق الاتفاق بشأنها وتوافر الاجتماع حولها، فهي حبل الله الذي أمر الناس أن يعتصموا به ولا يتفرقوا ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (آل عمران:١٠٣).

الثاني: المتغيرات الفكرية والفقهية ومساحات الإباحة والفراغ التشريعي:

إذا كان الاختلاف والتعدد في فهم وتأويل النصوص القرآنية غير القطعية وارد بحكم طبيعة النص اللغوية، وما ينطوي عليه من معان ودلالات متعددة، فإن الاختلاف والتعدد لا يرد على فهم وتأويل النصوص النبوية الظنية الدلالة فقط، بل يرد أيضا حول مدى صحة تلك النصوص أو قبولها من حيث الرواية أو المتن أو الحجية (أحاديث الآحاد أو المرسلات)، مما يوسع ذلك من إمكانات الاختلاف.

من جهة أخرى فإن النصوص الدينية الأساسية تظل برغم كثرتها محدودة، في حين أن الواقع غير محدود، وبالتالي فإن ما سكت عنه النص يمثل «منطقة فراغ»[٧] فكري أو تشريعي يباح للمفكرين والعلماء وولاة الأمر أن يملؤوها، لذا ابتكر الفقهاء على الصعيد التشريعي آليات متعددة لتوسيع سلطة النص، مما يعني أن ما سكتت عنه النصوص سيتحمل الإجابة عنه اجتهاد المجتهدين واستنباطات العلماء والمفكرين، التي تعتبر برغم خضوعها للضوابط الشرعية اجتهادات ظنية تحتمل الصواب وتحتمل الخطأ، ولا يمكن احتسابها (دينا) يجب على الجميع التقيد به ولا ثابتا لا يمكن الاختلاف بشأنه[٨].

وبهذا فإن كل المساحات والمسائل والقضايا التي لم يرد بشأنها نص محكم أو حكم قاطع تحتمل الاجتهاد والاختلاف.

وفي كل الحالات النصية غير القطعية والحالات النصية الظنية وحال مالم يرد فيه نص، يعطى للعلماء حق الموازنة والترجيح والاستقراء والتتبع وتقدير المصلحة والعرف وتغيير الحال، وبالنتيجة حق الاجتهاد والاختلاف والتعدد.

في ضوء ما تقدم يمكننا إجمال مستويات هذا القسم على النحو التالي:

أ- العقائد التفصيلية التي تقع على هامش الأصول الإيمانية أو ما يتفرع عنها والتي اندرجت معالجتها في إطار القضايا الكلامية كتفريعات مسألتي القضاء والقدر، ومسألة رؤية المؤمن لله تعالى أو عدم إمكانها يوم القيامة أو وجوب التوقف عن الخوض فيما شجر بين الصحابة من عدم وجوبه[٩]، أو نحو ذلك من المسائل[١٠].

ب- الاجتهادات المتصلة بفروع الأحكام الفقهية وجزئياتها والمحكومة بنصوص قرآنية غير قطعية في دلالاتها أو بورودها، كمقدار الرضاع المحرم لقيام علاقة زوجية، وفي القضاء بالقرائن، وغير ذلك من المسائل وهي كثيرة.

ج- الاختلاف بشأن القواعد الأصولية أو الفقهية التي تفرع عليها الأحكام كالعمل بالقياس، وفي العمل بالعقل وفي تقديم أحاديث الآحاد أو أقوال الصحابة على القياس، إلى غير ذلك.

د- القضايا والإشكالات الإنسانية والاجتماعية والسياسية المختلفة

المستجدة التي لم يرد بشأنها نص في الكتاب أو السنة ويخضع الحكم فيها إلى استنباطات المجتهدين أو المتخصصين أو التي يقصر حق الحسم فيها على ولي الأمر بصفته السياسية.

هـ- المسائل الفكرية والعملية التي لا يحكمها نص بيّن، أو التي تدخل ضمن دائرة الإباحة الشرعية، أو تخضع بطبيعتها إلى توجيهات العقل البشري، أو توجيهات العقل البشري، أو معطيات التجربة العملية، ويشمل هذا الجزء جوانب متنوعة من أمور الدنيا وشئون الحياة.

إن التنوع في الأفكار والاجتهادات والآراء عند المستويات الخمسة المذكورة وارد بحكم متغيرات عدة هي:

١- حالة سكوت النص.

٢- قابلية النص كمفردة أو تركيب أو سياق، على اتساع المعنى وتعدد الدلالة.

٣- تعارض الأدلة.

٤- ظنية النص النبوي من حيث وروده وصحته.

٥- تباين المدارك والأفهام والقدرات الاستنباطية لدى العلماء والمفكرين.

٦- اختلاف الظروف والأوضاع الزمانية والمكانية.

من هنا صار الاجتهاد في الإسلام واجبا، كما صار الاختلاف بين العلماء حقا وبين هذا الواجب وذلك الحق تنبثق مسؤولية التعايش وقبول الرأي الإسلامي الآخر بما يترتب على ذلك من تعددية وتنوع على أكثر من صعيد، ما دام ليس بوسع أحد الجزم بأن ما بلغه من رأي أو اجتهاد يكشف عن الحقيقة الشرعية المطلقة.

وعلى هذا فإن الاختلاف في إطار ما ذكرنا ليسع المسلمين اليوم مثلما وسعهم بالأمس دون أن يكون ذلك بالضرورة عنوانا للتضاد أو مدخلا للتشظي أو حدوث الصراع، بل يمكن اعتباره إحدى المزايا الحية التي ينطوي عليها الدين الخاتم، والتي من شأنها أن توفر مجالا فسيحا للحرية والإبداع والخصوبة الحضارية.

الاجتهاد الواجب - الحق في الاختلاف - التعددية في الرأي - القبول والتعايش - الحرية والإبداع والخصوبة الحضارية.

وإذا كان التقسيم الذي بسطناه هو تقسيم مسلّم به على الجملة لدى معظم علماء المسلمين(١١)، إلا أنه من الجدير بنا في ختام هذه المقالة أن نشدد على حقيقة أن حرية الاجتهاد في الإسلام مهما اتسعت تظل مقيدة بدائرة الأصول والثوابت، وقبل ذلك مشروطة بتوافر صفات لابد منها فيمن يتصدى لعملية الاجتهاد وهي العلم والتقوى والنزاهة وبذل الوسع.

ويظل الشعور بالمسؤولية العامة والحرص على وحدة الأمة، فضلا عن الوعي بمنطلقات الشريعة وتحري مقاصدها شروطا أخرى ضرورية ينبغي تدبرها واستحضارها في هذا الخصوص.

وبتوافر كل الضوابط والشروط المذكورة سيضحى الاختلاف على أي صعيد كان اختلافا مقبولا بغض النظر عن أي الأطراف أصاب وأي الأطراف أخطأ، ومن المؤكد أن أي اختلاف يتحكم فيه البغي أو النفاق أو التعصب أو الجهل أو الوهم أو الغلو أو المصالح غير الشرعية سيخرج عن دائرة الاختلاف المقبول أو المشروع.

الهوامش

-١- يختلف العلماء في التعامل مع السنة بحسب موقفهم منها من حيث الورود أو عدمه، ومن حيث قبولها سندا أو متنا أو عدم قبولها، ولهذا تختلف مستويات الاستدلال واتجاهاته فيما بينهم.

٢- اختلاف الدلالة والتأويل، وبالتالي الاستنباط وتقرير الأحكام، راجع إلى أن اللفظ أو التركيب اللغوي الواحد قد يحمل اكثر من معنى أو أنه يدور بين الحقيقة والمجاز، أو ينطوي على معنيين لغوي وعرفي، أو أنه يعبر عن معنى عام والمراد به ذلك المعنى، أو يعبر عن معنى عام والمراد به معنى خاص، أو قد يلزم فيه المعنى المنطوق والذي لا يدرك إلا بالتأويل تارة أخرى.

٣- أورده على أومليل: في شرعية الاختلاف، دار الطليعة، بيروت، لبنان، (ط٢، ١٩٩٣م، ص: ٤٩).

٤- الشيخ محمد محمد المدني، أسباب الاختلاف بين أئمة المذاهب الإسلامية في الوحدة الإسلامية، أفكار ودراسات، (ص: ٢٠٠).

٥- للتمييز بين القواعد الكلية أو التشريعية، والقواعد الفقهية المستنبطة، راجع الدكتور محمد فتحي الدريني، الصيد والذبائح في المذاهب الخمسة، الثقافة الإسلامية ،العدد(٨) (١٤٠٧ه- ١٩٦٨م، دمشق، ص: ٢٣٢-٢٣٢).

٦- محمد الدريني مرجع سابق.

٧- لتوضيح هذا المصطلح يراجع خصائص إسلامية لعبد الفتاح أبو غدة، مكتبة الرسالة، بيروت.

٨- ولكن يمكن الالتزام بها سياسة عند صدورها عن الأجهزة السياسية الشرعية دون أن يعني ذلك الموافقة عليها «فقها» أو «فكرا» بالضرورة.

٩- محمد الدريني مرجع سابق (ص: ٢٠١).

١٠- للمزيد من أمثلة الاختلاف في الفروع الكلامية مع الاتفاق على الأصل، يراجع كتاب القواعد الكبرى لعز الدين عبد السلام، (ج،١، ص: ١٩٢-١٩٣).

١١- يوجد هناك من يبالغ في مسألة من المسائل الخلافية الكلامية أو الفقهية، أو العبادية أو حتى السياسية، فيلحقها إشباها أو تعصبا بالمسائل القطعية التي لا يجوز الاختلاف بشأنها، فيترتب على ذلك رمي المخالف بالبدعة أو الضلال أو نحو ذلك دون حق.



حجاج سلامة
صحافي بوكالة الأنباء الألمانية

في مديح العمارة العربية الإسلامية

يقول المؤرخون إن العمارة هي السجل الذي نستقي منه تاريخ الأقدمين، بما فيه من تقدم وازدهار، أو تدهور وتخلف.

وقد بلغت العمارة العربية الإسلامية قديما، مبلغا كبيرا من الرقي والانتشار في بلاد الغرب والشرق.. وامتد تأثيرها إلى بلدان أوروبا، ومناطق شتى من العالم.

وبالرغم من الاهتمام المتأخر لعلم الآثار بالعمارة العربية الإسلامية، والاعتناء المتواضع من قبل الآثاريين بما تركه الأقدمون من معالم معمارية عربية إسلامية في أفريقيا وآسيا وأوروبا، إلا أن معالم تلك العمارة، حظيت باهتمام بعض المؤلفين والرحالة الغربيين، مثل «باتيسيه» صاحب كتاب «تاريخ البناء» الصادر في العام: (١٨٨٠م)، أي قبل أكثر من (١٤٠ عاما)، و«سيديو» مؤلف كتاب «تاريخ العرب العام»، و«ج. دوبرنجه» مؤلف كتاب «فن عمارة العرب»، و«شاتو بريان» مؤلف كتاب «رحل من باريس إلي القدس»، وكذلك «غوستاف لوبون» مؤلف كتاب «حضارة العرب».

ولا شك في أن العرب اقتبسوا في عمارتهم من الفرس، والبيزنطيين، لكنهم سرعان ما تحرروا من تأثير تلك المصادر، وانتهوا إلى وضع طراز معماري مستقل وخصب، صار علما يجذب الباحثين والمستشرقين، وغفل البعض عن بيانه خلال بعض الحقب التاريخية.

وبالرغم من تصاعد المخاوف، من تغييب فكر العمارة العربية الإسلامية، واستبدال أطرها الأصيلة، بنظريات من العمارة الغربية، إلا أن ما تضمه المكتبة العربية من مؤلفات، ومخطوطات، وصور توثق تاريخ ومنجزات تلك العمارة، وتشرح بالتفصيل مدى تأثيرها في العمارة الغربية، قبل قرون مضت، وذلك بجانب تلك الشهادات التي تركها لنا رحالة، ومستشرقون، وكتاب أجانب وعرب، بجانب المؤلفات والدراسات الأكاديمية المعاصرة، والتي تؤكد على ريادة العرب والمسلمين لعلم العمارة، ومعرفتهم بأسرارها الهندسية، وفنونها، وكل ما يتصل بها من معارف.

العمارة العربية الإسلامية.. في مواجهة نظريات العمارة الغربية

ولا عجب في أن يشيد الرحالة والمستشرقون وكتاب الغرب، بالعمارة العربية الإسلامية، خاصة إذا ما علمنا أن مدن العصور الوسطى في أوروبا، كانت أقرب في أصلها إلى الكفر، أو القرية، أو الضيعة الصغيرة منها إلى المدينة، حيث كانت تقبع خلف أسوارها ملتصقة حول كنيستها، وتهب عليها رائحة ورشها البدائية، ورائحة



حظائرها، ومرابط الخيل فيها.. وذلك في الوقت الذي عرفت فيه البلاد العربية والإسلامية عددا من المدن الكبرى مثل مدينة بغداد، التي ظلت تنمو في عهد هارون الرشيد، حتى بلغت مساحتها أربعة أمثال مدينة روما، وبجانب بغداد، كانت هناك مدن مكة، والمدينة، والقدس، ودمشق، والفسطاط، ومن بعدها القاهرة، وهي المدن التي كانت تتميز بالروعة والبهاء، وبمآذنها، وقصورها، ومدارسها، وحدائقها، ومكتباتها.

وإذا ما حاولنا عمل مقارنة بين العمارة العربية الإسلامية، ونظيرتها الأوروبية، فسوف نجد أن العمارة العربية الإسلامية عبر تاريخها الطويل، قد حققت الكثير من الانتصارات، دون أن تعرف الانكسارات، في مواجهتها المستترة مع العمارة الغربية، وذلك علي عكس العمارة الغربية، التي نقلت الكثير من مفرداتها وأدواتها وفنونها من العمارة العربية الإسلامية، وذلك بشهادة مؤلفات الرحالة والمستشرقين الأوروبيين.

وبحسب كتابات الرحالة والمستشرقين الأوروبيين، فقد كان للعرب تأثير كبير في الفنون الأوروبية، وفى العمارة بشكل خاص، وقد اقتبس الغرب أصول عمارته من العرب، وأن البنائين الفرنسيين، على سبيل المثال، اقتبسوا من الفن الشرقي الوافد من بلاد العرب والمسلمين، الكثير من الزخارف والعناصر المعمارية المهمة، وذلك خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر، حيث وجدت في أكثر مبانيهم قدسية، أبواب مزدانة بالكتابات العربية، وحصون شيدت على الطراز العربي.

وبحسب كتابات قول الرحالة والمستشرقين الغربيين، فإن تأثير العرب واضح في عمارة الكثير من الكنائس الفرنسية، وأن الغرب استمر في استخدام الأبراج العربية المتميزة، وبكثرة حتى حلول القرن السادس عشر الميلادي.

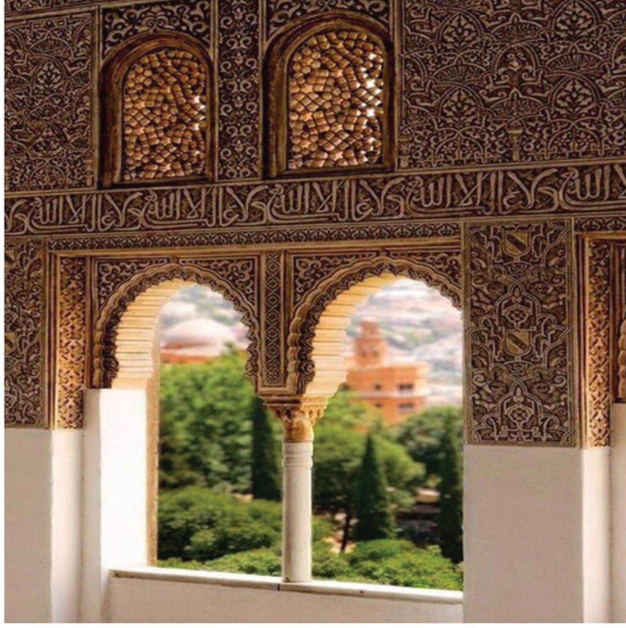
بل وأوردت بعض مؤلفات كتاب أوروبا القدامى، مثل كتاب «تاريخ باريس»، أن مهندسين معماريين من العرب، شاركوا في تشييد كنيسة نوتردام بالعاصمة الفرنسية باريس.. بجانب تأثير العرب الكبير والمعروف في العمارة الإسبانية.

وهذا وقد تفردت العمارة العربية الإسلامية، بعناصر خاصة، مثل الأعمدة والتيجان، والأقواس، والقباب، والنقوش والزخارف الدقيقة والملونة، وهي ذات العناصر التي وجدت في عمائر أوروبا.

تراث أسمى وأبقى:

وإذا كانت الحضارة هي أسمى وأبقى ما للأمة من تراث، فقد كان للعرب والمسلمين تراث ومشاركة وإبداع إنساني منذ أقدم العصور.. وهو تراث اعتمد عليه علماء الحضارة والتاريخ في دراساتهم لأحوال الأمم السابقة، وخاصة التحف المنقولة، والأمتعة والأدوات، بجانب التحف الثابتة التي يقصد بها العمائر والمباني، وذلك لكونها هي الأصدق قيلا، والأقوى دليلا من المرويات المكتوبة، ومن هنا فقد باتت العمارة - ومنذ القدم - في مقدمة ما يحرص علماء تاريخ الحضارات على دراسته واستنطاقه والاستماع إليه، عند تدوينهم لتاريخ الأقدمين.

لكننا إذا أردنا تتبع تطور العمارة العربية الإسلامية، فسوف نجد أن المسجد هو حجر الزاوية في تلك العمارة، التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بعمارة المساجد التي يعمرها الذاكرون، والزهاد، .. حيث بدأت العمارة العربية الإسلامية، ببناء المساجد، والمدارس، والتكايا، والأسبلة.






ولأن المسجد هو المكان الجامع، فهو النواة الأصلية للمدينة، ويحدد المشهد البصري، خصائص الهوية العمرانية الأصيلة للمدينة، وجميع أجزائها من أسواق، وأحياء سكنية، وأسوار، ودور القرآن، والزوايا، والمكتبات، ومحلات العطارين، والمدارس، ولا ننسى قلعة حماية المدينة التي تقام على أطراف سورها، وحولها أسواق الخيول ومستلزماتها من سروج وأعلاف، وهنا تكتمل عناصر المدينة العربية الإسلامية - قديما - في نموذجها الحضاري المرتبط بالقيم الإسلامية، والذي يتجسد في شكل الأزقة والحارات التي تتغلغل في أحشاء المدينة كالشرايين، ليمر الناس من خلالها في مأمن من الشمس والمطر والعواصف، فهي ملتوية تارة، وعريضة أو ضيقة تارة أخرى.

جمالية المنازل والطرقات المتعرجة:

وقد جذبت تلك الحارات والأزقة، في المدن العربية الإسلامية، أنظار الرحالة والمستشرقين، وخاصة جمالية الطرقات المتعرجة في قلب المدن، والتي تفاجئ المارة بما وراء منعطفاتها فتسلبهم وتنسيهم مشقة السير.. وفي كل تلك المكونات التي تشكلت منها المدينة العربية الإسلامية قديما، كان المسجد هو أهم المباني التي احتوت على روائع الفن الإسلامي من رقش وخط وعمارة.

وإذا كان المسجد هو قطب المدينة العربية الإسلامية، فإن التي ضمت بين مكوناتها الأسواق والمتاجر والحانات والمشافي والمدارس والقلاع والحصون، فإن البيت العربي الإسلامي، يبقى

الخلية العمرانية الأولى التي استوعبت طرازا معماريا متفردا ينسجم مع الظروف المناخية والروحية التي يتوق لها الإنسان.

وقد تميز البيت العربي الإسلامي، بانفتاح فنائه باتجاه السماء، وتجمعت محاسنه وزخارفه في واجهاته الداخلية المطلة على الفناء، وفي قاعاته التي زخرفت جدرانها وأسقفها، كما زخرفت الأرضيات بالرخام المجزع، وتكيفت حرارتها، فتتدفق مياه السلسبيل، والنوافير لكي تخفف من حرارة الجو صيفا، فيما يساعد ارتفاع الأرضيات، عن مستوى تحرك الهواء البارد، مع سماكة الجدران وارتفاع الأسقف، في حماية قاعات المنزل من برودة الجو في فصل الشتاء.

وأما عناصر العمارة الداخلية من زخارف خشبية وحجرية وخزفية، فقد حلت في العمارة العربية الإسلامية، محل اللوحات التي كانت تزين المباني الباروكية في أوروبا.

وعلى الرغم من المخاوف من توجهات البعض، بالعالم العربي والإسلامي، نحو عمارة الغرب، تحت مزاعم الحداثة والتجديد، ووضع العمارة العربية الإسلامية فيما يشبه المواجهة، مع نظريات العمارة الغربية، فإن هناك اتجاها يسود بالعودة إلى فنون العمارة الإسلامية، وهو أمر صار لافتا في الكثير من المدن والعواصم، التي راحت تستلهم عمارتها الحديثة من روح العمارة التراثية العربية الإسلامية.

حراك لصون التراث:

ومن اللافت، هو ذلك الحراك الواسع الذي تشهده الحركة التشكيلية العربية، والذي يتمثل في توجه كثير من الفنانين نحو توثيق العمارة العربية الإسلامية،

المنجزات المعمارية في الحضارة العربية الإسلامية

عبر أعمال أعمالهم الفنية، وتنظيم المعارض الجماعية، التي يشارك فيها فنانون من بلدان متعددة، وتدور أعمالهم الفنية في فلك العمارة التراثية، وتوثيق معالمها، ونقلها للأجيال الجديدة.

وقد انخرطت مؤسسات حكومية عربية، في تنظيم مثل تلك المعارض، المعنية بتوثيق العمارة التراثية العربية الإسلامية، مثل المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بدولة الكويت، ودائرة الثقافة بإمارة الشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة، وغير ذلك من المؤسسات.

وبجانب ذلك فإن مدنا عربية أبدت اهتماما كبير بالعمارة العربية الإسلامية، وراحت تعيد إحياء ما تبقى من معالم عمارتها التراثية، عبر مشاريع كبرى، تستهدف صون وحفظ ذلك التراث المعماري، بل وذهبت بعض الحكومات والمؤسسات، إلي القيام ببناء الكثير من المباني الحديثة بما يتوافق وروح وأسس العمارة العربية الإسلامية، وذلك ما يمكن متابعته ومشاهدته في مدن كالقاهرة، التي دشنت مشاريع عدة للحفاظ على عمارة القاهرة الفاطمية، وإمارة الشارقة التي تعمل على إعادة الروح إلي أحيائها وحاراتها ومبانيها التراثية، وترميم كل وحفظ كل ما بقي من معالم العمارة التراثية بالإمارة، وكذلك أبوظبي، والرياض، والبحرين، والكويت، وغير ذلك من بلدان العالم العربي والإسلامي.

وفي الختام يمكننا التأكيد على أن التراث المعماري العربي الإسلامي، له مكانته المتميزة في نسق المفاهيم التي ترتبط بحياة الناس، وتاريخهم، ومؤثرات وجودهم، منذ القدم وحتى اليوم، باعتباره أحد العناصر الأساسية للهوية الثقافية والوطنية للعرب والمسلمين.

-إحالات

- المجلد التاسع من موسوعة الهدف التي وضعها (مجموعة من المؤرخين والكتاب) - الطبعة العربية ١٩٧٥م - الصادرة عن شركة إيد بتريد السويسرية بجنيف وتوزيع مؤسسة الأهرام بالقاهرة.

كتاب حضارة العرب لـ «جوستاف لو بون» ترجمة عادل زعيتر الصادر عن دار عصير الكتب للنشر والتوزيع بالقاهرة.

- دراسة «العمارة العربية الإسلامية.. حضورها وانحسارها وتأثيرها وتأثرها»، للمعماري الأردني، الدكتور بديع العابد، بالعدد الثامن عشر من دورية كان التاريخية (ديسمبر ٢٠١٢م/ محرم ١٤٣٤هـ).

- كتاب «استلهام المأثور الشعبي والحفاظ على الهوية»، تأليف مجموعة من الكتاب، الصادر عن إدارة الدراسات والبحوث، بالهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة طبعة (٢٠١٧م).

- كتاب «الجمالية الإسلامية في الفن الحديث» لمؤلفه الدكتور عبد العزيز البهنسي، الصادر عن دار الكتاب العربي بالقاهرة - طبعة أولى (١٩٩٧م).

- كتاب «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» لمؤلفته الدكتورة سعاد ماهر محمد، الجزء الأول، الصادر عن الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، ضمن سلسلة ذاكرة الكتابة (٢٠١٧م).



محمود مصطفى حلمي
باحث وقاص

قريـــة الهــلاك

على جوانب ذلك الطريق كانت ترقد العشرات من الجثث المتعفنة، كانت الرائحة لا تطاق رغم أن معظم تلك الجثث كانت قد تحللت بالفعل، لم يكن هناك أي مخلوق ينبض بالحياة، حتى السماء قد خلت من أي طير يوحي بوجود أي نوع من الحركة أو الحياة.

في تلك القرية النائية كان كل شيء ينبض بالحياة، الأشجار والزروع والحيوانات والناس بالطبع، كانت الشمس تشرق على تلك الأرض كل يوم فتنشر الدفء والضياء والخير الوفير، كان الجو دائما هادئا لا يوحي إلا بالعيش الهانئ لمن صادفه الحظ ليكون من أهل ذلك المكان، وطوال سنوات خلت لم يكن هناك فقير واحد يعيش في تلك القرية، كانت ثمار الزروع وفيرة لدرجة أنها كانت تكفي الناس والحيوانات وحتى الطيور في السماء، اعتاد أهل القرية أن ينثروا الفائض من الحبوب والثمار على قمم الجبال لكي تأكل الطيور الجائعة، حتى الطيور كانت تأتي من جميع الأقطار لتعيش في تلك القرية ذات الرزق الوفير، والأهم أن أهلها كانوا يؤمنون أن الله حين ينزل رزقا ما فهو مقسوم لجميع المخلوقات على الأرض وليس للبشر فقط.

تعاقبت الأجيال على تلك القرية حتى جاء جيل لا يفهم معنى رزق الله الوفير، بدأ الطمع يتصاعد داخل قلوبهم حتى جحدوا نعم الله عليهم فقرروا أن يحرموا الطيور من حصتها في الثمار والزروع، توقفوا عن نثر الفائض كما اعتاد أسلافهم، بل قرروا تخزينه لنوائب الدهر كما قال بعضهم، هاجت الطيور وماجت حين لم تجد ما تعودت عليه من طعام في الأماكن

المعتادة، فما كان منها سوى الأكل من تلك الثمار وهي فوق الأشجار، أغضب ذلك أهل القرية، فالطيور قد أكلت من الثمار عنوة وفشلت خطتهم في حرمانها.

بعد تفكير ومشاورات قرر أهل القرية أن يتخلصوا من تلك الطيور للأبد رغم عددها الكبير جدا، وضعوا بعض الثمار المسمومة في أماكن إطعام الطيور، بعد عدة أيام انتشرت جثث الطيور في القرية بكثرة حتى امتلأ كل مكان فيها بالعديد من تلك الجثث النافقة، لم يكن لأهل القرية قدرة على التخلص من تلك الجثث، وكلما تخلصوا من جزء منها بالدفن أو الحرق وجدوا عددا آخر من الجثث كل يوم، حتى اعتادوا على وجودها وتركوها في كل مكان.

أدى انتشار جثث الطيور في أنحاء القرية إلى انتشار الروائح الكريهة وأيضا الديدان والحشرات التي تتغذى على الجيف، وما كان من أهل القرية سوى ارتداء الأقنعة على وجوههم لحجب تلك الروائح عن أنوفهم، بعد فترة قليلة بدأت أعراض التعب الشديد والحمى تظهر على أهل القرية، وما يلبث المصاب فترة قليلة حتى يموت من أثر تلك الحمى، وكان ذلك بداية وباء لا علاج له.

بدأ أهل القرية يرون نتيجة قتلهم للطيور، انتشر ذلك الوباء بينهم بسرعة شديدة وعجز أطباء القرية عن التعامل معه، ولم يكن من أهل القرية إلا الاستمرار في كبرهم وعنادهم فقرروا عزل المناطق الأكثر الإصابة.

بدأوا في عزل المناطق المصابة بالفعل، امتنعوا عن الاختلاط بأهلها ومنعوا عنهم الطعام والشراب، كانوا يرون الأشخاص في تلك المناطق يأكلهم المرض والجوع والحاجة ولا يفعلون شيئا من أجلهم، وكلما كانوا يعتقدون أنهم تخلصوا من مصدر ذلك الوباء كان يظهر مصابون آخرون في مناطق جديدة، حتى أباد ذلك الوباء أكثر من نصف سكان القرية، بعد ذلك تبدلت وفرة الثمار إلى قلة، بل صار الطعام في القرية شحيحا للغاية، وانتشرت السرقة والسطو وأصبح القتل سهلا، تحول هدوء القرية الذي تميزت به من قبل إلى صخب وصراخ وعويل واستغاثات، تناقصت أعداد الناس بسرعة، ومع كل غروب للشمس كانت تفنى عشرات الأرواح، أصبح أهل القرية أو الباقون منهم لقمة مستساغة للفناء، سواء من الوباء الذي يفني أرواحهم أو من سلب بعضهم أرواح بعض من أجل الحياة.

انتشرت العصابات، اختفى الأمن، ساد الجوع والفقر، ملأت الجثث كل مكان، البيوت والأسواق والشوارع، تضاعفت نسب الإصابة بذلك الوباء ومازال يعتقد الباقون أن النجاة تكمن في الاختباء وتخزين المتبقي من طعام، لكن الخطأ الأكبر كان في الطمع الذي كان سببا في الجائحة منذ البداية.

فكر بعض الباقين في الهرب من تلك اللعنة، أخذوا متاعهم وانطلقوا فارين من القرية، لكن أخبار الوباء واللعنة كانت قد انتقلت إلى القرى المجاورة فقرروا أن يمنعوا أيا من أهل تلك القرية من الخروج منها، أقاموا حصارا حولها من بعيد، وكلما وجدوا شخصا يفر منها كانوا يطلقون السهام نحوه فيموت مكانه ولا يصل إليهم.

ظلت الأمور على ذلك الحال حتى فني أهل القرية عن آخرهم، لم ينجُ أحد منهم، منذ قرروا قتل الطيور وبدأ قطار الموت يسير حتى حصد كل الأرواح، أرواح الطيور والحيوانات والناس وحتى الأشجار، صار كل شيء يابسا جافا متعفنا، وبعد فترة دخل بعض أهل القرى المجاورة إلى القرية لينظروا ماذا حدث، وهكذا وجدوا الحياة قد هجرت كل المخلوقات إلى الأبد، لم يكن هناك سوى جثث ودخان ودماء وأشلاء وعظام ويبوس، حتى طيور السماء التي تنجذب نحو الجيف قد منعت نفسها عن تلك القرية، يبدو أنها كانت تعلم أن أصحابها ملعونون حتى بعد موتهم، لسان حال كل شيء كان ينطق بقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (الكهف:٥٩).

قرر أهالي تلك القرى أن يتركوا تلك القرية أو ما تبقى منها على ذلك الحال حتى تكون عبرة لمن يفكر يوما في التعدي على قوانين الله في الأرض فيظن أنه يستطيع بعقله البشري أن يمنع رزقا قدره الله أو يمكنه أن يقسم الأرزاق بين الخلائق.



شعر: محمود عقاب
شاعر وكاتب

وقفة على جبل الضياء

يلقنني الهوى حسن فصيح
ليكتب دمعتي صمت يصيح
ولي معنى تعثر في حروف
يمهد دربه الدمع الصريح
تضيق به اللغات، وإذ بشوق
له في معجمي بهو فسيح
وغار الشوق يحرسه حمام
وبين العنكبوت أنا طريح
وفي شط الدموع خدود شمس
ببسمتها السحابة لا تنوح
إلى شط الضياء أتى غريق
أمد له يد الإبحار نوح
تجذف ضد طوفان المعاصي
وإقلاعي إلى الغفران ريح
كأن سفينة من فوق دنيا
ولم يسلم بأسفلها سبوح
ومن ثقل الذنوب صعدت حبوا
ولم أقنط ولي قلب طموح
ألبي كالنسيم نداء ورد
له ابتسمت بـ «لبيك» الجروح

يحب الطارقين.. هناك باب
ينادي خلفه رب سموح
على عرفاته انتظرت دموعي
وعيد التائبين لها يلوح
ومن جب الضياع خرجت طفلا
فلا ذنب بضحكته يفوح
سعيت إلى شفار الحب فدوا
ليشرب زمزما صب ذبيح
وعند مقام إبراهيم روض
ينادي المتعبين ليستريحوا
فلبوا.. واستضاف الحسن قلبا
ومن حول الجلال تطوف روح
وأهدى ثوب منسكهم حمام
له من كل قاصية نزوح
له لغة.. تحج متى نلبي
فم الدنيا بكعبتها فصيح
بها يشدو المقام.. كأن شوقي
له في كل قافية ضريح
كأن الشعر يكتب بعض صمت
إذا نطق الجمال؛ هو المديح



عمرو طه
قاص وباحث

لا يوجد في الواقع شيء اسمه «رجل عصامي» كليا نحن جميعنا مبنيون من آلاف الأشخاص الآخرين.. كل شخص أحسن إلينا يوما ما، أو شجعنا بكلمة طيبة، يصبح جزءا من نجاحنا.
جورج آدمز

الكذب يُشوهك، كن صادقا أو أصمت.
شكسبير

كل قوة في هذا الكون تبدأ بثبات أخلاقي، وكل هزيمة تبدأ بانهيار أخلاقي.
علي عزت بيجوفيتش

يوزن المرء بقوله، ويقوّم بفعله.
ابن خلدون

كلما ارتفعنا أكثر بدونا أصغر حجما لأولئك الذين لا يجيدون الطيران.
نيتشه

كثيرا ما يخطئ الناس في التفريق بين التواضع وصغر النفس، وبين الكبر وعلو الهمة.. فيحسبون المتذلل المتملق الدنيء متواضعا ويسمون الرجل إذا ترفع بنفسه عن الدنايا وعرف حقيقة منزلته من المجتمع الإنساني متكبرا.. وما التواضع إلا الأدب، ولا الكبر إلا سوء الأدب.
مصطفى لطفي المنفلوطي



أ. د أحمد يحيى علي
أستاذ الأدب والنقد
كلية الألسن، جامعة عين شمس

النص وإنتاج الدلالة

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وعلمه البيان، منحه القدرة على التعبير عن الفكر والشعور المتولد بداخله نتيجة علاقته بالعالم وتأثره بما يجري فيه وتأثيره هو الآخر فيه، وها هو ذا قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ① عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ② خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ③ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ④﴾ (الرحمن: ١ - ٤)، ويمكن الوقوف على طبيعة هذا البيان وأنماطه من خلال ما أشار إليه الجاحظ في كتابه: (البيان والتبيين)، من أن جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد (ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين)، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة[١].

اللغة إذا بوجهيها المنطوق والمكتوب أحد أشكال البيان التي يلجأ إليها الإنسان في تحويل المجرد من الفكر والشعور إلى ملموس مدرك بالحواس يحتاج إلى من يقيم معه علاقة تقوم على الرصد، هذا الرصد يأخذنا إلى شكلين من أشكال قراءة النصوص:

الأول: القراءة الشكلية للنص التي تقف عند ملامح النص الخارجية الظاهرة وكيفية تشكله، وبيان العناصر التي يتركب منها، وما ويربط بعضها ببعض من علاقات.

الثاني: القراءة الاستكشافية للنص التي تتجاوز عتبة الرصد الشكلي لعناصر بنائه وطبيعة العلاقات الرابطة بينها إلى عتبة إنتاج الدلالة المتصلة بهذا البناء اللغوي[٢].

هذه القراءة الاستكشافية تأخذنا إلى بعدين مهمين في إنتاج دلالة النص:

الأول: البعد الشارح الذي يكتفي بما يبدو ويظهر من النص للوهلة الأولى عند قراءته، وهذا البعد لا يحتاج إلى كثير عنت أو جهد من قبل القائمين به؛ إذ يقف أصحابه فقط عند الدلالة القريبة البادية من ألفاظه وتراكيبه، ويتسم المعنى المنتج في هذه الحالة بالثبات وعدم التنوع؛ إذ من اليسير لمن يقرأ النص أيا كان توجهه واهتمامه الفكري أن يدرك هذه الدلالة الشارحة التي تقتصر فقط على ما يتراءى للعيون من معان يمكن تحصيلها بوسائل الكشف المتاحة عن معاني الألفاظ.

الثاني: البعد التأويلي الذي يتجاوز القريب من المعاني إلى الأعماق؛ هذه الأعماق التي تتصل بغايات ومقاصد تقف وراء تشكيل النص في هيئته التي يبدو بها أمام القارئ، ويرتبط هذا البعد بأصول لها مكانها في تراثنا العربي عالجها على سبيل المثال شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني في كتابه: (دلائل الإعجاز)، عندما أشار إلى ما يسمى بمعنى المعنى أو المعنى الثاني الذي هو مناط اهتمام المعنيين بقراءة النص الباحثين عما ينطوي عليه من دلالات[٣]، وكذلك فعل ابن رشد في كتابه: (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال)[٤]. وفي حقل الفلسفة ظهر توجه يعد وثيق الصلة به ما يسمى بمناهج نقد النصوص وعلم التلقي في النقد الأدبي في أطواره الأكثر حداثة؛ هذا التوجه هو الهرمنيوطيقا (Hermenuetics)، التي ترتبط في عملها بالتعامل مع النصوص الدينية (الكتاب المقدس) وآليات استخراج المعنى[٥].

إننا يمكن وفق الطرح السابق أن نحدد مفهومين لمسألة إنتاج المعنى من النص؛ الأول: (الشرح/التفسير)، والثاني: (التأويل).

إن النص المؤسس على اللغة هو بمثابة علامة تتكون من دالّ (شكل لغوي ظاهر) ومدلول (معنى)، هذا المعنى هو ما يقف منه المعنيون به على مذاهب أو حالات شتى؛ إذ ليس كل القراء يمتلكون القدرة على المضي قدما من المعنى الظاهر إلى المعنى الكامن أو الخفي للنص، الذي يحتاج في إنتاجه إلى زاد معرفي يجب أن يحصله من يريد النهوض بهذه العملية، هذا الزاد وثيق الصلة بغايات ومقاصد يرمي إليها صاحب النص، هذا الزاد وثيق الصلة بظروف وملابسات تتصل بالمقام والظرف الزماني والمكاني المحيط بالنص عند ظهوره، هذا

الزاد وثيق الصلة بضوابط يجب أن يعيها من يريد النهوض بهذه العملية التي تتصل بعملية الانتقال من المعنى القريب إلى غيره، والشروط الواجب مراعاتها؛ فهناك شطحات في التأويل قد تذهب بالنص بعيدا؛ خصوصا فيما يتصل بالنصوص الدينية؛ وهذا يعني أن المهتمين بمسألة التأويل ليسوا على حال واحد هم أيضا[٦].

الشرح والتأويل في التراث القصصي

وبالإمكان الوقوف على هاتين النزعتين في التعامل مع العالم عموما؛ نزعة الشرح أو القراءة الظاهرة للأمور، ونزعة التأويل أو القراءة المتعمقة التي تتدثر بثوب فلسفي يبحث في العلل والغايات؛ ففي كتاب الأغاني للأصفهاني أبي الفرج علي بن الحسين؛ يمكننا الوقوف أمام الخبر القصصي الآتي ويتصل بليلى الأخيلية محبوبة الشاعر توبة:

«بلغني أن ليلى الأخيلية دخلت على عبدالملك بن مروان وقد أسنت، فقال لها: ما رأى فيك توبة حين هواك، قالت: ما رآه الناس فيك حين ولوك؛ فضحك حتى بدت له سن كان يخفيها»[٧].

إننا من خلال البنية الدرامية للخبر بصدد قراءتين:

الأولى: قراءة يمكن نعتها بالسطحية تكتفي فقط بالظاهر من الأمور، ويمثلها عبدالملك بن مروان، الذي نظر إلى المرأة نظرة جسدية ظاهرة؛ فراعه ما تبدو عليه ليلى من كبر سن قد انعكس على ملامحها، وهذا شأن كل إنسان وليس حالها وحدها؛ فبنى تعجبه أو استنكاره ودهشته على هذا البعد في الرؤية الذي يمكن وصفه بأنه بمثابة رؤية بصرية فحسب.

الثانية: محاولة لتقديم قراءة أكثر عمقا تتجاوز عتبة الظاهر القريب وما ينطوي عليه من عجل في الحكم، وتسرع تعكسه بداية هذه الفاء التي تفيد السرعة في منطوق الراوي: «فقال لها». هذه القراءة تمثلها ليلى الأخيلية التي تضعنا من خلال منطوقها وردها على عبدالملك أمام مسكوت عنه ينبغي للقارئ أن يكمله بنفسه؛ فهي عندما قالت له: «الذي رآه الناس فيك حين ولوك»، تفتح أفق القراءة واسعا على احتمالات في إنتاج المعنى، أساسها يقوم على هذا السؤال؟ يا ترى ما هذا الذي رآه الناس أو الأمة في عبدالملك حتى يجعلوه أو يرضوا به خليفة عليهم هو هو ما رآه توبة في ليلى حتى أضحت له محبوبة جديرة بأن يكون لها مكان في إبداعه؟

إن منطوق ليلى الذي يمكن نعته بالناقص يستثير همم المتلقين ويدفعهم إلى ترك مقاعد المتلقي السلبي المكتفي بمتعة المشاهدة فحسب ومحاولة ارتداء ثوب أكثر فاعلية وإيجابية يتشارك فيه القارئ مع المصنف عملية التأليف والكتابة.

قد يكون من بين الاحتمالات أن عبدالملك وليلى كليهما يقع موقع الملهم أو الدافع بالنسبة إلى الآخر؛ فعبدالملك بما يمتلكه من سمات تتجاوز بالطبع عتبة الحسي الظاهري، هذه السمات تخص عقله ودينه وعلمه وحكمته وذكاءه وقدرته على ممارسة السلطة بغير ضعف، أضحى جديرا بأن يشغل هذا الموقع في وعي الأمة وفي حياتها، وليلى عند توبة بالقطع لم تكن الصورة الحسية القريبة التي تنشد فقط عينا تبصر، لكنها هي ذاك الكيان العقلي والشعوري الذي يحمل من الصفات ما يؤهله لأن يكون موضوعا يشغل بال مبدع مثل توبة في عالمه الشعري.

نحن إذن إذا ما توقفنا متأملين أمام ثنائية الفعل ورد الفعل في حوار عبدالملك وليلى نجد أنفسنا أمام نمطين للرؤية في التعامل مع النصوص ومع العالم وما يجري فيه بصفة عامة:

- رؤية بصرية تقتصر أو تتجمد فقط عند عتبة الملموس المدرك بالحواس فتأخذه على علاته كما هو.
- رؤية ذهنية متعدية تتجاوز عتبة ما هو حسي قريب المأخذ إلى محاولة التأمل العقلي المتأني المبني على طرح الأسئلة وإيجاد أجوبة لها، وهي بلا شك رؤية ذات طابع فلسفي تتعامل مع العالم في إطار هذه الثنائية الأثيرة (الفيزيقي والميتافيزيقي)؛ إن سقراط الذي قال لتلميذه: تكلم حتى أراك، لم يكن يقصد بالقطع الرؤية البصرية، لكنه يرمي إلى الرؤية الذهنية العقلية التي تتجاوز منطقة الحسي الظاهري إلى منطقة تبيان الخصائص العقلية والشعورية فيمن يريد معرفته.

وهذا مثال ثان من كتاب الأصفهاني من ترجمة ابن المولى الشاعر، نتوقف أمامه:

«أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: خرجت أنا وأبو السائب المخزومي وعبيد الله بن مسلم والأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان إلى قباء، فأنشد ابن المولى لنفسه:

وأبكي فلا ليلى بكت من صبابة
إلي ولا ليلى لذي الود تبذل
وأخنع بالعتبى إذا كنت مذنبا
وإن أذنبت كنت الذي أتنصل

فقال له أبو السائب وأبو عبيد الله بن مسلم بن جندب: من ليلى هذه حتى نقودها إليك؟ فقال لهما ابن المولى: ما هي والله إلا قوسي هذه سميتها ليلى»[٨].

ولما سئل في موقف آخر من قبل رجل يدعى الحسن بن زيد عن ليلى هذه التي دائما ما يتردد اسمها في شعره، عقب قائلا: «امرأتي طالق إن كانت إلا قوسي هذه سميتها ليلى؛ لأن الشعر لا يحسن إلا بالغزل والتشبيب»[٩].

إننا إذا أردنا أن نقيم موازنة بين هذا النص وسابقه سنجد الفرق بين الاثنين يبدو في أن هذا الأخير يمنح القارئ الناقد القراءتين معا؛ أي القراءة المؤسسة على الشرح والاكتفاء بالمعنى الظاهر القريب، والقراءة المؤسسة على التأويل والحركة من الدلالة الظاهرة إلى الدلالة العميقة؛ فالمستمعون لشعر ابن المولى يرون في ليلى كيانا من لحم ودم يتغنى باسمه الشاعر ويكشف عن مشاعره تجاهه، جريا على الظاهر من النص؛ لكن بطن الشاعر المسكونة بالمعنى وبالجوهر المقصود، أو المعنى الواجب على كل ذات ناقدة أن تضع يدها عليه يقول: إن ليلى ليست إلا رمزا لجماد، وتلك صورة عبقرية فريدة يقدمها الشاعر العربي القديم ممثلا في ابن المولى؛ إن غير العاقل قد يتشخص، والعاقل قد يكون رمزا لعاقل، لكن أن يكون العاقل ممثلا في اسم المرأة ليلى في هذا النموذج الشعري رمزا وتخييلا يشير في معناه الدفين المقصود إلى غير عاقل (قوس)، فتلك صورة تحمل جديدا بفضل ابن المولى، المهم أن طبقتي المعنى قد توفرا في هذا المثال الشعري، وقدم إلينا الشاعر بنفسه دون عناء يتكبده القارئ مقصوده في ثوب استعاري تمثيلي، أضحى فيه المؤنث الإنساني بمثابة مشبه به لمشبه محذوف تقديره القوس قد تلاشى وذاب فيه.

الشرح والتأويل في القرآن الكريم

ولعلنا إذا وقفنا متأملين أمام النص القرآني أعلى نصوص العربية وأرقاها صياغة وتعبيرا، وأعمقها من حيث الدلالة؛ سنجد أن كلمة تأويل ترد في سياقات عدة؛ ففي سورة يوسف نتوقف أمام قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ﴾ (يوسف: ٤)، وكان تأويلها في أواخر السورة بعد ذلك عندما دخل عليه إخوته وعرفوه وقد جيء بأبيه وأهله جميعا إلى مصر: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (يوسف:١٠٠).

وها هو ذا عليه السلام وقراءته المؤسسة على فك شيفرات الرموز وإدراك المعنى العميق: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(يوسف: ٣٦).

فكان الجواب: ﴿يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾(يوسف: ٤١).

وهذه رؤيا الملك التي لم يجد لها تأويلا عند أحد من خاصته أو ممن حوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَـٰتٍ ۖ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَـٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف: ٤٣).

فكان تأويل يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (يوسف: ٤٧- ٤٩).

وفي سورة الكهف نتوقف متأملين أمام القصة التي جمعت موسى عليه السلام بالخضر؛ لنعرف كيف كان الفعل ومعناه العميق من نصيب الخضر عليه السلام، أما موسى عليه السلام فكان يقع موقع رد الفعل المملوء غرابة ودهشة مما يحصل أمامه ولا يجد له تأويلا من عنده يبدد دهشته؛ لأن فوق كل ذي علم عليما، ويتحدد ذلك في مواقف أو مشاهد ثلاثة: مشهد خرق السفينة، ومشهد قتل الغلام، ومشهد دخول القرية التي يتصف أهلها بالبخل وإقامة جدار فيه:

المشهد الأول: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ (الكهف:٧١).

المشهد الثاني: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ (الكهف:٧٤).

المشهد الثالث: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ

﴿أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾ (الكهف: ٧٧).

إن موسى عليه السلام يقف موقف الرائي القارئ الشارح الذي يدرك المعنى القريب، أو عند الظاهر مما يحدث، أما الخضر عليه السلام فإنه بفعله ومنطوقه يقف موقف القارئ المهتم بالتأويل، بالمقاصد والغايات الكامنة خلف الفعل: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ٨١ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾ (الكهف:٧٨-٨٢).

إن القراءة الشارحة وأصحابها والقراءة المؤسسة على التأويل والقائمين عليها قد تحققت في السياق القصصي المتصل بيوسف عليه السلام، وفي السياق المتصل بموسى في علاقته بالخضر عليهما السلام.

تعقيب

إن ثنائية الشكل والمضمون التي تتكون منها أية علامة لغوية تأخذنا إلى عمليات عدة:

- الوصف الذي يستغرقه الشكل أو البناء الخارجي والعناصر التي يتكون منها وما بينها من علاقات فحسب. وفيما يسمى بنقد الحداثة يبدو هذا واضحا في تيار البنيوية/ الاستكشاف الذي تنتهي به رحلته أمام المعنى القريب الظاهر الذي يمكن نعته بالمعنى المخادع، أو المعنى الوهمي، أو القناع الذي يرتديه المعنى الذي يفترض أن النص يقصده أو يرمي إليه.

- الاستكشاف الذي يدرك أن المعنى الأول أو الظاهر ليس نهاية المطاف؛ ومن ثم فإن عليه القيام بمزيد جهد لإدراك المعنى العميق.

ولا شك في أن القراءة المفيدة مما يسمى بالمنهج الثقافي في نقد النصوص تحتفي بشدة بهذا النوع الأخير من الاستكشاف، ونحن بالطبع نجد أن أصولها وإن كانت قد عرضت بتفاصيل مختلفة لها موضعها في تراثنا العربي؛ كما هو الشأن على سبيل المثال لا الحصر عند عبد القاهر في كتابه: (دلائل الإعجاز)، وعند ابن رشد في كتابه: (فصل المقال فيما بين الحكة والشريعة من اتصال). وإذا نظرنا إلى كتاب: (القضايا الشعرية) لرومان جاكوبسون؛ نجده قد وضع للغة وظائف عدة تؤديها، ونستطيع أن نؤسس لمسألة التأويل من خلال وظيفتين من وظائف اللغة عنده: الوظيفة المرجعية، والوظيفة الميتا نصية (ما وراء اللغة أو ما وراء النص)[١٠]؛ إن المهتم بالتأويل عليه بعد إدراكه لمكونات النص والعلاقات القائمة فيما بينها؛ انسجاما مع الوظيفة الشعرية عند رومان جاكوبسون، عليه بعد ذلك الإلمام بالسياق الخارجي الذي قيل فيه النص وأدى إلى إنتاجه (الوظيفة المرجعية)؛ ومن ثم فإن ذلك يساعده كثيرا في فهم العلل والمقاصد التي ينطوي عليها، وفك ما به من شفرات؛ أي الوظيفة الميتا نصية وفقا لطرح جاكوبسون.

الهوامش

١ - انظر: د. مصطفى علي عمر، في النقد الأدبي القديم، (ص: ٩٤)، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، دار المعارف، القاهرة.

٢ - انظر: د. أحمد يحيى علي، هوية النص بين شخصية الأديب وشخصية الناقد، مجلة الرافد، الإصدار الإلكتروني، إبريل ٢٠٢٠م، دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة.

٣ - انظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: د. محمود محمد شاكر، (ص: ٢٦٣)، طبعة: ٢٠٠٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٤ - انظر: ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، (ص: ٣٢، ٣٣)، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة: ١٩٩٩م، دار المعارف، القاهرة.

٥ - انظر: د. محمد عمارة، دراسة نقدية لكتاب: بسط التجربة النبوية، التأويل العبثي للوحي والنبوة والدين، (ص: ٢٢، ٢٣)، كتاب مجلة الأزهر بالقاهرة، عدد: ١٤٣٢هـ.

٦ - انظر: د. سيزا قاسم، القارئ والنص: العلامة والدلالة، (ص: ١٢٤، ١٢٥)، طبعة: ٢٠٠٢م، مكتبة القاهرة.

٧ - الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين)، الأغاني، الجزء الحادي عشر، (ص: ٢٤٠)، طبعة: ٢٠٠١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٨ - الأغاني، للأصفهاني، أخبار ابن المولى ونسبه، ركن المكتبة، الموسوعة الشعرية الإلكترونية، المجمع الثقافي العربي، دولة الإمارات، إصدار: ٢٠٠٣م.

٩ - السابق، ركن المكتبة، أخبار ابن المولى ونسبه.

١٠ - انظر: رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنوز، (ص: ٣١ -٤٧)، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب.

محمد جمال المغربي
كاتب صحفي



التناص تقنية فنية إبداعية

يعتبر التناص، كمصطلح نقدي له أصوله النابعة من الأدب والنقد، من أبرز التقنيات الفنية التي استهوت الشعراء والأدباء في تضمين نصوصهم الجديدة بنصوص أخرى سابقة لها لكي يمنحوها ثراء وتميزا، ويخرجوا بها عن المباشرة في الكلام إلى إظهار هوية الذات وعرض ذائقة السرد، ليقدموا تصورات جديدة تخدم النص وتجمل ألفاظه وتقوي معانيه.

ماهية التناص

على الرغم من تداخل بعض المصطلحات القريبة من معنى التناص في كتب التراث العربي مثل الاقتباس والتلميح والتضمين والإشارة والسرقات الأدبية، فإن الأدباء والنقاد العرب في العصر الحديث قد عرفوه بأكثر من تعريف، نخرج من هذه التعريفات بخلاصة مفادها أن التناص: عبارة عن استجلاب نصوص سابقة وتأويلها ثم إعادة تدويرها وكتابتها في النص الجديد بشرط زيادة في المعنى عن النصوص السابقة، والتي تمثل النواة والبؤرة للنص الجديد، وهو من المصطلحات السيميائية الحديثة، وبمعنى آخر هو تعالق نص أدبي حال بنص أدبي سابق عليه بطريقة إجرائية المراد منها تقاطع النصين والتفاعل فيما بينهما، ويختلف عن مفهوم السرقات الأدبية، على الرغم من ذهاب بعض الدارسين إلى اعتبار مصطلح التناص هو نفس مصطلح السرقة الأدبية.

فالتناص: هو تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة من التراث الشعري أو القرآني أو حديث نبوي أو حتى من الأقوال والحكم المأثورة مع نص أدبي حديث بطريقة متآلفة وموظفة تنسجم مع الفكرة المراد كتابتها لتدعمها، ككتابة جملة على آية قرآنية أو بيت شعري مستوحى من آية قرآنية أو كتابة جملة في نص أدبي مستوحاة من قول مأثور لأحد السلف وهكذا.

مثل قول الشاعر عز الدين المناصرة:

سأرتب عادتي في هذا البرد الموحش
وتكون في الصحراء ملاذا
حين عواصمهم تلقاك
بوجه وسواس خناس

حيث تناص الشاعر مع قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ (الناس:٤).

وكقول ابن الرومي:

لئن أخطأت في مدحك ما أخطأت في منعي
قد أنزلت حاجاتي بواد غير ذي زرع

فقوله «بواد غير ذي زرع» اقتباس من القرآن الكريم من سورة إبراهيم.

التناص مصطلح غربي أم عربي؟

من المعروف أن مفهوم التناص موجود منذ القدم، وقيل إن الغرب عرفه قبل العرب، لكن وجوده كمصطلح نقدي مستقل ظهر في الأدب الفرنسي في الستينيات على يد الناقدة الفرنسية جوليا كريستيفا عام ١٩٦٦م، والتي وضعت له تعريفا مستقلا. وقيل إن مفهوم التناص يرجع إلى أستاذها الروسي ميخائيل باختين، وإن لم يذكر أستاذها هذا المصطلح صراحة،

لكن كريستيفا عرفته بأنه التفاعل النصي في نص بعينه، حيث كانت لها رؤية مميزة للنص الأدبي، والذي وصفته بأنه لا يأتي من العدم، وإنما يأتي من إرهاصات نص عام أشمل منه يكون جزءا منه ويتشكل منه أيضا، وبهذه الرؤية مهدت للتحول من مفهوم البنيوية في النص الأدبي إلى ما بعد البنيوية، وهذا ما وضحته في كتابها «نظرية الجماعة» وأجرت دراسات تطبيقية للتناص في دراستها «ثورة اللغة الشعرية» وفي كتب ومقالات أخرى لها، بعد ذلك استعمل مصطلح التناص عدد كبير من النقاد الغربيين في كتاباتهم، وتوسع الباحثون في الدراسات حوله، حتى أنهم عينوا أنواعا له.

تلقف العرب هذه التقنية البديعة من الأدب الغربي واستخدموها في نصوصهم الأدبية وقسموها إلى قسمين: تناص ظاهر شعوري؛ وفيه يكون الكاتب واعيا حين يدخل نصا في نصه، وتناص خفي لا شعوري؛ وفيه تتداخل النصوص الأدبية في بعضها بلا وعي وإدراك من الكاتب نتيجة تراكمات اللغة في ذاكرته.

أنواع التناص

الاجترار

وهو تكرار للنص السابق من دون تغيير، فيكتفي الكاتب بنسخ النص السابق كما هو أو بتعديل بسيط فيه لا يمس جوهره بسبب كونه نصا مقدسا كالقرآن مثلا أو نصا تراثيا.

الامتصاص

وهو نوع أكثر ابتكارا من النوع السابق، حيث يعمل على عدم تجميد النص السابق ولا ينقله ولا ينفيه بل يساهم في استمراره مع تجديده ويعيد تدويره بإعادة صياغته من جديد.

التحوير

وهو أعلى مرحلة من أنواع التناص، حيث يقوم الكاتب بتغيير النص السابق (المتناص) عن طريق قلبه وتحويره ليخدم رسالته الأدبية كما يريدها هو بطريقة إبداعية بغرض إثارة فضول القارئ وإجباره على التساؤل عن سبب تغيير وتحوير الكاتب للنص القديم في نصه الجديد، وكشف غموض ذلك.

التناص والسرقات الأدبية

ذهب بعض النقاد إلى اعتبار التناص نوعا من السرقة الأدبية للنص القديم، إلا أن هذا الحكم يعد ظالما، فالسرقة الأدبية جريمة أدبية معيبة من حيث الحكم الأخلاقي، أما التناص فهو بريء من هذه التهمة الأخلاقية؛ لأنه ببساطة تقنية باستخدامها يتفاعل نص جديد مع نص سابق عليه ليذوب فيه ويتعالق معه، وتطبيق الكاتب لتقنية التناص يدل على إبداعه ومهارته وثقافته ومخزونه المعرفي الناتج عن تراكمات قراءته لنصوص أدبية تراثية قديمة أو نصوص أدبية حديثة.

إذا كان التناص والسرقة الأدبية يتتبعان نصا سالفا فلابد من القناعة بأن النص ليس مقدسا وغير مسموح له بالإنجاب، بل النص الأدبي يتكاثر والكاتب المبدع عند كتابته لنص أدبي هو في الحقيقة يعتبر معيدا لمنتج أدبي سابق عليه، فالكاتب لا يصير كاتبا إلا إذا تأثر بنصوص أدبية سبق له قراءتها وتعلمها وتأثر بها، فمثلا الشاعر لا يصير شاعرا إلا إذا كان قارئا جيدا للشعر، والروائي لا يصير روائيا إلا إذا كان قارئا جيدا للرواية، فالقراءة هي المخزون المعرفي والثقافي للأديب والتي يستحضرها عند كتابة نص أدبي جديد بالتفاعل مع النصوص التراثية القديمة.

فالنص الأدبي لم ينشأ من العدم بل تفاعل مع نصوص سابقة عليه وتعالق معها وتأثر بها بل وتزاوج معها، فيخرج من شجرة نسب تاريخها عريق، وقيل قديما «النص ابن النص» بمعنى أنه مولود من نص سابق عليه ثم يلد بعد ذلك نصا جديدا فيصير والدا، فيجمع بين صفة المولود والوالد.

يوجد فرق بين التناص والسرقة الأدبية على مستوى المنهج كما قال خليل الموسى، الذي كان يرى أن السرقة الأدبية تعتمد على المنهج التاريخي التأثري والسبق الزمني فاللاحق هو المتهم بالسرقة، والسابق هو الأصيل المبدع، بينما يعتمد التناص على المنهج الوظيفي، وقد لا يهتم كثيرا بالنص الغائب أو السابق، فقد يتفوق في التعبير عن المعنى المأخوذ، فيشهد له بالسبق والتميز لدرجة تصل لصيرورة العمل مرتبطا به، ولهذا السبب اهتم النقاد القدامى بالمنهج الوظيفي.

هناك فرق آخر بينهما في «القصدية والتعمد»، فالسارق يكون واعيا لما يفعله، بينما المتناص يفعل ذلك بدون وعي وغير متعمد، بل يندرج الأمر تحت باب توارد الخواطر أو التأثر بإبداع سابق لدرجة أن وصفه بعض القدامى بأنه سرقة محمودة لأنها أضافت بعدا جماليا للنص.

كما أن مفهوم السرقات الشعرية لم يعرف ويتبلور إلا بعد ظهور التدوين للشعر بعد أن كان يروى شفاهة.

إذن التناص تقنية فنية استخدمها الأدباء لخدمة نصوصهم الأدبية الحديثة دون قصد السرقة الأدبية أو «التلاص» كما سماه الشاعر والناقد الفلسطيني عز الدين المناصرة، بل تعالقت نصوصهم بنصوص سابقة عليها بسبب التأثر أو الإعجاب بها، مع إضافة معان جديدة إليها تكسب النص إبداعا جديدا يخرج الأديب من دائرة اتهامه بالسرقة الأدبية، ويدخله دائرة الإبداع بعد قيامه بتدوير نص قديم وإجراء تعديلات عليه تبعده عن الاستنساخ الرديء.

د. هانئ محمد
كاتب وباحث أكاديمي



العربية أساس لوحدة العرب والمسلمين

لا يستطيع الباحث عن خصائص اللغة العربية، ومميزاتها التي تمتاز بها عن غيرها وتتفوق بها على نظيراتها من اللغات الحية في عالمنا المعاصر، أن يستوعب كل خصائصها، ويجمع فرائد امتيازها، حتى يقدم صورة مشرقة حية، تعطي مرآة صادقة تدل ولا تخفي، وتبرهن ولا تعجز وتوضح ولا تشوش. فاللغة العربية اختارها الله -سبحانه وتعالى- لتكون وعاء لرسالته الخالدة إلى الناس، وضمن لها بهذا الاختيار الخلود ما بقيت السماوات والأرض. كما تعد اللغة العربية القاسم المشترك، والرابط الوحيد لأكثر من مليار ونصف المليار إنسان من المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم، وذلك بفضل القرآن الكريم، فلا إسلام دون قرآن، ولا قرآن دون اللغة العربية. ومن ثم كانت اللغة العربية، هي التي تربط بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها برباط فكري ولفظي ممتد من الرسالة المحمدية ومعجزته الخالدة المتمثلة في نزول القرآن الكريم، لأن القرآن ليس مجرد مبادئ وتعاليم منعزلة عن الظاهر اللفظي، بل إن إعجاز القرآن منوط باللغة العربية، وإن اللغة العربية بطاقتها وغزارتها وثرائها وتراثها لجديرة بأن تكون وسيلة للتفاهم بين الشعوب المسلمة في كل مكان، وعونا على المحافظة على الوحدة الفكرية والمظهرية بين أفرادها وجماعاتها، وإن الوحدة الفكرية بين المسلمين كافة، تؤدي دورا في هذه المرحلة الحرجة الخطيرة التي يمر بها العالم العربي والإسلامي من تمزق وفرقة وتشتت. هذا الدور الريادي الذي يعيد الأمة جمعاء إلى جادة الصواب، من خلال تمسكها بلغتها الرصينة، وقواعدها الأصيلة، التي أخذت عن العرب الأقحاح أرباب اللغة، الذين نقلوا لنا اللغة العربية عن طريق الكثرة الكاثرة من كلام العرب[1].

مكانة اللغة العربية

إن اللغة العربية هي من أقدم اللغات وأغناها على الإطلاق، لأسرار وحكم يعلمها الله - سبحانه وتعالى - حيث اختار - سبحانه - هذه اللغة وعاء لكتابه الخالد، كما أشار إليه قوله تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾﴾

(الشعراء:١٩٢-١٩٥). وكانت اللغة العربية قد بلغت قبل البعثة المحمدية أوج كمالها في التعبير البليغ السامي عن جميع مقومات الحياة، وتربعت على ذروة المجد في الفصاحة والنتاج الأدبي شعرا ونثرا، وظهرت روائع إنتاجها في الأشعار والأمثال والقصص، وعلى هذا الأساس شاعت العربية على أنها لغة قومية، فوحدت العرب في شبه الجزيرة العربية، وميزتهم عن غيرهم من الشعوب والقبائل.

ومع نزول القرآن الكريم بهذه اللغة، ارتفع شأنها، وأصبحت اللغة السائدة في بلاد العرب والمسلمين، وإن للغة العربية فضلا كبيرا على نشر حضارة الفكر العربي الإسلامي، وتقدم العلوم والفنون والآداب المختلفة، ولأجل القرآن الخالد ظهرت علوم القرآن كلها، كما ظهرت علوم اللغة والنحو والصرف، والبلاغة التي كانت أساسا لتفسير نصوص القرآن الكريم، ليسهل فهمها، وتبين مقاصدها، ومن أجله أيضا ظهرت علوم منهجية، مثل: علوم التاريخ والأخبار والأسانيد وغيرها، كما تقدمت تطبيقا لتعاليم القرآن علوم كثيرة، مثل: الرحلات والجغرافيا والسير، واستحدثت علوم الطب والكيمياء والاجتماع وعلوم أخرى تابعة لدراسة القرآن الكريم، مثل: التجويد والتلاوة إلى جانب علوم عديدة إسلامية[2].

وبهذا التوصيف يمكن القول بأن اللغة العربية قد انتقلت من القومية

والقطرية إلى العالمية، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (إبراهيم:٤)، وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (سبأ:٢٨)، وقوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗا...﴾ (النساء: ٧٩)، كل هذه الآيات تشير إلى عالمية اللغة العربية، بعد أن كانت توصف بأنها لغة قومية، وذلك بفضل الفتوحات الإسلامية، وانتشار الدعوة إلى دين الحق، ودخول الناس في دين الله أفواجا. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن نشر اللغة العربية بين الشعوب المسلمة في مقدمة الوسائل الفعالة التي تساعد على إيجاد التقارب الفكري بين أبناء الأمة الإسلامية، لأنها تحمل في طياتها القيم الروحية التي يمنحها الإسلام لكل مسلم، كما تكمن فيها روح الألفة والمودة والرحمة التي تربط بين قلوب المسلمين برباط وثيق، وقد منح الله - سبحانه وتعالى- المسلمين هذه اللغة، لتحقيق التفاهم والترابط بينهم في أنحاء الأرض، بحيث يسعى كل مسلم لأن يقرأها ويفهمها، بل ويتحدث بها.

وقد كانت ثمرة التمسك باللسان العربي والحفاظ على اللغة العربية واضحة في وحدة الأمة وتماسكها، معبرة عن سر قوتها المستمدة من كتابها المقدس، لأنها لغة ميسرة سهلة، حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ (القمر:٢٢)[٣].

أهمية اللغة العربية

تنبع أهمية اللغة العربية في كونها لغة القرآن الكريم، ولغة رسوله الأمين ﷺ، وهي جزء من ديننا، وشعيرة من شعائر الإسلام، حيث يجب على المسلم أن يقرأ القرآن بالعربية، لأن قراءة القرآن واجبة في الصلاة والصلاة ركن من أركان الإسلام. أيضا كانت الوعاء الذي استوعب الفكر الإسلامي في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، وكانت اللغة قبل الإسلام تعبر عن حاجات أهلها، لكن هذه الحاجات كثرت بعد مجيء الإسلام، واتسع نطاقها، حيث نشأت وارتقت سريعا حضارة جديدة، ومدنية حديثة، تقوم على العلم، وترتكز على الثقافة، ولا تترك أي مظهر من مظاهر الرقي إلا أخذت منه بنصيب، وأسهمت فيه بقدر كبير[٤]. كما كان للغة العربية دور كبير - ولا يزال - في الحفاظ على وحدة الأمة وتماسكها من التفكك والانحلال والذوبان. فهي الجامع الأول لأبنائها بالإضافة إلى الإسلام الذي وحد الأمة وجعلها متماسكة، ويعود الفضل إلى اللغة العربية في ترسيخ الوحدة الوطنية، كونها لغة الأجداد والآباء التي انتقلت إلى أحفادهم، وكذلك كونها لغة التراث الذي يرتبط بالإسلام، فهي لغة القرآن الذي يمثل دستور الأمة إلى قيام الساعة، وفضل العربية على سائر اللغات معروف، فقد روي عن النبي ﷺ إنه قال: (أحبوا العربية: لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي)، فلا سبيل لإنكار فضل العربية ودورها في جمع شمل الأمة العربية والإسلامية لأنها السبيل الوحيد بعد الإسلام لتوحيد هذه الأمة.

وأخيرا: إن اللغة العربية عامل رئيسي في توحيد لسان الأمة العربية والإسلامية، ليتوحد فهمها لمقاصد الأمور، وهي وعاء الفكر والثقافة، ولغة الوحي والوحدة. وإن القرآن الكريم يمثل النبع الأصيل للغة العربية، ويشكل حصانة متينة لها من الاندثار والتلاشي والذوبان.

الهوامش

١- نهاد عبد الفتاح فريح، دور اللغة العربية في وحدة الأمة، عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة فلسطين، (ص: ٨).

٢- حسين سليمان قورة، دراسات تحليلية ومواقف تطبيقية في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، طبعة دار المعارف (القاهرة)، (ص: ٢١-٢٩).

٣- نهاد عبد الفتاح فريح، دور اللغة العربية في وحدة الأمة، سبق ذكره، (ص: ٣٩).

٤- د. عبد العزيز علام، ود.عبد الله ربيع، في فقه اللغة، طبعة مكتبة الرشد (الرياض) السعودية، (ص: ١٤٧).

د. علوي أحمد الملجمي
أستاذ الأدب والنقد المساعد
بجامعة البيضاء - اليمن



اللهم: دراسة تأصيلية في ضوء الدراسات الفيلولوجية

حار اللغويون العرب القدماء في لفظ «اللهم»، فاختلفوا، وأكثروا فيه القول، وذهبوا بعيدا، وقدروا وعللوا، فاللفظ وارد في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وورد في الحديث النبوي، وفي شعر العرب ونثرها. و«تستعمل اللهم على ثلاثة أنحاء: أحدها: النداء المحض نحو: اللهم أثبنا. ثانيها: أن يذكرها المجيب تمكينا للجواب في نفس السامع، كأن يقول لك القائل: أزيد قائم، فتقول له: اللهم نعم، أو اللهم لا. ثالثها: أن تستعمل دليلا على الندرة وقلة وقوع المذكور نحو قولك: أنا أزورك اللهم إذا لم تدعني»[١].

وخلاصة ما توصل إليه القدماء أنهم جعلوا الميم المشددة في آخر اللفظ (اللهم) عوضا عن محذوف، واختلفوا في تقدير ذلك المحذوف على رأيين: البصريون: يذهبون إلى أن أصله «يا الله»، والميم بدل من «يا» بدليل أنك لو أسقطت الميم لوجب ذكر «يا» فتقول: «يا الله».

الكوفيون: يرون أن الميم مقتطعة من جملة «أمنا بخير»، وليست عوضا عن حرف النداء؛ ولذلك أجازوا الجمع بينهما في الاختيار[٢].

تخريج البصريين ينقضه ما جاء في شعر العرب من الجمع بين ياء النداء والميم؛ إذ كيف يجمع بين العوض والمعوض عنه، يقول الشاعر (الرجز):

إني إذا ما حدث ألما

أقول يا اللهم يا اللهما

وقال الآخر (الرجز):

وما عليك أن تقولي كلما

صليت أو سبحت يا اللهما

اردد علينا شيخنا مسلما[٣]

ويرد رأيهم - أيضا - أن «اللهم» تستخدم في غير النداء، مثل: «اللهم نعم» في الجواب، و«اللهم إ لا كذا» في الاستثناء.

وتخريج الكوفيين بعيد جدا، و«فاسد؛ لأنه لو كان الأمر على ما ذكروا وذهبوا إليه، لما جاز أن يستعمل هذا اللفظ إلا في ما يؤدي إلى هذا المعنى، ولا شك أنه يجوز أن يقال: اللهم العنه، اللهم أخزه.. وما أشبه ذلك؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال:٣٢)، ولو كان الأمر على ما ذهبوا إليه لكان التقدير فيه: أمنا بخير إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم. ولا شك أن هذا التقدير ظاهر الفساد، إذ لا يكون أمهم بالخير أن يمطر عليهم حجارة من السماء؛ أو يؤتوا بعذاب أليم»[٤].

والظاهر أن الخلل في التخريجين السابقين ناتج عن عدم اعتماد اللغويين القدماء على أدلة مادية، بل هي مجرد تكهنات وتخمينات نظرية. لذلك فإن للدراسات الفيلولوجية الحديثة رأيا آخر؛ فقد كشفت هذه الدراسات أن الظاهرة «اللهم» - وغيرها من الظواهر التي وقف عندها اللغويين العرب - موجودة في اللغات القديمة، التي يطلق عليها المستشرقون «اللغات السامية». فالدكتور فاضل السامرائي يرى أن أصل «اللهم» عبري، يقول: «وقد دلت الدراسات الحديثة على أن أصلها عبري، هو: ألوهيم. ومعناها: الآلهة. وهم يريدون به الواحد وإنما جعلوه للتعظيم»[٥]. إذ نجد في العهد القديم كلمة «ألوهيم alohim»[٦] التي تعني الله، وورد أكثر من ٢٦٠٠ مرة في العهد القديم، وهو في العبرية القديمة مكتوب بطريقة مميزة، وأثار إشكالية عند دارسي العبرية في أصله ووظيفة علامة الجمع فيه. فقيل في تعليله إنه يدل على صيغة الجمع الدال على المفرد، أو إنه جمع جلالة أو عظمة كما يخاطب الملوك.

وقد تنبه ابن عابدين (المتوفى:١٢٥٢هـ) إلى هاتين العلتين فقال: «اللهم مجمع الدعاء. وقال بعضهم: الميم في قول (اللهم) فيها تسعة وتسعون اسما من أسماء الله تعالى. وأوضحه بعضهم

بأن الميم تكون علامة للجمع، لأنك تقول: (عليه) للواحد، و(عليهم) للجمع، فصارت الميم في هذا الموضع بمنزلة الواو الدالة على الجمع في قولك: (ضربوا) و(قاموا) فلما كانت كذلك زيدت في آخر اسم الله تعالى لتشعر وتؤذن بأن هذا الاسم قد جمعت فيه أسماء الله تعالى كلها. فإذا قال الداعي: اللهم، فكأنه قال: يا الله الذي له الأسماء الحسنى. قال: ولاستغراقه أيضا لجميع أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته لا يجوز أن يوصف لأنها قد اجتمعت فيه، وهو حجة لما قال سيبويه في منعه وصفه»[٧].

كشفت الدراسات الفيلولوجية أيضا أن هذه الظاهرة يمكن أن تكون من بقايا العربية القديمة أو العربية الجنوبية (اللغات اليمنية القديمة)، فالميم يأتي فيها للتنكير، لكنها قد تأتي لغير التنكير في حالتين:

تلحق أسماء الأعلام، رغم أنها معرفة بحد ذاتها، وتكون الميم كالتنوين في العربية[٨]، فتقول في العربية: حمير، أسد، ود، وهي في اليمنية القديمة: حميرم (اسم قبيلة)، أسدم (اسم شخص)، ودم (اسم أحد معبوداتهم).

تأتي الميم أحيانا زائدة، فتلحق نهاية الكلمة دون أن يؤدي ذلك إلى تغير المعنى، ولعلها أداة تفيد التوكيد، مثل «م» في الأكادية، فيكون المقصود: نفسه، وحده، حقا[٩].

وبناء على ما تسمح به المقدمات السابقة؛ فإنه يمكن تخريج هذا اللفظ (اللهم) على أن الميم التي لحقته هي الميم التي تلحق الأسماء المشهورة في العربية القديمة للتعظيم. ولعل الأصل كان بميم واحدة، أي بميم مخففة، وقد ورد التخفيف في شعر العرب، يقول الأعشى[١٠] (مخلع البسيط):

بحلفة من أبي رباح

يسمعها اللهم الكبار

فالأصل هو التخفيف، بعكس ما ذهب إليه بعض النحاة[١١]، وأما التشديد فطارئ، ويمكن أن يخرج على وجهين:

الأول: أن تكون الميم الثانية ميم الجمع للتعظيم، فتجتمع فيه ميمان: الأولى الميم التي تلحق الأسماء المشهورة وأسماء الأعلام في العربية القديمة، وتكون كالتنوين، والأخرى: ميم الجمع للتعظيم. والعرب تزيد الميم في آخر الأسماء للمبالغة والتعظيم، يقول ابن جني: «اعلم أن الميم حرف مجهور يكون أصلا، وبدلا، وزائدا»[١٢]. فمما زيدت فيه الميم: شدقم؛ لأنه العظيم الشدق. وشجعم، ودردم من الأدرد، ودلقم من الدلق. وقالوا: امرأة خدلم للخدلة، وشيخ كهكم، وهو الذي يكهكه في يده[١٣].

والآخر: أن تكون الزيادة صوتية، فزادوها في «اللهم» كما زادوها في «فم»، فـ«التشديد وكيف وجه دخوله إياها؟ فالجواب أن أصل ذلك أنهم ثقلوا الميم في الوقف فقالوا فم، كما يقولون هذا خالد وهو يجعل، ثم إنهم أجروا الوصل مجرى الوقف فقالوا هذا فم ورأيت فما، كما أجروا الوصل مجرى الوقف»[١٤].

نستنتج مما سبق أن الميم في «اللهم» ليست عوضا عن يا النداء المحذوفة، ولا هي مقتطعة من جملة «أمنا بخير»، بل هي كلمة احتفظت ببعض ظواهر اللغات القديمة التي تطورت منها، أو شاركتها في الأصل نفسه.

الهوامش

١ - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى الأشموني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٣/٣١.

٢ - أسرار العربية، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص:١٧٦.

٣ - أسرار العربية، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد، كمال الدين الأنباري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص:١٧٦-١٧٧.

٤ - المرجع السابق، ص:١٧٧.

٥ - معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، ٤/٣٢٦.

٦ - العهد القديم: ترجمة بين السطور، الأبوان: بولس الفغالي، وأنطوان عوكر، الجامعة الأنطونية، بيروت، ٢٠٠٧م، سفر التكوين، الإصحاح الأول، وهناك مواضع أخرى تكرر فيها.

٧ - الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة، ابن عابدين، محمد أمين الدمشقي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص:٢٩.

٨ - اللغة اليمنية القديمة، فاروق إسماعيل، دار الكتب العلمية، تعز، اليمن، ٢٠٠٠م، ص:٨٧.

٩ - المرجع السابق، ص:١٣٧.

١٠ - ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، (د:ت)، ص:٢٨٣.

١١ - تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ٦/٢٢٥.

١٢- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢/١٠٥.

١٣- المرجع السابق، ٢/٨٩.

١٤- المرجع السابق، ٢/٩٢.



محمد ثابت توفيق
قاص وكاتب وناقد

عاش حياته تحت راية القرآن مدافعا عن لغة الضاد

الرافعي إمام الأدب وحجة العرب المظلوم حيا وميتا (٢/٢)

لم يكن الأديب الراحل مصطفى صادق الرافعي يحب أن ينتسب إلى حزب أو توجه حسب ما يرويه عنه الراحل الأديب محمد سعيد العريان رحمهما الله أحد أقرب تلاميذه في آخر مراحل حياته في كتابه: «حياة الرافعي»، لكن الأخير قبل أن يبلغ العشرين من العمر أسس جمعية تدعو للإصلاح الديني، ثم عاد فساهم في جمعية: «الثقافة الإسلامية» بطنطا عام: (١٩٣٢م)، وشاءت العناية الإلهية ألا تفلح محاولته في الجمعيتين، ولكن تبقى ذكرى اشتراكه في كل منهما شاهدة على كون الرجل الذي كان يرى أن عليه الوقوف على مسافة واحدة من الأحزاب أو التوجهات لا يخالف الأمر إلا فيما يخص الإسلام، فكان دينه محور حياته، خاصة مع تفتح وعيه على مكتبة أبيه العامرة بالكتب الإسلامية مع صمم أذنيه مما دفعه لأن يقول: «إذا أعجز الناس أن يسمعوا مني فليسمعوا عني..»، فاستمر سماع الأمة الإسلامية به طوال حياته فما عهده الناس إلا والكتاب بين يديه [١]؛ ولا يملك المنصفون في ذكرى رحيله الرابعة والثمانين إلا الإشادة بكتبه.

قبل أن يبلغ الرافعي العشرين من عمره كان قد بدأ مسيرته الإبداعية كشاعر ولم تمض سنوات حتى أصدر ديوانه الأول، وبدأ يتعرض بالنقد القاسي لبعض الشعراء من مثل أحمد شوقي، حافظ إبراهيم، وعباس محمود العقاد وغيرهم، وبلغ من الشعر مبلغا حتى أن الراحل السياسي مصطفى كامل ليقول: «.. وسيأتي يوم إذا ذكر الرافعي قال الناس: هو الحكمة العالية مصنوعة في أجمل قالب من البيان» بل قال له، آنذاك الشيخ محمد عبده: «أسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفا يمحق به الباطل، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسان (بن ثابت رضي الله عنه) في الأوائل»، وبرغم هذا تمنى الرافعي في نهاية حياته لو



اختصر ديوانه الشعري بديوان واحد مصقول يكون أغلبه مما لم ينشر من شعره.

مع لغة القرآن حتى نهاية العمر

لم يلبث الرافعي أن اتضح له دوره الحقيقي في الحياة فما قصر في القيام به على خير وجه، ولم يخف على فطنته ولا على عقله الراجح أن أداة دخول المستشرقين

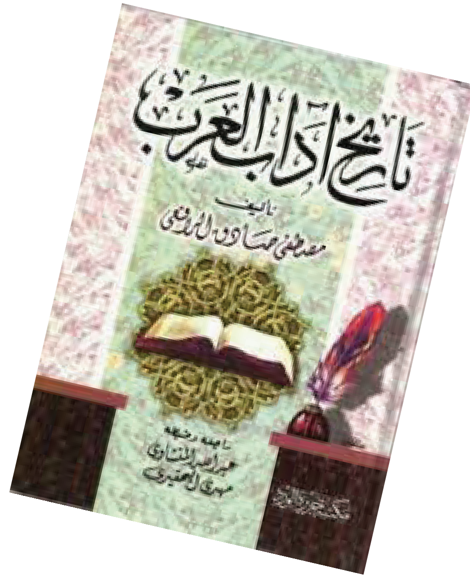
والمشككين من خصوم الأمة للقرآن الكريم هي اللغة العربية فقال: «إن في اللغة العربية سراً خالداً هو الكتاب المبين»، وأضاف: «ولولا العربية التي حفظها القرآن على الناس وردهم إليهم لما أطرد التاريخ الإسلامي، ولا تراخت به الأيام إلى ما شاء الله، ولما تماسكت أجزاء هذه الأمة».

فرد في شبابه عام: (١٩١٢م)، على دعاة تمصير اللغة وإعلاء شأن اللهجات ليفجرها معركة مع أعداء الدين واللغة وانتصر لهما معاً.

ظن البعض لما رأوا الرافعي يعدل ويتراجع عن إبداع الشعر لما شعر بأنه مكبل فيه بخاصة مع كلمات له عن الوزن والتفعيلة مندداً سرعان ما تراجع عنها، ورغم انشغاله الشديد باللغة والإسلام

إلا أنه كان يحاول التجديد في الشعر العربي بطريقة مختلفة ترى ابتداع بحر في الشعر لم يعرف من قبل، مع استمرار إبداعه الشعري وإن قل بخاصة في عامي: (١٩٢٦، ١٩٣٢م).

أما موقفه الحقيقي من الأمر فهو أنه: «لما أخرج الرافعي كتابيه إلى الناس تاريخ آداب العرب وإعجاز القرآن والسنة النبوية لم يلبث أن ارتد إليه الصدى مما يقول الناس؛ وإذا هو كاتب من الطراز الأول بين كتاب العربية، وإذا هو صاحب القلم الذي يتحدث عن إعجاز القرآن فيعجز، ويتحدث عن القرآن حديث المؤمن إلى المؤمن»، ويضيف سعيد العريان: «لقد عرف الرافعي من يومئذ أن عليه رسالة يؤديها إلى أدباء الجيل، وأن له غاية أخرى هو عليها أقدر وبها أجدر؛ فجعل الهدف الذي يسعى إليه أن يكون لهذا الدين حارسه وحاميه، يدفع عنه أسباب الزيغ والضلال والفتنة..»»، ومن دفعه تلك الأسباب عن الدين الحنيف



محاولاته تقوية اللغة العربية.

آلم خصوم الرافعي أن يحمل عليهم كلما رأى منهم ميلا للاستهانة باللغة العربية وأحيانا مذهب أدبي يدعو إليه فتكاثروا عليه في حياته مستطيعين إقصاءه عما نعموا به من طيب الحياة الدنيا... فعمدوا إلى ما يعرفونه من طبيعته حتى أقصوه، عن لقب «شاعر الملك»، ليكمل حياته مؤثرا أن تهز كلماته الدنيا من حوله فيما هو مقصى بعيدا عن الأضواء يكفيه أن يتعايش مع آلام المعذبين من البشر من حوله في الشارع

وحول بيته وفي العمل؛ ولم يقبل التفريط بقيد أنملة من أمر دينه، بل قال لما ورده أن أحد أدباء عصره يطعن في الآية الكريمة: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٩) -، ويرى المقولة العربية القديمة: «القتل أنفى للقتل»، فرد الرافعي بكتابة مقالة نشرها في مجلة البلاغ بعنوان: «كلمة مؤمنة في الرد على كافرة»، أفحم فيها الكاتب فلم يحر جوابا فيما عقب صاحب تحت راية القرآن: «ومن يرد عليه اليوم إن لم يرد الرافعي؟!».

وفاة الرافعي

كانت وفاته رحمة الله في صباح (١٠ من مايو١٩٣٧م)، ولم تكن نتيجة لأزمة قلبية كما ذكر البعض، بل إنه اشتكى فحسب من حرقة في معدته مساء اليوم السابق لوفاته ثم نام، وحين استيقظ لبعض شأنه سقط مفارقا الحياة، ليعاني مزيدا من التجاهل، فلم يتصد لمتطلبات أبناءه أحد من الأحياء، ولم ينل ما يستحقه من التقدير والعرفان نظير ما وهب لدينه ثم أمته ولغته.

أما أبناؤه حفظهم الله فصاروا من النوابغ، فهذا ابنه سامي من علماء التصنيع الزراعي المعدودين في مصر والعراق والشام، وعبد الرحمن عمل ضابطا وحارب ضد العدوان الثلاثي على مصر.

وسيبقى ذكر مصطفى صادق الرافعي بالخير ما استدارت الأرض، وتعاقب الليل والنهار، بقدر ما قدم لدينه من كلمة صافية نقية رحمه الله تعالى.







صابر علي عبدالحليم مصطفى
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

نماذج من الحياة الأسرية في بيت النبوة

خير نموذج لحياة أسرية تنعم بالأمن والاستقرار هو النموذج النبوي الشريف، فيه من الرأي والمشورة ما يجبر الخاطر، ومن العدل ما يدعو إلى المحبة، ومن الملاطفة والمداعبة ما يخفف عن النفس متاعبها، ومن التعاون في قضاء الحوائج ما يدفع إلى الفرح والسرور، ومن الشفقة والرحمة ما يرقق القلوب.

إذا ما أرادت الأسرة أن تنعم بحياة آمنة مستقرة يملأها الدفء والحنان فعليها بالنموذج النبوي الشريف.. ومن هذه النماذج في بيت النبوة:

النموذج الأول: حادثة التخيير لزوجات النبي ﷺ

الزوجة المسلمة لها أن تختار كما اختارت زوجات النبي ﷺ بين أن تبقى مع زوجها تعينه على مطالب الحياة وقوت العيال، صابرة محتسبة، على قدر سعة زوجها، راضية بما قدر لها من العيش، وبين أن ترضى بالحياة الدنيا من الآخرة، فقد خير النبي ﷺ زوجاته بين الدنيا وزينتها، وبين الله ورسوله والدار الآخرة، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ



﴿ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ٢٩﴾ (الأحزاب: ٢٨-٢٩). يقول الزمخشري في تفسيره الكشاف: «أردن شيئًا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغاير، فغم ذلك رسول الله ﷺ»[١].

وكان أول من فاتح النبي ﷺ في هذا الأمر أمنا عائشة، رضي الله عنها، إذ قال لها: «يا عائشة، إني ذاكر لك أمرا فلا عليك لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك»، ثم تلا عليها الآية الكريمة، فقالت عائشة، رضي الله عنها: «أو في هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ثم خير نسائه، فقلن مثل ما قالت عائشة»[٢]. إن الزوجة المسلمة لها أن تختار ما اختارت أمهات المؤمنين، فلها في أمهات المؤمنين الأسوة والقدوة والحسنة، أن تصبر على الحياة ومتاعبها، وأن ترضى بالحلال الطيب من العيش، وألا تحمل زوجها فوق طاقته، حتى لا توقعه في الحرج والمشقة، وأن تعين زوجها على مطالب الحياة والأسرة، راضية بما قسم الله لها؛ حتى ينعم أفراد الأسرة بحياة آمنة مستقرة.

النموذج الثاني: استشارته لنسائه

كان الرسول الكريم ﷺ يجلس مع زوجاته، ويتحدث إليهن ويستمع لرأيهن، ويتذاكر معهن بعض المسائل، وإن كان مؤيدا بالوحي إلا أنه ﷺ يريد أن يعلم أمته أمرا مهما وهو رفع مكانة المرأة؛ زوجة وأما.

ومن الأمثلة على ذلك ما كان من زوج النبي ﷺ أم سلمة، رضي الله عنها، عندما شاورها النبي في أمر أصحابه، وكان ذلك في زمن الحديبية، عندما أرادوا العمرة فأشرطت عليهم قريش، وكانت شروطهم تبدو في ظاهرها مجحفة، ومنها: لا يعتمر النبي وأصحابه هذا العام، بل في عام قابل، فاغتاظ أصحاب النبي ﷺ لمنعهم من أداء العمرة، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما، ففي الحديث: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك، اخرج، ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك؛ نحر بدنه، ودعا حالقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما[٣].

أشارت إليه أم سلمة، رضي الله عنها، بما فيه الصواب، وكان رأيها سديدا.

إن الاستشارة لها دور كبير في أمن واستقرار الحياة الأسرية، فالزوج يستشير زوجته في كثير من الأمور الحياتية، خصوصا فيما يتعلق بالأسرة ومطالبها، حينئذ تشعر الزوجة بوجودها مع زوجها كشخص له قيمته، يستشيرها في شؤون الأسرة ومطالبها، فتشعر بالأنس والسرور، كما يدفعها إلى التفاني في العمل وإخلاصها فيه، وحرصها على رضا زوجها. إن الرجل الذي يأخذ برأي زوجته إذا ما وقع خطأ يلتمس أحدهما العذر للآخر، وينظر إليه نظرة المشفق الراثي، وهذا الشعور المتبادل يؤدي بالضرورة إلى الاستقرار الأسري.

النموذج الثالث: عدل النبي ﷺ بين زوجاته في القسمة

ولنا في هذا الأمر نموذج يقتدى به في الحياة الزوجية والأسرية، فالعدل يدفع إلى الأمن والاستقرار، وإلى وجود جو من المحبة والاستقرار بين الزوجة على وجه الخصوص وزوجها، وبين الأبناء والمجتمع على وجه العموم، فقد كان النبي ﷺ أعدل الناس، وأعطف الناس، وأرحم الناس، فكان إذا خرج لسفر، أو جهاد لدفع العدو اقترع بين نسائه، قال الله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ (الأحزاب:٥١).

فقد كان ﷺ يعدل بين زوجاته في القسمة، ولا يفضل واحدة على الأخرى، لما ورد عن أمنا عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ ما من يوم إلا وهو يطوف علينا جميعا امرأة امرأة، فيدنو ويلمس من غير مسيس حتى يفضي إلى التي هو يومها فيبيت عندها»(٤)، فإذا كان للرجل أكثر من زوجة فيجب أن يتحرى العدل في معاشرتهن؛ لأن هذا من حقهن عليه، وحتى تنعم الأسرة بالأمن والاستقرار.

النموذج الرابع: تباسط النبي وملاطفته زوجاته

من واجبات الزوج تجاه زوجته أن يشبعها حنانا ومرحا، تحكي أمنا السيدة عائشة، رضي الله عنها، لحالها مع رسول الله ﷺ زوجة، فقد كانت في سفر مع النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «تقدموا. فتقدموا، ثم قال: تعالي أسابقك. فسابقته فسبقته على رجلي، فلما كان بعد خرجت أيضا في سفر فقال لأصحابه: تقدموا. ثم قال: تعالي أسابقك. ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم فقلت: وكيف أسابقك يا رسول الله، وأنا على هذه الحال؟ فقال: لتفعلن. فسابقته، فسبقني، فقال: «هذه بتلك السبقة»(٥).

إن المرأة في الإسلام حظها وفير من إكرام زوجها لها ومداعبتها ومعاشرتها بالمعروف، ففي الحديث: آخى النبي بين سلمان وأبي الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا.، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال: كل، فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. فلما كان الليل، ذهب أبو الدرداء، يقوم، فقال: نم. فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن. قال: فصليا. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان»(٦). إن التوازن بين حاجات الإنسان المادية والمعنوية أمر مهم في استقرار الحياة الأسرية وسعادتها.

النموذج الخامس: خدمته ﷺ لأهل بيته

مما يقتدى به في هذا المقام، ويكون له مردوده الطيب على الحياة الزوجية والأسرية أن الزوج لا يستنكف أن يعمل في خدمة أهله، فيعين زوجته على قضاء الحوائج المنزلية، فقد كان ﷺ هكذا، في علو منزلته ورفعة مكانته، ففي الحديث، عن عروة، عن أبيه، قال: سأل رجل عائشة: هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته شيئا؟ قالت: «نعم، كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته، كما يعمل أحدكم في

بيته»[7]، فالنبي الكريم ﷺ خير نموذج يقتدى به في التواضع وعلو الهمة في أن يعمل الرجل في خدمة أهله فيعين زوجته في قضاء مهامها المنزلية، مما يعكس جوا من المحبة والتوافق الأسري.

النموذج السادس: شفقته ﷺ على أولاده وأحفاده

يروي مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ»[8].
أجل، كان يتصرف بشفقة ورحمة، وعن عاطفة حقيقية نابعة من صميم قلبه لم يكن بوسع أحد لأن يكون مثيلا له في مجال الأسرة والعائلة.
كان ﷺ أرحم الناس وأكثرهم شفقة وحنانا. كان الحسن والحسين، رضي الله عنهما، يركبان على ظهره ﷺ ويطوف بهما.. هل يتصور الأب المسلم أن شخصا بهذا المستوى يأخذ حفيديه على ظهره، ويكون لهما فرسا أمام الآخرين؟ أما هو فكان يفعل هذا تواضعا منه ورحمة وشفقة على أولاده وأحفاده.
وفي أحد الأيام، وبينما كان الحسن والحسين على ظهر النبي ﷺ دخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: نعم الفرس تحتكما. فقال الرسول ﷺ: «نعم الفارسان هما»[9].
لقد كان رسول الله ﷺ يحب أولاد وأحفاده حبا جما، ويشعرهم بحبه وشفقته، وهذا الحب لا يمنعه أن يبين لهم الخطأ إن وقعوا فيه، فمثلا: مد الحسين رضي الله عنه وهو طفل صغير يده إلى تمر الصدقة، فأسرع رسول الله ﷺ وانتزع التمرة من فيه. ففي الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسين بن علي، رضي الله عنهما، تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: «كخ كخ»، ليطرحها، ثم قال: «أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة»[10].

ولم يكن أولاده الذكور وأحفاده هم الداخلون فقط ضمن دائرة حبه وحنانه، فقد كان يحب حفيدته أمامة بنت زينب، مثلما يحب حفيديه الحسن والحسين، رضي الله عنهما، فكثيرا ما شوهد وهو يخرج من البيت وأمامة على كتفه، وكان يحملها أحيانا على ظهره، وهو في صلاته النافلة، فإذا ركع وضعها على الأرض، وإذا قام رفعها[11].

فالأب في أسرته يجب أن يلاعب أطفاله ويداعبهم ويحنو عليهم؛ لأن المداعبة والملاعبة لهما مردودهما الطيب على حياة الأطفال، وفي مستقبلهم وتفوقهم الدراسي.

الهوامش

١ - الزمخشري، الكشاف، ج:٣، المكتبة التوفيقية، ص:٦٠٠.
٢ - البخاري، ج:٣، كتاب المظالم والغصب، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح، وغيرها، حديث رقم (٢٤٦٨)، ص:١٣٣.
٣ - أخرجه البخاري، ج:٣، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، حديث رقم (٢٧٣١)، ص:١٩٣.
٤ - أخرجه أحمد في مسنده، ج:٤١، حديث رقم (٢٤٧٦٥)، ص:٤١.
٥ - النسائي: السنن الكبرى، ج:٨، كتاب عشرة النساء، مسابقة الرجل زوجته، حديث رقم (٨٨٩٦)، ص: ١٧٨.
٦ - أخرجه البخاري، ج:٨، كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف، حديث رقم (٦١٣٩)، ص:٣٢.
٧ - أخرجه أحمد في مسنده، ج:٤٢، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق، رضي الله عنها، حديث رقم (٢٥٣٤١)، ص:٢٠٩.
٨ - أخرجه مسلم، ج:٤، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم (٢٣١٦)، ص:١٨٠٨.
٩ - الهيثمي، مجمع الزوائد، ج:٩، ص:١٨٢.
١٠ - أخرجه البخاري، ج:٢، كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ، حديث رقم (١٤٩١)، ص: ١٢٧.
١١ - الشوكاني، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ج:١، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص:٢٣٦.



د. محمد عباس محمد عرابي
باحث تربوي

تعليم مهارات التفكير للأطفال

في ظل التطورات المستمرة في هذا العصر الذي نحياه؛عصر الانفجار المعرفي والتطور التقني يحرص التربويون المربون على اتباع الاستراتيجيات الحديثة في التدريس والتعليم التي من خلالها يستنبط المتعلم المعلومة بنفسه، ويتم تدريبه على التطبيق العملي للعلم، وفي ظل هذا كان لا بد من تعليم التفكير، وتنمية مهاراته لدى المتعلمين منذ الصغر (الأطفال) كهدف استراتيجي لعملية التعلم، ومن هنا وجدنا التعليم الأخضر خارج جدران الفصل، والتعلم بالعصف الذهني والتعلم بالمرح والتعلم بالترفيه، ووجدنا اهتمام التربويين بتدريس التفكير للأطفال، وتعليمهم: كيف يتعلمون، وكيف يفكرون، وتعريفهم بالاستراتيجيات التفكيرية.

إن تعليم مهارات التفكير يعد بمثابة تزويد الأفراد بكل الأدوات التي قد يحتاجون إليها، حتى يستطيعوا التعامل بمهارة وفاعلية مع أي نوع من المعارف والمعلومات والخبرات أو المتغيرات المستقبلية في ظل التغير والتطور المستمر الذي نشهده في الوقت الراهن، وبذلك تتضح لنا أهمية تعليم مهارات التفكير كمتطلبات ضرورية وجوهرية في نجاح الأفراد والمجتمعات.

هل يمكن تعليم الأطفال مهارات التفكير؟

قد يتساءل البعض: هل يمكن تعليم الأطفال مهارات التفكير؟

نعم، فالتفكير مهارة كأي مهارة يمكن تحسينها بالتدريب والمراس والمران، إذن يمكن تعليم الأطفال مهارات التفكير؛ حيث يؤكد التربويون أنه يمكن تعليم الأطفال مهارات التفكير، بغض النظر عن مستوياتهم، بحيث تنمو هذه المهارات والعمليات بشكل متدرج في بناء شخصية



الطفل ونموه العقلي والدراسي، وتؤكد الدراسات التربوية أن تعليم الأطفال مهارات التفكير العليا من شأنه أن يعمل على رفع مستوى التحصيل الدراسي للأطفال، ويجعل من المعارف والمعلومات والمهارات وجميع الخبرات المدرسية ذات معنى بالنسبة للطفل، وتجعله يشارك في عملية التعلم بفاعلية كبيرة ومهارة وإيجابية، ويغرس في الأطفال العديد من القيم والمهارات، التي من أبرزها: اكتساب المعرفة، وتوظيف التقنية في عملية التعلم والتعاملات الحياتية، وكذلك التعود على الإبداع والتطوير، والتعود على الاستقلال في التفكير، والمبادرة بالرأي[١].

ويتطلب تعليم مهارات التفكير تعليم وتدريب الأطفال كيف ولماذا ينقلون مهارات واستراتيجيات التفكير ذات المعالم الواضحة كالتطبيق والاستقراء والاستنباط والتحليل.

فوائد تعليم الأطفال مهارات التفكير

لتعليم تعليم الأطفال مهارات التفكير العديد من الفوائد، أبرزها[٢]:

تدريب الأطفال على البحث عن مصادر المعلومات، وتوظيف المعلومات المكتسبة في علاج المشكلات بجودة عالية.

مساعدة الأطفال في اكتساب المعرفة، واستدلالها دون النظر إلى الزمان والمكان، وأنواع المعرفة التي يتم توظيف مهارات وعمليات التفكير في اكتسابها.

تدريب الأطفال منذ الصغر على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب.

ضمان تحسين مستوى تحصيل الأطفال في الدراسة، فقد توصلت نتائج الدراسات التربوية الحديثة إلى أن تعليم المناهج الدراسية مقرونا بتعليم الأطفال مهارات وعمليات التفكير، يؤدي إلى زيادة التحصيل الدراسي للأطفال مقارنة مع تعليم المناهج الدراسية فقط.

ومن أبرز البرامج التي يمكن توظيفها في تعليم الأطفال مهارات التفكير[٣]:

برامج العمليات المعرفية، وهي تهتم بالمهارات والعمليات المعرفية للتفكير مثل: المقارنة والتصنيف.

برامج العمليات فوق المعرفية، وهي تهتم وتركز على التفكير كموضوع قائم بذاته، وعلى تعليم مهارات، التفكير فوق المعرفية التي تسيطر على العمليات المعرفية (التخطيط والمراقبة والتقييم)، وهو ما يساعد الأطفال على التعلم من أقرانهم، والتفكير حول تفكيرهم.

برامج المعالجة اللغوية والرمزية: وهي تنمي مهارات التفكير للأطفال في الكتابة والتحليل والحجج المنطقية.

برامج التعلم بالاكتشاف: وهي تعلم الأطفال الاستراتيجيات لحل المشكلات في مختلف مجالات المعرفة

برامج تعليم التفكير المنهجي: وهي تدرب الأطفال على الاستكشاف والاستدلال، والعلاقات بين الأشياء.

ومن أبرز البرامج التربوية التي يمكن الاستعانة بها في تعليم مهارات التفكير للأطفال: برنامج ديبونو لتعليم التفكير (كورت)، الحل الإبداعي للمشكلات لأوسبورن، البناء العقلي لجيلفورد، برنامج الفلسفة للأطفال، برنامج فيورستين التعليمي الإغنائي، برنامج التفاعل المعرفي لويليام.

الهوامش

١- عبد الله النافع: التعليم بتنمية مهارات التفكير، الرياض، مجلة المعرفة، العدد ٨٣، صفر ١٤٢٣هـ- مايو ٢٠٠٢م، (ص/ ٢٨).

٢- للمزيد: ينظر: عثمان حمود الخضر: التفكير أساليب ومهارات، الكويت، مكتبة آفاق، ٢٠١٤ م، (ص/ ٢٣٩-٢٦٦).

فتحي جروان: تعليم التفكير (مفاهيم ومهارات)، العين -الإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي، ١٤٢٠هـ، (ص/ ١٢-٢٠).

٣- للمزيد: ينظر: فتحي جروان: تعليم التفكير (مفاهيم ومهارات)، العين - الإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي، ١٤٢٠هـ، (ص/ ٢٠-٢٢).



إحسان عبدالعزيز الدبش
باحث تربوي

ترغيب الأبناء بالتحصيل العلمي والثقافي

إن البناء الثقافي والعلمي للأبناء ذو أهمية بالغة، سواء كان في الأمور الدينية أو الدنيوية، وكلما كانت الأسر تهتم بالعلم فهذا مؤشر على رقيها، وكلما ازداد هذا الانتشار في المجتمع فهو مؤشر على نهضة المجتمع وتقدمه المستقبلي.

لذا من الأهمية استقصاء «الوسائل التي ترغب الأبناء بالتحصيل العلمي والثقافي»، وبما أن الوقت ذو أهمية بالغة في حياتنا، فسنبدأ الكلام عنه.

إن تعليم الأبناء منذ الصغر ما يتعلق بالثقافة العامة، والتي تتضمن معارف وعلوم مختلفة تخص الفرد والأسرة والمجتمع كالثقافات المتعلقة (بعلوم الإيمان والفقه والآداب والصحة العامة والاجتماع والتربية والحقوق والتاريخ وغير ذلك من العلوم...)، وبما يتناسب مستقبلا مع المرحلة العمرية التي يمر بها الأبناء، مما يتطلب تدريب الأبناء على برمجة الوقت وخاصة الطلاب لوضع برنامج يومي أو أسبوعي أو أطول مدة من ذلك، لأن البرنامج مفيد لحاضرهم ومستقبلهم، حيث إن الغالبية العظمى من الأبناء يقضون أغلب أوقاتهم فيما لا فائدة منه، دون اكتساب أية معلومات جديدة علمية وثقافية، توسع مداركهم.

هذا التحصيل العلمي والأدبي المستمر يعرفهم بما ينفعهم على المدى القريب والبعيد، ومن ثم معرفة ما يحيط بهم في هذا العالم، عبر الامتداد الزمني والمكاني في الحاضر والماضي، كما يساهم في اكتشاف إمكانياتهم وإبداعهم.

فعندما يصل الأبناء إلى مرحلة يدركون فيها معنى الوقت وأهميته، عندئذ يصبحون أقدر على استثماره بما ينفعهم بشكل صحيح.

ويمكننا مثلا لفت نظر طالب في صف متقدم من المرحلة الابتدائية بسؤاله: كيف تقضي وقتك خلال اليوم -٢٤ ساعة-؟ غالبا جوابه أنه سيدرك بعض المجالات ويغيب عن ذهنه المجالات الأخرى، هذه المجالات هي:

١- عدد ساعات النوم. ٢- مدة دوام المدرسة. ٣- كم يستغرق تناول الطعام ثلاث وجبات؟ ٤- مدة مراجعة



الـدروس وكتابة الوظائف. ٥- المدة التي تلزم للقيام بالواجبات الدينية.
٦- مدة المشاركة في الخدمات المنزلية.
٧- التزود بالمعلومات الضرورية من الثقافة العامة. ٨- وقت الترفيه عن النفس مع الأهل والزملاء.

لـذا يـلـزم تـدريب الأبـنـاء على وضع جـدول لعدد الساعات في كل مجال من المجالات بحسب المرحلة والعمر فيتعلم الأبناء منذ الصغر إدراك أهمية استثمار الوقت والحذر من إضاعته سـدى. فكم من مـلـيـارات الساعات تضيع هـدرا من قبل أبناء أمتنا. قد لا يطبق الـبـرنـامـج بـحـذافـيـره، لكن يبقى مهم لمعرفة جميع المهام اليومية، خاصة أن بعضها يكاد يكون مهمل كليا في مجتمعنا خاصة ما يتعلق بالثقافة الـعـامـة، وسـنـحـاول اسـتـقـصـاء هـذه الوسائل الهامة التي ترغب بالتحصيل العلمي.

أهمية الزاد الثقافي العام والزاد التربوي للأبوين:

إن تعزيز الجـانـب العلمي للأبوين، سـواء كـان عن طريق محاضرات، أو عن طريق القـراءة في الكتب ضرورة ملحة.

إن الـزاد التربوي ومـا ينتج عنه من أخـلاق فاضلة لـه دور أسـاسـي في الحفاظ على تماسك الأسـرة وتنمية العلوم والمعارف فيها.

وفترة الطفولة لها الـدور الأساسي في الترغيب بهذه العلوم والمعارف، خاصة وأن هناك عـوامل من خارج الأسـرة عرقلت تأثير الوالدين التربوي والقيمي، أهمها: التلفاز ومـا يبثه مـن فـوضـى إعـلامـيـة تمـس الأسـرة والقيم المتمسكة بها، وكذلك الشبكة العنكبوتية والـتـي مفتاحها الهاتف المحـمـول، فأصبح مـا فـي العالم من معلومات سهل المتناول، وتحت سمع وبصر مستخدمه من خير وشر.

لذا من الأهمية أولا: التزود بالزاد العلمي للأبوين في مختلف المجالات، وخاصة فيما يتعلق بالأحكام الشرعية الـتـي تنظم الـعـلاقـة بينهما لمعرفة الحقوق والواجبات لكل منهما، والتزود بالزاد التربوي السليم لصيانة الحياة الزوجية من التصدع، ولتعليم وتربية الأبـنـاء التربية الصحيحة من جهة ثانية، ولغرس محبة بالعلم وتحصيل فوائده، إن أقل الأسر اهتماما بالعلم الأسر المفككة وذات الترابط التربوي الـضـعـيـف، ولـيـكـون الـوالـدان قـدوة لأبنائهما في التحصيل العلمي المفيد، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طـه: ١١٤)، وقـال ﷺ: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله به طريقا من طرق الجنة»[1].

تأمين الراحة النفسية والجسمية لطالب العلم.

التحصيل العلمي يحتاج إلـى هـدوء وصـفـاء نفسي، لأن القلق والـشـرود الناجم عن أمر ما يعانيه الأبناء في فترة المرحلة الدراسية يعرقل الأداء الدراسي.

والشرود الذهني عن الانتباه للمعلم، إما بتأثير أحد زملائه المجاورين له الـذي يرغب باللعب معه، أو بتأثير مـرض ألـم بـه، أو مـرض أحـد أفـراد عائلته خاصة أمه أو أبيه، أو بتأثير التغيرات التي تطرأ على جسمه مع بـدء سـن الفتوة (المـراهـقـة)، ويـزداد الشرود إذا كانت التي تلقي الـدرس معلمة ولا تحتشم في لباسها أو كان الصف مختلطا.

وتصرف الأبناء عن مراجعة دروسهم في البيت الخلافات العنيفة بين أبيه وأمه التي تعصف بالهدوء والسكينة، والتي تضطر الأبناء إلى التوقف عن مـراجـعـة دروسـهـم، ومـن ثـم ذهابهم إلى النوم، أو خـروج الابـن من البيت ولا يعود إليه إلا متأخرا، وإن كانت طالبة تصاب بأزمة نفسية تمنعها من مراجعة دروسها بشكل مركز فتتخلف دراسيا ولو ملكت إمكانيات التفوق.

ومن المعوقات الدراسية للطالب اللعب مع إخوته بدون ضابط من الأبوين، ومنها ضيق البيت وصغره بحيث لا تتوافر فيه الراحة المناسبة خاصة إن كان عدد أفراد الأسـرة كبيرا، أو كان موقع البيت غير مناسب، كأن يكون مشرفا على شارع فيه زحمة سيارات تزعج بأصوات أبواقها، أو أصـوات البائعين المتجولين، ومنها أذى من الجيران بسبب رفع صوت المذياع أو التلفاز.

ومن العوامل التي تصرف الطالب عن

الدراسة: اللعب حتى وقت متأخر من الليل مع زملائه في الشارع مع ما في ذلك من مفسدة له.

ومن الملهيات المعاصرة للطلاب: التلفاز والهاتف الجوال والمباريات الرياضية، والتي تأخذ كثيرا من الأوقات، ومن ملهيات بعض الطالبات: الاهتمام الزائد باللباس والزينة.

فللوالدين دور تربوي أساسي في معالجة وضبط هذه الأمور ما استطاعوا لتحقيق تحصيل الزاد العلمي والثقافي لأبنائهم.

ضرورة وجود مكتبة في كل بيت:

ازدهرت المكتبات في البيوتات المسلمة على مستوى ليس فقط العلماء وطلبة العلم، وإنما في كل بيت تقريبا في حواضر العلم في العالم الإسلامي لقرون عديدة، ففي إحدى المدن كدمشق مثلا كان هناك في جدران إحدى الغرف مكان مخصص للمكتبة، يسمى (كتبية) لوضع الكتب على رفوفها، ومع انحسار انتشار العلم في بلادنا منذ أربعة قرون وإغلاق أكثر المدارس الأثرية، سحبت الكتب ووضع مكانها أوان زجاجية، وبقي اسم هذا المكان «كتبية».

ومن الجدير بالذكر أن التوعية الثقافية في تلك الأيام أن جهاز العروس كان يشتمل كتابا في الفقه هاديا للزوجين مستقبلا.

ومرة ثانية بعد عدة قرون من التراجع ومع مطلع القرن العشرين بدأت بوادر نهضة جديدة من مظاهرها انتشار المكتبات في البيوت. وفي أواخر نفس القرن تراجعت مكتبات البيوت مرة أخرى لأسباب عديدة: منها أحداث عصفت ببعض البلدان، ومنها أيضا الشبكة العنكبوتية التي سهلت وصول المعرفة للناس والتي أدت إلى إهمال الكتاب الورقي.

ومن الضروري أن تحتوي المكتبة على كتب خاصة للأطفال، بحيث تقرأ الأم لطفلها قصصا متنوعة مشوقة، كما كانت الأمهات سابقا تحكي القصص لأبنائها مشافهة، ويذكر أحد المهتمين بالتزود بالعلم أن والده كان يجبره لما كان طالبا على أن يقرأ لمدة ساعة في الثقافة العامة.

والمكتبة من الضروري أن تحتوي على ما تحتاجه الأسرة من كتب متنوعة ولكل مرحلة عمرية كتبها الخاصة بها. كما أن للنساء كتبهم الثقافية والصحية الضرورية، سواء كانت كتب الصحة الجسمية أو النفسية أو الاجتماعية لرفع مستوى الوعي الثقافي لهن للحذر ممن يمارسن الشعوذة والسحر وما شابه ذلك، والتصدي للغزو الفكري والثقافي الذي يستهدفهن بأشكال مختلفة. وتثقيفهن الثقافة المنزلية ليكن ناجحات في إدارة أسرهن.

ولبعث الحيوية في القراءة من الكتاب يجب العمل على تقليص صرف الوقت على الإعلام بكل أنواعه، والعودة إلى الكتاب الورقي أو الالكتروني، لأن الإعلام يقدم معلومات وثقافة مبعثرة، غير ذات فائدة تذكر بعكس الكتاب الذي يقدم معلومات مركزة يستفاد منها، وبالطبع الكتاب الذي ينفع القارئ في دنياه وآخرته.

ومما يرفع المستوى الثقافي للأسرة إذا جرت حوارات حول بعض ما يقرأه أفراد الأسرة تحت إشراف الأب أو الأم.

زيارة المكتبات العامة والخاصة ومعارض الكتب:

إن زيارة المكتبات ومعارض الكتاب، أشبه ما تكون برحلة في النفس والكون والآفاق من خلال الكتب، يطلع فيها القارئ على عناوين كتب عن الإنتاج الفكري للكتاب والأدباء والمخترعين... في مختلف الاختصاصات.

وللأسف نجد في العقود الأخيرة أن أسواق المكتبات شبه خالية من قاصديها للتراجع الكبير في اقتناء الكتاب الورقي، بعكس ما نراه في أسواق الألبسة والأطعمة المكتظة بالمتسوقين في المناسبات وغير المناسبات.

العقل غذاؤه العلم، والجسد غذاؤه الطعام، فكلاهما بحاجة للاهتمام، لكن أيهما أولى بالاهتمام؟، العقل من المفترض أن يقود شهوات النفس في الجسم فهو أولى بالاهتمام، العقل المغذى بالعلم السليم هو الذي يقود الجسد بشكل صحيح.

فاصطحاب الأبناء إلى المكتبات ومعارض الكتاب ذو فائدة كبيرة وصدق من قال: «إن الكتب على رفوف المكتبات ليست أوراقا مكدسة وإنما هي عقول مصفوفة بجانب بعضها».

زيارة الأماكن الأثرية المرتبطة بحضارة أمتنا:

القرآن الكريم يأمرنا بالمسير في الأرض للاطلاع على أحوال الأمم الماضية للعظة والعبرة، سواء كانت هذه الأمم مؤمنة مكن الله لها في الأرض أو كافرة عاقبها الله عز وجل، منهم لشركهم، ومنهم لظلمهم لبعضهم البعض، ولمن يسوسهم، كما حصل لأقوام الأنبياء ممن عصوا الله.

ومنذ ظهور الإسلام ظهرت معالم الحضارة الإسلامية العلمية والمادية في حواضر العلم العديدة في العالم الإسلامي، والتي منها الأندلس وبلاد الشام ومصر واليمن والعراق وبلاد فارس وخراسان والهند... حيث نجد أحيانا في بعض مدن هذه الحواضر كدمشق والقاهرة وبغداد وقرطبة والقيروان ونيسابور ومرو ومدن الهند مثل مدينة أغرا التي فيها «تاج محل»

أحد عجائب الدنيا السبع...الآثار العمرانية لتلك الدول التي قامت منذ دخل أهلها الإسلام ما زالت موجودة إلى الآن.

وتظهر هذه الآثار بفنون جميلة وهندسة معمارية بديعة. وأنواع هذه الآثار عديدة أهمها: المساجد، والمدارس، والمكتبات، والمستشفيات، والحمامات، والحدائق وقنوات لجر المياه، وأسواق تجارية، فيمكن اصطحاب الأبناء للقيام بقراءة تاريخية لتلك الآثار والعصور التي نشأت فيها وما كانت تقدمه من خدمات علمية واجتماعية وخيرية.

ويجب أن يكون في معارض الكتب جناح خاص يعرض فيه «نماذج من المخطوطات العلمية لحضارة أمتنا» الدينية والدنيوية أيضا، كمخطوطات عن القرآن الكريم والحديث النبوي وغير ذلك من الكتب الهامة، وكذلك عن الطب والرياضيات والميكانيك والفلك وكتب العلوم الأخرى، والمخطوطات أغلبها إما نهبت أو أتلفت أو بيعت بثمن بخس والقليل بقي عندنا، هذا العرض للرد على من يزعم أن العرب أمة بدو متخلفين، مستغلين الظروف الحالية التي نعيشها. حضارتنا هذه ليست فقط حضارة هداية، وإنما حضارة علم أيضا، فقد أثنى عليها المستشرقون المنصفون من أمثال: زيغرند هونكة الألمانية، والمستشرق البلغاري توفيان تيوفا نوفا، حيث قال في مقابلة أجراها معه محمود بيومي: «والحقيقة التي لا ينكرها إلا جاحد... إن الحضارة الأوربية المعاصرة قامت على ركائز الحضارة الإسلامية... فحضارة الغرب أساسها حضارة الإسلام والمسلمين»[٢].

وقد ترجم توفيان القرآن الكريم إلى اللغة البلغارية، وبعد أن فهم القرآن بشكل جيد أعلن إسلامه وأصبح من المدافعين عن الإسلام.

إن تراث حضارتنا والذي يبلغ مآت الآلاف من المخطوطات متواجد أغلبه في جامعات أوربا وأمريكا وفي أديرتهم ومراكز أبحاثهم، ففي جامعة برستون لوحدها في الولايات المتحدة تحتوي أكثر من عشرة آلالاف مخطوطة(٣).

هذه الجولة الحضارية تربط الأبناء بحضارة أمتهم، وتعزز ثقتهم بها وتحضهم على استكشاف عراقتها، ومعرفة مكانتها العالية بين الأمم، خاصة وأن أعداء أمتنا يحاولون سرقة أبناءنا ثقافيا بالترويج لحضارة الغرب وللحضارات الوثنية القديمة وطمس معالم حضارتنا لإضلال المسلمين وتقطيع أوصال أمتهم.

زيارة معارض العلوم:

معارض العلوم من الأماكن الهامة التي يجب ارتيادها باصطحاب الأبناء والطلاب، لأن هذه المعارض تعرف الزائرين لأول مرة على أشياء مجهولة لم يكونوا يعلمون عنها شيئا، أي أنها تثير انتباههم، وتبعث فيهم حب الاطلاع، خاصة إن كانت بعض هذه العلوم يدرسها الطلاب في مدارسهم، كعلم الجيولوجيا الذي يزودهم بعلوم عن طبقات الأرض، كيف تشكلت وعن فلزات الصخور والحيوانات التي انقرضت كالديناصورات. ويعرض فيها أيضا لمحات عن تطور العلوم المختلفة، من هذه العلوم: قاعة خاصة عن علم الفلك، ومشاهدة السماء وما فيها من مجرات وكواكب ونجوم. وتطور علم الفضاء، منذ اختراع الصواريخ والمركبات الفضائية والأقمار الصناعية.

الوسائل الإيضاحية:

كل مدرسة يجب أن تحتوي على مكتبة ومخبر لربط المواد العلمية بالتجارب العملية، لمساعدة الطلاب على فهم الدروس بشكل جيد، ويدفعهم لإجراء التجارب حتى بمفردهم مما يهيئ بعضهم ليكونوا باحثين ومخترعين.

وبما أن قسما كبيرا من المدارس غير مجهز بمخابر ولا تحتوي مكتبات، فعلى أولياء الأمور تأمين وسائل إيضاح لأبنائهم بما يتناسب مع إمكانياتهم المادية. على سبيل المثال: ضرورة تأمين أطلس لمادة الجغرافيا لما في ذلك من فوائد، كمعرفة على الكرة الأرضية ومكانتها في المجموعة الشمسية وعلاقة الأرض بها، وما على الأرض من بحار ومحيطات، وعلى الجغرافيا السياسية. فيعرف موقع دول العالم وحدودها، وموقع بلده من العالم والدول المجاورة له وأهم المدن... وغير ذلك من المعلومات الضرورية.

كما أن الأطلس مفيد في المعرفة التاريخية، والتغيرات التي طرأت على الدول، كما أن هناك أطالس عن مختلف العلوم.

الترغيب بالمكافآت:

تشجيع المكافآت والمسابقات، تزيد الرغبة للتزود بالعلوم والمعارف. في مختلف أنواع العلوم. كالمسابقات في حفظ القرآن وقراءة القصص الأدبية، والمسابقات الشعرية والمسابقات في الثقافة العامة.

إن التزود بالعلوم والمعارف المختلفة في الأسرة ذو أهمية بالغة لنهضتها، وذلك لهدف منشود ألا وهو تحقيق نهضة الأمة بأكملها.

الهوامش

١- سنن الترمذي، رقم: (٢٥٧٠).

٢- مجلة الوعي الإسلامي (العدد: ٤٩٢، صفر، ١٤٢٥هـ- نيسان، ٢٠٠٤م).

٣- قام بتعريبها وتحقيقها محمد عايش.



د. يحيى عثمان
مستشار بمجلس الوزراء سابقا

دور المسنين وبر الوالدين

إن بر الوالدين فرض على كل مسلم، وإن كانا كافرين ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان: ١٥)، ويقول الرسول ﷺ: (رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف، قيل: من؟ يا رسول الله، قال: من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما، أو كليهما فلم يدخل الجنة)[١].

قد يشاء الله ويتقدم العمر بالوالدين، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (النحل:٧٠).

ويصبح أمر البر عسيرا، فيحذرنا الله من قول «أف» لهما، يقول عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء:٢٣- ٢٤).

فلا خلاف على أن بر الوالدين فرض، وليس فضلا على أولادهما، أيا كانت حالة الوالدين من ضعف بدني أو عقلي، ولو كانا كافرين، وهو معلوم من الدين بالضرورة، بل إنه من خلق الفطرة السوية.

والسؤال الذي كثيرا ما يطرح، هل إيداع الوالدين كليهما أو أحدهما دار المسنين يتنافى مع البر؟ وأن ما يفعل ذلك من الأولاد عاق؟

أرى أن الإجابة ليست على الإطلاق: نعم أو لا! ودعونا نقرأ معا الرسالة التي وردت إلينا على بريد الاستشارات، ونطرح بعض الحالات التي عرضت علينا، والله ولي التوفيق: أستاذي الفاضل، أنا في كرب شديد، وأخاف أن أكون عاقا لوالدي كما يتهمني إخوتي، متزوج من زوجة فاضلة كانت حريصة منذ زواجنا على مساعدتي على بر والدي، وتسعد باستضافتهما من وقت لآخر. كان الأمر سهلا في بداية زواجنا منذ حوالي خمسة عشر عاما، حيث لم يكن لدينا أولاد، وكان والدي بكامل صحتهما. أما الآن فقد رزقنا الله بثلاثة أولاد، يحتاجون كل دقيقة من وقت أمهم، ويشعرون بضيق المكان بسبب وجود والدي. أما عن حالة والدي عافاهما الله فقد أصيب والدي بالزهيمر، أما والدتي فقد أقعدها المرض، وأثر ذلك على نفسيتها، فأصبحت تثور على كل شيء وتصرخ في الأولاد؛ ما أثر على علاقتهم بها، وعلى مستوى دراستهم وسلوكياتهم. حتى أنا أشعر أنني كثيرا ما أفشل في تعاملي معهما، أجد صعوبة في إسعادهما، فمثلا كثيرا ما تتصل والدتي علي بالدوام، وهي ثائرة، لأن حفيدها الذي يبلغ أربع سنوات يعمل ضوضاء! وعبثا أحاول أن أنهي المكالمة، وإن لم أرد أن أسمع عند عودتي محاضرة في بر الوالدين. كم أشعر أنني حقا مقصر، فوالدي الذي أخاف منه على نفسه أو على أولادي، لأنه فقد القدرة على تقييم التصرف، والأخطر أن صحته البدنية جيدة، ويتحرك دون وعي لما يقول أو يفعل، ولكنني لا أستطيع أن أمكث بجانبه للالتزامات التي علي. إن حالتهما تقتضي تناول أدوية في مواعيد محددة، وتتولى زوجتي ذلك في فترات وجودي بالعمل، ولكن حدث أن اضطرت زوجتي للخروج لأمر طارئ، وتعرضت والدتي لأزمة، وشاء الله أن أعود في اللحظات الحرجة. كنت أعمل (دوام مسائي)، ولكن لتدهور حالتهما، آثرت المكوث بالمنزل لخدمتهما وتخفيف العبء على زوجتي، مما أثر على دخلي. فاض الكيل بزوجتي وأعطتني مهلة شهر، وإلا ستترك المنزل ومعها الأولاد للمعيشة في بيت عائلتها لأتفرغ أنا لبر والدي.

عرضت الأمر على إخوتي، وخيرتهم بين توزيع استضافة والدينا بيننا، أو أن نلحقهما بإحدى دور رعاية المسنين.

● الأخ الأول مقيم بإحدى الدول الغربية أسقط ما يراه من إيداع الأولاد لوالديهم دور المسنين بالغرب، وانقطاع صلتهم بهم، وتساءل كيف يصل بي الجحود بوالدي أن اقترح إيداعهم دور المسنين؟ وأعطى محاضرة في بر الوالدين، وكيف كافح والدي حتى وصلنا لما نحن فيه من نجاح، فكيف يكون جزاؤهما التخلص منهما بإيداعهما دور المسنين؟ وعرض علي مساعدة مالية نتيجة ترك عملي المسائي لرعاية والدي.

● الأخ الثاني رغم قدرته المالية ومعيشته في فيلا كبيرة، ويتوافر بها العديد من الغرف والخدم، إلا أنه منذ زواجه وهو نادرا ما يرفع التليفون للسؤال عن والديه، ويتعلل بانشغاله، كما أنه لا يمكنه استضافتهما، لأن زوجته ترفض! وأيد بقوة فكرة دور الرعاية، وأنها الحل الوحيد للمشكلة مهما كانت التكلفة، ولكن ما آلمني تبريره بأن «ما أحد فاضي يراعي أحد»، كل منا عنده ما يكفيه من مشاغل والكد على متطلبات أسرته ورعاية الأولاد والخوف من المخاطر التي يتعرضون لها أولى. وأنهى حديثه بأن تفضل علينا بأنه مستعد أن يتحمل تكلفة دور الرعاية عن الأخ الذي لا يستطيع.

● إحدى الأخوات رغم أنها دائمة الزيارة لوالدينا والتواصل معهما وتبدي أقصى درجات البر، ولكنها اعتذرت عن عدم استضافة والديها، لأنها رفضت استضافة أم زوجها، فكيف لها أن تطلب من زوجها ذلك؟

● الأخت الصغرى تعيش مع زوجها وأولادها الأربعة في شقة من غرفتين، وعرضت استضافة والدتنا فقط، على أن نتحمل نفقة معيشتها.

أستاذي الفاضل، رغم حبي الجم وتذكر قصة كفاح والدي، والأهم هو خوفي من غضب ربي لأن أكون ابنا عاقا، إلا أنه رغم كل نبذله أنا وزوجتي حتى أولادنا في رعاية والدي، لا يمثل شيئا مما يحتاجانه من رعاية، ويشعران بتقصيرنا تجاههما! نفسيا أرفض فكرة دور الرعاية، ولكن ماذا أفعل وجزاكم الله خيرا؟.

التحليل:

● كما هو معلوم أن بر الوالدين فرض، ولكن كيفية البر تتوقف على قدرات الأولاد ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢٨٦) البقرة»،

فالمولى جل شأنه لا يكلفنا إلا بما هو وسعنا، فحج البيت الحرم يسقط على من لا يستطيع، كما أن الله الخالق القدر يعلمنا أن ندعوه بألا يحملنا فوق طاقتنا.

● إن الشيخوخة عادة ما تتسبب في تدهور الصحة النفسية والعصبية والبدنية، وأصبح التعامل مع كبار السن يتطلب متخصصين؛ لذا لم يعد أمر رعاية الوالدين المتقدمين بالسن يقتصر على مصاحبتهم لعيادة الطبيب والإشراف على تناولهم الدواء. وفي المقابل أصبحت متطلبات الحياة تفرض على رب الأسرة بذل جهود مضنية لتوفير حياة كريمة لأولاده، وقد تعمل أيضا الزوجة للمساهمة في تكاليف المعيشة، ناهيك عن تحديات تربية الأولاد، وضيق أماكن المعيشة بأفراد الأسرة فضلا عن استضافة الوالدين. أؤكد هذا ليس تبريرا للتقصير في بر الوالدين، ولكن دعوة لتغيير مفهوم حق الوالدين المطلق في البر.

● الأصل أن يتسابق الأولاد في كل أنواع البر المادي والمعنوي لوالديهم، وأن يقوموا هم بهذا البر سواء أكان استضافة أم رعاية، وإن اختلفوا في الفوز بهذا الفضل العظيم، فالتساوي في فرص البر حتى لا يحرم أحد من الأجر. أما إذا اختلفت قدراتهم فالأفضلية لمن له قدرة أكثر على البر، وعذر الله من لا يستطيع، هذا إذا لم تتطلب رعاية الوالدين عناية وخبرات خاصة.

● قد تتطلب حالة الوالدين رعاية خاصة، يصعب على الأولاد القيام بها، أو تنقصهم المعرفة والمهارات والقدرات التي تمكنهم من ذلك، مما قد يؤثر سلبا على حالة والديهم إذا قاموا هم برعايتهم، هنا يجب على الأولاد توفير هذه الرعاية عند أحد منهم، وإن تعذر فلا حرج مطلقا، بل يجب توفيرها في دور الرعاية، طبقا لقدراتهم المادية، كما أنه من البر بالوالدين ألا يشعرا بأنهما عبء على أولادهما، أو أنهما قد سببا ضيقا حتى لأحد حفدتهما.

● إن استضافة الوالدين في الرعاية، لا يعني مطلقا التخلص منهما، بل يجب كل الحرص على حسن التواصل معهما بزيارتهما، على الأقل أحد الأبناء يوميا، ناهيك عن التواصل التليفوني، والاطمئنان عليهما ومؤانستهما ومتابعة حالتهما مع الأطباء.

الحل المقترح:

● واضح من بيانات الحالة التي نحن بصددها، أن حالة الوالدين تتطلب رعاية خاصة، وهناك صعوبة في توفيرها بمنزل أحد الأولاد؛ لذا فمن البر بالوالدين توفير إقامة لهما بإحدى دور الرعاية وبما يتناسب مع قدراتهما المالية مجتمعة، وقد عرض أحد الأولاد تحمله لنصيب من لا يستطيع.

● كما سبق بيان أن استضافة دور الرعاية للوالدين ليس عبئا قد تخلصنا منه وأوكلناه إلى دور الرعاية، ولكنه بر بالوالدين إذا اقتضت حالتهما ذلك وقد عجزنا عن توفير الرعاية المتطلبة لحالتهما، لذا يجب المبالغة وأؤكد مرة ثانية المبالغة في التواصل معهما بالزيارة والتليفون، حتى نزيل ما من المؤكد أن يتطرق لذهنهما إننا قد أودعناهما دور الرعاية تخلصا من عبئهما.

● كيف يعرض قرار دار الرعاية على الوالدين؟

من الخطأ أن يقترح أحد الأولاد ذلك، ولكن يمكن الاتفاق مع الطبيب المعالج بأن يقرر هو ذلك، «إن الوالدين يحتاجان رعاية خاصة وأننا لن نستطيع توفيرها لهما»، ثم الأولاد يعارضون، فيقرر الطبيب «أنا الطبيب وأنا المسؤول عن حالتهما»، ويتركان القرار لوالديهما، ويستدرك الطبيب ناصحا للوالدين بأهمية دور الرعاية لهما.

الحاجة إلى دور رعاية المسنين:

عادة ما يحتاج المسنون إلى رعاية نفسية وبدنية تخصصية، يستحيل على الأولاد أدائها، وقد تحول قدراتهم المالية دون إلحاق والديهم بدور رعاية المسنين، لذا وجب على الدول الإسلامية أن تكرم كبار السن، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»[(٢)]، وإن من إكرام المسنين توفير دور رعاية لمن يحتاج منهم. كما أنه باب من أبواب الخير العظيمة مثل الوقف والصدقة لإنشاء هذه الدور ورعايتها، سواء بالمال أو بالوقت، كأن يتصدق الأطباء والاجتماعيون والنفسانيون وكل من يستطيع أن يقدم خدمة للمسنين الذين لا يمكن لأولادهم القيام برعايتهم.

الهوامش

(١) صحيح مسلم/ خلاصة حكم المحدث: صحيح.

(٢) حسن - رواه أبو داود، باب في تنزيل الناس منازلهم، رقم ٤٢٠٣، وابن أبي شيبة، برقم ٥/ ٢٢٤، والبيهقي، رقم ٢٥٧٣، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، ٣/ ٧٨.

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com



أ. د. محمد إبراهيم العشماوي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه في جامعة الأزهر



وصفة مجربة لضبط الوزن الزائد.. لأصحاب العزائم!

قلة الأكل وكثرة المشي..

لا ينكر عاقل أن زيادة الوزن لها مضارها الكثيرة على صحة الإنسان، ومظهره، وأمور أخرى، ولا يفتأ الأطباء يحذرون من السمنة، ويوصون بضبط الوزن!

ولي مدة وأنا أحاول إنقاص وزني، فأنجح مرة، وأفشل مرات، حتى قوى الله عزمي هذه المرة، لا سيما وقد وردت أحاديث تذم السمن للمسلمين عموما، وللعلماء خصوصا، ومنها حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين مرفوعا: «يؤتى بالرجل السمين، العظيم، يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة»، وهو ظاهر في ذم السمن، وحديث سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه في صحيح البخاري: «خير الناس قرني.. الحديث»، وفيه: «ويظهر فيهم السمن» أي: بعد القرن الثالث، وقد قرن هذه الخصلة بالخيانة وغيرها من الصفات المذمومة، فدل ذلك على أنها مذمومة، بدلالة الاقتران! وفي حديث يروى مرفوعا وموقوفا، ويحسن بمجموع طرقه: «إن الله يبغض الحبر السمين»، وقد قيل: إن المقصود به مالك بن الصيف، أحد أحبار اليهود، وكان سمينا، وهذا المعنى مما وقع في التوراة، وهو يشمل كل حبر حتى من المسلمين، والحبر هو العالم الكبير، ولا يختص باليهود، وقد لقب ابن عباس، رضي الله عنهما، بالحبر والبحر؛ لسعة علمه!

والمقصود بالسمن المذموم السمن الاختياري، الناشئ عن التوسع في الطعام والشراب والمنام، وليس السمن الخلقي!

وإنما ذم السمن الاختياري في المسلمين عموما، وفي العلماء خصوصا؛ لأنه دليل الحرص، والشره، والتوسع في ملاذ الدنيا، وهو مناف لحال العلماء في الزهد، والعبادة، والمجاهدة، ومكارم الأخلاق، كما أنه يورث بلادة الذهن، فتخمد جذوة العالم، كما قيل: «البطنة تذهب الفطنة»، وهو أيضا يدعو إلى كثرة النوم، ويورث



الكسل، وثقل الروح؛ ولهذا قال الإمام الشافعي: «ما أفلح سمين قط؛ إلا أن يكون محمد بن الحسن، وما رأيت سمينا أخف روحا منه!»، وهو صاحب الإمام أبي حنيفة، وشيخ الإمام الشافعي رضي الله عنهم جميعا!

فأما هذه الوصفة فلا تفيد إلا مع أهل العزائم، وهي في الأول متعبة، ككل أمر في بدايته شاق، ولكن عاقبتها محمودة، وخلاصتها:

١- تقليل وجبات الطعام كما وكيفا، أما كما فلا يأكل سوى مرتين، ويأكل كميات قليلة، وأما كيفا فيمتنع عن أكل السكريات، والحلويات المصنعة، والنشويات، والكربوهيدرات، والمقليات، والمسبكات، والدهون الصناعية، ويعوض ذلك بالبروتينات، والبقوليات، والدهون الطبيعية، والخضر، والفاكهة، وليحذر هذه الثلاثية «السكر، والملح، والدقيق الأبيض»، وليأكل في الإفطار - مثلا - رغيف خبز أسمر مع طبق فول صغير، أو بيضتين مسلوقتين مع جبن طبيعي، ويأكل في الغداء طبق أرز صغيرا مع قطعتي لحم أو دجاج أو سمك، ويجعل طبق السلطة الخضراء أمرا أساسيا في الوجبتين، وليحاول ألا يتعشى، فإن كان لا بد فاعلا فاليأخذ كوبا من الزبادي، أو قطعة خبز وجبنا، أو خضرا وفاكهة، ويكون قبل النوم بفترة كافية، ويمكن أن يتناول بين الوجبات كذلك بعض الخضر أو الفاكهة، وليكثر من شرب الماء والسوائل، وليتجنب شرب الشاي والقهوة، فإن أراد فليكن مرتين على الأكثر، ومن دون سكر، أو بسكر قليل جدا!

ولا مانع من أن يأكل - بين الحين والحين - بعض المحظورات من الأطعمة؛ فإن للنفس شهوة مستفزة، تعاودها مرة بعد مرة، وكرة بعد كرة، فليطفئ هذه الشهوة، حتى تقوى عزيمته على تركها!

ومما يعينه على تقليل الطعام على النحو المذكور؛ الإرشاد القرآني: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ (الأعراف:٣١)، وحديث «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات أو أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»، ثم اتفاق الفقهاء على أن الأكل إلى الشبع مكروه، وفوق الشبع حرام، واتفاق الأطباء على أن «المعدة بيت الداء، والحمية - أي تقليل الطعام - رأس الدواء»، فصار تقليل الطعام من المقررات الشرعية والطبية!

٢- ممارسة المشي الرياضي يوميا أو في أكثر الأحيان، وكلما سنحت له الفرصة أن يمشي، ولا يركب سيارة؛ فليمش، وأنا شخصيا قد حبب إلي المشي، فلا أركب إلا لضرورة، وقد رأيت زميلا لي لا يسمن أبدا مهما أكل، فسألته عن السر، فقال: كثرة المشي!

وكنت أعرف لواء في القوات المسلحة تجاوز الثمانين، وهو يتمتع بلياقة بدنية عالية، فسألته عن السبب، فقال: كثرة المشي!

وذلك لأن المشي الرياضي يحرق الدهون الزائدة في الجسم، ولذلك يشعر الشخص بعده بالجوع!

إن هذه الوصفة تجربتي الخاصة منذ فترة، وقد نقص وزني بالفعل نحو ستة كيلوغرامات، وأنا أطمع في المزيد إن شاء الله، والأمر في بدايته صعب، ويشعر الإنسان بالجوع والتعب والإرهاق؛ حتى يتعود عليه، ويجني ثماره الحلوة، في تحسين الشكل، وتحسين الصحة العامة، ومقاومة الأمراض، وربما التوقف عن تناول الأدوية، وإنما ذكرت هذا من باب الدلالة على الخير، وبالله التوفيق.

د. حسين الجرادي
دكتوراه في اللسانيات الحديثة



الإسلام والحفاظ على البيئة

خلق الله هذا الكون وسخر للإنسان السماوات والأرض والرياح والحيوانات والنباتات والأنهار والبحار، وما فيها من ثروات، ونهانا عن إفسادها.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (الأعراف:٥٦-٥٨).

وحتى نعرف نظرة الإسلام إلى البيئة لا بد أن نعرف أولا ما هي البيئة، وبعيدا عن الألفاظ المعقدة والتعبيرات الاصطلاحية؛ فإن البيئة في أبسط تعريفاتها هي المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، ويأوي إليه إذا سافر أو اغترب بعيدا عنه، وتشمل البيئة: الجامدة والحية، والبيئة الجامدة تشمل: الطبيعة التي خلقها الله، والصناعية التي صنعها الإنسان، كما تشمل البيئة الأرضية، والبيئة الفلكية أو السماوية من الشمس والقمر والنجوم.

والبيئة الحية تشمل: الإنسان والحيوانات والنبات، وهذه البيئة مسخرة للإنسان بكل ما فيها، فالأرض هيئت للإنسان لتكون مستقرا ومتاعا له، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ (فصلت:١٠)، وقال أيضا: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (الحجر:١٩-٢٠).

ولقد اهتم الإسلام اهتماما كبيرا بالبيئة وهو ما يظهر في التناسق الكوني الجميل، وما أروع ما قاله الإمام المناوي في فيض القدير في شرح حديث مانع الزكاة: «واعلم أن الوجود كله متعبد لله على أداء الزكاة. انظر إلى الأرض وهي أقرب الأشياء إليك تجدها تعطي أقرب الخلق إليها - وهم من على ظهرها - جميع بركاتها، لا تبخل عليهم بشيء مما عندها، وكذا النبات يعطي ما عنده، وكذا الحيوان والسماء والأفلاك، الكل متعاون بعضه لبعض لا يدخر شيئا مما عنده في طاعة الله لأن الوجود كله فقير بعضه إلى بعض، قد لزم الفقر وشملته الحاجة فعطف بعضه على بعض، وإعطاؤه ما عنده هو زكاته»[1].

كما أنه من هدي الإسلام الالتزام بالقوانين التي تحذر من وتعاقب على الإضرار بالبيئة، ويأتي على رأس ذلك الالتزام بأوامر وتعليمات ولي الأمر التي تسهم في الحفاظ على البيئة؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بطاعة ولي الأمر في كل ما فيه صالح العباد والبلاد قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء:٥٩)، وقال ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي»، ومن أمثلة ذلك عدم قطع الأشجار أو أسلاك الكهرباء أو التلفونات أو تلويث مياه البحار والأنهار أو تلويث التربة أو تخريب مبنى أو تخريب المنظر الجمالي للمدن أو إلقاء القاذورات في الشوارع.

كما أنه لا علاج لمشكلات البيئة والحفاظ عليها إلا بعلاج الإنسان نفسه، والإنسان لا يعالج من خارجه بل من داخله، وقد قرر القرآن الكريم ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١)، والإيمان وحده هو القادر على تغيير الإنسان من داخله تغييرا جذريا فيعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف غايته وطريقه ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ (التغابن:١١)، والإيمان هو الذي يمنح الإنسان الوازع الذاتي والضمير الحي الذي يجعل من ذاته رقيبا على ذاته ويجعله يخشى الله قبل أن يخشى الناس أو القوانين، والإيمان هو الذي يصنع الأخلاق التي ترتقي بالإنسان وتوجهه إلى الخير وإلى السلوك القويم والصحيح.

البيئة في القرآن الكريم

اهتم القرآن الكريم بالبيئة اهتماما لا مثيل له، ودعا الإنسان إلى المحافظة عليها وعمارتها واعتبرها مخلوقا مسخرا لخدمة الإنسان ومنفعته، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة:٢٩)، وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية:١٣)، وهي تشترك مع الإنسان في المخلوقية لله تعالى كما قال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ (النحل:٣-٨).

ودعا القرآن الكريم الإنسان أن ينظر إلى الكون وما فيه من بيئة باعتباره نعمة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان:٢٠).

كما فضل بعض هذه النعم على بعض: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ (إبراهيم:٣٢-٣٤).

وفي القرآن الكريم سورة تسمى سورة النحل أورد فيها الله سبحانه العديد من النعم التي أنعم بها على الإنسان في البيئة، وطالبه بالحفاظ عليها، فذكر الأنعام، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ (النحل:٥-٧).

ولفت نظر الإنسان إلى الدواب: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٨).

وبين له نعمة الماء الذي يحيا به الإنسان والحيوان والنبات: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ (النحل:١٠-١١).

وذكر الأفلاك وتسخيرها للإنسان: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ (النحل:١٢-١٣).

وعالم البحار وما فيها من نعم: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل:١٤).

وبين للإنسان أهمية الجمال في البيئة، قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل:٨٨)، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (السجدة:٧)، ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (النمل:٦٠)، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج:٥)، ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ (ق:١٠).

البيئة في السيرة النبوية

عبر النبي ﷺ عن الود بين الإنسان والبيئة في أكثر من موضع وموقف، فقال ﷺ وهو عائد إلى المدينة من غزوة تبوك وقد أشرف على المدينة ولاح له جبل أحد: «هذه طابة، وهذا أحد، جبل يحبنا ونحبه».

ودعا إلى الإحسان في التعامل مع البيئة فقال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»[٢]. وفيه دلالة إلى الإحسان إلى الإنسان والحيوان والنبات والماء والهواء... إلخ.

وكان الصحابة، رضوان الله عليهم، يتعاملون مع البيئة بهذا الود والحنين كما نرى في حنين بلال بن رباح إلى مكة وأوديتها وجبالها ونباتاتها وشوقه إليها فأنشد في ذلك يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بواد وحولي أذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة؟
وهل يبدون شامة وطفيل؟

ولقد وردت روايات تاريخية تثبت أن الخلفاء اعتنوا بالبيئة أيما اعتناء، سواء بأنفسهم أو بولاتهم وأعوانهم، فذكر لنا التاريخ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حث أحد أصحابه على غرس الشجر في أرضه وشاركه بيده في الغرس، وأوصى بالرفق بالحيوان، وأنكر على من قسا على الحيوان، وكان مما يرى أنه وهو بالحجاز مسؤول عن هلاك جدي بشط الفرات بالعراق، وكان يشجع على إحياء الموات من الأرض فكان من أقطع أرضا ولم يعمرها ولم يحيها انتزعها منه وأعطاه لغيره.

وكان عمر بن عبدالعزيز ينهى الحمالين الذين يحملون على الإبل أن يزيدوا في حمولتهم عن مقدار معين.

وتروي لنا كتب التاريخ أنه في العصور الزاهرة للإسلام كان القاضي يحكم بالتعزير على كل من أساء إلى البيئة إذا اشتكى بعض الناس إليه احتسابا أو رأى أحدهم من يؤذي الناس في طريقهم العام أو يلوث مياههم أو رأى من يهمل بهائمه وأنعامه ولا يطعمها أو يسقيها.

وقد سجل لنا التاريخ أن مؤسسة الحسبة في عهد الخلافة الإسلامية، خصوصا في عهد العباسيين، كانت تسهر على المراقبة الدائمة في مختلف المدن والأرياف الإسلامية وتراقب أحوال المصانع والمتاجر والأسواق وحظائر الحيوانات ومزارع الخضروات والفاكهة لتمنع كل ما من شأنه أن يلوث البيئة من أدخنة وعفونات وسموم وإتلاف الأشجار وإيذاء الحيوانات وذلك للحفاظ عليها من الخلل المضر بالحياة.

وتوجد في التشريع الإسلامي العديد

من النصوص لمعاقبة من يجور على البيئة ومن هذه القواعد الشرعية لا ضرر ولا ضرار... الضرار يزال... الضرر يدفع بقدر الإمكان... يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى... درء المفسدة مقدم على طلب المصلحة... ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب... ما أدى إلى الحرام فهو حرام.... إلى آخر تلك القواعد الفقهية المعروفة.

وفي العصر الأخير للدولة العثمانية نجد تشريعات مقننة للحفاظ على البيئة فورد في مجلة «الأحكام العدلية» التي قننت القانون المدني على المذهب الحنفي كثير من المواد المتعلقة بحماية البيئة في مجالات عدة منها:

١- المادة (١٢١٢) تقول: إذا أنشأ أحد كنيفا أو بالوعا قرب بئر ماء أحد، وأفسد ماء تلك البئر، فيدفع الضرر، فإذا كان غير ممكن دفع الضرر بوجه ما، فيردم الكنيف أو البالوعة[٣].

٢- المادة رقم (١٢٠٠) التي يقول نصها: «يدفع الضرر الفاحش بأي وجه كان، مثلا لو اتخذ في اتصال دار كان حداد أو طاحونا، وكان يحصل من طرق الحديد، أو دوران الطاحون، وهن لبناء تلك الدار، أو أحدث فرنا أو معصرة، بحيث لا يستطيع صاحب الدار السكنى فيه، لتأذيه من الدخان أو الر ائحة الكريهة، فهذا كله ضرر فاحش فتدفع هذه الأضرار بأي وجه كان، وكذا لو كان لرجل عرصة متصلة بدار آخر، وشق فيها قناة، وأجرى فيها الماء منها لطاحونة، فحصل وهن لحائط الدار، أو اتخذ أحد في أساس جدار جاره مزبلة وألقى القمامة عليها فأضر بالجدار، فلصاحب الجدار طلب دفع الضرر، وكذلك لو أحدث بيدرا في قرب دار آخر، وتأذى صاحب الدار من غبار البيدر بحيث أصبح لا يستطيع السكنى في الدار فيدفع ضرره، كما أنه لو أحدث أحد بناء مرتفعا قرب بيدر آخر وسد مهب الريح فيزال لأنه ضرر فاحش، وكذلك لو أحدث أحد مطبخا في سوق البزازين، وكان دخان المطبخ يصيب أقمشة جاره ويضرها فيدفع الضرر، وكذلك لو انشق بالوع دار أحد وجرى إلى دار جاره وكان في ذلك ضرر فاحش فيجب تعمير البالوع المذكور وإصلاحه بناء على دعوى الجار». وهذه مادة واضحة الدلالة على الاهتمام بالبيئة، وقد شرحها أحد شراح القانون وهو السيد علي حيدر في عشرين مسألة مهمة متفرعة عليها مسندة إلى مصادرها في الفقه الحنفي.

نماذج من الحفاظ على البيئة في التاريخ الإسلامي

نقل لنا الإمام الشيرازي في كتابه «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» نماذج عديدة للحفاظ على البيئة، منها:

الحفاظ على البيئة من الدخان:

قال الشيرازي في «نهاية الرتبة.. في الحسبة على الخبازين»: «ينبغي أن ترفع سقائف حوانيتهم، وتفتح أبوابها، ويجعل في سقوف الأفران منافس واسعة يخرج منها الدخان لئلا يتضرر بذلك الناس، وإذا فرغ الخباز من إحمائه مسح داخل التنور بخرقة نظيفة ثم شرع في الخبز».

وكان يكتب المحتسب في دفتره أسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم ويأمرهم بنظافة أوعية الماء وتغطيتها وغسل المعاجن ونظافتها وما يغطى به الخبز وما يحمل عليه، وكان يأمر العجان ألا يعجن بقدميه ولا بركبتيه ولا بمرفقيه، لأن في ذلك كله مهانة للطعام. فلا يعجن إلا وعليه ثوب من غير كم، ويكون ملثما؛ لأنه ربما عطس أو بصق وقع في الطعام منه شيء في العجين، وإذا عجن في النهار فليكن عنده إنسان يذب عنه الذباب.

وأيضا هناك أمثلة عظيمة للحفاظ على البيئة من قبل المحتسبين ذكر لنا منها الشيرازي نماذج رفيعة في الحسبة على الفرانين والرواسين (أي بائعي رؤوس المواشي)، وقلائي السمك، والطباخين، والسمانين، والحمامات، فكان يأمر المحتسب أصحاب الحمامات بغسلها وكنسها وتنظيفها بالماء الطاهر، ويدلكون البلاط بالأشياء الخشنة ويغسلون الخزانة من الأوساخ المجتمعة في مجاريها والعكر الراكد في أسفلها مرة كل شهر لأنها إذا تركت انبعثت منها رائحة كريهة، وكان يلتزم المحتسب بأن يتفقد الحمام في كل يوم مرارا.

وقد رأينا في الفقه الإسلامي أن الشيخ أبا علي الرحال المالكي المغربي يدافع عن الطيور التي يحبسها الناس ويتلهون بها وقد يغفلون عنها فتهلك وتضيع.

قضايا بيئية حث عليها الإسلام

١ - الحث على الزراعة والتشجير والحدائق:

من أساسيات المحافظة على البيئة في الإسلام العناية بالزرع وبالأشجار وغرسها في الأرض وتعهدها بالرعاية، وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى ذلك،

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام:٩٩).

كما ورد العديد من الأحاديث النبوية والتوجيهات للدعوة إلى الغرس والزرع، قال ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[٤].

وروى مسلم عن جابر: «ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزأه أحد (أي ينقص بأخذ منه) إلا كان له صدقة».

ومر رجل بأبي الدرداء وهو يغرس شجرة جوز فقال أتغرس هذه وأنت شيخ كبير وهي لا تثمر إلا في كذا وكذا عاما؟ فقال أبو الدرداء: ما علي أن يكون لي أجرها، ويأكل منها غيري.

٢ – الحث على حفظ الثروة البيئية:
دعت السنة النبوية إلى المحافظة على الموارد الطبيعية.
وهناك أمثلة كثيرة على ذلك:
النهي عن قتل العصفور عبثا:
قال ﷺ: «من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة، يقول يا رب: إن فلانا قتلني عبثا، ولم يقتلني منفعة»[٥]، وقال ﷺ: «ما من مسلم يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها إلا يسأله الله عز وجل عنها؛ قيل يا رسول الله وما حقها؟ قال: أن يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها ويرمي بها»[٦].

حفظ الحيوانات من العدوى

نهى ﷺ أن تورد الإبل المريضة على السليمة فقال: «لا يوردن ممرض على مصح»[٧]، والممرض صاحب الإبل المريضة بداء الجرب والمصح صاحب الإبل الصحيحة السليمة.

الحفاظ على النافع من الحيوانات

قال النبي ﷺ للأنصاري الذي أراد إكرامه بذبح شاه: «إياك والحلوب»[٨]، فنهاه ﷺ أن يعمد إلى شاهة حلوب تدر لبنا حلوبا فيذبحها فيخسر درها وحليبها ويخسرها مع المجتمع، إذ تغني عنها شاة أخرى غير حلوب.

المحافظة على الأجناس الحية من الانقراض

أمر ﷺ بالمحافظة على بعض الأنواع من الحيوانات أو الطيور من الانقراض فقال ﷺ: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها الأسود البهيم»[٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام:٣٨).

عناية الإسلام بالحيوان

من الدلالات على ذلك حديث ابن عمر: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا...»، ونهى ﷺ من لعن الإبل: فروى أحمد ومسلم عن عمر أنه ﷺ كان في سفر فلعنت امرأة ناقة فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة»، وروى ابن أبي برزة «لا تصحبنا ناقة عليها لعنة الله».
وأوجب الإسلام على مقتني الكلب المباح أن يطعمه ويسقيه أو يرسله ولا يحل حبس شيء من البهائم لتهلك جوعا أو عطشا لأنه تعذيب، بل إن الفقهاء ذكروا أن مما يوجب التعزير «قطع ذنب الدابة، لما فيه من إيذاء لها»[١٠].

النهي عن تدمير الثروة النباتية

خلق الله النباتات لمنفعة الإنسان، لذلك نهى الرسول عن تدميرها فقال: «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار»[١١]، وقال أبو داود بعد أن روى الحديث: «يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم، عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها، صوب الله رأسه في النار».

النهي عن تلويث الماء

نهى ﷺ عن تلويث الماء مثل التبول أو التبرز فيه فقال: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد (موارد الماء)، وقارعة الطريق، والظل»[١٢]، وقال: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم (أي الراكد) الذي لا يجري، ثم يغتسل منه»[١٣]. كما نهى ﷺ عن الإسراف في الماء فقد مر بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال له ﷺ: «لا تسرف. فقال: أو في الماء إسراف؟ قال نعم وإن كنت على نهر جار»[١٤].

النهي عن تلويث البيئة

قرر الإسلام أنه لا ضرر ولا ضرار،

لذلك دعا أن تكون المصانع والملوثات بعيدة عن المناطق السكنية.

تعمير الأرض

كان من سياسة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين إحياء الصحراء بتعميرها بالبيوت والمساكن والزرع فقال ﷺ: «من أحيا أرضا ميتة فهي له، وما أكلت العافية منها فهي له صدقة»[15]، قال أبو عبيد: العافية من السباع والطير والناس وكل شيء.

جمال الطبيعة

من روائع الإسلام أنه نبه إلى الاهتمام بالجانب الجمالي في الكون ليستمتع به الإنسان فتصفو نفسه ويستقر وجدانه الانفعالي ما يعود بالنفع على المجتمع، وقد وردت آيات كثيرة تدعونا إلى الاستمتاع بجمال الكون منها قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ (الأعراف:٣١-٣٢).

ولفت القرآن الكريم نظر الإنسان إلى عنصر الجمال والزينة عند حديثه عن الأنعام فقال تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦﴾ (النحل:٥-٦)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (النحل:٨)، وقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾ (النحل:١٤)، وعن حديث القرآن عن عنصر الجمال في الحدائق عرض خصائص الأشياء وما تقدمه من خدمة للناس فشملت الجانب النفسي والجانب الاقتصادي قال تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾(النمل:٦٠)، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ (الحج:٥)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ (ق:١٠).

التفكر في خلق السماوات والأرض

خلق الله الكون وما فيه من بيئة ليتفكر فيه الإنسان ويتأمل جمال الخلق فيؤمن ويوقن بعظمة الخالق سبحانه وتعالى ويزداد إيمانا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (آل عمران:١٩٠)، وقال أيضا: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ (يونس:١٠١)، كل تلك الآيات تدعو الإنسان إلى التأمل والتفكر في عظمة الخالق سبحانه وتعالى فيزداد إيمانه وتطمئن نفسه وتسمو روحه فيستقر وجدانيا الأمر الذي يترتب عليه تعزيز الأمن المجتمعي، لأن الإنسان عرف أن لهذا الكون خالقا عظيما قادرا بيده كل شيء فيركن إلى جنبه ويأخذ بالأسباب التي تقوده إلى سعادة الدارين.

المصادر

١- القرآن الكريم.
٢- صحيح البخاري.
٣- صحيح مسلم.
٤- نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيرازي، تحقيق: السيد الباز العريني، نشر دار الثقافة، بيروت.
٥- رعاية البيئة في شريعة الإسلام، د.يوسف القرضاوي، دار الشرق.

الهوامش

١ - فيض القدير: ٥/٥٠٥.
٢ - رواه مسلم عن شداد بن أوس.
٣ - درر الحكام نشر مجلة الأحكام لعلي حيدر، تعريب المحامي فهمي الحقبي، منشورات مكتبة النهضة، بيروت، ج٣، ص:٣٣٩-٣٤.
٤ - متفق عليه: حديث ١٠٠١، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.
٥ - رواه النسائي (٢٣٩/٧).
٦ - رواه أحمد (٦٥٥١).
٧ - متفق عليه / اللؤلؤ والمرجان (١٤٣٦).
٨ - رواه مسلم.
٩ - رواه أبو داود (٢٨٤٥).
١٠ - الفتاوى الهندية، ج٢، ص:٩١.
١١ - سنن أبي داود، ٤٠٤/٣.
١٢ - رواه أبو داود وابن ماجه والبيهقي وحسنه الألباني في الجامع الصغير ١١٢.
١٣ - رواه البخاري في الطهارة (٢٨١).
١٤ - رواه ابن ماجه عن سعد.
١٥ - رواه أحمد وأبو داود، والجامع الصغير ص٥٩٧٤-٥٩٧٦.



هشام الصباغ
باحث لغوي

صاحب «أيام الكويت»

الشيخ الأديب أحمد الشرباصي

■ مداد قلمه يستجلبه من ينابيع العاطفة والشعور، فتجد كلماته تكتسي بألوان الأزاهير، وعباراته تناجي المبادئ والأفكار، وتستثير كوامن الإحساسات النبيلة المتصلة بالعقيدة والأخلاق.

■ شعلة معرفة وهاجة، ذو حصافة نادرة وعلم واسع، له قدرة فائقة على ارتجال الأحاديث وفي مختلف الموضوعات.. متمكن من التأليف المتنوع الذي كان منه: البحوث العلمية المفيدة، المحفوظات، حديث الرحلات، مدارسة القرآن الكريم، إضافة إلى ما قدمه من أحاديث إذاعية ومقالات صحفية من يطلع عليها يعرف مدى الجهد الذي كان يبذله هذا الرجل.

■ كان، رحمه الله، ذا نفس متواضع، لا يرى لنفسه فضلا أو أثر علم: «أنا نفسي في الواقع محتاج الآن إلى من يعلمني. لقد تكلمت كثيرا، فلأسكت قليلا. نفسي حائرة في أفكارها، فلأحاول أن أجمعها. وآرائي مشتتة عن الحياة والأحياء وعن الأولى والآخرة وعن التفكير والتطبيق فدعوني، دعوني في غمرتي أيها الناس لقد سمعتم مني طويلا وما أحوجني اليوم الى أن أسمع.. يا ويلنا إن كانت بضاعتنا كلها كلاما، ويا ويل من يشغله طول الكلام عن حسن الفعال، ويا ويلنا إن لم نسر على الطريق.. إذن فقد ضاعت الأولى والآخرة وقد خسرنا العاجلة والآجلة وذلك هو الخسران المبين.. نعوذ بالله رب العالمين».

■ مواهبه تفجرت في وقت مبكر، ولفت الأنظار إليه صغيرا.. فبينما كان طالبا يافعا غضا لم يزل في مرحلة الطلب لم يحصل بعد على شهادة الثانوية، أثنى على نشاطه أئمة الفكر واللغة والبيان، وأدهش بأسلوبه كبار كتاب عصره حين قرأوا ما خطته أنامله، ما جعل الصحف والمجلات تفتح له أبوابها لينشر إنتاجه بين كبار كُتَّابها.

■ تزامن ما سبق مع إبهاره متذوقي الشعر وقارظيه حين وجدوه ملك أزمة المعاني وامتطى ظهور القوافي جنبا إلى جنب مع إمساكه بناصية الكلام وسيطرته على أسماع مريديه بحسن إلقائه للخطب وبلاغة تعبيره.. إنه الشيخ الأستاذ الأديب الشاعر أحمد الشرباصي.

النشأة والتحصيل العلمي

■ ولد الشرباصي، واسمه أحمد الشربيني جمعة الشرباصي في ١٧ نوفمبر ١٩١٨م، في «البجلات»، وهي قرية مجاورة لـ«الزرقا»، لكنها تابعة لمركز «دكرنس» بمحافظة الدقهلية بمصر.. يقول الشرباصي بنفسه عن نشأته: «كنت غلاما أحاول حفظ القرآن الكريم لأنتسب إلى أحد المعاهد الدينية التي تتبع الأزهر؛ فقد عاهد والدي ربه أن يجعلني وقفا على طلب العلم، كما كانت العادة شائعة عند أهل الريف. وبعد أن حفظت القرآن، رحلت من قريتي إلى معهد دمياط الديني، ولبست العمامة والكاكولة مع أن عمري لم يتجاوز يومئذ الثانية عشرة».

■ ترك الشرباصي ذكرى طيبة بين أساتذة معهد دمياط الديني بما ملكه من ذكاء واستعداد أدبي وهمة طموحة، وبعد أن أنهى دراسته بالمعهد التحق بمعهد الزقازيق الثانوي، وحصل على ثانويته الأزهرية عام ١٩٣٩م، ومن ثم التحق بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف، وكان في مقدمة الطلاب طوال فترة دراسته، حتى حصل على الشهادة العالية عام ١٩٤٣م، وكُرِّم مع أوائل الجامعات في حفل أقيم بقصر رأس التين بالإسكندرية، ثم نال شهادة العالمية الأزهرية وإجازة التدريس عام ١٩٤٥م.

■ بعد تخرجه اتجه إلى التدريس فترة من الزمن، ثم أسندت إليه فيما بعد وكالة رواق الأحناف بالأزهر، وخلال وكالته للرواق ارتحل إلى الكويت مبعوثا من الأزهر لعام عاد بعده لتُسند إليه أمانة لجنة الفتوى بالجامع الأزهر، ثم انتدب لتدريس الشريعة الإسلامية في معهد الخدمة الاجتماعية بالقاهرة سنة ١٩٥٨م، ثم عمل مستشارا لهيئة الرقابة على المطبوعات ومراجعة الكتب الدينية.

■ لم يمنعه عمله من تحقيق طموحه الأكاديمي ومواصلة دراسته العليا، فأكملها وحصل على شهادة الدكتوراه في الأدب والنقد عام ١٩٦٧م، عن أطروحة تحمل عنوان: «رشيد رضا صاحب المنار»، وبعد حصوله على الدكتوراه عين مدرسا بالكلية التي تخرج فيها، وهي كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف.

مؤلف في «سن غضة»

■ بدأ نشاطه العملي وهو لم يزل طالبا في المعهد الديني، فأخرج وهو في سن

صغيرة كتاب «حركة الكشف»، ولم يكن الكتاب مقالات متناثرة في موضوعات مختلفة تمتلئ بأساليب الإنشاء المحفوظة التي يكتبها غالبا الشداة والناشئون، لكنه كان هادفا تحدث فيه عن مبادئ الكشافة ونظمها وشاراتها، واتفاق كثير من مبادئها وتعاليمها مع تاريخ العرب وأحكام الإسلام.

■ استقبلت الأوساط «حركة الكشف» استقبالا حسنا، وحظي مؤلفه بكلمة من الأديب الكبير محمد سعيد العريان في مجلة «الرسالة»، ومنذ ذلك الحين فتحت الصحف والمجلات صفحاتها للأديب الواعد الطالب بمعهد الزقازيق الثانوي، مما شجعه على أن يردف كتابه بآخرين هما: «محاولة»، و«بين صديقين»، استحق عليهما ثناء النقاد على صفحات «الأهرام» و«الرسالة»، ثم أخذت مقالاته تترى على صفحات مختلف المجلات.

«الخطب الشرباصية»

■ نشاطه الخطابي بدأ منذ أن وطأت قدماه القاهرة، وظل ٨ أعوام يخطب في مسجد المنيرة بالقاهرة، إذ كان خطيبا مفوها يملك أسماع مستمعيه وأفئدتهم ويسيطر على مشاعرهم بأدائه الفذ ونبراته المؤثرة وعلمه الواسع.. ذلك النشاط الواسع دفعه للنزول إلى ميدان الإصلاح الاجتماعي: يكشف خطأ، أو يصحح مفهوما، أو يرشد حيرانا، فأصبح يومه لا يخلو من محاضرة أو درس.. وقد جمع الشرباصي بعضا من نشاطه الخطابي في كتابه «الخطب الشرباصية» في خمسة مجلدات.

الشرباصي.. والكويت

■ انتدب الشرباصي مدرسا من الأزهر للعمل في دائرة معارف الكويت لعام دراسي واحد، لكن معرفته بالكويت سبقت سفره إليها، إذ كان يزامل الأستاذ عبدالعزيز حسين، رحمه الله، في كلية اللغة العربية في الأزهر.. وحينما أصبح حسين مسؤولا عن بيت الكويت بالقاهرة، عزم على إصدار مجلة «البعثة»، فدعا الشرباصي للمشاركة فيها بالكتابة، فلبى منذ اليوم الأول لصدورها، ولم تنقطع مقالاته لأي سبب حتى آخر عدد لها (يناير ١٩٥٤م).

«أيام الكويت» أو «جراب الحاوي»

■ كان الشرباصي نشطا إلى أبعد الحدود، لا يفوّت أي فرصة للكتابة عما شاهده ورآه في أسفاره، ومن ذلك كتاباه: «أيام الكويت» و«عائد من باكستان».. والمطلع على «أيام الكويت»، الذي ألفه عقب انتهاء مهمته فيها مدرسا بالمدرسة المباركية، يستشعر مدى نشاطه وحركته.. والكتاب شبيه بما يسمى: «جراب الحاوي» ففيه كل شيء: من التاريخ إلى الحكاية إلى القصيدة إلى المعلومات العامة، كان يسير في الطريق فيلتقط ما يعن له، حتى إذا عاد إلى القاهرة نفض ما في الجراب ونسقه، وجعله في كتاب هو: «أيام الكويت».

■ يقول الشرباصي عنه: «شاء الله ألا أظهر كتابا عن الكويت، رغم صلتي الأدبية القديمة بها وبأبنائها، إلا بعد قضاء عام بين ربوعها؛ ولعل هذا من الخير، فأنباء الرواية والاستماع غير أنباء اللقاء والاجتماع».

مؤلفات

■ تعددت مؤلفات الشرباصي التي قدمها للمكتبة الإسلامية وتنوعت حتى بلغت ما يربو على ١٠٠ كتاب، منها: «موسوعة أخلاق القرآن» (سبعة أجزاء)، و«يسألونك» (سبعة أجزاء)، و«موسوعة الفداء في الإسلام» (٣ مجلدات)، و«أسماء الله الحسنى»، و«أمير البيان شكيب أرسلان حياته وأدبه» (أطروحة الماجستير - مجلدان)، و«رشيد رضا صاحب المنار» (أطروحة الدكتوراه - ٣ أجزاء).

■ كما شارك في الأدب المسرحي، وكان من أوائل من كتبوا المسرحيات الإسلامية، التي استلهمت أحداثها من وقائع التاريخ الصادقة، ملتزما الفصحى فيما يكتب، ومنها: «مؤمنة مجاهدة»، و«مولد الرسول»، و«مشرق النور»، و«الحاكم العادل».. إضافة إلى ما ينيف على المئة كتاب في الأدب والأخلاق والفقه والتاريخ.

إسهاماته مع المجلة

■ للشيخ الدكتور أحمد الشرباصي ما يزيد على الثلاثين مساهمة مع المجلة، جاءت تحت عناوين (أمثلة): «تفسير المنار بين الأستاذ وتلميذه، ع:٥١»، و«رشيد رضا وإعجاز القرآن، ع:٥٧»، و«المجاهد حامل التراب عاصم بن عمرو التميمي، ع:١٣٩»، و«له الأسماء الحسنى (الوكيل، الجبار، العزيز، الرحمن الرحيم)، ع:١٥٠ و١٧٨ و١٨٢ و١٨٧»، و«حديث القرآن عن الحج، ع:١٦٨»، و«محمد ﷺ في القرآن الكريم، ع:١٩٥»..

وفاة الشرباصي

■ اشتد عليه المرض في أيامه الأخيرة لكنه لم ينقطع عن التأليف، رغم عجزه عن إمساك القلم، لكن رغبته في ألا يدع شيئا في صدره من علم يكتمه عن الناس جعلته يملي على تلامذته بعض مؤلفاته مثل «موسوعة أسماء المصطفى»، لكن العقل المتوهج انطفأ، والقلم السيال توقف، ولقي الشيخ ربه في ١٤ أغسطس ١٩٨٠م، تاركا تراثا ثريا وذكرى عطرة.

المصادر والمراجع

- كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
- كتاب أيام الكويت.
- موقع تاريخ الكويت.
- إسلام أون لاين.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث





سلسلة الأعلام المتشابهة (٦٢)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (البكري) -القسم الأول-:

١- عبد الرحمن البكري (ت في حدود: ٣٨٠هـ):

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري، الصقلي، المالكي، صوفي. من أبرز مصنفاته: (صفة الأولياء ومراتب أحوال الأصفياء)، و(كرامات الأولياء والمطيعين من الصحابة والتابعين)[1].

٢- أبو عبيد البكري (ت: ٤٨٧هـ):

هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، مؤرخ جغرافي، علامة بالأدب، له معرفة بالنبات.

ولد في شلطيش غربي إشبيلية سنة: (٤٣٢هـ)، وانتقل إلى قرطبة.

من أبرز مصنفاته: (المسالك والممالك)، طبع جزء منه باسم: (المغرب في ذكر

إفريقية والمغرب)، و(معجم ما استعجم من البلدان والأماكن)، و(أعلام النبوة)، و(شرح أمالي القالي)، و(التنبيه على أغلاط أبي علي القالي في أماليه)، و(فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لابن سلام)، و(الإحصاء لطبقات الشعراء)، و(أعيان النبات والشجريات الأندلسية)، توفي في قرطبة[2].

٣- صدر الدين البكري (ت: ٦٥٦هـ):

هو صدر الدين، أبو علي الحسن بن محمد بن محمد القرشي، التميمي، البكري، النيسابوري ثم الدمشقي، محدث حافظ، رحال، صوفي، مؤرخ، محتسب.

ولد بدمشق سنة: (٥٧٤هـ)، وسمع بها وبمكة وبنيسابور وبأصبهان وببغداد وبالموصل وباربل وبحلب، وجمع وصنف، وشرع في (تاريخ لدمشق) ذيلا على تاريخ ابن عساكر، وعدمت المسودة، وتوفي بمصر[3].

٤- نور الدين البكري (ت: ٧٢٤هـ):

هو نور الدين أبو الحسن، علي بن يعقوب بن جبريل البكري الشافعي المصري، فقيه من أهل القاهرة.

ولد بالقاهرة سنة: (٦٧٣هـ)، كان معروفا بالجهر بالحق، فنفي من القاهرة، فخرج إلى بالصعيد الأدنى، وتوفي بها ودفن بالقاهرة.

من أبرز مصنفاته: (البيان)، و(تفسير الفاتحة)[4].

٥- جلال الدين البكري (ت: ٨٩١هـ):

هو جلال الدين أبو البقاء محمد بن عبد الرحمن بن أحمد البكري الصديقي الشافعي، فقيه مصري.

ولد ونشأ بدهروط بالصعيد سنة: (٨٠٧هـ)، وانتقل إلى القاهرة، فبرع في الأصول والحديث، وتفرد بفروع الشافعية، وزار دمشق وبيت المقدس، وحج، وولي قضاء الإسكندرية، واشتغل بالإقراء والإفتاء.

من أبرز مصنفاته: (شرح منهاج الطالبين في فروع الشافعية، و(شرح روض الطالب للمقري) في الفقه، و(شرح تنقيح اللباب وهو اختصار العراقي، وأفرد نكتا على كل من (الروضة) و(المنهاج)، وشرع في (شرح البخاري). توفي بالقاهرة[5].

٦- بدر الدين البكري (ت نحو: ٩١٣هـ):

هو بدر الدين محمد بن ابراهيم بن علي البكري الصديقي المالكي، فاضل مصري.

من مصنفاته: (التحفة الشريفة في فضل مصر ونيلها وأحسن منتزهاتها الظريفة)[6].

٧- أبو الحسن البكري (ت: ٩٥٢هـ):

هو أبو الحسن محمد أو علي بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي الشافعي، مفسر، متصوف مصري، من علماء الشافعية.

ولد بالقاهرة سنة: (٨٩٩هـ)، كان يقيم عاما بمصر، وعاما بمكة.

من أبرز مصنفاته: (تسهيل السبيل) في تفسير القرآن، ويسمى (تفسير البكري)، و(شرح العباب للمزجد)، فقه، و(شرح منهاج النووي)، و(تحفة واهب المواهب في بيان المقامات والمراتب) تصوف، و(الدرة المكللة في فتح مكة المبجلة) نظم، و(عقد الجواهر البهية في الصلاة على خير البرية)، و(إرشاد الزائرين لحبيب رب العالمين) وغيرها، توفي بالقاهرة[7].

٨- شمس الدين البكري (ت: ٩٩٤هـ):

هو شمس الدين أبو المكارم محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي، من علماء الصوفية، وحيثما أطلق في كتب التواريخ أو المناقب أو الطبقات اسم: (القطب البكري) أو (البكري الكبير) أو (سيدي محمد البكري) فهو المعنى.

ولد بمصر سنة: (٩٣٠هـ)، وأخذ عن والده والقاضي زكريا الأنصاري وغيرهما.

من أبرز مصنفاته: (شرح مختصر أبي شجاع) في فقه الشافعية، و(ديوان شعر)، و(ترجمان الأسرار وديوان الأبرار)، و(الفتح المبين بجواب بعض السائلين)، و(الجوهرة المضيئة في تجويز إضافة الإيمان الجازم إلى المشيئة)، و(معاهد الجمع في مشاهد السمع)، و(تحفة السالك لأشرف المسالك)، و(أخبار الأخيار)، و(ترتيب السور وتركيب الصور)، و(نبذة من حكمه وأقواله ورسائله وخطبه)، وهو صاحب (الحزب) المعروف بحزب البكري، توفي بالقاهرة[8].

٩- تاج العارفين البكري (ت: ١٠٠٨هـ):

هو تاج العارفين أبو الوفاء ابن محمد بن علي البكري، المصري، الشافعي، عالم مشارك في العربية والتفسير والأصول والتصوف.

ولد سنة: (٩٧٢هـ)، وله مصنف: (تفسير القرآن الكريم) في أربع مجلدات[9].

الهوامش

١- انظر: هدية العارفين (٥١٤/١) ومعجم المؤلفين (١٨١/٥).

٢- انظر: هدية العارفين (٤٥٣/١) والأعلام للزركلي (٩٨/٤) ومعجم المؤلفين (٧٥/٦).

٣- انظر: معجم المؤلفين (٢٨٩/٣).

٤- انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٤٢/٦) والأعلام للزركلي (٣٢/٥) ومعجم المؤلفين (٢٦٢/٧).

٥- انظر: الضوء اللامع (٢٨٤/٧) وهدية العارفين (٢١٤/٢) والأعلام للزركلي (١٩٤/٦) ومعجم المؤلفين (١٣٤/١٠).

٦- انظر: هدية العارفين (٢٥٦/١) والأعلام للزركلي (٣٠٢/٥) ومعجم المؤلفين (١٣٤/٣).

٧- انظر: هدية العارفين (٧٤٤/١) والأعلام للزركلي (٥٧/٧) ومعجم المؤلفين (٢٠٨/٧) (١٣٧/١٠) (٢٢٩/١١).

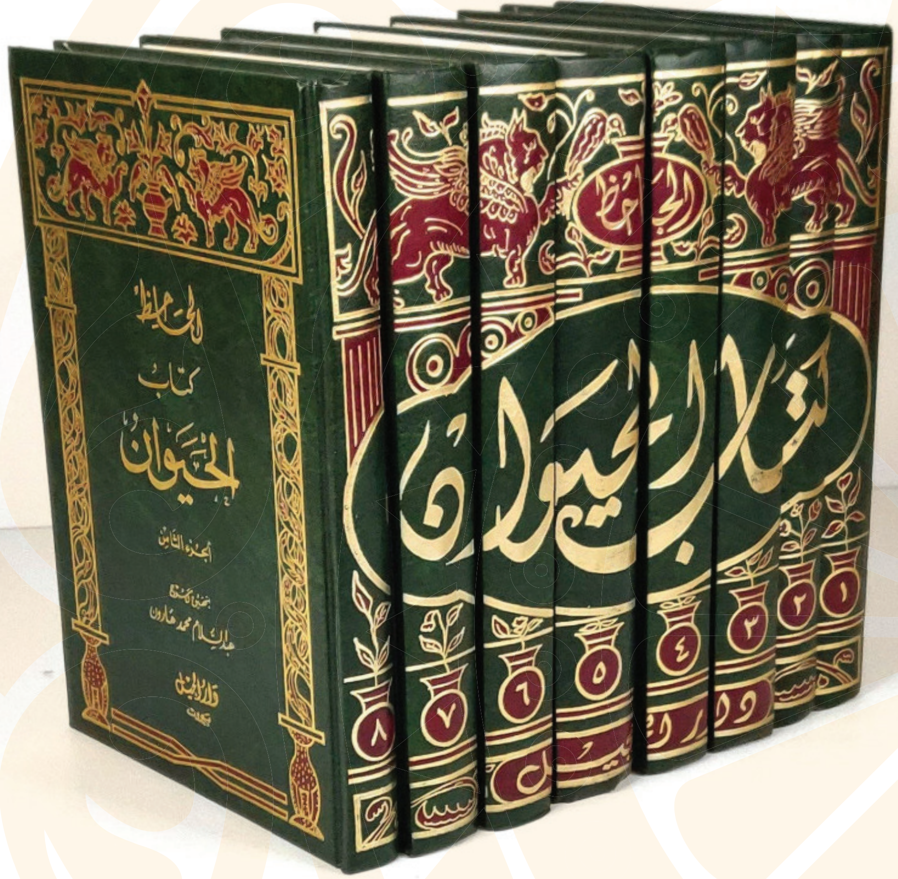
٨- انظر: الأعلام للزركلي (٦٠/٧) ومعجم المؤلفين (٢٨١/١١).

٩- انظر: خلاصة الأثر (٤٧٤/١) وهدية العارفين (٢٥٤/١) ومعجم المؤلفين (٨٨/٣).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

كتاب الحيوان



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

ويأتي كتاب: « كتاب الحيوان» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بكتاب الحيوان:

هو أول كتاب جامع وضع في العربية في علم الحيوان، ألفه الجاحظ، تحدث فيه عن العرب وأحوالهم وعاداتهم ومزاعمهم وعلومهم، وبعض مسائل الفقه والدين، وصفوة مختارة من الشعر العربي والأمثال والبيان ونقد الكلام. اهتم فيه إلى جانب اللغة والشعر بالبحث في طبائع الحيوان وغرائزه وأحواله وعاداته، وهو يعد من أضخم كتب الجاحظ إطلاقاً ودائرة معارف واسعة الأفق، ويعد الكتاب صورة بارزة لثقافة العصر العباسي المتشعبة الأطراف، حيث احتوى المعارف الطبيعية والمسائل الفقهية، وتحدث في سياسة الأقوام، كما تكلم عن المسائل الجغرافية وخصائص البلدان، وتأثير البيئة في الحيوان والإنسان والشجر، وتناول الطب وأمراض الحيوان والإنسان، إضافة إلى عدد من المفردات الطبية النباتية والحيوانية والمعدنية، وأبيات مختارة من الشعر العربي النادر، والأمثال السائرة والنوادر الطريفة.

سبب تسمية الكتاب:

سُمي الكتاب بهذا الاسم لرغبة الجاحظ في البرهان على قدرة الله النادرة، وحكمته العجيبة، عن طريق تتبع الحيوان وما فيه

من إعجاز، فلا يوجد حيوان في عصره وبيئته إلا ذكره باستثناء السمك، لأنه كان بعيدًا عن بيئته ولأن العرب لم تكن تحفل بالسمك كثيرًا.

وقد بين الجاحظ سبب إفراده الحيوان بكتاب كامل، فقال: «وكانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار، لِما ذكرت من عجبك بذلك، فأحببت أن يكون حظ هذا الكتاب في ذلك أوفر إن شاء الله».

التعريف بالجاحظ:

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني البصريّ، ولد أبو عثمان في مدينة البصرة، واختلف المؤرخون في تاريخ مولده، حيث إنه لم يعرف هو تاريخ مولده، وفي الأغلب كان مولده عام: (١٥٩هـ)، عُرف بحبه الهزل والفكاهة.

نشأ الجاحظ يتيمًا فقيرًا، كان يبيع السمك والخبز طوال النهار، وقد بدأ طلب العلم في سن مبكّرة، فحفظ القرآن وتعلم مبادئ اللغة على شيوخ بلده.

وفي عصره ازدهرت كافة العلوم العربيّة والإسلاميّة، حيث حازت اللغة العربية مكانة رفيعة، ونشطت حركات الترجمة والنقل عن الأجانب، كما انتشر في ذلك العصر الأسواق الأدبية، حيث تُقام حلقات الشعر ويُعرض فيها كلّ جديد في اللغة والأدب.

فتعلّم العربية وأتقنها على يد شيخه «أبي عبيدة» صاحب كتاب: «نقائض جرير والفرزدق»، و«لأصمعي» صاحب كتاب: «الأصمعيات»، وغيرهم من شيوخ اللغة والأدب، كما تعلّم علم الكلام على يد: «إبراهيم بن سيار بن هانئ».

وقد كان الجاحظ يميل منذ نعومة أظفاره ميلًا واضحًا إلى القراءة والمطالعة. ويُحكى أنه لم يكن يقنع أو يكتفي بقراءة الكتاب والكتابين في اليوم الواحد، بل كان يستأجر مكتبات الورّاقين ويبيت فيها للقراءة والنّظر. حتى قال فيه أبو هفّان: «لم أر قطُّ ولا سمعت من أحبّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنّه لم يقع بيده كتاب قَطُّ إلا استوفى قراءته كائناً ما كان». ووصفه ابن يزداد بقوله: «هو نسيج وَحْده في جميع العلوم؛ علم الكلام، والأخبار، والفتيا، والعربيّة، وتأويل القرآن، وأيّام العرب، مع ما فيه من الفصاحة».

مرضه ووفاته:

يعد الجاحظ من المعمرين، فقد عاش أكثر من تسعين سنة، لكنّ ألم به المرض مع كبر سنه فوصف الجاحظ مرضه بقوله: «اصطلحت على جسدي الأضداد، إن أكلت بارداً أخذ برجلي، وإن أكلت حاراً أخذ برأسي، وكان يقول أنا جانبي الأيسر مفلوج، فلو قرض بالمقاريض ما علمت به، ومن جانبي الأيمن منقرس فلو مر به الذباب لألمت».

وبقي على هذه الحال حتى وفاه الأجل عام: (٢٥٥هـ)، وقد روي عن قصة وفاته أنه مات تحت كتبه التي انهارت عليه.

مؤلفات الجاحظ:

من أهم مؤلفات الجاحظ:

كتاب: البخلاء. البرصان والعرجان والعميان والحولان. التاج في أخلاق الملوك. البيان والتبيين. الخسران المبين. مفاخرة الجواري والغلمان.

المحتوى العام لكتاب الحيوان:

قسّم الجاحظ كتابه (الحيوان) إلى سبعة فصول، حيث يتناول المناظرة بين الديك والكلب في الفصلين الأول والثاني، ويُدعم حديثه بأبيات الشعر والأحاديث والآيات القرآنية والقصص والحكايا.

ثم يستعرض في الفصلين الثالث والرابع الحمام وأنواعه وطبائعه، والذباب والغربان والجعلان والخنافس والخفافيش والنمل والقرود والخنازير والثيران.

وفي الفصلين الخامس والسادس يواصل حديثه عن الثيران، ثم يعرج إلى أجناس البهائم والطيور الأليفة، ثم يُقيم مناظرةً مسموعةً بين الإنسان والحيوان، ثم ينتقل بعدها للحديث عن الضب والهدهد والتمساح والأرنب.

وينهي حديثه في الفصل السابع بالحديث عن الزرافة والفيل وذوات الأظلاف.

نسخة مجلة الوعي:

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة من هذا الكتاب الماتع، والذي يتألف من: (٧) مجلدات، وهو في متناول قراءها الكرام المهتمين بهذا النوع الماتع من الأدب.

المصادر:

كتاب الحيوان.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

كتاب الحيوان -الجاحظ، مقال منشور على موقع: موسوعة أخضر للكتب. https://a5dr.com/wiki

إعداد/ تركي محمد النصر ❖

إياك وطول المجالسة

قال ابن شبرمة لابنه: «يا بني، إياك وطول المجالسة، فإن الأسد إنما يجترئ عليها من أدام النظر إليها».

وقال أزدشير لابنه: «يا بني لا تمكن الناس من نفسك، فإن أجرأ الناس على السباع، أكثرهم لها معاينة».

انظر: بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر (١/٤٩).

سورة يوسف

قال الإمام البغوي رحمه الله في تفسيره: «قال ابن عطاء الله رحمه الله تعالى: لا يسمع سورة يوسف عليه السلام محزون إلا استراح إليها».

انظر: تفسير البغوي (٢/٤٠٨).

قم فخذ حقك

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى: «بلغني أنه يقال للعبد يوم القيامة: قم فخذ حقك من فلان، فيقول: ما لي قبله حق، فيقال: بلى، ذكرك يوم كذا وكذا بكذا وكذا».

انظر: شعب الإيمان للبيهقي، رقم: (٦٣١٣).

عندما تطيب العزلة

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: «... فيه إباحة لزوم البادية، واكتساب الغنم، وأنه ينبغي للمرء أن يحب الغنم والبادية اقتداء بالسلف، وفرارا من شرور الناس، واعتزالا عنهم، ولكن في البعد عن الجماعة والجمعة ما فيه من البعد عن الفضائل، إلا أن الزمان إذا كثر فيه الشر، وتعذرت فيه السلامة؛ طابت العزلة».

انظر: الاستذكار (٢/٢٨).

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

ستة لا يلوموا إلا أنفسهم

قال العلامة ابن عبد البر رحمه الله: «ستة لا يلوموا إلا أنفسهم: الذاهب إلى مائدة لم يدع إليها، وطالب الفضل من اللئام، والداخل بين اثنين في حديثهما من غير أن يدخلاه فيه، والمستخف بالسلطان، والجالس مجلسا ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمع منه، ولا يصغي إليه».

انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح: (ص/٣٤٧).

كتم الحسنات

قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: «وعن أبي حازم قال: اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك».

انظر: سير أعلام النبلاء (١٠٠/٦).

أربعة لا أقدر على مكافأتهم

قال ابن عباس رضي الله عنه: «أربعة لا أقدر على مكافأتهم: رجل بدأني بالسلام، ورجل وسع لي في المجلس، ورجل اغبرت قدماه في المشي في حاجتي، فأما الرابع فما يكافئه إلا الله عز وجل. قيل: من هو؟ قال: رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر فيمن يقصده، ثم رآني أهلا لحاجته؛ فأنزلها بي».

انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٦٣/٣).

الجدل

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى: «بلغني أن الله إذا أراد بقوم شرا ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل».

انظر: تذكرة الحفاظ (٩٤٢/٣).

بيوت الله

قال العلامة أبو بكر الجراعي الحنبلي رحمه الله تعالى: «قيل: المساجد بيوت الله تضيء لأهل السماء، كما تضيء النجوم لأهل الأرض».

انظر: تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد (ص/٣٩).

من روائع الرافعي رحمه الله

قال الأديب الرافعي رحمه الله تعالى: «فنظر الإنسان إلى نقص غيره، هو أول نقصه».

انظر: وحي القلم (٢٣١/٢).



إعداد: علاء عبدالفتاح



نساء مسلمات صنعن التاريخ

فاطمة بنت محمد الفهرية القرشية القيروانية

منذ أن أطلت أنوار الإسلام عرفت البشرية طريق الخير والبر والإحسان الذي لم ينقطع بفضل أنواره الوهاجة، وقد تجلى كل ذلك فيما تركه أسلافنا في الميادين العلمية والعمرانية والحضارية، شارك فيها الرجال والنساء، لأن الإسلام ساوى في الحقوق والواجبات بينهما. ويحق للمسلمين أن يفتخروا بأن دينهم أنجب نساء صنعن التاريخ منذ أقدم العصور حينما كانت المرأة في الغرب لا تعرف القراءة والكتابة ولا أعمال البر والإحسان، وها هي المرأة المسلمة الحرة الأبية فاطمة بنت محمد الفهرية تفعل ما يعجز عنه عشرات الآلاف من الرجال في أواسط القرن الثالث الهجري، لقد بنت بمالها الحر أول وأكبر جامعة في العالم تقربا إلى الله عز وجل في مدينة فاس المغربية، كانت رحابها مجالس للعلم والتفقه في الدين، فلم تبن قصورا ولم تشتر جواهر وأثوابا فاخرة لأنها زخرف وبريق ومتاع زائل، وإن ما يبقى هو العمل الصالح الذي يجازى به الفرد عند الله خير الجزاء.

هذه هي همة المرأة المسلمة التي خلدها التاريخ، عاشت لتبني وتشيد وتنشر العلم وتزرع البسمة في أفواه الجياع والمرضى واليتامى، فلله درها يوم ولدت ويوم ماتت ويوم تبعث عند ربها راضية مرضية.

• د. محمد بن محمد الحجوي



الصدق هداية ووقاية

يعد الصدق من أجل الأخلاق وأعظمها، وأساس المكارم، ومنبع الفضائل؛ أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالصدق في جميع أحوالهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة:١١٩). ومن لطائف مفردة «صدق» في القرآن أنها وردت مضافة إلى ستة أشياء ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ (الإسراء:٨٠)، ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ (يونس:٩٣)، ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ (يونس:٢)، ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ (الشعراء:٨٤)، ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ (القمر:٥٥)؛ يظهر الترابط بينهما، كعقد ثمين منظوم الخرزات، بيان واف عن حقيقة الصدق وعما يؤول إليه حالهم من عظيم ثواب وجميل مآب، فإذا كان العبد يلزم الصدق في مدخله ومخرجه، فإن الله يسكنه في الدنيا مكانا ممتلئا بالخيرات، ويرزقه الرضا؛ فتكون الجنة في قلبه، ويكون قد قدم لنفسه أعمالا صالحة في حياته قدم صدق له، وهذا يثمر: لسان صدق، ذكرا حسنا على لسان العالمين، ثم مقعد الصدق عند مليك مقتدر في جنات النعيم.

• د. عادل محمد أبو الهيثم

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com

عطر الإحسان

كل من يستفتى في الإحسان يجيب بإتقان، فهذا الإنسان الذي شاء الله أن يكون خليفة في أرضه، عجيب أمره، يحب أن يحكم ويتهم غيره، وينسى هو عيبه.

سأبدي رأيي حول أصناف قلوب الناس؛ فهناك التي تعطرك بصفاء فعلها إذا دنوت منها، وهناك التي تلطخك بصفاقة فعلها.

لنفتتح الكلام بالتي تلطخنا وتلوثنا برائحتها الكريهة، كثير من الناس ينافق نفسه، فيدعي فعل الخير، ونيته خبيثة وله مصلحة شخصية يخفيها وراء فعله الحسن أمام الملأ. وأما مراوغته وتلاعبه بالألفاظ، فمكر كبير لتأمين ضحاياه. وهكذا لا يكشف زيف إحسانه إلا الوقت، لأنه حين يقضي وطره ويحتال على أولئك الأبرياء يهجرهم هجرا أبديا.

ومن الظواهر المنتشرة نجد قبح الكلام والألفاظ الدنيئة كذلك، جدران المدارس حيث التعلم تراها ملطخة بأقوال فاحشة وعبارات فاسقة. كم يأسف الواحد حين يسمع قولا رديئا وهو يتمشى في مكان ما، أو حين نرى وراء شاشة الهاتف اتهامات في تعليقات على صفحات التواصل الاجتماعي، بل هناك من يبالغ في الحكم على الآخرين فيعبر عن رأيه بعبارات نتنة.

أما الإحسان فهو عطر القلب السليم الفتان، فإن كان تفتح الورود ذا عطر وبهاء، فتفتح القلب بإحسانه للإنسان فيه عطر ونقاء. وسبحان الله العين تراه! ترى سخاء المحسن إذا أنفق، وترى نفاق المنافق إذا أنفق. عطر السخاء ليس كعطر أهل الأهواء، فالسخي يحسن ويعطي بقلب عطر زكي ممتلئ بمكارم الأخلاق، والمخادع ينفق إذا اقتضى الأمر ذلك كي ينهب بعد ذلك ويسرق.

من تجليات عطر الإحسان، لين الكلام، فالإنسان الحصيف، يقذف عطرا جميلا إذا تكلم، ويعطر من حوله به.. كلماته تؤنس وتخفف وتبشر بالخير.

الإنسان العطوف حقا، لا يحب أن يحمد على فعل قام به، فيزداد عطره وبخصاله الحميدة مميز لدى كل من يخالطه. إنه مفتاح للخير مغلاق للشر، يطعم ويكرم ولا يخشى الإملاق، فقلبه ممتلئ بعنبر الإيمان ومسك الإحسان، وفي كليهما راحة للأرواح.

يقودنا حديثنا عن الإحسان إلى تساؤل آخر؛ ألا يكفي أن نصف كل إنسان بالمحسن ما دام يحسن من حين لآخر، سواء كان مسلما أو من ملة أخرى؟

يجيبنا كتابنا العزيز القرآن فيبين لنا أن الله يحب المحسنين، فما هي صفاتهم؟

بالتأكيد الصفة الأولى ستكون عدم الظلم؛ ظلم النفس وظلم الناس، وأما في علاقتنا مع الله فأول خصلة وجب التحلي بها هي عبادته سبحانه بإخلاص؛ لأنه هو الذي صورنا وأخرجنا من بطون أمهاتنا، وقد أمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئا، فكيف بمن يشرك به، وكيف لمن اتخذ إلهه هواه أن يدعي الإحسان وقد ضل الطريق؟!

والإحسان إلى الوالدين، لأنهما سهرا وصبرا على رعايتنا سنين عددا، حق علينا تأديته.

وأما الإحسان إلى الخلق فيتجلى في مخالطتهم ومعاملتهم بإحسان، وكي لا نتهم بالنفاق يتوجب علينا الإنصاف في المعاملة؛ فلا نكون من أولئك الذين يهدون الأغنياء أشياء غالية وذات قيمة، ويهبون الفقراء أثاثهم القديم وغير الصالح للاستعمال.

ونجد صفات أخرى في كتاب الله، أغلب البشر لا يتحلون بها، بل السواد الأعظم من الناس ليسوا مسلمين، وكثير من المسلمين يفتقرون إلى هذه الخصال الحميدة، ويتباهون بإحسانهم الموسمي المبلل بالغرور بسبب ضباب النفاق. وإذا لم تكن فينا الصفات المذكورة في آيات كتاب الله (المحسنون حقا، المؤمنون حقا، المتقون حقا)، فلنراجع أنفسنا قبل ادعاء الإحسان. إذا توافرت فينا فنحن الأحسن بسبب إحساننا.

بسم الله الرحمان الرحيم: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ (فصلت:٣٣).

• عبدالله سلام

مسك الختام

منزلة الوطن

إن للوطن منزلة سامقة لدى النفوس الكريمة، والفطر السليمة، كما قيل قديما من علامات الرشد أن تكون النفس إلى أوطانها مشتاقة وإلى مولدها تواقة.

ومن أعجب ما ذكر في وصف النبي ﷺ ما قاله الإمام الذهبي معددا ما يحب رسول الله ﷺ: «وكان يحب عائشة، ويحب أباها، ويحب أسامة، ...، ويحب وطنه».

ويقول ابن الجوزي: وفطرة الرجل معجونة بحب الوطن، وما أروع قول ابن الرومي:

وحبب أوطان الرجال إليهم   مآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتْهم   عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

وهذه المنزلة العالية للوطن تتجاوز الحب الغريزي إلى البذل والعطاء في سبيل حفظه والذود عنه بالغالي والنفيس.

فكما أن الانتماء إلى الوطن تشريف بالانتساب إليه وحفظ الذكريات الجميلة أيام المهد والحنين لها والانشراح بتذكارها، فإنه تكليف بالإسهام الإيجابي والمشاركة الفاعلة بالقول والعمل في خدمة الوطن، والعناية بمصالحه، ورفعة شأنه ورقيه، والدفاع عنه بالمال والروح.

وتأتي المناسبة السنوية للأيام الوطنية الكويتية في شهر فبراير بمناسبتي الاستقلال والتحرير لتجدد الحديث عن أعظم شواهد هذا الحب، وهو الجود بالنفس، الذي قال فيه الشاعر: يجود بالنفس إن ضن الجواد بها والجود بالنفس أسمى غاية الجود

فتحيي ذكرى الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم فداء لتراب الوطن، فحرروا أرضهم من براثن الاحتلال الغاشم.

فيستذكر أبناء هذا الجيل ما قدمه أباؤهم وأجدادهم من تضحيات وعطاءات، لتكون نبراسا لهم في ترجمة حبهم لوطنهم والانتماء إليه.

كما أن الأيام الوطنية تعزز أواصر الأخوة والترابط بين أبناء الوطن، فإنهم شركاء في الآلام والأمال، ومساهمون في البناء والعطاء، ينتظمون في سلك منظومة مجتمعية يشعر فيها كل واحد بشعور الآخر، يعبرون عن الجسد الواحد في التراحم والتواد والتعاطف، ويتسابقون في ضرب النماذج الرائعة في تحقيق المواطنة الصالحة.

وجميل بمناسبة هذه الأيام أن نستشعر أن للوطن دين علينا، فنقدم له أعمالا جليلة، ونساهم في صلاحه وازدهاره، كما قال أمير الشعراء:

وللأوطان في دم كل حر   يد سلفتْ ودين مستحق

كما لا يفوت أن نستحضر شكر نعمة الله تعالى علينا فنزداد قربا إلى مرضاته، وبعدا عن سخطه، سائلين المولى القدير أن يتم علينا في بلدنا الحبيبة قوله تعالى: «بلدة طيبة ورب غفور».

سالم حمد القحطاني
إمام و خطيب - وزارة الأوقاف

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي



مصرف الصدقات

وقف على دعم بعض الفئات الضعيفة والمحتاجة
في المجتمع،لسد حاجتها،وحفظ كرامتها

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية جامعة

العدد (٦٨٤) شعبان ١٤٤٣هـ - مارس/ ابريل ٢٠٢٢م

مع العدد: براعم الإيمان مجانا

التَّواصُلُ الحضاريُّ سُلوكٌ إسلاميٌّ

- لماذا شعبان؟
- لا تأخذوا دينكم من غوغل
- الدكتورة بنت الشاطئ نموذج فريد


مجلة الوعى الإسلامى


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي




فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

التواصل الحضاري بين الأمم

قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ (الحجرات :١٣). وإن من مقاصد الإسلام التعامل مع الناس كافة بالتي هي أحسن وفق الضوابط التي أقرتها أحكام الشريعة الإسلامية، فركائز التعامل تكون بالفعل النبيل، والقول الجميل، والأخلاق العالية الراقية، لقوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾﴾ (فصلت : ٣٤-٣٥).

وما زال ديننا الحنيف يدعو إلى إرساء سبل التواصل مع الحضارات الأخرى وفق منهج محكم يشمل ضوابط التعامل مع غير المسلمين، فالصدق والعدل والأمانة من أخلاق الإسلام العظيمة التي ميزت الحضارة الإسلامية، فكانت هذه الصفات نورا لكل مسلم، وأساسا متبعا في التعامل بين المسلمين أنفسهم، وفي التعامل مع غير المسلمين الموادعين والمهادنين ممن لم يعتدوا على حرمات المسلمين أو يسفكوا دماءهم أو يخرجوهم من ديارهم، قال جل وعلا: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨).

وقد نهى ديننا الحنيف عن التعدي على معتقدات غير المسلمين بغير حق، حاثا على عدم إثارة الأحقاد، وتوريث الضغائن، وإحداث النزاعات بين الشعوب، وذلك في وقت أمس ما تكون فيه الحضارات إلى التواصل بشكل يضمن الخير للشعوب مع حفظ حدود الله التي حدها للبشر، وحفظ العزة والكرامة لديننا الحنيف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ (الأنعام:١٠٨)، فعلى هذا الأصل الأصيل يثمر التواصل بين الحضارات: التعاون البناء، والحوار المثمر.

لقد احترم الإسلام عادات الشعوب وتقاليدهم ما دامت لا تخالف أصول الشريعة وأركان الدين، وترجم المسلمون منذ بداية الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة مبادئ التواصل الحضاري، فكانوا منهجا يحتذى به في التواصل البناء، والتعامل بالندية مع رؤوس تلك الحضارات، وخاطب النبي صلى الله عليه وسلم قادتهم مخاطبة العظام المحترمين في قومهم، وأقرهم على تطورهم الحضاري الذي كانوا يعيشون فيه، وحث المسلمين على الإفادة من هذه الحضارة، وكان لهذا النمط من التعامل تأثيرا على تلك المجتمعات؛ فدخل الناس في دين الله أفواجا، وهكذا تابع المسلمون تواصلهم الحضاري في الاستفادة والإفادة وتشهد لهذا مختلف المحطات التاريخية التي تعد نقاط تلاق بين المسلمين وغيرهم، ولعل الحضارة الإسلامية الأندلسية في تعددها الثقافي، كانت نتيجة لنقل التراث الحضاري الإسلامي لأوروبا؛ وهذا نموذج مهم للتواصل الحضاري، ترسخت فيه الأواصر بشكل جلي وواضح بين الأفراد والجماعات بشكل جعل منه محطة تواصلية فريدة عز تكرارها عبر التاريخ.

وختاما، فإن التواصل الحضاري أصبح ضرورة واقعية ينبغي علينا كمسلمين تهيئة المناخ المناسب لتفعيل ثقافة التواصل والحوار على جميع المستويات. ومن خلال التواصل ستتمكن الأمة الإسلامية من معرفة موطئ قدمها في واقعها الحاضر واستشراف مستقبلها الآتي، وفق ما تملكه من قدرات وإمكانات حضارية، وما هذه إلا الخطوات الأولى للنهوض وسلك طريق الريادة الحضارية.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٨٤/ شعبان ١٤٤٣ هـ
العام التاسع والخمسون
مارس - أبريل ٢٠٢٢م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



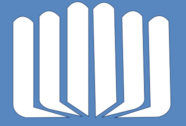
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND





كلمة العدد

التواصل الحضاري

أقام الإسلام جسور التعاون والتواصل بين الناس على أساس المبدأ العام الذي أقره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ (الحجرات:١٣)، فالتعارف بين الناس والتواصل بينهم سبيل من سبل نمو الحياة وتقدمها وتطورها، إذ لو جمد الناس على ذواتهم وانكفأ كل فريق على ما عنده لتوقفت مصالح الناس وتعطلت على مختلف الأصعدة، وتلك مفسدة كبيرة على البشر.

ورسالة الإسلام باعتبارها إصلاحا للدنيا والآخرة وإقامة للحضارة بمعناها الشامل بين الأمم لذلك كانت الدعوة إلى التعارف والتعاون والتواصل بين البشر وإقامة جسور التواصل مع الناس أجمعين جزء من دعوة الإسلام ورسالة النبي ﷺ الذي أرسله الله عزوجل رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، ولما فهم المسلمون الرحمة بمفهومها الشامل مدوا جسور التواصل الحضاري بين الثقافات والحضارات المختلفة، من خلال تقوية الروابط التي تجمع بين الشعوب، فأقاموا حضارة إسلامية ممتدة من أدنى المشرق إلى أقصى المغرب في وقت قياسي من الزمن، فوصلت رحمة الله تعالى إلى أرجاء المعمورة لأولئك الأقوام وهم في عقر دارهم، ووصلت الفنون والمعارف الإسلامية من طب وفلك وجبر وبصريات وجغرافيا وفيزياء وكيمياء والفنون العسكرية.. وغيرها إلى أرجاء العالم في وقت كان فيه الجهل يخيم على عواصم العالم وينخر في أجساد أبنائه وعقولهم.

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

• باقي دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



عبد الله العلوان
أستاذ باحث في الفكر الإسلامي - المغرب



تواضع القراءة الألسنية لسورة الفاتحة عند محمد أركون

إن نزوع محمد أركون نحو التفسير التاريخي مادة ومنهجا ما هو في الحقيقة إلا تقليد للغرب على مستوى المنهج والرؤيا، ولا يحمل أي إبداع أو تجديد حقيقي. فهو يسقط كل الفلسفات الغربية ومناهجها على النص القرآني معتبرا أن النصوص الدينية ذات طبيعة واحدة، فما فعله الغرب مع الكتاب المقدس حاول استعماله مع القرآن الكريم علما أن البون شاسع بينهما، فالأول لم يحافظ على لغته الأصلية على عكس القرآن.

ينزع أركون إلى إسقاط خصائص النص الأدبي البشر على النص الموحى به، وإلغاء كل مميزات الأخير. كما أنه طالما بشر بالفتوحات الألسنية والخير العميم الذي سنجنيه حين نطبق المنهج الألسني على القرآن الكريم. وهنا نتساءل حول مدى صلاحية هذا المنهج لدراسة القرآن. خاصة مع إقرار أركون نفسه بأن المدارس الألسنية لم تبلغ من النضج ما يؤهلها لقراءة هذا الحجم، ويقول: «ومن المعلوم أن مدارس علم الألسنيات هي الآن في طور التشكل والبلورة»[1]. ويزداد التساؤل والاستغراب حين نجده يقول: «نحن واعون في الواقع بالنواقض أو نقاط الضعف التي تعتري القراءة الألسنية وبخاصة عندما تطبق على ما يدعى الكتابات المقدسة»[2].

إن هذا يعني أن النتائج محكوم عليها بالنقصان والضعف سلفا. وهذا يبرز جليا حين رجوعنا لقراءته لسورة الفاتحة التي قسمها إلى سبعة مستويات:

المستوى الأول: حيث يميز بين عملية النطق والمنطوقة[3]، وهذا وإن كان مسلما به فإن مع ذلك يجعله فتحا من فتوح الألسنيات!.

مستوى صائغات الخطاب: حيث تحدث عن المعرفات والمحددات فلم يستطع الإتيان بجديد يذكر. بل إنه لم يجد بدا من الاعتراف بفطنة ونبوغ من يسميهم بالمفسرين الكلاسيكيين، يقول: «ينبغي أن نسجل هنا قائلين إن فطنة المفسرين الكلاسيكيين كانت قد لمحت وأدركت الأهمية المعنوية لهذا الاستخدام»[٤].

كما لم يجد بدا من الاستشهاد بأقوالهم حيث ساق نصا طويلا اقتطفه من تفسير الرازي، ما يجعل القراءة الألسنية تقتات من مائدة المفسرين الكلاسيكيين، بل وتفتقر إليها!

المستوى الثالث: خصصه للضمائر وحاول تحليلها، والجديد هنا هو تسميته للآيتين الأخيرتين بالمتضادة الثنائية، وتسميته الله عز وجل في الآية قبل الأخيرة بالفاعل النحوي المصرح به، وفي الآية الأخيرة بالفاعل غير المصرح به[٥].

لكن أركون لم يذكر شيئا عن الحكمة من كون الفاعل معلوما هنا ومجهولا هناك! بالمقابل نجد من يصفهم بالكلاسيكيين تبحروا في التفصيل في الإشارات اللطيفة في مثل هذه الصيغ، وبالتالي فما أتى به أركون لا يرتقي بحال إلى ما توصل إليه هؤلاء.

المستوى الرابع: مستوى الأفعال، ولم يخرج كلام أركون هنا كذلك عما قاله غيره مما هو مبثوث في كتب التفاسير. فمثلا نجده يقول عن فعل الأمر «اهدنا الصراط المستقيم»: «لا يمكن أن يشتمل فعلا عن قيمة الأمر، بل العكس، فإنه يوضح الاسترحام الموجود ضمنيا في نعبد ونستعين»[٦].

وهكذا نلاحظ أن أركون لم يستطع الإتيان بجديد على مستوى المضمون، فأي فتح ألسني هذا الذي يتحدث عليه؟!

المستوى الخامس: مستوى الأسماء.

ويعتبر أركون أن دراسة الحقل المعنوي لكلمات (الله -حمد -صراط -يوم -رب) ينبغي أن يجري على مرحلتين، في الأولى يتم ربطها بالبنى الأصلية للمعجم العربي، وفي الثانية يتم تقييم التحولات المعنوية التي طرأت عليها داخل النظام اللفظي أو المعجمي المستخدم من اللغة القرآنية[٧].

ونلاحظ هنا أن أركون يسلم باستقلالية لغة القرآن عن لغة العرب على مستوى الدلالة لمصطلحاته مما يضرب القول بتاريخيته في الصميم!

كما أن أركون يسلم بإمكانية الوصول إلى المعاني الدقيقة لمصطلحات القرآن. وهذا دليل قوي على تجاوزه لتاريخية اللغة، وبالتالي فإن الجزم بتاريخيته ما هو إلا وهم من أوهام الحداثة.

وفيما يخص كلمتي (ضالين - مالك) فقد اكتفى أركون بإشارات ثلاث منها قوله: «كلمة مالك تعبر عن الإرادة المؤثرة لفاعل يعتمد عليه استحقاق يوم الحساب والقرارات التي ستتخذ في ذلك اليوم»[٨].

ولعل هذه الإشارة ونظيراتها دلالة واضحة على ضخامة المقدمات المقترنة بهزالة النتائج المحصلة.

المستوى السادس: حيث عمل أركون على تقسيم السورة إلى أربع وحدات، بالإضافة إلى أن هذا التقسيم ليست له أي أهمية تذكر، فإن أركون ارتكب خطأ حين اعتبر البسملة آية من سورة الفاتحة على خلاف ما هو مقرر عند جمهور العلماء، بل إنه أسس على هذا الخطأ المثال الوحيد الذي حاول به تبيين أهمية تقطيعه هذا.

المستوى الأخير: مستوى النظم والإيقاع، وفيه يظهر ضيق قراءة أركون وانسداد أفقها، حيث لم يستطع تجاوز سبعة أسطر لما انتقل إلى متن الموضوع بعد أن قدم له بثمانية أسطر، فتحدث عن القافية «إين» و«إيم» وتعاقبهما، ثم شرع في تعداد حروف الفاتحة!!

وهكذا تنتهي قراءته الألسنية، فلا خيرا عميما أتى به، ولا نتائج بمستوى الهالة التي أعطاها إياها، فكل ما استطاعه تكرار بعض ما توصل إليه الأوائل، على أن هؤلاء كانوا يعدون ما اعتبره أركون فتحا ألسنيا وسائل لا نتائج، بواسطتها اقتحموا مجالات أعمق، فجاءوا بمجموعة من الحكم والإشارات واللطائف تظل القراءات الألسنية بعيدة عنها مسافات كبيرة!

وفي الأخير لا بد من توضيح أن رفض قراءة أركون الحداثية وغيره من الحداثيين ليس مرجعها رفض الاجتهادات الحديثة ورفض كل جديد، أو لأنه توسل بمناهج جديدة، بل لأن هذه القراءات تقوم على الآنية الزمنية، كما تقوم على إسقاطات معرفية ومنهجية وأخطاء أخرى عديدة مما يجعلها تبتعد عن العالمية والموضوعية، وإلا فإنه يمكن أن نجد اجتهادات تفسيرية جديدة تتجاوز القديمة مع التزامها بالمنهج العلمي المسطر، فتطور المناهج والعلوم هو بالتأكيد شيء إيجابي يسعفنا في استنباط أحكام وحكم ولطائف جديدة من القرآن الكريم باعتباره معينا لا ينضب. ولا شك أنه مهما بلغ اجتهاد المفسرين الأوائل فإن من يأتون بعدهم يستطيعون الإتيان بالجديد.

الهوامش

١- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني. (ص١٢١).
٢- نفسه (ص١١٢).
٣- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني. (ص ١٢٥).
٤- نفسه (ص ١٢٦ - ١٢٧).
٥- نفسه (ص ١٢٦ إلى ١٢٩).
٦- نفسه (ص ١٣١).
٧- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني (ص١٣١).
٨- نفسه (ص١٣٢).

الحسين عبد اللطيف خضر
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف



إشكاليات حول بعض معاني أحاديث الصيام والجواب عنها

الصيام ركن من أركان الإسلام، وله فضائل كثيرة، وقد ورد في فضله وعظم مكانته أحاديث عديدة، وفي بعض منها معان تحتاج إلى توضيح وبيان، ورفع ما يتوهم فيها من إشكال أو لبس، أشير إلى أبرزها كما يلي:

الإشكال الأول:

معنى تصفيد الشياطين؟ وكيف نزيل التعارض بين تصفيد الشياطين والواقع المشاهد من وجود الذنوب والمعاصي من البشر؟

١- الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»[١]. وفي رواية أخرى: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين»[٢].

٢-معنى تصفيد الشياطين:

معنى قوله: (سلسلت الشياطين): أي: قيدت بالسلاسل والأغلال، شدت بالسلاسل، وقريب منه معنى (صفدت الشياطين): أي: شدت وأوثقت بالسلاسل، والصفد الوثاق، والصفد ما يوثق به الأسير من قيد وغل والأصفاد القيود[٣].

قال العلماء في بيان معنى التصفيد:

أ-يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته، وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمته ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين.

ب- ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو، وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين.

ويؤيد هذا الاحتمال الثاني قوله في رواية يونس عن بن شهاب عند مسلم: «إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»[٤].

جـ- ويحتمل أن يكون تصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات[٥].

٣- وجه الإشكال، والجواب عنه:

وإذا كان هذا معنى التصفيد، فكيف نرى الشرور والمعاصي في هذا الشهر موجودة، فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟

وأجاب العلماء عن ذلك من وجوه:

منها: أن تصفيد الشياطين يعني: عدم تسلطها على من يصومون صوما صحيحا كاملا روعيت فيه كل الآداب التي منها: عفة اللسان، والنظر والجوارح كلها عن المعصية، استجابة للحديث الذى رواه البخاري: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[٦].

ومنها: أن المقصود تصفيد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم، كما جاء في بعض الروايات، منها ما جاء عن أبي هريرة بلفظ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن»[٧]، أما غيرهم فلا يقيدون ولذلك تقع من الناس بعض المعاصي.

ومنها: أنه قد يكون المقصود تقليل الشرور فيه، فيعصم الله فيه المسلمين أو أكثرهم في الأغلب من المعاصي، ولا يخلص إليهم فيه الشياطين كما كانوا يخلصون إليهم في سائر السنة، لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع الشياطين، وبقراءة القرآن، والذكر. وهذا أمر محسوس فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره.

ومنها: أنه لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية؛ لأن لذلك أسبابا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية[٨]. بمعنى أن المعاصي التي تكون بسبب الشياطين تمنع، ولكن تقع المعاصي التي يكون سببها النفوس الخبيثة الأمارة بالسوء أو العادات القبيحة أو شياطين الإنس.

وكله هذه الوجوه محتملة، والحق أن الصيام الذي التزم فيه المسلم بآدابه وواجباته يكون ببعيد عن وساوس الشياطين، وكلما كانت المحافظة على قواعد الصيام وأصوله والباطنة متواجدة كان تأثير الشياطين ضعيفا أو غير ذي تأثير، والعكس بالعكس.

الإشكال الثاني:

كيف يكون رائحة الصائم أطيب من ريح المسك والواقع غير ذلك؟

أ- الحديث:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[٩].

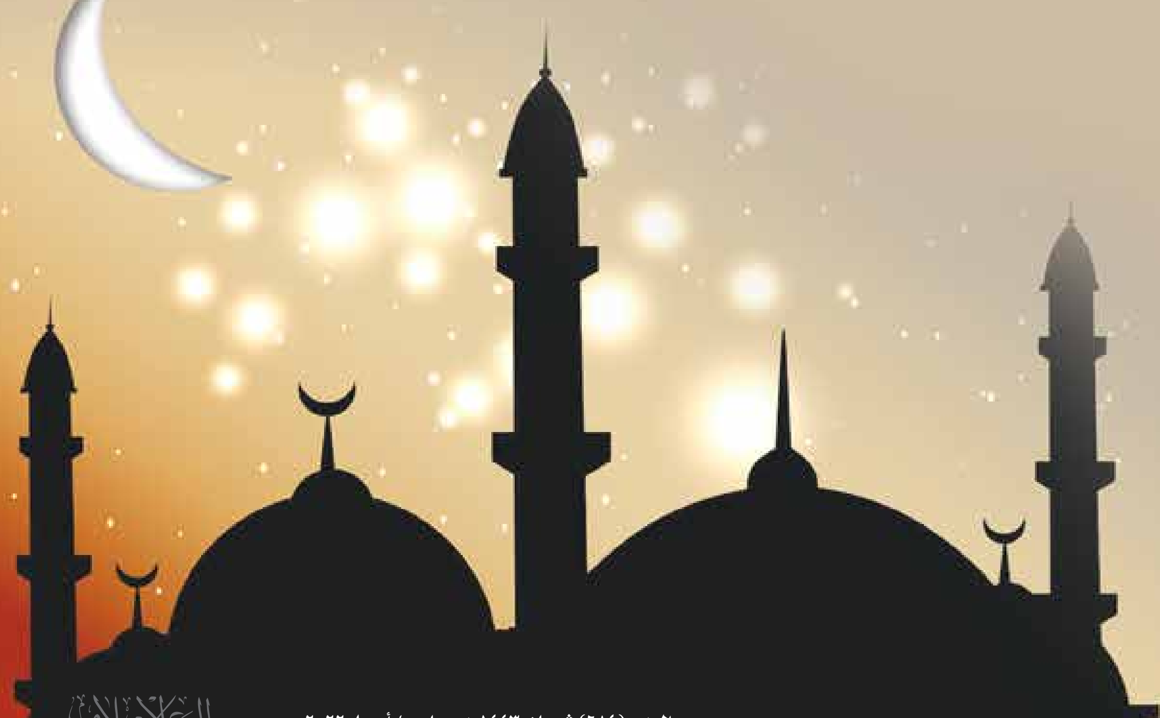
ب - معنى الخلوف:

الخلوف: بضم الخاء المعجمة هو المشهور، وجوز بعضهم فتحها، أي: تغير رائحته. فمعنى الخلوف: تغير رائحة الفم نتيجة الآثار التي تخلفها المعدة وتتصاعد منها الأبخرة عند خلو الطعام[١٠].

ج- وجه الإشكال والجواب عنه:

اختلف في كون الخلوف أطيب عند الله من ريح المسك، مع أنه سبحانه





وتعالى منزه عن استطابة الروائح، إذ ذاك من صفات الحيوان، ومع أنه يعلم الشيء على ما هو عليه على أوجه:

الوجه الأول: قال المازري: هذا مجاز واستعارة؛ لأن استطابة بعض الروائح من صفات الحيوان الذي له طبائع تميل إلى شيء فتستطيبه وتنفر من شيء فتستقذره، والله تعالى متقدس عن ذلك، لكن جرت عادتنا بتقريب الروائح الطيبة منا، فاستعير ذلك في الصوم لتقريبه من الله تعالى. والمعنى أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم، أي: يقرب إليه أكثر من تقريب المسك إليكم.

الوجه الثاني: أن الله تعالى يجزيه في الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك كما يأتي المكلوم وريح جرحه تفوح مسكا.

الوجه الثالث: أن المعنى أن صاحب الخلوف ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك عندنا، لا سيما بالإضافة إلى الخلوف وهما ضدان حكاه القاضي عياض أيضا.

الوجه الرابع: أن حكم الخلوف والمسك عند الله على ضد ما هو عندكم وهو قريب من الأول.

الوجه الخامس: المعنى أن الخلوف أكثر ثوابا من المسك المندوب إليه في الجمع ومجالس الذكر.

ورجح النووي هذا الأخير، وحاصله حمل معنى الطيب على القبول والرضا.

الوجه السادس: أن ذلك في حق الملائكة وإنهم يستطيبون ريح الخلوف أكثر مما تستطيبون ريح المسك [١١].

وفي المجمل قوله: إن الخلوف أطيب عند الله من ريح المسك، فيه أمر بالاستكثار من الصيام، وترغيب فيه، ولذلك خص بخلوف فم الصائم دون خلوف فم غيره، كما أن في مدح الخلوف نهيا للناس عن تقذر مكالمة الصائمين بسبب الخلوف، وقال البغوي: معناه الثناء على الصائم والرضا بفعله [١٢].

الإشكال الثالث:

ما معنى المفاعلة؟

١- الحديث:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين» [١٣].

ب- وجه الإشكال والجواب عنه:

استشكل ظاهر الحديث بأن المفاعلة - في قوله: (قاتله أو شاتمه)- تقتضي وقوع الفعل من الجانبين، والصائم لا تصدر منه الأفعال التي رتب عليها الجواب، -وهو قوله: (إني صائم مرتين)- خصوصا المقاتلة.

الجواب عن ذلك من وجوه:

منها: أن المراد بالمفاعلة التهيؤ لها، أي: إن تهيأ أحد لمقاتلته أو أراد أحد مشاتمته، فليقل إني صائم، فإنه إذا قال ذلك أمكن أن يكف عنه، فإن أصر دفعه بالأخف فالأخف، كالصائل [١٤]، هذا فيمن يروم مقاتلته حقيقة [١٥].

ومنها: أن معنى قاتله: دافعه ونازعه، ويكون بمعنى شاتمه ولاعنه، وقد جاء القتل بمعنى اللعن.

ومنها: أن لفظ المفاعلة، وإن كانت أظهر في فعل الاثنين، إلا أنها قد تستعمل في فعل الواحد فيقال سافر الرجل وعالج الطبيب المريض.

ومنها: أن يريد أنه إن وجدت المشاتمة والمقاتلة منهما جميعا، فليذكر نفسه الصائم بصومه ولا يستديم المشاتمة والمقاتلة [١٦].

ولعل المعنى المراد: هو إن أصر أحد على منازعته بالسباب أو ما أشبهه فليدفع عن نفسه مشاركته في ذلك، بقوله إني صائم، ثم الأخف فالأخف. فالمراد من الحديث أنه لا يعامله بمثل عمله بل يقتصر على قوله إني صائم.

فالقول الأول أظهر، ويدل على أنه لم يرد حقيقة المفاعلة قوله في الرواية الأخرى: «شتمه»، وقوله في رواية الترمذي: «وإن جهل على أحدكم جاهل» [١٧].

واختلف في المراد بقوله فليقل إني صائم هل يخاطب بها الذي يكلمه بذلك أو يقولها في نفسه؟

على قولين: أحدهما: وبه جزم المتولي ونقله الرافعي عن الأئمة: أنه يقوله في قلبه لا بلسانه، بل يحدث نفسه بذلك، ويذكرها أنه صائم لا يليق به الجهل والمشاتمة لينزجر بذلك.

الثاني: أنه يقول بلسانه، ويسمعه صاحبه ليزجره عن نفسه، ورجحه النووي في الأذكار وغيرها فقال إنه أظهر الوجهين.

وقال في شرح المهذب التأويلان حسنان والقول باللسان أقوى ولو جمعهما كان حسنا. وأما تكرير قوله إني صائم فليتأكد الانزجار منه أو ممن يخاطبه بذلك [١٨].

الأشكال الرابع:

ما سر إضافة الصيام لله؟

أ- الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به»[19].

ب- وجه الإشكال والجواب عنه:

اختلف العلماء في سر إضافة الصيام لله مع كون جميع الطاعات لله تعالى؟، وأجيب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: سر الإضافة أن الصوم بعيد من الرياء لخفائه، بخلاف الصلاة والحج والغزو والصدقة وغيرها من العبادات الظاهرة.

قال القرطبي: لما كانت الأعمال يدخلها الرياء، والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه الله إلى نفسه، ولهذا قال في الحديث: «يدع شهوته وطعامه من أجلي» [20].

الوجه الثاني: قيل: لأنه ليس للصائم ونفسه فيه حظ، قاله الخطابي. ويؤيد ذلك قوله في رواية أبي صالح عن أبي هريرة «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»[21].

الوجه الثالث: قيل معناه: أنا المنفرد بعلم مقدار ثوابه أو تضعيف حسناته، وغيره من العبادات أظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها. قال القرطبي معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير.

ويشهد لهذا السياق رواية الموطأ: «فالصيام لي، وأنا أجزي به، كل حسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف، إلا الصيام، فهو لي وأنا أجزي به»[22]. أي: أجازي عليه جزاء كثيرا من غير تعيين لمقداره، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾(الزمر:١٠). والصابرون الصائمون في أكثر الأقوال.

الوجه الرابع: معنى قوله: (الصوم لي) أي: أنه أحب العبادات إلي والمقدم عندي. قال ابن عبد البر: كفى بقوله: (الصوم لي) فضلا للصيام على سائر العبادات. عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك بالصوم، فإنه لا مثل له»[23].

الوجه الخامس: قيل: الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب جل جلاله، فلما تقرب الصائم إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه. وقال القرطبي معناه: أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام فإنه مناسب لصفة من صفات الحق،كأنه يقول: إن الصائم يتقرب إلي بأمر هو متعلق بصفة من صفاتي.

الوجه السادس: قيل هي إضافة تشريف وتكريم، كما يقال بيت الله وناقة الله ومسجد الله وجميع المخلوقات لله.

الوجه السابع: قيل سبب إضافته إلى الله تعالى أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى به، فلم يعظم الكفار في عصر من الأعصار معبودا لهم بالصيام، وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة، والسجود، والصدقة، والذكر وغير ذلك.

وفي الإجمال في الإضافة: بيان لعظم فضله وكثرة ثوابه؛ لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء[24].

الهوامش

١- البخاري، (٣/٢٥، رقم: ١٨٩٩).
٢- الترمذي، (٣/٥٩، رقم: ٦٨٢).
٣- ينظر: فتح الباري، لابن حجر: (٤/١١٤).
٤- مسلم، (٢/٧٥٨، رقم: ١٠٧٩).
٥- ينظر: فتح الباري، لابن حجر: (٤/١١٤)، وما بعدها.
٦- مسلم، (٢/٨٠٧، رقم: ١١٥١).
٧- صحيح ابن خزيمة، (٣/٩٠٧، رقم: ١٨٨٢).
٨- ينظر: فتح الباري، لابن حجر: (٤/١١٤).
٩- البخاري، (٧/١٦٤، رقم: ٥٩٢٧).
١٠- ينظر: شرح السنة للبغوي، (٦/٢٢٢).
١١- ينظر: فتح الباري، لابن حجر، (٤/ ١٠٦)، النووي على مسلم، (٨/٣٠).
١٢- ينظر: المنتقى شرح الموطأ، (٣/٧٤)، طرح التثريب، (٤/ ١٠٠).
١٣- البخاري، (٣/٣٤، رقم: ١٨٩٤)، مسلم، (رقم: ١١٥١).
١٤- الصيال الاستطالة والوثوب على الغير بغير حق، ينظر في دفع الصائل وأحكامه: الموسوعة الفقهية الكويتية، (٢٨/١٠٦).
١٥- ينظر: فتح الباري، (٤/١٠٥).
١٦- ينظر: المنتقى شرح الموطأ، (٣/٧٤).
١٧- ينظر: طرح التثريب، (٤/ ٩٣).
١٨- فتح الباري، (٤/١٠٥). طرح التثريب، (٤/٩٣).
١٩- البخاري، رقم: (١٩٠٤). مسلم، رقم: (١١٥١).
٢٠- مسلم، (٢/٨٠٧، رقم: ١١٥١).
٢١- البخاري، رقم: (١٩٠٤). مسلم، رقم: (١١٥١).
٢٢- الموطأ، (٣/٤٤٥، رقم: ١١٠٠).
٢٣- النسائي، (٤/١٦٥، رقم: ٢٢٢٠)، مسند أحمد، (٤/ ٥٥٤، رقم: ٢٢٢٢١).
٢٤- النووي، (٨/٢٩)، فتح الباري، (٤/١٠٨).



إعداد:
محمد العودة

عودة سموه متزامنة مع الاحتفال بالأيام الوطنية

أطل الأمير فاكتملت الفرحة

مع عودة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد إلى أرض الوطن، بعد قضاء إجازة خاصة خارج البلاد، تكتمل الفرحة بأيام الكويت الوطنية، فأمير العفو أدخل الفرحة إلى القلوب وما زال يدخلها سائرا على نهج الحكام المحفورة ذكراهم في القلوب جزاهم الله خيرا على حسن صنيعهم أجمعين.

كان في مقدمة مستقبلي سمو الأمير على أرض المطار، سمو ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد، وسمو الشيخ ناصر المحمد، وسمو رئيس الوزراء الشيخ صباح الخالد، وكبار المسؤولين في الدولة.

وقد تلقى صاحب السمو رسالة تهنئة من أخيه سمو ولي العهد، رفع فيها «بالغ آيات التهاني مقرونة بالحمد الكثير، والشكر الوفير لله تعالى أن اطمأنت على صحة سموكم قلوبنا، وشرحت بتمام عافيتكم صدورنا». وهي رسالة تلخص لسان حال كل مواطن ومقيم على هذه الأرض الطيبة.

سمو ولي العهد أضاف في رسالته الكريمة: «بهذه المناسبة التي أثلجت بها الصدور وقرّت بها العيون، فإننا لندعو الله في علاه أن يكلأ سموكم بعنايته ويحفظكم برعايته، وأن يديم على سموكم موفور الصحة وتمام العافية ويديم على وطننا الكويت وأبنائه الأوفياء الخير والنماء والتقدم والرخاء في ظل قيادة سموكم الحكيمة (حفظكم الله ورعاكم) وسدد على دروب التوفيق خطاكم».

وبعث سمو الأمير رسالة شكر جوابية لأخيه سمو ولي العهد، ضمنها سموه خالص شكره على ما عبر عنه سموه من تهنئة بعودة سموه إلى أرض الوطن العزيز، وعلى ما أبداه سموه من طيب المشاعر الأخوية ومن دعاء صادق بهذه المناسبة، سائلا سموه المولى





تعالى أن يديم على ولي العهد وافر الصحة والعافية وأن يوفق الجميع لخدمة الوطن العزيز ورفعة شأنه، ويسدد الخطى لتحقيق المزيد من الإنجازات التنموية المنشودة على صعيد مساره الحضاري.

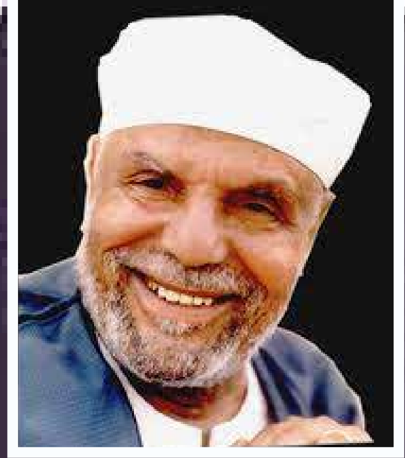
ويتزامن وصول سمو الأمير مع فتح برج التحرير أبوابه للجمهور بمناسبة الأعياد الوطنية وذلك بعد مرور ٢٦ عاما على افتتاحه الأول كما بات مسموحا للجميع حجز موعد للزيارة المجانية اعتبارا من يوم الأحد السادس من فبراير ٢٠٢٢م، من التاسعة صباحا إلى الواحدة ظهرا للوفود الرسمية والمدارس بينما في الفترة المسائية للجمهور من الساعة الثالثة عصرا حتى الساعة الثامنة مساء، وفي يومي الجمعة والسبت من الساعة الثانية ظهرا وحتى الساعة الثامنة مساء والحجز عبر الموقع الإلكتروني.

من جانب آخر، زينت بلدية الكويت سوق المباركية وساحة الصفاة بالأعلام الوطنية فباتت في أبهى صورة لشحذ الهمم واسترجاع صور النضال وتعميق المواطنة، فالعيد الوطني الكويتي عطلة رسمية احتفالا بذكرى استقلال الكويت عن المملكة المتحدة، ويحتفل به في ٢٥ فبراير من كل عام، ومنذ عام ١٩٩٢م تتزامن معه في ٢٦ فبراير من كل عام احتفالات عيد التحرير. وكانت الكويت قد حازت استقلالها في ١٩ يونيو ١٩٦١م في عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح، والشباب الكويتي الذي لم يعاصر هذه الأحداث المهمة يتعرف عليها من خلال ما يثار كل عام في الوسائط الإعلامية، بينما يلهو الأطفال ويتشربون منذ صغرهم خصال حب الوطن والذود عنه والاستقلال عن الأجنبي مع حسن التعامل مع الجميع.



التحرير

أين خير الإنسان؟
المحاضرة الثانية



محاضراتٌ تربويةٌ وثقافيةٌ وتوجيهيةٌ أسداها فضيلةُ الشَّيخ محمَّد متولِّي الشَّعراويُّ - رحمه الله - أثناء زيارته الميمونة إلى دولة الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، حيث حلَّ الشَّيخ الشَّعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها.
وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجلعها الله في ميزان حسناته، ثمَّ خصَّ ابنُه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلَّة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تَّحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشعراوي، المتوفى سنة (١٤١٩هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك ربي على نعمة الإيمان بك، وشرف الإسلام لك، وكيف لا يكون الإيمان بك نعمة وأنت سبحانك تتحبب إلينا بالنعم وأنت غني عنا، ونتبغض إليك بالمعصية ونحن فقراء إليك؟! سبحانك من رب كريم، إذا وعد بالخير وفى، وإذا توعد بالشر عفا، وأصلي وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد رحمة الله للعالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد عرفنا من لقاءاتنا معكم أن الإنسان سيد هذا الكون المخلوق لله، وتتجلى هذه السيادة في إعطاء خير كل الأجناس له، فالحيوان والنبات والجماد يعطونه خيرهم، فأين خير الإنسان؟ ولمن؟ قلنا: إن للجماد والنبات والحيوان مهمات يؤدونها في الكون، وهذه المهمات كلها مرتبطة بخدمة الإنسان، ولما كان الأمر كذلك وجب أن نبحث عن مهمة الإنسان، ونسأل: لم خلق ذلك الإنسان؟ وماذا يعمل؟ وإلى أين يصير؟ أسئلة كان لابد للعقل أن يبحث عن إجاباتها، وإلا كان عقلا تافها معروف المصير، مقصرا في معرفة حقيقة وجوده ومطلب غايته، ولكن هل للعلم البشري المادي الذي يجري التجربة على المادة المحسة؛ ليستنبط منها المعلوم من المجهول قدرة على الإجابة عن تلك الأسئلة؟ إن كل ذلك لا يؤديه العلم التجريبي الذي ينتهي إلى حقيقة علمية مادية رياضية؛ لأن للعلم مهمة واحدة، وهي: أن يعرف كيف تحصل الأشياء، لكنه لا يعرف لم تحصل الأشياء، فالعلم يعرف كيف يتكون الماء من ذرة من الأوكسجين وذرتين من الهيدروجين، ولكنه لا يعرف لم كان تكوين الماء من هذين العنصرين بهاتين النسبتين، وهو يعرف كيف تكون الكهرباء بموجب وسالب ومحرك، لكن هل يعرف ما دور الموجب والسالب في توليد الكهرباء؟ إذن: العلم لا يعرف لماذا ولكنه يعرف كيف، وسيظل قاصرا عن معرفة إجابات الأسئلة: لم خلق الإنسان؟ وإلى أي غاية يسير؟ وإذا كان الإنسان محسنا في مجتمعه لقي مجتمعه منه الخير كله ولو ضر نفسه، وإذا كان غير ذلك لقي مجتمعه منه الشر كله وإن نفع نفسه، أيستوي في عرف العقل أن يكون الذي قدم الخير لمجتمعه كالذي قدم له الشر؟ لا يمكن في عرف العقل العادي أن يكون ذلك؛ لذلك توجب على العقل أن يبحث عن معنى آخر؛ ليصحح هذا المفهوم في ذهنه، وتوجب عليه أن يعلم أن وراء هذه الدنيا دنيا أخرى يجازى فيها صاحب الخير بخيره، وصاحب الشر بشره، ولولا ذلك لكان صاحب الشر أكثر حظا من صاحب الخير؛ لأن صاحب الشر أخذ حظ نفسه وشهواته من دنياه، أما صاحب الخير فقد كبت نوازع



نفسه وشهواتها، وضحى بكل صحة وعافية وأمن واطمئنان في سبيل خير الناس، ولو لم يكن للأمر غاية محاسبة لكان الشرير أفضل من الخير؛ لأنه أخذ حظه ومتعته، وانتهى أمر كل شيء. ما الذي يدلنا على كيفية خلقنا، ولم خلقنا، وإلى أين نصير، ومن خلقنا؟ تلك الأسئلة لا يهدي إليها العلم التجريبي أبدا، والذين يحاولون أن يعرفوا كيفية خلق الإنسان والسماوات والأرض من أشياء لم تدخل في نطاق حسهم إنما هم واهمون؛ لأن ذلك ليس موضوع العلم الذي لا يوجد حقيقة علمية إلا على شيء مشاهد محس، ويقول الحق في ذلك: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ (الكهف:٥١)،

فالذين يقولون: خلق الإنسان بالطبيعة والمصادفة، وانفصلت الأرض عن الشمس يضربون ضربا في شيء لم يشهدوه، ولم يعرفوه، ولم يحسوه؛ لذلك يرد القرآن على مثل هؤلاء بقوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾؛ المضلون: الذين يصرفون الناس عن حقائق ما يقول الدين إلى خرافات ما يستنتجه الظانون المتوهمون ما وراء الطبيعة والمادة، ويرد عليهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾؛ أي: أنا الخالق وحدي، أخبركم بالحقيقة وطبيعة الخلق؛ لذلك وجب أن تأخذوا كل ذلك مني، وتعرفوا مني لم خلقتكم؟ وكيف خلقتكم؟ وماذا يطلب إليكم؟ وإلى أين تصيرون؟ وربما يسأل الناس: من الذي يبلغنا هذه الأجوبة وتلك الحقائق عن الله؟ أيجيء أي إنسان ليقول: إنني جئت لأجيبكم عن هذه الأسئلة: خلقتم لكذا، وعلى كيفية كذا، ومطلوب إليكم كذا، وتصيرون إلى كذا؟! أيأتي واحد من الشارع ليخبرنا بهذه الأجوبة؟ لا، والحق أن الدعاوى كثرت، وإن لم تقم عليها الأدلة فأهلها مدعون كاذبون، فكيف يحل ذلك اللغز؟ لابد أن يحل بشيء يحكم به العقل؛ لأن الذي جاء بالأجوبة وادعى أنها من عند الله وأنه مبلغ بحق عنه صادق في هذه الدعوى، ولكن كيف يصدق والكون فيه نواميسه[1] وقوانينه؟! فالنار تحرق، والماء يروي، والضوء ينير للعين كي ترى الأشياء، والله يقول في مخلوقاته: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ (يس:٣٨-٤٠)، فكل ذلك ناموس وقانون يسير عليه الكون، لا يتخلفان أبدا، فإن أبطأت الشمس

ألقى الشعراوي رحمه الله محاضرات إيمانيَّة في العديد من مساجد الدَّولة والجمعيات الخيرية

بعض المحاضرات كانت توجيهيَّة وإرشاديَّة في الكليَّة العسكريَّة بدعوة من وزير الدَّاخليَّة والدِّفاع آنذاك سمو الشيخ سعد العبد الله الصباح رحمه الله

عن سيرها، والأرض في دورانها اختل ميزان التقويم اليومي والسنوي، ولم تمتنع الشمس عن إشراقها على الناس يوما وفق مزاجها، والقمر كذلك أيضا، فكل شيء في الكون سائر بناموس محكم دقيق، ولا خيار لمن جرى عليه الناموس في مخالفته، إذن: فلتستثمر هذه الحقيقة لإثبات صدق من ادعى التبليغ عن الله ما دام الناموس يسير سيرا آليا، ولا يمكن أن يخرج عن قانونه وطوره، هل الناموس فعل ذلك لأن خالقه أعطاه هذه الخاصية؟! خالق الناموس ومعطيه هذه الخاصية هو الذي يستطيع أن يعطل الناموس، ويخرق القانون، ويأتي بأمر معجز في الكون يجريه على يد إنسان من البشر؛ ليقول: أنا رسول مبلغ عن الله، ودليلي في صدقي أن الله خرق على يدي الناموس الكوني، فلابد للعقل أن يلتفت ليبحث عن بشري يستطيع أن يخرق الناموس، وليس في العالم من يمكنه فعل ذلك بقدراته البشرية، فكيف خرق الإنسان الذي يدعي النبوة الناموس ما دام البشر لا يستطيعون ذلك؟! إذن: لاشك أن الذي خرق الناموس خالقه، وذلك الرجل صادق في التبليغ عن الله؛ لذلك كان لابد لكل مدع رسالة أن يأتي بحجة بين يديه تثبت صدق التبليغ، لكن كيف يجيء بالحجة؟ وبأي حجة يجيء على القوم؟ إنه لا يفاجئ القوم، ولا يبغتهم، ولا يأتيهم بأمر لا يعرفونه، ولكن كل رسول يأتي بمعجزة من جنس ما نبغ قومه فيه وبرعوا؛ حتى لا يقول القوم: لو اشتغلنا بهذا اللون لأتينا بمثل ما أتى به ذلك المدعي، فلابد أن يكون موضوع المعجزة من جنس ما نبغ فيه القوم نبوغا يشهد له التاريخ وتشهد له الدنيا.

وخرق الناموس: إخراجه عن طبيعته الفاعلة بقدرة الله، فأنت بوصفك إنسانا لك قانون، وللحق قانون، أنت تملك أن تطلق قانونك أو لا تطلقه؛ ولكنك إذا أطلقته لا تستطيع بعد ذلك أن تتحكم فيه أبدا، مثلا: لدينا إنسان يجيد التصويب نحو الهدف، فيمسك بندقية صالحة للاستعمال، فيها رصاصة، ويعرف كيفية التسديد، هو حر في أن يطلق الرصاصة على الهدف أو لا يطلقها، ولكن إذا صوب فوهة البندقية إلى الهدف ثم أطلق الرصاصة فليست له قوة في أن يرد فعل القانون، وليس له قوة تقول للرصاصة -وقد خرجت إلى الهدف-: لا تصيبي الهدف. لا يستطيع البشر ذلك؛ لأنهم يتحكمون في إطلاق القانون وعدمه فقط، لكنهم إذا أطلقوا القانون فليس لهم أن يتحكموا مطلقا في أن يعطلوا ذلك القانون عن مهمته، ومثال ذلك أيضا: أنت تملك -ومعك كوب- أن تطفئ النار أو لا تطفئها، لكن ليس في قانونك أن تصب الماء على النار فلا تنطفئ، إذن: فالبشر يملكون إطلاق قانونهم أو عدم إطلاقه، أما إذا أطلقوه فلا يستطيعون أن يتحكموا فيه، ولكن حين يخلق الحق عز وجل القانون والناموس يتحكم فيهما بعد إطلاقه، وهذا هو الفارق بين القانون عند الحق والقانون عند الخلق، وبهذا تأتي المعجزة، وهنا نضرب أمثالا:

أكان مراد الله سبحانه نجاة إبراهيم من النار؟! لو كان ذلك لقدر الله ألا يتمكن القوم من إبراهيم، أو قدر حين أخذوا إبراهيم ليلقوه في النار أن يرسل سحابة ممطرة، فتمطر على النار فتطفئها، ولكن ذلك ليس مراد الله، إنما مراده التحدي للناموس، والنار التي أوقدت، والتي يحكم الخلق بأنها لابد حارقة إبراهيم أرادها الله أن تظل نارا، وأن يلقى إبراهيم فيها دون حاجز، ولكنه يعطل قانون الإحراق في النار، فيقول: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا﴾ (الأنبياء:٦٩)، لم يقل: قلنا: يا نار انطفئي، لا، بل ظلي نارا ليراك الناس نارا، وليلق إبراهيم في النار وهي نار، ولكن يا نار أنا خالقك، وأنا واهبك قوة الإحراق، أنا آمرك بأن تتعطل فيك قوة الإحراق وأنت نار، ما إن تنطفئي ينطفئ معك القانون، فلا تكون هناك حجة. وربما قال القوم: لو لم تنطفئ النار لأحرقت إبراهيم، ولو لم تمطر السحابة على النار لأحرقناه، ولو لم يهرب إبراهيم من القبض عليه لأحرقناه؛ والحق يقول: اقبضوا على إبراهيم، وأحكموا وثاقه، وأوقدوا النار، وألقوه فيها، وأنت يا نار ظلي نارا في أعينهم، وبقانونهم وناموسهم، ولكن فلتتعطل فيك قوة الإحراق، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ (الأنبياء:٦٩)، فتلك هي المعجزة التي تثبت صدق الرسول في التبليغ عن الله؛ لأن الله أجرى عليه أمرا لا يمكن لبشر أن يجريه أبدا.

نضرب مثلا أيضا: موسى عليه السلام، وهو من أولي العزم من الرسل، خرج بقومه من مصر، ثم أدركه فرعون وجنده، فكان البحر أمامهم، والعدو من ورائهم، وقانون البشرية واضح في مثل هذه الحالة، وهذا ما غلب على ظن قومه، لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ (الشعراء:٦١) بقانون البشر مدركون لا محالة، قال لهم موسى بملء فيه: كلا. أيقول موسى ذلك في موقف لا يأمن أن يكذب فيه بعد دقيقة واحدة؟! إنه قال: كلا. برصيد من أرسله وقدرته، ولم يقل: كلا. برصيد البشر وهو مشترك معهم فيه، ولكنه لا يتعامل مع عدوه بهذا الرصيد، وإنما يتعامل معه برصيد من أرسله مبشرا ونذيرا؛ لذلك قال بملء فيه -وهو واثق-: كلا. ثم لفتنا إلى الحيثية التي دعته ليقول: كلا. فقال: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء:٦٢)؛ أي: أنا

لست متروكا لقوم فرعون، وقوتهم البشرية؛ لأن معي ربي، وليس لهم رب لهم معية معه، لذلك قال: كلا. بصدقها وحيثياتها ورصيدها، وقد صدقه اللّه ما قال، فصدقه في قوله: كلا. وصدقه في قوله: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، ثم خرق له الناموس، وقال له: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ (الشعراء:٦٣)، إن ناموس البحر قانونه السيولة، والسيولة هي الاستطراق، ومعنى الاستطراق: أن السائل لا يكون عاليا في مكان ومنخفضا في مكان آخر، لابد أن يستطرق من العالي إلى المنخفض حتى يتساوى السطح، وقد ضرب موسى بعصاه البحر، ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الشعراء:٦٣)، وهنا تكمن عظمة المعجزة، فالماء اللين السهل الرخو ينقلب إلى طود عظيم؛ أي: جبل، أرأيتم ماءين يقفان كالجبل، وبين الماءين سرداب وطريق يابسة؟! ذلك ليس في قانون البشر، وإنما هو قانون من خلق الناموس، وقد عطله اللّه بقدرته، لما أمر الماء وقال: ياماء ليتعطل ناموس الاستطراق فيك، ولتتعطل السيولة، وليجمد الماء جمودا كأنه الطود، وبعد ذلك يمشي موسى، فإذا ما انتهى إلى الجهة الأخرى تبعه فرعون، وأراد موسى أن يقطع عليه الطريق، ويضرب البحر بعصاه ليعود إلى الاستطراق، فلماذا رجع إلى احتياط البشر، ولم يزل في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، يطمئنه اللّه، ويأمره فيقول له: دع البحر كما هو، فإني أريد أن يغتر فرعون وقومه باليبس، وأن يسيروا خلفك ليلحقوك، فإذا ما كان أولهم عند آخرك أرجعت الماء إلى قانونه فغرقوا، وبذلك يكون اللّه قد أنجى وأتلف بالشيء الواحد، فعطل القانون هنا، وأرجعه إلى سيولته هناك، فنجا موسى وقومه، وهلك فرعون وقومه، وتلك هي المعجزة.

وقد أتى بمعجزة أخرى قبل ذلك، هذه المعجزة أيضا من جنس ما نبغ فيه القوم، وهو السحر، ولكن يجب أن نوقن أن المعجزة من موسى ليست سحرا، وسنبين الفارق بين أن تكون المعجزة من نوع النبوغ القومي أو هي فرد منه، فقوم فرعون شهروا بالسحر؛ لذلك أراد اللّه سبحانه وتعالى أن يأتي على يد موسى بمعجزة من جنس ذلك؛ لأنه -كما قلنا- لو جاء بمعجزة لم يعرفها القوم لردت الدعوى، وقالوا: لم نتعلم هذه المسألة، ولو تعلمناها ودربنا عليها لغلبناه، لذلك تأتي المعجزة من جنس ما تعلموه ونبغوا فيه؛ حتى تكون أهلا، ويكون معناها التحدي، وكذلك أراد اللّه أن يغلب موسى بمعجزته سحر قوم فرعون، ولكن قبل أن يصنع اللّه معه ذلك أراد أن يطمئنه، فصنع له تدريبا دون مشهد من الخصوم الذين سيرسل إليهم؛ حتى يتأكد موسى من صدق نجاح التجربة حين يجريها مع سحرة فرعون؛ لأن اللّه لو قال له: اذهب إليهم وألق عصاك فستلقف ما يأفكون، ربما خاف موسى إن ألقى العصا أن يخيب، فأراد اللّه أن يجري له تدريبا أمامه، فقال له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾ (طه:١٧-١٨)، قال اللّه: هذا مدى علمك بها، ولكن ﴿أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠﴾ (طه:١٩-٢٠)، وهنا تتجلى دقة التعبير القرآني اللافت: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ (طه:٦٧)، وهذا الخوف دليل على أنه رأى العصا انقلبت حية بالفعل، وطبيعة السحر غير ذلك، فإذا ألقى الساحر العصا يراها عصا

لا يمكن أن تؤخذ أجوبة هذه الأسئلة من العلم التجريبي: لم خلق الإنسان؟ وكيف خلق؟ وماذا يصنع؟ وإلى أي غاية يصير؟

حين يخلق الحق عز وجل القانون والناموس يتحكم فيهما بعد إطلاقه، وهذا هو الفارق بين القانون عند الحق والقانون عند الخلق

بطبيعتها الحقيقية، ويراها غيره حية؛ لأن السحر لا يغير حقيقة المسحور، وإنما يسحر أعين الناظرين؛ لذلك يقول القرآن بدقة بالغة: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ (الأعراف:١١٦)، ويقول: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ (طه:٦٦).

فالله صنع التجربة بينه وبين موسى؛ حتى يذهب إلى فرعون وهو واثق تمام الثقة أنه حين يلقي العصا ستلقف ما يأفكون؛ لأن التجربة أجريت بينه وبين ربه، وقد ذهب ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ (الشعراء:٣٨)، وبعد ذلك قال: ﴿أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾ (الشعراء:٤٣)، فألقوا حبالهم وعصيهم على طريقة هؤلاء في السحر، فخيل للناس أن الحبال والعصي حيات تسعى، ﴿فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾ (الشعراء:٤٥) فهل ابتلعت عصاه الحيات التي كانت تخيل للناس من العصي والحبال، أم أظهرت الحيات والحبال على حقيقتها للناس؟!

فالله الحق قال: ﴿تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾، فهم لم يحولوها حقيقة، إلا أنهم خيلوا للناس أن الحبال والعصي حيات، وحين نزلت العصا المعجزة عادت الحبال والعصي في نظر المسحورين والسحرة أنفسهم حبالا وعصيا على حقيقتها، فكأن موسى حين رمى عصاه لقف ما صنع القوم من السحر، وما هو إلا تخييل فقط، ففوجئ السحرة؛ لأن هذا مخالف لما هم عليه من فن السحر؛ ولذلك قال القرآن بدقته وروعة أدائه: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (طه:٧٠)، عجبا، لماذا لم يقولوا: آمنا بموسى. مع أن موسى أمامهم، وهو الملقي، ولم يروا ربه؟! لقد علموا أن هذه العملية ليست عملية بشر؛ لأن عصاه بقيت حية، وكل حبالهم وعصيهم علمت أنها حبال وعصي، وهم بذلك ما غلبوا بسحرهم بمفهوم التفوق البشري، إنما هذه صنعة فوق صنعة البشر، جعلتهم يتعدون الإيمان بموسى إلى الإيمان برب موسى وهارون، تلك هي طبيعة المعجزة.

وكذلك رسول الله ﷺ نبغ قومه في الفصاحة والبلاغة، فجاء القرآن من جنس البلاغة والفصاحة، فالمعجزة هي دليل صدق التبليغ عن الله، فحين يجيء بشر ويقول: أنا مبلغ عن الله، ودليلي في ذلك ما يجريه الله على يدي مما لا يستطيع البشر أن يخرقوا فيه الناموس، والبشر لا يخرقون النواميس، لذلك أنا صادق في التبليغ عن الله، ولكن معجزة كل قوم كانت تأتي على قدر مهمة رسالة الرسول، والرسالات قبل محمد ﷺ كانت محدودة في الزمان والمكان، وأي رسالة ليس لها ثبوت وخلود كانت معجزتها على قدرها، ومعنى ذلك: أنها كانت معجزة كونية محسة مرئية، تقع مرة واحدة، فمن رآها فقد آمن بها، ومن لم يرها فهو حر في تصديقها، إن صدق المخبر بها.

ولولا أن القرآن قص علينا هذه المعجزات -والقرآن صادق- لكنا استطعنا أن نقول: إنها لم تحصل؛ لأنها حصلت أمام قوم، فمن رآها فقد آمن بها، ومن لم يرها كان تصديقه بها وفق تصديق من أخبر وتوثيق كلامه، لكن معجزته ﷺ نظرا لأنه بعث للناس كافة في امتداد الأزمنة والأمكنة إلى أن تقوم الساعة، فليس للسماء إرسال بعد محمد، وليس لبشر أن يستقبل شيئا بعد محمد، فمحمد آخر من أرسل إليه، وآخر من استقبل عن السماء- لابد أن تكون لها طبيعة تناسب العمومية غير المحدودة في الزمان والمكان، وتكون باقية بقاء رسالته، فالذي يقول: محمد رسول الله، وهذا القرآن هو معجزته الباقية إلى الآن بنصه المحافظ عليه في السطور والصدور، هذه معجزة في زمانه، وإلى قيام الساعة يستطيع أي إنسان تابع لمحمد أن يقول: محمد رسول الله، وتلك معجزة. فمعجزة محمد ليست من جنس المعجزة الكونية التي تقع مرة واحدة، ولكنها من جنس المعجزة الباقية التي يستطيع كل إنسان في أي زمان ومكان أن يمد يده بالمعجزة ليقول: تلك معجزة محمد، ولكن أيستطيع يهودي أو موسوي أن يقول: هذا موسى رسول، وتلك معجزته؟! ما هي معجزته، وأين هي؟! لا وجود لها، كذلك معجزة عيسى لا وجود لها في زماننا؛ لأن الرسالة ليس لها امتداد في زمان أو مكان، فتلك ميزة امتازت بها معجزة سيدنا محمد ﷺ، وهي عين منهجه أيضا، وقد كانت معجزة كل رسول غير منهجه؛ فمعجزة موسى العصا وكتاب منهجه التوراة، ومعجزة عيسى إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، ومنهجه الإنجيل، فالمعجزة شيء والمنهج شيء آخر، وقعت المعجزة مرة وانتهت، وبقي المنهج غير محروس بمعجزة، أما محمد ﷺ فمعجزته القرآن، ومنهجه القرآن، وحين نقول: هذا منهج رسول الله ومعجزته فقد ظلت المعجزة مع المنهج لتحميه، وظل المنهج مع المعجزة ليحفظ، وبذلك كان امتيازها بشيء آخر؛ إذ حفظ المنهج في نطاق المعجزة، ومعنى ذلك أن المعجزة من صنع الله، وما دامت كذلك فلا دخل للبشر فيها أبدا، فقد خالف القرآن مناهج الرسل السابقين؛ لأنه معجزة ومنهج معا، والمعجزة من فعل الله، وليس للبشر دخل فيها؛ لذلك طلب إلى أتباع الكتب القديمة التي تحمل مناهج الرسل أن يحافظوا عليها، وهذا الطلب منهج تكليفي معناه رسالة لأتباع كل رسول: أن حافظوا على كتاب منهجه. وما دام الطلب تكليفا من الله للمكلفين فهو عرضة لأن يطاع أو يعصى كأي تكليف من الله، فكأن حفظ الكتب السابقة

التي تحمل مناهج الرسل السابقين كان أمرا تكليفيا، ومعنى الأمر التكليفي: أن الله طلب إلى أتباع كل نبي أن يحافظوا على كتاب منهجه، فإما أن يطاع، وإما أن يعصى، وقد عصي ذلك الأمر، فلووا ألسنتهم بالكتب، وصاروا ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ (المائدة:١٣)، وكتموا بعضه، وزادوا عليه، ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ (البقرة:٧٩). وقد كان ذلك؛ لأن الحفاظ على الكتب كان طلبا تكليفيا من الله، فأدت تلك الأمم بعض التكاليف، ولم يؤدوا بعضها الآخر، وكان حفظ الكتب مما لم يؤدوه؛ لذلك حرفت الكتب، ونظرا لأن معجزة رسول الله ﷺ هي عين منهجه، والمعجزة من فعل الله لا دخل للبشر فيها، فإن الحق سبحانه وتعالى لم يكل لأمة محمد أن تحافظ على القرآن، لذلك قال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر:٩)؛ أي: ارفعوا أيديكم عنه، ونحن لن نوكل حفظ القرآن إليكم أبدا؛ لأنه معجزة، ولأن السابقين ائتمنوا على كتب مناهجهم، فلم يؤدوا الأمانة، وما دام هذا المنهج معجزة فلا دخل لبشر فيه، أنا الذي أنزلته وأنا الذي سأحفظه. ولكنه يقول في الكتب الأخرى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ (المائدة:٤٤)، ومعنى استحفظوا: طلب منهم أن يحافظوا، ولم ينتف الطلب، لكن الله قال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر:٩). ومن العجيب بعد ذلك القول أنك تجد في أمم الإسلام خطين متناقضين تمام التناقض:

الأول: خط في ناحية توثيق القرآن، والتمكين من حفظه، واستظهاره حفظا في الصدور، وكتابة في الأوراق، وتسجيلا على الأشرطة، وهو توثيق ما بعده توثيق، لكن الناس مع كل ذلك بعيدون منه بوصفه منهجا.

والثاني: خط في ناحية المحافظة على القرآن، فالناس مقبلون على المحافظة عليه، ولو أنهم كانوا متبعين منهجهم، غيورين على دينهم لقلنا: حفظهم القرآن غيرة على الدين، وتمسك به، لكنهم متهافتون من ناحية مناهج الدين، ومقصرون من ناحية مذاهب الدين، ويتحللون من أمور دينهم كل يوم، فما بال القرآن عندهم يكثر توثيقه، ويتوثق يوما بعد يوم، ويطبع في أحجامه المختلفة؛ فمرة يطبع في صفحة طولها متر، ومرة في فص خاتم، ومرة في صفحة واحدة، ويوثق على الأسطوانات، وفي الأشرطة؟ هذه عناية تدل على أن ذلك أمر من صنعة الله وحده، بدليل أن المسلمين الذين يتحللون من أمور دينهم ويغفلون عنه بوصفه منهجا لم يستطيعوا أن يغفلوا عنه بوصفه معجزة، ولذلك سيظل القرآن حجة علينا.

كنا قد طرحنا سابقا الأسئلة الأربعة: لم خلق الإنسان؟ وكيف خلق؟ وماذا يصنع؟ وإلى أي غاية يصير؟ وقلنا: لا يمكن أن تؤخذ أجوبة هذه الأسئلة من العلم التجريبي؛ لذلك لابد فيها من خبر من خالق الإنسان نفسه، فهل نعرف هذا الخبر من الكتب القديمة، وقد حرفت، ولويت بها الألسنة، وكتم بعضها، وزيد عليها؟! وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ (المائدة:١٥)، فمن أي كتاب نأخذ أجوبة الأسئلة السابقة؟! الأجوبة تكون من مثل: أنا خلقته لكذا، وبكيفية كذا، وأطلب إليه كذا، وهو صائر إلى كذا، وهذه أمور غيبت عن علم البشر وعلم حقيقة المادة؛ لذلك يقول بعض المنصفين من الفلاسفة: أنا لست بحاجة إلى المعرفة لأؤمن، ولكني بحاجة إلى الإيمان لأعرف، فالإيمان يعلمهم الأمر غير المحسوس، الذي هو وراء الطبيعة، والذي لا يخضع لتجربته الحسية والمادية، فحين يأتي القرآن ليشرح كيفية خلق الإنسان، ويشرحها بمنتهى الوضوح، ثم لا يشرحها فقط، ولكن يترك في الكون دليلا ماديا من جنس ما وكل إلى القوم من العلم التجريبي على المحس، فمجال عمل العقل الإنساني التجربة على المحس، والمادة الصماء التي لا يملك التحكم فيها؛ لأن العالم لا يدخل معمله بهواه، فالمادة الصماء تتحكم، والآلات تأتي بالنتيجة، وما تنتهي إليه التجربة يكون حقيقة علمية؛ لذلك لا غرابة في أننا لا نرى كهرباء أمريكية وكهرباء روسية، فذلك علم تجريبي محكوم بالمادة.

ورأينا في المذاهب النظرية الأخرى التي لا تحكمها مادة اختلافا في المنهج، فهذا رأسمالي وذلك شيوعي، فلماذا لم يتفقوا هنا كما اتفقوا هناك؟ لأنهم في الأولى محكومون في العلم التجريبي الذي لا يجامل، وفي الثانية أحرار يتكلمون بأهوائهم، وما داموا أحرارا يتكلمون دون منطق علمي تجريبي فلتختلف الآراء، وليكن هذا رأسماليا، وهذا خير المبادئ، وهذا شيوعيا، وهذا خير المبادئ، ولم يكن لهم علم مادي مختلف؛ لأن المادة في الأولى حكمتهم، والأهواء في الثانية فرقتهم.

ومن العجيب أن اتفاقهم في الأولى أفسد ثمرته اختلافهم في الثانية؛ لأن اختلافهم في الثانية سخر ما أنتجه العلم المادي الرياضي في سبيل الحمل والإكراه على المبادئ النظرية الظنية

الوهمية التي تتبع الهوى، والنتيجة: خسارة المجتمع الإنساني كما نرى، فما دامت المسألة لا يجاب عنها بعلم محس فلنأخذ العلم ممن خلق، وتحديدا من الكتاب الذي ثبت بالدليل والبرهان أنه صادق محافظ عليه، وهو آخر الكتب؛ لأنه جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه؛ فهل كذب الكتب قبله أم لا؟! الصحيح أنه مستدرك ما فيها، والجواب الصحيح لا يكون إلا في هذا الكتاب، وهنا مسألة أخرى، فإذا قال الحق: أنا خلقتك -أيها الإنسان- مرة من ماء، ومرة من تراب، ومرة من طين، ومرة من حمأ مسنون، ومرة من صلصال كالفخار. سيقول المستشرقون بعد أن يقرؤوا هذا الكلام: إن هذا القرآن متضارب. فيقول: إنه خلق مرة من تراب، ومرة من طين، ومرة من حمأ مسنون، ومرة من صلصال كالفخار، ومرة من نطفة، كلام فيه تناقض، وما علم ذلك الجاهل أن الشيء المتسلسل عن شيء لا يتناقض أوله مع آخره، وهذه قضية منطقية، فالتراب عندما يسكب عليه الماء يصير طينا، وعندما يظل مدة حتى يتفاعل ويتخمر وينتن يصير حمأ مسنونا، فإذا ترك حتى ينضج كالصلصال يصير فخارا، فكل آية ذكرت في القرآن تدل على مرحلة من مراحل الخلق، فلا تقل: ذلك تناقض. وإنما هي مرحلة من مراحل الخلق، ولو أن القرآن ذكر مرحلة بغير موضعها لكان فيه تناقض، ولكن أن تذكر المراحل مرحلة بعد مرحلة فلا يقال عن هذا: تناقض. وبعد ذلك يأتي الحق سبحانه وتعالى فيعطينا الدليل اليقيني على صدقه في إيجاد الحياة، وهو الموت، فإذا مات الميت خرجت روحه، آخر شيء نفخ فيه، فالآخر خرج أولا؛ لأن الذي يذهب إلى مكان ما ويرجع يكون آخر ما وصل إليه أول ما يصل إليه في الرجعة، وإذا ذهب ثم ارتد يكون أول ما يصل إليه في الارتداد آخر ما وصل إليه في الذهاب، فالحياة انطلاق، والإنسان كذلك، بدأ طينا، فحمأ مسنونا، فصلصالا كالفخار، ثم نفخت فيه الروح فصار، وعند الموت يكون أول ما يخرج آخر ما دخل، فإذا ما خرجت الروح تصلب الجسم لصلصال كالفخار، وبعد أن يتصلب تعفنه الرمي كما يقول الأطباء، ومعنى التعفن: الاختمار، وبعد التعفن ينتن هذا الحمأ المسنون، وبعد ذلك يتبخر ما فيه من الماء الذي جعل التراب يصير طينا، وبعد ذلك تتحلل العناصر إلى أن تصير إلى الأرض التي خلق منها، فالله جعل الوضع في الحياة دليلا على صدق الحق في الموت، ونحن لم نشهد هذه الحياة، ولكنا نشهد الموت بالتجربة، فنستدل بما نشهد من طريقة الموت على صدق الله فيما لم نشهد من طريقة الحياة.

نحن قلنا: إن الإنسان حين يذهب عقله إلى أسئلة تحيره ليطلب الجواب عنها، لا يجد في العلم التجريبي المحس ما يجيبه عن هذه الأسئلة؛ كيف خلق؟ ولم خلق؟ وماذا يصنع؟ وإلى أين يصير؟ وهذا طبيعي؛ لأن ذلك ليس موضوع العلم التجريبي، فمن أين يأخذ الجواب؟ لا بد أن يكون الجواب من الخالق، ولكن هل يكلم الخالق كل واحد وحده؟ لا، بل يرسل رسولا ليقول ذلك القول، ويجب أن يكون معه علامة تدل على أنه صادق في التبليغ عن الله، فجاءت المعجزات والمناهج السابقة التي أصابها تحريف وتحوير وكتمان ونسيان، فهل نأخذ منها بوصفها مصدرا؟ طبعا لا، بل نأخذ من الكتاب الذي جاء مهيمنا على هذه الكتب، مصدقا للحق فيه، ومهيمنا على الباطل فيه، ومصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، فحين نذهب إلى القرآن الذي حفظه الله ولم يستحفظ عليه البشر، وهو المعجزة الباقية على خلاف معجزات الرسل، فنجد أنه تكلم عن خلق الإنسان وكيفية خلقه، وممم خلق، فقال: إنه خلق من تراب، ثم من طين لازب فيه عنصر الماء، ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالفخار، ثم نفخ فيه الروح، فهل يكون المستشرقون على حق حين يقولون: إن هذا تناقض؟! نقول لهم: لا؛ لأن الشيء المسلسل إلى حلقات ليس فيه حلقة تناقض حلقة، فالحلقة تناقض الحلقة إذا كانت مقابلها، أما إذا كانت تالية لها أو سابقة عليها فلا تكون مناقضة، والحياة مراحل متعاقبة لم نشهدها، يشاء الله أن يجعل الدليل على صدق قوله فيها هو الموت الذي نشهده، فبالموت تخرج الروح، والروح آخر ما دخل في ذلك الجسم الذي هو صلصال كالفخار، وبعد خروج الروح، يتصلب الجسم ثم يرم[٢] ويتعفن، وينتن إلى حمأ مسنون، وبعد ذلك يتبخر الماء ثم تصير العناصر إلى أمها الأرض من حيث جاءت، وبهذا يكون الله قد أعطانا بالموت المشهود صدقه دليلا على مراحل الحياة التي لم نشهدها، وما دام القائل قد صدق فيما نعلم ونشهد ونجرب، فقد صدق فيما لم نعلم ونشهد ونجرب، فهو محكوم له بالصدق؛ لأن من صدق فيما تعلم لا تستطيع أن تكذبه فيما لا تعلم، وكذلك شأن الحق سبحانه وتعالى في خطاب البشر، فهو لا يخاطبهم بالأمر الغائب عنهم أو المختلف فيه، وإنما يأتي بالحجة من جانب الأمر المتفق عليه، فكيف يكون ذلك؟ نحن خضنا مع عدونا حرب (١٩٦٧م)، وادعينا أننا نحارب ونجاهد في سبيل الله وفق مبدئه وإعلاء لكلمته، وتلك دعوى، وربما جاء أحدهم فقال: لا، لم يكن جهادا في سبيل الله، فقد كان في رؤوسكم مبادئ تريدون لها أن تنجح، نحن نقول: كنا في سبيل الله. وهو يقول: لا، كنتم في سبيل مبادئكم. يقول ذلك؛ لأنه ناقش المسألة من هذه الزاوية، ونحن إنما ناقشنا من جهة الأمر المتفق عليه الذي لا اختلاف فيه، والحق عزوجل يطلق قضية عن جنده، فيقول: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا

﴿لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ (الصافات:١٧٣)، فهل يأتي أحدهم فيقول: لا علاقة لدخولك في سبيل الله أو سبيل مبادئك، وهذا ليس موضع بحثنا؛ لأنه مختلف فيه؟ ويستمر الجدل، فيسألنا: أغلبتم أم لا؟ ونجيبه: بل غلبنا. فيقول: فأنتم لستم من جنود الله؛ لأن الحق الصادق قال: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، فما دمتم لم تغلبوا فابحثوا في أنفسكم؛ لأنكم لم تكونوا من جنود الله، ولو كنتم منهم وغلبتم فمعنى ذلك أن القرآن كاذب؛ لذلك لا يناقش الأمر المختلف فيه من جهة الاختلاف، بل من جهة الاتفاق، فالمغلوب لا يستطيع أن يقول: غلبت، وهو مغلوب، ما دام مغلوبا فهو ليس من جند الله، وعليه أن يبحث في نفسه، لذلك يعرض القرآن هذه القضية مع الصادقين مع أنفسهم، لا مع المكابرين، يقول الله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران:١٤٦)، فكأنه أصابهم شيء وما ضعفوا، وكأن قوة كانت تريد إذلالهم فما استكانوا، أفهم في جانب الضعف هنا أم في جانب القوة؟! لاشك في أنهم في جانب الضعف؛ لأن قوله: ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ﴾ يدل على أن شيئا قد أصابهم، ولكن عزائمهم وإرادتهم قوية فلم يضعفوا أمام الأحداث، وما استكانوا، والله يحب الصابرين. ولما أصابهم شيء في سبيل الله وجب عليهم أن يبحثوا عنه، قال الحق: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾ (آل عمران:١٤٧)؛ أي: إنهم رجعوا إلى حساب أنفسهم، فقالوا: ما أصابنا ما أصابنا هنا إلا لأننا أذنبنا، فلو لم نكن مذنبين لما أصابنا ما أصابنا، لقد غرتنا أنفسنا وأسرفنا كثيرا، وهم بذلك يكونون قد شخصوا داءهم، ثم دعوا بالنصر: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٧)، فأول بوادر النصر أن يقر الإنسان بذنبه، ويشخص داءه، فإن فعل كانت النتيجة: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(آل عمران:١٤٨).

كان المسلمون في أحد، ولم يكن قد مر على زهو انتصارهم ببدر عام، وقد هزموا في المعركة ومعهم رسول الله ﷺ، فهل ذلك يدفعنا للقول: إن النبي وقومه لم يكونوا جنود الله؟! لا، نستثني النبي أولا؛ لأن النبي أمر، وأمره خولف عندما أوقفهم موقفا وقال لهم: لا تتركوه أبدا ولو رأيتمونا ننتصر، فالذي لم يكن من جنود الله ليس النبي، وإنما الذي خالف أمره؛ لذلك لم يكونوا ساعة المخالفة جندا من جنود الله، فكان لابد أن يهزموا؛ لأنهم لو انتصروا مع مخالفتهم لأمر رسول الله لهانت أوامر رسول الله في نظرهم، وسيقولون: خالفناه وانتصرنا، ولكنهم خالفوا فكان لابد أن ينهزموا حتى يحترموا أوامر القائد، وبذلك يكونون جنودا.

حين يعرض الحق قضية يعرضها بدليلها، ولكنه يطلب إلى العاقل المنصف أن يأتي بالدليل مما يتفق عليه، لا مما يختلف فيه، فكما أخبرنا بكيفية مجيئنا ولم نشهد ذلك، قال لنا: أنا آتيكم بالدليل من كيفية موتكم وأنتم تشهدون ذلك، كذلك قال: أنا خلقتكم من طينة الأرض والتراب والطين والحمأ المسنون والصلصال، ونفخت فيكم من الروح، التي جعلتها من أمري وخصوصيتي، فلا تبحثوا فيها؛ لأنها لا تدخل تحت المنهج التجريبي العلمي، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء:٨٥)، لكن المادة التي خلقتم منها تدخل تحت تجربتكم وحسكم، إنها أمامكم وفي متناولكم، وهي الأرض.

والقرآن يعطينا الدليل على أن الروح من أمر الله، وأنها ليست مجالا للعلم التجريبي، فهل تعرف حركتها ونظامها؟! لن تعرف، وسيأخذ الدليل مما نشهده ونعلمه ويدخل تحت تجربتنا، نحن مخلوقون من تراب وطين وحمأ مسنون وصلصال، وقد جاء العلم الحديث على يد الكافرين ليحلل طينة الأرض، فقال: إن الكون كان فيه (٦٣) عنصرا حسب جدول مندليف عام (١٨٦٩م)، وبعدها بلغ عدد العناصر المكتشفة في الطبيعة (١١٨) عنصرا، لكل عنصر من هذه العناصر رقمه الذري المسجل في الجدول، ولدى تحليلهم الطين تبين أنه لا يحتوي على العناصر كلها، وإنما يتكون من (١٦) عنصرا فقط، وهذه نتيجة التحليل في معاملهم التي لا تكذب، قالوا: إن هذه العناصر بدأت بأكبر نسبة في الأوكسجين، وبعده الكربون، فالهيدروجين، فالنيتروجين، فالكالسيوم، فالكلور، فالفلور، فالكبريت، فالفوسفور، فالماغنيسيوم، فالبوتاسيوم، فالصوديوم، فالحديد، فاليود، فالسيلور، فالمنغنيز. ولما حللوا مادة جسم الإنسان وجدوها من (١٦) عنصرا، هي بعينها من الأوكسجين إلى المنغنيز، فلد صدق الله فيما نعلم بالتجربة العلمية على صدقه فيما لا نعلم من أمر الروح الغيبي.

ولنا إن شاء الله لقاء آخر نكمل فيه الحديث، والسلام عليكم ورحمة الله.

الهوامش

١- نواميس: جمع ناموس: قانون أو شريعة. معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر (٣/٢٢٨٥).

٢- رم العظم: بلي. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٢/٢٨١).



أ. د/ رضا عبد الواجد أمين
أستاذ وعميد كلية الإعلام جامعة الأزهر الشريف

المؤسسات الإعلامية الغربية وتنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا

تؤدي المؤسسات الإعلامية الآن أدورا مهمة في تشكيل اتجاهات ومشاعر الجماهير الغفيرة حول العالم، وهي مسئولة عن خلق حالة الوعي أو اللاوعي في أحيان كثيرة، خاصة تلك القنوات والمنصات الإعلامية التي يتابعها الملايين، بل بعضها يفوق عدد مستخدميها المليار نسمة كما في مواقع شبكة الإنترنت بشكل عام، وتطبيق فيس بوك وحده الذي يستخدمه ما يناهز الثلاثة مليار مستخدم حول العالم، وسيلاحظ القارىء أن المؤسسات الإعلامية (التقليدية والرقمية) التي يمكن وصفها بالمليارية أو المليونية غالبا ما تكون غربية المنشأ والمحتوى، لذلك فالحديث عن هذه المؤسسات، هو حديث عن مؤسسات تأثير هائل في المستخدمين والمتلقين من الجماهير.

ومن ضمن الإشكاليات التي تثيرها وسائل الإعلام الغربية أن كثيرا من الباحثين والمراكز البحثية يعزون تنامي ظاهرة (الإسلاموفوبيا Islamophobia) إلى وسائل الإعلام التي تنشر بشكل مستمر ما يشير إلى مسؤولية المسلمين عن حوادث العنف والإرهاب، وتحذر من خطورة المد الإسلامي في البلدان الغربية، وهو ما اصطلح عليه ب (الإسلاموفوبيا)، وتعني الخوف من الإسلام.

وقد شاركت في مناقشة رسالة دكتوراه مؤخرا بكلية الإعلام جامعة الأزهر عن معالجة المواقع الإلكترونية الأجنبية الناطقة بالعربية لظاهرة الإسلاموفوبيا التي أعدها الباحث مصطفى محمد قناوي، وأثبتت الدراسة أن المواقع الإلكترونية ذات الانتماء الغربي تروج للإسلاموفوبيا من خلال تصدير صورة نمطية للمسلم، وتنسب إليه في كثير من الأحيان مسئولية وقوع الأحداث



الإرهابية، وتربط بين صورة المسلم وعدد من التنظيمات الإرهابية حول العالم.[1]

والحقيقة أن هذه النتيجة هي نتيجة متوقعة، وتوصلت لها عدة دراسات سابقة عربية وغربية، وبالقطع لا يمكن التعميم في هذه القضية، فالتعميم دائما خطأ علمي، إلا أنه من المؤكد أن كثيرا من المواقع الإخبارية الغربية ومنصات التواصل الاجتماعي تعج بخطاب الكراهية ضد المسلمين، وبعضها يروج لبعض الإساءات الموجهة إلى رموز الدين الإسلامي كالقرآن الكريم والنبي محمد ﷺ لدرجة أن بعض الصحف والمواقع الإلكترونية تعمدت إعادة نشر الصور المسيئة للنبي الكريم سيدنا محمد ﷺ تحت دعاوى حرية الإعلام والصحافة، ومحاصرة المد الكبير للمسلمين في أوربا من خلال اعتناق غير المسلمين لديانة الإسلام، أو هجرة المسلمين إلى بلاد الغرب.

أما عن خطورة ظاهرة الإسلاموفوبيا في وسائل الإعلام الغربية، فتتمثل في أنها تخلق رأيا عاما ضد المسلمين والشعائر الإسلامية، وتغذي مشاعر الكراهية والعنصرية ضد المسلمين، وبالتالي تحاول بعض الدول تقييد ممارسة الشعائر الدينية للمسلمين، أو توقف بناء المساجد والمراكز الإسلامية الجديدة، عن طريق سن القوانين التي تعطي غطاء قانونيا لمثل هذه الممارسات.

إن الحل الأمثل لمواجهة تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا في وسائل الإعلام الغربي تتمثل في مخاطبة الغرب بلغتهم التي يتحدثون بها، وبلغة هادئة متعقلة يغلب عليها المنطق واستخدام أسس الإقناع العقلية لتوضيح الحقائق ودحض الشبهات التي تثار هنا أو هناك عن الإسلام والمسلمين، ولابد أن يتزامن ذلك مع ضرورة ضبط سلوك الإنسان المسلم في المجتمعات الغربية، والتحذير من الصور النمطية التي يروجها البعض عن المسلمين.

إن الحاجة ملحة لمتابعات مستمرة للمنابر الغربية المؤثرة، ورصد المقالات والتقارير الإعلامية المسيئة للمسلمين، والرد على هذه المضامين بلغة هادئة غير متشنجة، لتوضيح الحقائق، وتصحيح الأفكار المغلوطة عن أمة المليار ونصف المليار نسمة حول العالم، وبالطبع هناك محاولات حثيثة في هذا الجانب، وللأزهر الشريف تجربة رائدة في هذا المضمار، حيث أنشأ مرصد الأزهر الشريف لمكافحة التطرف في يونيو (٢٠١٥م)، بمبادرة من شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر، ويقوم المرصد بمتابعة وسائل الإعلام الكبرى في العالم، ويصدر تقارير باللغة العربية واثنتي عشرة لغة أجنبية أخرى كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والعبرية والأردية والصينية والإيطالية وعدد من اللغات الأفريقية.

والموضوع يحتاج إلى تضافر الجهود، وإلى التعاون بين بلدان العالم الإسلامي لوضع خطط للمواجهة الإعلامية لحملات الكراهية المنظمة من قبل بعض مؤسسات الإعلام الغربي ضد المسلمين، وتنفيذها بالشكل الذي يحقق غاياتها المنشودة، وتقديم صورة حقيقية عن الدين الإسلامي وأتباعه الذين يتزايد عددهم يوما بعد يوم في كل مكان بالرغم من كل هذه الإساءات ومحاولات النيل منه، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (سورة التوبة:٣٢)

الهوامش

١- مصطفى محمد قناوي، معالجة المواقع الإلكترونية الأجنبية الناطقة بالعربية لظاهرة الإسلاموفوبيا، دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة الأزهر: كلية الإعلام، قسم الصحافة والنشر، ٢٠٢١م).



السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية

التواصل الحضاري.. ضرورة يمليها التنوع

لا يزال سؤال الحضارة وما يستتبعه من أسئلة كثيرة ومتداخلة، محل اهتمام من الباحثين والمفكرين، لاسيما وأن عالمنا يموج بتنظيرات وإرادات تريد أن تجعل من المسألة الحضارية موطنا للنزاع، وساحة للصراع!

فهل التواصل بين الحضارات يمكن أن يكون بديلا لدعوات الصراع؟ وما الذي يعنيه هذا التواصل؟ وما المجالات التي يمكن أن يتجلى فيها؟

حضارات متعددة

وأول ما يستدعيه سؤال التواصل الحضاري هو الاعتراف بوجود حضارات متعددة؛ ذلك أن التواصل لا يكون إلا بين طرفين أو أكثر؛ أما لو كنا أمام حضارة واحدة فلن تكون ثمة معقولية للدعوة إلى التواصل؛ إذ ليس يتواصل المرء مع نفسه، اللهم إلا من قبيل المجاز، مما ليس مرادا في الحديث هنا.

والاعتراف بوجود حضارات عدة، متنوعة ومتمايزة، هو مما يتفق مع الرؤية الإسلامية التي تنطلق من التعدد والتنوع فيما يخص الناس، ألوانا وألسنة وأديانا وأعراقا؛ بينما تنطلق من التوحيد فيما يخص الجانب العقدي فحسب؛ فالله سبحانه هو الواحد الأحد، وأما خلق الله فمتفاوتون في أمورهم وأحوالهم.

وقد بين القرآن الكريم سنة التعدد هذه في أكثر من موضع، وبأكثر من دلالة.

فعن التعدد في جانب الدين والاعتقاد قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨). جاء في تفسير ابن كثير: «يخبر تعالى أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة

واحدة، من إيمان أو كفران كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ (يونس: ٩٩). وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم. قال عكرمة: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ في الهدى. وقال الحسن البصري: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ في الرزق، يسخر بعضهم بعضا؛ والمشهور الصحيح الأول»[١].

وعن التعدد في جانب الألسنة والألون، قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢). يعني: «اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما. ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾: أبيض وأسود وأحمر، وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة»[٢].

وعن التعدد في جانب الأعراق والأمم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

إذن، الأصل في العلاقة بين الناس هو التعدد والتنوع؛ سواء فيما يتصل بأديانهم وأفكارهم، أو أصولهم ولغاتهم وألوانهم.. وهذا أمر مقصود من الله تعالى العليم بما يخلق، المقتدر فيما يفعل، الحكيم فيما يريد.

ولعل مما يدعم ما ذهبنا إليه من القول بتعدد الحضارات، بخلاف من يقولون إننا نعيش حضارة عالمية واحدة؛ هو التأمل في مفهوم الحضارة ذاته[٣].

ورغم الاختلاف في تحديد مفهوم الحضارة، شأن كثير من المصطلحات والمفاهيم؛ فإننا هنا نستخدم مفهوم الحضارة باعتباره جامعا لـ«الثقافة» و«المدنية»؛ و«الثقافة» تدل على مجمل الأفكار والقيم، أي الجانب المعنوي من النشاط الإنساني؛ بينما «المدنية» تدل على مجمل الإنجازات والعمران، أي الجانب المادي من النشاط الإنساني؛ فالحضارة جامعة بين الجانبين. وإذا كان لكل أمة ثقافة وعمران مميزان لها وخاصان بها، فلا جدال حينئذ أننا أمام حضارات تتعدد بتعدد الأمم، وتتنوع بتنوع الشعوب؛ ولسنا بصدد حضارة عالمية واحدة كما يذهب البعض[٤].

نعم، قد نكون أمام إنجاز مادي عالمي أسهمت عدة شعوب وثقافات في بنائه؛ لكن هذا لا يخول القول بأننا أمام حضارة واحدة؛ لأنه يعني حينئذ أن نقصر مفهوم الحضارة على الجانب المادي فحسب؛ وليس هذا صوابا؛ لأن مفهوم الحضارة جامع بين الجانبين المعنوي والمادي معا.

العزلة ليست ممكنة

وما دمنا قد اتفقنا على أننا بصدد حضارات تتنوع وتختلف في ثقافاتها ومدنياتها؛ فإن البعض أمام هذا التنوع والاختلاف قد يخشى على ثقافته، لاسيما لدى شريحة من أبنائه لم تتمكن بعد من ثقافتها، فيطرح أو يستسهل «العزلة الحضارية» كخيار يتبناه للحفاظ على ثقافته وتحصين أبنائه من الذوبان في ثقافات الآخرين أو الانخداع بها.

ورغم أن هذا موقف يبدو سهل التنفيذ ومريحا؛ فإنه في الحقيقة ليس الخيار المناسب؛ لاسيما في زمن قد اختلطت فيه الثقافات وانفتح بعضها على بعض، حتى اخترقت كل الجدران والحواجز، وتلاشت بينها المسافات على نحو غير مسبوق في التاريخ البشري.

لقد كانت العزلة الحضارية خيارا ممكنا فيما مضى؛ يكفي أن تغلق المدن أسوارها على سكانها، أو تحرق الكتب، أو تمنع الترجمة؛ لتحافظ على نفسها من التأثر بالآخرين! أما اليوم في واقعنا الراهن فلا يبدو هذا خيارا ممكنا أصلا، بغض النظر عن حظه من الصواب والخطأ.

إذن الحل يكمن في تحصين الذات بثقافتها وتراثها، وتعليم الأبناء كيف يتفاعلون مع غيرهم، وأي شيء يستفيدون منه، وما هو مقبول وما هو مرفوض، وما المعيار في كلا الأمرين.

الصدام ليس حلا

كذلك لا يبدو الصدام بين الحضارات خيارا مناسبا لتنظيم العلاقة بينها، بدعوى اختلاف الثقافات التي تشكل جوهر الحضارات؛ كما ذهب البعض. فالاختلاف في حد ذاته ليس مدعاة للصراع، وإنما يجري توظيف هذا الاختلاف في إذكاء الصراع وإيجاد المبرر له.

والقول بصدام الحضارات نتيجة اختلاف الثقافات، يمكن أن يتم تعميمه ليصبح مطلق الاختلاف مدعاة للصراع؛ وهكذا نكون أمام متوالية لا تنتهي من الصراعات؛ فهناك صراع بين الرجل والمرأة بدعوى اختلافهما، وصراع بين الأغنياء والفقراء أيضا، وصراع بين التكوينات المتعددة حتى داخل المجتمع الواحد.. ولو أطلق العنان لهذا التبرير فسنكون أمام صراعات لا تهدأ، ونيران لا تخمد!

و«الصراع» لا يبدو فلسفة إسلامية تحكم التعدد الموجود في الكون؛ وإنما «التكامل»؛ فالرجل يتكامل دوره مع المرأة، والغني يتكامل دوره في الحياة مع الفقير.. وهكذا؛ فكل طرف بحاجة للآخر، يأخذ منه ويعطي له، وإن اختلفت صور الأخذ عن صور العطاء. وقد شاء الله سبحانه أن يجعل الناس متفاوتين، ليحصل من هذا التفاوت وجود الحاجات وتبادل المنافع، وليس الصراع على ما يملكه كل طرف.

كما تقوم فلسفة الإسلام أيضا في إدارة الاختلاف على «التدافع»، بقصد منع اعتداء طرف على طرف؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: ٤٠). أي «لولا أنه يدفع عن قوم بقوم، ويكشف شر أناس عن غيرهم، بما يخلقه ويقدره من الأسباب؛ لفسدت الأرض، وأهلك القوي الضعيف»[٥].

التواصل أكثر من خيار

وإذا تبين لنا أن العزلة الحضارية ليست خيارا صائبا ولا حتى ممكنا، وأن الصراع ليس هو الطريقة المثلى في إدارة التنوع الذي جعله الله سنة في الخلق؛ فإننا ننتهي من هذا إلى أن التواصل بين الحضارات هو الخيار المناسب.

بل إن هذا التواصل ليس مجرد خيار؛ وإنما هو ضرورة؛ ضرورة يمليها التنوع وتفرضها مصلحة الجميع؛ ففي التواصل تتحقق مصلحة الأطراف كافة، وننزع فتيل الصراع ونطفئ نار الخصومات.. وفي التواصل يتحقق التكامل ليأخذ كل طرف ما يحتاجه، ويفيض على غيره مما لديه.. وفي التواصل أيضا تتراكم الخبرات والجهود والطاقات، ونحافظ عليها من الهدر والاعتداء..

والتاريخ الإنساني شاهد على التواصل بين الحضارات التي أفاد بعضها من بعض، وراكم بعضها على إنجازات بعض؛ فقد أفادت الحضارة الإسلامية مما سبقها من حضارات في علوم الحياة والأحياء وفي تنظيم الدواوين وترتيب الهيئات؛ كما أفادت الحضارة الغربية من الحضارة الإسلامية ومنجزاتها، بل أفادت منها أيضا في التعرف على تراثها اليوناني الذي كانت الحضارة الإسلامية أمينة على نقله، مبدعة في التفاعل معه والإضافة إليه. ولولا الحضارة الإسلامية كمرحلة وسيطة مبدعة بين العالم القديم والنقلة الحديثة، ما أمكن للغرب أن ينهض ولا أن يتعرف على تراثه هو، كما شهد بذلك المنصفون في الغرب من مؤرخي الحضارات والعلوم.

ويكفي في هذا الصدد أن نشير إلى شهادة غوستاف لوبون وهو يرصد تأثير العرب في الغرب، فيقول: «لا يمكن إدراك أهمية شأن العرب في الغرب إلا بتصور حال أوربة حينما أدخلوا الحضارة إليها. وإذا رجعنا إلى القرن التاسع والقرن العاشر من الميلاد، حين كانت الحضارة الإسلامية في إسبانية ساطعة جدا، رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجا يسكنها سنيورات متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرأون، وأن أكثر رجال النصرانية معرفة كانوا من الرهبان المساكين الجاهلين الذين يقضون أوقاتهم في أديارهم ليكشطوا كتب الأقدمين النفيسة بخشوع، وذلك كيما يكون عندهم من الرقوق ما هو ضروري لنسخ كتب العبادة.

ويضيف: دامت همجية أوربة البالغة زمنا طويلا من غير أن تشعر بها، ولم يبد في أوربة بعض الميل إلى العلم إلا في القرن الحادي عشر وفي القرن الثاني عشر من الميلاد، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم فولوا وجوههم شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم.

ويوضح لوبون أن الغرب - في استفادته من الحضارة العربية- لم يقتصر على ترجمة مؤلفات علماء العرب؛ كالرازي وأبي القاسم وابن سينا وابن رشد... إلخ، إلى اللغة اللاتينية، بل نقلت إليها، أيضا، كتب علماء اليونان التي كان المسلمون قد ترجموها إلى لغتهم

الخاصة، ككتب جالينوس وبقراط وأفلاطون وأرسطو وأقليدس وأرشميدس وبطليموس؛ فزاد عدد ما ترجم من كتب العرب إلى اللغة اللاتينية على ثلاثمائة كتاب كما روى الدكتور لوكلير في كتابه «تاريخ الطب العربي».

ويقرر لوبون أن الغرب لم يعرف تراثه القديم إلا من خلال جهود العلماء المسلمين؛ فيقول: والحق أن القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليوناني القديم إلا من ترجمتها إلى لغة أتباع محمد، وبفضل هذه الترجمة اطلعنا على محتويات كتب اليونان التي ضاع أصلها ككتاب أبلونيوس في المخروطات، وشروح جالينوس في الأمراض السارية، ورسالة أرسطو في الحجارة... إلخ، وأنه إذا كانت هناك أمة نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمان القديم فالعرب هم تلك الأمة، لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان. فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافا أبديا، قال مسيو ليبرى: «لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ؛ لتأخرت نهضة أوروبا في الآداب عدة قرون».

ثم ينتهي لوبون إلى القول: إن العرب هذبوا البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان بتأثيرهم الخلقي، وإن العرب هم الذين فتحوا لأوربا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافي، فكانوا ممدنين لنا وأئمة لنا ستة قرون[٦].

ورغم هذه الشهادة ذات العمق والإنصاف على صفحات ناصعة من التواصل الحضاري، فعلينا أن نعترف بأن التاريخ الإنساني كان شاهدا أيضا على محطات من الصراع، ومواقع من النزاع.. لكن، لماذا يريد البعض أن يجدد هذا الفصل الدامي من التاريخ، غافلا عن الصحائف البيضاء منه!

فيم يكون التواصل؟

وهذا سؤال مهم بعد سؤال تعدد الحضارات، وسؤال طبيعة العلاقة بينها. وأهمية هذا السؤال- فيم يكون التواصل؟- أنه ينقلنا إلى نقطة عملية مفيدة، بحيث لا نقف عند الحد النظري من المسألة، وإنما نحاول التعمق في جانبها التطبيقي.

ويمكن أن نقول إن مجالات التواصل والحوار كثيرة جدا؛ منها:

- الاتفاق على العناية بالإنسان، مطلق الإنسان، وضمان حقوقه الأساسية، ومنع العدوان عليه، والوقوف في وجه المعتدي.
- ضمان القواسم المشتركة بين الرسالات السماوية، لا سيما فيما يتصل بالجوانب الاجتماعية؛ مثل الحفاظ على حقوق الطفل وكيان الأسرة، ومنع محاولات الانسلاخ عن الفطرة والخروج على قيمها.
- الوقوف أمام موجات الإلحاد والتشكيك والعبث بعقول الشباب، باتجاه العدمية والشهوانية.
- تبادل برامج التنمية والتدريب والتطوير، وكل ما من شأنه أن يرتقي بالمجتمعات وبادل الخبرات والمعارف بين أبناء الشعوب المختلفة، لاسيما الشعوب التي وقعت عليها اعتداءات فيما مضى ولم يتم تعويضها فضلا عن الاعتذار إليها؛ مثل دول أفريقية كثيرة إبان مرحلة الاستعمار.
- العناية بالبيئة التي هي لنا جميعا بمثابة «بيت كبير» نسكنه معا، وننعم بخيراته. ومن المهم أن نوقف استنزاف البيئة أو العدوان عليها، مما يتم لصالح دول بعينها لا تأخذ في الحسبان ما يقع على البيئة من عدوان، ولا ما ينال من حقوق الأجيال القادمة.

ومن المهم هنا أن نشير إلى أن ثمة جهودا محمودة قطعت أشواطا في هذه الاتجاهات أو بعضها.. وعلينا أن نشجع ذلك، ونبني عليه، ونواصل الطريق!

الهوامش

١- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٣٦١.

٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٣/ ٥٧٥.

٣- يعرف د. حسين مؤنس «الحضارة» بأنها: ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته؛ سواء أكان المجهود المبذول مقصودا أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية. انظر له: الحضارة- دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، (ص: ١٥).

٤- راجع المزيد في مقالي: عشر حقائق عن مصطلح الحضارة، بموقع «إسلام أون لاين».

٥- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ٤٣٥.

٦- حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، (ص: ٥٦٦-٥٧٩).



د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه والأصول

فقه التواصل الحضاري بين الأمم

خلق الله تعالى الخلق جميعا، فما من أحد في هذا الكون من إنس أو جن أو ملائكة أو طير أو حيوان أو نبات أو جماد، إلا والله خالقه، فالله تعالى هو خالق الناس جميعهم، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (التغابن: ٢)، فسبحانه رب العالمين، وهو رب الناس ملك الناس إله الناس، فكل الناس منه وإليه.

لماذا التواصل الحضاري؟

يتصور بعض الناس أن مع اختلاف العقائد والأديان، فالعالم منقسم إلى عوالم منفصلة، وأنه يجب أن يكون كل أصحاب دين وعقيدة وحدهم دون غيرهم، هذا الانفصام الحضاري موجود بين طوائف من جميع الأديان، مع أن أصل التواصل بدأ من بداية خلق آدم عليه السلام، حيث أسكن الله تعالى ذريته الأرض، كما قال تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، وقد امتن الله تعالى على بني آدم أن جعلهم يخلفون الأرض جيلا بعد جيل، فلا يسيطر على الأرض ولا يتمكن منها إلا بنو آدم، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ (النمل: ٦٢)، ولهذا، فقد جعل الله تعالى بني آدم جميعا، من جميع الأجناس والحضارات في وحدة واحدة، وهي الأرض، فجمعهم جميعا فيها، فهم فيها شركاء، وهذه هي الشراكة الإنسانية، لكنه مع إيجاد تلك الوحدة الإنسانية حث الجميع على الإيمان به، وجعل عاقبة الإيمان به أو الكفر به يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (فاطر: ٣٩).

وجوب التواصل الحضاري

التواصل الحضاري بين الأمم والشعوب واجب حتمي، ويجب على المسلمين أن يملكوا زمام الأمر فيه، وهذا الوجوب مبني على عدة اعتبارات، من أهمها:

المشترك الإنساني

فالله تعالى هو خالق الناس جميعا، فنحن جميعا صنيعة الله تعالى،



وبيننا من المتشابهات والتوافقات في الحياة أمور كثيرة جدا، وهذا المشترك الإنساني يدخل فيه المسلم والكافر، والأنبياء والأولياء، والظلمة والفاسقون، وقد دلل الله تعالى على ذلك المشترك الإنساني بقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ (الفرقان: ٢٠)، فالأفعال الجبلية، والحاجات الأساسية من طعام وشراب ومسكن ونكاح وبيع وشراء وغيرها من المعاملات يشترك فيها كل بني آدم، وهذا المشترك الإنساني يتطلب منا التعاون فيما بيننا مع اختلاف العقائد والأديان والمذاهب والأفكار والألسن.

التكريم الإنساني

ومما يوجب التواصل الحضاري المساواة في التكريم الإنساني لجنس البشر من الله تعالى، فالله فضل بني آدم - باختلاف أديانهم- على كثير من الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ (الإسراء: ٧٠)، فالله تعالى سخر للإنسان كل ما في الكون؛ ليكون هو عبدا لله، فقد فضل الله تعالى بني آدم على الجن والطير والحيوان والنبات، ولا يقال: إن الله فضل بني آدم على جميع المخلوقات، بل الملائكة مفضلة على بني آدم في الجملة، جاء في تفسير المنار (٧/ ٣٥٨): «والحق أن ظواهر القرآن الواردة في الملائكة والرسل تدل على أن الملائكة أفضل من البشر، ولعله لولا ذلك لما قال تعالى في بني آدم: ﴿وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ بل لقال على جميع من خلقنا».

الشراكة في الحياة الدنيا

ومما يوجب التواصل الحضاري بين بني البشر وجودهم في هذه الحياة الدنيا، فالله تعالى خلق الدنيا لبني آدم، وأسكنهم إياها جميعا، فلم يخلق الله تعالى الناس ليتقاتلوا بينهم؛ فليست الحكمة من الخلق الفناء والقتال، بل التعاون على البر والتقوى والعمل الصالح، وإنما شرع القتال في حالات استثنائية حين الاعتداء؛ فيشرع لدفع الظلم والعدوان، حتى يرجع الظالم عن ظلمه وتعود الحياة سالمة كما كانت، يتعاون فيها بنو آدم على المصالح المشتركة، ولهذا عبر عن شرعية الجهاد بالإذن، والإذن يأتي بعد

المنع، فالأصل في القتال أنه ممنوع، لكنه يشرع في حالاته المحمودة، كما قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ (الحج: ٣٩ - ٤١).. ونلاحظ في الآيات أن الجهاد شرع لدفع الظلم والإخراج من الديار بغير حق، وأنه شرع حماية للدين وصيانة للمساجد ودور العبادة لذكر الله تعالى، ثم بين أن من مكنهم الله تعالى بالعزة والقوة يسعون إلى عمارة الأرض بالعبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يحفظ توازن الحياة.

كما بين الله سبحانه أن عمارة الأرض واجبة على المسلمين خاصة، وأن الاستمتاع بالحياة الدنيا وزينتها لهم في الدنيا يشاركهم فيها غيرهم، والآخرة لهم خاصة، فدل على وجوب التشارك مع غير المسلمين في أمور الدنيا؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢)، وقد ساد فكر الزهد في الدنيا في غير محله، وانتشرت مقولة: «لهم الدنيا ولهم الآخرة»، فتأخر المسلمون عن ركب الحضارة، وأصبحوا عالة على غيرهم؛ لأنهم لم يفقهوا عن الله مقصده، ولا عن رسوله ﷺ بيانه، ولا فطنوا تاريخ أمتهم التي صنعت حضارة من أعظم حضارات الدنيا، فبروز المسلمين في مجالات الحياة من الطب والصيدلة والفلك والفيزياء والكيمياء والأحياء والهندسة والحرف والمهن والاختراعات وغيرها من العلوم دال على الفهم الحضاري للمسلمين الأوائل.

التواصل الحضاري بوابة الدعوة

إن من أهمية التواصل الحضاري بين المسلمين وغيرهم أنه بوابة لمعرفة غير المسلمين تعاليم الإسلام؛ معرفة واقعية عن قرب، فيرون أخلاق الإسلام في المسلمين؛ وهي أفضل صورة الدعوة إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣). وقد قيل: فعل رجل في ألف رجل؛ خير من قول ألف رجل في رجل. وقد انتشر الإسلام في كثير من ربوع الأرض من خلال المعاملة الحسنة والعشرة الطيبة، ولهذا أوصانا الله تعالى بمعاملة غير المسلمين معاملة حسنة، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨)، إننا اليوم أمام فرصة سانحة للتعريف بالإسلام، وذلك من خلال ذلك التواصل الحضاري عبر تلك الوسائل المعاصرة التي قربت البعيد، وجعلت ساحة للتعارف الإنساني؛ ليعرض كل فريق ما عنده من قيم وأخلاق، وتلك - إن صحت التسمية- معركة، الإسلام فيها هو الرابح الأول.

ضوابط ومجالات التواصل الحضاري

وإن كان التواصل الحضاري واجبا

حتميا؛ إلا أنه يجب أن يكون منضبطا بضوابط الشرع، معلومات المجالات المتاحة والممنوعة، ومن ذلك:

وجوب التمايز في أصل العقيدة

ففي التواصل الحضاري يحذر المسلم من الذوبان فيما يخدش عقيدته، فنحن من جهة أبناء آدم جميعا، ومن جهة أخرى، فإننا مختلفون في أصل الدين والعقيدة، وهذا التمايز العقدي يجب الحفاظ عليه، فلا تنازل عن الثوابت والمسلمات التي تكون الهوية الإسلامية، وقد قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ (البقرة: ١٤٨)، فأصول العقائد والعبادات ليست محلا للتنازل أو التقارب، لأن أمر العقيدة لله تعالى وليس للبشر، وما كان لله يجب أن يكون لله، وهذا التمايز فرضه الله تعالى على رسوله - ﷺ- وعلى أمته من بعده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ (الكافرون: ١ - ٦)، فمحاولات التقريب في أصول العقائد، وإذابة العقائد كلها في عقيدة تشمل الجميع ضرب من الخبل، فليس هناك في دين الله ما يسمى بالدين الإبراهيمي، أو وحدة الأديان، فتلك نقائص، فلا يستوي الحق والباطل عند كل العقلاء، وهذا التمايز سنة كونية واجتماعية؛ مرعية في كل عصر وجيل، فلا يلام المسلمون على حفاظهم على هويتهم العقدية.

التواصل في القواسم الدينية المشتركة

ومن ضوابط التواصل الحضاري التواصل في القواسم الدينية المشتركة، فكل الأديان السماوية اليوم، بل والأرضية منها تدعو إلى مكارم الأخلاق، والقيم الإنسانية الفاضلة، من العدل والرحمة والإحسان والأمانة والصدق والوفاء بالوعد، وتلك المنظومة الأخلاقية أضحت ثقافة عامة؛ يجب تعظيمها في جميع الشعوب والأديان، وقد عبر القرآن الكريم عن تلك المنظومة الأخلاقية بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٩١﴾ (النحل: ٩٠-٩١).

التواصل في مصالح الحياة

لما كانت الأرض هي القاسم المشترك بين بني آدم جميعا؛ مسلمهم وكافرهم، وكانت المصالح الدنيوية تجمع الناس جميعا في الوطن الواحد، والقارة الواحدة، وفي الكون الواحد، كان التواصل الحضاري في مجالات الحياة مجالا رحبا للتواصل بين الناس جميعا، فالناس في الوطن الواحد يحتاجون إلى التواصل في قضايا التعليم وكيفية رفع مستواه، وكيف يكون التعليم داعما لقضايا التنمية وبناء النشء على الفضائل لا الرذائل والعطاء لا الاتكالية، وكذلك في قضايا الصحة وحفظ صحة الناس ومواجهة الأمراض، وكذلك التواصل في قضايا البيئة والسكن وغيرها من مجالات الحياة المتعددة، ويصدق في ذلك قول ربنا: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة: ٢)، والبر اسم جامع لكل خير في الدنيا والآخرة، وقد جمعت الآية حفظ المصالح من جهة الوجود بالأمر بالتعاون على البر والتقوى، وحفظ المصالح ودرء المفاسد من جهة العدم، بحرمة التعاون على الإثم والعدوان.

إننا بحاجة إلى رسم خريطة للتواصل الحضاري بين الناس في القطر الواحد، والقارة الواحدة، والعالم كله، وأن نعرف ما يصلح فيه التواصل وكيف ننميه ونغذيه بما يحفظ للأجيال كرامتها، وبين ما يكون في التمايز الذي يحفظ الهوية لكل فريق، فيحصل التواصل في تناغم يحقق مصالح الجميع، وتلك رؤية حضارية للإسلام يجب الانتباه إليها، وأخذ زمام المبادرة من المسلمين لتسويقها عالميا، فإننا اليوم أحوج ما نكون إلى تصحيح معرفة الآخرين بنا، والتواصل الحضاري هو البوابة الكبرى للتعريف بالإسلام والمسلمين؛ تاريخا وحضارة وواقعا، وتلك مهمة كبرى لأمة عظمى.



عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية

التواصل بين الأمم سلوك إسلامي

لا تكمن أهمية التواصل الحضاري بين الأمم في الاطلاع على ثقافات الشعوب والتعرف على أحوالهم وطبائعهم فقط، إنما أيضا لاعتباره سلوك إسلامي وركيزة من ركائز الدعوة الإسلامية.

وكلما تقربنا وتواصلنا مع شعوب العالم المختلفة تعرفنا أكثر على ثقافاتهم واستفدنا من تطورهم وعلومهم، وكذلك استطعنا نشر الدين الإسلامي وإيصاله إلى كل شعوب العالم، ليتعرفوا على دين العدالة والمساواة الذي جاء رحمة للبشرية جمعاء.

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

فالتعارف باب خير وفائدة ومنفعة كبيرة يقود إلى التعاون والتنسيق والعمل المشترك لما فيه مصالح الناس والشعوب، لأن الإنسان لا يستطيع الاستغناء عن غيره في العمل والحياة لارتباط المصالح والأعمال، فكل شخص يكمل وظيفة الآخر لتسيير أمور الدنيا.

وفي ظل ما يواجهه العالم من تحديات وصعوبات كثيرة نتيجة نشر ثقافة العنف والكراهية وتهديد أمن المجتمعات بأعمال لا تمت بصلة للدين ولا الحضارات الإنسانية، فإن من المهم تعزيز وسائل الحوار والتواصل الحضاري بين الأمم لإبراز تعاليم الدين الإسلامي السمحة، القائمة على الاحترام والسلام والأمن، خصوصا أن الإسلام دين حضاري يدعو إلى التعارف والتواصل بين البشر، فكانت الحضارة الإسلامية ممتدة من المشرق إلى المغرب، بتنوع ثقافات وعادات وطبائع الشعوب، التي وصلها هذا الدين العظيم، والذي حافظ على كرامة الإنسان وأشاع العدل والمساواة والحرية، فكانت العلوم والمعارف والاختراعات والطب والفلك وغيرها من تقدم معرفي غير مسبوق عاشه العالم.

ومع تطورات التقنية الحديثة وانتشار تكنولوجيا الاتصالات بشكل واسع، والتي حولت العالم إلى قرية صغيرة لم تعد فيها حدود الزمان والمكان عائق أمام إيصال المعلومات والبيانات، فإن أهمية التواصل الحضاري تزداد قيمة لمد جسور التواصل مع مختلف الشعوب، والعمل على نشر الدين الإسلامي في كل أنحاء المعمورة، عن طريق وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي وشبكات الإنترنت المختلفة، وتبيان أن الإسلام هو دين السلام والأمن والحضارة، الذي يبني ويعمر وينعم فيه الإنسان بالعدل والرحمة والتعامل الراقي والعيش الكريم.



عبدالله الظفيري
صحافي وباحث

فوائد التواصل بين الأمم

وسط كثير من المتغيرات نتيجة ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات التي حولت العالم إلى قرية صغيرة تداخلت واختلطت فيها الأفكار والثقافات واللغات، تبرز أهمية التواصل الحضاري بين الأمم للاستفادة من التقارب في الزمان والمكان والاطلاع على ثقافات الشعوب ومعارفهم وعلومهم. وفي خضم صراعات سياسية واقتصادية وفكرية، فإن التواصل الحضاري يمثل أهمية بالغة باعتباره الوسيلة الأكثر فعالية في تحقيق التقارب والتفاهم وتقوية العلاقات بين الدول والشعوب.

وكلما كان التواصل الحضاري مبني على أساس واضحة وفهم لحضارة كل أمة فإن ذلك يؤدي إلى الاستقرار والازدهار وتحقيق السلام العالمي.

ولا شك أن التواصل مع الآخر سلوك حضاري ينتج عنهم فهم لطبيعة وثقافة الآخر، وهو ما يؤدي إلى التعايش والتفاهم والتقارب مع الشعوب، فليس هناك أفضل من الحوار والتواصل لإرساء علاقات مبنية على منهج التعارف بين الحضارات المختلفة.

وعندما تتلاقى ثقافات الشعوب وحضارتها المختلفة من خلال الحوار والتواصل فإن ذلك يؤدي إلى تعزيز السلام العالمي ويخفف من أجواء التوتر والنزاعات بسبب الخوف من الآخر.

ولا تقتصر عملية التواصل على مستوى الحكومات أو الدول فقط إنما حتى الأفراد العاديين يحققون أهداف التواصل الحضاري من خلال أي عمل أو نشاط يقومون به لتعزيز التقارب والتعايش مع الأمم الأخرى.

وثمة الكثير من الأفعال التي قام بها أفراد وجماعات وحققت نتائج مبهرة على صعيد التواصل الحضاري بين الشعوب وحضارات العالم المختلفة.

التأثير في الآخر يكون عبر التواصل والحوار وليس عبر الصراع والنزاع، وهذا هو أصل الحضارات، وهو أيضا ما قامت عليه الدعوة الإسلامية من نشر الدين الإسلامي عن طريق التحاور والإقناع لأنه الأكثر تأثيرا في إيصال الرسالة والهدف، فالقناعات لا تتغير بالحروب والسيوف، بل بالأفكار والحوار والتبادل الثقافي.

ولعل من فوائد التواصل الحضاري ليس فقط تغيير القناعات والأفكار وتصحيح التصورات الخاطئة التي ترسخت في الأذهان عن دين معين أو فكرة ما، إنما بالاستفادة من العلوم والمعرفة والتطورات في مناحي الحياة التي تعيشها الأمم والشعوب.

وتعتبر الحضارة الإسلامية سباقة ليس في احتلال صدارة النهضة والازدهار وتحقيق التطور الشامل، إنما في اعتماد الحوار والتواصل مع حضارات الأمم الأخرى لتستفيد من ثقافات الشعوب ومعارفهم وتنشر الدين الإسلامي بين الأمم المختلفة كدين يعتمد منهج التسامح والاعتدال والاعتراف بالآخر دون إقصاء أو تهميش.



القاهرة - الطيب حسين:
دار الإعلام العربية

تكامل لا تصادم

يشكل التواصل الحضاري بين الأمم، أهمية في تعزيز التعاون الإنساني لتحقيق التنوع الثقافي بين الشعوب، وتعزيز التفاهم فيما بينها، وإرساء مناهج ثابتة للوصول إلى هذا الأهداف دونما تصادم.. ويمثل التواصل عبر العصور نافذة لنقل العلوم والخبرات والمنجزات الحضارية على جميع الأصعدة، ليستفيد منها الإنسان، شريطة التعاون البناء القائم على احترام الآخر، فضلا عن دوره في إقامة جسور التفاهم.. وتتجدد الحاجة باستمرار إلى هذا التواصل كمطلب إنساني مهم اكتسب أهمية كبرى في عصور سابقة، لتتضاعف أهميته في هذا العصر، وهذا ما يحدثنا عنه كوكبة من العلماء.

نبدأ مع الدكتور مختار مرزوق عبدالرحيم، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، والذي أكد أن الإسلام حينما بعث به رسولنا ﷺ، لم يتصادم مع الحضارات السابقة عليه إلا في حالة واحدة، وهي في الكفر، فكانوا يعبدون غير الله عزو وجل، ويتخذون أصناما يتقربون بها إلى الله عز وجل، وهذا ما حاربه الإسلام، والنبي ﷺ حطم كل الأصنام التي كانت حول الكعبة.

أما حينما دخل المسلمون البلاد الأخرى، ومنها على سبيل المثال: مصر في ذلك الزمان بعد وفاة النبي ﷺ، احترموا حضارة المصريين، فلم يحطموا آثارهم، وبقيت الآثار المصرية كما هي، فتحطيم الآثار بحجة أنها أصنام واجهها علماء المسلمين، وقالوا: إن هذه ليست كالأصنام التي كانت على عهد النبي ﷺ، وبينوا أن الصحابة رضي الله عنهم لم يحطموا الآثار، وأن الواجب على المسلمين الإبقاء على

هذه الحضارات، وأنه يمكن الاستفادة منها من الناحية الهندسية والطبية والتاريخية كما هو معلوم.

تعاون لا تصادم

وأضاف: كذلك المسلمون لم يتصادموا مع الحضارات التي ذهبوا إليها وعاشوا بين أبنائها في كل زمان ومكان.

وعدم الصدام مع حضارات الأمم يعزز التعاون بين هذه الأمم وبين المسلمين. أما حينما يتم الاعتداء على حضارات غير المسلمين، فإن هذا يسبب مشاكل كثيرة، خاصة إذا كان المسلمون قلة في هذه البلاد، فليس من العقل أن يتصادم الإنسان مع حضارات الأمم، لكن بإمكانه التوافق معها، وما كان منها من شيء فيه عبادة لغير الله عز وجل، فعليه أن ينكر بقلبه، ولا عليه التغيير بالقوة، فينشر الفوضى في تلك البلدان، لأن هذا ليس من صالح الإسلام ولا المسلمين، خاصة أن العالم أصبح اليوم قرية واحدة، يبلغ الخبر من أقصاه إلى أقصاه في لمح البصر، فيجب التعاون والتواصل بين الناس.

وتابع «مرزق»: إن دورنا كمسلمين تجاه الحضارات الأخرى هو الاستفادة منها، وأن نتعاون مع أهلها فيما يؤدي إلى رقي البلاد والعباد، وفيما يؤدي إلى نفع الناس عامة، وإلى الآن ينتفع المسلمون مما يتم اكتشافه فيما حولهم: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت:٥٣)..

ومن هنا أن يجب على الجميع أن يتعاون، فهذا الوقت الذي نعيشه ليس وقت صدام كما يدعي البعض في الغرب، فالإسلام يدعو إلى التعاون بين الحضارات المختلفة، بإشاعة الأمن والأمان والاستفادة من العلوم ونحو ذلك ونفع البشرية بصفة عامة، وهذا مبدأ إسلامي، الرسول ﷺ يقول: (المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس) (أخرجه الطبراني)، (خير الناس أنفعهم للناس) عامة، ولم يقل: للمسلمين، وإننا نوصي بأن يتعاون أهل الحضارات في نفع الناس.. أما من ناحية العقيدة فإننا نقول لغيرنا: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ (الكافرون/٦).

صور التواصل

بدوره، قال الدكتور عاصم الدسوقي، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة حلوان: كل بلد له حضارته المستمدة من أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية ويترتب عليها قيم فكرية معينة تبدو حتى في الأمثال الشعبية التي يرددها الناس، وبالتالي لأن كل مجتمع له تاريخ منفصل فمن هنا لا توجد حضارة واحدة، فليست دول أوروبا كلها حضارة واحدة، على الرغم من أن الدين واحد، فلا يوجد ربط بين الدين وبين الحضارة، الدين مسألة إيمانية والحضارة مسألة مادية، والتواصل الحضاري يأتي من خلال التعاون والحاجة، وأي تفاعل بين أمتين هذا يسمى تواصل حضاري، حتى في أبسط صوره بين مواطن من حضارة، ومواطن آخر من حضارة أخرى، يبدو حتى في التصرفات الحياتية اليومية، وربما نفر منها ورفضها، وربما توافق معها، حتى عند الحاجة الاقتصادية، وما حدث من الغرب في بدايات الثورة الصناعية، وقدومه إلى الشرق بحثا عن المواد الخام، هذا من صور التواصل بين الحضارات، فمجرد التواصل حتى بين الشعوب وبين بعضها البعض، فهذا يصنع ألفة ويدعو إلى التعاون لأنه في حاجة له.

وأضاف أن هذا التواصل الحضاري له ضوابط، فأنا أخذ من الآخر ما لا يتصادم مع ثقافتي ولا أنمحي أمامه ويكون لدي اعتزاز بثقافتي وحضارتي، على سبيل المثال عندما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر، بقيادة نابليون بونابرت، المصريون وجدوا عند الفرنسيين بعض العادات أو الثقافات أو المعرفة المختلفة فأعجبوا بها،

ووجدوا أن الأخذ بها لا يضرهم.
وذكر «الدسوقي» أن هناك مسئولية تقع على الحكومات في مسألة التواصل الحضاري، وهو أنه عليها منع استيراد ما يتصادم أو يعمل على هدم قيمنا، حتى على مستوى المواد الثقافية أو الفنية، وكل ما يتصل في هذا الجانب من أمور تتصادم مع ثقافتنا المحافظة، لأنه لا توجد حرية مطلقة في أي بلد في العالم، كل بلد له تقاليد ويفرض تقاليده على المجتمع، والذي يعيش في أوروبا أو أمريكا يدرك أنه لا توجد هناك الحريات التي يتحدث عنها الناس.

تواصل ممتد وعلوم متبادلة

بدوره، قال الدكتور أيمن فؤاد، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، إن النموذج البارز للتواصل الحضاري بين الأمم، يشبه ما كان من تواصل بين الحضارة الإسلامية والحضارات السابقة عليها، متمثلا في حركة النقل والترجمة التي بدأت في بغداد في زمن المأمون العباسي، والتي أحدثت نقلة كبيرة كونها أطلعت العرب والمسلمين عن طريق نقل السريان من النصارى العباديين للتراث اليوناني الإنساني من جانب، والتراث البهلوي الفارسي والتراث الهندي السنكسريتي من جانب آخر، على أمور لم يكن لهم بها سابق علم، وهذا ما فتح المجال لانتعاش الفكر العربي الإسلامي، في كل القضايا المتعلقة بالمنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية، وهذه التي صنعت إسهامات من العرب والمسلمين، إضافة إلى العلوم القديمة والتي نقلوها إلى العربية وأضافوا إليها من خلال علماء مثل الرازي وابن سينا والبيروني وغيرهم، أي من الحضارة الإسلامية إلى الحضارة الإنسانية، وهذه الحضارة أيضا التي أعقبها حدوث تواصل بشكل عكسي من أوروبا في عصر النهضة، حيث تم نقل التراث العربي إلى اللغة اللاتينية، ومع ظهور حركة الطباعة كان من أوائل الكتب المطبوعة كتاب القانون في الطب لـ ابن سينا، حتى في الوقت الحاضر، يوجد جزء كبير مفقود من تراث أرسطو باليونانية، وتعرف عليه الغرب من خلال الترجمات العربية التي حفظت النصوص اليونانية، وهذه التي كتب عنها كتابا مهما الفيلسوف عبدالرحمن بدوي رحمه الله، بعنوان أرسطو عند العرب، وهي النصوص التي حفظت في الثقافة العربية لـ أرسطو، والتي شرحها في مرحلة لاحقة ابن رشد.

وأكمل أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، أنه إذا تأملنا في التواصل الحضاري في جانب العلوم، سنجد أن النقل أو التفاعل يتم بشأن العلوم الطبيعية والإنسانية، أما العلوم الدينية أو العقدية فتقتصر على أتباع الدين في كل مكان، بما يعني أن التواصل الحضاري فيما يتعلق بالعلوم والمعارف والاستفادة من المنجزات الحضارية المختلفة والمعاصرة وقت التواصل، ترمي إلى الاطلاع على العلوم الأخرى والاستفادة منها، فالذي كان عند المصري القديم انتقل وأصبح عند العرب والمسلمين، ثم انتقل وأصبح عند الغرب، مع إضافة كل حضارة للسابقة عليها.

وأكمل الدكتور أيمن فؤاد، أن هناك صورا عديدة للتواصل الحضاري في الوقت الحالي، وهي ما ننقله نحن من التطور على الصعيد التكنولوجي على سبيل المثال، والعلوم، والهندسة، وما إلى ذلك، إذن علينا التواصل مع الحضارات الأخرى بعقلية انفتاحية، فإن لم أصنع هذا فإذن سأصبح متخلفا، فالشعوب الأخرى ستسبقك وأنت ستظل متأخرا ووحيدا، فعلينا التواصل مع هذه الحضارات أيضا، مع رفض ما لا يتطابق مع أخلاقنا أو ما لا يتفق مع مبادئنا، فنحن الآن لا نستطيع رفض التطور الهائل على مستوى الصناعات والخدمات البشرية العصرية الهائلة على سبيل المثال، لأن هذه ينطوي على التكامل بين الشعوب والحضارات، ومن ينغلق فهو الخاسر لأن الركب الإنساني يسير، والمنجزات الحضارية تتواصل بلا توقف، وكل يوم يشهد العالم جديدا على كافة الأصعدة.

تأثر لغوي وثقافي

بدوره، قال الدكتور مختار الكسباني، أستاذ الآثار الإسلامية: إن التواصل الحضاري بين الأمم من أوجه التقدم الإنساني، ومن أبرز نتائجه التأثر اللغوي بين الحضارات المختلفة، فنجد على سبيل المثال ألفاظا من لغة، باتت بعد مرور السنين أصيلة في لغة أخرى أو في حضارة أخرى، على ما بين هاتين الحضارتين من تباين واضح وخلفيات ثقافية قد لا يبدو بينها كثير ارتباط، وبعد مرور مئات السنين من التفاعل فيما بينها، لكن هناك عدة عوامل تحدد هذا التأثير عند التلاقي بين حضارتين، منها قوة حضارة وازدهارها في وقت التواصل مع الحضارة الأخرى، فالقوي يؤثر في الضعيف ويفرض ثقافته عليه ربما لا إراديا، من منطلق حجم الانتشار وسرعته.



جعفر بن أشرف المليباري
باحث اللغة العربية وآدابها - الهند

كيف نعلم إكرام الضيف للجيل الجديد

لا شك في أننا نعيش في عالم تتكاثر فيه التطورات والتنمية ويسيطر فيه الإنسان على قمة كل شيء في شتى المجالات. كل يوم يخترع الإنسان أشياء مختلفة، ويعثر على ما لم يعثر عليه القدماء؛ علميا وتكنولوجيا، وحصل على العديد من المهارات في كل مجال فيما عرفه التاريخ وفيما لم يعرفه. ولكن للأسف.. في حين يرتقي الإنسان إلى القمة تبتعد العلاقات والروابط الإنسانية وتغيب عنه الخصال المحمودة ومكارم الأخلاق التي بعث الله عز وجل آخر الأنبياء والمرسلين ﷺ من أجل إتمامها. وقد قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (أخرجه: أحمد، والحاكم، والبخاري في «الأدب المفرد»، وصححه الألباني).

ومن المعلوم لدى الجميع أن الإنسان في العصر الحديث أحيانا يغفل أو يتغافل عن أهمية صلة الرحم وإكرام الضيف أو عن أي معروف آخر حثنا عليه الإسلام. أما إكرام الضيف فله فضائل عديدة وثواب من الله. وهو من الخصال المحمودة التي كانت بين العرب في الجاهلية وكانوا يحرصون على الأمور المحمودة كصلة الرحم والصدق والجوار وإكرام الضيف وإطعام الطعام، وكانوا يتسابقون إليها ويتفاخرون بها ويرون تعطيلها عارا ونقصانا على الرجل. وعلى مر العصور اشتهر العرب بكرم الضيافة، حتى أصبح إحدى شيمهم. ومما حدث عنه بعض الجوابين: «عاشرت العرب، وأقمت بينهم، فعرفت فيهم كثيرا من الخصال المحمودة»، ثم عد كلا منها حتى قال: «وأظهر ما رأيت فيهم من المحامد: الكرم، والسماحة، والجود، فيضيفون نزلاءهم ضيافة يوجبونها على أنفسهم ولو كانوا قتلة آبائهم، ويظهرون البشاشة عند قدوم الضيف، والغصة عند ارتحاله، ومن زعم أن حاتما أكرم العرب فقد ظلمهم جميعا. ولقد يبلغ الأمر بهم أن يقوم لعشائرهم مناد في الأسواق ينادي: هل من جائع فنطعمه؟ أو خائف فنؤمنه؟ أو راحل فنحمله؟». هكذا كان العرب منذ قديم الزمان أهل كرم وسماحة وجود.

ومن الجدير بالذكر أن إكرام الضيف قد حث عليه الإسلام وجعله صفة من صفات المؤمنين، وقد صح عن النبي ﷺ، كما روى البخاري ومسلم، أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، وجائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما أنفق عليه بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه». وإن النبي ﷺ كان معروفا بإكرام الضيف حتى قبل البعثة، فحين رجع النبي ﷺ إلى خديجة من غار حراء فزعا من لقائه جبريل عليه السلام قال لخديجة: «أي خديجة، ما

لي خشيت على نفسي».. فأخبرها الخبر، فقالت خديجة: «كلا، أبشر.. فوالله لا يخزيك الله أبدا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» (رواه البخاري ومسلم).

ومما لا ينكره أحد أن صحائف التاريخ قد سجلت وقائع غريبة وعجيبة في إكرام الضيف. وإليكم قصة واقعة في زمن النبي ﷺ. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود. فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، وقلن كلهن مثل ذلك، فقال ﷺ: «من يضيفه يرحمه الله». فقام رجل من الأنصار (يقال له أبو طلحة) فقال: أنا يا رسول الله. فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني. قال: فعلليهم بشيء ونوميهم، فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل، فإذا أهوى بيده ليأكل فقومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفئيه، ففعلت، فقعدوا وأكل الضيف، وباتا طاويين، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «لقد عجب الله (أو ضحك الله) من فلان وفلانة». وفي رواية مثله ولم يسم أبا طلحة، وفي آخرها فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر:٩) (متفق عليه). وهناك كثير من الأمثلة قديما وحديثا لقصة إكرام الضيف. ومن المعلوم لدى الجميع أن العرب كانوا على مدى تاريخهم أهل كرم وعزة، فقد جاء الإسلام ليعزز هذه المكانة المحمودة.

ومما لا شك فيه أن لكل شيء أسلوبه الخاص، ومن أسلوب الضيافة وإكرام الضيف أن يقوم كل واحد من الضيف والمضيف بحقه على الآخر. وللضيافة أصول وآداب يجب أن تراعى حتى يشعر الضيف فعلا بأنه في موضع الترحيب، وعلى المضيف أن يرحب بضيفه مع بشاشة الوجه عند دخوله هذا أول ما يجب عمله؛ لأن ذلك من شأنه أن يدخل على قلبه السرور والفرح. ومن واجبات إكرام الضيف أن يجلس إليه صاحب المنزل ولا يتركه بمفرده إلا للضرورة، وأن يبدأ بالكلام والتحدث إليه ومؤانسته. ولكن مع الأسف.. جيلنا اليوم يتغافلون عن هذه الأمور، بل إذا أتى إليهم ضيف لا يقومون بما عليهم من الترحيب والتحدث والكلام، بل ربما قد تجدهم منكبين على هواتفهم المحمولة كأنهم يعيشون في عالم آخر. وربما تراه – أيها القارئ – مبتسما والبشاشة على وجهه في حضرة الضيف، لكن ابتسامته وبشاشته ليستا من أجل الضيف، بل لما رآه على شاشة الهاتف أو رسالة صديقه في «واتس آب»، ويرد عليه حتى تستمر الدردشة بينه وبين أصدقائه على الإنترنت وهو لا يشعر أن لديه أو أمامه ضيفا يجب عليه إكرامه.

ومما لا بد من التنبيه إليه أن العادات التي سيطرت على الجيل الجديد خطيرة جدة على مستقبل وحياة الإنسان والإنسانية. وتلك العادات التي تعرض لها أبناؤنا تؤدي إلى انهيار الخصال المحمودة من ثقافتنا ومن قلوب أبنائنا، فعلينا أن نقوم بإرشاد أولادنا وتعليمهم أهمية إكرام الضيف وآداب إكرامه كما تعلمنا من آبائنا وأجدادنا.

ومن واجبات إكرام الضيف بعد الترحيب به والتحدث معه أن يُقدم له شيء من الطعام والشراب قدر استطاعة المضيف، على ألا يبخل بما لديه من طيبات، وعند الجلوس لتناول الطعام على المضيف أن يفسح المجال للضيف أولا ويبدأ صاحب المنزل في تقريب الطعام والشراب منه، ذلك لأن الضيف ومهما كانت درجة قربه من المضيف، يستحي أن يمد يده إلى صنوف الطعام دون أن تقرب إليه. وفي بعض الأوقات يقدم الطعام والشراب ولا يقرب إلى الضيف وقد يكون المضيف مشغولا بأمر ما أو مستغرقا في الحديث من دون أن يلتفت إلى هذا الأمر المهم. ومما لا بد من تفصيله أن الجيل الجديد لا يهتمون بآداب إكرام الضيف بأحسن أوجهها وهم غافلون عن قيمتها الثمينة. لأنهم أحيانا يقضون حياتهم في قبضة الهواتف وعالم الإنترنت حتى نسوا بعض القيم الأساسية التي يرثها الإنسان عن الآباء والمجتمع الذي يعيش بينه.

ومن آداب الضيافة أيضا أن ينتظر صاحب البيت ضيفه حتى ينتهي من طعامه ولا يرفع يده عن الأطعمة قبل أن يرفعها ضيفه، حتى وان شبع فمن الواجب أن يتظاهر بغير ذلك إلى أن يشبع ضيفه أيضا حتى لا يعرضه للحرج والتوقف عن الطعام وهو ما زال جائعا. وفي هذه الحالات أيضا جيلنا الجديد مختلف بحيث إنهم يأكلون مع الضيف وهم لا يهتمون به ويرفعون يدهم إذا شبعوا من دون انتظار أن يفرغ الضيف من الأكل. وقد ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم عن إكرام الضيف وإطعامه حيث قال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ

﴿٢٤ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٢٧﴾ (الذاريات:٢٤-٢٧).

أجل! إن الله سبحانه وتعالى يعلم عباده عبر هذه الآية كيفية الآداب عند دخول الضيف، يأتي في مقدمتها حسن الاستقبال والترحيب ثم الإسراع بتجهيز الطعام من دون استئذان الضيف في ذلك؛ لأن الضيف بالطبع سيرفض حرجا وخجلا، ثم يعلم الإنسان دعوة الضيف إلى الطعام وتقريبه إليه. ولكن اليوم كأن الجميع نسوا ما علمهم الله، اليوم كل الرؤوس عند استقبال الضيف منحنية والعيون مغروسة في شاشة الهواتف، وكأن الأفواه مغلقة منذ زمن بعيد يستقبل الجميع ضيفهم بكامل السكوت من دون كلام أو أي صوت كأنهم يرحبون به إلى مقبرة من مقابر الأشباح أو كأنهم يمشون مع ضيفهم على طريق يختبئ فيه العدو أو قاطع الطريق حذرين من كل سوء أو مكروه.

ولزاما علينا أن نقول إن هناك أناسا بخلاء لا يرضون بإكرام الضيف ظانين أن الضيافة تنقص من مالهم شيئا، وهؤلاء الذين ذكر عنهم القرآن: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ٣﴾ (الهمزة:٢-٣)

وهم لا يعلمون أن إكرام الضيف أو إنفاق المال في سبيل الله يجلب لهم الرزق والبركة ويزيد في الحسنات في الدارين. وقد توعد الله أصحاب البخل بوعيد شديد وعقوبات تلحقهم في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (النساء:٣٧).

وليس غلوا إذا قلنا إن الجيل الجديد ليسوا بخلاء في إنفاق المال بل إنهم ينفقون المال كثيرا ولكن إنفاقهم ليس في أمور الخير والحسنات، لكنهم ينفقون أموالهم في طريق الإسراف. واليوم تشهد الفنادق والأماكن السياحية والمتنزهات ازدحام الشباب، حيث يجتمعون حول طاولة الطعام ويطلبون كل ما هو موجود في قائمة الطعام ويأكلون الأطعمة التي طبخت بمختلف الأشكال والألوان والأحجام وهم غير محتاجين إليها. وفي الوقت نفسه، ينسون إنفاق الأموال من أجل إكرام الضيف وإعداد الطعام للفقراء والمساكين أو صلة الرحم.

لكن على الرغم مما ذكر من مشاكل فإن بعض الدول العربية، لا سيما دولة الكويت، لا تزال تنفق أموالها على الأعمال الخيرية في داخل بلدانه وخارجها، وتلك الأعمال تستحق الثناء والحمد. ولا غرو في أفعال تلك الدول العربية التي تسعى إلى الحفاظ على ثقافتها التي ورثتها عن الآباء، الذين كانوا أهل كرم وسماحة، وكان حاتم الطائي الذي اشتهر بكرمه وأبهر العالم به، وقيل إنه أكرم العرب، هو أحدهم، إذ إن هناك كثيرا من القصص الواقعية عن كرمه حتى ضرب به مثلا للكرم والجود.

وإليكم أغرب قصة عنه: قيل لأحد قياصرة الروم، بعد أن بلغته أخبار جود حاتم الطائي فاستغربها، إن لحاتم فرسا من كرام الخيل العزيزة عنده، فأرسل إليه بعض حجابه يطلبونها. فلما دخل الحاجب دار حاتم استقبله أحسن استقبال ورحب به وهو لا يعلم أنه حاجب القيصر، وكانت المواشي في المرعى فلم يجد إليها سبيلا لإطعام ضيفه فنحر الفرس وأضرم النار ثم دخل إلى ضيفه يحادثه فأعلمه أنه رسول القيصر قد حضر يستسمحه في فرسه، فساء ذلك حاتم وقال: هل أعلمتني قبل الآن فإني قد نحرتها لك إذ لم أجد جزورا غيرها، فعجب الرسول من سخائه وقال: والله لقد رأينا منك أكثر مما سمعنا. وله قصص عدة من هذا الصنف.

ومما يحزننا جميعا أنه كلما يصل الإنسان إلى قمة التطور والتكنولوجيا تموت إنسانيته من حياته. فبذلك علينا تعليم أبنائنا أهمية إكرام الضيف والأعمال الخيرية وحثهم على الحفاظ على ثقافتنا القيمة وإبعادهم عن الإسراف وأن نجعلهم سادة كرماء وأشرافا، ونفتح بهم بابا لعودة المجد والكرم حتى يشم العالم بأسره رائحته العطرية. وسيرتدي العالم حلته الجديدة حلة العز والكرم. وستكون كل القلوب مسرورة وتملأ الأرض بالفرح والخير وتتعزز العلاقات والروابط بين البشر وبين الشعوب وبين الدول وتنبت بينهم الإخوة والمحبة وسنزين العالم بالتعاون على البر والتقوى إلى الأبد. ومن الآن فصاعدا يجب أن نهيئ أنفسنا لأن نكون قدوة حسنة لأولادنا في الأمور الدينية كلها حتى يرث أولادنا عنا ما ورثناه عن آبائنا، ولذلك علينا أن نأمر أولادنا بتجهيز كل شيء لضيوفنا منذ صغرهم ولا ندعهم ينكبون على هواتفهم غافلين عن حضرة الضيف، وعلينا إحضار



د. محمد حسن بدرالدين
باحث دراسات إسلامية



مفهوم الحياة في الإسلام

اعتبر القرآن الكريم الحياة الإنسانية موضعا للاختبار، ومحلا لامتحان البشر، وأنها بالتالي وسيلة للفوز بالسعادة الأبدية في الحياة الأخرى. ولذلك كانت كل شعبة من شعب الحياة: من البيت والمدرسة والسوق والمصنع والمختبر والإدارة، تجارب مختلفة لتمحيص معدن الإنسان واختباره، تصديقا لقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾ **(العنكبوت/٣).**

تبين الآيتان للناس أنه لا يكفي أن يقولوا: آمنا، ليعتبروا من أتباع الحق وأهله، دون أن يمتحنوا قليلا أو كثيرا، فيستبان أنهم مخلصون أو مدعون. جعل الله سبحانه وتعالى الاختبار سنة كونية، فلا قيمة للحياة بدون امتحان ودروس، وقد ابتليت أمما سابقة ولاحقة بالتكاليف والمحن والصعوبات، ليعلم الصادقون من الكاذبين. وهذا يعني من جهة أخرى أن مناط النجاة والفلاح في دين الإسلام، ليس مجرد الانتساب إليه، والافتخار به، بل بالعمل والصدق والإخلاص، بحيث تظهر آثار القيم والتعاليم الإسلامية على المعتقين والمؤمنين، في أوقات

الضيق، وكذلك في أوقات الرفاهية والرخاء.
رأى الإمام ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) أن في الآية استفهام إنكار، ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء. وهذه الآية كقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (آل عمران/١٤٢).
ومعنى الفتنة في الآية هو اختبار الذين صدقوا في دعواهم الإيمان، ممن هو كاذب في قوله ودعواه، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون[١].
مفهوم الاختبار في الإسلام هو تأسيس لمبدأ وحدة الدنيا والآخرة:
وقع كثير من الفلاسفة والمتكلمين في حيرة عندما تكلموا في الخير والشر، ولكن الإسلام جعل من الحياة ميدان كفاح متواصل من أجل الرقي الإنساني، وجعل الخير والشر امتحانا لجوهر الإنسان وتمحيص معدنه، وبناء ذاته. قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد/٣١). يؤثر عن الإمام الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧هـ) أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا تبتلنا، فإنك إن ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا[٢].
هذا شعور مرهف بالمسؤولية وبحمل الأمانة، وفي الوقت نفسه، قبول وتسليم لأحكام الله وأقداره. وهذا يقتضي كما لاحظ محمد إقبال (ت: ١٩٣٨م) أن يقبل المسلم على تزكية نفسه وتخليصها من الفساد، عملا بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك/٢). فالحياة هي تهيئة عظيمة للنفس كي تعمل وتتزكى وتترقى. والموت هو أول ابتلاء دافع إلى الخلود[٣].
قدم الإسلام باعتباره آخر الديانات، تفسيرا كاملا للوجود وحقيقة الكون. فبعد أن علم أتباعه ضرورة الإيمان بخالق حكيم وعادل، جعل من الحياة الإنسانية جسرا يعبره الفرد لينمي طاقاته، ويفعل الصالحات ليلاقي الله عز وجل في يوم الجزاء الأكبر. وإن خلق الموت والحياة للابتلاء والتمحيص هو تصور إسلامي رفيع، ربط بين وحدة الدنيالبقوي والأخروي برباط وثيق.
وما أبعد هذا الشمول عن بعض الفلسفات والديانات الوضعية والنظريات المختلفة التي اعتنقتها جماعات من البشر، فقدمت لهم نظرة بائسة عن الحياة. فالبوذية مثلا قامت على تصور وحيد للحياة وهي كونها معرض أحزان ومورد كوارث وآلام. فالإنسان يستقبل الحياة بالبكاء، ويظل ملازما له طوال حياته، ولا يفارقه حتى النهاية. وإن الحزن وفق هذه الفلسفة هو المضمون العميق لمغزى الحياة. وهو فطرة منقوشة في عمق النفس البشرية. وتبعا لذلك فإنه لا وسيلة لإيقاف هذه الأحزان إلا بإيقاف الميلاد، والدعوة الى الانتحار الكوني. ومن أجل الخلاص من هذا الشقاء المقيم لا بد من تحطيم الجسد واحتقاره، وإذلال رغباته وكسر شهواته، لأنه مركز الفساد(٤).
أما الديانة اليهودية فقد اعتبر أتباعها أن الحياة هي ملك خاص للشعب اليهودي. أما غير اليهودي فلا حق له في الحياة. وتهافتوا على نوع من الحياة المادية الموغلة في الشراهة الى درجة الحقارة التي تذهب بكرامة الإنسان، فأباحوا المنكرات وحللوا الموبقات جريا وراء المتع الحسية والنهم المادي. قال تعالى محذرا من هذا التعلق المادي بحياة ولو كانت تافهة: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة/٩٦). قال الإمام ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ): «إن حرصهم على الحياة ولو كانت ذليلة لمعرفتهم بذنوبهم، وأن لا خير لهم عند الله تعالى»[٥].
أما المسيحية فقد حرف أتباعها أيضا معنى الحياة، وأدخلوا فيها كثيرا من التعقيد والتلبيس الذي يتصل بالخطيئة والتثليث، فالأرض عندهم أو الحياة الإنسانية، هي مملكة الله الحادثة، وأن المسيح عليه السلام هو تجسيد لحلول اللاهوت في الناسوت، وأنه نزل إلى مملكة الأرض ليكفر عن خطايا البشر. وقد ادى هذا التصور إلى نظرة معقدة في الحلول والخطيئة، حتى أصبح مفهوم الحياة بمقتضاها ضربا من الوهم والتلبيس. مثل هذا التعقيد جعل كاتبا مسيحيا هو نظمي لوقا (ت: ١٩٨٧م) يشيد بسماحة الإسلام وبساطته ونقاوته، التي تنظر إلى الأمور نظرة وضوح وواقعية لا نظرة غموض وتعقيد، حيث قال: «والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى، إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة، التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثيم كل أفعال المرء. إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة

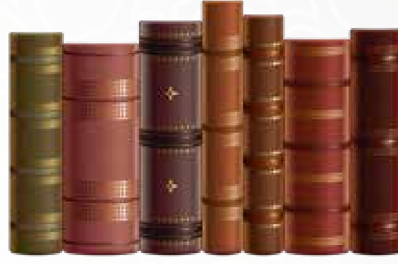
كلها. ورفعها عن كاهل الإنسان منة عظمى، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه. فالناس في كرامة البشرية أمة واحدة بغير تفريق، فقد جاء في سورة الأنبياء: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون (٩٢)﴾»[٦].

بناء الذات المسلمة

إن المبادئ الروحية التي دعا إليها الإسلام تزكو بالنفس وتحررها من الأوهام والعقد، وهي لذلك تستلزم نوعا من التضحية، ومقدارا من السمو والارتفاع بكثير من رغبات الجسد وملذاته. وهذا السمو لا يمكن أن يصدر عن نفس مترفة مدللة، لأن الترف يكون قد أضعف إرادتها وجعلها شديدة الحرص على استمرار ما هي فيه، فلا تتطلع الى آفاق جديدة من التعاليم الصالحة، وإلى ما يرقي الأمة ويدفعها نحو التقدم والازدهار. ولهذا وصف الله تعالى المترفين في القرآن بأنهم أعداء كل إصلاح، وأنهم خصوم العدل والحق، يقفون في وجه مسيرة الحياة، ويعطلون نموها الطبيعي، ويقدمون تصورا آخر للحياة، يقوم على الخداع والضلال والإلهاء، والتي نشاهد آثارها في منتجات الحضارة الحديثة.

إن الإنسان ليطغى

أمد الله تعالى الإنسان بالعافية والقوة والذكاء، ليقوى بها على طاعته وحسن عبادته والإحسان إلى العباد. ولكن كثيرا من الناس يستعملون تلك النعم في الترف والظلم والكفر. وهذا التحليل للنفس البشرية مقرر في القرآن الكريم منذ بدايات نزوله. حتى يأخذ المسلم حذره من هذا الخطأ الجسيم في فهم طبيعة الحياة الدنيا وحسن السير فيها، والذي وقع فيه كثير من الناس. قال تعالى: ﴿كلا إن



الإنسان ليطغى (٦) أن رآه استغنى (٧) إن إلى ربك الرجعى﴾ (العلق/٦-٨). رأى الإمام البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) أن في هذه الآيات ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه، أن رأى نفسه استغنى. وأن الخطاب عام للإنسان، على سبيل الالتفات، تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان[٧].

ومن طغيان الإنسان وإعجابه بنفسه وفكره، أن كل فلسفة أو نظرية يبتدعها، يحاول عن طريق وسائل التأثير المختلفة، أن يكون لها أتباعا ينصرون دعوتها ومبادئها، وتكوين عقليات تفكر بتوجهاتها، وتنظر بمنظارها إلى الكون والحياة، وتقيم الحياة بمعاييرها.

ونحن كمسلمين من الأولى أن تكون لنا نظريتنا الخاصة التي ننشئ عليها أفراد مجتمعنا بحيث يفكرون بالعقلية الإسلامية، وينظرون بمنظار الإسلام إلى الكون ورسالة الحياة، فلا يصابون بداء الانبهار والتقليد الأعمى. لأن الفلسفات المادية التي يبتدعها الإنسان ويغتر بها، ويدعو إليها بشتى الطرق، تنطلق دائما من خطط ترتكز على وسائل التأثير والإغراء التي تجلب بها عقول الشباب، مستندة في ذلك على أحدث وسائل المعرفة والتأثير، من علوم إنسانية وتجريبية واستغلال نتائجها لتدعيم أفكارها عبر قنوات شهيرة ومسالك غزيرة.

والمسلمون باعتبارهم يملكون رسالة هادية ووحيا خاتما، مطالبون بتكثيف جهودهم للمشاركة في حركية العلم والبحث، وعرض مفاهيم الإسلام على ضوئها، واعتماد الوسائل الحضارية الحديثة والملائمة. والمطلب الأكيد في هذا الجهد، هو تكوين عقلية أبنائنا تكوينا فكريا إسلاميا، بحيث ينظرون إلى الكون وما وراءه، وإلى الحياة وما بعدها، بالمنظار الإسلامي والقرآني، فيستطيعون رؤية الأمور بمعقولية ورشاد. وكلما ازدادوا نموا من الناحية العقلية والعلمية، استطاعوا رؤية الحقائق بصورة أعظم، ورؤية آيات الله الكونية بصورة أكبر وأوضح، فيزدادون إيمانا ورسوخا في الدين، وتحمسا له ودفاعا عنه، والتضحية في سبيل مبادئه وقيمه الرشيدة.

الهوامش

١ - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: (٢)، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م. (٦/٢٦٣).

٢ - محمود، عبد الحليم، الفضيل بن عياض، دار الرشاد، ط: (٢)، القاهرة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، (ص: ٥٢).

٣ - إقبال، محمد، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٥م، (ص:١٣٧).

٤ - كلود لفنسون، البوذية، ترجمة محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد، ط: (١)، بيروت، ٢٠٠٨م، (ص:٤٧).

٥ - ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط: (١)، بيروت، ١٤٢٢هـ، (١/١٨٢).

٦ - لوقا، نظمي، محمد الرسالة والرسول، دار الكتب الحديثة، ط: (٢)، القاهرة، ١٩٥٧م، (ص:٧٨).

٧ - البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط: (١)، بيروت، ١٤١٨هـ، (٥/٣٢٥).

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

الوعي الإسلامي

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com



د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

التكريم الإلهي للإنسان مظاهره وآثاره

الإنسان ذلك المخلوق المكرم منذ بدء خلقه وبعد موته وبعثه، وبدء رحلة الخلود الأخروية والتي يمتد التكريم الإلهي الذي لا نهاية له لأهل الجنة، خلود بلا موت.

بداية التكريم

التنويه الإلهي بخلق آدم وفي هذا تشريف ورفعة لشأنه هذا قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (ص:٧١)، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر:٢٨)، يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له».

وتتوالى مظاهر التكريم كما صورتها لنا آيات القرآن الكريم منها:

- تعليمه لآدم الأسماء واستخلافه في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (البقرة:٣٠-٣٣).
- خلق الله لأدم بيديه، ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾



(ص:٧٥).

- نفخ الله في آدم من روحه، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ (الحجر:٢٩)، وقد بين النبي ﷺ كيفية خلق الإنسان، فعن بسر بن جحاش القرشي، أن رسول الله ﷺ، بصق يوما في كفه فوضع عليها أصبعه، ثم قال: «قال الله: بني آدم، أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟!، حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة؟!» (أخرجه أحمد).

- أمر الله الملائكة بالسجود لآدم سجود تشريف وتكريم، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:٣٤).

- حفظه تعالى لعباده الطائعين من غواية الشيطان، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ (ص:٨٢-٨٣).

- خلقه في أحسن تقويم قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين:٤)، وقد وضح وأبان علماء التفسير مظاهر الخلق في أحسن تقويم الواردة في آية التين، قال القرطبي في تفسيره: وهو اعتداله واستواء شبابه؛ كذا قال عامة المفسرين، وهو أحسن ما يكون؛ لأنه خلق كل شيء منكبا عل وجهه، وخلقه هو مستويا، وله لسان ذلق، ويد وأصابع يقبض بها.

وقال أبو بكر بن طاهر: مزينا بالعقل، مؤديا للأمر، مهديا بالتمييز، مديد القامة؛ يتناول مأكوله بيده.

وقال ابن العربي: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيا عالما، قادرا مريدا متكلما، سميعا بصيرا، مدبرا حكيما. وهذه صفات الرب سبحانه، وعنها عبر بعض العلماء، ووقع البيان بقوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» يعني على صفاته التي قدمنا ذكرها.

وتأتي أية الأسراء لتجمع لنا مظاهر التكريم الإلهي للإنسان وتجملها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الأسراء:٧٠)، يقول السعدي في تفسيره: وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادر قدره، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة.

شرف العبودية لله سبحانه وتعالى: بعد هذا التكريم والتشريف الذي أسبغه الله تعالى على الإنسان في مظاهر الخلق والتفضيل على المخلوقات كافة، يأتي التكريم بمهمة الإنسان في هذا الكون، والذي يدور حولها مناط وجوده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ (الأعراف:١٧٢).

قال ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قال الله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ (الروم:٣٠).

حرية الاختيار:

منح الله عز وجل الإنسان حرية الاختيار، وحرية الاختيار تستلزم أن يكون الإنسان مسؤولا عن أعماله، وقد بين عز وجل للإنسان سبيل الهداية وعاقبته، وسبل الضلال وعاقبتها، وحرية الاختيار هذه من مظاهر التكريم الإلهي للإنسان قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام:١٥٣)، وقال تعالى:﴿وهديناه النجدين﴾ (البلد:١٠)، أورد القرطبي في تفسيره: يعني الطريقين: طريق الخير وطريق الشر، أي بيناهما له بما أرسلناه من الرسل، والنجد الطريق في ارتفاع، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما.

وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس:٧-١٠)، قال ابن عباس: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ بين لها الخير والشر.

وقد منح الله عز وجل آدم وزوجه حواء حرية الاختيار كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة:٣٥)، فهذه الآية اشتملت على أمر ونهي، وعليهما أن يختارا ويتحملا مسؤولية الاختيار، وبالفعل كان اخيارهما مخالفة الأمر والأكل من الشجرة فكانا عليهما أن يتحملا عاقبة ونتيجة هذا الاختيار، وهذا ما بينته الآية التالية: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (البقرة:٣٦).

إرسال الأنبياء والمرسلين:

بالرغم من أن نعمة العقل مظهر من مظاهر التكريم الإلهي للإنسان، إلا أن الإنسان لو أسلم زمام أموره لعقله معتمدا على اجتهاداته وتصوراته العقلية، لضل وتشعبت به السبل، ولعجز عن ضبط حياته وشؤونه وعلاقاته مع الآخرين.

ومن جهة أخرى يعجز العقل الإنساني عن الفهم الدقيق لحقائق ومظاهر الكون المنظور فضلا عن عجزه التام عن فهم الأمور الغيبية، لأن الغيب لا يدرك بالحواس، التي يعتمد عليها العقل في إصدار احكامه، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ (النجم:٢٨).

لذلك كان إرسال الرسل والأنبياء لكل الأمم من مظاهر التكريم الإلهي للإنسان، داعين الى عبادة الله وحده لا شريك له، ومعلمين لهم ما ينفعهم من شرائع أنزلها الله سبحانه وتعالى، تسوس شؤونهم وتصلح بها أمور دنياهم وآخرتهم، مبشرين الطائعين بالجنة والنعيم، ومنذرين العاصين النار والعذاب، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء:١٦٥)، ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (النحل:٣٦).

إرسال النبي محمد ﷺ:

مظاهر التكريم الإلهي للبشر لا نستطيع أن نحصيها على أن أعظمها وأجلها هي إرسال النبي ﷺ بشيرا ونذيرا لجميع البشر، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ:٢٨)، ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(فاطر:٢٤)، ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف:١٥٨)، وهو ﷺ بشر مثلنا يعيش بينا يجالسنا ويتكلم معنا، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (آل عمران:١٦٤)، هذا الرسول رؤف رحيم بأمته حريص على هدايتهم، قال تعالى:

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (التوبة:١٢٨).

وفي الحديث: أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ﴾ (إبراهيم: ٣٦)، وقال عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (المائدة:١١٨) فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي، وبكى، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك» (أخرجه مسلم).

وعن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ: «مثلي كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها، قال: فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار فتغلبوني تقحمون فيها» (أخرجه مسلم).

ومن تكريم الله تعالى لاتباع النبي ﷺ أن جعلها خير الأمم، فعن معاوية بن حيدة أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، قال: «إنكم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله» (أخرجه الترمذي).

ومن مظاهر التكريم الإلهي لأتباع النبي ﷺ في الآخرة بعد دخولهم الجنة: رؤية الله ورضاه عليهم، وقد ذكر الله عز وجل هذا النعيم وهذه التكرمة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ (القيامة:٢٢-٢٣).

وهذا النعيم وهذه التكرمة يحرم منها الكافرين، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ (المطففين:١٥)، وعن صهيب الرومي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل». وفي رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ (يونس: ٢٦) (أخرجه مسلم والترمذي).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله -عز وجل- يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا» (متفق عليه).

يقول ابن الأثير: «رؤية الله هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة، بلغنا الله منها ما نرجو».

الإعراض عن تكريم الله للإنسان:

على الرغم من هذا التكريم الرباني للإنسان إلا أن هناك من يعرض عن هذا التكريم، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ (طه:١٢٤).

وإذا كان مقتضى التكريم الرباني للإنسان أن يكون مستقيما على أمر الله أمرا ونهيا، كما يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: وإنما غاية الكرامة: لزوم الاستقامة، فلم يكرم الله عبدا بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه، ويزيده مما يقربه إليه، ويرفع به درجته، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ (محمد:١٧).

إلا أن هناك من حاد ومال عن طريق الهداية إلى الضلال والغواية، فحاد ومال عن التوحيد إلى الشرك، ومن الطاعة إلى المعصية، ومن الحلال إلى الحرام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ (الصف:٥).

وفي زماننا هذا نجد أن أولياء الشيطان ارتضوا لأنفسهم معايير للكرامة على خلاف ما ارتضاه الله لعباده، ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ (فاطر:٨)، فمثلا: صار الطاعن في القرآن والسنة مبدعا يكرم ويحتفى به، والعري والزنا معيارا لكرامة المرأة، والدياثة معيارا لكرامة الرجل، وهكذا الربا والرشوة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ (الحج:١٨).



د. هشام طه محمود سليم
كاتب وباحث



خير أمة

إذا نظرنا إلى تردي المستوى الأخلاقي لأغلب البشر في العالم اليوم، وإذا عقدنا مقارنة بسيطة بما كان يجب أن يتحلى به البشر من احتشام في الملبس، ومن حياء في أساليب التحاور، فضلا عن نشر التراحم، والتآخي، والتسامح، والتغاضي عن معاني الحقد والانتقام، فسنكتشف أن المسلمين فقط هم من يحافظون على الأخلاق الحميدة السامية في الأغلب الأعم، بينما يتردى العالم في دركات من العري والفحش في السلوك وفي الألفاظ التي تدور بها الألسنة حتى أصبح من المعتاد لدى الكثير من البشر في أقاصي الغرب أو أقاصي الشرق استعمال بعض المصطلحات والكلمات التي يندى لها الجبين، تعج بها الفضائيات وشبكات التواصل الاجتماعي من دون أدنى إحساس من مستخدميها بأنهم يخدشون حياء من يسمعهم أو يراهم، وإلا فإن من يقومون ببث تلك الألفاظ يقصدون بالفعل نشر تلك الأخلاقيات والألفاظ البذيئة بيننا.

الرداء المحتشم هو عنوان المجتمع الإسلامي

بمجرد خروج المسافر من بوابات المطار بأي بلد من بلاد العالم، وبمجرد إلقائه نظرة سريعة يتفحص فيها المظهر العام لأهل ذلك البلد، يستطيع أن يدرك ما إذا كان أغلبهم مسلمين أو غير ذلك.

ففي البلاد الإسلامية؛ ها هم الرجال وقد ارتدوا الأردية التي تستر أغلب أجسادهم على اختلاف أنواع وأشكال تلك الأردية، ذلك فضلا عن المظهر العام الذي ينم عن أننا أمام رجال لا شك في ذلك من حيث هيئة الوجه وتصفيف الشعر فهم لا يعرفون التشبه بالنساء.

وها هن النساء وقد ارتدين الحجاب أو النقاب، فازددن وقارا وحياء ينم عن أخلاق سامية، ومبادئ قويمة، بل إنه حتى من لم تلتزم بالحجاب منهن فقد وضعت لنفسها حدودا لا تتعداها من موديلات الفساتين المحتشمة أو حتى البناطيل الواسعة الكاسية التي تنطق بالثقافة الإسلامية، تلك التي لا تستطيع المرأة المسلمة الاستغناء عنها أو الخروج عن مألوفها.

وعلى النقيض في البلاد التي تدين بغير الإسلام؛ فتحت مبررات الحرية الشخصية إذا بالرجال يسيرون بغير منهاج ينظم أرديتهم، فمنهم من يرتدي الشورت القصير.... وكفى، ومنهم من يرتدي البنطال الممزق من كل جانب حتى أنه ليكشف من الجسد أكثر مما يستر، أو يرتدي البنطال وقد سقط عنه كاشفا ملابسه الداخلية.. إلى غير ذلك من الملابس العجيبة والغريبة، والهيئات المريبة التي وصلت إلى حد وضع الحلقات في الآذان، وارتداء السلاسل على الصدور، ونقش الوشوم التي تشوه بزخارفها جسد من يظن انه يتزين بها.. الخ.

أما عن النساء فحدث ولا حرج، فبين الملابس القصيرة من أسفل، والملابس الحاسرة من أعلى فقدت المرأة حياءها.. وعن أي حياء نتحدث وقد اعتادت العري منذ الصغر فلم يمنعها عنه سوى برد الشتاء القارس، فضلا عن تشبه البعض منهن بالرجال حتى في أساليب قص الشعر.. وهكذا قد يكون من الصعب أحيانا تمييز الذكر عن الأنثى في بلاد الغرب أو بلاد الشرق من غير المسلمين.

طيب القول والفعل هو سمة المسلمين الغالبة

بالتأكيد إن مظهر الإنسان ينعكس على جوهره، فإذا نظرنا إلى المجتمع الإسلامي في بلد ما، ففي الغالب لن تسمع آذاننا في الطريق فحش قول، ولن ترى أعيننا فحش فعل.. فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» (أخرجه الترمذي، ١٩٧٧)، والمسلمون، رجالا ونساء، أغلبهم يلتزم بذلك الحديث.

فكل مسلم ومسلمة يفهم معنى الحرية بحق، ويعلم أن الحرية لا تعني

الخروج عن الأخلاق الحميدة، ولا تعني الانفلات من أعراف المجتمع وتقاليده، كما أن الحرية لا تعني التعدي على مشاعر الآخرين بخدش حيائهم بالمناظر الخليعة والتصرفات البذيئة جهارا نهارا على الأرصفة وفي الطرقات.

أما في البلاد التي تدين بغير الإسلام فإن الناس يفهمون معنى الحرية فهما خاطئا، فهم تحت ستار مصطلح الحرية الشخصية يرتكبون الكثير من الموبقات، تتنوع بين ألوان الانحلال الأخلاقي المتعددة في الشوارع، وفي المتنزهات والحدائق، وعلى الأرصفة بين الفتيان والفتيات وبين الرجال والنساء، ولا يستطيع أحد المارة أن يعترض على مرتكبي تلك التصرفات الخادشة أو أن ينصحهم بكلمة.

بل لا يستطيع أحد المارة حتى أن ينظر إليهم نظرة اشمئزاز وإلا أصبح منتهكا لحرياتهم الشخصية، مما يضعه تحت طائلة القانون، حتى وصل الأمر في تلك البلدان إلى تهديد الكيان الأسري بالضياع، حيث عزف الكثير عن الزواج هربا من تحمل تكلفته ومسؤولياته مكتفين بالمتعة السريعة الزائفة.

ونعود إلى بلاد الإسلام فنجد أنه حتى إذا زلت قدم أحد المسلمين في معصية أو خطيئة فهو يحاول قدر جهده إلا يراه أحد حال ارتكابها، ليس من باب النفاق والازدواجية كما ينشر بعض أصحاب الفكر الهدام، وإنما من باب الحياء، ومن باب عدم المجاهرة بالسوء خوفا من الله سبحانه وتعالى، وإيمانا بحديث الرسول ﷺ المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه» (أخرجه البخاري، ٦٠٦٩).

التراحم والتسامح خلق إسلامي راسخ

في بلادنا، نحن المسلمين، تجد التراحم والتسامح سمة عامة بين الجميع حتى ولو اختلفت ديانات أهل البلد الواحد، فجميع المسلمين يتلون قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف:٢٩)، ومن ثم هم يؤمنون بأن لكل إنسان أن يمارس شعائره الدينية كما يشاء دون اعتداء على حريات الآخرين ومن دون جرح لمشاعرهم.

في بلادنا، نحن المسلمين، جميعنا يؤمن بالحديث المروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير» (أخرجه البخاري، ١٣). فمن منطلق هذا المعتقد الراسخ في قلب كل مسلم فإنه يحب لجميع الناس من حوله ما يحبه لنفسه من خير، ومن ثم فإن المسلم يجتهد ألا يظلم غيره، وأن يؤدي إلى كل صاحب حق حقه، وأن يعدل بين الناس.

بينما تجد في بلاد المشرق والمغرب الكثير من الناس ممن يدينون بغير الإسلام يعتدون على من يخالفهم في الرأي أو الاعتقاد بالقول وبالفعل، بل قد يتطور الأمر حتى يصل إلى إشعال فتيل الفتن والحروب بين الدول مما يترتب عليه القتل والتشريد والتهجير القسري... فضلا عن جميع الانتهاكات التي تتجاوز تصور أي عقل رشيد منضبط، وما زالت الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية شاهدتين على تلك الانتهاكات بما ترتب عن كل منهما من قتل ملايين البشر في أعوام معدودة.

الأمة الإسلامية هي خير الأمم بالتزامها حدود ربها

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠)

لقد شرف الله جل وعلا أمة الإسلام بشرف لا يدانيه شرف، إذ وصفها وصفا صريحا بأنها خير أمة أخرجت للناس بشرط القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإيمان بالله سبحانه وتعالى حق الإيمان.

وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى المسلمين بأنهم أمة وسط بين الأمم يشهدون على جميع الناس يوم القيامة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣).

وتلك الآيات وغيرها في كتاب الله العزيز تضع على عاتق كل مسلم وكل مسلمة واجبا إضافيا يفرض عليهم بذل الجهد حتى يكونوا جديرين بحمل الأمانة التي كلفهم بها الله جل وعلا، تلك الأمانة التي تحتم على كل إنسان مسلم أن يكون نموذجا للإنسان الذي جاء ليعمر الأرض ويصلحها، فلا يفسد فيها، ولا يسفك الدماء، وأن يكون نموذجا للإنسان العابد القانت لله رب العالمين.

فعلى هدي القرآن الكريم، وعلى هدي سنة الرسول ﷺ يبقى المسلمون خير أمة.. أمة صدق.. أمة أمانة.. أمة بر.. أمة إحسان.. أمة تراحم.. أمة إتقان.. أمة حياء.. أمة عفاف.. أمة تحمل لواء الأخلاق الحميدة عاليا فيشع ضوؤها ليشمل العالم كله.

أ.د. محمد حسان الطيان
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق





فخر الدين قباوة.. العالم العامل

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٠).

الحمد لله ولي كل نعمة.. والصلاة والسلام على من أرسل للعالمين هدى ورحمة، وبعد:

فإننا نكرم اليوم علما من أعلام العربية، وعالما من علمائها، وأستاذا من أساتيذها، وفارسا من فرسانها..

أبلى فأحسن البلاء، وأعطى فأكثر العطاء، وأحسن فأجاد الإحسان.. لم تلن له قناة، ولم يكل له متن، ولم يجف له قلم، ولم ينعطف به سبيل، ولم تنخفض له راية، بل مضى على عهده.. يرفع راية العربية أينما حل وارتحل، في دأب لا يعرف الملل، وحدب لا يعرف الضجر، وجد لا يعرف الهزل، وجلد لا يعرف الراحة.

راحته في العربية، وأنسه فيها، وجهاده في سبيلها.

فبها عرف، وبها اشتهر، وبأسرارها شغف وانبهر، وبرفعتها ارتفع وأبهر.

كم سعد بها وأسعد، وكم نهل منها وأنهل، وكم أشأم فيها وأنجد!

كم تعلم منها وعلم، وكم غاص في بحورها، وأخرج من لآلئها ودررها، وكم نشر من كنوزها وجواهرها!

كم أحيا من مخطوطاتها، وكم أخرج من خبئها، وكم حقق من نصوصها، وكم كشف من غميسها!

كم درس من طلابها، وكم خرج من علمائها، وكم جاهد في سبيلها، وكم هام في عشقها، حتى لقد ذاب فيها! فهي هو.. وهو هي.

وكأني بلسان حاله يقول لمن لامه في حبه:

لا تلوموا عاشقا
برح الشوق بقلبه
كلما لاح له
طيفها لاذ بقربه
همه رفعتها
وسناها يرتقي به

بل كأني به يردد:

أهيم بحب من أهوى وإني
لأرجو الخلق طرا أن يهيموا

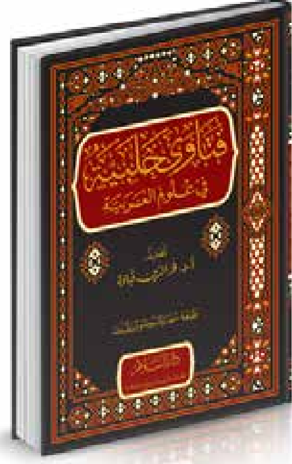
إنه فخر العربية الأستاذ الدكتور فخر الدين قباوة أطال الله في النعمة بقاءه.. وأمتع به وبعلمه.

وقفة مع النتاج المبارك

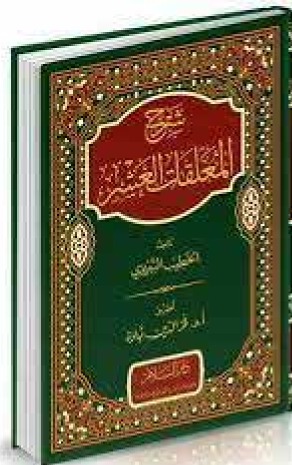
وإنما يعرف العالم بنتاجه وما قدم فيه، ونتاج شيخنا أعظم من أن يحاط به في هذه العجالة، وهو متنوع تنوع معرفته بالعربية ورسوخ قدمه فيها، ما بين تحقيق وتأليف، ونحو وصرف، ولغة وأدب، وتفسير وإعراب، وبلاغة وعروض، ونشر للدواوين الشعرية والمعلقات الجاهلية، والنصوص الأدبية، إنه النتاج الذي أحاط بعلوم العربية وفنونها، حتى لقد بلغ الثلاثمئة ما بين مجلد وكتاب وبحث ورسالة ومقال، منها مئة مجلد على الأقل، والباقي بحوث ومقالات.. فلا تكاد تجد فنا من فنون العربية أو علما من علومها، لم يشارك فيه بتأليف أو تحقيق أو بحث أو تحليل أو درس أو دراسة أو تدريس أو محاضرة أو مجلس، وما أعظم ما جلس من مجالس.

فقد أحيا سنة السلف في المجالس العلمية التي عقدها في المساجد والمحافل والمعاهد والمنازل، حيث أمه الطلبة من كل مكان، ووصلت مجالسه إلى أقاصي البلاد، لا سيما في الآونة الأخيرة التي انتشرت فيها مجالس التعليم عن بعد بسبب جائحة كورونا فرج الله عنا وعن البشرية جمعاء منها وكشف كل بلاء وبلية.

وخار الله له فكان من المهاجرين، إذ ترك بيته ومكتبته وأهله ووطنه، ليهاجر بدينه ولغته إلى هذه البلاد، وليجد فيها الأمن والأمان والنصرة والتمكين، والحفاوة والتكريم، وهو أهل لكل ذلك، ولعله في هذا قد لحق بشأو المهاجرين الأولين، واقتفى آثارهم، وقبس شيئا من نورهم.



وما زلت أذكر أني كنت في بداية سني دراستي الجامعية، حين تلمذت - مع كثير من زملائي - لكتب الشيخ، وأفدت منها، ولا سيما كتابيه المورد النحوي والمورد الكبير، فقد كانا نعم المورد لنا في دراسة النحو والصرف والإعراب والتطبيق الصرفي واللغوي على نصوص منتقاة بعناية بالغة من عيون الشعر والأدب الرفيع الذي يعلو بلغة الطالب ويسمو بها، فضلا عما تشتمل عليه من تطبيقات مختلفة.



ثم أسعدني زماني بلقائه في الكويت عندما حل ضيفا عليها وعلى محافلها العلمية ودواوينها الثقافية ومساجدها العامرة، فقدمته في غير ما مجلس، ونهلت - كما نهل الكثيرون - من علمه وفضله.

والمتتبع لنتاج الشيخ وجهوده في العربية يلحظ أنه يحمل على عاتقه أمانة.. ويفي بميثاق.. ويؤدي رسالة نذر لها نفسه، وشرى فيها عمره، وهو لا يفرق بين الدين واللغة بل يعدها شعيرة من شعائر هذا الدين، يبشر بها أينما حل، وينشرها أينما ارتحل.

إني لأحسبه -والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا- من الصفوة التي شرفها الله بقوله: ﴿والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾ فهو من النخبة المصطفاة التي أخذت الكتاب بقوة.. ومسكت به... وأذعنت له.. وقامت بحقه ..فدرسته.. وفسرته.. وأعربته.. وأتقنت لغته.. ونافحت عنها.. وذادت عن حياضها.. ورفعت رايتها في كل مكان.

وقد كان لتحقيق المخطوطات والعناية بها النصيب الأوفى من جهود الشيخ، إذ أخرج لعشاق العربية وطلابها ومحبيها طائفة من نصوصها ومخطوطاتها لا يكاد يستغني عنها أحد، وما أحسبني

مبالغا إن قلت: ما من مكتبة في دنيا العربية تخلو من تحقيقاته، مثل: الاختيارين للمفضل والأصمعي، والألفاظ وإصلاح المنطق لابن السكيت، وشرح اختيارات المفضل، والإيضاح في شرح سقط الزند، وشرح المعلقات العشر، وتهذيب إصلاح المنطق، وتهذيب الألفاظ، وشرح المقصورتين، والوافي في علمي العروض والقوافي للخطيب التبريزي، والجمل في النحو للخليل بن أحمد، والجنى الداني في حروف المعاني، ومغني اللبيب، وشرح الألفية للمرادي، وشرح بانت سعاد، وشرح قواعد الإعراب، وشرح الملوكي في التصريف، وشرح شعر الأخطل، وشعر زهير بن أبي سلمى، والقسطاس في علم العروض، ومبرز القواعد الإعرابية، والممتع الكبير في التصريف، وتفسير الجلالين، ورياض الصالحين...

وله في التحقيق منهج متميز، جلاه وبين أصوله في كتاب أفرده لها الغرض، هو: علم التحقيق للمخطوطات العربية.

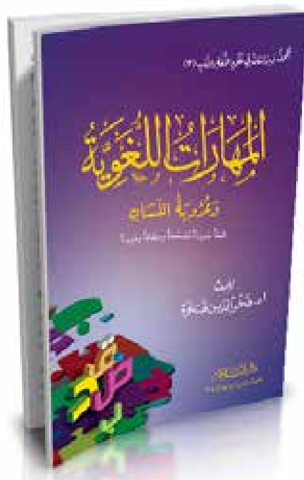
طلابه وتلامذته

وأما ما تخرج به من علماء، فهم أكثر من أن يحصون، وقد ملؤوا الدنيا علما وعربية، وحسبي أن أقول: إني لم أر أخا حلبيا – أو دارسا في جامعة حلب – سواء كان باحثا في العربية، أو عالما بها، أو أستاذا فيها إلا وقد أفاد من علم الشيخ أو جلس في مجالسه، أو تلمذ له، أو نهل من معينه، ومن لم يتخرج به فقد أفاد من كتبه ومؤلفاته وبحوثه وتحقيقاته التي طبقت الآفاق ونهل منها القاصي والداني، والعالم والمتعلم، والطالب والأستاذ، والباحث والمحقق..

ومن عرف الشيخ عن كثب عرف فيه الإخلاص لدينه ولغته، وعرفه عالي الهمة، حاد الطبع، حازم الرأي، عزيز النفس، أشم الأنف، أبي الضيم، لا يعنو لقهر، ولا يطمئن إلى غضاضة، ولا يصبر على خسف، ولا يقيم على مذلة.

إن حاله وقاله ليذكر بقول القاضي الجرجاني عن نفسه:

يقولون لي فيك انقباض وإنما
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم
ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما
بدا طمع صيرته لي سلما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة
إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما



ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أذلوه فهان ودنسوا
محياه بالأطماع حتى تجهما

ومن فضل الله علينا وعلى الشيخ أنه ما ونى ولا فتر، برغم تقدم العمر، فهو شعلة نشاط ورفد وعطاء، ولعل خير ما يعبر عن حاله ويوجز أمره قوله الذي خطه بقلمه في سيرته:

وأما شعاره الدائم فهو الجهاد بالعلم والصبر والإنتاج والإخلاص، مع حمد الله على دوام الإيمان والصحة والعمل، ووصيته للزملاء والمسلمين جميعا هي قول النبي ﷺ: «إن قامت الساعة، وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل»، وقوله أيضا: «إن الله – تعالى – يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»، والقول المأثور: «إنك على ثغرة من ثغر الإسلام، فلا يؤتين من قبلك».

وختاما فإني أسأل الله العلي القدير، أن ينسأ في عمر فضيلة الشيخ الجليل فخر الدين وفخر العربية، ويمتع به، ويمتعه بالصحة والعافية، ويجزيه عن هذا اللسان الشريف خير ما جزى عالما عن لغته، ومعلما عن طلبته، ومصلحا عن أمته.

وإني لأدعو من هذا المنبر طلبته وأحبابه وأبناءه إلى صنع كتاب تكريمي له، يحيي علمه، ويعلي ذكره، ويحلل فنه وفكره، ويكون نواة لرسائل جامعية تعلم الباحثين كيف تدرس العربية.. وكيف تدرس؟ وكيف تحقق المخطوطات.. وكيف تخرج؟ وكيف تسلك سبل العربية وكيف تذلل؟

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



محمد علام
محام وكاتب مصري



المحاماة في الإسلام

لم تتعرض مهنة ما لنظرة سلبية رغم سموها وعلو شأن من ينبغي لهم القيام بمهامها، مثلما تعرضت مهنة المحاماة، واشترك في تكوين تلك النظرة اعتقاد خاطئ عند البعض أشاعوه بين الناس، وللأسف شارك في الإحساس بذلك الشعور تصرفات بعض من ضعاف النفوس من الذين ارتدوا اللون الأسود المميز لأصحاب تلك الرسالة حول العالم.

لكننا إذا نظرنا بمنظار دقيق لوجدنا في هذه المهنة ارتباطا وثيقا وعروة لا تنفصم مع ما جاء به خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ لإصلاح الناس والدنيا كلها، رغم أن المهنة الاحترافية المعروفة حاليا لم تعرف في صدر الإسلام.

ذلك لأنه إذا وعي المحامي مهنته، لوجد مضمونها كفاحا ونيابة عن غيره الذي لا علم له بالقانون وإجراءاته، أو بفنون الخطابة والإقناع التي هي من المقومات الأساسية لكل محام، بل لا يصلح أن يكون محاميا من فقدها وإن عرف القانون وعلمه، بل إن في هذه النيابة والوكالة عن الغير أجرا كبيرا إذا ما اختار المحامي أن ينحاز للدفاع عن الحق، فكما قيل: «في كل قضية ظالم ومظلوم... فكن مع المظلوم دوما»، ولا أجد أي حرج أو تعب كي تتسابق الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة لبيان عظم أجر هذه المهنة في الآخرة، بخلاف الأجر الدنيوي الذي يتقاضاه المحامي، ولكن أي محام؟ كما أوضحت من اختار الحق ليثبته أو ليدافع عن مظلوم أو عن ذي حظ عاثر قيد إلى قفص الاتهام، وعمل بهذه النوايا بقلبه وجوارحه.

مكانة المحاماة من القرآن والسنة

كما ذكرنا تكثر الأدلة ليس فقط على شرعية مهنة المحاماة في الإسلام، بل على مكانتها وأهميتها، بكثير من الأدلة الصريحة والواضحة والمباشرة وأخرى يمكن القياس بها لاستنباط هذا الحكم.

بداية من الحديث المشهور الذي قال فيه ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[1].

وما رواه ابن أبي الدنيا والطبراني عن ابن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها، أثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام»[٢].

والمحامي يفعل كل هذا وأكثر في عمله، فأي كربة أعظم من كربة السجن وسلب الحرية لبريء، أو إدانة تمس شريفا. وفي المحاماة أيضا الكثير من صور «التيسير على المعسر»، فها هم المحامون يتصدون لآكلي الميراث المانعين لتوزيعه كما حدد الله، وقد شاهدت بعيني في العمل الكثير من المحامين الذين يدفعون من أموالهم للتيسير على الفقراء من الناس الذين تضطرهم الظروف للتقاضي، ومنهم من وجدته ذات يوم تستغيث به سيدة فقيرة قد ضاعت ملامح وجهها بعد أن ضربها زوج غاشم، فإذا به يعطيها مالا للعلاج وعمل التقرير الطبي اللازم للقضية.

وهناك من رأيتهم يسعون للصلح بين أشقاء تقطعت بينهم أواصر الرحم، مؤثرين هذا على مال سينالونه لو طالت القضية، ورأيت من يصلح بين الزوج وزوجته ويذكرهما بأولادهما ويذكرهما بالفضل بينهما، بينما قرأت فيما قرأت من كتاب «المحاماة فن رفيع» للأستاذ الكبير محمد شوكت التوني الكثير من الأمثلة المشرفة الناصعة، منها من أوضح لزوج شك في زوجته ظلما حقيقة الأمر، أو ذلك المحامي الذي بحث طويلا عن ورثة موكل لديه ليسلمهم ميراثه الكبير الذي لم يكونوا يعرفون مقداره أصلا بينما كان يمر هو نفسه بأزمة مالية طاحنة.

وبشكل عام، فالمحاماة في حقيقتها هي عون من قادر إلى غير قادر، فهي حق إنساني وشرعي للناس جميعا كي تنتظم حياة الناس ومصالحهم في أمان دون خوف من بطش أو ظلم، فإذا كانت الحقوق هي مكرمة من الله للإنسان، فإن المحاماة هي حائط الصد ضد التلاعب بها أو سلبها، وفي هذا الإطار يسمو الإسلام فوق الكثير من المذاهب الفكرية والسياسية الوضعية من الشرق والغرب التي تعتبر الحقوق إما منحة من الطبقة العليا أو الحاكمة، وإما أنها شيء ليس لصيقا بالإنسان بل يجب أن يدخل الصراعات للحصول عليها، لكن الإسلام وعلى العكس من هذا يعطي للناس حقوقهم ويعتبرها لصيقة بهم، ويمنع القوي من الظلم والتجبر، وبهذه الرؤية يمكن أن نرى المحاماة إذا ما سلمت من شوائب الطمع وموالاة الظالمين هي أداة تقرها الشريعة للدفاع عن الناس وحقوقهم وحفظها لهم.

ومن الأدلة الشرعية التي تؤكد ما ذهبنا إليه قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ (الحديد:٢٥)،

فكأن إقامة العدل والقسط هي الأساس الأول للناس بعد الإيمان بالله وكتبه ورسله، وهذه حقيقة تتكرر في كل مواضع التاريخ، فكم من دولة كبرى أسقطها الظلم، وكم من مجتمعات صغيرة أحياها العدل بإذن ربها.

مفاتيح الخير والشر

من الأحاديث التي تنطبق بشكل يكاد يكون تاما على المحاماة والمحامين، قوله ﷺ: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»[٣].

فالمحامي إما أن يكون صاحب رسالة لإحقاق الحق ودرء الشر والظلم عن الناس ومد يد العون لهم، وإما أن يتحول إلى مفتاح في يد الطامعين والظالمين بل وحتى المجرمين ينالون به مطامعهم، فينحط من أحسن تقويم إلى أسفل سافلين.

وقد يستخدم المحامي حتى ما وهبه الله به من نعم كالفصاحة وحسن البيان وبلاغة التعبير والمعرفة بالقانون وعلوم الحياة المختلفة ليكون مفتاحا للشر والجور، وفي هذا حديث مشهور عن النبي ﷺ: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض؛ فأقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار»[٤].

ويتكامل هذا الحديث الشريف الواضح المعنى والشديد التحذير مع قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (النساء:١٠٩).

دفاع عن المذنبين

ومع هذا فبعيدا عن أكل أموال الناس بالباطل أو الاعتداء على أملاكهم أو أعراضهم وغيرها من الصور، فإن الإسلام به فلسفة عبقرية تجعل هناك فرصة ثانية متاحة للجميع إذا ما كان الخطأ «فرديا» بأن أصاب الشخص نفسه بالضرر وليس الآخرين، فالإسلام

لم يأت سيفا يرهب الناس من العقوبات إن تجاوزوا، بل هو يخوفهم من الحدود والعقوبات تخويفا يمنعهم من الانزلاق فيها، وحتى إن زلت أقدام بعضهم، فلا بد من سلوك إجراءات معينة إن تغيبت يمتنع فورا إنزال العقوبة، وفي هذه الصور واحدة من أهم وأخص واجبات المحامي ومهامه.

هذا ما نسميه في القانون الحديث بـ «شرعية الإجراءات» و«شرعية الدليل»، فلا يكفي القبض على شخص يرتكب جريمة ما، بل لابد أن يتم هذا وفقا لإجراءات محددة منضبطة، وكي لا يعثر الفهم هنا أو يضل، فهذه الإجراءات ليس الهدف منها توفير حماية للجاني أو للمذنب، بل للبريء. فالهدف منها حماية الناس من أن يستغل قوي أو ذو نفوذ قوته، فيرمي الضعيف منهم بما ليس فيه من تهم بلا إجراءات تحميه.

ومن أشهر ما يستدل به على هذا الأمر، قصة الفاروق عمر بن الخطاب مع الشيخ الذي دخل عليه منزله ليلا فشاهده يشرب الخمر، فلما هم الفاروق أن يأخذه للعقاب، كان رد الشيخ عليه أنه ما حصل على الدليل بشربه للخمر إلا بأن تجسس على منزله، وهذا منهي عنه، فتركه الفاروق ومضى، وفي نهاية القصة أن الرجل بعد ذلك جاء إلى مجلس أمير المؤمنين وقال له إنه لم يعد لمثلها قط.

الشاهد من هذه القصة الواردة في أكثر من مصدر دون طعن يقدح فيها، أن سيدنا عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين لم يعاقب شارب الخمر لأن دليله عليه افتقر إلى «الشرعية». وقد يكون مدهشا للبعض أن الكثير من أفكار المذاهب القانونية الحديثة عند تأصيلها سنجدها تنبع من فترة خلافة عمر بن الخطاب، لكنهم طوروها وأطلقوا عليها أسماء غريبة لا تدل على أصلها الحقيقي، وهذه الفكرة التي نتحدث عنها تحديدا مفادها أن الإسلام لا يستهدف إلحاق العقوبة كغاية، بل حماية للمجتمع وتقويم للخاطئ، لذا إذا كانت هناك فرصة للدفاع عن من أخطأ في حق نفسه فقط ولم يتعرض للآخرين بظلم كمن شرب خمرا فقبض عليه أو غير ذلك من الصور المماثلة فيكون أمام المحامي مجالا للدفاع عنه ليحصل على الفرصة الثانية مستهديا بذلك بما فعله الفاروق عمر مع الشيخ الذي تاب نتيجة ذلك.

وعموما، فباستثناء الجرائم الخمس الكبرى التي حددها القرآن، كانت المحاكم في الإسلام طيلة قرون حرة في بعض الجرائم بحيث تأخذ في اعتبارها الجريمة من حيث الظروف التي ارتكبت فيها، وشخصية مرتكب الجريمة[٥].

لذا كان لزاما أن يتواجد بين الناس فئة منهم، تضمن شرعية محاكماتهم، وبخلاف أهمية تلك الحماية التي يجب توفيرها للكل، فكم من بريء حقا ظهرت براءته بفضل قريحة متقدة نابهة لمحاميه، فكشف التدليس والأدلة غير الشرعية وغير الموضوعية معا، وقد عرفت غير مرة كيف انتهى القضاة ليس فقط إلى براءة المتهمين، بل إلى معرفة الجناة الحقيقيين والظالمين الذين اتهموهم ودبروا لهم بليل، فتحول ميزان العدالة إليهم هم، وهذا هو العدل الذي هو اسم من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وأحد أهم المقاصد التي جاءت من أجلها رسالة خاتم رسل الله ﷺ.

وفي الأمر خطر عظيم

وبناء على كل هذا، يظهر لنا تكامل المحاماة وتماشيها مع دعوة الإسلام وأهدافه العليا، ورغم هذا.. فهذه كلمتي لإخوتي من المحامين.

إن في الأمر لخطرا عظيما، فعلينا جميعا تذكر مقولة «إن المحامي هو قاضي الدعوى الأول»، فعليك كمحام أن تختار من سيقيمك مقام نفسه أمام القضاء، وتعرف هل هذه إقامة حق وعدل يرضا عنها الله ورسوله... أم إقامة جور وظلم.

ثم بعد هذا كله، فلا يكفيك أن تقف بجانب الحق فحسب، بل بجانبه تقف وبالحق تقف ومن أجله تقف، فلا يصح إقامته بشهادة زور أو اعتداء مماثل، حتى وإن خلت الأدلة المادية التي تثبته، فطريق الحق المستقيم لا يؤتى بباطل.

وتذكر دوما أننا قوم محاسبون على كل قضية قبلناها من أول يوم عملنا فيه حتى يوم نقبض فيه، فلا تكن من الذين قال فيهم عز وجل: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (العنكبوت:١٣).

الهوامش

١ – رواه الإمام مسلم، حديث رقم ٢٦٩٩.
٢ – السلسلة الصحيحة، الجزء الثاني، ٩٠٦.
٣ – رواه ابن ماجه رقم ٢٣٧، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم ١٩٤.
٤ – حديث رواه البخاري ٧١٨٥، والنسائي ٥٤١٦.
٥ – الرئيس البوسني الراحل علي عزت بيغوفيتش، «الإسلام بين الشرق والغرب»، القاهرة: مصر، دار الشروق، ٢٠١٣م، ص:٣٢٧.



عاصم عبدربه محمد محمود
دكتوراه في الأدب والنقد

قراءة نقدية في إبداعات الوعي الشعرية

للنقد دور كاشف في بيان النصوص، الإبداعية فهو يلقي الضوء على ماتفرد به الكاتب/الكاتبة من أسلوب فضلا عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبها إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.

ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها سواء، في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.



عن قصيدة «صلى عليك الله»

من قصائد الشعر الديني، والشعر الديني عموما تلفه الروحانية والمشاعر الفياضة، فالشاعر في مثل هذه القصائد لا يبتغي مدحا ولا ينتظر جائزة من أحد، وإنما تفيض روحه ببعض المعاني السامية فيعبر عنها بمثل هذه الألفاظ، وشاعرنا هنا جعل النبي ﷺ مادة لقصيدته مستعينا ببعض النقاط التاريخية التي أعانته على إبراز الصورة، فيشير إلى تلقيب المشركين للنبي بـ «الصادق الأمين»، فيقول: «عرفوك فيها صادقا وأمينا»، ثم يشير إلى ما صح أن الله تعالى قد حفظ نبيه من ضلال عبادة الأصنام فيقول: «وحفظت من سوء الضلال»، ثم يحسن الشاعر في استخدام الاقتباس في معرض حديثه عن أخلاق النبي فيقول: «بعثت متمما لمكارم»، فهو مقتبس من قول النبي ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (مسند أحمد، ٢/٣٨١). ثم يستعين بالاستعارة المكنية فيحول القرآن والسنة إلى شخصين يتحركان ويعقلان ويتعانقان، فيقول: «نبعان تعانقا»، مما زاد في إبراز صورة التلاحم والاقتران بين القرآن والسنة في صياغة الشكل النهائي التام للشريعة، ثم يلح على ذلك المعنى فيبرز القرآن والسنة في صورة حبلين يتعلق بهما من يريد النجاة من الأهوال، ثم يعدد الشاعر بعضا من أخلاق النبي ﷺ التي اشتهر بها ليبرز عظمة هذا الجانب وحرص الإسلام على تنميته مستخدما الطباق الذي يساعد على إبراز المعنى من خلال ذكر الضد بجانب ضده، فيذكر «الإساءة» من الناس في مقابل «الإحسان» من النبي، ويذكر «القسوة» من الناس في مقابل «اللين» من النبي، ثم ينوه في الختام بعظمة الإسلام في منحه الأجر العظيم على أعمال خفيفة مثل عبادة «اللفظ الرقيق» و«التبسم» و«بشاشة الوجه» و«رقي المعاملة».

وأسلوب القصيدة في مجمله هادئ ناعم يكاد يكون على وتيرة واحدة من أول القصيدة إلى آخرها، ابتعد الشاعر فيها عن المعاني الغائرة والألفاظ المعقدة.

عن قصيدة «اقرأ كتابك»

قصيدة «اقرأ كتابك» مبنية على المقارنة بين حالين: حال أهل السوء والنفاق، وحال أهل الخير الذين يسيرون على الصراط المستقيم. وقد أكثر الشاعر من إلحاحه على النفاق ومشتقاته وما يتفرع عنه من أخلاق، فيظهر المنافق في صورة المخادع، ثم في صورة ذي الوجهين، ثم في صورة الدنيء الذي يأكل على كل مائدة ويلعق كل الآنية ويصفق لكل متحدث، ثم يقارن الشاعر في لفظ بديع بين من حاله هكذا وبين المستقيم الرشيد الصدوق. وقد استعان الشاعر في قصيدته هذه باقتباسات كثيرة زادت من جمال الوصف ولفتت الانتباه إلى مراد



الشاعر، حتى استحقت هذه القصيدة أن تسمى «قصيدة الاقتباسات»، فيقول: «أفمن يؤسس فوق جرف» مقتبسا من قوله تعالى: ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَـٰارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ (التوبة:١٠٩). ويقول: «أما الصديق فلا يغير وجهه» مقتبسا من قوله ﷺ: «تجدون من شر الناس ذا الوجهين» (مسند أحمد، ٢/٢٤)، ثم يقول: «كل امرئ يجزى بسابق فعله» مقتبسا من قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور:٢١). ثم يقول: «اقرأ كتابك بالحقيقة» مقتبسا من قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الجاثية:٢٩).

ثم اختار الشاعر أخف أبواب البيان (الكناية) فاستعان بها لتوضيح مراده، فيقول: «يغير وجهه» وهي كناية عن النفاق والتلون، ويقول: «أرخى جناحا للهدى» كناية عن قبول الحق والإذعان إلى الهدى، ويقول: «جيدهم سيعلق» كناية عن النهاية القبيحة التي تنتظر من يسير في طريق السوء.

ثم يبرز الشاعر أهم ما يمتاز به الرجل الصادق وهو صفة «الوضوح»، فالصادق لا يواري ولا يلجأ إلى الكلام الملتوي. وقد أحسن الشاعر حين استعان على إبراز تلك الصفة بالتشبيه، فجاء بقوله: «الصدوق كالشموس» فوجه الشبه بينهما الضياء والوضوح، وهي الصفة التي قصد الشاعر إبرازها بمعونة التشبيه.

ولم يقتصر الشاعر على ذلك، بل راح يتتبع بعض الصفات الحسنة مثل: «التقي، من يرضي الإله، يصدق»، ويتبع ذلك بجزاء من يتصف به، فالتقي «إلى نعيم يسبق» ومن يرضي الإله «ليس للدنيا بعين يرمق» والصادق «كالشمس تشرق في كل أرض».

وفي الشطر الثاني من البيت الأول ذكر الشاعر «علا جدر» فلعله يقصد «على جدر»، وفي الشطر الثاني من البيت الرابع (أو يستوي مع من بفعل..) كان يحسن أن يقول: «هل يستوي مع من...».

قصيدة «وكبا الذي قد غر بالأفراح» للشاعر محمد محمد عيسى

قصيدة «وكبا الذي قد غر بالأفراح» سياحة فلسفية عميقة في النفس البشرية وميولها ونوازعها، استخدم فيها الشاعر أفكارا بعيدة الغور عميقة المعنى ليبرز مراده من إلقاء الضوء على طبيعة تلك النفوس وعجائبها، فيبدأ قصيدته بأعجب أحوال البشر، وهي أن رحلة البشر في الدنيا من المفترض أنها تبدأ بالصياح والأفراح عند المولد، وتنتهي بنقيض ذلك تماما من البكاء والحزن عند الموت، وهو يتمنى عكس ذلك، ثم يشير إلى اختلاف البشر في طباعهم ورغباتهم وتصرفاتهم واختلاط ذلك وتداخله مثلما تتداخل الأشربة عندما تمزج في كأس واحدة.

ويستمر الشاعر هكذا ينتقل من صفة للنفس إلى أخرى حتى يقول: «إن جاء جمع منهم بحقيقة ردوه»، فيشير بذلك إلى نزوع النفس في كثير من أطوار حياتها، حيث تنفر من الحق، وتصد عن الطريق القويم، بل وترمي من جاءها به بالبهتان والقبح.

وقد نوع الشاعر من الألوان البلاغية في قصيدته، فاستخدم الطباق بين «نواح وصداح» ليبرز أمرين مهمين: أولهما التناقض بين حالين من المفترض أن يكونا معكوسين، فالنفس مقبلة على الدنيا بهمومها وأحزانها ومع ذلك تجد الناس سعداء لذلك، وفي الحال الأخرى النفس راحلة عن دار الهموم إلى دار النعيم والراحة للمؤمن ومع ذلك تجد الناس في حزن وبكاء شديدين، وثانيهما التمني أن يكون حال الموت حال فرح واستبشار بالقدوم على رب رحيم يجزي الطائعين بالجنة.

ثم استعان بالتشبيه البديع فقال: «كما الأمزاج في الأقداح»، حيث شبه الناس في امتزاج أخلاقهم وتداخل تصرفاتهم وما عندهم من تشابه وتناقض وامتزاج وتنافر.. الخ، بالأشربة التي وضعت في إناء واحد ثم مزجت حتى صار من المحال تخليص شراب من الآخر.

ثم لجأ إلى الاقتباس من القرآن الكريم في موضعين، حيث قال: «وأشار ألا تحزنوا لمصيبة» فهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَـٰبَكُمْ﴾ (آل عمران:١٥٣)، ثم يقول: «وردة محفوفة» فهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ (طه:٢٠).

ثم يظل الشاعر يعظ الناس بألا يركنوا إلى الدنيا لأنها إلى زوال، وألا ييأسوا لحدوث مصيبة لأنها لا تبقى، وألا يغرقوا في ملذات الدنيا لأنه لن ينجو إلا الزاهد، ليصل بذلك إلى ما قصده في عنوان القصيدة: «وكبا الذي قد غر بالأفراح» وهو أن المغرور بأفراح الدنيا وزخرفها هو الذي سيكبو ويتعثر ويضل طريقه.

الدكتور محمد علي الوافي كرواتل
(قاص من الهند)



مطعم التسونامي

مثل جميع السامعين، وأنا أيضا لا أدري هل هذه حقيقة أم خيال، لأنها أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة. في مساء يوم الخميس الماضي، سرد علي تلميذي الفاضل الأخ عثمان بن همزة تلك القصة. وهو يطعمني بألذ الأطعمة التي تناولتها منذ حين، ويقول بأن ذلك الطعام الشهي من إعداد هذا الرجل الجديد الذي يعرف في قريته بلقب تسونامي. واستغربت من لقبه الذي لا أراه من الألقاب الشائعة في ديارنا المليبارية. إنما هي كلمة تدل على الطوفان الذي عصفت رياحه العاتية بالقرى الساحلية في إندونيسيا والبلدان المجاورة للمحيط الهندي سنة: (٢٠٠٤م). وكما يقول النقاد إن الكتابة حتى الإبداع لا تأتي من الفراغ، وإنما يستمد الكاتب تلك الحبكة القصصية من واقع الحياة ومؤثراتها المختلفة، وما من كاتب اعتمد على قدراته الفنية فقط، دون أن يستمد مقوماتها من المؤثرات التي يجدها من طريقه أو تلك التي تحيط به من كل الجهات.

لم ينته الأخ عثمان بن همزة من سرد هذه القصة الغريبة، بت غير مصدق لما سمعت منه، لأنها قصة قل أن تقع مثيلاتها في خلد البشر. قصة حب وصفاء، وقصة بر ووفاء. قصة إبراهيم، ذاك المراهق المليباري الذي غادر بيته قبل سنوات. وترك أسرته وفر إلى مكان بعيد بعد أن ارتكب معصية كبرت في عينيه وخاف عليها المعاقبة من والده العم[1] علي.

في المجتمع المليباري، الأطفال المتنمرون كانوا يمارسون هذه العادات السيئة، حيث إنهم يرتكبون سلوكيات التنمر والاستئساد داخل المدرسة، وحينما يخافون الضرب والشجار من والديهم يلجؤون إلى مغادرة بيوتهم وقراهم أو النفور من ذويهم وأقاربهم ثم يفرون إلى مكان بعيد... ومنهم من يرجعون إلى بيوتهم بعد أيام، ومنهم من تكتشف الشرطة مكانهم الجديد، وترجعهم إلى أحضان أمهاتهم، ومنهم فئة ثالثة تفضل الاستقرار في مكانهم الجديد ويحلو لهم البقاء فيه، وتبني هناك عائلة ثم لا ترجع إلى مسقط رأسهم. لأن تلك الحالات الاجتماعية قد ضيعت كثيرا من أبناء هذه الولاية في لحظة شجار عنيف، لا يتقدم أحد لكي يقوم بمهمة المصلحة بين الآباء وأبنائهم

المتمرين.

وهذه أيضا قصة صاحبنا إبراهيم الذي صار معروفا في قريته بلقبه الغريب «تسونامي»، رحل عن ذويه إثر شجار عنيف بينه وبين أصدقائه في المدرسة. ومدير المدرسة طلب من والده العم علي أن يحضر في المدرسة لاتخاذ الإجراءات الرسمية لإبعاد ولده إبراهيم عن المدرسة لكثرة وقوعه في الأعمال التتمرية داخل المدرسة. وفي مساء ذلك اليوم قرر إبراهيم أن يغادر بيته ويفر إلى مكان بعيد لا يخاف فيه من ضرب والده العم علي ولا على معاقبته. وفي صباح اليوم التالي، قبل أن يستيقظ الفجر من مهد الظلام، خرج صاحبنا إبراهيم من الباب الخلفي للبيت، وألقى نظراته الأخيرة إلى كل أجزاء البيت مرة أخرى، وقبل أن يدخل إلى شارع القرية الذي يقوده إلى محطة القطار، حفر إبراهم الفار اسمه على تلك الشجرة الصغيرة التي أتى بها قبل (٣) سنوات من المدرسة في اليوم العالمي لحماية البيئة. وظن الولد بأنه سوف يكون باقيا في ذاكرة أقاربهم طالما يبقى اسمه محفورا على جذع هذه الشجرة.

ومن هنا ندع صاحبنا إبراهيم التسونامي أن يستعيد علينا تفاصيل حياته الدقيقة بعد فراره من البيت. والقارئ يدرك بأن حياته لم يكن ظاهرها المتناغم والجميل مثل عمقها القاسي والشديد... انفصاله عن قريته الصغيرة في المليبار التي تربى فيها كولد مدلل يعرفه الجميع إلى جزيرة حيث لا علاقة له فيها ولا قرابة. وهيا نجلس لكي نستمع إلى ما يقول عن أيامه الماضية في هذه الجزيرة البعيدة، وعن الأسباب التي ساقته مرة أخرى إلى قريته في المليبار... لأن الإنسان إذا ما عايش ظروفا قاسية بعيدة عنا، تكون هي مجرد خيال لا تمت بصلة مع الحقيقة مهما حاولنا... والأحسن لنا أن نجلس مستمعين...

يقول إبراهيم التسونامي: «استقرت بي تلك الرحلة في جزيرة آندامان ونيكوبار (Andaman and Nicobar Islands) الواقعة في المحيط الهندي... رحلة أفر بنفسي ومشاعري، القطار، الباص، السفينة، وأخيرا في هذه الجزيرة البعيدة عن قريتي في المليبار. لم أعد أعرف ماذا كان علي أن أفعل... أمشي كل يوم في أزقة مدينة بورت بلايار (Port Balir) أبحث عن اللا شيء، أو ربما عن كل شيء أسد به جوعتي ولوعتي... وبعد أسبوعين كاملين، حصلت على عمل في إحدى المطاعم في هذه الجزيرة. ما كانت وسائل الاتصالات شائعة في بداية السنوات التسعينيات، ولم تصل إلي الشرطة لكي ترجعني إلى قريتي، ولم يتعرف علي أحد من سكان هذه الجزيرة... وذات مرة، كان أحد الزملاء في المطعم قد سألني عن قريتي ومسقط رأسي... وأجبته باسم قرية أخرى بعيدة عن قريتي لكي لا تصل إلي الأيادي الباحثة عني... ومع مرور السنوات، تناسيت جميع العلاقات التي تمتني بأقاربي وقريتي... الأيام في هذه الجزيرة كانت مسرعة الخطى لا تلوي على شيء، وكل شيء مر بسرعة. وبنيت في الجزيرة أسرة تضمني وزوجتي... وأنجبت لي ولدين...

وبينما أنا كذلك، عصفت رياح التسونامي العاتية على شواطئ المحيط الهندي سنة: (٢٠٠٤م). وكان ولدي الصغير مع جدته لأمه يلعب في رمال الشاطئ حينما وقعت التسونامي، بكيت وبكيت بملئ حنجرتي لأني عرفت بأن الأمواج قد جرفت ابني الصغير... حاولت لمدة ثلاثة أيام لكي أعثر عليه، وبحثت عنه في المخيمات والمستشفيات ووسط الأنقاض... وأخيرا بعد خمسة أيام قالت السلطة بأنها أدرجت اسم ابني في قائمة الأطفال المفقودين... نعم آلاف الأطفال الأبرياء قد انفصلوا عن والديهم... اتصلت بذلك الهاتف الذي تحفرت أرقامه في ذاكرتي منذ الصغر... رقم الهاتف في بيتي في قرية المليبار... رقم لم أتجرأ أن أتصل به بعد فراري قبل عشرين سنة... اتصلت لكي أخبر بأن ولدي الصغير قد صار من المفقودين إثر رياح تسونامي... ورن الهاتف في قريتي... من أول وهلة عرفت ذلك الصوت الجهوري... والدي العم علي... ترتجف يميني التي أخذت السماعة... ولا أدري هل يرتجف بدني لخوف ما سألاقيه من كلام الوالد أو للوعة ما لاقيته من فقدان ولدي... أشد سماعة الهاتف لأذني اليسرى بقوة أكثر، ثم تجرأت على أن أقول...: «إني إبراهم، ولدكم



الوحيد الذي فر منكم قبل عشرين سنة... أنا بخير... وأظن أنكم أيضا في أتم الصحة والعافية، وأتمنى لكم الصحة وطول العمر... وإني منذ أسبوع لم أر ولدي الصغير، ولم أسمع صوته، لا أعرف شيئا عنه، سوى أنه ضاع مني كما ضاع أطفال هذه القرية عن والديهم... إن أمواج تسونامي العاتية قد دمرت القرى المجاورة لسواحل جزيرة آندامان (Andaman Nicobar Island)، وشردت أهلها، وأبعدتهم عن بعضهم حتى أن كثيرا من الناس فقدوا أسرهم، وبعض الأطفال ضلوا عن عائلتهم وبقوا منتظرين أحدا من ذويهم في المخيمات والمستشفيات في مدينة بورت بلايار (Port Blair)... وألتمس منكم يا بابا أن تدعو لولدي المفقود...».

وقبل أن أنتهي من المكاملة، قال والدي العم علي: «ألتمس منك أيضا أن تدعو لولدي الذي غاب عني وعن أمه قبل عشرين سنة، لعل الله يرجعه إلي قبل موتي، لأن والدته المريضة لا تزال تذكره، وتسأل عنه»، مرت لحظة من السكون، لم أسمع سوى خفقات قلبي، وكنت أحس بأن الأرض تدور حولي. من قال إن الأرض التي حولنا لا تحس ولا تشعر ولا تحزن؟ أعتقد بأن ذلك المكان الذي أنا فيه، يدور حولي، ويحس بمشاعري، وهو أيضا يرتجف لهول ما سمع من كلام الأب. شعرت بأنني على مشارف الإغماء، وبدأت أفقد توازني تدريجيا، شعور غريب يعصى على التفسير والبيان... من دون أن تنتظر إذني، خرجت من جوفي تنهدات... هل تكفي الأمواج التسونامية الهائلة التي رأيتها قبل أسبوعين بأم عيني، أن تطفئ ما تفجر من داخلي من بركان...؟ كيف أرده؟ كلمات قليلة مختصرة علي أن أجيبه بها، ولكنها لم تصل إلى الخارج... «لن أترك الزمن مرة أخرى يعبث بنا يا بابا، لن أترك الظروف تبعدنا عنك وعن أمي». لا أدري هل هذه الجملة وصلت إلى الطرف الآخر في الهاتف؟ أم لا... إلا أني حاولت أن أكررها، ولكن العبرات في عيني غلبت العبارات في شفتي.

راحت أبواب الذاكرة مشرعة تتفتح أمامي على أيام جميلة، بدأت أستعيد ذكرياتها الرائعة، وقد أحسست أن كل ما حولي يتراقص على الذكريات الحلوة التي قضيتها في أسرتي، لعنت على جميع الدقائق التي لم تلهمني على الرجوع إلى هذه الذكريات الجميلة... و بعد عشرين سنة، أرجع إلى مسقط رأسي، إلى دفء أمي، إلى رأفة والدي، إلى محبة أقاربي... ذهبت ذكرياتي الماضية مهرولة إلى مسقط رأسي، إلى قريتي، إلى مدرستي، وإلى جميع الذرات التي شكلت بيئتي الطفولية. وأسرعت إلى مدينة بورت بلايار (Port Blair) لكي أحجز تذكرة السفر للرجوع إلى

قريتي الجميلة. نعم في الأسبوع القادم، هناك سفينة من ميناء بوت بلاير (Port Blair) إلى كوشن (Cochin). يا إلهي.... بعد عشرين سنة، سوف ألتقي بوالدي، ووالدتي، وأقاربي، وأستنشق هواء قريتي... للحظة، تخيلت أن هذا المكان حولي قد تحول إلى طفل لا يملك سوى البكاء.

عشرون سنة يكفي لتغيير صورة القرية التي التقطتها ذاكرتي في اللحظات الأخيرة في يوم الوداع... كل شيء تغير، إلا تلك الشجرة الكبيرة التي حفرت على جذعها الصغير اسمي لكي لا أكون أنا خبرا منسيا في بيتي وبين أقاربي. وهي واقفة قبال بيتي إلا أن الحروف الإنجليزية التي حفرتها أخذت تضمحل... الأقارب والجيران كلهم ينظرون إلي بعين الاستغراب والدهشة... أجر أنا خطواتي الثقال، وأطلب من الأرض التي تحت نعالي أن تتوقف عن الدوران لأترجل منها... طرقت الباب كأنني أطرق عليه أول مرة في حياتي... وفتحت الباب شقيقتي الصغيرة التي كانت في عمرها الخامس يوم وداعي، محدقة في وجهي، وهي تحاول أن تجد وجه التشابه بيني وبين تلك الصورة الراسخة في ذهنها حين غادرت البيت قبل عشرين سنة. ولكن محاولاتها فشلت، واختفت وراء أمي. أما والدتي المحبوبة، فهي لم تفتح باب المحاولة، بل بمجرد رؤية حققت بأنني ذلك الجزء الذي انفصل عن حضنها ولم ينفصل عن قلبها. وهي تضمني إلى صدرها كما كانت تضمني وأنا رضيع في حجرها. قلت الكلمات في شفتيها وكثرت الدمعات في عينيها، وهي تحاول ذروف الدمع السيال على خديها... الأحزان والآلام ما زالت تركد بقاياها في ملامحها... وكم افتقدت هذا الدفء، وكم كانت الحياة دافئة في أسرتي قبل سنوات... تململت في داخلي «ذريني وقلبك يا ماماه... هذا الدفء لا أضيعه مرة أخرى في حياتي...».

أما والدي العم علي، وهو لم يكن موجودا في البيت وقت رجوعي... كان قد رحل إلى السوق لشراء الحاجيات المنزلية. وبعد ساعة، رأيت والدي يصعد الأدراج إلى بيتي... رجل كان في عنفوان شبابه يوم ذهابي... وأصبح اليوم شيخا هرما شيبته الأحزان والآلام وأنهكه المرض والسنون، وهو يتكئ على عكازه، ويحمل في يساره كيسا للخضراوات والفواكه... حدقت النظر في وجهه، تلك السنون المجدبة قد رسمت على ملامح وجهه رسوم الفقر والفاقة، إلا أنني رأيت دلائل الاستبداد لا تزال باقية في عينيه الثاقبتين. كم تغير والدي... وكم طالت منه السنون... أخاديد عميقة، وظهر مقوس، وعكازة... تقرب والدي إلي وتبسم على رؤيتي، وهذه الفجاءة منحته ابتسامة تفسر عن فرحه وسروره... وقبل والدي على جبهتي، ثم عانقني... كأن كاهله بدا أكثر منحنيا لثقل ما حمله طوال هذه الأيام البائسة. لم أتجرأ أن أكلمه مرة أخرى... حينما كان يعانقني معانقة طويلة استمرت لدقائق، تلاشى كل شيء حولي، ولم يبق إلا أنا الطفل المغادر ووالدي العم علي، الوالد المستبد... وكلماته الثلجية التي سمعتها عند المعانقة لا تزال تدوي في أذني، وهو يقول: «الحمد لله على سلامة ولدي وفلذة كبدي إبراهيم». خلال حياتي كلها، لم يعانقني أحد بمعانقة دافئة مثل هذه... نعم اليوم، بعد عشرين سنة، في حياتي الجديدة أرى الكثير من الوجوه، وأشعر بالكثير من الابتسامات، وأحس الكثير من الحب، من السعادة، من الدموع.

قصته، أصبحت حديث الناس في القرية، إبراهيم الذي غادر القرية قبل عشرين سنة، رجع إلى أهله بسبب تسونامي... تقول أم إبراهيم: إن تسونامي قد ضيعت رياحها العاتية آلاف الأبرياء من الأطفال، إلا أنها أرجعت طفلها إبراهيم إليها. كما تمت الإشارة إليه، إن إبراهيم كان يعمل في مطعم في جزيرة آندامان... وبعد عودته إلى القرية، فتح إبراهيم مطعما في قريته وأضاف إلى المذاقات المليبارية بعض المذاقات الجزرية الشرقية... والناس الذين يرتادون إلى مطعمه الجديد أصبحوا يسمون هذا المطعم: «مطعم التسونامي» ومن هنا اشتهر صاحبنا إبراهيم بلقبه الغريب التسونامي...

الهوامش:

١- العم علي (Ali Uncle) هكذا يناديه أهل القرية.



محمد أمان
كاتب

حراء النور

هذا حراء النور والأسرار	سر الإله وملتقى الأنوار
هو بقعة مختارة من ربنا	لمقام أحمد سيد الأخيار
إن الإله أراد أحمد ههنا	في معزل عن مجمع الكفار
يرجو لوجه الله دينا قيما	متطهرا من مسلك الفجار
متأملا متفكرا متدبرا	متجردا للواحد القهار
متحنفا دين الخليل ونابذا	للرجس والأنصاب والأوزار
مستمسكا بالعروة الوثقى على	نهج الأوائل من ذوي الأبصار
مستبصرا نور الهداية في المدى	مستشعرا حدثا من الأقدار
يرعى بدائع صنعه في خلقه	ودلائل الإعجاز في الآثار
والقلب مملوء يقينا راسخا	أن الممالك في يد الجبار
أن السماوات العلا ببروجها	والأرض في فلك جرى بمدار
ما كان يقرأ من كتاب إنما	نور البصيرة قارئ الأسرار
أسرار هذا الكون يكمن كنهها	في قدرة تخفى عن الأنظار
هو خالق دلت عليه بدائع	في أنجم وطبائع وبحار
هو واحد والكون ينطق شاهدا	فالليل يأتي تابعا لنهار
سكن الحبيب الغار تسمو روحه	في مدرج الآيات والأفكار
جبريل في شوق وفي لهف إلى	أن يأذن الرحمن بالإيثار
إيثار أحمد بالكتاب وبالهدى	ليكون خاتم رسله الأطهار
شرف لجبريل الأمين نزوله	بالوحي دون ملائك أبرار
هي نفحة علوية في لمحة	ويكون عند محمد في الغار
يا أحمد اقرأ باسم ربك تاليا	قرآن ربك ذي الجلال الباري

شذرات

عمرو طه
قاص وباحث

إن الذي يكل إلى الناس تقدير قيمته يجعلونه سلعة يتراوح سعرها بتراوحهم بين الحاجة إليها أو الاستغناء عنها

عباس محمود العقاد

العالم لكل الناس، غير أنَّ لكل إنسان عالمًا هو خالصة نفسه

الرافعي

أفضل وسيلة لتحقيق أحلامك هي أن تستيقظ

بول فاليري

من المؤكد أن الشؤون الإنسانية ستكون في سعادة أفضل لو كانت قدرة الإنسان على الصمت كقدرته على الكلام

اسبينوزا

اسمعني جيدًا حتى تفهمني.. لا تقاطع حديثي لأكمل أفكاري.. اخفض صوتك حتى أفهم لغتك.. ابتسم حتى أقبل آرائك

ألبير كامو

كن سندًا لنفسك، اتكئ على بعضك وانهض

دستويفسكي

إن حوادث الطفولة أشبه بالخدوش التي تُترك على سطح ليّن من الأسمنت، سُرعان ما يَجفّ فلا تُمحى الخدوش أبدًا، إن كل عُقدنا ونحن بالغون بدأت في طفولتنا

أحمد خالد توفيق

عزه أحمد محمد حامد
باحثة دراسات إسلامية



د. شوقي ضيف.. أحد أعلام اللغة العربية (١٩١٠-٢٠٠٥م)



يمثل الدكتور شوقي ضيف علامة بارزة في مسيرة ثقافتنا العربية، فهو أديب وعالم لغوي ومؤرخ موسوعي للأدب العربي، وهو صاحب المؤلفات العديدة التي نهضت بعلوم العربية أدبا ولغة ونحوا بعد جمود، وفي كل بلغ الذروة والإجادة. شغل العديد من المناصب منها: رئيس مجمع اللغة العربية في مصر، وعضو مجمع اللغة العربية في سورية، وعضو شرف في مجمعي الأردن والعراق.

حياته حافله بالجوائز: جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي (١٩٨٣م)، وجائزة مبارك للآداب (٢٠٠٣م)، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب (١٩٧٩م)، كما منح دروعا من جامعات عدة مثل القاهرة والأردن وصنعاء.

حياته

إنه الأستاذ الدكتور أحمد شوقي عبدالسلام ضيف، الشهير بـ «شوقي ضيف». ولد في محافظة دمياط شمال مصر، وكان الابن الوحيد لوالديه، وكان والده شيخا أزهريا. بعد مولده أصابه مرض فأضعف بصره في العين اليسرى، لكنه ختم القرآن في سن العاشرة، وظهرت عليه علامات العبقرية والنبوغ منذ صغره، فألحقه أبوه بمعهد الزقازيق الثانوي الأزهري، ثم التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة العربية، فكان الأول على دفعته سنه ١٩٣٥م، وعين معيدا، وسجل رسالة الماجستير بإشراف الدكتور أحمد أمين، وكان موضوعها «النقد الأدبي في كتاب الأغاني للأصفهاني»، وحصل على امتياز مع مرتبة الشرف سنه ١٩٣٩م، ثم سجل الدكتوراه تحت إشراف طه حسين بموضوع «الفن ومذاهبه في الشعر العربي»، وحصل عليها ١٩٤٢م بامتياز مع مرتبة الشرف.

وطبعت رسالة الدكتوراه بتقديم د. طه حسين الذي تعود أن يكتب مقدمة للنابغين من طلابه، فكان ضيف واحداً منهم، وكذلك د. سهير القلماوي عن أطروحتها للدكتوراه تحت إشرافه «ألف ليلة وليلة». كتب طه حسين عنه: «إذا كنت حريصا على أن أقول شيئا في المقدمة فإنما هو تسجيل الشكر الخالص للجامعة التي أنجبت الدكتور شوقي، والدكتور شوقي الذي أنتج هذه الرسالة».

وعلى الصعيد الإنساني، كل من عرف د. شوقي يعلم أنه كان رجلا مسالما لم يشغل نفسه إلا بالعلم وبناء العلماء، كما أنه نأى بنفسه عن المعارك الفكرية والأدبية التي خاضها أستاذه طه حسين وأدباء ومفكري عصره كالعقاد والرافعي في النصف الأول من القرن الماضي وآثر أن يعمل بجهد وصمت فتحققت له الريادة.

أعماله

أمضى د. شوقي خمسة وسبعين عاما من حياته يعمل ويجد فألف ٥٠ مؤلفا منها موسوعة: «سلسلة تاريخ الأدب العربي» وهي من أشهر ما كتب، استغرقت كتابتها ثلاثين عاما، وتحوي مراحل الأدب العربي منذ ١٥ قرنا من الزمان جمع فيها شعر ونثر كل الأدباء والشعراء منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، وقد سردها بأسلوب سلس بسيط وأمانة علمية ونظرة حيادية موضوعية، وبلغت من الشهرة أن تمت طباعة الجزء الأول من السلسلة، وهو «العصر الجاهلي»، عشرين طبعة. وشملت هذه الموسوعة موضوعات مهمة مثل الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، في الشعر والفكاهة في مصر، البلاغة تطور وتاريخ، تحريفات العامية للفصحي، من الشرق والغرب.

كتبه

من يدقق النظر والبحث في مؤلفات

د. شوقي يجده رجلا مميزا ذا عقلية ثاقبة، تعمق في التراث العربي، عاش الأصالة والمعاصرة وأتقن اللغات الأجنبية، وقرأ ودرس عن الحضارة الغربية، شارك في كل مناحي الثقافة، وأرخ للأدب والبلاغة والنحو، كتب في فنون الأدب والنقد والترجمة الشخصية والرحلات والنثر.

- كتابه «موسوعة الشعر العربي» يقع في عشرة مجلدات، ويعتبر من أهم الكتب التي ضمت شتات الأدب العربي رأسيا وأفقيا؛ ففيه من حسن التجميع والتصنيف ما يجعله مرجعا لا غنى عنه في تاريخ الأدب العربي، فقد جمع فيه الشعر منذ ١٥٠٠ عام من العصر الجاهلي إلى الحديث.

- من أعمال د. شوقي الشهيرة أنه نشر وحقق كتابه في النحو والذي يحمل اسم «الرد على النحاة» لابن مضاء القرطبي، حيث بحث شوقي عن المخطوطات القديمة للمؤلف ودرسها وأعاد نشره، وكان يرى أن ابن مضاء عقّد النحو وجعله صعبا، فألف كتبا في النحو هي «تجديد النحو»، «تفسيرات لغوية»، «تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا»، «والفصحى المعاصرة»، وحرص في كتبه على تبسيط قواعد النحو لتصبح أسهل في التعامل ولكي يمحو كراهية المتعلمين للنحو.

- ويدخل كتاب «جهود شوقي ضيف في تجديد النحو التعليمي وتيسيره» في دائرة اهتمام المتخصصين في علوم اللغة العربية وآدابها تحديدا، والباحثين في الموضوعات ذات الصلة بوجه عام؛ لأنه يتضمن فروعا أخرى مثل الشعر والقواعد النحوية والصرف و الأدب والبلاغة والآداب العربية.

- وله باع كبير في الدراسات الإسلامية فمن مؤلفاته: «الوجيز في تفسير القرآن الكريم»، «عالمية الإسلام»، «القسم في القرآن الكريم»، «معجزات القرآن».

- وفي تحقيق التراث كان له مؤلفات كثيرة مثل: «كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد»، «نقط العروس في تواريخ الخلفاء لابن حزم».

- يأتي كتاب ضيف «الفكاهة في مصر» استكمالا للبحث عن ملامح الشخصية المصرية التي بدأها طه حسين وأمين خولي في كتابيهما «مستقبل الثقافة في مصر» و«أدب مصر الإسلامية». تناول ضيف عبره روح الفكاهة التي تحلى بها الشعب المصري عبر المراحل المختلفة من تاريخه بما في ذلك عصور الشدة والرخاء. منذ عهد الفراعنة حتى عصرنا الحديث مرورا بمجلات الكاريكاتير التي انتشرت في القرن الماضي. إلا أن الكتاب لم يحظ بعناية الباحثين رغم أنه من الكتب المهمة التي كتبها لأنه يركز على استكشاف ما يميز الشخصية المصرية عن غيرها من خلال نصوص كتبت باللغة العامية أو الدارجة كتبها شعراء أو زجالون لم يدرج اسمهم في سجل التاريخ العربي المعروف، لكن الكتاب سيظل إضاءة قوية لبقعة من بقاع الإبداع والوجدان طال نسيانها وإهمالها.

رؤية شوقي ضيف

حاول د. شوقي في موسوعته «تاريخ الأدب العربي» أن يجمع بين اتجاهين:

الأول: النظر إلى تاريخ الأدب بوصفه علما كما نظر إليه طه حسين وبروكلمان.

الثاني: تقسيم الأدب إلى عصور كما فهمه القدماء والمعاصرون له أمثال الرافعي وأحمد حسن الزيات.

واعتمد في تفسيره للتاريخ الأدبي على المدرسة الطبيعية التي اتخذت من منهج Hippolyta Taine أساسا لتفسير التطور الأدبي الذي يعتمد على أن هناك ثلاثة قوانين يخضع لها الأدب في كل أمة وهي: الجنس والزمان والمكان.

تميزت الموسوعة باستبعاد ما حوله شبهات وكذلك بالدقة والموضوعية والعمق والتمحيص، ثم ينتقل من التاريخ إلى الجغرافيا ويستطرد للحياة الاجتماعية والاقتصادية والأديان ثم يتوقف عند اللغة وتاريخها ثم يأتي دوره: دور المحقق العالم المحاور المناقش لآراء الآخرين.

كتب د. حسن يوسف نوفل عن منهج د. شوقي ضيف في الدراسات الأدبية: «إن في تأمل مكتبة شوقي ضيف بمجالاتها المتعددة ما يستوقفنا على حقيقة مهمة هي صدوره عن نظرية آمن بها من قبل وطبقها في بحثيه: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، والفن ومذاهبه في النثر العربي ومازال يعود إليها بين الحين والآخر. نراه يضرب بسهم وافر ويحيط إحاطة شاملة واعية وما ذلك - في نظرنا - إلا لإيمانه بوحدة التراث تراث أمتنا، يراه حين يدنو من الأدب أو النقد أو البلاغة أو النحو أو التحقيق أو الدراسات القرآنية حتى لا يمكن لنا أن نزعم - دونما مبالغة - أنه لم يتيسر لباحث محدث أن يحيط بدرس أدب أمته من أعماق ماضيها البعيد إلى أوج حضارتها المعاصرة بدرجة واحدة من الإحاطة والشمول والتمثل والاستيعاب مثلما تيسر لباحثنا الكبير الذي استخلص لنفسه منهجا واصطفى سبيلا بين تيارات صاخبة بين التراثية والغربية والفرعونية، بين سكينة اليقين وثباته، وصخب الشك واضطراباته في منهج أبسط ما يقال فيه إنه منهج متكامل يجمع بين الرؤية الداخلية والرؤية الخارجية. رحل عالمنا في هدوء وسكينة سنة ٢٠٠٥م عن عمر يناهز ٩٥ عاما. رحم الله العالم الجليل».



خلف أحمد محمود أبوزيد
باحث دراسات

نموذج فريد للمرأة المسلمة المعاصرة

الدكتورة بنت الشاطئ



لم تكن الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) مجرد باحثة وأستاذة جامعية فحسب، بل هي نموذج فريد للمرأة العربية المسلمة، التي قدمت إسهامات ثرية ومتميزة في مجال الثقافة العربية والإسلامية، حيث تعتبر مسيرتها العلمية والعملية كفتاة وطالبة ومعلمة ومفكرة وزوجة وأم، مادة ثرية ورائدة لتربية الأجيال الجديدة التي تعتز بإسلامها، ومن يتعرف على سيرتها يدرك دورها الإيجابي والتنويري في مجتمعنا العربي، في زمن لم يكن التعليم سهلا وميسورا للفتاة، فجابهت صعوبات كثيرة، وواجهت مشكلات وعقبات عديدة في سبيل تحقيق غايتها في التعليم الذي كانت تطمح في الحصول عليه، فاتحا الطريق أمام المرأة العربية للخروج من البيت إلى الجامعة ثم إلى المجتمع الواسع، حتى جاوزت شهرتها أقطارنا العربية، وكانت كتاباتها موضوعا لدراسات غربية ورسائل جماعية في الغرب، بل وفي أوزبكستان واليابان.

رحلتها في تحصيل العلم

ولدت الدكتورة عائشة محمد علي عبدالرحمن (بنت الشاطئ) بمحافظة دمياط في ٦ نوفمبر عام ١٩١٣م، ونشأت في بيت محب للعلم والدين، فهي ابنة لعالم أزهري، فقد كان والدها مدرسا بالمعهد الديني بدمياط، كما كان جدها لأمها شيخا بالأزهر، حفظت القرآن الكريم في سن السادسة في كتاب القرية، ثم ألفية ابن مالك، وفي عام ١٩٢٩م، حصلت على شهادة كفاءة التعليم الأولي للمعلمين والمعلمات، وكانت الأولى على مستوى القطر المصري، ثم حصلت على درجة الليسانس الممتازة في اللغة العربية عام ١٩٣٩م، وخلال هذه الفترة تواصلت مع الصحافة، حيث كانت تنشر قصائدها ومقالاتها بمجلة النهضة النسائية، بعدها بعامين بدأت الكتابة في جريدة الأهرام، فكانت ثاني امرأة تكتب بها بعد الأديبة مي زيادة، وكانت في تلك الفترة تكتب مقالاتها باسم مستعار، فاختارت لقب بنت الشاطئ، الذي ينتمي إلى حياتها الأولى على شواطئ دمياط التي ولدت بها. بعد انتهاء مرحلة التعليم الجامعي، سجلت دراستها بالماجستير وحصلت عليه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٤١م، وواصلت نجاحاتها بحصولها على الدكتوراه في عام ١٩٥٠م، بدراستها المهمة عن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، حيث أثبتت في هذه الرسالة كفاءتها العلمية واستعرضت علمها الواسع بتراث الأدب العربي بنماذجه الأصيلة، وقد أشرف على رسالتها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، الذي أشاد بعلمها الجاد في البحث، وعبر مسيرة بنت الشاطئ العلمية، فقد عملت بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٦٢م، وأستاذة بمعهد الدراسات العربية بجامعة الدول العربية، وأستاذة بمركز تحقيق التراث بدار الكتب القومية بالقاهرة عام ١٩٦٨م، كما كان لها حضورها العلمي عربيا، حيث عملت أستاذة للتفسير في جامعة القرويين بالمغرب عام ١٩٧٠م، وأستاذة زائرة في جامعة أم درمان والخرطوم بالسودان، وجامعة الجزائر، وجامعة بيروت العربية، وجامعة الإمارات العربية المتحدة، وكلية البنات بالرياض، ولم يقتصر هذا الجهد العلمي على المجال

الجامعي فقط بل امتد إلى العديد من المؤسسات والهيئات الثقافية، التي شرفت بعضويتها مثل المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية والمجلس الأعلى للثقافة، والمجالس القومية المتخصصة، وقد بلغت مؤلفاتها في إثراء الثقافة العربية والفكر الإسلامي أربعين كتابا، نذكر منها: التفسير البياني للقرآن الكريم، القرآن وقضايا الإنسان، تراجم سيدات النبوة، الحياة الإنسانية عند أبي العلاء المعري، لغتنا والحياة، تراثنا بين الماضي والحاضر، القرآن وقضية الحرية الشخصية، مقدمة في المنهج، قيم جديدة للأدب العربي، الخنساء الشاعرة العربية الأولى، لقاء مع التاريخ، تحقيق رسالة الصاهل والشاحج للمعري وغيرها من المؤلفات الأخرى.

شخصيتها العلمية

تميزت بنت الشاطئ عبر مسيرتها العلمية بجمعها النادر بين الدراسة العميقة لعلوم الإنسان وعلوم العربية وتحقيق التراث وتوثيقه، حيث سخرت قلمها للعديد من القضايا الفكرية والثقافية المهمة ومن أهم هذه القضايا.

التراث العربي

كان تحقيقها للنصوص نموذجا فريدا في خدمة النص وتذليل ما فيه من عقبات وتقريبه إلى القارئ والباحث، بتوضيح ما فيه من غموض وتصحيح ما اعتراه من تصحيف أو تحريف، ومن أبرز ما قامت به في ذلك المجال تحقيق رسالة الغفران للمعري، وكتابة دراسة شاملة حولها، هذا إلى جانب دراساتها الأدبية والفكرية الأخرى التي حملت روح التجديد، كما في كتابها المهم «تراثنا بين ماض وحاضر»، الذي دعت فيه إلى النظر للتراث نظرة جديدة تمنحه روح الحياة ونبض العصر تستوعب من خلالها الماضي والحاضر المستقبل، وتقوم هذه النظرة على أساس المواءمة بين التراث والتجديد، فلا يعني الاهتمام بالتراث القديم، إهمال متطلبات التجديد في العصر الحديث، كما لا يعني التجديد إنكار التراث القديم الذي يمثل الذات العربية والشخصية القومية، ودعت أيضا إلى ضرورة تضافر الجهود بين معهد المخطوطات العربية في جامعة الدول العربية والمجامع العربية، ودور الكتب الكبرى، ودور النشر من أجل إحياء التراث ونشر كنوزه، وفاء بحق الأمة في أن تستضيء بتراثها لتستكمل وعي ذاتها وفهم تاريخها ومعرفة موقع خطاها من ماض إلى حاضر.

اللغة العربية والقرآن الكريم

ومن القضايا التي خاضت غمارها بقوة قضية اللغة العربية والقرآن الكريم، حيث برعت في إبراز دور اللغة العربية والغوص في أسرارها وتقصي بحورها عن طريق كتابها الشهير «التفسير البياني للقرآن الكريم» الذي تناولت فيه تفسير السور القصار من القرآن الكريم، وذلك من وجهة نظر خاصة، حيث فسرت ألفاظ القرآن الكريم من الناحية اللغوية، فعملت على تلمس الدلالات اللغوية الأصلية في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية، التي زاوجت من خلالها بين العقل والنقل في نقلها البياني، فأثبتت ما نقله الأقدمون من تفسير مع ما يتفق والمنطق العقلي في قبول هذا التفسير، واستطاعت بهذه الخطوة التجديد في التناول، موجدة بذلك منهجا جديدا ساهم في البناء الفكري للحضارة الإسلامية، ومدافعة من خلال هذا المنهج عن اللغة العربية في عصر اعتبرت فيه هذه اللغة قاصرة عن إيجاد مصطلحات وافية في مختلف جوانب التقنية العلمية التي وصلت إليها البشرية في عصرنا الحديث، كما درست البيان القرآني والإعجاز القرآني مبينة ما يتميز به أسلوب القرآن الكريم بين فصاحة عربية تعد مثلا رفيعا لجمال أسلوب اللغة العربية وأثره في النفس في كتابها من أسرار العربية في البيان القرآني، وأوضحت في هذا الكتاب أثر دراسة البيان القرآني في معرفة أسرار اللغة العربية في قراءة منهجية ودقيقة لدراسة الحرف واللفظ القرآني في المصحف كله لتبين سياقه الخاص في الآية والسورة، وسياقه العام في القرآن كله، وتقول بنت الشاطئ عن اللغة العربية: «إن إصلاح اللغة العربية ضرورة، والتمسك بها أساس حياة، وحين تمتحن أمة بسرقة لسانها تضيع بمسخ شخصيتها القومية، وتشز عن ماضيها وتراثها وتاريخها، ثم تظل محكوما عليها بأن تبقى أبدا تحت الوصاية الفكرية والوجدانية للمستعمر، حتى بعد أن يجلو عن أراضيها».

قضايا المرأة المسلمة

كانت الدكتورة بنت الشاطئ صاحبة نظر عميق في قضايا المرأة المسلمة، وموقف الإسلام منها، ومن أقولها في ذلك «طوفت في الآفاق لأسأل عما أعطاني الإسلام، وتأكدت أن الإسلام

أعطاني ما لو ظللت أكدح إليه العمر كله ما بلغته واحتاج لإعادة النظر في قضية المرأة والإسلام، وأخشى أن تكون الحركة النسائية المعاصرة أوقعت النساء في خصومة مع الرجل، مع أن ما بيننا وبينهم ليس تنافسا أو سباقا، لكننا رفاق رحلة عمر لا نستغني عنهم، ولا يستغنون عنا». وقد ترجمت بنت الشاطئ هذا الرأي عمليا، فقد كانت من الداعين لتشجيع المرأة المسلمة للإسهام في خدمة المجتمع من دون الإخلال بالوظائف والواجبات الأسرية، وتعظيم دور البيت، فالمرأة المتفرغة للأمومة تقوم بعمل كبير لا يجوز التقليل من شأنه أبدا، ودعت إلى ضرورة بناء علاقة ثقافية تفاعلية متبادلة بين الزوجين، فقد عاشت مع زوجها الشيخ أمين الخولي في انسجام ثقافي لتقول لبنات جنسها إن الزواج سكن روحي وجسدي وثقافي، كما أثرت المكتبة العربية الإسلامية بموسوعتها الهامة «سيدات بيت النبوة»، التي بدأتها بـ «آمنة أم النبي، نساء النبي، بنات النبي، السيدة زينب»، ثم الكتاب الخامس عن السيدة سكينة بنت الإمام الحسين ﵁، بهدف إعلام المرأة الجديدة بكيفية مشاركة المرأة في بيت النبوة في صنع تاريخنا وبأثرهن في حياة الرسول ﷺ، ومكانتهن العظيمة عنده، لتضرب بهذا المثل والقدوة للمرأة كما يجب أن تكون، فقد رأت بنت الشاطئ في سيدات بيت النبوة مثلا للمرأة التقية الصالحة، التي تعد أساسا قويا للأسرة والمجتمع، حيث لقيت هذه الكتب الخمسة شهرة واسعة في أرجاء العالم الإسلامي، وترجمت إلى اللغات الفارسية والأوردية والإندونيسية واليابانية، وتسببت في دخول نساء غير مسلمات إلى الإسلام، كان في مقدمتهن المستشرقة اليابانية كوماسو بعد اطلاعها على هذه السلسلة التي ترجمتها إلى اليابانية، حيث قدمت المثل الرائع لصورة المرأة من الناحية الإنسانية والحضارية، إلى جانب الناحية الدينية، فقدمت بذلك خدمة عظيمة للإسلام وصححت الصورة المشوهة التي أخذها الغرب عن المرأة العربية، إذ تصوروا أنها مهضومة الحقوق، لا تحصل على حريتها، ولا تشارك في أنشطة مجتمعها، وتعيش حبيسة البيت بلا تعليم أو عمل. كما كتبت أبحاثا كثيرة حول المرأة العربية في عصرنا الحاضر مثل كتاب «المرأة المسلمة في المجتمعات الإسلامية» الذي عرضت خلاله قضايا المرأة على نحو أعطانا نظرية متكاملة، تعالج قضايا المرأة في الحاضر وارتباطها بالماضي وتطلعها للمستقبل، ودعت إلى ضرورة تعليم المرأة، وسعت إلى كل مجال يؤدي إلى النهوض بالمرأة، وكان موقفها من قضية المرأة وما كتبته وما أوصت به دافعا لكثير ممن كتبوا عن المرأة في الإسلام، أو المرأة في القرآن الكريم، ما جعل المكتبة الإسلامية اليوم عامرة، بمثل هذه المؤلفات المهمة.

أوسمة وجوائز

وتقديرا لدور بنت الشاطئ الكبير في إثراء الثقافة العربية والفكر الإسلامي، حصلت على العديد من الجوائز والأوسمة، من أهمها جائزتان من مجمع اللغة العربية: الأولى في تحقيق النصوص عام ١٩٥٠م، والثانية في القصة القصيرة عام ١٩٥٣م، كما حصلت على الجائزة الأولى في الدراسات الاجتماعية عام ١٩٥٦م، وعلى وسام الكفاءة الفكرية من ملك المغرب عام ١٩٦٧م، ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٧٣م، وجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٨م، وجائزة الآداب بالكويت عام ١٩٨٨م، وجائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٩٤م، حيث تعد أول سيدة عربية تحصل على هذه الجائزة، كما كانت أول امرأة تحاضر في الأزهر الشريف، وتعد أيضا الكاتبة التي لم تنقطع صلتها بجريدة الأهرام المصرية على مدى أكثر من ستين عاما، ولعلها أطول مدة واظبت فيها كاتبة على النشر في صحيفة يومية في عالمنا العربي، حيث كان آخر مقال نشرته بجريدة الأهرام يوم ٢٦ نوفمبر عام ١٩٩٨م، أي قبل وفاتها بأيام قليلة، حيث فاضت روحها في الأول من ديسمبر من العام نفسه، بعد حياة حافلة بالعطاء في مجال الثقافة العربية والفكر الإسلامي.

مصادر المقال

١ – بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن، عوض علي الغباري، الناشر: المجلس القومي للشباب، السلسلة الثقافية للطلائع، العدد ٣٨ مارس ٢٠٠٧م.
٢ – د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، أحمد محمد علي، مركز خطوة للدراسات والتوثيق.
٣ – عائشة عبدالرحمن، نموذج لأعلام النساء المسلمات، د. محمد أحمد عبدالهادي، جريدة الشرق القطرية.
٤ – عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، عماد عبدالراضي، ملف خاص، جريدة الأهرام المصرية.
٥ – عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، موقع الهيئة المصرية للاستعلامات.



أ.د. أحمد محمود عيساوي



لا تأخذوا دينكم ولا علمكم عن محرك غوغل (Google)

ليس هذا العنوان من قبيل نسج الخيال الأدبي أو العلمي أو الفلسفي.. أو لغرض الجذب الإعلاني، أو لهدف التحفيز والسبق الإعلامي قط. فهو -والله- ليس من هذا ولا من ذاك الغرض البتة، بل هو عنوان موضوع خطير ومهم وحيوي ومصيري استقيته من صميم تجربتي التعليمية والتربوية التي بلغت أربعة عقود كاملة في التدريس في مرحلتي التعليم الثانوي العام والجامعي وفي مختلف وميادين حقول المعرفة العربية والإسلامية ومعارف الوحي المقدس وشريعته الإسلامية الغراء.

إذ مضت العقود التعليمية الثلاثة الأولى من مساري وحياتي التعليمية والتربوية كغيري من أبناء جيلي من المدرسين والأساتذة الجامعيين وفق النسق التربوي والتعليمي القائم على النظام التعليمي والتربوي العربي الإسلامي التكويني والتأطيري الرصين، المقدس والممجد لحرمة أركان العملية التعليمية المكون من: (المؤسسة التعليمية، المعلم، المتعلم، قداسة وحرمة العلم، الكتاب والمكتبة والقراءة، الأسرة، المجتمع، الدولة، المسجد، الإعلام..)، وقد ساهم هذا النظام في الرفع من قدرها ومكانتها أيضا، وجود وتوفر النوعية المتميزة من التلاميذ والطلبة المعدين تربويا، والمهيئين تعليميا، والمؤسسين معرفيا وعلميا ومنهجيا وثقافيا وأدبيا وروحيا وأخلاقيا.. والمتحفزين

والمشحونين بسائر القابليات النفسية والوجدانية والعقلية لكل عمليات التكوين والتأطير والارتقاء الحضاري.. وغيرها.

وظلت المنظومة التعليمية والتربوية تسير وفق هذا النمط المحترم من التعليم والتأديب، حتى أطلت علينا برؤوسها وسائط الموجة الإعلامية الخامسة مطلع الألفية الثالثة، حاملة معها أمشاجا وركاما وخليطا هجينا من سيول الثقافات وركام المعارف والتقاليد والقيم والأنماط والأنساق والمناهج.. بغثها وسمينها، ونافعها وضارها، وحسنها وفاسدها وقبيحها وسيئها جدا.. وذلك عبر وسائل الضخ الإعلامي الشبكي والإلكتروني المزلزل والجارف لكل ما يعترض سبيله.. فإذا بالعالمين العربي والإسلامي وفي ظرف زمني قياسي قصير يجد نفسه أمام سيول جارفة وزلازل مدمرة من دون أن يعد لها السدود والحواجز وقواعد الأمان والتأمين الحضاري والروحي والثقافي الشامل.. وما كاد يمر عقد من الزمن الإلكتروني والشبكي المزلزل حتى صارت حصوننا متفجرة من داخلها، واستحالت قلاعنا الدينية والروحية والأسرية الحصينة محتلة من قبل الجهات الخفية التي تدير هذه الشبكات المفضوحة النوايا والغايات، والتي تعمل جاهدة ليل نهار على تحريك هذه السيول الخليطة من الصور والأفلام والأشرطة والمشاهد والتعاليم والحصص والفضاءات الخليطة.. التي أفسدت علينا كل حياتنا الدينية السوية، ومزقت كل جميل في قيمنا ومثلنا ومبادئنا العربية الإسلامية، والتي لم نعد نقوى معها على أي حراك أو مقاومة أو رد..

وللأسف الشديد فقد رحب العالم العربي والإسلامي بفتوحات العولمة الإلكترونية وبشبكات البحث مع بداياتها الأولى، ولاسيما بعد اهتمامها بتخريج كتب الحديث الست ثم التسع وتوفيرها الجهد والوقت على الباحثين، وبنشاطها الدؤوب لتصوير الكتب والمصادر النادرة والمراجع المهمة، ونقل المحاضرات والدروس والخطب والفتاوى ونحوها.. وعاش الباحثون والمعلمون والعملية التعليمية معهما مرحلة المزاوجة بين الوسائل التقليدية القديمة والانفتاح على الوسائط الحديثة، ثم دخلوا مرحلة الانتقال من الورقي نحو الإلكتروني الضوئي، إلى غاية استغنائهم عن الورقي والمكتبات والكتب والقراءة الرصينة ولذة المشاركة والحضور الشخصي للدروس والمحاضرات والخطب وزيارة المكتبات والمساجد.. واستعاضتها بالافتراضي والإلكتروني ونحوه..

ولو أن الأمر بقي محصورا عند تلك الوضعية والشريحة الاجتماعية العامة لهان الحال والخطب، ولكن أن ينتقل بسرعة مذهلة ويمس أفضل وأرقى شريحة اجتماعية في الأمة، فيدمرها ويقضي على كل قابلياتها وملكاتها ومهاراتها.. فإن المسألة يجب أن لا يسكت عنها، وأن يشار إليها بالبنان، بل ويندد بها بكل موضوعية وحيادية وحمية أيضا، لأنه كان -ومازال- أول ضحاياها ومنكوبي موجاتها الإلكترونية الشبكية الطاغية مجال التعليم وسائر قطاعاته كالمعلم والعملية التعليمية والتربوية برمتها، ولاسيما الجامعية منها، وعلى وجه الخصوص العلوم الشرعية والدينية الإسلامية، التي اعتراها الضعف والهزال والقصور والخلل بسبب هذه الموجة الإلكترونية الطاغية، التي توالت عليها الأعطاب والأعطال في سائر أجهزتها التعليمية والتربوية الحيوية..

وفي ظلالها الجاهلية العمية نشأت وتربت أجيال لا تقرأ، ولا تكتب، ولا تفهم، ولا تحلل، ولا تستنتج، ولا تتذكر، ولا تسترجع أيضا.. ولا تحسن نسخ خط، ولا رسم سطر حسن، أو رصف جملة مفيدة ومعبرة.. وذلك كله بسبب الاعتماد على تلك الوسائط الباردة القاتلة، والتي استحالت معها -للأسف الشديد- الأجيال فاشلة هشة العظام، مكسورة اليدين، مشلولة العقول، ميتة الضمائر والأرواح.. لا يتحمل عقلها تذكر اسم كتاب مهم وسهل ومشهور يضم أربع كلمات متتاليات، ففي تجربة أجريتها على طلبة كلية العلوم الإسلامية الذين أدرسهم بجامعة باتنة بالقطر الجزائري والذين فاقوا الألف طالب وطالبة، بهدف تذكر اسم كتاب (قصص الأنبياء لابن كثير) إذ جاءت النتائج مخيبة للآمال وأفادت بتعثر أكثر من سبعين بالمائة منهم عن تذكر

هذا الكتاب ومؤلفه لو ما قاموا بتصويرهم للغلاف بجهاز الهاتف المحمول، بل منهم من عجز كلية أن يذكر كلمتين منه.. وهذا اختبار ميداني سريع يفسر ويوضح حالة العطالة والعطب التي آلت إليها الأجيال الجامعية المسلمة.. فما بالك بغيرها من الدراسات الميدانية التي قامت في هذا المجال؟

غير أن الآفة الأكثر رزاية وزراية بالعلم وأهله اعتماد غالبية المشتغلين بالعلم الشرعي وغيره -أساتذة وطلابا- اعتمادا كليا على محرك: (غوغل-Google) في البحث والتأليف والكتابة.. وفي مجال الفتوى وسائر المعارف الشرعية من: علوم القرآن والتفسير والمقاصد والأصول والفقه وسائر العلوم الشرعية الأخرى.. وغدا حالهم في خضم هجران كلي للمكتبة وللكتاب الشرعي، معتقدين أن ذلك هو الطريق الأوفر والأسلم في البحث وأخذ علوم العربية والشريعة الإسلامية.. ذاهلين عن منافع وفوائد وضوابط التأدب على أخذ العلم من الكتاب وشروحه من أفواه العلماء..

وإليكم بإيجاز مخاطر ترك أخذ العلم من الكتب المشروحة ومن أفواه العلماء وفق المنهج الذي سلكناه خلال مراحل تكويننا الديني، ولعل أهمها الآتي:

١ - عدم معرفة أسماء الكتب، لأن نصف العلم والمعرفة يختزل في معرفة أسماء الكتب، فمن لا يعرف أسماء الكتب وتخصصاتها ومجالاتها يجهل سبل أخذ العلم.

٢ - عدم تكوين بناء معرفي علمي رصين ودقيق ومرتب. ففهارس كتب الشريعة كالفقه مثلا تجدها مرتبة ترتيبا على نسق يعرفه أهله ومتأدبوه..(باب النية، باب الطهارة والمياه، باب التيمم والمسح.. باب الصلاة..) وهكذا.. وقد نشأت الأجيال المسلمة جاهلة بكل هذا وذاك..

٣ - حصول الفوضى المعرفية بفعل الضخ والخلط والتداخل المعرفي (الغوغلي Google)، فهذه معلومة عقدية وتلك فقهية والأخرى أصولية وتينك تفسيرية وهكذا يصير طالب العلم الـ (غوغلي Google) مجرد وعاء مليء ومحشو بخليط فوضوي لا أنساق معرفية أو علمية تنتظمه.

٤ - نشوء جيل إلكتروني -بل أجيال- مرتبطة ارتباطا عضويا ومصيريا بالشبكة وضوئها وتدفقها ونحوه.. ينتظرون الرحمة العلمية والمعرفية والبحثية من الشيخ (غوغل Google) كي يفتي لهم، أو يعلمهم، أو يبحث لهم..

وللأسف الشديد فإن هذا هو الفرد والظرف والنوع والصنف الذي يبحث عنه أعداء الإسلام بعد أوان زوال العلم كما ورد ذلك عن رسول الله ﷺ في حديث زياد بن لبيد (ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد..) (أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد).

٥ - نشوء جيل من علماء محرك البحث (غوغل Google) تفتقد ثقافتهم الدينية لمنطقية وتسلسل عرض العلوم الشرعية بشكلها التقليدي وبمباحثها المعروفة لدى أهل الاختصاص..

٦- ضياع العلم الشرعي وارتباك الأمة في حل مشاكلها والإجابة على نوازلها الدينية المختلفة، فيظهر جيل من الرؤساء الجهال الذين يفتون بغير علم، فيهلكون ويهلكون، ويضلون ويضلون.. كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق..

٧ - عدم الثقة في الجهات القائمة على محركات البحث في قادم الأيام والأعوام من تحريف العلم الشرعي وأقوال العلماء وخطبهم ودروسهم بالطرق الشيطانية والإخراجية الإلكترونية، التي تحول الحق باطلا والباطل حقا، فلا قيمة ولا اعتبار لنموذج (وورد) ولا (بي دي أف).. فيتم حذف حرف، أو كلمة أو جملة، أو تبديل وتغيير كلمة أو نحوها فيتغير المعنى وفق هوى وهدف القائمين على محركات البحث، ومن ثم إحكام السيطرة على الأجيال المسلمة لا قدر الله.

٨ - تحول الأجيال المسلمة إلى ألعوبة بأيدي أعداء الإسلام.. وغيرهم ممن يتلاعبون بالعقول والمحركات الشبكية الإلكترونية بعد أن يفقدوا البوصلة المنهجية الأصيلة التي ترشدهم نحو العلم الشرعي الصحيح والسوي..

وفي الختام وجب على الجهات الوصية من القائمين على مؤسسات التعليم الجامعي وغيره إعادة تكوين النخب الشرعية وفق مناهج ومراحل وخطوط أخذ العلوم الشرعية، وعدم إيكال هذا المهمة الحضارية الرسالية للغير.. ولينصرن الله من ينصره.

علاء عبدالفتاح
أديب وصحافي





جمع القلوب حوله قبل أن يرحل:

الطفـــل ريان.. أيقونة أضاءت تراحمنا

- فرق الإسعاف المغربية أخرجت الطفل ريان ميتا من البئر بعد خمسة أيام

تعلقت القلوب – قبل أن تتعلق الأبصار– بشاشات تنقل أخبار محاولة مستميتة لإنقاذ الطفل المغربي ريـان.. أطفال في مدارسهم اصطفوا يدعون المولى أن ينجي قرينهم، ونساء في القرية تجمعن لدعم المنقذين بطهو الطعام، ورجال لم يناموا بالأيام للإسراع بتنفيذ النفق المطلوب حفره كي يصلوا للطفل قبل فـوات الأوان، وأطبـاء مختصون بالإنعاش تدفقوا لإنقاذ ريان قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، لكن لله حكمة وعنده الجنة والمستقر.

لساعات طويلة كانت الأسر العربية من المحيط إلى الخليج تترقب وقد أضاءت العاطفة الرحيمة القلوب وعنونت هذه الأزمة بعنوان كبير «الخير ما زال في هذه الأمة» و«الرحمة ما زالت في هذه الأمة» وهذا الإرث العظيم نتوارثه عن الرسول ﷺ قدوتنا وسراجنا المنير.

سقط الطفل ريان في بئر عمقها يزيد على ثلاثين مترا كان قد حفرها أبوه في تلك القرية التي يسكنها في منطقة شفشاون شمالي المغرب طلبا للماء.. كانت البئر جافة وكـان ريـان مملوءا بالعافية.. ومـن جـديـد كـان لوسائل التواصل الاجتماعي دور في نقل ما حدث من هاتف إلى هاتف ومن شبكة إلى أخرى ومن تغريدة إلى صورة ومن تقرير إلى مقال.

اجتمعت القلوب الرحيمة على المشهد المؤسف.. طفل لا حول له ولا قوة في عمق الأرض يكاد يهلك بلا هواء صالح يتنفسه وبلا طعام يسند عوده أو شراب يرطب أعضاءه ويبل ريقه.. لم تحتمل القلوب المؤمنة الصمت فسارعت إلى الاستجابة كل بطريقته.

حول البئر تجمع العشرات، وفي غرفة عمليات خاصة بمحاولة الإنقاذ اجتمع الاختصاصيون من خبراء حفر بالآلات وخبراء حفر يدوي ومن تقنيين يمدون الأسـلاك للإضاءة والأنابيب للتغذية وكاميرا لمشاهدة ما تعجز العين المجردة عن مشاهدته.

أربعة أيام انقضت تمر ساعاتها ثقيلة ليلا ونهارا من عصر الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الآخـرة، الأول من فبراير إلى عصر السبت الرابع من رجب، الخامس من فبراير، مرت أربعة أيام ومع اليوم الخامس انتهت أعمال الحفر الدقيقة وخـرج أحـد الخبراء فيه يبشر المتابعين بـأن مترين فقط





يفصلان بين المنقذين والطفل ريان الذي ما زال يتنفس.

الترقب هو سيد الموقف، والأدعية مظلة المؤمنين في المشرق والمغرب، وصيحات التكبير تتعالى مع كل خبر عن اقتراب جديد.. سيارة الإسعاف تقترب من مدخل النفق المحفور بزاوية ميل محسوبة ليلتقي مع البئر العمودية. متر فقط ونصل إليه.. تمتلئ القلوب أملا.. تتسرب تسجيلات يشاهد بها العالم الطفل وهو يتناول في وهن شرابا عبر أنابيب مدت إليه ويستبشر الجميع وتتعلق الأبصار بمشهد يفرح القلب.

يخرج رجال الحفر منهكين ويدخل الأطباء.. إذن هانت والطفل سيخرج إلى حضن والديه وإلى حضن العالم. لكن ليس للإنسان إلا السعي، ولله الأمر من قبل ومن بعد. ساعات ثقيلة تمر دقائقها على الأعصاب ويخرج المنقذون بالطفل ريان جثة.

صدمة.. حزن.. بكاء.. لكن ثمة صوتا يتردد في أعماق الأمة.. صوت الطفل ريان يقول لنا: ها قد اختبر الله الرحمة في قلوبكم فهنيئا لكم.. رحل ريان جسدا لكنه سيظل أيقونة تجتمع من حولها القلوب المسلمة الرحيمة..

رحل ريان مشيرا إلى أطفال آخرين ما زالوا في بئر الفواجع باليمن وسورية والصومال وغيرها وغيرها من البلدان، بعضهم يموت جوعا وبعضهم يموت بردا (حقيقة لا مجازا).. رحل ريان بجسده مضيئا بقصته قصصا لأهل الخير وما أكثرهم في بلادنا فالحمد لله أولا وآخرا.

بيان الديوان الملكي المغربي

جاء في بيان الديوان الملكي المغربي أنه «على إثر الحادث المفجع الذي أودى بحياة الطفل ريان أورام، أجرى صاحب الجلالة الملك محمد السادس اتصالا هاتفيا مع السيد خالد أورام والسيدة وسيمة خرشيش والدي الفقيد، الذي وافته المنية، بعد سقوطه في البئر».

وأشار البيان إلى أن الملك «كان يتابع عن كثب تطورات هذا الحادث المأساوي، حيث أصدر تعليماته السامية لكل السلطات المعنية، قصد اتخاذ الإجراءات اللازمة، وبذل أقصى الجهود لإنقاذ حياة الفقيد».

وأضاف البيان أنه عبر «عن تقديره للجهود الدؤوبة التي بذلتها مختلف السلطات.. وللتضامن القوي، والتعاطف الواسع، الذي حظيت به أسرة الفقيد، من مختلف الفئات والأسر المغربية، في هذا الظرف الأليم».

محمد عباس محمد عرابي
باحث دراسات إسلامية



أخطاء الأسرة في التعامل مع أخطاء الأطفال وعلاجها

تحرص الأسرة على تربية أبنائها، وتوفير احتياجاتهم، ومعاملتهم بكل رفق ومودة، وبالرغم من ذلك نجد بعضا من الآباء والأمهات يتسمون بالعصبية وحدة المزاج ولا يعرفون إلا القسوة والغلظة، كل الحلول لديهم بالعصا والصراخ واللعن والسب عندما يقع الأطفال في خطأ؛ لذا كان هذا المقال للوقوف على أبرز أخطاء الأسرة في التعامل مع أخطاء الأطفال وكيفية علاجها، وفيما يلي بيان ذلك:

أولا - أخطاء الأسرة في التعامل مع أخطاء الأطفال:

من مظاهر أخطاء الأسرة في التعامل مع أخطاء الأطفال ما يلي:

مقارنة الأطفال بغيرهم

قد يلجأ الآباء والأمهات إلى مقارنة الأطفال بغيرهم في السلوكيات بهدف تصحيح أخطائهم، كأن تقول الأم لطفلها: «إن أخاك أفضل منك، وهو يقوم بمذاكرة دروسه بانتظام ويحل واجباته؛ لماذا لا تكون مثله؟!».

السخرية من الأطفال وعدم تقدير عقليتهم

كثيرا ما تقابل الأسرة أخطاء الأطفال بنوع من السخرية والاستهزاء، وعدم تقدير أخطائهم، والضحك من كلامهم، مما يؤثر سلبا على هؤلاء الأطفال، حيث إصابتهم بالإحباط، واضمحلال قواهم الشخصية، والبعد عن التفكير والإبداع.

القسوة والعنف مع الأطفال

يعتقد بعض الآباء والأمهات أن استخدام أسلوب القسوة والعنف مع الأطفال هو الحل الأمثل لعلاج أخطائهم، والاعتقاد في أن العنف سيجعل الأطفال يخافون من العقاب فلا يأتي الأطفال الخطأ، فالقسوة والعنف مع الأطفال تجعلانهم يخافون في وقت حدوث المشكلة فقط (خوف مؤقت)، ولكنهما لا يمنعانهم من تكرار السلوك مستقبلا.

رشوة الأطفال على أعمالهم

يعتاد كثير من الآباء والأمهات رشوة الأطفال على أعمالهم المرغوبة والتي

يريدان من الأطفال أن يفعلوها، كأن تقول الأم لأطفالها: «لإن انتهيتم من الإزعاج سأعطيكم كذا»، واستخدام هذا الأسلوب بصفة مستمرة فيه خطورة كبيرة على تربية الأطفال، نعم قد يكون أسلوبا مريحا للوالدين بصفة مؤقتة لعلاج سلوكيات الأطفال الخطأ؛ لكنه يعود الأطفال على عدم فعل الصواب إلا إذا كانت هناك مكافأة، وهذا أمر خطير.

ثانيا - علاج أخطاء الأسرة في التعامل مع أخطاء الأطفال:

يمكن علاج أخطاء الأسرة في التعامل مع أخطاء الأطفال من خلال ما يلي:

- على الأسرة احترام عقلية الأطفال، وطرق تفكيرهم، ومشاركتهم في الرأي، وإشعارهم بأنهم أفراد في الأسرة لهم احترامهم، وأن آراءهم لها كل التقدير.

وعلى الأسرة أيضا التعامل مع الأطفال بحذر، وعدم تسفيه أخطائهم أو السخرية منها، وتجب معاونة الطفل المراهق على حسن التعامل مع البيئة في الظروف الجديدة التي تعتريه، وأن تعده للاعتماد على نفسه، وهذا يكون بالتشجيع، وبتكليفه ببعض الأعمال المنزلية التي يستطيع القيام بها.

- يظن بعض الأسر أن استخدام أسلوب القسوة والعنف مع الأطفال يجعل الأطفال يشبون على طاعة الأوامر، وهذا غير صحيح، فالأصل في معاملة الأطفال الرحمة بهم، وإظهار الحب لهم والعطف والحنان، وإشعارهم بذلك من جميع أفراد الأسرة، خصوصا الآباء والأمهات، والواقع يشهد أن مجرد العقوبة لا يعالج أخطاء الأطفال، وإنما يعالجها الحوار الهادئ والإقناع والحكمة، وعدم التأنيب والتقريع والسخرية من الأطفال، ويجب على الآباء والأمهات التغافل عن الأخطاء التي يمكن التسامح فيها، وتوجيه الأطفال في الأخطاء الكبيرة، بأدب جم ولفظة مشرقة، ونبرة حانية، وصوت يفيض منه الصدق والحب واللين والرفق، وعدم تذكير الأطفال بأخطائهم وأوجه القصور التي وقعوا فيها فيما مضى، وإن كان لابد فليكن في صورة غير مباشرة وبحسن الكلام ولطيف العبارات.

ومن الجدير ذكره أن الدراسات التربوية والنفسية أثبتت أن الأطفال الذين يتعرضون للضرب والعنف والقسوة بصفة مستمرة يصبحون عنيدين وتصدر عنهم علامات الغضب الشديد والسلوك العدواني، ويعانون من كوابيس مزعجة ليلا، وبعض مشكلات التكتم والإحساس بأنهم غير مرغوب فيهم، ويعانون من عدم الثقة بالنفس والإحساس بالانحطاط والدونية.

- على الأسرة تعويد الأطفال على فعل الصواب والابتعاد عن الأخطاء ليس انتظارا للمكافأة، ولا هروبا من العقاب، وإنما لأن هذا واجب يجب على الأطفال فعله حتى يصبحوا أفرادا صالحين في المجتمع؛ وحتى يستطيعوا القيام بأداء ما عليهم من حقوق وواجبات.

- لتعلم الأسرة أن مقارنة الأطفال بغيرهم طريقة غير صحيحة في العلاج، وهي طريقة تجعل الأطفال يغارون من إخوتهم الذين تعتبرهم الأسرة أفضل منهم، وتترك انطباعا نفسيا بأن الوالدين يحبان إخوتهم أكثر منهم، ثم يقومون بتفسير كل سلوك نحو الإخوة من جهة التفضيل، ما قد يجعلهم يدبرون لهم المكائد.

والأفضل من أسلوب المقارنة بث الثقة بالنفس في الأطفال، وذكر محاسنهم، وحثهم على المداومة على هذه المحاسن.

وختاما: يجب على الأسرة (الآباء والأمهات والإخوة والأخوات) مراجعة أنفسهم، وتغيير نمط تفكيرهم عند التعامل مع أخطاء الأطفال، واتباع أساليب الحوار معهم، والبعد عن العصبية والحدة والعناد، والتفكير بهدوء، والتصرف بحكمة، والتعامل برفق وصبر، والنظر بصدق إلى النتائج، وبعد النظر، وقوة في توقع النهايات.

وعلى الأسرة الاستفادة من صفاتنا الفطرية التي وهبنا الله ألا وهي المشاركة الوجدانية والإيحاء في تعديل سلوكيات الأبناء مع الحرص على سرد القصص التربوي الهادف، خصوصا مع الأطفال الصغار.

ويمكن القول إنه على الأسرة استخدام الأساليب التربوية الفاعلة والمتنوعة والمناسبة لكل حالة يراد تعديل سلوكياتها.

المراجع

- أيمن الشربيني، هموم الآباء والأمهات في تربية البنين والبنات، القاهرة، مكتبة ابن سينا.
- بثينة العراقي، خطوات في تربية الأولاد والبنات، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ.
- سارة العبدالله، مفاهيم أسرية، الرياض، مكتبة السعيد، ١٤٢٢هـ.
- سلمان العمري، في أروقة المحاكم، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ.
- عادل فتحي عبدالله، أخطاؤنا في معالجة الأخطاء، ط١، الإسكندرية، دار الإيمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ.
- عزت عوض خليفة، تربية الأولاد كيف نجعلها متعة؟ القاهرة، دار الذخائر، ١٤٢٣هـ.
- محمد بن سعد آل زعير، الغرس المبارك (يا أبتي، ارحم طفولتي ومراهقتي)، الرياض، مؤسسة الجريسي للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ.
- مها علي أيوب، نظرات في تربية البنين والبنات، الرياض، بيت الأفكار الدولية، ١٤٣٤هـ.



د. محمد حسانين إمام
عضو هيئة تدريس بكلية دار علوم
المنيا مصر

فن التربية بالفسحة للأطفال

تعد سمة (الحركية) إحدى خصائص مرحلة الطفولة المبكرة التي ينبغي على الوالدين أن يتفهماها؛ ليتعاملا بحكمة معها، ويعملا على معالجتها بما يتناسب مع طبيعة المرحلة العمرية؛ لئلا تتحول إلى مشكلة سلوكية (فرط حركة)، ومن تلك الوسائل التربوية الناجعة التي تخرج الطفل من مشكلة السمات العمرية للأطفال: (فن التربية بالفسحة) فهو وسيلة تربوية لتغيير البيئة التربوية إلى بيئة أخرى أكثر انطلاقة واتساعا وسعة، وذلك عن طريق الفسحة أو الزيارات أو النزهات أو الرحلات؛ ففي خروج الأطفال فسحة داخلية أو خارجية، مدرسية أو منزلية، تجديد ونشاط وحيوية لاستعادة النهوض من جديد، خاصة إذا كانت الفسحة في إجازة دراسية أسبوعية أو فصلية أو سنوية. وفي هذا المقال سنتوقف عند أنماط الفسح على اختلاف غاياتها.

١- أنواع الفسح من حيث البيئة المكانية:

أ- فسحة داخلية: داخل المدرسة نفسها التي يدرس بها الطفل، أو زيارة قريب لصلة رحمه داخل الحي الذي تعيش فيه الأسرة.

ب- فسحة خارجية: خارج المدرسة، كالرحلات التي تنظمها إدارة المدرسة أو الروضة باصطحاب أولياء الأمور أحيانا مع بعض أعضاء التدريس والمشرف. أو بزيارة قريب للأسرة في مكان بعيد عن الأسرة، في منطقة أخرى.

٢- أنواع الفسح من حيث الغاية:

ينبغي للمربي أن ينوع للطفل

من الفسح؛ فلا يكتف الوالدان بفسحة العطلة الأسبوعية أو يكتف المعلم بالفسحة الصفية (المدرسية/ الروضة)، وإنما ينوع منها؛ فكل له غاية؛ ولهذا تتلخص غايات (الفسحة) فيما يأتي:

أ- فسح تربوية:
المربي القدوة هو الذي يتخير من الأساليب أنفعها هدفا، وأسماها غاية؛ فالفسحة التربوية لأطفالنا، باصطحابهم إلى المساجد، خاصة (صلاة الجمعة)، أو بزيارة العلماء والصلحاء، ومن النماذج التي نقتدي بها في هذا فعل ابن عباس رضي الله عنهما عندما زار خالته ميمونة فبات عندها، وأفاد من هذه الفسحة سلوكا تعبديا، ألا وهو اقتداؤه بالنبي في قيامه الليل.

ب- فسح تعليمية:
ينبغي للمعلمين والمعلمات وأولياء الأمور، أن يتخذوا بديلا للحجرات الدراسية، أو الغرف المغلقة لمذاكرة الأطفال، ليجعلوا مكانا بديلا لهم عند الملل، وقد أشار إلى هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما حينما أردفه النبي ﷺ خلفه، فانطلق به خارج البيئة التربوية (المسجد) ليعلمه عقيدته في ربه بمراقبته له مع الاستعانة به وحسن التوكل عليه، فعن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1]، ولهذا ينبغي أن نروح عن طلابنا في المدارس بأخذهم ولو مرة أسبوعيا يوم العطلة إلى مكان بديل لحجرة الدراسة، كحديقة المدرسة أو صالة الأنشطة لنشرح لهم فيه، ناهيك عن حصة الألعاب الرياضية التي لا فكاك عنها.

ج- فسح اجتماعية:
لاشك أن الطفل الذي ينشأ معزولا عن الجيران والأصدقاء والأقارب، تتشكل شخصيته متلبسة بكثير من المشكلات السلوكية، كالانطوائية والهروب من تحمل المسئولية والتبعية والتردد... ويعالجها الفسحة الاجتماعية، وذلك بزيارة باصطحاب الوالدين للأبناء عند زيارة أحد الأقارب، من الأعمام أو العمات، أو الأخوال أو الخالات...، أو زيارة أحد الجيران أو الأصدقاء، خاصة في العطلة الأسبوعية، فينشأ الأطفال في علاقات اجتماعية ناجحة ناجعة، تتعامل مع المجتمع ويتعامل معها، وساعتها يتحقق قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ (الحجرات: ١٣)، كما أن طبيعة الأطفال فيما قبل البلوغ تتسم بحب تكوين الصحبة، واللعب في مجموعات، وهذا لن يتحقق لطفل انطوائي عن المجتمع.

د- فسح ترفيهية:
تتعدد أنواع الفسح الترفيهية، فمنها ما هو داخل الفصل الدراسي، وذلك لقضاء قسط من الراحة وتناول طعام، وكذلك اللعب، وما تنظمه المدرسة من الرحلات أو زيارة الأماكن الجميلة، ولا يمكن إهمال دور الأسرة في الترفيه التربوي، باصطحاب إلى المصيف نهاية إجازة العام الدراسي، أو ترفيه داخل منزلي؛ بأن يكون الترفيه في صورة تشجيع وتحفيز، فإذا ما أتموا واجباتهم أو رتبوا أدواتهم أو طووا فرشهم عند الاستيقاظ من النوم، جعلنا هذه الفسحة محفزا لهم، بالذهاب إلى حديقة أو منتزه أو رحلة، وبذلك نكون قد نجحنا في تطبيق استراتيجيتين من استراتيجيات التربية الإيجابية لتعديل السلوك.

وفي الختام، ينبغي للآباء والمعلمين والمعلمات أن يراعوا مرحلة الطفولة؛ فيعطوا الأطفال حقوقهم المرحلية في الترفية واللعب والتسلية؛ حتى ينشأ جيلهم على حب العمل والنشاط والاختلاط بالمجتمع، يسعدون به ويسعد بهم.

الهوامش

١- حديث صحيح: سنن الترمذي: تحقيق إبراهيم عطوة، (٤/ ٦٦٧).

عصام جمعة
باحث في الشريعة والقانون



صور من البر والعقوق

إن المتتبع لقسم الحوادث في الجرائد والصحف اليومية، يظن أن القيامة قد اقتربت وأن علامات الساعة قد لاحت في الأفق من كثرة العقوق بين الأبناء، فهذا ابن يفقأ عين والدته، وآخر يحرق والدته، وثالث يضرب والده، ورابع يطرد أبيه من البيت ويرفض أن ينفق عليه.

هذه ليست مشاهد درامية في مسلسل تليفزيوني مبالغ فيها، وإنما هي مشاهد واقعية حقيقية تحدث كل يوم وتتزايد كل يوم، فما هو السبب؟

هل هو البعد عن الدين والقيم والأخلاق التي تربت عليها الأجيال السابقة، أم أنه التقصير في التربية من الوالدين، أم أنه دين يقضى فكما تدين تدان، أم بسبب رفقاء السوء؟

إن قضية بر الوالدين من القضايا الهامة في حياة كل إنسان، بل ربما تحدد مصيره في دار القرار إما الجنة وإما النار، إذن فالقضية خطيرة، ولذلك جاءت منزلة بر الوالدين بعد طاعة الله عزو جل، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء:٢٣-٢٤)، قال على بن أبي طالب رضي الله عنه في هذه الآية: «لو كان هناك شيئ في العقوق أدنى من أف لحرمه».

وأوصى الله تعالى الإنسان بتقديم الشكر للوالدين على ما قاما به من رعاية وعناية وتربية، وجعل شكرهما من شكره، وحثه على مزيد من البر والرحمة خاصة عند كبرهما، واعتبر الإسلام ذلك من باب الوفاء على ما قدماه من معروف في الصغر قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ



﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ (لقمان:١٤)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثلاث آيات نزلت مقرونه بثلاث لا تقبل واحدة بغير الأخرى:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ (النساء:٥٩)، فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (البقرة:٤٣)، فمن صلى ولم يخرج الزكاة لم يقبل منه.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ (لقمان:١٤)، فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

– وقال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما.

– وقد بينت السنة أن بر الوالدين من أفضل الأعمال، فقد سأل ابن مسعود رضي الله عنه رسول الله ﷺ: (أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله).

– وهما من أحق الناس بحسن الصحبة كما أخبر النبي ﷺ الرجل الذي سأله: (من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك)[١].

– وجاء صحابي إلى الرسول ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال عليه الصلاة والسلام: (أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد)[٢].



صور بر الوالدين حال حياتهما

– طاعتهما في كل صغيرة وكبيرة ما لم تكن في معصية الخالق، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

– توقيرهما، واحترامهما، وتعظيم شأنهما، وخفض الجناح لهما، ومن علامة التوقير، عدم رفع الصوت فوق صوتهما، وأن لا يؤثر عليهما زوجة أو ولد، وأن لا نمشي أمامهما، وأن لا ندعوهما باسمهما.

– إكرامهما والقيام على شؤونهما، وتقديم كل ما يحتاجانه من طعام وشراب وكسوة خاصة عند الكبر والمرض، والسهر على راحتهما ودفع الأذى عنهما.

– عدم سبهما أو شتمهما ولو بأدنى ألفاظ الإساءة والتجريح، أو التسبب في سبهما من قبل الآخرين.

بر الوالدين بعد الموت

ويستمر بر الوالدين حتى بعد موتهما وهنا تتجلى عظمة الدين الحنيف، وأن علاقة الإبن بأبيه لا تنتهي أبدا، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هل بقي على شيء من بر أبوي بعد موتهما أبرهما به؟ قال النبي ﷺ: (نعم، خصال أربع: الصلاة عليهما (والمقصود الدعاء لهما)، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهو الذي بقى عليك من برهما بعد موتهما)[٣].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه)[٤].

نماذج رقيقة من بر الوالدين

– ويروي عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبدالله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله، إنهم الأعراب، وهم يرضون باليسير! فقال عبدالله بن عمر: إن أبا هذا كان ودا لأبي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه)[٥].

– وقيل لعلي بن الحسين رضي الله عنه: إنك من أبر الناس، ولا تأكل مع أمك في صحيفة واحدة، فقال: أخاف



أن تسبق يدي يدها إلى ما تشتهي عيناها فأكون قد عققتها.

- وقد بلغ بر ابن سيرين بأمه مبلغا عظيما، حتى قال: والله ما ارتقيت سطح بيت ووالدتي في البيت تحتي، لئلا ارتفع عليها. وكان يقدم لها الطعام فلا يبدأ حتى تبدأ، وكان لا يأكل من الإناء الذي تأكل منه، فسئل عن ذلك فقال: أخشى أن تقع عينها على شيء من الطعام فأخذه، فأكون عاقا لها. وكان إذا جلس أمامها لا يمد بصره، بل كان يخفض من بصره أمامها، وكأنه عبد مملوك.

- وها هو إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله جعل من نفسه خادما لأمه، يغسل ثيابها، ويصنع طعامها، ويقول لها: ألك حاجة؟ لأنه أخرج حديثا عن معاوية بن جاهمة أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو وجئت أستشيرك. فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم. قال ﷺ: (فالزمها، فإن الجنة عند رجلها)، وفي رواية الطبراني: (ألك والدان؟ قلت: نعم. قال: الزمهما فإن الجنة تحت أرجلهما)[٦].

- وقال المأمون: لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من بره له أنه كان لا يتوضأ إلا بماء ساخن، فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة، فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل إلى قمقم من نحاس، فملأه ماء وأدناه من المصباح، فلم يزل قائما وهو في يده إلى الصباح، حتى استيقظ يحيى من منامه.

هذا هو البر الحقيقي عطاء بلا حدود ودائم ومتصل طوال العام، وليس يوم واحدا في العام، وليس بر الوالدين شرطا أن تقدم هدية مادية، ربما يكون البر الذي ينتظره الوالدين كلمة طيبة أو معاملة حسنة أو اهتمام لا أكثر.

ثمرات بر الوالدين

- إجابة الدعاء: روى عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ (إن خير التابعين رجل يقال له أويس القرني، وله والدة هو بر بها، لو أقسم على الله لأبره....)[٧].

- تفريج الكروب: كما في حديث ابن عمر: (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم....)[٨].

- بركة في العمر والرزق، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ (من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه)[٩].

- غفران الذنوب: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى رجل فقال: إني أذنبت ذنبا عظيما، فهل لي من توبة؟ فقال: (هل لك من أم؟ قال: لا. قال: هل لك من خالة؟ قال: نعم. قال: فبرها)[١٠].

صور من عقوق الوالدين:

- وكما أن لبر الوالدين صورا متعددة وفضائل كبيرة، فإن للعقوق عقوبات كثيرة ومتنوعة كما بينت السنة النبوية.

- لقد حرم الإسلام العقوق وجعله من أكبر الكبائر، قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قال أبو بكر: قلت: ليته سكت)[١١].

- أن العاق لا ينظر الله إليه، قال النبي ﷺ: (ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه والمرأة المترجلة والديوث)[١٢]، وفي رواية: (العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان).

- العقوق من الذنوب التي يعجل لصاحبها في الدنيا قبل الآخرة كما جاء عن رسول الله ﷺ: (اثنان يعجل لصاحبهما في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين)[١٣].

وفي النهاية على الأبناء أن يعوا خطورة العقوق في الدنيا والآخرة، وكذلك على الوالدين أن يقوما بدورهما في تربية أولادهما والاهتمام بهم والجلوس معهم والاستماع لهم، فهم فلذات الأكباد تمشي على الأرض، وهم الكنز الثمين، وهم أغلى استثمار في حياة الإنسان.

الهوامش

١- متفق عليه.
٢- متفق عليه.
٣- رواه أبوداود.
٤- رواه مسلم.
٥- رواه مسلم.
٦- رواه الطبراني.
٧- رواه مسلم.
٨- متفق عليه.
٩- رواه البخاري.
١٠- رواه الترمذي.
١١- متفق عليه.
١٢- رواه النسائي وحسنه الشيخ الألباني.
١٣- رواه الطبراني وصححه الألباني.



د. مصطفى البعزاوي
أكاديمي
بجامعة محمد الأول وجدة

أخلاق المعلم المؤثرة

للمعلم تأثيره المباشر على المتعلمين إذ يلتفون حوله للاستفادة منه، وهو قدوتهم، وناصحهم، ومربيهم، وموجههم، ومؤدبهم، وإنها لمنزلة عظيمة كريمة، ومسؤولية جسيمة.

وهناك عدة مجالات يستطيع المعلم خلالها أن يسهم في بناء شخصية الطلاب، والتي من أبرزها ما يلي:

التقوى

قال الإمام الشافعي: زينة العلماء التقوى، وحليتهم حسن الخلق وجمالهم كرم النفس».

وإذا كانت في المعلم صفة التقوى ففيه أعظم وأجمل صفة تحلى بها، فهي الصفة الأم، وهي الصفة التي تجلب جميع الصفات الحسنة؛ من تواضع وصدق وعدل ومساواة وإحسان إلى غيرها من الصفات الجميلة. إنها تجعل صاحبها يترك كل ما هو منهي عنه، وتجعله يقبل على كل ما هو مباح له.

الرحمة والرفق

وينبغي للمعلم أن يكون رحيما غير فظ ولا غليظ، متأسيا بأخلاق المصطفى ﷺ، الذي قال تعالى في وصفه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩). وينبغي أن يترفق بتلاميذه لأنه مطلب إسلامي، قال ﷺ: «إن الله رفيق، يحب الرفق في الأمر كله».

وقال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه».

لقد حرص الرسول الله ﷺ أن يبث الرفق في نفوس أصحابه، وأن يكسبهم هذه الصفة السامية، لأنها ملاك الأخلاق، وأم الفضائل، وشارة الحلم، وعنوان العقل، والأحاديث التي تناولت هذه الصفة، ودعت إليها كثيرة، عرضها المعلم العظيم بصور وألفاظ عديدة وأمثلة حسية ومعنوية.

وقد استوقفني هذا التأكيد والتكرار لهذه الخلة، وما ذاك إلا لعظم شانها، وصلتها بحقيقة الإيمان، وحرصه ﷺ على أن يتحلى أصحابه بها. وكان يقول لعائشة -رضي الله عنها- عليك بالرفق.

البعد عن الغضب

إن الغضب جماح الشر، لأنه يحول بين المرء وبين حسن التصرف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: لا تغضب، فردد مرارا، وقال: لا تغضب».

ونظرا لما للغضب من سيطرة على تصرف الإنسان حيث يجمع به إلى التلفظ بمبتذل الكلام الذي يؤدي إلى قبيح الأفعال. فقد جاء في الحديث النبوي الشريف: عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

إن الغضب يؤدي بالإنسان إلى فقدان الترابط والانسجام والانتظام بين الألفاظ والمعاني فيقع التشويش على ترتيب هذه المعاني.

الصدق

إن الصدق طمأنينة للنفس، والكذب مصدر للخوف والريبة، ومدعاة للشك بين المتعلمين والمعلم، وقد قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى مالا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة».

وعن عقبة بن مسلم قال: «صحبت ابن عمر أربع وثلاثين شهرا، فكان كثيرا ما يسأل فيقول: لا أدري وإذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله».

ويجب أن يكون المعلم عاملا بعلمه، فلا يكذب قوله فعله، لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد. ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش في الطين، والظل في العود، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه؟

التواضع

وعلى المعلم أن يكون متواضعا لمن يربيه، لأن تعاليه عليه يحدث هوة بينهما، وإذا ازدادت الهوة بينهما انعدم التأثير، ولنا في أخلاق المصطفى ﷺ أسوة حسنة، فقد كان ﷺ وهو سيد البشرية أكثر الناس تواضعا، ومما قاله في فضل التواضع: « ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه».

إن المعلم والمدرس هو الذي تصدى للتدريس والإفادة بعد اكتمال أهليته، ويخاف الله، ولا يتعاظم على طلبته اقتداء بالنبي ﷺ الذي أمر بأن يخفض جناحه لمن تبعه من المؤمنين. لأن التواضع في مواقعه من شيم النفوس العظيمة والشريفة، وهو صفة محمودة لا يتحلى بها إلا ذووا العلم والأخلاق العالية.



محمود عبد الرحيم
باحث دراسات

لماذا شعبان؟

لم يأت دين بلغ ما بلغه الإسلام من حيث الشمول لكل معطيات الحياة، فالإسلام كالنبراس الذي أضاء للبشرية الكون، وأشاع نور اليقين للعالم، على مدار القرون الماضية، فلقد اهتم بكل صغيرة وكبيرة تخص الإنسان وتضمن له الحياة الصحية والطبيعية، حتى إنه لم يترك لمن آمن به سبلا للخير إلا وقد بينها، فنجد أكبر بيان على ذلك هو التنبيه والتحذير لكل قادم من خير أو شر، لكي يتضح له الطريق، والوسائل للتقرب إلى الله كثيرة، جعلت لكي يغتنم المسلم الفرصة، ليفوز بمرضاة الله عز وجل، وينجي نفسه من ثقل صحيفته، وفي القرآن وسنن نبينا رحمة بنا، فهما ما يرشدانا إلى خير ما في الدنيا.

لماذا شعبان

إن شهر شعبان له فضل عظيم، من حيث التدبر والاستعداد لشهر رمضان، فهو رمانة الميزان للأعمال قبل رفعها إلى رب العباد، حيث فيه ترفع الأعمال إلى الله، وكان من أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ.

وقد جاء في صحيح النسائي أنه قد سئل النبي ﷺ عن سبب صومه يومي الإثنين والخميس فقال: ذلك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم.

وقد روى النسائي وأحمد، عن أسامة بن زيد «رضي الله عنهما» قال كان رسول الله ﷺ، يصوم الأيام حتى يقال لا يفطر، ويفطر الأيام حتى يكاد لا يصوم إلا يومين من الجمعة، إن كانا في صيامه وإلا صامهما، ولم يكن يصوم من شهر من الشهور ما يصوم من شعبان، فقلت يا رسول الله: إنك تصوم لا تكاد أن تفطر، وتفطر حتى تكاد أن تصوم إلا يومين، إن دخلا في صيامك، وإلا صمتهما؟ فقال: «أي يومين»؟ فقلت: يوم الإثنين ويوم الخميس؟ فقال: ذلك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم. فقلت: ما أراك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ فقال: ذلك شهر يغفل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم» (صحيح النسائي).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت النبي ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان» (رواه البخاري، ومسلم. وفي البخاري رواية: «كان يصوم شعبان كله) (١٩٧٠).

وروى الإمام أحمد، والنسائي من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «لم يكن (يعني النبي ﷺ) يصوم من الشهر ما يصوم من شعبان، فقال له: لم أرك تصوم من الشهر ما تصوم من شعبان. قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين عز وجل فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»..(والإسناد جيد).

ومن هنا ينبهنا رسولنا الكريم، إلى فضل الصيام في شعبان، وقد أرشد أصحابه رضي الله عنهم، إلى عظمته حيث أشار إلى أنه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، رغم ما به من عظيم شأن، فهو مقدمة خير لشهر رمضان الكريم، وعلى الإنسان المسلم أن يجتهد فيه، بالتزام الطاعات والبعد عن المعاصي والسيئات، تمهيدا لاستقبال شهر رمضان المعظم، ولكي يتمكن المسلم من ترويض النفس وتأهيلها، للصوم في الشهر الكريم على الوجه الذي يرضي الله.

فضل شهر شعبان

نحن جميعا لابد أن نتنبه إلى فضل شهر شعبان، فهو بمثابة إنذار لنا

بقدوم شهر رمضان الكريم، بما فيه من فضل عظيم. فهو يعتبر بمثابة دورة تدريبية لاستقبال شهر رمضان الكريم.

وقد ذكر في مواضع كثيرة إن النبي عليه الصلاة والسلام، كان حريصا على الطاعة والعبادة في شهر شعبان، وكـان يخصه بمزيد من الأعمال الصالحة، وقد سأل الصحابة رضوان الله عليهم، النبي ﷺ، عن سبب تخصيصه هذا الشهر بمزيد من الأعمال والعبادات فقال: ذلك شهر يغفل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم (صحيح النسائي).

ومن فضائل شهر شعبان، التي قد لا يعرفها البعض، أن رسول الله ﷺ، يخصه بمزيد من الصيام، ما لا يخص غيره من الشهور، عدا شهر رمضان، وذلك لقول عائشة رضي الله عنها كما سبق: ما رأيت رسول الله ﷺ، استكمل صيام شهر قط، إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان.

وقد رجح العلماء أن النبي ﷺ، ما صام شهرا كاملا إلا رمضان، وهو ما بينه حرص النبي ﷺ على الصيام فيه؛ ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبي ﷺ يصوم شهرا أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله..» (متفق عليه واللفظ للبخاري).

ومن استحياء النبي من الله عز وجل، أنه كان يحرص على الصيام وقت رفع الأعمال، لذلك كان يواظب على صيام يومي الاثنين والخميس، لأنهما ترفع فيهما الأعمال، ولا تعارض بين رفع الأعمال في يومي الاثنين والخميس، ورفعها في شعبان، لأن عمل العام يرفع في شعبان، كما أخبر النبي ﷺ.

ويذكر ابن القيم رحمه الله شرحا مفصلا: فإن عمل العام يرفع في شعبان كما أخبر به الصادق المصدوق، أنه ترفع فيه الأعمال فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم، ويعرض عمل الأسبوع يوم الإثنين والخميس، وعمل اليوم يرفع في آخره قبل الليل، وعمل الليل في آخره قبل النهار، فهذا الرفع في اليوم والليلة أخص من الرفع العام، وإذا انقضى الأجل رفع عمل العمر كله، وطويت صحيفة العمل.

وفائدة التقسيم السابق لرفع الأعمال أن نجتهد أكثر في هذه الأوقات ونملأها بالطاعات كي يرفع عملنا ونحن في صيام أو ذكر أو استغفار.

وقد سئل النبي ﷺ عن سبب صومه يومي الإثنين والخميس فقال: ذانك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم (صحيح النسائي).

فاجتهاد النبي ﷺ لم يقتصر على صوم شعبان فحسب؛ بل كان يصوم الإثنين والخميس، وكذلك كان يرغب بأذكار الصباح والمساء ويحث على صلاتي العصر والفجر حيث تجتمع الملائكة قبل الصعود بأعمال العباد.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم -وهو أعلم- بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون. (صحيح البخاري).

قدر شهر شعبان

ومما ما رجح بعض العلماء قول النبي ﷺ، ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، كما ذكره النسائي من حديث أسامة بن زيد. رضي الله عنهما قال: لم يكن (يعني النبي ﷺ) يصوم من الشهر ما يصوم من شعبان، فقال له: لم أرك تصوم من الشهر ما تصوم من شعبان قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين عز وجل فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم (صحيح النسائي..٢٣٥٧).

إشارة إلى أنه شهر يكتنفه شهران عظيمان، شهر حرام، وشهر صيام، وقد يشغل الناس بهما، فيصير مغفولا عنه، مما رجح بعض العلماء، إلى تفضيل صيام شهر شعبان، على الصيام في الأشهر الحرم، وعلل ذلك بقوله: إن أفضل التطوع ما كان قريبا من رمضان، قبله أو بعده، تكون منزلته من السنن الرواتب، مع الفرائض قبلها وبعدها، وهي تكملة لنقص الفرائض، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة، فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده، أفضل من صيام ما بعد عنه.

والصلاة والسلام على أفضل من صلى وصام، وأشرف من اجتهد وقام، وعلى آله وصحبه الكرام، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..



بلال المريسي
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

سور تحيطه الحكمة

يقضي الإنسان سنوات عمره الأولى في تعلم الكلام، فيبدأ من الوهلة الأولى في نطق الحروف ثم تركيب الكلمات والجمل، وتحيطه هالة وفرحة عارمة من الأهل والأقارب.. وما هي إلا فترة وجيزة وإذا بلسانه قد انطلق من عقاله، وأصبح من الصعب السيطرة عليه وإلجامه، وصار مهذارا يهرف بما لا يعرف، قد أصيب بآفة الثرثرة وكثرة الكلام، ومن هنا تتجلى حكمة الله البالغة في خلقه؛ حيث جعل للإنسان أذنين ولسانا؛ ليسمع أكثر مما يتكلم، لكن البعض -وللأسف- أصبح في غنى عن أذنيه لكثرة كلامه وثرثرته..

ومن الأهمية بمكان تلك الدراسة التي أجريت حول الآفة سالفة الذكر، حيث كانت النتيجة صادمة لي ولا أشك أنها ستكون كذلك بالنسبة لك أخي القارئ الكريم، فقد خلصت الدراسة إلى أن أكثر الأمم كلاما هم العرب، حيث تصل كلمات الرجل يوميا إلى نحو أحد عشر ألف كلمة، وتزيد المرأة عليه بنحو ستة آلاف كلمة يوميا، تخيل ذلك الكم الهائل من الكلمات، وليت جزءا ضئيلا من تلك الكلمات كان فيما ينفع ويستفاد منه..

من هنا أحببت أن أسهم في ذكر العلاج الناجع، لتلك الآفة، حيث سأسلط الضوء في ثنايا السطور القادمة في الحديث عن: آية الحلم، وزينة العلم، وعنوان الفهم..

عن الأمان من زيغ اللسان، والهيبة من غير سلطان، والحلية بدون ذهب ولمعان، والعبادة التي ترضي الرحمن، وتطرد الرجيم الشيطان.

عن روضة الفكر، وموطن السلامة، وداعي المحبة، ولغة العظمة، وزينة الحكمة، وجوهر البلاغة، وأجود إجابة.

عن دواء الغضب، وجملة الأدب، وكما قيل: إذا كان الكلام من فضة؛ فإن السكوت من ذهب..

إنه الصمت..

وهو الإمساك عن الكلام مع القدرة عليه. قال الكفوي: «الصمت: إمساك عن قوله الباطل دون الحق»[(١)].

الصمت: ليس غيابا للصوت، بل حضورا للمعنى، وهو نوع من التواصل لا يحوي حروفا ولا أصواتا، ولكنك تتكلم بصوت غير مسموع يصل إلى الجميع بوضوح ونقاء، فبين الصمت والصوت حرف واحد فقط..

الصمت أخو الإنجاز، وأبو الإبداع، وابن الإرادة، وأستاذ الهيبة، ومعلم الرزانة، وصديق الدقة، ورفيق الفلسفة، وهو بعد ذلك حكمة ومنحة[(٢)].

لقد كان الصمت مشروعا فيمن قبلنا؛

فزكريا عليه السلام أمر ألا يكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا، ولما رجعت مريم البتول إلى قومها قالت: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ (مريم: ٢٦).

وجاءت الشريعة الغراء ونسخت ذلك؛ فأباحت من الكلام ما كان لفائدة وحاجة، مع بقاء الصمت هو الأصل، وجعلت مواطن يكون الصمت فيها محمودا، وأخرى يكون فيها مذموما، وحث على طول الصمت إلا من خير، ففي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» (متفق عليه)، «لأن الصمت والسلامة لا يعدلهما شيء، فأنت إذا تكلمت إما لك وإما عليك»[٣]، فالتزام الصمت مطلقا واعتقاده قربة إلى الله تعالى غير صحيح، حيث جاء النهي عن الصمت إلى الليل، لما فيه من تعطيل عن الذكر ونحوه، ويورد ابن القيم كلاما بديعا عن الصمت والثرثرة في كتابه (الداء والدواء) فيقول: «وفي اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص العبد من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثما من الأخرى في وقتها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاص لله، مراء مداهن إذا لم يخف على نفسه، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاص لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط - وهم أهل الصراط المستقيم - كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلا أن تضره في آخرته، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به».

الصمت المحمود

فأما الصمت المحمود فيكون عن كل ما حرم الله ونهى عنه مثل: الغيبة والنميمة والبذاءة والسخرية ونحوها، والكلام المباح الذي يؤدي إلى الباطل، أو يجر إلى شيء من ذلك.

ويحمد الصمت عند ثورة الغضب، فعندما يستفزك شخص ويريد إثارة غضبك، إياك أن تنصاع له، بل تحلى بالصمت لثوان معدودة فقط، وغير من هيئتك؛ فإن كنت واقفا فاجلس، وإن كنت جالسا فاضطجع، فإن فعلت ذلك فقد أطفأت النار بالماء، وأسلمت أعصابك من التلف، وتجاوزت الكثير من المشاكل.

ومما يحمد الصمت: عندما يتحدث غيرك، خصوصا إن كان أكبر منك سنا، وأعلى منك منزلة، فإنصاتك هنا دليل على سمو تربيتك، وقوة شخصيتك، فقد أتى عتبة بن ربيعة إلى رسولنا الكريم ﷺ موفدا من قريش، فتحدث بحديث طويل وعرض سفارته حتى فرغ، والنبي ﷺ يستمع له، ثم قال له بأدب جم: «أقد فرغت يا أبا الوليد»، قال: نعم، قال: «فاسمع مني»؛ قال: افعل، فقرأ عليه صدر سورة فصلت، فأحدث ذلك الأدب وحسن الإنصات تغيرا كبيرا عند عتبة، حتى قالت قريش: نحلف بالله لقد جاءكم أبا الوليد بغير الوجه الذي ذهب به[٤].

وإنني لأعجب ممن فقدوا مقدارا كبيرا من الذوق واللياقة، وابتلوا بمقاطعة كل متحدث، وألقوا السم في كل حوار هادف، وأرادوا إظهار أنفسهم وشد الانتباه إليهم، فيما فيه شينهم والقدح في أخلاقهم.

ومن المواطن التي يحمد فيها الصمت عند الحلف بغير الله، فقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت».

وإذا سئل الإنسان عن أمر ليس لديه إجابة أو يشك فيها؛ فصمته هنا يكون ورعا، ونجاة من الفتيا بغير علم.

ويحمد الصمت عن الأسرار والأعمال التي تخصك، فسرك أسيرك، فإذا نطقت به صرت أسيره، وأي عمل في أبواب الخير تقوم به فاكتمه ولا تذعه،، حتى تسلم من الرياء والعجب، وكن كمن يمشي على الرمل يترك أثرا ولا يسمع له صوتا، واستعن على قضاء حوائجك بالكتمان، فلرب أمر أخبرت به غيرك، فسبقك إليه، أو حسدك عليه، فتكدرت على فواته وعدم تحصيله، بسبب فلتات لسانك.

ومما يحمد الصمت حين يتجرأ السفيه عليك بقبيح القول، فترفعك عنه وعن مجاراته هو عين العقل، وتمام الحكمة، وتكون بذلك قد ألقمته حجرا، وجعلته يموت غيظا وكمدا، ولله در الشافعي إذ يقول:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت

فإن كلمته فرجت عنه ... وإن خليته كمدا يموت

وعن ظهور الفتن واندلاعها هنا يجب الصمت، لوصية النبي ﷺ: «املك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[٥]، لأن في السكوت إماتة للباطل، وإطفاء لنار الفتنة.

ولقد جعلت الشريعة الصمت علامة على قبول البكر للنكاح، وقرار الارتباط بشريك الحياة، ففي الحديث عند مسلم: «الثيب أحق بنفسها من وليها،



والبكر تستأمر، وإذنها سكوتها».

إن ثرثرة الإنسان مرآة أفكاره، والمرء مخبوء تحت لسانه، ولا ريب أن كثرة الكلام توقع بالخطأ لا محالة، فمن كثر كلامه كثر سقطه، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه، وطالت على عرصات القيامة وقفته..

قال بعض السلف: «كل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا ما كان من الله وما والاه، وكان الصديق رضي الله عنه يمسك على لسانه ويقول: (هذا أوردني الموارد)، والكلام أسيرك، فإذا خرج من فيك صرت أنت أسيره، والله عند لسان كل قائل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (سورة ق: ١٨)»[٦].

إن الإنسان لا يعاب على قبح شكله، ودمامة خلقته، ولا يعاب على فقره، أو صنعته، وإنما يعاب على قبيح ألفاظه، وكثرة كلامه، فقد سئل رجل من بني تميم فقيل له: بما سادكم الأحنف وقد كان قصير القامة، ملتوي الساقين، وليس بأكبر القوم سنا، ولا أكثرهم مالا -؟ قال: بقوة سلطانه على لسانه.

الصمت المذموم

وأما الصمت المذموم فيكون في المواطن التي يتطلب الكلام فيها: كالأماكن التي يرى فيها المنكرات، والمجالس التي تقوم على الغيبة، والتحدث بأعراض المسلمين، ونحوها. قال ابن تيمية: «والصمت عما يجب من الكلام حرام سواء اتخذه دينا أو لم يتخذه».

ويحرم كتمان العلم، فمن كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة، يقول الإمام علي رضي الله عنه: «لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل».

الصمت عن مطلق الخير والبر، كذكر الله وقراءة القرآن والحديث، والتفقه في الدين، وقول الحق، والإصلاح بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقس على ذلك.

ويذم الصمت عند سماع اسم رسول الله ﷺ وعدم الصلاة عليه، فقد وصف الصامت في هذا الموطن بالبخيل، وكفى به قدحا وتوبيخا..

ومن المواطن التي يذم فيها الصمت: سكوت أهل الحق عن حقهم، حتى توهم أهل الباطل أنهم على حق، فالساكت عن الحق شيطان أخرس.

إن الصمت متجر رابح لا كساد فيه، وهو تسعة أعشار الحكمة، لذا تحلى به الأنبياء، فقد كان نبينا ﷺ طويل الصمت، صمته تفكر، لا ينطق إلا في حاجة، وقد أعطي جوامع الكلم، فكان إذا تحدث بحديث لو عده العاد لأحصاه.

ولقد جاء التحذير النبوي بنبرة رهيبة عن صنف من البشر من أمته، هم شرارها، وأسوأها خلقا، وأبعدها يوم القيامة من النبي ﷺ مجلسا، وهم: «الثرثارون والمتشدقون»، وهذا يدلنا على خطورة الإسهاب في الكلام، وبيان فضل الصمت في الدارين، إذ به تمام العقل، وصلاح الحال؛ فصاحبه مصان الجانب، خفيف الحمل، قد أحسن والله لنفسه، فأحبه الله وأحبه خلقه.

فوائد الصمت

ولما كان الصمت بهذه الأهمية العظيمة والمكانة السامقة كانت فضائله جمة لا تحصى، فقد أفرد ابن أبي الدنيا له كتابا اسماه: (الصمت)، وأورد فيه جملة من المحاسن والفوائد، وحري بمن رغب بمعرفة المزيد أن يقتني هذا الكتاب ويقرأه بتمعن حتى يهبه الله القول السديد والعمل الصالح الرشيد.

الصمت مصدر قوة للإنسان، وسبب

مـن أسـبـاب دخـول الجـنـان، ودليـل على كمال الإيمـان، به تستر العيوب، ويكسب التوقير والاحترام في القلوب، ويجعل المرء لآخرته في عمل دؤوب.
هو زينة العالم وستر الجاهل، وسلامة الدين، ولو أن عبدا اختار لنفسه ما اختار أفضل من الصمت.
ولعل من فوائده أنه يطفئ الغضب العـارم، ويقتل المشاكل الأسـريـة في مهدها قبل أن تـثـور، فـالمـرأة لها سلاح فتاك يكمن في لسانها، لذلك تكثر الثرثرة عند النساء، وقد جاء في معرض الحديث عن المرأة: «... وإن أعوج ما في الضلع أعلاه»، قال الشوكاني في نيل الأوطار: «يحتمل أن يكون ذلك مثلا لأعلى المرأة، لأن أعلاها رأسها وفيه لسانها، وهو الذي ينشأ منه الاعوجاج». وقد قيل: من عقل لسانه، حفظ رأسه.
إن من أشد أنواع العقوبات في الدنيا أن يمسك الله لسان عبده عن ذكره وشكره، ويطلقها العبد في القيل والقال، وكثرة السؤال، والتحدث في أعراض المسلمين يمنة وشمال، فمن ابتلي بكثرة الكلام، أصيب بالعي في موطن يحسن الكلام فيه.
ولـو لـم يكـن مـن فـوائـد الـصـمـت إلا أنه نجاة لصاحبه لكفى، لقوله ﷺ: «من صمت نجا». إن من لزمه غنم وقته، وأطلق العنان لفكره، وسمت به نفسه، ورق قلبه، وعظمت في عينيه خطيئته.. ولا تكاد تخرج منه الكلمة إلا بعد تمحيص وتفكر في عواقبها.

كيف نتعلم الصمت؟

إن الصمت فن يتعلم ويتدرب عليه، فهو أشبه ما يكون بسور شامخ يحتاج عند تشييده إلى خطة ورغبة ومجاهدة ومهارة واتـزان، فإنك إذا أقمت ذلك السور في قلبك تكون قد ملكت زمام أمرك، وأرحت نفسك، فقد جاء في الأثر عن أبي الدرداء رضي الله عنه: «تعلموا الصمت كما تتعلمون الكلام»، ولقد أثر عن بعض السلف أنه مكث عشر سنين يجاهد نفسه على الصمت، حتى كان يضع في فمه حصاة لا ينزعها إلا عند أكله أو شربه أو نومه، وكان بعضهم يحفظ كلامه من الجمعة إلى الجمعة، ومن الوسائل المعينة على اكتساب الصمت:
رقابة الله تعالى في كل كلمة، فهي مدونة لدى الكرام الكتبة، ومعرفة خطر اللسان، والتأمل في فضل الصمت وثمراته، النظر في سير السلف وحسن الاقتداء بهم، والنظر في العاقبة الوخيمة للكلام والثرثرة، واجتناب مواطن اللغط والغيبة والنميمة ونحوها.

الصمت من أهم وسائل التربية

ولعل من أنفع الوسائل التربوية لنبوغ الأبناء؛ تعويدهم على الاستماع أكثر من الكلام؛ فالاستماع الجيد يجعلهم أكثر تركيزا وإبداعا وتألقا، وفيه أيضا الفهم لمن يحيط بهم، حيث أن استماعهم بصمت يعني أنهم امتلكوا مفاتيح شخصيات من حولهم.
ولا شك أن الأبناء يتربون بالقدوة الماثلة أمامهم، هب أنك التزمت الصمت لمدة أسبوع أو شهر فحسب، فجعلت الذكر ديدنكَ، والتفكّر في نعم الله شعارك، والكلام النافع المفيد دثارك، أخبرني ما الذي جنيت؟! لن أبالغ إن قلت إنك قد اتخذت قرارات أكثر صوابا في حياتك، وكفيت مؤنة الاعتذار لغيرك، وحافظت على برودة أعصابك، وقللت من خصومك، وأكثرت من أحبابك، واستثمرت معظم وقتك، وعالجت الكثير من مشكلاتك، وأعدت ترتيب أولويات حياتك، هذا ما يفعله الصمت، فالزمه تلزمك السلامة.

همسة ختامية

وبالجملة؛ فإن اللسان أحوج ما يكون إلى طول سجن حتى يستقيم ولا ينطق إلا خيرا، فهو أشبه ما يكون بسبع جائع وثعبان حشي فمه سما، إذا انطلق أضر وأفسد، فرب مصرع إنسان من اللسان..
إن كثرة الكلام مما يقسي القلب، ويورث الندم؛ فالكلمة إذا خرجت من فيك فلن تعود، فانصف أذنيك من فيك، وثق أن الفم المغلق لا يعادي أحدا البته.
يا لروعة الصمت، من لزمه نال الظفر والراحة، وتكلل بتاج الوقار والهيبة، وتدثر بدثار العزة والكرامة، ولئن يموت المرء صامتا، خير له من أن يموت ثرثارا مهذارا

متبداء الصمت خير لك من داء الكلام
إنما السالم من ألجم فاه بلجام

المصادر والمراجع

١- الكليات، للكفوي، (٥٠٧).
٢- لغة الصمت، د. هشام القاضي، بودكاست ألسن.
٣- المسالك في شرح موطأ مالك (٧/ ٥٧٨).
٤- السيرة النبوية، لابن هشام، (٢٩٤/١).
٥- حديث حسن، سنن الترمذي، رقم (٢٤٠٦)، (١٨٣/٤).
٦- الداء والدواء، لابن القيم، (ص: ١٦١).
٧- نضرة النعيم، لمجموعة من الباحثين (٧/ ٢٦٤٤).
٨- إحياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ١١١).

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث





سلسلة الأعلام المتشابهة (٦٦)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (البكري) -القسم الثاني-:

١٠- زين الدين البكري (ت: ١٠٢٨هـ):

هو زين الدين محمد بن محمد أبي السرور البكري الصديقي المصري، مؤرخ.

ولد بالقاهرة، من مصنفاته: (المنح الرحمانية في الدولة العثمانية)، و(فيض المنان بذكر دولة آل عثمان) وصل فيه إلى ولاية مصطفى باشا بمصر، سنة: (١٠٢٧هـ)، توفي بالقاهرة[1].

١١- أحمد البكري (ت: ١٠٤٨هـ):

هو أحمد بن زين العابدين بن محمد بن علي البكري الشافعي، أديب، شاعر، من فضلاء الشافعية بمصر، أقرأ بالجامع الازهر.

من أبرز مصنفاته: (روضة المشتاق وبهجة العشاق)، و(حسن الوصف في تفسير سورة الصف)، و(ديوان شعر) أكثر ما فيه ألغاز، و(رشف الزلال عن تبسم ثغر السؤال) تراجم، و(الكوكب الوهاج في هداية الحاج) منظومة في رحلته إلى الحج، و(لسان المحبة)، و(زهرة البستان)، و(فتق الرتق لإظهار الحق)، و(فيض الفياض) مواعظ، و(هاتفة التكريم في أسرار

الجحيم)، و(لسان الحقيقة والمجاز)، و(إقامة الشواهد)[٢].

١٢- أبو المواهب البكري (ت: ١٠٥٣هـ):

هو أبو المواهب عبد الله بن محمد بن محمد البكري الصديقي الأشعري القرشي، فاضل، صوفي.

من أبرز مصنفاته: (تحفة الناظرين في حوادث عن اثنين وخمسين)، و(الذكر الجلي في مراتب حال ولي من ولي)، و(شكر الإنعام من المالك العلام)، و(الفتوحات الرحمانية من الحضرة القدسية الصمدانية)، و(الأجر الجزيل لمن مات أو قتل في السبيل)، و(سلسال البحر مما اكتسب من فيوضات مجرى النهر)، و(التحفة الجلية في اسم العبودية)[٣].

١٣- ابن أبي السرور البكري (ت: ١٠٦٠هـ-أو ١٠٨٧هـ):

هو محمد بن زين العابدين محمد أبي السرور بن محمد البكري الصديقي، المعروف بابن أبي السرور، مؤرخ مفسر باحث، مصري، انتهت إليه رئاسة بيت البكري بمصر.

ولد في القاهرة سنة: (١٠٠٥هـ).

من أبرز مصنفاته: (النور المبين في توضيح ما في إحياء علوم الدين)، و(الدرة العصماء في طبقات الفقهاء)، و(الروضة الندية في طبقات الصوفية)، و(عين اليقين في تاريخ المؤلفين)، و(الدرر في الأخبار والسير)، و(الروضة الزهية في ولاة مصر القاهرة المعزية)، و(عيون الأخبار ونزهة الأبصار) تاريخ، و(قطف الأزهار من الخطط والآثار) اختصر به خطط المقريزي، و(تفسير كبير) يعرف بتفسير ابن أبي السرور، و(فيض الجنان بذكر دولة آل عثمان)، و(القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب)، توفي بالقاهرة[٤].

١٤- قطب الدين البكري (ت: ١١٦٢هـ):

هو قطب الدين أبو المواهب مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي الحنفي، القادري، متصوف، من العلماء، كثير التصانيف والرحلات والنظم.

ولد في دمشق سنة: (١٠٩٩هـ)، ورحل إلى القدس وحلب وبغداد ومصر والقسطنطينية والحجاز.

من أبرز مصنفاته: (السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والالحاد)، و(الذخيرة الماحية للآثام في الصلاة على خير الأنام)، و(المورد العذب لذوي الورود في كشف معنى وحدة الوجود)، و(الصلاة الهامعة في فضائل الخلفاء الأربعة)، و(الفتح القدسي والكشف الأنسي) أدعية، و(بلغة المريد) أرجوزة في التصوف، و(أرجوزة في الشمائل)، و(التواصي بالصبر والحق) تصوف، و(شرح القصيدة المنفرجة)، و(فوائد الفرائد) منظومة في العقائد، و(اللمحات) في صلوات ابن مشيش، و(منظومة الاستغفار) مع شرح لها، و(المنهل العذب السائغ)، وتوفي بالقاهرة[٥].

١٥- كمال الدين البكري (ت: ١١٩٦هـ):

هو كمال الدين أبو الفتوح محمد بن مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي الحنفي، أديب، من فقهاء الحنفية بفلسطين.

ولد ببيت المقدس سنة: (١١٤٣هـ).

وله نظم وتصانيف، من أبرزها: (خلاصة تحقيق الظنون في الشروح والمتون) جرد فيه كشف الظنون من المكررات واستدرك عليه زيادات، و(الروض الرائض في علم الفرائض)، و(تشنيف السمع في تفضيل البصر على السمع)، و(المنح الإلهية في مدح خير البرية) شرح بديعية له، و (نبراس الأفكار) وهو ديوان شعره، و(الكلمات البكرية في حل معاني الآجرومية) في النحو، وتوفي بغزة[٦].

١٦- أبو بكر البكري (ت: ١٣٠٢هـ، أو ١٣١٠هـ):

هو أبو بكر عثمان بن محمد شطا الدمياط الشافعي البكري، فقيه متصوف، نزيل بمكة.

من أبرز مصنفاته: (إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين)، و(الدرر البهية فما يلزم المكلف من العلوم الشرعية)، و(هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء) ن و(القول المبرم في أن منع الأصول والفروع من إرثهم محرم) في المواريث، و(كفاية الأتقياء ومنهج الأصفياء) في التصوف، و(نفحة الرحمن في مناقب السيد أحمد زيني دحلان)[٧].

١٧- محمد توفيق البكري (ت: ١٣٥١هـ):

هو محمد توفيق بن علي بن محمد البكري الصديقي، شاعر، وأديب مترسل، من أعيان مصر.

ولد بالقاهرة سنة: (١٢٨٧هـ)، تولى نقابة الإشراف ومشيخة المشايخ وعين عضوًا دائمًا في مجلس الشورى والجمعية العمومية، وكان يجيد الفرنسية والتركية والإنجليزية.

من مصنفاته: (أراجيز العرب)، و(تراجم بعض رجال الصوفية)، و(بيت الصديق)، و(بيت السادات الوفائية)، و(المستقبل للإسلام)، و(التعليم والإرشاد)، و(فحول البلاغة)، و(صهاريج اللؤلؤ)، توفي بالقاهرة[٨].

الهوامش

١- انظر: إيضاح المكنون (٢١٦/٢) والأعلام للزركلي (٦٢/٧) ومعجم المؤلفين (٢٩٠/١١).

٢- انظر: خلاصة الأثر (٢٠١/١) وهدية العارفين (١٥٩/١) والأعلام للزركلي (١٢٩/١) ومعجم المؤلفين (٢٢٩/١).

٣- انظر: الأعلام للزركلي (١٢٩/٤) ومعجم المؤلفين (١٤٠/٦).

٤- انظر: هدية العارفين (٢٩٩/٢) والأعلام للزركلي (٦٤/٧) ومعجم المؤلفين (٢٩٣/١١).

٥- انظر: هدية العارفين (٤٤٦/٢) والأعلام للزركلي (٢٣٩/٧) ومعجم المؤلفين (٢٧١/١٢).

٦- انظر: هدية العارفين (٣٤٣/٢) والأعلام للزركلي (١٠٠/٧) ومعجم المؤلفين (٣٢/١٢).

٧- انظر: هدية العارفين (٢٤١/١) والأعلام للزركلي (٢١٤/٤) ومعجم المؤلفين (٧٣/٣) (٢٧٠/٦).

٨- انظر: الأعلام للزركلي (٦٦/٦) ومعجم المؤلفين (١٤١/٩).



إعداد: هشام الصباغ
باحث لغوي



داعية الشام وطبيبه

الدكتور حسن هويدي

■ رمز للداعية المؤثر، وأنموذج قدوة للمربي الناجح، ومثال للقائد الذي جمع الله عليه القلوب.. تجده مع الجميع هينا لينا.. إلا إذا رأى أمرا لا يحتمل وجهة نظر أو اجتهادا آخر، والمخالفة فيه صريحة، فإنه لا يهادن فيه ولا يداهن، لكن يظل منضبطا بالشرع، متجنبا التجريح، محذرا من الفتنة، نابذا الشقاق، حاثا على الألفة والأخوة والمحبة، مطالبا بالصبر وحبس النفس عن الخطأ.

■ يلتزم «أدب الخلاف» ويتجنب الإثارة، ويعتمد منهج «ما بال أقوام»، فلا تسمع أو تقرأ له -وهو يناقش قضية غير مؤمن بها، أو ينتقد فكرة معينة يرى عدم صوابيتها- كلمة نابية، أو لفظا لا يليق، بل ينتقي كلماته بدقة ليصل إلى الفكرة التي يريد بألطف الجمل، وأجمل العبارات.

■ عند التشاور كثيرا ما تراه يميل إلى هذا القول أو يأنس إلى ذاك الرأي، لكن بلا تعصب، ودون انغلاق، وتجده في نهاية المشاورة: يسجل موقفه ورأيه.. لكن يعلن التزامه بما ذهبت إليه الأكثرية وتطبيقه له.

■ على الرغم من تخطيه الثمانين، فإن نشاطه أو سعيه في سبيل نصرة الإسلام لم يهدأ، وحركته في الدعوة إلى الله ناء بتحملها شباب، فقد ظل دائم الأسفار متعهد الترحال ناشرا الدعوة مهاجرا بها حاملا لها على غير عادة من في مثل سنه، يطوف من اليمن إلى الإمارات والكويت ومن لندن إلى إسطنبول والسودان.. وحركته لم تتوقف حتى وفاته.

■ من رعيل سورية الأول، نشرا للعلم الشرعي، وبثا لأنوار الدعوة.. ومن باب «المرء ضعيف بنفسه قوي بإخوانه» دلف إلى أرضها يغرز فسائل يقي بها أمته رياح تغريبها، يحشد الجهود المتفرقة من أجل غد أفضل للمسلمين، ويوظف الطاقات الحيوية الفاعلة بطريقة منظمة، وبأسلوب جماعي، حتى تخرج الثمرة طيبة ومؤثرة ومجدية.

■ عرفه السوريون طبيبا بارعا، وعالما محققا، وفقيها ثبْتا، واسع الاطلاع، حجة بالعلوم الشرعية، وعلى دراية واسعة بتفسير القرآن، صاحب ثقافة ثرة جمعت بين الطب والفقه إضافة إلى استيعاب «فقه الواقع» و«فقه الدعوة» ومعرفة العلل والأدواء، والتيارات المناوئة، وطبيعة المعركة، وحقيقة الأزمة التي تمر بها الأمة.. إنه الفقيه الطبيب حسين هويدي.

المولد والنشأة

■ من دير الزور (عروس نهر الفرات)، ففيها ولد مطلع عام ١٩٢٥م، في كنف بيت إسلامي طيب طابعه التدين والالتزام والمحافظة على الفضيلة وحب العلم.. والده كان شيخا معروفا لدى أهل بلدته بالتزامه الدين ومجالس الذكر والعلم في المساجد، وله بالغ الأثر في مسيرته وفي تعليم القرآن لجيل واسع من أهل الدير.

■ طبيعة الدير نفسها ذات الطابع العشائري المحافظ، وحياة أهلها القائمة على الفطرة، فلا فجور ظاهر، ولا دور لهو واضحة، مع خلو الشارع من أي اختلال ينسب إلى السفور أو التبرج.. شكلتا التكوين الأولي لهويدي الذي تربى على مائدة القرآن وحب السنة والتعلق بالذكر.

■ منذ طفولته تعلق بالعلم الشرعي، وأخذ معظم علومه في الفقه والتفسير والحديث واللغة العربية والأصول في وقت مبكر من علماء بلده أمثال: الشيخ حسين رمضان الخالدي والشيخ سعيد المفتي والشيخ جعفر الرحبي، الذين كان يختلف إليهم، ويرافقهم، ويجالسهم، ويحضر حلقهم، ويراجعهم ويفيد منهم.. مع مواصلة التحصيل بجهود ذاتية عن طريق مطالعة أمهات الكتب في مختلف الميادين ضمن رفقة صالحة من أقرانه، أمثال: الشيخ أحمد السراج والشيخ عبدالرزاق الخالدي والشيخ د. خليل ملا خاطر وأمين الشاكر.. وغيرهم.

■ حصل على شهادة الثانوية العلمية، ثم انتسب إلى كلية الطب في جامعة

دمشق، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في الطب بتقدير «جيد» عام ١٩٥٢م، وكانت رسالته لنيل شهادة الدكتوراه عن: «فرط نشاط الغدة الدرقية»، ثم حصل على شهادة التخصص في الأمراض الباطنة من كلية الطب في جامعة دمشق.

■ خلال سنوات الدراسة في دمشق لازم كبار العلماء فيها ونهل من علومهم. وأكثر من ملازمة الشيخ مصطفى السباعي الذي تأثر به كثيرا وأصبحت علاقته به كبيرة جدا.

حياة عملية دعوية

■ بعد تخرجه عاد إلى دير الزور ليفتح عيادته ممارسا لمهنة الطب، فكان يوزع أوقاته بين العيادة والعمل الدعوي، الذي أصبح يستغرق أكثر وقته حتى غلب مهنته فتفرغ له تفرغا كاملا.

■ عاش حياته مناضلا، وانتشرت إسهاماته الفكرية والتربوية، إذ كانت قدرته هائلة على استيعاب المسائل وتحدي العقبات، وحركته دؤوبة من أجل الدعوة الإسلامية التي جعلها همه الأول والأساسي؛ تسير في دمه وروحه، عاش لها ومات من أجل رفع رايتها.

■ عين عضوا بالمجلس الأوروبي للإفتاء، وكان فاعلا في قضايا إسلامية مهمة كثيرة، وله دور رائد على مستوى سورية، وعلى المستوى العربي والإسلامي والدولي، وشارك ضمن وفود عدة للتدخل في إنهاء نزاعات داخلية في عدد من الدول الإسلامية.

.. عن هويدي

■ مجلسه، طال أو قصر، لا يخلو من تأصيل شرعي، أو بيان لمسألة وكيف يكون الانضباط فيها بشرع الله.. والأصالة عنده أهم من الحداثة مع أنه يفقه عصره ولا يعيش في الماضي والتاريخ وحده.. حريص على المرجعية الشرعية في جميع ما يقول ويعمل.

■ ستة وستون عاما وهو يسير على طريق الدعوة، لم يلن فيه، ولم ينثن، أو يتراجع.. حتى في سني عمره الأخيرة تجده مسافرا من بلد إلى آخر حاملا هم الدعوة، ومستقبل الأمة، مندفعا للعمل الإسلامي، يحاضر ويوجه ويعلم إلى آخر ليلة من حياته.

وصيته

■ جعل لقاء الله نصب عينيه، وحرص في سعيه في الدنيا على ألا يغفل عن هذا المصير؛ ولذا فقد عاش بين الناس ووصيته الشرعية مكتوبة عنده ممتثلا إلى قول الرسول ﷺ: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه» (رواه الشيخان).

■ المتأمل في وصيته يجد جمال سبكها، وإشراق عبارتها، وقوة بيانها، وحرصها على اتباع السنة، ودقة ألفاظها (ولا أذكر أن لأحد علي دينا حتى كتابة هذه الوصية)، وسعة فقهها وتشديده على ضرورة الالتزام بهذا الفقه.

عادة أسبوعية

■ كانت له جلسة أسبوعية يجلس فيها للترويح مع إخوانه يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، ثم تكون لهم دروس في العقيدة أو التزكية أو التاريخ.. وفي ليلة وفاته تحدث حديثا رقيقا خاشعا عن الموت وقرأ من «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي.

هويدي كاتبا

■ امتلك الدكتور حسن هويدي قلما بليغا رائعا، وأيضا اشتغل على نفسه فامتلك ثقافة عامة قوية، وعلم شرعي راسخ، وموهبة أدبية واضحة، وتمكن من اللغة العربية التي كان من متذوقيها.. ومن مؤلفاته: «الوجود الحق» و«من نفحات الهدى» و«محاذير الاختلاط» و«الشورى في الإسلام» و«مفهومات في ضوء العلم»، إضافة إلى مقالات كتبها هنا وهناك، ومنها مقالاته الشهيرة في مجلة «حضارة الإسلام»، وبيانات كتبها في مناسبات متفرقة.

إسهاماته مع «الوعي»

■ كان للشيخ الدكتور حسن هويدي خمس مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «جمال الإسلام، ع:٣»، و«نفخ الروح غير تكاثر الخلية، ع:٦٤»، و«بين الشريعة والطب، ع:٦٨»، و«نقل الدم لا يحرم، ع:٧٣»، و«دور الإسلام في العصر الحديث، ع:١١٨».

وفاته

■ بعد جهاد في خدمة الدين والدعوة إليه استمر أكثر من ٦٠ عاما، وعن عمر ناهز ٨٤ عاما، وبعدما أدى رسالته على أحسن ما يكون الأداء، لقي الدكتور هويدي ربه على أحسن ما يكون اللقاء، بعد أدائه صلاة فجر الجمعة ١٣ مارس ٢٠٠٩م، وهو جالس في محرابه يذكر الله، في مهجره في مدينة عمان في الأردن، ووري جثمانه الثرى في مقبرة سحاب قرب العاصمة بعدما صلي عليه في مسجد الجامعة الأردنية.

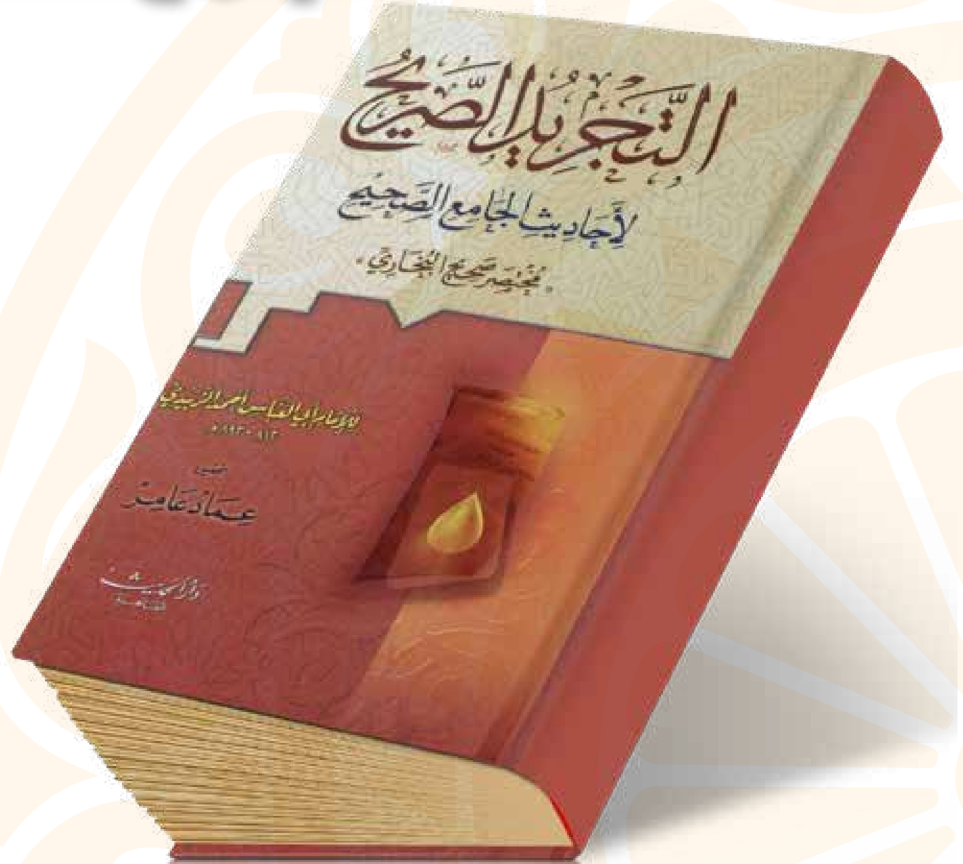
المصادر

■ كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
■ رابطة أدباء الشام.
■ رابطة العلماء السوريين.
■ مقال للدكتور عامر حسين أبو سلامة (إنترنت).
■ الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح



ويأتي كتاب: «كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالكتاب

التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، ويعرف أيضا باسم: (مختصر صحيح البخاري)، و(مختصر الزبيدي)، هو كتاب مختصر لصحيح البخاري، حيث تضمن كتاب التجريد الصريح في أوفى طبعاته (٢٢٥٤) حديثا.

ألفه: زين الدين أحمد بن أحمد الشرجي الزبيدي: (٨١٢هـ/٨٩٣هـ)، الموافق: (١٤١٠م/١٤٨٨م). وقد فرغ المؤلف من تجريده في يوم: (الأربعاء ٢٤ شعبان، سنة: ٨٨٩هـ)، أي قبل وفاة المؤلف بأربع سنوات.

فأصل هذا الكتاب هو صحيح البخاري الذي يحوي: (٩٠٨٢ رواية)، وله مكانة عظيمة عند المسلمين، إذ يعد أصح كتاب بعد القرآن الكريم.

وقد أثنى أكثر علماء الإسلام على كتاب: (التجريد الصريح) على أنه من أفضل مختصرات البخاري، وأنهم وجدوا بغيتهم فيه. وللكتاب مخطوطات كثيرة في تركيا ومصر والهند والقدس واليمن والسعودية، وطبع طبعات كثيرة كانت أوائلها في سنة (١٢٨٧هـ).

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

كما إن للكتاب شرحين مطبوعين:
الأول: لشيخ الأزهر عبد الله بن حجازي الشرقاوي (ت: ١٢٢٧هـ)، بعنوان: «فتح المبدي شرح مختصر الزبيدي».
والثاني: للصديق حسن خان (ت: ١٣٠٧هـ) بعنوان: «عون الباري لحل أدلة البخاري».

سبب تأليف الكتاب

ذكر زين الدين الزبيدي سبب تأليفه للكتاب في المقدمة فقال:
«فاعلم أن كتاب الجامع الصحيح للإمام الكبير الأوحد مقدم أصحاب الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري رحمه الله تعالى، من أعظم الكتب المصنفة في الإسلام وأكثرها فوائد. إلا أن الأحاديث المتكررة فيه متفرقة في الأبواب، وإذا أراد الإنسان أن ينظر في الحديث في أي باب لا يكاد يهتدي إليه إلا بعد جهد وطول فتش. ومقصود البخاري رحمه الله تعالى بذلك كثرة طرق الحديث وشهرته، ومقصودنا هنا أخذ أصل الحديث لكونه قد علم أن جميع ما فيه صحيح. قال الإمام النووي في مقدمة كتابه شرح مسلم: وأما البخاري فإنه يذكر الوجوه المختلفة في أبواب متفرقة متباعدة، وكثير منها يذكره في غير بابه الذي يسبق إليه الفهم أنه أولى به، فيصعب على الطالب جمع طرقه وحصول الثقة بجميع ما ذكره من طرق الحديث. قال: وقد رأيت جماعة من الحفاظ المتأخرين غلطوا في مثل هذا، فنفوا من رواية البخاري أحاديث هي موجودة في صحيحه في غير مظانها السابقة إلى الفهم. انتهى ما ذكره النووي رحمه الله تعالى. فلما كان كذلك أحببت أن أجرد أحاديثه من غير تكرار».

التعريف بمؤلف الكاتب

هو أبو العباس زين الدين أحمد بن شهاب الدين أحمد بن سراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الشرّجي، الزبيدي، اليمني، ولد سنة: (٨١٢هـ، الموافق: ١٤١٠م، وتوفي سنة: ٨٩٣هـ، الموافق: ١٤٨٨م)، عالم دين وراوي حديث، تلقى تعليمه على يد جماعة من شيوخ زبيد، ثم رحل إلى مكة ونهل من علمائها، وكان أديبا، شاعرا، له مؤلفات منها: (طبقات الخواص)، و(نزهة الأحباب)، وأشهر مصنفاته هو هذا الكتاب.

منهج الزبيدي في الكتاب

ذكر الزبيدي منهجه في الاختصار في مقدمة الكتاب فقال:
«أحببت أن أجرد أحاديث صحيح البخاري من غير تكرار، وجعلتها محذوفة الأسانيد ليقرب تناول الحديث من غير تعب، وإذا أتى الحديث المتكرر أثبته في أول مرة، وإن كان في الموضع الثاني زيادة فيها ذكرتها وإلا فلا، وقد يأتي حديث مختصر ويأتي بعد في رواية أخرى أبسط وفيه زيادة على الأول، فأكتب الثاني، وأترك الأول لزيادة الفائدة، ولا أذكر من الأحاديث إلا ما كان مسندا متصلا، وأما ما كان مقطوعا أو معلقا فلا أتعرض له، وكذلك ما كان من أخبار الصحابة فمن بعدهم فلا أذكره. ثم إني أذكر اسم الصحابي الذي روى الحديث في كل حديث ليعلم من رواه، وألتزم كثيرا ألفاظه في الغالب».
فبحسب هذه التوضيح من الزبيدي لمنهجه في الاختصار، فإنه حذف:
الأسانيد، والأحاديث المعلقة، وآثار الصحابة، والمتابعات واختلاف الأسانيد، والأحاديث المكررة.
الشروح على الكتاب وتهذيباته ومستدركاته:
فتح المبدي شرح مختصر الزبيدي، شرح لعبد الله بن حجازي الشرقاوي.
عون الباري لحل أدلة البخاري، شرح لصديق حسن خان القنوجي.
هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البخاري، ترتيب لعبد الرحيم عنبر الطهطاوي.
زوائد الزبيدي، استدراك لعمر ضياء الدين الداغستاني.

نسخة «الوعي الإسلامي»

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة من هذا الكتاب القيم، وهو طبعة البابي الحلبي، (١٣٤٧هـ)، وهو في متناول قراءها الكرام المهتمين بكتب الحديث النبوي.

المصادر

التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح.
الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، لعبد المحسن العباد.

إعداد / تركي محمد النصر ❖

الشوق بعد الرجوع

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «... فإني كنت أتوق إلى مكة قبل الحج؛ فداويت هذا الداء بالقصد، فزاد الشوق بعد الرجوع على الحد، وعلمت أن كثرة التردداد لا تزيد إلا شوقا، كما أن لقيا المحبوب لا تزيد نار الوجد إلا وقدا، ثم إني صادفت من هو أشوق مني، فشغلني ما رأيت من وجده عني، فاتفقنا في أصل الشوق، وافترقنا في قدر التوق».

انظر: مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن (٥٩/١).

المناسك

قال العلامة ابن عوض المقدسي رحمه الله تعالى: «وهي جمع منسك - بفتح السين وكسرها - فبالفتح: مصدر، وبالكسر: اسم لموضع العبادة، مأخوذ من النسيكة، وهي الذبيحة المتقرب بها، ثم اتسع فيه، فصار اسما للعبادة والطاعة، وقد غلب إطلاقها على أفعال الحج لكثرة أنواعها، ولما تضمنه من الذبائح المتقرب بها».

انظر: فتح وهاب المآرب (٥/٢).

الغفلة في الشبع

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله ساعة واحدة جثم عليه الشيطان، ووعده ومناه، وشهاه، وهام به في كل واد، فإن النفس إذا شبعت تحركت، وجالت وطافت على أبواب الشهوات، وإذا جاعت سكنت، وخشعت، وذلت».

انظر: بدائع الفوائد (٨٢١/٢).

كرامة من الله

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كل يوم وليلة تمر بك معافى في نفسك وأهلك ومالك كرامة من الله».

انظر: موسوعة ابن أبي الدنيا (٥٣٩/٧).

الدنيا

قال عامر بن عبد قيس رحمه الله تعالى: «الدنيا كل ما فيها يجري على ما لا يريد، وكل مستقر فيها غير راض بها، وذلك شهيد على أنها ليست بدار قرار».

انظر: حياة السلف بين القول والعمل (ص/٤٣٦)

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

أدوية المحن والابتلاء

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فلولا أن الله سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء؛ لطغوا، وبغوا، وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به الأدواء المهلكة، حتى إذا هذبه، ونقاه، وصفاه، أهله لأشرف مراتب الدنيا، وهي: عبوديته. وأرفع ثواب الآخرة، وهي: رؤيته وقربه».

انظر: زاد المعاد (١٩٥/٤)

الجهل بالجهل

قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: «ما عصي الله بمعصية أعظم من الجهل، ولما قيل له: يا أبا محمد، هل تعرف شيئا أعظم من الجهل؟ قال: نعم، الجهل بالجهل».

انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٦٠٠/٢)

طلب العلم

قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: «يفتح للمتعلم بين يدي العلماء ما لا يفتح له دونهم».

انظر: الموافقات (١٤٧/١)

نسيان العلم

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: «إن من الذنوب ما يكون سببا لخفاء العلم النافع أو بعضه، بل يكون سببا لنسيان ما علم».

انظر: مجموع الفتاوى (١٦٠/١٤)

العلم كالروض

قال الأديب الرافعي رحمه الله: «... وإنما العلم كالروض، يقصر بعض أغصانه فيسهل على كل متناول، ويطول بعض فروعه، فيكد يد الفارع المتطاول».

انظر: تاريخ آداب العرب (٩/١)

إعداد: التحرير

ثمرة العلم

اهتم الإسلام بالعلم اهتماما كبيرا، وحث على طلب العلم النافع بكل فروعه، فأول ما نزل من القرآن هو الأمر بالقراءة أمرا مكررا، والقراءة هي الطريق إلى العلم، وأقسم بالقلم، والقلم وسيلة من وسائل تحصيل العلم، ورفع مكانة العلماء، قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ (المجادلة ١١)، وقال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (رواه أبو داود).

فالعلماء هم حملة علم الأنبياء، والعلم أشرف ما يسعى إليه الإنسان، لأنه السبيل إلى معرفة الخالق وإدراك عظمته والتدبر في الكون وما فيه من سنن ومعجزات تدل على عظمة الخالق وقدرته، فيزداد إيمانه بالله وخشيته من الله سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر ٢٨)، فالعلماء أكثر الناس خشية لله، لأنهم يدركون أسرار حكمته وعظمة قدرته.

ولا تقدم لأمة من الأمم إلا بالعلم، فالعلم من أسباب السيادة والرفعة، وقد اهتم المسلمون الأوائل بالعلم، فسادوا الأمم وأقاموا أمة عظيمة قوية تهابها الأمم.

والإسلام دعا إلى إعمال العقل ونبذ الخرافات، وأمر بالتفكر في الكون وفي كل ما يحيط بالإنسان، لأنه دين علم وعمل، لا دين جهل وكسل، فالجهل والكسل من أهم أسباب انحطاط الأمم وتخلفها، فالأمم العظيمة والحضارات الراقية لا تقوم إلا على العلم والعمل، وصدق أحمد شوقي في قوله:

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم
لم يبن ملك على جهل وإقلال

والعلم طريق إلى الجنة قال ﷺ: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة» (رواه أبو داود).

فليحرص المسلم على طلب العلم النافع لينفع نفسه وأمته، ولا يطلب العلم ليباهي به الناس أو ليتفاخر على أقرانه، بل يجب أن يصلح نيته ويبتغي به وجه الله لينال ثوابه العظيم، فثمرة العلم العمل به، فعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، وكان الرسول ﷺ يستعيذ بالله من علم لا ينفع كما روى مسلم في صحيحه.

فليتعلم المسلم العلوم الشرعية ليزداد إيمانا وتقوى ويؤدي العبادات على وجهها الصحيح كما أمر الله سبحانه ورسوله الكريم، وتترسخ في نفسه الأخلاق الفاضلة التي دعا إليها الله ورسوله، ويطبقها تطبيقا عمليا في حياته، ويتعلم العلوم الدنيوية، ويأخذ بالأسباب التي تدفع إلى التقدم والرقي ليدير شئون دنياه ومعاشه على أكمل وجه، ويحقق لنفسه وأمته الرخاء.

فالمسلمون محتاجون إلى تربية صحيحة قائمة على أساس من عقيدتهم ودينهم وأخلاقهم التي حث عليها الله ورسوله، ومحتاجون إلى الاهتمام بالبحث العلمي في مجالات الطب والهندسة والفلك والزراعة والفيزياء والكيمياء وغيرها من العلوم العصرية، والاستفادة من نتائجها في خدمة حياتهم وبيئتهم، وتحقيق الرخاء والرفاهية للمجتمع والأمة، وإقامة حضارة عظيمة والمسلمون أقدر الأمم على ذلك إن أخلصوا، ولهم في سلفنا الصالح القدوة الحسنة في إقامة حضارة عظيمة قامت على العلم والعمل فسادوا الأمم.

• حسن عثمان حسن

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:







ليسوا ملائكة

بعض الناس لا يتقبلون عيوب الآخرين، ولا يتسامحون مع أخطائهم، وربما دعاهم ذلك إلى النفور والمقاطعة، وعدم نسيان العيوب والأخطاء، وقد يلفتون أنظار من حولهم إلى عيوب هذا أو ذاك بالهمز أو اللمز.

إنهم يريدون أن يتحول البشر إلى ملائكة ليتعاملوا معهم، وينسون أنهم مثل هؤلاء الناس، بهم كثير من العيوب، ويرتكبون كثيرا من الأخطاء، وهم لا يشعرون.

إذا طلبت من الناس أن يكونوا ملائكة حتى تتقبلهم وتتعامل معهم، فكن أنت ملكا أولا.

وإذا فكرت وتأملت في نفسك وفيمن حولك، فستدرك أنك لن تكون ملكا، وأن من حولك لن يكونوا ملائكة.

كلنا بشر، وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون.

• د. يحيى سنبل



المساكين يعملون

تنتشر وبكل أسف في شوارع كثير من المدن والبلدان ظاهرة التسول، ويظن الكثير من الناس ان المتسولين يستحقون الزكاة، وهذا خطأ كبير، فاذا تأملنا قوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴾ (الكهف:٧٩) وجدنا أن المساكين يعملون، أما المتسولون فلا يعملون، ولذا استحق المساكين الزكاة لأن دخلهم قليل لا يكاد يكفيهم رغم أنهم يعملون، لذا قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴾ (التوبة:٦٠).

فعلى الأغنياء والجمعيات الخيرية أن ينتبهوا لهذا الأمر، كذلك الفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافا علينا أن نبحث عنهم، فهم أولى بالصدقات لتعففهم، أما الذين يتسولون ويدعون الفقر وهم قادرون على العمل فلا يجب أن نقف بجوارهم، ولكن علينا أن نلين لهم القول، امتثالا لقوله تعالى: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴾ (البقرة:٢٦٣).

• عمرو عبد التواب

مسك الختام

التواصل الحضاري

تدل الحضارات بتنوعها واختلافها على ميراث الأمم وثقافتها، والحضارة الإسلامية هي أسمى الحضارات وأقدسها لتعلقها برب الأرض والسماوات، فهي حضارة مقدسة تستمد ميراثها ومبادئها من الوحي الرباني والتشريع السماوي.

وتتنوع تعريفات الحضارة ومعانيها على حسب المنطلق الذي تنطلق منه، إلا أن معناها العام بعبارة مختصرة أنها نظام عام يضع قواعد للحياة بشتى مسالكها، ويحكم مجموعات بشرية متنوعة تلتزم بالنظام وتشريعاته وتؤمن به وتدعو إليه.

والحضارة الإسلامية هي هذا النظام الشامل الذي لا تحده حدود، ولا تقطعه أطر الدول والمجتمعات، فحضارة الإسلام بسعتها وشمولها تستوعب بقية الحضارات السابقة واللاحقة، وتعمل على التواصل معها والاستفادة منها في الأمور التي لا تخالف الشريعة الإسلامية، فالحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها، وهذا ما يميز الحضارة الإسلامية في طريقة تواصلها مع الحضارات الأخرى.

ونعني بالتواصل الحضاري أنه التعاون على إحقاق الحق، ورفع الظلم، والأمر بمحاسن الأفعال والعادات، والنهي عن ضدها، دون التنازل عن أصول الدين وشرائعه، تحقيقا لخلافة الأرض وعمارتها، فالله سبحانه سخر لنا الكون، تحقيقا لهذا المقصد، قال الله تعالى ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود:٦١) وقال جل شأنه: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ (الزخرف: ٣٢).

وتتمثل مظاهر التواصل الحضاري في عمارة الأرض بكل الأساليب والوسائل الممكنة التي لا تخالف الشريعة، ومنها ما جاء عن النبي ﷺ في حلف الفضول بسند حسن أنه قال: «شَهِدْتُ حِلْفَ بَنِي هَاشِم، وَزُهْرَةَ، وَتَيْم، فَمَا يَسُرُّنِي أَنِّي نَقَضْتُهُ وَلِيَ حُمْرُ النَّعَم، وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ الْيَوْمَ لأَجَبْتُ عَلَى أَنْ نَأْمُرَ بِالْمَعْرُوف، وَنَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَنَأْخُذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالم».

وقد اهتم الإسلام بتأصيل فكرة استمرارية التواصل الحضاري وأصولها، وعدم تعلقها بالأفراد، في أدبيات الشريعة، لتتلقاها الأجيال، وتعمل على نشرها وتوسعها، ومن ذلك ما جاء في كتاب الله تعالى من حث على الدعوة لهذا الدين والحضارة الخالدة في قول الله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ (آل عمران:١٠٤)، وقوله ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران:١١٠)، وما جاء عند البخاري من حديث النبي ﷺ: «ليبلّغ الشاهد الغائب».

ويعد إرسال النبي ﷺ الرسل والكتب إلى أصحاب الحضارات والقادة والملوك، مع مترجمين يوصلون فكر الإسلام الناصع، بداية حضارته المزدهرة، ومن الأمور المعاصرة التي تدل على ذلك ترجمة تفاسير القرآن وكتب الشريعة إلى اللغات الأخرى للتعريف بالإسلام والدعوة إليه.

كما حث الإسلام على إتقان الصناعات والمهارات التي ترتقي بالحضارة، وتطيل من عمرها، ومنها ما جاء في مجال الحرب عند الترمذي بسند حسن صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة؛ صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به والممد به»، وما جاء في مجال الزراعة عند مسلم من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً إلاَّ كانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْه لَه صدقَة، وَلاَ يرْزؤه أَحَدٌ إلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةً».

فهذه لمحات سريعة عن التواصل الحضاري، متى ما اجتهدنا في تعزيزها، وتخطي عقبات التواصل الحضاري من عدوان أهل الباطل وتعطيلهم لمظاهر الحضارة الإسلامية، وإثارة الشبهات حولها، كان لنا الريادة والقيادة لجميع الأمم، فيعم السلام والأمن والأمان، في كل مكان.

د. حمد يوسف المزروعي
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف
دكتوراه في الفقه وأصوله

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٨٥) رمضان ١٤٤٣ هـ - أبريل / مايو ٢٠٢٢م

الصيام واكتشاف الذات



مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

- ضبط الفتوى في الشأن العام
- نقاء الطفولة في رمضان


مجلة الوعي الإسلامي


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي




فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

رمضان.. فضائل ومزايا

لقد خص الله سبحانه وتعالى شهر رمضان بفضائل عظيمة، وخصائص كثيرة، حري بالمسلم أن يسعى في تحصيلها ويجتهد في نيل ثوابها، فهو سبب لمغفرة الذنوب، فقد قال ﷺ -كما عند البخاري ومسلم -: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»، يعني إيمانا بالله واعتقادا بوجوب الصوم، واحتسابا لثوابه وأجره، فرمضان إلى رمضان يكفر ما بينهما من الذنوب والخطايا إذا اجتنبت الكبائر، كما صح في الحديث عند الإمام مسلم.

إن أبواب الجنان تفتح في رمضان لكثرة الأعمال الصالحة، وتغلق فيه أبواب النيران لقلة المعاصي من أهل الإيمان، وتصفد شياطين الجان فتغل فلا يخلصون إلى ما يخلصون إليه في غيره، قال ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين» (متفق عليه).

وتتوالى الخيرات فيجود الله جل جلاله في هذا الشهر بعتق عباده من النار فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» (رواه الترمذي).

كما خص ربنا جل وعلا شهر رمضان بمزية نزول القرآن فيه، فقال جل جلاله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ (البقرة:١٨٥). وهذا يدل على فضله، فإن القرآن الكريم من أعظم النعم على هذه الأمة، وهو نور الله المبين وصراطه المستقيم وحبله الممدود.

ومن فضائله الكثيرة أن الصائم يعطى أجره بغير حساب، فكل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لله جل جلاله وهو يجزي به، كما صح عند البخاري وغيره.

وللصائم في شهر رمضان فرحتان عظيمتان جليلتان؛ أولاهما إذا أفطر فرح بفطره، والأخرى إذا لقي ربه فرح بصومه، كما صح ذلك في الخبر عند البخاري ومسلم وغيرهما.

فالصوم جنة أي: وقاية وستر يقي الصائم من اللغو والرفث، والمحرمات، وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؛ لأنه من آثار الصيام فكان طيبا عند الله سبحانه ومحبوبا له.

فينبغي لكل ذي لب أن يستغل هذا الشهر المبارك بالتوبة النصوح من جميع الذنوب، وأن يجتهد في أداء الفرائض، ويستكثر من النوافل، ويرتب وقته فيه.

فرمضان فرصة حقيقية للتغيير الإيجابي، وفرصة لصقل الإيمان وتجديد التوبة، والخلوة مع النفس ليناقش الإنسان أعماله طيلة عام كامل من السعي والعمل، ويتدارك ما قصر، ويزيد فيما أحسن، فيستمر المحسن في إحسانه، ويصلح المسيء تقصيره، متمثلا قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣).

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٨٥/ رمضان ١٤٤٣ هـ
العام التاسع والخمسون
أبريل - مايو ٢٠٢٢م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



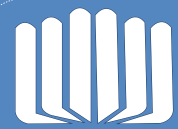
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

طعم الإخلاص

يقبل المرء على العبادة أحيانا كعادة تعود عليها ليس إلا، يصلي ويصوم مؤديا ما هو معروف من حركات الجوارح أو حابسا إياها عن حلال (فضلا عن المحرمات طبعا) لفترة زمنية، أو حتى منفقا من مال مر عليه الحول زكاة مستحقة، أو مؤديا شعائر الحج شعيرة شعيرة، بينما الذهن يفلت إلى أمور أخرى، غير ما أقبل المرء من أجله، وهنا مكمن الخطر، هنا يغيب الإخلاص وتنقص حلاوة الإيمان.

ولصيام رمضان ما ينطبق على سائر العبادات من عادة قد تعتاد الجوارح عليها بعيدا من المشاعر العميقة التي هي المقصد من ترك الطعام والشراب. فالصيام في إحدى فضائله، تدريب عملي على الصفاء النفسي الذي يتيح للمرء الإحساس بالمحرومين من مياه شرب صالحة للاستخدام كما بدول عديدة في إفريقيا أو المحرومين من طعام في برد أو حر كما في مخيمات نزح عدد من إخواننا المسلمين إليها تحت ضغوط الصراعات المسلحة، والحمد لله أن جماعات الغوث الإسلامية - وخاصة من الكويت - تهب إلى إخواننا أولئك لتقدم ما تيسر من مساعدات. ومن هنا فلو صام المرء مستشعرا حكمة الصيام متأملا في واقع المسلمين فلا شك ستتحرك جوارحه نحو حقيقة الإيمان وعمل الصالحات متذوقا طعم الإخلاص في العبادة، وياله من طعم لا يناله إلا المتدبرون.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. راوية نور الدين عتر
عضو الهيئة التدريسية بكلية الشريعة جامعة دمشق



مراتب طلب العلم



الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على معلم الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: أما بعد: الناس يتفاوتون في المواهب والإدراكات الذهنية تفاوتا بينا، فهل يحرم من لم يوهب ملكات عقلية عالية من ثواب طلب العلم، وهل يعقل أن تناله هذه الحسرة على أمر أراده ولكنه لا يستطيعه؟ أم أن هنالك تفصيلا في الأمر؟؟ وما السر الذي جعل الآلاف المؤلفة تحضر مجالس العلم قديما، ومن أمثلة ذلك أنه قد استمع من الإمام البخاري صحيحه تسعون ألفا رغم أنه لم تكن ثمة شهادة أو وظيفة أو أمر مغر من أمور الدنيا؟

يأتي هذا الحديث الشريف ضمن غيره من الأحاديث المبينة لفضل طلب العلم جوابا شافيا لهذه التساؤلات، وبيانا وافيا لكل من أحب الانتساب لنسب العلم: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع»[1].

هذا الحديث الشريف فيه دعاء نبوي عظيم لمن يبلغ الحديث النبوي ولو لم يكن له نصيب سواه في سلك العلم، وإننا إذا تتبعنا الأحاديث الشريفة سوف نجد مراتب عديدة لطلب العلم تناسب كل الناس على اختلاف طاقاتهم وقدراتهم، وسوف أذكر هذه المراتب في هذا المقال وفقا للخطوط العريضة المفصلة في السنة النبوية.

المرتبة الأولى: تلقي العلم دون تبليغ: إن مجرد حضور مجالس العلم للتعرف على ما يلقى فيها من معلومات مستنبطة من وحي الله تعالى في كتابه وسنة نبيه ومفهومة من نصوصهما، هذا بمجرده له أجره الكبير وثوابه العظيم. ومن أجل ما ورد في هذا قوله ﷺ: «ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[2]. أي: من مشى

إلى تحصيل علم شرعي قاصدا به وجه الله تعالى، جازاه الله عليه بأن يوصله إلى الجنة مسلما مكرما[٣]. والحديث عام في طلب العلم فيشمل أولى مراتبه وهو التلقي فقط ولو خلا عما فوقه من التبليغ أو دقة الفهم وحسن الاستنباط، كما يشمل ما فوقها من المراتب، وهل يجد المرء حضا على طلب العلم وترغيبا به أكثر من هذا؟ إنه قد وعد بسببه ولأجله بمكافآت ثلاث، كل واحدة منها حرية أن يبذل العاقل لأجلها الغالي والنفيس:

أما الأولى: تنزل السكينة عليهم: وهذه عطية ربانية المراد بها إما السكون والوقار والخشوع، وإما الملائكة الذين يستمعون القرآن، سموا بذلك لما هم عليه من السكون والخشوع[٤]، ولا تنافي بين المعنيين، فلا ريب أن تنزلات الملائكة تفيض على الحاضرين طمأنينة ووقارا وخشوعا.

وأما الثانية فهي غشيان الرحمة: أي: تكفير خطيئاتهم، ورفع درجاتهم، وإيصالهم إلى جنته سبحانه وكرامته.

والثالثة: ذكر المولى الجليل لهم فيمن عنده: يعني: في الملأ الكريم من الملائكة المقربين، وهذا الذكر يحتمل أن يكون ذكر ثناء وتشريف، ويحتمل أن يكون ذكر مباهاة، كما باهى الملائكة بأهل عرفة[٥].

ولقد وعى المسلمون منذ الصدر الأول إلى وقتنا هذا عظمة هذه المكافآت الربانية؛ فسعوا لطلب العلم الشرعي بمختلف أقسامه الناشئة عن الوحي الرباني سعي المحب العارف قيمة ما يطلب، وهذا ما يفسر حضور الآلاف الكثيرة مجالس العلم عامة ومجالس الحديث النبوي خاصة، بل إنهم بذلوا لأجله كل غال وثمين، وهل أغلى من العمر يقدم في سبيل تحصيل العلم؟

ولقد تجاوز فهمهم لطلب العلم الأمور الأساسية إلى كل ما من شأنه أن يكون علما نافعا، فها هو ابن الجوزي يحدثنا بسنده عمن حضر مجالس الإمام أحمد: «كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمس مئة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب وحسن السمت»[٦]. وبسنده كذلك عن بعض تلامذة الإمام أحمد يقول: «اختلفت إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ثنتي عشرة سنة وهو يقرأ «المسند» على أولاده، ما كتبت منه حديثا واحدا؛ إنما كنت أنظر إلى هديه؛ وأخلاقه، وآدابه»[٧].

المرتبة الثانية: الاقتصار على الحفظ والتبليغ: أي دونما تعمق في الفهم والفقه، وإلى هذا المعنى يشير الحديث الشريف: «نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع»، ففي هذا الحديث العظيم دعاء من المصطفى ﷺ بالنضارة أي الحسن والرونق لمن سمع عموم الأقوال والأفعال الصادرة من المصطفى ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، بدليل صيغة منا بلفظ الجمع، فبلغه وأداه إلى من هو أحفظ لمبناه وأفهم لمعناه منه، فيكون بذلك قد بلغ الأمانة العلمية إلى من هو أحق بها وأهلها، غير مغير ولا متصرف فيها، وقد خص النبي مبلغ سنته بالدعاء لكونه سعى في نضارة العلم وتجديد السنة، فجوزي بما يليق بحاله[٨].

وهكذا نجد صاحب هذه المرتبة قد تعدى نفعه وعم الغير، وكان سببا لإيصال الدين لغيره، ولمن هم أدق فهما وأعمق تذكرا منه، فنال بذلك هذا الدعاء من سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد عزا العلماء نضارة وجه المحدثين إلى هذا الحديث الشريف، وعموم لفظه يشمل كل من بلغ أمرا من السنن، في أي زمن كان.

قال السيوطي: «وقال القاضي أبو الطيب الطبري: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله، أنت قلت نضر الله امرأ؟ وتلوت عليه الحديث جميعه ووجهه يتهلل، فقال لي: نعم أنا قلته»[٩].

ولا عجب بعد هذه المكافأة النبوية الجميلة أن نجد الأمة الإسلامية قد تفردت بما عرف بـ«الرحلة» في طلب الحديث خاصة والعلم الشرعي عامة، إذ كانت تلك الرحلات تقوم على أن حامل أمانة العلم إن كان جاهلا فهو يؤديها إلى أهلها بالوفاء والتسليم، وإن كان حاذقا فهو يؤديها إلى من هو أحذق منه في الفهم والتفهيم، ففوق كل ذي علم عليم، ومما ألف في ذلك كتاب «الرحلة في طلب الحديث» للإمام الحافظ المحدث الخطيب البغدادي، روى فيها بسنده بعض أخبار المحدثين في رحلاتهم، من زمن الصحابة رضي الله عنهم حتى زمنه، وصدره بما يومئ

لدقيق فهمهم مراد الله عز وجل في عملهم، فأخرج عن عكرمة، مولى ابن عباس في قوله تعالى ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ (التوبة: ١١٢)، قال: «هم طلبة الحديث»(١٠)، وبسنده عن سعيد بن المسيب قال: «إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد»(١١)، وعن أبي قلابة قال: «أقمت في المدينة ثلاثا مالي بها حاجة إلا قدوم رجل بلغني عنه حديث، فبلغني أنه يقدم فأقمت حتى قدم فحدثني به»(١٢).

المرتبة الثالثة: العالم معلم الناس الخير: وذلك بدقة الفهم ونفع الناس بما آتاه الله من حدة ذهن يستخدمها في نشر العلم الشرعي وتعليمه، وهذه المرتبة تنطوي على مراتب، يجمعها موهبة الفهم الثاقب، والذكاء الوقاد، فإذا انضاف لهذه المواهب الربانية الاكتساب والسعي الحثيث، استطاع صاحبها خدمة العلم الشرعي أيما خدمة، في المقام الذي أقامه الله إياه، فقد يكون ذلك بمؤلفات مفيدة، أو دروس نافعة، وقد يكون بدحض شبهات أو تبيين غامضات، حسبما تقتضيه المصلحة، وكل هذا علم نافع نفعه متعد.

وقد وعد الله تعالى العلماء على لسان نبيه فضلا عظيما، ووصفهم بأسمى الأوصاف؛ مما جعل الصحابة ينبهون من بعدهم لهذا الشرف العظيم والفوز المبين، من ذلك ما رواه كثير بين قيس، قال: كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاء رجل فقال: يا أبا الدرداء! إني جئتك من مدينة



رسول الله ﷺ ما جئت لحاجة. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(١٣).

هذا حديث جليل يبين لنا المكافآت الربانية للعلماء العاملين، وقد أثبت لهم العلم، وجعلهم معلمين بعد أن كانوا طالبين متعلمين ترقيا، ووصفهم عندما أصبحوا علماء بما هو أعلى مما وصفهم أولا، حيث جعل الموجودات من الملائكة والثقلين وغيرهم حتى الحيتان في البحر مستغفرين لهم، طالبين لتخليتهم مما لا ينبغي ولا يليق بهم من الأوضار والأدناس، لأن بركة علمهم وعملهم وإرشادهم وفتواهم سبب لرحمة العالمين(١٤). وذكر بعض ما لهم من التخلية والتحلية، أما التخلية فاستغفار الحيتان لهم، وفيه إيماء إلى عموم بركتهم التي وصلت جوف الماء فاستغفرت الحيتان لهم، وأما التحلية فبإثبات النور لهم، فشبههم بين العباد كالقمر بين الكواكب، ولعل ذلك مرجعه إلى أن العبادة كمال ونور يلازم ذات العابد لا يتخطاه، فشابه نور الكواكب، والعلم كما يوجب للعالم

في نفسه فضلا وشرفا يتعدى منه إلى غيره، فيستضيء بنوره، ويكمل بواسطته، لكنه كمال ليس للعالم من ذاته، بل نور يتلقاه من النبي ﷺ؛ فلذلك شبه بالقمر، مع ملاحظة أن العالم يقصد به العامل بعلمه، فزمنه مستغرق بالعبادة بمفهومها الشامل وبالعلم ومهماته، غير أن الاشتغال بالعلم غلب عليه، كما أن العابد لا يخلو من شيء من العلم ولكن غلب عليه حال العمل، ولذلك جعل العلماء ورثة الأنبياء الذين فازوا بالحسنيين العلم والعمل، وحازوا الفضيلتين: الكمال والتكميل[١٥].

وفي معنى الحض على طلب العلم ثم التعليم ونفع الناس ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده إلى يزيد بن هارون أنه قال لحماد بن زيد: «يا أبا إسماعيل، هل ذكر الله تعالى أصحاب الحديث في القرآن؟ فقال: نعم، ألم تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ١٢٢) فهذا في كل من رحل في طلب العلم والفقه ورجع به إلى من وراءه فعلمه إياه»[١٦].

أفيجد المرء ترغيبا في طلب العلم ثم في الكمال فيه وتعليمه أعظم من هذا؟ أيمكن أن يطمع امرؤ بما هو أعلى من هذا؟ وهذه نصوص قليلة منتقاة من نصوص كثيرة في القرآن الكريم والحديث الشريف تبين فضائل طلب العلم، وفضائل الترقي في مقاماته، فكان من الطبيعي أن يكون طلب العلم بمختلف طبقاته ومراتبه مقصدا للعقلاء من هذه الأمة، وإنما ساق أبو الدرداء الحديث الذي أوردته ليزيد رغبة طالب العلم الذي أتاه، ويبين له عظيم ما هو مقدم عليه.

ومن أقوال السلف الصالح في عظمة هذا الشأن قول قتادة: «باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول»، وقال الثوري: «ليس عمل بعد الفرائض أفضل من طلب العلم». وعن الشافعي قال: «طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة».

إن جمال النصوص الواردة في طلب العلم أنها تشمل كل ما يتعلق به إن ابتغي به وجه الله، وإني إذ قسمته لثلاث مراتب فواضح أن كل مرتبة أيضا تنقسم لطبقات حسب تمكن أهلها من صفاتها، ولكنه مهما بلغ من المكانة في العلم لا يستغني عن طلبه، ويبقى مواظبا على الازدياد منه، وإلا كان ذلك دليل غلبة جهله وسطحية ما تعلمه، وهاك هذه النقول عن الإمام أحمد رضي الله عنه يتخذها طالب العلم مهما عظم شأنه دستور حياة:

«قال صالح بن أحمد: رأى رجل مع أبي محبرة فقال: يا أبا عبد الله: أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين، فقال: «مع المحبرة إلى المقبرة». وقال الإمام أحمد: أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر»[١٧].

والذي يهمنا ههنا أن ما ورد من فضيلة التلقي ثم فضيلة التبليغ بمجرده، وبعد ذلك يأتي التعليم فيه رفع للهمم عظيم، ففيه تسلية لمن غاب عن نزول الوحي وحضور المشاهد مع رسول الله ﷺ، وفيه تقوية لقلبه، وأنه يكون في آخر الزمان من له الفهم والعلم ما ليس لمن تقدمه لكنه قليل، وفيه إيماء إلى أن باب الله مفتوح للسالكين، ولا يطرد عن بابه إلا الهالكين، مع الوضع بعين الاعتبار أن الفضل والتفضيل إنما هو لمن أفاض نفائس علوم الدين على العباد وشملت بركة علمه الحاضر والباد[١٨].

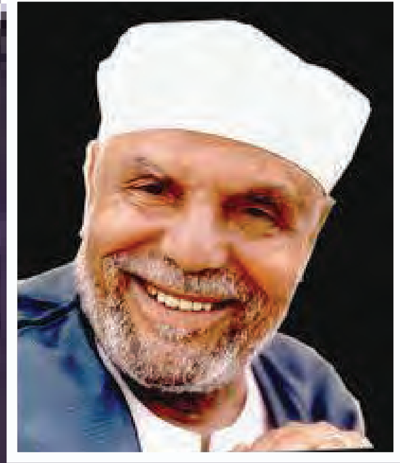
الهوامش

١- سنن الترمذي (٢٦٥٧)، سنن ابن ماجه (٢٣٢).
٢- مسلم: (٢٦٩٩).
٣- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم: ٦/ ٦٤٨.
٤- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم: ٦/ ٦٨٨.
٥- المرجع السابق.
٦- مناقب الإمام أحمد: (٢٨٨).
٧- المرجع السابق.
٨- ينظر: الكاشف عن حقائق السنن: ٢/ ٦٨٨، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١/ ٣٠٨ و٥/ ١٨٣٧، وفيض القدير شرح الجامع الصغير: ٤/ ٢٩.
٩- مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود: ٢/ ٩٠٠.
١٠- الرحلة في طلب الحديث: (٨٧).
١١- الرحلة في طلب الحديث: (١٢٧).
١٢- المرجع السابق: (١٤٤).
١٣- أبو داود: (٣٦٤١)، الترمذي: (٢٦٤٦)، ابن ماجه: (٢٢٣).
١٤- شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن: ٢/ ٦٧٣. وينظر: فيض القدير: ٣/ ٥٠٦:
١٥- انظر: شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن: ٢/ ٦٧٤.
١٦- الرحلة في طلب الحديث: (٨١).
١٧- مناقب الإمام أحمد: (٣٧).
١٨- التنوير شرح الجامع الصغير: ٧/ ٤٩٠.



أخذ العهد على بني آدم

المحاضرة الثالثة



محاضراتٌ تربويةٌ وثقافيةٌ وتوجيهيةٌ أسداها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراويُّ - رحمه الله - أثناء زيارته الميمونة إلى دولة الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، حيث حلَّ الشَّيخ الشَّعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها.

وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجعلها الله في ميزان حسناته، ثـمَّ خصَّ ابنُه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلَّة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تَحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراوي، المتوفَّى سنة (١٤١٩هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثناء واستزادة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي آمن بالله، وآمن المؤمنين، فكان بحق رحمة الله للعالمين.

وبعد:

فقد انتهينا في لقاءاتنا السابقة إلى أن الله خلق الإنسان، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعا، وقدر في الأرض أقواته، وأنزل له من السماء منهجه؛ حتى يضمن للمادة قوتها ومقوماتها، ويضمن للروح قوتها وقيمها، وقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (الأعراف:١٠)، فأي تمكين يفوق أن يسخر الله للإنسان ما في السماوات وما في الأرض؟! وقال: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ (الأعراف:١٠)، وعلمنا سابقا كيف تكون المعايش في الأرض طعاما وماء وهواء، والحق الذي امتن بهذا الامتنان على عبده يريد أن يذكره بكيفية خلقه، واستدللنا على إيجاد الحياة في الإنسان الأول، وقد كان ذلك غيبا لم نشهده، ولكن الله ترك لنا في المشهد استدلالا عليه، فعرفنا كيف أحيانا لما عرفنا كيف نموت، وعلمنا أن المادة خلقت ثم صورت ثم نفخ فيها من الروح، فلما جاء الموت المشهدي الذي نشهده خرجت الأشياء من الإنسان وفق ترتيب دخولها، ولكن عكسا[1]، فكانت الروح آخر ما دخل الإنسان، ولكنها كانت في الموت أول ما خرج من الإنسان، وجاءت بعد مرحلة خروج الروح مرحلة صلصال الفخار، وهي مرحلة التصلب في الميت، ثم كان الميت حمأ مسنونا متغيرا منتنا، فكان التعفن الرمي، ثم كان الماء فتبخر، وبقي التراب ليعود إلى عناصره الأولى في الأرض.

وهكذا دل الحق على كيفية إحيائنا الذي لم نشهده بكيفية موتنا الذي شهدناه، فحينما أخبرنا بقصة بدء الخلق، قال: خلقتكم من تراب، ثم من طين، إلى أن كان نفخ الروح، والروح أمر غير محس، لا يدخل تحت تجربة المادة والعلم التجريبي، فلما جئنا إلى الحياة، وتقدم العلم، حللت الطينة التي خلقنا منها ووجدناها ستة عشر عنصرا، ثم حللنا مادة الإنسان؛ لأن الروح لم تدخل في التحليل، ووجدناها ستة عشر عنصرا، وهي عينها عناصر الطين، فقد صدق الله فيما علمنا من علمنا التجريبي، فيجب أن نصدقه فيما لم نعلم من غيب الروح.

والحق سبحانه وتعالى يلفتنا في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ (الأعراف:١١)

وهذا الخطاب موجه لبني آدم إلى أن تقوم الساعة، فكيف يقول

آدم حين خلق طمرت في جوهره ذريته جميعها إلى أن تقوم الساعة

في كل إنسان منا جزيء حي من عهد آدم

صدق الله فيما علمنا من علمنا التجريبي فيجب أن نصدقه فيما لم نعلم من غيب الروح



الحق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾، فكان الخلق طورا والتصوير طورا، ثم قول الله للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ طورا، فكيف يكون السجود لآدم وهو فرد، وهو أصلنا الذي وجدنا منه، بعد خلقنا وتصويرنا؟! جاء البيان الإلهي بـ«ثم» التي تفيد الترتيب مع التراخي، فلا مظنة مطلقا أن تقول: إنها لمطلق الجمع، ولابد أن تكون مرحلة أمر الإسجاد لآدم بعد مرحلة التصوير، والتصوير بعد مرحلة الخلق، فكيف تم ذلك والملائكة سجدت لآدم قبل أن نكون نحن؟ هنا يريد الله أن يلفت العقل البشري لفتة جبارة علمية، لم يستطع العقل الأول أن يفسرها، ولكن العقل المعاصر استطاع أن يحل لنا ذلك اللغز، بما آتاه من نشاط ذهني وعلمي، فما حل ذلك اللغز؟ إن آدم حين خلق وهو واحد طمرت في جوهره ذريته جميعها إلى أن تقوم الساعة، فالإنسان الواحد منا -ولو تصورنا إنسانا يولد حين البعث أو حين النفخة الأولى- إذا سلسلنا نسبه الحقيقي وجدناه حيا قامت عليه القيامة، وما دام حيا فقد وجد من ميكروب حي؛ لأن الميكروب أو المادة المنوية التي خلق منها لو لم تكن حية لما وجد ذلك الحي، فهو حي من ميكروب حي، والميكروب الحي جاء من أبيه، وأبوه كان حيا حين أودعه رحم أمه، وهو ذاته كان ميكروبا حيا من أبيه قبله، فإذا سلسل هذا النسب سنجد الإنسان الذي تقوم عليه القيامة حيا من حي من حي إلى آدم، وفي كل إنسان منا جزيء حي من عهد آدم، شهد الخلق الأول وسجود الملائكة لآدم، وأخذ العهد على بني آدم، رب عاقل يقول: كيف يكون ذلك والذرية كثيرة كثيرة؟! وكيف يمكن لها بكثرتها أن تطمر في جوهر آدم؟! والجواب على هذا السؤال بالقياس: إذا جئت بشيء تجريبي، واستحضرت سنتيمترا مكعبا من مادة ملونة، ثم وضعتها في قارورة سعتها لتر واحد ورججتها، لاشك في أن السنتيمتر المكعب من المادة الملونة سيذوب في اللتر من السائل، فكل قطرة من اللتر فيها جزيء من المادة الملونة، هب أنك أخذت القارورة وألقيتها في برميل سعته طن، ثم أجدت تقليبه أيضا، وعند ذلك ستجد أن كل قطرة من البرميل فيها جزيء من السنتيمتر، فلو أخذت البرميل ووضعته في بحر واسع، ثم رججت البحر كله، وخلطت به ماء البرميل، وأخذت قطرة ما من ماء البحر، فإنك ستجد فيه أيضا جزيئا من السنتيمتر

المكعب من المادة الملونة، وعلى القياس نقول: هناك جزيء سائل، ولكنه كان مركزا في آدم ثم انساب في ذريته، فكل واحد منا فيه من ذلك الجزيء.

فإذا قال الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ (الأعراف:١٧٢) فصدق ذلك؛ لأننا جميعا كنا جزيئات مطمورة في جوهر آدم نفسه، وهي تعي عن ربها كما وعت السماوات والأرض حين قال الله لهما: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ (فصلت:١١).

وإذا كان الأمر كذلك فهل في العلم التجريبي ما يقرب هذا المعنى دون ذلك المثال الذي ضربناه؟! نعم، إنك لو حلقت بطائرة فوق سماء الكويت وعلوت بها علوا شاهقا، ثم أخذت للكويت صورة، قد تبدو هذه الصورة في حجم القرش، ولكنك إذا أدخلتها معامل التكبير تبينت لك الكويت بشوارعها وميادينها وعماراتها، وإن كانت الصورة دقيقة تستطيع أن تدرك فيها أرقام السيارات التي كانت تسير في الشوارع، فكيف وجد هذا في مساحة القرش؟ إنه تصغير لحجم الأشياء، ولأننا لا نملك من المقاييس ما ندرك به الدقيق من الأشياء، تبدو الصورة كأنها قطعة سوداء لا فواصل فيها ولا فوارق، ويدل على ذلك أنك تقف في شارع عرضه ستون مترا، فإذا ما وقفت في أوله بان لك على اتساعه، وإذا ما امتد الشارع تخيلت أن حافتاه قد انطبقتا؛ لفرط بعدك منهما؛ لأن عينك لا تستطيع إدراك المساحة على حقيقتها مع ذلك البعد، والشيء إذا بولغ في دقته خص عن الإدراك النفسي الحسي، ولكن إذا تقدمت آلات الإدراك من الممكن أن توضع له مقاييس.

قديما كانوا يجعلون المليميتر أصغر وحدة قياس، وبعد ذلك جاء واحد على ألف من المليميتر، ثم واحد على مليون من المليميتر، ثم واحد على (٧٠٠) مليون من المليميتر، فأي آلة استطاعت أن تدرك الفاصل الفارق بين واحد على مليون من المليميتر؟! إنها دقة الآلة والصنع، فمثلا: أنت لا تستطيع أن تدرك ظاهرة النمو دفعة واحدة، فإذا نظرت إلى وليدك حين يولد، ثم ظللت ناظرا له طول العمر فلن تجده يتغير في نظرك أبدا؛ لأنك لا تدرك كيف نما، فهو ينمو بجزيء بسيط لا يدخل تحت إدراكك، ولكن إذا غبت عنه شهرين أو سنة ثم عدت إليه وجدت أن نتاج النمو السائر في الزمن قد تجمع في الشهرين؛ أي: تجمع النمو المستطرق في الزمن مع الزمن المستطرق في شهرين، فظهر لك حجم النمو واضحا، كذلك إذا لاحظت النماء في نفسك وجلست تنظر إليها طوال الوقت، فإنك لا تستطيع أن تعرف كيف تنمو، فنفسك تنمو في كل جزء من الثانية جزيئا من النمو؛ لأن النمو لا ينشط كل (٢٤) ساعة، فينمو ميلي أو اثنين في المرة الواحدة، فهو مستطرق في الزمن، وما دام النمو مستطرقا في الزمن فأنت لا تستطيع أن تدرك ذلك، وقول الحق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ (الأعراف:١١)؛ أي: خلقة مطمورة في أبيكم، وفي جزيء فيه عناصر جواهركم كلها، وموروثات صفاتكم كلها، كالبذرة البسيطة توضع في الأرض، فإذا أثمرت ألف ثمرة فكل ثمرة فيها جزيء من البذرة، والبذرة فيها طاقات الوراثة كلها التي تعطي الثمر كله، كذلك كنتم في آدم مطمورين في جوهره حين خلقه الله، فأنتم جزيئات وذرات فيه، فإذا كانت الملائكة قد سجدت لآدم فإنما سجدت لكم أيضا مع آدم، ولذلك شرع الله لكم السجود في الصلاة آخر ما شرع؛ لتكون تحية السجود في الصلاة ردا على تحية إسجاد الملائكة لأبينا آدم عليه السلام، ويلحظ هذا لا في هذه الآية فحسب؛ ولكنه يلحظ في خطاب الله لآدم وزوجه أيضا، فمرة يقول: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا﴾ (البقرة:٣٨)، ومرة يقول: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ (البقرة:٣٨)، ومرة يقول: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾ (طه:١٢٣)، لكنه ساعة الخطاب يقول: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾(البقرة:٣٨) و(طه:١٢٣)، ولا مشكلة في قوله: ﴿ٱهْبِطُواْ مِنْهَا﴾ أو قوله: ﴿ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ ثم قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾؛ لأن الخطاب لجمع، ولكن المفارقة في قوله: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ (طه:١٢٣)، فكيف يكون الأمر بالهبوط لاثنين ثم يخاطب الجماعة؟! نقول: إن الله لون الخطاب باهبطوا، واهبطا؛ ليدلنا بتدبر معاني القرآن على أن الله راعى حقيقة الهابطين وهما آدم وحواء، ثم راعى ما فيهما من الذرية المطمورة في جزيئاتهما، فمرة قال: ﴿ٱهْبِطُواْ﴾، ومرة قال: ﴿ٱهْبِطَا﴾، ومرة أخرى قال: ﴿ٱهْبِطُواْ﴾؛ لذلك وجب علينا أن نتدبر القرآن ونفهمه، وسنعرف بعدها أن الأنسال والإكثار منها إنما نشأ من الزوجية بين آدم وحواء، والإكثار هو زيادة الأنسال، فلابد فيه من نوعين: ذكورة وأنوثة، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات:٤٩)، وكل شيء في الوجود تنطبق عليه هذه القضية؛ لذلك يقول الحق:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يس:٣٦)، فكأن القرآن خاطب العقول المعاصرة لنزوله فيما يعلمونه بالتفصيل، وفيما لا يعلمونه بالإجمال، فقال: ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾، وهم يلقحون أنثى النخل بطلع ذكرها، هذا أمر مفهوم لهم ويعلمونه، وفي أنفسهم حين يريدون الولد يتزوجون، أما ما لا يعلمونه فقد قاله إجمالا تفصله آيات الكون؛ لأن الكون كتاب الله المنظور، والقرآن كتاب الله المقروء، وكتابه المنظور شرح لكتابه المقروء؛ لذلك سميت هنا آيات، وهنا آيات أكبر، فإذا ما نظرنا إلى ذلك الإنسان وجدنا الحق يجمله في قوله: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ لأنه لو فصل أشياء لم تكن عند العرب ربما وقف العقل البشري فيها، والقرآن لم يأت كتاب عين، ولكنه جاء بحقائق كونية، فإلى أن يكتشف العقل كل شيء يقول: لقد دخلت في قول الله ومما لا نعلم، وقد أثبتت ذلك اختراعات العلماء، فلما اخترعوا الكهرباء، واكتشفوها بالتحليل، وجدوا أن الشرارة الكهربائية لا تتكون إلا إذا وجد موجب وسالب؛ أي: زوجان؛ ذكورة وأنوثة، ولابد منهما معا، ولا تتولد من موجبين أو سالبين، ولما ارتقى العلم وفتتت الذرة وجد فيها الموجب والسالب أيضا، فالكهرباء والذرة مما لم نكن نعلم، ولكنا قد علمنا، فصدق قول الله في شرح ذلك: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ (فصلت:٥٣)، ولكن هل من الضروري حين يريد الله الإنسان أن تكون الذكورة والأنوثة؟ لقائل ما أن يقول: نعم، فذلك ما نشهد. فنقول له: لا فرق بين الناموس إذ يسود والمعجزة إذ تقع، فالسائد في الأنسال أن يوجدها رجل وامرأة على الطريقة ذاتها، ولكن ليس معنى ذلك أن الله لا يقدر أن يخلق على غير هذه الكيفية، فالقانون سار بالنسبة إلينا، أما بالنسبة إلى الخالق فله حرية استنباط القانون وتغييره، ولذلك إذا وجد شيء من شيئين مختلفين فالقسمة العقلية المنطقية الفلسفية في أربع صور، والإنسان منها؛ فإما أن يوجد من أب وأم، وإما أن يوجد لا من أب ولا أم، وإما أن يوجد من أب، وإما أن يوجد من أم، وهذه الصور العقلية، فأراد الله أن يبين لخلقه حرية إطلاقه فوق القانون، فصنع قانونا للإنجاب والأنسال والإكثار من زوجين، ولكنه إذا شاء يخلق بلا زوجين، ويخلق بزوجين، ويخلق من ذكر وحده، ويخلق من أنثى وحدها، فلا تقييد له في الرأي؛ لذلك جاء في فلسفة الخلق أنه خلق من لا أب ولا أم كآدم، ثم خلق من أب دون أم كحواء، ثم خلق من أم دون أب كعيسى، ثم خلق من أب وأم، وتلك الصور العقلية الأربع، يخلق من أب وأم، ويخلق من لا أب ولا أم، ويخلق من أب بغير أم، ويخلق من أم بغير أب، فله حرية الخلق، ولا يتقيد بالقانون، وإذا وجد الاكتمال في طرفي الإنجاب -وهما الرجل والمرأة- فليس معنى ذلك أن القانون قد اكتمل وأن الإنسان مخلوق منهما لا محالة، من الممكن جدا أن يكتمل طرفا الإنجاب ثم لا يكون منهما إنجاب، وليس مرد كل شيء إلى الأسباب، ولكن إلى تمكين الله لتلك الأسباب أن تأتي، وله أن يعطل الأسباب، ويأتي بلا أسباب، ولذلك يقول: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ (الشورى:٤٩،٥٠)، ليرينا أن

الكون كتاب الله المنظور، والقرآن كتاب الله المقروء

القرآن لم يأت كتاب عين، ولكنه جاء بحقائق كونية

أراد الله أن يبين لخلقه حرية إطلاقه فوق القانون، فصنع قانونا للإنجاب والأنسال والإكثار من زوجين

دوران الخلق على هذه الصور؛ ويدلنا على أنه لا يحكم بقانون؛ لأنه هو الذي يطلق القانون، وعلى أن وجود طرفي القانون لا يملي على الله أن يكون المسبب من القانون، بل لابد مع القانون من إرادة الله، وإرادة الله تكون بلا قانون، فالقانون محتاج إلى الإرادة، والإرادة ليست محتاجة إلى قانون؛ لذلك يضرب الله لنا الأمثال، قال في حواء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ (النساء:١) أي: حواء بضع من آدم، وذلك جائز، وخلق منها؛ أي: من جنسها، وذلك جائز أيضا، وخلقها خلقا يشبه خلق آدم، ولكنه أطمر قصة خلقها؛ لأنه تكلم على قصة خلق آدم، أو خلقها منه وهذا جائز، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ (التوبة:١٢٨)، فهل جاء الرسول منا؟ لا، ولكن هو من أنفسنا؛ أي: من نوعنا، وفرد من أفرادنا، وكل جائز، وحين وجد ذلك جاء الفلاسفة فأرادوا أن يردوا على قانون الخلق بالمصادفة، فقال أحدهم: إنني أرد على من قال: إن الخلق بالمصادفة بما يأتي: ليس من المعقول أن توجد المصادفة رجلا بمقوماته، ثم توجد المصادفة نفسها واحدة من جنسه وليست من نوعه، بحيث إذا التقيا معا التقاء خاصا جاءا بنسل مرة من نوعه، ومرة من نوعها، هذا ليس من عمل المصادفة، بل هو عمل حكمة؛ لأنها أوجدت الزوج والزوجة، جنسهما متحد، والنوعية مختلفة، بحيث إذا التقيا على طريقة خاصة جاء منها إنسان لا هو من جنس الرجل، ولا هو من جنس المرأة، فمرة يكون من هذا، ومرة يكون من هذا، إذن: فلابد أن يكون ذلك الخلق من قوة حكيمة قادرة فاعلة، وليس من المصادفة؛ لأن الرتابة والانتظار من أعداء المصادفة. وظن هذا الفيلسوف أنه جاء بالدليل الأوحد للرد على أهل المصادفة، ولكننا حين قرأنا القرآن وجدنا الحق رد عليها بقوله: ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ (النساء:١)، من جنسها ونفسها، فليس من المعقول أن توجد المصادفة نوعا هو من جنس الذكر، ولكنه نوع آخر، بحيث إذا التقيا كان منهما ذلك الإنسان المكتمل.

بعد ذلك يضرب لنا الحق مثلا في مخالفة القانون، يشرحه في آيات بينات ومعجزات، فمثلا: أخبرنا القرآن الكريم عن دعاء زكريا عليه السلام، قال: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦﴾ (مريم:٢-٦) فكان الجواب من الله: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾ (مريم:٧)، هو الذي طلب، والله بشره بإجابة طلبه، فما الذي جعل زكريا يذعر ويفاجأ ثم يستسلم فيقول: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾ (مريم:٨)، ألم يعلم هذه الحقائق قبل دعائه، فلماذا ذعر وتعجب عندما قال له ربه ذلك؟! لأنه لم يصدق نفسه، وليس فيه وفي امرأته وسائل الإنجاب، ولكنه كان غافلا عن معنى خلق الله بلا أسباب؛ لذلك كان الرد عليه: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ (مريم:٩)، فالذي خلق من لا شيء صالح أن يخلق من بعض الشيء، ولكن كيف عرف زكريا هذه الحقيقة الآن ولم يعرفها من قبل، وتأخر دعاؤه لربه إلى أن بلغ من الكبر عتيا؟ انظروا إلى عجب العجائب حين يقص القرآن لفتات القصص حتى نأخذ منها العبرة، الله عزوجل لا يريد بقصصه في كتابه أن يقتل وقتنا أو يسلينا، وإنما يأتي في كل قصة بلفتة بناء للمجتمع والعقائد والسلوك، ففي سورة مريم لم ترد إشارة إلى وقت دعاء زكريا، ولكن سورة آل عمران تكفلت بذلك، فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:٣٣)، ثم جاء لنا بقصة امرأة عمران حينما نذرت ما في بطنها لخدمة البيت، فلم يجئ ما في بطنها ذكرا وإنما أنثى، فتحسرت على ذلك؛ لأنها كانت تريد الذكر ليخدم البيت، وفي القصة لفتة عجيبة جعلت زكريا يدعو ربه، فقد أحضرت في ذهنه قضية أساسية من قضايا الكون، وهي أن الأسباب ليست شرطا في المسبب، فمريم بعد ولادتها تحتاج من يكفلها وهي ضعيفة، وكان الموقف أن تدافعها الناس يقول واحد لآخر: أنت أقرب إليها مني فاكفلها. ويقول الآخر: أنا فقير وأنت غني فاكفلها. فهم لا يتدافعون كفالتها، وإنما يتنافسون على كفالتها ويتسابقون من يكفلها، حتى بلغ التسابق بهم أن يختصموا، وبلغ الاختصام بهم ألا تحكم فيهم حجة ولا برهان، فحكموا أقلاما صماء تلقى في البحر، وصاحب القلم يكون الفائز، انظروا كيف كانت غيرة المجتمع آنذاك على كفالة من لا كفيل له، كانوا يتسابقون على كفالته تسابقا يؤديهم إلى الخصومة، ويقترعوا على من يكفله، فلو أن مجتمعا فيه ذلك ماذا يكون موقف الناس الذين لا عائل لهم؟ إنهم لن يحزنوا لفقد العائل؛ لأن كل واحد في المجتمع يجب أن

يكون عائلا، فلا تعظم مصيبة فقد العائل عند أحد، ولا يخضر وجه الكون من أجل موت أحد، ولا يؤسى على أحد؛ لأن المجتمع كله كفيل من مات عائله ولا عائل له، وشاء الله أن يكون زكريا صاحب القلم، ويكون كفيل مريم، فلما كفلها دخل عليها المحراب فوجد عندها رزقا، فتعجب من ذلك، ولو أن الرزق مما يأتي به الكفيل لما تعجب حينها، وقال: يا مريم، أنى لك هذا؟ فهي فتاة، وعندها شيء لم يأت به الكفيل، والكفيل يريد أن يتأكد من أين جاء هذا؛ لأنه لا يريد لها أن تعقد صلة بينها وبين أحد، فيستغل حاجتها، أو أن تستغل فتنتها، أو أن يستغل أي معنى فيها، وفي ذلك أيضا لفتة للمجتمع، فإذا ما رأى الإنسان أحدا من أتباعه ظهر عليه نعيم من غير مصدره، وعلى غير قدر دخله، فعلى القائل أن يقول: من أين أتيت بهذا؟ وحين يعلم بذلك يحد من طغيانه إن كان وليا مبتسرا[٢]، ويحد من جبروته إن كان حاكما فارقا[٣]، فيعلم الطاغي حينها أن ولي أمره يقظ لكل حركاته، ومن هنا ينشأ المجتمع الفاضل السليم، ولاسيما إذا كان ذلك الموقف مع فتاة؛ لذلك يقول زكريا لمريم: أنى لك هذا؟ فانظروا كيف يكون الرد؟ قالت: ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران:٣٧)؛ أي: يا زكريا، أنت تكفلني بالأسباب، ولكن الله كفيلي بلا أسباب، وأنت محسوس مشهدي، وربك غيب، فرزقك يأتي بالمشهد، ورزق ربي يأتي بالغيب، فلما قالت له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾، تنبه زكريا لقضية أن الأسباب ليست شرطا في المسبب، وأن إرادة الله هي الفاعلة، فتذكر نفسه وقال: ما دام الله يرزق من يشاء بغير حساب ودون أسباب فسأدعوه أن يهب لي غلاما مع أني بلغت من الكبر عتيا وامرأتي عاقر، وبهذا تكون لفتة مريم ساعة قال لها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ﴾ بقولها: ﴿هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغر حساب﴾، فانظروا إلى دقة القرآن في التوقيت والتعبير حيث قال: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ﴾ (آل عمران:٣٨)، فقد تكفل زكريا بمن لا عائل له وأحسن كفالته، فرد الله الجميل لزكريا، وجاء له بالخير بطريق الذي عاله، فقد ذكره الذي عاله بقضية أفادته، فتفضل عليه ربه، وقال: لأنك كفلت من لا عائل له، فسأعطيك أنت من تعول، والخلاصة في أن الإنسان حين يجري الخير لأحد بنية خالصة لله لابد أن يرزقه الله خيرا عن طريق من نال خيره، ولكن من يدي ربه، وهذه قضايا في الكون تطلق لتكون دستورا، ففي قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ﴾ موقف من مريم وموقف من زكريا في قضية الأسباب، فقد تأكد الموقف عند مريم بمسألة زكريا؛ إذ رزقها بلا حساب في المطعم والمشرب، ورزقه في الإنجاب بلا حساب أو قانون.

لم تنته اللفتات في فصول الرواية؛ لأن الله جعل كل ذلك مقدمات فقط؛ ومريم سيكون لها دور ليس لغيرها من نساء العالم، انفردت به في الدنيا كلها بين النساء، وقد تتهم فيه في أعز شيء لديها وهو العرض، فلابد أن يمهد الله لذلك الدور بمقدمات منها، ومقدمة ثانية من زكريا الذي يكفلها، حتى إذا ما رزقت من غير رجل لا يتهمها أحد، ولا تتهم نفسها، فهي قد رزقت طعاما بغير حساب، وزكريا قد رزق ولدا بغير حساب، فإذا ما جاء دورها وولدت غلاما من غير حساب؛ أي: من غير ذكورة، فذلك أمر قد حصل لها من قبل، ولكن الله سبحانه شاء ألا يفاجئها أيضا بذلك، فقدم لها بقوله: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:٤٢)، وهنا نجد أن «اصطفاك» مكررة، لكن «اصطفاك» الأولى من دون متعلق، و«اصطفاك» الثانية لها متعلق، فحين قال: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ لم يقل على من، فهذه صفوة اجتباء بأن يوحي إليها بأشياء تصنعها كما يصطفي الرجل ثمره، ولكنه جاء في الثانية وقال: ﴿ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ وجاء بالمتعلق، فقال: ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فالاصطفاء هنا أنها اصطفيت لتخرج عن قانون الإنجاب، وتنجب بلا ذكورة، وهذا أمر لا تشاركها فيه امرأة أخرى، فكيف كان ذلك؟! بعد أن انطلقت البشارة الأولى ﴿ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ جاءت البشارة الثانية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ (آل عمران:٤٥)، وقد نسبه من جهة أمه، وبعد بشارة الملائكة يأتي الدور الثالث في قوله تعالى: ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾ (مريم:١٧)؛ أي: جبريل عليه السلام، وهنا خافت: ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ (مريم:١٨-١٩) فقالت كما قال زكريا: ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ (مريم:٢٠)، فكان رد الحق: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ (مريم:٢١).

وقد يسأل لماذا تمثل لها بشرا سويا؟ ولماذا هذه المقدمات؟ لأنه لو لم يتمثل لها بشرا سويا ويخبرها بما سيأتي على أنه من الله، وأنه وحي من الله، وأنه رسول ربه لربما تشككت في نفسها

بأنها في إغفاءة من نوم أو في نوم عميق اتصل بها إنسان ولم تدر شيئا، أو لعلها صادفت ماء رجل من أي شكل، وصادف أن وجد في محلها، ولكن الله يريد أن يقطع ذلك الشك والريب فيأتيها بالملك، ويقول لها كذا وكذا؛ لتعلم القصة، وتعلم ماذا يكون، وعلى ذلك فالحق حين يضرب هذه الأمثال إنما يضربها ليؤكد للناس أن القوانين لا تملكه، بل هو وحده من يملك القانون، وبعد ذلك نجد أن القصة في آدم كانت إيجازا للرسالات كلها إلى أن تقوم الساعة؛ لأن الرسالة وحي من الله على يد عبد اصطفاه بتكليف ومنهج، مركزين في أمرين: افعل كذا ولا تفعل كذا، وهذه خلاصة المنهج، وبعد ذلك ما العناصر؟ والعناصر هي النفس التي تحول بين تنفيذ الإنسان لمنهج ربه، والشيطان هو العدو المسبق الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ (طه:١١٧)؛ أي: العداوة ليست خبرا مني، فقد شهدتها أنت، وشهدت حين أمرتهم بالسجود ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ (طه:١١٦)،

ولما سئل: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف:١٢)، وقال: ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الإسراء:٦١)، فإبليس عدو بالبراهين والحجج، فهل بعده عدو؟ ثم يأتي من يصدقه فيلفته إبليس عن دينه، وهذا إنسان أحمق، فلو أنه كان صديقا محبا لكان من الجائز أن يخدع فيه الإنسان، ولكنه عدو مسبق بشهادة الوقائع والظواهر التي حدثت، لذلك يكون العنصر الآخر في الرسالات الشيطان، إذن: فالذي يعوق الإنسان عن منهج الله أمره من شهوة نفسه وإغواء شيطانه، فكيف نعرف وسوسة النفس من وسوسة الشيطان، لاسيما أن كليهما يوسوس بالسوء؟! إن النفس حين تحدث صاحبها بشهوة تقف عند هذه الشهوة ولا تتحرك، وصاحبها يحاول أن يطردها، فتقول: لا؛ لأنها تريد أن تحقق شهوة من نوع خاص، أما إبليس فلا يريد الإنسان إلا عاصيا على أي لون، فإذا استعصيت عليه في معصية نقلك إلى معصية أخرى؛ لأنه يريدك عاصيا، بل مطلق عاص، لكن النفس لا تريدك مطلق عاص، وإنما تريدك عاصيا خاصا في مسألة خاصة، فإذا جاء قاصد المعصية ووقف، وكلما طردته بإيمانك عاد في أمر واحد، فاعلم أنه وسوسة نفس، وإن طردته بشيء ثم جاء لك بشيء آخر فاعلم أنه وسوسة الشيطان، والشيطان يلح دائما على إفساد العمل الصالح للإنسان، وهو لا يأتي للرجل الذي حملت نفسه عنه مؤونة الإغواء؛ لأن نفسه كفت الشيطان مؤونة العمل معه، بل يأتي لإنسان لم تغلبه نفسه، فإذا قوي عليها جاء له شيطان ليفسده، فإذا قوي على شيطان من ذرية إبليس جاء له إبليس بنفسه، فالنفس أولا ثم جندي من جند إبليس، فإذا استعصى وكان صالحا ورعا ومتمكنا قويا، يقول إبليس: لست في طاقته، دعوه لي، لذلك فالمنهج يطرد عنه الإنسان أو يبعد بثلاث طرق: إما بالنفس، ويعرف ذلك بأن تظل النفس في نوع المعصية ذاتها، وإما بجندي من جند إبليس، وذلك إذا عزز عليه في معصية نقله إلى معصية أخرى، يقول لك: هيا، ازن. فتقول له: أعوذ بالله لا، لا، لا. ويقول لك: خذ كأس خمر. وهنا يأخذك إلى المعصية الأخف، فإذا كان الإنسان ورعا وقويا لا يستطيع له جندي من جنود إبليس، فينتدب إبليس، فيأتي ويغويه، ولذلك يتوكل بالجماعة العابدين الأقوياء. الحق سبحانه وتعالى يعرض علينا هذه القضايا؛ حتى يبين لنا كيد إبليس؛ لأن إبليس في جدله كان عالما لا شك؛ حتى تعلموا أن العلم وحده لا يكفي، وكان دقيق التخطيط، وقوي الملاحظة في التخطيط، وذلك حينما طرد من الجنة، وحصل الجدل بينه وبين الله فقال: ﴿فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (ص:٧٩)؛ يعني: لا تجر علي قانون الموت حتى أغويهم كما غويت أنا، فقال له الله: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ (ص:٨٠)، فلما أخذ ذلك الوعد قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص:٨٢)، انظروا إلى القسم ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾؛ أي: بعزتك عن خلقك؛ أي: إنك لو أردت الخلق مهديين ما استطعت أن أغوي واحدا، ولكن لأنك عزيز على الخلق، تقول: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف:٢٩)، فسأدخل من هذا الباب، وقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ يثبت أن الخصومة ليست بين الله وإبليس؛ لأنه أقر لله بأنه إذا أراد شيئا فلا يستطيع إبليس أن يأخذه منه، فهو يقول: بعزتك عن خلقك أدخل للإغواء، ولو كنت تريد خلقك جميعا مهديين لما استطعت أن آخذ منهم واحدا؛ لأن قدرتي لا يمكن أن تجاوز قدرتك، لكن عزتك عن خلقك وتركك الأمر حرية جعلني أدخل، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ (الحجر:٤٢)، ودليل استثناء إبليس بعد إدراكه، حين يقول: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، ثم يستدرك: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (ص:٨٣)؛ أي: الذي تستخلصه لا أستطيع أن أغويه. علاوة على دقة التخطيط في كيده عندما يقول: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف:١٦) فهذا هو

التخطيط القوي؛ وهو يعني بذلك: إني لن أقوى على الطريق المعوج؛ لأنه لا يسير فيه إلا من غلبته نفسه، وهذا لا حاجة لي به، فقد كفيت أمره، ولكن عملي مع السائر على الطريق المستقيم؛ لذلك سأدخل عند المساجد وفي مجالس العلم وبيئات الورع والتقوى؛ لأني لص، واللص لا يحوم حول البيت الخرب أبدا، وإنما يحوم حول البيت العامر، وعندما قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أخبرنا الله بذلك لنعرف أن إبليس يأتي في مواطن التقى والورع ويدس سمومه، حتى يتنبه المؤمن خشية وقوعه، ولذلك يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:٢٠١)؛ أي: إنهم يقظون لوساوسه، يدفعونها بتقاهم، مدركين تنبيه ربهم فيما يخص مرابطة إبليس لهم على الطريق المستقيم، ولذلك تجد الإنسان حين يبدأ مرتاحا على الصلاة يذكر الشيء الذي لا يذكره أبدا ساعة يقف بين يدي ربه ليصلي، ويكر لديه خيط الفكر، وذلك عمل إبليس، فحين يراك في أعز المواقف بين يدي ربك لابد أن يفسد عليك هذه الحضرة بأن يلقي في روعك(٤) الشيء الذي كان يشغلك ولم تكن تتذكره، ومن العجيب أننا نستغفل بدل أن نتذكر ونتضرع إلى الله ونستعيذ به ونطرد إبليس، وأننا نمسك منه خيط الفكر، ونكره ونشغل تفكيرنا بما هو حاصل، لذلك علينا أن نأخذ العظة، فلا نسمع وساوسه.

وقول الله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف:١٦) درس للمؤمنين يجب أن يتنبهوا عليه ويعوه، وقد كان أبو حنيفة رضوان الله عليه مشهورا بالفتوى، وكلما سئل عن فتوى أجاب عنها بعلم وحكمة وصحة استنباط، فعلم الناس ذلك، فظنوا أن كل ما يسأل فيه أبو حنيفة يجيب عنه، ولو لم يكن في العلم، فذهب له مرة رجل، وقال له: يا إمام، لقد كان لي مال فدفنته في الأرض، ولكني نسيت الموضع الذي دفنته فيه، فأين هو؟ فضحك أبو حنيفة، وقال: يا أخي، ليس في هذا علم، فليس هو من باب الوضوء والطهارة، ولكني سأحتال لك -يعني: سأصنع لك حيلة لتعرف موضع المال- فإذا جاء الليل توضأ وقم بين يدي ربك متهجدا الليلة، فلعل الله يذكرك بموضع مالك، فنوى الرجل أن يذهب الليلة ليقف متهجدا بين يدي ربه، وبينا هو في الصلاة إذا بخاطر يأتيه فيقول له: ألا تذكر أنك ساعة وضعت المال وضعت علامة كذا في مكان كذا، فتذكر فقطع الصلاة وسلم، وذهب إلى مكان المال، وبعد أن طلع الصباح ذهب إلى أبي حنيفة، فقال له: ما شأنك؟ قال: وجدت المال يا إمام، فقال: كيف وجدته؟ قال: ذهبت -كما قلت لي- ووقفت بين يدي ربي متهجدا، وبينا أنا أصلي إذ تذكرت كذا وكذا وكذا، فذهبت إلى المال فوجدته، فضحك الإمام، وقال: والله لقد علمت أن الشيطان لا يدعك تتم ليلتك مع ربك، وسيأتي ليحدثك بموضع المال، فهلا أتممت لله شكرا، فقال: أفعل يا إمام.

ذلك هو كيد الشيطان للإنسان، وعناصر القصة خلق رجل وخلق امرأة واستقبال منهج من الله، وهو افعل ولا تفعل، والنفس والشيطان والملائكة أيضا عنصر من عناصر القصة، وكذلك الجن، وتجد الحق سبحانه وتعالى حينما ذكر لنا موضوع الخلق الأول جاء في أول بلاغ أصدره الله في أمر الخلق الأول: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣٠)، سيقول قوم يظلمون آدم: كنا مخلوقين للجنة، فعصى أبونا وهبطنا إلى الأرض، ولو لم يعص أبونا آدم لظللنا في الجنة مرتاحين هانئين، ونسوا أن الجنة شيء عارض على أصل القصة، وأن البلاغ الأول صدر عن الله في أن آدم مدحور للأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فكان الواجب أن يسألوا: وما علاقة الجنة؟ لكن مادام قد نزل أن آدم سيكون خليفة في الأرض، وخلافته في الأرض معناها أنه ليس أصيلا في الكون، والفساد في الخلق والبشر إنما يأتي من أن يعد الناس أنفسهم أصلاء في ذلك الكون، إذا استغنوا بالأسباب ظنوا أنهم آلهة، فيقنن البشر للبشر، وينظم البشر حركة البشر، ويريد البشر أن يسيطر على البشر؛ لأن كل من مكنته الأسباب بجاه أو سلطان ظن نفسه أصيلا في الكون، ولو عرف نفسه خليفة لتذكر خلفه في ذلك الكون، فآفة الدنيا كانت لما ظن الناس أنفسهم أصلاء، ولم يذكروا أنهم خلفاء، ومن شرط الخليفة أن ينفذ قانون من خلفه، وإلا أصبح أصيلا، وذلك هو فساد الكون، فليذكر البشر جميعا أنه الله، وليجدوا في الفهم عنه، وليذكر البشر جميعا أنه القرآن، وليخلصوا في الاستنباط منه، فما ضل البشر إلا حين أخطؤوا الفهم عن الله، وما خاب المسلمون إلا حين قصروا في الفهم عن كتاب الله، والسلام عليكم ورحمة الله.

الهوامش

١- العكس: رد آخر الشيء على أوله. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٧٢/١٦).

٢- بسر: قهر، وأظهر شدته. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٧٢/١٠).

٣- فرق: قضى وفصل. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٧٢/١٠).

٤- وقع ذلك في روعي: نفسي وخلدي وبالي. تاج العروس، للزبيدي (١٣١/٢١).



د.عادل محمد أبو الهيثم
دكتوراه التفسير وعلوم القرآن

عود حميد يا رمضان



واستدار الزمان، وعاد شهر رمضان، عاد إلينا بعد أن نسينا كثيرا، وسبحنا في شؤون دنيانا سبحا طويلا، عاد رمضان، وقدر الله لنا أن نعود معه لنشهد أيامه الغراء، ونحيي لياليه الزهراء[1].

ومن آثار رحمة الله تعالى أن جعل للعبادات مواسم ووزع على قدر تكرارها تكاليفها، فموسم عبادة لليوم، وموسم عبادة للأسبوع، وموسم عبادة للسنة، وموسم عبادة للأسبوع، وموسم عبادة للسنة، وموسم عبادة للعمر كله، فعبادة اليوم الصلوات الخمس، وعبادة الأسبوع الجمعة، وعبادة السنة رمضان، وعبادة العمر الحج، ونحن في معية عبادة الصيام التي اجتمعت فيها عبادات شتى، فالصلاة والقيام وقراءة القرآن والذكر، كلها تتزاحم في قلب المؤمن في تناغم وتناسق مبهر، ولله در القائل:

جاء الصيام فجاء الخير أجمعه
ترتيل ذكر وتحميد وتسبيح
فالنفس تدأب في قول وفي عمل
صوم النهار وبالليل التراويح

والصيام عبادة حازمة، تقف للإنسان في طريق أهوائه وشهواته، لتحد منهما وتكسر من شرتهما، فالصيام- كما أمر الله تعالى -كفيل أن يحول بين الإنسان وبين نزعات شيطانه ونفسه التي بين جنبيه[2].

ولما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ

من حدتها وسورتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)[٣].

فرح تام

للصائم نصيب من الفرح في رمضان، يقول النبي ﷺ للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه»(٤)، قال ابن رجب - رحمه الله -: «أما فرحة الصائم عند فطره؛ فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم، ومشرب، ومنكح؛ فإذا امتنعت من ذلك في وقت من الأوقات، ثم أبيح لها في وقت آخر، فرحت بإباحة ما منعت منه، خصوصا عند اشتداد الحاجة إليه؛ فإن النفوس تفرح بذلك طبعا؛ فإن كان ذلك محبوبا لله كان محبوبا شرعا» وأما فرحه عند لقاء ربه، ففيما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخرا؛ فيجده أحوج ما كان إليه كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ﴾ (المزمل: ٢٠)، وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا﴾ (آل عمران: ٣٠)، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ٧)، فكما أن الله تعالى حرم على الصائم في نهار الصيام تناول هذه الشهوات، فقد أذن له فيها في ليل الصيام، بل أحب منه المبادرة إلى تناولها في أول الليل وآخره، فأحب عباده إليه أعجلهم فطرا، والله وملائكته يصلون على المتسحرين، فالصائم ترك شهواته لله بالنهار؛ تقربا إلى الله وطاعة له، ويبادر إليها في الليل تقربا إلى مولاه، وأكل وشرب وحمد الله، فإنه يرجى له المغفرة، أو بلوغ الرضوان بذلك، وفي الحديث: «إن الله ليرضى عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»[٥]، وربما استجيب دعاؤه عند ذلك، وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على القيام والصيام كان مثابا على ذلك[٦].

مختبر للإرادة

صوم رمضان محك للإرادات النفسية، وقمع للشهوات الجسمية، ورمز للتعبد من صورته العليا، ورياضة شاقة على هجر اللذائذ والطيبات، وتدريب منظم على حمل المكروه من جوع وعطش، ونطق بحق، وسكوت عن باطل، والصوم درس مفيد في سياسة المرء لنفسه، وتحكمه في أهوائه، وضبطه بالجد لنوازع الهزل، واللغو، والعبث.

دار للشفاء

ورمضان مستشفى زماني يجد فيه كل مريض دواء دائه، حيث يستشفي فيه مرضى البخل بالإحسان، ومرضى البطنة بالجوع والعطش، ومرضى الخصاصة والجوع بالكفاية والشبع.

ربيع التجليات

شهر رمضان عند الأيقاظ المتذكرين شهر التجليات الرحمانية على القلوب المؤمنة، ينضحها بالرحمة، ويفيض عليها بالروح، ويأخذها بالمواعظ، فإذا هي كأعواد الربيع جدة ونضرة، وطراوة وخضرة.

من الأشهر القمرية

ولحكمة ما كان شهرا قمريا لا شمسيا، ليكون ربيعا للنفوس، متنقلا على الفصول، فيروض النفوس على الشدة في الاعتدال، وعلى الاعتدال في الشدة[٧].

ومن بدائع حكمة الله أن يتغير وقت شهر الصوم بين الفصول كلها، ليؤدي الناس في جميع مناطق الكرة الأرضية الصيام في جميع فصول السنة، بل إن الفرد الواحد سوف يصوم في جميع هذه الفصول، لأننا إذا عرفنا أن متوسط عمر الإنسان يتراوح بين الخمسين والستين سنة تقريبا، وتكليفه بالصوم يحين في سن الخامسة عشرة، فسوف يصوم كل شهور السنة، لأن الدورة تتم في ثلاث وثلاثين سنة تقريبا، فإذا أضفنا هذا العدد إلى سن التكليف وهو خمس عشرة سنة لأصبح عمره ثمانية وأربعين عام، وهو أدنى مجال متوسط عمر الإنسان، فمن الحكمة في اختيار شهر قمري للصوم، هي تحقيق العدل بين الناس في التكليف، أي كي لا يصوم سكان منطقة في الصيف طوال حياتهم.. وسكان منطقة أخرى في الشتاء طوال حياتهم[٨].

عبادة الأحرار

الصيام: عتق النفس الإنسانية من كل رق: من رق الحياة ومطالبها ومن رق الأبدان وحاجاتها في مآكلها ومشاربها، من رق النفس وشهواتها ومن رق العقول ونوازعها، ومن رق المخاوف حاضرها وغائبها، حتى تشعر بالحرية الخالصة، حرية الوجود، وحرية الإرادة، وحرية العمل. فتحرير النفس المسلمة هو غاية الصيام الذي كتب عليها فرضا وتأتيه تطوعا. ولتعلم هذه النفس الحرة أن الله الذي استخلفها في الأرض، لتقيم فيها الحق، ولتقضي فيها بالحق، ولتعمل فيها بالحق- لا يرضى لها أن تذل لأعظم حاجات البدن لأنها أقوى منها، ولا لأعتى مطالب الحياة لأنها أسمى منها، ولا لأطغى قوى الأرض

لأنها أعز سلطانا منها. وأراد الله أن يكرم هذه العبادات فأوحى إلى رسوله ﷺ أن يخبر الناس عن ربه إذ قال: «الصوم لي»، فلا رياء فيه لأنه جرد لله فلا يراد به إلا وجه الله، فاستأثر به الله دون سائر العبادات، فهو الذي يقبله عن عبده، وهو الذي يجزى به كما يشاء(٩).

الحرية

ليست الحرية -كما توهمها أكثر الناس- مقصورة على حق الإنسان بالتصرف كيفما أراد، وليست الحرية بالانطلاق وراء الشهوات، وسائر الرغبات؛ فتلك الفوضى أولا، والعبودية الذليلة أخيرا، وإنما تمام الحرية - لا كمالها - قد يكون بالمنع أحيانا؛ فالمريض حين يمنع عن الطعام الذي يضره هو حر لم ينتقص من حريته فتيل ولا قطمير؛ فذلك المنع إنما هو منع مؤقت؛ لتسلم له بعد ذلك حريته في تناول ما يشاء من الأغذية، ورمضان يتمرس المؤمن برياضة النفس والانتصار على الشهوة، والمؤمن الذي ينتصر على نفسه وشهواته لا يغلبه في الحياة غالب، فما احتلت أمة الإسلام موقعها من صدارة الوجود إلا بانتصارها على نفسها، وما تراجعت الأمة وخضعت لغير الله تعالى إلا بالهزيمة أمام النفس، فلله درك يا شهر الصيام، كم علمت الأمة مخالفة النفس وعصيانها، وكم حررت أجيالا من الضعف أمام شهواتها(١٠).

حرية القلب وأسره

إن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن؛ فالمؤمنون الذين يخضعون لأمر الله ونهيه هم أكمل الناس، وأعقلهم، وأسعدهم، وهم في الوقت نفسه أكثر الناس حرية؛ فخضوعهم لله حررهم حتى من أنفسهم(١١).

في رمضان جوع وعطش، وفيه قيد وحرمان، ولكنه يمنحنا الصحة، ويحررنا من العبودية؛ يحررنا من عبودية الطعام، والشراب، وعبودية العادة، والحياة المملة، في رمضان امتناع عن اللذة اختيارا، وهذه هي الحرية؛ فحرية الإرادة أن تعمل وفق ما يمليه عليك دينك، ووازع عقلك، لا ما تمليه عليك عاطفتك وشهوتك؛ فأنت - إذا - قوي الإرادة، ضعيف الهوى، تضبط ميولك بإحكام عقلك. ومن اتصف بهذا كان جديرا بالنصر في كل معركة يخوضها(١٢).

من معين القرآن

في قصة طالوت لما فصل بالجنود، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ﴾ (البقرة: ٢٤٩)، منعهم من الشرب اختبارا وتأديبا، هزموا شهواتهم فهزموا عدوهم، وفي رمضان عبودية كاملة، وهذه هي الحرية الكاملة؛ فأكثر الناس حرية أشدهم لله عبودية، في رمضان امتناع عن كل خلق رذيل، وقول ذميم، ومقالة ذميمة؛ فما أحلى هذه الحرية؛ فأنت في الخلق الكريم حر فلا تهان، ولا تنتقص في قدر ولا جاه، وأنت في القول الكريم حر فلا تضطر إلى اعتذار، ولا تتعرض لملامة، ولا يملأ نفسك ندم(١٣).

مشاهد التوحيد

«أن تعبد الله كأنك تراه» الإحسان: فالطعام والشراب والشهوة أمامه إلا أنه يكف عنهم خوفا من الله وطاعة له سبحانه.

زكاة الفطر

هي مظهر من مظاهر الشكر على تمام النعمة وبلوغ الغاية، وتيسير الله لعباده في عباداتهم وصومهم.

الأهداف الوقائية

هي تمهيد وإعداد لأهداف أخرى، فإغلاق الصائم منافذ حسه يراد منه أن يكون فتحا لمسالك روحه، واسكاته صوت الهوى في نفسه يطلب منه أن يكون تمكينا لإعلان قول الحق والعمل به، وهكذا كانت الحكمة التي فتحت بها آيات الصيام «لعلكم تتقون» تمهيدا للحكمة التي ختمت بها آياته: «ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون».

من مظاهر وحدة الأمة

فإذا رفعت راية الهلال في سماء رمضان، رأيت المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وقد وقف كل منهم في مكانه على قدم الاستعداد لبدء حركة التدريب على الطاعة والنظام، كلما طلع الفجر، سمعوا بالإحجام عن كل مشتهياتهم، وكلما غربت الشمس تلقوا إذنا بالإقبال على الحلال من تلك المشتهيات فتراهم في لحظة واحدة قد تحركوا طوع الأمر حركة واحدة إيجابية أو سلبية، فلا ترى منهم في النهار طاعما ولا راويا، ولا ترى منهم في الليل ممسكا ولا طاويا، بل تراهم وقد انطبعت على نظام حياتهم مسحة جديدة من هذا النظام، في عملهم وراحتهم ونومهم ويقظتهم وسائر شؤونهم وتصرفاتهم، كذلك تنصر القلوب المؤمنة في بوتقة الصيام فتعودا قلبا واحدا في جسد واحد وهذا هو المثل الأعلى في وحدة الأمة التي يؤهلنا لها صوم رمضان(١٤).

الصيام تتمة العبادات: وفيه من المعاني ما يزيد عن غيره، ومن ذلك سائر الواجبات تفطم العبد عن الشهوات المحرمة والانفعالات العدوانية، أما الصوم فإنه ينتصر به حتى على شهواته المباحة وانفعالاته البريئة.

العبادات الأخرى تحصل له أوائل درجات التقوى، بالاعتدال والاستقامة، والصوم يورثه نهاية درجات التقوى بالورع والزهادة[15].

رمضان والتجديد

بعد سفر موغل في الدنيا، وإبحار في بحر الحياة، يرسو المومن على مرفأ رمضان، ليجدد العهد ويشحن القلب بروحانيات هي الحياة بالنسبة له، وما أروع قول القائل:

جدد حياتك بالصيام
فبالصيام غذاء روحك
داو الذي تشكو بتقوى
الله تبرا من قروحك
واغنم أويقات التجلي
في الطريق إلى نزوحك
اشحذ سموك عن حياة
اللغو وادأب في طموحك
وارق الذرا ودع الثرى
طال المقام على سفوحك[16].

ومن علامات توفيق الله للعبد أن يلهمه حسن التدبر في كل أمر، والاستعداد بالطاعة في كل وقت، قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «من عاين بعين بصيرته تناهي الأمور في بداياتها نال خيرها، ونجا من شرها، ومن لم ير العواقب، غلب عليه الحس، فعاد عليه بالألم ما طلب منه السلامة، وبالنصب ما رجا منه الراحة، وبيان هذا في المستقبل يتبين بذكر الماضي، وهو أنك لا تخلو أن تكون عصيت الله في عمرك، أو أطعته، فأين لذة معصيتك؟! وأين تعب طاعتك؟! هيهات، رحل كل بما فيه، فليت الذنوب إذا تخلت خلت»[17]، فهل من مدكر، فالبدار البدار، والهمة الهمة، والسبق السبق.

الثبات والتغير في رمضان:

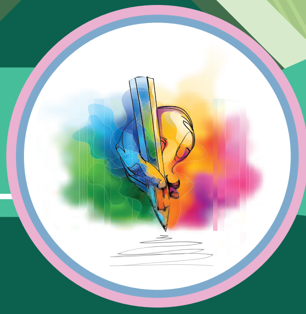
قد يبدأ الناس في أول أيام منتهى النشاط، لكن بعضهم سرعان ما يعود القهقرى، فيتأخر عن الجماعة، وهكذا حتى تعود المساجد شاكية في أواخر الشهر قلة ساكنيها، والعلاج: سؤال الله التثبيت والعون منه جل وعلا، قال ابن القيم- رحمه الله تعالى: «الخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت، ومادة التثبيت وأصله ومنشؤه من القول الثابت وفعل ما أمر به العبد، فبهما يثبت الله عبده، فكل من كان أثبت قولا وأحسن فعلا، كان أعظم تثبيتا؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ (النساء: ٦٦)[18]، كنز عظيم من وفق لمظنته، وأحسن استخراجه واقتناءه، وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حرم، وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين، فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله: قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٤)، وقال تعالى لأكرم خلقه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الأنفال: ١٢)، وفي الصحيحين من حديث البجلي قال: «وهو يسألهم ويثبتهم»، وقال تعالى لرسوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (هود: ١٢٠)[19].

وبعد: فهذا رمضان قد عاد، والعود أحمد، فشمر أيها المسلم واغتنمه في خير تحصله أو مجد تؤثله، أو بيت في الجنة تسكنه، اللهم سلم لنا رمضان وسلمنا إلى رمضان وتسلمه منا متقبلا.

الهوامش

١- الصوم تربية وجهاد، د. محمد عبد الله دراز، ط جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، عمان، ط١، ٢٠١٤م، (ص/ ٣٢).
٢- لمحات من الكتاب والنبوة والحكمة، عبد الغني الدقر، ط اليمامة للطباعة، ط ١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، دمشق، بيروت، (ص/ ٢٨٤)، بتصرف يسير
٣- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية (٢/ ٢٧)
٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب في فضل الصوم حديث رقم: (١٨٠٤) ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم: (٢٠٠٩).
٥- رواه مسلم في صحيحه، ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (٤/٢٠٩٥) حديث (٢٧٣٤)
٦- لطائف المعارف، ابن رجب، (ص/ ٢٢٤).
٧- رمضان، دروس وعبر- تربية وأسرار، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ٢٠٠٢م، ١٤٢٣هـ، (ص/ ١٤٠).
٨- أنوار رمضان، اختيار شهر قمري للصيام.. لتحقيق العدل بين الناس، بقلم: د. محمد شامة، نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، جريدة الأهرام المصرية، السنة: (١٢٧) -نوفمبر ٢٠٠٤م، ١٨ من رمضان ١٤٢٥هـ، العدد: (٤٣٠٦٤).
٩- جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، محمود محمد شاكر، جمعها وقرأها وقدم لها: الدكتور عادل سليمان جمال، ط مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط ١، ٢٠٠٣ م، (٢/٩٣٨).
١٠- القرآن وقضايا العصر، أ.د محمود عباس، طبعة خاصة، الأولى، (٢/٢٠٠-٢٠١)، رمضان، هدية مجلة منبر الإسلام، وزارة الأوقاف المصرية، عدد رمضان ١٣٨٨هـ، نوفمبر ١٩٦٨م، مقال: الصوم تربية للخصائص الإنسانية، د. محمد خليل هراس- رحمه الله تعالى- (ص/ ١٢٧).
١١- العبودية، ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، ط المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٧ المجددة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، (١/٨٧).
١٢- رمضان، دروس وعبر- تربية وأسرار، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ٢٠٠٢م، ١٤٢٣هـ، (ص/ ١٤٤).
١٣- الصيام أسرار وأنوار، التصوير الفني في آيات الصيام، د. منجد محمد رضوان، ط جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط الأولى، ٢٠١٦م، ١٤٣٧هـ، (ص/ ٤٣)، رمضان، دروس وعبر- تربية وأسرار، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ٢٠٠٢م، ١٤٢٣هـ، (ص/ ١٤٠).
١٤- الصوم تربية وجهاد، د. محمد عبد الله دراز، ط جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، عمان، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م، (ص/ ٥٢).
١٥- المرجع السابق، (ص/ ٥٠).
١٦- قلب ورب، ديوان شعر، عمر بهاء الأميري، ط دار القلم، الدار الشامية، ط: ١، ١٩٩٠م، ١٤١٠هـ، (ص/ ٧١).
١٧- صيد الخاطر، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، بعناية: حسن المساحي سويدان، ط: دار القلم- دمشق، ط ١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، (ص/ ٢٥).
١٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، (ص/ ١٣٦).
١٩- تفسير القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث، ط دار الهلال، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ (١/ ٣٤٦).

عبد السلام محمد
ماجستير شريعة إسلامية



رمضان.. عبق المكرمات



شهر له عبق خاص، هو شهر الكرم بحق؛ ولهذا يتسابق فيه المؤمنون في تنافس محمود؛ فالحسنات أجرها مضاعف إلى سبعمئة ضعف. وللصوم دون بقية العبادات صفة السرية؛ إذ لا يطلع عليه أحد غير الله تعالى.

يقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

الصوم لله تعالى، وهو سبحانه يجزي به. جاء في الحديث القدسي الجليل: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم؛ فإنه لي وأنا أجزي به» (رواه البخاري).

وقد كان شأن النبي ﷺ عظيما في رمضان، بما كان يخصه من الطاعات، والقربات، والنفحات، ومدارسة القرآن، والجود فيه على الناس بعد لقائه جبريل عليه السلام، حتى كان ﷺ أجود من الريح المرسلة.

في رمضان: تتواصل الأجساد مع الأرواح باتفاق خفي بين طيات النفس، وانعتاق من الماديات التي تحط على كاهل العبيد؛ ليتحرروا من الثقل إلى الخفة، ومن القتامة إلى تناسق الألوان.. إنه رمضان: نقطة اكتشاف الذات، بالبعد عن الأفكار الدونية.

في رمضان: تتكامل العبادات

بالتسليم لبعضها البعض في رضا وحبور، ينطلق الأذان فترتفع المصاحف؛ لتقام الصلوات، يحدوها الخشوع والخضوع للحق، ثم تتناول الأيدي المصاحف من جديد؛ لتمتد مائدة الله بين المؤمن وربه في إقبال على الله، وبغير إذعان أو إجبار أو تكلف؛ بل بكل المحبة والرضا والتسليم لله رب العالمين.

في رمضان: تصوم الأجسام عن الأكل والشرب، وتصوم القلوب عن الغل والحقد والحسد، وتصوم الألسن عن قول الزور والكذب والغش والسب والشتم والخوض في أعراض الناس.

والدعاء في رمضان جسر قصير بين العبد وربه، وهو في رمضان مضمون الاستجابة لمن فقه حديث رسول الله ﷺ حين جعل دعوة الصائم من الدعوات المستجابات؛ وذلك للتواصل العميق بين الإنسان وربه؛ في لحظة تصفو فيها النفس عن شهوات الدنيا ومطامعها.

ومن شروط الإجابة: الثقة التامة بالله عز وجل، فإذا جمع مع الدعاء خشوع القلب، وبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على محمد عبده ورسوله، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، وألح في المسألة، وتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، فإن هذا الدعاء إما يجاب بعين ما طلب، وإما يجاب بغيره، وإما يعجل في الدنيا، وإما يؤجل إلى الآخرة، ما لم يدع المؤمن بإثم أو قطيعة، أو يستعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي.

والصيام حصن من حصون المؤمن، وإشعار للصائم بنعمة الله تعالى عليه، ولا يحس المرء بنعمة الشبع إلا إذا جاع، ولا يشعر بنعمة الري إلا إذا عطش، فإذا شبع بعد جوع، وإذا ارتوى بعد ظمأ، قال من أعماقه: الحمد لله، ودفعه ذلك إلى شكر نعمة الله عليه، وبالشكر تدوم النعم.

بين الأرض والسماء:

رمضان هو الشهر الوحيد الذي شهد تواصل الأرض بالسماء في مشهد كوني حافل بمراسم الاصطفاء والتكليف؛ حين تلقى أمين الأرض ﷺ النور والرسالة من أمين السماء؛ ليؤكد أن الاتصال بين الإنسان وربه قائم بلا وسائط ولا ترجمان. يقول الله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥).

والقرآن: هو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، وهو شفاء لما في الصدور، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزل، وهو الفصل الذي ليس بالهزل.. سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يدرك غوره، بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول..

هذا هو القرآن نبراس الهدى
دستورك الأسمى المنير المشرق
آياته نبع العلوم جميعها
من قال (لا) فهو الغبي الأحمق
علم الطبيعة والحياة، وحكمة
الإيجاد من تبيانه تتدفق
عودوا إلى القرآن عودة باحث
فهو الطبيب؛ لكل سقم، صدقوا
يا قوم أحمد مجدكم قرآنكم
فهو الكتاب العالمي الأصدق

مدرسة الإيمان:

إنه رمضان: مدرسة إيمانية عملية، تزكي النفس وتمدها بطاقة نفسية كبرى، تقوي صلة الصائم بربه، وتصفي روحه بشكل يجعله طيعا للخير، مبتعدا عن الشر؛ ذلك أن الإنسان عندما ينوي لهذه العبادة، يعرف أنه يقبل على الله بهذه الطاعة التي هي سر خفي بينه وبين مولاه؛ فيظل نهاره خاشعا موصول القلب بالله سبحانه وتعالى، ويقبل بنفس واعية على تلمس أسباب العطاء المفضية إلى رضا الخالق وثوابه الأجزل.

عبد اللطيف محمد أحمد
كبير أئمة بوزارة الأوقاف المصرية





هيا بنا نستقبل رمضان..

إذا نزل بإنسان ضيف عظيم الشأن فإنه يشحذ كل الطاقات لاستقباله، وإكرامه، وإذا كان هذا في شأن من تقدره أنت، فما بالنا بضيف عظمه الله وكرمه، شرف صوامه وقوامه، ومنحهم فيه من الثواب ماليس في غيره من الشهور، قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به[1]» [2].

فها هو يطرق الأبواب، ويقرب ويقترب فما الواجب عليك فعله؟وكيف تعد العدة لنيل خيراته، والفوز ببركاته؟ وإليك أضرب الاستعداد، وأبرز معالمه، وطرفا من وسائله:

الاستعداد الوجداني النفسي

ويعني أن يهيأ الإنسان القلب والوجدان لدخول الشهر، حتى يدخل وهو متيقظ القلب، طاهر النفس لتلقي كرامته، وعلى المكلف المسلم حيال ذلك:

١- أن يبتهل إلى الله تضرعا أن يبلغه رمضان، فتتهيأ النفس، ويوقظ القلب إلى عظيم قادم، لينتبه ويتنبه، فلا يأتي الشهر بغتة، والقلب والنفس في ثبات أو غفلة.

وقد كان ذلك منهج السلف، ينقل ابن رجب عن معلى بن الفضل أنهم: (كانوا يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، و يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم، وقال يحيى بن أبي كثير: كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان وسلم لي رمضان وتسلمه مني متقبلا)[3].

٢- ومن معالم الاستعداد الوجداني والقلبي أن تفرح بقرب

مجيء شهر، الذي فيه كل الخير والبركة، يخاطبنا النبي عنه مذكرا بأسرار الفرح به. « قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، يفتح فيه أبواب الجنة، ويغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم [٤]»[٥].

٣- ومن أصول الاستعداد لرمضان تجديد العهد والإنابة لله، فيتوقف عن كل ذنب يضاد الله به، ويندم على كل ما كان منه من تقصير وغفلة، ويعزم بقلبه على ألا يطلق لنفسه العنان لعصيان مرة أخرى، ويعاهد الله صادقا على ألا يرجع إلى ما كان فيه مرة أخرى، مع رد ما كان متعلقا بحقوق الناس إليهم أو طلب العفو منهم، قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور:٣١).

استعداد الجوارح والأركان

ويقصد به تهيئة الجوارح والأركان نحو التمسك بالسلوكيات الصحيحة، والأخلاق القويمة. ويكون ذلك:

١- بأن يكف المسلم الجوارح عن الآثام والمعاصي و ما لايرضي الله[٦]؛ لأن: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء:٣٦). وحتى لا يكون من هؤلاء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»[٧].

فرمضان فرصة للتدريب على كل سلوك جميل، والابتعاد عن كل سلوك قبيح.

٢- ويكون كذلك بالسعي نحو ترشيد الاستهلاك والاقتصاد في أمور الطعام والشراب، ونمط المعيشة، فلا يكون رمضان شهرا للإسراف أو التبذير أو حتى التقتير، وإلى هذا قد أشار القرآن بقوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف: ٣١).

٣- ويكون كذلك التهيؤ السلوكي: بضبط قواعد الصداقة، فأحاذر ممن يحاول أن يضيع أوقاتي، أو يأخذ بيدي إلى السوء أو الشرور. وأجالس من يدلني على طاعة أو يأخذ بيدي إلى خير؛ لأن: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[٨]. فلا يكون التصفيد قد وقع للشيطان، وتفتحه طريقه أنت من ممر آخر!!.

٤- ويكون كذلك بتعظيم الوقت، واستثماره في كل طاعة وبر، فرمضان فرصة عظيمة لمريد اغتنام الأوقات في القربات والمبرات، فمن قصر في رمضان، فهو بقية عمره أكثر تقصيرا. قال ﷺ: رغم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يغفر له.. [٩]. وهذا إيذان بحسرة أي حسرة لمن فاته رمضان أو خرج منه مضيعا للوقت، مقصرا في الطاعة!!.

الاستعداد الاجتماعي

ويقصد به: التهيؤ والتنبه لدور الصائم في الإطار المجتمعي، فينعكس الصيام على حياة المسلم في نطاق من حوله من المجتمع. ومن أبرز معالم ذلك:

١- أن نجعل الصيام فرصة لتوطيد وتفعيل الصلات الاجتماعية مع الأقارب والأهل، فالتعبد بصلة الأرحام من أعظم وأجل الأعمال التي تقرب إلى الله، ورمضان فرصة طيبة لمد أواصر المحبة مع الأرحام، والأقارب، فلا تجعل رمضان إلا مغنما تبر به أهلك وأرحامك ووالديك، ولنتذكر أنه «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»[١٠].

٢- أن نجعل الصيام فرصة للعطاء الاجتماعي من خلال الصدقات والزكوات وصنوف المبرات وألوان العطاءات المختلفة، وقد كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل،....، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة[١١]» [١٢]. فمد يدك بالعطاء والخير لمن حولك بما عندك، بمال، أوعلم، أو وقت، أومكانة، بما استطعت وتيسر لك.

٣- التهيؤ نحو تطبيق سنة النبي في إفطار الصائمين على قدر الطاقة والوسع: قال رسول الله ﷺ: من فطر صائما كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا[١٣]. وهذا لون من ألوان الجود في ذلك الشهر، بإطعام الطعام الذي تمس الحاجة إليه في ذلك الشهر. ويتحقق الإفطار بتمر أو شربة ماء، ومن زاد زاد الله عليه.

الاستعداد الإيماني

وقوامه جعل الصيام فرصة للتزود من الطاعات والقربات والمبرات من الصلاة، والقيام، والتهجد والذكر وقراءة القرآن وتدبره، والصلاة على النبي... وبيان ذلك أن يحرص الصائم بانتظام على:

١- الإكثار من النوافل: «يقول الله تعالى:..وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[١٤]. فهيا حرض نفسك على كل سنن تقربك من ربك، وتتحبب بها إليه، لتنال الفيوضات والخيرات.

٢- التهيؤ نحو قيام رمضان، فلذلك أجر عظيم، وقد ذكر العلماء أن المراد بقيام رمضان صلاة التراويح، يعني أنه يحصل المقصود من القيام بصلاة التراويح[١٥]. وقد جاء في فضل قيام ليالي رمضان قوله ﷺ: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »[١٦]. فشمر نحو سنة النبي بالقيام والصلاة، في جماعة أو فبيتك إن لم يتيسر لك ذلك.

٣- كما يتهيأ الإنسان ويحرص على أن يطبق سنة الأعتكاف في أيام رمضان ما تيسر له، فالاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان سنة مؤكدة، لمواظبة النبي ﷺ عليه، كما جاء في حديث عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ «أن النبي ﷺ، كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده»[١٧].

٤- الأكثار من الدعاء والتضرع إلى الله، وقد قال الله في سياق آيات الصيام ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٦).قال الإمام ابن كثير:(وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء، متخللة بين أحكام الصيام، إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وعند كل فطر)[١٨]. فللدعاء رونق خاص في رمضان قبيل الإفطار، ووقت الأسحار، وفي القيام وفي كل وقت يدعوا المسلم ربه راجيا الإجابة من مولاه.

٥- الإكثار من تلاوة القرآن ومدراسته: لما لا ورمضان هو شهر القرآن، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة:١٨٥)، ولقد (كان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها، وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام. وكان سفيان الثوري: إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن) [١٩].

فهيا شمر سواعدك نحو كتاب ربك قراءة واستماعا، وتدبرا، ومدراسة، بورد أو حزب، أوجزء محدد في يومك وليلتك، لتتذوق حلاوة كلام مولاك، لتؤنس روحك، لتكون قريب من ربك، وإياك وهجر القرآن في رمضان وفي غير رمضان فتكون من المستجلبين غضب ربهم، وشكوى نبيهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان:٣٠).

٦- الإكثار من الذكر: فمن أجل العبادات التي تنير الطريق، وتسمو بالروح، وهو قوت القلوب والتي لا حياة للمسلم بدونها، وقد أمر الله بالإكثار منه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤١)، ونهى عن ضده فقال: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥)، وقد كان ذلك السلف يدركون عظم الذكر والعبادة في رمضان: (قال النخعي: صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم، وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة)[٢٠].

فاحرص أيها الصائم على ذكر الله في كل وقت، وبالأخص في صباحك، ومساءك، وقبل نومك، بما تيسر لك من ذكر[٢١].

واعلم أن المباحات تصير قربة وطاعة يؤجر الإنسان عليها بالنية، وهذا يثمر أن المكلف في رمضان يمكن أن يتخذ كل أعماله الدنيوية طريقا لكسب الثواب وتعظيم الأجر عند الله تعالى بالنية أي: إذا قصد بها الطاعة والقربة[٢٢]، والأصل في هذه القاعدة قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات»[٢٣]. فالأكل والشرب يصير قربة بالنية،

وعملك الذي تخرج إليه يصير طاعة بنيتك، والمرأة تعمل في بيتها تحتسب الأجر من ربها يكون عمل طاعة تؤجر عليه...

رزقنا الله حسن القول والعمل، ومغفرة في شهر الغفران، والعتق من النيران.

الهوامش

١- البخاري، ٣/٣٦، رقم: ١٩٠٤.

٢- أي: أجازي عليه جزاء كثيرا من غير تعيين لمقداره، وغيره من العبادات أظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها، وهذا بيان لعظم فضله وكثرة ثوابه؛ لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء. ينظر: فتح الباري، لابن حجر (٤/١٠٨).

٣- ينظر: لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي، (ص: ١٤٧).

٤- مسند أحمد (١٢/٥٩)، رقم: (٧١٤٨)، وحسن إسناده الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٩٩).

٥- قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان كيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان؟ كيف لا يبشر المذنب بغلق أبواب النيران ؟كيف لا يبشر العاقل بوقت يغل فيه الشياطين؟ من أين يشبه هذا الزمان زمان؟.ينظر: لطائف المعارف، (ص: ١٤٧).

٦- ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (١/٢٣٤).

٧- سنن ابن ماجه (١/٥٣٩)، رقم: (١٦٩٠). وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، ولفظه: «رب صائم حظه من الصيام الجوع والعطش».

٨- سنن الترمذي، (٤/١٦٧)، رقم: (٢٣٧٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

٩- سنن الترمذي، (٥/٤٤٣)، رقم: (٣٥٤٥)، وقال:حديث أنس هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

١٠- البخاري (٨/٦)، رقم: (٥٩٩١).

١١- البخاري، رقم: (٦).

١٢- قال ابن حجر: (والجود في الشرع إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، وهو أعم من الصدقة، وأيضا رمضان موسم الخيرات، لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره، فكان النبي ﷺ يؤثر متابعة سنة الله في عباده) فتح الباري (١/ ٣١، ٤/ ١١٦).

١٣- أخرجه الترمذي، (٣/ ١٦٢) وقال: حسن صحيح.

١٤- البخاري (٨/١٠٥)، رقم: (٦٥٠٢).

١٥- فتح الباري (٤/ ٢٥١)، وينظر الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٣/ ١٤٤).

١٦- البخاري رقم: (٣٧).

١٧- البخاري رقم: (٢٠٢٦).

١٨- تفسير ابن كثير(١/٥٠٩).

١٩- لطائف المعارف، (ص: ١٧١).

٢٠- لطائف المعارف، (ص: ١٥١).

٢١- وخصوصا ما يمكن أن نسميها الأذكار الأساسية، وهي: (سبحان الله، الحمد لله، الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله -حسبي الله ونعم الوكيل- الاستغفار بصيغه المختلفة- لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

٢٢- ينظر: الأشباه والنظائر، للسيوطي (ص: ١٣)، الفتح المبين شرح الأربعين، لابن حجر (ص: ١٢٨).

٢٣- البخاري رقم: (١).





غفران أسعد
كاتبة وباحثة إسلامية



علاء الدين حسن للوعي الإسلامي»

في رمضان تتجدد القلوب

يهل علينا شهر رمضان بنفحاته وأنواره وأعطياته؛ فتشرق النفس الإنسانية على أمل جديد، وتسعى لتحقيق ظلال الرحمات والخيرات والبركات.

❖ بداية، ماهو تعريف الصوم اصطلاحا ولغة؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه. أشكركم على هذه الإضافة الكريمة، وأسأل الله تعالى أن يجعله شهر خير ويمن وأمان وسلام. وإجابة عن سؤالكم أقول:

الصوم في اللغة: هو الإمساك عن الشيء، والكف عنه، والترك له، يقال: صامت الخيل: إذا أمسكت عن السير، وصامت الريح: إذا أمسكت عن الهبوب، ويقال للصمت: صوم؛ لأنه إمساك عن الكلام؛ قال تعالى مخبرا عن السيدة مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ (مريم:٢٦)؛ أي: سكوتا عن الكلام.

قال النابغة الذبياني:

خيل صيام وخيل غير صائمة.........

أي: خيل ثابتة ممسكة عن الجري والحركة. وقيل: كل ممسك عن طعام، أو كلام أو سير، فهو «صائم».

والصوم في الشرع: هو الإمساك عن المفطرات، من طعام، وشراب، وسوى ذلك، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، مع نية التقرب إلى الله تعالى، أو هو بتعبير آخر: إمساك مخصوص من شخص مخصوص، في وقت مخصوص، عن أشياء مخصوصة.

❖ وما أنواع الصوم؟ وما أقسامه؟

الناظر في آيات الصوم، وأحاديثه -الصحيحة والحسنة- يجد أن الصوم في الشرع، ينقسم من حيث حكمه إلى عدة أقسام: فمنه الفرض (الواجب)، ومنه التطوع (المستحب)، ومنه المكروه، ومنه المحرم (وهو ما نهى الشرع عنه، أو لم يشرعه ولم يأمر به).

والفرض (أو الواجب) ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام:

صوم رمضان، وصوم الكفارات، (ككفارة الظهار، وكفارة اليمين، ونحوهما)، وصوم النذر (وهو واجب عينه المكلف على نفسه).

❖ حديثنا اليوم ينحصر في صوم رمضان، وذلك لأننا في أيامه المباركة، ولما له من أهمية كبرى؛ حيث إنه أحد الأركان، وكذلك لأن المسلم لن يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بأفضل مما افترضه عليه؛ كما صح في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري في «صحيحه»؛ فماذا يمكننا أن نقول عن هذا الشهر الفضيل ونحن نتعرض لنفحاته؟

شهر رمضان شهر عظيم مبارك،

جعل الله تعالى صيامه فريضة، وقيام ليله سنة، هو شهر مغفرة وعتق من النار، شهر عطاء وحب وارتقاء..

ومع بدء شهر رمضان في كل عام، نجد المؤمن يبحث عن قلب جديد يجدد به إيمانه، والقلوب أنواع كثيرة، أجملها القلوب الحنونة، وهي التي تكون أكثر رقة، تحمل أجمل النوايا، تتجمل بالعبارة اللطيفة، لها روح مميزة.

وكل واحد منا يعلم فيما إن كان قلبه سليما، أم ممتلئا بالحقد والحسد والسخرية.

و«القلب السليم» هو القلب السالم عن كل ما يضر الناس.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم».

❖ ما هي الغاية التي من أجلها فرض الله تعالى الصيام؟

الغاية من فرضية الصيام هي التقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣).

والتقوى هي فعل الطاعات.. ومع التقوى يتفتح باب الخير، ويتسع عمل البر، وتستقيم الأمور، وينتظم السلوك.. والتقي لا يكذب ولا يغش، لا يرائي ولا يرتشي، لا يغتاب ولا يعتدي، لا يظلم ولا يخون.. التقي يعطي لصاحب الحق حقه، التقي يبني ولا يهدم، يحب الناس ويقول الحق ولو على نفسه، التقي يمشي في حاجة أخيه، التقي كريم معطاء..

❖ رمضان، شهر نزول القرآن، ما هي الحكمة من نزول هذا الكتاب الكريم في هذا الشهر المفضال؟

لأن رمضان روح الزمن فقد اختاره الله زمانا لنزول القرآن، هذا القرآن هو روح الوجود، نزل به الروح الأمين، على روح هو أنزه الأرواح وأشرفها، روح محمد ﷺ، أو إن أردنا قلنا: القرآن نور من نور، نزل به النور، على قلب هو نور، في شهر كله نور.

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ (البقرة:١٨٥). أنزل في ليلة القدر.. أنزل في ليلة مباركة هي ليلة خير من ألف شهر..

ونحن بالقرآن آمنا فاهتدينا، ودعونا فسمونا، نحن بالقرآن حكمنا فعدلنا، وبنينا فأعلينا، نحن بالقرآن أقمنا حضارة روح وجسد، وجعلناه حقا واقعا ما كان يراه البعض أملا بعيدا.

❖ لعل من حكم فرضية الصيام أيضا الشعور بآلام الآخرين؛ أليس كذلك؟

تماما، بالصوم يشعر الإنسان بآلام الآخرين؛ حيث يذوق مرارة الجوع والعطش، فيعطف عليهم قلبه، وتتبسط إليهم يده، ولهذا عرف رمضان بأنه شهر البر والإحسان، وكان ﷺ أجود ما يكون في رمضان، فهو أجرى بالخير من الريح المرسلة. إنه رمضان، فيه تتجدد العقول بالعلم، وتتجدد القلوب بالتقوى، ويتجدد المجتمع بالتواصل، وفيه تقل أسباب الشر ودواعيه.

❖ ذكرت الآية الكريمة حول فرضية الصيام قبل قليل، يا حبذا لو وقفنا عند بعض الأحاديث التي تشير إلى أهمية هذه العبادة.

جاء في الحديث القدسي الذي رواه رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم؛ فإنه لي، وأنا أجزي به». وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله؛ فليقل: إني صائم».

وقال عليه الصلاة والسلام: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه».

❖ ما معنى: «إيمانا واحتسابا»؟

إيمانا، أي إيمانا بفرضيته ووجوبه، والاعتقاد الجازم بأنه ركن من أركان الإسلام، واحتسابا، يعني احتساب الأجر عند الله.

❖ هناك من يصوم ويرتكب بعض المحرمات، هل يصح صوم هؤلاء؟

الصوم لا يكتمل إلا بترك المحرمات: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

❖ رمضان مدرسة، ما الذي يجب أن يتعلمه الصائم في هذه المدرسة؟

رمضان مدرسة.. وهو رحلة الأسابيع الأربعة؛ لاستعادة الروح من براثن الطين المترسب على جدرانها طوال العام، والاتجاه الطبيعي لهذا الشهر هو إعادة إعمار الذات.

رمضان مائدة السماء.. يمحق البخل والشح والأثرة.. يدعو إلى البذل والسخاء، يعلم الصبر والثبات.. يعلم الإخاء والإحسان.. أيامه قلبية في الزمن، ساعاته سامية في الوجدان، لياليه ترسخ الحق..

رمضان إشراق وصفاء.. يمدنا بالجمال والجلال والحزم والعزم.. رمضان اتقاء من عوامل الشر.. سر إنساني.. ينقل الإنسان إلى عالم جديد كله سمو وضياء..



مصطفى إبراهيم القلاوي
كاتب وباحث إسلامي مصري

الصيام مظاهر وأهداف

الصيام في الشريعة الإسلامية له مظهران، أحدهما مظهر مادي يقوم على اجتناب المفطرات من طلوع الفجر وحتى غروب الشمس مع النية، وهذا هو المظهر السلبي للصيام، ومظهر آخر روحي يتحرى فيه المؤمن الهدف الذي حددته الشريعة من وراء صومه، وهو المظهر الإيجابي له.

لذلك ينبغي على المؤمن قبل شروعه في الصيام أن يعلم مراد الله من صومه، وأن تكون نيته فيه وفقا لإرادة الله منه، فإن الله لا تعنيه حرارة الصيام ومرارته، ولا يعود عليه سبحانه شيء من هزال جسم الصائم وذبوله، لأن ألم الجسم أو حرمانه من الطيبات ليس مقصودا يطلب كما أنه ليس عدوا يحارب، فإن الله قال ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٨٧)، وإنما أشار جل شأنه إلى مراده من خلال أمره بالصيام قائلا ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥).

فليست غاية الصوم الجوع والعطش، إذ لو كانت تلك غايته لكان يكفي فاقد شهية الطعام أن يضيف إلى هذا وقتا لحين شعوره بألم المخمصة، أو أن يصوم جل يومه لبلوغ ذلك، لكن المعلوم من الشريعة أن الذي يزيد مدة الصيام متجاوزا سحابة النهار إلى عتمة الليل بلا عذر آثم في فعله، وإن كان يظن بتجاوزه زيادة الأجر أو كمال التقوى.

إن الذي يصوم دون عناء أو مشقة مراعيا شرائط الصيام وأركانه وآدابه، مأجور كالذي يكابد في صومه شيئا من التعب وتغير المزاج، إذ ليس الألم البدني الهدف من الصوم وإن كان وقوعه وارد بدرجات لا محالة، فإن الله تعالى عندما أمر بالصوم في قوله ﴿كتب عليكم الصيام﴾ لم يعلل ذلك بقوله: (لعلكم تتألمون)، وإنما قال سبحانه: ﴿لعلكم تتقون﴾ (البقرة:١٨٣)، فجعل سبحانه الصوم وسيلة لنيل التقوى وأداة في اكتساب ملكيتها، لأن التقوى هي الهدف الحقيقي من وراء الصوم، وبتحصيلها تؤتي أكلها بإذن ربها، وهي هدف مشترك بين جميع العبادات وكافة الطاعات، بيد أن للصوم بمظهرية المادي والروحي الأثر الأوسع والأعم في تحصيلها.

ومنزلة الصوم هي أعلى وأسمى مراتب التقوى، لما في الصوم من مخالفة الطبع ومزيد مقاومة الأهواء،



فكان أقرب الأعمال إلى الخلوص من الشوائب ومحبطات الأعمال، لذا كان الثواب عليه بأضعاف لا تدخل تحت حصر ولا عد، كما جاء في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فهو لي، وأنا أجزي به» (رواه البخاري ومسلم وغيرهما)، ومصداقا لقوله عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠) لما يشتمل عليه الصوم من درجات ومراتب الصبر وشدته.

إن ما يترتب على الصوم من كبح جماح الشهوات وحرمان كثير المألوفات لهو وسيلة إلى غاية نبيلة، هي قيادة النفس وامتلاك زمامها وكفها عن الأهواء والنزوات، فالصوم تدريب على سيادة النفس وقيادتها، حيث يجعل الصائم بصبره على صومه طائعا مختارا، كي يصبح غدا أقدر على الصبر والمصابرة في البأساء والضراء وحين البأس، وكما تعلم الصائم من صومه كيف ينتصر على نفسه اليوم، فلقد أصبح به أقدر وأقوى على أن ينتصر على عدوه غدا.

إن شريعة الصوم أشبه بشجرة جذعها الصبر، تنبت على جوانبه أغصان من الشكر، وتعلوها أوراق وثمار يانعة من الفكر والذكر والخلق الحسن، وتلك هي حقيقة التقوى التي تأمر بالكف واجتناب المحرمات، كما تأمر بالإقبال على الله بما يحب ويرضى.

فالصوم تخلية وتحلية وليس تخلية فقط، فلم يعمل فقط على إغلاق منافذ الحس عند الصائم وستر صوت الهوى في نفسه، لكنه في مقابل هذا يعمل على فتح لمسالك الروح، وإظهار وتمكين لكلمة الحق والهدى، ولقد وضع الإسلام مناهج محددة ورسم خططا مفصلة في تحقيق هذا، فجعل شهر رمضان موسما لفكاك الروح من عقالها، وانتشارا لها في آفاق البذل والسخاء والإيثار، كما كان حال النبي ﷺ في صومه؛ فلقد كان ﷺ أجود ما يكون في رمضان، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة. (متفق عليه).

والصائم في رمضان يتنقل في فضائل كريمة ويسرح في جنان القرب والمناجاة، حيث ينتقل من فضيلة الصبر إلى فضيلة الشكر اتباعا لإرشاد القرآن حين قال ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وأخذت روحه تسلك مدارج الذكر والجلال بعدما رسم لها الإسلام طريقه في قوله ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٥)، فأخذت تناجي وتسأل وهي تجول في ساحة القرب والجمال ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦).

ثم يختتم الصائم رحلة الصيام بإقباله على الله وانقطاعه له من خلال اعتكافه في العشر الأواخر من رمضان، مناجيا الله في لياليها بكلامه، ومدارسا لكتابه مع إخوانه، كما كان يفعل المصطفى من البشر محمد ﷺ مع المصطفى من الملائكة جبريل -عليه السلام-، فإن أعظم مناقب هذا الشهر الكريم وأخص المزايا التي تفرد بها عن سائر الشهور هذه الصلة الوثيقة بين رمضان وبين القرآن ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥)، فكان ذلك إشارة للصائمين أن يجعلوا لشهر رمضان من القرآن أوفر الحظوظ وأكثر الأوقات.

لقد كان لصيام رمضان ما يمتاز به عن سائر أنواع الصيام في الإسلام، فلم يترك لأحد الخيرة في تحديد موعد بدايته ونهايته، إنما أمر الله به في موسم معين من العام، وبمقدار محدد من الأيام، وعلى نسق واحد لا يختلف، وجعل الوفاء به على الأمة جمعاء، فلم يختص به فردا دون غيره، ولا فئة دون أخرى.

وما يجب أن يدركه الصائمون أن الصوم ليس مجرد رياضة روحية جافة، كما أنه ليس تجربة إنسانية من التراحم والتعاطف في حالات فردية ضيقة، لكنه رباط روحي يصل العبد بالله عز وجل؛ واتصال بينه وبين الأمة كلها، حيث يربط المؤمنين برباط الرحمة والرأفة، ويصهرهم جميعا في قالب واحد من الأخوة والتكافل.

والجانب الاجتماعي في الصيام لا يقل شرفا ولا خطرا عن الجانب الروحي فيه، لأن قواعد الإسلام تربط المؤمن بإخوانه المؤمنين كما تربطه برب العالمين -سبحانه-، وتجعل من العبادة شعارا للاتحاد يتحول إلى شعور بعد ذلك، هذا الشعور سرعان ما يصبح نارا ونورا، نارا تتأجج وتفري قلوب الأعداء كلما رأوهم متحدين متماسكين متآزرين، ونورا يسري في قلوب الأولياء والمحبين، يوصيهم بالحق والمرحمة، ويساندهم على الطاعة والمصابرة، ويحضهم على المسارعة إلى المغفرة وفعل الخيرات.

إن الاتحاد والمشاركة في الصوم زمالة في الجهاد، ورفقة في مكافحة الشدائد، وانصهار في بوتقة الاستجابة لأمر الله عز وجل، تعود منه قلوب الصائمين قلبا واحدا في جسد واحد، وهو ما يؤهل له صوم رمضان.



السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية

رمضان.. شهر تجديد الذات



مفهوم «التجديد» يمثل أحد المفاهيم الإسلامية الكبرى؛ التي عليها مدار الإسلام، ويرتكز عليها بناؤه الكلي في الإصلاح والتغيير والاستمرارية..

وإذا كان التجديد في أحد تعريفاته هو «إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما»[1]؛ فإن الإسلام- بمعنى الرسالة الخاتمة التي جاء بها النبي محمد ﷺ- كان تجديدا لرسالات الله جميعا؛ تصحيحا للتوحيد الذي قامت عليه وإحياء لما اندثر منه بالتحريف والتزييف، واستكمالا للأخلاق التي جاءت هذه الرسالات لترسيخها، ورفعا للحرج والمشقة والزيغ الذي أوقع الناس فيه أنفسهم.. فرسالة الإسلام من حيث المبدأ هي «رسالة التجديد».

وكما جاء الإسلام ليجدد ما سبقه من رسالات، فإنه قد شرع التجديد آلية تحافظ على استقامة مفاهيم الإسلام ذاته، وتصحح مسيرة المسلمين كلما تفرقت بهم السبل، وباعدت الأيام والأحداث بينهم وبين صفاء المنبع وصحة التوجه.

وقد جاءت السنة النبوية لتوضح أن هذا التجديد يكون على مستوى الفرد، بالمفهوم الإيماني وما يستلزمه من عمل صالح؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جددوا إيمانكم. قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله»[2].

كما بينت السنة أيضا أن التجديد يكون على مستوى الأمة؛ بالعودة الصافية

لكتاب الله تعالى وسنة نبيه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[٣].

إذن، «التجديد» مفهوم أساس وركيزة مهمة في البناء الإسلامي؛ بحيث يعمل هذا «التجديد» على المحافظة على المفاهيم والأسس الإسلامية، وينفي عنها ما قد يلحقها من فهم خطأ أو تفسير مجانب للصواب، بالإضافة لدوره في حفز الهمم، وتشجيع الإرادة، وطرد الغفلة، عن الأمة.

تجديد الذات في رمضان:

وإذا كان التجديد، مضمونا وآلية، على هذا النحو من الأهمية والمكانة والثمرة، سواء في تصحيح المفاهيم أو تصويب الخطوات؛ فإن شهر رمضان هو الشهر الأنسب لممارسة هذا التجديد للذات، فكرا وعملا وسعيا.

إن شهر رمضان له في ذاكرة الأمة مكانة لا يضاهيها سواه من الشهور؛ فهو شهر أنزل الله تعالى فيه القرآن على قلب نبيه محمد ﷺ؛ فكان ذلك إيذانا بانبعاث فجر جديد على الإنسانية التي طال ظلامها في الشرك والوثنية؛ كما كان إيذانا بميلاد الأمة الخاتمة صاحبة الرسالة المهيمنة على ما سبقها، الباقية حجة وهادية للناس إلى يوم الدين: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥).

وشهر رمضان هو شهر تزكية النفس والارتقاء بالروح في مدارج الكمال، والاتصال بالملأ الأعلى؛ فيه تتخفف الروح كثيرا من أثقال البدن، وتحلق في سماوات الطاعة، تلاوة للقرآن وتسبيحا واستغفارا؛ فتشعر وقد تخففت من الطعام، أنها أكثر قدرة على السمو، وأكثر قربا من الله تعالى.. فما خلق الإنسان لينشغل بالطعام والشراب، وليس بهما وحدهما يحيا.

إن الطعام والشراب وسيلة ليستبقي الإنسان ذاته، وليحافظ على جسده، وليستعين بهما على أداء رسالة العمران والإصلاح.. لكن الإنسان بالروح يحافظ على معنى إنسانيته، ومناط تشريفه، ومحور سعيه وحركته..

والأمر كما قال الشاعر أبو الفتح البستي:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته
لتطلب الربح في ما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وكما نحن بحاجة إلى محطات اليوم والليلة، وهي الصلوات الخمس، لنجدد بها أرواحنا، ونزكي أنفسنا؛ فإننا بحاجة أيضا إلى تلك المحطة السنوية، وهي شهر رمضان الكريم، لنستعيد صفاءنا، ولنرتقي نحو الإيمان، ولنوثق الصلة بالقرآن وبسائر أبواب الخير..

إن الإنسان من طبيعته ألا يقف عن نقطة ثابتة، لاسيما أنه يخوض صراعات عدة لا تهدأ مع النفس ومع الشيطان؛ وقد يتقدم أو يتأخر في هذه المعركة أو تلك، ويظل الأمر سجالا حتى يثبته الله تعالى ويرزقه النفس المطمئنة بالإيمان.. وفي هذه المعركة أو المعارك فإن شهر رمضان- بما فيه من نفحات وأعطيات- لهو خير الزاد الذي نتزود منه، وخير العطاء الذي نمتح من معينه الصافي لنرتوي ونشبع..

تجديد الذات الفردية:

ونحن بحاجة لتجديد الذات بمعناها الفردي، أي سلوك المسلم مع نفسه ومع الله تعالى ومع الناس من حوله؛ ليراجع خطواته، ويرتب أوراقه، وينظر فيما يحتاجه من عبادات يزكي بها نفسه، ومن خيرات ينفع بها من حوله.. فيخرج المسلم من «مدرسة رمضان» -كما سماها الرافعي- وقد تعلم الكثير، وارتقى في الكمالات، وأصبح على حال غير التي كان عليها قبل رمضان.

إن الفرد الصالح هو أساس بناء المجتمع، وهو اللبنة القوية الصلبة للعمران والحضارة.. صلاحا على مستوى الفكر والفهم، وعلى مستوى العمل والعلاقات.. وشهر رمضان، إن نحن فهمناه كما ينبغي، كفيل بإذن الله تعالى لتكوين هذا الفرد الصالح كأحسن ما يكون؛ فإن ما يحمله شهر رمضان من معان ودلالات، وما يتضمنه من عبادات ونفحات، ليجعل المسلم أزكى نفسا، وأقوم عقلا، وأرشد حركة، وأكثر فاعلية، وأنفع لنفسه وللآخرين.. فشهر رمضان هو، من زاوية عامة، عنوان على رسالة الإسلام كلها التي جاءت لتهذيب النفس، ولتصحيح الفكر، ولتقويم الجوارح، ولضبط الغرائز، ولترشيد الحركة، ولإشاعة الخير والمعروف؛ قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠). ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١).

والمسلم يستطيع أن يجدد ذاته في رمضان من خلال وسائل كثيرة، أهمها:

- استشعار معنى هذا الشهر الكريم وفضله وبركته.
- أداء الصيام كما ينبغي؛ إمساكا عن المحرمات والشهوات والشبهات.
- تزكية النفس ومراقبتها، والارتقاء بالجوارح.
- تمتين الصلة بالقرآن الكريم؛ قراءة وفهما وتدبرا.
- الاستزادة من النوافل، صلاة وتسبيحا واستغفارا.
- إطعام الطعام والإكثار من فعل الخيرات.
- صلة الرحم، والاجتماع معهم على الإفطار ما أمكن.
- الاعتكاف وتوثيق الصلة بالمساجد وتفعيل دورها.

فبهذه العبادة وغيرها يتهذب الإنسان، وتتزكى نفسه، ويتقوم سلوكه، ويتجدد على المستوى الفردي، ذلك التجدد الذي هو شرط أساس لصلاح الأمة، ولتجدد الذات على المستوى المجتمعي.

تجديد الذات المجتمعية:

وأما صلة شهر رمضان بتجديد الذات على المستوى المجتمعي، فإن ذلك يتضح من أمرين:

الأول: دور شهر رمضان في التجدد الفردي، كما أشرنا، وهو ما يصب في النهاية في التجدد المجتمعي.

الثاني: أن شهر رمضان يعيد للأمة فاعليتها، ويذكرها بما يجمعها ويوحدها، ويضعها أمام التصور الصحيح عن العلاقة بالحياة وملذاتها، والغرائز وضبطها؛ فإذا هي أمة ليست كسائر الأمم، تلهث خلف الماديات، لا هم لها إلا أن تعب من الحياة!

إنها أمة ذات رسالة، ولها غاية ومهمة. لقد شرفها الله تعالى بأن جعلها خير أمة أخرجت للناس، وفي ذلك تشريف كبير بقدر ما فيه من مسئولية ثقيلة؛ ولهذا ينبغي ألا تكون مثل الآخرين في إعلاء المادة واللهاث خلفها؛ وإنما تتخذ من المادة وسيلة لا غاية، وطريقا لا نهاية؛ وتدرك أن دورها هو إصلاح الأرض وتعميرها، والشهادة على الأمم وإرشادهم إلى طريق الله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (البقرة: ١٤٣).

وهذه الشهادة على الأمم لن تتحقق إذا كانت أمتنا مثل غيرها في تصورهم ورؤيتهم عن الحياة وعن الماديات.. بل يجب أن تحمل لهم مشعل الهداية، ونور الوحي الذي اختصها الله به؛ حتى يدرك كل إنسان غايته، ويصلح من سلوكه.

وشهر رمضان هو هذا الشهر الذي ينتظم فيه المسلمون في أفعال كثيرة تذكرهم بوحدتهم وغايتهم ووظيفتهم؛ وبما يجب أن يكونوا عليه من العلاقة مع الحياة، ومع المادة، ومع الغرائز..

ولهذا كان رمضان شهر تجديد للذات المجتمعية، بمثل ما هو تجديد للذات الفردية.. وشرعت فيه العبادات التي تقوي نسيج الأمة، كما شرعت العبادات التي تزكي الفرد؛ نرى ذلك في تلاوة القرآن وتدبره وفي الصلاة والقيام والتراويح، كما نراه في إطعام الطعام والإكثار من أوجه البر، وفي الإمساك عن الفسوق والوقوع في حقوق الآخرين.

عن عبد الله بن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن؛ فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[٤].

قال ابن حجر: «ومعنى (أجود الناس): أكثر الناس جودا؛ والجود الكرم، وهو من الصفات المحمودة. قوله: (فيدارسه القرآن) قيل الحكمة فيه أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود. والجود في الشرع: إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي؛ وهو أعم من الصدقة. وأيضا فرمضان موسم الخيرات؛ لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره، فكان النبي ﷺ يؤثر متابعة سنة الله في عباده. فبمجموع ما ذكر من الوقت والمنزول به والنازل والمذاكرة، حصل المزيد في الجود. وقال النووي: في الحديث فوائد؛ منها الحث على الجود في كل وقت، ومنها الزيادة في رمضان وعند الاجتماع بأهل الصلاح. وفيه زيارة الصلحاء وأهل الخير، وتكرار ذلك إذا كان المزور لا يكرهه، واستحباب الإكثار من القراءة في رمضان وكونها أفضل من سائر الأذكار؛ إذ لو كان الذكر أفضل أو مساويا لفعلاه»(٥).

هكذا نرى شهر رمضان الكريم موسما لتحقيق أحد أهم المفاهيم الإسلامية، وهو مفهوم «التجديد».. وذلك بممارسة هذا التجديد؛ سواء على مستوى «الذات الفردية» إصلاحا وتهذيبا وتزكية وفعلا للخيرات؛ أو على مستوى «الذات المجتمعية» تماسكا وصفاء وتقوية للنسيج المجتمعي وتذكيرا بالقواسم المشتركة لهذه الأمة؛ وهي قواسم كثيرة ينبغي أن نحافظ عليها وألا نفرط فيها..

الهوامش

١- عون المعبود، العظيم آبادي، (١١/ ٢٦٠).
٢- الترغيب والترهيب، المنذري، وقال: رواه أحمد والطبراني، وإسناد أحمد حسن، (٢/ ٢٦٨).
٣- صحيح أبي داود، الألباني، حديث رقم: (٤٢٩١).
٤- متفق عليه.
٥- فتح الباري، ابن حجر، (١/ ٣١).



عبدالله الظفيري
كاتب وباحث

رمضان.. فرصة التغيير الإيجابي

يحل علينا شهر رمضان المبارك في كل عام وهو محمل بالعطايا والخير والرحمة والفضل الكبير. يأتي هذا الشهر ليعلم الناس دروس في الصبر والبذل والعطاء والتضامن والتكافل الاجتماعي، وكبح جماح النفس البشرية عن الشهوات والملذات. شهر رمضان هو محطة تنقية القلوب والتوبة من الذنوب والقرب من الله تعالى بأعمال بر وخير كثيرة، تزداد في هذا الشهر بالصلاة والقيام والدعاء وقراءة القرآن وإطعام الطعام والصدقات والزكاة وغيرها من أعمال الخير الكثيرة التي لا يمكن حصرها. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣).

في رمضان يتغير الإنسان حتى لو لم يكن في نيته التغيير، لأن طبيعة هذا الشهر تفرض على الناس التغيير في أوقات نومهم ووجباتهم الغذائية وعاداتهم الاجتماعية. كما أن أجواء رمضان المفعمة في الروحانية والنفحات الإيمانية تشحذ الهمم وتقوي العزائم في اتجاه التوقف عن ممارسة بعض السلوكيات الخاطئة والحرص على القيام بالأعمال الصالحة التي تقرب الإنسان من ربه. ليس فقط في شهر رمضان يتحقق التغيير، لكن هذا الشهر يمثل أفضل فرصة مواتية لإصلاح الذات على صعيد الصحة الجسمانية والفكرية والسلوكية، ليكون رمضان محطة انطلاق الراغبين في التغيير وتطوير الإمكانات وتجاوز السلبيات وإصلاح الكثير من التصرفات والأفعال والطبائع السيئة. كثير من الأشخاص تغيرت حياتهم في هذا الشهر وتخلصوا من عادات سيئة وأفعال غير حميدة لازمتهم سنين طوال، وكان رمضان فرصة للتخلص من هذه التصرفات والطبائع السيئة إلى الأبد، فمن كان يدخن أقلع عن التدخين، ومن لم يتعود الذهاب إلى المساجد أصبحت كل صلواته في بيت الله، ومن كان لا يعرف قيام الليل اعتاد على صلاة الليل وأداء النوافل. وكذلك من كان يغش ويخدع ويكذب على الناس، تقوم سلوكه وتصرفاته في رمضان حتى إذا انقضى الشهر الكريم استمر في أعماله الحسنة وترك أفعاله وتصرفاته السيئة. شهر رمضان يتضمن الرحمة والمغفرة وفتح أبواب الجنة، فعلينا استغلال هذا الشهر بأفضل صورة حتى إذا مضى كانت حياتنا مليئة بالتغيير والإصلاح والتطوير الإيجابي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين».



بقلم: أحمد حسن
باحث دراسات إسلامية



رمضان التقوى

رمضان شهر التقوى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

والتقوى هي أجمل لباس يتزين به العبد، وأفضل زاد يتزود به المؤمن، والتقوى ميزان يوزن به الناس، وبه يتفاضلون، ولمنزلة التقوى أمرنا الله عز وجل بالتعاون عليها، والتقوى هي وصية الأنبياء والمرسلين.

ومن صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب إيمانا جازما، يعفون ويصفحون، يتحرون الصدق، فهم

أصدق الناس إيمانا، وأقوالا، وأعمالا، وهم الذين يعظمون شعائر الله، ويتقون الشبهات.

والتقوى مخرج من كل ضيق، وسبب لليسر في كل أمر، وسبب لمحبة الله -عز وجل، ومحبة ملائكته، والقبول في الأرض، وتيسير العلم النافع.

والتقوى سبب للحفاظ من كيد الأعداء ومكرهم، وهي سبب النجاة من عذاب الدنيا وشدائد الآخرة، وسبب لنزول البركات من السماء والأرض، ورفع البلايا والأزمات، وأهل التقوى يفوزون بأعلى الدرجات.

والتقوى هي امتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه، بفعل كل مأمور به، وترك كل منهي عنه حسب المستطاع.

ومما ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تعريف التقوى: «هي الخوف من الجليل، والرضا بالقليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل»[1].

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما: لباس التقوى: هو العمل الصالح[2].

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (البقرة:١٩٧).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله! من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم لله»[3].

وعلى قدر التقوى في القلوب يكون قرب العبد أو بعده من علام الغيوب.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة:٢)

ووصى النبي ﷺ معاذا رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن فقال: «يا معاذ! اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[4].

وقال تعالى يوصي عباده المؤمنين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر:١٨)

وعن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: «اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم»[5].

وكان أكثر دعاء النبي ﷺ: «اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»[6].

وكان يقول في دعاء السفر: «اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى»[7].

وقال رجل ليونس بن عبيد: أوصني، فقال: «أوصيك بتقوى الله والإحسان، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»[8].

وقال بعض السلف في وصف المتقين: «هم الذين منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، ومن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزما في لين، وإيمانا في يقين، وحرصا في علم، وعملا في حلم، وقصدا في غنى، وخشوعا في عبادة، وتجملا في فاقة، وصبرا في شدة، وطلبا في حلال، ونشاطا في هدى، وبعدا عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر، يبيت حذرا من الغفلة، وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة. ولله در القائل:

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد
فتقوى الله خير الزاد ذخرا
وعند الله للأتقى مزيد

الهوامش

١ – سبل الرشاد: (٤٢١/١).
٢ – معالم التنزيل: (٢٢٢/٣).
٣ – رواه البخاري، رقم: (٣٣٨٣).
٤– رواه الترمذي بسند حسن، رقم: (١٩٨٧).
٥– صحيح الجامع، رقم: (١٠٩).
٦– رواه مسلم، رقم: (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.
٧– رواه مسلم، رقم: (١٣٤٢).
٨– جامع العلوم والحكم:(١٦١/١).

د. محمد عطيه متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف



مدارج الصائمين

هذا الإنسان في تغير مستمر من الحسن إلى الأحسن ومن السيئ إلى الأسوء ومن سيء إلى حسن، وشواهد التاريخ والواقع تنبأنا عن هذه الحركة المستمرة للنفس الإنسانية ما بين الصعود إلى الآفاق العليا من الخير والهبوط إلى الدرك السفل من الشر، يرتبط الصوم بعدة قيم ترتقي بالفكر الإنساني وبالسلوك من هذه القيم:

١- قيمة الإخلاص:

فالله تعالى اختص عبادة الصوم بأنها له سبحانه وتعالى حين قال جل شأنه: الصوم لي، مع أن كل العبادات له سبحانه إلا أنه جل جلاله اختص هذه العبادة بإضافتها إلى ذاته المقدسة تشريفا لها وتنبيه للعابدين على أن يصعدوا إلى قمة الإخلاص ليكون لهم مكانا بين عباد الله الصالحين ومكانة في دنيا الناس، ومن تجليات عبادة الإخلاص أن الطالب يتعلم العلم لله فيبحث عن أسراره ويطلب المزيد منه، لا يتوقف عند المنهج الدراسي حفظا وفهما، بل يسعى إلى العلم الذي يرفع الله به عباده المؤمنين، يجتهد في الاحتفاظ بما تعلم وتطبيقه في دينه ودنياه، والمعلم لا يجعل الانتهاء من المنهج المقرر أكبر همه بل يسعى إلى تحبيب الطلاب في العلم وإكسابهم من المهارات العلمية والمعرفية ما يعينهم على فهم الحياة والقدرة على التغلب على صعوباتها ولن يكون ذلك من الطالب والمعلم إلا عندما تكون قيمة الإخلاص نصب أعيننا كيف تتغير نظرتنا إلى العملية التعليمية من عمل مجهد يحرم الطلاب من اللهو واللعب إلى عبادة يتقربون بها إلى الله ويسعون لنيل أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة.

وكل من يعمل في وظيفة عامة كيف يغيره الإخلاص الذي يتزود منه من خلال عبادة الصيام عندما يثقل عليه العمل ولا يجد من يساعده ولا من يقدر جهده حق قدره فيغيب عن حفلات التكريم حين يحضر من يحسن التزلف، كيف يدفعه الإخلاص أن يعمل بكل جهده ليرضى الله عنه قبل أن يرضى عنه الناس، كيف يحمله الإخلاص على أن يعمل حيث لا عين تراقبه ولا من يقف على رأسه، فارق كبير جدا بين عمل المخلص الذي يرضي ربه وبين عمل من يسعى لرضى الناس، الأول يتقن عمله وينجزه على أحسن ما يكون، بينما الثاني يحرص فقط على أن يظهر عمله بشكل حسن حتى لو كان العمل لم ينجز أو أنجز

بشكل ناقص أو على غير المواصفات القياسية، كيف تنقلنا عبادة الصيام من منزلة العاملين لمجرد العمل إلى منزلة المتقنين لعملهم القائمين به على خير الوجوه وبمثل المخلصين وإن كانوا قلة تقوم الأمم وتنهض.

٢- التقوى:

ومن القيم التي تغرسها عبادة الصيام قيمة التقوى، تلك القيمة التي تحث النفس على طلب الكمال وتجنب مواضع القصور، فلا يزال المسلم ساعيا إلى تكميل خلقه وتكميل علمه وتكميل عبادته واكتساب المهارات اللازمة طوال عمره واضعا نصب عينيه من استوى يوماه فهو مغبون بينما أولئك الذين يغيب عنهم مفهوم التقوى يبقون في أماكنهم والعالم يتحرك من حولهم، إن التقوى بمفهومها الواسع أكبر حافز على التغير إلى الأفضل فيما يتعلق بدين الإنسان ودنياه.

٣- الشكر:

في ختام آية الصيام أمرنا الله تعالى أن نشكره على نعمه والشكر يتطلب إدراكا لهذه النعم كيف تغير عبادة الشكر من أحوالنا حين نشعر بنعم الله تعالى، فإذا عرفنا هذه النعم أمكننا أن نستفيد منها، كم من صاحب موهبة يحتاج إلى اكتشافها يكتشفها بنفسه أو يسخر الله تعالى له من ينبهه على هذه النعمة، فيكون اكتشافه لهذه المواهب سبب لوجود خير كثير يعود عليه وعلى من حوله، وربما على البشرية بأسرها، فطريقنا إلى الشكر يمر بالإدراك وإدراك النعم ومن ثم محاولة استخدامها فيما يرضي الله وينفع النفس، والناس من أكبر عوامل التغيير في حياة المسلم، ثم إن إدراك النعم وشكر الله تعالى عليها سبب للراحة النفسية، وسبب للشعور بالغنى ودافع إلى الرضا وعدم التطلع إلى الآخرين، ثم إن شكر الله تعالى إذا تم على الوجه الصحيح أثمر حركة مباركة في المجتمع تعميرا وزيادة في الخير ونصحا وبرا بالقريب والغريب، بينما جحود النعم أو عدم الشعور بوجودها يتسبب في وجود إنسان سلبي بائس يائس يضايق الآخرين، فما أعظم أثر الشكر في تغيير حياة الإنسان إلى الأفضل.

٤- تربية الإرادة:

يستفيد المسلم من عبادة الصيام تقوية إرادته، وهي بداية التغيير وأول خطوة في طريق الإصلاح، فالله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، والتغيير أحد الغايات الإنسانية، لكن لا يستطيع القيام به إلا أصحاب العزائم والإرادة القوية.

ففي الصيام يترك المسلم حاجات أساسية أياما معدودات تتقوى فيها إرادته شيئا فشيئا حتى يملك نفسه في الغضب والرضا، وفي المواقف المختلفة، ويمنعها من الانسياق وراء شهوتها، ومن استطاع أن يملك أمره منع نفسه من الكسل حين يتطلب الأمر المزيد من العمل، ومنع نفسه من الاندفاع حين يتطلب الأمر المزيد من الحكمة، ومنع نفسه من الإسراف حين يتطلب الأمر المزيد من التوسط، وهكذا يترقى الإنسان في مدارج المجد لا تتحكم فيه شهوة ولا ينساق وراء من يزين له السوء أو يعده ويمنيه، كم أضاعت عبودية الإنسان لهواه عليه من فرص عظيمة ومنح إلهية وعطايا ربانية، بينما أولئك الذين يسعون إلى امتلاك إرادتهم يقبلون على الخير ويصبرون في سبيله حتى يعطيهم الله عز وجل ما يحبون في الدنيا والآخرة.

٥- تقدير الذات:

من أجمل ما قيل في تقدير الذات أن الشخص المنافق يحتقر نفسه ويحترم الآخرين لأنه إذا كان بين الناس سعى لأن يظهر بأجمل الأشكال وأحسن الأحوال بينما إذا خلا بنفسه لا يعينه أن يكون بأي حالة. تنمي عبادة الصوم احترام الإنسان لنفسه فلا تسمح له نفسه اللوامة أن يتجمل للناس بينما هو قبيح في داخله لا تسمح له أن يظهر بمظهر من يحرص على أكل الحلال، بينما هو يحتال على الآخرين ليأخذ ما ليس له ويخدعهم حين يتعامل معهم، لا تسمح له نفسه اللوامة أن يظهر بمظهر المتصدق بينما هو مانع للزكاة، لا تسمح له نفسه اللوامة أن يظهر بمظهر صاحب الخلق الحسن بينما هو سيء الطبع مع زوجته وأولاده ووالديه.

٦- استصحاب النية:

من بين ما تساعدنا به عبادة الصيام على التغيير استصحاب النية، والنية تكشف عن رؤية واضحة للإنسان فيما سيقوم به من عمل، فهي تميز بين العادة والعبادة وبين العبادات بعضها وبعض وكثير من الأعمال التي تتم بلا نية تكشف عن قصور في الرؤية وعدم بلوغ الهدف، لأن الهدف من العمل لم يكن واضحا أساسا بينما عندما ننوي نكون قد حددنا مقصودنا من العمل، وهذا لا يأتي إلا بعد تفكير استصحاب النية يساعدنا على التغيير ويبعدنا عن العشوائية في العمل ومع توجيه النبي ﷺ لنا بأهمية النية حين قال: إنما الأعمال بالنيات، نكتشف أن النية هي الطريق للوصول إلى أفضل النتائج في الدنيا والآخرة.

استشعار هذه القيم يكشف عن بعض معالم التغيير الذي ينتقل به الإنسان من محيط إلى محيط، ومن دائرة المعصية والكسل إلى دوائر الخير والحق والجمال سعيا إلى ما يرضي الله وينفع الناس.



د. محمد حسن بدرالدين
باحث في الفكر الإسلامي

الصيام و تحقيق الأمن والتقوى

من بركات شهر الصيام أنه يدفع باستمرار إلى كسر القيود التي تحيط بالفرد والمجتمع على حد سواء. فهو فرصة من الزمن المتفلت، يقتلعها الإنسان المسلم، ليعود إلى ذاته، يفجر مكنوناتها ويصلح بواطنها، عن طريق كسر الشهوات الضاغطة، وتقوية التحكم الإرادي في نفسه الأمارة بالسوء. وهو فرصة أيضا لتجميع قوى المجتمع، نحو هدف واحد في وقت واحد، لإعلاء كلمة الله وإحياء شعائره، تعبيرا عن أصدق مظاهر العبودية التي هي تجسيد لتقوى القلوب وسمو التوجه. قال تعالى مزكيا ذلك المنزع المتعالي: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢). وفضلا عن ذلك فإن شهر الصيام ظل على الدوام، فرصة للإقلاع عن العادات السيئة، وتحقيق التميز والتوحد، الذي شكل عقلية المجتمع الإسلامي، وبناءه العام، منذ قرون عديدة.

شهر رمضان فرصة لتأكيد الذات المسلمة:

تتاح في كل شهر من شهور رمضان للمسلمين، فرص تقوية ذاتيتهم الحضارية، وتحقيق انسجامهم، أمام



العالم، ليكشفوا مظاهر التماسك الاجتماعي بينهم، ويقدموا للعالم بأسره نموذجا حضاريا متميزا بمعالم الإيمان والالتزام بمطالب الصبر واليقين والخير والحكمة.

ولأن المطلوب الأكبر في الإسلام، هو عبادة الله سبحانه، تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ (الذاريات:٥٦-٥٨). فإنه يشترط في كل عمل يقوم به المسلم، أن يعطي مقصد العبادة أكبر مساحة في جدول تصميمه وعمله، لأن مفتاح الأمر كله، يعود إلى هذا الأصل.

ومعلوم أن فريضة الصوم هي أعمق عبادة. لأنها تحقق مجموعة كبيرة من المقاصد، منها: الطاعة والصبر على المشقة، وتقوية النفس بالصلاة والذكر والإنفاق، واستحضار عظمة الله تعالى، والإحسان إلى الناس، والنجاح في هذا الامتحان مدة شهر كامل، بفضل العزم والثبات على الطاعات.

وقد كان المسلمون ينبسطون في النفقة في شهر رمضان، باعتبارها عبادة مزدوجة في سبيل الله، اجتمع فيها الصوم والإنفاق، وفق ما قرره الإمام الحافظ ابن أبي الدنيا(ت٢٨١هـ) في فضائل رمضان[1].

والمشهور في الروايات المأثورة والصحيحة، أن رسول الله ﷺ كان أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان. وإن جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ، فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[2].

إن المؤمن يوحد الله في الشدة والرخاء، لا محالة، أما غيره فيوحده في الشدة والبلاء، دون النعمة والرخاء. قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ (العنكبوت:٦٥-٦٦).

واجب وسائل الإعلام أن تستغل شهر الصيام لتقدم أفضل الأعمال:

يفهم المسلم أن الغاية الكبرى من العبادات، هي دفع الإنسان ليعرف خالقه، ويعبده حق عبادته، عن طريق سائر الطاعات والقربات. فيكون بذلك قد سار في المنهج المطلوب الذي أرساه الرسل، منذ آدم إلى خاتم الأنبياء، عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.

إن شهر رمضان ينير ضمير الفرد المسلم، ويزرع قيم الرحمة والوحدة والانسجام في المجتمع. ويتيح هذا الشهر المبارك للنفوس مقدارا كبيرا من الصفاء الروحي، ويجعلها مهيأة أكثر من أي فصل آخر، للاستئناس بأنوار الدين وبركاته وجوائزه. وواجب الدعاة ووسائل الإعلام أن تستغل هذا الشهر لتقدم أفضل أعمالها التي يرضاها الله تعالى ويباركها، لا أن تتفنن في عرض ما يلهي ويصد عن سبيل الله. والله تعالى يحذر من هذا المسلك الذي عاقبته وخيمة: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ (إبراهيم:٣).

ولا ننسى في هذا السياق، التذكير بأن النفس البشرية تحتاج إلى مسلك الفكرة القريبة من الفطرة والوجدان، التي تقربها إلى ثمرات

الإيمان الصادق، وتذوق حلاوة الذكر والشكر، تمشيا واستجابة لقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة:١٥٢).

قال الإمام الطبري (ت٣١٠هـ) في تفسير هذه الآية: «يعني تعالى ذكره بذلك: فاذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إياي، فيما آمركم به، وفيما أنهاكم عنه، أذكركم برحمتي إياكم ومغفرتي لكم. والله سبحانه وتعالى ذاكر من ذكره، وزائد من شكره، ومعذب من كفره»[٣].

إسهام شهر الصيام في تحقيق الضبط الاجتماعي وتخفيض معدل الجريمة:

يعتبر هذا الشهر المبارك فرصة ملائمة لتحقيق التوازن النفسي، والشعور بالاطمئنان للفرد والمجتمع. ومن الملاحظ أن معدل السرقات والجرائم والعنف، تقل كثيرا في هذا الشهر. ونرجو أن تتولى جهات علمية وحقوقية مختصة، بتقديم إحصاءات حول هذا الموضوع، حتى يعرف الناس جميعا، أهمية هذا الشهر في ضبط المجتمع، ومحاربة مظاهر العنف والفساد، بدون رصد للأموال والأجهزة والعتاد المادي والبشري.

وربما كان ذلك تصديقا لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (الكهف:٨٨). إذ تقرر هذه الآية الكريمة، أن من استجاب لله تعالى وآمن به وعمل صالحا، فله العاقبة الحسنى في الآخرة، وسيعامله الله في الدنيا برفق ويسر، ويجعله يتذوق حلاوة الإيمان، فيجتنب النفاق والفساد والظلم. فيسعد هو، ويسعد المجتمع معه.

دور الصيام في دعم لباس التقوى:

أرشدنا القرآن الكريم إلى منهج قويم، في التعامل مع الصيام وسائر العبادات، وهو التمسك بلباس التقوى، في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف:٢٦).

مقتضى هذه الآية الكريمة أن الله تعالى زودنا بنوعين من اللباس:

الأول: لباس لسترة الجسد الظاهري، والوقاية من الحر والبرد.

والثاني: لباس آخر هو لباس التقوى، وهو أعظم وأهم من الأول، لأنه منحة إلهية. قد لا يقينا من البرد والحر، ولكنه يحمينا بالتأكيد، من هجمات الشيطان وتلبيسه. وهو يكره هذا اللباس، ويعمل جاهدا على نزعه من الكيان الروحي والديني للإنسان المسلم الموحد، لأن الذين آتاهم الله تقواهم، ويتمتعون بنعمة الإيمان والتقوى، يشعرون بأنهم يكتسون هذا اللباس الإلهي. وإذا ما وقعوا يوما في خطيئة، يهرعون إلى ربهم مستغفرين، خوفا من التجرد من هذا اللباس العظيم. وهذا ما حصل مع آدم وحواء، فقد هرعا إلى ورق الجنة، يستتران من فقدان لباس التقوى[٤].

إن كثيرا من الناس لا يعرفون هذا اللباس، نتيجة أعمالهم السيئة وتراكم الذنوب. ولكن بركات شهر الصيام تتيح لهم فرصة التزود بلباس التقوى، والسعادة بالقرب من الله تعالى، الذي قال في محكم تنزيله، موضحا أهمية التذكر والرجوع والإنابة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:٢٠١).

وإذا أيقن الصائم أن الله تعالى مطلع عليه في جميع حركاته وسكناته، قويت في نفسه صفة المراقبة، وعدل سلوكه. وهذا هو مفهوم التقوى في أعمق مظاهره، والذي جعله الله تعالى الثمرة الحقيقية للصيام، حيث قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣).

الهوامش

١ - الصنعاني، محمد بن إسماعيل (ت ١١٨٢هـ) التنوير شرح الجامع الصغير، تحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، ط١، الرياض، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م. ج٤، ص٢٧٣.

٢- القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) شرح صحيح مسلم المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م. ج٧، ص٢٧٣.

٣- الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م. ج٣، ص٢١٢.

٤- وحيد الدين خان (ت٢٠٢١م) حكمة الدين، ترجمة ظفر الإسلام خان، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، القاهرة، ١٩٧٨. ص٢٨.



عايد الجاسم
صحافي وباحث

رمضان.. شهر التغيير والتطوير

بتخطيط مسبق أو هكذا من دون ترتيب. كثير من الناس تتغير بالفعل في هذا الشهر حياتهم، ليس لأن ساعات العمل تختلف فقط، ولا لأن أوقات النوم والنظام الغذائي تتبدل، ولا حتى لأن طبيعة الحياة الاجتماعية تكون مختلفة، إنما لأن شهر رمضان هو فعلا شهر التغيير في حياة الإنسان المسلم، ومن أراد التغيير في حياته فلن يجد أفضل من هذا الشهر محطة انطلاق في رحلة التغيير المنشودة، سواء من جهة التقرب إلى الله تعالى أو بالتخلص من بعض العادات والسلوكيات السيئة أو في تنظيم الجوانب الصحية والجسمانية نتيجة تغير مواعيد الوجبات الغذائية وطول فترة الصيام عن الطعام.

تأثيرات شهر رمضان كبيرة وبالغة في حياة المسلمين، خصوصا أنه في هذا الشهر يكون الإنسان قريبا من الله تعالى بالطاعات والقربات والأعمال الصالحة الكثيرة التي لا يمكن حصرها إنما أثرها في النفس كبير، لكن شهر رمضان كغيره من شهور السنة أيامه تمر سريعا وربما أسرع من غيرها، فمن أراد اغتنام هذا الشهر والفوز في فرصة تغيير الذات وبناء شخصية جديدة خالية من السلبيات والطبائع السيئة، فعليه ترتيب أوقاته واستثمار ساعاته في اتجاه ما يريد تحقيقه من رغبة حقيقية وصادقة في التغيير، لأن من أهم أدوات تحقيق الإنجازات استغلال الوقت بشكل جيد وعدم ترك أي لحظة من دون الاستفادة منها، فالحذر من سرقة الوقت والتهاون والإهمال والتسويف في تنفيذ الأهداف. ولعل أولى خطوات النجاح هي الإصرار والعزيمة والهمة العالية لتحقيق أهداف التغيير الكثيرة، فمن دون رغبة صادقة لن يتحقق المأمول ولن تحصد الثمرات. جهود كبيرة تبذل ووقت ثمين يستنزف من أجل الوصول إلى تطوير الذات وتجاوز سلبيات الشخصية، لكن في شهر رمضان حيث يتغير نظام حياة المسلمين، فإن الفرصة تكون أكبر وأثمن من أجل تحقيق المكارم والفضائل وبناء شخصية إيجابية ومميزة ممتلئة بالخيرات والأعمال الصالحة. لا تترك شهر رمضان يمر أبدا من دون تحقيق هدف تجديد الذات وبناء شخصية جديدة. وكلما كانت رغبتك في التغيير مصحوبة بدعوة أشخاص آخرين لفعل التغير الإيجابي والتقرب إلى الله تعالى بما يحب من أعمال صالحة وأفعال طيبة وحميدة فإن الأجر يتضاعف، فالدال على الخير كفاعله.



د. محمد علي عبادي
عضو اتحاد كتاب مصر

شهر رمضان.. منهج التربية المتكامل



إن منهج الإسلام في التربية منهج ثرى، يتعامل مع الإنسان بوصفه كلا مركبا في ذاته، وهو تعامل لا يغفل جانبا من جوانب الشخصية الإنسانية، ولا يرجح كفة جانب على آخر، فهو يتعامل مع الكائن البشري بفطرته التي خلق عليها، ومن ثم لا يفرض عليه شيئا يتنافى مع هذه الفطرة، أو يطلب منه شيئا لا يتناغم مع تركيبه الأصيل. قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ (الروم: ٣٠).

شهر رمضان فرصة سانحة أمام كل مسلم لتطبيق ذلك المنهج، والاستفادة منه على النحو الذي أراده الله لعباده، فهو لحظة جلية لتربية النفس، ومعالجة عيوبها، والاغتسال من أدرانها، من خلال دعم نقاط الإيجابية، وتلافي نقاط السلبية في الشخصية.

وغير قليل من يغفل هذه الفرصة دون أن يستغلها بما يحقق نفعا لذاته ومجتمعه على حد سواء، فهذا الشهر الفضيل يفتح ذراعيه مؤذنا بسوق خير قد نصبت، وساحة فضل قد اتسعت، وذلك من خلال ما شرعه الله فيه من صيام وقيام وزكاة، وكل ركن من هذه الأركان كفيل بتربية إسلامية ناضجة على مثال فريد.

وتتجلى جماليات شهر رمضان في كونه يقدم للمسلم منهجا متكاملا يشمل جميع جوانب شخصيته ففيه تربية للروح وتربية للجسد وتربية للعقل وتربية للضمير وتربية اجتماعية على نحو أصيل وفريد للشخصية المسلمة، وهي خطوط تتلاقى في النفس الإنسانية، حينما تدعم الجوانب الإيجابية، وتدحض الجوانب السلبية، في وتيرة متناغمة وسيمفونية إيمانية عذبة يعزفها المسلم في رمضان.

تربية الجسد

تعنى التربية الإسلامية بالحفاظ على الجسد، بوصفه أحد الضرورات الخمس التي ينبغي الحفاظ عليها في الشريعة الإسلامية، فالإسلام يلزم المرء بوقاية جسمه، وحفظه من كل العلل والآفات التي يمكن أن تصيبه،

والامتناع عن كل ما يضره، ويخطئ من يظن أن رمضان هو شهر الموائد المنزلية، والتكالب على الأطعمة والمشروبات التي يستعيض بها عن مدة صيامه، فالإسلام لا يدعو إلى مثل هذه المظاهر البراقة الخادعة، إنما الدين توسط واعتدال، بلا غلو ولا تفريط.

ولقد نبه الرسول الكريم ﷺ إلى خطورة الامتلاء حيث يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم آكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» (رواه الترمذي).

ولا شك أن للصوم فوائد جسدية عديدة، ففيه راحة للجهاز الهضمي ساعات كل يوم، وفي رمضان يحرق الجسم بعض مخزونه من الدهون، وضرر الدهن في الجسم مؤكد، وخاصة في الشرايين، ومن المؤكد علميا أن القليل من الطعام خير من الكثير، وقد يتوهم البعض أن الصوم يقلل نسبة استفادة الجسم من الغذاء، وهذا الوهم لا صحة له، لأن الصوم عبارة عن تغيير عادات الطعام ومواعيدها خلال شهر رمضان، ويجمع الأطباء على فوائد الصوم الجسدية للناس الأصحاء، أما المرضى فلهم أحكامهم الخاصة وأبيح لهم الفطر[1].

تربية الروح

الروح.. تلك الطاقة الخفية التي لا نعرف كنهها ولا طريقة عملها، وهي وسيلتنا للاتصال بالله، وهي مهتدية إلى الله بفطرتها، لكنها قد تضل وتنحرف، وتتغبش رؤيتها حينما تتراكم عليها سبل المادية والإغراق في الشهوانية، ومن ثم تبقى في حاجة ماسة كي تشف وتجلو غبارها، مما يجعلها مهيأة لهذا الاتصال اللطيف بخالقها.

ومن هنا يسنح الجو الإيماني لشهر رمضان لتلبية مطالب الروح، ونبذ الشهوات، والكف عن الرذائل، تلبية من شأنها أن تدعم الصلات بالخالق الواحد، حيث يكون المسلم في شغل دائم بما يكتب لصومه القبول، والابتعاد عن كل مؤثر قد عملية القبول هذه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة المائدة: ٢٧).

تربية العقل

إن الصيام بما يمليه على المسلم من من الامتناع عن شهوتي البطن والفرج، والإقبال على قراءة القرآن ليفتح الباب أمام العقل للولوج في عوالم التدبر والتفكر في ملكوت الله، وهذا التدبر وصفه ابن قيم الجوزية بأنه رأس الأمر وعاموده، حيث يستولي على الفكر ويشغل القلب، فإذا صارت معاني القرآن مكان الخواطر من قلبه، وجلس على كرسيه، وصار له التصرف، وصار هو الأمير المطاع أمره، فحينئذ يستقيم سيره، ويتضح له الطريق، وتراه ساكنا وهو يباري الريح[2].

ولا شك أن هذا فرصة قوية لإعمال العقل والبحث في مجالات العالم الأصغر وهو النفس والعالم الأكبر وهو الكون، بما يكفل عقلا ناضجا باحثا عن الحقيقة، وتقديم الخير الذي ينفع البشرية كلها، وبناء عقلية نافعة تعمر لا تدمر، وتبني لا تخرب، وتنبذ عن الإنسانية سوءاتها التي خلفتها عقول لا تعي مهمة الاستخلاف، وصيانة النفس البشرية.

تربية المجتمع

إن فلسفة الصوم العميقة لخير دليل على هذا البعد الاجتماعي الذي عناه المشرع، فالمسلمون أفراد أسرة واحدة، يتعاونون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، آخذين بيد بعضهم في السراء والضراء، يعطي غنيهم فقيرهم، ويساعد واجدهم محتاجهم، ويحمل قويهم ضعيفهم، وهي سمة تظهر جلية في رمضان، وتتجلى لنا بوضوح وقت النوائب والأزمات، وهذا هو جوهر التكافل الاجتماعي الذي عناه الإسلام.

ولله در شوقي حين يقول في حكمة الصيام: « الصوم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة، يكسر الكبر، ويعلم الصبر، ويسن خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، وحرم المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، والجوع كيف ألمه إذا لذع».

وشهر رمضان في مجتمعاتنا العربية دائما ما يذكرنا بهذا البعد الثري، فنرى صورا عديدة، ومواقف مجيدة لهذه اللحمة والترابط المجتمعي، فتتباين صور العطاء والبذل والسخاء والإطعام والصفح والإكرام، لتصب فى بوتقة البناء الاجتماعي، بما يحقق نهضة تنموية ومجتمعية رائدة.

وختاما تتلاقي خيوط التكوين البشري فى نسق فريد تسوقه لنا تجليات الصيام في شهر رمضان مؤكدة على نمط فريد ومنهج رباني شامل لأبعاد التربية للإنسان المسلم..

الهوامش

١- مجلة رابطة العلماء السوريين الالكترونية: مكانة الصوم في التربية الإسلامية.

٢- ابن قيم الجوزية: زاد المهاجر، تحقيق سيد إبراهيم (ص: ٤١).



أحمد عبدالمنعم عيد
كاتب وباحث إسلامي

الصيام واكتشاف الذات

خلق الله الإنسان، وجعل الأرض مستقرا له، فيها يحيا، وفيها يموت، ومنها يخرج، ويبعث بأمر الله -تعالى-، وهذه الفترة وإن كانت بالنسبة للإنسان هي فترة بسيطة، لكن في هذه الفترة يواجه الإنسان الكثير من الأمور التي تعيقه، أو تجعل حياته أو رغبته في تحقيق ذاته والتعبير عن وجوده وإنسانيته أمرا صعبا، مما يحمله على الشك في نفسه وقدرته.

والإنسان غالبا إن لم يكن له معين في هذه الحياة يضعف في مواجهة نفسه، ويتمكن منه شيطانه، ويسوسه هواه، فكان من -رحمة الله تعالى- أن جعل للإنسان ما يساعده على مواجهة تلك المعوقات، أو ما أطلق أهل البحث والحكمة عليها أعداء، وكانت معونة الله -تعالى- للإنسان من خلال الرسل وما أوحى إليهم من منهج يضبط الحياة، ويشعر الإنسان بذاته، ويجعل الإنسان يحيا لديه إدراك لقيمته، ويقين بقدرته على الرقي بنفسه ومواجهة أي شيء.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

فالله -سبحانه وتعالى- أخبر أن من غايات بعثة الرسول ﷺ أن يزكيهم في أنفسهم وأخلاقهم وتصرفاتهم ليصبحوا جديرين بالخلافة على أرض الله -سبحانه وتعالى- وتتحقق هذه التزكية من خلال ما فرضه الله تعالى على عباده من الطاعات وما نهاهم عنه من معاصي.

والتزكية هي الغاية الثانية من دعوة رسول الله ﷺ، فبعد أن يستقيم العبد اعتقادا، يستقيم نفسا وسلوكا في تعامله مع نفسه ومع الناس، ويرقى بنفسه، ويعلو بقدره فوق كل مالا ينبغي أن يقارفه أصحاب المروءات.

وتظهر أهمية التزكية من خلال آيات القرآن الكريم، فعندما دعا الخليل ربه أن يبعث في أهل مكة من يتلو

عليهم آياته، ويعلمهم الكتاب والحكمة قدم التعليم على التزكية ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩).

وتقديم الله تعالى التزكية على التعليم فيه دلالة على أهمية التزكية وأنها أساس فلاح النفس إن زكت، وإذا دست خاب وخسر صاحبها ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ (الشمس: ٧ - ١٠)

يقول ابن كثير -رحمه الله-: «يزكيهم أي يطهرهم من رزائل الأخلاق ودنس النفس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعلمهم الكتاب وهو القرآن، والحكمة وهي السنة، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، فكانوا في الجاهلية الجهلاء فانتقلوا ببركة رسالته ويمن سفارته إلى حال الأولياء وسجايا العلماء، فصاروا أعمق الناس علما، وأبرهم قلوبا، وأقلهم تكلفا، وأصدقهم لهجة»[١].

وقال أيضا في تفسير آية آل عمران: «يزكيهم أي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم، وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم»[٢].

وقال صاحب البحر المحيط: ««ويزكيهم» باطنا من أرجاس الشرك وأنجاس الشك متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم»(٣).

من خلال أقوال المفسرين ندرك أن الله أرسل رسوله ليزكي الناس، وجعل العبادات وسائل لتحقيق هذه الغاية العظمى التي تأتي ضمن غاية بعثة رسول الله ﷺ أو غايات الدعوة الإسلامية.

والصيام من الفرائض التي فرضها الله تعالى على الإنسان ولها تأثير عظيم في تزكية نفس الإنسان ومساعدته على اكتشاف ذاته.

فهو يعود الإنسان ويربيه على الصبر وقوة التحمل فيقهر بذلك النفس التواقة إلى كل شهوة، والتي تتعب الفرد لتحقيق كل رغبة، فهو يمتنع عن الطعام والشراب والجماع في نهار رمضان طواعية إذا خالط الناس أو خلا بنفسه يمتنع عما أحل الله له شهرا كاملا فرحا بهذا العمل مسرورا به، إن راودته نفسه ذكره صومه فعاد وامتنع.

وفي هذا بيان أنه ليس بالعاجز الذي يستعبده هواه، وتسوقه نفسه الأمارة بالسوء، بل الإنسان فيه قوة كامنة، ويستطيع أن يقهر كل مذلة، ويترفع فوق كل نقيصة، والدليل أنه لما طلب الله منه الامتناع عن الحلال امتنع، ومن يكون في مقدوره ذلك فهو أقدر على الامتناع عما حرم الله -تعالى- فقد كشف الصيام له عن معدنه الذي ظنه ضعيفا تلويه أي شهوة، وتثنيه أي رغبة، فإذا به فذ ذو إرادة قوية، إن فطن إليها لا تلين، أو تضعف، وتستطيع مواجهة الأهوال.

وإذا كان الصيام كشف عن جانب مضيء في ذات الإنسان، فإنه يكشف عن جانب آخر لهذه الذات وهو العلو والرفعة، فالله -سبحانه- يباهي بخلوف فم الصائم المتغير من الجوع يقول النبي ﷺ «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[٤]، أي علو وارتفاع وأي قدر يصل إليه الصائم خلوف فمه أطيب عند الله؟! حسبها كلمة تبين علو المسلم وقيمته وتوجه نظر الإنسان إلى ذاته وسموها وأنه لا بد وأن يكون على قدر هذا العلو هذه اللمحة تشعر الإنسان بقيمته وتحدد شكل تصرفاته وتعاملاته مع الناس، فإذا عابه الناس نظر إلى مقداره وأنه لا يجوز أن ينزل عن هذا القدر، فلا يعيب من عاب ولا يرد الإساءة بمثلها، بل عليه أن يدفع السيئة بالحسنة والجهل بالحلم، فإذا انحط الناس بتصرفاتهم علا وترفع بصومه، عن أبي صالح الزيات، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم»[٥].

إني صائم كلمة تدل على أن الإنسان من أول لحظة في صيامه يدرك من هو إني صائم فعلي أن أكون فوق كل نقيصة إني صائم فمي عند الله مع تغيره أطيب عند الله تعالى من ريح المسك فهل مثلي يفرط في هذا المقام.

بهذا الفهم يصبح الفرد متفردا قولا وفعلا فإذا كان يوم القيامة جعل الله تعالى له التميز والتفرد بين الناس فيجعل له وللصائمين مثله بابا خاصا بهم يدخلون جنة الله تعالى منه إذا دخلوا أغلق الباب دونهم، عن سهل رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»[٦].

الهوامش

١- تفسير القرآن العظيم (٤٦٢/١).
٢- المصدر السابق (٢٦٢/١).
٣- البحر المحيط (٦٢٨/١).
٤- أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٥٩٢٧).
٥- أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (١٩٠٤).
٦- أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (١٨٩٦).

القاهرة - الطيب حسين
دار الإعلام العربية





رمضان وإحياء الذات

للصوم فوائد عدة، ومنافع جمة، لا يعود أثرها على الصائم فقط، وإنما يمتد للمجتمع، وينعكس عليه في السلوك الفردي والجماعي، لما له من دور في إكساب النفس جملة من الصفات الإيجابية، سواء على الصعيد الإيماني أو الصحي أو النفسي.

كل هذا يجعل إبراز هذه الأدوار أمرا ملحا، وبيان هذه الآثار مطلبا أكيدا، شرعا وعقلا، لهذا جُلنا عبر السطور التالية، رفقة عدد من العلماء والمتخصصين، لنجلو هذه المعاني المضيئة، ونستكنه هذه المقاصد المحمودة، ونبحث عن عملها في النفس، وكيفية الاستفادة منها.

يقول الدكتور محمد عز الدين عبدالستار، وكيل وزارة الأوقاف المصرية لشؤون الدعوة سابقا، إن الصيام من أركان الإسلام الخمسة، يقول الرسول ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» (رواه البخاري ومسلم)، ويقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣).

والله -سبحانه وتعالى- خلق في نفس الإنسان نوازع للخير، ونوازع للشر، حيث يقول جل جلاله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (يوسف:٥٣)، وأقسم سبحانه وتعالى بالنفس عندما قال: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾ (القيامة:١-٢)، والنفس اللوامة هي التي تلوم على العمل؛ إن خيرا تلومه لم لم يزد منه، وإن شرا تلومه لم فعله. وهناك النفس المطمئنة، التي أثنى الله تعالى عليها:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ (الفجر:٢٧).
كل هذا يشير إلى أن النفس أنواع، وليست شيئا واحدا يكون لها التوجيه وعليها القياس، وإذا وعينا هذا عرفنا أهمية الاعتناء بهذه النفس وتزكيتها. ومن أهم الأمور الفاعلة في هذا الجانب، والتي لها أثر كبير، العبادات، لا سيما الصوم.

من أهم العبادات تهذيبا للنفس

وأضاف عبدالستار أن الصوم من أكثر العبادات أثرا في ترويض النفس وتربيتها، وهو من الأشياء المهمة في تبني الأخلاق الحسنة، واكتساب الصفات المحمودة، وتنوع العبادات والحرص على أدائها بما يقبله الله، لتزامنها مع الصوم وما يتخلله من مشاعر وفيوض إيمانية، يكون له بالغ الأثر على العبد.

وتابع: إذا عرفنا هذا، فإننا نوقن أن الصوم من أهم العبادات التي تهذب النفس، وتجعلها مستقيمة، كما أن الغاية من الصيام هي تقوى الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)، فتقوى الله هي الهدف وهي الغاية، وتقوى الله تمنع الإنسان عما يغضبه سبحانه وتعالى، وتدفعه إلى فعل ما أمر الله به، والإحسان إلى عباده، والالتزام بحسن الخلق، ومكارم الأخلاق بكل أنواعها، لأن الإنسان يصوم عما أحل الله، فمن باب أولى أن يمتنع عن غيرها من الأمور المحرمة، مما يكون له أعظم الأثر في تهذيب النفس وتزكيتها، حتى إن النبي ﷺ وصى الشباب بالصوم عند العجز عن الزواج، فقال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء» (متفق عليه).

وأكمل أن الصوم يهذب أخلاق الشباب، ويهديهم إلى الراشد من القول والفعل في هذه الحالة، ويدفعهم إلى تقوى الله جل وعلا، كما أنه ﷺ قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم» (متفق عليه)، كل هذا يؤكد دور الصوم في تهذيب النفس الإنسانية، لما أمرها الله سبحانه وتعالى به من الصيام، وحتى يكون الصيام مقبولا، فعليه كبح لسانه وأعصابه.

د. محمد المحمدي الماضي: أهم أمرين يحققهما الصوم، قوة الإرادة والرقابة الذاتية

وأشار عبدالستار إلى أن الحديث المشهور، الذي يقص حالة المرأة التي مع صلاتها وصيامها، لكنها تؤذي جيرانها بلسانها، دليل على ضرورة أثر العبادات في تزكية النفس، يقول الحديث: «قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها؟ قال: هي في النار»، فهي صامت وزكت وصلت، لكن لم تزك نفسها بالعبادات التي أمر الله بها، لأن العبادات ضمن أحكام مشروعيتها تزكية النفس.

٤ طاقات تتحكم في النفس

بدوره، أكد الدكتور محمد المحمدي الماضي، أستاذ ورئيس قسم إدارة الأعمال الأسبق بكلية التجارة جامعة القاهرة، إن النفس البشرية تتحكم فيها ٤ طاقات، طاقة جسمانية، وطاقة روحية، وهما الأساس المكون للبشر، أي الروح والجسد، وهناك الطاقة النفسية والطاقة العقلية، موضحا أنه تتوقف فعالية أي إنسان، في أدائه، على درجة التوازن الداخلي لكل واحدة، وعلى إدارة هذه الطاقات بشكل مستمر ومتجدد، فلو تريد قياس أي فعالية، فأي طاقة من هذه الطاقات إذا حدث بها خلل، فإن هذا سيسفر عن نتائج سلبية، فالإنسان على حسب توازن هذه الطاقات بداخله تحدث له الكفاءة والفعالية، ويصبح أداؤه متميزا، وقدرته على تحقيق الأهداف تصبح أكثر، وأقل تكلفة.

وأكمل: هنا لنا أن نتساءل عن علاقة الصيام بهذه الأمور، أو صوم رمضان تحديدا، مشيرا إلى ارتباط وثيق بين الجانبين، لكون شهر رمضان له أكثر من بعد، فأول أمر يعمل عليه الشهر الفضيل هو البعدان الروحي والجسماني، فإن الصوم يرتقي بهما

بشكل واضح ومركز، ولم يحدث له أي مثيل في أي عبادة في العالم، فالصيام هو عدد من الساعات المتصلة التي قد تصل إلى ١٦ ساعة في اليوم في بعض الأحيان، وصيام كامل، بما يعني إعادة النظر في حاجة الجسم تماما، وخلاله تصبح الطاقة الجسمانية على أعلى مستوى، رغم أن اسمه صيام وهناك امتناع عن حاجة النفس للطعام والشراب وما إلى ذلك.

أنماط سلوكية إيجابية

وأكمل أنه بالنسبة إلى الجانب الروحي، فالصيام عبادة، هو نفسه عبادة، يرتقي بالروح، الأمر الآخر أنه ترتبط به مجموعة عبادات أخرى لا توجد إلا في الصيام في رمضان، مثل ليلة القدر، وكثرة قراءة القرآن، والتهجد جماعة، وأداء الصلوات الخمس في وقتها وجماعة في المسجد على الأغلب عند أكثر الناس، ستجد أن صلاة الفجر مثل الجمعة، والعشاء والتراويح، فهنا الجانب الروحاني يرتقي إلى سببين، بسبب هذه العبادات، وبسبب جماعيتها في الوقت نفسه، لأن الجانب الجماعي يرفع الحالة المعنوية والنفسية، ويحدث تلاحما اجتماعيا.

وتابع: «إذن الصوم يعمل على الجانب الروحي على أعلى ما يكون، والجانب الجسماني، والجانب النفسي، لكن ما هو أهم جانب نفسي يرتفع في الصيام؟ أهم شيء يرتفع هو الإرادة، قوة الإرادة، وأبرز مظاهرها أن الأشياء المباحة الصحيحة المفيدة للإنسان تصبح محرمة عليه، كذلك هناك تقوية الرقابة الذاتية،

د. إبراهيم مجدي: يربي النفس على تجنب الشهوات واكتساب الطاقات

فالصائم هو رقيب نفسه، أهم أمرين يحققهما الصوم هما قوة الإرادة، والرقابة الذاتية، لأنه لا أحد يراقبه في الصيام نهائيا، إلا الله. وهناك أيضا التقوى، منع نفسه عن أشياء يحبها رغم أنها مباحة، وهو في شدة الحاجة إليها، فالأولى امتناعه عن أمور محرمة عليه، مثل غض البصر، أو السلوكيات غير الجيدة، مثل التدخين، والسهر، والعادات السيئة في الطعام، فإذا كان هو صادقا في الصيام، فسينمي عنده جانب الرقابة الذاتية، وهذا جانب مهم جدا، حتى على مستوى الإدارات والشركات ومؤسسات العمل، لأن أي موظف إن لم يراقب نفسه، فإن أعتى الأنظمة الرقابية وأقواها في العالم، لن تستطيع مراقبته ١٠٠ في المئة، فأعظم المراقبة أنه يراقب ذاته ويتقي الله، وهذا يتحقق بالصوم، ويخشى الله بالغيب، يقول الله تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ (ق:٣٣)».

وأضاف أن قدرة الصائم على التحكم في ذاته، والسيطرة عليها، تعني قوة إرادة، وهي تعني إدارة ناجحة للإنسان في أمور حياته كلها سواء على الصعيد المهني أو الصعيد الأسري، ولن يكون هناك إنسان قادر على النجاح في الإدارة من دون إرادة قوية وحقيقية، فالإدارة تحتاج إلى إرادة، والاثنان معا تحتاجان إلى تقوى، وهو سيكتسب الابتعاد عن عدة صفات، مثل عدم إدارة الوقت، عدم النظام، العشوائية، عدم التخطيط، أما الصوم فإنه يعزز الملكات القوية لدى الصائمين، وعلى سبيل المثال، لا توجد قوة على وجه الأرض تجعل الناس يفطرون في وقت واحد، ويمتنعون عن الطعام في الوقت نفسه، ويستيقظون للصلاة في الوقت نفسه، ويجتمعون لها في الوقت نفسه.. وكل هذا يحدث في شهر رمضان، تجد الشوارع خالية ساعة الإفطار، قمة العمل الجماعي المنضبط المنظم بشكل يصعب تطبيقه بأي آلية، عملية ضبط تنظيمي عام للسلوك المجتمعي بالكامل، الذي يعتبر أصعب شيء في التغيير، في المرور، في النظافة، في السير بالشارع، ما المشكلة إذن أن نظل منظمين في حياتنا دائما بهذا الشكل، هو أعطاك نموذجا عمليا، فالأجدى والأنفع والأقرب للعقل تبنيه طوال العام.

طاقات إيجابية

وفي هذا الإطار، قال الدكتور إبراهيم مجدي، استشاري الطب النفسي بجامعة عين شمس، إن هناك عدة جوانب مهمة في الصوم، على صعيد السلوك الفردي أو الجماعي، منها دوره في تربية النفس على الابتعاد عن الشهوات، والشعور بالفقراء، واكتساب طاقات إيجابية من مراكمة الأعمال الصالحة وكثافتها في شهر رمضان، فضلا عن الجو الذي يسود بفعل أمور مثل الاجتماع على الإفطار، وصلاة التراويح، والصوم في وقت واحد لجميع الأفراد، مما يحدث نوعا من الألفة الاجتماعية،

ويساهم في وجود طاقة روحانية عالية.

وكشف أن خلافا لما هو شائع بالنسبة إلى تناول الطعام، فإن القليل منه له فوائد جمة، تبدو في الصوم بشكل أكثر وضوحا، لأن الطعام القليل يعتبر عاملا مساعدا في التفكير بنقاء، واتخاذ القرارات الصحيحة، بالإضافة إلى الروحانيات السائدة في الشهر المبارك، والتي لها آثارها في العلاقات الإنسانية، مثل التسامح والمودة والصفح، وزيادة شعور التآخي، مشيرا إلى أن كل هذا نخلص منه إلى أن الصوم، كحالة، يسمو بالنفس، ويرتقي بها، ويدفع إلى التصالح معها، وكل هذا ينعكس على الصحة النفسية، هدوءا تاما، طمأنينة، ودا وحميمية مع الجميع، كل هذا يخرج به الصائم من شهر الصوم.

وأضاف أن الصحة النفسية، التي يطلق عليها الراحة النفسية، هي التي تجعل الصائم أكثر طاقة وإيجابية واستمتاعا بالحياة، مشيرا إلى أن هناك عدة مراجع وأبحاث تؤكد دور الروحانيات وطقوس العبادة في وجود نفس سوية مطمئنة هادئة، لا تعاني قلقا، أو مصابة بأمراض مما هو شائع الآن، مصداقا لقوله تعالى في الحديث عن الراحة النفسية وهدوء النفس والاطمئنان: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨).

حماية من الأمراض

بدورها، قالت الدكتورة جيهان أحمد الدمرداش، اختصاصية التغذية العلاجية والسمنة بالمعهد القومي للتغذية، إن هناك ارتباطا واضحا بين الصوم والصحة الجسدية، موضحة أن الصوم يعمل على تنشيط خلايا الجسم.

د. جيهان الدمرداش: صحيا.. يعزز المناعة ويحسن أداء الجهاز الهضمي

وعدت الدمرداش أكثر من فائدة للصوم، مثل حمايته للجسم من عدة أمراض، خصوصا مع استمراره لساعات طويلة، لأنه يقوي جهاز المناعة، ويقوي عضلة القلب أيضا، ويحسن من أداء الجهاز الهضمي، ويبعد الإنسان المعرض للإصابة بأمراض الضغط أو الكوليسترول عن هذه الأمراض.

وكشفت أنه حتى على الصعيد النفسي، فإن هناك أدوارا عديدة للصوم، موضحة أنه يساعد على الاسترخاء والقضاء على التوتر والقلق، كما أن الذاكرة في الصوم تتحسن، ويُحدِث تنظيما لما يتناوله الجسم من أطعمة، كما يساعد على التخلص من السموم.

وهناك عدة نصائح توجهت بها إلى الصائمين بشأن الصوم وتناول وجبات الإفطار، جاءت على النحو التالي:

تناول طعام الإفطار بعد أذان المغرب مباشرة، وتجنب تأخيره إلى ما بعد ذلك.

حاول قدر الإمكان تناول عدة وجبات صغيرة بدلا من تناول وجبة واحدة كبيرة جدا.

تناول في بداية الإفطار ٣ حبات من التمر.

الشوربة على الإفطار من أبرز وأهم الوجبات التي ينصح بتناولها بعد صيام يوم طويل وبعد التمر لتعويض الجسم بجزء من السوائل المفقودة خلال النهار.

احرص على شرب كوب من العصير غير المحلى.

بدء وجبة الإفطار بالأطعمة التي تزود الجسم بالسوائل والمعادن، ومن بعدها تناول أطعمة غنية بالبروتين.

تجنب تناول اللبن الزبادي على معدة فارغة، لأن حمض هيدروكلوريك أسيد الموجود في جسمك يقتل البكتيريا الجيدة الموجودة في اللبن.

ابتعد عن الأطعمة الغنية بالتوابل الحارة على معدة فارغة لأنها تحفزها على إفراز كميات كبيرة من الأحماض التي تؤدي إلى آلام في المعدة.

لا تبدأ الإفطار بتناول المشروبات الغازية الباردة على معدة فارغة، لأنها تقلل من وصول الدم إلى المعدة، فتصبح بالتالي عملية الهضم بطيئة.

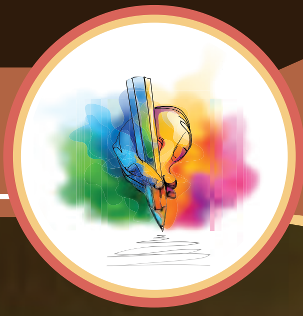
اكتف بشراء نوع واحد من الحلويات وتجنب أكلها مباشرة بعد الأطباق الرئيسية على فطور رمضان.

لا تخلد إلى النوم مباشرة بعد تناول فطور رمضان.

أكثر من شرب الماء، فالمياه تحرر السموم من جسمك.

لا تشرب الماء المثلج مباشرة بعد العطش الشديد طوال النهار، لأنه يؤدي إلى مغص حاد ناتج عن تقلص عضلات جدار المعدة.

تناول ما لا يقل عن ٨ أكواب من الماء على مراحل طوال ساعات الإفطار حتى لا تشعر بالانتفاخ.



د. عبد الناصر سلامة
باحث دراسات إسلامية

نحو اغتنام أمثل لشهر رمضان

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يفاضل بين الأوقات، ويرفع بعضها فوق بعض درجات[1]، ومثال ذلك تفضيله تعالى ليوم الجمعة على سائر الأيام، وتخصيصه دونها بأحداث عظيمة جسام، كما في الحديث الصحيح: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»[2]، ومن ذلك أيضا تفضيله تعالى شهر رمضان على سائر الشهور، حيث جعله شاهدا على حدث عظيم، وهو نزول القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥).

ولاشك أن فضل الأوقات لا يتعلق بما يقع فيها من الأحداث العظام فحسب، بل أيضا بما يودع الكريم سبحانه وتعالى فيها من الفضائل والخيرات، والتي تجعل من يغتنمها ويحرص عليها يتبوأ أرفع المقامات وأسمى الدرجات، كما تجعل – في المقابل- من يغفل عنها من أكبر المغبونين، وأشد المحرومين، ولا أدل على ذلك من حديث رسول الله ﷺ وهو يصف من حرم الغفران في رمضان بقوله: (.. ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان فانسلخ قبل أن يغفر له)[3].

فشأن العاقل إذا أن يحرص حرصا شديدا على اغتنام هذه الأوقات الفاضلة، التي هي بمثابة الصفقات التجارية المربحة التي يجني من ورائها التاجر الذكي أموالا طائلة،

تعوضه عما فات، وتغنيه فيما هو قادم وآت، ومن ذلك شهر رمضان، الذي خصه الله بليلة هي خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم[٤].

ومن هذا الباب والمنطلق المذكور رأينا أن نستعرض في هذا المقال بعض الخطوات والإجراءات القلبية والعملية التي يحسن بالمؤمن اتباعها إذا أراد أن يغتنم هذا الشهر الفضيل، وينال ما فيه من الخير والعطاء الجزيل.

ولنبدأ أولا بالإجراءات القلبية، فنذكر منها:

١- الفرح والسرور والابتهاج بقدوم ضيف الرحمن:

فأول ما يلزم المؤمن نحو رمضان هو أن يظهر السرور والفرح بقدومه، لأن هذه الصفة القلبية تدل على تعظيم المؤمن لهذا الشهر الكريم، الذي هو أحد الشعائر الزمنية المأمور بتعظيمها، شأنه في ذلك شأن الأشهر الأربعة الحرم، وقد ورد الأمر بتعظيم شعائر الله عموما في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢). ولا شك أن استبطان هذا الشعور الطيب نحو هذا الشهر الفضيل من مظاهر الصدق في التعظيم، كما أنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها المؤمن توفيق الله له حتى ينهض بحقه صياما وقياما وطاعة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ (الأنفال:٧٠).

وقد كان ﷺ حريصا على تحقيق هذا المعنى في نفوس الصحابة رضي الله عنهم كلما حضرهم رمضان، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يبشر أصحابه: «قد جاءكم رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»[٥]، ومحل الشاهد في الحديث قول أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان: (يبشر أصحابه)، ومعلوم ما للتبشير من ارتباط بالفرح والسرور والابتهاج.

٢- صيام رمضان وقيامه إيمانا واحتسابا:

ومن الصفات القلبية التي تلزم المؤمن تجاه رمضان أن يصومه إيمانا واحتسابا، وهو ما أرشد إليه النبي ﷺ في الحديث الصحيح بقوله: «من صام رمضان، إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه»[٦]، وفي رواية قال: «خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[٧]، قال ابن بطال (ت ٤٤٩ هـ): «ومعنى قوله: إيمانا واحتسابا، يعني: مصدقا بفرض صيامه، ومصدقا بالثواب على قيامه وصيامه، ومحتسبا مريدا بذلك وجه الله، بريئا من الرياء والسمعة، راجيا عليه ثوابه»[٨]، وذكر الخطابي (ت:٣٨٨ هـ) معنى آخر فقال: «احتسابا، أي: عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه، طيبة نفسه بذلك، غير مستثقل لصيامه، ولا مستطيل لأيامه»[٩]، وهذه من المعاني القلبية الجليلة التي يجدر بالمؤمن الاعتناء بها حتى لا يفوته ما رتبه الله على الصيام والقيام من ثواب، وليعلم أنه على قدر ما يحصل من هذه المعاني في القلب يكون حظه من الأجر، وقد قدمنا آنفا قوله تعالى: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ (سورة الأنفال:٧٠). وكم من نائل بمراقبته لأحوال قلبه في مثل هذه المعاني المذكورة فضلا وأجرا لا يحصل بعضه من هو مهمل لها مع كثرة عبادته وتنسكه، ولهذا جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قوله: «لذرة من ذوي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين»[١٠].

٣- الصدق في التوبة إلى الله تعالى والرجوع إليه:

ومن الصفات القلبية التي يجب على المؤمن أن يحرص عليها خلال شهر رمضان أن يصدق فيه التوبة إلى الله تعالى والرجوع إليه، وسبب التنبيه على هذا المعنى أننا نرى فئات عريضة من المسلمين تقبل في هذا الشهر على الله تعالى بألوان الطاعة، وتجدد العهد به، وبكتابه، وببيوته، مع الإقلاع عن كثير من المحرمات والفواحش، لكن ما أن ينقضي الشهر حتى تعود طائفة منهم إلى ما كانت عليه من العصيان والهجران، هادمة ما بنته، وناقضة ما غزلته، ولعل السبب في ذلك راجع إلى عدم الصدق في

التوبة إلى الله؛ إذ لو صدق العبد ربه التوبة لصدقه الله وأعانه، وهذا من المعاني التي يوحي بها قوله تعالى في الآية المتقدم ذكرها: ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ (سورة الأنفال:٧٠)، فليتأمل ذلك.

وإن من علامات صدق التوبة في رمضان أن يبادر بها المؤمن في رجب أو شعبان، وهو كما قال بعض السلف: رجب شهر الغرس، وشعبان شهر السقي، ورمضان شهر جني الثمار. فمن أراد جني الثمار في رمضان؛ فلابد أن يغرس في رجب ويسقي ذلك الغرس في شعبان[١١]، وهو كما قيل أيضا: رجب شهر التوبة، وشعبان شهر المحبة، ورمضان شهر القربة.[١٢] ولعل هذه المعاني مستمدة من قوله ﷺ: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبارك لنا في رمضان»[١٣].

وأما الإجراءات العملية، فنذكر منها:

٤- حسن الصيام؛ بصونه عن مقارفة الجوارح للآثام:

وهذه من أهم الإجراءات العملية التي يجب العناية بها، وذلك أن الله تعالى ميز شهر رمضان بعبادة الصيام وخصه بها دون سائر الشهور، فمن ضيع الصيام فقد ضيع رمضان، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥)، وقال على لسان النبي ﷺ: «قد جاءكم رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه»[١٤]، وقد جاءت نصوص كثيرة تنبه على أن المعنى الحقيقي لهذه العبادة لا يقتصر على مجرد الامتناع عن شهوتي البطن والفرج فحسب، وإنما هناك ما هو أرقى درجة، وأسمى معنى من هذا المفهوم، وهو الصيام عن مقارفة الآثام بالسمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح، ويدل على هذا المعنى قوله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[١٥]، وقوله ﷺ: «الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه، فليقل: إني صائم مرتين»[١٦].

ولذلك جاءت بعض الأحاديث النبوية تبين أن فضل الصيام وأجره التام لا يحصل إلا بتحقيق هذا المعنى المذكور، كقوله ﷺ: «الصيام جنة، ما لم يخرقها»[١٧]، قال ابن رجب (ت: ٧٩٥ هـ): «ما لم يخرقها: يعني: بالكلام السيئ ونحوه»[١٨]، ويؤيده الرواية الأخرى: «قيل: وبم يخرقه؟ قال: بكذب، أو غيبة»[١٩].

وما أحسن ما قاله حجة الإسلام الغزالي في الإحياء وهو يشرح حديث رسول الله ﷺ: «كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش»[٢٠]، قال: «كم من صائم مفطر، وكم من مفطر صائم. والمفطر الصائم: هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب، والصائم المفطر: هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه. ومن فهم معنى الصوم وسره، علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام، كمن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات، فقد وافق في الظاهر العدد، إلا أنه ترك المهم، وهو الغسل، فصلاته مردودة عليه بجهله»[٢١]، فلا بد إذا من تحقيق معنى الصيام لمن أراد أن يظفر بفضائل هذا الشهر على الوجه التام.

٥- الإكثار من تلاوة القرآن ومدارسته وتدبره:

وهذا من أهم الأعمال التي يحرص عليها المؤمن في رمضان، فمن المعلوم أن شهر رمضان هو شهر القرآن؛ ففيه نزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، وفيه بدأ نزوله إلى الأرض منجما - أي: مفرقا- حسب الوقائع والأحداث، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥).

وقد دلت السنة النبوية وأحوال السلف الصالح أيضا على قرآنية رمضان؛ ففي الحديث أن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: «كان رسول الله ﷺ من أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، يلقاه كل ليلة يدارسه القرآن»[٢٢]، وعن ابن شهاب الزهري أنه كان إذا دخل رمضان قال: «فإنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام»[٢٣]، ومثله ما يروى عن الإمام مالك أنه كان إذا دخل رمضان وضع صحف العلم، وأقبل على تلاوة القرآن.

فمدارسة القرآن تلاوة وتدبرا وتفهما لآياته من السنن المستحبة عموما، لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾

(ص:٢٩)، لكن لا شك أن للعناية بذلك في هذا الشهر خاصة فضلا زائدا، بدليل هذه الآثار المذكورة. ويؤكد هذا المعنى أيضا وصفه تعالى للقرآن بأنه (كتاب مبارك)، وقوله ﷺ عن رمضان: «قد جاءكم رمضان، شهر مبارك»[٢٤]، فيكون بهذا من اشتغل بالقرآن في رمضان قد جمع لنفسه بين بركتين: بركة الزمان، وبركة الفعل. أي: جمع بين بركة رمضان وبركة القرآن، وكفى بهذا فضلا.

وإن مما يعين على تحقيق هذا المعنى أيضا أن يحافظ المؤمن على صلاة التراويح في المساجد ما أمكن له ذلك، لأنها فرصة لسماع القرآن بلسان مقرئين متقنين ذوي أصوات حسان، ولاشك أن سماع القرآن من أفواههم أوقع في النفس، وأدعى إلى الخشوع والتدبر، ولذلك جاءت نصوص السنة تحث على تزيين القرآن بالأصوات الحسان، على غرار قوله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»[٢٥].

٦- الإكثار من الصدقة وأفعال الخير المتعدية عموما:

ومما ينبغي أن يحرص عليه المؤمن في رمضان أيضا ليظفر بفضله، ويسعد بأجره، أن يكثر من الصدقات وفعل الخيرات، ولا يقتصر على الصيام والقيام وتلاوة القرآن، فهذه كلها أعمال يقصر نفعها على صاحبها، والفضل كله أن يضاف إليها النوع الثاني من الأعمال، وهي المتعدية النفع، مثل: الصدقة، وإعانة المحتاج، وإصلاح ذات البين، وصلة الرحم، وبر الوالدين، وعيادة المريض، ونحو ذلك مما يتعدى نفعه، ودليل استحباب هذا الصنيع والندب إليه حديث ابن عباس المتقدم: «أن رسول الله كان من أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل يدارسه القرآن، فكان رسول الله حين يلقاه جبريل، أجود من الريح المرسلة»، فكان ﷺ يجمع بين الصدقة ومدارسة القرآن، أي يجمع بين النوعين من العبادة. ومثله ما ثبت عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في حرصه على العبادات المتعدية النفع، وعدم الاقتصار على الصيام فقط، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «من أصبح منكم اليوم صائما؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضا؟» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ، إلا دخل الجنة»[٢٦]، وفي الأثر المتقدم عن ابن شهاب الزهري أيضا دلالة على هذا المعنى، فليرجع إليه.

فهذه مجموعة من الإجراءات والخطوات القلبية والعملية المعينة على اغتنام شهر رمضان أمثل اغتنام، فجدير بالمؤمن الصادق أن يحرص عليها ويبذل جهده للتحلي بها، ويحمل نفسه على ذلك مستعينا بالله، خاصة في تحري ليلة القدر، فإن هذه الأوقات الفاضلة إذا أتت قد لا تعود، والسعيد من اغتنمها، والمحروم من حرمها، فنسأل الله أن يجعلنا جميعا من أهل رمضان، وأن يحل علينا شآبيب الرحمة والرضوان، إنه هو الكريم المنان.

الهوامش

١- وللإمام لأبي بكر البيهقي كتاب حسن في الموضوع سماه: (فضائل الأوقات)، وهو محقق مطبوع في نحو ١٦٠ صفحة.
٢- صحيح مسلم (برقم: ٨٥٤).
٣- مسند أحمد (برقم: ٧٤٥١).
٤- ولذلك خص جماعة من العلماء شهر رمضان بالتأليف، ووضعوا في فضائله كتبا حسانا، مثل: ابن أبي الدنيا، وابن شاهين، وعبد الغني المقدسي.
٥- مسند أحمد (برقم: ٨٩٩١).
٦- صحيح البخاري (برقم: ٣٧ - ٣٨).
٧- مسند أحمد (برقم: ١٦٦٠).
٨- شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (١/ ٩٥).
٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، (٤/ ١١٥).
١٠- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، (ص ٢٥٩). دار ابن حزم، الطبعة الأولى: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١١- أسرار المحبين في رمضان، لأبي العلاء المصري، (ص ٤٨).
١٢- نزهة المجالس ومنتخب النفائس، لعبد الرحمن الصفوري، (١/ ١٦٠).
١٣- مسند أحمد (برقم: ٢٣٤٦).
١٤- تقدم تخريجه.
١٥- صحيح البخاري (برقم: ١٩٠٣).
١٦- صحيح البخاري (برقم: ١٨٩٤).
١٧- مسند أحمد (برقم: ١٦٩٠).
١٨- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، (٢/ ١٣٨).
١٩- المعجم الأوسط، للطبراني، برقم: ٤٥٣٦.
٢٠- مسند أحمد (برقم: ٩٦٨٥).
٢١- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، (ص ٢٧٩).
٢٢- مسند أحمد (برقم: ٣٥٣٩).
٢٣- التمهيد، لابن عبد البر، (٦/ ١١١).
٢٤- تقدم تخريجه.
٢٥- مسند أحمد (برقم: ١٨٤٩٤).
٢٦- صحيح مسلم (برقم: ١٠٢٨).

د. آندي حجازي
أكاديمية في علم النفس التربوي



كيف نجدد أنفسنا في رمضان؟

شهر رمضان شهر الطاعات، وشهر الهمة والنشاط والاستفادة من الإمكانات ومن التنزيلات أو العروض الربانية في مضاعفة الأجر والثواب أضعافا كثيرة في شهر رمضان المبارك!

أرأيت لو أن تاجرا عرض بضاعته بأسعار مغرية، ألا تجد تهافت الناس عليها للاستفادة من تلك الإغراءات المادية والعروض في الأسعار؟ فكيف -ولله تعالى المثل الأعلى- قد جعل رمضان شهر العروض المغرية والمجزية في مضاعفة الأجور لسبعين ضعف وأكثر، فكيف لا نستفيد من هذا الموسم بأقصى إمكاناتنا! وقد أعاننا الله عزوجل فيه بتصفيد الشياطين عدو الأنسان ومحبط العزائم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وتصفد الشياطين فلا يتمكنون أن يعملوا ما يعملونه في الإفطار، فإن المصفد هو

المقيد، إنما يتمكنون من بني آدم بسبب الشهوات، فإذا كفوا عن الشهوات صفدت الشياطين». وقال بعض العلماء تصفيد الشياطين في رمضان: تقليل شرهم وإغوائهم للعباد وإفساد صومهم، وحتى لا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه في غير رمضان من إضلال الناس عن الحق وتثبيطهم عن الخير.

فهل نضيع تلك المنح الربانية والفرص التي لا تتاح إلا شهرا في العام! فرمضان ليس شهر الكسل والتراخي بل هو شهر الفتوحات والانتصارات، والهمة والإقدام، والإنتاج والعمل، والحيوية والنشاط.

توظيف إمكاناتنا البشرية في رمضان:

حبانا الله تعالى كبشر بمواهب وقدرات وإمكانات تميز كل إنسان عن الاخر فتجعل له طاقات ومواهب ورغبات ومهارات تعين الإنسان على الأداء وعلى العمل والتميز في بعض الجوانب، وبالأرجح فإن غالب الناس يعرفون ما يمتازون به من امكانات وقدرات ومواهب، والذكي هو من يحسن الاستفادة من تلك الموارد البشرية التي وهبها الله له.

فعلى سبيل المثال؛ تستطيع أن تستخدم طاقاتك الكامنة في حب الخير للآخرين بأن تساهم في رمضان في توزيع وجبات إفطار أو سلات غذائية أو أموال وصدقات وحاجيات لرمضان أو ملابس للعيد أو أثاث للفقراء.. فهذه المبادرات جميعها تعمل على إدخال البهجة في نفوس الأسر الفقيرة والمحتاجة والتي لا تكاد تجد ما تفطر عليه في رمضان، فمن خلال مساهمتك كمتطوع مع جمعيات رعاية الفقراء أو الأيتام أو الأرامل وغيرهم من المحتاجين، أو إن كنت تعرف أسرا فقيرة او أحياء فقيرة تستطيع أن تصلها وتساهم في إدخال السرور على أهلها من خلال ما تملك من موارد حسية ومالية ونشاط وهمة وطاقة، فلا تبخل بتوظيفها في اتجاه فائدة البشر.

وبالسعادة من يستخدم طاقاته وإمكاناته ويوظفها في الاتجاه الصحيح ويسهم في مساعدة من يحتاج المساعدة ويدخل الفرح على قلوب أمهات لا معيل لهم أو أيتام فقدوا والدهم أو فقراء انقطعت بهم سبل الحياة ولا يجدون حتى رغيف الخبز اليومي! وكم سيجدد هذا في نفسه وروحه وذاته ويسمو بها! وكم من الثواب العظيم سينال خاصة في رمضان، وقد كان الصحابة الكرام يتسابقون لفعل الخير دوما فكيف في رمضان!

ونتذكر عندما كان سيدنا أبو بكر الصديق وهو خليفة المسلمين يذهب إلى امرأة عجوز كفيفة لا معيل لها، فيذهب لبيتها مساء وينظف لها البيت بنفسه ويجهز لها الطعام ويخرج، وعندما أراد سيدنا عمر بن الخطاب مساعدتها أيضا وجد أن هناك من يسبقه لهذا الخير كل ليلة ولا يعلم من هو فسألها من يأتي لخدمتها فبينت أنها لا تعلم اسمه، ولكنه رجل يأتي كل يوم لمساعدتها وتنظيف البيت لها وإعداد الطعام ويخرج، فقرر أن يراقب البيت ليعرف من يسبقه إلى هذا الخير، فراقبه ووجده خليفة المسلمين أبا بكر الصديق يقوم بذلك بنفسه، يالعظمته وتواضعه! ما جعل سيدنا عمر يتعجب منه وهو خليفة المسلمين ويقول له: لقد علمت ما يسبقني لهذا الخير غيرك يا أبا بكر، وأتعبت الخلفاء من بعدك!

فتأمل كيف كان الصحابة الكرام -وهم الأسوة لنا- يتسابقون في فعل الخير واستغلال الطاقات والتنافس في عمل الخير والصدقات في كل وقت وحين، فهي الباقيات الصالحات وهي الرافعة للدرجات والماحية للزلات والهفوات. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده. يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال:

أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي»[٢].

أعمال الخير في رمضان تهذب النفس:

البعض قد يجد نفسه وطاقاته تتسامى في رمضان في إطعام الطعام وإفشاء السلام فهو يعد الولائم لذلك ويدعو إخوته أو أقاربه أو معارفه من أجل تفطيرهم وتجديد صلة الأرحام في رمضان، فينسأ له في عمره وعمله ورزقه. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» (متفق عليه). وقال تعالى محذرا من يبخل في إطعام الطعام: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ (الفجر: ١٧-١٨). وقال: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ (الماعون: ١-٣) فرمضان فرصة لتهذيب تلك الطباع والتخلص من شح الإنسان واستغلال طاقاته وموارد المالية التي أنعم الله بها عليه من أجل إدخال السرور على الآخرين، وتحسين العلاقات والجمع بين الأخوة والأقارب ونبذ الخلافات التي قد تكون بين البعض.

وقال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعا، أو تقضي عنه دينا»[٣].

فرمضان هو فرصة كبيرة للمساعدة النفسية المعنوية والمادية للمحتاج بكشف كربة عنه نفسيه أو مادية، أو تعد له طعاما، او تقضي عنه دينا، أو تمشي له في حاجة أو تصلح ذات بين، حيث في رمضان ترق القلوب وتلين وتقل المنازعات وتصفو النفوس وتتضاعف الحسنات.

وقد قال ﷺ: «إن في الجنة غرفا، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها؛ أعدها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»[٤]. وقد كان النبي ﷺ أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان كالريح المرسلة، وهو أسوتنا وقدوتنا في الجود وفي كل أعمال الخير. وكلما بذل الإنسان من نفسه وماله ووقته للآخرين فإن هذا سينعكس عليه إيجابا في حب الناس وتقديرهم له، وفي تهذيب نفسه وسموها، وفي كسب الدرجات العلا بالآخرة بإذن الله والثواب الكبير منه عز وجل.

زيادة الطاعات والعبادات تجدد الذات:

من حسن استغلال مواردك البشرية وطاقاتك أن تستثمرها في رمضان في زيادة الطاعات من صلاة نوافل وقيام ليل، وقراءة قرآن كريم وحفظ قرآن، وتسبيح واستغفار وصلاة على النبي، ودعاء وصلة الأرحام فالمداومة على هذه العبادات والإكثار منها ومجاهدة النفس عليها والصبر على الطاعات؛ تجدد الذات وتنشط الهمة والفكر وترقى بالأخلاق والشعور بمراقبة الله تعالى وتهذب النفوس في المعاملات بين البشر، فأنت طوال العام مشغول في أعمالك الدنيوية وأحيانا تقصر في العبادات والصلوات والتسبيح، فرمضان يأتيك كموسم حيوي من أجل التركيز على الهدف الذي من أجله خلق الله الإنسان وأنزله على الأرض وهو العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات: ٥٦) وحتى يعود المؤمن للجنة؛ فعليه بكثرة الطاعات والعبادات ومجاهدة النفس ومحاسبة الذات من أجل التصويب والتحسين.

ولله الحمد أن في رمضان تتجلى المعونة من الله تعالى للانتصار على الأهواء والشهوات ففيه تفتح فيه أبواب الجنان وتصفد الشياطين ويصبح العبد أقرب إلى ربه وأكثر قدرة على أداء العبادات بعيدا عن مثبطات النفس والشياطين، فعليه استغلال تلك المنحة الربانية بالإكثار من الصلوات والطاعات وزيادة رصيده الأخروي، فلا يكتفي مثلا بما اعتاد عليه من الصلوات الخمس المفروضة وإنما يحاول الإكثار من صلوات الليل؛ فقد قال نبينا ﷺ: «من صام رمضان وقامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٥]. «وما تقرب إلي عبدي

شبرا تقربت إليه ذراعا»، فهذه فرصة قد تنتهي نهاية سعيدة بالقرب من الله تعالى والشعور بلذة القرب والعبادة وعلو الدرجات في الآخرة.

وبالسعادة من قضى أيام ولحظات رمضان في ذكر الله تعالى ودعائه والصلوات النافلة في مقام العبودية اقتداء برسول الله ﷺ الذي كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه! وعندما سئل لماذا يفعل ذلك وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فأجاب: أفلا أكون عبدا شكورا؟! وهو رسول الله، فما بالك بنا نحن! فكم نحن بحاجة للعبادة والقرب من الله تعالى؟! فاجعل لك وردا يوميا من القرآن الكريم ومن الصلوات النافلة ومن الأذكار المأثورة والتسبيحات والأدعية والصدقات؛ لتخرج من رمضان وقد تجددت ذاتك وصفت نفسك ورقت روحك.

الجدولة والتحفيز من أجل تنشيط الهمم:

يستطيع الاب في البيت أو الأم جمع أبنائهم وأفراد أسرتهم على صلاة القيام وصلاة التهجد معا كصلاة جماعية يومية يؤدونها في المسجد او البيت (أحيانا) وتنتهي بدعاء يومي جميل، وقد يشجع الأب أحد أبنائه الذكور على الصلاة بهم إماما، فهذه فرصة لجمع أفراد الأسرة على العبادة الجماعية التي تورث الألفة والمحبة وحميم العلاقة التي افتقدناها في زماننا! فهذه لحظات لن تنسى وستبقى في ذاكرة الأبناء ما أحياهم الله تعالى، لأن لحظات العبادة تبقي أثرا وحلاوة في القلب يتذوقها كل من جربها ولا ينساها.

وهنا قد يكتشف الأب في نفسه أو في أبنائه مهارات وقدرات قيادية أو مواهب صوتية جميلة في تلاوة القرآن الكريم فيشجعها لأجل استمرارها وتنميتها. فقد يصبح ابنه يوما إماما او يؤم المصلين في مسجد الحي، أو قد يحتاج الابن هذه المهارة إن سافر للعيش في دولة أجنبية يفتقدون بها لأئمة مساجد فيؤمهم في بعض الصلوات، بالإضافة إلى أنها تنمي لدى الابن المهارات القيادية.

ومن أجل توظيف تلك الموارد البشرية لابد من أن تكون منظمة ومتفق عليها؛ ولذلك ننصح بإعداد جدول عائلي يتفق عليه أفراد الأسرة في كيفية استخدام طاقاتهم ومواهبهم فيما يفيد ويرضي الله تعالى في رمضان، فيضعون جدولا للعبادة وينظمون وقتا لزيارة ذوي الأرحام من جدات وأجداد وعمات وأعمام وخالات وأخوال وإخوة وأخوات، وكذلك يضعون جدولا لإطعام فقراء وتجهيز وجبات وتوزيع الصدقات بأنفسهم، وجدولا لقراءة القرآن الكريم؛ ويخصصون وقتا للدعاء والصلاة وهكذا... وصولا إلى رضا الله تعالى، وقد قال رسول الله ﷺ: «أيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم»[٦].

وقال بعض السلف: «لئن أدعو عشرة من أصحابي فأطعمهم طعاما يشتهونه، أحب إلي من أن أعتق عشرة من ولد إسماعيل».

ومن الجميل تحفيز الناس على كثرة قراءة القرآن في رمضان، كأن يجهز الأب او الأم المسابقات بين أفراد أسرتهم أو حيهم لمن يتم ختمة أو أكثر بالتجويد في رمضان، أو لمن يحفظ سورة كالبقرة او الكهف أو يس أو جزءا من القرآن الكريم.. ودعمها ماديا من خلال الجوائز القيمة توزع يوم العيد، فلعل هذا يكون بابا للخير في رمضان وللاستفادة من الموارد البشرية والمادية، كما ويمكن تشجيع الصدقات التنموية للمساهمة في بناء مسجد أو مدرسة أو حفر بئر ماء في بلدان فقيرة، فأبواب الخير كثيرة والحمد لله رب العالمين، أعاننا الله وإياكم على طاعته وقبول الصالحات في رمضان المبارك.

الهوامش

١- رواه البخاري في صحيحه، رقم: (٣٠٣٥)، ومسلم في صحيحه، رقم: (١٧٩٣).

٢- رواه مسلم في صحيحه. رقم: (٢٥٦٩).

٣- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (١٣٦٤٦).

٤- حسنه الألباني في صحيحه الجامع، رقم: (٢١٢٣)

٥- رواه البخاري في صحيح البخاري (باب الإيمان/ ٣٧).

٦- ذكره المنذري في الترغيب والترهيب: ٢/٩٢ إسناده صحيح أو حسن.



د. شاذلي عبد الغني إسماعيل
دكتوراه في الأدب والنقد

من مقاصد الصيام

لصيام رمضان العديد من المقاصد الإيمانية والتربوية والاجتماعية التي يمكنها أن تعيد تأسيس واقع جديد للفرد وللأمة، وأن تفتح أبواب الخير للإنسانية بأكملها، شريطة أن ننأى بأنفسنا عن تلك الصورة التي حذرنا منها النبي ﷺ حين قال: «رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر». (رواه أحمد)، وإذا أردنا أن نبدأ ميلادا جديدا لحياة تتحقق فيها مقاصد الصوم، علينا أن نعيش في كنف الأجواء الإيمانية للشهر المبارك في ظلال الطاعة والرضا، والحرص على أن تكون أفعالنا وأقوالنا في جميع أحوالنا نابعة عن تعاليم ديننا الذي يحقق الالتزام بنهجه سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

ومن المقاصد التي يحققها الصيام، والتي تظهر بجلاء ما يمكن أن يكون لهذا الشهر الكريم من فضائل ترقى بالنفس الإنسانية، وتمد المجتمع بعوامل القوة والسعادة والانسجام، ما يلي:

الصيام تقوية للإرادة

لقد كان الأوربيون في القرون الوسطى يفترون على الإسلام الأكاذيب، وينسجون حوله قصصا خرافية، وينسبون له أحكاما لا وجود لها إلا في مخيلتهم، وظلت بعض هذه الترهات تتردد على ألسنة البعض وفي كتاباتهم وكان على رأس هذه الافتراءات أن الإسلام دين يطلق للشهوات العنان، وقد رأى المؤلف والفيلسوف الإنجليزي «توماس كارليل» (١٧٩٥م ــ ١٨٨١م) في صيام رمضان دليلا ظاهر الوضوح للرد على مثل هذه الأكاذيب، ولبيان أن الإسلام ليس بالدين الذي يترك المرء ذليلا لأوطار نفسه وشهواتها، كما أنه لا يسعى إلى تعطيل هذه الغرائز وكبتها لكنه وضع من الشرائع ما ينظمها، ويضمن للمجتمعات حياة سوية ولإدارتها أفرادا أقوياء، يقول توماس كارليل: «أي دليل أشهر ببراءة الإسلام من الميل إلى الملاذ من شهر رمضان تلجم فيه الشهوات، وتزجر النفس عن غاياتها، وتقرع عن مآربها؟ وهذا هو منتهى العقل والحزم، فإن مباشرة اللذات ليس بالمنكر، وإنما المنكر هو أن تذل النفس لجبار الشهوات، وتنقاد لحادي الأوطار والرغبات، ولعل أمجد الخصال وأشرف المكارم هو أن يكون للمرء من نفسه على نفسه سلطانا، وأن يجعل من لذاته لا سلاسل وأغلالا تعيبه

وتعتاص عليه إذا هم أن يصدعها، بل حليا وزخارف متى شاء فلا أهون عليه من خلعها، ولا أسهل من نزعها، وكذلك أمر رمضان»[1].

لقد حرص الإسلام على أن يتسم أبناؤه بكل السمات التي تؤهلهم ليكونوا بناة لحضارة إنسانية قوية وعامرة ترقى بالمنتسبين إليها وتحميهم من الوقوع أسرى لمتطلبات النفس المادية حيث تصبح هذه المتطلبات غاية ليس وراءها غاية في هذه الحياة الدنيا، ولا يمكن لمن أراد أن يسهم في هذا البناء الحضاري أن يكون خاضعا لنوازع نفسه، خانعا لمطالبها، خائر العزم أمام أوطارها وشهواتها، وهذه واحدة من ثمرات الصيام، فمن خلاله تدرك النفس ما تتمتع به من قوة تجعلها قادرة على الصبر أمام مطالبها المادية الملحة استجابة لأمر الله عز وجل.

الصيام والإخلاص

إن الإخلاص هو واحد من أعظم المقاصد الإيمانية التي تنميها فريضة الصيام في نفوس المؤمنين، فهو سر بين العبد وربه لا يبغي بصيامه أحدا سواه، ولا شك أن الإخلاص في العمل مما يقوي العزيمة ويهون الصعاب ويؤنس القلب وإن وعر الطريق وإن طال؛ لأن الغاية عظيمة لا يصل إليها إلا من أحسن القصد وأخلص النية، وقد وصف ابن القيم رحمه الله الصوم فقال: «هو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئا، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثارا لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده، فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم»[2].

وبإخلاص القلب تتجلى مشاعر القرب من الخالق، ومن ثم يكثر السعي إلى ما فيه صلاح النفس وتزداد القدرة على تقويمها إن حادت عن الطريق أو مالت عن القصد، والإخلاص يملأ القلوب بالرغبة في نفع العباد وفي عونهم وإصلاح أحوالهم وهدايتهم ومعاملتهم بالحسنى والتسامح معهم رغبة في رضا الله عز وجل، فنفع الإخلاص يمتد من القلب ليشمل الإنسانية بأثرها.

وإن كان في الصيام تقوية للإرادة الإنسانية ومران لها على مواجهة رغائب الجسد ومصاعب الحياة، فإنه بتعويد النفس على الإخلاص يحررها من رغبتها في الظهور وسعيها إلى الفخر بالأفعال والرياء بها طمعا في رضا المخلوقين ورغبة في ثنائهم، يقول ابن قدامة: «اعلم: أن في الصوم خصيصة ليست في غيره، وهي إضافته إلى الله عز وجل حيث يقول سبحانه: «الصوم لي وأنا أجزي به»، وكفى بهذه الإضافة شرفا، كما شرف البيت بإضافته إليه في قوله: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ (الحج: ٢٦). وإنما فضل الصوم لمعنيين:

أحدهما: أنه سر وعمل باطن، لا يراه الخلق ولا يدخله رياء.

الثاني: أنه قهر لعدو الله، لأن وسيلة العدو الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب»[3].

الصيام وتوحيد الأمة

إن توحيد الأمة وجمع كلمتها وجعلها على قلب رجل واحد من المقاصد التي تتجلى بارزة في شعائر الدين الإسلامي، وشهر رمضان يجمع الأمة بأسرها في ظل مشاعر إنسانية مادية وروحية واحدة وفي ظل شعائر إيمانية معقودة بهدف واحد، وهذا من شأنه أن يوحد القلوب وأن يذيب الفوارق مهما تنوعت الأجناس واختلفت اللغات ومهما تعددت الألوان وبعدت المسافات.

لقد لاحظ المستشرق البريطاني المتخصص في الشأن الإفريقي «إيوان ميردين لويس» الطابع الإسلامي القوي في الطقوس الحياتية التي رآها متشابهة إلى درجة كبيرة لدى الجماعات المسلمة الكائنة في جنوب الصحراء الكبرى، وذكر أن التقويم الإسلامي بطقوسه الشعبية، وخصوصا في رمضان، شهر الصيام، يعطي طابعا متجانسا لتنظيم الحياة في جماعات كانت بينها في الماضي فروق كبيرة، وهناك سمات متشابهة تتجاوز الاختلافات الثقافية والعرقية الكبيرة لهذه المنطقة الواسعة[4].

ولعله يقصد بالطقوس الشعبية، شعائر الدين الإسلامي المرتبطة بالمواسم والمناسبات الإسلامية، والتي توحد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وتجمعهم تحت مظلة الطاعة لتعاليم الدين القويم الذي أمرهم بالوحدة والاعتصام ونهاهم عن الفرقة والتنازع.

الهوامش

١- توماس كارليل: الأبطال (ترجمة محمد السباعي)، القاهرة: المطبعة المصرية الزهرية، ١٣٤٩هـ، ١٩٣٠م، (ص: ٩٣، ٩٤).

٢- ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة: السابعة والعشرون، (٢/ ٢٧).

٣- ابن قدامة: مختصر منهاج القاصدين، دمشق: مكتبة دار البيان، (ص ٤٣).

٤- إيوان ميردين لويس: الحدود القصوى للإسلام في أفريقيا وآسيا، من كتاب «تراث الإسلام» الجزء الأول (مجموعة من المترجمين)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة: مايو ١٩٩٨م، (ص: ١٣٥).



عبد العالي مرزوق
باحث دراسات إسلامية



شهر الطاعات واستباق الخيرات

يظن البعض أن شهر رمضان هو شهر تنوع الأطعمة والمشروبات، فيما كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ينتظرون هذا الشهر الكريم ليفتتحوا سباق الطاعات التي تعتبر أجورها مضاعفة في شهر الخير والبركة، شهر القرآن.

وتتنوع العبادات التي كان يؤديها المسلمون في زمن الرسول المصطفى محمد ﷺ، ما بين صيام نهار وقيام ليل وتلاوة للقرآن ومضاعفة الصدقات، آخذين دستورهم من سيرة المصطفى ﷺ، الذي كان جوادا، وأجود ما يكون في شهر الصوم شهر رمضان، إلى غيرها من العبادات.

ومن الطبيعي ان يغتنم المسلمون شهر رمضان في البذل والعطاء وإطعام الطعام، فيما لم يكن هذا الشهر الكريم مجرد شهر لتنويع الطعام على موائد الصائمين، بل كان شهر تنويع الطاعات في منازل الناس وبيوت الله تعالى.

ولا ننسى ان دولة الكويت قد تفردت بما يسمى الخيم الرمضانية التي أضحت قرينة الشهر الكريم، والتي انتشرت على أيدي أصحاب الفضل الذين يشمرون عن سواعدهم في شهر الكرم والجود من كل عام، في افتتاح الخيم الرمضانية، التي يؤمها الصائمون من كل مكان.

وتعتبر العادات والتقاليد التي تسود أجواء رمضان في الكويت مستقاة من السنة النبوية الشريفة وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح، فقيام الليل حتى السحور أضحى أحد الطقوس الرمضانية التي عرفت بها الكويت، مع ما يتخلل ذلك من تزاور في الله لذوي الأرحام.

المحافظة على الصلاة في المساجد

من أكثر ما يهتم المسلمون به في الكويت، والذي يبرز واضحا جليا امتلاء المساجد في معظم أوقات الصلوات، سواء الفجر أو الظهر أو العصر أو المغرب أو العشاء أو صلاة التراويح.

ومن اللافت للنظر أن بعض المساجد تغص بالمصلين في هذا الشهر الفضيل على اختلاف أوقات الصلوات، خلافا لغيرها من الأوقات في بقية شهور السنة.

كما تبرز ظاهرة انتقاء مرتادي المساجد للأصوات الأكثر روحانية في صلاة القيام والتهجد، فيما يختار البعض التنويع في المساجد طلبا لحالات الخشوع التي يشعر بها المصلي إذا اعتاد صوتا من أصوات القراء الأفاضل.

وأكثر ما يلفت النظر في شهر رمضان الكريم، السباق المحموم بين المصلين في إنجاز أكثر عدد من الختمات في تلاوة كتاب الله العزيز، مغتنمين هذا

الشهر الذي تضاعف فيه الأجور أكثر من سواه من شهور العام.

عادات وتقاليد

من العادات الحسنة التي سادت الأجواء الرمضانية في دولة الكويت وعند معظم العائلات: قيام الليل حتى الفجر، وعند الفجر يأتي وقت السحور الذي يجتمع فيه أفراد العائلة حول مائدة السحور فيما بعض العائلات يؤثرون النوم والاستيقاظ عند الفجر على سرد الليل بالسهر.

وبعد انقضاء السحور يبدأ السباق نحو الصف الأول في المساجد لأداء صلاة الفجر، التي يعقبها الاعتكاف في المسجد ما بين الفجر إلى طلوع الشمس وصلاة ركعتي الضحى، ليكتب للمعتكفين أجر حجة وعمرة تامة تامة تامة، امتثالا لسنة نبينا محمد ﷺ.

ومما هون وسهل أداء الطاعات على الناس تخفيض عدد ساعات العمل والتي تعتبر بمثابة محفز لمزيد من العبادات، فيما يبدأ عند العصر مشوار إعداد ولائم الفطور.

ولا ننسى أن من أجمل العادات والتقاليد في المجتمع الكويتي قبيل الإفطار: التفاف أفراد العائلة حول مائدة الإفطار، بانتظار سماع المؤذن لينادي لصلاة المغرب، والذي يقتصر في معظم العائلات على تناول بعض حبات التمر، مع القليل من الماء، وربما بعض الشوربات، ثم يتوجه الرجال الى المسجد لأداء الصلاة.

وبعد عودة الرجال من المسجد تكون مائدة الإفطار الرئيسي جاهزة، بينما في حال وجود ضيوف وزيارات ذوي القربى ينفصل الرجال عن النساء أثناء تناول وجبات الإفطار، فيما بعد ذلك يعود الرجال الى المساجد لأداء صلاة العشاء والتراويح، ثم العودة إلى الديوانية لتناول بعض المشروبات الساخنة كالقهوة والشاي والمحليات المصاحبة لها.



الغبقات الرمضانية

اعتادت بعض العائلات الكويتية الدعوة إلى الغبقات الرمضانية التي يدعى إليها الأحباب والأقارب والأصحاب والتي تنثر المسرات والبهجة في أرجائها على الحضور، وغالبا ما تكون الغبقات مقتصرة على الرجال.

أبرز المأكولات

تشتهر الكويت والعائلات الكويتية بشكل عام بمأكولات تجدها تظهر على موائد الناس الرمضانية في البيوت والديوانيات، من أبرزها: التشريبة، وهي عبارة عن خبز الرقاق مع المرق، إضافة إلى الرز (المكبوس، والجريش والهريس، والآش والمطازيز). فيما يبقى التمر بأنواعه سيد المائدة، مثل التمر المخلوط معه (الإقط) والتمر مع الدخن، والتمر مع الهردة (الطحينة)، والتمر مع القشطة، وغيرها من المأكولات المخصصة للسهرات الرمضانية.

أما في العشر الأواخر من شهر رمضان الكريم، فالسباق يشتد، وأبرز ما يميز هذه العشر، الاعتكاف في المساجد للرجال، وفيها يجتهد المرء بالعبادات أكثر مما كان عليه في الأيام العشرين السابقة، ذلك أن العشر الأواخر فيها ليلة هي خير من ألف شهر، وهي ليلة القدر، والتي يعتكف المصلون لاقتناصها بزيادة المثابرة والاجتهاد في تحريها واغتنامها لما لها من عظيم فضل وأجر.

العيد

ليلة العيد هي بمثابة يوم توزيع الجوائز، ففرحتها لا توصف عند الصغار وعند الكبار، فالصغار يبتهجون بارتداء أجمل الثياب والطواف على أولي الأرحام والجيران للمعايدة، فيما الكبار يبتهجون بأن أحياهم الله هذا الشهر الكريم وأعانهم فيه على ذكره وشكره وعلى حسن عبادته.



القاهرة - نادر أبو الفتوح
صحافي وباحث

بمشاركة فعالة من وزارة الأوقاف الكويتية

ضبط الفتوى والحديث في الشأن العام

عقد المجلس التنفيذي لوزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية بدول العالم الإسلامي اجتماعا خلال الدورة الثالثة عشرة التي عقدت بالقاهرة يوم ١٣ رجب الموافق ١٤ فبراير الماضي، وذلك برعاية الدكتور مصطفى مدبولي رئيس مجلس الوزراء المصري، وألقى المهندس فريد أسد عمادي وكيل وزارة الأوقاف، كلمة عبر الفيديو كونفرانس، وعقد المؤتمر برئاسة الشيخ الدكتور عبداللطيف آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ورئيس المجلس التنفيذي لمؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية لدول العالم الإسلامي، والدكتور محمد مختار جمعة وزير الأوقاف، والدكتور نور الحق قادري الوزير الاتحادي للشؤون الدينية والتحالف بين الأديان في باكستان، والشيخ الحاج موسى درامي وزير الحكومة المحلي والشؤون الدينية بجامبيا، والدكتور عبدالله سليمان عقيل الدعجة أمين عام وزارة الأوقاف نائبا عن وزير الأوقاف والمقدسات الإسلامية بالمملكة الأردنية، والسفير أحمد التازي سفير المملكة المغربية بالقاهرة نائبا عن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، والدكتور قمر الدين أمين وكيل الوزارة للشؤون الإسلامية نائبا عن وزير الشؤون الدينية بإندونيسيا.

وفي كلمته نقل المهندس فريد أسد عمادي وكيل وزارة الأوقاف، تحيات واعتذار وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية عيسى أحمد الكندري عن عدم حضور هذا الاجتماع لارتباطه باجتماع طارئ. وأضاف: إنه لمن دواعي سروري أن أتكلم بين أيديكم في افتتاح الدورة الثالثة عشرة للمجلس التنفيذي لمؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية بدول العالم الإسلامي، الذي تحتضنه هذه السنة جمهورية مصر العربية، وقد دأبت دولة الكويت دائما من خلال مؤسساتها الدينية والعلمية على المشاركة في مثل هذه المؤتمرات والملتقيات، التي تجسد التعاون الوثيق بين الدول الإسلامية، والترابط المتين بين مؤسساتها، لبحث قضاياها

المشتركة، وتناول مستجداتها المهمة والمصيرية، وفق الأسس والأطر التي جاء بها هذا الدين العظيم.
وأضاف أن المؤتمر جاء ليعالج العديد من المسائل الحساسة المتعلقة بعدد من الموضوعات المهمة، كميثاق المسجد، وقواعد وأنظمة تعيين الأئمة والدعاة، والبرامج والدورات اللازمة لتطوير مهاراتهم، ومعايير بناء المساجد، ومراعاة المواصفات الفنية والعمرانية فيها، وصيانتها وتطويرها لتكون صديقة للبيئة، وبيان حقيقة الفتوى وعظيم شأنها وشروطها، وخطورة الفتوى بغير علم، والآثار الخطيرة المترتبة عليها، واستجلاء الرأي والطرق الناجعة لمواجهة مستجدات موضوع التطرف والغلو والإرهاب، واستحداث اللوائح اللازمة لتحصين المنابر من خطابات الكراهية، وسن القوانين والتشريعات الكفيلة بالتصدي لهذه الظاهرة الخطيرة، ومراعاة ضوابط التحدث في الشأن العام؛ القائم على فقه الموازنات واعتبار المآلات، والتأكيد على القيم الإنسانية المشتركة للتعايش والتسامح في الإسلام، وطرق الاستفادة من وسائل التواصل والتقنية الحديثة، وتوظيفها في شتى مجالات الدعوة، وأهمية الصناديق الاستثمارية الوقفية ومزاياها، والتحديات التي تواجهها، ودور الأوقاف في التنمية وزيادة الناتج المحلي الإجمالي في عالمنا الإسلامي، ومسؤولية مؤسسة الوقف في تطوير قدراتها لتحقيق هذا الهدف السامي.
وأضاف عمادي أن هذه الموضوعات الحساسة والمهمة تحتاج الأمة إلى معرفة حكم الشرع فيها، وهي من المسائل والقضايا التي لا ينبغي لآحاد العلماء، فضلا عن آحاد الناس، أن ينفرد برأي فيها، بل تحتاج إلى رأي مؤسسي جماعي، يجمع أهل الاختصاص بهذا الشأن من مختلف دول العالم الإسلامي، لأنها من الموضوعات الكبيرة، والمسائل الخطيرة، وإن المجلس التنفيذي لمؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية بدول العالم الإسلامي هو أحق المؤسسات بالنظر في تلك الموضوعات، والبت فيما وقع فيها من اختلافات، وإيجاد الحلول الناجعة لما فيها من إشكالات، خصوصا بعد أن حظيت بالدراسة والفحص والبحث العميق من خلال الأوراق العلمية الرصينة التي كتبت وقدمت في موضوعاتها، والتي تميزت بالمنهجية العلمية المنضبطة، وبالوسطية والاعتدال في تناول القضايا الحساسة، مع أخذ فقه المقاصد والمآلات بعين الاعتبار، ضمن إطار نصوص الشريعة وقواعدها المتينة، وما أجمع عليه علماء الأمة، دون إهمال لمستجدات العصر، وتغيرات الأحوال والظروف، مما يرجى معه الخروج من هذا المؤتمر بتوصيات رشيدة، والتوصل إلى إجراءات سديدة.
إن الاجتماع يهدف إلى تعزيز الوعي الوسطي وترسيخ القيم الوطنية ومعالجة ما يعانيه عالمنا الإسلامي من مشكلات وظواهر، وفي مقدمتها ظواهر التطرف والغلو والإرهاب والعنصرية التي تشكل خطرا على العالم وتهدد الأمن والسلام الدوليين ومصالح الأفراد والأوطان والتعدي على مقدراتها وإمكاناتها، مؤكدا أن وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية تضطلع بمهمات ومسؤوليات جسيمة يتعين عليها توجيه جهودها لنشر الإسلام الوسطي المعتدل ومواجهة تلك التحديات التي تحيط بها وتهددنا في أمننا الفكري والعقدي وتكيد لمجتمعاتنا في ثوابتها وقيمها ومبادئها، وبتضافر جهودنا نحن قادرون على صيانة أوطاننا ومحاربة الأفكار الدخيلة الضالة التي تحاول الولوج إلى مجتمعاتنا، ودرء أخطار وأضرار عظيمة لا يعلمها إلا الله -عز وجل- عن الأوطان والمواطنين، وجميع البشر على هذه الأرض التي خلقها الله -تبارك وتعالى- للجميع، والوقوف ضد كل من يحاول النيل من ثوابتنا وقيمنا ومبادئنا، وأن نعيد إلى الإسلام صورته الحقيقية ووسطيته وسماحته.
وفي كلمته أكد الدكتور محمد مختار جمعة وزير الأوقاف المصري، أن اجتماع المجلس التنفيذي لوزراء شؤون العالم الإسلامي يناقش في كل اجتماع من اجتماعاته عددا من القضايا المهمة التي تشغل عامة المسلمين، وقد قدمت وزارة الأوقاف المصرية لهذا الاجتماع بحثين مهمين: الأول: صناعة الفتوى وضوابط الإفتاء. والثاني: ضوابط الحديث في الشأن العام، وهو موضوع حديثي مع حضراتكم في لقائنا هذا، فالشأن العام هو ما يتجاوز شواغل الفرد واهتماماته الشخصية إلى شواغل المجتمع واهتماماته وقضاياه العامة، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية، أم ثقافية، أم أخلاقية وقيمية، أم اجتماعية، أم رياضية، مما يتصل بقضايا الوطن الكبرى أو الأمة، ولا شك أن الحديث في الشأن العام الديني يتطلب بالضرورة إدراك المتحدث لمفهوم المصلحة العامة وتقدمها على المصلحة الخاصة، بل تقدم المصلحة الأعم نفعا على الأخص.



أحمد المنزلاوي
عضو اتحاد كتاب مصر
عضو الاتحاد الدولي للغة العربية

قراءة نقدية في إبداعات الوعي القصصية

للنقد دور كاشف في بيان النصوص، الإبداعية فهو يلقي الضوء على ماتفرد به الكاتب/الكاتبة من أسلوب فضلا عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبها إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.

ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها سواء، في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.



نقد قصة مطعم التسونامي

في قصة د. محمد علي الوافي كرواتل «مطعم التسونامي» يأتي العنوان محفزا للقارئ، يشحذ ذهنه نحو حادث التسونامي الشهير، ليثير التساؤل عن الرابط بينه وبين المطعم، الأمر الذي ينكشف له في نهاية القصة.

تدور أجواء القصة في الهند وجزيرة آندامان ونيكوبار الواقعة في المحيط الهندي، عالم جديد يريد القاص أن تنفتح عين القارئ العربي عليه.

نستطيع أن نقسم القصة إلى قسمين، القسم الأول احتل ما يقرب من ربع النص أو يزيد، كان الخطاب فيه تقريرا مليء بالمباشرة والتفسير والتحليل والشرح، نلمح فيه الصوت التعليمي، ظهر فيه راويان، الراوي العليم المالك للنص بداية والممهد له، والذي يتماهى مع الكاتب وتشعر من خلاله بحضوره، والذي يأبى أن يشاركنا الحكاية إلا من خلال وسيط آخر وراو جديد، هو «عثمان بن همزة» تلميذ الراوي الذي سرد له القصة، والذي كان حضوره باهتا وخطابه كان محكيا غير مباشر.

ثم ننتقل مع النص إلى القسم الثاني، والذي توزع في ثلاث أرباع النص، والذي جاء على لسان بطل القصة «إبراهيم»، فالراوي هنا راو مشارك، يحكي عن نفسه ويحكي عن غيره، فيستطيع أن يخبر عن نفسه بكل شيء: الدوافع والأهداف والخواطر والمشاعر والأحاسيس، لكن إذا حكى عن غيره فلا يخبر إلا بما يراه؛ لذلك لا بد أن يكون له وجود في جميع الأحداث حتى يتمكن من الحكي.

وهذا النوع أكثر واقعية وقريب من القارئ أكثر من الرواي العليم الذي يعلم الحكاية سابقا ويعلم كل شيء عن الأشخاص سواء ظاهرهم أو ما يجول في أنفسهم. لذلك عندما يتخلى الكاتب عن هذا الراوي المتأله، ويعمد إلى اتخاذ منظور شخصيات محددة، يرى معها الأحداث والأشياء وحركة المجتمع؛ فإنه يصبح فنيا أكثر نضجا وحداثة، لكن هذا الراوي يحتاج إلى تقنيات أخرى تساعده في كشف دواخل الشخصيات الأخرى، غالبا ما يسهم الحوار في ذلك فتكشف الشخصيات عن نفسها وعن غيرها، الأمر الذي استخدمه القاص في إدارة الحديث مع والده في الهاتف، وفي لقاء والدته، بقدر يتناسب مع الأحداث.




قصة

مطعم التسونامي

جاء النص على لسان البطل رشيقا ماتعا، نلمح فيه الإبداع والتمكن من فن القصة القصيرة، تسير أحداثه بتتابع فتلتحم حلقاتها وتشتد أجزاؤها لترسم لنا صورة البورتريه القصصي كاملة.

ربما تغافل القاص عن بعض سمات التشخيص الكلاسكية من الوصف الجسدي للبطل، لكنه ركز في توصيف الشعور النفساني للمعاناة والفقد التي يدور في فلكها النص.

وتكمن إشكالية النص في هذا التقسيم الذي سيطر على شكل القصة، فكنت أرجو أن يبدأ القاص قصته هذه على لسان البطل جاعلا زمام الحكي في يدي الراوي المشارك فقط دون الحاجة إلى القسم الأول برواييه خصوصا الراوي الوسيط «عثمان»، فالسرد في القسم الثاني متماسك غاية التماسك، والشغف فيه مشتعل، والسرد جذاب، الأمر الذي نفتقده مع المباشرة وكثرة التمهيدات والتنقل بين الرواة في القسم الأول، فالقصة القصيرة قائمة على التركيز، التركيز أساس في الموضوع، وفي الحادثة، وفي طريقة سردها، أو في الموقف وطريقة تصويره.

ويبلغ التركيز حد أنه لا تستخدم لفظة واحدة يمكن الاستغناء عنها، أو يمكن أن يستبدل بها غيرها، فكل لفظة تكون موحية، ويكون لها دورها، تماما كما هو الشأن في الشعر، فهو ابن اللحظة الآنية التي تومض كالبرق، والقصة مثله، تومض في لحظة فتقتنصها الصورة الحكائية لتديم حضورها وتبسطها أمام العين كي تتأملها.

تتنامى وتتصاعد، تتقاطع وتتباعد، تفترق وتتواصل، دون أن يلحق أي خلل بانسجامها وتآلفها وارتباطها، بكل ما تتيحه عناصر السرد واستراتيجيات القص من إمكانات.

إنه فن الخداع، التضليل، الإغواء، أن تلعب بأعصاب القارئ، توقعه في لغز يعجز أن يجد له حلا ويلهث وراء الأحداث من أجله، حتى إذا انكشف أخذته الدهشة.

ويبقى المعنى العظيم من القصة: الفقد، فقد الولد واشتياق الأبوين وتوقف الزمن عند لحظة الافتراق.



الدكتور بديع السيد اللحام
أستاذ الحديث بكلية الشريعة
جامعة دمشق

السياسة بين المعجم اللغوي والنص الشرعي

شاعت مفردة (السياسة) على ألسنة مختلف الشرائح الاجتماعية من مسؤولين وعلماء وباحثين وعامة وخاصة، بل أصبحنا لا نستغني عن استعمالها في حياتنا اليومية ولمختلف أنشطتنا وأعمالنا، أفرادا، وجماعات، وتجمعات ومؤسسات، فللتربية (سياستها)، وللثقافة (سياستها) وللاقتصاد (سياسته)... وهكذا في سائر تقلباتنا نقحم مصطلح السياسة للتعبير عن قيامنا بأمورنا كلها وفق خطة منظمة ذات مقاصد وأهداف.

وسأحاول في هذا المقال أن أعود إلى مصادرنا اللغوية والحديثية لتسليط الضوء على مدلول هذه الكلمة من خلالها.

أولا - السياسة لغة واصطلاحا

أ - السياسة لغة:

يقول الإمام أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ) أحد أئمة اللغة وفرسانها[١]: «السين والواو والسين أصلان:

أحدهما فساد في شيء.

والآخر جبلة وخليقة.

فالأول: ساس الطعام يساس، وأساس يسيس، إذا فسد بشيء يقال له سوس.

وساست الشاة تساس، إذا كثر قملها.

ويقال إن السوس داء يصيب الخيل في أعجازها.

وأما الكلمة الأخرى: فالسوس وهو الطبع. ويقال: هذا من سوس فلان؛ أي طبعه.

وأما قولهم سسته أسوسه فهو محتمل أن يكون من هذا، كأنه يدله على الطبع الكريم ويحمله عليه.

والسيساء: منتظم فقار الظهر.

وماء مسوس وكلأ مسوس، إذا كان نافعا في المال، وهي الإبل والغنم. والله أعلم بالصواب».

وهكذا نرى أن ابن فارس أرجع هذه مادة (سوس) إلى أصلين.

وإذا تتبعنا المعاجم اللغوية رأينا أن كلمة: (سياسة) ترد في كلام العرب لمعان عدة.

قال جمال الدين بن منظور (ت: ٧١١هـ) في (لسانه)[٢]: «ساس الأمر سياسة: قام به، وسوسه القوم: جعلوه يسوسهم.

ويقال: سوس فلان أمر بني فلان،

أي: كلف سياستهم.
وسوس الرجل أمور الناس... إذا ملك أمرهم.
والسياسة: القيام على الشيء والتعهد له بما يصلحه.
والسياسة فعل السائس، يقال: هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها، والوالي يسوس رعيته.
سوس له أمرا أي: روضه وذلله»[٣].
وفي (المعجم الوسيط): «ساس الناس: تولى رياستهم وقيادتهم.
وساس الدواب: روضها وأدبها.
وساس الأمور: دبرها وقام بإصلاحها»[٤].
وخلاصة الأمر أن استعمالات هذا اللفظ تضمنت جملة واسعة من المعاني والمدلولات، نذكر منها:
- الرياسة والحكم والقيادة: وهي الأشهر استعمالا.
- التدبير والإصلاح والرعاية.
- الترويض والتأديب والتذليل.
- الطبع والسجية والخلق.
- والمعاملة، والتأثير،... إلخ.
يقال: ساس فلان الدابة: إذا قام عليها، وراضها.
وساس فلان وسيس عليه؛ أي: أدب وأدب.
وسيست الرعية: استصلحتها بالأمر والنهي.
فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا... إذا نحن فيهم سوقة نتنصف
وساس الملك: دبر شؤون المملكة، قال ابن زريق الشاعر (ت: ٤٢٠ هـ تقريبا):
أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته... كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
هذا ولا يخفى أن كثيرا من هذه المعاني يرجع إلى الأصلين الذين ذكرهما الإمام ابن فارس.

ب - السياسة اصطلاحا:

السياسة في الاصطلاح وإن تعددت تعريفاتها وكثرت فإنها في نهاية المطاف تؤدي مدلولا واحدا واضح المعالم، يتقاطع مع بعض المعاني اللغوية للكلمة.
وقد عرفها أبو البقاء الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ) بقوله: «هي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل، وهي من الأنبياء على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم، ومن السلاطين والملوك على كل منهم في ظاهرهم لا غير، ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصة في باطنهم لا غير»[٥].
وأما صاحب (دستور العلماء) فيرى أن السياسة المدنية هي: «علم بمصالح جماعة متشاركة في المدنية ليتعاونوا على مصالح الأبدان وبقاء نوع الإنسان» فعرفها بثمرتها ومقصدها.
ورأى أنها تنقسم «إلى قسمين: إلى ما يتعلق بالملك والسلطنة ويسمى (علم السياسة)، وإلى ما يتعلق بالنبوة والشريعة ويسمى (علم النواميس)»[٦].
وأرى أن التعريف المختار للسياسة هو: «فن ممارسة القيادة والحكم، وعلم السلطة أو الدولة، وأوجه العلاقة بين الحاكم والمحكوم»[٧].
و«علم الدولة، يشتمل على نظام الدولة وقانونها الأساسي ونظام الحكم فيها»[٨].
ويمكن أن نتوسع قليلا في التعريف ليشمل ما يدل على العلاقات الدولية، فتكون السياسة حينئذ: «اسم للأحكام والتصرفات التي تدبر شؤون الأمة في حكومتها، وتشريعاتها، وقضاتها، وفي سلطاتها التنفيذية والإدارية، وفي علاقاته الخارجية التي تربطها بغيرها من الأمم»[٩].
نلاحظ مما تقدم أن مفهوم السياسة في اللغة ومفهومها في الاصطلاح متقارب، فهو القيام على الشيء بما يصلحه، ولا يصلح أمر من غير علم يقوم به، وهو ما نص عليه التعريف الاصطلاحي من أن السياسة علم، وأما كون: «السياسة فن» فذلك مرتبط بالصلاح[١٠].

جـ - السياسة في المصادر الحديثية[١١]:

لم ترد لفظة (سياسة) بأي معنى من المعاني في كتاب الله الكريم، بينما تكررت هذه اللفظة ومشتقاتها في المصادر الحديثية، وأهمها ماورد في الحديث المرفوع[١٢] عن النبي ﷺ كما جرت على لسان الصحابة رضي الله عنهم، وفي أقوال التابعين:
١ - فمن الحديث المرفوع ما أخرجه الشيخان أن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»[١٣].
هذا وقد تصدى شراح الحديث النبوي لبيان معناه وبيان المراد منه.
قال أبو العباس القرطبي (ت: ٦٥٦هـ): «يعني بهذا الكلام أن بني إسرائيل كانوا إذا ظهر فيهم

فساد أو تحريف في أحكام التوراة بعد موسى بعث الله تعالى لهم نبيا يقيم لهم أمرهم ويصلح لهم حالهم، ويزيل ما غير وبدل من التوراة وأحكامها»[١٤].

وقال الإمام النووي (ت: ٦٧٦هـ): «تسوسهم: أي يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية»[١٥].

وف بيان الحكم المستفاد من الحديث يقول الوزير ابن هبيرة (ت: ٥٦٠هـ)[١٦]: «في هذا الحديث من الفقه: جواز ذكر السياسة، وأنه لا بأس بذكر هذه الكلمة».

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)[١٧]: «فيه إشارة إلى أنه لا بد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم».

وقد استفاد هذا المعنى محمد بن علي الصديقي (ت: ١٠٥٧هـ)[١٨].

٢ – وقد وردت كلمة السياسة في بعض الآثار الموقوفة على الصحابة:

– منها قول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مخاطبا أهل الكوفة: «والله لتجدن في أمر الله، ولتقاتلن على طاعة الله، أو ليسوسنكم أقوام أنتم أقرب إلى الحق منهم فليعذبنكم، ثم ليعذبنهم الله»[١٩]، فقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليسوسنكم»؛ أي ليقومون على شؤونكم، وقيادتكم.

– ومنه ما روي عن المستظل بن حصين، قال: خطبنا عمر بن الخطاب، فقال: «قد علمت ورب الكعبة متى تهلك العرب»، فقام إليه رجل من المسلمين فقال: متى يهلكون يا أمير المؤمنين؟ قال: «حين يسوس أمرهم من لم يعالج أمر الجاهلية، ولم يصحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢٠].

٣ – وكذلك نجد استخدام لفظة: (السياسة) في كلام التابعين، من ذلك ما رواه ابن عبد البر[٢١] عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث قال: «العلم لواحد من ثلاثة؛ لذي حسب يزينه به، أو لذي دين يسوس به دينه، أو لمن يختلط بالسلطان ويدخل إليه يتحفه بعمله وينفعه به» قال الزبير بن بكار: «ولا أعلم أحدا جمع هذه الخلال إلا عروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز فكلاهما جمع الحسب والدين ومخالطة السلطان».

ويظهر مما تقدم أن الصحابة والتابعون استخدموا كلمة (السياسة) بشأن يرتبط بالحكم من جهة الحث على رعاية مصالح الرعية وحسن تدبير أمورها بما يعود بالنفع العام على الأمة والمجتمع، كما نجدهم في الوقت ذاته يحذرون من أن يؤل الأمر إلى من لا يحسن السياسة بهذا المعنى فيكون ذلك وبالا على الأمة والمجتمع.

الهوامش

١- في مقاييس اللغة، (٣/١١٩) مادة: (سوس).
٢- لسان العرب: (٦/٤٢٩-٤٣٠)، مادة: (سوس).
٣- ينظر لسان العرب: (٦/٤٢٩-٤٣٠)، مادة: (سوس) ومطالع الأنوار على صحاح الآثار: (٥/٥٥١).
٤- المعجم الوسيط: (٢/٤٦٢)، مادة: (ساس).
٥- الكليات: (ص: ٥١٠).
٦- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٢/ ١٤٠).
٧- موسوعة السياسة: (٣/٢٦٢-٢٦٣).
٨- ينظر القاموس السياسي: (ص: ٦٦١).
٩- السياسة الشرعية والفقه الإسلامي، للشيخ عبد الرحمن تاج، (ص: ٨١).
١٠- ينظر شرعية الاختلاف بين المسلمين، عمران سميح النزال، (ص: ٦٧-٦٨).
١١- المراد بـ(الحديث) ما يشمل أحاديث النبي ﷺ، وأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.
والمراد بـ(المصادر الحديثية) المدونات الحديثية التي تروي الأحاديث بأسانيدها.
١٢- الحديث المرفوع: هو ما أضيف على النبي ﷺ قولا أو فعلا أو تقريرا. ينظر الإيضاح
١٣- أخرجه البخاري: في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٢٦٨) ومسلم: في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (١٨٤٢).
١٤- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤/ ٤٧).
وقال ابن حجر: (تسوسهم: أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبيا يقيم أمرهم، ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة) فتح الباري شرح صحيح البخاري: (٦/٦١٥).
١٥- شرح صحيح مسلم: (٤/١٩٤٣-١٩٤٤). وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٢١)، والكاشف عن حقائق السنن للطيبي (٨/ ٢٥٦٤).
١٦- في كتابه الإفصاح عن معاني الصحاح (٧/ ١٦١).
١٧- في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٤٩٧).
١٨- في كتابه دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٥/ ١١٨).
١٩- مسند ابن الجعد: حديث (١٨٣٠).
٢٠- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف في الفضائل، باب في فضل العرب (٦/ ٤١٠)، صححه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٤٧٥)، ووافقه الذهبي.
٢١- في جامع بيان العلم وفضله، باب ذم العالم على مداخلة السلطان الظالم، (١١١٩).



عمرو طه
قاص مصري

ولا تعجب أن يأتيك النور من سواد الحلك، فالبدر لا يطلع إلا إذا شق رداء الليل، والفجر لا يدرج إلا من مهد الظلام

المنفلوطي

الغائبون في الأوقات الصعبة يجب أن يظلوا غائبين إلى الأبد

أحمد خالد توفيق

أحيانا يجب أن نجرب الحزن لنتذوق السعادة، الضوضاء لتقدير الصمت، الغياب لنعرف أهمية الحضور

سوزان كولنز

ذنبك أنك عميق بينما الكل يطفو من السطحية، عميق بينما الكل ينظر للأمور نظرة عابرة وأنت تذوب في التفاصيل

دوستويفسكي

كن شريفا أمينا، لا لأن الناس يستحقون الشرف والأمانة، بل لأنك لا تستحق الضعة والخيانة

عباس محمود العقاد

الخصوصية قوة؛ فالناس لا يستطيعون تدمير ما لا يعرفون

مصطفى محمود

كم هو مضحك ألا يفر المرء من شرور نفسه، وهو أمر ممكن، في حين يسعى للفرار من شرور الآخرين، وهو أمر مستحيل

أوريليوس

الأستاذ الدكتور
عبد المنعم عبد الله حسن
الأستاذ في كلية اللغة العربية بالمنصورة



يا أيها الشهر المبارك

فقت الشهور تجلة ومقاما ... ولها غدوت بما خصصت إماما
الذكر باسمك، قد أبان صراحة ... دون الشهور، فحزت ذاك وساما
والذكر فيك على النبي منزل ... آيات صدق، في العلا تتسامى
فهي الهدى للناس، والنور الذي ... بجلال طلعته يبيد ظلاما
وهي الشفاء ورحمة للمؤمنين، تحطم الأسقاما
يأيها الشهر المبارك، جئتنا ... تهدي إلينا في سناك صياما
فالصوم حصن للنفوس وجنة ... وسياج أمن ، يحجب الآثاما
هذا نهارك ... بالصيام معطر ... والليل فاح تهجدا وقياما
وتعددت صور الهداية والتقى ... والله ينعم بالهدى إنعاما
وتكاثرت سبل الهدى، وتنوعت ... نهر يفيض، فيغدق الإكراما
هذا يفطر صائما.. ذاك الذي ... بالحب يعطي السائلين طعاما
وترى الذي منح الفقير عطاءه ... ومن احتوى بوصاله الأرحاما
وترى الذي للبائسين ملاذهم ... يرعى بآيات الحنان يتامى
وأمد طلاب العلوم بحاجهم ... وأعان في مؤن الزواج أيامى
وتسابقت كل النفوس تسابقا ... في الصالحات، وأقدمت إقداما
الله أكبر.. قد تسامى شرعه ... فوق الذرى.. ما أعظم الإسلاما!
يا رب، فاجعل نور شهرك باقيا ... فينا، لنبقى في هداك دواما

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

الوعي الإسلامي

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com



أحمد بسيوني عبدالرؤوف
كاتب وباحث شرعي



قراءة حضارية في رحلة الإسراء والمعراج

لا تزال معجزة الإسراء والمعراج تشغل بال الكثير من الباحثين، والدارسين، واحتلت مساحات كبيرة من تفكيرهم وكتاباتهم، باعتبارها حدثا بارزا ومميزا في حياة النبي ﷺ وتاريخ دعوته ورسالته، ممتلئا بالدروس والعبر، ومعينا صافيا للعلماء والباحثين يردونه في مختلف العصور والأزمنة، فأبعاد هذا الحدث الفريد في تاريخ الإنسانية عميقة، وآفاقه ومراميه واسعة رحبة، ساهمت في بناء وحدة الشعوب، وغرس معاني التواصل الإيجابي بين البشر مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم ودياناتهم، وخلوده نابع من خلود قيمها وأبعادها الإنسانية العامة.

الإسراء والمعراج ومستقبل الدعوة

إن الرؤية التي يمنحها الإسلام للمستقبل بشكل خاص، ولعالم الغيب بشكل أعم رؤية غائمة، حالمة، طوباوية، بعيدة عن القدرة على التصور والإحاطة العقلية بها، وإنما هي رؤية تمتلك كامل مقوماتها، وحتى مقوماتها المادية في الدنيا ونماذج السنن التي تحكمها، حيث يمدنا التاريخ بدليل صدقها وفاعليتها، ويضعنا على عتبة المستقبل، متحققين بالزاد المطلوب، لذلك نقول إن أي استشراف للمستقبل لا يمكن أن يتحقق من دون استشراف الماضي(١).

ولن أكون مبالغا إذا قلت إن معجزة الإسراء والمعراج لم تكن مجرد «نزهة» في سماوات عالم الغيب بعد اشتداد ظلم الناس في عالم الشهادة، ولم تكن

مجرد «رحلة» للقاء الأنبياء عليهم السلام، بل كانت استشرافا لمستقبل الدعوة الإسلامية وكانت درسا مهما من مقررات التوحيد والتاريخ والجغرافيا، لكي تدرك أمة الرسالة الخاتمة أهمية دروس التاريخ المتوغل في سراديب الماضي وأقبية الدهور حتى تسير في مستقبلها الآتي في ضوء هدايات الوحي المقدس في دروب الحاضر المتطلع إلى المستقبل بكل ثقة وصبر ويقين وتؤدة وتمهل، منطلقة من قول ربها: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ (طه:١١٤).

فلا تعجل بالأحداث من قبل أن تقضى نهايتها، وغايتها دون أن تعمل بالأسباب، وتتزود بمعرفة مجريات الأحداث، وتقاوم القدر بقدر أحب إلى الله منه، لذلك فإن لكل حدث في قصة الإسراء والمعراج عمقا بعيدا، وإن لكل حركة مدلولا واسعا، وإن لكل مشهد مضمونا مكنونا، وإن كل عبارة تحمل في طياتها إشارة وبشارة وإن لكل فعل ماض ترجمة مستقبلية(٢).

البعد الحضاري للإسراء والمعراج

من أعظم الدروس المستفادة من هذه الرحلة المباركة أنها أصلت للعلاقة المستقبلية بين الإسلام وسائر الديانات السماوية، ووضعت الخطوط العريضة للتعايش السلمي بين الشعوب، القائم على الحوار والاحترام المتبادل والمنفعة المشتركة، فنحن في حاجة إلى قراءة حضارية للإسراء والمعراج، بعيدة عن السرد القصصي، حيث تحقق في هذه الليلة المباركة حضور كل الأنبياء والمرسلين، احتفاء بمبعث خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

فحادثة الإسراء والمعراج في جوهرها لقاء حضاري في عالم روحاني خاص جمع بين رموز الديانات السماوية ومؤسسيها من الأنبياء والمرسلين، الذين اصطفاهم الله من بين الخلائق لهداية أقوامهم، وجمع شتاتهم وتقوية روابطهم، حيث جُمع للنبي ﷺ الأنبياء والمرسلون السابقون، قال عليه السلام: «ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل حتى أممتهم» (رواه النسائي، ٢/٢٢٧).

ثم لخص كل نبي مسيرته وأهداف دعوته، فقد جاء في روايات متعددة عن أبي هريرة أن الأنبياء اجتمعوا بالنبي ﷺ وخطبوا في تلك الليلة بين حضرته، كل بما امتن به الله عليه، فأثنى إبراهيم عليه السلام على ربه فقال: «الحمد لله الذي اتخذ إبراهيم خليلا، وأعطاني ملكا عظيما، وجعلني أمة قانتا لله، وأنقذني من النار وجعلها علي بردا وسلاما. ثم إن موسى أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي كلمني تكليما، واصطفاني برسالاته وكلماته، وقربني إليه نجيا وأنزل علي التوراة، وجعل هلاك آل فرعون على يدي. ثم إن داود أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي خولني ملكا عظيما وأنزل علي الزبور، وألان لي الحديد، وسخر لي الطير والجبال وآتاني الحكمة وفصل الخطاب. ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي سخر لي الرياح والجن والإنس، وسخر لي الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل، وعلمني منطق الطير وكل شيء، وأسال لي عين القطر، وأعطاني ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدي. ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي علمني التوراة والإنجيل، وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص، وأحيي الموتى بإذنه، ورفعني وطهرني من الذين كفروا، وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان عليها من سبيل.

ثم إن محمدا أثنى على ربه فقال: كلكم قد أثنى على ربه وإني مثن على ربي. فقال: الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرا ونذيرا، وأنزل علي القرآن تبيانا لكل شيء، وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس، وجعل أمتي أمة وسطا، وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون، وشرح صدري ووضع عني وزري، ورفع لي ذكري، وجعلني فاتحا وخاتما. فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد» (دلائل النبوة للبيهقي، ٢/٢٧٦).

وفي هذا اللقاء رسالة إلى الشعوب بأن الحوار هو سبيل التعايش، ولا بديل عن الرحمة والمحبة والتآلف والتحابب مهما ضاقت السبل، ويبقى التسامح على مر الأزمان قيمة إنسانية أجمعت الديانات على إقرارها، بغرض قيام مجتمع إنساني متسامح بمعنى الكلمة، يعمر الكون ويشيع السلام بين الشعوب باختلاف ألوانها وعقائدها وانتماءاتها السياسية.

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

إن أهم ما يميز هذه الرسالة الخاتمة أنها رحمة للعالمين، ومظاهر الرحمة فيها كثيرة ومتعددة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧). فحصر علة إرساله عليه الصلاة والسلام في أنه رحمة للعالمين دلالة على ما في رسالته من الرحمة العامة والخاصة، كما أن ختم النبوة من فضائله ﷺ التي فضل بها على إخوانه من الأنبياء والرسل كما جاء في الحديث: «فضلت على الأنبياء بست» وذكر منها «أرسلت

إلى الخلق كافة وختم بي النبيون» (رواه مسلم، ٥٢٣). فهو مبعوث للناس كافة وليس بعده نبي ولا رسول، إلا أنه من قواعد الإيمان الثابتة في الدين الإيمان بالأنبياء والرسل والكتب التي نزلت عليهم، وأن الدين الذي جاءت به الرسل واحد، وهو الإسلام، وأن بعض الشرائع تختلف، فشريعة عيسى تخالف شريعة موسى في بعض الأمور، وشريعة محمد ﷺ تخالف موسى وعيسى في أمور لذلك قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة:٤٨).

وقد ضرب الرسول ﷺ مثلا لاتفاق الرسل في الدين الواحد فقال: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» (رواه البخاري، ٣٤٤٣). قال ابن حجر: «ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع» (فتح الباري، ٤٨٩/٦).

فعلاقة الإسلام بالديانات السماوية هي علاقة تكامل وتصحيح، وما جاء به الإسلام لم يكن جديدا بقدر ما كان تصحيحا لبعض الانحرافات التي اعترتها على مر القرون، فرد الأديان إلى أصلها الصحيح في الإيمان بالله وحده، والإخلاص في عبادته، وعلى هذا الأساس بنى الإسلام تصوره في التعايش مع غير المسلمين، فحذرنا من إكراههم في الدين، ودعانا إلى احترامهم، واحترام أديانهم، وإقامة علاقات معهم على أساس المودة والرحمة والمصالح المشتركة.

السلام مقصد ديني ثابت

السلام اسم من الأسماء التي خص الله تعالى بها نفسه حيث قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الحشر:٢٣)، كما جعل السلام منه منة على الرسل وتحية فقال في آيات عديدة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الصافات:٧٩)، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ (الصافات:١٢٠)، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات:١٨١). وخص بالسلام أهل الجنة فقال: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ (الحجر:٤٦)، وأوصى عباده المتقين بالسلام في القول والفعل بقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ (الفرقان:٦٣)، وجعل السلام صفة الحياة الآخرة للمسلمين فقال: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:١٢٧)، ووجه الله دعوته للمؤمنين بمعايشة السلم مع بني البشر فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ (البقرة:٢٠٨).

وحدة الأصل البشري

إن مما يتميز به ديننا الحنيف أنه ينظر إلى الناس مهما اختلفت أجناسهم وألسنتهم وألوانهم أنهم يشكلون وحدة إنسانية تشترك في الأصل والطبيعة والمصير، فأصل الناس جميعا نفس واحدة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١).

وهذه النفس الواحدة هي النفس الإنسانية المجردة عن كل وصف، يقول رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى» (رواه أحمد، ٢٣٤٨٩). كما يذكرنا القرآن الكريم بأن الأرض جميعا لله، قد خلقها بما فيها، وسخرها للإنسان فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣٠)، فالجنس البشري كله مستخلف في هذه الأرض ليعمرها وينميها ويستغل خيراتها، وهي مسؤولية شاقة وجسيمة لا تتحقق إلا في نطاق تعاون الأفراد والمجموعات، ومن هنا جاءت دعوة الإسلام للناس إلى التعارف، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ (الحجرات:١٣).

ولقد ضرب المسلمون أجمل الأمثال في تعاملهم مع مخالفيهم، وأظهروا سماحة رائعة معهم فاعتبروهم مواطنين يتمتعون بكل حقوق المواطنة، ويؤدون واجباتهم على حد سواء، وتاريخنا الإسلامي المجيد يحتفل بنماذج راقية وصور رائعة من تعايش المسلمين مع مخالفيهم، فقدموا صورة ناصعة عن الإسلام الحق، إسلام الرحمة والمحبة، إسلام التآلف والتحابب، إسلام التعايش والحوار.

والحضارة الإسلامية باعتبارها ذات طابع إنساني فإنها ترفض الانغلاق وتدعو إلى الانفتاح على الآخر، والتسامح هو أحد أركان الانفتاح، ولا يمكن أن يحقق أهدافه الحضارية والثقافية إلا إذا استندت العلاقة القائمة بين الشعوب إلى ركن أخلاقي متين، ويتمثل في ضرورة قيام التعامل بين الدول والمجتمعات على مرجعية أخلاقية مشتركة، تقر بمبدأ الندية في التعامل في كنف الاحترام المتبادل والمتكافئ، حتى لا يصبح التسامح ضربا من الابتزاز والتظالم، فحوار الحضارات يعد في جوهره رؤية استشرافية تؤسس لمستقبل أكثر اطمئنانا، تقر مبادئ التسامح والتعايش السلمي، والتضامن والاستقرار العالمي، منطلقة من المبادئ الإنسانية التي تدرك طبيعة التنوع البشري وتتعامل بإيجابية وانفتاح مع الألوان الثقافية والحضارية، فهو حوار بين كافة الثقافات والحضارات والشعوب، أما القول بصدام الحضارات الذي يرد على لسان بعض المفكرين فإنه تدمير لهذه الرؤية وتدعيم للعنصرية، فالإسلام لا يعرف صراع الحضارات ولا نهاية التاريخ، بل ينادي بالتفاعل الحضاري على أساس الندية، والمشاركة الفعالة في الإنجازات الكونية، مع الاحتفاظ بالخصوصية الثقافية وإقرار حق الاختلاف بين الشعوب.

وهذا ما ينبغي أن نستمد منه عناصر قوتنا وتوظيفه لمصلحة مجتمعاتنا بنشر الكلمة الطيبة والسلوك الحضاري القويم، اقتداء بالمواقف النبيلة لرسولنا محمد ﷺ. ومن هذا المنطلق تصبح المثاقفة الأسلوب الأكثر تحضرا في التعامل بين الشعوب، لأنها ترجمة حقيقية للرغبة في التعايش السلمي فهي اطلاع على ثقافة الآخر، وتطلع إلى التعايش معه على أساس الحوار والاحترام المتبادل بين الثقافات والتقاليد، فالمثاقفة هي مشروع بديل لصدام الحضارات، الذي يروج له كثير من المفكرين الغربيين، أو إلغاء الآخر الذي يتبناه كثير من المنتسبين للإسلام.

والنموذج لا يدحضه إلا وضع نموذج بديل، فلا هي دعوة إلى إلغاء الثقافات الأخرى، ولا هي فرض الثقافات الأخرى على المجتمعات الإسلامية، ولكنها تحاور وأخذ وعطاء، فهي عملية سلمية تتم بالتراضي، بغية الارتقاء بالإنسان وإشاعة قيم الخير والأمن والسلام في الكون، فالناس إخوة، والقيم عموما من حيث المنطلق إنسانية تستند إلى فطرة الإنسان وطبيعته، فلا مجال للحروب الأهلية والنزاعات العرقية وتنامي الكراهية والبغضاء بين بني آدم.

أما الصدام الثقافي فهو تنافر وتصادم بين ثقافتين إلى حد الرضوخ لخصائص الثقافة الأقوى، أساسه اقتناع أصحاب هذا المشروع بوجود فروق جوهرية وأساسية بين الثقافات، وتمايز الواحدة عن الأخرى بالتاريخ واللغة والتقاليد، والأهم الدين، وحتى نتجنب مخاطر الصدام الذي قد يوصلنا إلى مرحلة التبعية والذوبان الثقافي أو الانغلاق والجمود، ليس أمامنا إلا الانفتاح على ثقافات العالم، لأن الانغلاق يؤدي إلى التهميش وتقبل الوافد من منظور نقدي بمقارنته مع موروثنا، ومن ثم قبوله أو رفضه، ومن استوعب ثقافة قوم عرف قدرهم وفهم سر حضارتهم وسبب قوتهم وضعفهم، وإن المثاقفة في العصر الحديث أصبحت عملية متاحة لعموم الناس، نظرا للتطور الهائل الذي حدث في مجال المواصلات والاتصالات.

تلك هي القراءة الحضارية لرحلة الإسراء والمعراج والرسالة الخاصة للمسلمين وللإنسانية قاطبة، وإذا كانت باقية كل سنة فلأن التذكير بالسلام في كل حين أمر ضروري، حتى يعيش كوكبنا في أمن وسلام، الأمن النفسي أولا من خلال المعراج الروحي كل يوم نحو الله تعالى بالصلاة والدعاء، فبين المعجزة وفريضة الصلاة ارتباط دقيق وثيق، فإذا كان معراج نبينا إلى السماء بجسمه وروحه معجزة، فإن الله جعل للمسلمين معراجا روحيا في كل يوم خمس مرات تعرج فيه قلوبهم إلى الله سبحانه وتعالى بالمناجاة والدعاء، ويحقق الترفع عن أهوائها وشهواتها، مما يدفعهم إلى عمارة الأرض بالخير، والسمو والتسامي والأمن والسلام الاجتماعي من خلال التواصل والتقارب بين الشعوب، ونبذ العنف الذي بات يهدد مصير الإنسانية. من هنا ندرك أن ديننا الحنيف هو دين السلام، وهو نعمة من نعم الله على البشرية، يجمعها على معاني المحبة والتقارب، ليسود السلام في الأرض، وبهذا أرسى الإسلام مبدأ أساسيا للتعايش السلمي، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ (البقرة:٢٠٨).

الهوامش

١-٢- المستقبل للإسلام، للدكتور أحمد علي الإمام، سلسلة كتاب الأمة، العدد:٤٦، السنة ١٥، الطبعة الأولى، ربيع الأول ١٤١٦هـ/أغسطس ١٩٩٥م.



شيرين علي
باحثة تربوية



نقاء الطفولة في رمضان

يا رب! من أجل الطفولة وحدها
أفض بركات السلم شرقا ومغربا
وصن ضحكة الأطفال يا رب إنها
إذا غردت في موحش الرمل أعشبا

غراس الحياة، وقطوف الأمل، وقرة عين الإنسان، وزهور الأمة، وبراعم الغد المشرق.. تذكار الصبا، ووديعة الله المقدسة، وهدية السماء..

يقول الله عز وجل: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٦)، وفي الحديث الشريف يقول رسول الله ﷺ: (أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم).

وفي التراث العربي؛ نجد قول الشاعر حطان بن المعلى يقول:

وإنما أولادنا بيننا أكبا
دنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عيني عن الغمض

الطفولة من أجمل مراحل الحياة وأعذبها؛ حيث يكون الطفل في منتهى البراءة والصفاء.. والأطفال هم الضحكة البريئة والقلب الصافي؛ حيث لا أحقاد ولا تفكير ولا حساب إلا لليوم الذي يعيشه الطفل.

الطفولة هي ربيع الحياة وبراعمه المتفتحة التي تملأ الدنيا أزهارا زكية عطرة، وهي الأحلام والأمل، وهي قطرات الندى فوق الورود الجميلة في صباحات الحياة المشرقة. ما أجمل الطفولة! تجد في ابتسامتهم البساطة، لا يحقدون

ولا يحسدون، وإن أصابهم مكروه لا يتذمرون.. يعيشون اليوم بيومه؛ بل الساعة بساعتها، أحاسيسهم مرهفة، وأحاديثهم مشوقة، وتعاملاتهم محبة.

الطفولة صفحة بيضاء، وحياة صفاء، ثغر باسم وقلب نقي.

الطفولة عالم مخملي، شجرة نقاء وارفة الظلال، وأغصان عفوية تحمل ثمار القبول.

الطفولة قصة حلم، وقصيدة أمل، وخاطرة عذوبة.

الطفولة حياة الروح، وروح الحياة.

وبالوقوف عند الصيام وأهميته في حياة الأطفال نقول: يؤدي الصيام دورا كبيرا في تنشئة الطفل نفسيا واجتماعيا، ويتمثل هذا الدور في النقاط الآتية:

● تهذيب نفس الطفل واستقامة سلوكه، وتطهير النفس وتزكيتها من الأدران، وتجديد العودة والإقبال على لله.

● تقوية إرادة الأطفال وتنشئتهم على إدراك أن للصوم ثلاثة أبعاد تتعلق بالروح والعقل والجسد، وأن لكل بعد من هذه الأبعاد رياضات تناسبه، وأن الصوم هو أعظم رياضات الروح، إلى جانب ما للصوم من فوائد مهمة في تقوية إرادة الأطفال وتنمية قدرتها على التحمل ومواجهة المشكلات.

● إكساب الطفل الثقة في النفس ونجاحه في خوض التجربة المتميزة.

● الإحساس بمشاعر الآخرين؛ ذلك أن الصوم مدرسة إسلامية عظيمة تربي الإنسان بكل مكوناته ومقوماته النفسية والجسمية والروحية والخلقية والاجتماعية.

● يعود الطفل الصبر: الصبر على الطاعة، والصبر على ترك المعصية، والصبر على أقدار لله، وقد أشار المصطفى ﷺ إلى هذا الأثر للصيام بقوله عن رمضان: (... وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة).

● يعود الصوم الطفل على التقوى وضبط النفس عبر إشعاره بمسؤولياته عن نفسه وتحمل المتاعب عن طواعية واختيار.

❖ ويترتب على تدريب الطفل على الصيام جعله يعيش معاني التكافل واقعا عمليا، مثل: مساعدة الفقير والمحتاج. ويترتب على صيام الطفل تدريبه على مفهوم المساواة عمليا، فمن حكم الصوم: المساواة بين الأغنياء والفقراء؛ والصوم يؤدي إلى إشعار النفس الإنسانية بطريقة عملية أن الأخوة الصحيحة والمحبة الصادقة تتمثل بالشعور في التساوي.

والصوم من العبادات التي تقوي صلة الطفل بربه، وتعده



للحياة الأفضل.

والمربي وحده هو الذي يستطيع أن يصحح العادات السيئة التي ترسخت عبر الأجيال، فحولته من موسم ذكر وصلوات إلى موسم غفلة وشهوات، وإهدار للأوقات أمام الشاشات التي نذرت نفسها ورصدت أموالها لتشويه موسم العبادة العظيم.. وللأسرة دور كبير في تعويد الطفل على الصيام في سن مبكرة، وأهم دور تقوم به العائلة:

١- القدوة والأسوة الحسنة؛ فإن كان الأبوان يحبان هذا الشهر ويصومانه طاعة وايمانا واحتسابا وليس عادة؛ فإن الأبناء يقتدون بهم.

٢- التشجيع المستمر للأطفال، والثناء عليهم أمام الأقارب والأصدقاء.

٣ - الحرص على وجبة السحور؛ مما يعين الطفل على الصيام وعدم الشعور بالجوع، وعلى الوالد والوالدة التذكير بفضل السحور؛ حيث حض رسول الله ﷺ على السحور فقال: (تسحروا؛ فإن في السحور بركة). رواه البخاري ومسلم.

٤- الدعاء المستمر للأبناء وللذرية بالصلاح والفلاح في أمور الدين، وأفضل الدعاء في هذا المقام: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.



د. عزيز كربوب
تخصص الدراسات الإسلامية
جامعة القاضي عياض

مفهوم الهوية نموذجا

أزمة المفاهيم في تصور المفكر عبد الكريم غلاب



ليس من السهل الحديث عن موضوع الهوية، لما لها من أهمية وارتباط وثيق بالوجود والانتماء للأمة والوطن. لكن هذا لا يمنع من المساهمة ولو بالتلميح لهذا الموضوع القديم الجديد، هذه المساهمة نستقيها من المفكر المغربي الراحل عبد الكريم غلاب، الذي أبدع في تناوله لكثير من المفاهيم، وتعد الهوية أهمها، لكونها هي الركيزة الأساس لأي حضارة.

في حديثه عن الهوية بدأ المفكر عبد الكريم غلاب حديثه عن الهوية بالمثال التالي: لو وقفت أمام شرطي مرور أو حراس حدود لسألك عن هويتك. وتمكنه من ورقة تعريف فيها اسمك واسم وطنك وعنوانك، فيتأكد من هويتك، ويسمح لك بالمرور، أو يمنعك إن كنت من غير المرغوب فيهم. تلك إذن هي هوية الإنسان في عرف شرطي المرور أو حارس الحدود.

إذ لو التمس الإنسان تفسيرا لغويا للهوية لأجابه أقرب قاموس إليه: ما يكون الشيء به هو هو، فالشيء والإنسان والمواطن والوطن والشعب والأمة تتفق جميعها في هذا التعريف.

وقد لا تقصر لغة عن لغة، وهي تقدم لك تعريفا سطحيا، تريد اللغة أن تخرج به من قصور أو إحراج، فتأخذ تعريفها من منطوق اللفظ، ولا تعمق فتبحث عن المفاهيم التي كان الشيء - الإنسان بها هو. لكن الهوية كقيمة أصبحت قضية تشترك في تحديد مفهومها كل القيم الكبرى من الإنسانية حتى القومية والوطنية والعقل والفكر واللغة والتاريخ والدين.

إن الهوية التي نبحث عنها في لحظات تعرف تتكون لدى الأمة والشعب والمواطن في حلقات متتابعة من التاريخ على قدر ما تجذرت في أعماق التاريخ. فلا يمكن مثلا التعرف على هوية الصين أو اليونان أو الفرس أو العرب إذا لم يتم تعميق البحث إلى ما قبل آلاف السنين.

وما من شك حسب عبد الكريم غلاب في أن هوية الأمم والشعوب والأوطان والإنسان تتعرض لعوامل التحات والتعرية، كما في الأرض الطبيعية سواء بسواء، فما من أمة استطاعت أن تحتفظ بكل مكونات ومقومات هويتها على مدى آلاف السنين أو مئاتها، ولكن الأمم الحية التي لم تندثر - ولو تعرضت لعوامل التحات والتعرية- كانت تملك قابلية للتطور والتجدد على مدى التاريخ.

إذا كانت عوامل التحات والتعرية

بتعبير المفكر غلاب، قادرة على أن تجرد الجبل من مظهره وطبيعته وقدرته على الصمود والعطاء، إلا إن الإنسان - إلى جانب مقومات الأمة والوطن- قادر على أن ينتصر على كل ظروف الاندثار والفناء ومقومات الهوية بين يدي، يستطيع ان يناضل ليحتفظ بيوت داخل أمت وشعبه ووطنه. ويستطيع -إذا هو تخلى عن مسؤوليات التاريخية في مواجهة عوامل الإفناء والاندثار- أن يساهم في ضياع هويته فيندثر وينمحي كما اندثر قوم عاد وثمود، أو يندمج ليصبح إنسانا أو وطنا أو أمة بلا هوية، اندثرت بالاندماج في أمة أخرى في وطن آخر في إنسان آخر، قد لا يكتسب هوية الآخر الذي اندمج فيه، ولكن يبقى ذنبا تابعا، يطغى عليه وجود الآخر: تاريخه، حضارته، دينه، قوميته، لغته، حتى كيانه الجغرافي.

ويرى المفكر غلاب أن الهوية القومية أساس من الهوية العامة للأمة والشعب والوطن والمواطن، وهو لا يقصد بذلك الهوية العرقية، فهذه في نظره رؤية متخلفة للهوية، وإنما يعني القومية التي يبلورها الانتماء إلى مجموعة بشرية جمعها التاريخ واللغة -في الغالب- وأهداف مشتركة، ودين مشترك -في الغالب- أو متجاور في الفكرة الأساسية كوحدانية الله وسماوية العقيدة، ثم ثقافة مشتركة أنتجت حضارة موحدة ومتقاربة فكريا وفلسفيا وإنسانيا وحياتيا. وبذلك حسب المفكر غلاب تدخل الثقافة كعامل مؤسس للحضارة وللقومية فتصبح الثقافة عنصرا من عناصر الهوية أساسا، وعنصرا من عناصر بلورة القومية التي هي بدورها عنصر أساسي لتكوين الهوية والحفاظ عليها.

وفي معرض حديثة عن الثقافة واللغة، أكد المفكر غلاب على أنه لا ثقافة لغة بدون أساس، حيث تكون وسيلة التفكير ومنطلقه، وتميز الأمة بقوميتها الواضحة. والوطن نفسه أساس لتحديد الهوية. قد يكون متعدد الدول أو المجموعات الدولية، ولكن يجمع المنتمين إلى القومية الواحدة، ويمنحهم هوية موحدة، وبالتالي فلا هوية بدون انتماء وطني. ومن اللغة إلى الدين، فهذا الأخير بتعبير المفكر غلاب، له أثر كبير في بلورة الهوية، فهو منظومة فكرية توحد المنتمين إليه في عقيدة واحدة، وبعقلية متقاربة، تساهم في بلورة الوحدة التي تمزقها القبلية والأيديولوجية أو السياسية أو الحزبية. ومن هنا فقد كان للدين الإسلامي الأثر الكبير في تحديد الهوية العربية وبلورتها؛ فالعروب قدمت الدين كأساس للهوية، والذين آمنوا به من العرب، ازدادوا تعلقا بالعروبة كلغة - يضمنها القرآن- وثقافة- أسهم القرآن في انطلاقاتها الفكرية والفلسفية والفقهية، فكانت اللغة إذن مجاورة للدين كأساس للهوية، خدمت الإسلام وخدمها بما قدم لها من قيم، في مقدمتها القرآن الكريم.

رغم قوة هذه العوامل، فقد تعرضت الهوية للاختراق عبر: تمزيق الوطن العربي وإحياء النزعة القبلية، حيث كان الاستعمار سبيلا لمسخ الهوية الحقيقية للشعوب العربية، غير أن صمود هذه الشعوب في وجه هذا المسخ قلل من تأثير الاستعمار، وحد إلى حد ما من نتائجه الخطيرة.

وتجدر الإشارة إلى أنه ليس اختراق اللغة وحده يؤدي إلى الانحراف بمفهوم الهوية، ولكن بتعبير المفكر غلاب، إن اخترق الثقافة بالمعنى العام ينتهي بذوبان الهوية الثقافية، وتبدأ المقولة برفع شعار التعددية الثقافية والكونية الثقافية، وهما شعاران يحملان طابع الانفتاح على العالم وثقافاته، يوضح غلاب هذه الفكرة أكثر بتأكيده على أنه ليس هناك من يجادل في سلامة الانفتاح الفكري، ولكن هناك من يجادل في التخلي والاندماج: التخلي عن الثقافة الوطنية، والاندماج في الثقافة الغيرية، يبدأ الاندماج بتبني لغة الغير في التعليم والإدارة والاقتصاد والحياة العامة، وفي تلقي المعرفة والتعامل مع التقانة، وينتهي بالاندماج الفكري والعملي في الثقافة الغربية، وهكذا يصبح الاختراق الثقافي استبدال ثقافة الآخرين بالثقافة القومية والوطنية، بدعوى صراعات الحضارات، والغلبة للأقوى.

إن مفهوم الهوية إذن، مهدد دائما بالنظام العالمي والعولمة، وإن كانت الشعوب العربية والإسلامية لا تستطيع لأسباب موضوعية الوقوف في وجه التيار، فهل تستطيع أن تعمل بمجهود ثقافي فكري اقتصادي لأن تحافظ على هويتها يتساءل المفكر غلاب؟ وهو سؤال سيظل سؤالا إلى أن يكشف الواقع عن إجابة له.

نستخلص مما سبق، أن الهوية هي أساس الأمم والشعوب والوطن والمواطن، وهي التفريط فيها تفريط في الوجود وفي الانتماء، وإن كانت الهوية العربية محصنا باللغة وبالدين الإسلامي، فإن ذلك لا يعني عدم اليقظة، خصوصا اليوم في عالم مليء بالتحديات والمصالح. ومن هنا فالواجب على المؤسسات السياسية وغيرها الاشتغال ليل نهار تفاديا للاختراق الثقافي الذي يشكل تحديا أمام دول العالم الثالث، والتي هي محط استعمار وأطماع جديدة.



إعداد: علاء عبد الفتاح

تقويم رسمي ومكتبة متنوعة ومرصد فلكي ومتحف علمي

صالح العجيري.. نبراس للأجيال



لم يكن صالح العجيري مجرد عالم فلك مر على العالم العربي مرورا سريعا بمنجز علمي أو منجزين، إنما كان رحمه الله مثالا وقدوة يقتدى بها، وينبغي للأجيال الجديدة فضلا عن الجيل الحالي أن يستلهموا من مسيرته المثل والمبادئ في الاجتهاد والإصرار والبذل والعطاء.

ولم تشيع الكويت الجمعة (١١/ فبراير/ ٢٠٢٢م) مجرد ابن من أبنائها إلى مثواه الأخير، فالعجيري أمة بكاملها، رحل عن عمر ناهز (١٠١) عام، بعد رحلة كفاح لم نسمع أن شخصا واحدا استطاع أن يعبرها في القرون الأخيرة بمنطقة الخليج، وربما الشرق الأوسط، مثلما عبرها هو.

عالم الفلك صالح العجيري المولود في الثالث والعشرين من يونيو لعام: (١٩٢١م)، في حي «قبلة» بالكويت كان قد عاش حياة بسيطة، فقد فيها الأم ولم يكن قد تجاوز (١٢) عاماً، فتحمل مسؤولية رعاية إخوته وفي الوقت نفسه كان دائم الحركة باحثا عما يحصله من علم يفيد به نفسه والآخرين.

العلم عنده لم يكن لغاية برجماتية، إنما كان وسيلة يحصد بها لذة المعرفة وجوب آفاق جديدة، ولم تكن أمامه إلا السماء والأفق الممتد ينظر إليه ويتدبر في جميل صنع الله، وكان تأمل الظواهر الطبيعية مثل الرعد والبرق والرياح الشديدة برهبة المقبل على طرق باب عالم مجهول، هو عالم الفلك، فشجعه ذلك على البحث وطلب العلم من هنا وهناك.

التعليم النظامي:

بدأ تعليمه النظامي بعد مرحلة



تلقى مبادىء العلم بالكتاتيب عند سن التاسعة بمدرسة الملا مرشد الأهلية المعروفة بتدريس العلوم التجارية، ثم التحق بالمدرسة المباركية عام: (١٩٤٣م) حتى الصف الثاني الثانوي.

يقول العجيري حول دراسته في الكتاتيب: كنا نستخدم وسائل تعليمية بدائية للغاية فلكل طالب قلم مصنوع من الحجر ويكتب به على سبورة صغيرة تسمى اللوح مصنوعة أيضًا من الحجر أو الحديد ولونها أسود يؤتى بها من الهند وكانت الكتابة باللون الأبيض وتمحى بالماء بعد حفظ ما يكتب عليها في نهاية اليوم، ويعاود الكتابة عليها من جديد في اليوم التالي، وكان الطلاب المتميزون الذين يختمون القرآن يطوفون بهم على البيوت والمحلات في الفريج ويطلبون ما تجود به أنفسهم لصاحب الكتاب، ويرأس المجموعة من الطلاب

متحف العجيري

يعد «متحف العجيري» أحد المتاحف العلمية المتخصصة في مجال الفلك بالوطن العربي، ومكانه بالنادي العلمي وقد سمي بهذا الاسم تقديراً لهذا العالم الفلكي، ويتيح للزوار الاطلاع على مقتنيات العالم الفلكي في المتحف بالإضافة إلى الأدوات والمقتنيات الفلكية النادرة التي تعرض في أركانه المختلفة.

ويضم المتحف قاعة عرض سينمائي تعد الأولى خليجيا، وهي «القبة الفلكية» باتساع (٣٦٠) درجة، يعرض فيها مجموعة من الأفلام الوثائقية بالعربية والإنجليزية حول الرحلات الفضائية وقصة هبوط أول رائد فضاء على سطح القمر.





مؤلفات العجيري

ترك العالم النابغة صالح العجيري مؤلفات كثيرة أثرت المكتبة العربية، منها

- «تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية.
- دورة الهلال.
- جدولة الوقت.
- التقويم قديماً وحديثاً.
- المواقيت والقبلة.
- الاهتداء بالنجوم في الكويت.
- علم الميقات.
- دروس فلكية للمبتدئين.
- كيف تحسب حوادث الكسوف والخسوف.
- التقويم الهجري.
- وكيف يحسب تقويم القرون.
- خريطة ألمع نجوم السماء.

طالب يقرأ قصيدة بصوت رخيم ويرد عليه جميع الطلاب بقولهم آمين.

تشجيع الوالد

شجعه والده على دراسة علم الفلك بعد أن رأى شغفه به، وأرسله في رحلة إلى الصحراء لمدة عام كان لها أبلغ الأثر في دخوله علم الفلك. إذ بدأ يستدل على الجهات الأربع من اتجاه الكثبان الرملية وعلى عالم النجوم ومجموعاتها.

وأخيرا انتسب إلى مدرسة عبد الرحمن بن حجي مؤسس علم الفلك بالكويت، وعلى يديه تلقى دروسه من خلال آلة قديمة تسمى: «الربع المجيب».

رحلة كفاح

عندما وقع في يد العجيري كتاب «الزيج المصري» الصادر في سنة: (١٩٢٠م) للمؤلف عبد الحميد مرسي غيث، والذي يبحث في حركات النجوم والكواكب والشمس والقمر قرر السفر إلى مصر طلبًا للقاء بالمؤلف، وبالفعل وصل إلى قرية بيت النخاس بمحافظة الشرقية والتقى به، حيث وجده طاعنًا في السن، ومع ذلك تلقى على يديه الكثير من علوم الفلك، وأحاله الرجل إلى بعض تلاميذه بالقاهرة، منهم: عبد الفتاح وحيد أحمد العالم الفلكي الكبير في ذلك الوقت، وفي القاهرة درس العجيري في جامعة الملك فؤاد الأول في مدرسة الآداب والعلوم، وحصل على شهادة إتمام الدراسة بعلم الفلك شهادة مدارس المراسلات المصرية من مدرسة الآداب والعلوم، التابعة لجامعة الملك فؤاد الأول بالقاهرة في علم الفلك لنجاحه في الامتحان الذي تعقده الجامعة في علم الفلك في (١٠/ فبراير/ ١٩٤٦م)، واستمر في تحصيله لهذا العلم بنهم شديد وخاصة على المهندس والفلكي عبد الحميد سماحة مباشر مرصد حلوان، ثم توجه

إلى مدينة المنصورة واستكمل دراسته هنالك، وحصل على شهادة علمية فلكية من الاتحاد الفلكي المصري العام، وذلك في أول أكتوبر عام: (١٩٥٢م) بعد انعقاد اللجنة الفلكية العليا للاتحاد الفلكي المصري العام في يوم الأربعاء الأول من أكتوبر عام: (١٩٥٢م) بمدينة المنصورة بالمملكة المصرية، وقررت منح صالح محمد العجيري الشهادة الفلكية العلمية الثانية تقديرًا لأبحاثه العلمية والرياضية، كما قررت اللجنة أيضًا اعتباره عضوًا من أعضاء الاتحاد العاملين لترقية العلم ونشره في جميع الأنحاء.

ثم زار عددا من الدول الأجنبية للاستفادة من علومها المختلفة ومنها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وسويسرا وألمانيا وفرنسا، إضافة إلى مشاركته في العديد من المؤتمرات العلمية المتخصصة بالعلوم والفلك.

تدريس فتجارة فتفرغ للشغف

مارس صالح العجيري مهنة التدريس فترة قليلة، ثم اتجه إلى العمل المحاسبي في التجارة لمدة ثلاث سنوات ونصف السنة، وأخيرا التحق بالعمل الحكومي المضمون راتبه والمحددة ساعات عمله، لكي يتفرغ لشغفه الذي بات محصورا في اكتشافات علم الفلك ومواصلة طريق ما تعلمه أكاديميا، وسرعان ما أتت رحلة البحث ثمارها، فألف الكتب، وحاضر أمام الجمهور المتخصص وغير المتخصص، وشارك في ندوات علمية ومؤتمرات عالمية.

الإنجازات

وظهرت الإنجازات، وأولها «تقويم العجيري» عام: (١٩٥٢م)، وهو ما زال يطبع سنويا إلى يومنا هذا، ويطبع رسميا وفقاً لقرار مجلس الوزراء عام: (٢٠٠٦م)- كتقويم رسمي للدولة، على مستوى حساب المواقيت والأهلة والظواهر الفلكية، كما اعتبر المرجع العلمي الرئيسي للتقاويم الأخرى، بفضل ما تميز به من دقة.

أما الإنجاز الثاني فكان مكتبة كبرى في وقت لم تكن المكتبات الأهلية منتشرة فيه وهكذا ولدت العجيري الشهيرة عام: (١٩٧٣م) بمنطقة حولي.

وأشرق الإنجاز الثالث وهو بناء مرصد فلكي على نفقة العجيري الخاصة أوائل السبعينيات، ومتعاونا مع النادي العلمي تم بناء «مرصد العجيري» بمقر النادي، و«متحف العجيري الفلكي» الذي افتتح في (٥/ أغسطس/ ٢٠١٣م).

رحم الله الدكتور صالح العجيري وجعل منجزاته صدقات جارية لكل من يستفيد ويتعلم منها ويخدم أمة الإسلام والعالم خدمات جليلة مثلما قدم.

شهادات وتكريمات

نال عالمنا الجليل الكثير من الجوائز نظراً لإسهاماته العديدة والمتميزة في مجالات العلوم والفلك منها:

- الدكتوراه الفخرية بالعلوم من جامعة الكويت عام: (١٩٨١م).
- قلادة مجلس التعاون للعلوم عام: (١٩٨٨م).
- جائزة الدولة التقديرية عام: (٢٠٠٥م).
- عضوية الشرف بالاتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك عام: (٢٠٠٠م).
- والعديد من الجوائز المحلية والعربية.





إعداد: محمد العودة

من إنجازات وأنشطة إدارة البحوث والموسوعات الإسلامية

إدارة البحوث والموسوعات الإسلامية من الإدارات الفاعلة في قطاع الإفتاء، ومن هنا نعرض بعض إنجازاتها، فقد أعادت العمل بفريق تحقيق كتب التراث الإسلامي ومناقشة اللائحة الداخلية للجنة التراث الصادرة بالقرار الوزاري رقم ٩٨/٤٣ بتاريخ ١٦ مايو ١٩٩٨م، ومراجعة بعض بنودها وإبداء الملاحظات والتعديلات عليها، خصوصا بنود المكافآت لصياغة لائحة جديدة تواكب سوق النشر ومستجداته مستقبلا، والعمل جار على إعداد اللائحة، وكذلك طباعة كتب جديدة، بالإضافة إلى طباعة ما نفد من المطبوعات القديمة.

وقد تم تقديم الطلب لطباعة كتاب «تنوير السالك إلى مذهب الإمام مالك» في الفقه المالكي، وذلك بالتعاون مع المؤلفين الدكتور: بب محمد أحمدو الشنقيطي، والشيخ: علي خالد الشريجي.

وأيضا طباعة ٣ آلاف نسخة من التقرير على أصول فخر الدين البزدوي الشرح للبابرتي والمتن للبزدوي، وكذلك ٣٠٠٠ الإبانة في تفصيل ماءات القرآن - لجامع العلوم الباقولي، و٣٠٠٠ نسخة القوانين الفقهية لابن جزي.

كما بدأت بتحقيق منظومة الفقرات المذهبة لعثمان بن سند مع إنجاز مشروع معجم لسان الفقهاء، كما تم الانتهاء من طباعة ٥ آلاف نسخة من الجزء الأول من الموسوعة الأصولية وإعداد ومراجعة أبحاث الجزء الثاني من الموسوعة الأصولية.

كما تم طلب طباعة ألف نسخة لمقدمة فقه الأقليات المسلمة و٥٠٠ نسخة للنشرة التعريفية لإدارة البحوث والموسوعات الإسلامية و٥٠٠ نسخة لمقدمة فقه النوازل، و٥٠٠ نسخة للنشرة التعريفية لموسوعة النوازل الفقهية (المسائل المستحدثة)، وأعيدت طباعة ٣٠٠٠ آلاف نسخة للموسوعة الفقهية.

وقامت إدارة البحوث بتشكيل فريقي عمل لمراجعة الملاحظات الواردة من اللجنة العلمية على الموسوعة الفقهية.

أ- فريق العمل الأول لمراجعة الموسوعة الفقهية من الجزء (١-٢٢).

ب- فريق العمل الثاني لمراجعة الموسوعة الفقهية من الجزء (٢٣-٤٥).

ولا يزال العمل مستمرا في لجنة المسائل المستحدثة، بالإضافة إلى وضع استراتيجية مستدامة للعمل في موسوعة النوازل الفقهية وعمل قاعدة بيانات للمراكز والعلماء المتخصصين في دراسة النوازل الفقهية، وقد تم القيام بعمل مكتبة إلكترونية وورقية متخصصة في دراسات وبحوث النوازل الفقهية، واختيار مجموعة من المستكتبين في فقه الأقليات المسلمة لإنضاج منهج الكتابة كما وقعت اتفاقية تعاون مع كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وقامت بالإشراف على عمل موسوعة «المرأة المسلمة» ضمن مشروع التعاون



مع كلية الشريعة.

إنجازات لجان الإفتاء

وبالنسبة إلى لجان الإفتاء فقد صدر نحو ١٥ ألف فتوى من أحوال شخصية وأمور عامة، وبفضل الله تم إشهار إسلام نحو ثلاثمئة مهتد ومهتدية، كما تم إصدار ما يقرب من خمسة آلاف إصدار من كتب ومجلات ومطويات في الفقه والفتاوى وغيرهما.

ومما لا يخفى على الجميع أن تطوير الأشياء القديمة سيجعلها مميزة ومستديمة، ومن هذا المنطلق قامت إدارة المخطوطات بتنظيف وترميم وتصوير وتطوير المخطوطات وفهرستها وتعديلها بشكل مستمر خلال السنة.

ترميم المخطوطات

تمت استعارة وإرجاع ثلاثين من المصورات والمخطوطات الأصلية وترميم ثلاث مخطوطات وفك وتنظيف تسع مخطوطات وإزالة ترميم قديم وتعقيم مخطط (أصلي – مطبوع)، وتصوير أربع وعشرين مخطوطة، وتمت فهرسة وتصنيف مئتي مخطوطة ومراجعة تعديل نحو مئة وثمانين من البيانات الفهرسية.

تصنيف

تمت استعارة وإرجاع خمس وأربعين مصورة ومخطوطة أصلية، وترميم مخطوطتين، وفك وتنظيف مخطوطتين وإزالة ترميم قديم، تجليد (إسلامي – مطبوعات)، شراء مخطوطات.

فهرسة وتصنيف ألف ومئتين وثلاثين مخطوطة (أصلية – مصورة) ومراجعة تعديل ٢٢٤ من بيانات الفهرسة (أصلية – مصورة)، إدخال وتعديل ١١٩٥ من البيانات المفهرسة (أصلية – مصورة).

فهرسة

تمت استعارة وإرجاع أربعين مصورا ومخطوطة أصلية، وترميم ثلاث مخطوطات، وفك وتنظيف ثلاث مخطوطات أصلية وإزالة ترميم قديم، وتصوير سبع وخمسين مخطوطة (أصلي – ديجتال – ممغنط – ورقي). وقد تمت فهرسة وتصنيف نحو ألف ومئتي مخطوطة، ومراجعة تعديل ألف من بيانات الفهرسة (أصلية – مصورة).

١٣٠٠ بيان

تمت استعارة وإرجاع تسع عشرة مصورة ومخطوطة أصلية، وترميم ثلاث مخطوطات، وفك وتنظيف ثلاث مخطوطات أصلية، وإزالة ترميم قديم، وقد تمت فهرسة وتصنيف تسعمئة وخمس مخطوطات، ومراجعة تعديل نحو ألف وثلاثمئة من بيانات الفهرسة (أصلية – مصورة)، وإدخال ألف وثلاثمئة من بيبانا على برنامج المخطوطات.

كذلك إعداد تقرير جائزة الإدارة المتميزة – إصدار دليل المراكز العلمية الطبعة الرابعة.

مراجعة

تمت استعارة وإرجاع تسع مصورات ومخطوطات أصلية، وترميم ثلاث مخطوطات، وإزالة ترميم قديم وفك وتنظيف ثلاث مخطوطات وإزالة ترميم قديم، بالإضافة إلى فهرسة وتصنيف نحو ألف وثلاثمئة مخطوطة ومراجعة تعديل نحو ثمانمئة لبيانات الفهرسة وإدخال وتعديل نحو ألف وثلاثمئة من بيانات الفهرسة.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث









سلسلة الأعلام المتشابهة (٦٧)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (ابن علان):

١- أبو الحسن بن علان (ت: ٣٥٥هـ):

هو أبو الحسن علي بن الحسن بن علان الحراني الخراساني، مؤرخ، من العلماء بالحديث، من أهل حران (بالجزيرة)، كان محدثها في عصره، قدم إلى دمشق، من أشهر مصنفاته: (تاريخ الجزيرة)[1].

٢- شهاب الدين بن علان (ت: ١٠٣٣هـ):

هو شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن علان، الصديقي الشافعي النقشبندي. ولد بمكة سنة: (٩٧٥هـ)، من مصنفاته: (شرح الحكم العطائية)، و(شرح رسالة الشيخ رسلان الدمشقي) في التوحيد، و(شرح قصيدة ابن بنت المبلق)، و(شرح قصيدة السودي)، و(شرح قصيدة الشهرزوري)، و(شرح



حكم أبي مدين)، و(رسالة في طريق النقشبندية) ذكر فيها جماعة من المشايخ، توفي بمكة[٢].

٣- ابن علان (ت: ١٠٥٧هـ):

هو محمد علي بن محمد بن علان البكري الصديقي الشافعي، مفسر، عالم بالحديث.

ولد بمكة سنة: (٩٩٦هـ)، من أبرز مصنفات: (المنهل العذب المفرد في الفتح العثماني لمصر ومن ولي نيابة ذلك البلد)، و(دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين)، و(التلطف في الوصول إلى التعرف) في الاصول، و(الفتوحات الربانية على الأذكار النووية)، و(مثير شوق الانام إلى حج بيت الله الحرام)، و(إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل)، توفي بمكة[٣].

المتفق والمفترق في اسم (العيني):

١- بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ):

هو بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى العيني المصري الحنفي، فقيه، أصولي، محدث، مؤرخ.

ولد بعينتاب سنة: (٧٦٢هـ)، وحفظ القرآن الكريم، ورحل إلى حلب والقاهرة، من أبرز مصنفاته: (البناية في شرح الهداية) فقه حنفي، و(عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان)، و(العلم الهيب في شرح الكلم الطيب)، و(عمدة القاري في شرح صحيح البخاري)، و(مغاني الأخبار في رجال معاني الآثار)، و(نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار شرح معاني الآثار)، توفي بالقاهرة[٤].

٢- العيني (ت: ٨٦٤هـ):

هو عبد الرحيم بن محمود بن أحمد العيني الحنفي، فقيه، أديب، محدث.

من أبرز مصنفاته: (منظومة درر البحار الزاخرة)، و(شرح صحيح البخاري)، و(شرح كنز الدقائق) فقه حنفي[٥].

٣- أبو بكر العيني (ت: ٨٩٣هـ):

هو زين الدين أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر العيني المصري.

من أبرز مصنفاته: (شرح المقصور في التصريف)[٦].

- زين الدين العيني (ت: ٨٩٣هـ):

هو زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الصالحي الحنفي المعروف بالعيني، نحوي، أديب.

ولد بدمشق سنة: (٨٣٧هـ)، وسكن صالحية دمشق، من أبرز مصنفاته: (تحفة المعاني في علم المعاني)، و(جهد المقل شرح تهذيب المنطق)، و(خصائص النبوية)، و(شرح الألفية لابن مالك)، و(شرح الألفية للعراقي) في الحديث، و(شرح صحيح البخاري)، و(شرح درر البحار للقونوي) في الفروع، و(شرح الشمسية) في المنطق، و(شرح فرائض المختار للموصلي)، و(شرح المنار للنسفي) في الأصول. و(شرح النقاية لصدر الشريعة)، و(شرح الوشاح في معاني والبيان مختصر مدارك التنزيل في التفسير للنسفي وزاد فيه. نظم تلخيص المفتاح وغير ذلك[٧].

الهوامش

١- انظر: هدية العارفين (٦٨١/١) والأعلام للزركلي (٢٧٢/٤) ومعجم المؤلفين (٦٤/٧) (٧٦/٧).

٢- انظر: هدية العارفين (١٥٦/١) والأعلام للزركلي (٨٨/١) ومعجم المؤلفين (١٤١/١).

٣- انظر: هدية العارفين (٥٥/١١) والأعلام للزركلي (٢٩٣/٦) ومعجم المؤلفين (٥٤/١١) (١٧٥/١١).

٤- انظر: هدية العارفين (٢٩٩/٢) والأعلام للزركلي (١٦٣/٧) ومعجم المؤلفين (١٥٠/١٢).

٥- انظر: هدية العارفين (٥٦٢/١) والأعلام للزركلي (١٠٠/٧) ومعجم المؤلفين (٢١٣/٥).

٦- انظر: هدية العارفين (٢١٥/٢) والأعلام للزركلي (٢٣٩/٧) ومعجم المؤلفين (١٣٧/١٠).

٧- انظر: هدية العارفين (٢٤١/١) والأعلام للزركلي (٣٠٠/٣) ومعجم المؤلفين (١٣١/٥).



إعداد: هشام الصباغ
باحث لغوي

المطوع الأكاديمي

الدكتور حسن عبدالظاهر

■ اشتهر بكثرة البحث والمثابرة، وغزارة علمه، وكثرة عطائه، وطيب معشره، ولين جانبه، وأدبه، وتواضعه، وغيرته على الإسلام والمسلمين.. أحبه زملاؤه وطلابه وإخوانه الدعاة.. وتخرج على يديه مئات الأساتذة والباحثين، وتتلمذ على علمه وخبرته مئات الدعاة.

■ عند أي تجمع تجده حريصا على تذكير الناس بالله من خلال كلمة وجيزة.. لكنها كثيفة، تنفذ إلى القلوب دون استئذان.. فيلتقط آية أو بعض آية ثم يستخرج منها ما شاء الله له أن يستخرج من الكنوز والدرر، بفقه جميل، وإضافات معجبة، وأداء لا تعمُّل فيه ولا افتعال، ولا تأستذ فيه ولا استعلاء.

■ ماهر بالقرآن؛ حفظا وتدبرا وتفسيرا؛ يجول بك من أول المصحف إلى آخره، في نظرات موضوعية دقيقة، جميلة، تحس معها بالفتح الرباني، وبما يمكن أن يعطيه القرآن لرجل اتسع واديه، فسال -بقدر سعته- علما نيرا، ولمحات مشرقة.

■ عندما يحكي تشعر أنك أمام خزانة من التاريخ لا تفرغ؛ وهو في حكيه ليس ساردا للأحداث؛ بل هو ذلك المستقرئ، المحلل، المتأمل، الناقد، يحب أن يستفيد ويفيد، في بساطة ورفق، وتواضع وحسن خلق يحسد عليه.

■ صورة للعالم الذي يحترم نفسه وعلمه، لا يتكلم في مسألة إلا بعد أن يشبعها بحثا، لا يقتحم المجالس، ولا يضيع فضول وقته؛ يتنقل بين العمل والعمل، والنصب والنصب، والخير والخير، يبشر بنصر الإسلام وقوته وتأبيه على الانحناء والانكسار.

■ لا كتاب في مكتبته -على ضخامتها ووفرة مراجعها- إلا وله تعليقات على هوامشه تبين دقة ملاحظته.. يحتفظ فيها بأصول أبحاثه كمرجع لديه.. فيها يقرأ ثم يلخص ما توصل إليه في وريقات معدودات يحملها معه في محاضراته.. يطلع خاصته وتلاميذه على ذلك، ويوصيهم بطريقته، ويحثهم على البحث والمثابرة وتعظيم سياج الشريعة.. إنه العالم العلامة الشيخ الدكتور حسن عيسى عبدالظاهر (أول مطوع أكاديمي في قطر).

المولد والنشأة والتعليم

■ ينتمي إلى أسرة عربية عريقة تعزى جذورها إلى النسب النبوي الشريف، هاجرت منذ القدم من الجزيرة العربية واستقر بها المقام في صعيد مصر.. غير أن عبدالظاهر لم يكن صعيدي المولد، إذ إن جده وأباه قد هاجرا إلى محافظة القليوبية، واستقرا في شبين القناطر (٢٠ كليومترا شمال القاهرة)، وفيها ولد الشيخ يوم ١٦ أغسطس عام ١٩٢٨م.

■ ليكون كإخوته جميعهم، وهو أصغرهم، حاملا للقرآن، ألحقه والده صغيرا بكتاب القرية، ليحفظ كتاب الله ويتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب.. وعندما بلغ العاشرة من عمره، كان قد أتم حفظ القرآن كاملا..

■ إضافة إلى بيئة الشيخ الأسرية، التي لونت طفولته بالقرآن فارتبط به قلبا وقالبا، وعاش معه حياته كلها، كان شيخه شديد الحرص على حفظه والاعتناء به، فكان يوصيه عند الانصراف من حلقته عائدا إلى بيته بمراجعة القرآن وهو إلى جوار نافذة البيت، وبصوت عال، حتى إذا مر شيخه بجوار بيته يسمعه فيثبت أو يصحح أو يرد.

■ حينما بلغ عمره ١٢ عاما (السن المسموح بها للالتحاق بالابتدائية الأزهرية)، رغب أبوه في تحويله من الدراسة النظامية إلى الدراسة الأزهرية، فقدمه لاختبار الابتدائية الأزهرية، الذي اجتازه بتفوق.. فأمضى ٤ سنوات في الابتدائية الأزهرية ثم تبعها بـ٥ سنوات في الثانوية الأزهرية، ثم ٤ سنوات في كلية أصول الدين التي تخرج فيها عام ١٩٥٤م، وكان عمره وقتها تجاوز ٢٥ عاما.

■ وفي «أصول الدين» تتلمذ الشيخ على يد كبار علماء عصره، ومنهم العلامة الموسوعي محمد عبدالله دراز، الذي كان يدرسه التفسير وعلوم القرآن، وتأثر به الشيخ كثيرا وأعجب بشخصيته، وصار من حوارييه، فازداد تعلقه بكتاب الله تعالى بعد تلقي منهجية التعامل مع الكتاب من شيخه دراز.

حياة عملية دعوية

■ شغل عدة مناصب دعوية وعلمية في مصر وقطر، فخدم الأزهر وسافر مبعوثا منه إلى عدد من البلدان الإسلامية، وعمل في أعلى مراتب التوظيف فيه

بجانب كبار علمائه، وتولى رئاسة لجنة الحديث بمجمع البحوث الإسلامية.

■ شارك في مشروع «موسوعة السنة النبوية»، الذي أسفر عن إصدار «الجامع الكبير للسيوطي»، الذي لا يزال يصدر حتى اليوم في صورة أجزاء شهرية.. وإلى جوار «الجامع الكبير» شارك في إصدار «التفسير الوسيط» الذي ينشره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر حتى اليوم.

■ فسر، إلى جوار مجموعة من كبار العلماء القرآن في حلقات أذيعت جميعها في وقت واحد في الثمانينيات والتسعينيات في تلفزيونات الخليج.

■ عندما كان مفتشا لقطاع المساجد بوزارة الأوقاف المصرية، اكتشف الشيخ عبدالحميد كشك وتنبأ له بمستقبل واعد في مجال الخطابة والدعوة قبل أن يعرفه أحد، وقربه منه وخرجا للدعوة في قرى مصر ونجوعها.. كما تعرف على الشيخ المجاهد حافظ سلامة، وتمكنت بينهما المودة؛ وتجولا معا على وحدات الجيش المصري قبل حرب رمضان، لتثبيت الجند، وبث الروح الإسلامية فيهم.

الشيخ.. والقاديانية

■ رحلة الشيخ مع الدراسات العليا بدأت عندما كان مبعوثا من الأزهر لأربع سنوات للخطابة والوعظ في أكبر بلد بالقارة السمراء نيجيريا، التي أحاطت به فيها ظروف سياسية وفكرية انعكست على اختياره لموضوعي رسالتيه للماجستير والدكتوراه، فكانت رسالته التي نال بها درجة الماجستير عن «القاديانية»، التي كان، وما زال، نشاطها متغلغلا في الساحل الغربي لإفريقيا. وفي نيجيريا أيضا تعرف الشيخ على أعلام الدعوة في إفريقيا، ما أثمر رسالته للدكتوراه عن «دولة الفولاني».

الشيخ.. وشاكر

■ أثناء دراسته في الكلية، غُيّرت القوانين الشرعية وأُلغيت المحاكم الشرعية في مصر، فقدم العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر استقالته من دائرة المحاكم اعتراضا على ذلك، فاهتبل الأزهر الفرصة وأفسح لشاكر مجالا لتدريس مادة الحديث، فكانت من أعظم الفرص ليتتلمذ الشيخ على يد شاكر.

■ بلغ تعلق الشيخ بشاكر أنه كان يكتب من فمه تعليقاته «النادرة» في التحقيق العلمي على نسخته من «الباعث الحثيث» التي كان يحتفظ بها، وربما يضمها إلى صدره في لحظات التذكر لشيخه حيث تأثر به في الاستقلالية العلمية والمنهجية الخالصة للكتاب والسنة.

الشيخ.. وقطر

■ سافر إلى قطر عام ١٩٧٨م؛ واستقر به المقام فيها حتى وافاه الأجل.. ودرّس في كلية الشريعة وترأس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية فيها، ومارس الدعوة والخطابة بداية من المساجد ومرورا بالتجمعات وانتهاء بالإعلام فارسا يقدر عظم الشريعة، وكانت له حلقات مرئية ومسموعة ورّثت من تابعها السكينة.

■ رحلته مع المنبر والخطابة احتلت جزءا كبيرا من مسيرة حياته الدعوية.. فبدأ الخطابة مذ كان طالبا في الابتدائية.. وذات يوم سمعه أحمد الأنصاري وهو يخطب بمسجد النور بالعباسية في القاهرة، وعندما وصل الشيخ الدوحة عرض عليه الأنصاري (وكان مديرا للمساجد يومئذ) الخطبة في المساجد.. ووقتها لم يكن السماح لأكاديمي بالخطابة في المساجد أمرا مألوفا بل كان غير مستحب أن يعمل الأستاذ الجامعي خطيبا، ولذا يعد الشيخ أول «مطوع» أكاديمي في قطر.. فاعتلى منبر جامع إسحاق، واتبع منهجا عصريا في الخطابة، وارتبط بـ«إسحاق» ولم يرغب في الانتقال عنه، مبررا «لأن المسجد في رأيي يشبه الجامعة، ولو تنقلت من مسجد إلى آخر فسوف ينصرف الجمهور عني وسأظل أكرر في موضوع واحد ٤ أسابيع.. أما في المسجد الواحد فأنا ملتزم بالتغيير والتجديد في الخطبة حتى لا يمل الجمهور».

مؤلفاته

■ له عدد من المؤلفات القيمة التي أثرت المكتبة العربية والإسلامية نذكر منها: «فصول في الدعوة الإسلامية»، و«من نبع المرسلين»، و«النهج العلمي في تدوين السنة المطهرة».. وغيرها كثير.

إسهاماته مع «الوعي»

■ كان للدكتور حسن عبدالظاهر ٥ مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «نيجيريا الوطن الإسلامي الكبير، ع:٥٩»، و«جمع الجوامع أو الجامع الكبير (ك.ش)، ع:٩٠»، و«ماذا يعني العيد في نظر الإسلام، ع:١٠٦»، و«الإسلام والتيارات الفكرية المعاصرة، ع:١٤٥»، و«الصلاة الوسطى، ع:١٦٠».

وفاته

■ مع إشراقة صباح الأربعاء ٢٨ يوليو٢٠١٠م، ودع الشيخ الدنيا في منزله بالعاصمة القطرية الدوحة، بعد حياة حافلة بالعطاء الفكري، وسنوات أفناها في الدعوة والعلم الشرعي دامت أكثر من ٨٢ عاما، وصُلي عليه عصر ذلك اليوم ودفن في مقبرة «أبو هامور».

المصادر

■ كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
■ إسلام ويب.
■ رابطة العلماء السوريين.



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

فتح الباري شرح صحيح البخاري



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

ويأتي كتاب: «كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بكتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري:

كتاب ألفه الحافظ ابن حجر العسقلاني وهو من أهم كتب شروح الحديث وأجمعها في شرح صحيح البخاري. كما إنه من أهم كتب ابن حجر، أخذ في جمعه أكثر من: (٢٥) سنة، بدأ بجمعه في أوائل سنة: (٨١٧هـ)، وفرغ منه في غرة رجب من سنة: (٨٤٢هـ)، فجمع فيه شروح من قبله على صحيح البخاري، باسطا فيه إيضاح الصحيح وبيان مشكلاته، وحكاية مسائل الإجماع، وبسط الخلاف في الفقه والتصحيح والتضعيف واللغة والقراءات، مع العناية الواضحة بضبط صحيح البخاري ورواياته والتنويه على الفروق فيها.

التعريف بابن حجر

هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي، عالم ومحدث، لقب بعدة ألقاب منها: شيخ الإسلام ، وأمير المؤمنين في الحديث، أصله من مدينة عسقلان في فلسطين، ولد في شهر شعبان سنة: (٧٧٣هـ) في الفسطاط في مصر. توفي والده وهو صغير، فتربى في حضانة أحد

أوصيـاء أبيـه، ودرس العلم، وتولى التدريس.

وقد نشأ ابن حجر يتيما أبا وأما، فقد توفي والده سنة: (٧٧٧هـ)، وماتت أمه قبل ذلك بمدة، وكان أبوه قبل وفاته قد أوصى به إلى رجلين ممن كان بينه وبينهم مودة هما: زكي الدين الخروبي رئيس التجار بالديار المصرية، وشمس الدين بن القطان من فقهاء الشافعية؛ فنشأ الحافظ في غاية العفة والصيانة في كنف الوصي الأول الخروبي.

ولما رحل الخروبي إلى الحج سنة: (٧٨٤هـ) رافقه ابن حجر وهو في نحو الثانية عشرة من عمره، وفي سنة: (٧٨٥هـ)، في مكة سمع غالب صحيح البخاري من الشيخ «عفيف الدين عبد الله بن محمد بن محمد النشاوري»، وهو أول شيخ سمع عليه الحديث. وبعد وفاة الخروبي سنة: (٧٨٧هـ)، انتقل الحافظ إلى وصاية شمس الدين بن القطان، وكان الحافظ حينها قد بلغ أربع عشرة سنة. وكان وصيه الثاني ابن القطان فقيها وعالما بالقراءات، فدرس ابن حجر عليه الفقه والعربية والحساب، ثم درس ما جرت العادة على دراسته من أصل وفرع ولغة ونحوها وطاف على شيوخ الدراية. ثم سمع صحيح البخاري على بعض المشايخ، ثم حبب إليه فن الحديث فأقبل عليه سماعا وكتابة وتخريجا وتعليقا وتصنيفا، وبدأ الطلب بنفسه في سنة: (٧٩٣هـ)، واجتمع بالحافظ العراقي، فلازمه عشرة أعوام. وتخرج به، وانتفع بملازمته. وقرأ عليه الألفية، وشرحها، كما قرأ عليه النكت على ابن الصلاح في مجالس عدة، وبعض الكتب الكبار والأجزاء القصار، وقرأ وسمع على مسندي القاهرة ومصر الكثير في مدة قصيرة، فوقع له سماع متصل عال لبعض الأحاديث.

مرضه ووفاته

بدأ المرض بالحافظ ابن حجر في ذي القعدة سنة: (٨٥٢هـ)، إلا أنه كان يواصل أعماله ويحضر مجالس الإملاء وهو ضعيف الحركة، يكتم عن الناس وعكه، وقد تزايد المرض واشتد به، وتردد إليه الأطباء، وهرع الناس من الأمراء والقضاة والعلماء والطلبة لعيادته، اشتد عليه مرضه، وصار يصلي الفرض جالسا، وترك قيام الليل، ثم تتابع عليه الصرع من يوم الأربعاء إلى أن توفي ليلة السبت في أواخر شهر ذي الحجة سنة: (٨٥٢هـ)، وقد كانت جنازته مشهودة، لم يكن بعد جنازة ابن تيمية أحفل منها.

مؤلفاته

أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها:
- تغليق التعليق، طبقات المدلسين = تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، نزهة النظر بشرح نخبة الفكر، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، هدي الساري مقدمة فتح الباري، فتح الباري، تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، العجاب في بيان الأسباب، تهذيب التهذيب، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، الأمالي المطلقة، الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع، الأمالي الحلبية، الزهر النضر في حال الخضر، نزهة الألباب في الألقاب، الإيثار بمعرفة رواة الآثار، الدراية في تخريج أحاديث الهداية، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر... وغيرها كثير.

منهج ابن حجر في الكتاب

قام ابن حجر العسقلاني بذكر منهجه في تأليف الكتاب في بدايته، ويمكن تلخيص ذلك بـ:

ذكر الباب وحديثه في بداية كل باب، مع ذكر مناسبة الحديث للباب إن كان مبهما.

استخراج الفوائد المتنية والإسنادية من الحديث، من كشف لبعض الغموض، ومن تتمات وزيادات، وكذلك تصريح التدليس، ومتابعة من سمع عن شيخ اختلط، مستخدما في ذلك أمهات المسانيد، والجوامع والمستخرجات والأجزاء والفوائد.

كان يقوم بوصل المنقطع من الأحاديث المعلقة والموقوفة.

لم يوافقه.

ختم كتابه فتح الباري بذكر عدد أحاديث صحيح البخاري بالمكرر موصولا ومعلقا، وكذلك غير المكرر منها، وعدد الأحاديث التي وافقه فيها مسلم في صحيحه على تخريجها وغير ذلك من الأحاديث.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذه الكتاب العظيم القدر، والذي يتكون من (١٤) مجلدا، وهو في متناول قراءها الكرام المهتمين بكتب الحديث النبوي وشروحاته.

المصادر

فتح الباري شرح صحيح البخاري.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للسخاوي.

❖ إعداد / تركي محمد النصر

لوم النفس

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «...فإن المؤمن إذا استبطأ الفرج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة، يرجع إلى نفسه باللائمة، ويقول لها: إنما أتيت من قبلك، ولو كان فيك خير لأجبت، وهذا اللوم أحب إلى الله تعالى من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس بأهل لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله.

انظر: جامع العلوم والحكم (١/٢١٥).

خصوص الخصوص

❖ الصوم عموم، وخصوص، وخصوص الخصوص.

❖ فصوم العموم: هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة.

❖ وصوم الخصوص: هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام.

❖ وصوم خصوص الخصوص: هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية.

انظر: المستطرف في كل فن مستظرف (ص/١٨).

أول من سن قيام رمضان

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل، تولى الخلافة بعد الصديق وبعهد منه، وهو أول من عس بالمدينة المنورة ليلا، وهو أول من حمل الدرة وضرب بها، وهو أول من سن قيام شهر رمضان جماعة بإمام واحد، وهو أول من أرخ بالتاريخ الهجري، وهو أول من قدر رواتب العمال وحددها.

انظر: الأوائل لأبي الهلال العسكري (ص/١٨).

أئمة الهدى

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ومن ظن بأبي حنيفة أو غيره من أئمة المسلمين أنهم يتعمدون مخالفة الحديث الصحيح لقياس أو غيره؛ فقد أخطأ عليهم، وتكلم إما بظن، وإما بهوى».

انظر: مجموع الفتاوى (٢٠/٣٠٤).

يوشك أن يخسر

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «لو كان كلام بني آدم كله صدقا، وعمله كله حسنا، يوشك أن يخسر! قيل: وكيف يخسر؟ قال: يعجب بنفسه».

انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٣٧٨).

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

الجزاء من جنس العمل

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ومن المعلوم بما أرانا الله في الآفاق وفي أنفسنا من آياته، وبما شهد به في كتابه: أن المعاصي سبب المصائب، والجزاء من جنس سيئات الأعمال، وأن الطاعة سبب النعمة، فإحسان العمل سبب لإحسان الله».

وقال رحمه الله تعالى: «أسباب الضلال والغي: البدع في الدين، والفجور في الدنيا، وهي مشتركة تعم جميع بني آدم، لما فيهم من الظلم والجهل».

انظر: طريق الوصول للسعدي (ص/٢٤).

لا يكن حبك كلفا

قال عمر بن الخطاب لزيد بن أسلم رضي الله عنهما: «لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا». فقال زيد: كيف ذاك؟ قال: «إذا أحببت كلفت كلف الصبي، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف».

انظر: الأدب المفرد (٧٧٤/١)

سادات الناس في الدنيا

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء».

انظر: أخبار العرب (١٢/١).

حدود العقل

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «ما عارض أحد الوحي بعقله إلا أفسد الله عليه عقله حتى يقول ما يضحك منه العقلاء».

انظر: الصواعق المرسلة (١٠٢/٣).

العالم أحوج إلى طلب العلم

قال سفيان بن عيينة رحمه الله لأصحابه: «من أحوج الناس إلى طلب العلم؟»

قالوا: قل يا أبا محمد!

قال: «ليس أحد أحوج إلى طلب العلم من العالم؛ لأنه ليس الجهل بأحد أقبح به من العالم».

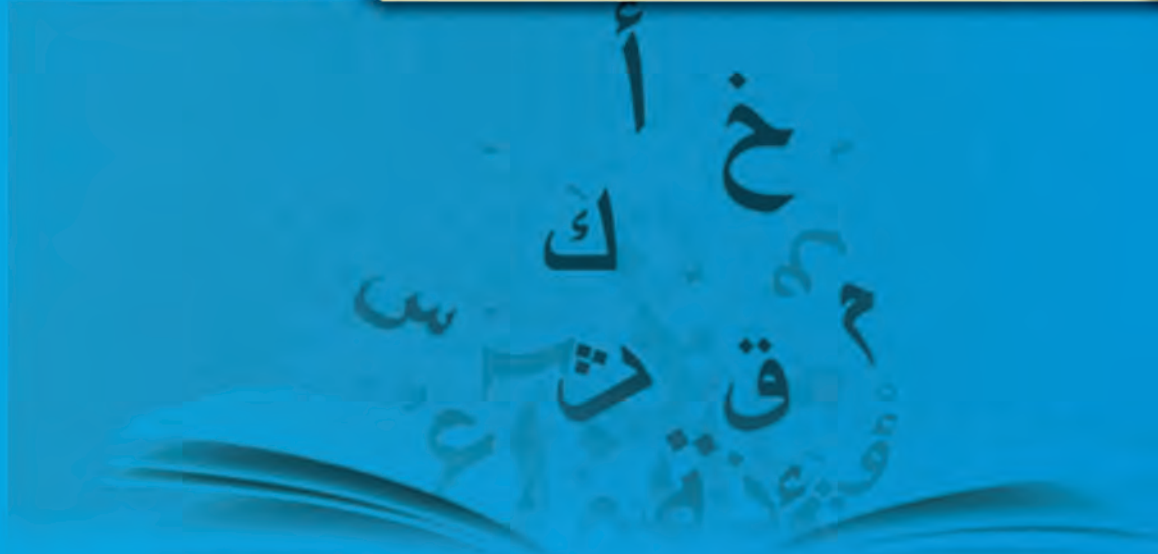
انظر: موسوعة ابن أبي الدنيا (٤٦٥/٢).





إعداد: التحرير

«كتب في صفحته» والجناية على جمال العربية



فوجئ جيل الستينيات الذي بلغ سن الأربعين مع مطلع الألفية الثالثة منذ عقدين من الزمن تقريبا في العالمين العربي والإسلامي بحالة جموح وطغيان الموجة الخامسة لوسائط الإعلام والاتصال وهيمنتها الكلية والفاعلة على مختلف أطياف المشهد الفكري والثقافي والأدبي والعلمي والإعلامي العربي والإسلامي.. وما فتئ هذا الجيل الرصين يلتقط أنفاسه لاهثا للتأقلم معها ومواكبة مجرياتها وتقنياتها وتفاعلاتها وطرقها وأساليبها، حتى أطلت عليه عوالم الفضاءات الإلكترونية والشبكية ومواقعها الاتصالية الافتراضية ذات الأبعاد والمسافات غير المنظورة والمحظورة.. ومعها أتيحت ممارسة وفعل كل ممنوع ومحظور افتراضيا.

ومن بين ما مسه التغيير والتعدي على حرمة مقدساته ومقاماته عالم الكتابة الفريد المتميز، فضلا عما أصاب غيره من تجنيات وتعديات واقتحامات وإغارات غير مبررة لحياضه وحرماته.. ومع تلك المواقع صارت الكتابة الجديدة أمرا سهلا وميسورا ومتاحا للجميع، بعد أن كانت أمرا طويلا وعسير المراس والبلوغ، وبعد أن كانت مهارة موهبية لفئة محدودة من الأقلام التي أثبتت جدارتها عبر مسارات ومنابر ومراحل الكتابة والنشر المعترف بها محليا وعربيا وعالميا. وإذا بفن الكتابة يصير مع هذه الفتوحات التقنية والتواصلية الإلكترونية العولمية متاح لكل من يعرف الكتابة ولمن يعرفها، ولمن يتقن اللغة العربية ولمن لا يتقنها.

ومع هذه الممارسات صرت تجد نفسك وأنت تفتح بريدك الإلكتروني أو حسابك على أحد مواقع التواصل الاجتماعي، أمام العشرات بل المئات والآلاف ممن يكتبون ويعلقون بشتى أنواع التعبيرات المستأنسة والمستهجنة والمستقبحة لغة وأسلوبا وخلقا وأدبا وفكرا ومنطقا ودينا.. وكأنك صرت أمام خليط من التعابير وأمشاج من الأساليب التي لم تعرفها العربية في مسارها الجمالي والأدبي والتعبيري العريق.. الأمر الذي شوه جمالها وذهب ببريقها ورونقها وسحرها الأخاذ، والسبب كله «كتب في صفحته»، فانظروا ماذا فعلت هذه العبارة بلغة القرآن الكريم.. هذا إن تغاضينا عن إثخانها في بقية الجوانب الحياتية الجميلة الأخرى..

أ.د. أحمد محمود عيساوي

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:



alwaeiq8@gmail.com





أطفالنا والمخدرات

قد يزعجك العنوان من الوهلة الأولى وقد تعتقد أنها مبالغة، فلا غرابة في أن نقول شبابنا والمخدرات ولكن بالفعل أطفالنا والمخدرات يثير داخلنا مشاعر الدهشة والفزع والشعور بالمبالغة، بل تزداد هذه المشاعر عندما تعرف أن نسبة الأطفال المتعاطين للمخدرات في عالمنا العربي تتراوح ما بين ٧ و١٠ ملايين طفل، في المراحل الابتدائية والإعدادية (المتوسطة)، تتنوع أماكن تناولهم ما بين الشوارع والمقاهي والأندية والمدارس ومراكز الدروس الخصوصية. وللأسف الشديد، يشعر الطفل في هذه الأماكن بأنه في مأمن من العقاب.

وقد تكون النزاعات الأسرية وضعف الرعاية الوالدية للطفل من العوامل الطاردة له من البقاء داخل الأسرة، حيث يفتقد الحب والاهتمام، اللذين قد يجدهما في جماعة رفاق السوء الذين يحتوونه بالحب والاهتمام فيكون أداة طيعة في أيديهم، فتتحول جماعة رفاق السوء إلى حاضنة بديلة عن الأسرة تقوم بتنشئة الأطفال وفق قيمهم ومعتقداتهم التي لا ترى أن في تعاطي وبيع المخدرات أي مخالفة شرعية أو قانونية أو مجتمعية.

إن ظاهرة إدمان الأطفال للمخدرات والاتجار فيها من الظواهر المقلقة التي تهدد سلامة وأمن المجتمعات، لأنها تفرز العديد من الظواهر الخطيرة مثل: العنف والسرقة والقتل والانحرافات الجنسية والأمراض الوبائية.

وحل هذه المشكلة لا يكون منفردا بل يتحقق بحلول جذرية متكاملة وقائية وعلاجية تتناول قضية المخدرات من كافة جوانبها.

د. صلاح فضل توقة



من بلاغة النص القرآني

يقول ربنا: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف:١١٦).

إن عمل الساحر ينصب على أعين الناظرين إلى عمله لا إلى تغيير ماهية الشيء الذي بين يديه.. ذلك مستحيل..

يبقى الشيء على حاله وتتأثر العيون الرائية..

من هنا جاء رد الفعل السريع، أي سجود السحرة إيمانا، لأن موسى لم يكن يعمل عملهم بل كان مؤيدا بمعجزة، لقد كان عمله على الشيء نفسه؛ أي العصاة التي تحولت فعلا إلى حية تسعى ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الشعراء:٤٦-٤٨).

إننا بصدد وهم في مقابل واقع.. وهم من قبل السحرة سرعان ما ينكشف أمره، في مقابل حقيقة لها قدرة على الثبات والانتشار، لذا يأتي قول ربنا في مقام آخر مفسرا وكاشفا: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (الرعد:١٧).

إن كيد فرعون، الذي تمثل في السحرة وصنيعهم، قد ذهب مع ما أيد الله به نبي الله موسى من عصا صارت حية، ومات هذا الكيد وهلك مع سجود السحرة وإسلامهم، ودفن هذا الكيد مع إغراق الله لفرعون في ماء اليم.

إننا بصدد مراحل ثلاث لزبد قد ذهب جفاء:

عصا موسى تتحول إلى حية.

سجود السحرة.

غرق فرعون وجنوده في معجزة أخرى أيد الله بها موسى وأراد بها تثبيت العقيدة في نفوس من لحق به مسلما.

أ.د. أحمد يحيى علي

مسك الختام

القدوة وتأثيرها

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

المثل الأعلى والقدوة الحسنة لهما المعنى نفسه ولا يوجد فرق كبير بينهما، والمقصود بهما الشيء الذي تهتدي به وتقتبسه من الآخرين. وهناك فرق بين القدوة الحسنة والقدوة السيئة، هو أن القدوة السيئة قد تكون لإنسان غير سوي وغير مستقيم ولكن القدوة الحسنة هي التي تكون للشخص الصحيح الذي يمتلك جميع الصفات الحسنة التي يظهرها عبر تصرفاته، وفي قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:٩٠)، وفي وصف الثاني بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف:٢٣). فجاءت الآية الأولى بسياق المدح، والثانية بسياق الذم.

وقد تتمثل القدوة في شخص واحد أو مجموعة من الناس، وللقدوة دور كبير في حياة كل إنسان، حيث إنها قد تساهم في نجاح الإنسان أو فشله وتدميره، ولها أيضا تأثير قوي على المجتمع.

وتتجلى أهمية القدوة بالنظر إلى حال المسلمين اليوم، حيث نجد الحاجة ماسة إلى القدوة الحسنة، لتقتدي بها الأجيال الناشئة من أبناء المسلمين، تنير لهم الطريق، وتكون عونا للمشتغلين بالتربية والإصلاح، خصوصا في زمن ضاعت فيه القدوة، وفسد الاقتداء، فاتخذ الناس من ليس بأهل للقدوة: علما وأخلاقا، ففسد الذوق وضاع المعنى.

فكان الرجوع إلى القرآن والسنة لازما، من أجل البحث عن صفات القدوة الحسنة ومقوماتها. وأفضل قدوة هو النبي محمد ﷺ، لما اتصف به من صفات الكمال البشري، حتى أثنى الله تعالى عليه في القرآن الكريم، وزكى أخلاقه ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، وزكى دعوته ﷺ فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى:٥٢).

وتعتبر القدوة الحسنة من أكثر أساليب التربية نجاحا وتأثيرا في سلوك الآخرين، فهي المثال الواقعي للسلوك التربوي المستقيم، وهي التي توفر للناس القناعة بأن بلوغ الفضائل التي تتحلى بها القدوة الحسنة أمر ممكن وقابل للتطبيق في واقع الحال.

فإذا شاهد هؤلاء بعض القدوات قد ترقوا بأنفسهم إلى تلك المكانة، سهل عليهم أن يطوعوا قدراتهم لكي صلوا إلى المكانة التي تؤهلهم لمحاكاة تلك القدوة من خلال المحاكاة والتدريب والتهذيب.

ويجب على كل الآباء أن يكونوا القدوة الحسنة لأبنائهم، وهناك بعض النصائح التي يجب على الآباء اتباعها مثل: عدم تعمد قول الكذب أمام أطفالهم، وكذلك ضرورة الالتزام بتعاليم الدين والصلاة وقراءة القرآن، بالإضافة إلى ذلك يجب على الأب والأم أن يتعاملا معا بمودة ورحمة حتى ينشأ الأطفال مستقرين نفسيا.

خالد صالح المسافر

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٨٦) شوال ١٤٤٣ هـ - مايو /يونيو ٢٠٢٢م

السِّيرةُ النَّبويّةُ والتَّشريع

- الظَّواهِرُ السَّلبيّةُ في الشَّبكاتِ الاجتماعيّة
- عِلمُ النَّحوِ والاهتِداءُ لِعُلومِ الشَّرع



مجانًا مع العدد: زاد الإيمان


مجلة الوعى الإسلامى


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com


موقع مجلة الوعي الإسلامي



مصرف الاطعام

وقف على توفير المواد الغذائية
للمحتاجين وإفطار الصائم والأضاحي


Q8APF

WWW.AWQAF.ORG.KW



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

السيرة النبوية.. منهج حياة

إن سيرة نبينا محمد ﷺ مفخرة لأمته على مر العصور، ومنهج قويم لحياة المسلم، فمنذ أن بعث الله نبيه محمدا ﷺ وهو يرسم لأمته وللعالم منهجا يسيرون عليه، من أخذ به أفلح ونجح، ومن حاد عنه فقد ضل سواء السبيل. إن دراسة سير الأنبياء والمرسلين من أسباب الثبات والتمكين، قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (هود:١٢٠)، قال العلامة ابن عبدالبر رحمه الله: «قال بعض السلف: الحكايات جند من جنود الله تعالى يثبت بها قلوب أوليائه»، فقصصهم تبعث على التفكر، قال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف:١٧٦)، وفيها عبرة لأولي الألباب، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف:١١١). كما أن دراسة السيرة النبوية تعتبر الطريقة المثلى لمعرفة أسباب الأحكام الشرعية واتضاح أمرها.

إذن، ينبغي على كل مسلم أن يعرف سيرة النبي ﷺ، وذلك لأنها:

أولا: التفسير العملي والبيان التطبيقي لدين الله عزوجل وكلامه المبين الذي نزل به الأمين جبريل عليه السلام على قلبه ﷺ.

ثانيا: لأن الله عزوجل قد جعل النبي ﷺ في مقام الأسوة للمؤمنين، وجعله النموذج الأعلى للكمال البشري، فينبغي أن نتأسى به وننقاد لأمره ﷺ على علم وبصيرة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

ثالثا: لما تبعثه دراسة السيرة النبوية من توقير النبي ﷺ وتعظيمه في النفوس، ومحبته في القلوب، فإذا اجتمع التوقير مع المحبة في النفس كان الانقياد لأمره امتثالا ورغبة ومحبة، فإن المحب لمن أحب مطيع.

ولقد اختصر لنا العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الماتع «زاد المعاد» أهمية دراسة سيرة رسول الله ﷺ، فقال: «... ومن هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول ﷺ وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر؛ فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء!».

وختاما: يسرني أن أتقدم لسيدي صاحب السمو أمير دولة الكويت، وللعالم الإسلامي بالتهاني والتبريكات بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك، سائلا الله أن يعيده على كويتنا الحبيبة وعلى الأمة الإسلامية وهي ترفل بثوب الصحة والمنعة والنصر والتمكين.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٨٦/ شوال ١٤٤٣ هـ
العام التاسع والخمسون
مايو - يونيو ٢٠٢٢م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



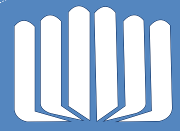
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ فاكس:	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

قدر من البهجة

عيد الفطر من شعائر الله التي ينبغي إحياؤها وإدراك مقاصدها واستشعار معانيها.. فيه نسعد ونُسعد ذوينا ولكن قد يغيب عن بعضنا أن يسعد آخرين بعيدين عنه أو دون منزلته. لكن جمال ديننا في تعظيمه لمثل هذه المساعدات وفي إدخال البهجة على قلوب آخرين لم تكن في استطاعتهم أسبابها.. وكم هي ممتعة تلك اللحظات التي تستشعر فيها أن الله جعلك سببا في فرحة أحدهم طفلا كان أو شيخا، رجلا كان أو امرأة عجوزا. ولأن المال امتحان كما هي بقية النعم فهل لنا أن نجتهد وننجح في هذا الامتحان مع عيد مقبل بالخير إن شاء الله.. ولأن الصحة كذلك امتحان فهل لنا من تسخيرها لخدمة آخرين ولو بالزيارة الواقعية لا الافتراضية.. ولأن الوقت أيضا امتحان فهل لنا أن نقتصد فيه ونبذل بعضه لإشعار غريب ضعيف شاء الله أن يكون دوننا منزلة بقدر من البهجة مثلما نأمل لأنفسنا دوما؟

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك باسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. عبد الناصر سلامة
باحث دراسات إسلامية



سورة الحديد

سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ١ له ملك
السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ٢ هو
الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ٣
هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى
على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من
السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون
بصير ٤ له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور
٥ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات
الصدور ٦

فضل الإنفاق من خلال سورة الحديد

يعد الإنفاق في سبيل الله تعالى من أعظم القربات التي شرعها الله تعالى لعباده، وقد دلت على مكانته في الإسلام وفضائله جملة من النصوص القرآنية والنبوية، بل لا يكاد يغادر موضوع الإنفاق سور القرآن الكريم في مكيه ومدنيه،

وقد عبر عنه القرآن ودعا إليه بتعبيرات وألفاظ متعددة من قبيل: الإقراض، والصدقة، والزكاة، وإيتاء المال، وإطعام الطعام[1]، وغيرها من الصيغ التي تدور جميعها على معنى بذل المال في وجوه الخير إما على جهة الوجوب أو على جهة الندب.

ولئن كانت كثير من سور القرآن بقسميه المكي والمدني قد اشتملت على الحض على هذه القربة المالية والترغيب فيها، فإن ملاحظتها مع ذلك في القرآن المدني تبدو أكثر وضوحا؛ كما نجده في سور

مثل سورة البقرة، وسورة التوبة، وسورة الحديد. وهو في هذه السورة الأخيرة - مع وجازتها- في غاية من الوضوح، بل هو أحد الموضوعات الأساسية والمركزية التي تعالجها السورة، وهو من أهم الأغراض التي اشتملت عليها، كما يشير إلى ذلك العلامة ابن عاشور في مقدمة تفسيره لها[٢].

وقد امتازت سورة الحديد من بين السور الأخرى باحتوائها على معاني وأسرار متعلقة بهذه العبادة تم نظمها في سياق بديع من الترابط والتناسق والتكامل على مدى مجموعة من الآيات المتتابعات، وأعني هنا بالتحديد الآيات من قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، أي من الآية (١٠) إلى الآية (١٧).

ونحن إذا تأملنا ما جاء في هذه الآيات المذكورات من موضوعات أمكن لنا أن نجمل ذلك في ثلاثة معاني، وهي على النحو التالي:

أولا- الحث على الإنفاق في سبيل الله وبيان صفته وثوابه عند الله، مع التنويه بالمنفقين وقت العسر والشدة، وذلك في الآيتين: (١٠) و(١١).

ثانيا- بيان حال كل من المؤمنين والمنافقين يوم القيامة وما يلقونه من جزاء على أعمالهم، وذلك في الآيات: (١٢) و(١٣) و(١٤).

ثالثا- الدعوة إلى ذكر الله تعالى وما نزل من القرآن وبيان ما في ذلك من حياة للقلوب، وأيضا ما يترتب عن الإعراض عن القرآن من قسوة وغلظة، وذلك في الآيتين: (١٦) و(١٧).

وإذا نظرنا إلى مجموع هذه الآيات ومعانيها نظرة عابرة فقد لا نلاحظ وجود ترابط بينها، ولكن بالنظر العميق يتبين خلاف ذلك؛ ويتبين أن المعنيين الثاني والثالث راجعان إلى المعنى الأول الذي هو الإنفاق في سبيل الله، وأنهما امتداد له في التفصيل والبيان.

بيان وجه الترابط بين المعنى الثاني في الآيات: (١٢) و(١٣) و(١٤) والإنفاق في سبيل الله تعالى:

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ (سورة الحديد: ١٢-١٥). تشير هذه الآيات إلى أن الله يثيب المؤمنين في الآخرة بما يلي: النور، والبشرى، والجنة. ولا شك أن الإتيان بهذا الجزاء عقب الآيتين (١٠) و (١١) الحاضتين على الإنفاق يدفعنا للتنقيب عن وجه المناسبة بينهما.

والذي يظهر مناسبة في ذلك أن الإنفاق لما كان فيه تفريج لكربة المحتاج وتبديد للظلمة التي كان يعيشها جراء شدة الاحتياج، ناسب أن يأتي الله بجزاء يوافق هذا الصنيع، وهو أن يجعل للمنفق نورا يستضيء به في ظلمات يوم القيامة؛ فكما أن هذا المنفق أنار طريق المحتاج بنفقته عليه فإن الله أنار له الطريق إلى الجنة بفضله ورحمته، وهذا كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «من فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة»[٣].

ثم لما كانت هذه النفقة بهجة وسرورا يدخله المنفق على المحتاج أتى الله بما يناسب ذلك من الجزاء أيضا، وهو البشرى، ومعناها الخبر الذي يسر النفس، فقال تعالى: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، فكان تبشيرا في مقابل تبشير.

وأما الجنة فكانت في مقابل العطاء المادي الذي اشتمل عليه الإنفاق، وهو ما وعد الله به في بداية هذه الآيات في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يعني: الجنة[٤].

وإذا عرفنا أن القرآن قد أشار في غير ما موضع إلى ما يدل على أن الجزاء من جنس العمل(٥)، حتى صارت هذه كالقاعدة في باب الثواب والعقاب، تأكد لنا هذا المعنى الذي ذكرناه آنفا، فإنه لا يخرج عن هذه المعادلة.

وإن مما يتأكد به أيضا ما قلناه من ترابط بين الآيات: (١٢) و(١٣) و(١٤) والإنفاق في سبيل الله هو ما احتوت عليه الآية (١٢) من كون المؤمنين سيجدون نورهم بين أيديهم وبأيمانهم؛ وهذا التحديد يناسب حالهم وقت الإنفاق، فإن المؤمن إذا أنفق أنفق بيمينه مقبلا بوجهه على المنفق عليه، فناسب أن يعطى النور من هاتين الجهتين، وقد جاء في الحديث الصحيح في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[٦]، فكان ذكر اليمين في الآية بمثابة الإيماء إلى فضل الصدقة باليمين وبيان جزائها يوم القيامة.

ومن المؤكدات لهذا الترابط أيضا ما بينه الله بعد ذلك في الآيتين: (١٣) و(١٤) من حال المنافقين يوم القيامة، وسبب ذكرهم هنا يرجع إلى صفة البخل التي كانت من أهم صفاتهم في الدنيا، كما قال الله تعالى عنهم في سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ قال العلامة ابن عاشور - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: «الظاهر أن هذا أنزل في شأن أحوال المنافقين، فإنهم كانوا يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، كما حكى الله عنهم في سورة النساء (٣٧) بقوله: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ وكانوا يقولون: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ (المنافقون:٧) وغير ذلك، ولا يجوز بحال أن يكون نازلا في شأن بعض المسلمين لأن المسلمين يومئذ مبرؤون من هذا الفعل ومن هذا الحسبان، ولذلك قال معظم المفسرين: إن الآية نزلت في منع الزكاة، أي فيمن منعوا الزكاة، وهل يمنعها يومئذ إلا منافق»[٧].

ومما يدل على أن الله قد عرض بالمنافقين في الآية (١٣) من سورة الحديد بسبب بخلهم أنه ذكر من الجزاء فيها ما يناسب ذلك، حيث ذكر قولهم للمؤمنين يوم القيامة: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ فهذا الجزاء مناسب لما كانوا عليه من الضن بالمال عن المؤمنين في الدنيا، حيث أحوجهم الله إليهم في يوم يكون فيه المرء أحوج ما يكون إلى الأعطية، ثم قابلهم بالحرمان الذي كانوا يقابلون به من يسألهم الأعطية في الدنيا من المؤمنين، فقيل لهم: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ فأذاقهم الله بهذا الحرمان مرارة البخل الذي كانوا يتصفون به ويأمرون به، وكان جزاؤهم من جنس عملهم، كما كان جزاء المؤمنين في الثواب من جنس عملهم كما بيناه آنفا.

ومما يؤكد هذا المعنى أيضا قوله تعالى لهم بعد ذلك: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ وذلك ليزيد حسرتهم وندمهم على ما كانوا عليه من البخل في الدنيا، يوم كان للعطاء والبذل فائدة، لو أنهم آمنوا وأنفقوا مما رزقهم الله، أما يومئذ فلا يقبل منهم فدية ولو بملء الأرض ذهبا.

وذكر هذه الأحوال المبينة لحال كل من المؤمنين والمنافقين يوم القيامة عقب آيات الحض على الإنفاق هو جري على عادة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، ليكون ذلك أدعى لامتثال ما أمر الله به من الإنفاق في سبيله.

بيان وجه الترابط بين المعنى الثالث في الآيتين: (١٦) و(١٧) والإنفاق في سبيل الله تعالى:

يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ (سورة الحديد:١٦-١٧). تتحدث هاتان الآيتان كما أشرنا سابقا عن تأثير القرآن على القلوب، وأن به تكون حياتها، كما أنها بدونه

تصبح قلوبا قاسية لا تنفعل لخير ولا تؤثر فيها موعظة. وقد مثل الله هنا ما ينزل من القرآن على القلوب فيرققها ويلينها بما ينزل على الأرض من الماء فيحييها، وذلك قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، يقول أبو حيان -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: «يظهر أنه تمثيل لتليين القلوب بعد قسوتها، ولتأثير ذكر الله فيها، كما يؤثر الغيث في الأرض فتعود بعد إجدابها مخصبة، كذلك تعود القلوب النافرة مقبلة، يظهر فيها أثر الطاعات والخشوع»[8].

وأما علاقة هاتين الآيتين بالإنفاق في سبيل الله فيتمثل في كون الإنفاق ثمرة من ثمرات ليونة القلب، وعلامة من العلامات الدالة على حياته. وبما أن حياة القلوب وليونتها للطاعة واندفاعها للخير والإنفاق إنما يتحقق بذكر الله والقرب من القرآن فقد أرشد الله المؤمنين إليه في هذا الموضع ليزدادوا ذكرا وارتباطا بالقرآن فيزدادوا بذلك إنفاقا وعطاء.

ومما يؤكد هذا المعنى ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[9]، فمن المعاني التي اشتمل عليها هذا الحديث أن المؤمن كلما ازداد قربا من القرآن ازداد كرما وجودا وإنفاقا في سبيل الله. وبمفهوم المخالفة فإنه كلما ابتعد عن القرآن ازداد بخلا وحرصا على الدنيا، وذلك بسبب ما يحصل له جراء هذا البعد من قسوة القلب، وهذا ما حذرت منه آية الحديد في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾.

وقد دل على هذا الارتباط بين الإنفاق والقرآن الكريم أيضا ما نعهده من الناس في شهر رمضان من سخاء وكرم وإنفاق على الفقراء والمحتاجين، وما ذلك إلا ببركة القرآن في هذا الشهر، وهو من المعاني التي يشير إليها حديث ابن عباس أيضا، حيث يزداد الناس في رمضان قربا من القرآن، فيزدادون بذلك كرما وعطاء، ولو أنهم يبقون على حالهم تلك من القرب من القرآن في سائر الأيام لبقوا على حالهم من السخاء والكرم أيضا في غير رمضان، كما كان عليه السلف الصالح.

ومحصلة القول أن هذه الآيات السبع من سورة الحديد قد تناولت في جوهرها موضوع الإنفاق في سبيل الله تعالى والحض عليه، فبينت ثواب المنفقين وصفة الإنفاق المحمود، وذلك قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾، مع التنويه بالمنفقين وقت العسر والشدة: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾. لتسلك بعد ذلك مسلك الترغيب والترهيب في الحض على الإنفاق من خلال بيان حال كل من المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، فبينت ما يلقاه المؤمنون جراء كرمهم وإنفاقهم من النور والبشرى وجنات النعيم، وما يلقاه المنافقون جراء بخلهم من الظلمة والحسرة وعذاب الجحيم. لترشد بعد ذلك المستهدين إلى ما به تندفع النفس إلى الإنفاق وتداوم عليه، وهو إدامة ذكر الله والقرب من القرآن الذي هو أفضل الذكر وأعظمه؛ وذلك لما في القرآن من أثر في تزكية النفوس وتطهيرها من البخل وغيره من موانع الإنفاق.

الهوامش

١- ينظر: نظرية الإنفاق في ضوء القرآن الكريم، لباسم أحمد عامر، (ص: ٢٢).

٢- ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٧/ ٣٥٥).

٣- صحيح البخاري، برقم: (٢٤٤٢).

٤- تفسير القرطبي، (٢٠/ ٢٤٥).

٥- ينظر تفسير ابن كثير لقوله تعالى: ﴿فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ (سورة البروج)، (٨/ ٣٧١).

٦- صحيح البخاري، برقم: (١٤٢٣).

٧- التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٤/ ١٨٠-١٨١).

٨- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، (٨/ ٢٢٢).

٩- صحيح البخاري، برقم: (٦).



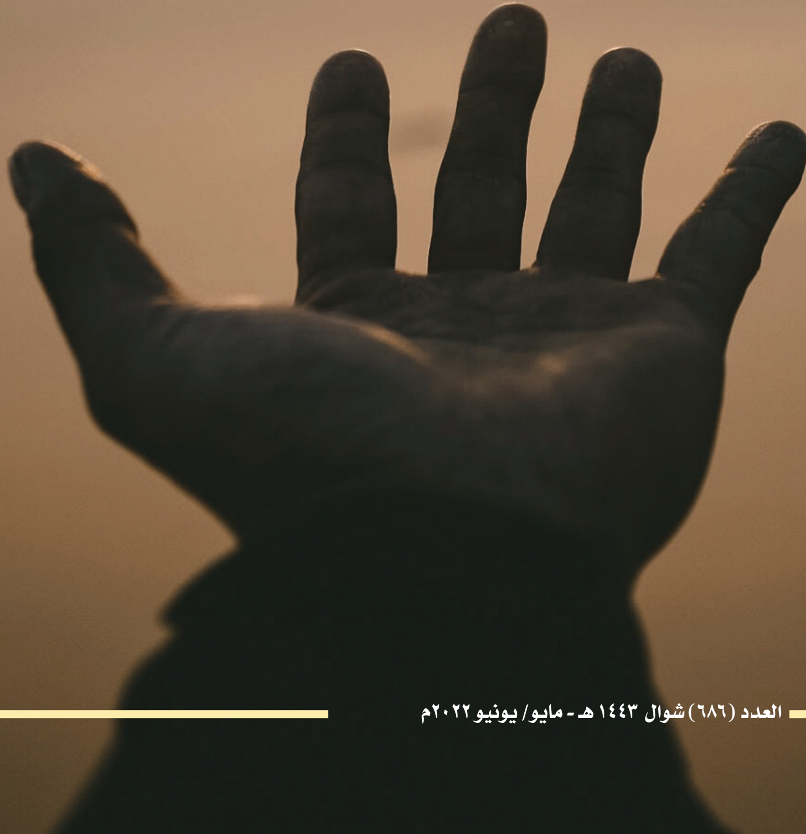
مصطفى القلاوي
كاتب وباحث

أثر العقيدة في النفوس

كل نفس بلا عقيدة سليمة فلا وزن لها ولا تساوي شيئا، إذ إن العقيدة السوية الراسخة هي أساس بناء النفس وضمان استقرارها وبقائها، كما أنها بمثابة القوة الدافعة على التفاني فيها والتضحية من أجلها، وبدونها فلا استقرار ولا بقاء.

وتظهر آثار تلك العقيدة في حياة الأفراد والأمم ظهورا جليا للجميع، لكن أثرها وظهورها يختلف قوة وضعفا، وسعة وضيقا، تبعا لتأثيرها في صاحبها ومدى سلطانها عليه.

وتأثير العقيدة على النفوس له صور وأحوال؛ فهناك عقيدة ضامرة هزيلة منزوية في حاشية من حواشي النفس، زاحمتها شئون الحياة المتكاثرة حتى تركتها عاطلة بلا عمل، هامدة بلا حراك، بيد أنها تنتعش في فترات قصيرة، ثم لا تلبث أن تعود بعد انتعاشتها إلى سباتها العميق، فتجد الكثير من هؤلاء يؤمنون بواجب الاتحاد والتآزر والتناصر فيما بينهم، لكنهم يبقون أشتاتا متفرقين متخاذلين!



ومنهم من يوقن بضرورة الأخذ بأسباب القوة المادية والمعنوية ومع هذا تراه ضعيفا متثاقلا! وآخر يؤمن بفريضة الإيثار والعطاء وهو شحيح حريص على الحياة، فلا جدوى إذن من اعتقاد عليل ولا نفع من إيمان غافل سقيم.

وتلك حال العقيدة في نفوس الكثرة الكاثرة من أفراد وجماعات، مثلهم في ذلك كمثل المريض الذي يعلم أن شفاءه متوقف على تجرعه مرارة الدواء والصبر عليه، غير أن فتور عزيمته يخذله، وضعف همته يقعده عن تناوله، وقتئذ لا تغني عنه عقيدة عاجزة جافة لا تسعفه عند الاحتياج، ولا تتداركه وقت الالتجاء، فهي عقيدة هامدة لا توقظ نائما ولا تحرك ساكنا، ولا فائدة من ورائها.

وهناك صورة لفريق آخر من الناس يحمل عقيدة نصف نشطة، تهيمن على جانب واحد من جانبي النفس، ولا سلطان لها على الجانب الآخر منها، هذا الفريق يحسن معاملة المخلوق لكنه لا يجيد معاملة الخالق. تجده حريصا على تحسين صلته بالآخرين، بيد أنه مقطوع الصلة بالله رب العالمين، فلا يوجه وجهه إليه، ولا يعتمد في شئونه وقضاء حوائجه عليه. وتراه يتودد إلى الناس في جميع المناسبات، وفي المقابل يبتعد عن رب الناس في مواسم القربات، ولا يذكر الله إلا قليلا. ليس من شيمته أن يخون شريكا، أو أن يشهد زورا، أو أن يجور في حكم، لكنه يفعل هذا وأكثر انطلاقا من قناعاته الشخصية، وحفاظا على صورته الاجتماعية، واحتراما لمبادئه الحياتية، وليس بدافع التدين والتزام الأمر واجتناب النهي ورجاء الثواب والخوف من العقاب.

وعلى العكس من ذلك تماما فريق آخر، يبالغون في المحافظة على حضور مراسم العبادات، ولا يتخلفون عن مواكب نوافل الطاعات، ويتورعون عن نقص تسبيحة أو الإخلال بأوراد الأوقات، لكنهم لا يتورعون في أحكامهم عن تنحية المصالح والأهواء، ولا يخجلون من اتهام الأبرياء بما يعلمون براءتهم منه، ولا يفزعهم أن تنطوي على المكر والحسد قلوبهم، ولا أن تمتلئ بالشح نفوسهم، ولا يأبون أن يقفوا مواقف الذلة والصغار اجتلابا لعرض من أعراض الدنيا، أو استبقاء لما في أيديهم منه، بعدما أذل الحرص والطمع أعناقهم.

هذا الفريق والذي قبله إن كانت لهم عقيدة فهي عقيدة أصاب أحد جانبيها الشلل والعجز ويوشك أن يصيبها بالكلية.

وبعيدا عن كل ما سبق، توجد صورة أخرى لعقيدة قوية ثابتة، راسخة شامخة، يقظة مشرقة، يملأ نورها جوانب النفس، ويسري ماؤها في أغوار القلب، تهدي الضمير سواء السبيل، وتقوي الإرادة بلا فتور، عن أمرها يصدر صاحبها في حركاته وسكناته، ونحو أهدافها يتوجه في أقواله وأعماله، يتلقى بلا انقطاع وحيها، ويستقبل دائبا إرشادها، حتى صغرت في عينه الدنيا وزينتها، وتلاشت في نفسه نوازع الهوى وغفلتها، فلا يكاد يذكر مطلب شخصه إلا لماما، ولا يركن إلى الراحة واللهو المباح إلا استجماما، على أن يكون مطلبه وراحته باسم العقيدة لا يخالفها، وعلى النحو الذي ترسمه له لا يحيد عنها، كأنه استعانة له على تحقيقها، وإعانة على إبقائها، ولا يزال أصحاب هذه العقيدة على هذه الحال حتى فنيت أشخاصهم في عقائدهم، وانمحت أهواؤهم في مبادئهم، وأصبحوا عقائد متجسدة ومبادئ ماثلة تمشي في الناس.

لكن هؤلاء على مراتب متفاوتة ودرجات متصاعدة على قدر ما يحملون من تبعات، فليست فضيلة الرشاد منفردة كفضيلة الرشاد والإرشاد معا، وليست مهمة الجندي التابع كمهام القائد المتبوع، وليس عبء الصالحين كأعباء الصالحين المصلحين.

فكل عقيدة تفرض على صاحبها واجبات متنوعة ومسئوليات متعددة قد ينوء بحملها، فكيف إذا أصبح مسئولا عن نفسه وعن غيره معا، وألقيت عليه أعباء الهداية والإصلاح فوق عبء الاستقامة والصلاح؟ أضف إلى هذا أن هذه الواجبات وتلك المسئوليات تزداد صعوبة كلما ترقى درج القيادة وصعد سلم الزعامة.

فأي كاهل يقوى على هذا الحمل إن لم يكن له من الله عون كريم وتأييد عزيز؟ وكانت له عقيدة قوية راسخة رسوخ الجبال تعينه على التضحية والتفاني، لها يتحرك ويسكن، وبها يصول ويجول، ومن أجلها يحب ويبغض، وفي سبيلها يحيا ويموت.



الإيمان ينجي الإنسان

المحاضرة الرابعة



محاضراتٌ تربويةٌ وثقافيةٌ وتوجيهيةٌ أسداها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولِّي الشَّعراويُّ - رحمه الله - أثناء زيارته الميمونة إلى دولة الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، حيث حلَّ الشَّيخ الشَّعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها.

وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجلعها الله في ميزان حسناته، ثمَّ خصَّ ابنُه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلَّة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تَّحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراوي، المتوفَّى سنة (١٤١٩هـ

في الكلية العسكرية بتاريخ (١٩٧٤/٩/٢٤م) الموافق: (٨) رمضان (١٣٩٤هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الربوبية الصدق للإله الحق، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة شهد بها لذاته، وشهدتها الملائكة مشهد رؤيا، وشهد بها أولو العلم استدلال برهان، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وأتمنهم على رشد الإنسانية، ففرض عليهم أن يقوموا المعوج، ويعدلوا المنحرف، وبعد:

فالتقائي إياكم هذه الليلة التقاء داعية بحرف حماة بسيف، والتقاء حجة لسان حجة سنان، والتقاء وسيلة كتاب وسيلة كتائب، والسيف والحرف واللسان والسنان والكتاب والكتائب هنا عدة الحق والخير والجمال، فأيهما ينشئ الآخر؟! هل السيف هو الذي ينشئ الحرف؛ ليكون مبدأه، أم اللسان هو الذي ينشئ الكلام؛ ليكون نظاما، أم الكتائب هي التي تملي القواعد لتكون حقا وخيرا؟! لا؛ إنما الحرف هو الذي ينشئ السيف، واللسان هو الذي ينشئ السنان، والكتائب هي التي تلدها الكتب، وإذا استعرضنا التاريخ كله وجدنا أن أي مبدأ يفرضه السيف على الحرف يكون مبدأ طغيان وجبروت وقهر، لكن الكلمة التي تؤتي المبدأ حقا وتدلل عليه برهانا هي التي تنشئ الكتائب والسيف والسنان؛ لأنها حين تنطق بالمبدأ الحق تقنع الفطرة السليمة والعقل المجرد عن الهوى، وحين يقنع الإنسان بالفكرة استدلالا وعقلا وبرهانا يتحمس بطبعه للدفاع عنها، وبعواطفه لحمايتها، ويضحي من أجلها بالنفس والمال، ولقد شهدنا كثيرا من المبادئ فرضتها السيوف، فلما أغمدت السيوف بالضعف ماتت الكلمة والمبدأ، لكنا شاهدنا بجوار ذلك أن الكلمة حين يتحمس لها السيف -وإن ضعف السيف مرة- تظل في عواطف الناس شعورا ووجدانا، وإذا نظرنا إلى التاريخ واستقرأناه وجدنا حضارات عدة انسحبت على الدنيا في كل تاريخ، فللمصريين القدماء حضارة انساحت[1] واتسعت وأخذت حيزا كبيرا من الكون، فلما ضعفت القوة التي تحميها أرزت[2] هذه الحضارة من جهاتها كلها، حتى استقرت في وادي النيل، وكذلك حضارة الفرس لما ضعفت القوة التي تحميها أرزت إلى فارس في إيران، وحضارة الرومان انتظمت رقعة واسعة من الدنيا، فلما ضعفت أرزت إلى روما، وفي اليونان غزا الإسكندر شرقا وغربا، وأخذ ما

أخذ من دنيا الناس، فلما ضعفت دولته أرزت حضارته أيضا، واستقرت في أثينا، ولم تترك أي حضارة من هذه الحضارات التوسعية السيفية أي أثر في البلاد التي انساحت فيها، لكننا نفاجأ في التاريخ بحضارة من لون آخر، حضارة أنشأها الدليل والبرهان، فانساحت في الدنيا في أقل من نصف قرن؛ هي حضارة الإسلام الذي انساح شرقا وغربا، وقاد أمة أمية بدوية لا حظ لها من علم، ولا رصيد لها من ثقافة، وقاد بها حضارة خيرة، فهي تجمع بين الدين المتحضر والحضارة المتدينة، انساحت في الدنيا، وصارعت أكبر قوتين في العالم آنذاك؛ قوة الفرس في الشرق، وقوة الرومان في الغرب، بنفس واحد، وفي وقت واحد، فما استعصت عليها حضارة فارس، ولا تأبت عليها حضارة الرومان، ومن الجائز أن نقول: إن القوة كانت تحمي هذه الحضارة الكاسحة. لكنا نشهد في التاريخ أن دولة الإسلام قد ضعفت واضمحلت وتفككت إلى دويلات، وتسلط عليها أقوياء مستعمرون، فهل انسحبت الحضارة في فارس أو تركيا أو في أي مكان بإسلاميتها الدينية إلى حيث جاءت من مكة أو المدينة؟! لا؛ لقد ضعفت دولة الإسلام، وظل ما أعطاه الإسلام للدنيا دينا يعتقد ويعبد الله به إلى اليوم، فأي حضارة استطاعت أن تترك بعدما ضعفت مثلما ترك الإسلام بعدما ضعفت دولته؟! الفارق بسيط جدا، وهو أن هذه الحضارات أنشأها السيف، لكن حضارة الإسلام أنشأها الحرف، هذه حضارة أنشأها اللسان بالبرهان والحجة والمنطق، وتلك حضارة أنشأها السنان بالقوة والجبروت، فيجب أن نعلم أن الحق حين يوجد أولا لابد أن يوجد في قوم ليس لهم من السلطان ما يجعل الناس يتهمونهم، فيقولون: إن الحق فرض بالسلطان، ولذلك كان أتباع الرسل المدعوين من الله ليدعوا الناس هم الطائفة البسيطة التي لا جاه لها ولا سيادة؛ حتى لا يقال في التاريخ: إن السيادة هي التي فرضت المبادئ. وظل الإسلام في مكة ضعيفا مستضعفا يضطهد أهله، وتقتل أتباعه، ومع ذلك لم يشرع الله في ذلك الظرف جهادا؛ لأنه يريد أن يربي أوائل الإسلام على الصبر على المكاره والإيذاء، وحتى لا توجد حجة بأن سيادة قريش هي التي فرضت الدين في الجزيرة، كان من الممكن جدا أن ينصر الله دينه في مكة، لكن مكة كانت لها السيادة قديما على سائر الجزيرة، وكانت هذه السيادة تفرض لها المهابة في تجارتها جنوبا أو شمالا، فلا يمكن لأي قبيلة أن تتعرض لقافلة منها؛ لأن هؤلاء يخافون أن يتعرضوا لقوافل قريش، لأنهم سيأتون إلى مكة حاجين، ويمكنونهم من أنفسهم، ولذلك شاء الله ألا يكون منطلق الإسلام من مكة؛ حتى لا يقال فيما بعد: إن قوما من مكة -هم قريش- تعصبوا لرجل واحد منهم ليسودوا به الدنيا. لكن الإسلام انطلق من المدينة حيث لا سيادة ولا جبروت ولا طغيان؛ حتى يعلم الناس والدنيا كلها أن الإيمان بمحمد هو الذي فرض العصبية لمحمد، ولم تفرض العصبية لمحمد الإيمان به.

وإذا التقيتكم -وأنا داعية من دعاة الإسلام- فإن ذلك ليس عجيبا؛ لأنكم السيف الذي تحمى به عقيدة الإسلام. هذه مناسبة الالتقاء، وأما زمانه فإنه رمضان الذي أنزل فيه الهدى، ومكانه الآن إنما هو المكان الذي تعد فيه الكتائب لحماية الحق

نفاجأ في التاريخ بحضارة من لون آخر، حضارة أنشأها الدليل والبرهان

انطلق الإسلام من المدينة حيث لا سيادة ولا جبروت ولا طغيان

والتبشير بدعوة الخير.
وإذا ما أردنا أن نعرف مهمة الإسلام أولا، ودعاته ثانيا، وحماته ثالثا، وجب علينا أن نستعرض أمر الرسالات من الله للأرض، والحق سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليجعله خليفة، وسخر له ما في السماوات والأرض جميعا منه، وأمده بما ادخر في الأرض من أقوات؛ لتكون قوام مادته، وأنزل عليه الوحي من السماء؛ ليوجد له قوام روحه؛ فبمادة الأرض ومنهج السماء يكتمل عنصر الإنسان، وإذا نظرنا إلى الإنسان آخذا من خير الله في الأرض، مبتعدا من منهج الله من السماء وجدنا الحق سبحانه يصف ذلك الإنسان على إطلاقه بأنه في خسر، فما الذي ينجيه من الخسر؟! إنه الإيمان، ينجو المؤمن بتوابع الإيمان من العمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، فإن تجرد الإنسان من منهج الإيمان وأخذ الإنسانية بمقوماتها المادية فحسب فهو في خسر بمنطق خالقه، وكذلك إذا استعرضنا صفات الإنسان التي جعلها الله له -مجردا من المنهج- وجدنا الإنسان بطبيعته الإنسانية البحتة غير موجه بمنهج السماء، يقول الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ (المعارج:١٩-٢١)، ذلك هو الإنسان بمحض إنسانيته، لكن الله يستثني المصلين المؤمنين الذين خضعوا لمنهج الله، ويقول: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ (العلق:٦-٧)؛ أي: الإنسان بمحض إنسانيته بعيد من منهج الله، فما الذي يقوم ذلك الإنسان ويحمي غرائزه من أن تنفلت إلى مضادات الخير والحق؟! إنه منهج الله، فالإنسان إذا أراد أن يكون إيمانيا يجب عليه أن يأخذ خير الأرض والسماء معا، عند ذلك يكون إنسانا مؤمنا سوي التكوين، فيه كل الخير، يبعد من الخسر، ويبعد أن يكون هلوعا وطاغيا إذا استغنى، والحق حين يشرع منهجه يعرف من خلق، فيشرع لخلقه الذي خلق له تشريعا يغذي ملكات نفسه كلها؛ عقله وعاطفته ووجدانه، والمشاعر والأحاسيس فيه كلها، أما الإنسان إذا ما شرع للإنسان فإنه يجهل ملكات هذه النفس، فيقنن -إن قرر أن يقنن- للملكة التي يعرفها، وتظل الملكات الأخرى جوعى دون غذاء وتقوية، وبذلك تتمزق النفس الإنسانية، ويحدث القلق، وإذا حدث التمزق والقلق في النفس الإنسانية صعبت على الإنسان الحياة.
لقد ألقيت مرة معادلة إحصائية: نظرنا في الإحصاء، فوجدنا أرقى الدول اقتصادا ومستوى هي السويد، معنى ذلك أن البطون مطمئنة على قوتها، والأجساد مطمئنة على كسوتها، ومظاهر الإنسان المادية كلها مستوفاة مهيأة، لكننا فوجئنا وروعنا بإحصاء آخر، في ذلك الإحصاء أن السويد أكثر الأمم شذوذا وجنونا وانتحار شباب وانهيار أعصاب، فماذا يكون لو أن المسألة اقتصادية بحتة؟! لاشك في أن الإنسان لا ينتحر ويفر من الحياة إلا لأنه واجه شيئا لا يستطيع أن يتحمل معه الحياة، ما هذا الشيء الذي واجهوه واقتصادياتهم متوافرة؟! لا شك في أن ملكة جوعى في نفوسهم لم يدروا ما هي، ولم يعرفوا ما غذاؤها، وإذا وجدت ملكة شبعى وملكة جوعى تمزق الإنسان، وحينئذ يتسرب إليه هم الدنيا، وإذا تسرب إلى الإنسان هم الدنيا لم يستطع عقل أن يقنع، ولم تستطع معرفة أن تهدأ؛ لأن الهم شيء مغروس في النفس، لا يمكن أن تشخصه عضويا، ولا أن تبينه أدبيا أو روحيا؛ لأنك لا تعرف مصدر القلق في الملكة الجائعة في النفس، هذا الهم هو شر ما يصيب الإنسان في الدنيا، إذا ما استولى على إنسان -أعاذنا الله منه- لم تجد معه حيلة ولا قوة، ولم ينفع فيه مال ولا علاج؛ لأنه عدو خبيء لا يعرف مكمنه ولا دواعيه، بخلاف الخوف؛ لأنك تعلم مصدره، وتعرف كيف تتحين الفرصة لتنجي نفسك منه، لكن الهم غم يأتي ولا تعرف له سببا ولا مصدرا ولا دواعي ولا دوافع.
علي بن أبي طالب ﷺ كان مشهورا عند الناس بقوة الفتيا[٣]، ورجاحة العقل، وسداد الجواب، وكان الناس يستفتونه فيما يعجزون عن العثور على حل له، فاجتمع بعض الناس، وقالوا: نريد أن نجمع بعض الأشياء الصعبة، ونسأله عنها لنختبره، فلما اجتمعوا قالوا لعلي كرم الله وجهه: نريد أن نستعرض كون الله تعالى، فقد جلسنا معا لنعرف أقوى ما خلق الله، واختلفنا، فقال كل واحد اسم القوة على حسب ما يراها. لم يترو علي بن أبي طالب، ولم يقل كلاما مسرودا؛ بحيث إن وقف لا يطالبه أحد بزيادة، بل حدد من الجملة الأولى عدد القوى حسب ترتيبها وقوتها، حتى طابق العدد المعدود، وهذا دليل على أنه مستحضر القضية استحضار الواثق، فرد أصابع يديه وقال: أشد جنود الله عشرة: الجبال الرواسي، والحديد يقطع الجبال، والنار تذيب الحديد، والماء يطفئ النار، والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء، والريح تقطع السحاب، وابن آدم يغلب الريح؛ يستتر بالثوب أو الشيء ويمضي لحاجته، والسكر يغلب ابن آدم، والنوم يغلب السكر، والهم يغلب النوم، فأشد جنود الله سبحانه الهم[٤].

هكذا قال سيدنا علي بن أبي طالب، فالهم والغم من أشد جنود الله تعالى، إذن: فالأمر المعنوي أفتك بالنفس من الأمر الحسي، لذلك يجب أن تقوى معنويات النفس قبل أن تقوى محساتها؛ فالمعنوية هي الينبوع الذي تتحرك عنه القوة، وهي المصدر الذي تنفعل له القوة، وما دام الينبوع قويا فتوجه القوة يكون سليما وقويا، ووحي السماء يحمي هذه المعنويات؛ حتى لا يصيبها خور[٥]، لأنها حين تربط الإنسان بربه تجعل له في ذاته أمنا بوجود رصيد أقوى منه، فإذا عزت عليه أسباب الدنيا لم ييأس أو يخفق؛ لأنه يؤمن بإله وراء الأسباب، وهو يعطي من غير حساب، وإذا ما أصيب بأي مصيبة يعلم أن له إلها أجرى عليه هذه المصيبة، ولابد أن يكون ذلك لخير، فلا يضعفه الخطب، ولا تزعزعه المصيبة، لكنها تقويه؛ لأنها تجعله مؤمنا بأن ذلك هو الخير لاشك، ما دام الله قد أجراه على خلقه، وفي ذلك يشرع الحق سبحانه وتعالى هذه الأمور حتى يظل المؤمن قوي الثقة بربه، لا يزعزعه خوف، ولا يضعفه هم، فيقول ما يقول في الحديث القدسي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «قال ربكم: وعزتي وجلالي، لا أخرج عبدا من الدنيا، وأنا أريد أن أرحمه، حتى أنقيه من خطيئته عملها بسقم في جسده، أو ضيق في معيشته، فإن بقي عليه منها شيء شددت عليه الموت، حتى يجيء إلي كما ولدته أمه، ولا أخرج عبدا من الدنيا، وأنا أريد أن أعذبه، حتى أوفيه كل حسنة عملها، بصحة في جسده، أو سعة في رزقه، فإن بقي منها شيء هونت عليه الموت حتى يجيء إلي وليست له حسنة»[٦]، فذلك الرصيد الإيماني حينما يكون في قلب الإنسان يواجه أحداث الحياة بأن له ربا وإلها إن أجرى الخير فبأمره، وإن أجرى الشر فبقدره، ولكل عنده ثوابه وجزاؤه.

إذن: فمنهج الله في الأرض يحمي النفس من خور معنوياتها؛ لتواجه الحياة بطاقاتها ومنطلقاتها كلها، حتى تكون أهلا لاستخلاف الله لها في الأرض، لكن هذا المنهج حينما يجيء الله به للخير يغفل الناس عنه، وبالغفلة يأتي التقليد، فيجتمع التقليد والغفلة، وحين يجتمع التقليد للبيئة والغفلة الذاتية من الإنسان يقصي[٧] الناس عن المبادئ، وتنسى القواعد الإيمانية، فمن رحمة الله أن أرسل رسلا متعاقبين يذكرون الناس بالمنهج الذي نسوه، ويرجعونهم إلى الله الذي غاب إيمانهم به عنه، إنهم رسل مبشرون ومنذرون، ظل موكبهم يتوالى ويتتابع على عمر الدنيا إلى أن شاء الله أن تبلغ الدنيا رشدها، فأرسل محمدا ﷺ ختاما للأنبياء، ورحمة للعالمين. لكننا نلحظ أن الدعوة والمنهج الذي جاء من السماء إنما جاء بالحق والبرهان، ونحن لم نشهد رسالات كرسالة نوح مثلا وإبراهيم وشعيب وإسحق ويعقوب وسليمان، ولم نشهد معهم حربا بين الكفر والإيمان؛ لأن السماء في ذلك الوقت هي التي كانت تتدخل لتأديب الكافرين، فما كان من الرسول إلا أن يبلغ دعوته وينشر معجزته، فمن آمن به آمن لنفسه، ومن لم يؤمن أدبته السماء بذنبه؛ يقول تعالى:﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ﴾ (العنكبوت:٤٠)، كل هذا التأديب كان من السماء، ولم يبدأ الإنسان في خوض معركة إيمانية يحمي بها الحق إلا حينما قال الله في ذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ

الأمر المعنوي أفتك بالنفس من الأمر الحسي، لذلك يجب أن تقوى معنويات النفس قبل أن تقوى محساتها

من رحمة الله أن أرسل رسلا متعاقبين يذكرون الناس بالمنهج الذي نسوه

﴿مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (البقرة:٢٤٦)، فذلك أول اتصال الإنسان لحماية الحق والخير، كان ذلك الطلب من الملأ من بني إسرائيل إذ قالوا للنبي: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾، انظروا إلى الدعوة، هم قالوا: نقاتل في سبيل الله. وبعد ذلك لما جاءت الحيثية قالوا: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ﴾، فالغرض وطني وأهلي الآن، ومع ذلك طلبوا أن يكتب عليهم القتال، لم يفرض عليهم أولا، بل هم الذين طلبوه، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا﴾؛ أي: تولى القوم إلا النفر القليل، فهل استقر النفر القليل على الإيمان بمبدأ القتال في سبيل الحق؟! لا؛ حينما جاء ليباشر مهمة القتال أراد الله أن يمتحنهم؛ حتى لا يواجهوا الأعداء وفيهم خور، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ (البقرة:٢٤٩)، فلما جاؤوا إلى النهر شربوا من النهر إلا قليلا، فالذي ثبت قليل منهم، انقسموا قسمين؛ فشرب قسم، ولم يشرب قسم وهو قليل، أفراد هذا القسم نجحوا في الاختبار، وحينما واجهوا الوقعة بذاتهم ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ﴾ (البقرة:٢٤٩)، وفعلا صحت نياتهم، وهزموهم بإذن الله، فانظروا إلى هذا الملأ من بني إسرائيل، هم الذين طلبوا القتال، ونبهوا وسئلوا إذا كتب عليهم القتال أيظلون مؤمنين به متمسكين؟ فقالوا: بل نتمسك. فلما كتب عليهم القتال ثبت قليل وفر كثير، القليلون الذين ثبتوا ذهبوا إلى اختبار الابتلاء بالشرب من النهر، فشربوا إلا قليلا، هذه القلة انقسمت عند مواجهة المعركة، فقال الذين يؤمنون بالله ويثقون بوعده: ادخلوا المعركة أيها القلة: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾، ولذلك نلحظ في مسألة موسى وأخيه هارون أنه لما طلب إلى قومه أن يدخلوا الأرض المقدسة خافوا من القوم الجبارين فيها، فقالوا: ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ (المائدة:٢٤)، فالسوابق تدل على أن الإنسان الذي عاصر هذه الرسالات لم يكن أهلا لتحمل شرف هذه المهمة، لكن جاء الإسلام دينا خاتما، وجاء محمد، وليست هناك رسالة بعده، فالإنسانية قد بلغت رشدها، والتابعون لمحمد هم الذين يؤمنون على أن يؤدبوا المنحرف عن منهج الحق والخير، لذلك فرض الله الجهاد على أمة محمد؛ شهادة من الحق بأنهم خير أمة، وأهل فتوة، ولن يفروا كما فر من سبقهم، وهم موكلون بتأديب أهل الأرض حتى يجعلوا الدين لله كله، وحين فرض الله الجهاد جعل أقسى ما يكون في الجهاد موضع الصفقة، وأن تزهق الأرواح، فالصفقة تعقد بين المؤمنين، والمبيع أرواحهم والمشتري الله، والثمن الجنة، ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ (التوبة:١١١)، فعقدت الصفقة بين الله والمؤمنين على أن يقاتلوا في سبيله فيقتلون ويقتلون، وإذا ما حدث ذلك فإن الحق قد اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، والتعامل بالصفقات يكشف عن المعنى الإنساني في الإنسان؛ لأن حياة الإنسان وكفاحه فيها إنما هي الصفقة، يقبل على عمل؛ لأنه يريد خيرا مما بذل فيه، فعقد الصفقة مناسب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ﴾ (التوبة:١١١)، هو بيع باعه المؤمن لمشتر هو الله، في صفقة هي الروح، بثمن هو الجنة، فما أربح البيع! ولذلك يذيلها الله بقوله: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (التوبة:١١١)، ثم يعرض قضية الجهاد عرضا آخر، فيقول: ﴿هل أدلكم على تجارة﴾ (الصف:١١٠)، والتجارة -من نوع الصفقة التجارية- بذل شيء يراد به أن يؤتى بأكثر منه، تلك مهمة التجارة، لذلك يخاطبنا الله بالأسلوب الذي يقنع بالكسب، فيقول: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم﴾.

في معركة بدر كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ، أما ابنه فلما يكن قد أسلم، وكان مع الكفار، فلما أسلم وآمن قال لأبيه: لقد رأيتك يوم بدر فلويت وجهي عنك؛ حتى لا أقتلك. فرد أبو بكر رضي الله عنه: لو أني رأيتك لقتلتك[٨]. وهذا منطقي مع الإيمان؛ لأن الموازنة النفسية اقتضت أن يقارن ابن أبي بكر بين أبيه وصنم يعبده؛ فرجحت كفة

أبيه، لكن أبا بكر حين رأى ابنه قارن بين ربه وابنه، فرجحت كفة ربه، فأبو بكر واقعي إيماني، وابن أبي بكر واقعي فطري بشري؛ لأن ابن أبي بكر حين يواجه أباه -وللأبوة حقها- يقارن حق أبيه بأي حق معه من دين، فلو كان يعتقد أن دينه الذي عليه حق لقارن بين حق دينه وحق أبيه، لكنه ليس على دين؛ لأنه لا يعترف به إلا باطل، فالحرب منه، والوجود فيه جحد وإنكار واستعلاء، ولو كان مؤمنا بأن ذلك هو الحق لغلب حق دينه حق أبيه، لكنه قارن حق أبيه بلا حق في دينه، فمن المعقول أن يكف عن أبيه؛ لأن حق أبيه غالب، لكن أبا بكر حين يواجه ابنه في المعركة يقارن بين حق عليه وبين ابنه، فترجح كفة الحق على كفة الابن، فيقتله بالحق، ولو كان ابنه. فمنطق أبي بكر منطق إيماني، ومنطق ابنه منطق عاطفي بشري.

ومصعب بن عمير فتى مكة المدلل، والداه غنيان، ورد فيه عن عمر رضي الله عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلا عليه إهاب[9] كبش قد تنطق[10] به، فقال النبي ﷺ: «انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، ولقد رأيت عليه حلة شراها أو شريت بمئتي درهم، فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون»[11]. هذا مصعب يلتقي في معركة بدر بأخيه أبي عزيز، وأبوعزيز مع الكافرين، ومصعب مع المؤمنين، أبوعزيز أسره صحابي أنصاري اسمه أبو اليسر، ثم اقترع عليه، فصار لمحرز بن نضلة، فقال مصعب لمحرز: اشدد يديك به، فإن له أما بمكة كثيرة المال. فقال له أبوعزيز: هذه وصاتك بي يا أخي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك[12].

تلك هي أخوة الإيمان، طغت على أخوة النسب؛ لأن نسب الإيمان ليس إلى الإنسان، وإنما إلى الرسل، وإلى الحق ذاته، وأي نسب يعدل نسب الإنسان إلى الرسول وإلى الحق ذاته؟! ومصعب بن عمير إنما قارن ذلك النسب الإيماني بذلك النسب العصبي الدموي الإنساني، فآثر عصبه الإيماني على نسبه البشري.

والحق سبحانه وتعالى يعرض على المؤمنين هذه القضية عرضا واسعا مدللا مستشهدا عليه بواقع التاريخ كله؛ حتى لا يكون للمؤمن إلا أخوة المؤمن، ولا يكون له حسب ولا نسب إلا الإيمان، فلا أب ولا ابن ولا أخ ولا زوجة ولا عشيرة ولا صاحب، كل ذلك تجمعه أخوة الإسلام، حينئذ يعرض الحق سبحانه وتعالى هذه القضية ليخلص البشرية من عواطف أنسابها وأرحامها؛ حتى يكونوا جنودا للحق وحده، مجردين من كل شيء. يقول الحق في تلك المسألة: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة:١٢٤)؛ أي: كلفه تكليفات واسعة، لكن إبراهيم أقبل على تكليفاته بقوة وإخلاص وأمانة أداء، فأراد الحق أن يكافئه، فقال: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة:١٢٤)، تلك مكافأة على إتمام إبراهيم التكليفات، وإبراهيم يقف موقفا ليعلم البشرية كلها درسا يكون المتعلم الأول فيه، لما قال له الله: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، أراد ذلك لذريته أيضا، قال الحق له: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة:١٢٤)، فمسألة الأديان لا أنساب فيها؛ أبناء كل رسول هم أتباعه، وأهل كل رسول هم المؤمنون به، أما بنوة النسب فلا حساب لها عند الرب. تعلم إبراهيم الدرس ووعاه؛ لأن الله قال له: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولما وعى الدرس كانت نتيجة هذا الوعي أنه حينما

فرض الله الجهاد على أمة محمد؛ شهادة من الحق بأنهم خير أمة، وأهل فتوة، ولن يفروا كما فر من سبقهم

المبدأ الإيماني حين يوجد في نفس المؤمن تتخلص إلى الحق

دعا ربه: ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم﴾ (البقرة:١٢٦)، يعني: من آمن من أهل مكة، وعى الدرس فلم يدع بالرزق للنسب، إنما قال: أدعو يا رب أن ترزق أهله؛ أي: من آمن منهم. فأجرى الله تعديلا آخر لفهمه؛ لأن الله يربي أنبياءه، ليربوا خلقه، وقال له: خلطت المسألة يا إبراهيم، أنت وعيت الدرس، ولكن ليس بتصرف، حينما قلت: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ في الإمامة قلت لك: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولكنك الآن تسأل رزقا، والرزق أمر مادي لابد أن أؤتيه حتى للكافرين بي، فالكافرون بي مخلوقون لي، وبخلقي لهم وبمخلوقيتهم لي يستحقون أن أرزقهم وأجعل الأرض تعطيهم من خيرها، فأنت خلطت أمر المادة بأمر المعنى، وأمر القيم المادية في الجسم بأمر القيم الروحية في الروح، وأنا تكلمت معك في البنوة الروحية والإيمانية، فقلت: لا أعطي من ذريتك الظالمين، ولكنك تسأل بالرزق، والرزق أمر عام أشمل به الكافر والمؤمن، فلما قال: ﴿﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ﴾ قال الله له: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا﴾ (البقرة:١٢٦)، ولكن أمتعه فقط في هذه الحياة الدنيا، وليس له عندي في الآخرة من نصيب.

هذا درس تلقاه أبو الأنبياء من ربه في بنوة المعاني؛ بنوة الإيمان، وبنوة القيم الروحية، وبنوة الأجسام والمادة، وبعد ذلك شرحه الله شرحا آخر في قصة نوح حينما قال نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ (هود:٤٥-٤٦)، فأهلية الرسل وأنسابهم ليست أنساب الدم واللحم، إنما أنساب الإيمان واليقين بالحق، ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ (هود:٤٦)، فقد تحدد نسب الإيمان، لذلك يقول الرسول ﷺ: «سلمان منا أهل البيت»[١٣]، وسلمان فارسي، ومحمد ﷺ عربي، لكن نسب الإسلام جمعهم، وفي ذلك يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: «والله لئن جاءت الأعاجم بعمل، وجئنا بغير عمل، لهم أولى بمحمد منا يوم القيامة، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه»[١٤]، ذلك هو المبدأ الإيماني حين يوجد في نفس المؤمن تتخلص إلى الحق، فلا نسب له إلا بجنود الحق، ولا أخوة له إلا أخوة الإيمان، حين يوجد المؤمن بهذه الحال يكون خميرة قوية إيمانية، ولبنة إسلامية يستطيع أن يواجه بها دنيا الشر أيا كان مصدر ذلك الشر، ولو كان مصدره أباه أو أخاه، فكل شيء هين أمام هذه العقيدة، وحين لا تكون العقيدة أمام العواطف، ولا تكون العواطف أمام الخوف من القوة يكون اكتمال جندي الإيمان، وحين يكتمل هذا الجندي يكون النصر حليفه دائما، لذلك حينما يأتي إنسان ليجادل إنسانا في قضية ما فهذا الجدل في القضية قد يطول فلا ينتهي بانتصار أحد؛ لأن الجدل يكون في منطقة تدافع؛ هذا يأتي بحجة، وذلك ينقضها بحجة، ويأتي ذلك ببرهان، ويأتي الآخر فينقض ببرهان، وهكذا دواليك حتى لا تنتهي المسألة، لاسيما إذا كان الطرفان جدليين. فالحق يعلمنا كيف ننطلق في نقاش الأمور؛ أننطلق من النقطة المختلف عليها، أم من النقطة المتفق عليها؟! لو انطلقنا من النقطة المختلف عليها لظل اختلافنا، ولكن لنقصر أمد النقاش والمقارنة علينا أن ننطلق من نقطة متفق عليها؛ لتكون مقدمة إلى نتيجة مسلم بها.

في موضوعنا بالنسبة إلى خصم وعدو وحرب بين إيمان وكفر جاء الله بمثال واضح، فنطق بقضية، والحق حين ينطق بقضية فهي حق، قال: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ (الصافات:١٧٣)، قضية قالها الله، وما دامت من قول الله فهي صادقة، فمن أين جاء صدقها؟! نقول: لو فرضنا أننا دخلنا مع عدونا حروبا عدة -آخرها حرب (١٩٦٧م)- دخلناها وفي رؤوسنا قضايا ومبادئ ونظريات، وليس في قلوبنا شيء اسمه الإيمان وإعلاء كلمة الله، أستحلفكم بالله أن تقولوا لي: لو أننا انتصرنا مع هذا الوضع الذي دخلنا عليه فما موقع الدين من ذلك الانتصار؟! لو انتصرنا على ما كان معنا لهان أمر الدين، فلابد أن نهزم؛ لأننا لو انتصرنا لكانت سابقة سيئة، وكان ذلك مددا للمبادئ التي دخلنا بها لتستشري وتظل ويؤمن بها الناس، لكن حينما نالنا ما نالنا رجعنا إلى الله، وعرفنا أننا أخطأنا الطريق التي يجب أن ندخل بها الحرب مع عدو كافر، من الممكن حين كنا نجادل أحد أفراد هذا المعسكر أن يدعي أنه دخل وفي باله الله، وأنه جندي من جنود الله، وذلك أمر يطول شرحه، نقول لكل داخل معركة بعد الانتهاء منها: أغلبت أم غلبت؟ هذا أمر لا يمكن أن يختلف فيه؛ لأنه أمر واضح مشهور معلوم للقاصي والداني، فلا يمكن أن يدافع، فإن كنت قد غلبت فاعلم أنك دخلت ولست جنديا من جنود الله؛ لأن الله يقول: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾، وما دمت لم تغلب فابحث في نفسك؛ ما الذي أخل بإيمانك؟ وما الذي أخل بجنديتك لله حتى غلبت ولم تغلب؟! لقائل أن يقول: أمعنى ذلك أن المسلمين الأول قد انتصروا في معاركهم كلها؟ كانوا مسلمين قطعا،

هم الرعيل(١٥) الأول من صحابة رسول الله، ومع ذلك فقد انتابتهم مرارا هزائم، ألم يكونوا من جنود الله؟ قلها بملء فيك: بلى، حينما انهزموا كان قد اختل فيهم شرط من جنديتهم لله، فمثلا: في أُحد لو أن المسلمين نصروا وغلبوا مع مخالفة أمر رسول الله فكيف سيكون الموقف؟! أظن أنهم لو انتصروا مع مخالفة أمر رسول الله لهان أمره في نظرهم، يقولون: خالفنا وانتصرنا. ويأتي المرجفون في المدينة ليروجوا هذه الإشاعة، فيقولون: طاعة الرسول ليست مطلوبة دائما، لأنه أمر فخالفنا، ومع ذلك انتصرنا. لا؛ إنهم خالفوا، فليهزموا، بعد أن كانوا منتصرين أخرجتهم المخالفة من النصر إلى الهزيمة، فالمسلمون الذين انخذل فيهم معنى من معاني الجندية لله هم الذين انهزموا، ولكن الإسلام ومبدأه ورسوله انتصروا؛ لأن معنى ذلك أن المسلمين سيعضون بالنواجذ على أوامر رسول الله بعد تلك الحادثة، ولا يغفلون عن أمره، ولا يخالفون مشورة؛ لأنهم جربوا تجربة مادية واقعية، حينما خالفوا انقلبت الكفة، وبعد أن كانوا منتصرين صاروا منهزمين، فقول الحق: ﴿جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ حق صادق، حتى أصحاب رسول الله –وإن كانوا بقيادته– يهزمون؛ لأن صفة من صفات الجندية المطلوبة قد اختلت فيهم والرسول بينهم، فلا بد أن يربوا على احترام أوامر الرسول؛ لأنه القائد، والقائد لا يخالف؛ بل يجب أن ينفذ أمره.

ثمة تربية أخرى في غزوة حنين، فمع كل هزيمة درس، والدروس التي تأتي مع الهزائم دروس من إله محب، يحب لنا أن نربى –المسلمين– على أعينه، فحين نذنب ذنبا نربى؛ حتى نستدرك على أنفسنا الأخطاء التي وقعت منا، فلا نحاول أن نعيد التجربة من جديد، يوم حنين غرتهم الأسباب والعدد والكثرة، وتلك المآخذ التي تؤخذ بها معنويات الجيوش؛ لأن الجيش يجب أن يكون حذرا بحيث لا يخاف خوفا يرعد فرائصه(١٦) من العدو، ولا يؤمل أملا يهون العدو في نظره، فلابد أن يكون بين الخوف والرجاء، وأن ينظر إلى عدوه نظرة تجعله يحتاط لقوته، ويجب ألا يغتر بنفسه غرورا، فيجعل نفسه فوق العدو؛ لأنه من أي الناحيتين يؤخذ، فإن كان صاحب عدد وعدة فيجب ألا يؤخذ بذلك، يقول تعالى: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ (التوبة:٢٥)، لكن رحمة الله لم تشأ أن ينتهي الدرس إلى نهاية موئسة للمسلمين، فمن الله على رسوله بما فعل، وأيد جنود المؤمنين، وعادت الكرة ثانية إلى النصر بعد أن ثابوا من غرورهم إلى امتثال أوامر الله، وطلب الإمداد إليه. تلك مهمة الجندي؛ ألا يخالف أمر القائد؛ لأن القيادة إنما تخطط على قدر ما تعلم، والجندي قد يكون بعيدا من التخطيط؛ لأنه يتلقى الأوامر، وأصحاب الأوامر هم الدارسون للشيء، العالمون ببواطن الأمور. ولذلك يعرض القرآن قضية من يملك الرأي والقوة عرضا آخر، لا ليسلينا أو يقتل الوقت، إنما ليعلمنا كيف تكون الأمور، يعرض علينا الحق سبحانه وتعالى قصة ملكة سبأ وسليمان والهدهد الذي تفقده سليمان ثم جاء من سبأ بنبأ يقين، وأخبر سليمان بما كان من أمر ملكة سبأ وقومها، ومن أمر دينهم، وأنهم كانوا يعبدون كذا وكذا، وتعجب؛ كيف لا يعبدون الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض؟! فالهدهد حيوان يعرف قضية العقيدة والإيمان، ويعرف من الذي يجب أن يسجد له، وهو الله، ويعرف أن سجود الإنسان لمخلوق حمق وضلال وسفه، نقل رسالة سليمان إلى ملكة سبأ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾ (النمل:٣٠-٣١)، فأخذت الملكة الرسالة، وجمعت قومها، وقالت: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ (النمل:٣٢)، فكان ردهم أن فصلوا بين الرأي والقوة، فالرأي له مجاله ومدارساته واستنباطاته، والقوة لها عدتها وموقعها، قال المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان
هو أول وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة(١٧)
بلغت من العلياء كل مكان(١٨)

القرآن حين يحكي قصة على لسان أحد ثم لا يقر ببطلانها يكون معنى ذلك أنه يؤيد هذه القضية، قال تعالى: ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ٣٢ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣﴾ (النمل:٣٢-٣٣)؛ أي: ليس لنا الرأي في أن نقاتل أو لا نقاتل، إنما ذلك رأي سياسي تدبيري حكمي لا علاقة لنا به، إن تقولي: حاربوا نحارب، أو: لا تحاربوا فلا نحارب. حملوها مسؤولية الأمر السياسي، وهم مستعدون للأمر العسكري الحربي؛ لأنهم رجال قوة، والرأي له قومه الذين يدرسونه، فهل وضعوا الأمر في نصابه حقا؟! نعم؛ وضعوه حقا. هكذا قال القرآن، ثم عرض لنا القضية حين قالت المرأة: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ (النمل:٣٥)، فإن

كان ذلك ملكا دنيويا يحب التوسع والزخارف والسيطرة والاستيلاء على خير الناس فسيسر بالهدية، وإن كان غير ذلك فلن تقع الهدية موقعها في نفسه. إنه اختبار صادق وأسئلة صادقة دقيقة، لذلك حينما ذهب الرسل إلى سليمان بالهدية ﴿قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم﴾؛ لأنه ليس نبيا فحسب، لكنه نبي ملك، سخر الله له ما لم يسخر لملك في الأرض؛ فسخر له الطير والجبال والريح والجن، ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (النمل:٣٦-٣٧)، فلما ذهب الرسول بالخبر إلى ملكة سبأ وقومها تأكدوا أنه ليس ملكا من صنف الملوك، وأنه لا يريد توسعا ولا سيطرة، ولا امتصاص خير أو دماء، إنما يريد إعلاء كلمة الحق، فهو صادق في قوله ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل:٣١)، وكان لابد لها أن تذهب، وذهبت، وأنتم تعرفون بقية القصة، فحين يخطط صاحب الرأي يجب أن يخطط وفي باله أن الرأي ليس رأي الهوى، لكنه رأي الحق والدين، يعجب الله أن ينفذ حين تصدق النية في ذلك، ويقبل الناس رأيا وجهادا بالقوة، وقد ضمنوا الغلبة على عدوهم، أما إن دخلوا وليس في بالهم الله فإنهم مهما أوتوا من قوة فلن يبلغوا قوة العدو؛ كما قال عمر: «إنكم تنتصرون على عدوكم بطاعة الله، فإن استويتم أنتم وهم في المعصية غلبوكم بعدتهم وعددهم»[١٩]. إذن: فإذا واجهت قوة الإيمان قوة الكفر يجب أن تكون قوة الإيمان قوة موضوعية للإيمان، لا قوة اسمية له؛ بأن نواجه بأسماء أحمد ومحمد وعلي وعبدالله، نريد مسميات إسلامية؛ لأن آفة حاضر الإسلام أننا جعلنا الأسماء وسيلة الإحصاء، ولم نجعل المسميات وسيلة الإحصاء، فنحن نعدد أمما إسلامية؛ لأن أسماء شعوبها إسلامية، ولن نكون إسلاميين كما يريد الله إلا إذا كان الإسلام وقفا لنا ولزما، حين ذلك نكون مسلمين بحق، نواجه أعداءنا بمسميات الإيمان والإسلام، لا بأسماء الإيمان والإسلام، وحسبنا دليلا أننا حين دخلنا معركة رمضان السابقة دخلناها والناس كلهم يشهدون أننا دخلناها تحت شعارات الإيمان، فكان شعارنا «الله أكبر»، كلمة لم نسمعها في حرب (١٩٦٧م)، لكننا سمعناها في حرب رمضان، سمعناها في تلك الحرب، وكانت كلمات شعار صحيح استبسل الجنود تحتها وتحت راية الحق، ولذلك إذا حدثوكم بالأعاجيب التي صادفوها فلا تتعجبوا؛ لأنهم الشهداء على نفوسهم، ذلك العمل لم يكن في قوة تخطيط أن يعمله، ولا في قوة بشر أن يسمعه، ولا في طاقة إنسان أن يحصل على ما يحصل عليه لولا معونة الله، وجند الله الذين قد يكون بعض الجنود قد رأوهم. وإذا حدثوكم بأنهم رأوا آيات من آيات الله فصدقوهم، وعدوا من رأى حجة على نفسه. لذلك إذا استقصينا القوم الذين خاضوا المعركة نجد أن الله كان بجانبهم، وأن المحسات كانت تدل على وجود جند الله معهم، وذلك لأننا دخلنا بمجرد شعارات كانت لها حرارة من قلوب المحكومين والحاكمين، فما بالك لو أننا استقبلنا معاركنا مع العدو لا بشعارات فحسب، ولكن بواقع إيماني لهذه الشعارات؟! إذن: فلن يكون لعدو الله معنا قوة، ولن يكون له معنا بعد ذلك معركة؛ لأن الحق سبحانه وتعالى سيؤيدنا بجنده، ما نراه، وما لم نره يعمل عمله، وحينئذ ينصرنا الله عليهم بالرعب، فالمسألة ليست مسألة وقت مواجهة؛ لأن الحق يعلمنا أننا ما دمنا مؤمنين -وفي الدنيا كفار- فيجب أن نتوقع المعركة دائما؛ أي: يجب أن نتوقع دعوة الله للجهاد في أي لحظة. وآفتنا أننا كنا لا نعيش هذه الحياة، ما عشنا هذه الحياة إلا حين وجد عدو يأخذ قطعة من أرضنا، ولو أننا عرفنا مهمة الإسلام والإيمان لكنا دائما على أهبة الاستعداد للقاء عدو الله، لذلك يقول الحق سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ (الأنفال:٦٠)، والإعداد ليس وقت المواجهة فحسب؛ إنما الإعداد امتداد لزمنه قبل وقوعه، يكون بحسب ما تتطلبه الحرب من أدوات وفنون وتكتيكات واستراتيجيات، ولذلك يقول الحق حكمة مجملة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، كلمة ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ تدل على بذل الجهد والوسع والطاقة في الإعداد للعدو، والإعداد -كما سبق- يجب أن يكون قبل المواقع التي نخوضها؛ أي: نعيش المعركة كل وقت، يأتي الإعجاز القرآني ليقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، وكلمة قوة مجملة عامة تشمل كل ما يدخل فيها من القوى. كانت قديما تدل على النبال والسهام والرماح والسيوف، وبعد ذلك انتقلت وتطورت إلى البنادق، ثم القنابل، ثم الصواريخ، لكننا نلحظ أنها في تطورها لم تتطور إلى ناحية الملاقاة المباشرة بالسيف، وإنما تلاقت ناحية الرمي، والرمي معناه أن تكون على بعد من عدوك؛ لتصيبه ولا يصيبك، لذلك يأتي الرسول ﷺ المدد بالوحي، فيقول في تفسير القوة: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[٢٠]، ولم تخرج القوة في

أي عصر إلى عصرنا هذا عن كلمة الرمي البتة. ارم برصاصة أو بندقية أو صاروخ، وبعد ذلك يقول الحق: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾(الأنفال:٦٠)، لم تعد الخيل الآن وسيلة من الوسائل، إنها المدرعات وحاملات الجنود وناقلات العساكر، فكلمة ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ تدل على وسائل الركوب والامتطاء والانتقال والحمل والمؤونة. إذن: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أيا كانت هذه القوة على وصف ما تتطلبها بيئاتها، ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾، لذلك تجد أن من الإعجاز الذي جاء به القرآن أن كل قوة ميكانيكية مهما ارتقت وتطورت فإن حسابها اليوم بقوة الحصان، يقولون: قوة كذا حصان، فكأن الحصان والخيل هي الأساس الأصيل في تقييم القوة، ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ﴾ (الأنفال:٦٠) ذلك الإعداد السابق لواقع الحرب أمنع للحرب؛ لأن عدوك لا يجترئ عليك إلا إذا علم أنك لم تعد للحرب عدتها، لكنه إذا علم أنك تعد للحرب عدتها فربما هابك وخافك، فيكون الاستعداد للحرب دائما أمنع لها، ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ﴾ كلمة ترهبون تدل على ما يدل عليه اليوم من الاستعراضات العسكرية ومن المناورات البحرية والحربية، وإلا فكيف نرهب العدو إذا لم نعرض له قواتنا عرضا يعلم منه أننا أقوياء، وعندنا العدد، ونستطيع أن نواجه؟! ذلك هو العرض العسكري أو المناورات التي تقام لتشعر العدو بقوة العدو عددا وعدة، ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ فإذا أرهبتموه ربما كان ذلك مدعاة لمنع الحرب بينكم، ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ (الأنفال:٦٠) فالأعداء نوعان: عدو ظاهر واضح هو المعسكر الذي نحاربه، وعدو آخر خفي، قال الله فيه: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾(الأنفال:٦٠)، إنهم ما يعرف باسم التجسس والمخابرات، وقد يكون من المنافقين الذين يعيشون في أوساط الوطن الإيماني، فهؤلاء يجب أن يشعروا ويعلموا مدى ما عليه الأمة من القوة والاستعداد واتخاذ الأهبة؛ حتى ينقلوا ذلك إلى خصومنا من واقع مخابراتهم وتجسسهم، فإن عدونا لا يجترئ علينا، وإن المنافقين أو الطابور الخامس -الذي يوجد مثلا في أمة الإيمان سواء كانوا من المنحرفين دينيا أم المعتنقين مبادئ تعادي الإيمان- لا يهمهم أن ننتصر على معسكر الكفر، ولكن يهمهم أن ينتصر معسكر الكفر وواجهات الإلحاد ودوله الأخرى، فهؤلاء يجب أن يردعوا، ويعلموا أننا نستعد ونقوى، ويجب أن نكون في مظهر الشعب كله، لا في الجنود المباشرين للحرب ولا في قواتهم، مظهر الحرب يعيش في نفوسهم دائما، فالمعلم يجب أن يكون في حالة حرب تحمسيا بالرأي، والواعظ بالكلمة، والصحافي بالمقال، ووسائل الإعلام كلها تعيش الحرب وتعد له؛ حتى إذا ما جاء الحرب وجد أمة جميعا وشعبا واحدا، وحينئذ يكون الله سبحانه في باله، وإذا كان الله في باله، والإيمان غايته، وكلمة الله العليا مبدأه فإن العدو لن يلبث أن يذوب وينهار، وسيكون نصرنا عليه قريبا. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمع كلمتنا، ويوحد صفوفنا، ويوجهنا إلى منهج الله؛ ليكون دستور حكمنا، وشعار حروبنا مع عدونا، وأسأله سبحانه وتعالى أن يوفق الحاكمين لوضع الرأي السديد، والمحكومين ليكونوا جنودا في الميدان أو البيوت أو المعاهد أو المدارس، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ (الروم:٤-٥)، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش

١- انساح: كبر واتسع. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٩٤/٦).
٢- أرز: انضم واجتمع بعضه إلى بعض. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٨/١٥).
٣- الفتيا: أصله من الفتى، وهو الشاب القوي. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢١٢/٣٩).
٤- لم أقف عليه، ولم أجده فيما توفر لي من مصادر. انظر: تفسير الشعراوي - خواطر، للشعراوي (٦٢٧٩/١٠).
٥- الخور: الوهن. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٣١/١١).
٦- انظر: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، للسمرقندي (٥٣٢/١).
٧- قصي: بعد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٠٤/٣٩).
٨- لم أقف عليه، ولم أجده فيما توفر لي من مصادر. انظر: تفسير الشعراوي - خواطر، للشعراوي (٤٩٩١/٨).
٩- الإهاب: الجلد قبل الدبغ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٨٣/١).
١٠- تنطق الرجل: شد في وسطه. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣٥٤/١٠).
١١- رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٥٧٧٩).
١٢- انظر: المغازي، للواقدي (١٤٠/١).
١٣- رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، رقم: (٦٥٣٩).
١٤- انظر: فتوح البلدان، للبلاذري (٤٣٢/١).
١٥- الرعيل: اسم كل قطعة متقدمة من رجال وغيرها. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٨٧/١١).
١٦- ترعد الفرائص: تجرف وتضطرب من الخوف. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٧٩/٣).
١٧- المرة: الشدة والقوة والأصالة والإحكام. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٠٨/١٤).
١٨- انظر: الأمالي، لابن الشجري (٢٦٠/٣).
١٩- لم أقف عليه، ولم أجده فيما توفر لي من مصادر. انظر: تفسير الشعراوي - خواطر، للشعراوي (١٨١١/٣).
٢٠- رواه مسلم، رقم: (١٩١٧).

د. راوية نور الدين عتر
عضو هيئة التدريس كلية الشريعة
دمشق





الإخلاص وفضائله

إن الله تعالى رحمة بخلقه أوحى لخاتم أنبيائه ورسله برسالته ووحيه، وأمره بتبليغ وحيه ورسالة ربه، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، جزاه الله خير ما يجزي نبيا عن قومه ورسولا عن أمته.

ومن البداهة لدى المسلم أن حديث النبي ﷺ هو الوحي غير المتلو، وهو الحكمة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾، وهو نور هداية البشر، وقانون الحياة القويم، فيه الدليل لخير الحياة وبعد الممات، شاملا شؤون الحياة كلها، ومجالاتها كافة.

ولما كان الأمر كذلك أردت التشرف بتسليط الضوء على بعض أحاديثه عليه الصلاة والسلام، مع بيان معناها لنهتدي بهديها، ونتتفع من معانيها عملا وحالا وقالا، مع بعض أمثلة على من كانوا من خير من استنار بنورها وعمل بمقتضاها.

وسوف أبدأ بالحديث الشهير الذي نجد فيه لمن عمل به تحويل حياة الإنسان كلها لطاعة وعبادة وطمأنينة وسعادة، ونجد فيه الوقاية من أخطر داء حل بالمسلمين وهو الزيغ عن الإخلاص والانصراف عن النية الصالحة؛ مما جعلهم ينتخبون من الدين ما يروق لهم ويذرون ما سواه، ووسم حياتهم بما يشبه الفصام!

وهو ذلك الحديث الذي ركز فيه قدوتنا ﷺ على أشرف ما في الإنسان وأهم أعضائه ومبدأ أعماله وهو القلب، الذي هو موضع نظر الرحمن، وهو ما رواه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[(١)]. يقول الإمام النووي: «أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده وصحته. قال الشافعي وآخرون هو ثلث الإسلام»[(٢)].

والنية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض، من جلب نفع، أو دفع مضرة، حالا أو مآلا، ويفهم من الحديث أن الأعمال لا تكون محسوبة ومسقطة للقضاء إلا إذا كانت مقرونة بالنيات، وأن النيات إنما تكون متعددة ومقبولة إذا كانت مقرونة بالإخلاص، مبعدة عن الرياء أو ابتغاء غرض غير وجه الله تعالى، ودل على أن الأعمال تحسب بحسب النية، إن كانت خالصة لله تعالى وإن كانت الدنيا فهي لها، وإن كانت لنظر الخلق فكذلك[(٣)]، وقد نص به صريحا في قوله: ﷺ: «والخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، ولرجل على وزر،.. قال: فأما الذي

له أجر فرجل ربطها في سبيل الله،.. ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا في ظهورها فهي له ستر، ورجل ربطها فخرا ورياء فهي على ذلك وزر»[٤].

وقد اختلف العلماء هل المراد بالأعمال الأعمال الشرعية المفتقرة للنية فقط، أم أنها تشمل ما لا يفتقر للنية أصلا كالعادات من أكل وشرب ولبس وغير ذلك؟ وجمهور المتقدمين أن الأعمال على عمومها لا يخص منها شيء، وهو ما رجحه الإمام النووي وجمع من المتأخرين، وهو ظاهر كلام الإمام أحمد، روي عنه: «هذا الحديث يأتي على كل أمر من الأمور»، وسئل عن النية في العمل فقال: «يعالج نفسه: إذا أراد عملا لا يريد به الناس»[٥].

وهكذا أفاد الحديث أن حظ العامل من عمله نيته، فإن كانت صالحة فعمله صالح فله أجره، وإن كانت فاسدة فعمله فاسد فعليه وزره، وتكون أعمال الإنسان صالحة أو فاسدة أو مقبولة أو مردودة أو مثابا عليها أو غير مثاب عليها بالنيات، وأن الإنسان لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به، فإن نوى خيرا حصل له خير، وإن نوى شرا حصل له شر[٦].

عندما نتأمل في تلك المعاني العظيمة تتوسع آفاق الحياة وميادين الأمل، فكل ما ابتغي به وجه الله صار الإنسان مثابا عليه: المعلم والمهندس والطبيب والعامل الذين يبتغون بعملهم طاعة الله تعالى الذي أمرنا بإعمار الكون ونفع عباد الله تعالى، كلهم مثابون ومأجورون، وكذلك المرأة في أعمالها المنزلية، والرجل في كسب عيشه إلى آخر ما هنالك مما يصعب إحصاؤه وتعديده.

وهكذا ينقلب العمل من روتين ممل إلى طاعة وعبادة محببة، حتى ما كان مما تقتضيه الطبيعة البشرية والفطرة العادية، فقد جاء في الصحيحين: عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ، قال: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أثبت عليها، حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك»[٧]، ومن هنا كانت القاعدة الحيوية: «النية تقلب العادة إلى عبادة»، بل إن المسلم إن عدد النوايا بصدق في المباحات ضوعف أجره، ونمي ثوابه. أي جمال هذا في ديننا الذي يشعرنا أننا في صلة مستمرة مع الخالق جل جلاله في كل عمل موافق للشرع بنية خالصة لله! لكأن هذا الحديث الشريف يقول للمسلم: أقبل بقلبك أقبل بصدق، كن دائما مستحضرا نية العبودية تفز دائما حتى فيما يسر نفسك وهو ليس مما تتجشم به تعبا ومشقة.

ولكن في الوقت ذاته هنالك تحذير خطير من قصد غير وجه الله تعالى في العمل حتى إنه يبطل ثوابه ولو كان في أصله طاعة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولئن ذكرت الهجرة في الحديث مثالا لطاعة قصد بها غير وجه الله تعالى فهي ذكرت مثالا لا بقصد الحصر، ويؤيد هذا المعنى أحاديث كثيرة منها: حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالا فله ما نوى»[٨]، وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو؟ فقال: «إن قاتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا، وإن قاتلت مرائيا مكاثرا بعثك الله مرائيا مكاثرا؛ على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تلك الحال»[٩]، وهذا كله لأن العمل الصالح والمأمورات يقصد بها العبودية لله تعالى فإن خلت من هذا القصد خلت من الأجر، بل ربما انقلبت وبالا على صاحبها الذي أشرك في قصده ونيته المخلوقات مع الخالق كما في حديث: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما



تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار»[١٠].

وممن روي عنه هذا المعنى، وأن العمل إذا خالطه شيء من الرياء كان باطلا: طائفة من السلف، منهم عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، والحسن، وسعيد بن المسيب، وغيرهم. ولا يعرف عن السلف في هذا خلافا، وإن كان فيه خلاف عن بعض المتأخرين. فإن خالط نية الجهاد مثلا نية غير الرياء، مثل أخذه أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة، أو التجارة، نقص بذلك أجر جهادهم، ولم يبطل بالكلية، وفي صحيح مسلم[١١] عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من غازية، أو سرية، تغزو فتغنم وتسلم، إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم، وما من غازية، أو سرية، تخفق وتصاب، إلا تم أجورهم». أما الحديث الماضي -حديث الثلاثة ومنهم شهيد - فهو محمول على أنه لم يكن له غرض في الجهاد إلا الدنيا. وقال الإمام أحمد: التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزاتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره.

ولكن ربما يدخل القلب خوف جراء معرفة المرء ذلك، فيقول وأنى لنا بنية خالصة مستمرة متوالية؟! وماذا عن خواطر حظ النفس والدنيا؟ فالجواب: لا تبتئس فربنا سبحانه رحيم ودود، والمقرر حسب الأحاديث الشريفة أنه إن كان أصل العمل لله، ثم طرأت عليه نية الرياء، فإن كان خاطرا ودفعه، فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه، فهل يحبط به عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولى وهو مروي عن الحسن البصري وغيره[١٢]. ويستدل لهذا القول بما خرجه أبو داود في مراسيله [١٣] عن عطاء الخراساني «أن رجلا قال: يا رسول الله، إن بني سلمة كلهم يقاتل، فمنهم من يقاتل للدنيا، ومنهم من يقاتل نجدة، ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه الله، فأيهم الشهيد؟ قال: كلهم إذا كان أصل أمره أن تكون كلمة الله هي العليا».

بل إن النبي ﷺ طمأننا كيلا يكون في نفوسنا حرج من عمل صالح نافع يثنى علينا به فيحصل بسبب ذلك الثناء والمديح الغم، قال لما سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه، فقال: تلك عاجل بشرى المؤمن»[١٤]، وهكذا نجد تطييب قلب المؤمن الذي عمل العمل لله خالصا، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، فذلك لا يضره، وفي هذا موافقة للفطرة الشرعية السليمة التي تقتضي قبول تحسين الحسن وتقبيح القبيح كما كان سيدنا النبي مع أصحابه، وهو معلم الفطرة النقية وسيدها.

إن النماذج التاريخية للمخلصين لله تعالى الذين جعلوا شعارهم: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾؛ تبين لنا كيف أن إخلاصهم لله عز وجل وابتغاءهم وجهه الكريم فيما يفعلون وفيما

يـذرون جعلهم من أفـراد الناس عملا يعم نفعه الآفـاق، وروحـا طيبة تسع بحنوها الآلاف، وعلما يبقى إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها، ومنهم مثلا الإمـام النووي ذلك العالم الرباني العامل، العابد لربه المخلص، الـذي شغل حياته كلها بألوان العبادات والقربات، والـدروس والتصانيف النافعات، وكـان من أهـل الــورع، والـزهـد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول فيه الإمام الذهبي: (النووي الإمـام الحـافظ الأوحـد القدوة شيخ الإسـلام علم الأولياء محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي، صاحب التصانيف النافعة) [١٥].

حفظ القـرآن في طفولته ثم لما دخـل دمـشـق وهـو فـي تمـام سن العشرين لطلب العلم كان يقرأ في كل يوم اثني عشر درسا على مشايخه، شرحا وتصحيحا، منها ما هو في اللغة، ومنها في المنطق، وفي الحديث الشريف بفروع علمه، وفي الفقه وأصوله، قال: «وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل، ووضوح عبارة، وضبط لغة وبـارك الله تعالى لي في وقتي». والبركة في وقته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نتيجة صدق مقصده مع ربه ظاهرة جلية، فقد درس في مدارس دمشق: المدرسة الإقبـاليـة، والفلكية، والركنية، كما وولـي رحمه الله مشيخة دار لحديث الأشرفية، وقد نشر بها علما جما وأفـاد الطلبة، وتخرج بالإمام النووي جماعة من العلماء المبـرزيـن. ومـن تمـام الـبـركـة أنه قد ألـف الـنـووي رحـمـه الله في عـلـوم شـتـى: الـحـديـث والـفـقـه وشرح الحديث والمصطلح، واللغة والتراجم، والتوحيد، وكان من بين مصنفاته كتاب خاص حول حديث: (إنما الأعـمـال بالنيات) اسمه: «الإمـلاء عـلـى حـديـث الأعـمـال بالنيات»، وقيل إن اسمه: «كتاب الأمالي في الحديث».

وقد وضع له ولمؤلفاته القبول بين خلق الله المسلمين، ومـا ريـاض الصالحين الـذي ينـدر ألا يوجد في بيت إلا مثال واضح عن هذا القبول العجيب، ولا ريب في ذلك فقد أخلص نيته الله وخلص إرادته له سبحانه للغاية القصوى فكان له العاقبة الحسنى دنيا وأخرى.

إن توجيه القصد والنية في العمل لله تعالى من بدائه الدين وأساسه، وبقدر أهميتها نجد أنها ليست بالمر السهل بتاتا، والمـرء بحاجة ليستعين بـالأسـبـاب لتحصيلها، ومـن أهـم تلك الأسـبـاب: الالتزام بـأذكـار يومية، والتوجه إلـى الله بالدعاء لتحصيل إخـلاص النية، ومـجـاهـدة الـنـفـس للتخلص من أهوائها الخفية، وهذا من أهم ما من شـأنه أن يعين على إخـلاص النية لرب البرية.

الهوامش

١- صحيح البخاري: (٥٤) واللفظ له كما فيه، وقد أخرجه في ستة مواضع أخـرى بـاخـتـلاف يسير فـي اللـفـظ، ومسلم: (١٩٠٧).
٢- شرح النووي على مسلم: (١٣/ ٥٤).
٣- شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن: (٢/ ٤١٩)
٤- صحيح البخاري: (٢٨٦٠) ومواضع أخرى، وقد أوردته مختصرا.
٥- جامع العلوم والحكم: ١/ ٦٤.
٦- جامع العلوم والحكم: ١/ ٦٥.
٧- صحيح الـبـخـاري: (٥٦) ومواضع أخــرى، و صـحـيـح مـسـلـم: (١٦٢٨) ومواضع أخرى.
٨- سنن النسائي: (٣١٣٨).
٩- سنن أبي داود: (٢٥١٩)
١٠- صحيح مسلم: (١٥٠٩)
١١- صحيح مسلم: (١٩٠٦)
١٢- جامع الأصول والحكم: ١/ ٨٢.
١٣- المراسيل لأبي داود: (٣٢١)
١٤- صحيح مسلم: (٢٦٤٢)
١٥- تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٧٠.



د. آندي حجازي
أكاديمية في علم النفس التربوي

رسولنا العظيم والتطبيق العملي للإسلام

قد يكون من أصعب الموضوعات أن تكتب عن سيرة رسول الله محمد ﷺ وتطبيقه العملي للشريعة الإسلامية في حياته في مقالة من صفحتين أو ثلاث، حيث إن سيرة رسول الله تكتب في مجلدات، وألفت بها مئات المؤلفات والمصنفات عبر الزمن، فكيف لنا أن نختزل شمائله المحمدية أو سيرته النبوية ومغازيه وتفاصيل حياته وأخلاقه وآدابه وعباداته وتطبيقه لتعاليم الإسلام في صفحتين؟! فكل موقف من مواقف حياته الشريفة يمكن أن يكتب به مقالات وتخطب به خطبا ومواعظ، فمواقف حياة رسولنا ﷺ أكثر من أن تحصى، عظيمة تعليمية كلها عظات وعبر.

وكيف لا تكون سيرة عظيمة واسعة ممتدة وقد جاء نبينا عليه الصلاة والسلام معلما ومفهما لديننا الحنيف، وموضحا وشارحا لأحكام وقواعد وآيات القرآن الكريم، وجاء بالديانة الشاملة السمحة الخاتمة للديانات، الصالحة لكل زمان ومكان، وقدوة لنا في أقواله وأفعاله، وفي التطبيق العملي لكل ما طلبه الله تعالى من طاعات وعبادات وأحكام وأخلاق وسلوكات وآداب، فلم يترك لنا نبينا الكريم محمد ﷺ شاردة ولا واردة صغيرة ولا كبيرة إلا وأوضحها وبينها وأظهر كيفية التطبيق العملي لها، ولم يحظ أتباع دين من الديانات بتسجيل تفاصيل حياة نبيهم وأقواله وأفعاله وكيفية تطبيقه

أوامر ونواهي الخالق العظيم، كنموذج وكقدوة ومعلما بادئا بنفسه ثم بصحابته الكرام خير البشر بعد الأنبياء عليهم السلام؛ كما حظينا نحن المسلمين بتدوين تلك السيرة النبوية العظيمة من قبل علمائنا الأوائل وبطريقة فاعلة ورصينة موثقة لكل ما ورد عن رسول الله من أقوال وأفعال وأحداث.

فقد حفظ صحابته الكرام والتابعون ومن تبعهم بجهود كبيرة السنة النبوية والسيرة الشريفة بتتبع كل تفاصيل حياة رسول الله ﷺ، وكل أحاديثه (ما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير) بدقة متناهية وأمانة بالغة، وبمعايير عالية في نقل كل حديث نبوي فيما عرف بعلم الجرح والتعديل، فدونت كتب الأحاديث الصحاح الستة (صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي وابن ماجه، وسنن أبي داود، وسنن النسائي) بجهود جامعيها من فم الصحابة، وبالسفر بين الأمصار تتبعا لبعض رواتها، آلاف الأحاديث الشريفة الصحيحة، والتي نقلت لنا الدين الحنيف وكيفية تطبيق رسول الله ﷺ لما هو مطلوب من الله تعالى، وتلتها كتب السيرة النبوية كالتي كتبها ابن هشام، وكتب تفسير القرآن الكريم كتفسير ابن كثير، وكتب الشمائل المحمدية التي تصف صفات رسول الله وأخلاقه، وغيرها من الكتب التي تتبعت أحاديث رسول الله وسيرته العطرة من أجل توثيقها للتعلم منها والاقتداء بها.

ونحمد الله أن قاموا بتلك الجهود العظيمة ليكتب للسيرة النبوية الخلود والبقاء عن طريق التدوين والتواتر والنقل الدقيق لها بفضل الله تعالى، لكي يعيننا ذلك على التطبيق الفعلي لأمور ديننا، فعندما تقرأ قصة من قصص السيرة النبوية تشعر وكأنك تعيش أحداث تلك القصة وتلكم الفترة، وتشعر وكأنك تعيش مع رسول الله ﷺ وصحابته العظماء، فلا أجمل من أن تخوض تجربة قراءة صحيح البخاري كاملا أو صحيح مسلم، أو كتاب الشمائل المحمدية لتعيش مع رسولنا الكريم وتعرف شؤون حياته وأيامه، كيف كان ينام وآداب النوم، وماذا يأكل وكيف يأكل وآداب الطعام، وآداب الكلام وحسن العشرة والأخلاق، ومعجزاته الكثيرة، وكيف يعامل زوجاته وأهل بيته وصحابته ويكرمهم ويساعدهم ويوجههم ويرأف بهم، وكيف تعامل مع أعدائه، ومع الملوك والقياصرة في دعوتهم للإسلام وعبادة الله تعالى وحده. قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٢١).

نماذج من سيرته العطرة

لنأخذ مثالا بسيطا واقعيا من أخلاقه العظيمة عليه أفضل الصلاة والسلام، فلم يرد عن رسول الله ﷺ أنه ضرب أحدا يوما ما أو شتم أحدا أو صرخ في وجه أحد أو جرح مشاعر شخص؛ لا خادما ولا زوجة ولا ابنا ولا دابة أيضا، ونتحدى كل من يقرأ سيرته أن يجد فيها شيئا من هذا القبيل، بل إن أعداء الإسلام اليوم عندما كانوا يحاولون الطعن في نبينا ويلجؤون للكتب لقراءة سيرته العطرة من أجل أن يجدوا ثغرة يدخلون منها للطعن في نبينا، فلا يجدون شيئا، بل يكتشفون كم كان نبينا إنسانا عظيما وقائدا مبهرا رفيع الأخلاق لم يؤذ أحدا من أهل بيته ونسائه أو صحابته أو قبيلته، بل إن قومه وقبيلته الذين آذوه كثيرا لأكثر من عشر سنوات في مكة المكرمة، عفا عنهم يوم فتح مكة ولم ينتقم منهم لما عاناه منهم وصحابته في مكة من اضطهاد وتعذيب وتجريح ومقاطعة وهجران وتهجير منها، فعندما عاد منتصرا قويا فاتحا عفا عن قريش وأهل مكة جميعهم في الوقت الذي كان بإمكانه أن يحكم عليهم بأحكام قاسية كالقتل أو النفي أو التعذيب، ولكنه كان يقول إنما بعثت رحمة للعالمين فعن أبي هريرة رضي الله عنه: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين. قال: «إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة» (رواه مسلم). وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء:١٠٧).

فلم يكن نبينا الكريم بعيدا عن الواقع التطبيقي العملي لأحكام وتعاليم الدين، فالله تعالى لم يجعل رسوله ملكا بل بشرا ونبيا يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، ويتزوج النساء، ويعلم أصحابه، ويشتغل بالتجارة، ويعيش كما يعيش البشر العاديون، ويفرح ويحزن ويمرض ويشفى ويأكل

وينام، وهذا كله حتى لا يكون تطبيق الدين الإسلامي ضربا من الخيال بل واقعا ملموسا وصالحا لكل زمان ومكان.

فرسولنا عليه الصلاة والسلام يمثل الأنموذج العملي لما ورد من أحكام وعبادات في القرآن الكريم؛ فمثلا عندما أمر الله تعالى في القرآن الكريم بالحج وبعدة آيات تبين فرضية الحج، منها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ (سورة آل عمران:٩٧) وقوله: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾ (البقرة:١٩٦)، والتي تظهر وجوب الحج والعمرة، ولكنها لم تبين كيفية تطبيقها، فجاء النبي عليه الصلاة والسلام وعلم الناس كيفية الحج، ولكنه لم يعلم المسلمين فرائض الحج وواجباته وأركانه وسننه تعليما نظريا من مكانه؛ بل حج واعتمر بنفسه مع المسلمين في عام حجة الوداع مطبقا كل ركن من أركانه وكل شعيرة من شعائره، بطريقة لا تجعل مكانا للخلاف فيما بعده، وكان يقول: «لتأخذوا عني مناسككم» رواه النسائي، أو«لتأخذوا مناسككم» رواه مسلم، أو«خذوا عني مناسككم» رواه البيهقي.

وما قيل عن الحج كمثال للتطبيق العملي للقرآن الكريم والسنة النبوية فإنه يقال لكل ركن من أركان الإسلام؛ من صلاة وصوم وزكاة وأحكام وحدود، فمثلا عندما فرضت الصلاة وجاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فإنها لم تبين كيفية إقامتها وعدد ركعاتها، وإنما بين رسول الله ﷺ كيفية أدائها وشروطها وأركانها وسننها وأحكامها من خلال التطبيق العملي مع الصحابة الكرام، وحتى سجود السهو جاء بتطبيق عملي أمام الصحابة، وكان رسول الله يكثر من الصلوات النافلة ومن قيام الليل حتى تفطرت قدماه فهو خير قدوة في التطبيق، وكذلك شرح كيفية الصيام والزكاة وشروطها وحالاتها ومارس كل تلك العبادات بنفسه ومع صحابته.

نبينا الكريم أنموذج في العطاء والصبر

كان رسول الله ﷺ النموذج العملي في الصدقة فقد كان جوادا وكان أجود ما يكون في رمضان، وكان ينفق في سبيل الله كل ما يأتيه من صدقات وهبات وغنائم! وقد قال عنه الأعرابي حينما أسلم وأعطاه رسول الله (تأليفا له وترغيبا لقومه في الإسلام) كل ما في الوادي من ماشية وإبل: «إن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر!»، فلم يكن نبينا الكريم فقيرا بل وردته الكثير من الغنائم كغنائم حنين وخيبر وغيرها، وأنفقها كلها في سبيل الله، ولم يترك لنفسه منها سوى ما يسد رمق الطعام والشراب له ولزوجاته، وكان سعيدا بهذا وأنموذجا يحتذى في العطاء.

وقد خير جبريل عليه السلام رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام بين أن يكون ملكا مخلدا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون عبدا لله غير خالد في الدنيا فكان كما اختار، فانظر لتواضعه وعبوديته لله الخالق.

نبينا العظيم محمد ﷺ أنموذجا في الصبر لكل من ابتلي ببلاء، فقد ذاق جميع أنواع الابتلاءات وصبر عليها صبرا حقيقيا راضيا بقضاء الله وقدره ولم نسمع أو نقرأ أنه قد اعترض يوما على حكم الله وقضائه أو تذمر منه، فمنذ طفولته عانى اليتم بفقد والده قبل أن يولد أو يرى النور فلم ير والده، ثم في عمر الست سنوات يفقد أمه أيضا، ليعيش فقد الوالدين وفي كنف جده عبد المطلب الذي كان محبا له حبا شديدا كابن من أبنائه وأكثر، ثم يشاء الله تعالى ولحكمة لا يعلمها إلا هو؛ يفقد ذلك القلب الحنون فيموت جده وعمر نبينا ثماني سنوات فقط، لينتقل للعيش مع عمه أبي طالب الذي أحبه أيضا حبا شديدا ودافع عنه كثيرا وعامله هو وزوجته بكل حب ورعاية واهتمام كأبنائهما، ونشأ نبينا في بيت عمه مهذبا متواضعا صابرا راضيا بما قسم الله له، ليكون أنموذجا للمسلمين فيما بعد لمن يفقد أحد والديه أو كليهما، وكان مجتهدا في العمل مع عمه يساعده في تجارته، فكان يخرج معه للتجارة كخروجه معه وهو صبي لبلاد الشام، وقد عمل قبلها في رعي الغنم وقد قال عن نفسه: «ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» (صححه الألباني في صحيحه الجامع).

ولم يكن يتم رسولنا الصابر

الحليم هو البلاء الوحيد الذي مر عليه في حياته، بفقد أبيه وأمه وجده، بل إنه فقد جميع أبنائه في حياته، وما أصعب هذا البلاء! فإن فقد الأب ابنا واحدا تصبح الدنيا سوداء بوجهه ويفقد معنى الحياة وطعمها، فكيف بمن يفقد جميع أبنائه وبناته في حياته! فأبناؤه عليه الصلاة والسلام الذكور (القاسم، وإبراهيم، وعبد الله) ماتوا صغارا، وأيضا بناته عليه السلام جميعهم ماتوا في حياته إلا فاطمة الزهراء والتي لحقت برسول الله بعد وفاته بستة أشهر وهي في العشرينات من عمرها. وأيضا فقد رسول الله زوجته الحبيبة خديجة التي دعمته ماديا ومعنويا واجتماعيا واقتصاديا، وكان منها الأبناء، وكانت محبة له ومكرمة له فجعلها الله من سيدات نساء الجنة الأربعة.

صبر رسول الله في الدعوة

وصبر وحلم رسول الله ﷺ على إيذاء قومه الذين عاش معهم منذ صغره أكبر نموذج عملي للمسلمين، فقريش أهله وعشيرته ويعلمون صدقه وأمانته، ومع هذا كذبوه وآذوه وأصحابه جسديا بالتعذيب ومعنويا بالكلام السيىء، وماديا بالحصار الاقتصادي والمقاطع، وبمحاولة قتل رسولنا العظيم عدة مرات، ثم بتهجير المسلمين من بلدهم الذي أحبوه وتربوا فيه، وقد قال عليه السلام مخاطبا مكة: «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك». (رواه الترمذي وصححه). فرسولنا بهذا الصبر هو نموذج وأسوة لكل من يدعو إلى الله تعالى ويصبر على أذى الناس، فلو كان رسول الله قد أسلم معه الناس بكل سهولة ويسر دون معاناة فإن من يأتي من بعده لن يصبر على تحمل مشاق الدعوة.

فسيرته عليه الصلاة والسلام في الدعوة والجهاد في سبيل الله وتحمل الأذى من قريش والأحزاب وتحالف القبائل العربية ضده ومكر اليهود بالمدينة المنورة، وحلمه على ردود أفعال الحكام والملوك في زمانه على رسائله التي أرسلها إليهم لدعوتهم إلى عبادة الله وحده، هي خير نموذج عملي وتطبيقي لكيفية الصبر على الدعوة وتحمل المشاق والتضحية بالنفس والمال في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته، وقد قال علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: «كنا نعلم مغازي النبي وسراياه كما نعلم السورة من القرآن».

قرآن يمشي على الأرض

من أجمل ما تعلمناه من رسول الله ﷺ في تطبيق عملي هو أخلاق رسول الله، وقد مدحه الله تعالى قائلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم:٤)، فالقصص في تواضعه وحلمه وعفوه وصبره وزهده ورفقه وشجاعته وأدبه ولينه في الكلام وهيبته ووقاره أكثر من أن تحصى، وقد جاء في كتاب الشمائل المحمدية للترميذي: وصف ابن أبي هالة ربيب رسول الله ﷺ (ابن زوجته) الذي عاش معه في بيته واصفا رسول الله قائلا: «كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب ولا فحاش، ولا عياب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه (أي لا ييأس أحد من فيض جوده وأثر كرمه، وكان يجيب من دعاه، ويقبل الهدية ولو كانت كراعا (مستدق الساق من اللحم)، ويكافئ عليها. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنعه؟».

وأورد أبو نعيم في دلائل النبوة عن عائشة رضي الله عنها: «ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه أو أهل بيته إلا قال: لبيك» (وأهل بيته هم أزواجه وذريته وأبناؤه). وذكر الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «ماحجبني رسول الله ﷺ قط منذ أن أسلمت، ولا رآني إلا تبسم، وكان يمازح أصحابه ويخالطهم، ويحادثهم، ويداعب صبيانهم، ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر». وصدقت السيدة عائشة رضى الله عنها حيث قالت: «كان خلقه القرآن (الترمذي)». فصل الله على خير الورى سيد الأنبياء والمرسلين.



د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

السيرة شرح وتطبيق للشريعة

السيرة النبوية تمثل الكمال البشري الذي لن يتكرر، والواقع العملي لشريعة الإسلام، وهي تمثل نقطة التقاء بين الوحي والإنسان على أرض الواقع والذي نقله إلينا الصحابة، رضوان الله عليهم، عندما صوروا وروَوا لنا كيف كان النبي ﷺ في كل أمور حياته.

السيرة النبوية لغة واصطلاحا

أولا: السيرة لغة: قال ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة»: «السين والياء والراء أصل يدل على مضي وجريان؛ يقال: سار يسير سيرا. والسيرة: الطريقة في الشيء، والسنة؛ لأنها تسير وتجري».

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «السيرة: الطريقة. يقال: سار بهم سيرة حسنة. والسيرة: الهيئة، وفي التنزيل الكريم: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ (طه:٢١) وسير سيرة: حدث أحاديث الأوائل»، وبهذا يكون معنى السيرة النبوية في اللغة: ما أضيف إلى النبي ﷺ من السنة والطريقة والهيئة وأحاديث الأوائل.

ثانيا: السيرة اصطلاحا: لها دلالات متنوعة؛ فقد تكون مرادفة لمعنى السنة عند علماء الحديث؛ وتعني طريقة النبي ﷺ عند علماء العقيدة والأصول، كما تعني عند علماء التاريخ أخباره ومغازيه ﷺ. وهذه الدلالات والمعاني ليست متضادة؛ إنما هي متنوعة ومتكاملة.

السيرة النبوية أحد عوامل فهم نصوص الوحيين القرآن والسنة

وبهذا نستطيع تعريف السيرة النبوية اصطلاحا كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، في فتاويه بأنها: دراسة حياة النبي ﷺ وأخباره وأخبار أصحابه على الجملة، وبيان أخلاقه وصفاته وخصائصه ودلائل نبوته وأحوال عصره؛ فالسيرة النبوية تشمل كل ما يتعلق بالنبي ﷺ، وأحوال عصره، وأخبار أصحابه؛ لأن السيرة هي: فعله ﷺ وإقراره لفعل أصحابه، رضي الله عنهم[1].

شرح وتعليم للشريعة

تعد السيرة النبوية الشريفة من الأسباب والعوامل المعينة على فهم نصوص الوحيين؛ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهي تمثل الجانب العملي من السنة النبوية، إلى جانب الأحاديث النبوية الشريفة «القولية»، ومن هنا تعد السيرة النبوية مصدرا من مصادر التشريع كونها تمثل السنة العملية لحياة النبي ﷺ في كل أحواله ومراحل حياته، كما أن هذه المواقف العملية تفسر لنا تفسيرا واقعيا عمليا أسباب نزول الآيات والأحاديث النبوية الشريفة التي قالها النبي ﷺ، وتطبيق النبي ﷺ وسلم لأحكام الإسلام مما يعين على الفهم السليم للشريعة الإسلامية.

ذكر الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» أن سفيان بن عينيه، رحمه الله، كان يقول: «إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر، فعليه تعرض الأشياء، على خلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل».

وفي «إعلام الموقعين» يقول ابن القيم، رحمه الله: «فهو الميزان الراجح الذي على أخلاقه وأقواله وأعماله توزن الأخلاق والأقوال والأعمال، والفرقان المبين الذي باتباعه يتميز أهل الهدى من أهل الضلال»، ونبين ذلك من خلال الأمثلة التالية:

الصلاة والحج ركنان من أركان الإسلام جاء الأمر بهما في آيات القرآن ثم بين ووضح ﷺ كيفية أدائهما على النحو التالي:

أولا: تعليم الصلاة: الرسول ﷺ بين لأصحابه، رضوان الله عليهم، كيفية الصلاة، كما جاء في حديث مالك بن الحويرث ﷺ أن النبي ﷺ قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي» (جزء من الحديث: البخاري)، وتصحيح النبي ﷺ وسلم للمخطئ في صلاته ففي الحديث: عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه النبي ﷺ فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل»، فصلى ثم جاء، فسلم على النبي ﷺ فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل» (ثلاثا) فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني. قال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها».

وفي هذه الأحاديث بيان عملي لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (البقرة:٤٣).

ثانيا: توضيح أنصبة الزكاة وأنواعها: عن علي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كانت لك مئتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم، وليس عليك شيء (يعني في الذهب) حتى يكون لك عشرون دينارا، فإذا كان لك عشرون دينارا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار، فما زاد فبحساب ذلك» (أبو داود).

عن ابن عمر وعائشة، رضي الله عنهم: «أن النبي ﷺ كان يأخذ من كل عشرين دينارا فصاعدا نصف دينار، ومن الأربعين دينارا دينارا» (ابن ماجه).

وهذه الأحاديث وغيرها بيان عملي لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (البقرة:٤٣).

ثالثا: تعليم الحج: ففي حديث جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما، رأيت ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري

لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» (مسلم).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه، فقال رجل: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح؟ قال: «اذبح ولا حرج». فجاء آخر فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي؟ قال: «ارم ولا حرج»، فما سئل يومئذ عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: «افعل ولا حرج «(متفق عليه). وهذه الأحاديث بيان عملي لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (آل عمران:٩٧).

سهولة التطبيق

إذا كانت السيرة النبوية الشريفة هي شرح وتعليم للشريعة الإسلامية كما بينها وفعلها ﷺ، فإن في هذا بيان لسهولة تطبيق تعاليم الشريعة والالتزام بها أمرا ونهيا، وهذا ما بينته لنا أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، كما جاء في حديث سعد بن هشام بن عامر، قال: أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله ﷺ. قالت: كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن قول الله عز: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤) (جزء من الحديث: أحمد).

يقول ابن كثير، رحمه الله، في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ومعنى هذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سجية له، وخلقا تطبعه، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء، والكرم والشجاعة، والصفح، والحلم، وكل خلق جميل.

وبالإجمال فإن سيرة النبي ﷺ تطبيقا عمليا لأحكام الإسلام وشريعته، حتى لا يظن ظان أن هذه الأحكام غير قابلة للتطبيق.

السيرة ليست للسرد والقصص وإنما لنتعلم منها تطبيق تعاليم الإسلام

تطبيق ما جاء بالسيرة النبوية

يجمع علماء الأمة على أن السيرة النبوية هي النموذج العملي للشريعة الإسلامية والتي بينها لنا النبي ﷺ في كل ما ثبت عنه من قول أو فعل أو تقرير، والسيرة النبوية إذن ليست للسرد والقصص وإنما لنتعلم منها كيف نطبق تعاليم الإسلام، وكما ذكرنا سابقا فإن تعاليم الإسلام يستطيع المسلم أن يطبقها بسهولة ويسر كما فعل النبي ﷺ وفعل الصحابة، رضوان الله عليهم، كفعله في حياته وبعد مماته وفعل من بعدهم التابعون وتابعوهم، ولا ينقطع من يستطيع فعلها إلى يوم الدين طالما اهتدى بهدى النبي ﷺ.

قال ابن القيم، رحمه الله، في كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد»: «ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول ﷺ وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل.. وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل، ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم».

ومن خلال النصوص الشرعية نجتهد في بيان الأسباب المعينة على تطبيق ما جاء بالسيرة النبوية الشريفة من نماذج عملية لتعاليم الشريعة الإسلامية:

أولا: الأمر بالأتباع، ففي الحديث عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (متفق عليه)، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد».

يقول العلامة ابن رجب الحنبلي، رحمه الله، في «جامع العلوم والحكم»: وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها كما أن حديث: «الأعمال بالنيات»

ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى، فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء.

ثانيا: محبة النبي ﷺ هي أعظم وأفرض الفروض التي فرضها الله على عباده المؤمنين فهي شرط وأصل من أصول الإيمان، قرنها الله سبحانه وتعالى بمحبته: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ (التوبة:٢٤)، وفي الحديث: عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده ووالده والناس أجمعين» (متفق عليه)، وجعل اتباعه دليلا على محبته سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣١)، قال ابن كثير، رحمه الله، في تفسيره: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»، ولهذا قال الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تحب، إنما الشأن أن تحب، وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾

ثالثا: من الأوامر العظيمة التي أمر بها الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين، الاقتداء والتأسي بالرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١). واستدل الأصوليون بهذه الآية على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ، وأن الأصل أنه أسوة لأمته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به.

واجبنا الرد على منكري السنة الذين يهدفون إلى هدم الدين

واجبنا نحو السيرة النبوية

وواجبنا تجاه السيرة النبوية كأمة اسلامية يقع في المقام الأول على أهل العلم الأثبات وذلك بتنقيتها من الروايات والأحاديث الباطلة والمكذوبة، وبيان حجيتها والرد على منكري السنة الذين يهدفون إلى هدم الدين ففي الحديث: عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه عن ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه» (أبو داود).

وتيسير دراستها وفق منهجية علمية سليمة في كل المراحل الدراسية، وتقديمها لعامة الأمة، لا سيما الشباب، واستخلاص الدروس المفيدة للأمة التي تساعدها في نهضتها ومواجهة ما يحاك ضدها من مؤامرات.

الهوامش

١ - محمد بن صامل السلمي: السيرة النبوية أهميتها، مقاصدها مصادر دراستها، دار ابن الجوزي، الدمام السعودية، ١٤٣٥هـ، ص:٨، بتصرف من الكاتب.



دار الإعلام العربية
الطيب حسين، محمد عبد العزيز



سيرته ﷺ في حياتنا المعاصرة

تكتسب السيرة النبوية أهمية بالغة، كونها التبيان العملي لحياة أفضل خلق الله ﷺ، فهي بمثابة ترجمة لما كان يحياه نبينا الكريم ﷺ، حيث تلقى منه الرسالة ووعاها على أحق ما يكون، وكانت بمثابة تطبيق عملي للفهم المستقيم الشامل للدين في هذه الحياة، كونها موجهة بالوحي، منطلقة مما يتلقاه الرسول الكريم ﷺ، حتى تمت الرسالة.. فالسيرة تتعدى التأريخ لحياة النبي ﷺ، لتجسد رسالة الإسلام واقعا حيا في كل العصور، يتشربها كل مسلم ويتفاعلون من خلالها في حياتهم المعاصرة.

نبدأ مع د. محمد عبد الناصر العنتبلي عضو هيئة التدريس في كلية اللغة العربية للبنين بجرجا جامعة الأزهر، والذي يقول: تقدم لنا السيرة النبوية العطرة نموذجا (عمليا) وتطبيقا حيا للقيم والمثل العليا، من خلال تتبع حياة النبي ﷺ، كما تقدم لنا نموذجا (بشريا) بلغ أرقى درجات (الكمال البشري) بما اختص الله تعالى به صاحبها -عليه الصلاة والسلام- من عصمة وتأييد، ولذلك استحقت السيرة النبوية أن تكون النموذج العملي للسلوك الإسلامي.

حقيقة الإسلام وسلوك أهله

وتابع د.العنتبلي: وها أنا ذا أقولها بصوت مرتفع: (من أراد أن يتعرف على حقيقة الإسلام وسلوك أهله، عليه أن يقرأ في سيرة النبي العدنان محمد ﷺ؛ ليرى بقلبه قبل عينيه كيف يتم التعامل مع الآخر؟ فعندما أراد النبي ﷺ أن يدعو زعماء وأمراء وملوك

د. محمد العنتبلي: سيرته ﷺ النموذج العملي للإسلام

العالم للحوار والتواصل والتعريف بدعوة الإسلام ركز في خطاباته على قيم السلام وحرية الاعتقاد، فكتب رسالة إلى (جريج بن متى الملقب بالمقوقس ملك مصر والإسكندرية)، نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط.. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

واختار لحمل هذه الرسالة الصحابي المتحدث (حاطب بن أبي بلتعة ﷺ)، الذي أجاد في كلامه مع المقوقس إجادة تستحق الإعجاب البالغ، فإنه تربى في مدرسة النبوة.

وختاما فإن السيرة النبوية العطرة لخير الأنام علية أفضل الصلوات وأتم التسليمات هي القدوة الأولى والنموذج الأحق بالدراسة والاقتداء، بما تحمله من نظم ومفاهيم حياتية تشرح كل جزئية في بناء الفرد والمجتمع، وتسهم في تقدم الأمم ورقيها، فلابد من الاهتمام بالسيرة النبوية بكل جوانبها والتعامل معها برؤية شاملة متلاحمة ومتكاملة، فهي النموذج العملي للسلوك الإسلامي منذ مولد النبي ﷺ وإلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

سجل حافل

أما الدكتور أحمد كريمة أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر الشريف، فيقول: السيرة النبوية سجل حافل للحياة التطبيقية العملية لرسول الله ﷺ، فهي أكبر معلم ومؤدب ومهذب للفرد المسلم والأمة المسلمة، لقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (الحشر:٧)، وقوله أيضا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١)، فالسيرة النبوية التي ترتبط برسول الله ﷺ منذ ولادته، حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، كلها توضح كيف كان النبي ﷺ المثال الكامل في الجوانب الخلقية والخلقية والتشريعية، وبتحليل كل موقف وحدث في سيرته العطرة، فهي زاد لمن أراد أن يتمثل القيم الأخلاقية السلوكية لهذا النبي ﷺ، جوانب متعددة متنوعة ولذلك أحسن بعض العلماء حينما ألفوا فقه السيرة النبوية، وهذا ما تهدف إليه السيرة العطرة، أنها تقدم للمسلمين ليس على أنها مجرد تأريخ، لكنها فقه عملي لرسول الله ﷺ، في تربيته للبشرية وتهذيبه للإنسانية، فما من موقف أو حدث إلا فيه العبر والعظات من الرسول ﷺ، وهي عظات وعبر كثيرة.

وأكد أستاذ الفقه في جامعة الأزهر، أنه يجب إخراج السيرة النبوية إلى الحياة العملية التطبيقية، من صدق العبادات وإخلاص العقيدة وحسن المعاملات وطهارة السلوكيات، وهذه هي الدعائم الكبرى للسيرة النبوية العطرة في تقويم السلوكيات، ويجب أن تكون السيرة النبوية في العملية التعليمية والدعوية والإعلامية، منهجا تربويا يستضاء به في ترسيخ التربية الصحيحة في المسلم، ففي الجانب العقائدي يبتعد عن هرطقات الفرق والتيارات من مجادلات سقيمة، وليتأسى بالنبي ﷺ حينما بسط عرض الجوانب العقائدية للناس على السواء، الخواص والعوام، بل إنه لخص الإسلام في جملة قصيرة المبنى غزيرة المعنى، فعن أبي عمرو سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال: (قل آمنت بالله ثم استقم) رواه مسلم في صحيحه.

وذكر أنه بالنسبة للعبادات، فكان ﷺ

د. عبداللطيف: تخاطب القلوب والعقول وفيها صلاح المجتمع.

د. كـريمـة: أكـبـر معـلـم ومـؤدب ومـهـذب لـلـفـرد والأمـة المـسـلـمة.

ينهى عن الإفراط والغلو، ويغرس في نفوس الناس أداء الصلوات بخشوع وإقبال على الله عز وجل، وأداء الزكوات بسخاء نفس، وصوم رمضان صياما حقيقيا ينبع من الوجدان، والحج كذلك رحلة مع الله تعالى وإليه بمثابة الهدنة من تبعات مشاغل الحياة الدنيا، وكان في معاملاته ﷺ اليسر والسماحة، ولله در ابن القيم رحمه الله، حينما نقل السيرة النبوية من تاريخ إلى زاد المعاد، فقدم للنفس البشرية النبي ﷺ في شخصيته المثالية، وصدقته السيدة خديجة رضي الله عنها حينما قالت: (فوالله لا يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)، مشيرا إلى أن هذه السمات، لو أن مسلما تخلق بها، ولو أن المجتمع المسلم عمل بها، لعاشوا سعداء ولماتوا أعزاء، فيوم أن يخرج العلماء والدعاة السيرة من الجانب التأريخي إلى الجوانب العملية، تظهر الشخصية النبوية المحمدية للإنسانية حقا وصدقا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، فيجب الغوص في كل تفاصيلها، كجانب فقه آخاذ، حتى يهتدي الناس إلى صراط الله المستقيم.

دين الدنيا والآخرة

وفي السياق ذاته، يقول الشيخ شوقي عبد اللطيف، وكيل وزارة الأوقاف المصرية الأسبق، إن الإسلام هو دين الحياة ودين العقبى معا أي الآخرة، والإسلام به صلاح المجتمع، فهو صالح لكل زمان ومكان، فهو يخاطب القلوب والعقول، ويعمل من أجل سعادة الإنسان أو البشرية في الدنيا والآخرة معا، اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، ونلاحظ أن القرآن الكريم فيه ما يمثل (٨٠٪) من آياته كلها تتحدث عن النظم السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية، فهو دين الدنيا والآخرة، وهكذا كان نبينا صلوات الله وسلامه عليه، يعمل للاثنين معا، فنجده عابدا بالليل قانتا خاشعا، وفي النهار يعمل على الكسب الحلال، وأكد الرسول ﷺ على قيمة العمل الدنيوي والأخروي، اقتباسا من القرآن لأن القرآن دائما ما يقرن العمل بالصلاح والتقوى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ (العصر:١-٣).

وتابع: أن العمل الصالح هو العمل للدنيا والآخرة معا، لهذا كان الرسول ﷺ يؤكد حقيقة أخبر بها القرآن وأكد عليها ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة الجمعة:١٠)، فالإنسان يؤدي فرض الله ثم يسعى ليتكسب الكسب الحلال، وكان الرسول ﷺ لا يأكل إلا من كسب يده، فعمل في رعاية الأغنام في صباه، وعمل في التجارة في شبابه، وعن رفاعة بن رافع: أن النبي ﷺ سئل: أي الكسب أطيب؟ قال: (عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور)، رواه البزار، وصححه الحاكم، وكان ﷺ في بيته، يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته ويخدم في مهنة أهله، فحياة الرسول حافلة بالكفاح والعمل للدارين معا، ويخاطبه ربه بهذا المعنى في أكثر من آية: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (الشرح:٧)، وقوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر:٩٩).

وذكر أن العبادة تشمل الدارين معا، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

عدة مستويات

بدوره، قال الدكتور د.أشرف الشامي أستاذ الإعلام بجامعة الأهرام الكندية، إن هناك عدة مستويات للتعامل مع السيرة النبوية، باعتبارها النموذج العملي للإسلام، فأولا إذا تحدثنا على مستوى التعليم في جميع مراحله، فيجب تضمين سيرة النبي ﷺ، في المناهج الدراسية في كل عام، وألا تدرس بالشكل النمطي ككتاب تاريخ أو كتاب سيرة، لكن بشكل مختلف، درامي يكتب بصياغة فيها حبكة، فيه تشويق، حسب كل مرحلة، مراحل الطفولة تكون عن طريق القص والحكي بشكل جيد، المراحل الأكبر يكون فيها معاني الدروس والعبر، وكيف نأخذ من هذه السيرة نبراسا لحياتنا في كل شئونها، كذلك الإعلام لابد أن يسلط الضوء على هذا الأمر، من خلال البرامج

د. الشامي: الأسرة ثم التعليم والإعلام النـواة الأساسيـة لتطبيق السيـرة.

والندوات والاحتفال بالمناسبات، وإظهار المناسبات المتعلقة بالنبي ﷺ، ويمنح أفراد المجتمع بها إجازة رسمية، بالشكل الذي يبرز هذه الأمور، ويكون هناك وجود للعلماء الثقات للرد على الدعوات التي تخرج وتسيئ للسيرة، فيجب أن تركز وسائل الإعلام على المعاني الحقيقية النقية للسيرة، مع ضرورة وجود علماء ثقات للرد على الشبهات والدعوات الباطلة حين تظهر، بالحجة والبرهان وبالمعلومات الصحيحة، ثم نشرها من خلال رواد مواقع التواصل، الذين يقع عليهم دور أيضا، حتى يعرف الناس السيرة الحقيقية للنبي ﷺ.

وأكمل أن المحضن الأساسي الذي يقع عليه الدور الأكبر في التعامل مع السيرة وترسيخ مفاهيمها، هو الأسرة، لأنه إن لم تقم الأسرة بهذا الدور، فلا تنتظر أن يقوم لها أحد به، لأنه في الأصل الأسرة هي المنوط بها أن تربي الأبناء، والتربية ليست توفير الطعام والشراب والملبس وما إلى ذلك، لكن هناك عدة أمور صرفت الأسر عن ممارسة هذا الدور، مثل الغلاء الذي جعل الآباء ينشغلون بالكسب والعمل، فالأب أصبح يعمل صباحا ومساء، والأم قد تساعد في الإنفاق على الأسرة أو هكذا، إذن أصبح دور الأسرة التربوي مغيبا في هذه الآونة، وأصبح دورها دور رعاية فقط، توفر الطعام والشراب والملبس، وهي الأشياء التي قد يقوم بها بعض الناس حيال الدواب أو الحيوانات، فمن لديه قطة يفعل هذا مثلا، فدور الأسرة مهم جدا، بأن يتم تخصيص لقاء الأسرة، وهم يتناولون الطعام مثلا يحكي موقف عن مواقف السيرة، تتحدث الأسرة عنه، وكل يقول خاطرته والدرس الذي استفاده من الموقف، في إطار توصيل المعلومة وترسيخها.

وتابع الخبير الإعلامي، أنه إذا تحدثنا عن الحكومات فدورها أساسي، عندما نتحدث عن أدوار للتعليم أو للإعلام، فإنها إنما تأتي في ظل الدور الحكومي ومن خلاله، فإن تسليط الضوء الإعلامي على السيرة لا يكون إلا من خلال الحكومات، الأمر الذي قد يكون بعيدا عن الحكومة هو دور الأسرة، لكن جميع الأدوار الأخرى مرتبطة بالحكومة والدور المنوطة به، فإن لم يكن للحكومات والجهات الممثلة لها دور في هذا الإطار، فإن الأمر سيكون صعبا.

عظات ودروس

أخيرا، يقول د. سعيد صادق، أستاذ علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، إن حياة النبي ﷺ، كلها عظات ودروس، لكن المطلوب منا كمجتمع، النظر إلى ما يحتاجه الوقت الحاضر والتركيز عليه وإبرازه، خاصة مع وجود عدة مفاهيم باتت تنتشر، وتكتسب أرضية من خلال اقترانها كذبا بحياة النبي الكريم ﷺ، لأن التعامل في السيرة النبوية قائم على التسامح والتعايش مع اختلاف الأديان والمذاهب، ففي فتح مكة نادى النبي ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» الحديث، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ (الكهف آية: ٢٩).

وذكر أن الترويج لأمور لا تتوافق مع العصر، ومكذوبة على الإسلام شيء يسيئ إلى الدين الإسلامي الحنيف، خاصة مع لصقها بالحياة النبوية الشريفة، والتي لم يكن بها هذا الذي نسمع عنه ويحدث حاليا، فلابد من التصدي لمروجي هذه المفاهيم، وعدم إفساح المساحات لهم للتعبير عنها.

كما شدد على قيمة التسامح باعتبارها جوهرية في أخلاق المسلم، متسائلا عن كيفية التعامل مع المخالفين، في ظل عدم وجود تسامح، وهناك في حياة النبي ﷺ نماذج عديدة في التعامل مع الزوجة والمخالف ومع الصحابة ومع المجتمع ككل، فعندما كان النبي ﷺ والصحابة جلوسا مرت عليهم جنازة، فقام لها الرسول ﷺ، فقيل إنها ليهودي فرد: «أوليست نفسا؟»، فلابد من تعليم الناس هذه المفاهيم ونشرها بينهم، حتى يتعلموا السيرة الحقيقية للنبي ﷺ، والذي كان نموذجا عمليا لتعاليم الإسلام السمحة في حق الجميع.

وحذر من الانتقائية التي يلجأ إليها البعض، وتصوير مفاهيم بشكل خاطئ من خلال عدة وسائل، وتمريرها للناس على أنها حقيقية، وتعبر عما كان عليه الرسول ﷺ في حياته، مشددا على البحث عن الفهم الصحيح للسيرة والإلمام به، ثم استغلال الوسائل المختلفة في توصيله للناس كي يتبنوه، مشددا على أهمية ضبط الخطاب الديني، وأن نتحدث كمجتمعات عن المشاكل التي تمر بنا حاليا، ومعالجتها بالمضمون الحقيقي بعيدا عن التزييف.



السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية

النموذج العملي للإسلام في السيرة

حينما خلق الله الإنسان فإنه لم يتركه سدى يتخبط في الأرض بلا هاد ولا دليل، وإنما أنزل له المنهج، وأوضح له الطريق، وبين له سبيل الهداية والنجاة: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه:١٢٣).

ففي هذه الآية دليل على أن الله أبلغ الإنسان من يوم نشأته التحذير من الضلال والشرك، فكان ذلك مستقرا في الفطرة[1].

وما زال الأنبياء والرسل يتتابعون على الخلق كلما بعد العهد بهم عن منهج الله تعالى؛ ليرشدوهم إلى طريق الله المستقيم، وليبينوا لهم ما وقعوا فيه من زيغ وانحراف؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون:٤٤).

ومعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أي: مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين؛ لأن بين كل نبيين زمانا طويلا[2].

فالأنبياء والرسل هم من حملوا مشعل الهداية، وبلغوا رسالات الله، وهم بتعبير أستاذنا الدكتور عبدالحليم عويس، رحمه الله: «الأنبياء قادة الحضارات». نعم، فليس أحد أولى منهم لنتخذه قدوة ومنارة، نترسم خطاه، ونهتدي بهديه؛ ذلك أنهم متصلون بالله تعالى يوحي إليهم، ومصطفون من قبله سبحانه بعد أن طهرهم وهيأهم لرسالته وللتبليغ عنه؛ فإذا كان الله تعالى قد اصطفاهم ورضيهم لمنهجه وائتمنهم على عباده؛ أفلا يليق بنا أن نقتدي بهم، وأن نتخذهم قدوة وأسوة؟!

الوحي لا بد له من نموذج

وثمة آخر يتصل باتخاذ الأنبياء قدوة؛ وهو أن «الوحي الإلهي» لا بد

له من «نموذج عملي»، ينقل الرسالة السماوية من كونها خطابا إلى كونها واقعا، ويحول النص إلى حياة؛ وذلك حتى يزداد المؤمنون إيمانا حين يرون أمامهم نموذجا يسعى على الأرض، يطبق الدعوة ويجسد النص؛ وحتى ينقطع الطريق على المشككين المثبطين الذين قد يزعمون أن ما جاء به الوحي لا يمكن تطبيقه وهو فوق الطاقة!

ولعل لهذه الحكمة الثانية كان الأنبياء بشرا، من جنس المدعوين، وليسوا ملائكة؛ إذ لو كانوا ملائكة لصار البعض يحتج بما لدى الملائكة من طاقة فوق طاقة البشر! وذلك ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ (الأنعام:٩).

فالوحي الإلهي لا بد له من مبلغ، ويكون هذا المبلغ بشرا يوحى إليه، وتلك طبيعة الأنبياء والرسل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ (الكهف:١١٠). وهذا المبلغ عن الله تعالى يكون نموذجا عمليا لما جاء به من وحي وبلاغ، ويكون بيانا تطبيقيا لما يأمر به الناس من التوجيهات والتشريعات.

مفهومها واتساعها

وفي ضوء ما سبق، نستطيع أن نفهم السيرة النبوية؛ فهي التطبيق النبوي للبلاغ الإلهي، أي القرآن الكريم؛ بما يستلزمه هذا التطبيق من توضيح وتفسير وبيان. وهنا، ما أصدق ما عبرت به السيدة عائشة، رضي الله عنها، عن ﷺ، حين قالت: «كان خلقه القرآن»[٣]. ويمكن أن نفهم «الخلق» هنا بمعنى أشمل ليدل على مجمل السلوك، أي السيرة؛ فقد كانت سيرته ﷺ تطبيقا وامتثالا وتوضيحا للقرآن الكريم.

حتى في حالة غضبه ﷺ، لم يكن يخرج عما يوجبه القرآن، ولا يقول إلا صدقا؛ فعن عبدالله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب، والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: «اكتب؛ فوالذي نفسي بيده، ما يخرج منه إلا حق»[٤].

والسيرة النبوية هي تاريخ حياة ﷺ وبيان طريقته فيها. لأن السيرة في اللغة: الطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره؛ يقال: قرأت سيرة فلان: أي تاريخ حياته، وجمعها سير. وبهذا التعريف فالسيرة النبوية تشمل سيرة الرسول ﷺ الشخصية، كما تشمل شمائله وغزواته، وجميع تحركاته الدعوية. وتكون السيرة من هذا الوجه أعم من السنة النبوية[٥]. كما تشمل السيرة النبوية حياته ﷺ قبل البعثة وبعدها.

ومفهوم السيرة أكثر تساعا من أن نحصره في الغزوات والمعارك، كما هو شائع؛ فهذا جانب واحد فقط من جوانب حياة النبي ﷺ الممتدة طولا وعمقا؛ لتشمل حياته ﷺ في السلم والحرب.. في الدعوة والمواجهة.. في تعبده ونسكه وإدارته شؤون المدينة.. في اعتماده على ربه تعالى، وفي تدبيره ما يمتلك من أسباب.. في النطاق الخاص مع أزواجه وأبنائه وأقربائه، وفي النطاق العام مع الناس جميعا.

فكل هذه المحاور وغيرها ترسم لنا صورة متكاملة لحياته ﷺ، ولا تحصرها في الجانب الحربي منها كأننا أمام سيرة فارس من الفرسان، لا سيرة نبي من الأنبياء!

مفارقتها لسير الأنبياء

ومن أهم ما تمتاز به السيرة النبوية أنها حفظت لنا كل شاردة وواردة من حياته ﷺ.. حتى في المنام واليقظة، وفي الطعام والشراب، وعلاقاته مع أهل بيته.. نقل ذلك لنا الصحابة، ودونه المحدثون والمؤرخون، واعتنوا به غاية الاعتناء.. على نحو لم يتوافر لنبي من قبل[٦].

فإننا نرى في حياة الأنبياء ندرة ما نقل عن حياتهم، فضلا عن اختلاط الضعيف فيها بالصحيح.. حتى لا نستطيع أن نرسم صورة متكاملة لحياة هؤلاء الأنبياء الكرام، عليهم جميعا الصلاة والسلام.

أما ﷺ فقد حفظت لنا سيرته في مختلف وجوهها ومناحيها.. ولعل ذلك من حكمة أو من مقتضيات أنه النبي الخاتم؛ حتى تظل سيرته هدى لمن رام الهدى، ونبراسا لمن ينشد الطريق المستقيم.

شموليتها من طبيعة الإسلام

وثمة أمر جدير بأن نتوقف عنده في هذا الصدد؛ وهو أن السيرة النبوية تستمد شموليتها لمختلف جوانب الحياة، من طبيعة رسالة الإسلام نفسها!

فالإسلام دين يشمل جميع مناحي الحياة؛ العامة والخاصة، السلم والحرب، الاقتصاد والسياسة، الفكر والسلوك، الفرد والأسرة والمجتمع.. إلى غير ذلك مما يتصل بالحياة في تنوعها.. فهو الدين الخاتم المهيمن على شؤون الحياة كافة، الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا شرع لها ما يناسبها من أحكام؛ إما على وجه التفصيل فيما هو ثابت، كالعقائد

والعبادات والأخلاق، وإما على وجه الإجمال مثل المعاملات وإدارة أحوال الناس؛ قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل:٨٩).

أي: في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد؛ فهو مبين فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جلية، حتى إنه تعالى يثني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة لتستقر في القلوب، فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب؛ وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس.. فلما كان هذا القرآن تبيانا لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم؛ فانقطعت به حجة الظالمين، وانتفع به المسلمون فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة[٧].

وإذا كانت هذه هي طبيعة رسالة الإسلام التي حملها النبي الخاتم محمد ﷺ، من الاتساع والشمول والبيان؛ فإن من الطبيعي أن تأتي أيضا حياته ﷺ على هذا النحو من الاتساع والشمول والبيان؛ بحيث تكون حياته ﷺ تطبيقا عمليا للقرآن الكريم، ومتوافقة معه من حيث طبيعته المتسعة الممتدة.

فالسيرة النبوية تستمد شموليتها لمختلف جوانب الحياة من طبيعة رسالة الإسلام نفسها؛ التي هي رسالة عامة شاملة للزمان والمكان والحال..

استلهامها في حياتنا

والمتأمل في كيفية تعامل المسلمين مع سيرة نبيهم ﷺ، سيلاحظ اتجاهات شتى، تدور في معظمها حول الانبهار بشخصيته ﷺ وبرفيع مكانته فحسب؛ بما يجعل من السيرة موضعا للإجلال والتعظيم أكثر من كونها موضعا للتدبر والاستلهام والتطبيق.

ولا شك أن هذا التوجه لا يحسن الإفادة من السيرة النبوية على النحو المرجو، والذي حدده القرآن الكريم بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١). فالاكتفاء بإبداء التجلة والتعظيم للسيرة النبوية، وبالصلاة والسلام على الرسول ﷺ، باللسان وحده؛ دون أن نتخطى ذلك إلى حسن الفهم والتدبر والاقتداء؛ لا يتناسب مع جلال السيرة وأهميتها، ولا مع الواجب المطلوب منا إزائها.

يقو الغزالي رحمه الله: «إن المسلمين الآن يعرفون عن السيرة قشورا خفيفة، لا تحرك القلوب ولا تستثير الهمم. وهم يعظمون النبي وصحابته عن تقليد موروث ومعرفة قليلة، ويكتفون من هذا التعظيم بإجلال اللسان، أو بما قلت مؤنته من عمل. ومعرفة السيرة على هذا النحو تساوي الجهل بها. إنه من الظلم للحقيقة الكبيرة أن تتحول إلى أسطورة خارقة. ومن الظلم لفترة نابضة بالحياة والقوة أن تعرض في أكفان الموتى. إن حياة محمد ليست، بالنسبة للمسلم، مسلاة شخص فارغ أو دراسة ناقد محايد، كلا كلا؛ إنها مصدر الأسوة الحسنة التي يقتفيها، ومنبع الشريعة العظيمة التي يدين بها. فأي حيف في عرض هذه السيرة، وأي خلط في سرد أحداثها؛ إساءة بالغة إلى حقيقة الإيمان نفسه»[٨].

فحين نتدارس السيرة النبوية ونستعيد أحداثها ووقائعها، يجب أن نفعل ذلك وأعيننا مفتوحة على واقعنا بما فيه من تحديات وإشكاليات.. وحين نتعامل مع واقعنا يجب أن نفعل ذلك وأنظارنا ممدودة إلى السيرة النبوية نستوحي منها العبرة والدرس.. وبمثل هذه المزاوجة نرتقي إلى السيرة في شموليتها وآفاقها، ونحسن التعامل مع واقعنا في تحدياته وعقباته..

ولعلنا نوجز ما سبق فنقول: كما أن القرآن الكريم له إشعاع نافذ عبر الزمان والمكان؛ فإن السيرة النبوية أيضا لها إشعاع نافذ عبر الزمان والمكان.. وعلينا أن نبحث بفهم وتدبر عن هذا الإشعاع النافذ، في النص الإلهي المحفوظ المعجز، وفي التطبيق النبوي له أيضا..

الهوامش

١ – التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٣٢/١٦).
٢ – معالم التنزيل، البغوي، (٣٦٦/٣).
٣ – أخرج الإمام مسلم (حديث رقم ٧٤٦)، في حديث طويل عن قصة سعد بن هشام بن عامر حين قدم المدينة، وأتى السيدة عائشة رضي الله عنها يسألها؛ فقال: «يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن».
٤ – سنن أبي داود، حديث رقم (٣٦٤٦). وصححه الألباني.
٥ – المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، (ص:١٤٠).
٦ – راجع: أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، د. يوسف المرعشلي، (ص:٦١).
٧ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص:٤٤٦).
٨ – فقه السيرة، محمد الغزلي، (ص:٨).

عبدالله الظفيري
كاتب وباحث



السيرة... منهج حياة

ليس فقط لأنها منهج حياة متكامل، ولا لأن عن طريقها نصل إلى النموذج المتكامل للإسلام، إنما أيضا لكون الالتزام بها وتتبع منهجها يقود نحو تغيير الذات وبناء الشخصية وتحقيق التطوير على الصعيد الشخصي والعملي. من أراد إصلاح حياته وتطوير ذاته وتقويم سلوكه وتصرفاته فعليه اتباع منهج الرسول محمد ﷺ والاطلاع على سيرته النبوية الشريفة، وكيف كان يتعامل مع أزواجه وأولاده وأصدقائه ومحيطه، والنجاحات التي تحققت في مسيرته العطرة.

كثيرون يبحثون عن طريقة لتغيير حياتهم وإصلاح ذاتهم وتطوير مهاراتهم وقدراتهم وبناء شخصيات جديدة بسلوكيات وتصرفات مختلفة من شأنها خلق صورة مغايرة وناجحة لهم، لكنهم يجهلون الطريقة ويفتقدون النموذج والقدوة الحسنة التي ينبغي عليهم اتباعها والسير على خطاها ليحققوا هدفهم وينالوا غايتهم.

ومهما كانت النماذج الأخرى إيجابية، فإنه لن يكون ثمة شخصية في تاريخ البشرية كلها تمثل القدوة الحسنة مثل النبي محمد ﷺ، الذي مثلت سيرته العظيمة منهج حياة متكامل.

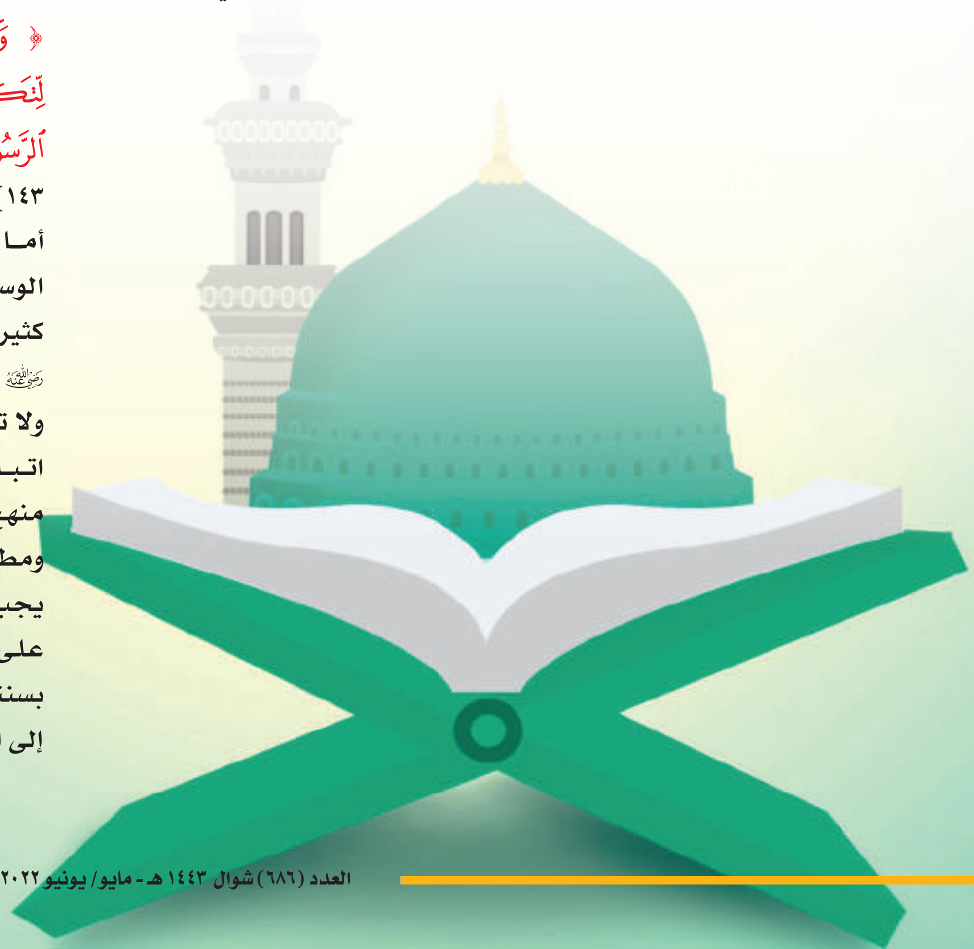
وكلما تعمقنا في دراسة السيرة النبوية الشريفة اكتشفنا أنها النموذج الكامل للإسلام، وتعرفنا أكثر على تعاليم الدين الحنيف وعلى العقائد والتشريعات والأخلاق. كانت سيرته ﷺ تجسيد عملي لتعاليم الدين الإسلامي كما أراده الله تعالى في خلقه وبين عباده.

وتعبر حياة الرسول ﷺ والظروف التي عاشها والأحداث التي واجهها عن شخصية عظيمة تملك صفات نادرة وأخلاق عالية ونموذج في الاستقامة والصدق والأمانة، لم تبدله ظروف أو مناصب إنما كان قدوة في كل شي، زوج وأب مثالي عادل ومنصف، وزعيم وقائد سياسي محنك، وصديق لطيف المعشر مع أصدقائه وأهله محبيه، وحتى مع مخالفيه كان يعتمد الحكمة واللين في التعامل.

فمن خصائص السيرة النبوية الوسطية والتسهيل والتيسير على الناس، اتباعا لنهج الدين الإسلامي الذي جاء بالوسطية. قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ (البقرة: ١٤٣).

أما مواقف النبي محمد ﷺ في الوسطية والتيسير على الناس فهي كثيرة ومختلفة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفروا».

اتباع السيرة النبوية واعتمادها منهج حياة سيؤدي إلى حياة سعيدة ومطمئنة في الدنيا والآخرة. وكذلك يجب علينا تعليم أبنائنا وتربيتهم على منهج رسول الله ﷺ والاقتداء بسنته، فهو المثل الأعلى الذي يوصل إلى السعادة والرضا والفوز بالجنة.



د. عبد المنعم عبد الله حسن
الأستاذ في كلية اللغة العربية بالمنصورة





البيئة في الهدي النبوي الشريف

أودع الخلاق المقتدر جل وعلا في كونه الرحب، من آيات قدرته، وأسرار عظمته، ما يجلى حكيم صنعه، وبديع إحكامه، لتتفكر الألباب، وتتدبر العقول وتغمر القلوب يقينا، والضمائر إيمانا، والنفوس إجلالا، في سياحات تأملية، عبر هذا الكون الفسيح، والفضاء الرحب.

وقد حبا الله البيئة العربية، بخصائص جمالية، شاعت فيها، واتسمت بها، تملأ رحابها، وتغمر ساحاتها، وتعمر أرجاءها، نخلا باسقات، وأشجارا يانعات، وطيورا مغردات، وإبلا، وأنعاما.

وقد تفاعل العربي مع بيئته، في تجاوب، وتعايش، وتحاور، وتصادق؛ فالجمل صديقه، ورفيق رحلته، يسامره، ويحاوره، ويتحمل معه عناء السفر، وقسوة الغربة، فيقول:

ومن يك أمسى بالمدينة رحله
فإني وقيار بها لغريب.

إن جمله (قيارا) يقاسمه لوعة الغربة، في رهبة ليلها، ووحشة صمتها. وكأني بهذا الأعرابي الذي فقد بعيره، فمضى يهتف في لوعة: من يرد على بعيري فله بعيران، فتعجب الناس! فقال لهم: إنكم لا تعرفون لذة الوجدان.

إن العلاقة بين الأعرابي وبعيره، تجاوزت الحد المادي المحسوس، إلى بعد أرقى، وأفق أسمى، من تفاعل الأحاسيس، وامتزاج العواطف، التي ترجمت إلى لذة وجدانية. ويضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في هذا التجاوب مع البيئة؛ حين يقول: «أحد جبل، يحبنا، ونحبه»[1]، تبادل في أسمى درجات المشاعر، وأصفى تناجي الوجدان، بين النبي ﷺ وبين جبل أحد، ويخاطبه الرسول ﷺ كما يخاطب الأحياء العقلاء؛ فيقول له حين صعده هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم: «اثبت أحد، فإن عليك نبي، وصديق، وشهيدان»[2].

وفي منهج تربوي رائع، يتخذ النبي ﷺ، من البيئة أدوات يرسى من خلالها القيم، ويرسخ في ضوئها التعاليم، نافذا من معرفة المتعلم وارتباطه بها،

إلى أغوار نفسه ومكمن اهتمامه، فإذا الصورة واضحة، والدرس جلي، والهدف محقق، والموقف لا ينسى، وإذا البيئة كتاب مفتوح، وإذا تعاليم المنهج متسقة مع مشاهد الكون، وجوانب الحياة؛ فليست طقوسا غريبة عما يؤلف، ولا قوالب بعيدة عما يشاهد، وفي هذا من الأبعاد التربوية، ما يؤصل المنهج، ويعبد الطريق إليه، ويقرب النفوس منه، ويرغب دائما فيه. ومن خلال حديث شريف، تناول قيمة عبادية، حرص على إرسائها، تجلى مشهدا من مشاهد البيئة العربية، معانقا هذه النافلة المباركة، وهي: (سبحة الضحى)، تلك التي قال عنها الرسول ﷺ «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال»(٣)، لصلاة الضحى مكانة عالية، وفضل عظيم، في هذا الوقت، الذي أقسم الحق سبحانه به، في سورة تحمل اسمه (سورة الضحى) فقال:﴿ وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ② ﴾. الضحى وأوصى الرسول ﷺ بها؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي بثلاث، لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر»(٤).

ومن ثم....أضيفت للصفوة من العباد الأتقياء (صلاة الأوابين) دائمي الرجوع إلى ربهم، والولوج في رحماته، والتواصل مع تجلياته؛ إنهم لا ينتظرون بعد أداء صلاة الفجر إلى صلاة الظهر دون الوقوف بين يدي ربهم، ومناجاته، ودعائه، فيتطلعون في شوق، ويترقبون في لهفة، إلى وقت الضحى، لاستمطار الرحمات، في سبحة الضحى، وربما دفعهم هذا التشوق إلى المبادرة بها



أول الوقت إثر الشروق، ولما رأى زيد بن أرقم قوما يصلون من الضحى، فقال: أما علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال»(٥).

والحديث الشريف يوضح وقت الأفضلية لهذه الصلاة، تحقيقا لما يحرص عليه الأوابون من كمال الفضل، وتمام الأجر، وأداء العبادة في أكمل صورة، وأتم هيئة، لا مجرد أدائها فحسب، فيأخذهم المربي ﷺ، إلى مشهد بيئي معيش، وواقع حياتي ملموس، يضبط به وقت؛ الأفضلية لصلاة الضحى؛ حيث أولاد الناقة الصغار، وشمس البيئة الساطعة، فما دام إشعاع الشمس بحيث تتحمل حرارته الفصال، فلم يحن بعد وقت الأفضلية لصلاة الضحى، فإذا اشتدت حرارة الشمس بحيث تكاد تحرق خفاف الفصال من شدة حر الرمال فتبرك، هنا يهرع الأوابون إلى سبحة الضحى، وكأن رمض الفصال آلة منبهة دقيقة، ومقياس زمني حساس، له دوره الإيجابي الفعال، في هذا العمل العبادي العظيم.

أيظن بعد هذا البيان، بهذه الوسيلة التوضيحية الحية، أن يخفى الهدف المنشود؟ أوينسى وقعه؟ أو يغيب أثره؟ لكأني بالأوابين، كلما رأوا فزعة الفصال من حر الشمس، وهم يفزعون إلى ظلال الرحمات، وأفياء الرضا، ونسائم القرب.

بهذه التربوية الرفيعة، يرسي المعلم الأول ﷺ هذه القيمة العبادية الراقية، في منهجية لها بعدها الاجتماعي، وأثرها النفسي، وهدفها الإيماني.

وفي هذا بلاغ إلى المعلمين، وبيان إلى المربين، وهدى للعالمين.

الهوامش:

١- البخاري، حديث رقم (١٤٨٢)، ومسلم، حديث رقم (١٣٩٣).
٢- البخاري، حديث رقم (٣٦٧٥).
٣- مسلم، حديث رقم (٧٤٨).
٤- البخاري، حديث رقم (١١٧٨).



د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه والأصول

السيرة النبوية والتشريع الإسلامي



يرى كثير من علماء العصر ومن قبلهم أنه لا يمكن إنزال السيرة النبوية منزلة السنة في التشريع، وأنه ينبغي الحذر في التعامل مع السنة النبوية من جهة الاجتهاد الفقهي، ومفاد كلامهم أن السيرة ليست مصدرا من مصادر التشريع والاجتهاد الفقهي، واستنادهم في ذلك على أن الشروط التي وضعت لقبول المرويات في السيرة النبوية ليست كالتي وضعت في الحديث الشريف من الضبط والتثبت وغيرهما، ويرون أن اعتماد السيرة النبوية أحد مصادر التشريع يوقع في الخلل والزلل.

وإعادة النظر في هذا الطرح يتطلب الإجابة عن بعض التساؤلات وبيان بعض الإشكالات من أهمها: بيان مفهومي السيرة والتشريع.

تعريف التشريع:

يتجه العلماء في تعريف التشريع إلى اتجاهين:

الأول: وهو ما يقابل الفقه من أحكام فقهية من الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح.

الثاني: صياغة الفقه الإسلامي على هيئة بنود قانونية، كما جاء في مقدمة مجلة الأحكام العدلية.

وقد جاء في «الموسوعة الفقهية الكويتية» (١/ ١٧): «التشريع لغة مصدر شرع، أي وضع قانونا وقواعد. وفي الاصطلاح هو خطاب الله تعالى

المتعلق بالعباد طلبا أو تخييرا أو وضعا.

ومن هنا ينبغي أن يعلم أنه لا حق في التشريع إلا لله وحده، كقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ (الأنعام: ٥٧) فليس لأحد -كائنا من كان- أن يشرع حكما، سواء ما يتصل بحقوق الله أو حقوق العباد؛ لأن هذا افتراء على الله، وسلب لما اختص به نفسه: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النحل: ١١٦-١١٧). انتهى.

ويدخل التشريع في جميع مجالات الحياة، من الشؤون السياسية والاقتصادية والعبادات والمعاملات المالية والأحوال الشخصية وغيرها.

تعريف السيرة

من خلال تعريفات العلماء للسيرة، فيدخل في السيرة ما يلي:

١- أقواله ﷺ.
٢- أفعاله ﷺ.
٣- تقاريره ﷺ.
٤- صفاته ﷺ.

ويغلب جانب أفعاله ﷺ في مفهوم السيرة أكثر من الأقوال والتقارير والصفات، وإن كان كل ذلك ضمن السيرة النبوية. انظر: «فقه السيرة النبوية» لمنير الغضبان (ص١٥).

كما تشتمل السيرة النبوية على أحداث بين النبي ﷺ وبين أصحابه، وزوجاته، بل وأعدائه وغيرهم من طوائف الناس، ولا شك أن تلك الأحداث تشتمل على عدد من الأحكام الفقهية.

والتخوف من كون السيرة مصدرا من مصادر التشريع له وجاهته، من جهة أنه لا يمكن قبول كل مروية من المرويات في السنة على أنها مصدر من مصادر التشريع والاجتهاد الفقهي، ولكنه في ذات الوقت لا يمكن تنحية السيرة النبوية بالكلية كأحد مصادر التشريع والاجتهاد، فهي رافد من روافد المعرفة الإسلامية في كل المجالات، من العقائد والتشريعات والأخلاق، بل ربما كانت أحداث السيرة كاشفة لبعض ما غمض عن الفقهاء من أمور؛ تصلح أن تكون أحد محددات الترجيح الفقهي في بعض المسائل.

كما أن السيرة النبوية تحفل بكثير من التشريعات التي تدخل في باب الاستحباب والإباحة، ولا شك أن الاستحباب والجواز من أقسام التشريع.

الأدلة على حجية السيرة في الأحكام الفقهية

ومن الأدلة على أن السيرة بمجملها أحد مصادر التشريع ما يلي:

القرآن والسيرة

أجمع الفقهاء على أن القرآن الكريم المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، قال الإمام السرخسي: «القرآن حجة موجبة للعلم قطعا». انظر: «أصول السرخسي» (١/ ٢٨٩).

وقد اشتملت كثير من الآيات القرآنية على أحداث كثيرة من السيرة النبوية، كما ذهب كثير من العلماء إلى أن القرآن بآياته كلها مما يمكن استنباط أحكام فقهية منه، ولا يقتصر على الآيات المباشرة للأحكام التي أوصلها الغزالي إلى خمسمائة آية، أو الإمام ابن العربي إلى ثمانمائة، حتى إن آيات القصص استنبط منها الفقهاء أحكاما فقهية، وهي أشبه بالسيرة من جهة القصص.

قال الطوفي: «والصحيح أن هذا التقدير غير معتبر، وأن مقدار أدلة الأحكام في ذلك غير منحصر، فإن أحكام الشرع كما تستنبط من الأوامر والنواهي؛ كذلك تستنبط من الأقاصيص والمواعظ ونحوه، فقل أن يوجد في القرآن آية إلا ويستنبط منها شيء من الأحكام. وإذا أردت تحقيق هذا، فانظر إلى كتاب «أدلة الأحكام» للشيخ عز الدين بن عبد السلام، وكأن هؤلاء الذين حصروها في خمسمائة آية إنما نظروا إلى ما قصد منه بيان الأحكام دون ما استفيدت منه، ولم يقصد به بيانها». انظر: «شرح مختصر الروضة» (٣/ ٥٧٧).

السنة والسيرة

كما أجمع الفقهاء على أن السنة المصدر الثاني من مصادر التشريع، قال اللكنوي: «لما فرغ من أصل الكتاب شرع في السنة لتأخرها عن الكتاب رتبة وتقدمها على الباقين». انظر: فواتح الرحموت بهامش المستصفى (٢/ ٩٧).

وقد اشتملت كثير من كتب السنة المعتمدة على أحاديث من السيرة النبوية، فكثير من أحداث السيرة دونت في كتب السنة، ومادامت السيرة ضمنت السنة، وهي جزء منها؛ فإنه لا يمكن استثناؤها من السنة التي هي مصدر من مصادر التشريع.

أفعال الرسول ﷺ

وإذا كانت السيرة النبوية حافلة بأفعال الرسول ﷺ، فإن علماء الأصول ناقشوا أفعاله ﷺ ودلالاتها على التشريع، وبينوا حكم كل نوع

من أنواع أفعال ﷺ ودلالته من جهة الحكم الشرعي وجوبا وندبا وإباحة.

قال الجصاص: «ما يستدل به على حكم فعله - عليه السلام -: أن يرد فعله مورد بيان جملة تقتضي الإيجاب، أو الندب، أو الإباحة، فيكون حكم فعله تابعا لحكم الجملة، فإن اقتضت الجملة الإيجاب كان فعله واجبا، وإن اقتضت الندب كان فعله ندبا، وكذلك إن اقتضت الإباحة كان فعله في ذلك مباحا، وذلك: لأنه إذا ورد مورد البيان فمعناه: أن المراد بالجملة ما فعله، فيكون تابعا لحكم الجملة، على الوجوه التي ذكرناها». انظر: «الفصول في الأصول»، لأبي بكر الجصاص الحنفي (٣/ ٢٣١).

اعتماد منهج المحدثين

وقد أفرد بعض العلماء كتبا خاصة بالسيرة، اعتمدوا فيها منهج المحدثين، ومن أوائل من كتب في هذا عروة بن الزبير، المتوفى سنة: (٩٤هـ)، وأبان بن عثمان المتوفى سنة: (١٠٥هـ) ووهب بن منبه المتوفى سنة: (١١٠هـ) ومحمد بن شهاب الزهري المتوفى سنة: (١٢٤هـ) وعاصم بن عمر بن قتادة المتوفى سنة: (١٣٠هـ) ثم موسى بن عقبة، المتوفى سنة: (١٤١هـ) الذي كتب كتاب المغازي، ومحمد بن إسحاق المتوفى سنة: (١٨٣هـ) حيث كتب كتابه المغازي، واختصره ابن هشام، المتوفى سنة: (٢١٨هـ) في كتابه (السيرة النبوية)، والمشتهر بسيرة ابن هشام، ثم الواقدي المتوفى: (٢٠٨هـ) في كتابه مغازي الواقدي وغيرهم.

وغالب هذه الكتب مصنفات على مذهب المحدثين، فغالبها يذكر سند المرويات فيها، والاختلاف في الحكم على المرويات مما هو مشتهر بين العلماء عند التحقيق.

فقه السيرة

كما ظهرت كتب فقه السيرة وقد اعتنى كثير ممن كتبها بمنهج المحدثين في تلك الكتب.

وقد اشتملت كتب فقه السيرة على فقه أصول حياة الرسول ﷺ التي تشمل ستة أصول هي: الإيمان بالله، وتعليم شرع الله، بما في ذلك الأحكام الفقهية، وعبادة الله، ويدخل فيها فقه العبادات، ومكارم الأخلاق، والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله، ويتعلق به فقه الجهاد. انظر: «موسوعة الفقه الإسلامي» للتويجري (٥٢٠/١).

السيرة حياة الرسول

تعد السيرة النبوية هي السجل الدقيق لحياة ﷺ منذ الولادة إلى الوفاة، ولهذا ألحق العلماء أحداث ما قبل البعثة النبوية ضمن السيرة النبوية، لتكون السيرة شاملة لحياة ﷺ كاملة قبل البعثة وبعدها حتى آخر يوم في حياته ﷺ، ومن المعلوم أن التشريع والاجتهاد كان يحتل جزءا من حياة ﷺ، فلا يجوز استثناء السيرة التي هي مجمل حياة ﷺ من التشريع.

الأحكام الفقهية

وقد تناول عدد من الباحثين والكتاب دراسة السيرة النبوية من جهة الأحكام الفقهية، ومن ذلك:

١- الأحكام الفقهية المستفادة من الهجرة النبوية، للباحث: عبد الرحمن الماجد، وهي رسالة ماجستير.

٢- الأحكام الفقهية المستنبطة من رسائل ﷺ إلى الملوك والأمراء، للباحث جمعة يوسف لافي.

٣- جهود العلماء في فقه أحكام السيرة النبوية، للدكتور أحمد بن محمد السراح.

٤- الأحكام المستفادة من مرضه ﷺ ووفاته، للباحث: عبد الرحمن بن صالح الحسن، رسالة ماجستير بالمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٥- أحكام غزوة خيبر الفقهية، الباحث: للباحث عادل فرحات الشلبي، بحث بكلية التربية بالخمس جامعة المرقب.

٦- مقتل كعب بن الأشرف.. أحكام ودلالات، للباحث فهد بن صالح بن عبد العزيز العجلان، بحث.

٧- السياسة الخارجية للدولة الإسلامية في عهد النبوة، عبد الله بن ناصر بن سلطان السحيباني، ماجستير، الإمام محمد بن سعود ١٩٧٩م.

٨- السياسة الشرعية في تصرفات الرسول ﷺ المالية والاقتصادية، محمد محمود أبو ليل، دكتوراه، الأردنية ٢٠٠٥م.

٩- العلاقات الدولية في السيرة النبوية، المنصف لكريسي، دكتوراه، مركز الملك فيصل.

١٠- أقضيةالرسول ﷺ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دكتوراه الأزهر، (١٩٧٧م).

والخلاصة أن السيرة النبوية أحد مصادر التشريع، لكن يجب وضع ضوابط حاكمة لكيفية الاستفادة من السيرة النبوية التي هي سجل حياة الرسول ﷺ في الاجتهاد الفقهي؛ من جهة الترجيح فيما اختلف فيه الفقهاء، بل وفيما يستجد من قضايا خاصة فيما يتعلق بالعلاقات الدولية والسياسة الشرعية والمسائل الاقتصادية التي ترجع إلى المصالح والمفاسد من جهة منهج الاجتهاد والاستنباط.



عايد الجاسم
كاتب وباحث

أعظم قدوة وأفضل معلم

يبحث كثيرون عن قدوة يقتدوا بها ويتبعوا منهجها ويسيروا على خطاها، للوصول إلى ما وصلت إليه من صفات مميزة سواء على صعيد الأخلاق والتعامل والعلاقات الاجتماعية، أو على صعيد العمل والإدارة وأسلوب الحياة. وفي كل مجتمع ثمة تركيز على إبراز النماذج الإيجابية وتسليط الضوء عليها والحديث عن نجاحاتها وسلوكها وأخلاقها لأنها تمثل النموذج الذي تأمل أن يحتذي به كل أفراد المجتمع، باعتباره المثال والقدوة في التصرفات الإيجابية والأخلاق العالية والسلوكيات الحميدة الطيبة التي باتّباعها ترتقي المجتمعات وتتطور وتصل إلى المكانة العالية. لكن مهما كانت القدوات في أي مجتمع ناجحة وإيجابية فإنها لا تخلو من العيوب والأخطاء المؤثرة في صورتها العامة، ما يجعلها لا تشكل الهدف الأعلى والمثال المحتذى الذي يراد من وراء إبرازها وتقديمها للمجتمع ان يقتدي بها الإنسان. إلا أن ثمة شخصية تمثل الكمال البشري وخير أنموذج للاقتداء والاتباع والسير على النهج لمن أراد إصلاح حياته وتطوير ذاته، ألا وهو نبينا وحبيبنا محمد ﷺ. فلن تجد البشرية في القديم والحديث بالعصور السابقة واللاحقة سيرة عظيمة ومثال يقتدى به مثل سيرة النبي محمد ﷺ، الذي تمثل سيرته قدوة وأسوة لكل البشر في كل زمان ومكان. وأثنى الله سبحانه وتعالى على الرسول محمد ﷺ، ومما جاء في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١). وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١). وقال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧). وفي حديث طويل قال سعد بن هشام لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى: قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ القرآن. من أراد اتباع تعاليم الإسلام كما أراد الله تعالى أن تطبق في الخلق وبين عباده فعليه اتباع السيرة النبوية فهي النموذج العملي للإسلام، وسيحظى بالرضا والسعادة في الدنيا والآخرة، طالما اقتدى بأعظم قدوة وأفضل معلم في تاريخ البشرية.





د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف

السيرة والشخصية المبدعة

تحتاج الإنسانية إلى الشخصية المبدعة التي تدرك الواقع وتستشرف المستقبل وتقدم الرؤى المناسبة لما تراه من معضلات، ونحن إذ نبحث عن الشخصية المبدعة إيجادا وتكوينا بحاجة أن نعود إلى منابعنا الأولى ونتطلع إلى ما فيها من خير، فحركة المسلم في الحياة لابد أن تتوافق مع عقيدته وقيمه، سواء كانت هذه الحركة حفاظا على الثوابت أو تطلعا للمستقبل، ويمكن تعريف الإبداع بأنه «بذل أقصى الجهد في استثمار جميع الطاقات والإمكانات المتاحة، من أجل بلوغ أعلى درجات الإحسان لإعمار الآجل والعاجل»(١).

معالم في تكوين الشخصية المبدعة وفي السطور القادمة نحاول أن نقدم بعض المنارات في سبيل الوصول إلى شخصية مبدعة ترتبط بالأصل ولا تنفصل عن العصر وتستنير بنور الوحي، ومن بين هذه المعالم:

النية الصالحة: فما من عمل من أعمال الدين أو الدنيا إلا

ويجب على المسلم أن يسبقه بالنية الصالحة، ومن بركات النية الصالحة على النفس التوفيق الإلهي، ومن بركات النية الصالحة على المجتمع أن المبدع لا يمكن أن يتبنى قيم التخريب والاستعلاء بالباطل والإفساد في الأرض.

العلم ثم العلم

ما من إبداع يمكنه أن يقدم رؤية صحيحة صالحة للتطبيق إلا وينبني على العلم والمعرفة وقد حثتنا السنة المطهرة على طلب العلم حين ربطت بين السعي للعلم والسير في طريق الجنة قال ﷺ من سلك طريقا يلتمس فيه علما، «سهل الله له به» طريقا إلى الجنة (صحيح مسلم).

وحثت السنة النبوية على البحث العلمي، فحين سُئل ﷺ هل علينا جناح أن لا نتداوى؟ قال تداووا عباد الله، فإن الله سبحانه لم يضع داء إلا وضع معه شفاء إلا الهرم (سنن ابن ماجه) وهذا الحديث الشريف من أكبر الدوافع على السير في طريق البحث العلمي للوصول إلى ما يتداوى به الخلق من عللهم.

التجديد: تلك السنة الاجتماعية التي أخبر عنها ﷺ بقوله: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها». (سنن أبي داود) تجديد يقدم الأدلة المتعددة على صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان وقدرته على إصلاح الخلل الإنساني في الفكر والسلوك وتقديم تصور واضح عن الحياة الطيبة التي أرادها الله تعالى لعباده والإجابة بلغة مفهومة عن أسئلة الإنسان التي تؤرقه، وقد قام بهذه المهمة الجليلة علماء وأعلام في مشارق الأرض ومغاربها كل في مجاله.

ولا يعني التجديد أبدا الخروج عن النصوص الشرعية ولا فهمها بعيد عن الأصول المعتبرة التي وضعها العلماء لفهم النصوص اتباعا للهوى أو رغبة في التفلت من حدود الشرع وحكمه وأحكامه أو ادعاء للإبداع ومن الدين إلى الدنيا -فلا انفصال بينهما في نظر المسلم- يسعى المسلم إلى تجديد النظر في القضايا المطروحة والمشكلات المعاصرة ينظر إلى القديم فينتقي أفضل ما فيه ويبني عليه يجتهد ليومه وغده كما اجتهد الأقدمون ليومهم وغدهم.

الإحسان

من معاني الإحسان إنجاز العمل على أحسن الوجوه، كان هذا العمل كلمة أو كتابا أو صلاة أو صياما أو تعميرا للأرض إلى آخر الأفعال الإنسانية التي اعتادها الناس أو التي يقوم بها المبدعون، وللتأكيد على مفهوم الإحسان كان قوله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته» (صحيح مسلم) وكانت ممارسة ﷺ كما جاء في سيرته العطرة تؤكد على تقديم المحسنين واختيارهم لإنجاز الأعمال، عن طلق بن علي الحنفي قال: جئت إلى النبي ﷺ وأصحابه يبنون المسجد، قال: فكأنه لم يعجبه عملهم، قال: فأخذت المسحاة، فخلطت بها الطين، فكأنه أعجبه أخذي المسحاة وعملي، فقال: دعوا الحنفي والطين، فإنه أضبطكم للطين. (مسند أحمد) قدم ﷺ طلق بن علي لما يمتلك من مهارات في إنجاز العمل، وكان هذا التقديم بعد مقارنة بينه وبين غيره ظهر فيها إجادته للعمل وقدرته على إتمامه على أحسن الوجوه وهي أبرز صفات المبدعين.

المبادرة

المبدع دائما مبادر وقد حثنا ﷺ على المبادرة في الخير دعوة وعملا قال ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء (صحيح مسلم) وكانت سيرته ﷺ نموذجا لذلك.

عن أنس، قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: «لن تراعوا لن تراعوا» وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: «لقد وجدته بحرا. أو: إنه لبحر» (صحيح البخاري) سمع أهل المدينة صوتا مفزعا، بادر ﷺ إلى استكشاف مصدر الصوت، ومن شدة استعجاله ﷺ امتطى فرس أبي طلحة دون أن يكون عليه سرج مع ما في ذلك من آلام تصيب

راكب الجواد، ولكن حرصه ﷺ على المبادرة جعله يتحمل هذه المشقة.

التأمل

تحرص السنة النبوية على تكوين الإنسـان المفكر الـذي ينظر إلـى ما حوله ومن حوله نظرة المتأمل في خلق الله تعالى وبديع صنعه، وكان ﷺ يثير دواعي التفكير في الكون وما فيه مستخدما في ذلك وسيلة السـؤال، عن ابـن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثوني مـا هـي؟»، قال عبدالله بن عمر: فوقع الناس في شجر البوادي، فوقع في نفسي أنها النخلة، قـال: فاستحييت، فقالوا: حدثنا يا رسول الله، ما هي؟ قال: «النخلة» (موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني).

التفكير الناقد

والمبـدع صـاحب التفكير الناقد هو الـذي يتجاوز العقائد الباطلة التي توارثها الناس كابرا عن كابر ويعيد النظر فيما قدم الآخرون من حلول لأزمات مزمنة ومدى ما في هذه الحلول من جوانب إيجابية أو قصور وتقصير وما يمكن أن يشوب التطبيق من أخطاء تؤدي إلى بقاء هذه الأزمات وقد نبهنا ﷺ إلى عدم الانقياد إلى الآخرين لأنهم يفعلون أو يتركون فقط دون أن نتبصر فيما يعملون أو يتركون هل يوافق الحق أم لا؟؟

قال رسول الله ﷺ: لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا. (أخرجه الإمام الترمذي في سننه وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه).

العصف الذهني

ويمكن أن يمثل له بجلسات الشورى التي عقدها ﷺ في مواقف متعددة من سيرته العطرة بقوله: «أشيروا علي أيها الـنـاس»، قالها ﷺ في غزوة بدر وفي صلح الحديبية ودعا أصحابه إلـى التفكير الجماعي في العديد من المواقف والأحداث التي نزلت بهم، وفـي ذلك تدريب على هذه الوسيلة التي تكشف عن الشخصيات المبدعة وما تحمل من آراء سديدة موفقة.

القدرة على الانتقاء

لا يعيش المبدع بمعزل عن الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ولا يمكن له أن يستغني عن الخلق ولابد له أن يختار ما يمكن أن يأخذه منهم وما الذي يجب أن يدعه، ويجب أن يكون هذا الاختيار متوافق مع دينه. وأول مؤهلات الانتقاء معرفة لغة الآخر حتى يتحقق التواصل الآمن معه، ذلك التواصل الذي يربح فيه كلا الفريقين من الآخر دون التنازل عن الثوابت، ويتحقق فيه «التعارف» تلك الغاية التي حددها الله تعالى من تنوع الخلق وسعيا لتحقيق هذا التواصل الآمن كان توجيه ﷺ لزيد بن ثابت، عن زيد بن ثابت «أن رسول الله ﷺ أمره أن يتعلم كتاب يهود»، قال: «فكنت أكتب له وأكتب إليهم وأقرأ له إذا كتبوا» (المعجم الكبير للطبراني).

وكـان لـلـفـرس عـقـائـد وأخـلاق ومـنـجـزات حـضـاريـة كـبـيـرة ومع ذلك انتقى سلمان ﷺ منهم فكرة الخندق قال سلمان: يا رسول الله، إنـا إذا كنا بـأرض فـارس وتخوفنا الخيل، خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن تخندق؟ فأعجب رأي سلمان المسلمين (مغازي الواقدي).

الإيجابية

والـشـخـصـيـة الـمـبـدعـة شخصية إيجابية تتجاوز الكسالى والمثبطين ولا تلتفت للمحبطين الذين ساروا خـطـوة أو خـطـوات، ثـم قـصـرت هممهم عن الـوصـول إلـى الغايات الـشـريـفـة. فـي حـروب الـردة عم الخوف وساد القلق وتعرضت المدينة المنورة للهجوم وكان الناس يخافون إذا رأوا رسـولا قادما يتوقعون أن يأتي بخبر سيء، لكن الصديق ﷺ وهو الذي تربى في مدرسة النبوة كان يقول: «هـذا بشير، هـذا حام وليس بـوان» (ضعيف)، فـإذا نادى (البشير) بالخير قالوا (للصديق): «طـالـمـا بـشـرت بـالـخـيـر». (تـاريـخ الطبري).

ستظل سيرة ﷺ هـي المنبع الذي يستقي منه أتباع هذا الدين وحملة الـهـدايـة مـا يـتـزودون بـه ليقوموا بدورهم في عبادة الله تعالى وعمارة الكون والإحسان إلـى الخلق مهما تعددت بين أيديهم المصادر يبقى للسيرة منزلتها اللائقة بها تغذي الشوق إلى المثل العليا وتروي بذور الإحسان وتحث الناس على الخير وتقدم لهم النموذج الأمثل للحياة الطيبة التي يريدها الله تعالى منهم.

الهوامش

١- بحوث مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة

مشاري المحمد
صحافي وكاتب

السواك... سنة نبوية وفوائد صحية

ذكر الله سبحانه وتعالى نبات الخمط في القرآن الكريم، إلى جانب نباتات وأشجار كثيرة.

وورد ذكر «الخمط» في الكتاب الكريم مرة واحدة في سورة سبأ، قال تعالى: ﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَىۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴾ (سبأ:١٦).

ويقال لكل نبات أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله خمط. وقيل إن الخمط في التفسير هو شجر الأراك (السواك).

ويعتبر الخمط من الأشجار الصحراوية المعمرة الدائمة الخضرة، تتميز بأوراقها ذات الطعم والرائحة الطيبة، وزهورها الصغيرة. أما ثمارها فهي على شكل عناقيد كعناقيد العنب، يميل لونها للأسود عند نضجها.

وينتشر نبات الخمط أو «الأراك» في إفريقيا والجزيرة العربية والصين، كما تم استزراعه في عدد من الدول. وتتميز الأراك بقدرتها على النمو في الجبال والوديان والمناطق الرملية والصحراوية، إضافة إلى تحملها الجفاف والملوحة.

واشتهرت شجرة الأراك لأن منها يتخذ السواك الذي تنظف فيه الأسنان ويباع في الكثير من البلدان، خصوصا في مكة المكرمة والمدينة المنورة في المملكة العربية السعودية.

ويأخذ السواك من جذور شجر الأراك، إذ يتم حفر الأرض للحصول على الجذر، وبعد ذلك تقطع الجذور بمسافات متقاربة وتباع في الأسواق.

ويعد استخدام السواك اتباعا لمنهج النبي ﷺ واقتداء بسنته الشريفة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي – أو على الناس– لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»[١]، وفي رواية: (ومع كل وضوء)[٢]. وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»[٣].

واستخدام السواك بالإضافة إلى كونه عبادة، فإنه يتميز بأن له فوائد صحية عديدة للفم والأسنان. ومن هذه الفوائد أنه يوقف نمو البكتيريا في الفم لاحتوائه على مادة الكبريت، ويحارب الروائح الكريهة ويطيب رائحة الفم، إضافة إلى أنه يعمل على تقوية الشعيرات الدموية المغذية للثة ويحارب التهابات الفم، فضلا عن أنه يزيد بياض الأسنان ويعمل على تنظيفها لاحتوائه على الكلوريد والفلوريد، كذلك يعمل على منع الترسبات والتكلسات.

وتعتبر الألياف الطبيعية في السواك أفضل بكثير من فرشاة الأسنان الصناعية كونها تتميز بأنها طرية ومريحة للثة والأسنان، إضافة إلى أن المواد المطهرة التي يحتويها السواك ذات فعالية عالية في معالجة الأسنان ومكافحة الجراثيم.

ويكتسب السواك فوائده من مجموعة المكونات النشطة التي يحتويها مثل المركبات القلوية ومركبات السيليكا والراتنجات التي تحارب الجراثيم وتساعد في إزالة البقع وتشكل طبقة واقية للحماية من التسوس، إضافة إلى مجموعة الزيوت الأساسية التي تعطي الرائحة والطعم وتحفز إنتاج اللعاب، فضلا عن مواد أخرى مثل الكالسيوم والفلورايد والكبريت وغيرها.

الهوامش

١- رواه البخاري، رقم (٨٨٧).
٢- رواه البخاري، رقم (٨٨٨).
٣- رواه ابن ماجة، رقم (٢٨٩).





د. رمضان فوزي بديني
دكتوراه في اللغة العربية

علم النحو والاهتداء لعلوم الشرع

من حكمة الله -عز وجل- أن اختار اللغة العربية بدلالات ألفاظها المتنوعة وما احتوته من خصائص مميزة لها؛ فكانت وعاء لدينه؛ فحفظه بها وحفظها به؛ ولذلك أصبحت العربية بعلومها المتنوعة -وفي المقدمة منها علم النحو- هي المفاتيح التي يصعب الولوج إلى مختلف العلوم الإنسانية -وفي المقدمة منها علوم الشريعة- إلا من خلال حيازتها والتمكن منها. ومن حاول الولوج دونها كانت عاقبته الضلال والإضلال.

وهناك قول منسوب للإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «من تبحر في النحو اهتدى إلى كل العلوم»[1]، قيل إنه يقصد بالعلوم هنا علوم الشريعة.

وتتمثل أهمية العربية في فهم النصوص الدينية ومراميها، وما يترتب على هذا الفهم من استنباط للأحكام الشرعية؛ ولذلك فالعلم بالعربية وأسرارها شرط أساس من شروط الاجتهاد في علوم الشريعة، كما أنه مهم بالدرجة نفسها في فهم كل العلوم العربية.

يقول الأستاذ محمود محمد شاكر: «وإذا كانت اللغة هي خزانة الفكر الإنساني؛ فإن خزائن العربية قد ادخرت من نفيس البيان الصحيح عن الفكر الإنساني، وعن النفوس الإنسانية ما يعجز سائر اللغات؛ لأنها صفيت منذ الجاهلية الأولى المغرقة في القدم من نفوس مختارة بريئة من الخسائس المزرية، ومن العلل الغالبة، حتى إذا جاء إسماعيل نبي الله، ابن إبراهيم خليل الله -عليهما الصلاة والسلام- أخذها وزادها نصاعة وبراعة وكرما، وأسلمها إلى أبنائه من العرب، وهم على الحنيفية السمحة (دين أبيهم إبراهيم).

فظلت تتحدر على ألسنتهم مختارة مصفاة مبرأة، حتى أظل زمان نبي، لا ينطق عن الهوى ﷺ، فأنزل الله بها كتابه بلسان عربي مبين، بلا رمز مبني على الخرافات والأوهام، ولا ادعاء لما لم يكن، ولا نسبة كذب إلى الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا»[2].

وفي السطور التالية سنركز الحديث عن تأثير أحد علوم العربية في علوم الشريعة وهو علم النحو..

علم النحو وإبانة المعنى

من المستقر لدى الدارسين أن أهم وظيفة لعلم النحو هي إفهام المعنى وتوصيله للمستقبل دون لبس؛ فالإعراب الذي أحد أهم مقاصد النحو -حسب ابن جني- «هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت (أكرم سعيد أباه)، و(شكر سعيدا أبوه)؛ علمت -برفع أحدهما ونصب الآخر- الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا واحدا؛ لاستبهم أحدهما من صاحبه»[3]، ولذلك جعل في موضع آخر الإعراب دليلا على اختلاف المعاني؛ حيث يقول: «ألا ترى أن موضوع الإعراب -على مخالفة بعضه من حيث كان- إنما جيء به دالا على اختلاف المعاني»[4].

وقريبا من ذلك يجعل السكاكي الإعراب مرتبطا في كل وجوهه بالمعنى وتعدده؛ حيث يقول: «إن كل واحد من وجوه الإعراب دال على معنى، كما تشهد لذلك قوانين علم النحو»[5].

ويؤكد ابن هشام أهمية مراعاة المعرب للمعنى، وحذر من أن يطغى الاهتمام بالصنعة وظاهرها على المعنى ودلالات الجمل، وجعل ذلك مزلة للأقدام؛ حيث ذكر أنه من الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها أن

يراعي ما يقتضيه ظاهر الصناعة، ولا يراعي المعنى، إذ كثيرا ما تزل الأقدام بسبب ذلك. وذكر أن أول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه، مفردا أو مركبا؛ ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور على القول بأنها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه[٦].

وساق عدة أمثلة مما يمكن أن يحدث فيه فساد في المعنى متى ما بني فيه الإعراب على ظاهر اللفظ فقط، أكتفي منها بما ذكره حول الاضطراب الذي يمكن أن يحدث في فهم قول الله تعالى: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾(سورة هود: ٨٧)؛ حيث قال: «فإنه يتبادر إلى الذهن عطف (أن نفعل) على (أن نترك)، وذلك باطل لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون، وإنما هو عطف على (ما)؛ فهو معمول للترك. والمعنى: أن نترك أن نفعل... فالعطف على (أن نترك)، وموجب الوهم المذكور أن المعرب يرى (أن) والفعل مرتين، وبينهما حرف العطف»[٧].

وبناء على هذا نعى شيخ البلاغيين الجرجاني على من تقاعس وتكاسل عن تعلم النحو؛ حيث يقول: «إذا كان قد علم أن الألفاظ معلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، لا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه.. وإذا كان الأمر كذلك، فليت شعري ما عذر من تهاون به وزهد فيه، ولم ير أن يستقيه من مصبه، ويأخذه من معدنه، ورضى بالنقص والكمال لها معرض، وآثر الغبينة وهو يجد إلى الربح سبيلا»[٨].

علم النحو وعلوم القرآن والسنة

بناء على ما سبق..كان الإعراب مدخلا لفهم مضامين النصوص الدينية؛ فهب لذلك العلماء المهتمون بتراث أمتنا -وعلى رأسه القرآن والسنة وعلومهما- فصنفوا الكتب المتخصصة في الإعراب في كل فن من هذه الفنون؛ فنجد الكتب المتخصصة في إعراب القرآن للنحاس والزجاج وابن سيده وابن خالويه والقيسي...، فضلا عن كتب التفسير التي لا يخلو أحدها من تأثر باللغة واستشهاد بقواعدها في تفسير مراد الله تعالى من كلامه، ونجد في الوقت نفسه إعراب الحديث للعكبري، وإعراب الأربعين النووية... وغيرها من الكتب المتخصصة في إعراب الحديث، وشروحه التي ترتكز في كثير منها على اللغة ودلالاتها.

ولذلك جعل أبو البركات ابن الأنباري العدالة شرطا في ناقل اللغة لتأثيرها على معرفة تأويل الحديث حيث يقول: «اعلم أنه يشترط أن يكون ناقل اللغة عدلا، رجلا كان أو امرأة، حرا كان أو عبدا، كما يشترط في نقل الحديث؛ لأن بها معرفة تفسيره وتأويله»[٩].

ولا تخلو مقدمات كتب إعراب القرآن والسنة من الإشارة لأهمية الإعراب في هذه الفنون، ومنها في هذا السياق ما ذكره مكي بن أبي طالب: «ورأيت من أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن، الراغب في تجويد ألفاظه، وفهم معانيه، ومعرفة قراءاته ولغاته، وأفضل ما القارئ إليه محتاج.. معرفة إعرابه، والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه؛ ليكون بذلك سالما من اللحن فيه، مستعينا على أحكام اللفظ به، مطلعا على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات، متفهما لما أراد الله به من عباده؛ إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني، وينجلي الإشكال؛ فتظهر الفوائد، ويفهم الخطاب، وتصح معرفة حقيقة المراد»[١٠].

ولا يخفى في الجانب التطبيقي ما انبنى على علم الإعراب والدلالة من فهوم لمراد الله تعالى في كتابه ومراد رسوله ﷺ في سنته، وما ترتب على ذلك من ثراء في الفهم وتعدد في الدلالة واتساع في المعنى.

علم النحو وعلم الفقه

بعد ما اتضح من أثر لعلم النحو في تفسير النصوص بصورة عامة، وفي النصوص الدينية ومنها القرآن والسنة بصورة خاصة.. يتضح تأثيره وعلاقته القوية بعلم الفقه؛ ذلك أن جزءا كبيرا من الفقه وتخريجاته مبني على هذه النصوص، وكلما تعددت توجيهاتها



تعددت في المقابل التخريجات الفقهية المستبطة منها، وهو ما عبر عنه الزمخشري بقوله: «ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيا على علم الإعراب، والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه والأخفش والكسائي والفراء وغيرهم من النحويين البصريين والكوفيين، والاستظهار في مآخذ النصوص بأقاويلهم، والتشبث بأهداب تأويلهم»[١١].

ولذلك ربط الشاطبي -الإمام الأصولي- بين فهم اللغة وفهم الشريعة، وجعل العلاقة بينهما طردية؛ حيث يقول: «وإذا كانت -أي الشريعة- عربية؛ فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم؛ لأنهما سيان في النمط ما عدا وجوه الإعجاز.

فإذا فرضنا مبتدئا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطا فهو متوسط في فهم الشريعة، والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية؛ فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة؛ فكان فهمه فيها حجة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حجة؛ فمن لم يبلغ شأوهم؛ فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يعد حجة، ولا كان قوله فيها مقبولا. فلا بد من أن يبلغ في العربية مبلغ الأئمة فيها؛ كالخليل، وسيبويه، والأخفش، والجرمي، والمازني ومن سواهم»[١٢].

وقد أدرك ابن حزم الظاهري هذه العلاقة جيدا؛ فجعل تعلم النحو وعلوم العربية فرضا لتعلم الدين، وحرم على الجاهل باللغة أن يفتي الناس في أمور دينهم، كما حرم على الناس أن يستفتوا جاهلا باللغة في أمور دينهم؛ حيث يقول: «من لم يعلم النحو واللغة؛ فلم يعلم اللسان الذي به بين الله لنا ديننا وخاطبنا به، ومن لم يعلم ذلك فلم يعلم دينه، ومن لم يعلم دينه ففرض عليه أن يتعلمه، وفرض عليه واجب تعلم النحو واللغة، ولا بد منه على الكفاية...

ولو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن وفهم حديث النبي ﷺ، ولو سقط لسقط الإسلام؛ فمن طلب النحو واللغة على نية إقامة الشريعة بذلك، ليفهم بهما كلام الله -تعالى- وكلام نبيه وليفهمه غيره؛ فهذا له أجر عظيم، ومرتبة عالية لا يجب التقصير عنها لأحد.

وأما من وسم اسمه باسم العلم والفقه وهو جاهل للنحو واللغة، فحرام عليه أن يفتي في دين الله بكلمة، وحرام على المسلمين أن يستفتوه؛ لأنه لا علم له باللسان الذي خاطبنا الله تعالى به. وإذا لم يعلمه فحرام عليه أن يفتي بما لا يعلم»[١٣].

ويعد علم الفقه من أكثر علوم الشريعة تأثرا بعلم النحو وعلوم العربية؛ حيث يتوقف استنباط الحكم الفقهي على فهم الدليل النقلي من الكتاب والسنة، وهو ما يتأثر بدوره بالتوجيه الإعرابي والدلالي للألفاظ، يقول الدكتور جمال عبد العزيز: «تأثير النحو في المجال الفقهي كان أوسع نطاقا من تأثيره في العلوم الأخرى؛ فإذا كان تعدد الوجه النحوي يترتب عليه اختلاف المعاني؛ فإن تعدده

في مجال الفقه يتوقف عليه تعدد الأحكام الفقهية واستنباطات الفقهاء.

ومن هنا كان لزاما على الفقيه أن يبدأ من باب النحاة ويتخرج عليهم، ويقف على آرائهم ومذاهبهم، ثم يدخل ميدان الفقه الواسع.

وعلى العكس من ذلك فإن الفقيه إذا ولج عالم الفقه قبل تحصيل النحو فإنه لا شك يفقد أداة الفقه الأولى، وتصبح فتاواه رهينة النقد، مهتزة البرهان.

ونبه على ذلك الفقهاء أنفسهم إذ بينوا حاجة الفقه والفقيه إلى النحو والنحاة؛ إذ النحو أساس الفقه وعدة الفقيه، وبدونه فلا أهلية كاملة له، أو لا يعتد بحكمه إذا كان فقيرا في عدة الإعراب والنحو»[١٤].

بين أصول النحو وأصول الفقه

وإذا كانت هذه هي العلاقة بين علمي النحو والفقه؛ فإنها بالضرورة كذلك بين علم النحو وعلم أصول الفقه؛ ذلك أن المحتويات الأساسية لعلم أصول الفقه تتألف من علم الكلام، والمنطق، وعلم العربية، والعلم بالمقاصد والأحكام الشرعية. أما عن تألفه من علم العربية فلتوقف معرفة دلالات الألفاظ من الكتاب والسنة، وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة على معرفة موضوعاتها لغة، من جهة الحقيقة، والمجاز، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، والحذف، والإضمار، والمنطوق، والمفهوم، والاقتضاء، والإشارة، والتنبيه، والإيماء، وغيره، مما لا يعرف في غير العربية[١٥].

وتتضح هذه العلاقة بصورة جلية من خلال طبيعة وماهية كل من العلمين؛ فأصول النحو هي أدلة النحو التي تفرعت منها فروعه وأصوله، كما أن أصول الفقه هي أدلة الفقه التي تنوعت عنها جملته وتفصيله[١٦].

وقد تنبه اللغويون لهذه العلاقة منذ فترة مبكرة؛ حيث حرص ابن جني على رسم صورة لموقع علل النحويين بالنسبة لعلل المتكلمين والفقهاء حيث يقول: «اعلم أن علل النحويين – وأعني بذلك حذاقهم المتقنين، لا ألفافهم المستضعفين– أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين؛ وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس، وليس كذلك حديث علل الفقه؛ وذلك أنها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام، ووجوه الحكمة فيها خفية عنا غير بادية الصفحة لنا».

ألا ترى أن ترتيب مناسك الحج وفرائض الطهور والصلاة والطلاق وغير ذلك إنما يرجع في وجوبه إلى ورود الأمر بعمله، ولا تعرف علة جعل الصلوات في اليوم والليلة خمسا دون غيرها من العدد، ولا يعلم أيضا حال الحكمة والمصلحة في عدد الركعات، ولا في اختلاف ما فيها من التسبيح والتلاوات... إلى غير ذلك مما يطول ذكره، ولا تحلى النفس بمعرفة السبب الذي كان له ومن أجله، وليس كذلك علل النحويين»[١٧].

ويقول في موضع آخر مؤكدا على متانة هذه العلاقة: «وكذلك كتب محمد بن الحسن رحمه الله إنما ينتزع أصحابنا منها العلل لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق»[١٨].

والمتتبع لكتب الفقه وأحكام القرآن لن يجد كثير عناء في إدراك تأثير النحو في استنباط الحكم الفقهي، واختلاف الفقهاء بناء على الدليل اللغوي، وسيجد أيضا الكثير من أبواب النحو مبثوثة في كتب الأصوليين باعتبارها مفاتيح لا يسعهم الجهل بها.

الهوامش

١- شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي (٤٠٧/٢).
٢ – أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر (ص: ٣٤٦).
٣ – الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٥/١).
٤ – السابق: (١٧٥/١).
٥ – مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف السكاكي (ص: ٢٥١).
٦ – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ص: ٦٨٤).
٧ – السابق (ص: ٦٨٦).
٨ – دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (٢٨/١).
٩ – لمع الأدلة في أصول النحو، أبو البركات الأنباري (ص: ٨٥).
١٠ – مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي (٦٣/١).
١١ – المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ص: ١٨).
١٢ – الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد الشهير بالشاطبي (٣٥/٥).
١٣ – رسائل ابن حزم (رسالة التَّلخيصُ لوجوهِ التَّخليصِ)، ابن حزم الظاهري (١٦٢/٣).
١٤ – دور النحو في العلوم الشرعية (رسالة ماجستير)، جمال عبد العزيز (ص: ٤١٥).
١٥ – الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من القواعد الفقهية، عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي أبو محمد (ص: ٤٥) (مقدمة المحقق)، تحقيق د. محمد حسن عواد.
١٦ – لمع الأدلة: (ص: ٨٠).
١٧ – الخصائص: (٤٨/١).
١٨ – السابق: (١٦٣/١).

عبد الله العلوان
جامعة شعيب الدكالي - المغرب



الأخلاق من مقاصد الشرع

لما كانت النية شرطا لصحة العمل، وجب استحضارها أثناء القيام به، لأن العمل الخالي من النية لا تترتب عنه آثار شرعية، لقول الله عزوجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ (البينة: ٥).

وتعليم العلم وتلقينه للطلاب من أعظم القربات وأجل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، فوجب على العالم استحضار النية الحسنة في القيام بالعملية التعليمية لدرء مفسدة الرياء والسمعة في الدنيا، وتحقيق المصلحة الكبرى في الآخرة وهي رضا الله عز وجل.

وقد حرص علماء الأمة الإسلامية على معالجة نياتهم أشد الحرص وإخلاصها في سبيل تبليغ العلم. يقول الإمام الشافعي[1] رحمه الله: «وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على أن



لا ينسب إلي حرف منه». وقال: «ما ناظرت أحدا قط على الغلبة، وددت إذا ناظرت أحدا أن يظهر الحق على يديه». وقال: «ما كلمت أحد قط إلا وددت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ»[٢].

والإمام الشافعي رحمه الله قد راعى بعدا مقاصديا، وهو إخلاص النية لله عز وجل ودرء الخلاف المذموم والجدال العقيم الذي لا فائدة ترجى من ورائه.

إننا اليوم في عصرنا الحاضر في أمس الحاجة إلى تحقيق وحدة الأمة من خلال مراعاة كل ما من شأنه تقريب هذه الفرقة، وجمع جهود العلماء المعاصرين للبحث في مشاكل الأمة.

يقول ابن جماعة الكناني مبينا أهمية الإخلاص في تعلم العلم وتعليمه: «واعلم أن جميع ما ذكر من فضيلة طلب العلم، والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين الذين قصدوا به وجه الله الكريم والزلفى لديه في جنات النعيم، لا من طلبه بسوء نية أو خبث طوية أو الأعراض دنيوية»[٣].

ويقول الإمام اليوسي رحمه الله وهو يبين المقصد الأساسي في استحضار النية في نقل العلم: «ويستحضر نية صالحة في بث العلم، وبيان فوائده، وتبليغ أحكام الله تعالى إلى عباده، والإعانة على الدين، وتنمية غرس العلم، وحياطته عن شبهات الضالين وتخليط الجاهلين، ونحو هذا من المقاصد الحسنة، وليستعذ بالله من النية الفاسدة، والمقاصد الخسيسة»[٤].

فبان بذلك أن القصد من التحلي بالإخلاص هو تحقيق التقوى وبلوغ جنات النعيم، ولا يتصور حصول الغرض من ظاهرة التعليم على الوجه الأليق في ظل غياب هذه النية التي بات لزاما تحققها في شخصية العالم المربي، وبغيابها لا يحصل ذلك الغرض المنشود.

استحضار الأمانة

خلق الأمانة حقيق بالعالم أن يكون سجية له باعتباره فردا مؤثرا في المجتمع المسلم، فضلا عن غيره ممن يقتفي أثره في التصدي لوظيفته أو بالأحرى لرسالته.

فينبغي والحالة هذه أن تكون العملية التعليمية المصرفة في جموع المتلقين متزيية بزي الأمانة التي تعتبر بالضرورة من أوثق عرى التعلم، وبنقضها ينتقض عنصر أساس، لا يعول على شيء بعد فقده.

إن القرآن الكريم في سياق حديثه عن الأمانة اعتبرها من أوجب الواجبات وآكدها، حيث قال الله عزوجل: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب: ٧٢). وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما الأمانة بالفرائض التي افترضها الله على عباده[٥].

وذلك أن طلب العلم تعليما وتعلما من أوكد الفرائض لقوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٦].

ولقد أسهمت في عصرنا الحاضر وسائل الاتصال والمعلومات في نشر العلم وتناقله بين الناس، بيد أن الذي تم تغيبه هو هذه القيمة قيمة الأمانة في نقل العلم وتدارسه ونشره.

التخلق بالأخلاق الحسنة

لقد حث الإسلام على التخلق بالأخلاق الحسنة وذلك لأهمية هذه الصفة التي يحتاج إليها كل إنسان في حياته وتعامله مع الآخرين خصوصا العالم الذي يقوم بتعليم العلم ونشره في صفوف المسلمين ولهذا لم يعد الإسلام الخلق سلوكا مجردا بل جعل أجر حسن الخلق ثقيلا في الميزان، بل لا شيء أثقل منه، قال عليه الصلاة

والسلام: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»[٧].

بل جعل الإسلام أجر حسن الخلق أجر العبادات الأساسية كالصلاة والصوم وذلك لأهمية ومدى الحاجة إليه في جميع شؤون الحياة، قال عليه الصلاة والسلام: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»[٨].

وقد نبه الإمام الغزالي إلى أهمية حسن الخلق وأنه سبب في الألفة وتوحيد الأمة، وسوء الخلق سبب في الفرقة وتشتيت الأمة، فقد قال رحمه الله: «اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق، فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام»[٩].

ولما كان العالم محل أنظار طلاب العلم خاصة والناس عامة، وجب عليه التخلق بالأخلاق الحسنة والابتعاد عن الأخلاق الرديئة السيئة، وقد أشار ابن جماعة الكناني إلى هذه الأخلاق الحميدة التي يجب أن يتخلق بها العالم فقال رحمه الله وهو يتحدث عن آداب العالم في نفسه بأنه يجب عليه: «معاملة الناس بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام، وكظم الغيظ، وكف الأذى عن الناس، والإيثار... والسعي في قضاء الحاجات، وبذل الجاه في الشفاعات، والتلطف بالفقراء، والتحبب إلى الجيران والأقرباء، والرفق بالطلبة وإعانتهم وبرهم..»[١٠].

وتجرد العالم من هذه الأخلاق الحسنة له آثار معيبة ومفاسد تعود على الأفراد والمجتمعات بالضرر على حد سواء، ومن بين هذه المفاسد التي يؤدي إليها سوء خلق العلماء:

- عدم الثقة في حامل العلم لما يصدر عنه من سوء الخلق.
- تنفير الناس من طلب العلم والإقبال عليه.
- عدم احترام حملة العلم.

التواضع واللين

إن العالم كلما زاد علمه، واتسعت معرفته زاد تواضعه، كما أنه يزيد حلما ولينا بين طلبته والناس عامة، فيقبلون علمه ويسمعون له إذا وعظ وقدم لهم النصح والرشد.

كما أن علاقته بالناس تزيد ويزيد الإقبال عل الأخذ منه ولذلك فإننا اليوم إذا أردنا تحقيق نهضة علمية وإصلاحا في مجال التربية والتعليم أن يقترب العالم من واقع الناس ويفهمه فهما صحيحا، ويدركه إدراكا كاملا، وذلك من خلال معايشتهم ومعرفة جزئيات وحيثيات حياتهم، ليعلم جاهلهم ويجيب سائلهم أما أن يبقى اعتلاء المنابر والجلوس على الكراسي فقط دون النظر في واقع الأمة في مجال التربية والتعليم، فإن ذلك يؤدي إلى حدوث قطيعة بين التنظير والتطبيق.

وإن أشد ما ينبغي للعالم معالجته أن يصاب بالغرور والعجب والرياء والسمعة، وقد نبه ابن جماعة الكناني إلى هذه الأمراض التي يصاب بها العلماء، وذكر لها مجموعة من الأدوية. فقال رحمه الله في معالجة العجب والغرور بالنفس: «ومن أدوية العجب تذكرة علمه وفهمه وجودة ذهنه وفصاحته وغير ذلك من النعم فضل من الله عليه وأمانة عنده ليرعاها حق رعايتها، وأن معطيه إياها قادر على سلبها منه في طرفة عين»[١١].

وأما من أدوية الرياء والسمعة فقال رحمه الله: «الفكر بأن الخلق كلهم لا يقدرون على نفعه بما لم يقضه الله له، ولا على ضره بما لم يقدره الله تعالى عليه، فلم يحبط عمله ويضر دينه ويشغل نفسه بمراعاة من لا يملك له في الحقيقة نفعا ولا ضرا»[١٢].

الهوامش

١- هو محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، أحد الأئمة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعي كافة، انظر ترجمته في الأعلام:(٦/٢٦).

٢- النووي: أبو زكريا يحيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ): آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي: (٢٩) مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى:(١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).

٣- ابن جماعة الكناني: بدر الدين أبي عبدا لله بن إبراهيم: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم: ٧٣، تحقيق: عبد السلام عمر علي، دار الآثار الطبعة الأولى:(١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

٤- القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم:(٣٢١).

٥- الطبري: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٠/٣٣٧، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٦- أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم: (٢٢٤). قال الألباني: صحيح. وأخرجه الطبري في المعجم الكبير برقم: (١٠٤٣٩).

٧- أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، برقم: (٢٠٠٢) قال الألباني: صحيح.

٨- أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، برقم:(٢٠٠٣). قال الألباني: صحيح.

٩- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ): إحياء علوم الدين: (٢/١٥٧)، دار المعرفة ـ بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

١٠- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم: (٩٦ـ٩٧).

١١- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم: (١٠٠).

١٢- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم: (١٠١).

د. رضا عبد الحكيم إسماعيل رضوان
أستاذ القانون وباحث في علوم الشريعة





الحماية الجنائية لمحتويات البث الرقمي في التشريع الإسلامي

نشأ عن الاستغلال غير المشروع لمنجزات التقدم التكنولوجي الهائلة، وقوع جرائم مرافقة للتقنيات الرقمية، ومادتها: «تغيير أو تعديل المحتوى الرقمي بقصد الإضرار بالغير»، وذلك بإحداث الغش فيها بواسطة التقليد أو الاصطناع، أو التحوير والتعديل، أو المغايرة، والأساليب لا تقع تحت حصر. إذ استهدف الجناة الذين استغلوا منجزات الثورة الاتصالية المعلوماتية للحصول على قيم مادية أو معنوية غير مستحقة، من خلال اقتراف جرائم ضد الحقيقة.

ما هو المحتوى الرقمي؟ وكيف نفهم تقنياته؟ وما هي أساليب الكشف عن ذلك التغيير الذي يصيب المحتوى؟ وما هو موقف النظام الجنائي الإسلامي؟ خاصة وأن هناك فراغ في الأنظمة القانونية الوضعية، والتي لا تؤثم هذه الممارسات ولا تعاقب عليها، فكل ما نصت عليه هو التعويض المادي وتدابير تبعية، في حين نلمح حماية جنائية للمضرورين تقرها الشريعة من خلال نظام التعزير الإسلامي، الذي ينص على عقوبات رادعة. إن هذا النظام يضمن مرونة قواعد الشريعة وصلاحية تطبيقها في كل زمان وفي كل مكان. حيث يستوعب نظام التعزير جميع الجرائم الناشئة عن التطور الحضاري.

المحتوى الرقمي

منذ فجر التاريخ، كان المحتوى

يأخذ تشكيل الكتابة والرسومات المتنوعة، والتي كانت تنتج يدويا، باستخدام الطلاء والألوان، فتأخذ هيئة الطباعة على الألواح، كما في الرسومات المكتشفة أثريا في بقاع شتى من العالم، والتي تضمنت أيضا أشكالا متنوعة على الجدران بالحفر والنقر والنقش، بأدوات يدوية صنعها الإنسان الأول. ومع أفول القرون الوسطى انطلقت الثورة الصناعية، حيث ظهرت الطباعة بالماكينات، والتي أفرزت في مراحلها المتقدمة خلال القرن المنصرم، كاميرات نسخ الكتابة والنماذج الطبيعية بكافة أشكالها، وحيث أدخل عليها تعديلات تقنية متلاحقة بغرض الحصول على أجود المحتويات، بيد أن الإجادة الحقيقية والتحسين الفعلي لم يتحقق إلا منذ عقود قليلة، مع تطور تكنولوجيا البث السينمائي والتلفازي.

واليوم في عصر التكنولوجيا العالية فائقة التطور، يجئ المحتوى الرقمي الحاسوبي بجل الأشكال والنماذج فائقة الوضوح والتفصيلات.

بحسب أحدث التقارير، ارتفعت كفاءة وجودة المحتويات التي تلتقط بواسطة الكاميرات الرقمية الثابتة، وحيث تم التحول التقني من المرحلة الرقمية ثنائية الأبعاد إلى المحتوى الرقمي ثلاثي الأبعاد فائق الدقة، وهو تطور من شأنه أن يصل بالمحتوى الرقمي إلى مراحل غير مسبوقة من حيث دقة الكتابات أو الأشكال والنماذج، وكمية التفاصيل التي تحتويه، وكذلك حجم المحتويات المنتجة.

قام العلماء بتصغير حجم عدسات مبتكرة حتى وصلت إلى حجم دقيق للغاية، يسمح بتثبيت ما يربو على: (١٢) ألف عدسة في الكاميرا الواحدة، كل منها يشكل كاميرا في حد ذاته، مما يسمح بالحصول على محتوى يوفر خريطة إلكترونية عميقة للشكل. وتحتوي على المسافات بين كل عدسة وكل جزء أو موضع من الشكل، ومن ثم بناء صورة ثلاثية الأبعاد فائقة الوضوح.

عند الاستخدام العملي بتوجيه مثل هذه الكاميرات إلى وجه شخص مثلا، فإنها بالإضافة إلى التقاط الشكل، تسجل بدقة المسافات بين العينين والأنف والأذن والذقن وغيرها، وبالتالي فإن كل هدف أو جزء من هدف يتم نسخه، يكون في بؤرة التركيز والوضوح، داخل محتوى الشكل سواء كان بعيدا أو قريبا، وعند التقاط المحتوى وإنتاجه في شكل رقمي، يمكن إبعاد أي من الأجزاء أو الأهداف عن بؤرة التركيز بواسطة البرمجيات المتخصصة في تحرير وتعديل الأشكال والنماذج.

التلاعب بتغيير أو تعديل المحتوى الرقمي

والشريعة من كمالها تتصدى للتصرفات غير المشروعة الضارة بالمجتمعات في كل زمان ومكان، فقد قررت الشريعة إلى جوار الضمان، حماية جنائية، حرصا على الحقوق الناشئة استخدام التكنولوجيا في بث الأشكال والنماذج ذات الأهمية العلمية والاجتماعية والاقتصادية، ذلك أن شريعتنا هي شريعة إقرار الحقوق وصيانتها، ألم يقل رب العالمين: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر: ٣٠).

ضربت شريعتنا الأمثلة العديدة في الجرائم ضد الحقيقة، ذلك ما فعله إخوة يوسف عليه السلام، ألقوه في غيابات الجب، وادعوا كذبا أنه أكله الذئب، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ (يوسف: ١٧ و١٨). وبنفس الجرم، فعلت ذلك زوجة العزيز بيوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (يوسف: ٢٥).

ونعلم جميعا ما أشاعه رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول، قتله الله... على الطاهرة زوج رسول الله ﷺ السيدة عائشة رضي الله عنها زورا وبهتانا بلسان كذب، قطعه الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور: ١١).

من جرائم انتهاك الحقيقة في زمننا، يجيء التلاعب بالمحتوى الرقمي سواء بالتغيير أو التعديل، وإليك أمثلة:

- كشفت تقارير جنائية وإعلامية عن العديد من هذه الجرائم، ففي الصين ضبط محتوى لشكل، تبين أنه غير حقيقي، بعد أن كانت قد حاز إحدى الجوائز، وفيها يظهر قطيع من ظباء التبت المهددة بالانقراض وهو غير مكترث بمرور قطار سريع بالقرب منه. وكان أنموذج المحتوى قد نشر سابقا في مئات الصحف الصينية بعد الافتتاح الوطني لخط السكة الحديدة، وقد لوحظ وجود مفارقات غريبة في الشكل، من قبيل أن بعض الظباء كانت

حوامل من دون أن يكون ثمة صغار بينها، خلافا للحال الذي يجب أن يكون في ذلك الوقت من العام عندما بدأ القطار بتسيير رحلاته، ثم أصبح الأمر واضحا بأن هناك تغيير في المحتوى عرض لاحقا في أحد أنفاق بكين، وقد بدت فيه عيوب أخرى كالخط الفاصل بين شكلين ألصقتا معا.

- شهدت الإعلانات السياسية عددا مذهلا من المحتويات التي عبث بها، وما زالت تعرض عبر شبكة الأنترنت، مثل النماذج التي يستخدمها الإعلام اليهودي في تشويه حقائق ما يجري في الأراضي الفلسطينية، ويظهر على خلاف الحقيقة محتوى أشكال غير حقيقي ضد أبناء الشعب الفلسطيني.

- دخلت جرائم التلاعب غير المشروع بالمحتوى، المجتمع العلمي أيضا، فقد نشرت مجلة مشهورة بحثا عن الخلايا الجذعية تناول (١١) مستعمرة من الخلايا الجذعية، ادعى الباحثون أنهم قاموا بصنعها. لكن تحقيقا مستقلا في القضية، خلص إلى أن تسعا من تلك المستعمرات كانت غير حقيقية، وتتضمن أشكالا مركبة من مستعمرتين أصليتين. كما ضبطت حالات أخرى تتصل بمخطوطات نشرت بمجلة علمية أخرى.

- هذا وما زالت تلك الجرائم الرقمية تمارس عبر المواد الإعلامية غير الأخلاقية... فمن السهولة مطالعة نماذج تشهير علني بخلق الله، عبر شبكات البث المختلفة، والقائمة تطول.

ضبط انتهاكات الحقوق الرقمية

شريعتنا حريصة على حقوق العباد جراء التصرفات غير الشرعية، لا مناص، تخول السلطات ضبط هذا النوع من الجرائم، كما في الاعتداء الرقمي علي نحو ما ذكر، فبحسب التوجيه القرآني في مادة، الضبط الجنائي، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

وهذه هي وظيفة الحسبة في التشريع الإسلامي، يقابلها اليوم نظام الشرطة والسلطات الأمنية المختصة، أولئك مسؤولون اليوم عن رصد تلك الجرائم، وتعرف آليات ارتكابها تقنيا وعلميا، يقول خبراء مكافحة مثل هذا النوع من الجرائم التقنية:

ما إن يتحول المحتوى إلى ملف رقمي على الكاميرا أو الحاسب، حتى تصبح الأشكال والنماذج مادة خام سهلة التشكل والتعديل والإضافة والحذف، بل والتلاعب من قبل برمجيات التحرير. وهذه القابلية العالية للتعديل والإضافة في المحتويات الرقمية، كانت وراء نشأة اتجاه عريض داخل صناعة تكنولوجيا المعلومات، يهتم بأدوات معالجة الأشكال والتحقق من أصالتها، وما تعرضت له من تعديل وتبديل وتلاعب، أي الوقوف على ما بها من زيف أو حقيقة.

ولقد طور الباحثون تشكيلة من الطرائق، التي تهدف إلى كشف العبث بالمحتويات الرقمية، ولكشف زيف المحتوى، يستخدم خبراء المعلوماتية تقنيات متعددة، منها طرق تكشف شذوذ في الإضاءة، كما في حالة أنموذج مركبة من شكلين مختلفتين، وطرق أخرى، تحدد مغايرة المحتوى باستجلاء مدى التغيير في الحجم الأصلي له، وغير ذلك من طرق توضح درجة شذوذ شكل مضغوط حاسوبيا، خلافا لأصله، وطرق توضح تقانة إدخال خلفية مغايرة على الخلفية الأصلية لأنموذج المحتوى. وأساليب أخرى تستطيع التحقق من تغيير وجوه الأشخاص على أجساد مختلفة... وهكذا.

عقوبة الاعتداء على المحتوى الرقمي

تغيير المحتوى يلحق أضرارا مادية وأدبية بالمجني عليه، بل إن ممارساته قد تصيب العامة بلا تخصيص، كمن يعرض محتويات لأشكال ضد الشعائر والممارسات الشرعية، فيظهرها بمظهر الوثنية وعلى خلاف حقيقتها، وما أكثر حروب تغيير الحقائق ضد المسلمين في كل مكان في الأرض.

وانطلاقا من نظرية المصالح والمقاصد الضرورية التي تقوم على حفظ الدين والنفس والعرض والنسل والمال، كانت الشريعة بالمرصاد لمغيّري الحقائق، بالنص على عقوبات جزائية رادعة، وهذا ما يوفره نظام التعزير الإسلامي الأصيل، لمواجهة الجرائم الناشئة عن التطور الحضاري، ومنها جرائم الاعتداء على المحتويات الرقمية. والشريعة واضحت في عقاب مرتكبيها. ذلك أن التعزير كنظام جنائي إسلامي، يتدخل حينما لا يكون هناك نص قطعي في الكتاب والسنة، على غرار الحدود الشرعية والقصاص والدية.

والتعزير مشروع في كل معصية ليس فيها حد، فيجوز توقيع العقوبات السالبة للحرية ضد الجناة في الجرائم الرقمية، كما يمكن توقيع عقوبات المصادرة والغرامة. وقد آن الأوان للمنظمين القانونيين التدخل بالنص على عقوبات الحبس تعزيرا للمجرمين الرقميين، في حدود المبادئ الكلية الشرعية، وصدق رب العالمين قال: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ (الكهف: ٨٧- ٨٨).



د. ربيعة بورقبة
باحثة في الدراسات الإسلامية



الظواهر السلبية في الشبكات الاجتماعية

إلى عهد قريب كان التواصل جد محدود داخل البلد الواحد، لكن شيئا فشيئا تتطور الوضع، بظهور وسائل التواصل، الأمر الذي حطم الحدود الجغرافيا، فأصبح اليوم بإمكاننا التواصل مع أكبر عدد من الناس من مختلف دول العالم. هذا التطور الرقمي طرح وما يزال يطرح إلى حدود مجموعة من القضايا الجوهرية التي تحتاج إلى التأمل، كتأثير التواصل الرقمي على الأطفال، أو استغلاله في نشر الأفكار العنصرية المتطرفة، وذلك تأثيره على هويات الشعوب. نتعرف هنا على جانب من الموضوع كما قاربته العالمة والكاتبة البريطانية المتخصصة في فسيولوجيا العقل.

بدأت سوزان حديثها عن موضوع التواصل الاجتماعي بقصة فتاة اسمها ميغان ماير تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاما، وتعيش في ولاية ميزوري عندما بدأت، وفي العام: (٢٠٠٦م)، تتواصل عبر الإنترنت مع صبي يدعو جوش إيفانز.

في البداية بدا جوش لطيفا، ولكنه بعد ذلك أصبح منتقدا ومهينا على نحو متزايد؛ فأخبر ميغان بأنها شخص من السوء بحيث ينبغي عليها أن تقتل نفسها. وفي الواقع أن جوش هذا لم يكن سوى والدة صديق ميغان السابق.

هذه القصة حسب سوزان «تدل ليس فقط على مدى سهولة تبني شخصية مختلفة تماما ولكنها، وهو الأمر الأكثر أهمية بكثير، توضح كذلك الآثار التي يمكن أن يسببها مثل هذا التنمر: لقد فعلت ميغان كما قيل لها وشنقت نفسها». هذا يعني أننا أمام واقع خطير متزايد خصوصا مع التطور الرقمي.

انطلاقا من ذلك ترى سوزان أن عرضة المراهقين للأشكال المصححة sanitized، على الرغم من كونها أقل ثراء وأقل تعددية في الأبعاد، ومن التواصل، وميلهم المرتبط بالعمر نحو المخاطر، وتوافر التواصل عبر شبكات التواصل الاجتماعي. واللقطة غير المحررة وغير الواقعية التي تعرضها مواقع التواصل الاجتماعي الحالية عما يمكن أن يخطط له الجميع تمثل جميعها عوامل قد يثبت كونها مزيجا مسكرا لبعض الأفراد، الذين يمكنهم بعد ذلك التصرف بطرق مختلفة تؤثر في المجتمع ككل في نهاية المطاف. وفي العام (٢٠١٢م)، أظهر استطلاع

للرأي أجري في الولايات المتحدة، وكندا، والمملكة المتحدة، وأستراليا زيادة صارخة في عدد حالات الانتحار الناتجة عن التنمر عبر الإنترنت cyber- bullying، حيث وقع (٥٦) في المائة من الحالات خلال السنوات السبع السابقة، و(٤٤) في المائة من الحالات خلال الخمسة عشر شهرا السابقة. هذه الأرقام مخيفة جدا، بمعنى الآن نحن أمام تحديات كبرى، تحديات يفرضها العصر الرقمي.

رغم الخطورة المشار إليها، نجد هناك من يجادل بأن آثار الثقافة الرقمية للتنمر عن الإنترنت ليس مدعاة للقلق، لأن الوسط نفسه غير ذي صلة.

وعلى سبيل المثال، فإن دان أولويوس، الذي يدير برنامج منع التنمر في جامعة كليمسون، وجد في عينة كبيرة من صغار المراهقين أن هناك درجة عالية من التداخل بين أولئك الذين يتنمرون بالطرق التقليدية وأولئك الذين ينخرطون في التنمر عير الإنترنت. فقد كان (١٠) في المائة من الضحايا أو المتنمرين الجدد في عينة من الولايات المتحدة يمارسون التنمر عبر الإنترنت فقط، بحيث لك يكونوا ضحايا او متنمرين بالطريقة التقليدية.

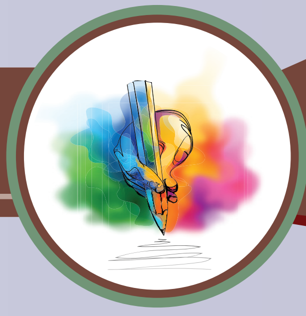
يقول أولويوس إن هذا يمثل نسبة ضئيلة للغاية، حيث يقول: «هذه النتائج تشير إلى أن وسائل الإعلام الإلكترونية الجديدة قد افرزت بالفعل عدد قليلا من الضحايا المتنمرين الجدد. إن التعرض للتنمر عبر الإنترنت أو ممارسته مع الطلاب الآخرين يبدو إلى حد كبير أنه يمثل جزءا من نمط عام للتنمر، حيث استخدام وسائل الإعلام الإلكترونية هو مجرد واحد فقط من الأنماط الممكنة، بالإضافة إلى كونه نمطا منخفض الانتشار للغاية».

إن ما ذهب إليه أولويوس لا يجب أن ينسينا خطورة التنمر التي تحدث حالة من الفوضى التي تتحول من الافتراضي إلى الواقعي.

هناك ظاهرة أخرى، مثل التنمر، حيث تبرز أسوأ ما في الطبيعة البشرية، والتي – مثل الصفع- لا يمكنها أن تحدث بالفعل إلا على شبكة الإنترنت. هذه الظاهرة هي ظاهرة «التصيد» trolling ومفهومه هو الشخص الذي يتبنى موقفا هجوميا أو مثيرا للجدل من أجل إزعاج الآخرين أو إثارة ردود فعل عاطفية. تقول سوزان «يمكن لمستخدمي الإنترنت الناضجين والمحنكين أخذ تعليقات المتصيدين بالقدر الملائم من الشك، لا سيما إذا كانت التعليقات ذكية أكثر من كونها شريرة، لكن المستخدمين الأشد حساسية أو الضحايا من الشبان السريعي التأثر قد يشعرون بالإهانة أو بتقويض احترامهم للذات ولثقتهم بأنفسهم». وتذكر سوزان أن واحدة من الحالات المؤسفة، اتصل متصيدو الإنترنت بأم ثكلى، وتظاهروا بأن ابنتها الصغيرة الميتة تتصل بها من الجحيم. وعلى الرغم من أن هذا المثال قد يكون متطرفا – حسب سوزان- فإنه يوضح كيف أدت بيئة ذات وصول عالمي واسع النطاق، والتي تتسم بتضاؤل المسؤولية، وإخفاء الهوية. جنبا إلى جنب مع غياب تجربة العلاقات الشخصية، إلى دفع التصيد إلى آفاق جديدة، أو بشكل أكثر دقة إلى مستويات أدنى.

السؤال المطروح هل شبكات التواصل الاجتماعي مظلمة إلى هذه الدرجة؟ ترى سوزان أنه على الرغم من تراكم الأدلة على الجانب المظلم من شبكات التواصل الاجتماعي، فإن قدرتها على نشر المعلومات بسرعة فائقة في البلدان التي يمكن فيها قمع المعلومات أو التحكم فيها تمثل أداة بالغة الأهمية. فالشبكات الاجتماعية تمثل وسلة فعالة لزيادة الوعي العالمي بين المستخدمين. ونشر الوعي بالمحن الإنسانية، ونشر المعرفة والتواصل بين شعوب العالم. تقول سوزان «استنادا إلى مقابلات أجريت مع عدد من المراهقين والشبان، استكشفت إحدى الدراسات مدى اشتمال نهج الشباب في الحياة على الإنترنت على اعتبارات معنوية أو أخلاقية. أظهرت البيانات أن التفكير الفردي كان هو التركيز الأساسي عند اتخاذ القرارات على الإنترنت؛ أما التفكير المرتكز على المجتمع فكان أقلها انتشارا. وعلاوة على ذلك، فقد كان في وسع الأغلبية الساحقة من المشاركين في هذه الدراسة تحديد حالة واحدة على الأقل قللوا فيها من أهمية العناصر المعنوية للأنشطة التي تتم عبر الإنترنت، مما يشير إلى أن الأفراد لديهم قدر أكبر من التسامح تجاه السلوكيات غير الأخلاقية على الإنترنت».

في الختام يمكن القول مع سوزان إن الفيسبوك وتويتر والمواقع المشابهة لهما تقدم وعدا بأن تكون على الدوام متصلا، ومرغوبا، ومثيرا للإعجاب، وحتى محبوبا. لقد جلبت تلك المواقع إلى مجتمعنا تفسيرات للهوية والعلاقات تتحدى القيم والأخلاق الحالية، وذلك بطريقة لم تكن متخيلة حتى قبل عقد واحد من الزمان.



د. محمود صالح البيلي
دكتوراه في الأدب والنقد

من العلماء الأدباء

د. عبد الحليم منتصر وتبسيط العلوم

في كتابه «ذكريات عطرة وخواطر عابرة» يبين الدكتور عبد الحليم منتصر كيف طبقت شهرته آفاق العالم الغربي، فكان يقابل بالإكرام والتقدير، بينما هو في وطنه مغمور إلا لدى النفر القليل من القراء الذين يتابعون ما ينشر عبر بعض المجلات، فيقول: كنت في لندن أزور المتحف البريطاني، وأردت الدخول إلى المكتبة الشرقية الغنية بالمخطوطات العربية، وسألني الأمين عن اسمي فقلت: منتصر، قال: منتصر عبد الحليم؟ قلت: نعم، فأذن لي بالدخول دون مراجعة أو تدقيق، وتبين لي أنهم يجمعون ويؤرشفون ما أكتبه عن التراث العلمي العربي، وترددت على المتحف على مدى عشرين يوما، كنت خلالها أقابل بالترحيب والإكرام، وقد حدث نفس الشيء في برلين حينما ذهبت إلى المكتبة الشرقية بها لمراجعة بعض المخطوطات، وأذكر بهذه المناسبة أني خرجت يوما من محاضرة في معهد الدراسات الإسلامية، وإذا بشخص يسأل عني، واتضح أنه يوغسلافي، وأنه انتهز فرصة وجوده في مصر ليلقاني ويقدم لي بضعة أعداد من صحيفة يوغسلافية ترجم فيها فصلا كنت قدمته إلى اليونسكو عن «العلوم عند العرب»، فنقله إلى اليوغسلافية



في بضعة أعداد متتابعة من الجريدة، وصمم على أن يلقاني ليقدمها إلي، فشكرت له صنيعه، وقلت في نفسي: كم في بلدنا مصر ممن يعرفون العبد الفقير؟!(1).

فمن هو هذا العلم المشهور المغمور الذي يعد من كتاب المقال العلمي المتأدب وأحد رواده الأفذاذ؟ وما دوره في تبسيط العلوم ونشر الثقافة العلمية بين ربوع العالم العربي؟

عبد الحليم منتصر سيرة ومسيرة

ولد الدكتور (عبد الحليم منتصر) بإحدى قرى مركز فارسكور، بمحافظة دمياط، في سنة: (١٩٠٨م)، وأتم دراسته الابتدائية بمدرسة فارسكور الابتدائية، ثم حصل على شهادة الدراسة الثانوية من مدرسة الجيزة الثانوية، والتحق بكلية العلوم بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة) ليتخرج فيها سنة: (١٩٣١م) حاصلا على درجة البكالوريوس في العلوم متخصصا في علم النبات، ثم حصل على الماجستير سنة: (١٩٣٣م)، وأوفد في بعثة إلى إنجلترا وسويسرا؛ وحصل علي درجة الدكتوراه سنة: (١٩٣٨م)، وقد تدرج في وظائف التدريس بالجامعة منذ تخرجه إلى أن عين أستاذا للنبات بكلية العلوم بجامعة عين شمس، ثم عميدا لها، ثم اختارته حكومة الكويت مديرا لجامعتها المنشأة، وبقي هناك حتى سنة: (١٩٦٤م)، ثم عمل أستاذا متفرغا منذ عام: (١٩٦٨م) إلى أن لبى نداء ربه عام: (١٩٩٢م).

بعض نشاطاته العلمية

والدكتور (عبد الحليم منتصر) عالم نباتي ضليع في اللغة والأدب العربي، وله نشاط متعدد النواحي؛ فقد كان عضوا عاملا في عدة جمعيات علمية: فقد شغل منصب نقيب المهن العلمية لعدة سنين، وكان رئيس تحرير مجلة: (رسالة العلم) التي تصدرها جمعية خريجي كليات العلوم، والأمين العام للاتحاد العلمي العربي، والأمين العام للمؤتمرات والدورات العلمية

التي ينظمها الاتحاد العلمي العربي، والمشرف على المطبوعات والكتب للاتحاد العلمي العربي والمصري، وكان عضوا في عدد من الجمعيات العلمية الأمريكية، والبريطانية، والهندية، كما اشترك مع الأستاذ العقاد قبيل وفاة الأخير في الإشراف على سلسلة «تراث الإنسانية» التي كانت تصدرها الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، وانتخب عضوا بمجمع اللغة العربية سنة: (١٩٥٨م).

بعض جوائزه

وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية في العلوم، ووسام الاستحقاق عام: (١٩٨٦م)، وقد منحته الجمعية البيوجرافية الدولية بكمبردج شهادة تقديرية في العلم، كما اختارته الجمعية الدولية الأمريكية واحدا من الرواد الممتازين في العلم، وقد منحته رابطة الأدب الحديث في مصر شهادة زمالة فخرية في الأدب تقديرا له.

من مؤلفاته

يعد الدكتور (منتصر) صاحب مدرسة في بحوث علم البيئة النباتية، وله في هذا المجال نحو سبعين بحثا مبتكرا، كلها منشورة في المجلات العلمية المتخصصة، وقد أجراها بمفرده أو بالاشتراك مع تلاميذه، وكان من مظاهر التقدير لبحوثه أن اختارته الجمعيات العلمية الأجنبية عضوا بها، كما اختارته جامعات أجنبية ممتحنا لرسائل الدكتوراه فيها، ومن مؤلفاته: حياة النبات - نباتات مصر - الوراثة والجنس. ومن ترجماته أو مراجعته: العلم في حياتنا اليومية قادة العلم في العصر الحديث تاريخ العلم عند العرب[٢].

تبسيطه للعلوم

يعد الدكتور (عبد الحليم منتصر) رائد من رواد النهضة العلمية في العصر الحديث، وأحد قادة نشر الثقافة العلمية باللغة العربية؛ فقد قاد دعوة موفقة لتعريب العلم، وتدريس العلوم في الجامعات باللغة العربية، كان قد أنشأ جمعية أنصار اللغة العربية بكلية العلوم، وكانت المجلة الخاصة بتلك الجمعية التي رئس تحريرها منذ إنشائها مدرسة للمشتغلين بالعلم، ينشرون بها نتائج قرائحهم مع ترجمة المصطلحات العلمية.

وفي سبيل نشر الثقافة العلمية باللغة العربية اضطلع الدكتور (منتصر) بالإشراف على نشر عدد كبير من الكتب السنوية، أو مجموعات المحاضرات، والبحوث والدراسات، التي تنشرها الهيئات العلمية المختلفة، مما يقدر بنحو ثلاثين مجلدا، كما قام بنشر عدد من الكتب العلمية المبسطة، والمقالات العديدة في الصحف والمجلات، لا في مصر وحدها، بل في كثير من البلدان العربية مثل: دمشق، وبيروت، والرياض، والكويت، وقد نشرت له بحوث عديدة في مجلة الهلال، والمصور، والأهرام، والسياسة الأسبوعية، والثقافة، والرسالة، والقافلة، والعربي، مما لا يكاد يقع تحت حصر، وما لو عني بجمعه لملأ مجلدات ضخمة[٣].

الموجز في علم النبات العام

المؤلف
عبد الحليم منتصر، عوض فقير فرح

قال عنه الدكتور محمد مهدي علام في تقديمه عضوا بمجمع اللغة العربية: أما غيرته على اللغة العربية فقد صارت فيه طبيعة، تشهد عليها تصانيفه العلمية باللغة العربية، وسعيه المتواصل في أن تكون هذه اللغة هي التي تدرس بها العلوم في الجامعات[٤].

وبعد تعديد بعض أسماء العلماء الأدباء قال عنه الدكتور (محمد فتحي): «أما الدكتور (منتصر) فقد ترجم وألف في علم النبات، وفي تاريخ العلم، وفي غيرهما من مجالات العلم والمعرفة، كما كان له إسهام كبير في وضع المصطلحات العلمية، وتبسيط العلوم؛ فهو من الرعيل الأول في مجمع اللغة العربية، وهكذا فقد جمع... بين الثقافتين: الثقافة العلمية المهنية بحكم تخصصه، ثم أضاف إليها الثقافة بمعناها العام»[٥].

سمات المقال العلمي لدى منتصر

احتوى المقال لدى الدكتور منتصر على سمات عديدة ازدحمت بها مقالاته، غير أن المجال يضيق عن سردها جميعا، ولذا فقد اقتصرت على بعضها تمشيا مع طبيعة المقال الذي نحن بصدده، وقد انتخبت منها على سبيل المثال لا الحصر:

التأثر بالنصوص البليغة

زخر المقال العلمي المتأدب لدى الدكتور منتصر بكثير من صور التأثر بالنصوص البليغة؛ حتى قل أن تجد مقالا يخلو من استشهاد بقول بليغ بلفظه، أو باستلهام روحه ومعناه؛ وما ذلك إلا لمعرفة كاتبنا التامة أن فصيح الكلام يغلف المقالة بغلالة رقيقة من المتعة والرواء؛ فالنصوص

المقتبسة تضفي على الأدب المقالي نصاعة وبهاء، قل أن يوجدا من دون أن يتريض الكاتب في شتى بساتين البلاغة؛ فيقطف زهرة من هنا، أو يجني ثمرة من هناك، أو يغوص في بحور تلك النصوص الزاخرة التي أثبت الزمان ديمومة فصاحتها؛ فيؤوب بصيد ثمين من الدر المكنون، ينثره في تضاعيف مقاله، ومن المصادر البلاغية الرائقة التي استقى منها الكاتب بعض جواهرها التي نثرها بين جنبات مقالاته: القرآن الكريم (اقتباسا)، والشعر العربي البليغ (تضمينا) ويظهر ذلك في مقالاته بكل وضوح، ويلتمس من غير عسر.

فمن صور الاقتباس القرآني أن تستلهم الآية بمعناها؛ حيث يورد الكاتب المعنى من القرآن الكريم، دون النص عليه بصيغته، ويوظفه في مكانه المناسب من النص المقالي دون الإشارة إلى أنه من الكتاب الشريف؛ بيد أن الاستعانة بالمعنى القرآني لا تخفى على المتفحص، ومن هذا القبيل ما جاء في مقال (الكواكب والناس) يتحدث فيه الدكتور (منتصر) عن الكواكب، ونظرة البشر إليها، وطموحاتهم تجاهها، فيقول عن الإنسان: «وإنه ليحلم بارتياد الفضاء، يريد أن يغزو الكواكب، بعد أن ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وظن أنه قادر عليها؛ فقد استذل قواها لسلطانه»[٦].

والشعر العربي معين للحكمة لا ينضب، وينبوع للبلاغة لا يغور، فلما وجد كاتب أو أديب إلا نهل منه ما يزين به بيانه، ويرصع به مقاله، ويجمل به منطقه، ويحسن به صوره؛ ولذا فإن الدكتور منتصر كان يستأنس بالشعر العربي الفصيح في أثناء مقالاته؛ لإثراء صوره، أو تأكيد فكرة عنت له، أو كان يوظفه في مكانه اللائق للتدليل على معنى ارتضاه، أو خدمة لغرض ارتآه؛ كأن يشوب المادة العلمية الصرف بشيء منه؛ تخفيفا من ثقل وقعها، أو دفعا للسأم الناشئ جرائها، ومن ذلك ما ورد في مقال (الربيع والعلم والأحياء) متحدثا عن الطيور: «فهذه الطيور التي تصدح، وتغرد، وتشدو، بمختلف الأنغام، وإن صح قول أبي العلاء:

أبكت تلكم الحمامة أم غنت

على فرع غصنها المياد»[٧].

ثم يستطرد في عرض موضوع مقاله الذي لا يخلو من أمثال هذا التضمين الشعري.

الاستعانة بالجملة الخبرية والإنشائية

قسم البلاغيون الكلام إلى: خبر، وإنشاء وجعلوا لكل منهما غرضا ومناسبة، فكان الغرض من إيراد الأسلوب الخبري؛ تقرير المعنى وتوضيحه، ومناسبته تتأتى حين يعرض الكاتب حقائق واقعة لا مرية فيها، أو عندما يروم التأثير في عقل المخاطب لإفهامه ما كان يجهل، أما الأسلوب الإنشائي فغالبا ما يستدعيه الأديب؛ رغبة في إثارة ذهن المخاطب، ومداعبة مشاعره، وإيقاظ أحاسيسه، والتأثير في وجدانه، ولذا فإن المقال العلمي المتأدب لدى الدكتور عبد الحليم يتكئ في تكوينه بكثرة على الجمل الخبرية؛ لما بينهما من تلاق في الهدف، ومناسبة في الطبيعة، وهذا أكثر من أن يدلل عليه لأنه يشمل الفضاء الأوسع للمقال لديه وعندما يميل إلى الأسلوب الإنشائي، فإنما يقدم على ذلك؛ لجذب انتباه القارئ، وإثارة مشاعره، وتشويقه لتقصي جزئيات المقال، وحينما يجمع بين الأسلوبين الخبري والإنشائي؛ فإنما يريد للقارئ أن يشاركه أفكاره بإفادته مضمون الخبر وتوضيح جزئياته، وليثير ذهنه، ويجذب انتباهه، ويبعد عنه الملل، بالتنوع في أساليب الخطاب؛ مما يكسب الموضوع الحيوية، والتدفق، والتلوين، والتشويق.

فتجده يصدر بعض تراكيبه في المقال العلمي المتأدب بالاستفهام، الذي غالبا ما يخرج عن معناه الأصلي الحقيقي وهو طلب العلم بمجهول إلى معنى مجازي فتراه يتوسل بالاستفهام التعجبي؛ لإضفاء جو من الاندهاش والعمق لفكرته، ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء في مقال (الربيع والعلم والأحياء): «فماذا عسى أن يكون هذا التأثير الذي لا يكاد يتبدى إلا في الربيع؟... وأي سحر هذا الذي يبعثه الربيع في الأحياء؛ فتصحو بعد طول سبات وتنشط بعد طول خمول؟!... وكيف يبعث الربيع هذه المياه الدافعة الدافقة؛ لتلعب الكائنات دورها، وتؤدي وظائفها الحيوية؟!»[٨].

وقد يجمع بين الخبر والإنشاء في سياق واحد، كما فعل في مقال (ميكروبات صديقة) متحدثا عن عمل بعض أنواع البكتيريا النافعة: «عندما تموت هذه الكائنات من نبات أو حيوان، تهاجمها ملايين الكائنات البكتيرية الدقيقة؛ لتحيل جسمها إلى مركبات بسيطة، تغتذي الكائنات الصاعدة بها، فهل نستطيع أن نتصور سطح الأرض، وقد تغطى برمم الكائنات منذ الخليقة؟ فكيف تستقيم أسباب الحياة، والتكاثر، والانتشار لألوف الأنواع من الكائنات النباتية، والحيوانية؟ وكيف تتابع دورة الحياة ما لم تفعل هذه الميكروبات فعلها، وتلعب دورها في تحليل المواد العضوية المعقدة، من بروتينات، ودهون إلى مواد بسيطة سهلة يمتصها النبات

النامي، ويتغذى بها؟»[٩].

الإيقاع الموسيقي

يغص المقال لدى الدكتور منتصر بالنغم المتنوع، والإيقاع المتدفق للموسيقى الداخلية فضلا عن الموسيقى الخارجية التي تفيض بها المحسنات البديعية التي لها دور مهم في منح المقال جرسا بديعا؛ بما تحدثه من انسجام وموسيقا رقيقة تجذب القارئ، وتحضه على مطالعة المقال في شغف، وتجعل ذهنه متوقدا، ونفسه متأثرة، ويصحبه هذا الشعور إلى أن يصل إلى مرفأ النهاية، وقد رجع بزاد العقل ومتعة النفس جميعا، مع مراعاة أن تتساقط أنواعها على صفحة المقال تساقط الطل الذي ينعش ويبهج، وليس انهمار السيل الذي يغرق ويهلك.

وقد ارتكز الإيقاع في المقال العلمي المتأدب لدى الدكتور منتصر على عدة مكونات بديعية منها السجع، ومنه على سبيل المثال، ما تحدث به في مقال (الفكر العلمي المعاصر) عن العقل البشري، الذي استطاع بما أوتي من قدرة وموهبة، وما اكتسب من خبرة ومران؛ أن يصنف المعارف والعلوم: «ويوضح ما بينها من صلات، واستطاع كذلك أن يجمع الحقائق ويسجل الملاحظات، ويجري التجارب والمشاهدات والاختبارات، وأن يستنبط القوانين والنظريات»[١٠].

ومن مكونات الإيقاع التي وظفها في مقالاته المقابلة مثلما ورد في مقال (عالم الدقاق من الأحياء): «ومع ذلك فإنها حية تنمو وتتكاثر، وتكون في عداوتها شديدة الضراوة، وفي صحبتها شديدة النفع والوفاء»[١١].

التنوع في الخاتمة

تعد خاتمة المقال بمنزلة الرسالة الأخيرة التي يمررها الكاتب على عقل وشعور القارئ إيذانا بأن رحلته عبر منازل المقال، وتجوله بين تفاصيله وعناصره على وشك الانتهاء ومن ثم فإن لها أثرا يبقى، ومذاقا يمتد، بعد أن يفرغ القارئ من مطالعة المقال بكل دقائقه؛ فآخر الصور مشاهدة أكثرها علوقا بالذهن، وختام ما يتناول من الوجبة أدوم أثرا في الحلق.

وللخاتمة في المقال العلمي المتأدب لدى الدكتور منتصر طرائق وأشكال متعددة، فمنها تلك الخاتمة التساؤلية التي يدفع فيها المتلقي دفعا إلى التفكير، وربما إلى إعادة قراءة المقال التي ختم بها مقاله (ميكروبات صديقة): «أترانا نعدو الحق إن قلنا إن هذه الميكروبات صديقة، وأن أسباب الحياة لا تستقيم بدونها؟ وأن الذي برأها قد جعل لها دورا أساسيا تقوم به في خدمة الإنسان، والنبات، والحيوان؛ لكي تتكامل الحياة على الأرض؟ فهي كائنات صغيرة الحجم، عظيمة القدر!»[١٢].

وقد ترد الخاتمة لديه على شكل استشراف مستقبلي متنوع الألوان، ومن ضمنه أن يصاغ على هيئة إعلام بمقال لاحق يعد مكملا لفكرة المقال الحالي، وفي بعض الأحيان يلخص الكاتب أفكار المقال القادم؛ إغراء للقارئ بترقبه، بشيء من الاشتياق والفضول، ومن ذلك ما ختم به مقال (الزنك كعنصر أساسي لنمو النبات): «ما هي أعراض هذا المرض؟ وكيف نشخصه بدقة؟ وما هي طرائق علاجه بمركبات الزنك؟ سيكون ذلك موضوع حديثنا في عدد الرسالة المقبل»[١٣].

رحم الله الدكتور عبد الحليم منتصر رحمة واسعة وأبقى ذكره في الخالدين جزاء ما قدم من علم نفع به الناطقين بالضاد من أبناء أمته.

الهوامش

١- ينظر: ذكريات عطرة وخواطر عابرة، د. عبد الحليم منتصر، ص١٢٦/ ١٢٧، دار المعارف.
٢- ينظر: المجمعيون في خمسين عاما: د. محمد مهدي علام، ص١٤٣ - ١٤٥. وفرسان الثقافتين: د.محمد فتحي فرج، ص٩٧ - ١٠٨.
٣- ينظر: المجمعيون في خمسين عاما: د. محمد مهدي علام، ص ١٤٣ - ١٤٥. وفرسان الثقافتين: د.محمد فتحي فرج، ص٩٧ - ١٠٨.
٤- ينظر: المجمعيون في خمسين عاما: د. محمد مهدي علام.
٥- فرسان الثقافتين: د. محمد فتحي فرج، ص٩٨.
٦- مقال: الكواكب والناس: د. عبدالحليم منتصر، ص ٢٣، مجلة الهلال، العدد رقم ١٢، ١ ديسمبر ١٩٥٨م.
٧- مقال: الربيع والعلم والأحياء: د.عبد الحليم منتصر، ص٨٢، مجلة الهلال، العدد رقم ٥، ١ مايو١٩٦٠م. والبيت في ديوان سقط الزند: المعري، ص ٧.
٨- مقال: الربيع والعلم والأحياء: د. عبد الحليم منتصر، ص٨٢، مجلة الهلال، العدد رقم ٥، ١ مايو١٩٦٠م.
٩- مقال: مكروبات صديقة: د. عبدالحليم منتصر، ص٦٠. مجلة العربي، العدد رقم ٥٣، ١ أبريل ١٩٦٣م
١٠- مقال: الفكر العلمي المعاصر: د.عبد الحليم منتصر، ص ٦٢، مجلة الفكر المعاصر، العدد رقم ١١، ١ يناير ١٩٦٦م.
١١- مقال: عالم الدقاق من الأحياء: د. عبد الحليم منتصر، ص ١٠٥، مجلة العربي، العدد رقم ٩٤، ١ سبتمبر ١٩٦٦م.
١٢- مقال: مكروبات صديقة: د. عبدالحليم منتصر، ص ٦١، مجلة العربي، العدد رقم ٥٣، ١ أبريل ١٩٦٣م.
١٣- مقال: الزنك كعنصر أساسي لنمو النبات: د. عبد الحليم منتصر، ص ١٩٤٩، مجلة الرسالة، العدد رقم ٢٣٠، ٢٩ نوفمبر ١٩٣٧م.



مياسة النخلاني
قاصة يمنية

عودة

لم يكن الطريق مزدحما لكنه شعر أنه عاجز عن تجاوزه والانتقال للشارع الآخر حيث يقع منزله الذي عاش فيه أكثر من خمسة عشر عاما، هل تباطأت خطواته أم أنه علق - بدون قصد- في الازدحام المكتظ داخل عقله؟؟

توقف في منتصف الطريق، ألقى نظرة على الشارع الهادئ قبل أن يستند على جذع الشجرة القريبة منه... كيف حدث هذا؟!... متى أصبح عالقا في هذه الدائرة المفرغة التي أصبحت تقتات على طاقته وعمره دون أن تعطيه شيئا بالمقابل؟!

كان في الخامسة والثلاثين من عمره، شابا يافعا مفعما بالحياة، أحلامه تجاوزت الأفق، طموحه لم يعترف بحدود أو حواجز، لا يكل ولا يمل، لا يداخل اليأس قلبه مهما تلقى من صدمات وخيبات، لا يكف عن المحاولة مهما وقع، حتى يحقق مراده، يرفض الاستسلام أو أن يكون شخصا عاديا يضيع بين الجموع المتدافعة حوله، لا يهم أين يكون ولا ماذا يفعل، لكن إن وضع أمام أي باب لابد أن يفتحه مهما طال

الوقت، إن وجد أمامه مسارا لابد أن يخوضه حتى النهاية، لا يقبل أبدا بنصف نجاح أو إنجاز هزيل... طالما شعر أن في أعماقه طاقات أكبر من حجم جسده الذي كان هزيلا يوما ما.

كان في الخامسة والثلاثين حين شعر أنه بدأ أخيرا يحصد ثمرة كفاحه الطويل، وبدأ أولى خطواته الحقيقية في طريقه الذي حدده لنفسه، فجأة وجد أنه تجاوز الأربعين ببضع سنوات، لا يعلم حقا متى وكيف بلغ هذا العمر، ثماني سنوات من عمره لا يفهم كيف تبخرت وتلاشت معها روح متقدة عاشت في أعماقه سنوات طويلة، ما الذي صنعه خلال هذه السنوات الضائعة من حياته، أين ذهب الشاب المشرق الذي كان عليه يوما ما ليجد أنه يقف فجأة أمام رجل في منتصف العمر، لا هم له إلا متى ينهي ساعات دوامه المملة ليعود لمنزله، يقلب في هاتفه بضع ساعات دون هدف، قبل أن ينام استعدادا ليوم ممل آخر، ينتظر بصبر نافد راتبه الشهري، يمسكه بيد ليتبخر قبل أن يصل لليد الأخرى، فينتظر مجددا راتب الشهر القادم، ولا هم له إلا كيف ينتهي الشهر دون الحاجة لأن يتدين أو يتقشف أكثر من اللازم.

يمضي أيامه الطويلة بعمل روتيني ينهيه خلال أول ساعة من الدوام، ليمضي بقية اليوم محدقا بشاشة لجهازه وحين يتعب من التحديق يفتح لعبة تافهة يقتل من خلالها بقية ساعات العمل.

ترى متى بدأ كل هذا؟! متى أصبح الشخص الذي عليه الآن؟! متى أصبحت أقصى أمنياته أن يبدأ العام الجديد بزيادة هزيلة براتبه وترقية لا تكاد تأتي بدرجته الوظيفية؟؟!

مضت سنوات منذ أن أصبح لا يعنيه نوعية العمل الذي ينجزه بقدر ما يعنيه أن ينهيه فقط، ينتهي ليعود لبيته وينام ثم ينهض مجددا لعمله بحلقة مفرغة تدور دون توقف.. تكاد أن تتلاشى مهاراته التي عمل عليها لسنوات طويلة حتى كان يضرب به المثل بمدى تميزه.

يكاد أن ينسى آخر مرة اهتم بدروس ومستوى أولاده وأصبحت كل مناقشته حول رسوم دراستهم والمصاريف التي لا تنتهي.

تنهد بعمق، تحسس رقبته متألما فثمة حبل غير مرئي يلتف حولها ويضيق عليها الخناق، خرج هاربا من أفكاره واكتفى بمراقبة الشارع الذي أصبح هادئا تماما خلال هذه الساعة من المساء، كم هي المرات التي تجاوزه فيها ذهابا وإيابا خلال خمسة عشر عاما، لابد أنها الآلاف من المرات، رغم ذلك فثمة تفاصيل وتحديثات جديدة طرأت عليه، لم ينتبه لها ولو لمرة واحدة، فقد توقف منذ زمن طويل عن التحديق حوله واكتفى بمتابعة خطواته الرتيبة...

هذا غير صحيح أبدا. ردده بصوت خافت بينما تنامت في أعماقه بذرة ظلت مدفونة لوقت طويل، شعر بها تحاول نفض التراب عنها لتعاود النمو مجددا.

لا ينبغي أن ينتهي الأمر بهذه الطريقة. هذه المرة ردده عقله بصوت أعلى قليلا فيما أحجم لسانه عن التفوه بها، فأكثر ما أصبح يخشاه هو التغيير، فبعد أن كان يمقت الرتابة والروتين والاستمرار على نمط واحد لأكثر من عامين متتالين، أصبح يخاف التغيير أكثر، يخشى الانتقال لمنزل جديد، تخيفه فكرة البحث عن عمل بديل أو مصدر دخل آخر، حتى ثيابه أصبحت كلها بألوان متشابهة يتحاشى تجربة لون آخر أو موديلا حديثا.

حك رأسه بتذمر وهو يردد: لماذا؟! لماذا أصبحت الشخص الذي كنت أكرهه يوما ما؟! وقبل أن يحاول البحث عن إجابه أخرجه من أفكاره صوت رنين هاتفه، تأمله للحظات قبل أن يلغي المكالمة.

حسنا لنعد إلى المنزل الآن. قالها وهو يعيد الهاتف لجيبه، واصل سيره وهو يجول ببصره حوله مبديا إعجابه وأحيانا انبهاره بالتغيرات الجديدة التي طرأت على الشارع.



محمود مصطفى حلمي
كاتب وقاص

تاج الوقار

أصابتني قشعريرة شديدة، كان جسدي ينتفض بسرعة وكانت أناملي تتراقص وأسناني تصطك، شعرت بالفرحة المختلطة بالندم تلف جوانب قلبي وكانت الدموع تنهمر من عيني كالشلال الذي لا ينضب، أبدا لم أكن أنا ذلك الصبي الذي كان يفر كل يوم من الكتاب، أبدا لم يكن أنا في تلك اللحظة.

طوال عمري كنت أبتعد عن القرآن، ليس كرها والعياذ بالله، ولكن ربما جهلا أو عنادا غير مبرر، في صغري كان أبي يبعثني إلى كتاب الشيخ عثمان لأحفظ القرآن، كنت أجلس وأقرأ وراءه، ولكني لم أنجح في الحفظ قط، وبسبب هذا كنت تقريبا أتعرض للضرب كل يوم، حتى اعتاد جسدي على ذلك العذاب، رغم غلظة الشيخ عثمان وقسوة ضرباته في كل أنحاء جسدي، لكن عقلي لم يكن لديه القدرة على الحفظ أبدا، ربما كان ذلك لأني كنت ضعيفا في الحفظ أو ما شابه، أو على الأرجح أني كنت أجتهد في إقناع نفسي بذلك، لم أنس أبدا يوم أن فاض الكيل بالشيخ عثمان فجذبني من ياقة قميصي بشدة حتى كاد أن يخنقني وهو يصيح في:

-ستحفظ يا منصور، عاجلا أم أجلا، وستحفظ بالعقل أو بالسوط.

كنت أنزوي في ناحية من الكتاب وأبكي بحرقة، لا أعلم لماذا لا أستطيع الحفظ؟ بالتأكيد الحفظ، بالتأكيد أريد أن أرحم نفسي من ضربات الشيخ عثمان ومن سخط أبي ومن تنمر زملائي من الصبيان علي، لكني كنت أجهل الطريقة ليس إلا، حاولت كثيرا وفشلت، حاولت حتى مر قطار الطفولة من أمامي دون أن أحفظ شيئا من القرآن، وكانت تلك هي وصمة العار التي لحقت بي طوال حياتي، كان أبي رغم حبه لي لا يتورع في إخفاء ذلك السخط الذي كانت تسيطر ملامحه دائما على قسمات وجهه، كان دائما يخبرني بكلمته التي لم أنساها أبدا رغم أنني لم أفهم معناها جيدا:

- (أريدك أن تلبسني تاج الوقار يوم القيامة يا منصور)

لم أكن أهتم كثيرا بما سيلبسه أبي يوم القيامة، ربما لأنني لم أفهم معنى ذلك أو ربما لأنني لم أكن أدرك شعور الأب نحو أبنائه بالفعل، كل ما كان يسيطر على جوانب تفكيري هو أنني لن أستطيع



الحفظ، تلك الآيات والكلمات لن تنطبع في ذاكرتي أبدا، هذا نصيبي وقدري وقد استسلمت له بالفعل.

مرت السنون، صرت شابا ثم رجلا، مات أبي، ذابت الكثير من الذكريات تحت وطأة الأيام وسرعة الزمان وتتابع الأحداث، لكني لم أنس كلمة أبي قط، ولم أنس خيبة أمله في حفظي للقرآن، أصبحت الأن أبا مثله ولي أبناء، والآن بت أشعر بذلك الشعور، شعور الأب تجاه ابنه وفلذه كبده.

ذات يوم كنت عائدا من عملي في سيارة أجرة، وكان المذياع على صوت قارئ من قراء القرآن وهو يقرأ تلك الآيات من سورة القمر: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ (القمر: ١٧).

سمعتها تتكرر على أذني، كنت أظنها المرة الأولى التي أسمع فيها تلك الآية، اقشعر جسدي، كررها القارئ مرات ومرات، ومع كل مرة كنت أسمعها كانت دقات قلبي تتسارع بشدة، ارتعشت أطرافي، دمعت عيناي وانهمرت منهما دموعي، سألت نفسي كيف ييسر الله القرآن للذكر وأظن أنا بضعفي وهيئتي البشرية وعقلي القاصر أنه عسير على الفهم أو الحفظ، كيف يغويني شيطاني لأظن أنه صعب المعرفة والله قد يسره للجميع؟!.

عدت إلى بيتي في حالة متخبطة، كنت أبكي بنشيج عال، وكان جسدي ينتفض من هول الصدمة، كيف لم أسمع تلك الآية طوال حياتي، بل بالتأكيد سمعتها وقرأتها كثيرا ولكني لم أفهمها أبدا، توضأت بسرعة ودخلت في الصلاة، لم يكن مني في الصلاة سوى البكاء والنحيب، ولم يكن أمامي واضحا سوى صورة أبي، كان ندمي الأكبر أنه مات دون أن يراني حاملا للقرآن كما كان يتمنى، سجدت وألصقت وجهي وجبهتي بالأرض، تحدثت مع الله، أخبرته أنني الآن سمعت، الآن عرفت، الآن نويت أن أكون من المدكرين للقرآن.

في اليوم التالي بحثت عن مصحف ففوجئت أن بيتي ليس به مصحف واحد، ذهبت إلى المسجد القريب، أمسكت بالمصحف بعد غياب طويل، أخذت أقرأ وأقرأ، كانت الدموع تملأ عيني وأنا أقرأ القرآن كأني أتلوه للمرة الأولى، بالفعل استشعرت معنى تلك الآية يحيط بي، بالفعل كان القرآن يسيرا لمن أقبل عليه بقلبه وعقله وجوارحه، ومن تلك اللحظة قررت أن أحقق أمنية أبي... قررت أن أحفظ القرآن.

اتفقت مع شيخ المسجد أن يساعدني على الحفظ، أصبح حفظ القرآن شغلي الشاغل لكنه لم يلهني أبدا عن السعي على لقمة عيشي، بل على العكس فقد لامست البركة تتدفق إلى حياتي كالأنهار الجارية، وبعد أشهر قليلة جاء موعد اليوم الذي أقرأ فيه على الشيخ الربع الأخير من القرآن.

جلست وجلس حولي أبنائي وزوجتي وأصدقائي الذين دعوتهم ليشهدوا معي تلك اللحظة؛ لحظة إتمامي حفظ القرآن، جلست أمام الشيخ، ظللت أقرأ وأنا لا أرى أحدا منهم أمامي، كنت أرى تلك المشاهد من الذاكرة فقط، رأيت الشيخ عثمان وهو يضربني بقسوة وغلظة لعدم حفظي، سمعت صوت بكائي وصراخي وأنا مقيد بالحبال أمام وطأة ضربات عصاه، رأيت أبي وهو ينظر نحوي غاضب وخائب الرجاء، وكلما قاربت من نهاية الربع الأخير وأنا أقرأ كان أبي يبتسم أمامي، كان وجهه كالقمر في تمامه وكان يظهر على رأسه معالم تاج من نور أبيض ناصع، كنت أقترب من النهاية مع انتفاض جسدي بشدة، دمعت عيناي ثم اشتد جريان الدموع منها، تحول صوتي إلى نحيب واختلطت قراءتي بالنشيج الحار، كانت أناملي ترتعش بسرعة وقلبي ينتفض داخل سياج صدري، قاربت على الانتهاء فرأيت أبي يضحك بشدة ويصفق ويهنئني، قرأت السورة الأخيرة بصعوبة وصوتي يكاد يغرق في بحر النشيج، وبمجرد أن انتهيت وجدت نفسي أسجد باكيا ومنتحبا بل صارخا، سجدت لله شكرا على تلك النعمة العظيمة والأمانة الثقيلة، شكرا على تلك الرسالة التي لم يوصلها إلى أذني بل إلى قلبي سواه، وعلى تلك الهمة التي لم يلهمني بها غيره، طالت سجدتي كثيرا وكثر بها بكائي، قمت بعدها فوجدت الجميع حولي يبكي مثلي، احتضنتني زوجتي بحرارة وتعلق بي أبنائي، هنأني الشيخ وأصدقائي وكل من كان حولي، لم أكن أتمنى في تلك اللحظة أكثر من وجود أبي متمنيا له تاج الوقار.



د. هند الورداني
كاتبة وشاعرة

طريق الهجرة

طوعا لأمر الله كانت هجرة ... من مكة الغراء نحو مدينة
هي دار أمن للنبي وحزبه ... يا سعد من بالهدي سار وسنة
خرج الحبيب مع المصدق خافيا ... هربا من الإيذاء بغية عترة
يقوى بها الإسلام يعلو جامعا ... أهل الديار وهاجرا بأخوة
لم يخشيا شيئا ولم يستسلما ... إلا لرب العالمين بذلة
داعين ربا لا يخيب من دعا ... فامنن بعز يا كريم ونصرة
في غار ثور يلجآن بهدأة ... من ليل فجر لائح بنبوة
ومحافل الإشراك تبغي أحمدا ... والكفر مرجعه يبوء بخيبة
شاهت عيون رغم أن خطاهم ... في بعد خطو عن حبيب المهجة
ما ظنكم باثنين ثالث جمعهم ... رب عظيم ذو جلال وقدرة؟
أبشر أبا بكر فذاك محمد ... قد أيدته ملائك بالنعمة
وحي تلقاه فنعم بلاغه ... والقلب طاهر والنقاء بفطرة
وعلي خادع مشركين بنومه ... في مرقد المحبوب خير الفدوة
أسماء يلطمها الجهول بوحشة ... ونطاقها شقت لأجل السفرة
وابن لابن أبي قحافة عابدا ... يأتيهما نبأ قبيل الغدوة
ويضلل الخبثاء رعية عامر ... يمحو بها آثار سير وحجة
ويدلهم للسير ابن أريقط ... يمشي بساحل من بعيد وعزلة
وبأم معبد يبتغون سقاية ... وتصفهم بالمدح عند الخيمة
هذا الحبيب محمد متحمل ... ثقل الجبال مبلغا للدعوة
يضع الأساس مجاهدا في ربه ... متطلعا لقيام عز الدولة
شرفا من الإسلام يبني مجده ... في طيبة الإيمان بين النخبة
يا أمة المختار هاك نبيكم ... فتمسكوا بكتاب رب العزة
ما بالكم لا تقتدون بهديه؟! ... أرضيتم عن دينكم بدنية؟!
توبوا إلى الرحمن توبة صادق ... واستبشروا بحلول خير الهجرة





عمرو طه
قاص مصري

تكتب الكتب قصة حياتنا، وعندما تتراكم في مكتباتنا ورفوف نوافذنا، وتحت أريكتنا، وفوق ثلاجتنا؛ تصبح بحد ذاتها فصولا من تلك القصة.. وكيف لا؟!

آن فاديمان

تبرد نار النفس بالاستغناء، استغن يا ولدي، فمن ترك ملك

جلال الدين الرومي

يضيق بك المكان الواسع إذا لم تحصل فيه على التقدير؛ تغلب سعة الشعور سعة المكان

سعيد كمال قديح

لم أر عدلا كعدل الزمان إذا دار

شكسبير

يقاس العقل بالنقاش، وتقاس المحبة بالمواقف

ألبير كامو

الخصوصية قوة؛ فالناس لا يستطيعون تدمير ما لا يعرفون

مصطفى محمود

دائما ما يلوم الناس الظروف، ولكني لا أؤمن بالظروف.. الناجحون في هذه الدنيا هم أناس يقومون في الصباح، ويبحثون عن ظروف مواتية، وإذا لم يجدوها، صنعوها

برنارد شو



مريم ثروت
باحثة إعلامية

كن صديقا لولدك

كثير منا يعتقد أنه إذا وفر لولده طعامه وشرابه وملبسه ولبى جميع احتياجاته المادية فقد أدى ما عليه نحوه، ولكن المسكين لا يدري أن هذا بعيد عن التربية وما هو إلا رعاية وكفالة وجميعنا نحسن ذلك ولو بتوفير الحد الأدنى منه، أما أن تنشأ علاقة قوية سوية مع ولدك، علاقة لا يزعزعها الزمن ولا تفرقها الأيام، فهذا أسمى معاني التربية وأعظمها، بل هو أصل التربية، فإذا كان من أسس التربية الإيجابية بناء الثقة وتعديل السلوك السلبي وتعزيز الإيجابي منه، فإن بناء العلاقة هو أهم هذه الأسس، بل إنك إن وفقت في بناء تلك العلاقة فقد ضمنت ٨٠ في المئة من التربية وما جاء بعد ذلك يسير.

ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة فكانت أخلاقه مع قومه سبيلا لدعوته فكان الصادق الأمين، وعندما أمره الله بنشر دعوته كان يدعو بأفضل الأساليب الدعوية التي تحبب إليهم الإسلام، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ (النحل:١٢٥) وكان صبورا يتحمل فحش أفعالهم وأقوالهم ولم يدع عليهم بل دعا لهم بالهداية حين قال: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» وهذا النموذج الرائع من النبي ﷺ يشهد على ضرورة بناء علاقة قوية مع ولدك أساسها التقوى والبر والاحترام والحب حتى يكون نعم النشء الصالح للمربي الصالح.

وإذا أردنا ترسيخ تلك العلاقة فلا بد أن نتجنب بعض الأساليب التي تدمر تلك العلاقة ومنها:

الإهانة: فأنت إذا أهنت ولدك فقد أفقدته كرامته وفقد ثقته بنفسه وقيمته أمام الآخرين.

سوء المعاملة: فإذا أسأت معاملة ولدك في صغره فلا تنتظر منه أن ينظر إليك بعين الرحمة في كبرك وعند حاجتك إليه.

الإهمال: وهي مشكلة العصر ولا تكاد تخلو منها بيئة، فأنت إذا أعطيت لابنك الهاتف الجوال فقد أهملته، وذلك لأنك قد وكلت غيرك في قضاء الوقت معه، وكذلك إذا كانت هناك خادمات يقمن برعاية ولدك ويلعبن معه فهذا إهمال آخر بدوره أن يفسد علاقتك مع ولدك.

عدم الاحترام: إذا لم تحترم



ولدك فلا تنتظر منه أن يحترمك، فهو يقلدك ويأخذك قدوة له، فاحترمه لذاته وقدره، فالاحترام أساس العلاقة القوية فلا علاقة بدون احترام.

كسر الحدود بينك وبينه وضياع الوقار: وهو من أساليب تدمير العلاقة بين المربي والمتربي، فإذا ضاعت هيبتك ووقارك فلا علاقة ولا تربية.

سلبيات في العلاقة بين المربي والمتربي

النقد: وهو من أخطر ما يدمر العلاقة فالنقد مدمر للعلاقات، محطم للنفسيات، فإذا انتقدت ولدك، فقد دمرته دون أن تدري، ونتيجته عكسية ولا يوجد ما يسمى بالنقد الإيجابي فليس هناك أي إيجابية للنقد، وهذا موجود في هدي النبي ﷺ فلم يرد عنه أنه انتقد شخصا ما، بل كان يستخدم في نصحه وإرشاده المدح، فورد عنه أنه قال لأحد أصحابه: «نعم العبد أنت لو كنت تصلي بالليل» فهنا مدحه النبي أولا، ثم ووجهه وأرشده إلى الصواب.

اللوم: فهدي النبي ﷺ يقوم على الثناء والمدح، وليس على النقد واللوم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، وما قال لي لشيء صنعته: لم صنعته، ولا لشيء تركته: لم تركته، وكان رسول الله من أحسن الناس خلقا...»[1].

المقارنة: إياك ثم إياك أن تقارن أبناءك بأحد، فلكل طفل مهاراته واستيعابه، والمقارنة لها من النتائج السلبية الكثير، ومنها أن يجد الابن نفسه في منافسة مع غيره فيتولد لديه شعور بالحقد والحسد للآخرين، ومن ثم ينعكس ذلك على علاقته بك.

عدم الإنصات: وهذه السلبية نراها كثيرا في أسرنا، فينشغل الأب بالعمل خارج المنزل وكذلك الأم تنشغل بواجباتها المنزلية، أما الأولاد فلا يعيرهم أحد انتباهه فتنشأ فجوة بين أفراد الأسرة، يظلهم سقف واحد لكن كل منهم ملهي بحاله، لا يدري عن باقي أسرته شيئا وهذا من أكبر مشكلات هذا العصر، عصر الانفتاح الذي تكثر فيه الملهيات، ولذلك يقال أنصتوا إلى الأبناء في الصغر ينصتوا إليكم في الكبر.

السخرية: لا تكن أول من يتنمر على أولادك فتسخر منهم لشخصهم أو لسلوكهم، فالسخرية من شأنها أن تحبط معنوياتهم وتفقدهم الثقة في قدراتهم، فتكون معول هدم لا معول بناء.

التعميم على السلوك السيء: إذا قام ولدك بتصرف سيء فلا تعمم هذا التصرف على شخصيته ولا على باقي سلوكه، فنحن نكره السلوك ولا نكره الولد، وهذا نبي الله لوط قال مخاطبا قومه: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ (الشعراء:١٦٨) فهنا كره سيدنا لوط عليه السلام فعل قومه، ولم يكرههم لذاتهم.

التسلط والعنف الشديد: فلا يجوز لك أن تغصب أبناءك على فعل كل شيء، بل اترك لهم المساحة ليختاروا ما يريدون فيما يوافق الدين والعقل وهذا لا يتناقض مع الرعاية والحماية التي نحيط بها أبناءنا.

الصراخ: وهو من أخطر السلبيات المدمرة للعلاقة، فكيف تبني علاقة مع ولدك وأنت تصرخ فيه ليل نهار؟ كيف يستقبل ولدك نصحك وإرشادك؟ فالطفل يتخذ من والديه قدوة له في جميع سلوكه وأقواله فكيف تكون قدوة له وأنت تصرخ في وجهه؟ فالصراخ مدمر للقدوات وإذا فقدت كونك قدوة فيستحيل عليك أن تربي.

وقد بيَّن الله تعالى في كتابه ما أوصى به لقمان لابنه وهو ينهاه عن الصراخ فقال: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ (لقمان:١٩).

وقد يسأل البعض عن كيفية تقوية العلاقة بين الآباء والأبناء فنقول: أولا إذا أردت أن ترسخ وتقوي علاقتك مع أحد، خاصة أبناءك، فاربط تلك العلاقة بالله وأن يكون هدفك هو تخريج نشء صالح في نفسه مصلح في أمته، ولا يكون جل هدفك أن أقوي علاقتي بولدي حتى ينصاع إليّ أو يطيعني وفقط، لأن هذا من شأنه أن يفسد ما بينكما، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢).



ومن أهم ما يقوي علاقتك بولدك:

● أن تعامله كأنه صديقك المقرب والمفضل، فتتحاور معه وتستمع إليه وتعامله بأسلوب راق متحضر.

● كن سندا له وأقرب الناس إليه، أشعره أنك دائما ستساعده حتى وإن كان على خطأ فأنت تقبله بكل بما فيه، كن أنت الشخص الذي يلجأ إليه بعد الله في تخطي جميع عقباته.

● إذا تحدث ولدك فأنصت إليه تمام الإنصات وأعره انتباهك ولا تسخر من كلامه ولا تتهاون به، حتى وإن كان كلامه غير صحيح، لا تقاطعه أثناء حديثه بل اترك له المجال ليعبر عالشما يريد، ثم ناقشه فيما تريده.

● امدح ولدك دائما لأقل إنجازاته، وحتى إن لم ينجز، فالمدح من شأنه أن يُعلي همته ويزيد من ثقته بنفسه ويزيد إنجازه.

● افتخر بولدك لشخصه وأشعره أنه من أجل النعم وأعظمها وأن الله أكرمك به، فالولد إنما هو هبة من الله، يقول سبحانه: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ (الشوري:٤٩).

● اقتطع جزءًا ولو بسيط من وقتك تقضيه مع ولدك بالتنزه خارج البيت، أو باللعب معه ولو بألعاب بسيطة تفرح قلبه وتسعده.

وختاما أقول لك أيها الوالد وأيتها الوالدة: اعتنيا بأولادكما وكونوا لهم نعم الأبوين وأرفقهما، وطدوا علاقتكما بهم وكونا لهم السند والأمان واسقياهم من نهر حبكما، وأفيضوا عليهم من الود والرحمة ما يغنيهم عن غيركم، فهم هبة الله وأمانته وإنكما لتُسألان عنهم يوم القيامة. يقول الله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ (الصافات:٢٤) وطوبى لمن زرع طيبا وحصد طيبا في حياته وبعد مماته، يقول النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[٢].

الهوامش

١- أخرجه البخاري (٦٩١١)، ومسلم (٢٣٠٩)، وأبو داود (٤٧٧٤).
٢- رواه أبو هريرة، أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٣١).



عبد المجيد إبراهيم قاسم
باحث وكاتب تربوي



أسئلة الأطفال المحرجة.. كيف نتعامل معها؟

من أبرز خصائص الأطفال: الفضول الاستكشافي اللا محدود، والرغبة الجامحة في معرفة البيئة المحيطة، والمرونة في التفكير، والمقدرة على التخيل والإبداع أكثر من سواهم. ومن خصائصهم أيضا: أنهم يولدون بقدرات ذهنية ونفسية خاصة؛ تلعب ظروف البيئة الاجتماعية المحيطة، دورا رئيسيا في إنمائها، وبالوقت نفسه يمكن أن تكون عاملا مساعدا لوأدها ما لم تتم تنميتها وتوجيهها ورعايتها بالشكل المطلوب. ونعني - هنا - بالبيئة الاجتماعية المحيطة أكثر ما نعنيه؛ الأسرة، التي تشكل الحاضنة الأولى في تطور الطفل ونموه الجسمي والعقلي والاجتماعي، واكتسابه الاستقلالية والثقة بالذات.

ووفقا لطبيعة الأطفال تلك، فإنهم يكثرون من الأسئلة التي يطرحونها على الآباء والأمهات بشكل خاص، فلا يتركون كبيرة أو صغيرة إلا ويسألون عنها، فتراهم يسألون عن الكون، والحياة، وطبيعة الأشياء، حتى أنهم يعتمدون عليهما اعتمادا تاما في الحصول على الحقائق والمعارف والمعلومات، والتعرف على ماهية الأشياء وحقائق الأمور التي يرونها أو يتعاملون معها، خصوصا في مرحلة ما قبل سن المدرسة.

وبحسب ما تؤكده الدراسات التربوية والنفسية، فإن أكثر الأسباب التي تدفع الطفل للسؤال، أنه يولد على الفطرة، فما إن يبدأ بالكلام، حتى تبدأ معه الأسئلة، بهدف إشباع حب الاستطلاع والاستكشاف والمعرفة التي فطر عليها كما سبق، وأيضا الحاجة إلى معرفة كل شيء عما يدور حوله، وفهم ما يحيط به من ظواهر وأشياء. كما أن أسئلته قد تكون ذات صلة بحاجته إلى الشعور بالاستقلالية وتأكيد الذات.

وفي أحايين أخرى فإنه يسأل لتأكيد معلومات معينة لديه، أو الاستزادة في المعرفة حولها. أو أنه يجد فيها فرصة للتواصل من والديه، بهدف المشاركة والمحاورة والإحساس بالأمان.

والأسئلة التي يطرحها الطفل تكون متنوعة، لدرجة قد تتجاوز تصورات الكبار، ومنها: أسئلة دينية، كأن يسأل: ما هو الموت؟ إلى أين يؤخذ الميت؟ لماذا خلق الله تعالى الأشرار؟ أين توجد الجنة، وأين توجد جهنم؟ وأسئلة علمية، مثل: ماهو الضوء؟ ماهي نهاية الكون؟ أسئلة علمية: كيف ولدت؟ من أين يأتي الطفل إلى العالم؟ لماذا لدي عضو (تناسلي) يختلف عما لدى البنت؟ وأسئلة اجتماعية وغيرها، تبدأ بـ: ما هذا، وكيف، ومتى، ومن، ولماذا.

إن الطفل كما يقول الباحث التربوي عيسى الشماس: (عندما يطلق سؤاله البسيط، رغبة في المعرفة أو اكتشاف أمر ما، فإن الطفل يكون قد تعرض لموقف جديد، أو لخبرة يجهل التعامل معها؛ فيعيش في حالة من عدم الاستقرار النفسي، تدفعه إلى البحث عما يلبي حاجته.. ولكن ما إن يصل إلى الجواب الصحيح والمقنع، حتى يشعر بالراحة، فيعود إلى توازنه النفسي، ويكتسب نتيجة ذلك مجموعة من المعارف والقيم الوجدانية والإنسانية، التي تقع في الإطار الثقافي للمجتمع الذي ينشأ فيه ويعيش).

إن طبيعة التساؤل، وحب الاستطلاع لمعرفة الأشياء المحيطة لدى الأطفال، مؤشر طبيعي على نموهم العقلي السليم، وقد أشارت الدراسات التربوية إلى أهمية هذه التساؤلات، وأن لدى الغالبية منهم أفكارا وتساؤلات كثيرة، تكون على أشدها في سنواتهم الأولى، أي في مرحلة ما قبل سن المدرسة. والأطفال يختلفون في ذلك إلى حد ما، فبعضهم يبدأون بالأسئلة مبكرا، وبعضهم يتأخر قليلا، وبعضهم قد يسأل ثم يتوقف، أو يستمر في طرح الأسئلة الفضولية، ويكثر منها في هذه المرحلة، حتى أن البعض يصفها بمرحلة السؤال. وكثيرا ما يبدأون بالأسئلة عن الأمور التي تخفى عنهم، والتي قد تكون محرجة للكبار، لذا فإن أول من يتوجهون إليهم هم الآباء والأمهات، وبدرجة أقل الإخوة والمعلمين والمشرفين. باختصار فإن تفكير الطفل بالعالم من حوله، ومحاولة معرفته واستكشافه، يظهر من خلال الأسئلة، التي تشعره في حال التعامل السليم معها، بالاهتمام والتقدير والتوازن الانفعالي، وتكسبه الأساليب المنطقية في التفكير، ومواجهة المستقبل بثقة وجدارة.

وإزاء ما يطرحه الأطفال من التساؤلات والاستفسارات المحرجة، قد يتذمر بعض الكبار ويضيقون بها، فيهملونها ويتجاهلونها أحيانا، أو يبررون عدم الإجابة عنها، بحجة أنها معيبة، أو تتصل بالمحرمات الاجتماعية والأخلاقية، أو يتهربون منها، بسبب جهلهم بما يريد الأطفال معرفته. كما يحدث أن تواجه بالصد أو العنف. وأحيانا أخرى قد يجيبوا عنها إجابات متسرعة وعشوائية، وبعيدة عن الصواب، مما يكون سببا في إشعار الطفل بعدم الثقة بمن يسألهم، إذا ما اكتشف أنهم يعطونه معلومات خاطئة. ومن جهة أخرى فهناك من الآباء من يتعامل مع أسئلة الأطفال الحرجة بأسلوب الإجابة عنها؛ إجابات صادقة مبسطة، وبما يتلاءم مع مستوياتهم العقلية والنفسية، وهذا هو الاتجاه التربوي الصحيح.

إذا، يمكن القول أن الأساليب والأنماط التي يعتمدها الوالدين في التعامل مع أسئلة أطفالهم المحرجة، هي: (أسلوب الإهمال، أسلوب الهروب أو الاجابات العشوائية، أسلوب التعنيف، الأسلوب العلمي التربوي).

إن التخوف من الأسئلة المحرجة، أو الإرتجال في الإجابة عنها، أو ممارسة التعنيف إزاءها، تشكل مشكلة تربوية كبيرة بالنسبة إلى الكبار، عندما يتجاهلون حقوق أطفالهم في الحصول على الحقائق والمعلومات، والإجابة عن أسئلتهم، بوصفها نوافذ يتعرفون من خلالها على المحيط الذي يعيشون فيه، وأسرار هذا العالم الواسع. ويتغاضون عن معالجة الدوافع الخاصة بهم عندما يسألون. وتشير الدراسات التربوية بدقة إلى أن أسئلة الأطفال تتضاءل كما وكيفا، ويفقدون اهتمامهم بها كلما تقدموا في السن، وأنهم يركزون اهتماماتهم حول الإجابات التي يتحصلون عليها. وفي حال عدم الحصول على إجابات شافية، فإنهم سيسعون إلى الحصول عليها من أماكن أخرى، قد لا تكون موثوقة، أو قد تكبت رغبة التساؤل لديهم.

وهنا يظهر دور البيئة الأسرية التي تؤثر بدرجة ملحوظة في قدرات الأطفال العقلية والمعرفية، عندما توفر لهم فرص اكتساب الخبرات والمشاركة بالحديث والنقاش، إذ أن أسلوب ونمط الإجابة عن أسئلتهم كما تؤكد الدراسات العلمية المتخصصة، يترك أثرا عميقا في المراحل اللاحقة من حياتهم، وأن الأطفال الذين يحظون بالتشجيع عندما يثيرون أسئلتهم يكونون أكثر ثقة بأنفسهم

عندما يواجهون تحديات جديدة، بعكس الذين يتعرضون للإهمال أو سوء المعاملة نتيجة السؤال، حيث يكونون عرضة للاضطرابات الانفعالية والاجتماعية أكثر من غيرهم.

الأساليب التربوية السليمة للإجابة عن أسئلة الأطفال؟

إن أهم المبادئ التربوية السليمة حيال أسئلة الطفل المحرجة خصوصا، ومتطلبات مواجهتها بالنسبة للوالدين والمربين، تتمثل فيما يأتي:

- إيلاء الاهتمام بأسئلة الأطفال، وعدم التقليل من أهميتها، بصفتها دافعا قويا للحصول على الخبرات اللازمة للحياة، والإصغاء إليها بعناية مهما كانت طبيعتها، لأن في ذلك تنمية للمعرفة والإبداع لديهم، ومشاركة لهم في أفكارهم ومشاعرهم ومشكلاتهم.

- أن تكون الإجابات على تساؤلاتهم، إجابات صادقة وصحيحة، ليس فيها لبس أو غموض، وتكون علمية ودقيقة، لا تحمل أفكار خاطئة وغير منطقية، وأن تكون مرتبطة بالسؤال مباشرة كما يطرحه الطفل دون تحريف أو تحوير.

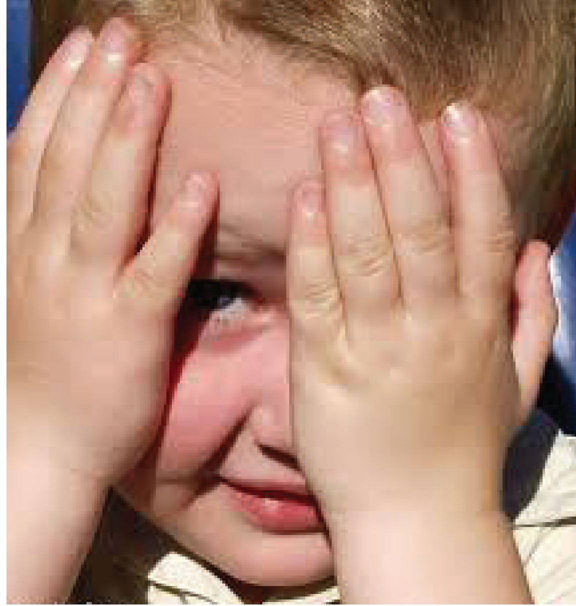
- أن تقدم الإجابات بشكل واضح وبسيط، وبعيد عن الغموض والتعقيد أو المماطلة. والاكتفاء بالمقدار اللازم لفهمه عن الأشياء التي يبحث عن الإجابة حولها، وعدم الدخول في تفاصيل وشروح معرفية معقدة، والبحث معه عن الإجابة في حال عدم معرفتها.

- أن تتناسب الإجابات مع مستوى الطفل العقلي وقدرته على الفهم، وبعيدة عن الأفكار المجردة التي لا يستطيع التعامل معها، ومن جهة أخرى مع قاموسه اللغوي المتنامي، من خلال مفردات وتراكيب لغوية مألوفة إليه، يستطيع فهم إشاراتها ومدلولاتها. ويمكن أن تتضمن الأجوبة قصة، أو مثلا موضحا، أو ربطا بين حادثة وأخرى.

- أن تأتي وسط أجواء تسودها المحبة والمودة والاحترام، فيصبح أكثر إقبالا على طرح الأسئلة الدقيقة، واستخدام الأسلوب المنطقي في الحوار والمناقشة. يقول العالم الأمريكي تورانس: (إن الإنسان يفضل أن يتعلم بطريقة إبداعية، عن طريق الارتياد والممارسة الفعلية والتساؤل، ووضع الأفكار موضع التجربة واختبارها وتعديلها).

- تحفيز الطفل وتشجيعه على الاستمرار في طرح الأسئلة والتفكير بها، والتساؤل من خلالها عن كل ما يجول في خاطره، عبر تنويع الخبرات أمامه، وإشعاره بأنه أهل للثقة، وإشراكه في البحث عن الإجابات المناسبة لتلك التساؤلات.

والحقيقة أن تنمية التفكير لدى الطفل عن طريق التشجيع على الأسئلة أصبح مثار اهتمام التربويين، بالنظر إلى أهمية ذلك في إتاحة الفرص أمامه لرؤية الأشياء بشكل أوضح وأوسع، ونظرة أكثر عمقا وتطورا.



بعد دور الوالدين يأتي دور المعلم في الإجابة عن تساؤلات الطفل، وتوصيل المعلومات له ضمن الأنشطة المدرسية، وإشباع رغبته في المعرفة بحسب تطوره العقلي. وغير خاف التأثير الكبير لنموذج (المعلم) الناجح في إتاحة الفرصة أمام الطفل للتعبير عما يجول بخاطره من الأسئلة، والتشجيع المدروس عليها.

إن مرحلة الطفولة هي مرحلة هامة وحاسمة في حياة الإنسان، حيث تتشكل خلالها شخصيته، وتؤتي ثمارها في المستقبل، وكما أن تربية الأبناء هي مسؤولية عظيمة، ورسالة سامية يسعى الآباء إلى تحقيقها على مستوى الفكر والسلوك، ولا شك أن الإجابة على الأسئلة المحرجة التي يطرحها الأطفال بطريقة تربوية سليمة، هي جزء كبير من هذه المسؤولية الإنسانية المثلى.

المراجع

١- التربية العامة، تأليف: رونيه أوبير، الجزء الثاني، ١٩٦٧م. ترجمة: عبد الله عبد الدايم- دار العلم للملايين، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

٢- أساليب تعامل الوالدين مع أسئلة أطفالهم المحرجة، أ.م. د كاظم جبر الجبوري/ م.م ارتقاء يحيى حافظ- مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان (١-٢) المجلد السابع، ٢٠٠٨م.

٣- علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، تأليف: حامد عبد السلام زهران، الطبعة الخامسة- دار المعارف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٩م.

٤- موسوعة التربية الأسرية للأطفال- مواقف ومشكلات وحلول، تأليف الدكتور: عيسى الشماس- وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ٢٠٠٤م.

٥- مساهمة الأمهات الفلسطينيات في إثراء ثقافة أطفالهن، (دراسة تحليلية لأسئلة الأطفال وقصصهم) د. جميل حسن الطهراوي- كلية التربية، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٥م.



عبدالسلام الشبراوي

مسابقتها الكبرى تحت رعاية سامية

الأوقاف تهدي العالم ٢٢٦ حافظا وحافظة للقرآن الكريم

في كل عام ينضم إلى حفظة كتاب الله تعالى عدد من الفائزين بمسابقات الكويت الكبرى للقرآن الكريم. وعلى الرغم من الظروف التي مر بها العالم إثر تعرضه للفيروس كوفيد ١٩ إلا أن عزيمة وزارة الأوقاف والأمانة العامة للأوقاف ورجالات صدقوا ما عاهدوا الله عليه، كانت عزيمة ماضية بحول الله فمضت المسابقات تشجع على حفظ القرآن.

وقد أكد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد عيسى الكندري أن مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم تعتبر حدثا دينيا واجتماعيا مما يستدعي الاحتفال كل عام. جاء ذلك في كلمة ألقاها السيد الوزير الكندري في حفل نظمته أمانة الأوقاف لتكريم عدد من حفظة القرآن في مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده، في نسختها الرابعة والعشرين (اطمئن) التي تقام تحت رعاية سمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه.

وقال: إن المسابقة انطلقت عام: (١٩٩٧م)، وشارك فيها أكثر من (٣٥) ألف متسابق ومسابقة، وخرجت حوالي (٤) آلاف فائز وفائزة، مثلت شريحة كبيرة منهم الكويت في المسابقات الإقليمية والعالمية.



وأضاف الكندري: إن أمانة الأوقاف تقوم بجهد رائد ومتميز في خدمة كتاب الله تعالى وتشجيع التنافس على حفظه وتجويده لتخريج الحفظة المتميزين الذين يحفظون القرآن في قلوبهم وينشرون مبادئه السمحة في المجتمع.

من جهته قال الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف بالإنابة، السيد صقر السجاري في كلمته: إن المسابقة أقيمت في مسجد الدولة الكبير، وضمت نخبة من أبنائنا وبناتنا بمشاركة (١٩٣٩م) متسابقا ومتسابقة يمثلون (٤٢) جهة خيرية.

وذكر السجاري أن عدد الفائزين بلغ: (٢٢٦) فائزا وفائزة في مختلف فئات المسابقة وحصل (١٤) منهم على نسبة: (١٠٠٪)، (فائزين اثنين و١٢ فائزة).

وبين أن درع التفوق العام حصلت عليها جمعية بيادر السلام الخيرية والدرع الذهبية حصلت عليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، والدرع الفضية حصلت عليها مبرة المتميزين لخدمة علوم القرآن والعلوم الشرعية، والدرع البرونزية حصلت عليها جمعية الإصلاح الاجتماعي ومبرة دشتي الخيرية وجمعية الماهر بالقرآن الكريم وعلومه.



جاسم الجاسم
صحافي وباحث

نعمة الأمن في الأوطان

لا تعد ولا تحصى نعم الله سبحانه وتعالى علينا، ومن هذه النعم نعمة الأمن والأمان، خصوصا في الأوطان، فالحياة من دون أمن صعبة ومريرة ولا تطيب، فكيف يشعر الإنسان بالسعادة والرضا وهو يعيش تحت هاجس الخوف والقلق والترقب. فالأمن مطلب أساسي في حياة الإنسان لا يمكن الاستغناء عنه أو العيش من دونه. تظل طبيعة النفس البشرية تبحث عن الأمن وتسعى وراءه حتى تنعم بعيش كريم وحياة مستقرة طيبة، لا يؤثر فيها خوف ولا خطر. وقد دعا سيدنا إبراهيم، عليه السلام، ربه أن يجعل مكة بلدا آمنا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ١٢٦).

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بأسرها» (رواه الترمذي).

وعن عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما، قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي، وحين يصبح: «اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي» (رواه ابن ماجه).



محمد العودة

عيد الكويت بين الماضي والحاضر

كويت الأمس تختلف اختلافا كليا عن كويت اليوم في كل شيء، من تطورات وتغيرات جذرية وواضحة لدى الجميع، تغيّر في الأفكار والأهداف وبعض العادات وتعدد المناسبات واهتمامات أفرادها أيضا،

تعالوا كي نلقي نظرة على مظاهر العيد في الماضي ونقارن بينها وبين أختها في الوقت الحالي، مما لا شك فيه أن هناك اختلافا شاسعا في فرحة العيد وفي زيارات الأهالي والملابس وأجوائه وغيرها من الاختلافات.

ففرحة الأطفال قديما بقدوم العيد تختلف عن فرحة الأطفال في هذا الزمن، فقد كان الأطفال قديما تدمع أعينهم ويتطايرون فرحا من أجل حصولهم على ملابس جديدة لهذه المناسبة فيسعدون سعادة لا مثيل لها، أما في الوقت الحالي فالأطفال أصبحوا لا يحملون هم الملابس لكثرتها ووفرتها بل أصبحوا يلبسون ملابس فاخرة تكاد تفوق الملابس التي تلبس في العيد أيضا، وبأسعار عالية، والحصول عليها صار سهلا على عكس الزمن الماضي.

أما فرحة النساء واستقبالهن للعيد فيكونان بالتجمل والزينة بـ «الحناء» على راحة اليدين وعلى الشعر وفي أسفل القدمين، فهذه من زينتهن في الماضي، وكذلك كن يقمن بتنظيف وترتيب بيوتهن استعدادا لاستقبال الزوار والأهل والأقارب والجيران ورش الطيب في البيت والبخور والعطورات الخاصة، ويقمن بصنع الحلويات الشعبية في بيوتهن، ورسم أياديهن بالحنة وطهي الأكل الشعبي أيضا.

ومن الطقوس والعادات المنتشرة في ذلك الزمن خياطة الثياب والملابس و«الدراعات»، وإهداؤها للجارات، فتقوم الجارة بخياطة الدراعة بنفسها وتقدمها إلى جارتها هدية، أما الآن فإن الملابس تُفصل وبأسعار عالية جدا، سواء للرجال أو النساء، ولا يوجد من يقوم بخياطتها داخل البيوت كما في الماضي. وأما من أهم طرق الضيافة في الوقت الحالي فحجز أنواع متنوعة ومختلفة من الحلويات ويتم طلبها قبل العيد بأيام، كما تحجز النساء في صالونات التجميل لتجهيز أنفسهن وتجميل مظاهرهن وزينتهن، كما أن العطورات تكون من ماركات عالمية وفاخرة وثمينة.

وكانت الألعاب قديما متنفسا للأطفال بألعابهم الشعبية مثل «الديارف» (المراجيح) و«الحجلة» للبنات وغيرهما من الألعاب التي تكون مسلية جدا في تجمع العوائل والأهل قديما، والوقت الحالي توافرت الألعاب المسلية بشكل أكبر وأفضل، سواء كانت ألعابا حركية أو إلكترونية وذلك بسبب انتشار الأماكن الخاصة بالألعاب الخاصة في الأطفال.

العيد في الماضي كان يساعد ويساهم في تجمع الأهل والجيران والأقارب، وحاليا يوجد عدد كبير من العوائل يفضل قضاء وقت العيد في خارج البلاد للسياحة مستغلا عطلته خارج البلاد مكتفيا بتهنئة الأقارب بإرسال رسائل نصية يبارك فيها للجميع، وكذلك ثمة من لا يزال متمسكا بالعادات القديمة ويجعل التجمع في أول أيام العيد فرضا على أفراد العائلة لتجمع وتقوية لمتهم.

ويجتمع الزمانان (الماضي والحاضر) في منح «العيدية» للأطفال، ولكن لا يجتمعان في قيمة العيدية، فقديما كانت العيدية بقيمة «الروبية» (أي ما يعادل ٧٥ فلسا الآن)، وحاليا العيديات تعلو قيمتها، ولكننا نتفق أن الأمن لا يزال بفضل من الله في الزمنين والرخاء في الجيلين والزيادة في النماء ولا تزال الكويت واحة أمن وسلام واطمئنان.

أدام الله أرضها وسائر بلاد المسلمين.



أميمة عتيق
كاتبة ومترجمة

أعياد وعادات



بعد انقضاء شهر رمضان المبارك بالصيام والطاعة في تركيا، فإن مظاهر العيد تظهر جلية قبل انتهاء الشهر الفضيل بعدة أيام. وهذا يتجلى من خلال طرق عديدة حيث يحتفي الأتراك بطريقتهم الخاصة. بداية تعمل البلديات على تزيين الشوارع بزينات خاصة استعدادا لقدوم الوافد الجديد. كما تبدي بعض الولايات اهتماما كبيرا بالأطفال من خلال تجهيز الألعاب، لإدخال البهجة والسرور على قلوبهم. كذلك من التقاليد التي ما زالت حية في شوارع تركيا القديمة؛ إنشاد المسحراتي في الليالي الرمضانية لإيقاظ الناس للسحور، وتستمر هذه العادة حتى يوم عيد الفطر، فيستمر تجوالهم على البيوت حتى نيل هدية العيد.

وكعادة الأتراك وكذا كل البلاد الإسلامية العربية، يوزع الناس الحلوى على بعضهم احتفاء بالعيد ولمشاركة البهجة والسرور فيما بينهم. وتعتبر وجبة إفطار بعد صلاة العيد وتبادل التهاني من أكثر ما يضفي جوا من الفرح والاحتفال، ويظهر مدى التلاحم والألفة بين أفراد الأسرة التي تتجمع حول مائدة العيد.

وتعتبر «العيدية» وتقديمها للأطفال من المظاهر المعروفة والمنتشرة بصورة كبيرة في بلاد الأناضول، حيث يقدم الآباء مبلغا من المال للأبناء، ويستقبل الأطفال هذه المناسبة السنوية بشوق وفرح كبيرين. إذ من خلالها يتسنى لهم مشاركة بهجتهم مع أقرانهم. ومن شأن هذه العادة تقوية صلة الرحم وزيادة أواصر المحبة بين الإخوة والآباء.

ولا تتوانى البلديات والسلطات المحلية عن تخصيص برامج خاصة ومميزة احتفاء بأيام العيد وخاصة للأطفال، من خلال المهرجانات وتوزيع الألعاب بدون مقابل في الميادين، كذلك يقرع الأطفال أبواب الجيران للحصول على الحلويات أو ما يسميه الأتراك «شيكر بايرامي» وكذا تهنئة بعضهم بالعيد.

وفي السياق نفسه تخصص البلديات نقلا مجانيا لتأمين المواصلات للناس قاطبة حتى يتسنى لهم زيارة الأقرباء وصلة الرحم مع أصدقائهم وأحبابهم، فكل وسائل النقل تشهد ازدحاما في أيام العيد فتتكاتف جهود السلطات والبلديات تعبيرا منها عن حبها وفرحتها بشعبها.



التحرير
تصوير: محمد القعقاع

وزير الأوقاف عيسى الكندري في زيارته لمعرض «التخطيط الاستراتيجي» رواق ٣

"العلاج بالعمل" جديد إدارة التأهيل والتقويم بالأوقاف الكويتية

برعاية وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المهندس فريد عمادي أقامت إدارة التخطيط الاستراتيجي وإدارة العلاقات العامة معرض رواق ٣ تحت شعار "مواهب وأفكار وهوايات" في الدور الأرضي بمبنى وزارة الأوقاف بمنطقة الرقعي وهو معرض متميز يسلط الضوء على جهود محمودة في خدمة فئات من المواطنين في حاجة إلى التعليم والتدريب والعمل والتثقيف بل والترفيه المشروع الذي يجدد النشاط وينمي الإبداع.

"الوعي الإسلامي" تابعت المعرض منذ اليوم الأول واستوقف عدستها نشاط إدارة التأهيل والتقويم كمثال بارز مهم مغبون حقه إعلاميا على الرغم من أهمية الإدارة في تأهيل فئات المتعافين من الإدمان بمشروع "منزل منتصف الطريق ومركز علاج الإدمان"، وكذلك نزلاء المؤسسات الإصلاحية من الجنسين، ونزلاء مركز رعاية الأحداث، من أجل العودة الكريمة اللائقة لهذه الفئات إلى المجتمع والاندماج به، وتغيير النظرة السلبية لهم.

في البداية يحدثنا مراقب الإدارة فهد العتيبي عن الهدف من المشاركة في المعرض قائلا: نحاول إبراز دور إدارة التأهيل والتقويم في خدمة الفئات المستهدفة مع إبراز دور برنامج الـ١٢ خطوة لعلاج المدمنين، بالتعاون مع وزارة الصحة حيث الدعم الإداري واللوجستي وتوفير المأوى للمتعافين.

ويلفت العتيبي نظرنا إلى أن مدير الإدارة د. ناصر العجمي يبذل



جهودا متواصلة لضمان مد الورش والحاضنات التابعة للسجن المركزي والسجن العمومي ومركز تأهيل التائبين بالإضافة إلى سجن النساء، بالمواد الأولية والمعدات كي يتمكن النزلاء من التدريب والإنتاج.

نسأله عن الدعوم الأخرى فيقول: ثمة دعم مادي من الأمانة العامة للأوقاف بينما نوفر مدربين محترفين يتراوح عددهم من ١٥ إلى ٣٠ مدربا وذلك عن طريق لجنة تم تشكيلها أخيرا.

وماذا عن النشاط السابق للإدارة في المعارض؟

يجيب فهد العتيبي: شاركت الإدارة من قبل في معرض "حرفتي بيدي" داخل السجن المركزي وتم العرض في مبنى الوزارة القديم (التوأم).

وماذا عن القادم؟

يرد العتيبي: وقعنا برتوكول تعاون مع هيئة الزراعة لإنشاء مشروع "العلاج بالعمل" وذلك على مساحة ٢٠ ألف متر مربع في منطقة أمغرة وقريبا يبدأ المشروع.

وفي ركن آخر يقع جناح معرض إدارة التأهيل والتقويم الذي تفوح منه رائحة الاحتراف ممزوجة بالجهد اليدوي،



مراقب إدارة التاهيل والتقويم
فهد العتيبي مع محرر الوعي



أما الألوان المبهجة وترتيب المعروضات والدعايات الجاذبة فحدث عنها ولا حرج، وربما يرجع الفضل في ذلك لرئيسة القسم عبير المزيدي وزميلاتها اللاتي وضعن لمساتهن التنسيقية ببراعة.. تحدثنا إلى المزيدي حول المحصلة التي تخرج بها الإدارة من تدريب النزلاء؟

فقالت: يتدرب النزلاء على صناعة نماذج السفن والمباخر والسلال والحياكة أيضا، ونشرف على خطوات إنتاجهم حتى المرحلة الأخيرة فتقام معارض بيع يرجع مدخولها إلى حسابهم الشخصي مما يشجعهم ويؤهلهم حقا للاندماج في المجتمع، ونسعى حاليا جاهدين بالاتفاق مع التعليم التطبيقي لمنح هؤلاء شهادات معتمدة تعترف بخبرتهم في صناعة هذه المنتجات فيسهل حصولهم على عمل شريف بعد خروجهم للمجتمع .

وتبشرنا عبير المزيدي بحاضنات نموذجية تحتوي على ملعب للرياضة، إلى جانب مشروعات الورش الحرفية، موجهة الشكر إلى مؤسسات الدولة المعنية كوزارة الداخلية ووزارة الصحة والأمانة العامة للأوقاف ومعهد التدريب الحكومي.

لوحات قرآنية بجهد شخصي

خلال جولتنا بالمعرض لفت انتباهنا جناح مركز عواطف ومحمد العذبي القرآني بالأندلس وفيه تقوم ملاك هادي العجمي بتوزيع ماصنعت يداها من لوحات قرآنية محفورة على الخشب بجهد شخصي ومجانا على زوار المعرض جاذبة بهذا عدد غير قليل إلى التعريف بنشاط المركز .. تقول العجمي : في المركز نقوم بتحفيظ كتاب الله للمشتركين من عمر ٦ إلى ٢١ سنة مع منح جوائز مادية للحفظة وأيضا ندرس مبادىء اللغة العربية للأطفال من ٦ وسبع سنوات وعن نشاطها التطوعي الجاذب تقول : اشتري من المكتبات لوحات الخشب المصقول واحفر عليها بجهاز كي دقيق مستلهمة هذه الفن الذي يجمع مابين الخط والحفر



حاوره: علاء عبدالفتاح

د. محمد أبو يوسف مؤسس أكاديمية الدعاة في تكساس لـ«الوعي الإسلامي»:

المحيط الأميركي بحاجة إلى سفن للدعوة

الدعوة إلى الله لا تقتصر على طريق بعينه، فكل دارس مستطيع ومتحدث بليغ مطالب بالتبليغ وإيصال نور الحق لمن لم يسمعوا بالإسلام، أو سمع عنه النذر القليل.

ومن هنا يكتسب الحوار مع الدكتور أحمد محمد أبو يوسف أهمية للكشف عن مساع مباركة لتثبيت إنشاء أكاديمية للدعاة في الولايات المتحدة، وتحديدا ولاية تكساس، وهي ثمرة جهود بدأت منذ العام: (٢٠١٧م) بهدف تخريج شباب يحملون هم الدعوة وبلاغة التبليغ وحصافة النقاش المفيد لمن حولهم من غير المسلمين في الدراسة أو العمل أو النوادي الاجتماعية وغيرها.

الوعي الإسلامي التقت الدكتور أبو يوسف أثناء زيارة عابرة له إلى الكويت، وهو الخطيب بوزارة الأوقاف المصرية، المتخرج من جامعة الأزهر عام: (١٩٦٦م)، المقيم في الولايات المتحدة منذ عام: (٢٠١١م) بعد أن حصل على الدكتوراه في عام: (٢٠٠٨م)، وقد أكد د. أبو يوسف لـ«الوعي الإسلامي» أن الحاجة ماسة لوجود أئمة تناسب أعداد من المسلمين الجدد والمنشرحة صدورهم للإسلام في المدارس والجامعات.

فلم يعد المهم فقط أن تعرف المعلومة، ولكن أيضا أن تعرف كيفية إيصالها للناس برفق ولين وحلم وفقه متميز.

• ما الذي يميز أكاديمية الدعاة التي أسستموها؟

– أكاديمية الدعاة بتكساس تحترم كل العاملين في الحقل الدعوي، ولعل ما يميزها هو دراسة الطالب فيها للواقع الأميركي المعاصر، فنحن نحتاج إلى مزيد من الخبرات العلمية الناضجة، مع شمولية الاستيعاب، ولايزال المحيط الأميركي بحاجة إلى المزيد من سفن الدعوة.

ونحن ننظر لما يتطلبه المجتمع الأميركي من الداعية، ونصمم مناهجنا بناء على ذلك، مثل مناهج التحكيم والوساطة أو الاستشارات الأسرية والنفسية، ونؤهل الداعية لاستيعاب عقول المتلقين، وكذلك نثقف الداعية بشكل خاص ليوصل الإسلام بالمنطق العقلي، ومنهجنا يجمع الأفكار على طاولة واحدة وسطية لا مذهبية ولا حزبية، ولا تعبيرا عن فصيل أو راية، كما لا نعتمد فكرة إقصاء الغير.

وباختصار مناهجنا تعادل مناهج كلية أصول الدين والدعوة لأربعة أعوام لمن يجيد العربية من الطلاب، وخمسة أعوام لمن لا يجيدها.

وطلابنا من جميع الولايات، وستتخرج الدفعة الأولى –بإذن الله وبحمده– هذا العام، والتي تتكون من (٤٠) طالبا وطالبة بعد أن بدأنا الدراسة معهم في عام: (٢٠١٨م).

• هل لديكم برامج تعليمية أخرى بالأكاديمية؟

– الأكاديمية لا يقتصر جهدها على تخريج أئمة فقط، بل ثمة مشروعات أخرى وبرامج تعليمية، منها: برنامج الخطيب، حيث يدرس الطالب ما يؤهله للخطابة بصبر وذكاء اجتماعي. أيضا ثمة برنامج الإمام المساعد في



(١٨) شهرا، منها: التدريب (٦) أشهر عمليا على الإمامة قبل منح الطالب رخصة مزاولة المهنة التي تجدد بعد كل عامين، بناء على متابعة واختبارات. وأقولها بصراحة: أنا شخصيا أحلم بتطبيق ما يمكن وصفه بالإمام المعتمد في مجال الدعوة.

• ما المعوقات التي تواجهكم في سبيل استمرار الأكاديمية؟

– بداية لابد أن أشير إلى أن أميركا تطبق في روتينها بالمؤسسات نفس المقاييس على جميع البشر، فالقانون قانون، والموظف لا يهتم إن كنت تنشئ أكاديمية لنشر الإسلام أم لتدريس أمر آخر، وهذا أمر لمسته بنفسي عندما تقدمت بطلب الإنشاء، ثم طلب جمع تبرعات في أطر القوانين المنظمة لذلك. لكن تم إيقاف العمل مرة من طرف البلدية لأننا لم نحدد كم العدد المسموح لهم بالحضور، وذلك كي تؤمن البلدية سلامتهم، وحين حددنا العدد تم استئناف العمل مباشرة، فلا عرقلة ولا تعنت.

تبقى فقط مسألة توفير المصادر المالية بشكل يتناسب مع طموحنا، أيضا من المعوقات: عدم وجود عنصر بشري كاف ممن يحملون هم الدعوة والقدرة على معاملة الأميركيين بلغتهم، فلدينا في تكساس على سبيل المثال (١٥٠) ألف أميركي مسلم.

• هذا ما يجعلنا نسألكم عن مصادر دخلكم؟ وطموحكم المستقبلي؟

– مصدر دخل الأكاديمية عبارة عن رسوم مدفوعة من الطلاب تقريبا (٨٠٠) دولار شهريا لمدة (٨) أشهر، أما طموحنا فمقاربة فكرة إنشاء المعاهد الأزهرية، فكما هي في القرى، فنود لو نستطيع إنشاء أكاديمية للدعاة في كل ولاية، وبذلك نضمن توفير –على الأقل– إمام مؤهل في كل مكان بالولايات المتحدة بعد (٥) سنوات.

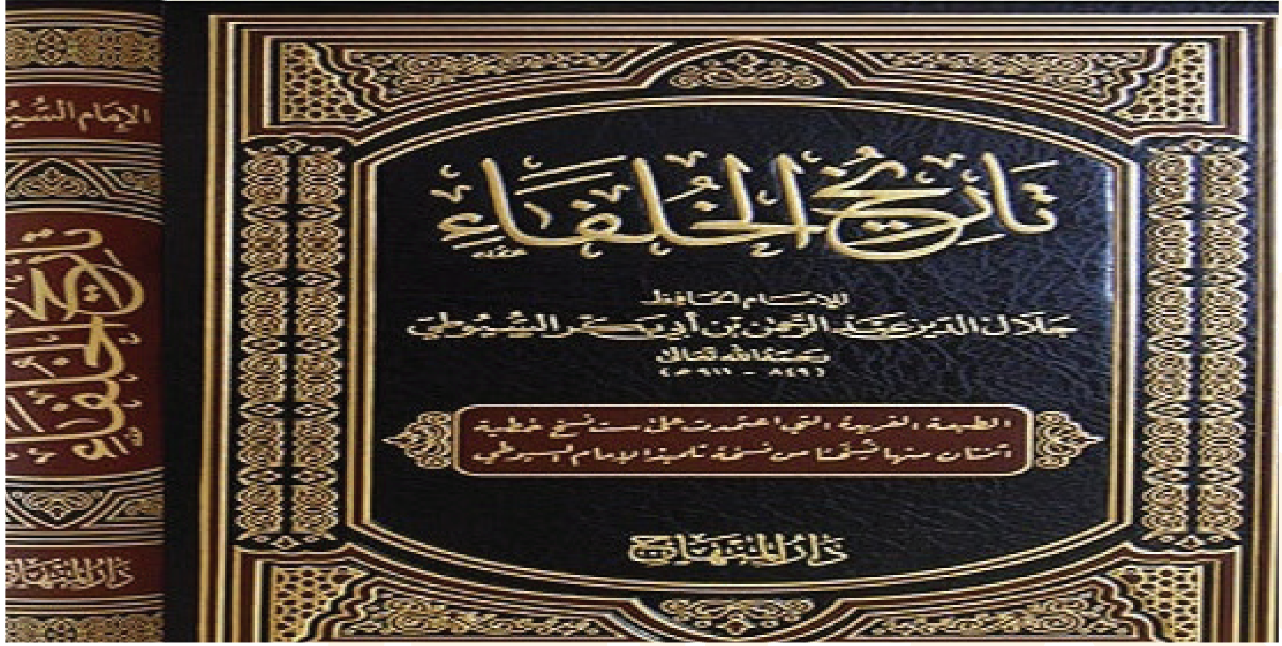
• ماذا عن الإسلاموفوبيا في تكساس؟

– لم أجد هذا التخوف ولا تلك النظرة السلبية للمسلمين في تكساس، فعدد المحجبات في ازدياد بحمد الله، ولا اندهاش من غير المسلمين لذلك، والتعامل راق في كل مكان، والناس متعطشون بالفعل للإسلام الحقيقي الذي يرونه منعكسا في سلوك المسلمين من بشاشة وجه إلى حسن تعامل في التجارة والجيرة، والحمد لله رب العالمين.



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

كتاب تاريخ الخلفاء



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

ويأتي كتاب: «تاريخ الخلفاء» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بكتاب تاريخ الخلفاء

كتاب تاريخ خلفاء المسلمين، ألفه الحافظ جلال الدين السيوطي، وهو كتاب يختص بطبقة معينة من طبقات الرجال، وهي طبقة الخلفاء من بداية عهد الخلفاء الراشدين إلى نهاية عهد الخلافة العباسية، حيث يترجم للخلفاء ترجمة موسعة، فيذكر بداية خلافة كل منهم، وأعماله وآثاره في أيام خلافته، وعماله في البلاد، وأهم الأعلام الذين توفوا في زمانه، ثم يذكر تاريخ وفاته ومدفنه، وقد توسع في الخلفاء الراشدين: (أبي بكر وعمر وعثمان وعلي) لمكانتهم وخصوصيتهم رضي الله عنهم.

التعريف بالحافظ جلال الدين السيوطي

هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي المشهور باسم: (جلال الدين السيوطي) ولد بالقاهرة سنة: (٨٤٩هـ الموافق ١٤٤٥م، وتوفي بها سنة: ٩١١هـ الموافق ١٥٠٥م)، إمام حافظ، مفسر، مؤرخ، أديب، وفقيه شافعي. له نحو: (٦٠٠ مصنف). نشأ في القاهرة يتيما؛ إذ مات والده وعمره خمس سنوات، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويا عن أصحابه جميعا، كأنه لا يعرف أحدا منهم، فألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مرارا فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها،

وبقي على ذلك إلى أن توفي. وكان يلقب بـ«ابن الكتب»؛ لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب، ففاجأها المخاض، فولدته وهي بين الكتب.

كان السيوطي من أبرز معالم الحركة العلمية والدينية والأدبية في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، حيث ملأ نشاطه العلمي في التأليف مختلف الفروع في ذلك الزمان من تفسير وحديث وفقه وتاريخ وطبقات ونحو ولغة وأدب وغيرها، فقد كان موسوعي الثقافة والاطلاع.

أعانه على كثرة تأليفه انقطاعه التام للعمل وهو في سن الأربعين حتى وفاته، وثراء مكتبته وغزارة علمه وكثرة شيوخه ورحلاته، وسرعة كتابته، حيث بدأ التأليف وهو في السابعة عشرة من عمره، وانقطع له (٢٢) عاما متواصلة.

مؤلفاته

زادت مؤلفات السيوطي على الثلاثمائة كتاب ورسالة، عد له «بروكلمان»: (٤١٥) مؤلفا، وأحصى له «حاجي خليفة» في كتابه: «كشف الظنون» حوالي: (٥٧٦) مؤلفا، ووصل بها البعض كابن إياس إلى: (٦٠٠) مؤلف.

ومن هذه المؤلفات نذكر

من مؤلفاته في علوم القرآن والتفسير: الإتقان في علوم التفسير، متشابه القرآن، الإكليل في استنباط التنزيل، مفاتح الغيب في التفسير، طبقات المفسرين، والألفية في القراءات العشر.

ومن مؤلفاته في الحديث وعلومه: إسعاف المبطأ في رجال الموطأ، تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك، جمع الجوامع، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، المنتقى من شعب الإيمان للبيهقي، أسماء المدلسين، آداب الفتيا، وطبقات الحفاظ

ومن مؤلفاته في الفقه: الأشباه والنظائر في فقه الإمام الشافعي، الحاوي في الفتاوي، الجامع في الفرائض، تشنيف الأسماع بمسائل الإجماع.

من مؤلفاته في اللغة وعلومها: المزهر في اللغة، الأشباه والنظائر في اللغة، الاقتراح في النحو، التوشيح على التوضيح، المهذب فيما ورد في القرآن من المعرب، والبهجة المرضية في شرح ألفية ابن مالك. وفي ميدان البديع كان له: عقود الجمان في علم المعاني والبيان، الجمع والتفريق في شرح النظم البديع، وفتح الجليل للعبد الذليل.

من مؤلفاته في التاريخ والطبقات: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تاريخ الخلفاء، الشماريخ في علم التاريخ، تاريخ الملك الأشرف قايتباي، عين الإصابة في معرفة الصحابة،... وغيرها الكثير...

وفاته

توفي الإمام السيوطي في منزله بروضة المقياس على النيل في القاهرة، في: (١٩ جمادى الأولى سنة: ٩١١ هـ، الموافق: ٢٠ أكتوبر ١٥٠٥ م)، ودفن خارج باب القرافة في القاهرة، ومنطقة مدفنه تعرف الآن بمقابر (سيدي جلال) نسبة إليه.

المحتوى العام للكتاب

احتوى الكتاب على عدة فصول قبل البدء بذكر الخلفاء، لخصها جلال الدين السيوطي في التالي:

فصل في بيان كون النبي لم يستخلف وسر ذلك.

فصل في بيان أن الأئمة من قريش والخلافة فيهم.

فصل في مدة الخلافة في الإسلام.

فصل في الأحاديث المنذرة بخلافة بني أمية.

فصل في الأحاديث المبشرة بخلافة بني العباس.

فصل في شأن البردة النبوية التي تداولها الخلفاء إلى آخر وقت.

فصل في فوائد منثورة تقع في التراجم ولكن ذكرها في موضع واحد أنسب وأفيد.

وقد غطى الكتاب الفترة الزمنية من: (١١هـ إلى ٩٠٣هـ)، وتم تقسيمها كالآتي:

فترة الخلفاء الراشدين التي تبدأ من: (١١هـ - ٤١هـ).

فترة خلفاء بني أمية والتي تبدأ من: (٤١هـ - ١٣٢هـ).

خلفاء بني العباس في العراق والتي تبدأ من: (١٣٢هـ - ٦٥٦هـ).

خلفاء بني العباس في مصر (عصر المماليك)، والتي تبدأ من: (٦٥٩هـ - ٩٠٣هـ).

المصادر والمراجع التي اعتمد عليها السيوطي في كتابه

اعتمد المؤلف كما ذكر في نهاية الكتاب على المراجع التالية:

تاريخ الذهبي، تاريخ ابن كثير، المسالك، أنباء الغمر لابن حجر، تاريخ بغداد للخطيب، تاريخ دمشق لابن عساكر، الأوراق للصولي، الطيوريات، الحلية لأبي نعيم، المجالسة للدينوري، الكامل للمبرد، أمالي ثعلب.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة من هذه الكتاب العظيم القدر، وهو في متناول قراءها الكرام المهتمين بكتب التاريخ والتراجم.

المصادر

- تاريخ الخلفاء.
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا.
- جلال الدين السيوطي لمصطفى الشكعة.
- سلسلة أعلام العرب، الحفاظ جلال
- الدين السيوطي، لعبد الحفيظ فرغلي القرني.

إعداد: هشام الصباغ
باحث لغوي



شيخ القضاة

حسنين مخلوف

■ التحق بالأزهر، يحدوه أمل في نيل ما ناله أبناء بلدته، الذين تعلموا بالأزهر، وتخرجوا فيه حاملين لواء إرشاد الناس وتوجيههم، مثل الشيخ: علي بن أحمد العدوي الفقيه المالكي، الذي يُذكر عنه أنه أول من ألّف الحواشي على شروح كتب الفقه المالكي، والعالم الزاهد والفقيه النابه صاحب المؤلفات العظيمة في الفقه والتوحيد والتصوف أبو البركات الدردير، والعالم اللغوي محمد قطة العدوي الذي قام بجهد مشكور في إخراج أمهات كتب التراث التي كانت تطبعها مطبعة بولاق بالقاهرة.

■ وفي الأزهر سمت به همته إلى طلب العلم ومصاحبة العلماء، وثابر على القراءة والتحصيل حتى استوى عالما يشار إليه بالبنان، ومصلحا يعهد إليه بجلائل الأعمال، فتولى إنشاء المكتبة الأزهرية، وجمع لها الكتب المبعثرة في المساجد، وصنفها وفهرسها، وكان أول مفتش للعلوم بالأزهر والمعاهد الدينية، وأصغر الأعضاء في المجلس الأعلى للأزهر، الذي يشرف على أعمال الأزهر ويتولى توجيهه ووضع سياساته، واختير وكيلا للجامع الأزهر.

■ تولى منصب مفتى الديار المصرية مرتين: الأولى في الفترة من يناير ١٩٤٦م وحتى مايو ١٩٥٠م، والثانية في مارس ١٩٥٢م وحتى ديسمبر ١٩٥٤م.. إنه القاضي الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف.

مولده وتعليمه

■ ولد في القاهرة، وتحديدا في حي «باب الفتوح» العريق في ٦ مايو ١٨٩٠م. تعهده أبوه بالتربية والتعليم، فما إن بلغ السادسة حتى دفع به إلى من يعلمه القرآن الكريم، الذي أتم حفظه وهو في العاشرة على يد شيخ المقارئ المصرية -وقتئذ- محمد علي خلف الحسيني.

■ لم يكتف أبوه بتحفيظه القرآن بل هيأه للالتحاق بالأزهر فحفّظه متون التجويد والقراءات والنحو، ثم ألحقه بالأزهر وهو في الحادية عشرة من عمره، وتلقى دروسه في مختلف العلوم على يد كبار شيوخ الأزهر، من أمثال الشيخ عبدالله دراز، ويوسف الدجوي، ومحمد بخيت المطيعي، وعلي إدريس، والبيجرمي، فضلا عن والده الشيخ محمد حسنين مخلوف.

■ تنقل في مراحل التعليم الأزهري حتى حصل على «عالمية» مدرسة القضاء الشرعي عام ١٩١٤م، ولم يكن وقتها جاوز الرابعة والعشرين من عمره.

امتحان قاس.. ولجنة مهيبة

■ عندما فتحت مدرسة القضاء الشرعي أبوابها لطلاب الأزهر، كانت تصطفي النابغين فقط من المتقدمين، فتعقد لهم امتحانا قاسيا، لا يجتازه إلا الأكفاء المتقنون، امتحانا قد يمتد إلى ٦ ساعات للطالب الواحد، وقد ترفع الجلسة بعد عناء لتستكمل في الغد.

■ لم يكن الامتحان القاسي للالتحاق بـ«القضاء الشرعي» هو العقبة الوحيدة، بل كان على الطلاب تخطي لجنة الامتحان المهيبة وإقناع أعضائها بسعة تحصيلهم وغزارة علمهم في فنون مختلفة من العلم.. تلك اللجنة التي يتألف أعضاؤها من: شيخ الأزهر (وقتها كان الشيخ سليم البشري) ومجموعة من كبار العلماء (مفتي الديار السابق -وقتئذ- الشيخ بكري الصدفي، ومفتي الديار -في ذلك الوقت- الشيخ عبدالرحمن قراعة، وشيخ الحنابلة الشيخ السيد أحمد، وعضو المحكمة العليا الشرعية الشيخ عبدالكريم سلمان، وعضو المحكمة الشرعية العليا الشيخ أحمد هارون).

■ تقدم الشيخ لخوض الامتحان، وواجه اللجنة بثبات وشموخ وأساس علمي متين، فتخطى الامتحان بسهولة ويسر، والتحق بالمدرسة، وتخرج فيها بعد أربع سنوات حائزا «عالمية القضاء» عام ١٩١٤م.

حياته العملية

■ بعد تخرجه أخذ يلقي دروسه في الأزهر متبرعا لمدة عامين إلى أن عُيّن قاضيا بالمحاكم الشرعية في قنا سنة ١٩١٦م، ثم تنقل بين عدة محاكم في ديروط والقاهرة وطنطا، حتى عُيّن رئيسا لمحكمة الإسكندرية الكلية الشرعية سنة ١٩٤١م، ثم رُقّي رئيسا للتفتيش الشرعي بوزارة العدل سنة ١٩٤٢م، وفي أثناء توليه هذه الوظيفة المرموقة أسهم في مشروعات إصلاحية، مثل: إصلاح قانون المحاكم الشرعية وقانون المجالس الحسبية، ومحاكم الطوائف المحلية.

■ انتدب للتدريس في قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعي لمدة ثلاث

سنوات، ثم عُيّن نائبا للمحكمة العليا الشرعية سنة ١٩٤٤م، ثم تولّى منصب الإفتاء في الفترة من ٣٠ يناير سنة ١٩٤٦م وحتى ٧ مايو سنة ١٩٥٠م، وعُيّن عضوا بجماعة كبار العلماء بالأزهر سنة ١٩٤٨م.

■ منذ انتهت خدمته القانونية لم يركن إلى الدعة والراحة، بل أخذ يلقي دروسه بالمشهد الحسيني يوميا، ويصدر الفتاوى والبحوث المهمة، إلى أن أعيد مُفتيا للديار مرة ثانية في ٢٦ فبراير ١٩٥٢م، وظل في الإفتاء حتى أكتوبر ١٩٥٤م، وقد أصدر خلالها حوالي ٨٥٨٨ فتوى مسجلة بسجلات دار الإفتاء.

■ بعدها عمل رئيسا للجنة الفتوى بالأزهر الشريف مدة طويلة، كما اختير عضوا لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وتولى رئاسة جمعية البحوث الإسلامية بالأزهر، وتولى رئاسة جمعية النهوض بالدعوة الإسلامية، وكان عضوا مؤسسا لرابطة العالم الإسلامي بالمملكة العربية السعودية، وشارك في تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واختير في مجلس القضاء الأعلى بالسعودية.

أولى فتاواه وهو طالب

■ كانت أولى فتاواه وهو لا يزال طالبا في مدرسة القضاء الشرعي حين دفع إليه أبوه برسالة وصلت إليه، يطلب مرسلها حكم الإسلام في الرفق بالحيوان، وطلب منه أن يكتب الرد بعد الرجوع إلى المصادر الشرعية، فعكف الشيخ -وهو بعد لا يزال طالبا- أسبوعين حتى أخرج رسالة مستوفاة، سُرَّ بها والده الشيخ، وبادر إلى طباعتها من فرط سعادته بابنه النابغ، وفي ذلك يقول الشيخ في مقدمة تلك الرسالة: «وبعد.. فقد أمرني والدي صاحب الفضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي مدير الأزهر والمعاهد الدينية بجمع ما تيسر من النصوص الشرعية في (الرفق بالحيوان) لحاجة كثير من الناس إلى معرفة حكمه في الشريعة الإسلامية، فصدعت بالأمر متوخيا سبيل الإيجاز ومستعينا بالله». وكان هذا التوفيق في الإجابة والفتوى إرهاصا لما سيكون عليه في قابل الأيام من كونه مفتيا فذا وعالما كبيرا.

مؤلفاته

■ رغم أن أعمال القضاء والدرس شغلت معظم وقت الشيخ، غير أن له كتبا -على وجازتها- نافعة جدا، لأنه وضعها حلا لقضية، أو تبصيرا للناس، أو إحياء لسنة ومحاربة لبدعة، أو بيانا لمشكلة اجتماعية، فهي كتب عملية تأخذ بيد الناس وتبين لهم مبادئ دينهم في سماحة ويسر، نذكر منها: «أسماء الله الحسنى والآيات القرآنية الواردة فيها»، و«أضواء من القرآن الكريم»، و«آداب تلاوة القرآن وسماعه»، و«المواريث في الشريعة الإسلامية»، و«شرح البيقونية في مصطلح الحديث»، و«صفوة البيان لمعاني القرآن».. وغيرها كثير.

■ كما كان للشيخ جهود في تحقيق بعض الكتب، مثل: «الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثقى في علم الشريعة والطريقة والحقيقة لمحمد بن عمر الحريري»، و«شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا للملا علي القاري»، و«هداية الراغب بشرح عمدة الطالب لعثمان بن أحمد النجدي».

جوائز وأوسمة

■ كان الشيخ محل تقدير واحترام لسعة علمه وشدته في الحق، وكانت الأوساط العلمية والرسمية تنظر إليه بعين التقدير لجلائل أعماله في الدعوة والقضاء والإفتاء، فمُنح كسوة التشريفة العلمية مرتين: الأولى حين كان رئيسا لمحكمة طنطا، والأخرى وهو في منصب الإفتاء، كما نال جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية سنة ١٩٨٢م، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، وامتد تكريمه إلى خارج البلاد فنال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٩٨٣م.

الوفاة

■ طالت الحياة بالشيخ حتى تجاوز المئة عام، قضاها في خدمة دينه داخل مصر وخارجها، حيث امتدت رحلاته إلى كثير من البلاد العربية ليؤدي رسالة العلم، ويلقي دروسه، أو يفتي في مسائل دقيقة تُعرض عليه، أو يناقش بعض الأطروحات العلمية في الجامعات، وظل على هذا النحو حتى لقي ربه في ١٥ أبريل ١٩٩٠م.

إسهاماته مع «الوعي»

■ كانت للشيخ ٨ مساهمات مع مجلة «الوعي الإسلامي»، جاءت تحت عناوين: «الحج أولا أو الزيارة» (ع:٧٠)، «حكم الصلاة في النعال» (ع:٧٥)، «علاج الضرس في الصيام» (ع:٨١)، «النزيف في الصيام» (ع:٨١)، «الحقنة الشرجية في رمضان» (ع:٨١)، «سؤال وجواب عن القضية الفلسطينية» (ع:٥٤)، «ملابس النساء» (ع:٦١)، «الوقاية هي العلاج» (ع:٧٧).

المصادر

- كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
- دار الإفتاء المصرية.
- موقع الجزيرة (الدكتور محمد الجوادي).
- موقع إسلام أونلاين.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث









سلسلة الأعلام المتشابهة (٦٨)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

نتناول في هذه الحلقة المتفق والمفترق في اسم (ابن النحاس).

١- أبو جعفر بن النحاس (ت: ٣٣٨هـ)

هو أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي، العلامة، إمام العربية. ارتحل إلى بغداد، وأخذ عن الزجاج، وحدث عن: بكر بن سهل الدمياطي، والحسن بن غليب، والحافظ أبي عبدالرحمن النسائي، وجعفر الفريابي، وابن سماعة، وعمر بن أبي غيلان، وطبقتهم.

من أبرز مصنفاته: (إعراب القرآن)، و(اشتقاق الأسماء الحسنى)، و(تفسير أبيات سيبويه)، و(كتاب المعاني)، و(الكافي) في النحو، و(الناسخ والمنسوخ)، توفي غرقا بالقاهرة[1].

٢- أبو العباس بن النحاس (ت: ٣٧٦هـ)

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى



المصري، نزيل نيسابور، المعروف بابن النحاس، الإمام الحافظ الرحال.
سمع من علي بن أحمد علان، وأبي القاسم البغوي، وأبي عروبة الحراني، وأبي نعيم عبد الملك بن عدي، وعبدالرحمن بن أبي حاتم، وأبي حامد بن الشرقي، وخلق كثير.
وحدث عنه: أبو عبدالله الحاكم، وأبو عبدالرحمن السلمي، وأبو حازم العبدوي، وأبو نعيم الأصبهاني، وأبو عثمان سعيد بن محمد البحيري، وجماعة[٢].

٣- أبو محمد بن النحاس (ت: ٤١٦هـ)

هو أبو محمد عبدالرحمن بن عمر بن محمد التجيبي المصري المالكي، المعروف بابن النحاس، مسند الديار المصرية في وقته ومحدثها.
ولد سنة: (٣٢٣هـ)، وعمل بزازًا، ثم طلب الحديث، وسمع بمكة والمدينة، حدث عنه: الصوري، وأبو نصر السجزي، وعبد الرحيم البخاري، من مصنفاته: (المشيخة) أجزاء في الحديث، توفي بالقاهرة[٣].

٤- أبو نصر بن النحاس (ت: ٤٨٧هـ)

هو أبو نصر محمد بن الحسين التميمي، المعروف بابن النحاس، شاعر من أهل حلب، ومن وزراء آل مرداس، استوزره نصر بن محمود بن صالح.
من أبرز مصنفاته: (ديوان شعر) صغير، و(ديوان رسائل)، توفي خنقًا[٤].

٥- ابن النحاس (ت: ٥٨٩هـ)

هو يحيى بن علم الملك الصنهاجي، المعروف بابن النحاس، من ولد تميم بن المعز، من أمراء الدولة المصرية في زمن ابن رزيك وولده، ثم في دولة شارو، خدم السلطان صلاح الدين الأيوبي، وسافر معه إلى الشام، وله شعر[٥].

٦- بهاء الدين بن النحاس (ت: ٦٩٨هـ)

هو بهاء الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن محمد الحلبي، المعروف بابن النحاس، شيخ العربية بالديار المصرية في عصره، أديب، نحوي، مقرئ.
ولد في حلب سنة: (٦٢٧هـ)، ثم هاجر إلى القاهرة واستقر بها، روى عن ابن يعيش وابن اللتي وغيرهما.
من أبرز مصنفاته: (إملاء على كتاب المقرب لابن عصفور) في النحو، و(هدي أمهات المؤمنين)، و(التعليقة في شرح ديوان امرئ القيس)، و(ديوان شعر)، توفي بالقاهرة[٦].

٧- محيي الدين بن النحاس (ت: ٨١٤هـ)

هو محيي الدين أبو زكريا أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي ثم الدمياطي الشافعي، المعروف بابن النحاس، فرضي فاضل، مجاهد.
ولد في دمشق، ورحل أيام تيمورلنك إلى مصر، ولازم المرابطة والجهاد بثغر دمياط وقتل شهيدًا، من أبرز مصنفاته: (بيان المغنم في الورد الأعظم)، و(مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق)، و(مثير الغرام إلى دار السلام) في الجهاد والمجاهدين، و(شرح المقامات الحريرية)، و(تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين)، و(تحذير السالكين من أفعال الهالكين)، توفي شهيدًا في معركة مع الإفرنج، ودفن بدمياط[٧].

٨- فتح الله بن النحاس (ت: ١٠٥٢هـ)

هو فتح الله بن عبدالله الحلبي، الشهير بابن النحاس، شاعر رقيق مشهور.
ولد بحلب، ثم قام برحلة طويلة، فزار دمشق والقاهرة والحجاز، واستقر في المدينة المنورة، ومن أشهر قصائده حائيته المرقصة، وله (ديوان شعر)، و(التفتيش على خيالات درويش) أي درويش مصطفى الحلبي توفي بالمدينة المنورة[٨].

الهوامش

١- انظر: سير أعلام النبلاء (٤٠١/١٥) وطبقات النحويين واللغويين (ص: ٢٣٩).
٢- انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٩/١٦) وتذكرة الحفاظ (٩٩٥/٣).
٣- انظر: سير أعلام النبلاء (٣١٣/١٧) وهدية العارفين (٥١٦/١) والأعلام للزركلي (٣١٩/٣).
٤- انظر: هدية العارفين (٥٦٢/١) والأعلام للزركلي (١٠٠/٦).
٥- انظر: هدية العارفين (٢١٥/٢) والأعلام للزركلي (١٥٦/٨).
٦- انظر: هدية العارفين (١٣٩/٢) والأعلام للزركلي (٢٩٧/٥) ومعجم المؤلفين (٢١٩/٨).
٧- انظر: هدية العارفين (١١٩/١) والأعلام للزركلي (٨٧/١).
٨- انظر: هدية العارفين (٨١٥/١) والأعلام للزركلي (١٣٥/٥).

إعداد/ تركي محمد النصر

صيام شوال

قال العلامة ابن رجب رحمه الله: «إن صيام ستة أيام من شهر شوال يلتحق بصيام رمضان ويكتب بذلك لمن صامها مع رمضان صيام الدهر فرضا، وقد روي أن أسامة بن زيد رضي الله عنهما كان يصوم الأشهر الحرم، فأمره النبي ﷺ بصيام شوال، فترك الأشهر الحرم وصام شوالا».

انظر: لطائف المعارف: (١/ ٣٤).

أنفع العلوم

قال العلامة ابن قتيبة رحمه الله:

- «زكاة المال الصدقة.
- وزكاة الشرف التواضع.
- وزكاة الجاه بذله.
- وزكاة العلم نشره.
- وخير العلوم أنفعها، وأنفعها أحمدها مغبة، وأحمدها مغبة ما تعلّم وعلِّم لله وأريد به وجه الله تعالى».

انظر: عيون الأخبار (١/ ٤١).

محاسن الشكر

قال بعض الحكماء:

- صن شكرك عمن لا يستحقه.
- واستر ماء وجهك بالقناعة.
- وقال الفضل بن سهل: «من أحب الازدياد من النعم فليشكر».
- ومن أحب المنزلة عند سلطانه فليكفه.
- ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالته ومكره.

انظر: المحاسن والمساوئ (ص/ ٥٧).

بالإخلاص تتفجر الحكمة

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى: «والإخلاص: أن يكون الله هو مقصود المرء ومراده، فحينئذ تتفجر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

انظر: النبوات (ص/ ١٤٧).

جزاء المعصية

قال ابن خيرة -وكان من أصحاب علي رضي الله عنه-: «جزاء المعصية: الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة.

قيل: وما التعسر في اللذة؟

قال: لا يصادف لذة حلالا إلا جاء من ينغصه إياها».

انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٣).

مشاركة: يعقوب الجناع

أربع خصال

قال علي رضي الله عنه: «من استطاع أن يمنع نفسه من أربع خصال فهو خليق ألا ينزل به مكروه: اللجاج، والعجلة، والتواني، والعجب. فثمرة اللجاج الحيرة، وثمرة العجلة الندامة، وثمرة التواني الذلة، وثمرة العجب البغضة».

انظر: درر الحكم لأبي منصور الثعالبي (ص/٢٠).

أربع فيهن صلاح دينك

قال صالح بن كيسان رحمه الله: خرج علينا الزهري من عند هشام بن عبد الملك فقال: لقد تكلم اليوم رجل عند أمير المؤمنين ما سمعت كلاما أحلى منه! قال له: يا أمير المؤمنين اسمع مني: أربع فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك، قال: ما هي؟ قال:

❖ «لا تعدن أحدا عدة وأنت لا تريد إنجازها.
❖ ولا يغرنك مرتفق سهلا إذا كان المنحدر وعرا.
❖ واعلم أن الأعمال آخرا؛ فاحذر العواقب.
❖ وأن الدهر تارات، فكن على حذر».

انظر: التماس السعد في الوفاء بالوعد (٤٥/١).

حارق شهوات النفوس

❖ الخوف اسم جامع لحقيقة الإيمان، وهو علم لوجود الإيقان، وهو سبب اجتناب كل نهي، ومفتاح كل أمر، وليس شيء يحرق شهوات النفوس فيزيل آثار آفاتها إلا مقام الخوف.
❖ وثمرة الخوف: العلم بالله عز وجل، والحياء من الله عز وجل.
وجملته: أن يحفظ رأسه وما حواه من السمع والبصر واللسان، وأن يحفظ بطنه وما وعاه وهو القلب والفرج واليد والرجل.
❖ وأعلى الخوف: أن يكون قلبه معلقا بخوف الخاتمة، لا يسكن إلى علم ولا عمل، ولا يقطع على النجاة بشيء من العلوم وإن علت، ولا لسبب من أعماله وإن جلت؛ لعدم تحقيق الخواتيم، فقد قيل: إنما يوزن من الأعمال خواتيمها.

انظر: الوعظ المطلوب من قوت القلوب (ص/١٥٢).

دعاء جامع

كان من دعاء أبي الحسن بن بشار رحمه الله: «اللهم أعطيت فأجزلت العطاء، وعافيت فصرفت البلاء، وكثرت علينا منك الآلاء، فأي أياديك نذكر، أم أي نعمائك نشكر، جميل ما أظهرت، أم قبيح ما سترت، فلك الحمد سبحانك!».

انظر: طبقات الحنابلة (١٤٧/١).

انضباط في العمل

قال معاذ بن معاذ -القاضي- لابنه في يوم مطير: أي بني، امض بنا نجلس للناس. فقال ابنه: يا أبت، هذا يوم مطير لا يجيء فيه الناس.
فقال: يا بني، امض بنا، فبم نستحل أن نأخذ كل يوم كذا وكذا درهما؟ وخرج وجلس.

انظر: أخبار القضاة (١٣٨/٢).



إعداد: التحرير



كيف تجعل طفلك يحب القرآن؟



القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل المعجز، المنزل على رسول الله ﷺ، المدون في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته ولو بآية منه، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس.

ويتناول القرآن الكريم أمورا عديدة من ضمنها العقائد التي يجب الإيمان بها في الله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، القضاء على العادات والتقاليد الجاهلية في جميع شؤون الحياة، إصلاح المجتمع إصلاحا كاملا في جميع أموره العقدية والدينية، أو في أحواله الاجتماعية، وما يشملها من أمور دينية وأخلاقية وإنسانية وأحكام حقوقية، تلتقي جميعها في روح واحدة وفكرة سامية.

والطفل هو عماد المستقبل، وهو الثروة البشرية لأي أمة، ويتوقف تقدمها على مدى اهتمامها بالطفل، فالطفل سيصبح شابا في الغد وقائدا للمستقبل؛ لذلك فالاهتمام به في المرحلة المبكرة من عمره مطلب أساسي باعتبارها مرحلة يكتسب من خلالها قيم الدين الإسلامي كما يكتسب المعرفة، وذلك من أجل جعله مواطنا صالحا لخدمة دينه ووطنه.

وعلى الوالدين تنشئة أطفالهما تنشئة دينية وزرع حب القرآن الكريم في قلوبهم، وعلى الوالدين مراعاة بعض الخطوات لتحبيب القرآن الكريم لدى الأطفال وهي تلاوة القرآن أمام الطفل، أن تظهر له تعظيمك للقرآن وأهله، أن تهديه مصحفا يكون خاصا به، أن تسجل صوت الطفل أثناء تلاوته وتثني عليه وتمدحه، أن تحفز الطفل بالجوائز بصفة مستمرة، أن تقرأ عليه قصص القرآن عندما يخلد للنوم.

د. أحمد محمد عيساوي

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com







المساكين يعملون

تنتشر وبكل أسف في شوارع كثير من المدن والبلدان ظاهرة التسول، ويظن الكثير من الناس أن المتسولين يستحقون الزكاة، وهذا خطأ كبير، فإذا تأملنا قوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (الكهف:٧٩)، وجدنا أن المساكين يعملون، أما المتسولون فلا يعملون، ولذا استحق المساكين الزكاة لأن دخلهم قليل لا يكاد يكفيهم رغم أنهم يعملون،

لذا قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٦٠)، فعلى الأغنياء والجمعيات الخيرية أن ينتبهوا لهذا الأمر، كذلك الفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافا علينا أن نبحث عنهم فهم أولى بالصدقات لتعففهم، أما الذين يتسولون ويدعون الفقر وهم قادرون على العمل فلا يجب أن نقف بجوارهم ولكن علينا أن نلين لهم القول امتثالا لقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦٣).

عمرو عبدالتواب



آداب العيد

من السنن التي يفعلها المسلم يوم العيد ما يلي:

١- الاغتسال قبل الخروج إلى الصلاة:
فقد صح أَنّ عَبْدَ اللّهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ يَغْتَسِلُ يَوْمَ الْفِطْرِ قَبْلَ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى الْمُصَلّى (الموطأ).
وذكر النووي رحمه الله اتفاق العلماء على استحباب الاغتسال لصلاة العيد.

٢- الأكل قبل الخروج في الفطر وبعد الصلاة في الأضحى:
من الآداب ألا يخرج في عيد الفطر إلى الصلاة حتى يأكل تمرات لما رواه البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك قَالَ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ لا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتّى يَأْكُلَ تَمَرَات.. وَيَأْكُلُهُنّ وِتْرًا.
وإنما استحب الأكل قبل الخروج مبالغة في النهي عن الصوم في ذلك اليوم وإيذانا بالإفطار وانتهاء الصيام.
وأما في عيد الأضحى فإن المستحب ألا يأكل حتى يرجع من الصلاة فيأكل من أضحيته إن كان له أضحية، فإن لم يكن له من أضحية فلا حرج أن يأكل قبل الصلاة.

٣- التكبير يوم العيد:
وهو من السنن العظيمة في يوم العيد لقوله تعالى:
﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة:١٨٥).
وعن الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي ومالك بن أنس عن إظهار التكبير في العيدين، قالا: نعم كان عبد الله بن عمر يظهره في يوم الفطر حتى يخرج الإمام.

علاء علي عبدالرحمن

مسك الختام

الرفق دليل الإيمان

الرفق واللين واليسر والسماحة من الخصال والصفات النبيلة التي حث الإسلام عليها، والدعوة إلى التحلي بها، والثناء على أهلها، والقائمين بها، فهي أساس المحبة والتعاطف بين الناس، وجالبة السماحة والمودة في التعاملات، ودليل كمال الإيمان وحسن الإسلام، وعنوان فلاح العبد وسعادته في الدارين، وصلاحه وحسن خلقه مع الآخرين، وسبب من أعظم أسباب رحمة الله تعالى للعباد، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

ومن يقرأ السيرة النبوية الشريفة ويتأملها يدرك منها اليسر والرفق في الدعوة والتعليم، فلقد كان الرسول ﷺ رحمة للناس، يرحم ضعيفهم ويرفق بجاهلهم ويشفق على ضالهم، استشعر قول ربه له مع تمام التطبيق والامتثال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه» (رواه مسلم).

وليس معنى اليسر والرفق هو التساهل والضعف كما قد يتوهمه بعض الناس، وإنما المراد أخذ الناس بالسهولة والسماحة مع مراعاة ما يجب وما يلزم، دون تشدد أو تعنت أو مشقة، قال تعالى:

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ (البقرة:٨٣).

لذلك حرص النبي ﷺ على الرفق، فكان يربي عليه أصحابه، وكان يربي عليه أهله، وكان يتمثله قبل ذلك في نفسه، قال ﷺ: «إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق، وإذا أراد بأهل بيت شرا نزع منهم الرفق » (أخرجه أحمد). يدخل عليهم الرفق، فيصبح الزوج رفيقا مع زوجه إذا أخطأت، وهي رفيقة معه إذا لاحظت عليه خطأ، ويصبح الأب رفيقا مع أولاده، ويصبح الإخوة في رفق ولين مع بعضهم، ويصبحون رفقاء مع الخدم ومن يعمل معهم في البيت، ثم تنتقل هذه الصورة المشرقة إلى المجتمع كله فيصير مجتمع الرفق والتراحم.

والله تعالى يحب الرفق في كل الأمور، فالرفق صفة من صفات الرحمن جل وعلا، وفي الحديث: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف» (البخاري).

والله تعالى يحب من عباده أن يزدانوا بهذا الخلق الكريم كمال قال نبينا ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله» (البخاري).

وهكذا ينبغي أن نكون.. يرفق بعضنا ببعض ويرحم بعضنا بعضا.

د. فهد فريج الجنفاوي
وكيل وزارة الأوقاف المساعد
لشؤون القرآن والدراسات الإسلامية - الكويت

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي



مصرف الصدقات

وقف على دعم بعض الفئات الضعيفة والمحتاجة في المجتمع،لسد حاجتها،وحفظ كرامتها



Q8APF | WWW.AWQAF.ORG.KW

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية جامعة
العدد (٦٨٧) ذوالقعدة ١٤٤٣ هـ - يونيو/ يوليو ٢٠٢٢م

مجانا مع العدد: زراع الإيمان

الأقصى مهوى الأفئدة

- العلاقات الزوجية الناجحة
- البيئة في المفهوم الإسلامي
- صدام القيم


مجلة الوعى الإسلامى

www.alwaei.gov.kw

alwaeiq8@gmail.com
موقع مجلة الوعي الإسلامي






الجمع بين وقفي هلال والخصاف

لقاضي القضاة
أبي محمد عبد الله بن الحسين الناصحي الحنفي
المتوفى سنة (٤٤٧هـ) رحمه الله تعالى

دراسة وتحقيق
د. تركي محمد حامد النصر
باحث الدراسات الإسلامية

إشراف
د. فلاح محمد فهد الهاجري
جامعة الكويت





الجمعُ بين وقفي هلال والخصَّاف

إصدارٌ علميٌّ نفيسٌ، يتناولُ بابًا مُهمًّا من أبواب الفقه الإسلاميِّ، وهو باب (الوقف)، وتأتي أهميته من كونه يجمعُ بين كتابين أصيلين في مجال الوقف، وهو من إصدارات إدارة المعلومات والتوثيق في الأمانة العامة للأوقاف، ضمن مشروعها الرائد في تحقيق المخطوطات الوقفيَّة، أحد مشاريع الدول المنسِّقة لجهود الدول الإسلاميَّة في مجال العمل الوقفي، والإصدار بدراسة وتحقيق الدكتور تركي محمد حامد النصر، باحث الدراسات الإسلامية بمجلة «الوعي الإسلامي».



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

المسجد الأقصى.. تاريخ تليد وواقع مرير

إن تاريخ المسجد الأقصى تاريخ تليد عميق، فهو تاريخ الأنبياء من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ، فالمسجد الأقصى يمثل تاريخ دين التوحيد الذي كان الإسلام آخر حلقاته. فالمسجد الأقصى مرتبط لدى المسلمين بحادثة الإسراء الشهيرة التي خلدها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

وهو فتوى نبينا الخالدة، فعندما استفتته مولاته ميمونة فيه؛ قال: «أرض المنشر والمحشر ائتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه. قالت: أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه. قال: فليهد إليه زيتا يسرج فيه فإن من أهدى له كان كمن صلى فيه» (رواه أحمد).

وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، فقد أخرج البخاري والإمام أحمد عنه ﷺ أنه قال: «ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى».

لقد كان أول عهد القدس بالفتح الإسلامي في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين رفض أهلها أن يسلموا مفتاح المدينة إلا لعمر بن الخطاب بشخصه، فجاءهم آخذا بلجام دابته التي يركب عليها مولاه، وهو يخوض في الطين رضي الله عنه فتسلم المفتاح وكتب لأهلها العهد المشهور ودخل دخول الفاتحين. ثم سقط المسجد الأقصى في أيدي الصليبيين في عام ٤٩٢هـ، ثم قيض الله للمسجد الأقصى المبارك القائد المؤمن صلاح الدين الأيوبي وكانت عودة المسجد الأقصى إلى مكانها الطبيعي في حيازة المسلمين عام (٥٨٣هـ) واستمر في عز المسلمين حتى كانت المؤامرة الدولية على الأرض المباركة وتسليمها لليهود، وما زال أهل بيت المقدس يعانون من بطش الصهاينة وظلمهم، ولكن الله غالب على أمره.

يجب على كل مسلم آمن بالله ورسله وأنبيائه أن يجعل قضية المسجد الأقصى حاضرة في قلوب أبنائه ويربيهم على وجوب تحريره وإعادة العزة والكرامة إلى هذه الأرض الطاهرة المطهرة، مستذكرا وعده ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله» (رواه البخاري)، هذا الوعد المبارك الذي ينتظر تهيئة البيئة المناسبة لتحقيقه، وهي بيئة الاستقامة على دين الله.

إن الجرائم المتكررة التي يمارسها الصهاينة على أرض بيت المقدس لتدل دلالة واضحة على مدى وحشيتهم وعدم احترامهم للأديان السماوية، وإن جبين الإنسانية والتاريخ ليندى لما يقوم به هؤلاء من أعمال تخريب واغتصاب لبيوت المقادسة، فأصبح لزاما على المسلمين في المشارق والمغارب أن ينصروا إخوانهم في فلسطين، لإنهاء مخططات الكيد والمكر والعدوان، وتحرير المقدسات ورد الحق السليب إلى أهل الإيمان.

وإننا لعلى ثقة ويقين بالنصر والتمكين، وتحرير الأقصى من براثن المعتدين، وتطهيره من دنس الغاصبين المجرمين، ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننوه بانطلاق الحملة الشعبية العاجلة لإغاثة الشعب الفلسطيني، برعاية وزارة الشؤون الاجتماعية والتنمية المجتمعية وبالتعاون مع وزارة الخارجية الكويتية لتقديم العون والمساعدة للأشقاء في فلسطين، انطلاقا من واجب الأخوة وتعبيرا عن موقف الكويت الثابت في دعم القضية الفلسطينية.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٨٧/ ذو القعدة ١٤٤٣ هـ
العام التاسع والخمسون
يونيو - يوليو ٢٠٢٢م

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٢٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٢٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



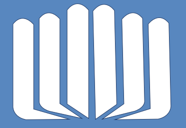
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

جرح الأمة النازف

تتوارى النفوس خجلا وتعتصر القلوب ألما لما يحدث لإخواننا في فلسطين الحبيبة من اعتداءات وجرائم يومية تتعمد إزهاق الأرواح البريئة، وتستهدف قصف البيوت على رؤوس ساكنيها لتقتل النساء والشيوخ وتغتال براءة الأطفال، وبينما أعداء الأمة على هذا الحال ينشغل كل منا بحاله ونفسه ويعرض عن مد يد العون لإخوانه.

ولولا بقية من فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى يتصدون لهذا المحتل المجرم الآثم بصدورهم العارية وما يملكون من أدوات القوة، لولا هؤلاء العصبة الفتية الظاهرة على الحق المغالبة للعدو لما كان يحق لنا أن نرفع رؤوسنا ونعلن فخرنا واعتزازنا بعروبتنا وإسلامنا.

إن المسجد الأقصى وأرض فلسطين هما قضية المسلمين الكبرى، ورغم تعدد الجراح وتكاثر المآسي على المسلمين في أنحاء كثيرة من العالم، فإن قضية فلسطين تبقى هي القضية المحورية للأمة الإسلامية، إذ إنها قضية عقيدة ودين.. من انسلخ منها وتخلى عنها يوشك أن ينسلخ من دينه ويتخلى عنه.

التحرير

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير . للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



أحمد الطيبي
دكتوراه في الدراسات الإسلامية

من ثمار فاتحة الكتاب

من المسلمات عند كل مسلم أن القرآن الكريم هو الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأن مصدره رب العالمين، الذي خلق الإنسان من سلالة من طين، فهو روح الأبدان، وغذاء الإنسان، ذكره ومدارسته تزرعان في القلوب الإحساس بالأمان، والراحة والاطمئنان، دليل ذلك فاتحة القرآن، فلها من الثمار الدانية ما يعجز عن وصفه البيان، اقرأها معي بتدبر أخي العزيز ينجلي لك البرهان، قال تعالى:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ (الفاتحة:٢-٧)

لاحظ معي أخي الكريم كيف أن الله سبحانه بدأ كتابه بالحمد والثناء، يقول الإمام ابن عطية في تفسيره: «الحمد معناه الثناء الكامل، والألف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد، وهو أعم من الشكر»، ومن ثمار هذه الكلمة، أنها غاية ما يمكن للإنسان النطق به في مقام الشكر، فقد حكى القرآن الكريم أن أصحاب الجنة عندما يدخلونها

ويريدون أن يعبروا لله عن شكرهم إياه يقولون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾ (فاطر:٣٤)، ويقولون أيضا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ (الزمر:٧٤)، فلو كانت هناك كلمة أعم لنطقوا بها، لأنهم في مقام يقتضي التعبير بأبلغ الكلام، لكن القرآن الكريم، ذكر لهم في هذا المقام الجليل هذه الكلمة فقط، مما يدل على عظمتها عند الله؛ ويكفي من ثمارها أن قراءتها واجبة على العبد في كل صلاة، إذ لا تقبل الصلاة بدونها، والوجوب دليل على تعظيم الشارع لها، وفي الحديث عن أبي هريرة قال الله عز وجل: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي، وقال مرة: لعبدي ما سأل، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين، قال: حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم قال: مجدني عبدي، أو أثنى علي عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال: فوض إلي عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: فهذه بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، وقال مرة: ما سألني، فيسأله عبده: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال. هذا لعبدي، لك ما سألت، وقال مرة، ولعبدي ما سألني»، فالله تعالى يحب عبده الحامد، الذي يصفه بالكمال مع محبته وتعظيمه؛ روى البخاري عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماوات والأرض».

يقول ابن حجر: «ومعنى ملء الميزان أن ذاكرها يمتلئ ميزانه ثوابا»، فما أحلاها من كلمة جامعة، ومن آيات نافعة، أنعم الله بها على عباده، فجعل ثمارها لا تنفد، ومعينها لا ينضب، تروي ظمأ العبد الطامع في رحمة مولاه، المتدرج في مسالك العروج إلى الله، آية آية، بداية بالثناء والشكر، ومرورا بالاعتراف له سبحانه بالملك التام للكون.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ هذا التعبير الجميل الذي يجعل العبد المظلوم في اطمئنان تام بأن حقه المغتصب منه سيرجع إليه قطعا، لأن الذي يملك يوم الدين، الذي هو يوم الجزاء والحساب هو نفسه سبحانه المالك للدنيا، فهذه الآية إذا تؤملت تزرع في نفس العبد أملا، فينطق بالعبودية المطلقة لمولاه، ويشعر بالحرية المطلقة من ربقة هواه، فيقول حينئذ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، فيظفر بثمرة إثبات وحدانية الله، وهي ثمرة لا يعرف مذاقها إلا من حارب في نفسه هواها، فأخضعها لمن سواها فألهمها فجورها وتقواها.

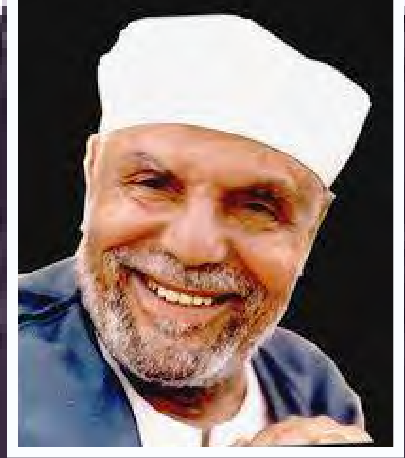
وفي قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ طلب الاستعانة من رب العالمين، في أمور الدنيا وأمور الدين، «لأن إعطاء الله عبده ذلك مع تمكينه جوارحه لأداء ما كلفه من طاعته وافترض عليه من فرائضه، فضل منه جل ثناؤه تفضل به عليه، ولطف منه لطف له فيه»، فلو لم يطلب العبد الاستعانة لأصابته المشقة ولعجز عن الأداء، فمن رحمة الله بعبده أن علمه هذا الدعاء ثم استجابه منه.

وبعد إحساس العبد بالاستجابة، يهرع لطلب الهداية فيقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ أي «الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه»، وهو الطريق السهل الذي أنعم الله به على عباده، الذين امتثلوا لأوامره، لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (النساء: ٦٦-٦٨). قال ابن عطية: « فالآية تقتضي أن هؤلاء على صراط مستقيم، وهو المطلوب في آية الحمد، فلا هو طريق المغضوب عليهم ولا هو طريق الضالين، فهؤلاء وهؤلاء حادوا عن الصراط المستقيم، فألبسوا أنفسهم لباس العنت، وقيدوها بالهوى، فحرموا من قصد الاستقامة، وثمار القوامة، فخرجوا معا من عموم وصف الإنعام الذي وصف الله به من هم على طريق الاستقامة، فثبت إذن أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال، وهم أصحاب المنهج الوسط من المسلمين. والحمد لله رب العلمين.



الرد على مطاعن المشككين

المحاضرة الخامسة



محاضراتٌ تربويةٌ وثقافيةٌ وتوجيهيةٌ أسداها فضيلةُ الشَّيخ محمَّد متولِّي الشَّعراويُّ - رحمه الله - أثناء زيارته الميمونة إلى دولة الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، حيث حلَّ الشَّيخ الشَّعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها.

وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجلعها الله في ميزان حسناته، ثمَّ خصَّ ابنُه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلَّة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تَّحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشعراوي، المتوفى سنة (١٤١٩هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك ربي كما علمتنا أن نحمد، وأصلي على خير خلقك سيدنا محمد وبعد، فقد انتهينا في لقائنا السابق بكم إلى بعض عناصر قصة الخلق الأول، وعرفنا من عناصر هذه القصة: آدم والملائكة وإبليس والأمر بالسجود وامتناع إبليس وإخراجه من الجنة، وتكلمنا على قصة تكليف الله؛ أي: افعل ولا تفعل، وعلى عنصر مخالفة الإنسان لمنهج الله، وبينا عناصر هذه المخالفة، فهي إما تحقيق شهوة نفس، وإما إطاعة شيطان، وفرقنا بين شهوة النفس وإغواء الشيطان، والآن يجب أن نتناول بعض هذه الجوانب تناولا يجلي بعض الإشكالات في نظر المؤمنين، ويصور بعض المطاعن في نظر المشككين والملحدين.

العنصر الأول الذي نريد أن نتكلم عليه هو عنصر امتناع إبليس عن السجود، فالذين يشككون في القرآن يقولون: إن القرآن قد تضارب، فبينا هو يعد إبليس من الملائكة إذ هو يصرح تصريحا قاطعا أنه من الجن، وإبليس إما أن يكون من الملائكة، وإما أن يكون من الجن، والقرآن جاء بنصوص تذكر هذين الخيارين، فإذا استعرضنا نصوص القرآن وجدنا القرآن يعرض هذين الأمرين في موضعين:

الموضع الأول: موضع صريح لا يحتمل التأويل، وهو قوله سبحانه: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ (الكهف: ٥٠)، ذلك تصريح لا يحتمل التأويل، يحدد هوية إبليس ويقول إنه من الجن.

الموضع الثاني: نص قالوا فيه: إن القرآن يقول إن إبليس من الملائكة، وسنأخذ النص بالالتزام لا بالتصريح؛ لأن الله وجه الأمر بالسجود إلى الملائكة بقوله: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ (البقرة:٣٤)، ثم استثنى إبليس بامتناعه عن السجود، وما دام الله قد آخذه على امتناعه من السجود فهو داخل في الأمر الموجه للملائكة، وما دام قد دخل فيه فهو منهم. وهم بذلك أثبتوا أنه من الملائكة ليس بالتصريح، ولكن بالالتزام، وفاتهم أن الاستثناء في العربية قد يأتي مرة متصلا؛ بمعنى أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، ومرة استثناء منقطعا؛ بمعنى أن يكون المستثنى من توابع المستثنى منه، لا من جنسه، فتقول: قام القوم إلا حمارا؛ لأن الحمار من توابع القوم، ولا يعني ذلك أن

الحمار من القوم، ويكفي أن يكون من توابعهم ليستثنى منهم، نقول في شرح هذه المسألة: ما الذي جعل إبليس في حضرة الملائكة وهو من الجن؟ الحق سبحانه وتعالى خلق خلقا ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(التحريم:٦)، هذا الخلق هو الملائكة، وهؤلاء مطيعون بالجبلة[1] والفطرة والسليقة؛ أي: لا يملكون أن يعصوا، فهم من الطائعين بالقوة والتسخير والخلق؛ لأن منافذ المعصية للنفس شهوتا البطن والفرج، وهم لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتناسلون، ولا يتناكحون، وبذلك امتنعت وسائل الشهوة منهم، فكانوا مطيعين بالطبع والجبلة، والطاعة بالطبع والجبلة تثبت صفة القدرة لله؛ لأنه لو شاء أن يخلق خلقا مهديين ما استطاع أحدهم أن يعصيه، والدليل هؤلاء الملائكة، ومعنى ذلك أننا لا نعصي الله قهرا عنه، فلو شاءنا الله مهديين لما استطاع واحد منا أن يعصي، وهذا يعطي صفة القدرة والقهر لله؛ لكن الله يحب أن يعطي مع هذه الصفة له صفة الحب، فقهرك إنسانا على أن يفعل ما تريد لأنك قادر عليه لا يعني أنه يحبك، هو مقهور بقدرتك عليه، ولا يستطيع أن يخالفك، لكن إذا خلقته صالحا لأن يطيع وأن يعصي، ففضل أن يطيع دل ذلك على أنه يحب أمرك، فالله خلق خلقا آخر؛ ليثبت به صفة محبة المخلوق لخالقه، وأنه إذا أمره أمرا وكان مستطيعا فعل الأمر المخالف لجأ إلى الطاعة لأنه يحب الله، فالملائكة وأجناس الكون جميعها باستثناء الإنسان تثبت لله صفة القدرة والقهر، وأنه لا يستطيع مخلوق أن يفلت منها، والإنسان والجن مخيرون في بعض الأشياء؛ ليثبت الله أن بعض خلقه يحبون أوامره ويطيعونها وإن كانوا صالحين للمخالفة، فتلك تثبت صفة القدرة، وهذه تثبت صفة حب المخلوق للخالق المحبوب، ولكن إذا كان الإنس والجن قد خلقا مختارين في مناخ التكليف من الممكن أن يطيعا، ومن الممكن أن يعصيا، فاختار واحد منهم منهج طاعة ربه، وأصبح مطيعا أوامر الله، لا يعصي الله ما أمره، ويفعل ما يؤمر، أفلا يكون مثل الملائكة في طاعته لله؟! يكون مثلهم، ويفضل عليهم بصلاحية اختياره للمعصية، فيكون فوق هام الملائكة، وأفضل منهم؛ لأن الملائكة مجبورون على الطاعة، مخلوقون لها، فإذا استطاع واحد من المخيرين؛ أي: الجن والإنس أن يطيع الله وألا يعصي ما أمر، فيكون كالملائكة على الأقل، ويفضل بأنه جاهد نفسه ليطيع؛ لأنه صالح لأن يعصي أيضا، فإذا جاء واحد من الجن كإبليس، وألزم نفسه بمنهج الله، فأطاع الله، ولم يعصه أبدا فماذا يكون موقفه؟ سيكون في صفوف منازل الملائكة، وحينئذ يكون في حضرة الرب مع الملائكة؛ لأنه جاهد وأصبح مثلهم، ولذلك يسمونه طاووس الملائكة، ومعنى هذه التسمية: أنه المزهو بينهم والمفتخر؛ لأنه أطاع مع اختياره في أن يعصي، وهم أطاعوا وليس لهم اختيار في العصيان، فإذا كان إبليس قد ارتقى بطاعته لربه إلى منزلة الملائكة؛ لأنه أطاع ولم يعص، فمن التكريم له أن يكون في صف الملائكة وحضرتهم، ولما كان في صفهم وحضرتهم، وله منزلة الطاووسية فيهم حينما وجه الله الأمر لهم وهو في حضرتهم انصب الأمر عليه أيضا، فامتناعه عن السجود لا يعني أنه من

الإنسان والجن مخيرون في بعض الأشياء؛ ليثبت الله أن بعض خلقه يحبون أوامره ويطيعونها وإن كانوا صالحين للمخالفة

الجبلة تثبت صفة القدرة لله؛ لأنه لو شاء أن يخلق خلقا مهديين ما استطاع أحدهم أن يعصيه

الملائكة جنسا، ولكنه كان من الملائكة طاعة وعدم معصية، فقد أولت آية الالتزام إلى آية التصريح، وأصبح إبليس من جنس الجن، ومرت عليه فترتان: فترة كان فيها طائعا كالملائكة، ثم جاءه أمر الله بالسجود، فامتنع عنه حقدا وكبرا وحسدا، فكان أن رجع لأصله، وأصله من الجن المخلوقين على هيئة أن يطيعوا مرة، ويعصوا مرة، ولذلك يقول الحق: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾، فرجع إلى طبيعته، بمعنى أنه صالح لأن يطيع ويعصي، فعصى بالامتناع عن السجود، فرجع إلى طبيعته الأصلية، وهنا ينتهي إشكال المشككين والملحدين.

وبعد ذلك ننتقل إلى مسألة ثانية، مسألة قول الحق سبحانه وتعالى في أول بلاغ له: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾(البقرة:٣٠)، وهذا يعني أن آدم مخلوق للأرض، فما شأن الجنة هنا، وما موقع الجنة من القصة ما دام آدم مخلوقا للأرض والخلافة فيها؟ نقول: إن آدم مخلوق للخلافة، والخلافة في الأرض تتطلب عملا وجهودا ومبادئ ينزلها الله على آدم؛ لينفذها في الأرض إعمارا لها، واكتشافا لأسرار كون الله فيها، وانتفاعا بما سخر الله له من خيرات هذا الوجود. والخلافة مهمة صعبة، مثلا: إذا أردنا أن نوجه إنسانا ما إلى مهمة من المهمات، فهل نوجهه إلى المهمة ليزاولها قبل أن ندربه على هذه المهمة؟! لا بد من التدريب، وهذا أقل ما يمكن أن نفعله، وإذا أردنا أن يباري فريقنا الرياضي فريق أمة أخرى، هل نقول له: تعلم الكرة، ثم اذهب لمقابلة الفريق الآخر ومواجهته؟! لا، إننا نأخذه فترة من الزمن، ونسكنه مكانا خاصا، ونعلمه لعب الكرة، ونعلمه كيف يناور ويداور ويتغلب على خصمه، فإذا ما تأكدنا أنه طبق العلم النظري والتجريب العملي نقول له: اذهب فأد مهمتك. وآدم مخلوق لمهمة كبيرة في الأرض، أيعطيه الله المنهج نظريا ثم يقول له: اذهب لمزاولة مهمتك في الأرض؟ لا، فكما درب موسى بالعصا أمامه قبل أن يذهب لفرعون، درب آدم على مهمته قبل أن ينزله إلى الأرض؛ ليباشر هذه المهمة، وقال له: سأسكنك في مكان، وأتكفل لك فيه بكل شيء. كما يتكفل البشر منا بالفريق الذي يدربه، فيسكنه، ويشرف عليه، ويعلمه ما يشاء، ويأمن عليه في مكان فيه مقومات الحياة، والحق سبحانه أسكن آدم في جنة أو بستان يجمع مقومات الحياة التي قال فيها: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩﴾(طه:١١٨-١١٩)، تلك هي مقومات الحياة، فالله ضمن لآدم ذلك في الجنة، وجنة الدنيا هذه هي البساتين، والدليل: أن الله أطلق كلمة الجنة على بساتين الأرض، والتدريب يقتضي منهجا، والمنهج يجمعه شيئان: افعل كذا، ولا تفعل كذا، وكل تكاليف الرسل على هذين الأمرين- ركز الرمزية للمنهج في قوله: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾، فذلك هو الأمر، ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، وذلك هو النهي، وهكذا رمز للتكليف بالأمرين: افعل، ولا تفعل، ويلاحظ هنا -لأننا نريد أن نتدبر القرآن- أن الحق حينما قال: ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ جعل المأمور بالأكل منه كثيرا منوعا؛ بدليل أنه أطلق المشيئة، ولو أنه كان شيئا واحدا لما قال: ﴿رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾؛ ولكن جاء في التحريم بشجرة واحدة، وكأن ما حلله الله لخلقه أكثر مما حرمه عليهم، والمحصور دائما هو المحرم، قوله: ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ يفيد أن المأكول منه أشياء كثيرة؛ بدليل أن مشيئة الإنسان تروح وتغدو وتنتخب وتختار، أما المحرم فشيء واحد، وهو: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، فمن نعمة الله أن محللاته في الأرض أكثر من محرماته، والمحرمات هي المحصورة، والمحللات غير محصورة، ونلاحظ في النص القرآني أيضا أن الله قال: ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾، ثم جاء بالنفي، فلم يقل: ولا تأكلا من هذه الشجرة. لأن المقابل للأمر بالأكل يكون: ولا تأكلا من هذه الشجرة. لكن الحق لم يقل ذلك، وقال آمرا: ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾، ثم قال ناهيا: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، وهذه رمزية أخرى في تكاليف الله؛ لأن الله حين ينهى عن شيء ينهى حتى عن القرب منه، لأن قرب الإنسان من الشيء المنهي عنه قد يسبب له انشغال الخاطر به، وقد يغريه ويدفعه إلى تناوله. أما إذا كان بعيدا منه فإن النفس لا تحدث به، وربما نسيه الإنسان. وإذا استعرضنا آيات القرآن وجدنا أن الله حين يأمر بأمر يأتي عقب الأوامر فيقول: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾ هذا أمر، وحين ينهى عن شيء يقول: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ﴾، فكأنه

يمنع الإنسان حتى من الاقتراب من شبهة الحرام؛ حفاظا على نفسه، وصيانة لها من إغراء الأشياء؛ لأنه لو قال: لا تأكلا. من الجائز أن ينظر إليها ويتأملها ويقترب منها، ولعله إن اقترب أغرته بصورتها ومظهرها، فقال الله حماية له: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾؛ أي: ابتعدا. وهنا يجب أن نتنبه على مدخل يدخل منه الذين يسرفون على أنفسهم، ويحاولون أن يتفلتوا من منهج الله، محتجين على الله بآيات كتابه، فمثلا: نسمع أحدا يقول: إن الخمر لم تحرم، فالله سبحانه لم يقل: حرمت الخمر. كما قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾(المائدة:٣)، وإنما قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ (المائدة:٩٠)،نقول له: يا هذا، افهم أساليب الكلام، إذا قال لك إنسان: لا تكلم فلانا. فإنه يصلح لك أن تكون معه في مجلس واحد، وأن ترافقه في غير ما أمر، أما إذا قال لك: لا تقترب من فلان، وتجنبه. فإنك لا تكون في مجلسه، ولا تراه، ولا يكون لك به أدنى اختلاط، فأي الأمرين كان أبلغ في الابتعاد؟! قول الله في الخمر والميسر ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ أقوى؛ لأنه لو قال: حرمت الخمر لكفانا ألا نشربها، ولكن من الجائز أن نبيعها، ونحملها لمن يشربها، ونعتصرها، ونحضر مجلسها، ولكن حين يقول: فاجتنبوه. لا نشربها، ولا نحضر مجلسها، ولا نشهد بيعها، ولا نحملها. فالاجتناب أقوى في الزجر من التحريم.

ننتقل نقلة أخرى: الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ (طه:١٢٠)،فطريقة إغراء إبليس لآدم بأمرين اثنين، هما: الملك والخلود، وهما بغية كل الناس، فكل واحد يريد أن يملك، ويغتني، وألا يموت، ولذلك كان هذا العنصر الأساسي في الغثائية الإسلامية، ومعنى الغثائية الإسلامية: أن يصير المسلمون كثيرين؛ ولكنهم كغثاء السيل[٢]، إذا نفخته طار، قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»[٣]، إذا استولى حب الدنيا وكراهة الموت على إنسان فلا تأخذ منه خيرا، لا في منهج دين، ولا في منهج دنيا، فإبليس جاء لآدم من الناحية التي فطرت الطبيعة الإنسانية على أن تحبها، فقال: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾؛ أي: لا تموت، وذلك ما يحبه الإنسان، ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ وهذا يحبه الإنسان أيضا، فالشيطان يدخل على الإنسان من ناحية ما يحب؛ الخلد في الحياة والمال الكثير والملك، هنا يجب أن نتنبه تنبها على أن الحق يعرض علينا هذه اللقطة من القصة؛ لئلا نكون مغفلين بلها[٤]، وأن نكون يقظين متنبهين إن زين الأمور لنا عدو -سواء كان العدو الشيطان أم غيره- فلا يأخذنا الخصم من شيطان أو إنسان على غرة[٥]، وكيف يكون التنبه هنا؟ شهد

إذا استولى حب الدنيا وكراهة الموت على إنسان فلا تأخذ منه خيرا، لا في منهج دين، ولا في منهج دنيا

طريقة إغراء إبليس لآدم بأمرين اثنين، هما: الملك والخلود، وهما بغية كل الناس

آدم مشهد إبليس مع ربه لما قال له الله: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (الأعراف:١٨) فقال إبليس: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(ص:٧٩) يعني: أخرني من الموت إلى يوم القيامة، قال: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ (ص:٨٠)، أي: أعطيتك هذا. فلو أن آدم كان يقظا وأعمل عقله في هذه المسألة لكان من اليسير عليه أن يرد على إبليس، فيقول له: أتدلني على شجرة الخلد؟! فإذا كنت تعرف شجرة الخلد فلماذا طلبت من ربك أن ينظرك إلى يوم القيامة؟! أما كان أولى لك أن تذهب إلى شجرة الخلد وتأكل منها؟! وبذلك يفحم إبليس، ويدحض الجدل؛ ولكن الغفلة في الإنسان تجعله أمام خصمه ينسى الحجج، فيريد الله في هذه القصة التحضيرية التي يربي فيها أبانا الأول أن نتنبه على حجج الخصم وندحضها، لئلا يحاول أن يخدعنا، فلو أن آدم تنبه على القصة في بدايتها ولم يغفل شيئا منها لقال له: كذبت يا إبليس، أنت تريد إغرائي؛ لأنك لو كنت تعرف شجرة الخلد لأكلت منها، وحين تأكل منها ما كان هناك داع لأن تضرع إلى ربك وتسأله أن ينظرك إلى يوم القيامة. لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى لينبهنا على هذه المسألة: تنبه أيها الإنسان، إياك أن تظن أن الشيطان أقوى منك، ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء:٧٦)؛ لأن حجته واهية، فإذا ما استقبلك بأمر وناقشته بالمنطق والعقل وحجج الدين أمكنك أن تفحمه ليفر عنك، ولكنك تقبل منه ذلك؛ لأن هواك فيه، فأنت تغش نفسك مع الشيطان، إن قول الله: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ يوضح لنا الحجة التي يحتج بها إبليس على من اتبعه يوم القيامة، وما دام كيد الشيطان كان ضعيفا فلا حجة له فيما يأمر، ولا برهان له على ما يسول به، ولكن غفلة الإنسان تجعل الحجة الواهية قوية، ولو أنه تنبه على مدافعة الشيطان بالحجة لتبين أن كيد الشيطان ضعيف، فالذي يقوي كيد الشيطان إنما هو غفلة الإنسان عن معرفة مداخل الشيطان، وعدم معرفة الحجة التي ترد وسوسته، ولذلك يقول الحق: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (النحل:٩٩)، ويقول في آية أخرى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (الحجر:٤٢)؛ أي: المرتبطين بي وبمنهجي، اليقظين المتنبهين لا تستطيع أبدا أن تغريهم؛ لأنك إن أغريتهم بشر فلن تجد حجة عندك لتقنعهم، فحجتهم ستكون أقوى من حجتك. وبعد ذلك يأتي يوم الفصل، فينظر العصاة والذين اتبعوا وسوسة الشيطان إلى إبليس نظرة البغضاء والكراهية؛ لأن ذلك يوم الحصاد، وينظرون إليه نظرة من أوردهم النار ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ (هود:٩٨)، ويعرض الله لنا لقطة لم يسترها من يوم القيامة؛ ليعطينا الصورة كاملة واضحة، حتى لا يكون لأحد بعد ذلك حجة ولا عذر، فيقول: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ (إبراهيم:٢٢)، ثم يأتي بما قلناه: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾؛أي: لم تكن لي حجة حين فتنتكم، لكنكم بله اتبعتموني دون بينة، ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾؛ أي: ما إن قلت لكم اعملوا كذا وكذا حتى استجبتم دون أن تفكروا بمنهج الله، ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾؛ أي: لا قوة ترغمكم على العمل أو تقنعكم به، ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ ﴾؛ أي: إلا أن قلت لكم افعلوا، كأنكم كنتم متغافلين عن هذه المسألة، ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ﴾؛ أي: لا أنا نافعكم، ولا أنتم نافعي، ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، ذلك منطق الشيطان نفسه، يقول بوضوح دون التفاف: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ لا قوة لي لأقهركم على تنفيذ ما أوسوس به، ولا حجة لي لأقنعكم؛ ولكنكم كنتم سطحيين بلها تتلفتون إلى المعصية بأدنى سبب وداع.

وفي موقف آخر عندما سأل الحق سبحانه وتعالى إبليس حين امتنع عن السجود، قال في آية يا إبليس: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ وفي آية أخرى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ هذان نصان قرآنيان، يأتي المرجفون(٦) وخصوم الإسلام والذين لا يعرف لهم ذوق في العربية، ولا ملكة في إدراك أساليب البيان، فيقولون: إن في القرآن تضاربا، فمرة يقول: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾، ومرة يقول: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ ﴾ دون لا، وهي إما أن تسجد أو لا تسجد. نقول لهم: أنتم بله لا

تفهمون سر البلاغة في العربية؛ لأن ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ﴾ دون لا لها معنى، و﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ﴾ لها معنى، مثلا: ربما أمر إنسان بشيء، وأراد أن ينفذه فامتنع؛ لأنه أرغم وأكره على عدم تنفيذه فلم ينفذه، هذه صورة. أو ربما جاء أحدهم فأقنعه بأن الأمر خاطئ ويجب أن يعدل عنه، فامتنع دون إكراه، ولكن بعد اقتناع، صورة أخرى، فالمنع من تنفيذ الأمر له وجهان: الوجه الأول أنك تريد أن تنفذ؛ ولكن جاءت قوة فوقك فقهرتك على ألا تنفذ، وهنا يقول الله: ما منعك أن تسجد؟! -كأنك كنت تريد أن تسجد- أجاءت قوة أخرى منعتك من السجود أم جاءت قوة أخرى فلم تمنعك قهرا من السجود، وإنما ناقشتك في الأمر وأقنعتك به فاقتنعت وامتنعت بذاتك عن السجود؟! فالآية الأولى تفيد أن مانعا أقوى من إبليس يكرهه، والآية الثانية تريك أن مقنعا أقنع إبليس فارتضى ألا يسجد. حين يقول الحق: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ﴾ يعني: أكنت تريد السجود بنيتك وقلبك فجاءت قوة أخرى فمنعتك وأنت تريد؟! وفي الصورة الثانية: أكنت تريد السجود وجاءت قوة فأقنعتك بخطأ الأمر في السجود فاقتنعت وامتنعت عن السجود طواعية منك؟! يعني: القوة لم تجبرك قهرا على الفعل؛ وإنما أقنعتك فقط، ففعلت باختيارك. هنا نجد أمرا ومنعا؛ أمر الله إبليس أن يسجد، ثم قال له: ما منعك؟ وهنا السؤال: هل المنع يصادم الأمر أم يوافقه؟ الأمر: طلب فعل، ومصادمة طلب الفعل طلب تركه؛ أي: المنع، فإذا طلب إليك هذا أن تفعل يطلب ذاك أن تترك، فـ ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ في القضية الثانية تعني: أقنعك بألا تسجد، فجاء بطلب مصادم لأمر الله لك؛ أي: منعك: طلب إليك ألا تفعل؛ لأن الأمر طلب أن تفعل، والامتناع طلب ألا تفعل، وما منعك: من صادم أمري؟! فأمري طلب فعل، والذي يصادمه طلب ترك، فكأنه قال: ما منعك؛ أي: ما الذي طلب إليك أن تفعل؟ وإلا: ألا تفعل؟! فكأن ﴿أَن تَسۡجُدَ﴾ و﴿أَلَّا تَسۡجُدَ﴾ التقيا ليدلا على عناصر الامتناع، فالامتناع قد يكون من إبليس قهرا عنه وهو يريد أن يسجد، والامتناع قد يكون من إبليس؛ لأن قوة أقنعته، فطلب الله إليه أن يفعل، وطلبت القوة التي أقنعته ألا يفعل، فلا بد أن تجيء هنا لا، وأن تمتنع هنا لا، فهنا يكون الأسلوب بليغا، وهناك يكون الأسلوب بليغا.

وقفة أخرى في القصة تعطينا المبادئ، إن الحق سبحانه وتعالى يقول في القصة: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ﴾، ومعناه أنه سيكون له فيها لباس، ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ﴾، لما ذاقا الشجرة ظهرت السوآت، معنى ذلك أن سوآتهما لم تبد قبل أن يذوقا الشجرة، ولما ذاقاها وبدت أرادا أن يسترا السوآت؛ فأخذا من ورق الجنة يخصفان على سوأتيهما، فما اللباس الذي ذهب عنهما ما إن ذاقا الشجرة؟! نقرأ القرآن بتدبر وبإمعان، هناك من قال: إن آدم وحواء كانوا عراة. نقول لهم: لا؛ فنص القرآن يقول: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ﴾، فيقولون: هما لم يكونا عراة، وإنما تعروا بعد أن ذاقا الشجرة، ففقدا ثيابهما. نقول

الفرق بين أن تسجد وألا تسجد فرق بين المنع عن إجبار والامتناع عن اختيار

أمر اللّه إبليس أن يسجد، ثم قال له: ما منعك؟ وهنا السؤال: هل المنع يصادم الأمر أم يوافقه؟

لهم: لا؛ اقرؤوا القرآن بتدبر، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾، فمن نعم الله علينا أن أنزل علينا من السماء ماء ينبت نباتا نأخذ منه أليافا، فنصنع منها ثيابا نستر بها عوراتنا، أو تأكل منه الحيوانات، فنأخذ من أصوافها، وسواء أخذنا الأصواف من الحيوانات أم القطن من النبات؛ لأن كل هذا أصله ما أنزل الله، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾، اللباس الذي يواري السوأة هو لباس الضرورة، فهل اكتفى الله بأن أعطانا لباس الضرورة؟ لا؛ أعطانا لباس الترف والتنعم أيضا، فقال ﴿وَرِيشٗاۖ﴾، والريش هو الشيء الفاخر نتزين به، إذن: أنزل علينا لباسا لمواراة السوأة؛ وتلك هي مطلوبات الضرورة، وريشا؛ أي: أمرا زائدا من لباس الزينة، وبعد ذلك قال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾، فكأن الله أنزل لنا شيئا يواري سوآتنا المادية، ذلك هو اللباس والريش، ومنهجا يواري سوآتنا العلمية أو المعنوية أو القيمية، وكأن الله كما خلق المادة لها سوأة خلق لنا اللباس، فسترنا سوآتنا، وبعد ذلك نفخ الروح في الجسم، فصار لنا معان وقيم، فأعطانا منهج السماء، فكأن منهج السماء بالنسبة إلى قيمنا كاللباس بالنسبة إلى أجسامنا، وما دام اللباس جاء ليستر العورة فمنهج السماء جاء بلباس التقوى ليستر العورة أيضا، فالله يعرض في بيانه لباسين حين يقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ ذلك هو اللباس الحسي للجسد الحسي، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾؛ أي: ما يستر عورات المعاني والقيم، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾؛ يعني: كأن عورات المعاني والقيم شر من عورات الحس، والتقوى تستر عورات المعاني والقيم، والناس دائما يستحون فيوارون عوراتهم الجسمية، ولا يستحون فيبدون عوراتهم المنهجية والقيمية.

يقول: لباس التقوى خير من لباس الجسد، لأنك إن كنت متقيا الله فلن تبدو لك عورة في الدنيا، كما لو سترت جسمك فلن تبدو لك عورة حسية. قالوا في قراءة أخرى: ﴿قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسَ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾؛ أي: وأنزلنا لباس التقوى أيضا، برواية النصب، وما بعده استئناف ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾. إذن: فما دام آدم قد ضمن الله له ألا يعرى في الجنة فقد أعطاه اللباس الحسي، ولما ذاق الشجرة خرج من منهج الله ونهيه، فهل خرق لباس التقوى أم اللباس الحسي؟! لباس التقوى، ولما خرقه بدت السوأة الحسية، فكأن الله يرمز في هذا؛ لذلك يقول بعدها: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾(الأعراف ٢٦)، ويقول بعدها مباشرة: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ﴾(الأعراف:٢٧)، فما اللباس الذي نزعه إبليس؟ أهو اللباس الحسي، أم اللباس المعنوي؟ أهو لباس المادة أم لباس التقوى؟ تلك رمزية أخرى تشير للناس إلى أن منهج الله في الأمر والنهي يجب أن يتبع إن أراد الإنسان ألا تبدو له عورة فردية، وإن أراد المجتمع ألا تبدو له عورة اجتماعية، فما الذي يستر هذه العورات؟ إنه لباس التقوى، فإذا سرت في بلد ورأيت إنسانا عاريا فتلك عورة، عريه عورة، فعلام يدلك هذا العري؟ يدلك على أن القوم الذين يعايشون هذا الرجل قد سرقوا حقه الذي قدره الله له؛ لأنهم لو أعطوه حقه الذي قدره له في مالهم لما تعرى ذلك الإنسان، وأيضا لو رأيت إنسانا جائعا فجوعه عورة في المجتمع تدل على نقص في مروءته ورجولته وهمته، فإذا ما رأيت ذلك فاعلم أن قيمة من قيم الله قد انتهكت، وأن لباس التقوى قد قطع، ولذلك كان جائعا، ولو لم يقطع لباس التقوى وينتزع لما رأيت ذلك جائعا، وإذا ما رأيت مراباة تنتشر في مجتمع فاعلم أن لباس التقوى قد خرق، وما دام قد خرق فلا بد أن تبدو عورات المجتمع، فرمزية الحق في قوله: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾؛ أي: خالفا بذلك أمر الله ونهيه، إذ قال: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا﴾، فكأنه يقول لهما: اقتربتما، فخرقتما لباس التقوى، فلا تتعجبا إن بدت عورتكما. ما العلاقة بين بدو العورة وذوق الشجرة؟ إن المسألة في الرمزية دائما، إن الحق سبحانه وتعالى حينما يريد أن يعطي الناس مثلا حيا يقربه بالمثل الحسي، مثل المدرس -ولله المثل الأعلى- يأتي للمعنويات بأمثالها الحسية؛ ليقتنع التلاميذ أصحاب العقول التي لا تزال في ابتداء التكوين؛ لأن إلفة النفس بالحس، إلفتها الأولى بالمعلومات، وأول ما تأتي المعلومات للنفس الإنسانية إنما

تأتي عن طريق الحس، وبعد ذلك يتكون العقل، فإذا أردنا أن نعرف -والعلم لله- نجد أن الحق سبحانه وتعالى قال: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا﴾، فكأن الله قد أعد في الجنة غذاء يعطي آدم الحياة والسعر الضروري لها، ولا يأتي بفضلات تختمر في الجسم.

سئل عالم من العلماء ذهب إلى بلاد الروم: إنكم تقولون إن أهل الجنة يأكلون فيها، ولا يتغوطون. قال: ما موضع العجب في ذلك؟ قالوا: موضع العجب أن كل من يأكل يتغوط. قال: ومن أين جئتم بهذه القضية؟ أينمو الجنين أم لا؟ قالوا: ينمو. فسألهم: وهل ينمو إلا إذا كان يتغذى؟! إنه يتغذى، فهل يتغوط في بطن أمه؟! قالوا: لا يتغوط؛ لأنه لو تغوط لاحترق. فقال: الذي خلقه وغذاه في بطن أمه دون أن يخرج فضلات قادر أن يجزيه في الآخرة بأن يطعمه ويسقيه فلا تخرج منه فضلات؛ لأن الذي طها حكيم يعطي الزاد على قدر الضرورة، فلا فضلات ولا أشياء.

لنا وقفة أخرى وقفها العلماء طويلا، وثار الجدل بينهم، ولم ينتهوا فيها إلى حل مرض؛ لأن شخصية كل قائل كانت أعز عليه من الحق، فهو لا يريد أن ينهزم أمام خصمه، ولو أن الحق أعز على الناس في نفوسهم لما ضر الإنسان أن ينتصر واحد عليه ما دام الحق معه، لقد أثيرت الضجة حول عصمة آدم، فآدم نبي، كيف له أن يعصي الله ما دامت العصمة للأنبياء؟! كثر التأويل، وظهر التشكيك، وأظن أن هؤلاء جميعا -سامحهم الله- لم يتفطنوا جيدا إلى أسلوب القرآن ولم يتدبروه.

آدم جاء في الجنة تدريبا، سيكون أبا البشر جميعا، والبشر ينقسمون بعده قسمين: بشر عادي، وبشر مصطفى مجتبى؛ هم الرسل أبناء آدم، والبشر غير الرسل أبناء آدم أيضا، فآدم أب للصنفين معا؛ البشر العاديين والرسل، وما دام آدم أبا النوعين معا وجب أن تكون في قصته مظهرية للنوعين معا، فجاءت قصته في الجنة ليمثل البشر العادي الذي لم يصطف، والبشر العاديون صالحون لأن يطيعوا ويعصوا، فآدم في الفترة الأولى مثل البشر العادي بفطرته وطبيعته، فلما أمر خالف وعصى بطبيعة البشر؛ حتى يتعلم البشر العاديون حين يعصون ربهم في تكليف مما علمه الله لآدم حين عصى، فيتوب الله عليهم، والدليل على ذلك أن مسألة الاصطفاء والاجتباء والنبوة والعصمة كانت للرسول؛ لأنه سيأمر قومه وينهاهم، وليس من المعقول أن يأمرهم بخير ثم يصنع شرا، فلا بد من أسوة، لكن آدم لما كان في الجنة لم يكن له أبناء ليكون أسوة لهم، فلما نزل إلى الأرض وقدر الله أن يكون له أبناء يبلغهم منهج الله، فيكون نبيا رسولا، قال الله في ذلك: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ (طه:١٢١)، كطبيعة البشر العاديين غير المعصومين الصالحين لأن يطيعوا ويعصوا، ولكن إذا عصوا فإن معصيتهم لا تخرجهم من رحمة ربهم، وإنما يتلقون كلمات من الله، فيتوب الله عليهم، إذن: ذلك أنموذج لكل عاص في الدنيا حين يخالف المنهج لا ييأس من الله؛ لأن آدم وقع في أمر كهذا واستغفر الله بقوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(الأعراف:٢٣).

وحين نزل إلى الأرض ليبلغ ذريته منهج الله كان لا بد أن يمثل الرسل، فجاءت له فترة الاصطفاء، وهنا نقرأ قول الله سبحانه بدقة وإمعان وتدبر: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾، العجيب أنه جاء بثم التي تفيد الترتيب والتراخي، فتلك فترة يمر بها كالبشر العاديين، ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ الاجتباء هو الاصطفاء، ﴿فتاب عليه وهدى﴾ كأن آدم أبانا عليه السلام مر بمرحلتين؛ مرحلة البشرية العادية التي يطيع فيها ويعصي، ومرحلة العصمة؛ وذلك بقوله: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾، اللهم إني أسألك أن تجعلنا ممن اجتبيتهم، وممن تتوب عليهم إن استغفروك، وأن توجهنا يا رب إلى منهج الخير منك؛ إنك على كل شيء قدير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش

١- الجبلة: الخلقة والطبيعة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٧٧/٢٨).
٢- غثاء السيل: ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد وغيره. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣٤٣/٣).
٣- رواه أبو داود، رقم (٤٢٩٧).
٤- بله: جمع أبله، وهو الغافل والأحمق لا تمييز له. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٤٣/٣٦).
٥- الغرة: الغفلة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٢٤/١٣).
٦- أرجف القوم: إذا خاضوا في أخبار الفتن وغيرها من الأخبار السيئة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٢٥/٢٣).



د. هانئ محمد
باحث أكاديمي

فتح مكة وتعظيم قيمة التسامح في الإسلام

في شهر رمضان المبارك في العام الثامن الهجري، سجل التاريخ حدثا إسلاميا فريدا، فقد تمكن المسلمون من فتح مكة، بعد نقض قريش عهدها في صلح الحديبية مع المسلمين. فقد كان من ضمن شروط صلح الحديبية، إعطاء الحرية لمن شاء من قبائل العرب في الانضمام لقريش أو للمسلمين، فتواثبت خزاعة وقالوا: نحن مع رسول الله ﷺ وعقده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، فكان لكل قبيلة ما لحلفائها من الحقوق، وعليها من الواجبات كالنصرة لحلفائها، والالتزام بالعهد وعدم البغي والاعتداء على الأطراف المسالمة لها. وقد كان بين بني بكر وخزاعة ثأر قديم يعود إلى ما قبل الإسلام، فلما كانت الهدنة، اغتنم بنو بكر الفرصة وغدروا بخزاعة. وعقب وقوع العدوان على خزاعة قدم على الرسول ﷺ عمرو بن سالم الخزاعي، حليف رسول ﷺ ومعه وفد خزاعة، وبلغه ما تعرض له قومه من الغدر والقتل على يد بني بكر وحلفائهم القرشيين، وهم آمنون غافلون وأنشده فقال:

يا رب إنّي ناشد محمدا
حلف أبيه وأبينا الأتلدا
قد كنتم وُلداً وكنا والداً
ثُمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصراً أبدا
وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا
إن سيم خسفا وجهه تربّدا
في فيلق كالبحر يجرى مُزبدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا
فهم أذلُّ وأقلُّ عددا
هم بيتونا بالوتير هُجَّدا
وقتلونا ركعا وسجدا

فلما انتهى قال النبي ﷺ: (نصرت يا عمرو بن سالم)، فما برح حتى مرت بهم سحابة في السماء فقال: (إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب). وكان تواطؤ قريش مع بني بكر نقضا صريحا لمعاهدة الحديبية، وعدوانا ظاهرا على حلفاء المسلمين، الذين تلزمهم نصرتهم، فبعث النبي ﷺ إلى قريش ليستوثق الخبر منهم ويخيرهم في دفع دية قتلى خزاعة، أو البراءة من حلف بني بكر الذين غدروا بخزاعة، أو بقطع الهدنة وإعلان الحرب فاختاروا القتال، وبذلك برئت ذمة المسلمين وأقيمت الحجة على قريش، إلا أنهم سرعان ما تداركوا تعاظم قوة المسلمين وازدياد عددهم ، فأرسلوا أبا سفيان مبعوثا إلى النبي ﷺ ليجدد العهد معه وليزيد في المدة، لكنه رجع إلى مكة وقد أخفقت مساعيه في الحصول على تجديد العهد من الرسول ﷺ، لان الرسول ﷺ كان قد عقد العزم على نصرة خزاعة، والذهاب إلى قريش في عقر دارهم. وأمر النبي ﷺ أصحابه بالتجهيز للغزو، وبعد أن أكمل النبي ﷺ جميع التجهيزات واجتمع شمل الجيش الإسلامي الذي بلغ تعداده عشرة آلاف مقاتل، خرج ﷺ بهذا الجيش الكثيف متوجها إلى مكة للقصاص من الناكثين للعهد، فدخلها سلما دون قتال[١].

آثار فتح مكة

وكان من نتائج فتح مكة، هذا الفتح المبين، تقوية شوكة المسلمين، وتقهقر جيوش المشركين، وإعجاب أهل مكة برحمة النبي ﷺ وأخلاقه الرفيعة في العفو عند المقدرة، بعدما أصاب قريشا رهبة شديدة وخوف عظيم مما سيؤول إليه أمرهم بعد أن نصر الله نبيه ﷺ نصرا مؤزرا، وتذكر أهل قريش ما مضى منهم من الأذى للمسلمين، وإخراجه ﷺ وأصحابه من مكة، واضطرارهم إلى مفارقة أهليهم وأوطانهم، وتوجسوا خيفة أن يجرد عليهم سيف الانتقام فيقتلهم وقد تملك رقابهم، وطمعوا بعفوه وصفحه عنهم، وقد عهدوه دوما عفوا حليما. وأعلن النبي ﷺ عفوه عن أهل مكة، والملأ ملتفون حوله - رغم قدرته على إبادتهم، ورغم ما ألحقوه بالمسلمين من الأذى والاضطهاد- عند الكعبة، فقال لهم: (يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال ﷺ: (اذهبوا فأنتم الطلقاء). فاعتق رقابهم بعد أن أمكنه الله منها، فبذلك يسمى أهل مكة الطلقاء، ودانت قريش واستسلم الطغاة ودخلت مكة في حوزة الإسلام وخضع أهلها لحكمه وسلطانه، اعتنق الكثير من سادات قريش الإسلام، ومن بينهم: أبو سفيان بن حرب، وزوجته، وعبدالله بن أمية بن المغيرة وغيرهم.

درس في قيمة التسامح

في قول النبي ﷺ لأهل قريش بعد ما أوقعوه بالمسلمين من ظلم واضطهاد، وتمكن الرسول ﷺ منهم قائلا لهم: (ما ترون أني فاعل بكم؟) فلم يكن أمامهم إلا الطمع في عفوه وكرمه، فقالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال ﷺ: (اذهبوا فانتم الطلقاء) (رواه ابن إسحاق في السيرة)، هذا من أهم وأعظم الدروس في تاريخ البشرية، التي تدل على عظمة الإسلام وسماحته وتعامله الحضاري، وبراءة نفوس المسلمين وصفائها، فلا يتعاملون بالحقد ولا بالحسد ، ولا بالانحطاط أو الانتقام، فهذا أبو سفيان- الذي كان أحد قادة قريش والذي فعل بالمسلمين الأفاعيل- أول ما ينطق بالشهادتين يقرر الرسول ﷺ إكرامه وتشريفه، فيجعل داره صنوا في مسألة الأمن مع البيت الحرام ، فيقول ﷺ: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن)[٢]. وهكذا يتجلى بوضوح مدى حرص الإسلام على تحقيق قيمة التسامح الفعال، وهو يسعى دائما من خلال تعاليمه إلى تربية أتباعه على التسامح والإعلاء من قيمة الرحمة، بل لا يكتفي الإسلام بتعاليم أتباعه هذا التسامح الشامل بوصفه شرطا من شروط السلام الضروري، لكنه حرص على أن يلزم المسلم بالسلوك العادل الذي لا يقبل الآخر فحسب، بل يحترم ثقافته وعقيدته وخصوصياته وفى هذا

يقول القرآن الكريم: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨)[٣].

فما أحوج المسلمين في هذه الأيام إلى نشر قيم التسامح بين بعضهم وبعض ومع الآخر، فما قدمته لنا السنة النبوية المشرفة من أمثلة ومواقف عملية في العفو والتسامح، خلدها التاريخ، وأبرز هذه الأمثلة ما حدث عند فتح مكة، وقال الرسول ﷺ لمن آذوه وأخرجوه هو المسلمين من ديارهم وحاربوهم: (ما ترون أني فاعل بكم؟) قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال ﷺ: (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

الهوامش

١- هند مصطفى محمد الطيب، فتح مكة، دراسة دعوية، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الدعوة والإعلام- كلية الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض)، (ص/٩٨- ٩٩).

٢- مبارك إبراهيم التيجاني، وقفات مع فتح مكة من خلال السيرة النبوية، طبعة مركز بحوث القرآن الكريم، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، (ص/٧٦).

٣- د. محمود حمدي زقزوق، التسامح في الإسلام، سلسلة فكر المواجهة، طبعة رابطة الجامعات الإسلامية، (ص/١١).



السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية

الأقصى.. مهوى الأفئدة والعقول

جعل الله تعالى المساجد في الأرض أماكن مطهرة، فيها يذكر المؤمنون اسمه تعالى، وتصعد تكبيراتهم وتسبيحاتهم ومناجاتهم شاهدة على إيمانهم به وتضرعهم إليه.. فلا عجب أن تكون المساجد بيوتًا لله وبيوتًا للمؤمنين في آن واحد.. ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ (النور: ٣٦- ٣٧).

وإذا كانت هذه هي دلالة المساجد على حال عمَّارها وزوَّارها، فإن هناك منزلة سامية فوق هذه المنزلة، لثلاثة مساجد ذكرها الحديث الشريف؛ فعَن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى»[1]. فهذه المساجد لها منزلة خاصة في نفوس المؤمنين؛ وبها تتعلق أفئدتهم.

فالمسجد الحرام فيه أول بيت وُضع للناس، الكعبة المشرفة.. واختص بدعوة خليل الرحمن إبراهيم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ



﴿غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

والمسجد النبوي يضم الجسد الشريف لحبيب الحق وسيد الخَلق، محمد ﷺ.

والمسجد الأقصى شاهد على اتصال الأرض بالسماء في الرحلة العلوية، الإسراء والمعراج.. وعلى إمامة النبي محمد ﷺ إخوانه الأنبياء في تلك الليلة المباركة.

فلا غرو أن تكون هذه المساجد الثلاثة ذات مكانة خاصة في نفوس المؤمنين، وأن تحظى بدرجة كبرى من المحبة والتعلق بها.

لكن الملاحظ أن المسجد الأقصى له مزية أخرى تضاف لمزية «تعلق الأفئدة» به، وهي «تعلق العقول» به.. فهو مهوى الأفئدة والعقول معًا!

و«تعلُّق العقول» الذي نقصده، هو أن محبة هذا المسجد، ومتابعة تاريخه، ومعرفة تطورات الأزمنة المتعاقبة عليه، وإدراك موقعه من مكانة المسلمين الحضارية.. كل ذلك يدل على حالة عقلية، وليس على حالة قلبية فحسب. وبذلك كان المسجد الأقصى مهوى الأفئدة والعقول.

أربع خصائص

لقد اختص المسجد الأقصى بعدة خصائص جعلته يحظى بهذه المزية.. منها:

أولاً: أن له منزلة بين أتباع الرسالات السماوية الثلاث.. رغم ما يشوب ذلك من اختلاط التاريخ بالأساطير، عند بعضها. وهنا نشير إلى أن معظم الحضارات القديمة تناوبت السيطرة على مدينة القدس.. لكن هذه المدينة لم تنعم بالسلام، ولم تعرف الأمان؛ إلا في وجود العهد الإسلامي.

وكما جاء في (وثيقة الأزهر عن القدس الشريف)، فإنه: «إذا كان تاريخ القدس قد شهد العديد من الغزوات والغُزاة، فإن عبرة التاريخ تؤكد دائمًا أن كل الغزاة قد عملوا على احتكار هذه المدينة ونِسبتها لأنفسهم دون الآخرين.. صنع ذلك البابليون والإغريق والرومان وكذلك الصليبيون.. ثم الصهاينة الذين يسيرون على طريق هؤلاء الغزاة، ويعملون الآن على تهويدها واحتكارها والإجهاز على الوجود العربي فيها. لقد صنع الغزاة ذلك، بينما تفرَّد الإسلام بالاعتراف بكل الشرائع والملل واحترم كل المقدسات، وتفرد بتأكيد قداسة هذه المدينة وإشاعة ذلك بين كل أصحاب الديانات والملل.. الأمر الذي جعل- ويجعل- من السلطة العربية على القدس ضمانًا لمصالح الجميع؛ فالقدس في ظل السلطة العربية هي- دائمًا- مدينة الله، المُفتَّحة الأبواب أمام كل خَلق الله وعباده».

ثانيًا: أن الأقصى، والقدس عامة، شاهدٌ على الصراع الذي دام لقرنين تقريبًا، بين الشرق والغرب، فيما عُرف بـ«الحملات الصليبية»؛ والتي كانت شاهدة أيضًا على الجرائم والمذابح التي ارتُكبت باسم المسيحية، وباسم الدفاع عن المدينة المقدسة.. في مقابل سماحة المسلمين وعدالتهم، وحفظهم الدماء والأعراض لجميع سكان القدس، مسلمين وغيرهم.. وذلك بشهادة المؤرخين الغربيين أنفسهم.

يقول (غوستاف لوبون): «تم طرد الصليبيين من القدس على يد صلاح الدين الأيوبي الشهير؛ وذلك أن صلاح الدين دخل سورية بعد أن أصبحت مصر وجزيرة العرب والعراق قبضته، وأنه غلب ملك

القدس الأسيف (غِي دولوزينيان) وأسره، واسترد القدس في سنة: (١١٨٧م)، ولم يشأ السلطان صلاح الدين أن يفعل في الصليبيين مثل ما فعله الصليبيون الأولون من ضروب التوحش، فيبيد النصارى على بكرة أبيهم؛ فقد اكتفى بفرض جزية طفيفة عليهم، مانعًا سلب شيءٍ منهم».

ثالثًا: أن الأقصى، وعموم فلسطين، يقع في بؤرة الحركة الاستعمارية الغربية التي تريد السيطرة على البلاد العربية، وغرست «إسرائيل» في قلبها، لتكون عامل تأجيج للصراع، وأداة للتفريق والسيطرة. فهي تنوب بالوكالة عن غيرها في استنزاف البلاد العربية، وفي قطع الطريق أمام وحدتها وأمام قدرتها على استئناف دورها الحضاري.

رابعًا: أن الطريق الوحيد للحافظ على الأقصى يمر عبر استعادة المسلمين وحدتهم، وعبر وعيهم بأهمية تكاتفهم وترابطهم، ووعيهم أيضًا بأبعاد هذا الصراع الذي يواجهونه ويُفرض عليهم.

لأن الأقصى، وفلسطين عمومًا، ليس ملكًا للفلسطينيين وحدهم، وإنما هو يتجاوز الدائرة الوطنية والعربية إلى الدائرة الأوسع، أي الدائرة الإسلامية.. فهو ملك للمسلمين عامة، وهم جميعًا عليهم واجب تحريره وإنقاذه.

وهذه النقاط الأربع، وغيرها، تعني أن مكانة الأقصى لدى المسلمين ليس محلها القلب فحسب، وإنما العقل أيضًا.. وأن الارتباط بهذا المسجد، وبمدينة القدس التي تضمه، ليس أمرًا قاصرًا على الوجدان، وإنما هو بجانب ذلك أمرٌ فكري وعقدي ومعرفي وتاريخي وحضاري!

حضورٌ مستلزَمٌ بالضرورة:

إن الوعي بهذا المسجد، وبالصراع حوله؛ يستلزم بالضرورة:

● حضور التاريخ: تاريخ المدينة وتعاقب الدول والحضارات عليها، وسلوك كل أمة إزاءها.. وما يكتنف ذلك من حقائق وأساطير!

● حضور العقيدة: فالأقصى هو أولى القبلتين، وثاني المسجدين.. وإليه انتهى مسرى الرسول ﷺ، ومنه كان معراجه إلى سدرة المنتهى.

● حضور الوعي بطبيعة صراع الغرب مع الشرق: هذا الصراع الذي يتخذ أشكالاً كثيرة، ويتذرع بحجج متعددة واهية، ولا يتورع عن توظيف الدين والمقدسات في تأجيج النار واستثارة الحماس حوله.

● حضور الوعي بما لدى أمتنا من طاقات وإمكانات: فهي أمة ذات قدرة هائلة على التجدد باستمرار؛ لاستئناف دورها الحضاري، وموقعها في الشهادة على الأمم.. شريطة أن تحسن توظيف طاقاتها وإمكاناتها. وسبحان الله، كأنما جاء هذا المسجد عبر التاريخ، ليكون «جذوة الأمل» التي تتقد دائمًا، و«نقطة النور» التي لا تنطفئ.. حتى إذا أحاطت بأمتنا المحن، وتعاقبت عليها الأزمات، استمدت مما يجري حول هذا المسجد وقود عزم، وقوة إرادة، وطاقة أمل.. وهكذا يسير التاريخ في دورات متعاقبة.

ولهذا، فالمسجد الأقصى شاهد على حالة المسلمين من النهوض أو التراجع الحضاري.. فإذا كان المسلمون في عافية، كان المسجد بحوزتهم؛ وإذا ضعفوا وتفرق أمرهم، انتُزع منهم؛ فكان هذا الانتزاع عقابًا من ناحية، ووقودًا من ناحية أخرى لاستعادة الوعي والرشد، وتنظيم الصفوف من جديد.

عباد لنا

ونخلص من ذلك إلى أن المسجد الأقصى يحوز مكانة عامة في الأفئدة شأن بقية المساجد، ويحوز مكانة خاصة في الأفئدة أيضًا شأن المسجدين الحرام والنبوي.. كما يحوز، بجانب ذلك، مكانة في العقول؛ نظرًا لما دار حوله في تاريخ ممتد، ودورات متعاقبة، لا تكاد تهدأ حتى تبدأ.. إلى أن يبلغ الكتاب أجله: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ (الإسراء: ٨).

وما علينا في ذلك كله، إلا أن نعمل على استيفاء شروط النصر، ونكون «عبادًا لله تعالى» على النحو الذي أمر، ليصدق فينا نصره على النحو الذي وعد: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ لِيَسُـٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٧).

المصادر

(١) متفق عليه؛ البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).
(٢) صدرت (وثيقة الأزهر عن القدس الشريف) بتاريخ ٢٠ نوفمبر ٢٠١١م. راجع: مجلة الأزهر، عدد يناير، ٢٠١٨م.
(٣) حضارة العرب، لوبون، (ص: ٣٢٩)، ترجمة عادل زعيتر، طبعة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م.



عايد الجاسم
كاتب وباحث

مكانة الأقصى في قلوب المسلمين

تتكرر الاعتداءات على المسجد الأقصى التي لم تتوقف يوما من خلال ممارسات مختلفة، سواء عن طريق عمليات الحفر تحت المسجد أو الهدم لبعض المواقع أو من خلال محاولات احراقه وتكرار اقتحامه أو حتى عن طريق إغلاقه ومنع المصلين من أداء الصلاة فيه.

هذه الاعتداءات المستمرة والمستفزة والهادفة إلى تغيير الوضع الديني والتاريخي للمسجد الأقصى وطمس هوية مدينة القدس لم تجد إلا الرفض والاستنكار والتصدى من قبل المجتمع الدولي والعالمين العربي والإسلامي والذين أعربوا عن شجبهم وإدانتهم لهذه الأفعال الخطرة والتي تشكل تحدي للعالم.

وليس جديدا الدفاع عن المسجد الأقصى والتصدى لمحاولات الإضرار به وتدنيسه، فعلى مر التاريخ كانت مواقف الدفاع عن الأقصى ثابتة امام كل خطط الاعتداء عليه والإساءة له، فمكانة «الأقصى» كبيرة في قلوب المسلمين. وكلما تكررت الاعتداءات على المقدسات الإسلامية في مدينة القدس زادت مشاعر الغضب والشجب والاستنكار، وتركز الاهتمام بشكل أكبر على القدس والمسجد الأقصى وضرورة الحفاظ عليهم وحمايتهم وتحريرهم من أيدي اليهود. ولا تحتاج قضية الدفاع عن المسجد الأقصى إلى تفكير ودراسة، بل هي أمر ثابت في العقيدة الإسلامية، فكل المسلمين عليهم بذل الغال والنفيس من أجل عودة القدس والمسجد الأقصى إلى أهلها المسلمين.

وهذا الأمر سيتحقق طال الوقت أو قصر طالما استمرينا في تمسكنا بمقدساتنا الاسلامية وحق الدفاع عنها أمام كل خطط وتدابير الإضرار بها والإساءة إليها ومحاولات تغيير معالمها بالقوة وبشكل مخالف للواقع والتاريخ.

المكانة الخاصة التي يحظى بها المسجد الأقصى لم تأت من افعال أو نشاطات معينة إنما جاءت من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وهو مسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومعراجه إلى السموات العلا. قال الله تعالى:

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١).

اما الأحاديث النبوية في فضائل المسجد الأقصى فهي كثيرة ومتعدد، منها حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا ونحن عند رَسول اللّه ﷺ أيهما أفضل: أمسجد رَسول اللّه ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال رَسول اللّه ﷺ: «صلاةٌ في مسجدي أفضلُ من أربع صلوات فيه، ولَنِعمَ المُصَلَى هُو، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا». أو قال: «خيرٌ له من الدنيا وما فيها».

ويعتبر المسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة التي يشد المسلمون الرحال إليها. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى».



حسن عباس
محرر صحفي



«الأقصى» في عيون الكويتيين

لا يخفى على أحد حب أبناء الكويت للمسجد الأقصى والشعب الفلسطيني الذين ما برحوا يعلنون تضامنهم ووقوفهم إلى جانب الشعب الفلسطيني ومساندتهم داعمين إياهم بشتى الطرق، حيث كان لاقتحام المسجد الأقصى والاعتداء على المصلين أثر دوَّى داخل الكويت، لينتفض أبناؤها داعمين ومدافعين عن القدس وأهله، حيث أقام عدد من المؤسسات والقطاعات فعاليات عدة للدفاع عن مدينة القدس بالغالي والنفيس، ونصرة المسجد الأقصى المبارك، لما له من أهمية ومكانة في قلوب أبناء الأمتين العربية والإسلامية.

«فجرُنا للأقصى»

كان للمساجد دور في مثل هذا الحدث من فعاليات، حيث كانت هناك دعوة لصلاة فجر الجمعة (٢٢-٤-٢٠٢٢م)، نُصرة للمسجد الأقصى ورفضًا للعبث اليهودي وتضامنا مع المرابطين في المسجد الأقصى تحت شعار «فجرُنا للأقصى» وذلك في مسجد عيسى العثمان بمنطقة الخالدية، وقد ألقى د. محمد العوضي خاطرة بعد الصلاة عن المسجد الأقصى ووجوب حمايته ووقف محاولات تهويده، مستدركًا الحديث عن نصرة أهل فلسطين ومساندتهم.

وقال د. محمد العوضي «يشرفني المشاركة في هذه المناسبة العظيمة، نحن منذ أن كنا صغارًا حفظنا قصيدة «متى تغضب» من أجل الأقصى وفلسطين، ونقول اليوم: متى سنجتمع ونتوحد من أجل القدس وفلسطين!».

وأضاف العوضي.. «أقل القليل أن نقف هذه الوقفة، وهذا الذي عُرِف عن مجتمعنا قيادةً وشعبًا وكل القطاعات المدنية والشعبية».

«الإرادة» تنتفض من أجل القدس

شهدت ساحة الإرادة وقفة تضامنية مع المرابطين في المسجد الأقصى المبارك، شارك فيها جمع كبير من المواطنين نصرة للمسجد الأقصى وتضامناً مع إخوانهم الفلسطينيين في محنتهم التي يتعرضون لها من الاحتلال الصهيوني واجتياح قواته باحة المسجد الأقصى.

وقد عبر المشاركون في الوقفة عن غضبهم من ممارسات الاحتلال الصهيوني والاعتداءات المتكررة على الحرم القدسي، مؤكدين رفضهم لمحاولات تهويد القدس وطمس هويتها العربية والسيطرة على المقدسات الإسلامية.

وحضر الوقفة عدد من النواب والناشطين السياسيين وممثلي التيارات الدينية، وردد المشاركون فيها أناشيد ضد المحتل الصهيوني، تندد بالأعمال الوحشية والهمجية التي تعرض لها المقدسيون في ديارهم، واعتقال بعض المصلين وإرهابهم، كما حملوا لافتات مندّدة بالصهاينة وإجرامهم.

«هيئة التدريس بجامعة الكويت» تستنكر العدوان

أما جمعية أعضاء هيئة التدريس بجامعة الكويت فقد أصدرت بيانا

استنكرت فيه الانتهاكات والممارسات التي يقوم بها جيش الاحتلال الصهيوني على الشعب الفلسطيني والمسجد الأقصى، وجاء في البيان:

«تستنكر جمعية أعضاء هيئة التدريس الممارسات التي تقوم بها العصابات الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة وتدنيسها للمسجد الأقصى، داعية المجتمع الدولي لشجب تلك الممارسات غير الإنسانية التي تتعارض مع مبادئ القانون الدولي الإنساني والأعراف الدولية وجميع السنن البشرية المتحضرة.

كما تستنكر الجمعية الصمت المريب للدول والمنظمات العالمية والإقليمية الحكومية وغير الحكومية إزاء هذه الانتهاكات الصارخة، وتعتبر ذلك السكوت بمنزلة تعبير عن الرضوخ للكيان الصهيوني وعصاباته العنصرية التي استمرأت استخدام أعتى أدوات القهر القسرية وأشنع الانتهاكات الإنسانية وارتكاب أبشع الجرائم ضد المدنيين العزل.

إن سكوت الدول، خاصة التي تدعي المدنية والتحضر واحترام حقوق الإنسان، لهو دليل على النفاق السياسي الذي يلون وجوه تلك الحكومات ليظهر حقيقة بشاعتها وإفلاس ادعاءاتها السياسية وشعاراتها الخاوية».

وأضاف البيان أن «جمعية أعضاء هيئة التدريس لتعلن تضامنها مع الشعب الفلسطيني الأبي الذي يتطلع إلى الحرية وحقوقه المشروعة في الدفاع عن نفسه وفقا لمبادئ القانون الدولي الذي يتيح الرد بالمثل على ذلك العدوان الجائر.. كما تدعو جمعية أعضاء هيئة التدريس الحكومات والمنظمات الحقوقية العالمية ومؤسسات المجتمع المدني الصادقة لمد يد العون للشعب الفلسطيني من أجل ردع هذا الكيان الذي دأب على تكرار اعتداءاته المتعمدة، لاسيما في شهر رمضان الفضيل، والتي تعبر عن مكنون حقده البغيض على العرب والمسلمين والبشرية».

وتابعت: «نتضرع إلى الله عزوجل أن يكتب الصبر والنصر لإخواننا من الشعب الفلسطيني البطل الذي سطر أسمى آيات الكرامة والتصدي لممارسات هذا الكيان الغاصب وعصاباته المجرمة.

ولنتذكر قوله عزوجل في محكم التنزيل: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾(التوبة:٥٢)، والله ولي التوفيق».



«القدس في قلوب الرسامين»

وتحت شعار «القدس في قلوب الرسامين» افتتحت جمعية الكاريكاتير الكويتية معرضا فنيا مساء الأربعاء (٢٠-٤-٢٠٢٢م)، والذي يؤكد موقف الكويت الرافض لانتهاكات الاحتلال، تضامنا مع القدس والمسجد الأقصى وصمود الشعب الفلسطيني، بعد الصدامات العنيفة التي اندلعت بين شرطة الاحتلال والفلسطينيين في المسجد الأقصى.

وقال رئيس الجمعية محمد الثلاب إن هذا المعرض الذي ينظم في مقر الجمعية بمنطقة الدعية في محافظة العاصمة حتى نهاية شهر رمضان هو معرض استثنائي، مضيفا: لقد نظمنا المعرض بشكل سريع جدا واستغرق منا أربعة أيام، بهدف التضامن مع الأحداث الأخيرة في القدس الشريف حتى يكون لفناني الكاريكاتير في العالم العربي والكويت الدور البارز ليقدموا رد فعل رمزي للضغط على الاحتلال الإسرائيلي.

وأوضح الثلاب أن فن الكاريكاتير يقدم رسالة لها «تأثير قوي وتعبيري» بشكل أكبر، مقارنة بالفنون الأخرى، مشيرا إلى أن الجمعية حاولت الاستفادة من موهبة الفنانين لدعم القضية الفلسطينية .



وتتميز اللوحات المعروضة بتناولها الأحداث الأخيرة التي شهدتها مدينة القدس، وتزينت جدران قاعة المعرض بـ (٤٢) لوحة من تنفيذ (٣٠) فنانا بينهم فنانون من خارج الكويت أرسلوا لوحاتهم للمشاركة في المعرض.

وأوضح الثلاب أن الجمعية تدعم الموقف الرسمي الكويتي فيما يخص القضية الفلسطينية، ولم تلغ أي رسم كاريكاتير وصل إلى المعرض بسبب احترامها لحرية التعبير التي يفخر به الكويتيون.

من جهته لفت السفير الفلسطيني بالكويت رامي طهبوب الذي افتتح المعرض برفقة السفيرين العراقي والمغربي إلى أن الشعب الكويتي ودولة الكويت يثبتان مرة أخرى ماذا تعني لهم القضية الفلسطينية وقضية القدس تحديدا.

وتابع «ما رأيناه اليوم في هذا المعرض هو تعبير عن مشاعر الكويتيين تجاه القضية الفلسطينية».

كما أشار طهبوب إلى أن «الفلسطينيين يقدرون أي عمل شعبي أو تضامني مع القضية الفلسطينية وقضية القدس والمسجد الأقصى، ذلك لأنه يعزز صمودنا ويقوي من عزيمتنا لمواجهة هذا الاحتلال الغاشم، وهذا يعكس ماذا تعني فلسطين لدولة الكويت ككل وهذه هي الكويت التي تربينا على مواقفها الثابتة».

من جهته قال السفير العراقي لدى الكويت منهل الصافي إن وجوده في المعرض هو لإبداء الدعم للشعب الفلسطيني بشكل عام والمقدسيين بشكل خاص في هذا الشهر الفضيل، مضيفا «وجدت من خلال اللوحات المعروضة مشاعر جياشة جادت بها أنامل الفنانين والمبدعين، الذين نقلونا إلى باحات المسجد الأقصى».

مجلس الأمة الكويتي يدين ممارسات الاحتلال

أعرب مكتب مجلس الأمة الكويتي عن استنكاره الشديد وإدانته التامة للعدوان الصهيوني المتكرر على المقدسات الإسلامية والمسيحية والحقوق الفلسطينية ومنها ما تم مؤخرا من اقتحامات صهيونية للمسجد الأقصى المبارك تحت حماية عسكرية وحشية دموية.

وأكد المكتب في بيان له الثلاثاء (١٩-٤-٢٠٢٢م) اعتزازه بصمود ورباط الشعب الفلسطيني الأعزل داخل مدينة القدس الشريف وخارجها، مشيدا بالموقف الوطني الكويتي الرسمي والشعبي الداعم والحاضن للنضال الفلسطيني.

وطالب المجتمع الدولي بالضغط لحماية المصلين والمعتكفين في المسجد الأقصى المبارك ووقف كافة خطط وخطوات تقديم القربان الصهيوني المزعوم في الحرم المقدسي وإطلاق سراح كافة الأسرى الفلسطينيين ووقف اقتحامات المخيمات والمدن العربية.

كما أكد أيضا مواقف دولة الكويت والشعوب العربية والمسلمة الثابتة ضد الاحتلال الصهيوني وممارساته.

الكويت تستنكر الاعتداء على المصلين بالأقصى

من جانبها علقت وزارة الخارجية الكويتية على الأحداث في المسجد الأقصى، حيث أعربت عن إدانة واستنكار دولة الكويت الشديدين لاقتحام قوات الاحتلال الإسرائيلي للمسجد والاعتداء على المصلين فجرًا، والذي أسفر عن إصابة واعتقال المئات من الأبرياء.

وأوضحت الوزارة في بيان لها أن هذه الاعتداءات تعتبر تصعيدا خطيرا وانتهاكا صارخا لكافة المواثيق والقرارات الدولية ومدعاة لتغذية التطرف والعنف وتقويض استقرار المنطقة.

ودعت المجتمع الدولي ولاسيما مجلس الأمن إلى تحمل مسؤولياته في توفير الحماية للشعب الفلسطيني الشقيق والأماكن المقدسة ولجم الاعتداءات التي تقوم بها قوات الاحتلال الإسرائيلي.



تقرير
علاء عبد الفتاح

مسلسل الاقتحامات يستمر مخلفا مئات المصابين والمعتقلين الأبرياء

فلسطين صامدة والأقصى باق

الكويت تصدر بيانا فوريا تدين فيه العمل الخسيس

المكان: أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.
والزمان: فجر الرابع عشر من شهر رمضان الماضي.
والحال: المصلون يتعبدون معتكفين بعد أداء الصلاة، رافضين أن تدخل جماعات الهيكل بقرابين مذبوحة إلى ساحة المسجد.
والحدث المؤلم: اقتحام قوات الاحتلال الإسرائيلي الأقصى بأحذيتهم وهراواتهم وقنابلهم ورصاصهم المطاطي، وتدنيس مسرى الرسول ﷺ، وهو المكان الذي تهوى إليه أفئدة المسلمين.
تسجل عدسات المصورين بالصوت والصورة كيف اعتدى جنود الاحتلال الإسرائيلي على مقدسات المسلمين، وكيف استباحوا المسجد الأقصى فدنسوه بأحذيتهم، وطاردوا من طاردوا، وأصابوا من أصابوا، واعتقلوا من اعتقلوا في غياهب سجونهم.
تسجل اعتداء جندي من القوات الغاشمة على سيدة عزلاء كانت تقف على جانب باحة المسجد، لا حول لها ولا قوة، كما توثق أمام أعين العالم كله دفع جندي متغطرس آخر لمسن حتى ارتطم بالحائط، أيضا لم ينج الأطفال من الاعتداء الوحشي، وتسجل الكاميرا اعتداء مجموعة من الجنود عليه واعتقاله، ورأى العالم كله كيف تحول قوات الاحتلال مقدساتنا إلى ميدان حرب باقتحامها أولى القبلتين في الإسلام حيث يسجد المصلون ويعتكفون، فضلا عن إلقاء المصاحف والكتب الدينية على الأرض أثناء مداهمة غرف الأوقاف بالمسجد، فيما ينبعث دخان القنابل المسيلة للدموع ليملأ المسجد مع رصاص مطاطي، أدى إلى إصابة أكثر من (١٥٠) مصليا مسالما، فضلا عن اعتقال نحو (٤٠٠) آخرين، كل ذنبهم في نظر الاحتلال أنهم مازالوا متمسكين بعقيدتهم.
حدث ذلك في شهر الصيام والقيام، فضاعف الحسرة والأحزان، وأعلنت عدة حكومات -في مقدمتها الحكومة الكويتية- رسميا عن استنكارها وإدانتها الشديدين لهذا الفعل البشع، إذ سارعت وزارة الخارجية الكويتية بإصدار بيان يدين اقتحام قوات الاحتلال الإسرائيلي للمسجد الأقصى والاعتداء على المصلين فجر الجمعة الموافق (١٥) أبريل الماضي الرابع عشر من رمضان.


جند الاحتلال يعتدون على المقدسات الإسلامية

وأوضحت الكويت أن هذه الاعتداءات تعتبر تصعيدا خطيرا وانتهاكا صارخا لكل المواثيق والقرارات الدولية ومدعاة لتغذية التطرف والعنف وتقويض استقرار المنطقة. ودعت المجتمع الدولي ولاسيما مجلس الأمن إلى تحمل مسؤولياته في توفير الحماية للشعب الفلسطيني الشقيق والأماكن المقدسة ولجم الاعتداءات التي تقوم بها قوات الاحتلال الإسرائيلي.

كما أدانت الخارجية الأردنية بشدة اقتحام الشرطة والقوات الخاصة الإسرائيلية المسجد الأقصى والاعتداء على المصلين، حتى الخارجية الصينية أعربت عن قلقها بشأن الخسائر المدنية الناجمة عن تصاعد الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وطالبت جميع الأطراف المعنية بممارسة الهدوء وضبط النفس لمنع التصعيد وخروج الوضع عن السيطرة.

وبدوره عبر المنسق الأممي الخاص لعملية السلام في الشرق الأوسط تور وينسلاند عن القلق العميق إزاء تدهور الوضع الأمني في القدس، وحث سلطات الطرفين على الحد من التصعيد فورا ومنع المزيد من استفزازات المتشددين.

من جانبه، قال الاتحاد الأوروبي: إنه يتابع بقلق بالغ التصعيد في الضفة الغربية المحتلة والقدس الشرقية والمواجهات في المسجد الأقصى، ودعا لوقف فوري «لأعمال العنف»، وحث على احترام الوضع الراهن للأماكن المقدسة.

لكن مع كل هذه الإدانات والشجب يستمر مسلسل الاعتداء على الشعب الفلسطيني من منطلق فرض القوة والأمر الواقع وعدم احترام قرارات المجتمع الدولي.

ومن مظاهر الإجرام أن قوات الاحتلال استخدمت القنابل المسيلة للدموع، فضلا عن القنابل الصوتية والدخانية والهراوات، في محاولة لإخلاء المسجد وباحاته، كما لاحقت قوات الاحتلال المصلين واعتدت عليهم بالضرب في ساحات المسجد ثم أعاقت عمل طواقم الإسعاف التي وصلت إلى منطقة باب الأسباط.

ولكن لعل ما يثلج الصدور أنه وبالرغم من كل تلك التعزيزات العسكرية التي صاحبت الاقتحام استطاع -وفق إدارة الأوقاف الإسلامية بالقدس- (٦٠) ألف مصل أداء صلاة الجمعة الثانية من رمضان في المسجد الأقصى.

لكن ما ذريعة الاحتلال في اقتحامه هذه المرة؟ يقول خطيب المسجد الأقصى الشيخ عكرمة صبري: إن قوات الاحتلال الإسرائيلي قامت بهذا الاقتحام لإخلاء المسجد من المصلين المسلمين الذين يقدر عددهم بـ: (٣٠) ألف مصلّ أدوا صلاة الفجر، وقد وضع البعض متاريسَ لصد جماعات الهيكل التي هددت باقتحام المسجد لتقديم القرابين اليوم مع حلول عيد الفصح اليهودي.

من جهة أخرى أدانت «اللجنة الوزارية العربية المكلفة بالتحرك الدولي لمواجهة السياسات والإجراءات الإسرائيلية في مدينة

القدس» ما وصفته بالانتهاكات الإسرائيلية بحق المصلين في المسجد الأقصى، والتي تصاعدت خلال الأسابيع الماضية وأدت إلى وقوع مئات الإصابات والاعتقالات.

وحذرت اللجنة في بيانها من أن هذه «الانتهاكات تمثل استفزازا صارخًا لمشاعر المسلمين في كل مكان، وتنذر بإشعال دوامة من العنف تهدد الأمن والاستقرار في المنطقة».

وجاء في البيان ضرورة إلزام الاحتلال باحترام الوضع التاريخي والقانوني القائم في الحرم القدسي، والعودة إلى ما كان عليه قبل عام ٢٠٠٠، بما يضمن احترام أن «المسجد الأقصى والحرم القدسي، بمساحته البالغة مائة وأربعة وأربعين دونماً، هو مكان عبادة خالص للمسلمين، حيث تكون الزيارة لغير المسلمين إليه بتنظيم من إدارة الأوقاف الإسلامية، التابعة لوزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية الأردنية».

وفي سياق متصل قال مصدر أردني أن أيه قضية تتعلق بأوضاع «الحرم القدسي الشريف» في القدس هي شأن يتعلق بالسيادة الأردنية حصريًا.

وأيه قضية مرتبطة بحراسة المسجد الأقصى هي «شأن أردني ومرتبط بالسيادة الهاشمية على المقدسات ووفقا للقانون الدولي، وذلك تعليق على خبر «موافقة» وزير الأمن الداخلي عومر بارليف والشرطة الإسرائيلية على طلب بزيادة عدد حراس



المسجد الأقصى التابعين للأوقاف الإسلامية الأردنية، بـ٥٠ عنصرًا.

وأكد مصدر مسؤول في وزارة الأوقاف الأردنية أن «مسؤولية وصلاحية تعيين الحراس والموظفين تعود للوزارة بالتنسيق مع دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس الشريف، ولا تقبل المشاركة أو الإملاء من أية جهات كانت بما فيها حكومة الاحتلال الإسرائيلي»، حسب قوله.

وأشار المصدر إلى أن وزارة الأوقاف «قامت بتعيين أكثر من ٧٠ حارسا منذ عام ٢٠١٦ إلا أن إجراءات التعسف والغطرسة الإسرائيلية والقيود التي تضعها الشرطة الإسرائيلية على الأرض تشكل حائلاً دون التحاق الحراس والموظفين بعملهم».

وأكد أن «الوزارة من خلال دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس ماضية في جهودها وإجراءاتها رغم جميع المعيقات وثابتة بموقفها المتمثل بكونها الأداة التنفيذية الوحيدة المكلفة بالوصاية الهاشمية على المقدسات والأوقاف الإسلامية والمسيحية واحترام الوضع التاريخي والقانوني القائم وأن المسجد الأقصى المبارك حق خالص للمسلمين لا يشاركهم فيه أحد».

وأخيرا اقتحم عشرات المستوطنين، المسجد الأقصى المبارك من جهة باب المغاربة، بحماية شرطة الاحتلال الإسرائيلي.

وأفادت وكالة الانباء الفلسطينية، بأن عشرات المستوطنين اقتحموا المسجد الأقصى على شكل مجموعات، ، وأدوا طقوسا تلمودية ونفذوا جولات استفزازية في باحاته.



تقرير
عبدالسلام الشبراوي

المسجد الأقصى.. تاريخ من الاعتداءات

لم يكن اقتحام جنود الاحتلال الصهيوني للمسجد الأقصى فجر الجمعة ١٤ من رمضان الماضي الموافق ١٥ أبريل، هو الأول من نوعه، بل هو حلقة في سلسلة مقيتة بشعة تعبر عن هدف هذه القطعان من المستوطنين وقوات الاحتلال بغرض تدنيس المسجد الأقصى والاستحواذ عليه ومنع المسلمين من أداء شعائرهم فيه تمهيدا لهدمه وإقامة هيكلهم المزعوم فوق أنقاضه.

وفي هذا التقرير نستعرض بعضا من أعمال العدوان على المسجد الأقصى المبارك خلال الأعوام العشرة الأخيرة، والتي تستمر بشكل شبه يومي مما ينذر بالخطر ووجوب يقظة المسلمين لما يفعله المستوطنون الصهاينة برعاية جيش الاحتلال:

١ - أغسطس/آب ٢٠١٢م: قدم عضو الكنيست أري ألداد مقترح قانون لتقسيم الأقصى والسماح لليهود بالصلاة فيه في أيام معينة، ويمنع المسلمون خلالها من دخوله.

٢ - سبتمبر/أيلول ٢٠١٢م: مرشح حزب الليكود السابق لرئاسة الحزب موشيه فيجلين يقتحم المسجد الأقصى برفقة مجموعة من المستوطنين.

٣ - ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٣م: الكشف عن كنيس يهودي للنساء وحفريات جديدة أسفل باب السلسلة المؤدي إلى الأقصى.

٤ - مارس/آذار ٢٠١٤م: الحاخام المتطرف يهودا غليك يقتحم برفقة مستوطنين الأقصى من جهة باب المغاربة.

٥ - مارس/آذار ٢٠١٤م: نشرت منظمات يهودية صيغة بيان ورسالة بعثتها لرئيس الوزراء بنيامين نتنياهو تطالبه بالعمل وتسهيل الإجراءات والمساعي بهدف بناء كنيس يهودي في الأقصى.

٦ - أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٤م: الكنيست يناقش مقترحا لسحب السيادة الأردنية على الأقصى.

٧ - نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٤م: صحيفة هآرتس الإسرائيلية تكشف عن سعي وزير الأمن الداخلي إسحاق أهرونوفيتش لملاحقة طلبة المصاطب والمرابطين وحظر نشاطهم.

٨ - يناير ٢٠١٥م: اقتحمت مجموعات يهودية متطرفة، المسجد الأقصى المبارك من باب المغاربة، وذلك بحراسة مشددة من شرطة الاحتلال الخاصة، والتي بدورها واصلت التضييق على روّاد الأقصى من فئتي الشبان والنساء، وتحتجز بطاقاتهم الشخصية على بوابات المسجد إلى حين خروج أصحابها من بواباته الرئيسية. ولاحقا اعتقلت شرطة الاحتلال الخاصة، خمس نساء من داخل المسجد الأقصى المبارك، بسبب مشاركتهن في التصدي لاقتحامات الجماعات اليهودية المتطرفة بهتافات التكبير، وعُرف من بين النساء المعتقلات: ملاك عطون وابنة عمها، وإخلاص رعود، وجميعهن من طالبات مجالس العلم في الأقصى.

٩ - ١٥ فبراير/شباط ٢٠١٥م: أعلنت مؤسسة إسرائيلية تطلق على نفسها «الحفاظ على تراث حائط المبكى»، عن مناقصة من أجل تنفيذ أعمال حفريات في الأنفاق أسفل الحائط الغربي للمسجد الأقصى.

١٠ - مايو/أيار ٢٠١٥م: أصدرت محكمة

الاحتلال قرارا يقضي بالسماح للحاخام المتطرف يهودا غليك بالعودة إلى اقتحام المسجد الأقصى.

١١ - أغسطس/آب ٢٠١٥م: طالبت منظمات وجماعات الهيكل المزعوم في مذكرة رسمية رفعتها لرئيس وزراء حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو بإغلاق المسجد الأقصى المبارك في وجه المسلمين خلال الفترة الصباحية.

١٢ - مارس ٢٠١٦م: قاد الحاخام المتطرف يهودا غليك اقتحاما للمسجد الأقصى المبارك من باب المغاربة على رأس مجموعة من المتطرفين اليهود، وبحماية معززة ومشددة من عناصر «الوحدات الخاصة»، و«التدخل السريع» بشرطة الاحتلال، وساد المسجد الأقصى توتر شديد وسط هتافات التكبير الاحتجاجية من قبل المصلين وطلبة مجالس العلم في المسجد. يشار إلى أن اقتحام الحاخام المتطرف غليك لم يكن الأول فقد سبقه اعتداؤه على مُسنّة فلسطينية بالمسجد الأقصى وكسر يدها؛ وأجازت محكمة الاحتلال لهذا الحاخام اقتحامه من جديد، مؤكدة أنه لا توجد مبررات حقيقية لعدم مشاركته في هذه الاقتحامات. وقد اغتالت قوات الاحتلال الشهيد المقدسي معتز حجازي بدعوى إطلاق النار على الحاخام غليك عام ٢٠١٤م، حيث كان قد أصابه حينها بجراح خطيرة.

١٣ - مايو/أيار ٢٠١٧م: ما يزيد على أربعمئة مستوطن متطرف يقتحمون باحات المسجد الأقصى للاحتفال بالذكرى السنوية لاحتلال القدس وضمها حسب التقويم العبري.

١٤ - يونيو/حزيران ٢٠١٧م: الاحتلال الإسرائيلي يغلق المسجد الأقصى في وجه المصلين ويزج بعناصره إلى ساحات المسجد الأقصى ليوم واحد فقط لتوفير الحماية لعشرات المستوطنين الذين اقتحموا المسجد من باب المغاربة، وكان يقودهم قائد شرطة الاحتلال في القدس يورم ليفي مع كبار المتطرفين.

١٥ - يوليو/تموز٢٠١٧م: الاحتلال يغلق المسجد الأقصى بشكل كامل ويمنع إقامة الصلاة والأذان فيه لأول مرة على خلفية العملية التي نفذها ثلاثة شبان فلسطينيين أدت إلى استشهادهم، ومقتل عنصرين من الشرطة الإسرائيلية.

١٦ - ١ مايو ٢٠١٨: اقتحم أكثر من سبعين مستوطنا المسجد الأقصى المبارك من جهة باب المغاربة، بحراسة من قوات الاحتلال الإسرائيلي . ونفذت مجموعات المستوطنين جولات استفزازية في المسجد، واستمعت إلى شرح حول الهيكل المزعوم، فضلا عن محاولات متكررة لإقامة طقوس وشعائر تلمودية فيه.

١٧ - ١ أكتوبر ٢٠١٨م: واصل عشرات المستوطنين اقتحاماتهم الاستفزازية للمسجد الأقصى المبارك من باب المغاربة بحراسة معززة ومشددة من قوات الاحتلال. وتأتي هذه الاقتحامات استمرارا لاقتحامات واسعة شهدها المسجد طيلة أيام عيد العُرش اليهودي الذي تواصل لثمانية أيام. من جهتها، قالت النائب في الكنيست المتطرفة شولي معلم خلال مشاركتها اقتحام الأقصى: «سعيدة جدا لتزايد أعداد المستوطنين، وهذه خطوة لإثبات السيادة هنا؛ لأن من يسيطر على الأقصى، يسيطر على كل البلاد».

١٨ - ٨ أكتوبر ٢٠١٩م: استباح عشرات المستوطنين المتطرفين، باحات المسجد الأقصى المبارك، من جهة باب المغاربة، لمناسبة عيد «الغفران» اليهودي؛ كما اعتدت قوات الاحتلال على عدد من المرابطين والمرابطات قرب باب الرحمة. بينما قاد وزير الزراعة الإسرائيلي يوري أرئيل والمتطرف يهودا غليك اقتحاما على الأقصى برفقة أكثر من ٣٠٠ مستوطن، وقدموا لهم شروحات تلمودية عن «الهيكل».

وفي الليلة نفسها اقتحم آلاف المستوطنين باحة حائط البراق في الجدار الغربي للمسجد الأقصى لأداء طقوس وشعائر تلمودية لمناسبة عيد «الغفران» اليهودي؛ وذلك وسط إجراءات مشددة قيدت حرية تنقل المقدسيين.

١٩ - ٧ فبراير ٢٠٢٠م: منعت الشرطة الإسرائيلية حافلات تقل مصلين من الجليل والمثلث بأراضي عام ٤٨، من التوجه إلى المسجد الأقصى المبارك في القدس المحتلة، وأوقفت دوريات الشرطة الحافلات، وأعادتها إلى البلدات التي انطلقت منها.

كما منعت شرطة الاحتلال، للجمعة الخامسة على التوالي، المصلين الذين توافدوا تلبية لنداء حملة «الفجر العظيم» من الدخول إلى الأقصى عبر بابي الأسباط وحطة، ودققت في هوياتهم، وأجبرت بعضهم على الخروج.

٢٠ - ١٨ يوليو ٢٠٢١م: قطعت قوات الاحتلال الإسرائيلي، أسلاك مكبرات الصوت داخل المسجد الأقصى المبارك، في إطار سلسلة اعتداءاتها المتواصلة على المسجد، لتأمين اقتحام مئات المستوطنين الذين قدر عددهم بأكثر من ١٢١٠ مستوطنين.

ويأتي ذلك بالتزامن مع استمرار الاحتلال إغلاق أبواب المصلى القبلي بالسلاسل الحديدية، ومواصلة حصار عشرات المصلين والمرابطين والمرابطات داخله.

المصدر

وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا).

د. أشرف عيد
دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية



صورة من جهاد الشعب الفلسطيني: أسرة موسى كاظم الحسيني

في ذكرى نكبة فلسطين

صدر وعد بلفور سنة ١٩١٧م، بإقامة دولة لليهود على أرض فلسطين، ومنذ ذلك الوقت توافدت الهجرات اليهودية على فلسطين، وتم الانتداب البريطاني على فلسطين سنة ١٩٢٠م لتنفيذه؛ وفرض الإنجليز قانون الطوارئ في فلسطين، وحكموا بالإعدام على كل من أطلق رصاصة أو حمل سلاحا، وبلغ عدد المحكوم عليهم بالسجن أكثر من ٢٠٠٠ فلسطيني، وبلغ عدد من اعتقل نحو خمسين ألفا، وتجاوز عدد الشهداء ثلاثة آلاف، كما تجاوز الجرحى سبعة آلاف، ودمر أكثر من ٥٠٠٠ بيت.

وأصدرت الأمم المتحدة قرارها في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وانسحب الإنجليز من فلسطين في ١٤ مايو ١٩٤٨م؛ ليعلن اليهود قيام دولتهم (أو حسب قولهم: إعلان استقلال إسرائيل)، ويرفع العلم الصهيوني في اليوم التالي على أرض فلسطين. وفي المقابل، أعلن الفلسطينيون أن هذا اليوم هو الذكرى السنوية ليوم الأرض؛ تخليدا لكفاح الشعب الفلسطيني في سبيل أرضه.

لعلنا نحاول أن نقف على صورة من صور الكفاح الفلسطيني ضد المشروع الصهيوني في النصف الأول من القرن العشرين ممثلا في جهاد موسى كاظم الحسيني باشا وأسرته التي تزعمت حركة الجهاد في فلسطين، فقد كانت عائلة الحسيني تمتلك ثروة اقتصادية كبيرة منها مساحات كبيرة من الأراضي في كل من أريحا ورام الله واللد والرملة عززت مكانتها السياسية والاجتماعية.

ولد موسى كاظم باشا بن سليم حسين عبداللطيف الحسيني في القدس سنة ١٨٥٣م، وتعلم في إسطنبول، والتحق بالإدارة العثمانية التي عينته قائما على صفد وعجلون ثم متصرفا مسؤولا في الأناضول وشرقي الأردن ونجد وعسير، وتولى رئاسة بلدية القدس عام ١٩١٨م، وتولى حاكما على صفد وعجلون من قبل الدولة العثمانية أواخر القرن التاسع عشر.

وقاد حركة الجهاد في فلسطين منذ وعد بلفور، فانتخبه المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث سنة ١٩٢٠م، رئيسا للجنة التنفيذية العربية، وقاد تظاهرة في يافا في٢٧ أكتوبر ١٩٣٣م وأصيب فيها، وتوفي متأثر بجراحه سنة ١٩٣٤م، وقبل وفاته أوصى ابنه عبدالقادر بقوله: «إن فلسطين العزيزة هي أمانة أسلمك إياها في رقبتك.. فلسطين أمانة وديعة عندك



يا ولدي.. إن تحرير فلسطين أمانة في رقبتك يا ولدي».. ليفارق الحياة بعدها يوم الجمعة الموافق ٢٦ فبراير ١٩٣٤م عزيزا كريما.

وقد حمل راية الجهاد الفلسطيني ابنه عبدالقادر الحسيني المولود في القدس سنة ١٩٠٨م، ولما عاد إلى القدس بعد دراسته بالجامعة الأميركية بالقاهرة عمل موظفا في إدارة تسوية الأراضي سنة ١٩٣٤م، وهي الإدارة الخاصة بتسجيل أو نزع ملكية الأراضي في فلسطين، وفيها عرف كيف يمهد الاحتلال لإقامة دولة صهيونية في فلسطين؛ فنشر عدة مقالات في فلسطين والعراق وغيرها يشرح فيها المؤامرة البريطانية الصهيونية، وعمل على تحويل كثير من أراضي القرى إلى أوقاف إسلامية حتى لا يتمكن اليهود من الاستيلاء عليها كما أوقف العديد من الصفقات المشبوهة.

بيد أن تطور القضية الفلسطينية عمل على تحويل عبدالقادر الحسيني ليكون قائدا عسكريا وليس كاتبا أو موظفا؛ فباع كل ما يملك من أرض وعقارات لشراء السلاح والذخيرة للدفاع عن فلسطين.

عبدالقادر الحسيني والثورة الفلسطينية (١٩٣٦-١٩٣٩م)

قامت الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦م، من أجل إنشاء حكومة وطنية ومجلس نيابي، ومنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومنع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود.

وبدأ عبدالقادر الحسيني إدارة مكتب الحزب العربي الفلسطيني في مدينة القدس عام ١٩٣٥م، بتنظيم وحدات فلسطينية سرية، عرفت باسم «جيش الجهاد المقدس»، وكان في تلك الفترة مسؤولا عن نشاط الثوار في منطقة الخليل، ورد اليهود بإطلاق النار وحرق المزارع وهدم البيوت؛ فرد بالهجوم على مبنى الوكالة اليهودية وعدة مراكز في حيفا؛ فتوقف اليهود عن عملياتهم الشنيعة.

وتم الإعلان عن ثورة الشعب الفلسطيني في السابع من مايو ١٩٣٦م، وتولى عبدالقادر الحسيني قيادة منطقة القدس.

واستمرت الثورة حتى سنة ١٩٣٩م، حيث تعقب الإنجليز المجاهدين، وألقوا القبض عليه سنة ١٩٤٠م، لكنه تمكن من الفرار من السجن، وخرج إلى العراق.

عبدالقادر الحسيني قائدا لجيش الجهاد المقدس

عاد عبدالقادر الحسيني إلى فلسطين عام ١٩٤٧م، ليواصل حركة الجهاد ضد المشروع الصهيوني، حيث قامت الهيئة العربية العليا لفلسطين بالإعلان عن تشكيل قوات الجهاد المقدس بقيادة عبدالقادر الحسيني رئيسا وكامل عريقات نائبا، وقاسم الريماوي أمينا للسر.

برع عبدالقادر الحسيني في الدفاع عن القدس وشن الهجمات على الصهاينة ومراكز البوليس البريطاني في المدينة وهاجم مقر «حاييم» وكان مركزا للهجوم على الأحياء العربية، ودخل معركة في حي سانهدريا، وشن هجوما على مقر «ميقور حاييم»، وخاض سنة ١٩٤٨م، ومعارك أخرى كبدت العدو خسائر فادحة، ومنها: معركة صوريف في ١٦ يناير ١٩٤٨م، حيث قضى فيها على قوة يهودية من ٥٠ يهوديا مزودين بأسلحة ثقيلة و١٢ مدفعا، وقاد عددا آخر من المعارك مثل: بيت سوريك شمال غرب القدس يوم ١٩ يناير ١٩٤٨م، رام الله، اللطرون، النبي صموئيل، بيت لحم الكبرى.

وقد قابلت الحركة الصهيونية هذه المعارك بأعمال انتقامية، فأقدمت على زرع ألغام وتفجير عبوات في المناطق الفلسطينية، فاضطر عبدالقادر للرد على هذه العمليات الصهيونية بالمثل، فقام بتدمير المراكز الصهيونية، وأسهم ذلك في ردع الوكالة اليهودية عن التفكير بعمليات إرهابية جديدة.

وقد عبر عن ذلك الكتاب السنوي لدولة إسرائيل الصادر سنة ١٩٤٩م بأن شهر مارس سنة ١٩٤٨م كان أحلك شهر عرفه اليهود، ورأوا فيه خطرا عظيما يهدد بتدمير كل ما بنوه خلال ثلاثين عاما.

معركة القسطل سنة ١٩٤٨م واستشهاد عبدالقادر الحسيني

القسطل قرية عربية غربي القدس على الطريق بين القدس ويافا، وتشكل بداية لخطة يهودية لاحتلال الجزء الأكبر من فلسطين، وخصص الصهاينة خمسة آلاف مقاتل بأسلحة حديثة لتنفيذ الخطة.

وفي ٥ أبريل من عام ١٩٤٨م، توجه للدفاع عن القسطل، وليس معه سوى ٥٦ من المجاهدين، فتمت محاصرته والمجاهدين معه، وتسامع الفلسطينيون بمحاصرة عبدالقادر الحسيني ورفاقه في القسطل، فسارعوا لنجدته حتى تزايد عددهم واشتبكوا مع اليهود في معركة انتهت بتحرير القسطل بعد أن استشهد فيها عبدالقادر الحسيني يوم ٨ أبريل ١٩٤٨م، ودفن بجانب ضريح والده في باب الحديد في القدس، وأقيمت صلاة الغائب عليه في الجامع الأزهر في مصر والبلاد العربية.

المراجع

١ - أحمد سعيد نجم: عبدالقادر الحسيني، الدار الوطنية، نابلس، ط ٢، ١٩٩٦م.
٢ - صالح مسعود أبو يصير: جهاد الشعب الفلسطيني في نصف قرن، ط٣، ١٩٨٨م.
٣ - عجاج نويهض: رجال من فلسطين، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، ١٩٨١م.
٤ - عزالدين إسماعيل: عبدالقادر الحسيني بطل القدس، دار العودة، بيروت، ١٩٧٥م.
٥ - محمد خالد الأزعر: جيش الجهاد المقدس في فلسطين، المركز القومي للدراسات والتوثيق، غزة، ٢٠٠٠م.
٦ - محمد عبدالقادر أبوفارس: شهداء فلسطين، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٠م.
٧ - مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين الجزء الأول، القسم الثاني، ١٩٦٥م.



أحمد عبدالمنعم عيد حسن
كاتب وباحث إسلامي

الأقصى وصية وبشارة

ولد النبي ﷺ بمكة، وعاش بها، وأوُحي إليه بها، وكل من آمن به كانت عينه على البيت الحرام، وسعيه إليه، وأمله أن يصلي فيه حرا، يمني النفس أن يغذي الروح بجواره في أمن.

ومهما اشتد به الأمر وتعنت معه القوم ذهب إلى الحرم لا يرهبه وعيد القوم، ولا يؤخره فجورهم، ولا يمنعه عن الصلاة فيه سابق أذية كان القوم يهدفون من ورائها قتله والتخلص منه ومن دعوته، في هذه الأثناء أسرى الله تعالى به ليلفت انتباه الأمة إلى مسجد آخر قدسه رب العباد، وجعله موطنا لأنبيائه، وجعل الحفاظ عليه واجبا على كل من آمن به، وقرن بينه وبين المسجد الحرام في كتابه سبحانه.

قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

وكأن الله تعالى يبين للمسلمين: إن كنتم تعظمون البيت الحرام فاعلموا أن الأقصى معظم كذلك، وإن كان الحفاظ على الحرم واجبا فكذلك الأقصى حمايته واجبة، والدفاع عنه واجبا على الأمة كلها، وتحريره دينا في رقبة المسلمين جميعا.

وكما قرن الله تعالى بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى في قرآنه، بيّن رسول الله ﷺ أنهما قرينان في النشأة؛ عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع للناس أولا؟ قال: «المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى». قال: قلت: وكم بينهما؟ قال: «أربعون سنة وحيثما أدركتك الصلاة فصل فثم مسجد».

وقد سكن الأقصى وجداننا بوصية وبشارة لرسول الله ﷺ.

فالوصية كانت من خلال أمر النبي ﷺ المسلمين بالذهاب إليه والصلاة فيه وكذلك عمارته، عن ميمونة قالت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس. قال: «هو أرض المحشر وأرض المنشر ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة». قلنا: يا رسول الله، فمن لم يستطع أن يتحمل إليه؟ قال: «من لم يستطع أن يأتيه فليهد إليه زيتا يسرج فيه، فإن من أهدى إليه زيتا كان كمن قد أتاه».

وهو واحد من ثلاثة أماكن هي أشرف الأماكن على الأرض، وهي: المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى. ولهذا قصر النبي ﷺ شد الرحال إليها، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول



ﷺ، ومسجد الأقصى».
ولمكانة الأقصى كانت الصلاة فيه أفضل من أي مسجد إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في المسجد الحرام مئة ألف صلاة، وصلاة في مسجدي ألف صلاة، وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة».
كل هذه الأخبار عن المسجد الأقصى والأمر بالذهاب إليه والصلاة فيه وإهداء الزيت الذي يسرج به وبيان فضيلته التي تأتي بعد الحرمين لا يعني إلا أمرا واحدا وهو أن القدس وصية رسول الله لأمته وينبغي ألا يبقى بعيدا عنهم أو أن يكون أمره بيد غيرهم وأن تنفيذ أمره ﷺ لا يمكن أن يتم إلا بتحريره حتى تتاح للمسلم حرية الوصول إليه والمكث والصلاة فيه.
وقد فهم المسلمون الأوائل مراد رسول الله ﷺ فخرجوا في عهد عمر فاتحين له، وجاء أمير المؤمنين بنفسه ليتسلم مفاتيح القدس.
فهذه وصية للمؤمنين بالسعي لفتحه أولا وبعمارته ثانيا والكفاح للحفاظ عليه ثالثا والقتال الدائم والجهاد المستمر لرفض أي وصاية عليه من غير المسلمين وإن شئت فقل وصية برفض الوصايا.
أما البشارة فهي بشارة بأن الأمة مهما مر بها من أزمات فإنها ستبقى حية، بها حيوية من استعمله الله للقيادة والريادة، ستبقى أمة تستعصي على الزوال، والدليل المسجد الأقصى ومن بأكناف المسجد الأقصى، ففي ظل بشارات النبي ﷺ للأمة بالفتوحات التي تتوالى للأمة، وأنهم سيرثون ملك بني الأصفر والأحمر، يخبرهم ﷺ أن الأمة سيصيبها الكثير من الأمراض، وستمر بكثير من فترات الضعف حتى يتجرأ عليها من كان يدفع لها الجزية من قبل ومن كان اسم أمة محمد يقض مضاجعهم، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت».
ففي هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن الأمة ستصاب بحالة من الضعف مما يجعل أعداءها على اختلاف مللهم يتجاسرون عليها، وينهشونها، وتلك حالة لا تسر، وتستدعي حسرة تميت الكريم ذا النخوة.
وفي حديث آخر يخبر أن عرى الإسلام التي قاتل لأجلها هو وأصحابه حتى غدت شعارا ودثارا للمسلمين سيأتي يوم وتنقض عروة عروة، عن أبي أمامة الباهلي، عن رسول الله ﷺ قال: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة».
حديثان يخبر من خلالهما النبي ﷺ أن ثمة عتمة ستحط على الأمة تتابع فيها البلايا، وتتساند فيها الفتن، ولكن بالرغم من ذلك يبقى في الأمة ما ترفع به رأسها، وتتافخ به عدوها، وترد به كيد الكائدين، وتعلن من خلاله أنها أمة قد تمرض لكنها لا تموت، وقد يتعب عدة أعضاء فيها لكن سيبقى فيها عضو يقوم بما يجب حتى تصح باقي الأعضاء، إنها بشارة رسول الله ﷺ أن العتمة وإن ادلهمت بسوادها فإن ثمة نورا يشع يفوق كل شمس، وله ضي يبدد كل غي، إنهم المرابطون في القدس وأكنافها، هم الأمل وعنوان الفخر، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك». قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس».
فهذه هي البشارة أن الأمة تبقى عالية الصوت مرفوعة الهامة لها رأي إذا حاول الكل إلغاءها هم القوة إذا أصاب الأمة الضعف وهم النصل الذي يثقب قلوب أعداء أمتنا.
وفي ظل هذا الموقف الصعب الذي يتعرض له الأقصى والثبات الذي يبديه أبناء أمة محمد على اختلافهم إن كانوا رجالا أو نساء أو أطفالا، أشعر وكأن البشرى تناديهم أن اثبتوا فالله غالب على أمره والنصر بأمر من أرسل صاحب البشرى قريب ﴿إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا﴾ (المعارج:٦-٧).
وكأني بكل سابق إلى جنة الله تعالى ينادي كل من ينتظر من المرابطين:

أبناءنا لا تيأسوا لا تلقوا من أيديكم
الحجر
أذيقوا اليهود المر أبيدوا برملكم كل
كذاب أشر
إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا هذا
وعد المليك المقتدر
فغدا ينكشح الظلام ويرسل القهار
فيكم عمر
أو يرسل صلاح الدين أو يرسل قاهر
التتر
فيصيح في سمع الزمان نحن أتباع
سيد البشر

وستبقى الأمة مكلفة بتنفيذ الوصية منتظرة تحقيق البشارة.

أجرى الحوار - نادر أبو الفتوح
صحافي



د. محمود الهباش مستشار الرئيس الفلسطيني للشؤون الدينية والعلاقات الإسلامية في حوار مع «الوعي الإسلامي»:

صمود الشعب الفلسطيني صخرة تتحطم عليها محاولات تهويد القدس

أكد الدكتور محمود الهباش قاضي قضاة فلسطين ومستشار الرئيس الفلسطيني للشؤون الدينية والعلاقات الإسلامية، أن قضية القدس هي قضية العرب والمسلمين الأولى، وأن مسيرة صمود الشعب الفلسطيني مستمرة لمواجهة انتهاكات الاحتلال ومحاولة فرض الهيمنة على المقدسات الإسلامية، مشيرا إلى أن المرابطين على أعتاب الأقصى يمثلون الأمة الإسلامية لكون الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وحذر من استفزاز مشاعر المسلمين من خلال محاولات منع الأذان ومنع المسلمين من أداء الصلاة والشعائر الدينية.

وأوضح مستشار الرئيس الفلسطيني في حوار مع «الوعي الإسلامي» خلال زيارته مؤخرا للقاهرة أن المجتمع الدولي يكيل بمكيالين في تطبيق الشرعية الدولية ويغض الطرف عن الانتهاكات والإرهاب الذي يمارس ضد الشعب الفلسطيني، وطالب علماء المسلمين بالتركيز على قضية القدس في خطبة الجمعة في جميع مساجد العالم الإسلامي لتكون رسالة للمجتمع الدولي بأن فلسطين ليست وحدها، وأن قضية القدس والدفاع عنها تهم المسلمين جميعا.. وإلى نص الحوار.

ندعو خطباء المساجد لجعل القدس جزءا ثابتا في خطبهم من أجل تعزيز وعي المسلمين بالمدينة المقدسة وحماية هويتها

المجتمع الدولي يكيل بمكيالين في تطبيق الشرعية الدولية ويجب نصرة القضية الفلسطينية بشكل عاجل

الانتهاكات الإسرائيلية للمسجد الأقصى والمقدسات مستمرة في ظل صمت دولي، ماذا تقول للمجتمع الدولي؟

الانتهاكات التي تتعرض لها مدينة القدس جريمة مكتملة الأركان وإرهاب دولة، ومحاولات فرض الهيمنة الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية، جرائم تتطلب أن يقوم المجتمع الدولي والمنظمات الدولية والحقوقية بدور لوقف مثل هذه الأعمال التي تتنافى مع القانون الدولي وقواعد حقوق الإنسان، لكن المجتمع الدولي مع الأسف يغض الطرف عن هذه الممارسات، ولا شك أن هناك كيل بمكيالين في تطبيق الشرعية الدولية، فأين المنظمات الحقوقية من فرض الحصار على المقدسات الدينية ومنع الفلسطينيين من أداء الشعائر الدينية، لابد أن يتحرك المجتمع الدولي لوقف هذه الانتهاكات التي تستفز مشاعر المسلمين حول العالم، إن محاولات الاحتلال المستمرة لتهويد القدس وطرد سكانها الأصليين وفرض واقع جديد، يعد استفزازا لمشاعر المسلمين حول العالم، ورغم ذلك يقف المجتمع الدولي موقف متخاذل ضعيف.

كلمة توجهها للمرابطين على أعتاب الأقصى؟

بكل وضوح وقوة أستطيع القول إن صمود الشعب الفلسطيني صخرة تتحطم عليها مساعي إسرائيل لفرض هيمنتها على المسجد الأقصى، وأن الشعب الفلسطيني له تاريخ كبير في النضال، ومسيرة الصمود مستمرة ولن تنكسر إرادة الشعب الفلسطيني وسوف يظل يدافع عن المقدسات الإسلامية مهما تكن الظروف ومهما واجه من جرائم وإرهاب دولة الاحتلال، وأن هذا الصمود والتحدي هو الدافع الأول لدى الشعب الفلسطيني في مواجهة جرائم الاحتلال، ولذلك دائما أطالب أبناء شعبنا الفلسطيني بالتواجد المستمر بكثافة داخل باحات الحرم القدسي الشريف، لإفشال خطط الاحتلال ومنع تهويد القدس وإظهار قوة الصمود في مواجهة التعدي على المقدسات.

كيف نرسخ مكانة الأقصى والمقدسات الإسلامية لدى الأجيال الجديدة؟

تظل قضية القدس والدفاع عن المقدسات الإسلامية في فلسطين هي قضية العرب والمسلمين الأولى، ولدينا ثقة في الله عز وجل أن هذا الاحتلال إلى زوال وسوف تفشل كل خطط فرض الهيمنة الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية، أما ترسيخ مكانة الأقصى فهذا يرتبط بالعمل على نصرة القضية الفلسطينية وتوعية الأجيال الجديدة بمكانة الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولابد أن تقوم المناهج التعليمية في العالم الإسلامي ببيان مكانة القدس، كذلك هناك دور يقع على وسائل الإعلام في العالم الإسلامي للتركيز على قضية القدس، وتناول الأبعاد الدينية والتاريخية لها، كل ذلك بهدف أن تظل قضية القدس في بؤرة الاهتمام، وكذلك بهدف كشف وفضح الممارسات التي يرتكبها الاحتلال ضد مقدساتنا .

ما هو المطلوب من المسلمين خارج فلسطين لنصرة ودعم قضية القدس؟

الدفاع عن القدس ونصرة القضية الفلسطينية ليست مسؤولية الفلسطينيين وحدهم، لأن المقدسات الإسلامية في فلسطين تهم المسلمين حول العالم، ولا يجب أن يقف الشعب الفلسطيني وحده في مواجهة كل هذه المخططات وهذا القمع والإرهاب المنهج، الجميع عليهم دور في التصدي للانتهاكات التي تتعرض لها المقدسات، وبيان أن ممارسات الاحتلال تصب في إشعال حرب دينية، لابد أن يشعر المجتمع الدولي أن الفلسطينيين ليسوا وحدهم، وأن المساس بالمقدسات الإسلامية في فلسطين قضية تمس المسلمين داخل وخارج فلسطين، والمساندة تكون بدعم صمود الشعب الفلسطيني والضغط على المجتمع الدولي والرأي العام العالمي لوقف ممارسات الاحتلال ضد الأقصى والمقدسات الإسلامية، وبيان أن التضييق على المسلمين بمنع الآذان وإقامة الشعائر أمر صادم ويستفز مشاعر المسلمين حول العالم .

هل هناك تواصل مع وزارات الأوقاف في العالم الإسلامي لتخصيص خطبة جمعة حول قضية القدس؟

نحن دعونا ونجدد الدعوة لكل المؤسسات والقيادات الدينية ولجميع مساجد العالم الإسلامي لدعم قضية القدس، ولدينا تواصل مع الأشقاء في البلاد العربية والإسلامية، وهناك مؤتمرات تعقد لدعم القضية الفلسطينية، لكن عندما تكون هناك خطبة جمعة موحدة في جميع مساجد العالم الإسلامي والمراكز الإسلامية في الغرب، فهذه رسالة مؤثرة تجسد مكانة الأقصى لدى المسلمين، وتوضح أن الفلسطينيين ليسوا وحدهم، وسيكون لهذه الرسالة تأثيرا كبيرا على المجتمع الدولي، لأنها سوف تجسد أن ممارسات الاحتلال تستفز مشاعر المسلمين حول العالم، وتعد جرس إنذار بضرورة أن يقوم المجتمع الدولي بدوره وعدم الكيل بمكيالين.

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف الكويتية



أبناؤنا والقدس

تعد قضية القدس إحدى القضايا المتشابكة التي يحتاج حلها إلى أن يبذل كل جيل جهده ويسلم الأمانة إلى الجيل الذي يليه. هذا التواصل بين الأجيال هو الذي يخلق محضنا طبيعيا للقضايا المصيرية للأمة، وفي هذا المقال نحاول استعراض بعض ما يبذل لتكون قضية القدس حية في وجدان أبنائنا وبعض وسائلنا في ذلك:

١ - كثيرا ما يحرص البعض على أن تكون هذه القضية موجودة في بؤرة شعور أطفاله فيشاهد معهم الجرائم الموجهة ضد أهل القدس وما يقع عليهم من عدوان، ويرى أن ذلك إحدى الوسائل لكي يعيد الإحساس بمفهوم الجسد الإسلامي الواحد. ومع شرف هذا المعنى وضرورة التأكيد عليه، إلا أن هناك جانبا سلبيا ينبغي التنبه إليه، وهو أن العرض المستمر للمظالم التي تقع على الفلسطينيين دون عرض مواقف من صبرهم وثباتهم وردهم العدوان وقدرتهم على الردع كل ذلك يرسخ لتفوق العدو وضعفنا القاتل، ولا سبيل إلى الهزيمة أفضل من هذا السبيل. إن كل صراع يقع بين طرفين أو أطراف يحمل في طياته أثمانا تدفع، وما من شيء في هذه الحياة يأتي بلا ثمن، وكلما كان الهدف



المنشود غاليا كان ثمنه باهظا كذلك.

٢ - تمر الصراعات الطويلة بعدد من الجولات ولا يصح للمهزوم أن يستسلم لليأس ولا للمنتصر أن تسكره فرحة النصر عن العمل على حماية نصره ومواصلة السعي لتحقيق النصر الكامل.

٣ - يمكن استغلال الشأن الجاري وما تتناقله المواقع الإخبارية كفرصة للحديث عن مكانة القدس في الإسلام وتاريخها وكيف سقطت وكيف يمكن أن تعود وذلك في قالب قصصي أو بأسلوب حواري شيق يدفع الأبناء والآباء إلى مواصلة البحث في هذا الموضوع ومعاودة الحديث عنه، كما يمكن تناول الموضوع أيضا أثناء الحديث عن الإسراء والمعراج وتحويل القبلة وسورة الإسراء على أن يهتم المتحدث بالحقائق التاريخية التي تنمي الوعي وروح الترابط والقيم الإسلامية الأصيلة.

٤ - يمكن تغذية الارتباط بين أبنائنا والقدس عن طريق حثهم على رسم معالمها أو كتابة قصة قصيرة عنها أو حفظ عدد من الأبيات الشعرية التي تتحدث عن القدس والحنين لها.

٥ - أثناء حديثنا مع الأبناء نقوم بالتفريق بين المسجد الأقصى، الذي يضم نحو مئتي معلم وتبلغ مساحته الكلية (١٤٤) ألف متر منها مدارس وباحات ومصاطب للعلم وأسبلة، وبين مسجد قبة الصخرة.

٦ - الحديث عن أسباب ضياع القدس وأن أحد أهم هذه الأسباب هو تفرق المسلمين وأن هذا الاتحاد يبدأ بين أبناء الأسرة الواحدة ثم بين أبناء الحي الواحد والوطن الواحد.

٧ - الحديث مع كل جيل بطريقته، وأجيال اليوم ترى بعين الهاتف والإنترنت وتميل إلى التقارير المصورة ومقاطع الفيديو.

بعض الجهود للتعريف بالقدس

أ - كتاب الدكتور أسامة الأزهري، المنشور عبر صفحته على فيسبوك، وهو عبارة عن ملخص للأطفال نبني به وعي الأجيال القادمة بأن القدس الشريف والجامع الأقصى أمانة في أعناق الأجيال القادمة. ويقدم الكتاب شرحا مبسطا ومفيدا للأطفال والكبار للتعريف بالقضية، ويوضح فيه مكانة القدس، وماذا حدث في حي الشيخ جراح، ومن هم الصهاينة ومعالم عدوانهم على البلاد.

ويوجه الكتاب رسائل ومعلومات للأجيال القادمة عن الأقصى ومساحته ومشتملاته، وما واجبنا تجاه المسجد الأقصى.

وأكد الأزهري أن حقيقة القضية الفلسطينية يجب توريثها إلى الأجيال القادمة، للحفاظ على الأمانة.

ب - مركز غدي بلبنان

أقام مركز غدي في جمعية الإرشاد والإصلاح للسنة الثالثة على التوالي، وبالتعاون مع هيئة نصرة الأقصى في لبنان، نشاطا للناشئة من عمر (٦ إلى ١٣) سنة بعنوان «غدي في بيت المقدس ٣» وذلك يوم السبت (١٢ يونيو ٢٠٢١م) في مركز السلطان محمد الفاتح في بيروت من الساعة العاشرة صباحا حتى الواحدة ظهرا، وفي مركز الحسن في عرمون من الساعة الرابعة حتى السابعة عصرا، بهدف تعريف الأطفال على مكانة وأهمية المسجد الأقصى ومدينة القدس وفلسطين عند المسلمين والعرب ولزرع الهوية المقدسية فيهم وأن القدس عربية.

وتضمن النشاط عدة فقرات منها:

عرض مسرح الدمى مع الجدة أم صالح القادمة من فلسطين مع عرض مصور وأناشيد وفقرة تفاعلية.

شرح عن معالم المسجد الأقصى وشرح تحويل القبلة والتعريف بمشاريع التهويد، بالإضافة إلى ألعاب متنوّعة منها:

الأقصى عقيدة (أسئلة في بالونات متعلقة بالمكانة الدينية للمسجد الأقصى)، أبطال القدس (تركيب puzzle بطريقة تنافسية)، رحلة مع البراق (سباق معلومات بين فريقين لصعود السلم)، رسم وتلوين قبة الصخرة، التصوير بالزي الفلسطيني وغيرها، كما تشاركوا مع أطفال القدس وفلسطين بكلمات وخواطر في رسالة أمل وصمود، وأخذت صور فردية تذكارية للأطفال مع كلمة «الأقصى عقيدة» أو علم فلسطين، واختتم النشاط بصنع مجسّم علم فلسطين.

ج - موقع طريق الإسلام على الإنترنت

توجد مساهمة للتعريف بالقدس قامت صاحبتها بعرض صور معالم مقدسية منها (قبة الصخرة، المصلى المرواني، الجامع القبلي، حائط البراق).. وربط بين كل صورة معلم ومكانه في الصورة الكبيرة للمسجد الأقصى.. ويمكن قص الصور وأسماءها وطلب ترتيبها (تتم إعادة هذا النشاط والنشاط السابق في الأيام التالية حتى يتقن الطفل المعلومات.. ويُطلب منه سرد حكاية كل مسجد وكل معلم بنفسه). يمكنك تحميل ملف بطاقات معالم المسجد الأقصى من هنا: https://drive.google.com/open...

- بعد ذلك ننتقل لنشاط المتاهة (مساعدة عمر على الوصول إلى المسجد الأقصى من خلال المتاهة). ويمكنك تحميلها من هنا: https://drive.google.com/open...

نشاط Do-A-Dot وهو تتبع مسار الحروف العربية بالترتيب حتى الوصول لصورة المسجد الأقصى، (وقد قامت بتلوين الحروف بتسلسل ألوان بنفسها). ويمكنك تحميله من هنا: https://drive.google.com/open...

نشاط استخراج الكلمات من الجدول (وهي كلمات حروفها مبعثرة داخل جدول ممتلئ بالحروف)، يمكنك رؤية التطبيق في الصور، ويمكنك تحميله من هنا: https://drive.google.com/open...

نشاط ترتيب صورة المسجد الأقصى باستخدام الأرقام (وقد صممت صور بتسلسل الأرقام بالعربي والإنجليزي، وبترتيب تصاعدي بفارق رقمين، وبترتيب تصاعدي بفارق ١٠ أرقام - عشرات). والطريقة موضحة في الصور وهي بقص الصورة لأجزاء ثم الطلب من الطفل إعادة تجميعها. يمكنك تحميل الملف من هنا: https://drive.google.com/open...

نموذج لمن تربى على حب القدس في صغره

غربتها الطويلة لم تنسها الغرس الأبوي لحب وطنها والمسجد الأقصى، لتستثمر عالم التواصل الاجتماعي بتخصيص صفحة تسعى من خلالها لإحياء مصطلح «بيت المقدس» باعتباره غنيا بخلفية تاريخية خصبة، وبأهميات دينية، وارتباطات ثقافية ودينية تنافسية، وباهتمامات دولية تؤثر في بقية العالم في الإطارين التاريخي والمعاصر. إنها د. سارة العويسي، التي يعود مسقط رأسها إلى مدينة الخليل، حيث عاشت طفولتها قبل أن تنتقل مع ذويها إلى المملكة المتحدة. تقول د. سارة: «تربيت منذ الصغر على حب المسجد الأقصى والعمل لأجله، فوالداي زرعا بداخلي أن العمل من أجل هذه القضية هو من أهم الأعمال التي علينا أن نعمل من أجلها، وعلى الرغم من العيش في المملكة المتحدة منذ أن كان عمري ١١ عاما، فإن انتمائي لهذه القضية العالمية ما زال حيا». طفولتها في الخليل تركت بصمة مهمة وعمل أسرتها لأجل هذه القضية جعله محورا مهما في حياتها، والإعداد التربوي والأسري لهما العامل الأساسي في غرس حب الأقصى في نفسها، فما كان يمر يوم في بيتهم إلا وتحدثوا وناقشوا موضوعا بخصوص المسجد الأقصى وبيت المقدس.

تضيف سارة (٣٨ عاما) وهي اليوم أم لثلاث فتيات: «لم يكن باستطاعتنا زيارة فلسطين، ولكن كان بيت المقدس ومسجده الأقصى المبارك يعيشان بداخلنا جميعا، أذكر كم كان الوالدان يشجعانني أنا وإخوتي على الاشتراك بمسابقات مثل مسابقة الأقصى في خطر التي كان يشرف عليها الشيخ رائد صلاح، وأيضا أناشيد عن الأقصى لم تخل من بيتنا». وانعكس ذلك على مسيرة سارة التعليمية، حيث تمحورت دراساتها الجامعية العليا على دراسات بيت المقدس، «درست في جامعة دندي بكالوريس علوم سياسية، ومن ضمن المواد التي درستها في السنوات الأولى من الدراسة كانت تاريخ أوروبا، وكنت أبحث بأي وسيلة عن دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية، فقررت أن تلتحق وتدرس ماجستير في دراسات بيت المقدس في جامعة أبردين ببريطانيا».

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقـام تـشتمـل علـى اسـم الكـاتب واسـم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن (٥٠٠) كلمة ولا تزيد على (٢٠٠٠) كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com



د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

شبابنا بين الوعي والتمكين

إذا ما أردت أن تعرف حال أمة من الأمم في حاضرها أو مستقبلها فانظر إلى حال شبابها، فالشباب هم المؤشر الحقيقي لما ستؤول إليه في المستقبل وموقعها الحضاري والقيادي بين الأمم، ريادة أم تبعية، تقدما أم تخلفا، كما أن الشباب هو الذي يفسر لنا تأخر وضعف الأمم بعد أن كانت لها السيادة والريادة في تاريخها، فالشباب هم الرابط بين ماضي الأمم وحاضرها ومستقبلها.

تعريف الوعي:

أولا: من المنظور النفسي: هو الحالة العقلية والإدراكية للعقل، تحديدا في اللحظات التي يكون فيها العقل على تواصل مباشر مع المحيط الخارجي باستخدام الحواس، والتي تمثل منافذ الوعي عند الإنسان، ومن ناحية علمية يعكس الوعي الحالة العقلية التي تميز الإنسان تحديدا المتعلقة بملكات المحاكمة المنطقية والشعورية والعقلانية أو الحكمة، إضافة للذاتية، والإدراكية الحسية التي تبين العلاقة بين الكيان الشخصي للإنسان ومحيطه الطبيعي أو الخارجي[1].

ثانيا: من المنظور الاجتماعي: هو جملة المفاهيم والأفكار والثقافات التي يحملها الأفراد والتي تتشكل لديهم بواسطة عوامل مختلفة، وتجعلهم يتفاعلون مع قضايا مجتمعهم المختلفة بالتقييم وإعطاء الحلول والمشاركة في خطط التحسين، ولذا يختلف الوعي الاجتماعي من مجتمع لآخر باختلاف المفاهيم المهيمنة على أفراده وطبيعة فهمهم لتلك المفاهيم ذات الصلة بحاضرهم ومستقبلهم وقيمهم العليا[2].

أهمية التشكيل الصحيح لوعي الشباب:

يمثل شباب الأمة قاعدة الارتكاز في منظومة السيادة والتمكين والانطلاق الحضاري للأمة، وهم البوتقة التي يتجمع فيها أسباب ذلك كله، ولا شك أن وعي الشباب وحالته صحة أو خطأ له دور مؤثر في تحقيق ما تصبو إليه الأمة من سيادة وحضارة، لأن وعي الشباب يمثل محصلة للمعتقدات والأفكار والنظريات والاتجاهات التي يكتسبها الشباب وبالتالي تمثل مواقفه واتجاهاته على المستوى الفردي والمجتمعي والمستوى العام لقضايا الأمة، كما أنها تنقل الشباب من حالة اللاوعي إلى حالة الوعي، فحالة الوعي التي عليها الشباب هي الموجه والمحرك لهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ويمكن القول بأن الوعي الصحيح لشباب الأمة يحقق مقاصد الشريعة في كلياتها الخمس والتي بينها الشاطبي في الموافقات بقوله: «لقد اتفقت الأمة، بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري، ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين، ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه، بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموعة أدلة لا تنحصر في باب واحد»[٣].

وفي المقابل فإن انحراف الوعي يهدد الأمة في عقيدتها، ويفتقد المسلم في حالة الوعي المنحرف الأمن على نفسه وأهله وماله، ويفتقد العقل المنضبط بضوابط الشريعة مع انتشار أو اعتناق الأفكار والمعتقدات الضالة.

لقالإسلامية:

لا يحتاج الدارس لأحوال شباب المسلمين اليوم إلى طويل تأمل فبنظرة عابرة يتبين له أن الغالبية الساحقة من شباب الأمة جل اهتمامهم كرة القدم ولاعبيها، أو الفن وأهله، أو من افتتن بالغرب فصار مسخا مقلدا متبعا لهم، وفي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع»، فقيل يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال ومن الناس إلا أولئك» (البخاري).

أو معتنق لأفكار ونظريات ترفض الإسلام عقيدة وشريعة فأخرجته من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر والإلحاد، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة:٢٥٧)، وهناك من رأى أن التشدد والغلو في الدين هو السبيل للنجاة، فأعرض عن الفهم الصحيح للدين كما كان عليه الصحابة والتابعين والسلف الصالح رضي الله عنهم، فراح يرمي مخالفيه بالتكفير والتفسيق والتبديع، ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الرجل: هلك الناس؛ فهو أهلكهم» (مسلم والبخاري).

وهؤلاء جميعهم يعانون من الغفلة والبعد عن الدين وهذا يفسر لنا حالة الوعي الخاطئ الذي يعبر عن مواقفهم تجاه الدين والمجتمع وقضايا الأمة والذي تشكل عبر وسائل مخالفة للشريعة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه:١٢٤).

غير أن هذه الأصناف من شباب الأمة التي ذكرناها لا تنفي أن ثلة موجودة بيننا من الشباب أصحاب الوعي الصحيح المهتم بقضايا مجتمعه وأمته ففي الحديث: عن النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعا: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (متفق عليه)، والذين تشكل وعيهم وفق وسائل أقرتها الشريعة فداروا حيث دارت الشريعة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣).

وسائل تشكيل وعي شباب الأمة الإسلامية:

أولا: العقيدة: العقيدة الإسلامية كتابا وسنة، هي الأساس في تشكيل الوعي، وبالتالي يستمد منها أفكاره ومواقفه تجاه مختلف القضايا والمواقف التي تمر بها الأمة في دوائرها القريبة» البلد الذي يعيش فيه «ودوائرها البعيدة» الأمة الإسلامية بكل مكوناتها» كما أن العقيدة الصحيحة تحفظ الشباب من اعتناق الأفكار المخرجة من الإسلام، وكذلك من الغلو والتشدد قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية:١٨)، قال السعدي في تفسيره: ثم شرعنا لك شريعة كاملة تدعو إلى كل خير وتنهى عن كل شر من أمرنا الشرعي ﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾ فإن في اتباعها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه، وهم كل من خالف شريعة الرسول ﷺ هواه وإرادته فإنه من أهواء الذين لا يعلمون.

وتعد العقيدة هي أهم وسيلة من وسائل تشكيل وعي الشباب، إن صحت فما بعدها تابع لها، وهذه مسؤولية أهل العلم وولاة الأمر.



ثانيا: المناهج الدراسية: يتخرج الشباب المسلم في الجامعات بعد أن قضوا ما يقارب العشرين عاما في مراحل الدارسة المتعدد، خلال هذه السنوات درسوا الكثير من المواد والمناهج الدراسة، وتلقوا كما كبيرا من المعلومات، والتي لا شك أن لها دورا في تشكيل وعيهم، ومن هنا تأتي أهمية المناهج الدراسة وخطورتها في تشكيل وعي شباب أمتنا، ولا سيما وأن الكثير من دولنا تعهد إلى خبراء ومستشارين غير مسلمين لتطوير التعليم ووضع محتوى المناهج والمواد الدراسية، وبالتالي يمكنهم من بث معلومات قد يكون لها دورا سيئا في تشكيل وعي شبابنا.

ثالثا: وسائل الإعلام: تعتبر وسائل الإعلام بكافة أنواعها المقروءة والمسموعة والمرئية، لسان حال معبر عن أيدلوجية وعقيدة، مالكيها وصانعي المحتوى فيها، وبالتالي فإنها بما تمتلكه من وسائل جذب وتشويق تستطيع أن تؤثر على عقول واهتمامات الكثير من الشباب وبالتالي العمل على توجيههم وتبني القضايا والأفكار التي تطرحها.

رابعا: وسائل التواصل الاجتماعي: يعد الشباب الشريحة الأكبر بين مستخدمي ومرتادي التواصل الاجتماعي، فبحسب استطلاع أجراه «مركز بيو للأبحاث» في عام: (٢٠١٨م) ، وشمل نحو: (٧٥٠) من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين: (١٣ و١٧ عاما) ؛ تبين أن: (٤٥٪) منهم متصلون بالإنترنت بشكل مستمر تقريبا، و(٩٧٪) يستخدمون منصات التواصل الاجتماعي؛ مثل YouTube يوتيوب أو Facebook فيس بوك أو انستجرام Instagram أو سناب شات Snapchat. ووسائل التواصل الاجتماعي عالم افتراضي مفتوح ومتنوع، وتكمن خطورته في سعة انتشاره وسهولة الحصول عليه والتعامل معه، مما جعلها وسيلة من أخطر الوسائل في تشكيل الوعي والتأثير على الشخصية من خلال المعلومات التي تبث عبر هذه الوسائل.

خامسا: الأسرة: مسؤولية الأسرة تجاه أبنائها مسؤولية شرعية واجب على الأب والأم تحديدا القيام بها ففي الحديث: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ «يقول: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع عليهم وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم وعبد الرجل راع على بيت سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (متفق عليه).

والأسرة بما توفره لأبنائها من أجواء تشيع فيها مشاعر الحب والرحمة تسطيع أن تحتضن الأبناء ولا سيما في مرحلة الشباب وتقوم بتربيتهم وتوجيهم وفقا للكتاب والسنة وهذه ليست مهمة سهلة بل هي مهمة شاقة

ومضنية في ظل الثورة التكنولوجية ولا سيما في وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي، فيجب على الوالدين فتح حوار ايجابي في كل القضايا والأفكار وعدم الضيق أو الضجر بما يطرحه الشباب وربطهم بأهل العلم وتشجيعهم على الذهاب إليهم والتواصل معهم، مع الوضع في الحسبان أن مهمة الوالدين هي تربية الأبناء تربية عقدية صحيحة من البداية، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣) فالأسرة هي المؤهلة لتشكيل وعي الشباب بطريقة صحيحة ووقفها سدا منيعا في وجه كل ما يضر بوعي أبنائها.

التمكين الفاعل لشباب الأمة الإسلامية:

ما أكثر الحديث اليوم بحق يراد به حق أو بحق يراد به باطل!، عن تمكين الشباب والاستعانة بهم في إدارة شئون بلادهم، وقد سبق الإسلام في تمكين الشباب وإشراكهم في إدارة أمور البلاد، هذا في الوقت الذي كان يحكم فيه العالم بحكم وراثي مستبد يمتلك البلاد ويستعبد العباد، وأشهرهم في بلاد الفرس والروم أكبر دولتين في ذلك الوقت.

فعلى عهد النبوة كان للشباب نصيب وافر في إدارة شئون الدولة الإسلامية على كافة الأصعدة الدعوية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وبالفعل كانوا على قدر المسئولية، وأنجزوا ما كلفهم به النبي ﷺ، وليكونوا هم قادة الأمة ورجالها بعد وفاته ﷺ.

فها هو الصحابي الشاب مصعب بن عمير رضي الله عنه يكلفه النبي ﷺ بأمر الدعوة ونشر الإسلام وتعليمه لأهل يثرب قبل أن يهاجر إليها، وهو أمر في غاية الأهمية من ناحية نشر الإسلام وكون يثرب ستكون دار الهجرة ومقر القيادة النبوية ونواة الدولة الإسلامية التي سيهاجر إليها النبي إليها.

ويرسل الصحابي الشاب معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن معلما وقاضيا ومفتيا ويكلف الصحابي الشاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ببيت في فراشه ليلة الهجرة ويعهد إليه برد الأمانات إلى أهلها من كفار مكة، وهو لاشك تكليف عظيم في موقف عصيب.

وليس أدل على تمكين الإسلام للشباب من تأمير النبي ﷺ الصحابي الشاب أسامة بن زيد – رضي الله عنهما- على الجيش الغازي لقتال الروم، هذا الجيش فيه قادة الإسلام العظام وخير رجال الأمة بعد رسول الله، أبوبكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم من رجالات الإسلام وفرسانه – رضي الله عنهم أجمعين.

وعلى هذا النهج سار الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، فيسير أبو بكر الصديق خليفة المسلمين بعث أسامة ويبقيه قائدا للجيش كما عينه النبي ﷺ، كما كان للشباب حضورا دائما في تقرير شئون الخلافة الإسلامية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاوراته، كهولا كانوا أو شبانا» (البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة).

ولم يقتصر تمكين الشباب على الرجال منهم فقط، وإنما مكن الإسلام أيضا للفتيات وأتاح لهن الفرصة للمشاركة في بناء الدولة، بحسب فطرتهن وطبقا للضوابط الشرعية المتعلقة بالنساء. فتشارك أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – في حادثة الهجرة بنقل الطعام إلى النبي ﷺ وأبيها في الغار، ويشهد التاريخ لأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها دورها في حفظ السنة وتعليمها والإفتاء فيما يهم المسلمين، ومواقفها المشهودة في حفظ عقيدة الأمة، وغيرها من الأمثلة الكثير(٤).

لا شك أن تمكين الشباب من المشاركة في التخطيط والتنفيذ والإدارة لشئون بلادهم فيه الخير الكثير وإضافة قوية لموارد وثروات الأمة، والشباب الذين يستحقون هذا التمكين هم أصحاب الوعي الصحيح المنضبط بالضوابط الشرعية الحامل لهموم أمته والمتبني لقضاياها، فهذا الوعي كفيل بصياغة شخصيات الشباب ونقلهم إلى وضع أفضل.

إن قضية وعي الشباب وتمكينهم تختزل واقع الأمة ومستقبلها، مما يؤهلها أن تكون مشروع الأمة الأول من مشرقها إلى مغربها والذي يجب أن تتضافر جهود شعوبها قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢).

الهوامش:

١- لبنى محمد فتوح وآخرون: الروافد الرئيسية في تشكيل الوعي الاجتماعي، مجلة كلية التربية جامعة عين شمس، مصر، العدد: (٢١، ٢٠١٥م، ص: ١٠٨).

٢- سليمان الطعاني: الوجيز في التربية الإعلامية، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، (٢٠١٩م، ص: ٨٨).

٣- الشاطبي: الموافقات: (٣٨/١).

٤- صلاح فضل توقة: الشباب هموم وطموح، مجلة الوعي الإسلامي العدد: (٦٢٧/ ١٤٣٨ هـ).

د. محمد أحمد قنديل
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية





البيئة في المفهوم الإسلامي

إن الله سبحانه وتعالى دائمًا وتكرارًا يدعونا في القرآن الكريم إلى النظر في كتابين، الأول هو كتاب الله المسطور، وهو القرآن الكريم، والثاني هو كتاب الله المنظور، وهو الكون من حولنا، لذا كان المنهج الإسلامي النظر في هذا الكون والتفاعل والتكامل معه لا الصراع، ومن أجل القضايا في هذا الشأن قضية العلاقة مع البيئة، وفي خطابنا الديني نحتاج إلى بيان العلاقة الصحيحة مع البيئة من حولنا، خاصة أن النص القرآني أفاد أن تلك البيئة تشاركنا في السجود والعبادة لله سبحانه وتعالى.

وسنقتصر في الحديث عن المجال الكوني في ملامح الخطاب الديني وتجديده على مبحث العلاقة مع البيئة من باب الإشارة إلى البعض للدلالة على الكل.

أولًا: مفهوم البيئة

البيئة في الاصطلاح: هي الوسط والمكان الذي يعيش فيه الكائن الحي أو غيره من الكائنات الحية الأخرى، وهي تشكل في لفظها مجموع الظروف والعوامل التي تساعد الكائن الحي على بقائه ودوام حياته[1].

ثانيا: الخلفية الفكرية والعقائدية لحماية البيئة

لم يكتف الإسلام بإقامة تصوره عن حماية البيئة على أحكام فقهية جزئية فقط، وإنما أرسى تصوره البيئي على أسس وقواعد فكرية وعقدية متينة هي أسمى قيمة وأرسخ وجودا وأكثر يقينية من الأحكام الجزئية.

وبذلك كان التصور البيئي الإسلامي قويًا، لأنه يستند إلى حقائق الفكر والعقيدة، ولأنه متغلغل في النفس تغلغل العقيدة في كل مسارب النفس وحناياها.

إن القواعد الفكرية التي أقام عليها الإسلام أحكام البيئة هي قواعد عقدية كلية تستوعب حالات لا تحصى من قضايا البيئة.

وإذا لم يكن بالإمكان استعراض أكثر هذه القواعد، فإن بالإمكان الاجتزاء بتقديم بعضها مما يقوم مقام الشاهد والنموذج الذي يمكن التفريع عليه، والنسج على منواله، والتوسع فيه

من أجل مواجهة مستجدات قضايا البيئة[٢].

وأهم تلك القواعد والحقائق هي:

حقيقة حكمة الخلق

هذه حقيقة عقدية ركزها الإسلام في العقل المسلم، بحيث لا يستقيم المعتقد مع خلو الذهن منها.

ومؤداها أن الله خلق المخلوقات لحكمة اقتضتها مشيئته وعلمه، وأوجدتها إرادته، فكان لكل مخلوق في هذا الكون وظيفة يؤديها للمنظومة كلها. وقد لا يعرف الناس قيمة وجود ذلك الكائن، لكن نتائج سيئة تلاحق الإنسان حينما يستهين بذلك المخلوق، ويلغي وجوده. وقد يبدو ذلك المخلوق المستهان به صغيرًا في حجمه، أو عديم الفائدة، وقد يكون أحد تلك المخلوقات التي لا يأبه الإنسان لوجودها، وقد يتضايق من وجودها أصلا فيعمل على إفنائها، ومنها مخلوقات كثيرة كالجراثيم والطفيليات والحشرات والزواحف والطيور والسموم وغيرها.

وقد تبين ولكن بعد زمن متأخر أن دورة الحياة تقوم على توازن بين الموجودات، وأن الإخلال بالمكونات نتج عنه خلل كلي أصبح الإنسان يعاني آثاره ويؤدي ثمنه الباهظ من صحته وعافيته.

فقد أدت إبادة دود الأرض إلى أن عقمت الأرض بعد أن فقدت المواد العضوية التي كانت الديدان تزودها بها.

وكانت عمليات إبادة الطيور مخلة بالتوازن، لأنها أتاحت أن تكثر بعض الحشرات بما يزيد عن قدر الحاجة إليها.

وأدت عملية إبادة الغطاء النباتي، واقتلاع الأشجار إلى بقاء الغازات السامة فرفعت من درجة الحرارة، وأحدثت اضطرابات إيكولوجية عارمة، كان من أثرها نشوء العواصف الشديدة والفيضانات الكاسحة وغيرها من الآثار التي لم تكن في حسبان الإنسان، ولم يكن الإنسان يدري أن الكون محروس بحكمة الخلق، وبتبادل الوظائف بين مكوناته.

لقد حرص القرآن الكريم في آيات عديدة على التنبيه إلى حقيقة حكمة الخلق لما لها من الأهمية، ولما يترتب عن الوعي بها من انتهاج أسلوب احترام البيئة وحمايتها.

ومن الآيات الدالة على حكمة الخلق، وهي في القرآن كثيرة، مثل قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (الدخان:٣٨- ٣٩).

وفي الآية تصريح واضح بأن حكمة الخلق تشمل السماوات والأرض وما بينهما، فلا يخلو منها شيء من المخلوقات.

وفي الآية إشارة أخرى إلى أن أكثر الناس لم يدركوا حكمة الخلق، وهؤلاء هم الذين أطلقوا أيديهم في المخلوقات بالتغيير وبالإبادة والتدمير، حتى آل الأمر إلى الحال التي أصبح الناس فيها يتنادون إلى ضرورة إنقاذ المناخ إنقاذًا لحياة الإنسان نفسه، وأعلن يوم (٥) يونيو يومًا دوليًا للحفاظ على البيئة.

وفي الآية السابقة إشارة قوية إلى أن الجهل هو مبعث الاستهانة بحكمة الخلق، وهو الذي يهون على الإنسان أن يخل بمكونات البيئة، وبناء عليه، فإن مقاربة الحفاظ على البيئة يجب أن تكون أولًا مقاربة معرفية قبل أن تكون مقاربة قانونية أو إجرائية.

ومن الآيات المتناولة لموضوع حكمة الخلق قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (سورة ص: ٢٧).

القانون العناية الإلهية

يرد الحديث عن مفهوم العناية الإلهية في مصادر العقيدة حين يستدل بها على وجود الله، ويسمى دليل العناية، ومعناه أن أجزاء الكون تترابط فيما بينها بعلاقات وظيفية تشكل في الأخير شبكة واسعة ومنظومة مترابطة الأجزاء، وقد صممت على نحو يسمح بأن يكون بينها انسجام وتناسق لتؤدي وظائفها لصالح الكون عمومًا، وللإنسان خصوصًا.

لقد فصل ابن رشد القول في دليل العناية، وذكر أنه طريقة للاستدلال، وذكر أن مظهر العناية أن جميع الموجودات التي هاهنا موافقة لوجود الإنسان، وأن هذه الموافقة هي من قبيل فعل فاعل قاصد لذلك، إذ لا يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق أي المصادفة، وكونها موافقة لوجود الإنسان ملاحظ بوجود الليل والنهار والشمس والقمر، وكذلك الأزمنة الأربعة، والمكان الذي هو فيه أيضًا، وتظهر الموافقة أيضًا بالنسبة لكثير من الحيوان والنبات والجماد[٣].

وبمقتضى دليل العناية يستنتج أن كل مكونات البيئة هي ضرورية لبعضها ولاستمرار الحياة فيها، ومن التنكر لدليل العناية أن يعمد الإنسان إلى خرم بعض مكونات البيئة وإزالتها، بدعوى أن وجودها غير ضروري.

وعلى هذا الأساس العقدي، فقد أصبح الحفاظ على مكونات البيئة قضية هي أسمى من أن تكون جزئية بيئية، لما صارت جزءًا من المعتقد.

وحدة الأصل بين الإنسان ومكونات البيئة

إن الإنسان إذا كان مخلوقا مكرما خصه الله بالعقل وحمله الأمانة،

فإن ذلك لا يلغي حقيقة أخرى هي أنه مرتبط مع باقي الكائنات برباط وحدة الخلق، وهو شريك لها في هذه الدائرة.

وقد تحدث كتاب الله عن وحدة المخلوقات فقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨). فالإنسان مخلوق لله، مثلما أن كل الكائنات هي أيضًا مخلوقة له، وهو لذلك عبد لله كغيره من الكائنات، يقول الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ (مريم:٩٣ -٩٥).

وللإنسان اشتراك مع غيره من الكائنات في مواصفات مشتركة كثيرة، فإذا كان الإنسان هو نفسه حيوانًا له صفات التغذي والنمو والتناسل، فإن هذه الصفة تضعه ضمن دائرة واسعة تضم معه كل الحيوانات، وللإنسان بسبب هذا الاشتراك قرابة وصلة بالحيوانات أوجب الإسلام رعايتها، وقد جاء في الحديث أنه: «في كل ذات كبد رطبة أجر»[٤]، وذات الكبد الرطبة تعبير نبوي عن الحيوان في مقابل النبات والجماد.

وقد رتب الفقه على هذه الصلة الجامعة بين الإنسان والحيوان أحكامًا ملزمة حتى لا يظل الاهتمام بالحيوان مجرد نصائح غير ملزمة هي رهن مشيئته وطوع هواه، ومن أمثلة تلك الأحكام التي تكتسي طابع الوجوب والإلزام، أن الفقهاء قالوا: إن من امتلك حيوانًا وجب عليه إطعامه، وإذا انعدم الكلأ تأكد في حقه علفه، وإذا لم يفعل ذلك تدخل القضاء فألزمه بذلك، أو بيع عليه الحيوان.

العلاقة بين الإنسان ومكونات البيئة

تبعا لاقتناع الإنسان المسلم بأن الكائنات هي مجلى حكمة الله تعالى، وأنه يشترك معها في العبودية، وفي وحدة الأصل، وأنه قريب منها جدًا، فقد استتبع ذلك أن تكون له علاقة حميمية تصله بها، ولتثبيت هذه العلاقة فقد جاءت في القرآن والحديث تعبيرات كثيرة تؤسس لعلاقة حميمية بين الإنسان وبعض مكونات البيئة، ومنها:

أ. علاقة الإنسان بالأرض:

إن الله تعالى بين أن العلاقة بين الإنسان والأرض، وهي من أكبر مكونات المجال البيئي، وأقربها إلى الإنسان، هي علاقة وثيقة تبتدئ من النشأة لتمر بالاستقرار، ثم الاحتضان النهائي لجثة الإنسان.

وقد ذكر الله تعالى أن مادة جسم الإنسان الأولى هي التراب الذي أضيف إليه الماء فصار طينًا، ثم سخن بالنار فصار فخارًا متصلبًا، يقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ (فاطر: ١١).

وبسبب أن الإنسان جزء من مادة الأرض، فقد احتوى جسمه على العناصر والمعادن الموجودة في الأرض، وصار وجود المعادن فيه سبب قوته ونشاطه.

وبعد نشأة الإنسان الأولى، فإن الأرض تحمله عبئًا عليها، وتوفر له غذاءه وماءه ولباسه ومأواه، كما توفر له من معادنها ومن ثرواتها ما هو سبب قوته وثرائه وتنعمه.

وحين تنتهي رحلة حياة الإنسان، فإن الأرض هي التي تضم رفاته، وتحتضن جسده، وتستره داخلها، يقول الله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (سورة طه: ٥٥).

ولهذه العلاقة الوثقى، فقد رأى الناس في الأرض أنها أم رؤوم وقلب حان، وخاطبوها بهذا، فقال أبو القاسم الشابي[٥]: وقالت لي الأرض لما سألت أيا أم هل تكرهين البشر[٦].

ب. علاقة الإنسان بباقي الجمادات:

ترد في نصوص عديدة تعبيرات أخرى تعلن عن علاقة حميمية بين الإنسان وباقي الجمادات؛ منها أن النبي ﷺ كان على جبل أحد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه»[٧].

وعلى الرغم من أن جبل أحد هو جماد لا يعي الخطاب، فإن قصد الخطاب النبوي هو أن النبي ﷺ كان يحب أحدا مثلما كان يحب مكة ويهفو إليها، ومثلما كان يحب كل الأماكن التي شهدت صباه، وكان يشتاق إليها.

ومستفاد الحديث أن الحب شعور إنساني لا يقتصر على البشر، وإنما يتسع في القلوب الكبيرة ليعم كل مكونات المجال الحية والجامدة منها.

الهوامش

١- فهمي أمين، تلوث الهواء، مصادره، أخطاره، الرياض: دار العلوم، (ص ٢٧).
٢- مصطفى بن حمزة، الإسلام والبيئة، الرباط: منشورات المجلس العلمي الأعلى، ٢٠١٦م، (ص ١٣).
٣- ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق: محمد عابد الجابري، مركز الدراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧، (ص ١١٨).
٤- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.
٥- مصطفى بن حمزة، الإسلام والبيئة، مرجع سابق، (ص ١٩).
٦- ديوان أبي القاسم الشابي، قصيدة إرادة الحياة، إعداد أبي القسام كرو، بيروت: دار صادر ١٩٩٩م، (ص ١٩٩).
٧- صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم.

جاسم الجاسم
صحافي وباحث



أهمية القدوة الحسنة

يميل الإنسان بفطرته نحو الاقتداء والاتباع والاحتذاء بالآخرين، فهذه طبيعة بشرية، لذلك فإن الكثير من الأفكار والسلوكيات والقيم نكتسبها بالتقليد والمحاكاة. وكلما كان الآخر الذي نتبعه ونقتدي به صالحا كان تأثير ذلك إيجابيا على شخصياتنا وسلوكياتنا وصلاح أمورنا.

ومن هنا ينبغي أن ندرك أهمية القدوة الصالحة، وخطورة القدوة السيئة، لما للقدوة من تأثير بالغ وعظيم في تشكيل الشخصية الإنسانية، خصوصا أن الكثير من الناس لا يمتثلون ولا تؤثر فيهم النصائح والتوجيهات بقدر ما يقتدون بأعمال الآخرين وتصرفاتهم وأفعالهم والتي يتبعونها بقصد أو من غير قصد.

ووردت القدوة كمصطلح في القرآن الكريم أكثر من مرة ومثلها الأسوة وهي تعني من يقتدى به، ومن يتخذه الناس مثلا في حياتهم ويتبعونه على الحالة التي يكون عليها حسنة أو قبيحة.

وساق الله تعالى الكثير من سير الأنبياء والصالحين وأمر نبيه ﷺ بالاقتداء بهم، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنعام:٩٠).

وقال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ (الممتحنة:٤).

وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١)الم.

وكان النبي ﷺ ولا يزال القدوة الحسنة للمسلمين جميعا، ولم تكن أفعاله وتصرفاته إلا شاهدا على سيرته الطيبة وأخلاقه الكريمة، فكان قرآنا يمشي على الأرض.

ومن الأحاديث الكثيرة عن النية والاقتداء والعمل ما جاء في الحديث عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما، فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء».

القدوة الحسنة دورها كبير في صلاح الأحوال وتحقيق النجاح والارتقاء في الذات والحصول على المكانة العالية فهي عامل التحول الفعال في الوصول إلى ما تنشده من الرقي طالما اقتديت بأصحاب الهمم العالية والصالحين.



سعاد سعيد نوح
صحفية وكاتبة

الفن الإسلامي بين اللغة والصورة

شغل الفن الإسلامي الكثير من الباحثين، فتناولوه من مناح عدة، وحاولوا الكشف عن جمالياته وفلسفته، ومن هؤلاء الباحثين الشاعر والمترجم شربل داغر، الذي حاول دراسة الفن الإسلامي في أكثر من كتاب، منها على سبيل المثال: «الفن الإسلامي في المصادر العربية: صناعة الزينة والجمال»، وكتاب «مذاهب الحسن: قراءة معجمية/تاريخية للفنون في العربية»، وكتاب «الفن الإسلامي بين اللغة والصورة»، الذي صدر عن دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة.

يؤكد داغر في مقدمته لكتاب «الفن الإسلامي بين اللغة والصورة» أنه لن يركز على فلسفة الفن على حدة ولا تاريخ الفن منفردا، بل سيحاول أن يجمع بين المنحيين ليقدم رؤيته للفن الإسلامي، فيقول: «لم يقم درسي على تناول فلسفي محض، إذا جاز القول، لا لفلسفة الفن عموما، ولا للفن الإسلامي خصوصا، إذ اعتبرت أن خطابا سائدا في هذا الميدان يتحكم به نسق (المدارس) و(العقائد) الفلسفية، وهو ما قد يناسب البعض في (توجيه) الفن وأساليبه، لا في درسه الوضعي. كما اعتبرت أيضا أن خطابا آخر صاحب الخطاب (العقيدي) المذكور، وهو الخطاب الفلسفي (المجرد)، الذي جعل الفن متعينا في (ماهيات) ما ورائية، أو في (علامات) ماثلة في العمل الفني دالة على (عبقرية) الفنان الفجائية والمحيلة على صنيعه نفسه. هذا الخطاب يخفي، في الحالين المذكورين، وجود الفن الإسلامي، وهو أن له تكوينين مختلفين، وإن متعالقين، بل إن له (وجودين):

وجود متعين في بيئات إنتاج هذا الفن،



أي الإسلامية.
ووجود ثان، لاحق زمنا على الوجود الأول، وهو الوجود الذي انبنى فيه لهذا الفن متن جديد، آخر، في المجتمعات الأوروبية، ثم الغربية».
وقد اعتمد الكاتب المنهج التداولي في مقاربته لمفاهيم الفن الإسلامي، حيث يرى أن «التداول، كمنظور فلسفي، يعني الاقتراب من الملموس، من العيني، من الخصوصي، من العمل. وعنى الابتعاد عما هو (ثقافي) و(عقلاني) بصورة مسبقة».
وقد رأى الباحث أن أعمال الفن هي «أعمال يتم تناقلها»، وإن ينتهي بعضها إلى «الحفظ الختامي» (في المتحف)؛ وهي مصنوعات بالتالي تشترط، في المنهج، مقاربات تأخذ بأسباب النظر الأناسي والاقتصادي السياسي وغيرها.
وقد رأى داغر أن التوصل إلى بناء هذا المنهج لم يستقم من دون قراءة نقدية (وتاريخية ضمنا) للخطاب الفلسفي في الفن، وللخطاب التاريخي في الفن؛ وهو ما أدى إلى بناء خطة بحثية وفق حاصل «المعاينة التكوينية» تمثلت في ثلاثة استهدافات:
إعادة النظر: تقوم على نقد تكوين المتن والخطاب الغربيين عن الفنون القديمة، الإسلامية وغيرها، على أنه البداية اللازمة لهذه الخطة البحثية.
توسعة النظر: درس الفن والخطاب القديمين ضمن إطارهما الاجتماعي والفلسفي المخصوص، من دون قصره على الجانب التقني فحسب.
قلب النظر: درس الفن والخطاب القديمين بما يتعدى نطاقاتهما وتعريفاتهما المتأخرة بلوغا إلى ما كانه الفن، أو الخطاب عنه قديما، ما يقيم البحث في حدوده القديمة، لا الظاهرة فحسب، وإنما الخافية أيضا.
وأكد أن هذه الاستهدافات تتعالق مع الخطاب الفلسفي «وتعالج مسائله»، ومع الخطاب التاريخي «وتعالج مسائله» في درس الفن، ما يجعل الاستهدافات ترسم بناءها الخصوصي في النظر، وتخرج بالتالي على أنظمة الخطاب المقرة في العلوم الإنسانية، فتنتقدها ولا تتقيد بها، بل تقترح سبيلا آخر لدرس قضاياها.
وقد رأى أن وجهته في درس الفن الإسلامي تشترط قراءة «تكوينية» له، تظهر العمليات التي «أنتجته من جديد»، بما يخالف وجوده الأول، سواء في متنه المادي أو في خطابه المناسب له. وهذا يعني أن للمنهج الدارس ألا يتناول متن الفن الإسلامي كما هو مصنف في متحف، أو مدروس في خطاب، وإنما أن يتبين ما كان عليه وما آل إليه. وهو ما يعني منهجيا عدم التسليم المسبق بحاصل الخطاب في الفن الإسلامي، والعمل على فحصه وفق مقاربة تتحقق من «تكوين» المتن، ما يجتمع في منهج «التداول». فـ«حقيقة» الوجود الأول للفن الإسلامي مضت، وأقصى ما يطمح إليه الدارس هو الاقتراب التاريخي والفلسفي والمادي منه، آخذا في عين الاعتبار أن «حقيقته» خضعت للتداول وانبنت فيه، لا سيما في المتحف والخطاب الأوروبيين. ولا يقوم هذا «الاقتراب» بالخروج على علوم ومناهج في الإنسانيات، وإنما على البناء معها وبها، ولكن وفق استهدافات بحثية تناسب طبيعة الموضوع البحثي نفسه.
يراهن هذا الكتاب على توسعة النظر التاريخي وتقويته إلى الفن الإسلامي؛ وهو أحوج ما يحتاجه درس هذا الفن. ويعني النظر التاريخي، في هذا المجال، الكشف عن مصادر للتاريخ أن ينهل منها، وأن يضعها في منظور موافق. يقيم أكثر من فصل في هذا الكتاب علاقات غير مسبوقة في الدرس الغربي تحديدا للفن الإسلامي بين: الصورة والأدب، حيث إن هذا الخطاب «استقبل» مواد الفن الإسلامي وفق سياقه



الدراسي الخاص، وجعله فنا «تطبيقيا» لما كان يتعين في «عالي» البناء الفني في تجاربه، وهو: فن الرسم (وما انتهى إليه بعد ذلك في الفنون التشكيلية، ثم حاليا في الفنون البصرية). وما هو جدير بالانتباه في هذا المجال - بعيدا عن صحة أو خطأ التقابل بين فنين مختلفي التكوين والمنظور - هو أن الخطاب الغربي راح يتعامل مع المادة الفنية الإسلامية حسب طرق دراسية مشابهة لدرسه فن اللوحة (أو التمثال وغيره)، طمعا بإنزال الفن الإسلامي في «تاريخ الفنون العام» ابتداء من اللحظة التي بلغتها تجارب «الفن» في أوروبا تحديدا.

حصل «الفن الإسلامي»، في ذلك، رتبة ومكانة أكيدتين، إذ جرى تعيينه مثل فن «وسيط» و«انتقالي» بين فنون الحضارات القديمة وفنون أوروبا، أو بين فنون الشرق الأقصى وفنون المتوسط. كسب الفن الإسلامي في هذه العملية، إذ أدخل (بمعنى ما) إلى «عالمية الفن»، وبات في عداد «الحضارات الكبرى»، التي باتت تتعين (منذ القرن الثامن عشر) في «فنونها» التصويرية خصوصا (والتي تناسب سياسات الإظهار والعرض والقيمة، سواء في القصر أو في المتحف الناشئ).

وقد أشار الكاتب في هذا الكتاب النوعي إلى أن الخطاب الغربي الدارس للفن الإسلامي قلما اعتنى باستبيان تاريخ الفن الإسلامي ابتداء من مصادر الثقافة العربية، ومن كتبها، بمن فيهم الفلاسفة المسلمون أنفسهم.

بنى شربل داغر فصول الكتاب وفق منظور تاريخي، واجتماعي ضمنا، يتنبه إلى مكوني هذا الفن: النص والترف؛ وإذا كان المكون الأول قد حظي باهتمام دارسين، فإن المكون الثاني بقي خارج دائرة البحث في أحوال كثيرة. والجمع بين هذين المكونين مسعى مزيد لوضع هذا الفن في سياقه التاريخي كما الاجتماعي المناسب.

درس الباحث تجارب مختلفة في الفن الإسلامي، لا سيما في الخط والتصوير والمخطوط، ابتداء من مصادر كتابية عربية (إضافة إلى مخطوط صيني قديم ونادر)، فضلا عن معاينة أعمال من الفن الإسلامي، ومنها مخطوط يمني يكشف عنه للمرة الأولى.

تعالج فصول الكتاب إقامة علاقة درس بين الأدب والفن: بين المقامة والصورة، بين الحكاية والصورة، بين القصيدة والصورة؛ بل تنبه الدرس إلى وجود علاقات أعمق بين اللغة والفن، ما جعلني أتحدث عن «أساس لغوي» لهذا الفن، وأتبين وجود علاقات أعقد بين اللغة والوجود نفسه، حيث إن درس اللغة العربية نفسها في الخطاب (الفلسفي، الصوفي...)، قد يكون «العوض» أو «البديل» عن درس الوجود نفسه، كما هو عليه عادة في الخطاب الفلسفي، لا سيما الإغريقي، ثم الأوروبي.

كما توقف الباحث في كتابه عند فن قلما انصرف إليه الدارسون وهو «خيال الظل»، لمعرفة أسباب اتصاله (أو عدمها) مع تجارب الفن الإسلامي الأخرى. إلا أن الدرس لم يكتف بتناول مواد هذا الفن، بل توقف كذلك عند الخطاب الذي عمل على تفسيره، وعلى إدراجه في أنظمة التفكير والاعتقاد. ولقد نشر في نهاية الكتاب ثلاث مقابلات صحفية متوسعة معه حول مسائل هذا الفن، بعد أن اعتبرها مكملة ومحيطة بالقول الخاص في هذا الكتاب.

مشاري المحمد
صحافي وكاتب

أهم محاصيل العلف في العالم

مثلما جاء في القرآن الكريم من ذكر للثمار والفاكهة التي يأكلها الإنسان، فإن للبهائم والدواب والأنعام أيضا ما تأكله من أعشاب ونباتات مختلفة.

قال تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾ ﴾ (عبس:٣١-٣٢).

وفي تفسير هذه الآية فإن الفاكهة هي ما يأكله الناس من ثمار الأشجار، أما الأب فهو ما تأكله البهائم من العشب والنباتات، أو كل ما أنبتت الأرض ويأكله الدواب ولا يأكله الناس. وهناك من قال إن الأب هو الكلأ والمرعى.

لكن ما الذي تأكله البهائم والأنعام والدواب من نبات الأرض لتستمر في حياتها، هناك العديد من الأعشاب والنباتات المختلفة التي تتميز بفوائدها الغذائية للحيوانات لعل من أشهرها نبات البرسيم الذي يعتبر من أهم محاصيل العلف في العالم.

ويستعمل «البرسيم»، الذي يطلق عليه الفصة المعمرة أو الفصفصة، نبات مراع وعلفا للمواشي لفوائده الكثيرة كونه يزيد من معدل النمو وتحسين الحالة الصحية للحيوانات.

ويحتوي البرسيم، وهو نبات معمر من الفصيلة البقولية، على كميات كبيرة من الأملاح المعدنية والبروتينات والفيتامينات. ويعد مصدرا طبيعيا للنيتروجين، لأنه يستضيف بكتيريا التربة التكافلية في العقيدات الجذرية التي تعمل على ترسب النيتروجين من الهواء إلى التربة وهو ما يجعله متوافرا للنباتات الأخرى.

ويستخدم البرسيم في إنتاج التبن والعلف المخزن، كما يزرع كلأ للمراعي ولتخصيب التربة وحمايتها من التعرية.

وتأتي أهمية البرسيم كون الحيوانات التي تتم تربيتها للاستفادة من لحومها أو ألبانها تحتاج يوميا إلى تغذية وكميات من الأعلاف الخضراء والجافة، وبما يحتويه البرسيم من فيتامينات ومعادن تحتاج إليها الحيوانات لزيادة النمو ومد جسمها بالبروتينات والطاقة، فإنه أصبح أشهر النباتات والأعلاف الخضراء التي يتم تقديمها للأنعام والبهائم.

ومن فوائد البرسيم أنه يعد من أعلى المصادر الخضراء التي تقدم الألياف لتساعد الحيوانات في عملية الهضم بصورة سريعة، بالإضافة إلى أنه يحتوي على عناصر غذائية مهمة مثل معادن الكالسيوم والبروتين التي لها قابلية للهضم بصورة كبيرة.

وتحتوي المادة الخضراء، خصوصا الأوراق، على كربوهيدرات وبروتين ومواد دسمة ومركبات معدنية بالإضافة إلى الحيمينات. كما يحتوي على فيتاميني «أ» و«هـ» بكميات كبيرة.

ويتميز نبات البرسيم بأنه قابل للتكيف مع أنواع الزراعة والظروف الجوية المختلفة بما فيها الجفاف، لكن ينبغي الحرص على زراعته في تربة ذات تصريف جيد، لأن الرطوبة تحفز على انتشار الأمراض في النبات. ويصل ارتفاع البرسيم إلى أكثر من متر في حين أن جذوره تمتد إلى مسافات كبيرة في التربة للبحث عن الماء والمواد الغذائية.



أحمد المنزلاوي
عضو اتحاد كتاب مصر

قراءة نقدية في إبداعات الوعي القصصية

للنقد دور كاشف في بيان النصوص، الإبداعية فهو يلقي الضوء على ماتفرد به الكاتب/الكاتبة من أسلوب فضلا عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبها إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.

ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها، سواء في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.



عودة

ما تمتاز به قصة «عودة» للقاصة اليمنية مياسة النخلاني لغة سردية شاعرية جذابة وتصوير بديع وقدرة على استدعاء الحكي من لحظة أو لقطة واحدة، فهي تستدعي حياتين لشخص على النقيض بين النشاط والتميز والهمة، والروتينية واللامبالاة والتخاذل.. تستدعي كل ذلك في لحظة عبوره الشارع الهادئ الذي إن تجاوزه يصل إلى منزله، والذي يبدو أنه اعتاد السير فيه طيلة الخمس عشرة سنة دون أن يأبه بمعالمه التي تغيرت كثيرا وأصابتها التحديثات، وما إن يرى ذلك التغيير في آخر الأمر -بعد استدعاءات لحياتيه- إلا ويقرر تغيير حاله التي يمقتها ويعود إلى سابق عهده.

لكن استدعاء الحياتين والموازنة بينهما جعلا الكاتبة تقع في دائرة الوصف أكثر منها في الحكي، مشكلة الوصف الأساسية أنه ساكن، يهدد المشهد بالجمود، ويبطئ من حركة السرد، ولا يدفع الحكاية إلى الأمام، فكان ينبغي أن تجعل الوصف يتسرب من بين السطور في سياق الأحداث والحركة من دون أن تتوقف الحكاية، لأن القارئ ينشغل بالحدث وتتابع الزمن، فماذا لو تناوبت القصة بين الاستدعاء والموازنة الذهنية التي تخطر للبطل واستكمال حدث عبوره أو توقفه في منتصف الطريق، تدعم ذلك بعبور سيارة تكاد تصدمه فتدفعه بصافرتها، شخص آخر ينبهه حتى لا يتعثر.. وهكذا.

أو يمكن أن يبقى السرد على حالته هذه لكن لا يطول الاستدعاء والموازنة فيه بهذا الشكل الذي يتيه معه القارئ في فلك التكرار، فإن المعاني نفسها تتكرر على القارئ بين فقرة وأخرى، للدرجة التي تبدأ فقرتان متتاليتان بـ«كان في الخامسة والثلاثين»، إضافة إلى تقحم الأسئلة الذهنية الكثيرة على السياق، نحو: «ترى متى بدأ كل هذا؟! متى أصبح الشخص الذي عليه الآن؟! متى أصبحت أقصى أمنياته أن يبدأ العام الجديد بزيادة هزيلة براتبه وترقية لا تكاد تأتي بدرجته الوظيفية؟!»، هذا كله مما يخل ببناء القصة القصيرة؛ لأنها تقوم على التركيز، التركيز حتى في طريقة السرد وتصوير الموقف، فكل لفظة فيها لا بد أن تكون موحية، مشحونة بالمعاني، متفجرة بالدلالة، لا تتكرر معانيها فضلا عن ألفاظها، وكل لفظة أمكن الاستغناء عنها لا يصح إقحامها فيها.

ومع ذلك تبقى الصورة الجميلة التي التقطتها القاصة في تفجير الحكاية من لحظة العبور تغفر كل زلل، وتجعلنا نطمح في جبر النقص مع قصصها القادمة.

«تاج الوقار»

في قصة محمود مصطفى حلمي «تاج الوقار» يعيش القارئ مع شعور إيماني لطيف، ولحظات من خوالج النفس الإنسانية في رحاب القرآن،



يفتح العنوان آفاق القارئ نحو سر هذا التاج، وما يلبث إلا أن يتبين سره، تلك أمنية أب شفوق يرغب في حث ولده الصغير على حفظ القرآن الكريم، ليكون له ذخرا يوم القيامة، ويلبسه تاج الوقار، «أريدك أن تلبسني تاج الوقار يوم القيامة يا منصور».

منصور هو بطل القصة، وهو السارد فيها، يسرد علينا في لحظة ختمه القرآن الكريم وهو كبير رحلته مع حفظه، يبدأ بلحظات الصبى، وهو يذهب إلى الكتاب وما عاناه من صعوبة الحفظ، يلقي باللوم على نفسه كثيرا، لكنه في ذات الوقت يصف لنا حاله مع الشيخ عثمان، وهذا الأخير يقسو عليه يربطه بالحبال ويضربه، يهدده بقوله: «ستحفظ يا منصور، عاجلا أم أجلا، وستحفظ بالعقل أو بالسوط»، ورغم أن منصور لا يلوم الشيخ صراحة ولا يلقي بالتبعة عليه، لكنه في استدعاء ذاكرته لهذه المشاهد يعاتبه، كأنه يقول كنت بحاجة إلى يد حانية، كنت بحاجة إلى رفق حتى تلين مسامعي وتنشط ذاكرتي، كأنالنه يقول: لم تفلح الشدة في تحفيظي رغما عني. هذا كله يستنتجه القارئ من بين السطور، وهذا مما يحمد للكاتب، فعلى الرغم من أن موضوع القصة يجنح إلى جانب الوعظ والتعليم، فإنه لم يظهر ذلك في لغة السرد؛ لأن الكاتب بعد عن المباشرة والإخبار إلى التصوير والعرض.

لقد طال استدعاء منصور لمشاهد شيخه القاسية، كأنها هي التي تسيطر على حياته، حتى في لحظة إتمامه لحفظ القرآن وهو كبير بين زوجته وأبنائه، تراءت له المشاهد فيقول: «رأيت الشيخ عثمان وهو يضربني بقسوة وغلظة لعدم حفظي، سمعت صوت بكائي وصراخي وأنا مقيد بالحبال أمام وطأة ضربات عصاه».

في اللحظة نفسها يرى أباه ينظر نحوه غاضبا خائب الرجاء، لكن الأب لم يظل ذكرى في مخيلته، بل بدا حاضرا يشرف إليه ولده وهو في مثواه الأخير، كلما قرأ يبتسم له «كان وجهه كالقمر في تمامه وكان يظهر على رأسه معالم تاج من نور أبيض ناصع».

لتكتمل الحلقات السردية:

صبي صغير يستعصي عليه حفظ القرآن..
شيخ لا يحفز ولا يرغب بل قاسي القلب يضرب وينهر..
أب يطمح ويطمع في جائزة الآخرة: تاج الوقار..
تخيب آمال الأب.. ويموت ولم تتحقق أمنيته..
يكبر الصبي ويصبح أبا، ويتبدل شعوره بشعور والده ويفهم معناه..
يسيطر عليه شعور والده ويسير في تحقيق أمنيته ويحفظ القرآن كاملا، ليستبق الزمن ويرى فرحة والده وتكريمه بهذا التاج.

ورغم أن الأحداث تسير في تسلسل وتتابع، فقد كان للحدث الطارئ أهمية بالغة في النسيج القصصي؛ إذ يبرز دوره في حبك القصة، فيصل روابط التواشج بين الأحداث، ويجعلها تنساب بتعليل منطقي. فهو حدث مباغت مفاجئ للمتلقي، لكنه يربط بين حدثين رئيسيين وفق ترتيب سببي منطقي، به تتلاحم الأحداث ويشد بعضها لبعض لتشكيل البناء الفني.

فكيف تحول منصور من ذلك النفور مستعصي الحفظ، إلى ذلك الذي يحفظ رويدا ويختم القرآن؟

الإجابة في الحدث الطارئ، يقول: «ذات يوم كنت عائدا من عملي في سيارة أجرة، وكان المذياع على صوت قارئ من قراء القرآن وهو يقرأ تلك الآيات: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر:١٧)، سمعتها تتكرر على أذني، كنت أظنها المرة الأولى التي أسمع فيها تلك الآية، اقشعر جسدي، كررها القارئ مرات ومرات، ومع كل مرة كنت أسمعها كانت دقات قلبي تتسارع بشدة، ارتعشت أطرافي، دمعت عيناي وانهمرت منهما دموعي، سألت نفسي كيف ييسر الله القرآن للذكر وأظن أنا بضعفي وهيئتي البشرية وعقلي القاصر أنه عسير على الفهم أو الحفظ، كيف يغويني شيطاني لأظن أنه صعب المعرفة والله قد يسره للجميع؟».

هذا الحدث غير المتوقع يقحم فجأة على التدفق السردي دون سابق إنذار، لكنه يدخل في حبكتها غرزة أساسية فتتشكل الصورة كاملة بوعي فني عميق.

ومما يلاحظ على فنية القصة سردها بضمير السرد «أنا» واستخدام الراوي المشارك في الأحداث وهو هنا يحكي قصته، فاستطاع أن يخبر عن نفسه بصدق في الدوافع والأهداف والخواطر والمشاعر والأحاسيس، مما يجعله قريبا من القارئ وأكثر واقعية من الراوي العليم الذي يعلم الحكاية سابقا.

لكن مما يؤخذ على الكاتب «الكنكنة» وهو إكثاره من استخدام (كان) وسيطا للحكي، فلا شك أنها تمثل عائقا ذهنيا يمنع من استرسال وتدفق الحكي، خصوصا مع تخلصه من سطوة الراوي العليم ووساطته.

حسن متولي عبيد
شاعر وكاتب



هو القرآن

هو القرآن معتقدي وزادي
وراحلتي إلى يوم المعاد

هو النور الضياء بكل درب
إلى نيل الهداية والرشاد

هو الذكر الذي لا ذكر يقوى
على إدراكه في كل واد

هو البرد السلام لكل قلب
هو الأمن الرجاء لدى العباد

بكل سفاسف الأقوال إني
وقد أبدلت، ذا أملي مرادي

زهدت بلغو من نظموا القوافي
ومن سير الضلال بغير حاد

سنينا قد قضيناها حيارى
عن النهج القويم جنوح غاد

وذاك الشيب يسطع في ربانا
فلا عبث ولا سوء اعتقاد

هو القرآن في قول وفعل
وزاد مفازة يوم التنادي

متى تنهل بهذا النبع تلق
تمام الري في ظمأ الفؤاد

تجد خير الرجاء بطول درب
إلى حسن النهاية والسداد

ومن وجد الكريم فما سواه
كقبض الريح صفر في الأيادي

ومن قد ضل ماذا يرتجيه
وماذا يبتغي يوم الحصاد

كتاب الله ليس فضول قول
بأحفال ومن دون اعتماد

هو المضمون والمعصوم حتما
وإقصاء له عين الفساد

مصون ليس يلحقه ضلال
بعيد عن مكايدة الأعادي

كتاب دره المكنون يبقى
قريبا للورى رغم البعاد

جديد ليس تبليه الليالي
وكنز عطائه دون النفاد

فيا حظ الذين به استقاموا
ويا بؤس الذين على الحياد

وفضل كلامه رب البرايا
كفضل الله في كل اعتداد

متى عظمتموه بكل شأن
فداكم غاية الحب الوداد

وإلا فالكلام بغير فعل
سبيل للجاجة والكساد

يبدل غيركم في كل وقت
حشود أكارم، وعلى اطراد

أنيبوا أمة القرآن أنتم
بداجية الظلام منار هاد

هو القرآن مبعث كل فضل
وفخر، خير إشراق لضاد



محمد أحمد عبدالسلام أمان
شاعر وكاتب

القدس عائدة

أبا فراس أجبني أيها العلم ... أليس للقدس إلا السيف والقلم؟
وهل يقوم صلاح الدين ثانية ... وهل يعود إلى أحضاننا الحرم؟
والواقع العربي الآن منكسر ... متى يرى ماردا تسعى له الأمم؟
هذا كلامك في عينيك يخبرني ... أبشر صديقي جوابي إنه نعم
أبشر صديقي فإن القدس عائدة ... وفي سماوات عكا يرفع العلم
القدس قبلتنا الأولى وموعدنا ... من أجل أبوابها للموت نقتحم
القدس رمز لسيف مسلم بطل ... من أجل أسوارها تعلو لها الهمم
القدس أنشودة الأقصى وأمنية ... في كل يوم بها يستعذب النغم
القدس في ساحة الميدان صامدة ... مرفوعة الرأس لا يمضي لها الألم
سلاحها الصبر والإيمان في ثقة ... وإن تخاذل عنها العرب والعجم
القدس، حيفا، جنين والخليل نعم ... كل الأمور بحد السيف تنحسم
أطفالنا لا تهاب الموت في بلد ... ما زال يوجد فيه العز والشمم
أطفالنا هم أسود قادها أمل ... والقدس ترنو وبالأشواق تبتسم
هيهات أن يخضع الطفل الذي ذبحت ... بحد أحجاره الأوباش والرمم
أطفالنا هم صلاح الدين في غدهم ... حطين نادت عليهم أقبلوا قدموا
الثأر أطفالنا يوما ستأخذه ... وفي الخليل فإن السيف منتقم
غدا صديقي ترى الجرذان هاربة ... وفي جنين ترى الأوغاد تنهزم
غدا صديقي كما القرآن أخبرنا ... سندخل البيت والأعلاج تنعدم
هيهات أن يركع الأقصى لهم أبدا ... وإن تهاوى عليه الشر والحمم
أبشر صديقي وحق الله خالقنا ... رأس اليهود غدا ترمي بها القدم
هذا الذي قائم من زيف باطلهم ... بنيان صهيون في فجر سينهدم
وما ظلمناهم كلا وإنهم ... هم البغاة وللعباد قد ظلموا
هذا جزاء لكم ذوقوا بما كسبت ... أيديكم يا بني صهيون يا رمم
النفس غارقة يا قدس في ظلم ... بحر الهموم وموج الهم يلتطم
يا قبة المسجد الأقصى وزينته ... لن تهدأ النفس حتى ينتهي الندم
يا قدس أسرك أدمى النفس آلمها ... قد آن أن ينتهي ذا الأسر والظلم
الجرح في النفس إذلال يقيدها ... قد آن أن ينمحي ذا الذل والصنم
القدس عائدة حتى وإن بقيت ... في أسرهم زمنا، فالأسر منقصم
لا تحمل الهم ما دامت لنا همم ... فالليل ماض وفيه الداء والسقم
والفجر آت يزيل القهر مبتئسا ... والنور يمحو ظلاما بات ينفحم
والبيت يخلو من الأنجاس مبتسما ... والشمس تشرق في الأقصى وترتسم
والأمن يكسو رحاب القدس مزدهرا ... والعدل قد ساد والأخلاق والقيم
القدس داعية والبيت مبتهل ... والنصر آت وجرح النفس ملتئم



محمد جمال المغربي
كاتب وقاص مصري



رسول الأذكار

مرت دقائق طويلة حاولت فيها أمي إفاقتي من إغماءة مفاجأة هاجمتني، والتي لم تكن المرة الأولى بل تكرر الأمر مرات عديدة سبقها إلحاح من أمي لاستشارة الطبيب في هذا الأمر، إلا أن زيارة المستشفيات والعيادات كانت لا تروقني، فلا أحب آجواء المرض والمرضى، وبسبب ضغوط أمي علي لم أجد مفرا من الذهاب إلى الطبيب.

بمجرد دخولي عيادة الطبيب بدأ قلبي يخفق، وتتسارع نبضاته بصورة لافتة لم أدر سببها هل الخوف من المكان الذي يبدو كئيبا أم من تشخيص الطبيب لحالتي الصحية؟

يخيم الصمت على المكان الذي امتلأ بمرضى من العجائز الذين يبدون على موعد مع الموت، وفي حوزتهم أوراق وأشعات وتحاليل، وبعد وقت ليس بالقصير كنت فيه شاردة، ينادي مساعد الطبيب على اسمي فقد حان دوري، فأنتبه له وأسير نحو غرفة الكشف في خطوات متثاقلة حتى دخلتها، وبدأت ألقي التحية على الطبيب الذي نفث دخان سيجارته بكثافة، كانت ملامحه متجهمة ولم يرد التحية واكتفى بإشارة بيده توحي بالإذن بالجلوس وبعد تدوين بياناتي سألني عن شكواي، فسردت له ما أعانيه وبدأ في مباشرة الكشف علي وتحسس رقبتي ويضغط عليها لتخرج صرخاتي من الألم بعد كل ضغطة، يتراجع الطبيب إلى الوراء والذي ازدادت ملامحه كآبة وقسوة ليعنفني بشدة قائلا:

هل انتبهتي لهذا الورم في رقبتك من قبل؟؟

أومأت برأسي علامة الإيجاب، بدأ صوته يحتد أكثر ويسألني مرة أخرى:

كيف لم تعرضي رقبتك على طبيب؟؟

- لم اهتم فقد ظننته التهابا عابرا وسيرحل بالمسكنات.

قاطعني محتدا بقوله:

- حالتك خطيرة جدا... هناك ورم في رقبتك، وحتما يحتوي على بؤر سرطانية تفرز سموما تضر بالجسم والقلب، وقد تودي بحياتك في وقت قصير، كان يجب أن تجري فيها عملية استئصال للورم منذ وقت طويل.

سكت قليلا ثم قال: أخشى أن يكون الوقت قد فات!.

خرجت من العيادة ولا أدري أين رأسي من قدمي؟ فقد أظلمت الدنيا في وجهي، لكني واصلت السير نحو الشارع لكي أشير لتاكسي ينتشلني من هذا المكان لأعود للبيت، فوقف تاكسيان، أحدهما حالته جديدة وفاخرة، والآخر حالته قديمة ومهلهلة، لم أستطع الخيار لكي أقرر من يوصلني.

شيء ما اغتصب إرادتي ويجعلني أركب التاكسي القديم، والذي كان يقوده رجلا خمسيني العمر، يبدو أن وجهه

شاحب، وعيناه بها دموع لم تجف بعد.
وأثناء الطريق انتبهت لحالته، وبدأت أراقبه من مرآة السيارة، فوجدت دموعه تسيل على استحياء وفي وجهه علامات القهر والحزن الشديد، لم أستطع منع نفسي من سؤاله عن أحواله:
- خيرا يا أبي! لم أرى هذا الحزن والدموع في وجهك؟
مسح الرجل دموعه بأصابعه بسرعة بعدما انتبه لمراقبتي له، وقال لي:
- أبي؟ أقلت أبي يا ابنتي!؟
- نعم، فأنت مثل أبي.. جاوبني بالله عليك رجاء.
حاول أن يبتسم قبل أن يقول:
- لا عليك يا ابنتي، فلا أريد أن أوجع رأسك بهمومي التي لن تهمك.
- بل عليك أن تحكيها لي، فلكل مشكلة حل، وقد أستطيع حلها، فلا تقلل من شأني لأني أصغر منك في العمر.
قاطعها بسرعة قائلا:
- لا يا ابنتي، بالتأكيد أن مقامك عال.
سكت قليلا مخرجا زفيرا يحمل الكثير من الآلام ثم قال:
أمي مريضة ومحتجزة في المستشفى، وتحتاج أدوية باهظة الثمن بالنسبة لقيمة ما أتحصل عليه من أجرة من صاحب التاكسي، كما أن لي نقودا متأخرة عنده يرفض أن يعطيها لي ويماطل في سدادها بحجة ضعف الإيراد، ومصاريف تجديد التاكسي.
- كم المبلغ الذي تحتاج إليه؟
- لا يا ابنتي، أنا لم أحك لك مشكلتي لكي أستميل عطفك وتتصدقي علي.
- يا أبي، هل بإمكانك أن تعتبرني مثل ابنتك؟
- الله يعلم أنك مثلها، والدليل أني لم أستح منك وحكيت لك مشكلتي... بارك الله فيك يا ابنتي.
- طالما الأمر هكذا، فإني أستحلفك



بالله أن تقول كم المبلغ المطلوب؟
- سوف أقوله لأنك أقسمت علي، لكن لن أخذ منك قرشا واحدا، المبلغ هو خمسمائة جنيها، والله المدبر وعليه السداد.
- سبحان الله يا أبي!! لقد اختارك الله من بين باقي سيارات الأجرة لحكمة مهمة هي أن يسخرني لتقديم هذا المبلغ الذي أرسله الله عزوجل لك، خذ هذا المبلغ فهو ليس ملكي، أنا مؤتمنة عليه حتى يصل لصاحبه.
قاطعها بلطف قائلا:
أشكر شعورك النبيل يا ابنتي وبارك الله فيك.
- أقسم لك يا أبي أن الله قدر كل هذه الأمور، وأن هذا المبلغ مرسل لك من الله وجاهز معي بنفس القيمة التي تحتاجها، كلنا مسخرون لأقدار الله يا أبي.
تفضل خذه من يدي لو تكرمت.
تمتد يد الرجل المرتعشة ليأخذه منها على استحياء، وهو يشكرها.
يتوقف التاكسي أمام منزلي، وأودعه وأنا أربت على كتفيه بحنان، وأمضي ناحية الباب، وفجأة يتعالى صوت الرجل في الشارع ويمد يده ناحية السماء قائلا:
(ربنا يكفيك شر المرض..ربنا يكفيك شر المرض..ربنا يكفيك شرالمرض).
أحسست بأن هذه الدعوة زلزلت كياني وقشعرت جسمي بعدها اطمأن قلبي، وزاد يقيني برحمة الله الذي قدر الأحداث ورتبها لينتشل الضعيف من كبوته.
خلدت للنوم فرأيت شيخا عجوزا في المنام يردد: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (النمل: ٦٢)، استيقظت من نومي على آذان الفجر وجسدي يغرق في عرقي، قمت فتوضأت ثم صليت ودعوت الله أن يدبر لي من مرضي خيرا ويشفيني.
- الحمد لله يا ابنتي، لقد علمت بعودة طبيب مشهور من ألمانيا متخصص في حالتك ولقد حجزت لك عنده، والشافي هو الله.
- أنا مؤمنة بقضاء الله يا خال، وراضية بقدره الذي قدره لي، ولا أملك سوى الدعاء.

ـ ونعم بالله يا ابنتي، بإذن الله يكون سببا لشفاءك، فالله مسبب الأسباب، استعدي فغدا موعدنا.

رأيت في منامي مرة أخرى نفس الشيخ العجوز والذي قال لي هذه المرة: حوقلي يا ابنتي!

قلت له: وما «الحوقلة» يا شيخي؟ قال لي: (لا حول ولا قوة إلا بالله... لا حول ولا قوة إلا بالله... لا حول ولا قوة إلا بالله).

استيقظت مرددة نفس العبارة: (لا حول ولا قوة إلا بالله) وظللت أرددها طوال يومي.

كان الطبيب هذه المرة بشوشا لطيفا ضحكته لا تفارق وجهه، وبعدما قام بتفصحي ابتسم في وجهي وقال لي: لا تقلقي الأمر بسيط إن شاء الله، فقط أريد منك أشعة حديثة، و«مسح ذري» على منطقة الورم.

تفاجأت من طلبه الغريب بعض الشيء علي لكنه عاجلني بابتسامته المعهودة قائلا: هدأي من روعك!

فالمصطلح يوحي بالقنبلة الذرية المدمرة، لكنه إجراء سهل ومهم في نفس الوقت حتى أتأكد أن الورم حميد وبسيط، وإن كنت أكاد أجزم لك بأنه حميد.

وبعد إجراء المسح الذري وتفحصه ارتسمت على وجهه علامات الارتياح وقال لي: الحمد لله! بداية الورم حميد، وليس به بؤر سرطانية مثلما أكد لك طبيبك السابق، لكن الورم يتسرب منه سموم تؤذي الجسم بالفعل، لذلك يجب عليك الالتزام بتناول الأدوية في ميعادها بانتظام والخلود إلى النوم فترات طويلة والراحة التامة، حتى يهدأ التهاب الورم ونستطيع إجراء عملية استئصاله، وهي عملية دقيقة يسبقها استعدادات يلتزم بها المريض.

تهللت أساريري أخيرا... فقد وجدت الابتسامة مكانا لها في وجهي، وقمت بالالتزام بتعليمات الطبيب، لكن هذا الشيخ ظل ضيفا لأحلامي، وكأنه رسول من الله يبلغني رسائل وطقوس دعوية لكي أمارسها.

هذه المرة كان الشيخ يصلي فيها على النبي مرات عديدة تظل في مسامع أذني حتى استيقظ.

مرت الأيام وبعدما تحسنت حالتي فجأة انتكست مرة أخرى، وعاودني الإغماء مع آلام مبرحة هذه المرة، تأثرت أمي كثيرا بحالتي وظلت دموعها تنساب على وجهها، إلا أني كنت صامدة واستمر رضائي بقضاء الله وقدره فلقد قرأت أن الرضا هو باب الله الأعظم وجنة الدنيا، ومستراح العابدين وطريق السعداء الموقنين، وكيف لا أرضى وأنا أعلم أن الله هو الرحمن الرحيم، والرحمن أرحم بعباده من الأم بولدها... كيف لا أرضى وأنا أعلم أن الله هو العليم فهو يعلم ما يصلحني وما يضرني... كيف لا أرضى وأنا أعلم أن الله هو اللطيف بعباده الذي ابتلاهم بمصيبة لا ليؤذيهم بل ليطهرهم من الذنوب والمعاصي، كيف لا أرضى وأنا أعلم أن الله هو الودود الذي يتودد لعباده بنعمه اللامحدودة.

لقد استقر في عقيدتي أثناء محنتي أن الرضا بقضاء الله يملأ القلب سعادة وسرورا، وليس أمامك يا ابن آدم إلا الرضا فإن سخطت واعترضت أصابك الشقاء والتعاسة وقدر الله واقع أيضا ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (الأحزاب: ٣٨).

زارني الشيخ هذه المرة ومعه امرأة جميلة محتشمة لباسها يغطي مفاتن جسدها فقلت له: من هذه الفتاة الجميلة يا شيخنا؟؟

قال لي:

ـ إنها أنت يا ابنتي.

ـ تعجبت من رده وقلت له أنا لست جميلة مثلها!!

ـ بل هي أنت بعدما عدت من سفرك البعيد...

انتبهي واسمعي صوت الفتاة.

اقتربت منها فوجدتها تردد: (أستغفر الله العظيم وأتوب إليه...أستغفر الله العظيم وأتوب إليه...أستغفر الله العظيم وأتوب إليه)

مرة أخرى استيقظت من نومي على صوت آذان الفجر وجسدي يرتعش.

حتما هناك رسالة هامة هذه المرة من «رسول الأذكار» أنه يريد تذكيري بارتداء الحجاب، والذي تجاهلت ارتدائه لسنوات طوال.

هذه رسالة من «رسول الأذكار» لكي أعود للحجاب طاعة لله عزوجل واستغفر الله على ذنبي القديم.

ارتديت الحجاب بعدما عاهدت الله على الالتزام به وعدم خلعه طاعة لله، وذهبت للطبيب البشوش هذه المرة بلباس فضفاض وحجاب يستر شعري.

يبتسم الطبيب وهو يتفحص الورم بيده ويراجع الأشعة الجديدة، بعدها ردد: (ما شاء الله...ما شاء الله...ما شاء الله) لقد استجاب الورم أخيرا للعلاج ونضبت سميته، وأصبح من الممكن إجراء العملية قريبا جدا... لا أخفيك سرا حدوث هذه الاستجابة صعب جدا، هل جربت دواء جديد من الخارج؟؟

ـ بالطبع جربت علاج جديد كتبه لي طبيب عظيم

اعتدل الطبيب من جلسته وهو يقول:

ـ ما هو العلاج وما اسم الطبيب العظيم؟

ـ العلاج هو «الاستغفار»، والطبيب هو «رسول الأذكار».



أحمد راشد البطل
كاتب وقاص

يكتفى بهذا القدر

يغلق التلفاز، يرقد منزويا بأحد الأركان، تتثاقل جفونه، يحاول أن ينسج أحلامه الوردية، وسعادته الأبدية، ولكنه لا يستطيع، تعترض تلك الإنذارات المؤكدة التي بثتها وكالات الأنباء وآثار القصف في المدن المجاورة موجاته المترددية، تتعلق حبيبته بأستار ذاكرته، فيظل متمسكا بها، يسحبها إلى بساتينه المزهرة وشطئان قلبه العامرة، ينهل منها كما يشاء، يرقصان مع الفراشات، وأسراب الحمام التي أظلتهما، وهدلت لهما لحن السعادة، تتلاشى منه شيئا فشيئا، ينفلت العقد، تطير هي، ويسقط هو فزعا، على موجة القصف التي يتوقعها ويخشاها الجميع.

لم يكن يتوقع أن تكون الكارثة بهذه السرعة، ترتجف أوصاله. ويعدو خارج المنزل بكل قوة، يصطدم الجميع بالجميع، يراهم يتساقطون أمامه، ولا يعلم كيف للموت أن يختار بكل دقة هذه اليمامات، ترمي به إحدى القنابل بضعة أمتار فيسقط مرة أخرى، يحاول النهوض، تتعثر ساقه بطفلة تحتضن ذراع أمها بفزع ورعب، محاولة الاختباء من هذا الدمار، وتشير إلى ما تبقى من أشلاء أمها على الجانب الآخر من الطريق، يخطفها مسرعا، لا يعرف وجهته، يحتضنها أكثر فأكثر، حتى يشعرها باطمئنان زائف، كم تمنى أن يشق نفسه، ويدخل هذه الطفلة وكل الأطفال من حوله بداخله، كي لا يشاهدوا الفاجعة.



هدأت موجة القصف الأولى للمدينة، بدأت سيارات الإسعاف في التقاط الأنفاس المتبقية، اندسا في أول سيارة، بدأ المسعف في عمله، يصلان للمستشفى، يتلقيان الإسعافات الأولية، ويحاول أن يطعمها قدر المستطاع، يستغرب كل هذه القوة التدميرية، اختفت ملامح الحياة في لحظات، أنين متقطع يصدر من أكوام الخرسانات، حتى المآذن الشامخة خارت قواها هي الأخرى، يسمع صرخات الطفلة تنادي أمها، فيحمد الله على نعمة الوحدة، فلا أم ولا أب ولا زوجة، لماذا لم يغادر البلاد مثل الكثير؟ دائما ما كان يراهن على تلك القلوب الرحيمة، لماذا لم تكوني يا نار بردا وسلاما على أطفالنا؟ لماذا كل هذا الإصرار على اغتيال البراءة؟ كيف ينعم أشقاؤنا بحياتهم وملذاتهم، ونحن في أتون النار؟ لماذا يصبون نيرانهم علينا، ويتركون أصحاب البنادق يديرون الصراع مع جنرالاتهم الملعونة.

أسئلة كثيرة تكومت برأسه، أمسك بها قبل أن تنفجر، طلب منه أحد المسعفين المغادرة لأحد المخيمات القريبة، خوفا من قصف المستشفى.

ارتادا أحد الباصات التي تنقل ما تبقى من أنفاس خائفة داخل المدينة، تختلط تلاوات الشهادة مع الأنين المكتوم بصدورهم، ينظرون إلى السماء بترقب، خوفا من غارة تالية تقضي على ما تبقى منهم، تتوقف الحافلة لاستقبال الفارين في الطرقات، يشاهد أحد الثوار عبر النافذة، يكتب على إحدى الحوائط: راجعين يا... لم يمهله أزيز الطائرات الذي أعلنت عنه السماء، أن يكمل الجملة، احتبست أنفاس الجميع، نظروا إلى السماء، نظر إلى الطفلة وسألها عن اسمها، نظرت إليه بابتسامة الراحة وقالت: شهباء.



عبد المجيد إبراهيم قاسم
باحث تربوي

بدايات أدب الأطفال

الأطفال كائنات رقيقة، تملأ نفوسها البراءة، وتفيض بكل المشاعر والأحاسيس الإنسانية، فهم يحبون ويكرهون، يفرحون ويحزنون، يتأملون ويحلمون، يخافون ويغضبون، وهم مفطورون على حب المعرفة، ويمتلكون دوافع قوية إلى التخيل والاستطلاع والاستكشاف، ويعرف عنهم عشقهم للاطلاع، وتوقهم لاكتشاف أسرار الحياة، وميلهم لكل ما يثير خيالهم، ويتحدى قدراتهم العقلية.

ومرحلة الطفولة تمتاز بتأثيرها العميق في حياة الإنسان، وبكونها أهم مراحل النمو في حياة الكائن البشري، وأكثرها تأثيرا في تكوين شخصيته، لأن فيها تتشكل معالم الشخصية الإنسانية، وتتبلور ملامحها واتجاهاتها، وترتسم الخطوط العريضة مستقبلا.

ولتحقيق الغايات الكبيرة التي رسمتها الشعوب لمستقبلها، ومع التطورات التي رافقت النظريات التربوية، أصبح إيلاء الأطفال الاهتمام والرعاية يتصدر سلم الأولويات بالنسبة لها، وبدأت هذه الشعوب بالبحث عن وسائل أو وسائط تتيح لأطفالها الفرص المتنوعة، لأن يمارسوا طفولتهم المشغولة بحب المعرفة والاستكشاف والحرية، وسائل تتيح لهم التعبير عن أنفسهم، وتؤمن جزءا من احتياجاتهم، ومن جهة أخرى تكون قادرة على استثارة قدراتهم وتفاعلهم، وإكسابهم المهارات الكافية في مواجهة الحياة، وليس أفضل من أدب الأطفال، كوسيلة تربوية تثقيفية لإرضاء هذه الميول والدوافع لديهم، واستثمارها لأقصى حدودها الممكنة.

يمثل أدب الطفولة دعامة من أهم دعائم ثقافة الأطفال، ورافدا من أغزر روافد نهرها المتدفق، إذ يسهم إسهاما فعالا في بناء الشخصية الطفلية، وتنمية مكوناتها وقدراتها، من خلال تحقيق جملة من الوظائف التعليمية والتربوية والأخلاقية، ولهذا الأدب أسس ومعايير واضحة، لعل أهمها: أنه يراعي في تقديمه الخبرات؛ قدرات الأطفال ومستوياتهم الفكرية والمعرفية واللغوية، بهدف تحقيق تربيتهم تربية متكاملة ومتوازنة من جميع الجوانب، والاهتمام بهذا النوع من الأدب هو وليد الاهتمام بالطفولة أولا، ومحصلة لمبادئ التربية الحديثة ونظرياتها التي أولت جل الاهتمام بالشخصية الطفلية ككل، دون إهمال أي جانب من جوانبها ثانيا.

كما تتعدد الأهداف التي يسعى لتحقيقها وتتنوع، فهو يقدم المعارف التي تنمي قدرات جمهوره العقلية والتعبيرية، وتغني أفكارهم وتوسع مداركهم وأخيلتهم، ويسعى إلى تهذيب وجدانهم، وغرس القيم التربوية الإيجابية، وإثارة العواطف الإنسانية السامية في نفوسهم، وإكسابهم بعض المهارات الاجتماعية، يضاف إلى ذلك توفير أجواء من المتعة والبهجة والتسلية.

تعود جذور هذا الجنس الأدبي الحديث نسبيا إلى أساطير وخرافات، وحكايات شعبية قديمة، وإلى بطولات ورحلات، ونوادر وحكم، وأغان وهدهدات، وإلى مختارات من حوادث وأخبار، شغلت أذهان الناس، وتركت تأثيرا في حياتهم، فتواترت عبر الأزمنة، وتناقلتها الألسن شفاهيا من جيل إلى آخر، وظهرت آثار - هذا الأدب - على شكل منظومات وحكايات، صاغها بعض الكتاب بأساليبهم، ونسجوا كتاباتهم اعتمادا على أشكالها الأصلية.

تعود أقدم الآثار الأدبية إلى حكايات «البانجاتانترا» الهندية، المكتوبة بلغة الهند القديمة، وإلى الحكايات التي رويت على لسان (بيدبا الحكيم) وعرفت بحكايات «كليلة ودمنة» ويرى فيها كثير من الباحثين بأنها أجزاء من البانجاتانترا، أو إعادة صياغة لها، وهي تؤلف من مجموعة الحكايات التي نقلها عبد الله بن المقفع، من اللغة الفارسية القديمة إلى العربية في القرن الثامن الميلادي، ومنها انتشرت إلى لغات أخرى، ويذكر في هذا المقام حكايات إيسوب اليوناني الذي عاش في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، هو صاحب المجموعة الخرافية التي سميت باسمه، والتي تضمنت حكايات ومغامرات وقصص عن الحيوان، نظمها شعرا بأسلوب قصصي.

في فترة القرون الوسطى انتشرت في أوروبا الخرافات والأساطير، وحكايات الجنيات والسحرة، والقصص الشعبية، وحكايات الحيوان، والأغاني انتشارا واسعا، وكانت آثار الأساطير القديمة والأشكال الأدبية تلك مصدرا استلهم منها الكتاب - آنذاك - الكثير، دون أن يكون الأطفال هدفا لكتاباتهم بشكل صريح.

بظهور المطبعة المنسوب إلى الألماني غوتنبرغ، والتي أحدثت طفرة في عالم الكتابة، تأثرت بها مسألة نشر كتب الأطفال بوصفها جزءا من المعرفة بشكل عام، وكان «خرافات إيسوب» أول كتاب يطبع للصغار عام: (١٤٨٤م) ، ثم طبعت كتيبات للأغاني، وظهرت في أوروبا ما دعيت بالألواح، ذات الغايات



التعليمية، والتي ضمت الأبجدية والأرقام، وانتشرت بعض الكتب ذات الأهداف الدينية والأخلاقية، كانت غايتها التعليم أيضا.

من أشهر كتب التعليم للأطفال في أوروبا كتاب: «العالم المرئي» الذي وضعه المعلم التشيكي: جون آموس، عام: (١٦٥٨م) والذي يقال بأنه أول كتاب مصور للأطفال، وكان آموس أول من آمن بضرورة تسلية الطفل إلى جانب تعليمه، وأكد على أهمية دور الرسوم في اجتذابه للتعليم، وظهر جان دي لافونتين، الذي عاش بين عامي: (١٦٢١-١٦٩٥م)، وهو الذي يدين له العالم لكونه صاحب البذرة الأولى لأدب الأطفال، حيث صاغ شعرا (٣٣٩) منظومة، استمدها من حضارات قديمة، ونشرها في اثني عشر كتابا أسماها: «أمثال لافونتين الشعرية» شكلت تطورا حقيقيا في مسيرة أدب الأطفال.

والحقيقة أن تلك التجارب وغيرها لا تخفي حقيقة ندرة ما كان يوجه للصغار، وقلة الاهتمام بتدوين الشفاهي منه عند معظم الشعوب، وأن نسبة تلك التجارب - المتناثرة عبر أزمنة طويلة - ضئيلة جدا قياسا بالنسبة إلى تطور الأدب بشكل عام، مما يدلل على تجاهل أهمية مرحلة الطفولة، ودونية النظرة إليها، واعتبار الطفل مجرد راشد صغير، عليه أن يفكر ويتعامل مع الأشخاص والأشياء بذهنية الراشد.

وبحلول عام: (١٦٩٧م) تاريخ صدور كتاب: «الأم الإوزة» للفرنسي شارل بيرو، أول مجموعة قصصية كتبت خصيصا

للأطفال، دخل هذا الأدب، في مرحلة جديدة من تاريخ تطوره، إذ اعتبر هذا الحدث تاريخا مفصليا في مسيرته بكل المقاييس، وإلى فرنسا أيضا - يرجع الدارسون - بدايات فن مسرح الطفل، وبالتحديد للمسرحيات التي كانت تكتبها وتقدمها السيدة ستيفاني دوغينيلي، لأطفال طبقتها الراقية، عام: (١٧٨٤م)، إضافة إلى صدور أول صحيفة للأطفال فيها حملت اسم: (صديق الأطفال).

في معرض حديثه عن الأطوار الرئيسية الثلاثة التي مر بها أدب الأطفال خلال مسيرة تطوره، يقول الدكتور علي الحديدي، في كتابه: «في أدب الأطفال» الصادر عن مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (١٩٩١م): يبدأ الطور الأول، عام: (١٦٩٧م) بصدور كتاب بيرو، والذي أثار حركة أدبية نشطة، دفعت الأدباء إلى البحث والتنقيب في الآداب الشعبية الأوروبية، والاهتمام بحكايات الأطفال، وكذلك بانتشار حكايات (ألف ليلة وليلة) في أوروبا بعد ترجمتها فتأثرت بها قصص الأطفال تأثيرا كبيرا.

وفي انجلترا بدأ أدب الأطفال الحقيقي بظهور جون نيوبري، ناشر كتب الأطفال، ثم صدور المجموعة القصصية «أليس في بلاد العجائب» لـ: لويس كارول، وفي ألمانيا الأخوان جريم، صاحبا حكايات «الأطفال والبيوت» وفي الدنمارك: هانز كريستيان أندرسون، رائد أدب الأطفال في أوروبا، وفي روسيا الشاعر بوشكين، الذي كتب أشعارا للأطفال وتولستوي، وقصصه التي كتبها لهم.

يرى كثير من الباحثين إن معظم ما وصلنا من الكتابات التي بدأ بها هذا الأدب،لم تكتب للصغار أصلا، إنما وجدوا فيها ما يشبع خيالاتهم، الأمر الذي يحيلنا إلى فكرة التداخل بين أدب مكتوب خصيصا للأطفال، وأدب لم يكتب لهم كفئة متمايزة، لكنه لاءم بعض مراحل أعمارهم ولاقى رواجا بينهم، حتى عدت - تلك الكتابات - من الأدب الخاص بهم، ذلك لما تميزت بها من روح المغامرة والتحدي، وما حملته من مواقف مثيرة للخيال، فقد ظهرت أعمال أدبية عدت من روائع الكتابات للأطفال،لم يكن القصد منها التوجه لهم بالأساس، مثل: «رحلات جيلفر» للأيرلندي جوناثان سوفيت، التي تضمنت مجموعة من القصص تحكي عن رحلات إلى بلاد خيالية سحرت الأطفال، و«روبنسون كروزو» لـ دانيل ديفو، و«البؤساء» لـ فكيتور هوغو، و«دون كيخوته» للاسباني ثربانتس، وبعض أعمال الروائي الفرنسي جول فيرن.

أن أدب الأطفال الذي اعتمد في بداياته النقل والاقتباس عن الحكايات والأساطير الشعبية،لم ينتشر - عموما - بين جمهوره، الذي لم يعرف قبل أن يتبلور أدب خاص بهم سوى ما تناقلته الألسن وحفظته الصدور، أو ما يسمى بالأدب الشفاهي، فكان الرواة يسردون أساطير الأبطال وحكايات وأقاصيص عن عوالم مدهشة، إلى جانب الألغاز والأمثال والترقيصات والأغاني الشعبية، وغيرها من المأثورات الشعبية التي خاطبت الطفولة المفطورة على التفاعل، ودأب الأجداد والآباء والجدات والأمهات على سردها للأبناء والأحفاد، الذين كانوا يستمعون بلهفة وشوق، ولتشكل - بمجملها - جانبا أساسيا من حصيلة الأطفال المعرفية، ومصدرا هاما في تشكيل وعيهم وإغناء خبراتهم وإثراء وجدانهم، إضافة إلى كونها وسيلة لإمتاعهم وتسليتهم، ومن جهة أخرى رفدت تلك الأشكال المتنوعة التي تواصلت من خلالها الشعوب مع أطفالها، وتناقلت موضوعاتها الألسن جيلا بعد آخر، رفدت أدب الأطفال بزخم هائل من الثراء، ودونت في سجله علامة فارقة، حتى عد الأدب الشفاهي أهم مصادر الأدب الطفلي، ولا يزال.

ثم كتب هذا الأدب في مراحل لاحقة بالطريقة التي كتب بها للكبار، فساد طابع الإرشاد، وتغلب مبدأ الوعظ والوصايا، فكان أقرب إلى الإنشاء والارتجال، وقد تركزت أهداف أدب الأطفال - آنذاك - على الجانب المعرفي عند الطفل، وانحصرت دعوته إلى القيم والأخلاق الحميدة، إضافة إلى المتعة والتسلية.

أما الطور الثاني في مسيرة تاريخ أدب الأطفال العالمية - بحسب الحديدي - فظهر بعد الحرب العالمية الأولى، رافقت هذه المرحلة الدراسات المنهجية حول علم نفس الطفل، كما برز الاهتمام بالطفل ككائن مستقل، وبدأ الاهتمام بالطفولة على جميع المستويات ولدى جميع الهيئات، أما الطور الثالث فبدأ بعد الحرب العالمية الثانية، وانطلق أدب الأطفال إلى عصره الذهبي في العالم المتقدم، والحقيقة أن العصر الذهبي لم يتحقق إلا بفعل التغييرات التي طرأت على النظريات التربوية والعلمية والحقوقية في العالم، والتي نشأ معها اختلاف النظرة إلى الطفولة، وإحاطة الأطفال بالعناية البالغة والاهتمام الخاص من مختلف النواحي والاتجاهات، مما دفع بأدب الأطفال في مسارات منفتحة، حتى بلغ ذروة مجده في النصف الثاني من القرن العشرين.

شذرات

عمرو طه
قاص مصري

فنحن حين نرى زهرة وسط الصحراء، نعجب بها، أما إذا عشنا محاطين بالأزهار الجميلة فإننا لا نكترث للأمر. إذ تفقد الأزهار كل معاني تميزها وتفردها. إنها ضريبة الكثرة.
أفونسو كروش

عُشبة تُميلُها الريح
عُشبة تعدِلُها الريح
هكذا عِشت حياتي
تيري كازال

ليس أحدٌ من الناس إلا وفيه من كل طبيعة سوء غريزة، وإنما التفاضلُ بين الناسً في مغالبة طبائع السوء.
ابن المقفع

الطرقات مضاءة بشكلٍ جيد. لكن الجميع تائه.
تولستوي

إن المرءَ مع من لا يفهمهُ سَجينُ.
شمس التبريزي

ما من إهانة أكثرُ قسوة توجهها لإنسان، من رفضكً التصديق بأنه يُعاني.
تشيزاري بافيزي

الوقت الإنساني لا يسير في شكل دائري بل يتقدم في خط مستقيم. من هنا، لا يمكن للإنسان أن يكون سعيدا لأن السعادة رغبة في التكرار.
كونديرا



محمد حمد الحسن
باحث شرعي

قراءات نصية في كتب معاصرة

«علاقة علم أصول الفقه بسائر العلوم من خلال قراءاتي في سلسلة مفاتيح العقول»

كان أستاذنا الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله يقول: إن علم أصول الفقه هو حديقة العلوم التي جمعت من كل فن أحسنه وأبدعه؛ ففيه بحوث بديعة تتعلق بعلوم اللغة، والنحو، والمنطق، والكلام أو التوحيد، والحديث.

ويضيف الشيخ رحمه الله تعالى قائلا: «إن هناك حاجة ماسة في عصرنا لإعادة الكتابة في أصول الفقه بحيث يجعل منه علما حيويا ممتد الأعصاب والجذور إلى جميع شؤون الحياة...»[1].

وقد تحدثت في مقال سابق عن إعادة الكتابة في هذا العلم بما يجعله علما حيا تمتد جسوره إلى خارج القراطيس التي حبس فيها لفترة من الزمن، وتشكل راصدا حيويا لكل ما يجري على الساحة العلمية من فتاوى أحيانا، وافتئاتات في أحيان أخرى، وهذا ما رمى إليه مؤلف كتاب (المرصاد؛ رصد الافتئات على القرءان والسنة بالقواعد الأصولية).

وعلى جهة أخرى فقد قابل هذا التجسير تجذير لهذا العلم الذي امتدت جذوره، وابتعدت في جهات الأرض الأربع تتشرب من سائر العلوم ما يغذي مسائله؛ لتبقى -كما ينبغي لها- حية متجددة مغذية للاجتهاد الفقهي الذي يحتاج إليه في كل عصر تتجدد فيه النوازل، فكان من نتاج هذا التنوع في مصادر علم الأصول أن اشتمل على أنساق معرفية متنوعة، غير أن عبقرية الأصوليين جعلت من هذا التنوع تكاملا يجري في تناسق عجيب؛ فخدموا علوم المقاصد في الشرع الحنيف باستخدام ما احتاجوا إليه من علوم الآلة.

إن أول ما يخطر بذهن القارئ إذا تحدثنا عن أصول الفقه من حيث كونه ضابطا لفهم التشريع، ومؤسسا لقواعد تنزيل أحكامه على الوقائع، أن يتساءل: هل يكون هذا العلم بذلك

بديلا عن السنة والأخذ بظاهرها؟ وهل علينا أن نفهم الخلاف بين الأصوليين والمحدثين ضمن هذه الرؤية؟ أم هو اختلاف في كيفية الاستفادة من نصوص السنة وطرق ثبوتها للاحتجاج بها -لا عليها-.

ألم يكن هذا الخلاف بين علماء خدموا النصوص تارة بالإسناد وتارة بفهم المعنى المراد من النص المنقول؟ ألم يكن المؤسس الأول لعلم أصول الفقه -من حيث وضع اصطلاحاته وتدوين ما تفرق من مسائله- هو نفسه الذي لقب بناصر السنة لنصره الأخذ بخبر الواحد؛ وهو الإمام الشافعي؟

وإذا تخيرنا من كتاب «اختلاف الأصوليين مع المحدثين في المسائل الحديثية وأثره» مسألة تصلح مثالا على هذا الخلاف، فلا شك أن مسألة الاحتجاج بالحديث المرسل ستكون أول ما يخطر ببال باحث في مشتركات هذين الفنين، وهي مسألة فيها ما هو أبعد من سبب الخلاف بين المحدثين والأصوليين؛ إذ هي دليل واضح على كمون علم أصول الفقه في أذهان المجتهدين قبل تدوينه واستقراره، فقد احتج أبو حنيفة ومالك ومن تبعهما بالحديث المرسل، ولم يتكلم فيه أحد قبل الشافعي كما قال أبو داود في رسالته إلى أهل مكة: «وأما المرسل فقد كان يحتج به العلماء فيما مضى مثل: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي حتى جاء الشافعي فتكلم فيه»[٢].

ولا شك أن احتجاج الأسبقين بالحديث المرسل، وكلام الشافعي فيه، قد سبق استقرار علم أصول الفقه، كما سبق استقرار اصطلاح الحديث؛ فإن أكثر المحدثين من بعدهم لم يحتجوا بالمرسل كما حكاه ابن عبد البر في مقدمة التمهيد، ونقله العراقي في شرح ألفيته[٣]، فلزم أن يكون هذا الاختلاف بين الأقدمين من حيث كونهم مجتهدين اختلفوا في كيفية إثبات النصوص والاحتجاج بها، وذلك قبل التمايز الاصطلاحي بين الأصوليين والمحدثين.

وقد انطلق المؤلف بعد ذلك من خلال «شرح ألفية العراقي في الحديث» ليبحر في سائر مسائل الاختلاف بين الأصوليين والمحدثين؛ من إفادة خبر الواحد العلم النظري بشروطه التي كانت محل خلاف ونظر بين العلماء حتى استقر رأي ابن حجر في نخبته على القول به، وقد ذكرته في نظمي للنخبة، فقلت:

وقد يفيد العلم أعني النظري
آحادها واختاره ابن حجر

ثم عرج على مسائل زيادة الثقة، وقول الصحابي: (كنا نرى كذا) أو: (من السنة كذا) هل يعتبر مرفوعا؟ حتى استقر مركبه في نتائج هذه الاختلافات وآثارها في التشريع الإسلامي.

وأما في جهة استفادة الأصوليين من علم المنطق بما يخدم غرضهم وغايتهم فيه، فإن أبرز مشتركات علم الأصول وعلم المنطق هي قضية الحجاج ومبناها على القياس بأنواعه، فظهرت عبقرية الأصوليين في توظيف هذا القياس -وهو قول مؤلف من قضايا إذا صدقت لزم عنها لذاتها قول آخر- في حجاجهم على ما أرادوا إثباته في القضايا الأصولية.

وقد ضرب كتاب «عبقرية الأصوليين في توظيف القواعد المنطقية» أمثلة تطبيقية من جميع أنواع القياس، ومنها: توظيف القياس الاستثنائي المتصل -وهو ما كانت مقدمته الكبرى شرطية متصلة- في إثبات صحة الصلاة في الأرض المغصوبة، فلو أنا لم نصحح اجتماع الأمر بالصلاة، والنهي عنها في المغصوبة؛ لكان سبب عدم هذه الصحة هو اتحاد متعلقي الأمر والنهي، والتالي غير صحيح فالمتعلقان غير متحدين؛ إذ الأمر بالصلاة لا علاقة له بالنهي عن إيقاعها في المكان المغصوب؛ فنتج عن بطلان هذا التالي بطلان المقدم وهو عدم صحة الصلاة في الأرض المغصوبة، وتبين أن الفائدة من النهي مجرد الإثم، لا عدم الصحة[٤].

وهذا على طريقة قوله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا﴾ (سورة الأنبياء:٢٢)، فإن استثناء حصول التالي وهو فساد السماوات والأرض -لبطلانه- مستلزم لبطلان المقدم وهو تعدد الآلهة، فثبت وحدانية الله تعالى.

وهنا نحط رحال هذا الإبحار في علاقة الأصول بسائر العلوم خدمة وتوظيفا، على أن هذا الباب لا يكاد ينتهي عند هذا الحد؛ فعلاقة الأصول بخبايا اللغة -مثلا- تستحق أن يكتب فيها ما يضيء على هذه الخبايا.

الهوامش

١- د. وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي -دار الفكر: (ص/١٢٠٩)

٢- رسالة أبي داود إلى أهل مكة: (ص/٢٤)، دار العربية-بيروت، بتحقيق محمد الصباغ.

٣- أ.د. ياسر عجيل النشمي/ اختلاف الأصوليين مع المحدثين في المسائل الحديثية، الطبعة الأولى دار المرقاة: (ص/٤٦-٤٦).

٤- أ. د. ياسر عجيل النشمي، عبقرية الأصوليين في توظيف القواعد المنطقية: (٤٦/٤٧)، دار المرقاة/الطبعة الأولى.



حسن بن محمد
باحث وكاتب

دور المتاحف في حفظ التراث الإسلامي

يحتل المتحف اليوم مكانة مميزة في الحياة الثقافية والعلمية والسياحية في كل دول العالم، وهو يساهم في التعريف بالمجتمع وبمختلف أنماط الحياة التي كانت سائدة فيه وبالعادات المتنوعة وجذورها التاريخية والحضارية، وبذلك فهو يحفظ الذاكرة الجماعية ويعمل على ربط الأجيال الجديدة بماضيها.

ولقد عرفت المتاحف الإسلامية في السنوات الأخيرة اهتماما بالغا من قبل جل الدول الإسلامية، وأصبحت تحتل مكانة مميزة داخل المجتمع، ذلك أنه وإلى جانب حمايتها للتراث وللموروث الثقافي والديني أصبح لها دور اقتصادي وتنموي مهم من خلال ما تقدمه من فعاليات ومعارض وزيارات للسياح والتي تقيمها للتعريف بالمآثر الإسلامية وبالتالي تساهم في خلق رواج اقتصادي كبير.

إن المتاحف الإسلامية هي المكان الذي يتم فيه حفظ التراث



الإسلامي بمختلف مكوناته والذي يعكس التنوع الثقافي والفني والتربوي الإسلامي، ولقد أصبحت تشكل مركزا مهما لحفظ الأعمال الفنية الإسلامية ذات القيمة التراثية والتي تعتبر تراثا شاهدا على تاريخ حافل بالرقي والازدهار وتم تخليده داخل هذه المتاحف لتستفيد منه الأمة في حاضرها ومستقبلها، ولذلك كان من أهم وظائف هذه المتاحف هو التعريف بالتراث الإسلامي في إطار ثقافي وحضاري يتأقلم مع حاجيات ومتطلبات العصر.

ولم تعد مهمة المتحف الإسلامي منحصرة كما في السابق في حفظ التراث وصيانته من الضياع والتلف، بل إنها تعمل على المساهمة في تحقيق التنمية داخل المجتمعات وفي بناء الاقتصاد المتكامل.

وتعتبر اليوم السياحة، خصوصا الثقافية والقائمة على المتاحف والمعالم الأثرية، أحد أهم القطاعات الاقتصادية المزدهرة في العالم، وهي تساهم وبشكل كبير في تنمية وتطوير اقتصادات البلدان، وأصبح هذا القطاع من أهم القطاعات التي تعتمد عليها الدول من أجل المساهمة في رفع مستوى النمو الاجتماعي والاقتصادي للوصول إلى التنمية الاقتصادية المطلوبة، خصوصا أن المنطقة العربية والإسلامية تزخر بالعديد من المعالم الأثرية والتحف الفنية التي خلفتها كثرة الحضارات التي مرت بهذه بالمنطقة وسادت فيها ولعدة لقرون من الزمان، خصوصا الحضارة الإسلامية.

ونظرا لما تحتوي عليه المتاحف الإسلامية من تراث عريق وحضارة متميزة فقد أصبحت عنصرا مهما من عناصر الجذب السياحي، حيث أصبحت قبلة للسائحين في محاولة للتعرف إلى عادات وتقاليد أهل المشرق وعلى الحضارة الإسلامية والثقافة التي ميزت تاريخ أمتنا العريق مما يسهم في خلق رواج اقتصادي مهم، واليوم يعتبر التراث العربي والإسلامي من أكثر التراث الإنساني تنوعا وحضورا في أكبر متاحف العالم ولقد حقق الكثير من أرقام المبيعات القياسية في المزادات العلانية.



عبد المعز محمد حباشي
بكالوريوس التربية الرياضية

مجمع عبدالله عبداللطيف العثمان امتداد للعمل الخيري الكويتي

من المعلوم لدى الجميع في العالم كله، وهو ما لا يخفى على أحد الدور الريادي الذي تقوم به دولة الكويت في العمل الخيري بمختلف أنواعه، فلا يكاد يخلو أي عمل إنساني في العالم من بصمات العمل الخيري الكويتي المباشرة وغير المباشرة.

ولقد ازدهر العمل الخيري لدولة الكويت في عهد أميرها الراحل سمو الأمير الشيخ الصباح الجابر الأحمد الصباح «رحمه الله» فلقد ضرب أروع الأمثلة في الاهتمام بالعمل الخيري، سواء داخل الكويت أو خارجها، فعند النظر في سيرته تجده رجل محب للعمل الإنساني، كثير الإنفاق على العمل الخيري، من بناء مساجد ومستشفيات ومنازل ومساندة طلاب العلم على مستوى العالم، وخاصة طلاب العلم الشرعي، وتجده أيضا مساندا لدول العالم في كوارثها، فلا تكاد تمر حادثة ما في أي دولة من الدول إلا وتجده مسرعا في إرسال المعونات والقوافل الطبية، حتى لقب في العالم كله بأمير الإنسانية، وبفضل أعماله أصبحت الكويت رمزا للعمل الخيري في العالم.

ومع هذا كله لم أكن أتوقع أن تكون بصمات الخير الكويتية قريبة مني شخصيا إلى هذا الحد، ففي زيارة لي لمكتبة الأزهر الشريف، فرع القرنة، بمحافظة الأقصر، للاطلاع على بعض الكتب والمراجع الموجودة بها، أفاجأ عند

دخولي للمكتبة بلافتة مكتوب عليها: (مجمع المرحوم عبدالله عبداللطيف العثمان) تساءلت: من هو ذلك الشخص؟ وأليست هذه المكتبة من إنشاء الأزهر الشريف؟!

وبعد أن قمت بالدخول للمكتبة العريقة وتفحصي لأروقتها أثناء الزيارة التي لم تستمر لأكثر من ساعة، حرصت كل الحرص على مقابلة أحد الموظفين بها، لأقوم بالاستفسار عن ما يجول في خاطري بشأن هذه المكتبة، وبعد حديثي معه تبين لي أن هذا الصرح تم إنشاءه على نفقة دولة الكويت ورجال الخير بها بتكلفة (٤) ملايين جنيها مصريا، وعلى مساحة (١٠) آلاف متر مربع تقريبا.

وتم افتتاحه في يوم الأربعاء الموافق (١٤/ مارس/ ٢٠١٥م)، وبحضور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وسعادة السفير سالم غصاب الزمنان سفير دولة الكويت بالقاهرة آن ذاك والسيد محافظ الأقصر ورجل الأعمل الكويتي عدنان عبدالله العثمان والسيد نائب مدير عام بيت زكاة المال الكويتي ولفيف من علماء الأزهر الشريف ورجال الخير والثقافة.

وعند الحديث بشيء من التفصيل عن مجمع عبدالله عبداللطيف العثمان الخيري فهو يقع بمدينة القرنة غرب محافظة الأقصر بجنوب مصر، ويتكون من مبنيين خدميين تتعد استخداماتهما في خدمة المجتمع في العديد من المجالات الدينية والصحية والثقافية وغيرها، وللتوضيح أكثر حول استخدامات المجمع أذكر كل مبنى خدمي منفردا بشيء من التفصيل حسب ما توصلت إليه من معلومات حول المجمع، وهو كالتالي:

المبنى الأول: فهو من حيث الشكل يشبه في هندسته المعمارية إلى حد كبير الشكل الذي يستخدمه الأزهر في بناء المعاهد الأزهرية، ومن حيث التجهيز فهو مبنى مجهز بكل التجهيزات المطلوبة فهو مجهز بأحدث الأجهزة التي تستخدم في التدريب وعرض المواد العلمية وحفظ واستقبال الطلبات التي تقدم من الزائرين له، وأما حيث الخدمات التي يقدمها لزائريه فهو يقدم العديد من الخدمات ويستخدم في أكثر من غرض كما يستخدم كمقر للعديد من الجهات الخيرية والثقافية، أذكر منها ما استطعت معرفته وجمع المعلومات عنه، وهي كالتالي:

● مقر لفرع من فروع المكتبة المركزية للأزهر الشريف، وهي معروفة باسم «المكتبة المركزية للأزهر الشريف- فرع القرنة» وهي مكتبة ضخمة تحتوي على آلاف الكتب والمراجع في شتى المجالات والثقافات والعلوم الإنسانية، وتعد أكبر مكتبة في صعيد مصر، حيث تضم بداخلها العديد من الأروقة، وتحظى باهتمام بالغ من الكثير من الوزارات والهيئات ورجال العلم والثقافة داخل وخارج مصر، كما تحظى باهتمام بالغ من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، لما لها من دور ريادي في تقديم العلم لروادها، فقد قام فضيلة شيخ الأزهر بإهداء المكتبة نسخة طبق الأصل من أول مصحف في الإسلام، وقام أيضا بالتبرع لمكتبة المجمع بمكتبته الخاصة، والتي تضم نحو «٩٨٨٨» كتابا.

وفي السياق نفسه قامت المكتبة المركزية للأزهر الشريف بالقاهرة «الفرع الرئيسي» بإهداء المكتبة نحو «٢٨٧٦» كتابا، وأهدى أيضا الأستاذ الدكتور عبدالله زايد أستاذ اللغة العربية للمكتبة عدد «٢٥٥٩» كتابا.

كما تسلمت إدارة المكتبة من الدكتورة سعاد صالح أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر والشيخ عباس منصور من علماء الأوقاف ما يقرب من «٢٠٠٠» كتابا ما بين مطبوع ومخطوط، في علوم القرآن والحديث والفقه وأصوله والتاريخ والفلسفة واللغة والأدب.

كما يرسل مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف العديد من الكتب التي يصدرها بشكل سنوي وكذلك يرسل مكتب إحياء التراث بمشيخة الأزهر نسخة من إصداراته بين الحين والآخر، وكذلك تحرص أسرة تحرير مجلة الأزهر، على أن ترسل بعض النسخ من كل عدد لها في مطلع كل شهر هجري لتكون في متناول رواد المكتبة.

ولتحافظ المكتبة على دورها الريادي في حفظ التراث ونشر الفكر الوسطي قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتكليف مجموعة من رجال الأزهر البارزين بعمل فحص شامل، لما تحتويه المكتبة



من كتب ومخطوطات ووضع تقرير مفصل بذلك، واستمرت اللجنة حوالي (١٥) يوما في فحص ما تحتويه المكتبة، ويقوم أيضا فضيلة شيخ الأزهر وبعض من قيادات الأزهر بالمرور بين الحين والآخر على المكتبة لمتابعة سير العمل بها وللاطلاع على بعض الكتب التي تحتوي عليها المكتبة.

وجدير بالذكر أن نسخة المصحف التي أهداها فضيلة شيخ الأزهر لمكتبة الأزهر بالمجمع، هي نسخة طبق الأصل من أول مصحف في الإسلام، والذي ينسبه البعض للخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه والذي يطلق عليه مصحف «طوب قابي»، وهي معروضة الآن في إسطنبول.

- دار لتحفيظ القرآن الكريم حيث يحتوي المجمع على دار مجهزة بقاعة ومصاحف مختلفة الروايات والأحجام والعديد من كتب التجويد والقراءات والتفاسير، وذلك لتمكين الطالب والمعلم من الحفظ الجيد واتقان القراءة ومعرفة الحكم والمعنى للآية.
- مقر للرواق الأزهري: والرواق الأزهري هو مشروع علمي غير هادف للربح تابع للأزهر الشريف، يتم فيه تدريس علوم الشريعة الإسلامية وأصول الدين واللغة العربية وتحفيظ القرآن للجميع دون التقيد بسن أو فئة معينة، ويتم التدريس فيه على يد عدد من رجال الأزهر المتمكنين في التخصص، حيث يتم تمكينهم من التدريس في الرواق بعد إجراء الاختبارات التخصصية لهم، ويعمل الرواق الأزهري بنظام الفترتين فترة بالصباح والأخرى بالمساء، حيث تم تكليف لجنة من الأزهر الشريف لتقوم بفحص المجمع للوقوف على مدى جاهزيته لفتح فرع للرواق الأزهري به وحضرت اللجنة برئاسة السيد الدكتور مدير إدارة الجامع الأزهر وتم اعتماد فرع للرواق الأزهري بالمجمع.
- مقر للجنة الفتوى الفرعية التابعة للأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية، حيث يتم من خلالها الإجابة على أسئلة واستفسارات المستفتين على يد رجال الفتوى المتخصصون، وذلك للحد من عشوائية الفتوى، وتوضيح صحيح أحكام الدين، وكذلك العمل بالتنسيق مع لجان المصالحات على التوفيق في الخصام وانهاء العداوات الثأرية، وكذلك العمل مع لجنة «لم الشمل» التابعة للأزهر في التوفيق بين الأزواج والحد من حالات الطلاق والتشتت الأسري.
- مقر فرعي لبيت الزكاة والصدقات المصري الذي يشرف عليه فضيلة شيخ الأزهر، والذي يعد أحد القنوات الشرعية الآمنة للزكاة والصدقات، حيث يعمل على تقديم المساعدة للمحتاجين بمختلف أنواعها، سواء كانت مالية أو عينية، وذلك بعد دراسة الحالة والخروج لمعاينتها ميدانيا، للتأكد من استحقاقها للمساندة أو كذلك المساهمة في دعم مؤسسات المجتمع المدني، وأيضا يتم من خلاله جمع التبرعات والصدقات والزكاة بأنواعها من ميسوري الحال.



● يحتوي المجمع على قاعة مجهزة بأحدث أجهزة ويتم استخدامها في عقد بعض الدورات لأبناء المجتمع في مختلف المجالات مثل مجالات تكنولوجيا المعلومات وغيرها وكذلك يتخذها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر مقرا لعقد الاجتماعات الافتراضية، مع قيادات الأزهر ومجلس حكماء المسلمين، وكذلك يستخدمها في تصوير برنامجه الرمضاني الشهير، وذلك لجاهزيتها وقربها من منزله.

ويستخدم المجمع أيضا في عقد العديد من الاجتماعات واللقاءات وتقديم الكثير من الخدمات، ولكن بشكل غير دائم، ومن هذه الاستخدامات ما يلي:

يستخدم المجمع في عقد الدورات التدريبية والمحاضرات التثقيفية التي تقدمها المنظمة العالمية لخريجي الأزهر فرع الأقصر.

يستخدم في عقد اجتماعات بيت العائلة المصرية والذي يعمل على التوفيق والتآلف بين جميع أطياف المجتمع.

يستخدم في عقد الاجتماعات والمحاضرات التي تعقدها وزراة التضامن لسيدات الصعيد وخاصة الأقصر.

يقيم المجمع بعض الأمسيات والمسابقات الدينية بشكل يومي لأحياء ليالي شهر رمضان المبارك.

يكرم المجمع الموهوبين في الخطابة والشعر وحفظة القرآن من أبناء الأقصر بالتنسيق مع وزارة الثقافة.

يقيم المجمع مشروع تحدي القراءة العالمي والذي ترعاه دولة الإمارات العربية المتحدة بالتنسيق مع الأزهر ووزارة التربية والتعليم.

كما تتم عقد العديد من الزيارات للمجمع من قيادات الأزهر الشريف للوقوف على ما يمكن تقديمه للمجمع من خدمات، كما يتم عقد رحلات بشكل متكرر لطلاب جامعة الأزهر بالقاهرة سواء الوافدين أو المصريين وكذلك الجامعات الأخرى بمصر، كما استقبل المجمع وفدا من الجالية المصرية بالولايات المتحدة الأمريكية في زيارة رسمية له وكان في استقبالهم إدارة المجمع واللجنة التي عقدة لفحص ومراجعة مكتبة المجمع وقد نال المجمع على إعجابهم من حيث التنظيم والخدمات التي يقدمها.

المبني الثاني:

أما المبنى الثاني فهو وحدة متكاملة لطب الأسرة تم ضمه مؤخرا من قبل وزارة الصحة والسكان المصرية لمنظومة التأمين الصحي الشامل، ليصبح بذلك مستشفى متكامل الخدمات يخدم أبناء القرى المحيطة به.

وجدير بالذكر أن المبنى الأول من المجمع والذي يشمل المكتبة المركزية والأروقة وفرع بيت الزكاة ولجان الفتوى وغيرها يتبع من الناحية الإدارية والتنظيمية للأزهر الشريف، ويتم العمل فيه بشكل يومي، فالمكتبة يستمر العمل فيها طوال أيام الأسبوع على فترتين: فترة بالصباح والأخرى بالمساء.

وأما الرواق الأزهري فهو يعمل في أوقات معينة حسب ما تراه مشيخة الأزهر وعلى فترتين أيضا.

أما المبني الثاني وهو المركز الطبي فهو يتبع وزارة الصحة والسكان المصرية، ويستمر العمل فيها بشكل دائم على مدار (٢٤) ساعة، وحري بالذكر أن جميع الخدمات التي يقدمها المجمع تقدم بشكل مجاني لجميع الجمهور دون شروط.

وفي النهاية لا يسعني إلا تقديم الشكر الجزيل لدولة الكويت حكومة وشعبا لرعايتهم العمل الخيري حول العالم، وأتضرع لله عز وجل بأن يرحم أمير الإنسانية ويجازيه وكل من ساهم في هذا العمل خير الجزاء.

د. علي مدني رضوان
دكتوراه الشريعة الإسلامية





العلاقات الزوجية الناجحة

قلما يختلف إنسان على أنّ البيت المستقر، والذي ينعم بظلال المودة والرحمة يكون بداية للطريق المؤدي إلى الجنة، وهذه مسلمة لا يجادل فيها أحد ولا يعرف قيمتها وقدرها إلا من عرفها، فإن من ذاق عرف، والأشباه بنظائرها وعند جهينة الخبر اليقين، وقد تحسن المرأة القيام بدورها خير قيام دونما ثقافة أو تعليم بل بمحض الفطرة الواعية المتزنة، وهو ما كان عليه جداتنا وأمهاتنا ممن أدركن بقايا من الزمن الجميل وما كانت بيوتهم إلا بالخير دارة وبالناس عامرة، فسارت على نمط مكرور من السعادة المنشودة يرثها اللاحق من السابق، ويتواصون بها كأنها دين في أعناقهم، ولم نرهم يوماً أو نسمع عنهم أنه قد وقعت بينهم حتى مجرد مشاجرة واحدة ذهبت فيها الزوجة على إثرها إلى بيت أهلها حتى وإن ذهبت فإنهم يردونها على الفور دون أن يصغوا إلى شكاياتها، وما بلغنا عن أحدهم شيء من التطاول على الآخر في نقيصة من النقائص، وسألت نفسي ترى ما هو (الجوهر الكريم) الذي كانت عليه تلك النفوس الكريمة وأيٍ قاسم مشترك جمع بينهن جميعاً، فوجدت أمراً آخر غير الصدق والشفافية وعدم الأثرة ألا وهو: «البساطة» بما تعنيه هذه الكلمة من معان، بساطة في كل شيء من المأكل والمشرب والملبس، بل والحياة برمتها

عاشوها من غير قيود أو تعقيد أو قلق، فأثمرت هذه البساطة دعامتين أساسيتين هما: المودة والرحمة، ورغم أن المودة والرحمة كلمتان متغايرتان إلا أنهما يلتقيان كثيراً بين منعطفات الحياة الزوجية وانحناءاتها فتمر الحياة بسهولة ويسر وسلام، وما تعني المودة إلا الود والوداد والصفاء والتلطف في الخطاب والإنصات المهذب الذي يشعر الآخر بمدى احترامه لديه واقترانه به، ودون أن يتحقق هذا المعنى البسيط تبقى هناك مسافات شاسعة بين الطرفين (طرفي العلاقة الزوجية) مع ما يتولد من سوء ظن كل بصاحبه، وقد يبدو من الزوج أو من الزوجة في بعض الأحيان أمر عاصف في لحظة من لحظات التغيّر المزاجي، أو النفور العاطفي المصحوب بفتور باهت وحس بارد فإذا بالرحمة تربت عليهما وتدفعهما إلى التألق العالي والترفع عنه دخن أو دخل تحويه الصدور في ساعة غيظ مكبوت، لأن الرحمة من معانيها الشفقة واللين، وخفض الجناح، والترفق بالآخر مما يؤدي ذلك إلى شد الحبال المرخاة وإقامة الجسور المتهدمة حتى يعلو الصرح، ويرتفع البناء، وتزدان الجدران بأهلها الذين يضيئونها بشذا آحاديثهم، وطيب مجلسهم فتمحى ثمة ضغائن بين المحبين، وتذهب وحشة النفس وقلقها من المجهول ليقينها أنّ الحياة مع مثل هذا الزوج أو الزوجة هي الدوحة الغناءّ والواحة الفيحاء التي يفيئ إليها المتعبون من وعثاء السفر ولأواء الطريق وقسوة الحياة، عندئذ تقبل العافية.

تشتد من بعيد ضيفاً لا يرحل وأملاً لا يخبو وشمساً لا تغيب، إنّ البساطة التي أثمرت هاتان الدعامتان قد فهمها الجيل الأول فهماً فطرياً من غير نظر في كتب ودوريات أو شروح ومحاضرات أو ندوات، بل دلت عليها محض الفطرة الأولى التي فطر اللّه الناس عليها من خلال قوله تعالى: ﴿ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:١٤٣)، لم يكن عند الجيل الأول ثمة قيود تفرض نفسها أو تطل برأسها لينتج عنها مشكلة، ولقد أدركت ممن أدركت جدة لأمي أراها وقد حل وقت الغداء وقد لا يكون بطبيعة الحال شيئ معد- فتقول لأحدى بناتها: قومي وأحضري لنا الموجود فهي إنما بلغة نتبلغ بها أو طلبة نقضيها ونفرغ منها وليس لبطني من سلطة علي نملؤها حتى ولو بالتراب يوضع أمامها الطعام خبزاً يابساً وبصلاً عتيقاً وإداماً يسيراً ثم تحمد اللّه على هذه النعم وتسأل ربها أن يحفظها من الزوال ... انعكست هذه البساطه عليهم.

فلم يسيطر عليهم هم أو يناوشهم غم ولا شيء من الصراع النفسي أو اللجاج العبثي، وفارق كبير بيننا وبينهم - رغم ما نملك تحت أيدينا - بيد أن النفوس اضطربت والقلوب تغيرت وصنع الإنسان لنفسه قيوداً قيد نفسه بنفسه فكان صاحب الجناية عليها الواقف في طريق شفائها.

وإننا نقول بكل ثقة ويقين أن المرأة تستطيع أن تجعل بيتها جنة يفيئ الزوج إليها وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويجد كل من فيها السكينة والطمأنينة وتذهب عنه الهموم والأحزان وتمسح عنه المتاعب والآلام، وتجدد نشاطه، وترفع معنوياته فيؤدي رسالته نحو ربه ودينه ومجتمعه وليس غير الإسلام طريقاً يسلكه الإنسان فينعم ويسعد لهذا كان ولابد من ذكر بعض الخطوط العريضة والمفاهيم الشاملة التي نذكر بها ولا نعلم ونلمح اليها إشارة لا عبارة من فنون السعادة الزوجية وأسرار النجاح في كثير من علاقاتها المتميزة ومن ذلك:

أولاً: حسن استقبال الزوج حال عودته من عمله

هذا هو بيت القصيد لأن طلاقة الوجه وبشاشة المحيا عند رؤية الحبيب تزيد من مساحة الود وترطب من جفاء العلاقة وفتور العاطفة سيما إذا كان ذلك الوجه حسنا في نفسه مع ما تتخلله من الزينة والطيب التي تبعث في النفس نشاطاً وإشراقاً وهو يشنف أذنه بعبارات الشوق الدافئة والأخبار السارة مما يجعل لذلك من مردود طيب.

وليس استقباله فقط، بل إن الاستيقاظ قبله وتجهيز إفطاره وإعداد ملابسه وكيها والوقوف بين يديه عند ارتدائها وحتى خروجه وتوديعه عند الباب أمر محمود لها مثوبة عليه.

ثانياً: جمال الصوت وترخيمه

إن خضوع الزوجة لزوجها بالقول وترخيم صوتها له في دلال وتودد يجعل للحياة مذاقاً خاصاً.

ولولا تأثير الصوت على الرجل وانجذابه إليه لما نهى القرآن الكريم المرأة أن تخضع في قولها لغير بعلها خشية أن يطمع فيها ذوي القلوب المريضة، وليس من عجب أن يخبر رسول الله ﷺ أنّ من الحديث حديثاً له تأثير السحر: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا» (البخاري ٥١٤٦)، فكيف إذا صدر ذلك البيان عن امرأة أريبة أديبة محبوبة، وليس من إثم على المرأة الصالحة أن تبرز كل هذه المواهب لزوجها وتبهجه وتسعده لأن طلبها لمرضاته يعدل الكثير من أنواع القربات إلى الله تعالى.

ثالثاً: تزين الزوجة لبعلها

وعندما يعود الزوج الكريم من معاناة يومية مكررة ليجد في مخدعه عروساً شابة.. نظيفة ثيابها، مصفف شعرها، تنبعث منها رائحة العطر الفواح تسر قلبه وتبهج نفسه وتزيح عنه أخلاط النفس ووساوس الشيطان لما يشعر من أنه المقصود حتماً بهذه الزينة وأنه محبوب لشخصه مرغوب لذاته وأنّ قصة حب متجددة بدأت فصولها ولم تنته بعد، وقد روى مسلم في صحيحه عن بكرة بنت عقبة قالت: (دخلت على عائشة -رضي الله عنهما- فسألتها عن الحناء فقالت: شجرة طيبة وماء طهور، إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعي مقلتيك فتضعيهما أحسن مما هما فافعلي. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٥٦/٨).

إن المرأة التي تعي ضرورة التزين وأهميته لبعلها هي امرأة عاقلة تجمع إلى تدينها ومعرفتها بحقوق الزوج عقلاً وافراً يساعدها على ديمومة الحياة الزوجية واستقرار البيت وما فيه، وبهذا أوصت المرأة العربية ابنتها ليلة عرسها بقولها: «والتفقد لمواضع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح» (فقه السنة، السيد سابق ٢/ ٣٤)، مع ملاحظة مهمة وهي التجديد الدائم في كل شيء: في زينتك وأثاث بيتك وخاصة قبل عودة زوجك من السفر وإشعاره أن ذلك تم من أجل سعادته.. أو أن تقيمي حفلاً صغيراً بمناسبة عودته من السفر أو ترقيته في عمله أو شفائه من مرضه.

رابعاً: الرضاء بما قسم الله

الزوجة الصالحة قنوعة بما يجود به الزوج، فهي تشكره على القليل وتراه في نظرها كثيراً تحمل عنه كل ما يأتي به للبيت من مأكل ومشرب وملبس بشكر وثناء ودعاء مثل: جزاك الله عنا خيراً إنك تتعب كثيراً من أجلنا.. عوضك الله خيراً نحن مدينون لك بكل هذا التعب من أجلنا، وقناعتها هذه تريح زوجها وأبناءها لأن عدم التطلع إلى ما في يد الآخرين نعمة عظيمة يرتفع بها الألم النفسي الضاغط الذي قد يقع على الأسرة خاصة في مراحل بنائها، والقرآن الكريم يشنف الآذان بعبارته الجميلة: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(طه:١٣١).

إن الزوجة الصالحة راضية قانعة وقلما يستدرجها الشيطان فتستخط قدرها أو تجحد نعمة الله عليها مما يؤدي إلى استقرار البناء الأسري، لأن نكران المعروف وجحوده أمر يثير حفيظة الزوج المسلم الذي لم يأل جهداً أو يدخر وسعاً في بذل وتقديم ما عنده، فقد يدور بذهنه ندمه وإحساسه المرير وهو يسأل نفسه ما فائدة تعبي وجهدي لإنسانة لا تقدره ولا تشعر به ولو ادخرت بعض المال لكان أفضل،لأن مثل هذه الزوجة غير أمينة على نقل صورة صحيحة للحياة العائلية التي ينبغي أن تكون أمينة عليها، إن الرضا بالقليل والقناعة بالموجود والتخفف عن الطلبات والاستغناء عن الكماليات أمر يدفع بسفينة الأسرة إلى شاطئ الأمان من غير عاصفة أو كدر، لأن هذا سيحملك على أن تكوني راضية عن ربك الذي قسم الحظوظ ووهب العطايا فتقنعين بما رزق الله من مال وجمال وصحة وتعليم لأن السعادة الحقيقية في التزين بلباس التقوى وليست في اللباس والأثاث.

خامساً: طاعة المرأة لبعلها والبر بقسمه

فإن المرأة الصالحة تحرص على طاعة زوجها في المعروف وتعي أنَّ ذلك حقاً له عليها، وكم من بيوت كانت بالخير دارة وبالناس عامرة تحولت أثراً بعد عين بسبب عناد الزوجة وصلابة رأسها واستعلائها على زوجها، فهي ترى لنفسها فضلاً على زوجها ألا تطيعه لأن كلاهما في قوانين الحياة المدنية سواء، فهي تلقي بالقوامة جانباً، هنا قد تتوارد المشاكل والرجل يختزن الآلام في صدره حتى يتحول ذلك إلى بركان يدمر كل ما حوله فلا يجد بداً من الخلاص من قرينة السوء ويتحول البيت في لحظة يسيرة إلى شتات،

كل يذهب إلى حال سبيله ثم نعود إلى نقطة الصفر من جديد وتجدني أتساءل: وماذا يضير المرأة أن تطيع زوجها وتسعى إلى طلب مرضاته وإبهاجه؟ إنها إن فعلت ذلك فهي تعلو ولا تسفل تقوى به ولا تضعف تأنس به ولا تستوحش تكثر به ولا تقل، لأن الإنسان قليل بنفسه كثير بإخوانه ومن أوثق الحقوق وآكدها على الزوجة أن تفعلها هي أن تجيب زوجها إن دعاها إلى فراشه وأن تستعد لذلك خاصة في حال العودة من السفر، وليالي الأعياد والمناسبات السارة، والصلح بعد الهجر، وأوقات النجاح، وأوقات الفتن.

ولأهمية الأمر تم ربطه بالإيمان وكأنه والإيمان قرينان فقد جاء في الحديث الذي رواه الحاكم عن النبي ﷺ: «والَّذي نَفسُ محمَّد بيدِه لا تؤدِّي المرأةُ حقَّ ربِّها حتَّى تؤدِّيَ حقَّ زوجِها ولو سألَها نفسَها وَهيَ علَى قتَبٍ لم تمنعْهُ» (صحيح ابن ماجه للألباني ١٥١٥)، بل لقد وصل تشديد السنة المطهرة في هذا الخصوص إلى عدم قبول الصلاة من المرأة الفاركة المغضبة لزوجها لتكون من بين الثلاثة الذين لا يقبل الله منهم صلاة كما جاء في الحديث الشريف: «ثلاثة لا تقبل منهم صلاة ولا تصعد إلى السماء ولاتجاوز رؤوسهم، رجل أم قوما وهم له كارهون، ورجل صلى على جنازة ولم يؤمر، وامرأة دعاها زوجها من الليل فأبت عليه»، (صحيح ابن خزيمة للألباني وقال صحيح دون الفقرة الوسطى).

- أوليس زوجك أولى بالطاعة وهو الذي اختارك من دون غيرك من نساء الأرض وستر عرضك وعف نفسك عن الحرام ويشقى وينصب من أجلك.

سادساً: حفظ الزوج

وهذا الحفظ يشتمل على جملة أمور منها:

١- أن تحفظ الزوج في غيبته كما تحفظه في حضوره، فلا تتبذل أو تترخص في نفسها، ولا تبدي زينتها لغير بعلها ولا تتكسر في مشيتها أو تلين في كلامها لغير زوجها.

٢- أن تحفظ ولدها بتعهدها إياه بالرعاية والعناية والحنان والشفقة والتوجيه والتثقيف حتى يشب الأبناء أقوياء أسوياء ينعمون بالحماية بين أسرة مستقرة وآباء كرام.

٣- أن تحفظ ماله لأن مال الرجل لا يمكن نواله وتحصيله إلا بمشقة غالباً، يبذل الرجل فيه من وقته وجهده وكده وكدحه الكثير وهو يضحي بشيء من راحته ولذاته من أجل زوجة قائمة في محراب بيتها تربي أولاده، وتعينه على طاعة ربه فتكون له السكن المستقر والصدر الحاني والبلسم الشافي الذي يريح صدره عليه.

٤- أن تحفظ أسراره لأن سر البيت كالقبر تماماً لابد من صيانته وحجبه عن كل أحد حتى إن أمثال جداتنا تحصر هذا المعنى بأن البيت وأحواله مثل القبر وأفعاله. فهل يطلع أحد على ما يدور في القبر فكذلك إذا أغلق على الزوجين فليس ثمة قول أو فعل يخرج هنا أو هناك، وقد تقول امرأة ولم لا ننفس عن أنفسنا فنمارس جواً من الفضفضة والأريحية لنريح أنفسنا؟

والجواب: أن الكلام الذي يخرج لا يبقى كما هو وإنما يحدث له زيادة بالحق والباطل فضلاً عن أنه ينال من غيبة من طالبنا الشرع بحفظ جانبهم والقيام بحقهم كل ذلك يجعل حياتنا مملوءة بالصعوبة والألم.

٥- أن تحفظ أهله (من أمه وأبيه ورحمه)، لأنهم أهل الفضل عليه ويدهم عليه مبسوطة وسلطانهم مقيم وبرهم واجب وقربهم فريضة والإحسان إليهم دين في الأعناق، فالعمل على إكرام أهله وحسن استقبالهم والتلطف معهم والصفح إن اخطأوا في حقك وتحمل إساءاتهم أمر طيب وحسن، لأن الزوج سيقدر لك ذلك وسيجعله في جملة رصيدك الحسن.

سابعاً: الابتعاد عما يثير غضبه

كل امرأة تعلم ما يدور بداخل زوجها، والعاقلة من قرأت أحوال زوجها من خلال ما عايشته وقد علمت ما يحب وما يكره وما يساء به وما يسر وما هي الأمور التي تهيج غضبه، لذا يجب الابتعاد عن كل ما يكره من قول أو فعل مع التماس العذر له والتحلي بالصبر والهدوء وعدم اللجاج وإكثار الأسئلة في حال غضبه بصفة خاصة وحذارِ من مبادلة الغضب بمثله أو بصوتٍ عالٍ، بل التزمي الصمت مع ترديد الاستعاذة من الشيطان الرجيم مع الاعتذار عند حدوث الخطأ الصادر منك واحذري الكبر والعناد والجدال والمراء ولا تنتظري منه أن يتأسف أو يعتذر عن خطأ صدر عنه واربئي بنفسك أن تضعيه في هذا الوضع، وإنما التغاضي والتراضي والتسامح والتغافرعما وقع فهو صفة الكرماء.



د. محمد عباس محمد عرابي
باحث أكاديمي

أخطاء المطلقين في تعاملهم مع أطفالهم وعلاجها

تربية أطفال الطلاق فن يجب على المطلقين إتقانه؛ لأن أطفال الطلاق يحتاجون إلى تربية خاصة، كما أن لهم احتياجات خاصة أبرزها: الإحساس بالأمن، والإشباع العاطفي، والحاجة إلى التوافق الاجتماعي مع البيئة الجديدة، وعلى المطلقين أن يدركوا أن للطلاق العديد من الآثار الجسيمة على الأطفال، فهم الضحية التي يقع عليها العديد من الآثار النفسية والاجتماعية والمادية للطلاق، وبالرغم من إدراك كثير من المطلقين ذلك إلا أنهم يقعون في الكثير من الأخطاء في تعاملهم مع أطفالهم، لذا يعرض هذا المقال لأخطاء المطلقين في تعاملهم مع أطفالهم مع كيفية علاجها من خلال محورين:

المحور الأول: أخطاء المطلقين في تعاملهم مع أطفالهم:

من أبرز أخطاء المطلقين في تعاملهم مع أطفالهم الأخطاء التالية:

❖ ذكر الأب والأم للطرف الآخر أمام الأطفال بالسوء، وإلقاء اللوم عليه في حدوث الطلاق، وأنه السبب في تحطم الأسرة وتشتت وضياع الأطفال.

❖ تقمص الأم دور المتهمة؛ عندما يسألها الأطفال عن سبب حدوث الطلاق، والنيل من الأب بالسب والشتائم.

❖ منع الأم أطفالها من زيارة أبيهم، والتقليل منها.

❖ ترديد كلمات أمام الأطفال مفادها أن أحد الوالدين ضحايا، وأنهم فقدوا الاستقرار والتماسك

الأسري، وعدم إقامة الأب معهم.

❖ إغراق طفل الطلاق في الحب المفرط من خلال تدليله دون حدود في محاولة لتعويضه عن افتراق الوالدين.

❖ تهديد الأم المطلقة أطفالها بإرسالهم للحياة مع أبيهم كعقاب لهم على أخطاء ارتكبوها.

❖ شعور الأم بالذنب تجاه الأطفال، الأمر الذي يدفع بعض المطلقات إلى المبالغة في الإنفاق المادي على الأطفال كتعويض عن الطلاق، فقد تلجأ بعض الأمهات المطلقات إلى الإسراف في منح الأطفال الحرية والتدليل للأطفال كتعويض لهم.

❖ حث المطلقين أطفالهم على إحضار الطرف الآخر ووصف الحال والمكان.

❖ نظر المطلقة إلى أطفالها على أنهم السبب في حرمانها من الزواج الثاني.

المحور الثاني: مقترحات لعلاج أخطاء بعض المطلقين في تعاملهم مع أطفالهم:

لعلاج أخطاء بعض المطلقين في تعاملهم مع أطفالهم نقترح ما يلي:

❖ على المطلقين عدم ذكر الطرف الآخر أمام الأطفال بالسوء، وعدم إلقاء اللوم عليه في حدوث الطلاق؛ لأن مستقبل الطفل لن يُضاء بسماع الاتهامات من أبيه لأمه والعكس، لأن إهانة أحد الوالدين أمامه هي إهانة له عاجلا أم آجلا، وتحطم المثل الأعلى بداخله.

❖ على الأم تذكر أن الخبرات المؤسفة تعطي خبرات أكثر بالحياة، وعليها إذا وجدت أن صورة الأب قد تشوهت بأذهانهم أن تحرص على إيجاد الصورة الحقيقة للأب بالحديث عن أحد الأقارب الذي يعرفه الأطفال ممن تتوافر فيه صفات الأب الصالح.

❖ نظرا لأن الطلاق يؤثر على علاقة الأطفال بأجدادهم من ناحية الأب، وكذلك بأعمامهم وعماتهم؛ لذا فإنه على الأم ألا تحرم أطفالها من إقامة علاقة قوية مع أهل والدهم على أن تتابع تفاصيل هذه العلاقة بذكاء حتى لا يقوموا بشحن الأطفال ضدها، لأن هذا قد يحدث بالفعل في بعض الحالات، وفي هذه الحالة على الأم ألا تسيء لأهل طليقها.

❖ على الأم عدم تقمص دور المتهمة؛ عندما يسألها الأطفال عن سبب حدوث الطلاق، وعليها التحدث بهدوء بعيدا عن العصبية، ومعالجة الموقف بلباقة، والبعد عن تشويه صورة الأب لتنال حب الأطفال وتعاطفهم، وعلى الأم أن تبين لأطفالها تقديرها لأبيهم رغم الفراق، وأنها ترغب في الاستمرار معه (في حالة كونها لم تتزوج بعده) ولكن ما حدث خارج عن إرادتهما.

❖ على المطلقين الاقتناع أن الطلاق في صالحهم حتى لا يعيشوا في أجواء من النزاعات المستمرة، ويمكن التغلب على عدم إقامة الأب معهم من خلال إتاحة الفرصة لمحادثته، وتوجه الأطفال إليه متى أرادوا ذلك.

❖ على الأم تشجيع الأطفال على زيارة أبيهم من وقت لآخر، وتذكره في المناسبات، والسؤال عنه دائمًا من خلال وسائط التواصل الاجتماعي بهدف إشباع احتياجات الأطفال النفسية لوجود الأب معهم، ومنحهم الاتزان النفسي.

❖ على الأم المطلقة عدم تهديد أطفالها بإرسالهم للحياة مع أبيهم كعقاب لهم على أخطاء ارتكبوها؛ لأن الأطفال غالبًا ما يستخفون بهذا التهديد لأنهم يعرفون تمام المعرفة أن الأم لا تقوى على فراقهم، أو لمعرفتهم أن الأب لن يرحب باستقبالهم، وبذا يكون هذا التهديد لا جدوى من ورائه سوى التقليل الفعلي من سلطة الأم.

❖ على المطلقين أن يدركا أن إغراق طفل الطلاق في الحب المفرط من خلال تدليله دون حدود يجعل من الطفل شخصية ضعيفة غير سوية، ويجعله يعتقد دائما أنه كبش فداء، وتجعله يعتمد على غيره اعتمادا مطلقًا.

❖ تعد المبالغة من بعض المطلقات في الإنفاق المادي على الأطفال كتعويض عن الطلاق خطأ كبير قد يدفع الأطفال إلى الانحراف، ويجعلهم يعتقدون أن هذا الإنفاق عليهم حق لهم، وعلى الأم أن تحاول تعويض أطفالها عن الطلاق ليس بالتدليل والمال، ولكن بالتربية الحانية حتى ينشأ هؤلاء الأطفال ناجحين يستطيعون حسن التعامل مع من حولهم.

❖ على المطلقين إدراك أن حث أطفالهم على إحضار الطرف الآخر ووصف الحال والمكان يرسي أخلاقًا سيئة في نفوس هؤلاء الأطفال مثل التجسس والنميمة.

❖ عدم نظر المطلقة إلى أطفالها أنهم السبب في حرمانها من الزواج الثاني، فهناك الكثير من المطلقات بلا أطفال ولم يتزوجن ثانية، لذا فعلى الأم المطلقة عدم خلط الأوراق ولا تعاقب أباهم في شخصهم.



جميلة محمد
باحثة وكاتبة

مفهوم التثقيف الذاتي وأساليب تحقيقه

تعرف الثقافة بأنها مجموعة الخصائص الروحية والمادية والفكرية، التي تميز مجتمعا أو فئة اجتماعية ما، وهي تشمل: المعارف والأفكار والفنون والآداب والعادات والتقاليد ونظم القيم والمعتقدات، وكل ما يكتسبه الفرد من محيطه. والثقافة تختلف من عصر إلى عصر، ومن مجتمع إلى آخر، تبعا لأسلوب التربية السائد، أو مستوى الاهتمام الذي تحظى بها، إلا أنها على الرغم من تنوعها واختلافها، فهي متشابهة - بسماتها وخصائصها - تشابها إنسانيا واضحا.

وتعد الثقافة - بطبيعة الحال - الإطار الأساسي الذي تتكون فيه الشخصية الإنسانية، بل أهم مقومات بنائها والارتقاء بقدراتها الإدراكية واللغوية والإبداعية.. وفي الوقت نفسه تعد شاهدة على المخزون الحضاري للشعوب الحية في شتى المجالات، ووسيلة تكوين المجتمعات الإنسانية، وبلورة ملامحها الأساسية. يعرف الدكتور عيسى الشماس مفهوم الثقافة في كتابه: «أدب الأطفال.. بين الثقافة والتربية» بأنه(١): «كل ما توصل إليه مجموعة/ جماعة من الناس من أفكار وعادات وعقائد وقيم ومناشط سلوكية مختلفة ونتاجات فنية وأدبية وعلمية وما تتخذه من أساليب ووسائل لنقل هذه المعلومات والخبرات إلى أجيالها المتعاقبة، بحيث لا يمكن فهم أي تنظيم اجتماعي لأي مجموعة من الناس فهما دقيقا إلا عن طريق معرفة ثقافة هذا التنظيم وطبيعة هذه الثقافة وإدراك عناصرها المختلفة».

التثقيف الذاتي مصطلح يدل على إرادة الإنسان في تنمية الجوانب الفكرية والعلمية والثقافية، واكتساب الخبرات والمعارف المختلفة بدافع من رغبة ذاتية، عن طريق القراءة والمطالعة والكتابة التي تنمي العمليات التحليلية والإبداعية للذهن أكثر من القراءة، والقيام بالأنشطة التي تكرس هذا المفهوم، بصورة مستقلة عن المناهج الدراسية التي يتم اكتسابها من مؤسسات التعليم النظامية. وتكمن أهمية هذه العملية في أنها تسهم في الارتقاء بالمستوى الثقافي العام، وتنمية المدارك والقدرات لدى المتعلم، وتحقق له عمق التفكير والتخيل ورحابة الأفق. كما يساعد - هذا النوع من التثقيف - في تربية ذوقه، ويشجعه على تنمية دافع الإنجاز لديه. وبالمحصلة تكوين الشخصية الإنسانية القادرة على التعبير عن آرائها بوضوح، والتفاعل مع معطيات عصرها وتغييراته المتتابعة. يقول الفيلسوف الصيني كيواه نزو، الذي عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد: «إذا وضعتم مشروعات سنوية فازرعوا الحنطة، وإذا كانت مشروعاتكم لعقد من الزمن فاغرسوا الأشجار، أما إذا كانت مشروعاتكم للحياة بكاملها، فما عليكم إلا أن تثقفوا وتنشئوا الإنسان».

ويقسم الدكتور عبدالقادر الشيخلي التثقيف الذاتي، في كتابه القيم: «المنهجية العلمية في التثقيف الذاتي» إلى أسلوبين أساسيين:

أولا - التثقيف العشوائي: هو أسلوب

يتسم بالقراءة الشاملة أو المنوعة، ويعني قيام المثقف بالاطلاع على النتاج الثقافي الذي يستهويه بغض النظر عن فقدان التجانس في الموضوعات التي يستوعبها.. وعلى الرغم من أن هذا الأسلوب يتيح للمثقف اللباقة في الحديث والمقدرة على المناقشة، والاطلاع على جوانب عدة من الثقافة الإنسانية، إلا أنه ينطوي على هدر في الطاقات الشخصية، وينجم عنه ضرر يتمثل في أن المثقف يدرك - إنما متأخرا - أن سني حياته قد مضت دون أن يبتدع نظرية محددة أو دون نتاج ثقافي مرموق يعبر عن روح العصر.

ثانيا - التثقيف المنهجي: يتمثل هذا الأسلوب في اختيار المثقف موضوعا معينا، ويقوم بجمع المصادر والمراجع العامة التي تعينه في بحثه، ثم يبدأ القراءة المتخصصة؛ قراءة مترابطة، ووفق قواعد المنطق العلمي، كأن يلاحظ المثقف أو القارئ الأفكار الرئيسية/ الفرعية في الكتاب، ويقارن الأفكار المطروحة فيه بالأفكار التي اختزنها من قبل، ويقرأ مراجع عدة للموضوع المراد بحثه، وأن يتتبع تدفق الأفكار بدقة وتأن.. وكلما استمر المثقف في قراءاته المنهجية لبحوثه، أصبحت أفكاره أعمق ونتائج بحوثه أكثر دقة وأصالة. إن التثقيف المنهجي يهدف إلى نتيجة فكرية ذات قيمة، لأنه يركز الجهود الذهنية في نطاق اختصاص معين، ويساعد على اختزال الوقت عكس الأسلوب العشوائي، كما أنه يتيح مجالا أرحب وأوسع للإبداع والابتكار.

والقراءة كعلامة مميزة للشعوب المتقدمة، وبوصفها طريقا واضحا لإنشاء جيل واع ومتفهم، هي أفضل الأساليب لتحقيق عملية التثقيف الذاتي، بل هي الركيزة الأساسية لعملية التعلم واكتساب المعرفة وفهم الثقافات المتنوعة. فالقراءة أداة لإثراء تفكير الإنسان وتوسيع خبراته، وتنمية قدراته الثقافية واللغوية والتعبيرية، وإشباع احتياجاته وميوله إلى البحث والاطلاع والاستكشاف. الجدير بالذكر أن أول كلمة نزلت في القرآن الكريم هي كلمة «اقرأ» التي تكررت مرتين، كما تكررت كلمة «علم» ثلاث مرات، حيث يقول الله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق:١-٥).

ومن أفضل النصائح الخاصة بالقراءة والمطالعة الذاتية هي:

- الالتزام ببرنامج يومي للقراءة والمطالعة، وتخصيص أوقات مناسبة لها.
- البدء بقراءة موجز الكتاب قبل التبحر في أفكاره الرئيسية.
- التنويع في مواضيع القراءة، قبل تحديد الموضوع المراد بحثه منهجيا.

والأسرة بوصفها أولى وأهم البيئات الاجتماعية التي يحتك بها الطفل، فإن من مسؤولياتها:

- توجيه الأفراد لكل ما يحبب بالقراءة والمطالعة، بحيث تصبح عادة يستمتعون بممارستها.
- خلق الأجواء المشجعة، والحض على القراءة وأساليب التشويق كافة.
- القراءة لهم في البداية، بهدف خلق حالة الوله بها.
- إتاحة فرص اختيار المادة، والوقت المناسب للقراءة. وللقدوة القارئة بين الأهل دور أساسي في هذه العملية.
- إنشاء مكتبة منزلية تضم مجموعة من الكتب العلمية والمعرفية والثقافية، بحيث تتناسب مع رغبات الأفراد، ويمكنهم الرجوع إليها متى شاءوا.

ومن واجبات الأهل تجاه أبنائهم: المساعدة في تكوين ثقافة مناسبة لأعمارهم والعمل على تنميتها، من خلال استغلال كل الوسائل والأساليب المتاحة، وأن يجتهدوا في اختيار ما يناسبهم من المواد الثقافية، فالثقافة التي تنتقل عبر الأسرة هي الثقافة الأكثر رسوخا واستمرارية.

ومن الأساليب الأخرى في تحقيق التثقيف الذاتي:

- ارتياد المكتبات العامة، وزيارة معارض الكتاب، لأن الكتاب يظل الوسيلة الأهم في حفظ المعارف والعلوم والمفاهيم ونقلها.
- الاستماع إلى المحاضرات والندوات، وحضور اللقاءات الثقافية.
- المشاركة في المسابقات والقضايا الثقافية.
- إعداد دراسات وحلقات البحث في المواضيع المختلفة.
- ارتياد المتاحف والمعارض الفنية، والمشاركة في الأنشطة الثقافية المختلفة، كونها تؤدي دورا مؤثرا في الفكر والسلوك الإنساني، وذات تأثير إيجابي في تنمية الوعي الثقافي للإنسان.
- الحوار والمناقشة والمشاركة مع أهل الخبرة والدراية.
- متابعة الصحف والدوريات وقراءة المقالات، بهدف التواصل مع الحركة الثقافية عموما.
- متابعة البرامج الثقافية والفكرية والعلمية التي تنظمها الأندية الأدبية، أو تقدمها وسائل الإعلام.
- استثمار وسائل الإعلام بأنواعها؛ بهدف الارتقاء بمجالات المعرفة الإنسانية.

الجدير بالذكر أن للتلفاز دورا حيويا في هذا المجال، من حيث سهولة الحصول على المواد الإخبارية والثقافية والتعليمية.

- استثمار الحاسوب الذي أحدث تغييرا هائلا في استراتيجيات التعلم وأساليب التثقيف الذاتي.
- استغلال شبكة الانترنت بوصفها من أهم الوسائل الإعلامية اليوم، لسهولة استخدامها وغزارة معلوماتها وتنوع مصادرها، والزيارات المثمرة للمواقع الثقافية والعلمية المتخصصة، والمشاركة في المنتديات الثقافية.

إن التثقيف الذاتي يشكل خطوة كبيرة على طريق النجاح، ويمتلك تأثيرا هائلا على شخصية الإنسان وتهذيبها وتطويرها الذاتي، ويفتح أمامها آفاقا إنسانية واسعة.. بالمقابل تبقى حاجة الإنسان إلى العلم والمعرفة حاجة مستمرة، مهما تطور العلم، وازدادت معرفة العلماء، وصدق الباري (عز وجل) بقوله: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ (الإسراء:٨٥).

د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد بجامعة الباحة
المملكة العربية السعودية



كيف تجعل طفلك يحب القرآن؟

القرآن الكريم هو علم خاص بكلام الله تعالى، وقيل: إنه مشتق من قرأت الشيء بمعنى جمعته، وقيل: إنه مشتق من قرأت الكتاب بمعنى تلوته، وقيل: إنه مشتق من القرائن؛ لأن آياته يصدق بعضها بعضا، كما هو المصدر الأساسي والأول الذي تستقي منه بقية المصادر أمورها الشرعية، وتكون قاعدة شرعية واضحة وصريحة لكل زمان ومكان.

فالقرآن الكريم هو كلام الله عز وجل المعجز، المنزل على رسول الله ﷺ، المدون في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته ولو بآية منه، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس.

ويتناول القرآن الكريم أمورا عديدة من ضمنها العقائد التي يجب الإيمان بها في الله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، القضاء على العادات والتقاليد الجاهلية في جميع شؤون الحياة، إصلاح المجتمع إصلاحا كاملا في جميع أموره العقدية والدينية، أو في أحواله الاجتماعية، وما يشملها من أمور دينية وأخلاقية وإنسانية وأحكام حقوقية، تلتقي جميعها في روح واحدة وفكرة سامية.

والطفل هو عماد المستقبل، وهو الثروة البشرية لأي أمة، ويتوقف تقدمها على مدى اهتمامها بالطفل، فالطفل سيصبح شابا في الغد وقائدا للمستقبل؛ لذلك فالاهتمام به في المرحلة المبكرة من عمره مطلب أساسي باعتبارها مرحلة يكتسب من خلالها قيم الدين الإسلامي كما يكتسب المعرفة، وذلك من أجل جعله مواطنا صالحا لخدمة دينه ووطنه.

وعلى الوالدين تنشئة أطفالهم تنشئة دينية وزرع حب القرآن الكريم في قلوبهم وعلى الوالدين مراعاة بعض الخطوات لتحبيب القرآن الكريم لدى الأطفال وهي تلاوة القرآن أمام الطفل، أن تظهر له تعظيمك للقرآن وأهله، أن تهديه مصحفا يكون خاصا به، أن تسجل صوت الطفل أثناء تلاوته وتثني عليه وتمدحه، أن تحفز الطفل بالجوائز بصفة مستمرة، أن تقرأ عليه قصص القرآن عندما يخلد للنوم.



محمود مرغني موس
باحث دراسات إسلامية

المفسدون في الأرض

انتشار الفضيلة والخلق الحسن أمر محمود تقبله الفطرة السليمة ونادت به الأديان منذ قرون.

ولكن طبيعة البشر ونوازع الشر موجودة فيهم مثل خصال الخير تماما، فإذا وجد الخير وجد الشر أيضا، تلك هي سنة الحياة.

فأكل أموال الناس فيما بينهم بالباطل ووسائل ذلك معروفة في عصرنا هذا كطلب الرشوة وأخذها من اجل تيسير بعض الأعمال واخذ حق الغير بغير سند من القانون أو العرف أو بالالتفاف على القوانين.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٨).

وما الثراء الفاحش لدى البعض إلا حصيلة لتلك الممارسات التي في ظاهرها تجارة حلال ومال طيب ولكن ما خفي كان أعظم؟!

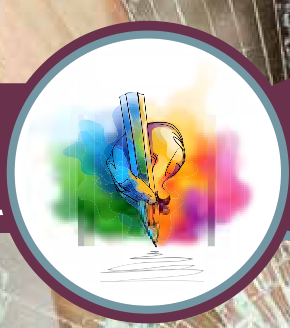
فقد خلق الله تعالى للإنسان العقل كي يميز بين الطريقين ويختار أفضلهما قال تعالى عن الإنسان ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠)، أي طريقي الخير والشر، وخير أيهما يختار؟!

ولا يمر يوم إلا وتطالعنا الصحف والوسائل عن ضبط كميات من المواد المهربة والمواد المخدرة التي يهدف أصحابها إلى الربح السريع ولا يهمهم النتائج التي تترتب على دخول تلك الأشياء إلى البلاد وأثرها السيء على اقتصاد المجتمع وأمنه وصحة مواطنيه هؤلاء الناس هم اشد خطرا على الأمة وهم الإرهاب بعينه ولكن بصورة مستترة بل هم اشد خطرا!!

رشوة وفساد وتهريب يقصد من كل ذلك التخريب!!؟

فالإنسان الذي فقد ضميره لا يهمه أحد إلا نفسه يريد أن يعيش لنفسه فقط!!

هؤلاء هم الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.



خالد العبادي
باحث في التراث التاريخي

صدام القيم

«صدام القيم: قراءة ما بعد التحولات الحضارية» كتاب من تأليف مسفر بن علي القحطاني، إصدار الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، عدد الصفحات ١٧٦ صفحة من الحجم المتوسط.

في تمهيده للموضوع اعتبر الكاتب أن عودة الديني إلى الحياة الإنسانية المعاصرة قد تثمر خيرا على مستوى إيمان الفرد وتعايشه مع الآخر وفق قاعدة التسامح والاحترام المتبادل، لكن ليس كل ما نتمناه من عودة الديني قد يثمر تلك الحالة الإيجابية من التعارف والتعاون، فالخوف والقلق يزدادان نحو تبني جماعات أو طوائف دينية أسطورة أو حقيقة نهاية العالم، وعودة الصراع الملحمي بين أتباع الرب وأعدائه.

إن الصراع الديني بحسب الكاتب في العادة أقوى مواجهة تحصل بين البشر، ولم تجر حروب أشد وأعنف من تلك الحروب الدينية أو الطائفية، لأن المواجهة تحصل وقد انتهى دور الحوار والتفاهم إلى حالة من المغالبة وكسر العظام للخصم بناء على هويته المهيمنة في النزاع، التي لا تميز بين أنواع الناس وأجناسهم وأعمارهم، فالموقف لا يحتمل سوى شحن الأسلحة والعداوة والقهر كلها للآخر حتى الإفناء.

الأنسنة في الخطاب الديني المعاصر

إن الأنسنة في بدايتها ثورة مضادة للكنيسة، مع أن المسيحية لما دخلت أوروبا في القرن الثالث كانت تمثل الأنسنة في مقابل أوروبا الرومانية الوثنية، لكن قبول المسيحية بالتعايش والتداخل مع روما الوثنية زاد من حدتها حتى حركة الإصلاح اللوثرية. وبالتالي فالأنسنة أصبحت بمنزلة ناد يستقطب دعاة الحرية والكرامة الإنسانية، وليس تيارا فكريا.

أما مفهوم الأنسنة في التراث الإسلامي، حسب الكاتب، فلم يستعمل لفظه كما حصل لاحقا في أوروبا؛ بل هناك فرق جوهري، فالإسلام كان ينظر إلى الإنسان كقيمة

عليا وتكريمه كمقصد أسمى جاء مع الوحي الإلهي وليس متعارضا معه، فالأنسنة: اعتبار إنسانية الفرد وطبيعته وحاجاته أصل للبيان والتأويل والتفكير العلمي والتنزيل العملي لقضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع.

الشمولية والتواصل المعلوماتي وإحداث التحولات

وهنا يرى الكاتب أن حصول التحلل نحو الجزئي أو التحول نحو الكلي، ليس اجتماعهما في ظرف واحد مقتضيا للصدام والتباين، بل بينهما تلازم، فبقدر خضور الإنسان المعاصر للروابط الشبكية والمعلوماتية، بقدر تحلله من روابطه الحقيقة الاجتماعية والتواصلية الواقعية والانكفاء في العالم الافتراضي بأبعاده المذهلة والمغرية والمستجدة بلا هوادة، ولكن لكل مجال منهما أبعاده وتأثيراته في الإنسان أينما كان.

يقول غوستاف لوبون بما يشير إلى هذا التحول الشبكي لكن من خلال زاويته القديمة التي كان ينظر بها إلى واقعه «روح الأمة تتألف من شبكة التقاليد والمبادئ والمشاعر وطرز التفكير، وقد أبصرنا أن متانة الروح تكون بقوة تلك الشبكة». فكأنما يرى شبكاتنا المعاصرة بكل ما فيها من صفات تكون روحا جديدة للأمم والشعوب خارج إطارهم الواقعي.

مجالات التحول نحو الفضائي الكوني

يشير ديفيد هارفي إلى أن فكرة التحول نحو الكلية جاءت من خلال انضغاط الزمان والمكان. هذا التوصيف البديع يرى الكاتب أنه يشير إلى ملمحين رئيسيين: التقارب والسرعة. إنها العولمة التي جاءت بالتواصل الكبير الناعم اللامرئي الذي تعبر فيه الأموال والبشر والصور والكتب والموضات... إلى كف كل واحد منا وبلا عناء أو تعب. ورغم أنف حدود العالم الإقليمية وهوياتها الوطنية. إنها سحر العالم الافتراضي المهيمن على العالم الحقيقي من دون أن نراه!

ويشرح الكاتب ذلك قائلا: فالموقع الإلكتروني المعاصر لم يعد خاضعا للزمان ولا للمكان بمفاهيمهما التقليدية، هذه الحالة تعتبر نمطا جديدا من التلاقي والتحاكي والتواصي بين الناس، فبقدر ما يتحللون من واقعهم المادي يتجمعون ويتكاثرون في تلك المواقع الافتراضية. ولأول مرة في التاريخ يتحول شتات الناس المختلفين في بلادهم وألوانهم وأديانهم إلى تجمعات مذهلة تنسجم فيها كل صور الاختلاف.

صدام القيم

يرى الكاتب أن صدام القيم لا يعنى بالخلفيات الدينية والحضارية، ويهتم بالقيم العالمية التي تشترك فيها أكثر شعوب العالم، كالحرية والعدالة والاجتماعية والمساواة والكرامة وغيرها، فعندما تهمش تلك القيم وتحارب بالطرائق الملتوية، تتصاعد أصوات الفئة القيمية التي تدافع عن تلك القيم، في مقابل الفريق الآخر الذي يدعي زورا وبهتانا أنه يعمل لأجل تلك القيم ولكن بتأويله الخاص، مخفيا صورا من الاستبداد ومزيفا في إعلامها حالة من الغواية العقلية يتهم فيها الفريق القيمي المناضل بالضلال، ما يجعل هناك حالة من التصادم تظهر في الشارع.

إن الحالة الصدامية في صراع القيم ليست حالة بين فريقين متضادين بلونين نافرين كما في صدام الحضارات؛ بل هي مواجهة بين من لبس قناعا وتخفى من ورائه، وبين من يريد كشف القناع لفضح المؤامرة. ومع نمو الوعي وانتشار المعلومة والصورة والخبر الواقعي البعيد عن تزييف المؤسسات الرسمية أو التابعة لها، أصبح للفريق القيمي قدرته على المواجهة والتصدي لتلك المحاولات التي تضرب المجتمع في قيمه.

وهنا يذكر الكاتب أن أدوات الصدام القيمي ليست تقليدية بين الفريقين؛ بل يستعين أنصار الدفاع عن القيم بالمعطيات التقنية الحديثة في النقل للأخبار والنقد للمواقف والأحداث، بالإبداع في تطوير المواقع الإلكترونية وبرامج التواصل الاجتماعي المؤثرة بشكل كبير جدا. أكثر من أدوات الخصوم.

ويختم الكاتب بالتأكيد على أنه لا ينبغي التعامل مع الأمم والشعوب على أساس المبارزة والمواجهة القتالية، فليس هذا الميدان سوى حلقة وحدة في سلسلة الميادين التنافسية الأخرى القائمة على المعرفة والقيم ونشر الفضائل بين الخلق، مما تخلت عنها في كثير من المجتمعات، وامتنعت عن الخوض في غمارها، على الرغم من ضرورتها في صناعة التغيير والقيام بالتبليغ.

أخيرا وليس آخرا، إن القيم هي صمام أمان لكل البشرية، وإذا ما اختلت القيم اختل التوازن الكوني، إذ الكل سيجني ويلات هذا الاختلال، لذلك الوضع يفرض تكتلا بدءا من الذات الفردية إلى الذات الجماعية إلى الذات الكونية لتفادي أي تطرف في القيم، والبحث عن كل السبل الكفيلة لنشر قيم الأخوة والتعاون والسلام.



محمد شاهد
محاضر في كلية تنسيق الإسلامية بالهند

ذخر مسلمي الهند في ذمة الله

سكنت الأرض والسماء لعدة ساعات، وكأن في الكون ظلاما على وشك الانتشار، ولم تصدق القلوب بعد تغيب ذلك الكوكب الدري للأمة المسلمة في الهند وفي ولاية كيرلا على وجه الخصوص. نعم، ما زالت العيون تدمع والأفئدة تدمر للاصطدام بخبر وفاة السيد حيدر علي شهاب رئيس حزب رابطة المسلمين لعموم الهند، ونائب رئيس جمعية العلماء لعموم كيرلا، والحفيد الأربعين لرسول الله ﷺ. وقد كان مثل ما كان عليه آباؤه وإخوته من مأوى وسلام لأصحاب الهموم والغموم بغض النظر عن الأديان والأمصار، ارتوى من معين حبه الآلاف، وانطوت في جمال قربه الآلام. ولم يك سيدا لملايين المسلمين فحسب، بل لمس حنان يده البشر بأسرهم الذين يقيمون بداخل الهند وخارجها.

ولد السيد حيدر علي شهاب في أسرة شهيرة تسمى «بتي ماليبكل» يوم ١٥ يونيو من سنة ١٩٤٧م، لأب يدعى السيد أحمد بوكويا وأم تدعى السيدة عائشة، وتعود جذور أسرته إلى تراث يمني، حيث انتقل من اليمن جده السيد علي إلى كيرلا في القرن الثامن عشر، وما لبث أن أصبح زمام الأمور الدينية والسياسية محكمة في أيادي هذه الأسرة العريقة، مما يتداولها كبارهم واحدا تلو الآخر، حتى آل إلى السيد حيدر علي شهاب بعيد وفاة أخيه السيد محمد علي شهاب الذي أخلد ذكراه في العالم كله بخصاله الإنسانية القيمة. وقد لقب السيد بـ«آتبو»؛ لأنه كان يعتاد بندائه عند كل حاجة أخيه السيد محمد علي في صغرهما.

وقد نشأ السيد حيدر علي غارقا في العديد من المآزق والمشاكل على كل الأصعدة الأسرية والاجتماعية

والتي نسجتها أنواع الفقر ونضال الهند الاستقلالي حينذاك، ولم يعد ينهل من حضانة أمه حتى ماتت وهو ابن ثلاثة إثر مرض الجذام الذي أصابها، وفي الوقت نفسه وقع أبوه السيد بوكويا في قبضة الشرطة باسم «عمل حيدراباد»، وكان أخوه السيد محمد علي يدرس الدراسة العليا في الخارج، وكل هذه العناصر جلبت له تجربة الشعور بالوحدة والضيق لكنها أكسبته الحماسة في كيفية علاجها في سنه الباكرة.

حياته العلمية

وكما كانت هي عادة أبناء هذه الأسرة إذا أنضجهم العمر والرشد أن ينضموا إلى مراكز العلوم الدينية من المساجد والمعاهد، وقد تم انضمامه أيضا إلى مسجد كونلور وكلية المعونة ببناني للحصول على أساسيات العلوم الدينية، وذلك بعد فراغه من دراسة المدرسة العالية الحكومية بكالكوت. وأما حقيقة حياته العلمية الدينية فيعود فضلها تماما إلى الجامعة النورية العربية ببتكاد، حيث تتلمذ فيها على يد عدد من الأعلام البارزين وتخرج فيها بشهادة «الفيضي». ولا يقل دور الجامعة واتحاد طلبتها ونشاطاتها الفنية في تشكيل السيد متصفا بالصفات الكريمة والمواهب العلية. وكان من أبرز أساتذته الأستاذ الفخامة الشيخ أبوبكر مسليار الملقب بـ«شمس العلماء» والشيخ كنجالن مسليار



والشيخ أبوبكر مسليار الكوتملي.

حياته الاجتماعية

إن الله سبحانه وتعالى يختار من خلقه لخلقه من يشاء لقيادتهم وإرشادهم إلى سبل الحق والخير، فيعطي لهم قبولا حسنا بين أظهر الناس، ولا تنطق ألسنتهم بكلمة إلا وابتلعها القوم وقاموا بتنفيذها بسرعة البرق، فلا تعرف عقولهم معنى الشك والارتباك فيما يقولون. فيا له من شرف كرم الله به سيد هذه الأسرة أهل العزة. ما أتى إلى بابه مشكلة تكاد تغلي من شدة حرارتها إلا وبردت بكلماته اللطيفة أو نظراته الممتزجة بالبسمة والألفة. وكلما طار طير أحد في جحيم الدنيا فسرعان ما يعود إليه العقل الصحيح والفكر السليم عقب حضوره مع هذا السيد صاحب القلب المجرد من الدنس. وكم وصلت له من المناصب فتولاها حبا لأمته لا شوقا إليها! ومستحيل أن يعد بالأصابع عدد المساجد والمعاهد العلمية والدينية التي تحلى السيد بمسؤولياتها كمديرها أو الأمين العام لها وما إلى ذلك. ولربما ما خلت جامعة أو كلية تقع بداخل كيرلا من غير أن يتاح عرشها المفضل لسيدهم هذا رحمه الله، وفي مقدمتها الجامعة النورية العربية، وجامعة دار الهدى الإسلامية، وتنسيق الكليات الإسلامية، وكلية الرحمانية كدميري، ودار السلام نندي.

ومن المؤكد أن ترى لفراق رئيس كل هذه الحركات والمعاهد أثرا بالغا وجرحا عميقا في جوف العلماء خاصة والمسلمين عامة، ولا يسعهم الآن إلا القول أولا «نقول لك: الوداع يا سيدنا، ففي ذمة المنان تركناك، وفي جنات الخلد نلقاك»، والخضوع بين يدي الله ثانيا داعين له أن يجمعهم غدا تحت ظل عرشه مع سيدهم السابق وأن يجعل لهم لباقي الأيام في الدنيا بديلا يقودهم ويقومون من ورائه متكاتفين في صف واحد.

يسري محمد
باحث دراسات إسلامية



الآفات الثلاثة القاتلة لصاحب الرسالة

بداية فلا بد لصاحب الرسالة الذي يسعى في تعبيد الناس لرب العالمين والبلاغ عن الله عزوجل أن يكثر من الشكر والحمد لهذا الاصطفاء الرباني، فهو شرف لا يوازيه أي شرف وفخر عظيم لا يعلمه إلا من ذاقه، ومكانة عظيمة حقيق أن يحيا الإنسان لها داعيا، لما لها من أثر في الحياة وبعد الممات.

ولما كان الطريق إلى الله وتبليغ رسالته محفوف بمطبات الحياة وحقد النفوس والمؤامرات والويلات، كان لزاما على صاحب الرسالة أن يكون واعيا مدركا لأعدائه بداية من نفسه التي بين جنبيه ثم الهوى، وكلها آفات غير مرئية، ومعوقات غير منظورة، لكنها ومع اختفائها كفيلة أن تجرف صاحب الرسالة عن مساره لمسارات ومآلات صعبة محزنة بعيدة عن مراد الله ورسوله، واليوم ونحن نكتب عن الآفات والمعوقات في حياة أصحاب الرسالات فإننا سنتحدث وبكل وضوح عن ثلاث آفات قاتلة في حياة كل صاحب رسالة، آفات ثلاث رأيت أنها تذهب بالمرء وعمله أدراج الرياح وتحول إخلاصه وإيمانه لهباء منثور وأول هذه الآفات القاتلة هي:

حب التصدر والتطلع إليه

إن الإنسان البارع والصادق في تجرده لربه العامل له فقط، هو ذلك التقي الذي يستوي عنده المدح والقدح، وهو أمر ليس بالهين، فالإخلاص شيء عزيز، وهو سر رباني بين العبد وربه لا يطلع عليه شيطان فيفسده، أو ملك فيكتبه، ومع خطورة هذه الآفة كانت النجاة منها بمثابة وضوح للطريق بفهم ونقاء وتقوى لله عزوجل.

إن التصدر وطلب الراية والتقدم فضلا عن الشغف بهذا الأمر هو ترجمة لقلب خاوٍ، يحب أن يطرب الجماهير أذانهً بالمدائح والثناء، وهذا عوار في طريق أصحاب الرسالات.

وترجمة خفية لحالة نفس تعاني النقص حتى لو أقسمت بعدم الرغبة والزهد، فإن لكل شيء علامات ودلائل ونحن يقينا لا نرفع سوطا نجلد به ظهور الخلق، لكن نؤكد أن هذا الأمر غير مقبول إلا في حالات، أبرزها فراغ الميادين

والانشغال الكامل بمجريات الأمور والفطانة الحياتية الشمولية، وهذا كمال لما يكن إلا في صاحب الرسالة الأعظم ﷺ.

لذلك؛ فإننا نهمس في أذن كل صاحب رسالة «إنه من طلب شيء وُكل به، ومن طُلب إلى شيء أعين عليه»، والاثنان بينهما مسافات من التجرد والزهد والإخلاص، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

ورحم الله رجلا أتى بنفسه فوضع يديه على تطلعاتها وأمانيها، ثم وبخها وشدد عليها، ثم ألزمها كتاب الله فصار لها قائدا.

الغرور

والغرور هنا نوعان:

- غرور بالطاعة والعمل الصالح.
- غرور بالعلم والشهادات.

ويقينا النوعان مهلكان، لكن لاشك أن الغرور بالطاعة أشد هلاكا وأسرع اندثارا وأمحق للبركة وأضعف لقبول العمل.

والسؤال: هل يصح وجود الغرور في حياة صاحب الرسالة بشكل عام؟

والجواب: يقينا غير مقبول، وإن غلب الطابع البشري في تأديب النفس حتمي الحدوث حتى لا يتمادى الأمر من حيث يظن صاحبه أنه ورع نقي تقي والعكس صحيح.

إن الغرور آفة ثقيلة مهلكة مضيعة للأعمال، فهي تحول سعي المرء لبوار وفلس، والأخطر في هذه الآفة أنها إن تملكت من القلب أشعرت صاحبها أنه معه صك للقبول والغفران، وأوهمته أن قدمه اليمنى في الجنة، وهذا يقينا نتاج عدم المحاسبة للنفس التي هي أشد أعداء المرء.

وإننا مع ذكرنا لهذه الآفة نذكر كل صاحب رسالة أن يلوذ إلى محرابه كثيرا، وأن يجعل بينه وبين ربه خبيئة لا يعلمها أحد فيكثر من الإلحاح ويطلب من ربه العفو، وأن يرزقه صدق التجرد والإخلاص ونقاء السريرة وأن ينتصر على نفسه التي تعشق الزهو والمدح حتى يسير برسالته إلى الله واعيا حجم التكليف لا التشريف.

فوضى الوقت

قديما كنا نسمع مقولة أن الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، والحقيقة أنه ومع حقيقة المقولة في إنهاء حياة المرء، إلا أن الوقت ليس سيفا، بل هو الحياة بشمولها.

فالإنسان يسعى ويضرب في الأرض داعيا وعاملا وساعيا على حياته وأحواله وأموره مبتغيا الرضا الإلهي، وكل هذه أوقات إن طغى بعضها على بعض اختلت حياته.

والوقت في حياة أصحاب الرسالات بمثابة الرئة التي يتنفسون منها، فهي حياتهم إن ضعفت أتعبتهم وإن توقفت عن العمل نتيجة أخطاء وفوضى فهو إعلان وفاة، فحبل التنفس قد تم إغلاقه والحياة انتهت والمعنى هو انتهاء الحياة الحقيقية واستبدالها بحياة فوضوية حيث لا تخطيط أو تنسيق أو وضع الأمور في نصابها باحترافية وفهم وإعطاء كل ذي وقت وقته، وعدم التجاهل أو الإهمال فضلا عن التواصل والتقدير.

ولعل أخطر ما في آفة الوقت وضياعه هو تحول الأمر لشيء عادي يمارسه صاحب الرسالة فلا يشعر بمشكلة في تضييع أوقاته وإهمال واجباته وعدم الاكتراث بهما.

فيمارس الأمر بكل أريحية فلا لوم أو عتاب وتلك مرحلة شديدة الخطورة في حياة أصحاب الرسالات، فالحال يتبدل والهمة تقل والسعي يضعف والوعي يجف. وتلك مقومات صعبة تنقل المرء من صاحب فهم إلى إنسان لا يبالي برسالته وأوقاته التي هي حياته، فالحياة قطار سريع ونحن نسعى لأن نصل قبله.

ختاما

يا صاحب الرسالة؛ تخلص من هذه الآفات الثلاث، فأنت أقوى بيقينك وإيمانك وصدق بيعتك مع الله التي آن أن تحددها وتضبط بوصلة قلبك وعقلك تجاه الله سبحانه وتعالى فقط.

وعليك أن تدع ما يريبك إلى ما لا يريبك، ولا تبخس الناصحين لك إخوانك في الإسلام، فالناصح محب غيور عليك، فأنصت إليه وانتبه لخطواتك وراقب موضعها وثق أنه لن يصل إلا المخلصون.. فهل وصلتك الرسالة أم لا تزال في سبات عميق؟

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث





سلسلة الأعلام المتشابهة (٦٩)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «الشمني»

١ - كمال الدين الشمني (ت:٨٢١هـ)

هو كمال الدين محمد بن محمد بن حسن الشمني الإسكندري، المالكي، محدث، مفسر، ناظم.

ولد سنة: بضع وستين وسبعمئة، واشتغل بالعلم في بلده، ثم قدم القاهرة فسمع بها من شيوخها، وسمع بالإسكندرية وتخرج بالبدر الزركشي والزين العراقي، ثم استوطن القاهرة.

من تصانيفه: «نظم نخبة الفكر» في علوم الحديث، و«الأمور الناجحة في أسرار الفاتحة»، و«نظم نخب الظرائف في النكت الزائف». وتوفي بالقاهرة في شهر ربيع الأول[1].

٢ - تقي الدين الشمني (ت:٨٧٢هـ)

هو تقي الدين أبو العباس، أحمد بن



محمد بن محمد بن حسن الشمني القسنطيني الأصل، الإسكندري، محدث، مفسر، نحوي.

ولد بالإسكندرية سنة: (٨٠١هـ)، وتعلم فيها.

من مصنفاته: «شرح المغني لابن هشام»، و«مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا»، و«كمال الدراية في شرح النقاية» في فقه الحنفية، و«منهج المسالك إلى ألفية ابن مالك» في النحو، و«أوفق المسالك لتأدية المناسك»، و«العالي الرتبة شرح نظم النخبة»، توفي بالقاهرة في شهر ذي الحجة[٢].

٣ - إسماعيل الشمني (ت:١٢٧٥هـ)

هو إسماعيل بن عبدالله الشمني، الرومي، الملقب بنيازي، عالم مشارك في بعض العلوم.

من مصنفاته: «رسالة في التجويد»، و«رفع الأستار في حل مغلقات الإظهار»، و«شرح الكافية» وكلاهما في النحو، و«شرح وصية البركوي»[٣].

المتفق والمفترق في اسم «السفاريني»

١ - عبدالله السفاريني (ت:١١٨٧هـ)

هو عبدالله السفاريني الحنبلي الشهير بابن الحطاب، أحد الأذكياء الفضلاء. قرأ على شيخه محمد السفاريني مدة وافرة، ثم رحل لدمشق، واشتغل على الشيخ أحمد المنيني، وكان نحيف الجسم ومع ذلك كانت له قوة زائدة على التهجد وقيام الليل وتلاوة القرآن، توفي بنابلس[٤].

٢ - شمس الدين السفاريني (ت:١١٨٨هـ)

هو شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني، الفقيه الحنبلي.

ولد بقريته «سفارين» بنابلس سنة: (١١٤٤هـ)، ونشأ بها، ثم رحل إلى دمشق.

من تصانيفه: «الأجوبة النجدية عن الأسئلة النجدية»، و«البحور الزاخرة عن علوم الآخرة»، و«تحبير الوفاق سيرة المصطفى»، و«تحفة النساك في فضل السواك»، و«التحقيق في بطلان التلفيق»، و«تعزية اللبيب بأحب حبيب»، و«تناقل العمال بشرح حديث فضائل الأعمال»، و«الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية»، و«غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب»، و«كشف اللثام شرح عمدة الأحكام»، و«المنح الغرامية شرح منظومة ابن فرح اللامية». توفي بنابلس[٥].

٣ - عبدالقادر السفاريني (ت:١٢٥٧هـ)

هو عبدالقادر بن مصطفى بن محمد بن أحمد المشهور بالسفاريني، حفيد العلامة خاتمة العلماء الراسخين الشيخ محمد السفاريني.

ولد بنابلس (بعد ١٢٠٠هـ)، وبها نشأ، فقرأ على مشايخها ومشايخ جبل نابلس ومدينتها، وحفظ متونا في الفقه والعربية، ثم ارتحل إلى دمشق فقرأ على مشايخها، ولازم العلامة المحقق الشيخ مصطفى الرحيباني شارح «الغاية» وتخرج عليه في الفقه، وانتفع به، وقرأ عليه وعلى غيره في بقية الفنون، فمهر، وبرع، وفاق أقرانه، وتأهل للتدريس والإفتاء، بل وللتصنيف، فدرس في الفقه وأصوله، وفي النحو والصرف وغير ذلك، وكتب على «شرح المنتهى» حال الدرس كتابة مسددة فأصابته عين الكمال، فتعاطى علم الحرف والأوفاق، توفي بنابلس[٦].

الهوامش

١ - انظر: شذرات الذهب (١٥١/٧) وهدية العارفين (١٨٣/٢) ومعجم المؤلفين (٢١٩/٩).

٢ - انظر: الضوء اللامع (١٧٤/٢) والأعلام للزركلي (٢٣٠/١) ومعجم المؤلفين (١٤٩/٢).

٣ - انظر: هدية العارفين (٢٢٣/١) ومعجم المؤلفين (٢٧٨/٢).

٤ - انظر: سلك الدرر (١١٧/٣) والسحب الوابلة (٦٦٦/٢).

٥ - انظر: هدية العارفين (٣٠٤/٢) ومعجم المؤلفين (٢٦٢/٨).

٦ - انظر: السحب الوابلة (٥٨٥/٢).



إعداد: هشام الصباغ
باحث لغوي

عاشق بغداد وعالمها

جلال الدين الحنفي البغدادي

■ منذ مبدأ حياته المهنية: إماما وواعظا وخطيبا، اختلف على إمامته كثيرون، واتفق عليها آخرون، لكنه كان، ومنذ عقده الأول، يلازم مجالس العلماء؛ يستمع إلى بليغ كلامهم، محاولا شرحه وفهمه على طريقة ونهج خطهما لنفسه حتى أمسى نابغة في حفظ وتفسير وشرح القرآن الكريم والسيرة النبوية العطرة، ولغويا وعالما من الطراز الأول.

■ من بغداد عاصمة الدنيا، بغداد المجد والحضارة والعلماء والشعراء والنخيل الباسقات.. لكنه لم يكن أحد الذائبين عشقا بها أو مجرد عالم من علمائها في اللغة صرفا ونحوا وعروضا إلى غير ذلك من علوم فقط، بل كان جزءا من تراثها وأصالتها.. وإلى الآن مازال الجميع يرونه من أعمدة جامع الخلفاء الذي عاش فيه أغلب أيام عمره خطيبا وإماما وخادما وحارسا.

■ عالم تجويد وتلاوة وترتيل من الطراز الأول، ألف كتابا عظيم الشأن في هذه العلوم بعنوان: «علم التجويد»، أصبح منهجا من مناهج دائرة معارفها، وهو واحد من رموز الأدب والفلكلور العراقي.. ومن بين أبرز رواد الكتابة الصحفية.. وأحد ألمع شخصيات العراق الفكرية والأدبية والدينية والتراثية.

■ لفرط حبه لبغداد لقب نفسه بـ«البغدادي»، ولشدة اعتزازه بالإمام الأعظم لقب نفسه بـ«الحنفي»، إنه حبيب بغداد وعاشقها الشيخ: جلال الدين الحنفي البغدادي.

الولادة والنشأة

■ وُلد الشيخ جلال الدين بن محيي الدين بن عبدالفتاح بن مصطفى بن ملا محمود الحنفي البغدادي في أعرق العواصم الحضارية في العالم... بغداد.. وتحديدا في محلة البارودية عام: (١٩١٤م) ، لأسرة عراقية طيبة.

■ عاش فترة قصيرة من طفولته بالبصرة، ولما بلغ عهد الصبا قرأ القرآن الكريم على الملا إبراهيم الأفغاني بمحلة الميدان، وتعلم بعض علومه في كتاتيب البصرة، ثم عاد والده إلى بغداد فدرس الحنفي في مدارسها: البارودية والمأمونية والحيدرية وأنهى دراسته الابتدائية فيها عام: (١٩٣٠م) .

■ وهو ما زال يافعا عمل مصححا ومحررا في مجلات بغداد الإسلامية، وفي الوقت نفسه واصل دراسته مساء إلى أن تخرج في كلية الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ببغداد. وفي تلك الفترة اتصل بعدد من علماء عصره، منهم: الشيخ محمد القزلجي، والشيخ رشيد آل الشيخ زاده، والشيخ كمال الدين الطائي، والشيخ العلامة سليمان سالم الكركوكلي.. وغيرهم كثير.

حياته العملية وإنجازاته

■ شغل منصب الإمامة والخطابة لأول مرة عام: (١٩٣٥م) في جامع المرادية، وفي عام: (١٩٣٩م) سافر إلى مصر لمواصلة دراسة العلوم الشرعية، وبعد عودته من مصر عمل في دائرة الأوقاف؛ وأخذ يتنقل بين الإمامة والخطابة في عدد من مساجدها، مثل: جامع عطا في الكرخ، وجامع نعمان الباجه جي في الرصافة، وجامع الوصي (الحرية حاليا) في محلة العيواضية، وجامع أمين الباجه جي، وجامع كوت الزين في البصرة، وجامع الكهية في الميدان.

■ درّس عام: (١٩٥٠م)، في مدارس وزارة المعارف، كما درّس العروض لست سنوات في كلية الإمام الأعظم.. وفي عام: (١٩٦٦م)، انتدب مشرفا لغويا في وزارة الإعلام العراقية، وأثرى الصحف العراقية والعربية بعشرات المقالات ذات الطابع الخاص، لاسيّما فيما يخص تاريخ بغداد وثقافتها الشعبية والمقام العراقي، كما قدم برامج دينية وثقافية في راديو بغداد وتلفازها.

■ أسس وترأس جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية في بغداد التي ترعى اليتامى والمعوزين.. وسعى حثيثا في نشر العلم بصورة متطورة، وكانت ثمرة جهوده في ذلك أن تأسس المركز الإقرائي العراقي للقرآن الكريم عام: (١٩٧٧م) في جامع الخلفاء، وكان مديرا له، والذي اختص بتعليم أصول وقواعد التجويد وقراءة القرآن والإلقاء الصوتي، وكان الشيخ وزوجته يخدمان الطلاب ويعلمونهم مجانا.

■ درّس علم التجويد والقراءات القرآنية في معهد الفنون الموسيقية في بغداد، وأجرى في علم العروض تعديلات ونشرها في كتابه «العروض تهذيبه وإعادة تدوينه»، الذي يعد من أضخم مؤلفاته، والذي لقي نجاحا كبيرا في الأوساط الأدبية في العالم حتى ترجم إلى أكثر من لغة.

الحنفي والأزهر

■ (١٩٣٩م)، هو العام الذي شهد رحلة الشيخ جلال الحنفي الأولى إلى القاهرة، في بعثة لدراسة العلوم الشرعية في الجامع الأزهر، وتحديدا في كلية الشريعة، لكن اندلاع الحرب العالمية الثانية، حال دون استمراره في مصر، إذ عطلت الدراسة في سائر الجامعات المصرية ومن جملتها الأزهر، فعاد الحنفي إلى العراق في يوليو (١٩٤٠م).

■ بعد عودة النشاط الدراسي مرة أخرى عاد الحنفي ومكث بالقاهرة ٦ سنوات، وفي مذكراته يقول الحنفي عن تلك الفترة: «إن البعثة الدينية هذه كانت على نفقة الملك فاروق، وكانت الأوقاف تمنحنا شهريا ٣ دنانير والحكومة المصرية تدفع لنا مثلها كل شهر».

■ وعن الدراسة في الأزهر ذكر الحنفي: «إن العلوم الدينية هنا وهناك واحدة، وكانت تسمى عندنا في العراق الجادة، لكنها في الأزهر أدق تنظيما وأكثف تعليما وأغزر عطاء وأعلى في خريجيها عددا».

الحنفي والكويت

■ قبل هدم سور الكويت القديم، وتحديدا عام: (١٩٦٥م)، زار الحنفي الكويت، وقابل سمو الأمير الشيخ عبدالله السالم، رحمه الله، في قصر السيف، ثم عاد مرة ثانية عام: (١٩٥٩م)، بدعوة من دائرة الأوقاف حينها، التي كلفته بإمامة مسجد العوضي.. وفي تلك الزيارة وضع الحنفي لنفسه برنامجا يوميا قاسيا لجمع مفردات العامية الكويتية، فكان يتجول في الأزقة والشوارع بحثا عن أسماء ما تقع عليه عينه، ما أثمر بعد ذلك جمعه لكتاب «المعجم للعامية الكويتية».

■ في عام: (١٩٦٠م)، رجع إلى الكويت مرة ثالثة ليتثبت من ألفاظ في معجمه اضطرب عليه تفصيل حالها.. وفي تلك الزيارة سجل مظاهر التقدم والحداثة التي اصطبغت بها الكويت.. بعدها عاد إلى العراق، وفي عام: (١٩٦٤م) طبع كتابه «معجم الألفاظ الكويتية» من خمسمئة نسخة فقط .

الحنفي والصين و«الصينية»

■ كانت للصين مع الحنفي قصة طويلة شيقة، فقد سافر إليها ثلاث مرات، جميعها بتكليف من الحكومة العراقية: في السفرة الأولى، وكانت عام: (١٩٦٦م)، أوفدته الحكومة العراقية إلى بكين لتدريس اللغة العربية في معهد اللغات الأجنبية بمدينة شنغهاي، وبقي في الصين يدرس حتى عام: (١٩٦٩م).. وكانت رحلته الثانية عام: (١٩٧٧م) واستمرت نحو عامين، بينما كانت الثالثة عام: (١٩٨٧م).

■ خلال فترة مكوثه الأولى بالصين، والتي استمرت ما يزيد على ٣ سنوات، عكف الحنفي على تعلم اللغة الصينية عن طريق السماع والاختلاط والدراسة، والعجيب أنه لم يتقنها أحسن إتقان فحسب، بل كتب مسودات لقاموس «عربي - صيني» لم يُسبق إليه.

■ هدف الحنفي من وراء قاموسه هذا كان مساعدة العرب على نطق المقاطع الصينية من خلال حروف تحاكي الأصوات الصينية؛ فعلى سبيل المثال: جعل أربع نقاط لحرف النون في حالة إشباعه بشكل واسع، وثلاث نقاط في حالة أخرى أقل، ونقطتين.. وهكذا جرى العمل على حروف أخرى، لكن هذا القاموس لم ير النور، حيث تسرب ماء البحر إلى مستودع الباخرة التي كانت تقل أمتعة الحنفي إلى العراق، وكان ضمنها أوراق هذا المشروع العظيم، فمحت كل ما كتب.

تركته العلمية

■ تعددت مؤلفات الحنفي التي قدمها للمكتبة العربية والإسلامية وتنوعت حتى بلغت ما ينيف على (٤٠٠) ما بين مجلد بأكثر من (١٠) أجزاء وكتيبات صغيرة الحجم، فضلا عن مخطوطات جليلة تنتظر من يأخذ بيدها وينشرها، منها الأجزاء الباقية من مؤلفه «معجم اللغة العامية البغدادية»، الذي يقع في (٧) أجزاء، طبع منها ٣ في حياته، وبقيت الأخرى تنتظر الطبع. ومن مؤلفاته: «أحاديث من وراء الميكرفون»، و«لا صلح مع إسرائيل»، و«المرأة في القرآن»، و«معجم الألفاظ الكويتية»، و«شهر رمضان».. وغيرها كثير.

وفاته

■ توفي الحنفي، رحمة الله عليه، وأسدل الستار على حياة عالم عراقي كبير في بغداد فجر الأحد (٤ مارس ٢٠٠٦م)، ودفن في مقبرة الشيخ عمر السهروردي الواقعة في جانب الرصافة من بغداد.

مساهماته مع «الوعي»

■ للشيخ جلال الدين الحنفي البغدادي مساهمة واحدة مع المجلة، جاءت تحت عنوان: «الدم المسفوح بين التفسير واللغة»، نشرت في العدد: (٥٣).

المصادر

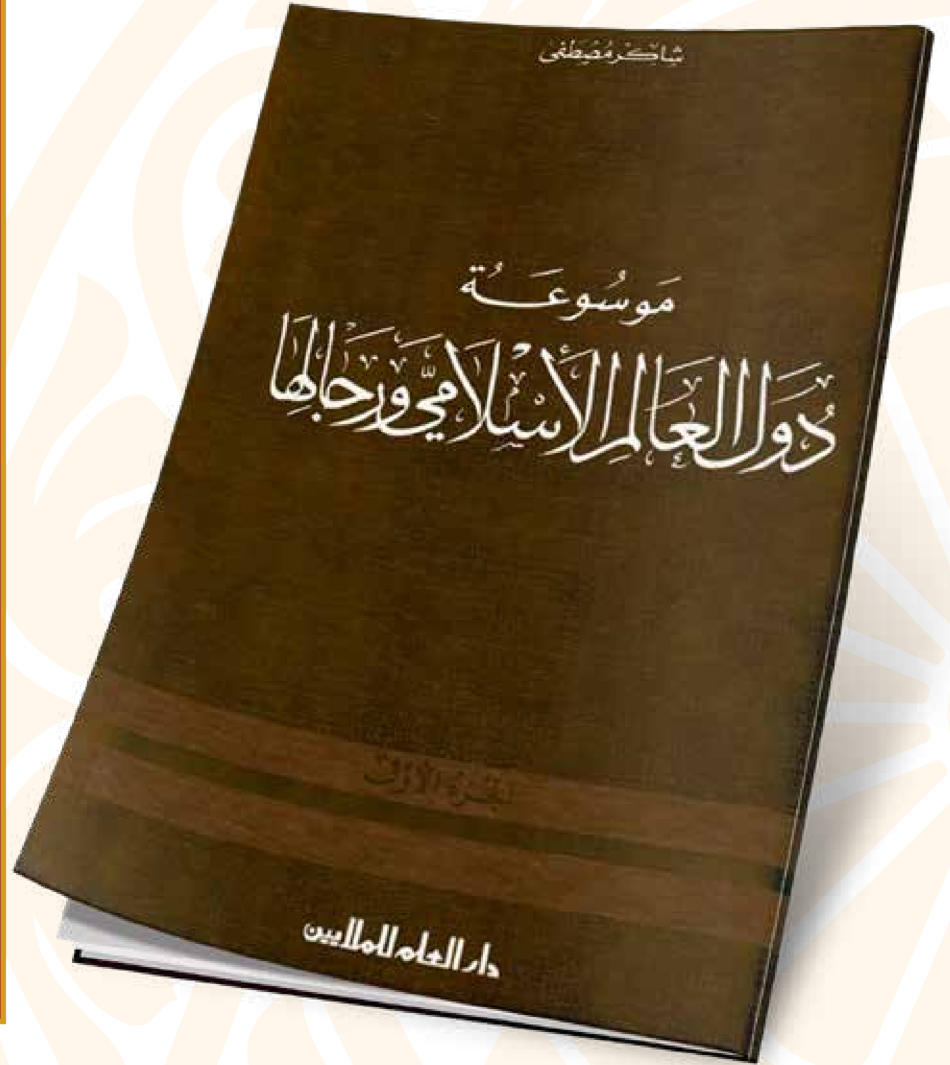
- كتاب «أعلام وعلماء كتبوا في الوعي الإسلامي».
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- مواقع إلكترونية عدة: «ملاحق المدى»، «مركز النور للدراسات»، «مجلة الكاردينيا»، «الصدى.نت»، «موقع ديوان العرب»، «موقع الزمان العراقي».



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

موسوعة دول العالم الإسلامي ورجاله

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.



تُعدُّ مكتبة مجلَّة الوعي الإسلاميّ من أهمِّ أركان المجلَّة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المجلَّة عام (١٩٦٥م)، ثمَّ تعمَّق الاهتمام ويأتي كتاب: «موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالموسوعة

وهو كتاب في جملته عرض مكثف للحضارة الإسلامية، وتتبع دقيق لبناة هذه الحضارة، ورسم تخطيطي لدوله، أراد منه صاحبه أن يعي الناس معنى كلمة تاريخ الإسلام والمسلمين، وأبعاد هذه الكلمة ألوانا وشعوبا وحكومات، وأدباء وعلماء وآثارا، ألفه: د. شاكر مصطفى، وقد صدرت أول طبعة له سنة: (١٩٩٣م).

التعريف بالكاتب

شاكر مصطفى: مؤرخ وأديب وباحث، لقبه النقاد والباحثون بأديب المؤرخين ومؤرخ الأدباء، ولد بمدينة دمشق عام: (١٩٢١م)، وعشق القراءة والأدب منذ نعومة أظفاره.

أصدر حوالي خمسين كتاباً من الأدب والتاريخ والدراسات التاريخية

والقصصية، إضافة إلى نشره مئات المقالات في الصحف والمجلات العربية، وفي مقدمتها مجلتا: علم الفكر، والعربي. وقد عرف بكيفية سرده لوقائعه بطريقة فنية جذابة، وبأسلوب سلس، يسكبها بقالب قصصي مشوق، وبالاطلاع على سيرة حياته ندرك كم تعب على تثقيف نفسه، وكم عانى من متاعب، وواجه من صعوبات حتى استطاع أن يصبح أديباً ومؤرخاً يشار إليه، لأنه كان يقرأ في السر كل ما يقع تحت يديه في نهم الميت من الجوع. فجمع شاكر بين الأدب والتاريخ حيث كان يقول: «التاريخ هو مهنتي، والأدب هو هواية عمري». ومن هنا جاءت كتبه في التاريخ قطعاً أدبية لا أجمل ولا أعذب فإذا بالشخصيات التاريخية التي يحدثك عنها تتحول بقلمه البارع إلى شخوص روايات وملاحم يتحركون أمامك وكأنهم يتحركون على مسرح.

تدرج في تحصيله الدراسي والجامعي فنال سنة: (١٩٤٥م) الإجازة في التاريخ من جامعة القاهرة، ثم عين مدرسا في درعا ثم دمشق، ثم أصبح مديرا للمعارف في حوران سنة: (١٩٥٥م)، ثم أمينا عاما بجامعة دمشق سنة: (١٩٥٦م)، فمستشارا ثقافيا في السفارة السورية بالقاهرة، وقد تنقل في عمله الدبلوماسي وتقلد عدة مناصب، وخلال مزاولة عمله الدبلوماسي وتنقله بين دول العالم أتقن اللغتين الإسبانية والبرتغالية، إضافة إلى الإنكليزية والفرنسية اللتين كان يتقنهما من قبل. ثم عاد إلى سورية عام: (١٩٦٤م) وأصبح مديراً عاماً للشؤون السياسية في وزارة الخارجية، فأميناً عاماً بالوكالة، إلى أن اختير عام: (١٩٦٥م) وزيراً للإعلام وبقي فيه حتى عام: (١٩٦٦م)، وفي التاريخ الذي أعفي به من منصبه سافر فيه إلى الكويت ليعين أستاذاً للتاريخ العربي والإسلامي في جامعتها، وظل في هذا العمل خمساً وعشرين سنة. وفي عام: (١٩٧٠م) نال شهادة الدكتوراه من جامعة جنيف في سويسرا، ليصبح بعدها عميداً لكلية الآداب في جامعة الكويت، ثم انتدبته دولة الكويت ليشغل منصب الأمين العام المساعد بجامعة الدول العربية في تونس للجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية. وحين تقاعده عاد إلى دمشق، فلم يستسلم إلى الراحة ومتاعب الشيخوخة، وظل عاكفاً على العمل حتى وافته المنية في: (١٩٩٧/٣/٣١م)، وهو في السادسة والسبعين من عمره (يرحمه الله تعالى).

مؤلفاته

«محاضرات عن القصة في سورية حتى الحرب العالمية الثانية»- «معنى السلام عند إسرائيل؛ ماذا تريد إسرائيل؟»- «التاريخ العربي والمؤرخون»- «الأدب في البرازيل»- «الأندلس في التاريخ»- «موسوعة العالم الإسلامي ورجالها»- «بين الأدب والتاريخ»- «المنسيون في التاريخ»- «في التاريخ الإسلامي»- «المدن في الإسلام حتى العصر العباسي»- «من ذكريات الغزو الفرنجي؛ وجوه من العهد الصليبي»- «في ركب الشيطان»- «صلاح الدين الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترى عليه»- «حضارة الطين»- «من الغزو الصليبي إلى الغزو الصهيوني وبالعكس»، وغيرها كثير.

المحتوى العام للكتاب:

وقد سار الكاتب على منهج امتاز بالآتي:

الإحاطة بالتاريخ الإسلامي في أحداثه وسلالاته ورجال الفكر والحضارة من خلال عرض مختصر ومركز.

ذكر بعض التفصيلات الضرورية من خلال خلاصات تاريخية حول كل سلالة ودولة، كان لابد منها لوضع هذه الدول في السياق التاريخي العام.

التركيز على الحلقات المجهولة في التاريخ الإسلامي.

الاهتمام بالمناطق العربية في التاريخ الإسلامي دون إهمال لسائر الحواضر والثغور.

ذكر رجال الإسلام في كل مجال.

دعم الفصول والمباحث بعدد من المراجع توفر للقارئ فرصة التوسع.

وينقسم الكتاب بمجلداته الثلاثة إلى خمسة أقسام:

ما بين عصر الرسالة وأواسط القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي في المشرق والمغرب (إلى ٤٥٠هـ).

عصر السلاجقة والصليبيات وما يتصل به في بلاد الترك وفي المغرب (من ٤٥٠-٦٥٠هـ).

العصر الأيوبي المملوكي وما يتصل به في إفريقيا الإسلامية (من ٦٥٠-٩٠٠هـ).

العصر العثماني وما يتصل به في المشرق الهندي - الصيني (من ٩٠٠ - ١٣٠٠هـ).

البلاد العربية في القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذه الكتاب النفيس، وهو في متناول قراءه الكرام المهتمين بكتب التاريخ والتراجم.

المصادر

موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

موقع الجزيرة نت، مقال بعنوان: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، قسم: كتب ومراجع.

إعداد/ تركي محمد النصر

مَن رفق بعباد الله رفق الله به

قال العلَّامةُ ابنُ القيِّم رحمه الله: «مَن رفق بعباد الله رفق الله به، ومَن رحمهم رحمه، ومَن أحسن إليهم أحسن الله إليه، ومَن جاد عليهم جاد الله عليه، ومَن نفعهم نفعه، ومَن سترهم ستره، ومَن منعهم خيره منعه خيره، ومَن عامل خلقه بصفة عامله الله بتلك الصِّفة بعينها في الدُّنيا والآخرة. فالله تعالى لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه».

انظر: الوابل الصيب (٦١/١).

أمُّ النَّدامة

قال العلَّامةُ أبو اسحاق القيروانيُّ: «قال بعض الحكماء: إيَّاك والعجلة؛ فإنَّ العرب كانت تكنِّيها أمَّ النَّدامة؛ لأنَّ صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكِّر، ويقطع قبل أن يقدِّر، ويحمد قبل أن يجرِّب، ويذم قبل أن يَخْبُرَ، ولن يصحب هذه الصِّفة أحد إلا صحب النَّدامة، واعتزل السَّلامة».

انظر: زهر الآداب وثمر الألباب (٩٤٢/٤).

حفظ اللسان يسترُ العُيوب

قال الإمامُ النَّوويُّ رحمه الله تعالى: «بلغنا أنَّ قسَّ بن ساعدة، وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم مِن العيوب؟

فقال: هي أكثر مِن أن تُحصى... فوجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها. قال: ما هي؟ قال: حفظ اللسان».

انظر: كتاب الأذكار (٤٢٣/١).

عُقوقُ اليوم وظلم النَّفس

قال العلَّامةُ المناويُّ رحمه الله تعالى: «مَن أمضى يومَه في غير حقٍّ قضاهُ، أو فَرْضٍ أدَّاه، أو مَجدٍ أثَّله، أو حَمدٍ حَصَّلهُ، أو خيرٍ أسَّسَهُ، أو عِلمٍ اقتبسَهُ، فقد عَقَّ يومَهُ وظلَمَ نَفسَهُ».

انظر: فيض القدير (ص/٢٨٨).

مِن آداب المجالسة

قال العلَّامةُ ابنُ عبد البرِّ القرطبيُّ رحمه الله: «قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ممَّا يُصفي لك ودَّ أخيك: أن تبدأه بالسَّلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحبِّ الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس.

وقال أبو أيوب الأنصاري: مَن أراد أن يكثر علمه فليجالس غير عشيرته».

انظر: أدب المجالسة وحمد اللسان لابن عبد البر (ص/٢٩).

مشاركة: يعقوب الجناع

مِن دلائل رقَّة القلب

قال ابنُ القيِّم رحمه الله: «مِن دلائل رقَّة قلب المؤمن، أن يتوجَّع لعثرة أخيه المؤمن إذا عثر، حتَّى كأنَّه هو الذي عثر بها، ولا يشمت به».

انظر: مدارج السالكين (١/٤٣٦).

معرفةُ الرِّجال

روى هشامُ بنُ عروة عن أبيه، قال: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرجل: «ما تقول في فلان؟».

قال: لا بأس به يا أمير المؤمنين.

قال: «هل صحبته في سفر قط؟».

قال: لا يا أمير المؤمنين.

قال: «هل جرت بينك وبينه خصومة قط؟».

قال: لا يا أمير المؤمنين.

قال: «فهل ائتمنته على درهم، أو دينار قط؟».

قال: لا يا أمير المؤمنين.

قال: «لا علم لك بالرَّجل، إنَّما رأيت رجلًا يضع رأسه في المسجد ويرفعه».

انظر: الفوائد والزهد والرقائق والمراثي للخلدي (ص/٤٢).

صفاتُ المتَّقين

قال الإمامُ الذَّهبيُّ رحمه الله: «رحم الله مَن أقبل عِلى شأنه وقصر من لسانه، وأقبل على تلاوة قرآنه، وبكى على زمانه، وأدمن النَّظر في الصَّحيحين، وعَبَدَ الله قبل أن يبغته الأَجل».

انظر: تذكرة الحفَّاظ (٢/٨٦).

تدوينُ الفوائد

قال الإمامُ النَّوويُّ رحمه الله تعالى: «ولا يحتقرنَّ فائدة يراها أو يسمعها في أي فنٍّ كانت، بل يبادر إلى كتابتها، ثمَّ يواظب على مطالعة ما كتبه».

انظر: المجموع (١/٣٩).





ذهان التعالم وآثاره على الفرد والجماعة

تعد عقدة الذهان **Psychose** من أخطر العقد النفسية المرضية التي تصيب الكوامن العقلية والنفسية والوجدانية والباطنية الداخلية للفرد السوي فتحيله بمرور وتفاعل الزمن المرضي إلى فرد متأزم ومريض ومعقد. كما تعد هذه العقدة أيضا من أخطر الأسقام النفسية القاتلة، التي تنخر ببطء في تماسك ووحدة ونشاط وانسجام الجماعة، لأنها تخلق نمطا ونسقا جديدا من أنماط وأنساق التعامل الجمعي للجماعة وأفرادها الأسوياء وغيرهم، بحيث تخلق عبر آلياتها وتفاعلاتها المرضية محتوى ومستوى وسبيلا يغاير البتة ما درجت واعتادت عليه الجماعات السوية اجتماعيا ونفسيا وتواصليا.. وهي أنواع مختلفة ومتنوعة ومتباينة، تتكون وتنمو وتنضج وتسود ضمن نسق النسيج الاجتماعي والقيمي للجماعة، باعتبار تضافر أو تنافر مجموعة العوامل والمتغيرات الاجتماعية والقيمية والنفسية للفرد والجماعة.

وقد تتكاثر هذه العقد وتتوالد غيرها الكثير من العقد الشبيهة والمتباينة إذا توافرت لها ظروف ومعطيات وعوامل ومتغيرات طبيعية أو عرضية أو بيئية أو نفسانية مرضية مناسبة، فقد عرف علم النفس المرضي خلال دراساته وأبحاثه القرنية الماضية عقدة ذهان «الاستسهال» وذهان «الاستحالة» وذهان «التعالم» على حد ما ذهب إليه المفكر الإسلامي العالمي مالك بن نبي (ت:١٣٩٤هـ/١٩٧٣م) في كتابه «وجهة العالم الإسلامي» (ص:٨٨ وما بعدها).

وفي ضوء شبكة العلاقات الاجتماعية والتربوية والنفسية والقيمية المتأزمة ينصهر الفرد السوي في لوثاتها وجاهلياتها فيصير فردا مريضا ومتأزما بعقدة الاستسهال أو الاستحالة أو التعالم..

وتتحول -تبعا لتراكمات العقد في نفسيته- نظرته وتصوراته ورؤاه إلى الأشياء والأمور والمواقف والأحداث والمنجزات والأعمال.. تبعا لنوعية العقدة المسيطرة عليه، فيصير يرى الحديث في الطب والأمراض وعالم الأوبئة وكأنه طبيب مختص نظرا لما حصله من معارف عامة عبر الشبكات الإلكترونية، وما تنقله من أفلام وصور ومعارف سطحية.. فتجد حارسا أو بوابا أو عاملا محدود التعليم والثقافة.. يحدثك عن منافع أو مخاطر التطعيم ضد وباء «كوفيد»، وعدم وضوح مرحلة التجارب السريرية، وأي نوع من اللقاحات أنفع وأجود.. ويخبرك لماذا هو امتنع عن أخذ اللقاح مخالفا نصيحة الأطباء، ويعدد لك الأسباب والموانع التي حملته على ذلك..

فأين نذهب بهذه القاعدة القرآنية الذهبية: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (الأنبياء:٧)، وحكمة المصطفى وسنته المحكمة ﷺ: «قتلوه قتلهم الله ألا سألوه إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال» (أخرجه أبوداود). فاعتبروا وانتبهوا يا أولي الأبصار من خطورة تفشي مثل هذه الأسقام النفسية في الفرد والجماعة.. وعلى رأسها عقدة ذهان التعالم وشقيقاتها..

د. أحمد عيساوي

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com







ذو القعدة من الأشهر الحرم

جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية عن فضل الأشهر الحرم: الأشهر الحرم فضلها الله على سائر شهور العام، وشرفهن على سائر الشهور. فخص الذنب فيهن بالتعظيم، كما خصهن بالتشريف، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ (البقرة:٢٣٨).

قال ابن عباس: خص الله من شهور العام أربعة أشهر فجعلهن حرما، وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن والعمل الصالح والأجر أعظم، وعن قتادة: الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم في كل حال عظيما، ولكن الله يعظم من أمره ما شاء، فإن الله تعالى اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسلا، ومن الناس رسلا، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر. قال قتادة: فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل. (تفسير الطبري).

علي محمد حفظي



ابتهال

يا رب.. إني في رحابك أخشع
وألوذ في محراب حبك.. أركع
وأقول للريح التي تجتاحني
رفقا فإن الحب لا يتزعزع
هتك الزمان سرائري ومدامعي
وإليك أهفو خالقي متضرع
وإليك يا رباه.. أشكو حالتي
من لي سواك إذا ادلهم المضجع
وبدا على كل الوجوه.. تسمر
والروح ثكلى.. والجوانح تهلع
والقلب فارقه الوجيب.. تلهفا
والجسم يرعد.. والنهى تتصدع
والجنة الخضراء.. ظل وارف
وجهنم.. قد شاب منها الرضع
والخلق يا رباه.. ترنو للعلا
ولنبل عفوك يرتجون ويطمعوا
رباه.. إني والضلال يشدني
تمثال إثم في الغواية يمرح
ويقودني كالعيس وجه دريهم
وفتاة حب في صباها أخنع
ما الدهر يا رباه.. إلا دمعة
والعمر.. إلا جيفة لا تنفع
والعلم يقبع في الدجى.. متذللا
والجهل يبزغ في الزمان ويسطع
يا رب هذي حالنا.. فاغفر لنا
كل الذنوب.. فإن عفوك أوسع

شعر/ محمد ياسر منصور

مِسكُ الختام

ماذا تعرف عن المسجد الأقصى؟

يحظى المسجد الأقصى بمكانة كبرى في الإسلام وقلوب المسلمين، فهو الأول والثاني والثالث، فماذا تعرف عن هذا المسجد؟

يعتبر المسجد الأقصى أولى القبلتين؛ فقد اتجه المسلمون نحوه بصلاتهم في بداية الإسلام واستمروا على ذلك فترة ليست قصيرة قبل أن يؤمروا بتغيير القبلة والتحول شطر المسجد الحرام في مكة المكرمة. عن البراء بن عازب ﵁ قال: صليت مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم صرفنا إلى القبلة. ويعد المسجد الأقصى ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام، فعن أبي ذر الغفاري ﵁ قال: قلت: يا رسول الله! أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام». قال: قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه». ويعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين أهمية بعد الحرمين المكي والمدني. كما أنه أحد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها، عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى». وتعتبر الصلاة في المسجد الأقصى مضاعف أجرها عن غيرها من صلاة، فعن أبي ذر ﵁ قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ فقلنا: أيهما أفضل: مسجد رسول الله ﷺ أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض، حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعا» - أو قال: «خير من الدنيا وما فيها». ويقع المسجد الأقصى في أرض باركها الله تعالى، كما أنه منتهى إسراء نبينا محمد المصطفى ﷺ، وبداية المعراج إلى الملأ الأعلى. قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. (الإسراء:١).

وهناك الكثير من الآيات والأحاديث والروايات عن فضل ومكانة المسجد الأقصى وما له من قدسية في العقيدة الإسلامية، وهو ما يتوجب على المسلمين توحيد صفوفهم والتمسك بمسجدهم والدفاع عنه ضد كل محاولات الاعتداء عليه والمساس به إلى أن يحقق الله النصر ويعود «الأقصى» إلى أهله.

عبدالله الظفيري
كاتب وباحث

العدد (٦٨٨) ذو الحجة ١٤٤٣ هـ - يوليو/ أغسطس ٢٠٢٢م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

الحجُّ منافعُ

- هنيئًا للمسلمين بعيدهم
- هدي النبي ﷺ في رد الجميل
- عطلة الصيف وإدمان الشاشات
- التحول الرقمي في الأوقاف


مجلة الوعى الإسلامى


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com


موقع مجلة الوعي الإسلامي



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

مهوى الأفئدة.. شوق واشتياق

في هذه الأيام المباركة، تهوي الأفئدة، وتتجه الأنظار، إلى البقاع المقدسة التي هيأها الله لعباده، واختارها لتكون محلا لأداء مناسك الحج والعمرة، فهذه قوافل الحجيج تتوافد، أتوا قاطعين الفيافي والقفار، يحدوهم الشوق بعد الانقطاع، ويدفعهم الإيمان، وتقودهم الرغبة، راغبين فيما عند مليكهم ومولاهم من رحمة واسعة ومغفرة بلا حدود، ليحصلوا على المقصود بشهود يوم الغفران الأكبر، فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ماذا أراد هؤلاء» (رواه مسلم).

إن المسلمين المتجهين بأفئدتهم إلى بيت الله العتيق، الذي اشتاق لزواره بعد انقطاع دام لسنتين، وبعد تجاوزهم لمحنة أزمة كورونا وما نتج عنها؛ لهم بحاجة إلى أن يعملوا بجد وصدق للخروج للارتقاء بإيمانهم وأعمالهم، وأن تكون لهم الفطنة الكافية ليأخذوا من هذا التجمع الإسلامي العظيم الدروس والعبر في الوحدة والتضامن، والبعد عن الفرقة والتشاحن، وقد جمعهم دين واحد، ومنهج واحد، ومكان واحد هو أول بيت وضع للناس.

فشعيرة الحج من أعظم الشعائر، وهي عبادة من أقدس العبادات، فمنافعها متعددة ومقاصدها متجددة، وأهمها: أن يكون الحج منطلقا لإعلان التوحيد الخالص لله وتطهيرا للقلوب والعقائد من الشوائب التي تؤثر في العقيدة والتوحيد، ورسما لمنهج قويم للحياة وللعمل الجاد القويم.

فلا بد للمسلمين وهم يزورون مكة البلد الحرام أن يتذكروا بطولات أسلافهم العظيمة، ويتحسسوا تاريخهم الماجد من لدن نبيهم محمد ﷺ الذي صدع بدعوة الحق في تلك البقاع إلى أن عاد إليها فاتحا مظفرا، مرورا بالصحابة الكرام، وانتهاء بالفاتحين العظام الذين نشروا دعوة الحق في مختلف أرجاء المعمورة.

كما ينبغي للمسلمين وهم على أرض طيبة المنورة أن يدركوا أن هذا الدين ما كان له أن يسمو - بعد توفيق الله - إلا بما كان عليه الرعيل الأول من المسلمين في هذه المدينة المباركة من التوافق والتآزر والتناصر، فهنا بدأ التآخي، وهنا قسمت الممتلكات، وهنا تعلم النشء، وهنا انطلقت جيوش الحق إلى مختلف أنحاء العالم، وهنا أسست دولة الإسلام الأولى وقاعدته المتينة، في هذه المدينة التي فضلها الله وأكرمها بأن جعلها البلد الذي ينجمع إليه الإيمان إذا ضعف في نفوس أهله؛ فقال ﷺ: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» (البخاري: ١٨٧٦). وقال ﷺ أيضا: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة» (البخاري: ٢١٢٩).

وختاما: ونحن نستقبل موسم الحج المبارك؛ لا بد أن نشيد بالجهود الجبارة التي يبذلها القائمون على هذه الشعيرة المباركة لاستضافة المسلمين من جميع بلاد العالم، فجزاهم الله خير الجزاء، وأجزل لهم المثوبة والعطاء، ولا ننسى ما تقوم به إدارة الحج الكويتية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالتعاون مع مختلف الجهات الحكومية من جهود لتأمين الحج الآمن الذي يليق بضيوف الرحمن الكرام، فبارك الله في الجهود، ونسأله الإخلاص لحصول المقصود.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٨٨/ ذو الحجة ١٤٤٣ هـ
العام التاسع والخمسون
يوليو - أغسطس ٢٠٢٢م

في هذا العدد



رئيس التحرير
فهد محمد الخزّي

المراقب المالي والإداري
طلال عثمان العثمان

التحرير
علاء الدين عبدالفتاح
أمين حميد عبدالجبار
د. تركي محمد النصر

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
مطابع العصرية

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

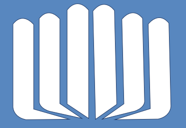
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

أبناؤنا والعطلة

أيام الله كلها خير والعطلة الدراسية فرصة ذهبية لتنمية مهارات الأبناء، لكن بعض أولياء الأمور يفضلون أخذ استراحة من ضغط التحصيل العلمي ومتابعة الأبناء فيتركونهم والهواتف الذكية وألعاب الفيديو وشاشات التلفاز لعلهم يستريحون ويريحون!

والعجيب أن مراكز ثقافية ومساجد بل وبعض المدارس تنشط من أجل أبنائنا الطلاب لكن المستجيبين قلة. وفي حين لدينا الفرصة لتنمية الشخصية الواعدة نتغافل عن هذا الدور ونتركها لبرامج وألعاب ما أنزل الله بها من سلطان، لا يستفيد الولد منها غير تضييع الوقت وإهداره فيما لا فائدة منه، بل ربما عاد عليه بالضرر في صحته أو أخلاقه وسلوكياته، فأضرار هذه الألعاب وتلك الأجهزة ومخاطرها أكبر من نفعها وفائدتها.

نعم إن الولد بحاجة إلى التسلية واللعب، ولكن من الألعاب ما ينمي العقل ويحرك الجسد فيكون فيها الفائدة، ومنه ما يدمر الشخصية ويعيقها، فلنعمد إلى النافع المفيد ولنتجنب الضار فكلكم راع ومسؤول عن رعيته.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- باقي دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)





(كونا)

سمو ولي العهد ألقى كلمة بالنيابة تضبط المعايير وتعيد مياه الأمل إلى مجاريها

أمير العفو ربان سفينة الأمان

وجه حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح -حفظه الله ورعاه- كلمة إلى المواطنين لاقت استحسانا ورد فعل إيجابي واسع لدى الشعب الكويتي والمراقبين السياسيين على مستوى العالم، جاء نصها نقلا عن وكالة الأنباء الكويتية:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بوافر نعمته.. والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الإخوة والأخوات الأعزاء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. لقد كلفت أخي سمو ولي العهد الأمين بإلقاء كلمة نيابة عنا، والتي نأمل أن توضح كل ما يدور على الساحة فنحن على دراية تامة ومتابعة للمشهد السياسي.

وختاما.. ندعو الله سبحانه وتعالى أن يحفظ وطننا الغالي ويديم عليه نعمة الأمن والأمان والمزيد من التقدم والازدهار إنه سميع مجيب الدعوات.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:١٠٥)).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وفي اليوم نفسه، طالع الشعب الكويتي الكلمة الحكيمة التي تلاها سمو ولي العهد نيابة عن حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ



نـواف الأحـمـد الجـابـر الـصبـاح -حفظه الله ورعـاه- حيث ألقى سـمـو ولـي الـعـهـد الـشـيـخ مشعل الأحـمـد الجابـر الصباح -حفظه الله- كلمة نيابة عن سـمـوه جاء نصها كالتالي: «بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله الذي لا تطيب الدنيا إلا بذكره ولا تطيب الآخرة إلا بـعـفـوه ولا تـطـيـب الجـنـة إلا بالنظر إلى وجهه الكريم.. والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الـلـواء المعقـود والحـوض المـورود والمقام المحمود وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. إخـوانـي وأخـواتـي (أبـنـاء وطـنـي العزيز) أحييكم بتحية الإسـلام: الـسـلام عـلـيـكـم ورحـمـة الله وبـركـاتـه.. يطيب لي في البداية أن أنقل لكم أسمى تحيات سيدي صـاحـب الـسـمـو الـشـيـخ نـواف الأحمد الجابر الصباح -حفظه الله ورعـاه- وتمنياته لكم بدوام الصحة وموفور العافية.

تعاليم الدين الحنيف

وقال سموه: إخواني وأخواتي (أبناء وطني العزيز) لقد حملنا الله عز وجل أمانة الحكم باعتبارها أمانة تكليف لا تشريف، وأقسمنا بالله القسـم العـظـيـم أن نـصـون هـذه الأمـانـة جيـلا بـعـد جيـل، وأكـدنـا دوما تمسكنا بتعاليم ديننا الحنيف وارتضينا بالدستور وبالديمقراطية أسـاسـا ومنهجا للحكم فـي إدارة البلاد، ونقولها أمامكم في خطابنا هـذا إننـا لـن نحيد عـن الدستور ولـن نقوم بتعديله ولا تنقيحه ولا تعطيله ولا تعليقه ولا حتى المساس به، حيث سيكون في حرز مكنون، فهو شرعية الحكم وضمان بقائه والعهد الوثيق بيننا وبينكم، وكل ذلـك حـرصـا مـنـا عـلـى التمسك بمكتسباتنا الوطنية وعلى احترام سـيـادة الـقـانـون بـهـدف ضـمـان استقرار الوطن وتقدمه وازدهاره ورفاهية شعبه أوفياء للرعيل الأول الذي بنى وحمى الكويت، مستذكرين احترام وتقدير العالم أجمع للكويت كدولة مؤسسات وصاحبة تجربة ديمقـراطـيـة رائـدة ومـنـارة للعمل الخيري والإنساني حتى أصبحت الكويت الصغيرة بحجمها شامخة بمكانتها العربية والدولـيـة، فهي بـذلـك الأصـل والحقيقة والبقاء والوجود مما يستلزم من الجميع؛ باعتبارنا شركاء في مسؤولية إدارة البلاد شعبا وأسرة حكم، بذل الغالي والنفيس في سبيل تعزيز مكانتها وتحقيق استقرارها والحرص على تلاحمها وتأكيد وحدتها الوطنية

التي كانت على الدوام مبعث قوتها ورفعتها».

دروس وعبر

وأضاف سموه: «إخواني وأخواتي (أبناء وطني العزيز) في خضم هذا العالم المضطرب كم نحن أحوج ما نكون إلى الحيطة والحذر وأخذ الدروس والعبر فالأزمات والتحديات والأخطار بكل أنواعها وأشكالها نحيط بها من كل جانب ولا نكاد ننتهي من أزمة أو كارثة حتى ندخل في أخرى وهذا نذير من النذر وهذا كله وذيول جائحة كورونا ما زالت آثارها وتداعياتها باقية ونحن أمام كل هذه الأزمات والتحديات والأخطار المحيطة بنا مع الأسف الشديد منشغلون بأمور ومسائل بعيدة عن الطموح ولا تحقق المقاصد الشعبية المأمولة والمنتظرة فما زال المشهد السياسي تمزقه الاختلافات وتدمره الصراعات وتسيره المصالح والأهواء الشخصية على حساب استقرار الوطن وتقدمه وازدهاره ورفاهية شعبه. وهذا كله بسبب تصدع العلاقة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وتدخل التشريعية في عمل التنفيذية وتخلي التنفيذية عن القيام بدورها المطلوب منها بالشكل الصحيح وعدم التزام البعض بالقسم العظيم الذي تعهد به على نفسه بالعمل على تحقيق الاستقرار السياسي وتكريس خدمته للوطن والمواطنين.

مما ترتب على كل ذلك مع الأسف الشديد القيام بممارسات تهدد الوحدة الوطنية ولا تتفق مع تطلعات المواطنين وآمالهم ولا مع ما تعاهدنا به للآباء والأجداد في الحفاظ على أمانة الوطن وظهور تصرفات وأعمال تتعارض مع الأعراف والتقاليد البرلمانية ولا تحقق العمل التنفيذي الحكومي المأمول باختيار الكفاءات وغياب الدور الحكومي في المتابعة والمحاسبة وعدم وضوح الرؤية المستقبلية للعمل الحكومي مما ترتب عليه عرقلة وتأخر مسيرة التنمية وعدم تحقيق تطلعات المواطنين وآمالهم المشروعة».

نصح وإرشاد

وقال سموه: «إخواني وأخواتي (أبناء وطني العزيز) رغبة منا في احترام نصوص الدستور وحفاظا على مبدأ فصل السلطات مع تعاونها فقد آلينا على أنفسنا عدم التدخل المباشر في إدارة الدولة تاركين هذه الإدارة إلى السلطتين التشريعية والتنفيذية وكنا نقوم فقط بالنصح والإرشاد للسلطتين بشأن إدارة الدولة ولم نتدخل ولم نمنع أحدا من القيام بأي إجراءات أو إصلاحات أو أعمال تحقق مصلحة البلاد والعباد.

إلا أننا لم نلمس من خلال تلك الإدارة للدولة أي نتائج أو إنجازات أو أعمال تحقق الطموح والآمال الشعبية المرجوة بل على العكس من ذلك فقد أدت الإدارة الحكومية والممارسة البرلمانية إلى تذمر وسخط المواطنين وعدم رضاهم عن عمل السلطتين التشريعية والتنفيذية».

وقفة تأمل ومصارحة

وأضاف سمو ولي العهد: «إخواني وأخواتي (أبناء وطني العزيز) إن استقرار البلاد واستكمال نهضتها وتعزيز مكانتها وترسيخ ممارستها الديمقراطية وتحقيق طموح وتطلعات وآمال شعبها يتطلب منا كقيادة سياسية للدولة أن نقف وقفة تأمل ومصارحة ومراجعة للنفس تجسد الحرص على الالتزام بوحدتنا الوطنية وعدم التفريط أو المساس بها.

إخواني وأخواتي (أبناء وطني العزيز) لما كان الشعب هو مرتكز غايتنا الأولى والأخيرة وأنه صاحب الكلمة المسموعة في تقرير مصيره وتحقيق كل ما من شأنه تعزيز مكانته ورفعة شأنه فقد رأينا أن الخروج من المشهد السياسي الحالي بكل ما فيه من عدم توافق وعدم تعاون واختلافات وصراعات وتغليب المصالح الشخصية وعدم قبول البعض للبعض الآخر وممارسات وتصرفات تهدد الوحدة الوطنية.

فإنه من جماع كل ما تقدم فقد رأينا انطلاقا من مسؤوليتنا التاريخية والوطنية أمام الله سبحانه وتعالى واستجابة لواجبنا الوطني والدستوري أمام شعبنا فقد قررنا اللجوء إلى الشعب باعتباره المصير والامتداد والبقاء والوجود ليقوم بنفسه بإعادة تصحيح مسار المشهد السياسي من جديد بالشكل الذي يحقق مصالحه العليا».

قرار الحل

وتابع سموه: «وبناء عليه، فقد قررنا مضطرين ونزولا على رغبة الشعب واحتراما لإرادته الاحتكام

إلى الدستور، العهد الذي ارتضيناه، واستنادا إلى حقنا الدستوري المنصوص عليه في المادة ١٠٧ من الدستور أن نحل مجلس الأمة حلا دستوريا والدعوة إلى انتخابات عامة وفقا للإجراءات والمواعيد والضوابط الدستورية والقانونية وهدفنا من هذا الحل الدستوري الرغبة الأكيدة والصادقة في أن يقوم الشعب بنفسه ليقول كلمة الفصل في عملية تصحيح مسار المشهد السياسي من جديد باختيار من يمثله الاختيار الصحيح والذي يعكس صدى تطلعات وآمال هذا الشعب وسوف يصدر مرسوم الحل والدعوة إلى الانتخابات في الأشهر القادمة إن شاء الله بعد إعداد الترتيبات القانونية اللازمة لذلك».

المشاركة الشعبية

وقال سموه: «إخواني وأخواتي (أبناء وطني العزيز) وحرصا منا على تأكيد وتعزيز المشاركة الشعبية باعتبارها ركيزة من ركائز الحكم فإننا نود أن نبين لكم أننا لن نتدخل في اختيارات الشعب لممثليه ولن نتدخل كذلك في اختيارات مجلس الأمة القادم في اختيار رئيسه أو لجانه المختلفة ليكون المجلس سيد قراراته ولن نقوم كذلك بدعم فئة على حساب فئة أخرى بل سنقف من الجميع على مسافة واحدة هدفها فتح صفحة ومرحلة جديدة مشرقة بإذن الله لمصلح ةالوطن والمواطنين.

إخواني وأخواتي (أبناء وطني العزيز) إن المرحلة القادمة تتطلب منكم حسن اختيار من يمثلكم التمثيل الصحيح الذي يعكس تطلعاتكم ويحقق آمالكم وينفذ رغباتكم ونأمل منكم ألا يكون الاختيار أساسه التعصب للطائفة أو للقبيلة أو للفئة على حساب الوطن فالكويت لم تكن ولن تكون لأحد بعينه بل هي وطن الجميع واحة أمن وأمان».

الاختيار الصحيح

وأضاف سمو ولي العهد: «ونود أن نبين لكم أن الاختيار غير الصحيح لمن يمثلكم سوف يضر بمصلحة البلاد والعباد وسيعود بنا إلى المربع الأول إلى جو التعصب والتناحر وعدم التعاون وتغليب المصالح الشخصية على حساب الوطن والمواطنين لهذا فإننا نطلب من الجميع إدراك حجم المسؤولية الوطنية الملقاة على عاتقكم في المشاركة الإيجابية في عملية الانتخاب والحرص كل الحرص على اختيار القوي الأمين المؤمن بربه ثم وطنه والذي يضع مصلحة الكويت وشعبها فوق كل اعتبار.

ونناشدكم أبناء وطننا العزيز ألا تضيعوا فرصة تصحيح مسار المشاركة الوطنية حتى لا نعود إلى ما كنا عليه لأن هذه العودة لن تكون في مصلحة الوطن والمواطنين وسيكون لنا في حالة عودتها إجراءات أخرى ثقيلة الوقع والحدث.

إخواني وأخواتي (أبناء وطني العزيز) أسمحوا لي نيابة عنكم أن أوجه رسالة إلى كل من السلطتين التشريعية والتنفيذية تتضمن تحمل المسؤولية الوطنية في المرحلة القادمة وأن يتم التعاون بينهما في ظل أجواء من التوافق والتفاهم إخوانا متحابين يحسن الكل الظن بالآخر وأن يتم ترك الخصومة والنزاع حتى لا يتم الوقوع في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ (الأنفال:٤٦) بل عليكم العمل والالتزام بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران:١٠٣).

كما ندعو الجميع إلى الالتفاف حول قيادة حضرة صاحب السمو أمير البلاد -حفظه الله ورعاه- مع عدم تجاوز سلطاته التي كفلها الدستور والبعد عن التصرفات غير الدستورية وغير القانونية وعدم التدخل في النوايا وتضليل الرأي العام وكل ما يضر أمن الوطن واستقراره.

وفي الختام نسجد لله خاشعين لعظمته مسبحين بحمده شاكرين لفضله ونعمه التي لا تعد ولا تحصى ونسأله عز وجل أن يحفظ الكويت وشعبها من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يسدد على الدرب خطانا وأن يوفقنا لما فيه خير البلاد والعباد في ظل قيادة حضرة صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله ورعاه وسلمه وعافاه.

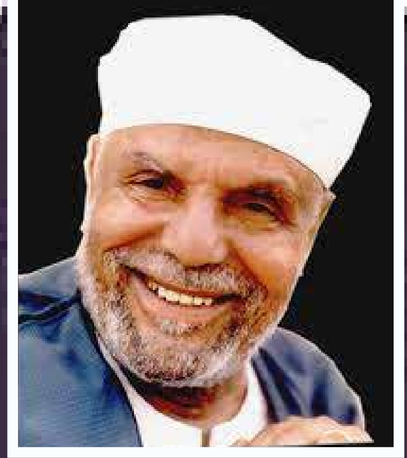
﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».



حكمة العقل (١)

المحاضرة السادسة



محاضراتٌ تربويةٌ وثقافيةٌ وتوجيهيةٌ أسداها فضيلةُ الشَّيخ محمَّد متولِّي الشَّعراويُّ - رحمه الله - أثناء زيارته الميمونة إلى دولة الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، حيث حلَّ الشَّيخ الشَّعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها.

وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجلعها الله في ميزان حسناته، ثمَّ خصَّ ابنُه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلَّة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تَّحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشعراوي، المتوفى سنة (١٤١٩هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق كل شيء، فقدره تقديرا، سبحانه؛ خلق فسوى، وقدر فهدى، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ناحر الحق بالحق، والهادي إلى طريق الله المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، وبعد:

فقد انتهينا في لقاءاتنا السابقة إلى العناصر المستفادة من قصة بدء الخلق التي قصها الله علينا في كتابه العزيز، وعرفنا كيف خلق الله الإنسان ليكون خليفة في الأرض، وعرفنا أن الله درب ذلك الإنسان في الجنة على مهمته؛ حتى يستقبل منهج الله على بينة وبصيرة، وحتى لا يفاجأ بتنفيذ المنهج في الأرض مفاجأة نظرية بحتة[١]، وعرفنا أن فترة الجنة كانت تدريبا لآدم على تلقي التكليف من الله، وكان المنهج كلمة «افعل» ممثلة أوامر الله، و«لا تفعل» ممثلة نواهيه، وعرفنا أن الله حذر آدم من عدوه إبليس، ولكن الإنسان بإنسانيته المحضة قد تصيبه الغفلة، فيغفل عن منهج الله، فإذا ما حدث منه ذلك فعليه ألا ييأس من رحمة الله؛ لأن الله قد فتح له باب التوبة والرجوع إليه، فعلم آدم كلمات إذا قالها غفر الله له ما تقدم ليستقبل ما تأخر بالتوبة النصوح والعمل الصالح، وهنا في القصة لفتة تمثل قضية مهمة قد شغلت المجتمع الإنساني منذ خلق الله الإنسان إلى اليوم، ولم تزل هذه القضية موضع صراع الأفكار وتناحر المذاهب، ولكل مذهب مؤيد ومعارض، والحق أن الإنسان حين يدخل نفسه فيما ليس من شأنه ومجاله يكون قد أحال[٢] ولابد أن يخطئ؛ لأن الله جعل للعقل الإنساني مجالا لنشاطه الذهني في الأرض، يستقبل مادة الله المخلوقة له، ويعمل فيها فكره ملاحظة، وتجربة معملية ونظرية، وحقيقة علمية، ثم يستدل بالحقائق؛ لترفه له الحياة، ولكنه حين يذهب بعقله إلى ما وراء المادة فإنه سيضل؛ لأن العقل لم يخلق إلا لتلقي ما وراء المادة ممن خلق هذه المادة، فإذا حاول أن يعرف شيئا مما وراء الطبيعة فلن يعرف، لذلك كان من حكمة العقل أن يعقل مهمته، فلا يتخطى مجاله؛ لأنه لو تخطاه لن يظفر إلا بالضلال والإضلال. إذا كان العقل والعين آلتي إدراك، فهل تستشرف العين لكي ترى ما بعد من مجال نظرها، أم إنها تحكم بقانون الضوء فلا ترى إلا في مجال محدد؟! إن حاول الإنسان أن يرى فوق طاقة عينه فلا يمكنه ذلك؛ لأنه أجهد عينه بلا طائل، وكذلك العقل له مجاله ومهمته، فإن حاول الإنسان أن يخطو بعقله إلى ما وراء مجاله فلن يظفر إلا بالتعب والضياع، والدليل على ذلك أن في العالم الآن موجة مادية رياضية علمية، فقد اخترعت أشياء كثيرة، يسرت لنا المواصلات، وسهلت لنا أن نسمع ما

وراء البحار، ونرى صورا عدة لشيء واحد في مكان واحد، ويسرت لنا الانطلاق في أجواء الفضاء العليا؛ لأن المخترعين خضعوا لعلم مادي تجريبي، وسابقا قلت: إنه ليس لدينا كهرباء أميركية وكهرباء روسية، ولا كيمياء إنجليزية وكيمياء روسية؛ لأن المجربين جميعا خاضعون للمادة التي يجربون عليها، ولذلك تحكمهم المادة وقوانينها، فينتهون إلى قرارات نهائية موحدة. ولكن في العالم خط آخر عليه اختلاف، خط نظري مذهبي؛ فهذا يرى شيوعية، وذلك يرى رأسمالية، وهذا يرى اشتراكية، وذلك يرى وجودية، وكلها نظريات لا تخضع للربط المادي، وإنما هي نظريات من ابتكار العقل، محكومة بالهوى، فكل إنسان يحكم فيها على قدر هواه، ولذلك اختلف الناس، فحينما حكموا بقانون المادة وقصروا عقلهم على البحث فيها اتفقوا فيما انتهوا إليه، ولكنهم حين خرجوا عن نطاق المادة وبحثوا في النظريات الأخرى التي لا ترتبط بالمادة اختلفت آراؤهم وتنوعت مذاهبهم، وكان الصراع الدموي الذي يأخذ مرة هيئة حرب باردة، ومرة هيئة حرب ساخنة، ولن يهدأ للعالم بال ويستقر له قرار إلا إذا قصر عقله على العمل المادي الرياضي، وترك المسائل التي وراء المادة والنظريات لمن خلق الإنسان؛ ليقنن فيها ما يشاء، ويصعد فيها ما يرى، فإذا نظرنا إلى القصة القرآنية في خلق آدم نجد أنه مس هذه القضية الخطيرة التي تمس المجتمع في صميم كيانه ونوعيه وعنصريه المكونين له؛ وهما الرجل والمرأة، فالإنسان جنس تحته نوعان؛ ذكر وأنثى، وما دام الجنس قد اختلف إلى نوعين فلابد أن يكون للجنس بوصفه كلا مهمة مشتركة، ولابد أن يكون لكل نوع من الجنس مهمة تختلف باختلاف نوعه، ولو كانت المهمة واحدة لما كان هناك ضرورة لخلق نوعين من جنس واحد. إذن: فالإنسان جنس، وله خصوصيات مشتركة، يشترك فيها الذكر والأنثى؛ الرجل والمرأة، وحين يفترقان على نوعين؛ ذكر وأنثى فلابد أن يكون للذكر مهمة وللأنثى مهمة، لو كانت المهمة واحدة لما كان هناك ضرورة لخلق نوعين معا، فما الذي تشير إليه القصة من تحديد هذه المهمة؟ يقول الحق سبحانه وتعالى لآدم وزوجه محذرا من إبليس عدوهما: ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ (طه:١١٧)، وعداوة إبليس مسبقة؛ لأنه قصر في حق شأن آدم، ووضعه في جنس أدنى منه، فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف:١٢)، ويقول: ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الإسراء:٦١)، إذن: فتلك عداوة مسبقة، وما دامت كذلك وجب أن ينتبه الإنسان إلى أن إبليس عدوه، فالله حين وضع لآدم المنهج رمزه بـ «افعل» و«لا تفعل»، وقال: ولكني أحذرك من عقبة قد تعترضك، هي عدوك الذي خالف في أمر تكريمك حين أمرت الملائكة بالسجود، فامتنع من السجود لك، وسيظل لك بالمرصاد، فاحذره؛ إنه عدو لك ولزوجك، فإياك أن تستمع له؛ لأنك إن استمعت له فسيخرجك من نعيمك المقدر لك. الخطاب لهما، ولو أن الأمر يسير على مقياس أسلوب البشر لقال الحق: فلا يخرجنكما من الجنة فتشقيا. يعني: أنتما معا، ولكن الحق لم يقل كذلك، بل قال: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾ (طه:١١٧)، الخطاب لهما معا، ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾، فوجه الخطاب له وحده؛ أي: تشقى أنت وحدك، فأين زوجك؟ لماذا لم يقل: فتشقيا؟ ذكر الشقاء بالنسبة لآدم، وسترت زوج آدم في ذلك الخطاب أبدا، تلك كلمة فيها حرف واحد حذف؛ ليحدد مهمة كل نوع من

حين خرجوا عن نطاق المادة وبحثوا في النظريات الأخرى التي لا ترتبط بالمادة اختلفت آراؤهم وتنوعت مذاهبهم وكان الصراع الدموي

فالله حين وضع لآدم المنهج رمزه بـ «افعل» و«لا تفعل»، وقال: ولكني أحذرك من عقبة قد تعترضك، هي عدوك الذي خالف في أمر تكريمك

الإنسان؛ مهمة الذكر ومهمة الأنثى، ولو قال: فتشقيا، لعلم أن المرأة مطلوب إليها أن تكافح وتشقى وتجد كالرجل، ولكنه عند الشقاء سترها، وواجه بالشقاء والكدح والتعب في الأرض آدم، إذن: فمهمة الشقاء والكدح والعمل والنصب والضرب في الأرض إنما هي مهمتك أيها الرجل، حرف واحد حذف، ولكنه حدد المهمة للنوعين، ولكن أين مهمة الزوجة التي اختفت عند صورة الشقاء والكدح والتعب؟ أليس لها مهمة يشرحها الله؟ إذن: فالآية بحذف حرف واحد حددت مهمة الرجل في الحياة؛ تعب، وكفاح، وجد، واجتهاد، ونصب، وضرب في الأرض، وسعي لطلب الرزق، وقدرة على تسخير ما في الكون لخدمة الإنسان، وإعمال عقله لاستنباط أسرار الله في الكون؛ حتى يتمتع الإنسان بكون الله على أوفى نصيب وأكمل حاجة، تلك مهمة الرجل وفق قول الله: ﴿عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾، وسترت المرأة عند الشقاء، أفهناك تكريم للمرأة أحسن من هذا التكريم حين جعل الهم والغم والاجتهاد والجد والشقاء للرجل، وأخفاها وسترها وأبعدها منه؟! ذلك أول تكريم للمرأة كرمها الله به، ولكن أليس لها مهمة؟ لها مهمة تناسب نوعيتها المخلوقة من رقة ولطف، المصوغة من حنان وعطف، مهمة تناسب الرقة والحنان والعطف، ومهمة الرجل تناسب الخشونة وتكوينه العظمي والجلدي، وكل نوع له مهمة تناسب تكوينه، وما دامت المرأة قد سترت في الكدح والتعب والمشقة والجهاد خارج النطاق فمهمتها وردت في قول الله: ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الروم:٢١)، فمهمة المرأة أن يسكن الرجل إليها، وهل يكون السكون إلا لمتحرك؟! أنقول لجامد لا يتحرك: اسكن؟! لا نقول «اسكن» إلا لمتحرك، والحركة يناسبها الشقاء في الخارج، وبعد التعب تكون المرأة في السكن الذي يرتاح عنده الرجل، ويلقي أعباء تعبه من نضاله في الحياة، ستلقاه بالبسمة الرقيقة الحانية، وتمسح متاعبه، وتهون عليه مخاوفه، وتفعل كل ما يلزمه من متطلبات الحياة، فالرجل يجهد ويأتي بالخير، والمرأة يسكن عندها الرجل، وتدبر له أمر ذلك الخير، تلك مهمتها، وهذه رسالتها. أيقتصر دورها على كونها سكنا يرتاح عنده الرجل ويأنس ويلقي همومه ومتاعبه حتى يستعد لنشاط جديد في يوم جديد؟! كلا؛ فالحق قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم:٢١)، فالمرأة هي المصدر الأصيل للمودة والرحمة التي يحتاج إليها الإنسان حين يجهد من ضربه في الحياة، سكن ومودة ورحمة، ولا يقتصر دورها على ذلك أيضا؛ إنما يجيء بالمهم: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ (النحل:٧٢)، فالمرأة للسكن؛ تسكن عندها وترتاح، والمرأة للمودة والرحمة، والمرأة للأنسال والإنجاب، تلك مهمة المرأة كما يريدها الله سبحانه وتعالى، وذلك ليس بعجيب؛ لأن الله حين يقص علينا خبر جنس من الأجناس ويقسمه إلى نوعين يقول للعقل البشري الأحمق: إياك أن تخلط، إياك أن تجعل النوعين ضدين أو نقيضين متقابلين يتصارعان ويتقاتلان؛ إنهما ليسا ضدين ولا نقيضين، بل هما متكاملان، شيء يكمل شيئا، وإن كان في الحياة نوعان فقط فهذا لا يعني أن نقول: الأنوثة ضد الذكورة، والذكورة مناقضة للأنوثة، لا؛ بل نفهم من كلام الله أن الذكورة مكملة للأنوثة، والأنوثة مكملة للذكورة، فجاءت هذه لتعاون هذه في مهمتها، وهذه لتعاون هذه في مهمتها، فالذين ينظرون إلى المرأة والرجل على أنهما نقيضان يقولون لك: نريد حقوقا للمرأة؛ لتساوى بالرجل. نقول لهم: قد أحلتم خلق الله؛ لأن الله لو أراد ذلك لخلقهم نوعا واحدا، ولكنه خلق نوعين، ولكل نوع مهمة، فما بال الناس؟! ألا ينظرون إلى الكون وناموسه؟! عندكم الزمان، والزمان ليل ونهار، هل النهار عدو الليل، أم الليل عدو النهار؟! وهل نقول للنهار: تساو بالليل لتظلم، أم نقول لليل تساو بالنهار لتضيء؟! لو فعلنا ذلك نكون قد أحلنا، وجعلنا النوعين شيئا واحدا، والله يريدهما نوعين؛ لأن لكل نوع مهمة، ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ (القصص:٧٣)؛ أي: لتسكنوا في الليل، ولتبتغوا من فضله بالكفاح والجهاد في النهار، هذا له مهمة، وذلك له مهمة. وكما كان الليل سكنا في الزمن جعل الله في الإنسان الأنثى سكنا للرجل؛ ليرتاح ويهدأ كما ترتاح أنت في الليل وتهدأ وتتفكر[٣]. هل ترتاح في الليل لترتاح دائما، أم لتنشط في غد لتقوم بعملك؟! فمهمة الليل مكملة ومعينة لمهمة النهار، ولذلك يقول الحق: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢)﴾ (القصص:٧١-٧٢)، فمن الرحمة أن يكون في الجنس نوعان؛ ليل ونهار، كذلك من الرحمة أن يكون في الجنس الإنساني نوعان؛ رجل وامرأة، رجل للكفاح مثلما النهار

للكفاح، وامرأة للسكن والراحة مثلما الليل للهدوء والراحة والسكن، لذلك نرى رحمة الله حتى في أدق الأمور وخفاياها إذا تدبرنا القرآن وقرأناه قراءة واعين متدبرين، لا يهزون القرآن هزا، بل يعدونه لبا[٤]؛ ليقرؤوا في كل كلمة وحرف، ويعرفوا أسرار الله في كلماته وحروفه، لاسيما حين يقسم كما سيأتي لاحقا، نقول مثلا: الرسول ﷺ بعثه الله رسولا، وأوصى إليه، فلما أوحى إليه أول الأمر كان الوحي عليه شديد الوطأة، فكان يجهده ويتعبه، ينزل عليه في الليلة الباردة، فيتصبب جبينه عرقا ويرتعد، ويقول: «زملوني، زملوني»[٥]. لأن ملكية تلتقي ببشرية، فكان يتعب من ذلك، وشاء الله أن يريح محمدا ﷺ مدة من الزمن؛ حتى يذهب عنه نصب الوحي واجتهاده معه، وبعد ذلك يشتاق إلى الوحي حين يذهب التعب، فإذا ما اشتاق كان الشوق طاقة تعينه على تحمل المشقة، فلا يدري بها، وأنت -مثلا- حين تدرك حلاوة شيء لا يتعبك الذهاب إليه مهما كانت طريقه شاقة، قد فتر الوحي مدة؛ حتى تظل حلاوته في صدر رسول الله، ويذهب التعب، فإذا ظلت الحلاوة في صدره وذهب التعب يتشوق للوحي، وإذا ما تشوق وجدت عنده طاقة ذاتية، فبعد أن كان العمل من جبريل لينزل عليه أصبح العمل من محمد اشتياقا إلى جبريل، فشوق محمد ﷺ وحب الوحي يجعل شعوره بألم الوحي قليلا، وفترة الوحي كانت لها حكمة، ولكن أعداء رسول الله قالوا: إن رب محمد قد قلى محمدا وهجره ولم يعد ينزل عليه الوحي. انظروا إلى سخافة القوم الكافرين، كنتم تقولون: إن محمدا كذاب، وليس له رب، والكلام من عنده. فلماذا حين فتر عنه الوحي قلتم: إن رب محمد قد قلاه، لماذا اعتقدتم الآن أن لمحمد ربا في ساعة الهجر، وفي ساعة الوصال قلتم: كاذب ليس له رب؟! يريد الله أن يرد عليهم بآية كونية يرونها ويعيشونها جميعا ويعرفونها، ولا يستطيع أحد أن ينكرها، فما هذه الآية؟! ضرب لهم المثل بالليل والنهار حين أقسم بقوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ (الضحى:١-٢)، الضحى مكان الكدح والعمل والمشقة، والليل مكان الهدوء والسكون، فإذا كان محمد أجهد من الوحي، فلابد له من مرحلة راحة؛ كالليل يسكن فيه، وأنتم تسمعون ذلك، تكدحون في النهار، وترتاحون في الليل، أيستمر كدحكم طويلا؟ تجتهدون في النهار فتتعبون، ثم يأتي الليل فترتاحون، فإذا كانت سنتكم في الكون أنكم ترتاحون ليلا لتقبلوا على العمل بهمة ونشاط نهارا، كذلك كان محمد؛ كان الوحي له ضحوة مجهود كبير، ولابد أن يجيء ليل ليستريح فيه، ولكن أيصير هذا الليل سرمدا، أم إنه سيأتي نهار آخر؟ لابد أن يأتي نهار آخر، فأقسم الحق لهم بآية كونية يعرفونها ويتحققون منها ولا يعارضون ما فيها.

وفي سياق مشبه يقول الله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ (الليل:١-٢)، وبعد ذلك يعكس موضوع قضيتنا الآن: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ (الليل:٣)، تنبهوا جيدا على اختلاف الجنس وانقسامه إلى نوعين؛ ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ (الليل:٤)؛ أي: كل واحد له مهمة، فلليل مهمة، وللنهار مهمة، وللذكر مهمة، وللأنثى مهمة.(يتبع).

بعد أن كان العمل من جبريل لينزل عليه أصبح العمل من محمد اشتياقا إلى جبريل

لليل مهمة وللنهار مهمة وللذكر مهمة وللأنثى مهمة

الهوامش

١- البحتة: الصرف، والخالص من كل شيء. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤/٤٣٦).
٢- أحال الرجل: تحول من شيء إلى شيء. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٨/٣٦٦).
٣- افتكر: تأمل. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٣/٣٤٥).
٤- اللب: اللازم للأمر، المقيم به. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤/١٨٦).
٥- رواه البخاري، رقم: (٣).



د. حمدي طنطاوي محمد
باحث أكاديمي

هدي النبي ﷺ في رد الجميل

الجميل هو المعروف ورده من شكر النعم ومن الإحسان الواجب، قال الله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ (سورة الرحمن:٦٠)، فالأصل في الجزاء أن يكون من جنس العمل، والأصل في العمل المعروف، ولا يقابل المعروف إلا بمعروف مثله، فهو من محاسن الأخلاق، ومن تمام العبودية إلى الله، يقول الخازن: «هل جزاء من أتى بالفعل الحسن إلا أن يؤتى في مقابلته بفعل حسن»[1]، ولا يخالف ذلك إلا من فسد دينه وساء خلقه، ولذلك أمر الله تعالى به في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ (سورة النحل:٩٠)، ولأهمية الإحسان وشدة حاجة الناس إليه كرر الله تعالى الأمر به، وعلمنا أن من رزق به فقد رزق الفضل الأكبر وهو حب الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.



وكان من صحابة النبي ﷺ من له يد عنده ﷺ وخاصة أبا بكر رضي الله عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه الله به يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن صاحبكم خليل الله»[2].

«فقد تضمن هذا الكلام أن لأبي بكر من الفضائل، والحقوق ما لا يشاركه فيها مخلوق. ومعناه: أن أبا بكر رضي الله عنه له من الحقوق ما لو كانت لغيره لامتن بها، وذلك: أنه رضي الله عنه بادر النبي ﷺ بالتصديق، والناس كلهم مكذبون، وبادر بالنفقة والأموال العظيمة، والناس يبخلون، وبالملازمة والمصاحبة، والناس ينفرون، وهو مع ذلك

بانشراح صدره، ورسوخ علمه يعلم أن لله ولرسوله الفضل والإحسان، والمنة والامتنان، لكن النبي ﷺ بكرم خلقه، وجميل معاشرته اعترف بالفضل لمن صدر عنه، وشكر الصنيعة لمن وجدت منه، عملا بشكر المنعم، ليسن، وليعلم، وهذا مثل ما جرى له يوم حنين مع الأنصار، حيث جمعهم فذكرهم بما له عليهم من المنن، ثم اعترف لهم بما لهم من الفضل الجميل الحسن، وقد ذكر الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه عليها ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدا يكافئه الله تعالى بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد كما نفعني مال أبي بكر»[٣]

وقوله ﷺ: «إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا» يعني: لو جاز لي أن أتخذ صديقا من الخلق يقف على سري لاتخذت أبا بكر خليلا. ووجه تخصيصه بذلك أن أبا بكر رضي الله عنه كان أقرب بسر رسول الله ﷺ لما روى أنه عليه السلام قال: «إن أبا بكر لم يفضل عليكم بصوم ولا صلاة ولكن بشيء كتب في قلبه»، وفهم من عدم اتخاذه ﷺ أحدا خليلا انفصاله عما سوى الله تعالى فكل الكائنات متصل به وهو غير متصل بشيء أصلا سوى الله سبحانه وتعالى»[٤].

ولما جاء جبير بن مطعم وهو يومئذ كافر يسأل النبي ﷺ في أسارى بدر، فقال له ﷺ: «لو كان المطعم بن عدي حيا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له»[٥].

أي: لو كان الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه، لأن المطعم كان قد أجار النبي ﷺ لما قدم من الطائف وذب عنه فدخل مكة في جواره، وكان ممن سعى في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وبني المطلب، فأحب رسول الله ﷺ أنه لو كان حيا لكافأه عليها لئلا يكون لمشرك عنده يد، ويحتمل أنه أراد تطييب قلب ابنه جبير وتأليفه وترغيبه إلى الإسلام»[٦].

قال الخطابي: فيه دليل على جواز إطلاق الأسير والمن عليه من غير فداء، كما بوب عليه أبو داود»[٧].

و«عن عائشة، قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة أدخلتها بها على أبي العاص قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها». فقالوا: نعم. وكان رسول الله ﷺ أخذ عليه أو وعده أن يخلي سبيل زينب إليه، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار، فقال: «كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيا بها»[٨].

ثم إنه ﷺ تذكر حسن صحبة أبي العاص لابنته وحسن معاملة هالة بنت خويلد أمه وخالتها رضي الله عنها لها، وتذكر يوم أن أرادت منه قريش أن يطلقها ويزوجوه أي امرأة شاء من قريش، كما طلق ولدا أبي لهب بنتي النبي ﷺ رقية وأم كلثوم قبل الدخول بهما، فأبى ذلك، وقال: والله لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن لي بها امرأة من قريش، وأحسن عشرتها، فما كان منه ﷺ إلا أن أحسن له كما أحسن لابنته ورد عليه معروفه وزيادة، غير أنه ﷺ أخذ عليه عهدا أن يخلي سبيل ابنته زينب رضي الله عنها، فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده وبعثها إليه ﷺ مع زيد بن حارثة رضي الله عنه. وبقي هو على كفره في مكة إلى أن خرج في عير لقريش تاجرا إلى بلاد الشام، وذلك قبيل الفتح بيسير، فعرض لتلك العير زيد بن حارثة في سرية من المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ فأخذها، وأفلت أبو العاص هاربا إلى أن جاء إلى المدينة، فاستجار بزينب فأجارته، وكلم النبي ﷺ أصحابه في رد جميع ما أخذ من تلك السرية، ففعلوا، وقال: إنه يرد أموال قريش، ويسلم، ففعل ذلك، فلذلك شكره النبي ﷺ، وقال: «حدثني فصدقي، ووعدني فوفى لي»[٩].

فعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص وقال لهم: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالا، فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم ذلك

فهو فيء الله الذي أفاءه عليكم فأنتم أحق به، قالوا: يا رسول الله، بل نرده عليه، قال: «فردوا عليه ماله» حتى إن الرجل ليأتي بالحبل ويأتي الرجل بالشنة[١٠] والإداوة[١١]، حتى أن أحدهم ليأتي بالشطاط[١٢] حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا». ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ممن كان أبضع منه، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيرا، فقد وجدناك وفيا كريما، قال: فإني أشهد ألا لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفا أن تظنوا أني إنما أردت أخذ أموالكم، فلما أداها الله عز وجل إليكم وفرغت منها أسلمت، ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ»[١٣].

وفي الحديث من أدبه ﷺ وإحسانه إلى صحابته رضي الله عنهم وتواضعه لهم ﷺ أن قال لهم: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالا، فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم ذلك فهو فيء الله الذي أفاءه عليكم فأنتم أحق به»، وهو سيد المرسلين ورسول رب العالمين، المؤيد بالوحي، المصدق بالشرع. وفيه من أدب صحابته رضي الله عنهم وإحسانهم إليه ﷺ أن قالوا له: « يا رسول الله، بل نرده عليه». وفيه أنهم ردوا لصاحبهم أدنى الأشياء إليه كرامة لرسول الله ﷺ وإحسانا له وحفظا لحقه، وفيه معرفة المشركين بمكافأة من قدم لهم معروفا في قولهم: «جزاك الله خيرا» لقوله ﷺ: «من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء»[١٤]. وفيه أن أبا العاص بن الربيع أحسن إلى نفسه لما رأى الحق بأن ردها إلى فطرة الله التي خلق الناس عليها، وفيه أنه رد الأبضاع إلى أهلها والأموال إلى أصحابها، وفيه من إحسانه إليهم حرصه على إحسانهم الظن به رضي الله عنه.

الهوامش

١- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، (٢٣٢/٤)، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت

٢- أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب المناقب، ح: (٣٦٦١)، من حديث أبي هريرة، (٥٠/٦)، تحقيق: بشار عواد معروف، ٥٠/٦، دار الغرب الإسلامي - بيروت، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين. باب: ذكر إثبات المصطفى ﷺ الأخوة والصحبة لأبي بكر رضوان الله عليه، من حديث أبي هريرة، بلفظ: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: ما أنا ومالي إلا لك»، (٢٧٣/١٥) /ح: (٦٨٥٨). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٣- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، (٢٤١/٦)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، دار ابن كثير، دمشق - بيروت

٤- روح البيان لإسماعيل حقي، (١١٧/٢)، دار الفكر - بيروت

٥- أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب باب ما من النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس، من حديث محمد بن جبير، (٩١/٤)، ح: (٣١٣٩).

٦- بذل المجهود في حل سنن أبي داود، للشيخ خليل أحمد السهارنفوري، (٣٢٩/٩)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند.

٧- شرح سنن أبي داود لابن رسلان، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، (٥٢٦/١١ ٥٢٨ /٢٦٨١)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية

٨- أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال، ح: (٢٦٩٢)، من حديث عائشة، (٦٢/٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب المغازي والسرايا، ح٤٣٠٦، من حديث عائشة رض الله عنها، (٢٣/٢)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هجرية، بدون ذكر بلد الطباعة

٩- انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال (٣٥٥/٦)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، دار ابن كثير، دمشق - بيروت

١٠- الشنة: القربة البالية، انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: (قور). دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.

١١- الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء،: لسان العرب، مادة: (أدا)

١٢- الشطاط: اعتدال القامة، لسان العرب، مادة: (شطط).

١٣- المستدرك للحاكم، ٢٦٢/٣، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

١٤- سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد، ح: (٢٠٣٥).



د. رمضان فوزي بديني
دكتوراه في اللغة العربية

أثر الدلالة اللغوية في استنباط أحكام الحج

وردت آيات الحج في القرآن الكريم، في أكثر من سورة، مثل سورة البقرة والمائدة والحج. وقد حوت هذه الآيات مباحث لغوية جديرة بالبحث والتأمل والدراسة. وفيما يلي نموذج لهذا الدرس من خلال الوقوف أمام بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالحج التي استند الفقهاء فيها على دليل لغوي.

وسأكتفي -حسب ما يسمح به المقال والمقام- بما ورد في أربع آيات فقط من آيات الحج: (آيتان في سورة البقرة وأخريان في سورة المائدة)، وهذه الأحكام -حسب ترتيب الآيات- هي:

أولا- طبيعة الإحصار المبيح للتحلل من الإحرام:

فرق بعض الفقهاء بين دلالة الفعل المجرد «حصر» والمزيد منه «أحصر»؛ فجعلوا أحدهما لحبس العلة والمرض، والآخر لحبس العدو، يقول أبو هلال العسكري: «قالوا: الإحصار في اللغة منع بغير حبس، والحصر المنع بالحبس، قال الكسائي: ما كان من المرض قيل فيه: أحصر، وقال أبو عبيدة: ما كان من مرض أو ذهاب نفقة قيل فيه: أحصر، وما كان من سجن أو حبس قيل فيه: حصر فهو محصور.

وقال المبرد: هذا صحيح، وإذا حبس الرجل الرجل قيل: حبسه، وإذا فعل به فعلا عرضه به لأن يحبس قيل: أحبسه، وإذا عرضه للقتل قيل: أقتله، وسقاه إذا أعطاه إناء يشرب منه وأسقاه إذا جعل له سقيا، وقبره إذا تولى دفنه، وأقبره جعل له قبرا»[1].

وفرق المطرزي بين الصيغتين إذ يرى أنه «يقال: أحصر الحاج إذا منعه خوف أو مرض من الوصول لإتمام حجه أو عمرته. وإذا منعه سلطان أو مانع قاهر في حبس أو مدينة قيل حصر، هذا هو المشهور»[2].

وذهب آخرون إلى عدم التفريق بين الصيغتين؛ فذهبوا إلى أن «الإحصار» و«الحصر» بمعنى واحد، وأنهما اسمان يقعان على كل مانع من عدو، أو مرض، أو غير ذلك أي شيء كان[3].

وبناء على هذا الاختلاف في الدلالة اللغوية اختلفوا في طبيعة الحصر/الإحصار الذي به يتحلل المحرم للحج أو العمرة من إحرامه

في قول الله تعالى: ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ﴾ (البقرة: ١٩٦)؛ فذهب من قالوا بالرأي الثاني -وهو عدم التفريق بين الصيغتين- إلى أن كل مانع يمنع من الوصول إلى البيت الحرام في إحرامه من عدو أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلة.. يبيح له التحلل، وممن قال به ابن مسعود، وهو قول إبراهيم النخعي، والحسن، ومجاهد، وعطاء، وقتادة، وعروة بن الزبير. وإليه ذهب سفيان الثوري وأهل العراق[٤].

ورأى من قالوا بالتفريق بين الصيغتين أنه لا يباح له التحلل إلا بحبس العدو، وهو قول ابن عباس، وقال: «لا حصر إلا حصر العدو»، وروي معناه عن ابن عمر وعبد الله بن الزبير وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق. وحجتهم دليلان، أحدهما لغوي وهو قول ثعلب: تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور، وأحصره العدو إذا منعه عن السير فهو محصر. والآخر تاريخي وهو نزول الآية الكريمة محل الاحتجاج في قصة الحديبية، وكان ذلك حبسا من جهة العدو، ويدل عليه قوله تعالى في سياق الآية نفسها: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾، والأمن يكون من الخوف[٥].

وأرى أنه يمكن أن يكون هناك فرق في المعنى المعجمي للصيغتين على النحو الذي مر، لكن هذا الفرق لا يؤثر في الحكم الفقهي؛ ذلك أن صيغة «حصر» بمعناها المعجمي الذي يعني: المنع بسبب المرض، إذا ألحقت بها الهمزة فصارت «أحصر» تحتفظ بالمعنى نفسه عن طريق التحول الدلالي أو العدول عن الأصل، بالإضافة لاكتسابها معنى جديدا (وهو هنا حبس العدو)؛ فيكون المعنى: أحصره؛ أي عرضه للحصر بكل ما يحتمله من معان.

ثانيا- حكم الاشتراك في الهدي للحاج المتمتع:

ذهب بعض الفقهاء إلى أن «من» في قول الله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ﴾ للتبعيض، وبناء عليه ذهبوا إلى جواز الاشتراك في الهدي؛ حيث يقول ابن حزم: «هذا سند لا نظير له، وبيان لا إشكال فيه، والبقر يقع على العشرة وأقل وأكثر؛ فنظرنا في الآية فوجدنا الله -تعالى- أيضا يقول: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ﴾ (البقرة: ١٩٦). و(من) للتبعيض؛ فجاز الاشتراك في الهدي بظاهر الآية»[٦].

وللفقهاء في هذه المسألة أربعة آراء:

الأول: يرى الشافعي جواز الاشتراك في الهدي سواء كان تطوعا أم واجبا، وسواء كانوا كلهم متقربين أم بعضهم متقربا وبعضهم يريد اللحم... وبهذا قال جمهور العلماء.

الثاني: قال داود وبعض المالكية: يجوز الاشتراك في هدي التطوع دون الواجب.

الرأي الثالث: قال مالك: لا يجوز مطلقا.

الرأي الرابع: قال أبو حنيفة: يجوز إن كانوا كلهم متقربين، وإلا فلا[٧].

والقول بأن (من) هنا تبعيضية أجازه أيضا: أبو بكر الجصاص[٨]، وأبو حيان[٩]، والطاهر بن عاشور[١٠].

إلا أن أبا حيان وابن عاشور يريان أنه إذا كان الهدي هنا جمعا كما قال به الكثيرون فإن (من) تبعيضية، وإذا كانت الهدي اسما والألف واللام فيها للعموم؛ فإن (من) تكون لبيان الجنس[١١].

ثالثا- تحديد أيام ذي الحجة الداخلة في أشهر الحج

اختلف النحاة والأصوليون في أقل الجمع؛ حيث ذهب جمهورهم إلى أن أقله ثلاثة، يقول الشوكاني: «هذا هو القول الحق الذي عليه أهل اللغة، والشرع، وهو السابق إلى الفهم عند إطلاق الجمع»[١٢]. وذكر الإسنوي في التمهيد أن القول بأن أقل الجمع ثلاثة هو الصحيح عند جمهور الأصوليين، كما هو الصحيح عند النحاة والفقهاء[١٣].

وذهب بعضهم إلى أن أقله اثنان ذكرت كتب أصول الفقه أن القول بأن الاثنين أقل الجمع مروي عن عمر، وزيد بن ثابت، وحكاه عبد الوهاب عن الأشعري، وابن الماجشون، كما ورد أيضا في أحد نقولات سيبويه عن الخليل.

قال الباجي: «وهو قول القاضي أبي بكر بن العربي، وحكاه ابن خويز منداد، عن مالك، واختاره الباجي، ونقله صاحب المصادر عن القاضي أبي يوسف، وحكاه

الأستاذ أبو منصور عن أهل الظاهر[١٤]، وحكاه ابن الدهان النحوي عن محمد بن داود، وأبي يوسف، والخليل، ونفطويه. وعن ثعلب أن التثنية جمع عند أهل اللغة، واختاره الغزالي.

وذكر القرافي أن مذهب مالك -رحمه الله- أن أقل الجمع اثنان، ووافقه القاضي على ذلك، والأستاذ أبو إسحاق وعبد الملك ابن الماجشون من أصحابه[١٥].

وقد انعكس هذا الخلاف اللغوي على بعض المسائل الفقهية، ومنها تحديد أشهر الحج؛ حيث ذهب بعض الفقهاء إلى أنها ثلاثة الأشهر (شوال وذو القعدة وذو الحج) كاملة[١٦]؛ استنادا إلى أن أقل الجمع ثلاثة في قول الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ (البقرة: ١٩٧).

وذهب آخرون إلى أن أشهر الحج هي شوال وذو القعدة وبعض ذي الحجة على خلاف في عدد أيام ذي الحجة؛ فمنهم من قال بأنها تسعة أيام من ذي الحجة، وهو قول الشافعي[١٧]. وقال بعضهم بأنها عشرة أيام من ذي الحجة، وهو قول ابن عباس وابن عمر والشعبي والسدي وأبو حنيفة وهو رواية ابن حبيب عن مالك، ورجحه السرخسي في المبسوط[١٨]. وقال آخرون بأنها ثلاثة عشر يوما، وهو قول في مذهب مالك ذكره ابن الحاجب[١٩].

ومما احتج به هؤلاء:

ما ذهب إليه الفراء من أنه إنما جاز أن يقال له (أشهر) وإنما هما شهران وعشر من ثالث؛ لأن العرب إذا كان الوقت لشيء يكون فيه الحج وشبهه جعلوه في التسمية للثلاثة والاثنين، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ﴾(البقرة: ٢٠٣)، وإنما يتعجل في يوم ونصف، وكذلك هو في اليوم الثالث من أيام التشريق وليس منها شيء تام، وكذلك تقول العرب: له اليوم يومان منذ لم أره، وإنما هو يوم وبعض آخر.

خرج الزمخشري هذا الوجه على القول بأن اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد[٢٠]، مستشهدا بقول الله تعالى ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحريم:٤)، ووافقه عليه ابن نجيم المصري[٢١].

ذهب الكفوي إلى أن الجمع إذا أطلق على ما هو أزيد من اثنين بأقل من واحد كان مجازا[٢٢].

ذكر ابن سالم النفراوي أن الجمع يطلق على ما زاد على الاثنين، ولو كان الزائد بعض واحد[٢٣].

الآثار الشرعية المترتبة على الخلاف في هذه المسألة:

يترتب على الخلاف في هذه المسألة أمور فقهية مثل:

ما ذكره ابن عطية أنه من قال: «إن ذا الحجة كله من أشهر الحج» لم ير دما فيما يقع من الأعمال بعد يوم النحر؛ لأنها في أشهر الحج، وعلى القول الآخر ينقضي الحج بيوم النحر، ويلزم الدم فيما عمل بعد ذلك[٢٤].

ومنه ما ذكره ابن نجيم المصري: «وفائدة التوقيت بهذه الأشهر أن شيئا من أفعال الحج لا يجوز إلا فيها، حتى إذا صام المتمتع أو القارن ثلاثة أيام قبل أشهر الحج لا يجوز، وكذا السعي بين الصفا والمروة عقب طواف القدوم لا يجوز إلا في أشهر الحج، وأنه لا يكره الإحرام بالحج فيه مع أنه يكره الإحرام بالحج في غير أشهر الحج، وأنه لو أحرم بعمرة يوم النحر فأتى بأفعالها ثم أحرم من يومه ذلك بالحج وبقي محرما إلى قابل فحج كان متمتعا»[٢٥].

رابعا- كفارة قتل المحرم الصيد عمدا بين التخيير والترتيب:

مذهب جمهور الفقهاء أن قاتل الصيد مخير في الجزاء بين أحد أمور ثلاثة، بأيها شاء كفر، سواء أكان موسرا أم معسرا، والأمور الثلاثة: هي ذبح النظير، وتقويم النظير بدراهم ثم بطعام لكل مسكين مد، وصيام يوم عن كل مد.

ودليلهم في هذا دلالة «أو» في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ (المائدة: ٩٥).

فقد قال بالتخيير الأحناف[٢٦]، والمالكية[٢٧]، والشافعية[٢٨]، والحنابلة[٢٩]، غير أن الإمام أحمد رويت عنه رواية بالتخيير ورواية ثانية بالترتيب؛ أي يجب المثل أولا، فإن لم يجد أطعم، فإن لم يجد صام[٣٠]. وقد روي هذا عن ابن عباس والثوري والحسن البصري[٣١].

وروي أيضا عن الشعبي والنخعي[٣٢]، وذكر الماوردي أنه حكاه أبو ثور عن

الشافعي في القديم، لكنه علق عليه: «وليس بمشهور عنه؛ بل نصه في القديم والجديد والإملاء أنها على التخيير»[٣٣].

وما وقف عليه للشافعي أنه ذكر الرأيين واختار القول بالتخيير، بناء على روايات من السنة النبوية، منها أن رسول الله ﷺ أمر كعب بن عجرة بأن يكفر بأي الكفارات شاء في فدية الأذى، ثم نقل عن عطاء قوله: «فإن أصاب إنسان نعامة كان عليه إن كان ذا يسار أن يهدى جزورا، أو عدلها طعاما، أو عدلها صياما، أيتهن شاء من أجل قول الله عز وجل...»، ثم علق قائلا: «وكل شيء في القرآن (أو... أو) فليختر منه صاحبه ما شاء»[٣٤].

واحتج من قال بالترتيب بأن جزاء الصيد كفارة نفس محظورة، وكفارات النفوس مرتبة لا تخيير فيها؛ كالكفارة في قتل الآدمي، فأعملوا القياس في هذا الرأي.

لكن رده ابن مفلح بأنه قياس مع وجود النص الذي تدل فيه (أو) على التخيير[٣٥]. ووصفه ابن قدامة بأن التخيير ظاهر النص فلا تعويل على من خالفه[٣٦].

خامسا- تقدير صيام الكفارة لقاتل الصيد عمدا وهو محرم:

جعل النحاة -حسب المشهور عندهم- لأسماء الإشارة ثلاث رتب حسب البعد والقرب؛ فجعلوا (ذا) للقريب إن كان مفردا مذكرا، وإن كان مؤنثا فله عشرة ألفاظ؛ خمسة بتاء وهي (تي وتا وته بسكون أو كسر مختلس أو كسر مشبع)، وخمسة بالذال وهي (ذي وذات وذه بسكون أو كسر مختلس أو كسر مشبع). وإن كان المشار إليه متوسط الرتبة فله في التذكير لفظ واحد وهو (ذاك)، وله في التأنيث ثلاثة ألفاظ وهي (تيك وتيك وذيك). وإن كان المشار إليه بعيدا فله في التذكير لفظان (ذلك وآلك)، وله في التأنيث أربعة ألفاظ وهي (تلك -بكسر التاء- وتلك -بفتحها-، وتيلك وتالك). واختلفوا في (أولئك) بالمد؛ فقيل: هو للمتوسط؛ لعدم اللام، وقيل: هو للبعيد.

وهناك من جعل للإشارة مرتبتين فقط وهما القرب والبعد، وعلى رأس هؤلاء سيبويه وابن مالك، ونقله الفراء عن أهل الحجاز وغيرهم[٣٧].

وقد انعكس التطبيق الفقهي لعودة اسم الإشارة «ذلك» على البعيد في تقدير الصيام في كفارة قتل الصيد عمدا وقت الإحرام وذلك في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾ (المائدة: ٩٥).

وحسب الآية الكريمة تكون كفارته -كما مر في المسألة السابقة- إما أن يهدي مثل الصيد الذي قتل من النعم وهي: الإبل، والبقر، والغنم ضأنها وماعزها، وإما أن يطعم مساكين، وإما أن يصوم، وقد اختلفوا في تقدير الصيام؛ حيث ذهب بعضهم -مثل ابن حزم- إلى تقديره حسب قيمة الصيد المقتول، إعمالا لعودة اسم الإشارة على البعيد هنا، وهو الصيد؛ فيصوم مكان كل واحد منهم يوما. ومنهم من قدره حسب طعام المساكين.

يقول ابن حزم: «وأما قولنا في الصيام.. فإن الإشارة بلفظة (ذلك) إنما تقع في اللسان العربي الذي به نزل القرآن على أبعد مذكور، وكان الصيد في هذه الآية أبعد مذكور فلزم بذلك عدله صياما، ولا يكون عدله أصلا إلا كما ذكرنا.

وأما من قومه قيمة، ثم قوم القيمة طعاما، ثم رأى عدل ذلك صياما فلم يوجب عدل الصيد، وإنما أوجب عدل قيمته، وليس هذا في الآية فبطل القول به جملة»[٣٨].

ورأي ابن حزم في هذه المسألة متفق مع الأئمة الأربعة في وجه، ومختلف في وجه؛ متفق في أن عدل الصيام هو الصيد وليس الطعام، ومختلف في طريقة حساب عدد الأيام التي تصام؛ فهم يقومون الصيد طعاما ثم يجعلون عليه صيام يوم مكان كل مد أو نصف صاع من هذا الطعام على خلاف بينهم في هذا الأمر-، وأما ابن حزم -كما مر بنا- فيجعل عدل الصيام هو ما يشبعه الصيد من الناس، ويجعل بدل كل فرد صيام يوم[٣٩].

وأرى أن رأي الأئمة هنا هو الأولى؛ لأنه لا حد للشبع لاختلاف الناس فيه؛ لأنه قد يكون صيد يشبع منه عشرة أشخاص لقلة أكلهم، ولا يشبع منه خمسة من غيرهم لكثرة أكلهم، ولذا لا يكون هذا حدا معتبرا في التقدير.

سادسا- طبيعة الصيد المحرم أكله على المحرم:

في قول الله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ

﴿صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ﴾ (المائدة: ٩٦)، يجوز أن يكون «صيد» هنا مصدرا للفعل «صاد»، ويجوز أن تكون اسم جنس للمصيد، وعلى التوجيه الأول يكون المحرم هو مباشرة الصيد أثناء الإحرام؛ ما يؤدي إلى تحريم أكل المصيد منه فقط، لكن يكون كل ما صاده المحل في الحل فأدخله الحرم، أو وهبه لمحرم، أو اشتراه محرم.. حلالا للمحرم. ولمن في الحرم ملكه، وذبحه، وأكله، وكذلك من أحرم وفي يده صيد قد ملكه قبل ذلك، أو في منزله -قريبا أو بعيدا-، أو في قفص معه فهو حلال له -كما كان- أكله، وذبحه وملكه، وبيعه[٤٠].

وعلى التوجيه الثاني يحرم جنس الشيء المتصيد وأكله كيف كان؛ فحرموا على المحرم أكل كل شيء من لحم الصيد جملة وإن صاده لنفسه حلال وإن ذبحه الحلال. ويحرم عليه ذبح شيء منه، وإن كان قد ملكه قبل إحرامه...إلخ.

والرأي الأول هو المشهور عند الفقهاء -فيما اطلعت عليه-، وهو ما عبر عنه الإمام النووي بقوله: «ما صاده المحرم أو صاده له حلال بأمره أو بغير أمره أو كان من المحرم فيه إشارة أو دلالة أو إعانة بإعارة آلة أو غيرها؛ فلحمه حرام على هذا المحرم، فإن صاده حلال لنفسه ولم يقصد المحرم ثم أهدى منه للمحرم أو باعه أو وهبه فهو حلال للمحرم أيضا»، ثم ذكر أن هذا هو مذهبهم - يقصد المذهب الشافعي- وبه قال مالك وأحمد وداود(٤١).

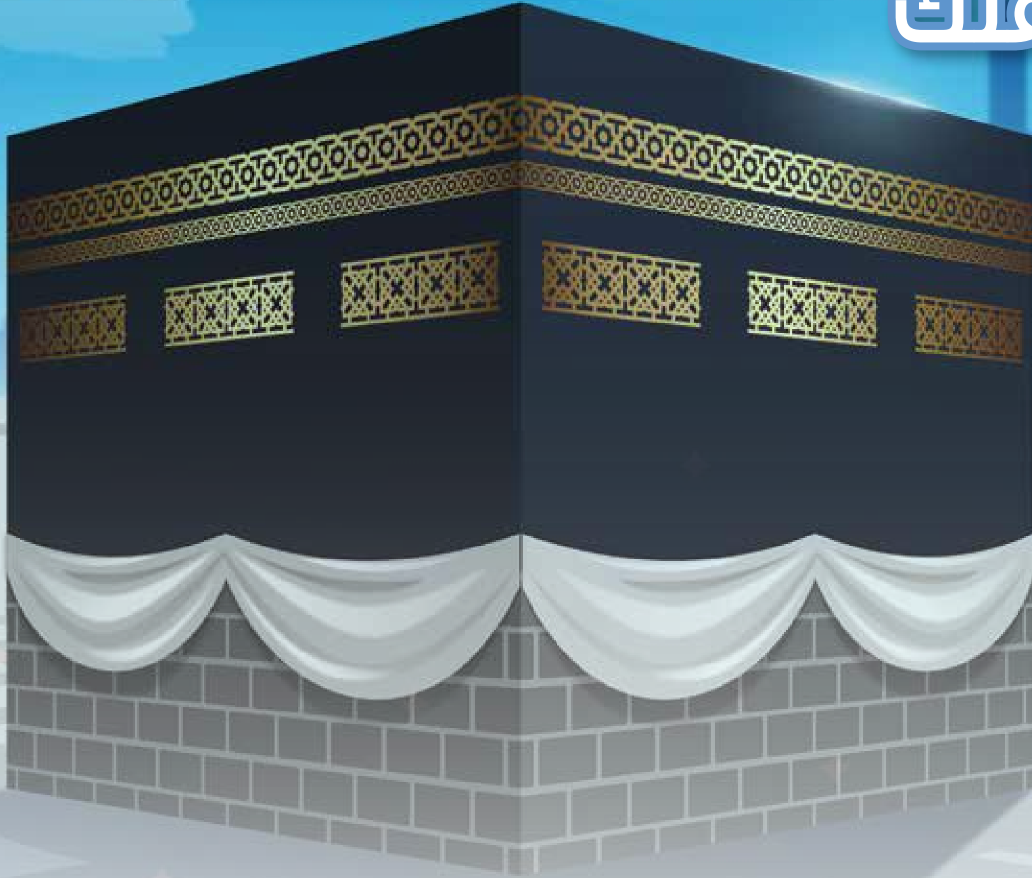
الهوامش

١- الفروق اللغوية: ٢٤/١ - أبو هلال العسكري - تحقيق محمد إبراهيم سليم - دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة - مصر.
٢- المُغرب في ترتيب المعرب: ٢٠٦/١.
٣ - ينظر: المحلى: ٢٦٢/٧، ٢٦٣.
٤ - البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم: ٥٧/٣، الجامع الصغير للشيباني: ١٥٦/١، الاختيار لتعليل المختار لابن مودود: ١٧٩/١، ١٨٠.
٥ - تفسير البغوي: ٢٢١/١، ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري: ٤٢٧/٩-٤٢٩.
٦- المحلى: ١٩٧/٧.
٧- المغني لابن قدامة: ٤١٠/٧، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي: ٦٦/٩، ٦٧.
٨- أحكام القرآن للجصاص: ٣٣٩/١ .
٩- البحر المحيط: ٤٠/٢.
١٠- التحرير والتنوير: ٢٢٠/٢.
١١- السابق نفسه.
١٢- إرشاد الفحول: ٣١٢/١.
١٣ - التمهيد في تخريج الفروع على الأصول: ٣١٦.
١٤ - يستثنى منهم في هذه القضية ابن حزم كما ذكر ذلك هو عن نفسه.
١٥ - الإحكام في أصول الأحكام: ٢٤٣/٢، والبحر المحيط في أصول الفقه: ٢٩٣/٢، ٢٩٤، وإرشاد الفحول: ٣١٠/١، ٣١١.
١٦ - ينظر: المحلى: ٩٠/٧
١٧ - الحاوي الكبير: ٥٧/٤. والتحرير والتنوير: ٢٣٢/٢.
١٨ - المبسوط: ٧٥/٢، ٧٦، والبحر الرائق: ١١٤/٧، وأحكام القرآن للهراسي: ٨٦/١، والمحرر الوجيز: ٢٥٧/١، والتحرير والتنوير: ٢٣٢/٢.
١٩ - التحرير والتنوير: ٢٣٢/٢.
٢٠ - الكشاف: ٢٧٠/١.
٢١- البحر الرائق: ١١٤/٧.
٢٢ - الكليات: ١٦٦٣.
٢٣ - الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: ١٠٠٨/٣.
٢٤ - المحرر الوجيز: ٢٥٧/١.
٢٥ - البحر الرائق: ١١٤/٧.
٢٦ - ينظر: بدائع الصنائع: ١٩٩/٢، وتبيين الحقائق: ٦٤/٢، وفتح القدير: ٤٨٧/٥.
٢٧ - ينظر: الاستذكار: ١٤٨/٤، والذخيرة: ٧٤/١، والفواكه الدواني: ٥٢/١، والبيان والتحصيل: ٦٥/٤.
٢٨ - ينظر: الأم: ١٨٧/٢، ١٨٨، والحاوي: ٢٩٩/٤، وكفاية الأخيار: ٢٢٨.
٢٩ - ينظر: المغني: ٥٤٩/٣، والمبدع شرح المقنع: ١٠٥/٣، والكافي في فقه ابن حنبل: ٥٠٠/١.
٣٠ - المغني: ٥٤٩/٣، والمبدع: ١٠٧/٣، والكافي: ٥٠٠/١.
٣١ - الحاوي: ٢٩٩/٤، والمغني: ٥٤٩/٣، .
٣٢ - اللباب في علوم الكتاب: ٥٢٧/٧.
٣٣ - الحاوي: ٢٩٩/٤.
٣٤ - الأم: ١٨٧/٢.
٣٥ - المبدع: ١٠٧/٣.
٣٦ - الكافي: ٥٠٠/١.
٣٧ - ينظر تفصيل ذلك في: ارتشاف الضرب: ٥٠٥/١، ٥٠٦، والمفصل: ١٨١، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٤٠٩/١، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ٢٩٧/١.
٣٨ - المحلى: ٢٨٤/٧.
٣٩ - ينظر: في الفقه الحنفي: شرح فتح القدير: ٧٦/٣. وفي المالكي: البيان والتحصيل ٦٦/٤. وفي الشافعي: الأم: ٢٠٢/٢، ٢٠٣، والحاوي في فقه الشافعي: ٣٠٠/٤. وفي الحنبلي: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: ٥٤٩/٣، والشرح الممتع على زاد المستقنع: ١٧٢/٧.
٤٠ - ينظر: المحلى: ٢٢٣/٧، ٢٢٤.
٤١ - المجموع شرح المهذب للنووي: ٣٢٤/٧.



جيولوجي. مصطفى يعقوب عبد النبي
كبير باحثين بهيئة المساحة الجيولوجية (سابقا)

فريضة الحج وأثرها في تطور الجغرافيا والفلك



من أعجب الآراء وأكثرها غرابة تلك التي نادى بها وروج لها لفيف كبير من المستشرقين ومؤرخي العلم من الغربيين، والتي تتلخص في شيء واحد، وإن اتخذ صورا شتى. وهو أن العرب ليسوا من العلم في شيء، وأن الحضارة العربية الإسلامية لم تؤثر في تاريخ العلم الإنساني، بدعوى أن العرب لم يخلقوا للتفكير الأصيل المبتكر[١]. ولعل ما جاء على لسان مونتجمرى وات M. Watt في كتابه: «فضل الإسلام على الحضارة الغربية» يوضح إلى أي مدى شغلت هذه القضية عقول المستشرقين والمؤرخين، حيث يقول نقلا عن البارون كارا دي فو Carra de Vaux الذي كتب الفصل الخاص بالفلك والرياضة من كتاب: «تراث الإسلام»: ولا ينبغي أن نتوقع أن نجد لدى العرب تلك العبقرية الخارقة، وتلك الموهبة المتمثلة في المخيلة العلمية، وذلك الحماس، وذلك الابتكار في الفكر، مما نعرفه عن الإغريق، فالعرب قبل كل شيء إنما كانوا تلاميذ للإغريق، وما علومهم إلا إستمرار لعلوم اليونان التي حافظوا عليها ورعوها، وفي بعض الحالات طوروها وحسنوها..... إلخ[٢].

ولقد بلغ الأمر ذروته عندما أسقط الكاتب من كتابه الذي تعرض فيه لمسيرة الحضارات الإنسانية، الحضارة العربية الإسلامية، وكأنها لم تشغل ثمانية قرون من عمر الزمان، مما حدا بالمترجم أن يضيف صفحات من عنده توافق السياق التاريخي للحضارات قائلا: «كذلك رأيت أن أضيف عددا من الصفحات عن أثر العرب والإسلام في حضارة العالم لأن الكاتب قد أغفل هذه

الحضــارة»[٣].

وعندما تبين لهؤلاء المستشرقين والمؤرخين، من خلال دراساتهم وأبحاثهم في مخطوطات التراث العلمي العربي القابعة في مكتبات وحواضر أوروبا، أو ربما بدا للكثيرين أنه من غير المعقول أن حضارة امتد زمنها ما يقرب من ثمانية قرون، وهو عمر ليس بالقليل في زمن الحضارات، ووسع ملكها قارات العالم القديم من الأندلس غربا إلى حدود الصين شرقا، ألا يكون لها من العلم نصيب مذكور في تاريخ العلم، توجه رأيهم وجهة أخرى لا تقل في تعصبها ضد العرب من الرأي الأول.

وتتلخص هذه الوجهة في أن العلم العربي إنما هو عالة على العلم الإغريقي عبر حركة الترجمة الواسعة النطاق التي جرت في العصر العباسي على نحو معروف ومشهور، وقد سرت هذه المقولة مسرى الحقائق المسلم بها في كتابات جمهرة كبيرة من المشتشرقين.

ولقد أثارت هذه النظرة الجائرة حيال العلم العربي عددا من مؤرخي الغرب ومستشرقيه الذين اتصفوا بقدر من الحيادية والموضوعية فحاولوا رد هذه الأفكار وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي لحقت بالعلم العربي. تقول المستشرقة الألمانية زجريد هونكه Z.Honke في كتابها الشهير: «شمس العرب تسطع على الغرب»: «يخيل إلي أن الوقت قد حان للتحدث عن شعب - تعني العرب - قد أثر بقوة على مجرى الأحداث العالمية ويدين له الغرب كما تدين له الإنسانية كافة بالشيء الكثير. وعلى الرغم من ذلك فإن من يتصفح مئة كتاب تاريخي لا يجد اسما لذلك الشعب في ثمانية وتسعين منها.

وفي سياق الحديث عن الإغريق اعترف الأوروبيون بدور العرب في التاريخ حين قالوا: أن العرب قد نقلوا كنوز القدامى - تعني تراث اليونان - إلى بلاد العرب. إن هذه العبارة الوحيدة التي يحاول الكثيرون كذبا وادعاء تقريظ ما قد أسدوه لأوروبا تحدد للعرب في الواقع دور ساعي البريد فقط، فتقلل من قدرهم حين تطمس الكثير من الحقائق وراء حجب النسيان»[٤].

ولأن التعصب ضد الإسلام كعقيدة وضد العرب كأمة، ليس له حدود مع هؤلاء المستشرقين، فقد تفتق ذهن البعض عن فرية لا مثيل لها في أوهام الخرافة، وإن شئنا الدقة لا مثيل لها في خرافة الأوهام، التي تزري بصاحبها مهما أوتي من الشهرة ورجاحة العقل، لأن كبوة العقل الراجح في بديهيات الأمور تجعل الآخرين يراجعون ظنهم وثقتهم فيما صدر ويصدر عنه. وتتلخص هذه الفرية في أن الإسلام دين يناقض العلم أو هو دين ضد العلم.

ولعل المستشرق والمؤرخ الفرنسي الشهير إرنست رينان E. Renan هو أبرز من نادى بهذا الرأي دون أن يقدم مبررا مقنعا واحدا، إذ يقول: «وقد اضطهد الإسلام العلماء والفلاسفة، ومن اشتغل بالفلسفة من المسلمين اضطهد أو أحرقت كتبه، أو كان في حماية خليفة أو أمير مؤمن في الظاهر غير متدين في الباطن»[٥].. ومن الأسباب التي يستند إليها رينان في اعتباره الإسلام ضد العلم جمود الإسلام وثباته، وسيادة مفاهيم الجبر، مما يعني على صعيد السلوك البشري الخنوع والضعف، والتوسل بغير العقل لبلوغ المراد[٦].

وينقل الأستاذ محمد كرد علي في كتابه: «الإسلام والحضارة الغربية» عن أن رينان عندما زار إحدى جزر سوريا فإن أهل الجزيرة من المسلمين قاوموه للبغض المتأصل فى قلب كل مسلم لما يقال له علم، وقال فى مناسبة أخرى: إن الذي يميز العالم الإسلامي إنما هو اعتقاد المسلمين أن البحث لا طائل تحته وأنه قد يؤدي إلى الكفر. وحكم هذا المؤلف - يقصد رينان- على كل مسلم بأنه عدو العلم والبحث فى فطرته لا يصح على إطلاقه لأنه بعيد عن المنطق ولا يتلائم بحال مع حكمة صاحبه وعلمه الواسع[٧]. وقد شايع هذا الرأي عدد من المستشرقين منهم على سبيل المثال مارتن بلسنر M.Plessner الذي كتب الفصل الخاص بالطبيعة والطب في كتاب: «تراث الإسلام»، حيث يقول: فقد كان المسلمون يرون أن كل علم لا ينبع من القرآن والحديث لا يعتبر عقيما فحسب، بل يعتبر أيضا الخطوة الأولى على الطريق المفضي

إلى الزندقة[٨].

القرآن الكريم والعلم

كان للتوجيه القرآني في طلب العلم أثره الواضح في بلوغ الحضارة الإسلامية مبلغا رفيعا في شتى العلوم، ومن أروع صور تكريم القرآن الكريم للعلم أن الخالق سبحانه وتعالى قد أقسم بالقلم بقوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ (القلم: ١)، وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ (طه: ١١٤).

ولقد كان القرآن الكريم الموجه الأول للمسلمين في الحث على طلب العلم في شتى مجالاته، وفي جميع صوره وألوانه، بل كان الأمر صريحا وواضحا في البحث عن الموجودات وسائر الكائنات من شتى جوانبها واستكناه أغوارها وسبر أسرارها والتي تشكل كل منها علما قائما بذاته، كقوله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ (العنكبوت: ٢٠)، وقوله تعالى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤)، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ (يونس: ١٠١).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ (الأنعام:٩٧). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٦).

ليس هذا فحسب بل أن الكثير من الآيات القرآنية الكريمة كانت دافعا لعلماء المسلمين في البحث في الأمور الفلكية والجغرافية. كقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾(يس: ٣٩-٤٠)، وقوله تعالى ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾ (الواقعة: ٧٥- ٧٦)، وقوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ (يونس: ٥).

ولأن مكة المكرمة وما تمثله بالنسبة للمسلمين فيما يتعلق بفريضتي الصلاة والحج، مهوى الأفئدة ومناط القلوب، تفد إليها جموع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ويشد الرحال إليها من كل فج عميق، فقد رأى عدد من الجغرافيين، حبا وعشقا لهذا البلد الأمين، ألا يسيروا على النهج الجغرافي المتعارف عليه من ذكر الأقاليم المختلفة، بل افتتحوا مؤلفاتهم بذكر مكة المكرمة مباشرة حبا لها وتيمنا بها ومكانتها في قلوب المسلمين غير عابئين بالتقسيم الجغرافي الذي درج عليه المؤلفون. يقول الأصطخري مفتتحا كتابه «المسالك والممالك»: «وابتدأت بديار العرب لأن القبلة بها ومكة فيها وهي أم القرى»[٩]. وعلى نفس النهج ونفس السبب وبالألفاظ ذاتها يبدأ ابن حوقل كتابه الشهير «صورة الأرض»[١٠].

أثر الإسلام في الجغرافيا والفلك

وبعد أن دحضنا تلك الفكرة المسمومة بأن الإسلام يقف موقفا مضادا للعلم، سوف نذهب إلى أبعد من مجرد نفي فكرة لا تتم إلا عن تعصب مقيت حيال الإسلام كعقيدة وحيال العرب كأمة أسهم الدين الإسلامي وخاصة فريضتي الحج والصلاة بطريق غير مباشر في تطور الجغرافيا والفلك، وإن شئنا الدقة؛ الجانب الفلكي من الجغرافيا، بل لعلنا لا نجاوز الصواب إن قلنا أن الإسلام كان دافعا قويا لتطور الجغرافيا والفلك. فقد نص الإسلام على خمس صلوات في أوقات خاصة في اليوم، والاتجاه ساعة الصلاة نحو الكعبة، وصوم شهر معين من شهور السنة وهو شهر رمضان، لذا فقد كان على الفلكيين العرب أن يذللوا ما يعترض المسلم من صعوبات تتعلق بمواعيد الصلاة في سائر الأمصار التي دخلت في الإسلام فعملوا على تحديد المواقع الفلكية لكثير من البلدان بدقة، وأعدوا الساعات الشمسية لتحديد أوقات الصلاة، وراقبوا القمر لتحديد الشهور، وإعلان بداية الشهور العربية، ولا سيما شهر رمضان، وقد ساعدهم على ذلك قلة السحاب وصفاء السماء في بلادهم.

وتدل الشواهد على أن ارتقاء وتقدم علم الفلك في الحضارة الإسلامية بصورة لفتت أنظار مؤرخي العلم، لاسيما فيما يتعلق بدقة الأرصاد

الفلكية وبروز أسماء من العلماء المسلمين في تاريخ العلم الإنساني العام، مثل: البتاني والبيروني وابن يونس.. إلخ، وعشرات غيرهم لمعت أسماؤهم في تاريخ الجغرافيا والفلك، كان مبعثه ودافعه التوجيه القرآني من جهة، وضرورة معرفة سمت القبلة وأوقات الصلاة ومواعيد الأهلة في أي حاضرة من الحواضر الإسلامية لمعرفة ميقات الحج من جهة أخرى.

وقد تحدث غير واحد من المستشرقين ومؤرخي العلم عن تقدم العرب في علمي الجغرافيا والفلك، والتطور الحادث في كليهما على أيدي المسلمين، فيقول جوستاف لوبون G. Le Bon في كتابه «حضارة العرب»: «كان من نتائج ريادات العرب ومعارفهم الفلكية أن اتفق لعلم الجغرافيا تقدم مهم ولا غرو فالعرب اتخذوا في البداءة علماء اليونان، أدلاء لهم في علم الجغرافية لم يلبثوا أن أفاقوا أساتذتهم فيه على حسب عادتهم».

ويكفي أن نقابل بين الأمكنة التي عينها الأغارقة والأمكنة التي عينها العرب ليظهر لنا مقدار التقدم الذي تم على يد العرب، فهذه المقابلة تدل على أن مقدار العرض الذي حققه العرب يقرب من الصحة بما لا يزيد على بضع دقائق، وأن خطأ الأغارقة فيه بلغ درجات كثيرة.

وكتب العرب التي انتهت إلينا في علم الجغرافيا مهمة للغاية، وكان بعضها أساسا لدراسة هذا العلم في أوروبا قرونا كثيرة. وتكفي الخلاصة السابقة لإثبات شأنهم، فالعرب هم الذين انتهوا إلى معارف فلكية مضبوطة من الناحية العلمية عدت أول أساس للخرائط، فصححوا أغاليط اليونان العظيمة في المواضع، والعرب، من ناحية الريادة، هم الذين نشروا رحلات عن بقاع العالم التي كان يشك الأوروبيون في وجودها فضلا عن عدم وصولهم إليها [١١].

ويعلق المستشرق الإيطالي ألدوميلي A. Mieli في كتابه «العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي» على تقدم الجغرافيا عند العرب بقوله: «ويقدم الأدب الجغرافي في هذا العصر- يقصد العصر العباسي - وفرة وتنوعا غير مألوفين، بحيث يتعذر سرد أسماء أهم الجغرافيين. وهذه الوفرة في النتاج الجغرافي، تعكس صورة واضحة للنزعة القوية عند المسلمين إلى التنقل والترحال، ليس فقط لغرض الحج إلى مكة، أو ما يتصل بالحج من علاقة، بل تكشف أيضا عن ملكة التطلع القوية عندهم إلى جمع المعلومات عن الأقطار التي استولى عليها الإسلام، أو التي تدخل في نطاق رحلاتهم التجارية. وقد استرعت الجغرافية الرياضية، مع تطبيقاتها المتصلة برسم الخرائط، أنظار علماء الإسلام، في نفس الوقت الذي اتجهوا فيه إلى الجغرافية الوصفية» [١٢].

هذا عن رأي جانب من المستشرقين ومؤرخي العلم عن مظهر التقدم في الجغرافيا والفلك في الحضارة العربية الإسلامية، ولقد لفت أثر الإسلام في هذين العلمين جانبا آخر من مؤرخي العلم فأشاروا بوضوح إلى الجانب غير المنظور من العقيدة الإسلامية، ذلك الجانب الذي تجاهله لفيف كبير من المستشرقين جهلا أو عمدا، وهو الجانب العلمي من الإسلام، متمثلا في فريضتي الحج من ناحية والصلاة من ناحية أخرى، وأثرهما الواضح في تقدم وتطور علمي الجغرافيا والفلك لدى المسلمين.

وفيما يلي عرض لأهم الآراء التي قيلت بهذا الشأن:

١- يعد المستشرق كرلو نلينو C. Nallino واحدا من الثقات في علم الفلك عند العرب إذ ألف كتابا شهيرا بعنوان «علم الفلك...تاريخه عند العرب في القرون الوسطى» بيّن العلاقة بين تقدم العرب في علم الفلك من ناحية وبين بعض أركان الإسلام من ناحية أخرى إذ يقول: «لا يخفى على من اعتبر أمور الدين الإسلامي، ما وقع بين بعض أحكام الشريعة الإسلامية في العبادات وبين بعض الظواهر الفلكية من الارتباط الواضح الجلي. إن أوقات الصلوات الخمس تختلف من بلد إلى بلد، ومن يوم إلى يوم، فيقتضي حسابها معرفة عرض البلد الجغرافي، وحركة الشمس في فلك البروج. ومن شروط الصلاة الاتجاه إلى الكعبة فيستلزم ذلك معرفة سمت القبلة. كما أن أحكام الشريعة في الصوم حملت الفلكيين على البحث في المسائل العويصة بشرط رؤية الهلال وأحوال الشفق، فبرزوا في ذلك واخترعوا حسابات وطرقا بديعة لم يسبقهم إليها أحد. فبالجملة إن ارتباط بعض أحكام الشريعة بالمسائل الفلكية زاد المسلمين اهتماما بمعرفة أمور السماء والكواكب....إلخ» [١٣].

٢- يؤكد مؤرخ العلم توبي هاف Toby E. Huff في كتابه «فجر العلم الحديث» على دور الإسلام كعقيدة في تقدم العلم حيث يقول: «من أجل تقسيم المواريث فقد اعتبر الحساب موضوعا مهما للدراسة، وكذلك كانت الحاجة إلى تأدية الشعائر إلى تحديد المواقيت ومن ثم إلى استخدام

الهندسة وابتكار حساب المثلثات من أجل اكتساب عمليات حسابية تحدد الاتجاه إلى مكة حيث القبلة للمصلي. وباختصار وبدافع حب الاستطلاع ولدوافع دينية بلغ العالم العربي الإسلامي من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر أعلى مستوى من التقدم العلمي»[١٤].

٣- لعل ما قاله الدكتور دافيد كينج D. King مدير المعهد الدولي لتاريخ العلوم في جامعة فرانكفورت ما يغني عن الإطالة في هذا المجال إذ يقول في مقال له بعنوان «العلم في خدمة الدين في الإسلام»: «في تاريخ البشرية تعتمد تأدية المناسك في العقيدة الإسلامية - بعكس المعتقدات الدينية الأخرى - على عدة أسس علمية. فالتقويم القمري والتنظيم الفلكي لأوقات الصلاة وتحديد اتجاهات القبلة من مختلف المواقع على سطح الأرض هي بعض الموضوعات التي تهتم بها العلوم الإسلامية.

إن أغلب مؤرخي العلم الإسلامي قد ركزوا معارفهم على ما يتلقونه من الغرب، وهم في لحقيقة يتخطون جوهر العلم الإسلامي. فأغلب معلوماتنا عن العلم الإسلامي في العصور الوسطى قد تجاهلت ملامح هذا العلم.

إن التقويم الإسلامي هو تقويم قمري، فبدايات الشهور القمرية ونهاياتها وبخاصة شهر رمضان ينظمها بدء ظهور الهلال في كل منها. وتتم الرؤية البصرية عقب غروب الشمس إذا كان الهلال بعيدا عن الشمس، وعلى ارتفاع معين من الأفق بحيث لا يتأثر بضوء شفق السماء وقت الغروب. وهذه الشروط للرؤية ليست بالبساطة الظاهرية، ولكنها تتحدى الفلكيين وخصوصا في الأيام ذات الغيوم.

وقد قام المسلمون الأولون باتباع شرط للرؤية وكان من الضروري حساب موقع كل من الشمس والقمر من الجداول الفلكية، ثم حساب الفرق الزمني لغروبهما. وفي القرون التالية وضع الفلكيون المسلمون شوطا معقدة لحساب رؤية الهلال، ووضعوا عدة جداول مستحدثة لتسهيل ذلك، مما يعد إنجازا كبيرا للفلكيين المسلمين في ذلك الوقت...إلخ»[١٥].

نخلص من هذا لنقول أن الإسلام كعقيدة كان له الدور الكبير فيما وصلت إليه الحضارة العربية الإسلامية من تقدم علمي رفيع في شتى مجالات العلم، خلافا لما ادعاه نفر من المستشرقين حول علاقة الإسلام بالعلم. كما تجاوزت الحضارة العربية الإسلامية فترة الترجمة، التي يطنطن لها الغرب، بأشواط كثيرة ليس هذا فحسب بل وأصبح هناك علم عربي كان له أكبر الأثر في تاريخ العلم الإنساني العام، إذ ارتكز على هذا العلم العربي عصر النهضة الأوروبية، بل هناك من الشواهد ما يدل على أنه لولا هذا العلم العربي لتأخر ظهور عصر النهضة الأوروبي[١٦]. ولعل فريضة الحج وكذلك الصلاة اللذين كانا سببا مباشرا في تقدم علمي الجغرافيا والفلك عند المسلمين، خير شاهد على مدى ارتباط الإسلام كعقيدة بالعلم.

الهوامش

١- في تراثنا العربي الإسلامي، د. توفيق الطويل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٥م، (ص: ٥٨).

٢- فضل الإسلام على الحضارة الغربي، مونتجومري وات، ترجمة د. حسين أحمد أمين، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣م، (ص: ٤٦).

٣- قصة الحضارة، ت. جود، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨م، (ص: ٤).

٤- شمس العرب تسطع على الغرب، زجريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي،، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٦، ١٩٨١م، (ص: ١٢).

٥- الإسلام والعلم بين الأفغاني ورينان، د.محمد عثمان الخشت، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م، (ص: ٤٢).

٦- المصدر السابق، (ص: ٤٣).

٧- الإسلام والحضارة الغربية، محمد كرد علي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٨م، (١/ ٥٤).

٨- تراث الإسلام، شاخت وبوذورث، ترجمة د.حسين مؤنس وآخرين،، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، ط ٢، ١٩٨٨م، (٢/ ٢١٧).

٩- المسالك والممالك، أبو اسحاق إبراهيم الإصطخري، تحقيق محمد جابر الحيني، تحقيق جابر الحيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، (ص: ٢٠).

١٠- صورة الأرض، أبو القاسم بن حوقل، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، (ص: ١٥).

١١- حضارة العرب، جوستاف لو بون، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٢م، (ص: ٤٦٨).

١٢- العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ألدو ميلي، ترجمة د. عبد الحليم النجار ود. محمد يوسف موسى، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٢م، (ص: ٢٢٥).

١٣- علم الفلك...تاريخه عند العرب، كرلو نلينو، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ، (ص: ٢٢٩).

١٤- فجر العلم الحديث، توبي هاف، ترجمة د. أحمد محمود صبحي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٧م، (١/ ٧٦).

١٥- العلم والمجتمع، العدد: ١٥٩/٨١، ديسمبر/ فبراير ١٩٩٠م. العلم في خدمة الدين (في الإسلام) دافيد كنج، ترجمة د.محمد فهيم محمود، (ص: ٦٣).

١٦- العلم العربي وكيف عجل بظهور عصر النهضة الأوروبية، مصطفى يعقوب عبد النبي، آفاق الثقافة والتراث، العدد: (٧٢)، ديسمبر ٢٠١٠م، (ص: ٣٢ - ٥٧).

د. عثمان كضوار
باحث في الفكر الإسلامي



أبعاد الحج عند الطاهر بن عاشور

الحج، باعتباره شعيرة تعبدية لا يقل من حيث مقاصده على الأبعاد الروحية التربوية والاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بالصلاة والزكاة، الحج يحقق منافع دينية ودنيوية إن التزم العبد بأركانه وشروطه، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ۝٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ۝٢٨﴾ (الحج:٢٧-٢٨).

فالغاية المرجوة من الحج تبرز من خلال لفظة الحج نفسها، حيث التوجه والقصد لغاية أسمى، يقول ابن عاشور رحمه الله: «والمراد بالحج: القصد إلى بيت الله، وصار لفظ الحج علما بالغلبة على الحضور بالمسجد الحرام لأداء المناسك، ومن حكمة مشروعيته تلقي عقيدة توحيد الله بطريق المشاهدة للهيكل الذي أقيم لذلك حتى يرسخ معنى التوحيد في النفوس، لأن النفوس تميل ميلا إلى المحسوسات ليتقوى الإدراك العقلي بمشاهدة المحسوس، فهذه أصل في سنة المؤثرات لأهل المقصد النافع»(١).

إن أسمى المقاصد من الحج ترسيخ مفهوم التوحيد في نفوس العباد بشكل محسوس عما عبر عنه ابن عاشور، على اعتبار ميل الإنسان إلى المحسوس أكثر من ميله إلى المجرد، ولعل هذا ما يبرر تشوق المرء إلى زيارة بيت الله الحرام، بغض النظر عن حاجته إلى مغفرة الذنوب ومحوها والتي تعتبر أحد مرامي العبد للحج.

وفي تفسيره ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ يقول ابن عاشور: «ومعنى ﴿لِّيَشۡهَدُواْ﴾ ليحضروا منافع لهم؛ أي ليحضروا فيحصلوا منافع لهم، إذ يحصل كل واحد ما فيه نفعه، وأهم المنافع ما وعدهم الله على لسان إبراهيم، عليه السلام، من الثواب، فكنى بشهود المنافع عن نيلها ولا يعرف ما وعدهم الله على ذلك بالتعيين، وأعظم ذلك اجتماع أهل التوحيد في صعيد واحد ليتلقى بعضهم عن بعض، وتنكير منافع للتعظيم المراد منه الكثرة وهي المصالح الدينية والدنيوية، لأن في مجمع الحج فوائد

جمة للناس لأفرادهم من الثواب والمغفرة لكل حاج ولمجتمعهم، لأن في الاجتماع صلاحا في الدنيا بالتعارف والتعامل، وخص من المنافع أن يذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام»[٢].

وقد تحمل هذه المنافع على التجدد بحيث أصبحت تتنوع منافع الحج وتتجدد حسب حاجات الناس، ذلك أن هناك عدة مصالح لم تكن معروفة من قبل، لذلك جاءت لفظة منافع في الآية الكريمة نكرة لتفيد عموم المنافع.

ذكر ابن عاشور، رحمه الله، كلاما جامعا مانعا لما خصه الشارع من مقاصد لفريضة الحج بين متطلبات الدين والدنيا، فأصبح الحج يمثل اليوم بصورة عميقة أبعادا سياسية واقتصادية - استثمارية- أكثر من تلك التي شرع الحج لأجلها، بحيث صارت المصالح الدنيوية تزاحم المصالح الدينية بشكل لافت للنظر، علاوة على بعض ممارسات الحجاج التي باتت تسيء للإسلام في عمقه العقدي بشكل من الأشكال.

إن الحديث عن المقاصد الإصلاحية للحج على الأفراد والمجتمعات يقتضي استحضار مقاربات وتوازنات بين متطلبات الدين ومتطلبات الدنيا؛ حتى تتحقق المنافع بشكل متكافئ لا تعود على بعضها بالإبطال.

لقد احتوى الحج كما أسلفت الذكر على مقاصد عدة، بعضها يلتقي مع مقاصد الصلاة والصيام كالانضباط إلى الوقت والالتزام به، وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ (البقرة:١٨٩)، إذ يقول ابن عاشور: «أي: مواقيت لما يوقت من أعمالهم، فاللام للعلة، أي: لفائدة الناس وهو على تقدير مضاف... وعطف الحج على الناس مع اعتبار المحذوف من عطف الخاص على العام للاهتمام به، واحتياج الحج للتوقيت ضروري، إذ لو لم يوقت لجاء الناس للحج متخالفين فلم يحصل المقصود من اجتماعهم، ولم يجدوا ما يحتاجون إليه في أسفارهم وحلولهم بمكة وأسواقها... ولكن شرع فيه توحيد الوقت ليكون أخف على المكلفين، فإن الصعب يخف بالاجتماع... والمواقيت جمع ميقات،... وقيل: الميقات أخص من الوقت، لأنه وقت قدر فيه عمل من الأعمال، قلت: فعليه يكون صوغه بصيغة اسم الآلة اعتبارا بأن ذلك العمل المعين يكون وسيلة لتحديد الوقت، فكأنه آلة للضبط والاقتصار على الحج دون العمرة، لأن العمرة لا وقت لها فلا تكون للأهلة فائدة في فعلها»[٣].

فالتوقيت في نظر ابن عاشور ارتباطا بفريضة الحج من مقاصد الشريعة الإسلامية «لأن عدم ضبطه سبب لتخالف الناس في مجيئهم له، فلا يحصل المقصود الشرعي من اجتماعهم فيه»[٤].

ومن مقاصد الحج الإصلاحية إعادة المرء -الحاج- النظر في تصرفاته وممارساته، بحيث يتدرب خلال تلك الفترة على أن يكون سلوكه موافقا للشرع حتى إذا ما عاد بعد تأديته مناسك الحج؛ صار غير الذي كان من قبل، ولهذا دعا الشارع خلال تلك المرحلة التعبدية إلى عموم الخير مزيدا من التحصيل، وكأن في ذلك اكتسابا لمزيد من الحصانة والتزود برصيد من المناعة، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (البقرة:١٩٧) وقال أيضا: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:١٥٨).

فتكرار لفظة خير في الآيتين ارتباطا بمقاصد الحج دليل رفعة هذا الركن العظيم، فمتى تحققت التقوى حصل الخير الدنيوي والأخروي، ولا يكون ذلك إلا من خلال العدول عن الفسوق بشتى أشكاله، لذلك جاء التنسيق غاية في الدقة، كل ذلك مرتبط بتلك البقعة المباركة لتحظى بخصوصية مكانية تميزها عن باقي البقاع.

فقوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ تذييل لما أفادته الآية من الحث على السعي بين الصفا والمروة بمفاد قوله من شعائر الله، والمقصد من هذا التذييل الإتيان بحكم كلي في أفعال الخيرات كلها، من فرائض ونوافل أو نوافل فقط، فليس المقصود من خير خصوص السعي، لأن خيرا نكرة في سياق الشرط، فهي عامة ولهذا عطفت الجملة بالواو دون الفاء لئلا يكون الخير قاصرا على الطواف بين الصفا والمروة[٥].

فالحج أشبه ما يكون بالمدرسة التي يتخرج منها الوفود، وقد نالوا من الأخلاق العالية ما يصلح أحوالهم بقدر ما حصلوه من أجر وثواب، ومن الأخلاق التي يحصلها الحجاج أذكر:

- مبدأ المساواة: فاجتماع الناس من مختلف الأجناس والألوان بلباس واحد في مكان واحد وزمان واحد سعيهم وهدفهم واحد، إشارة إلى سواسية الخلق عند الله سبحانه، وذلك أمر يدفع العبد إلى التواضع والشعور بالمواساة، لا فرق بين العباد إلا بقدر

ما حصلوه من تقوى.

- مبدأ الأخوة: الحج مكان آمن سالم من القتل والفتن، يشعر فيه الحجاج بالأخوة بمفهومها العميق، وهي شعار الدين الإسلامي فتستقر المحبة في نفوسهم تجاه الآخر، ليصبح صلاح القلب منسجما مع صلاح الجوارح، فالسلام والحب والتعاون هي الأصل في ديننا الحنيف وما دونها استثناء تمليه الظروف والأحداث، كالقتال دفاعا عن النفس أو الدين، وحتى يعتاد المرء على السلم فقد حرم الله تعالى على الحجاج القتل والاعتداء سواء على الإنسان أو الحيوان والشجر خلال تلك المرحلة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾ (المائدة:٩٥) فالآية وردت لتعظيم شأن الكعبة كما ذكر ابن عاشور رحمه الله «والحكمة في ذلك أن الله تعالى عظم شأن الكعبة من عهد إبراهيم عليه السلام وأمره بأن يتخذ لها حرما كما كان الملوك يتخذون الحمى، فكانت بيت الله وحماه وهو حرم البيت محترما بأقصى ما يعد حرمة وتعظيما، فلذلك شرع الله حرما للبيت واسعا وجعل الله البيت أمنا للناس ووسع ذلك الأمن حتى شمل الحيوان العائش في حرمه بحيث لا يرى الناس للبيت إلا أمنا للعائذ به وبحرمه»[٦].

فالحج فرصة كذلك للتدريب على نوازع النفس السيئة ليكون بذلك مؤهلا للإصلاح والصلاح، حتى يعم السلم والسلام جميع بقاع الأرض كما حال بيت الله الحرام.

استنتاج

إن ما ذكرته من مقاصد إصلاحية للحج يدفعني إلى المساءلة عما يلزم إعادة النظر فيه تحقيقا لتلكم المقاصد، يتداخل في ذلك الذاتي بالموضوعي، كما ينبغي طرح مقاربة إصلاحية شمولية أفرادا ومؤسسات حتى يتم تفعيل هذه الفريضة في جميع أبعادها الإصلاحية على جميع المستويات كما أراد ذلك الشارع، إضافة إلى النظر في الإكراهات لا سيما المادية والقانونية التي تحرم عددا ممن له رغبة في زيارة بيت الله الحرام.

وعليه؛ يمكن تسجيل أهم الاستنتاجات ارتباطا بهذا الموضوع.

- تؤدي الشعائر التعبدية عاملا تفعيليا للعقيدة الإسلامية، بحيث يتم ترجمة الاعتقاد السليم إلى ممارسات تعبدية تحقق مقاصد إصلاحية على الأفراد والمجتمعات.
- أولى ابن عاشور عناية خاصة للفقه الإسلامي من زاوية التنبيه إلى أهمية المقاصد في التشريع الإسلامي وحاجة الفقهاء إليها.
- سلك رحمه الله بحثا عن الاستدلال في إثبات حكم الله المرتبط بشعائر الله مذهب معلمه الإمام الشاطبي.
- تقوم المقاصد الإصلاحية التشريعية بدور تكاملي ومنسجم في تحقيق الإصلاح الديني والدنيوي للفرد والمجتمع.
- بعد المسافة بين واقع الأمة الإسلامية والمقاصد الإصلاحية للعبادات؛ يدعو إلى مقاربة تقويمية شمولية من جهة الأفراد والمؤسسات والمجتمعات الإسلامية.

الهوامش

١- التحرير والتنوير، الجزء الثامن عشر، ص:٢٤٣.
٢- المرجع نفسه: ص:٢٤٦.
٣- التحرير والتنوير، الجزء الثاني، ص:١٩٦.
٤- المرجع نفسه، الجزء العاشر، ص:١٩٦.
٥- المرجع نفسه، الجزء الثاني، ص:٦٤.
٦- التحرير والتنوير، الجزء السابع، ص:٤٢.



د. هانئ محمد
باحث أكاديمي



الحج ودوره في تحقيق الأمن النفسي والمجتمعي

الحج فريضة وعبادة من أعظم وأجل العبادات التي فرضها الله - سبحانه وتعالى- على المسلمين، وهي أحد أركان الإسلام الخمسة، كما جاء في قول الله -سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران/٩٧)، وجاء في الحديث النبوي الشريف: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا) (رواه مسلم).

ويعد الحج أنموذجا بديعا لحياة السلام التي يجب أن تعيشها البشرية، بدلا من حياة الاقتتال والتناحر والخوف... ذلك أن الحج يربي في النفس الانقياد والطاعة والاستسلام لأوامر الله- سبحانه وتعالى-دون إعمال العقل فيها، وسواء أدركنا الحكمة منها أو لم ندركها، فالحاج إذا عظم حرمات الله- سبحانه وتعالى-وشعائره، فإن ذلك يبعث في نفسه حقيقة التقوى، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج/٣٠)، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج/٣٢). فما من مكان أو شعيرة في الحج إلا وهو يثير الذكريات ويهيج من العواطف ما هو كفيل بإحياء القلوب، وتوجيهها إلى ربها، وخلعها عما يباعد بينها وبينه [1].

تحقيق ثقافة السلام

إن من منافع الحج العظيمة، أنه يمد الحاج أثناء تأديته للشعائر بجرعة إيمانية، تقربه من الله - سبحانه وتعالى-وتدخله في دائرة التربية السليمة، حيث أن بيئة الحج، ترسخ في نفسية الحاج، القيم النافعة السليمة. فإن بقاء الحاج طيلة أيام الحج، وهو لا يؤذى حيوانا، ولا ينفر

طائرا، ولا يقطع شجرا، ولا يفزع مخلوقا،... وحتى على نفسه يعطى لها الأمان، فلا يقطع ظفرا، ولا ينتف شعرا مادام محرما، وفي هذا أبلغ مثال على التربية السليمة التي ينبغي أن يعيش الإنسان بها حياته في أمن وأمان، وسلم وسلام مع من حوله من المخلوقات، وما حوله من الكائنات، وأن يظهر ذلك جليا في كل شؤون حياته، بل وفي كل جزئية من جزئياته، فقد جعل الله-سبحانه وتعالى-لبلده الحرام آية قائمة فيه، وهي الأمن، حيث يجد من يلوذ به من إنسان وحيوان وطير، الأمن والسلامة، فلا تمتد إليه يد بأذى ولا يناله أحد بمكروه، وتعظيما وتكريما لهذا البيت: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ (آل عمران/٩٧) [٢].

تحقيق الاستقرار النفسي للمسلم

لما كان الحج مظهرا من مظاهر تحقيق العبودية لله-سبحانه وتعالى- فإن التوبة تتجلى من خلاله في أبهى صورها، إذ تبرز في هذه الفريضة مهمة نقد الفرد لذاته ولسلوكه، طالبا التوبة، وطلب العفو والمغفرة من الله -سبحانه وتعالى.

وهذه التوبة تعد من أعظم الآثار التربوية لهذه الفريضة، لأنها تعمل على تخليص الفرد من ذنوبه، وتهذيب سلوكه تجاه خالقه ونفسه، وغيره من البشر.

فإن كل من يؤدي هذه الفريضة وفق ما أراد الله – سبحانه وتعالى- بإخلاص والتزام بشروطها والقيام بواجباتها على خير وجه، فإنه ينعم بالاستقرار النفسي الناتج عن تخلصه من الذنوب والمعاصي التي ارتكبها في حياته قبل أداءه لهذه الفريضة.

هذا الاستقرار قد يلعب دورا كبيرا في بناء الشخصية الإيجابية المتزنة التي تساهم في بناء المجتمع وتماسكه، ويعمل أيضا على بعث الحيوية في النفس الإنسانية، وبذلك تتجدد العلاقة بين الإنسان وخالقه على أسس التوبة الصادقة، والأمل في مغفرة الله ورضوانه، فتبقى العلاقة بين الحاج وخالقه مستمرة طوال حياته، فلا يعتري نفسه يأس ولا قنوط من رحمة الله ومغفرته – سبحانه وتعالى.

تحقيق الاستقرار المجتمعي

إذا كان الاستقرار النفسي يؤثر في طبيعة علاقة الحاج بنفسه وبأفراد مجتمعه، فإن هذا الاستقرار، يكسبه الشعور بالسكينة وطمأنينة النفس، والرضا، ويقطع الطريق أمام الأسباب التي تؤدي إلى القلق والتوتر النفسي، فيتعامل مع باقي أفراد المجتمع بسماحة وأخلاق عالية تسهم في إشاعة المحبة واستقرار المجتمع. فالحج يسهم في تحرير أفراد المجتمع المسلم من جميع الأزمات النفسية الناشئة عن الشعور بالتقصير في عبادة الله – سبحانه وتعالى- وبهذا الاستقرار النفسي تكون هذه الفريضة قد أسهمت في بناء مجتمع قوي خال من المشكلات، والعقد النفسية التي تفضي إلى تحطيم الذات الإنسانية، وبالتالي إضعاف المجتمع وانهياره. كما أن هذه الفريضة تترجم عمليا الإيمان الراسخ في الوجدان إلى سلوكيات عملية على أرض الواقع، وذلك بانعكاسها في عمل وحركة لإنشاء واقع إيجابي منشود، لسلوك الأفراد في المجتمع والكون. ولا شك أن تلك الأمور جميعها، هي التي تجعل الإنسان أكثر ايجابية، وفاعلية أثناء تعامله مع من حوله، وما حوله من مخلوقات، ومواقف متنوعة في هذه الحياة.

تأثير الحج في أخلاق المسلم

لا شك أن أداء فريضة الحج، يعمل على إكساب الإنسان المسلم الأخلاق، والآداب الإسلامية التي تعمق أواصر المحبة والتآخي بين أفراد المجتمع كافة، وهي وسيلة تثبت إمكانية تطبيق قيم الإسلام، وأهدافه المتنوعة في واقعنا المعاصر. لذلك فإن فريضة الحج مثل سائر العبادات في الإسلام، لها دورا بارزا في إعداد الأفراد الصالحين القادرين على النهوض بمجتمعاتهم، والرقي بها، كما أنها تعمل على حماية الأفراد من الزلل، وتجدد فيهم المعاني السامية التي تكاد تغيب عن الأنفس في زحمة الحياة، فهي تعلم الإنسان المسلم التضحية والبذل في سبيل الله- سبحانه وتعالى. ولا يكاد مسلم يجهل الأحاديث النبوية التي تقرر أن: إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وأن الأمر بالمعروف صدقة، والنهي عن المنكر صدقة، والكلمة الطيبة صدقة[٣].

وأخيرا: فإن الثمرات التي يجنيها المسلم من أداءه لفريضة الحج تظهر مدى أهمية وعظمة هذه الفريضة في حياة الفرد والمجتمع المسلم، كما أنها تبين دورها الفعال في إيجاد الشخصية المسلمة، القادرة على ممارسة الحياة على الوجه الأكمل وفق إرادة الله باستخلاف الإنسان في الأرض.

الهوامش

١- د. على عبد اللطيف منصور، «العبادة في الإسلام وأثرها في الفرد والجماعة»، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، ص٢١٧.

٢- محمد بولصقاع، شهود منافع الحج من خلال القرآن الكريم.. دراسة موضوعية، جامعة عمار ثليجي بالاغواط (الجزائر)، ص١٣.

٣- د. إسماعيل شلبي، «هذا هو الإسلام المفترى عليه»، كلية الحقوق-جامعة الزقازيق، ص١٢٧.



فهد خلف الشمري
باحث دراسات إسلامية

المملكة تستضيف مليون حاج

بعد عامين من التوقف استقبلت المملكة العربية السعودية الحجاج القادمين من الخارج، فيما أكدت وزارة الحج والعمرة حرص المملكة على تمكين أكبر عدد من المسلمين في أنحاء العالم من أداء مناسك الحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي الشريف في أجواء من الروحانية والطمأنينة، مع الحفاظ على المكتسبات الصحية التي حققتها المملكة في مواجهة جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد - ١٩).

وكشفت الوزارة عن قرار السلطات السعودية رفع عدد حجاج موسم حج هذا العام ١٤٤٣هـ إلى مليون حاج من داخل المملكة وخارجها، وذلك وفقا للحصص المخصصة للدول، مع الأخذ بالتوصيات الصحية العالمية الخاصة بجائحة كورونا، بعد عامين من توقف استقبال الحجاج من خارج المملكة، في حين اعتمدت اللجوء إلى نظام القرعة في تحديد حجاج الداخل.

بدورها، كشفت رئاسة شؤون الحرمين عن الخطة التشغيلية لموسم حج هذا العام ١٤٤٣هـ، والتي قامت على ١٠ محاور رئيسية تخدم أهداف الخطة، وتعنى في الدرجة الأولى بالقاصدين وضيوف الرحمن، وتمكينهم من أداء المناسك بكل يسر وسهولة، وتهدف إلى تحقيق عنصر الريادة والاستدامة في تعزيز جودة الخدمات، وإلى الحفاظ على سلامة الحجاج والقاصدين، وتوصيل رسالة الحرمين للمسلمين في شتى أنحاء العالم على اختلاف ثقافتهم، وتعزيز الشراكة لخدمة ضيوف الرحمن.

وارتكزت الخطة على عنصري التكامل والترابط مع مختلف الجهات ذات العلاقة، كما اعتمدت هيكلة الخطة على بضع نقاط، وهي: تطبيق أعلى معايير الوقاية البيئية في الخدمات المقدمة بالحرمين، للحفاظ على سلامة الحجاج وتجهيز كامل الطاقة التشغيلية لمصليات التوسعة الثالثة والساحات الخارجية وتوسعة الملك فهد وتخصيص صحن المطاف للحجاج فقط، إضافة إلى تخصيص مصليات خاصة في قبو المطاف والدورين الأول والأرضي لأداء سنة الطواف مع تخصيص



باب الملك عبدالعزيز وباب السلام لدخول الحجاج والمعتمرين، فيما خصصت الرئاسة ١٤٤ بوابة لدخول المصلين.

ورقمنة الخدمات وإدخال التقنيات الحديثة والأنظمة الملاحية والروبوتات الآلية ومصاحف برايل الإلكترونية إضافة إلى توفير ٣ ملايين عبوة لماء زمزم، وأكثر من ٢٥ ألف حافظة موزعة في جنبات المسجد الحرام وتوفير العربات الكهربائية للحجاج من كبار السن عبر تطبيق «تنقل»، وكذلك صيانة دورية للمنظومة الكهربائية والتشغيلية، عبر توفير أكثر من ٥٠٠ كادر هندسي وإعداد برامج علمية ودورس توعوية بقيادة هيئة كبار العلماء وأئمة المساجد، مع إتاحة ما يتجاوز ٤٠٠ ألف ساعة تطوعية خلال موسم حج ١٤٤٣هـ، في ١٠ مجالات مختلفة تعنى بخدمة ضيوف الرحمن، بالإضافة إلى تدشين «خدمة الحاج والزائر وسام فخر لنا» في عامها العاشر، لتعزيز التنافس في خدمة ضيوف الرحمن.

وإعداد سلسلة من البرامج العلمية والثقافية التي تقدمها مكتبات المسجد الحرام، ومجموعة من المعارض النوعية التي تقدمها رئاسة شؤون الحرمين لتسليط الضوء على البعد التاريخي للحرمين الشريفين.

ضوابط الحج لعام ١٤٤٣هـ

من ضوابط الحج لهذا العام:

١- يكون حج هذا العام للفئة العمرية أقل من ٦٥ عاما مع اشتراط التحصين الكامل بالجرعات الأساسية بلقاحات كوفيد-١٩ المعتمدة من وزارة الصحية السعودية.

٢- يشترط على القادمين للحج من خارج المملكة العربية السعودية تقديم نتيجة فحص سلبي لفيروس كورونا لعينة أخذت قبل ٧٢ ساعة من موعد المغادرة إلى المملكة.

القرعة لاختيار حجاج الداخل

اعتمدت وزارة الحج والعمرة في المملكة العربية السعودية لحجاج الداخل للعام الحالي ١٤٤٣هـ نظام القرعة، حيث يتم فرز واختيار المرشحين بطريقة إلكترونية وعشوائية حسب الشروط المحددة ودون تفريق بينهم، بعد تسجيل رغبتهم عبر تطبيق «اعتمرنا» الذي يتيح إمكانية استعراض الباقات المتاحة، أو من خلال المسار الإلكتروني وتكوين قائمة بالباقات المفضلة والاختيار منها، وإضافة المرافقين.

شرائح مخيمات منى

أعلنت الإدارة العامة لحجاج الداخل في وزارة الحج والعمرة عن خطتها لتقسيم مخيمات الإسكان في منطقة منى إلى ثلاث شرائح، تشمل الأولى أبراج منى، والثانية الخيام المطورة، فيما تشمل الشريحة الثالثة على ما يعرف بخيام الضيافة، على أن يتم تحديد أعداد الحجاج على النحو التالي:

١- الخيام المطورة: ٦ حجاج بمساحة ٢,٥ متر للحاج الواحد.

٢- خيام الضيافة: ١٠ حجاج بمساحة ١,٦ متر للحاج الواحد.



محمد محمود القعقاع
باحث دراسات إسلامية

مقاصد الحج في الإسلام

الحج هو الشعيرة الخامسة من شعائر الإسلام الكبرى، رحلة يطوي فيها المسلم بعده عن البيت العتيق؛ ليتفقد سيرة أبيه إبراهيم، ورسوله الكريم، يحدوه فيها الشوق والوجد، وتغمره خلالها مشاعر الرضا والفرحة، ويستشعر فيها ضعفه وحاجته، ويتجسد أمامه ضعف العبودية، ويرى بعين قلبه عظمة الربوبية، تاركا وطنه وأهله وماله، متوجها بقلبه وجسده وعقله إلى الله، طالبا منه العفو والصفح والقبول دون سواه.

مقاصد الحج

يظهر من خلال آيات الحج أن بعض مقاصده منصوصة، واضحة، وتوجد له مقاصد أخرى مستنبطة باجتهاد العلماء، أذكر كل هذه المقاصد تباعا بدءا بما دلت عليه النصوص من هذه المقاصد، ثم المعاني المستنبطة.

تحقيق العبودية والانقياد لله

وهو معنى ظاهر في جميع أعمال العبادة، من صلاة وصيام وحج وغيرها، بل هذا هو المقصد الأصلي الذي من أجله وجد الخلق في أرجاء المعمورة، ولم تنزل الكتب ولا أرسلت الرسل إلا لتعميق هذه الحقيقة، وإقامة حجة الله على الخلق، وهذا واضح صريح في آية الذاريات ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٥)[٢]. وأنكر الله على جهة التوبيخ فعل الكفرة الذين يفردون العبادة لغيره، لأنهم حادوا عن هذا المقصد الأصلي، يقول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (الحج:٧١)، والسلطان حيث وقع في القرآن فالمقصود منه الحجة[٣] لذلك يجب أن يعنى بهذا المقصد ويتقدم على مقاصد أخرى تبعية[٤].

تعظيم شعائر الله

تعظيم شعائر الله جل وعلا من أهم العبادات التي اقترنت بحج بيت الله الحرام، وشعائر الله هي أعلام دينه الظاهرة التي أمر بتعظيمها، ومن أخصها: بيت الله المحرم، ومناسك الحج؛ لذا خص الحج بأحكام تربي في المسلم هذا التعظيم لشعائر الله جل وعلا وتحذر من الاستهانة في ذلك، قال تعال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ (الحج:٣٠)، وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج:٢٥)

لذا كان التزام الحج بكمال الأدب هو سبيل طالب المغفرة، كما قال تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ (البقرة:١٩٧).

وكان من أعظم الإجرام الصد عن سبيل الله وإيقاع الظلم بالبلد الحرام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج:٢٥)، وقال ﷺ: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرة»[٥].

تجديد وتخليد لمشاعر التوكل على الله

إن التوكل شعور نفيس غريب، وهو أغلى من أن يخامر أي قلب، إنه ما يستطيعه إلا امرؤ وثيق العلاقة بالله حماس بالاستناد إليه والاستمداد منه. وعندما ينقطع عون

البشر، وتتلاشى الأسباب المرجوة، وتغزو الوحشة أقطار النفس، فهلا يردها إلا هذا الأمل الباقي في جنب الله! عندئذ ينهض التوكل برد الوساوس وتسكين الهواجس. إنني بعين الخيال أتبع «هاجر» وهي ترمق وليدها الظامئ، ثم تجري بخطوات والهة هنا وهناك ترقب الغوث وتنتظر النجدة. إن ظنها بالله حسن، وقد قالت لإبراهيم عندما تركها في هذا الوادي المجدب الصامت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت في رسوخ: إذن لا يضيعنا. وها هي ذي تتعرض للمحنة، وتنتظر تدخل السماء. وتدخلت السماء، وتفجرت زمزم، وغني الوادي بعد وحشة، وصار الرضيع المحرج أمة كبيرة العدد عظيمة الغناء، ومن نسله صاحب الرسالة العظمى، ومن شعائر الله هذا التحرك بين الصفا والمروة تقليدا لأم إسماعيل، وهي ترمق الغيب بأمل لا يخيب. ما أحوج أصحاب المثل إلى عاطفة التوكل، إنها وحدها تكثرهم من قلة، وتعزهم من ذلة، وتجعل من تعلقهم بالله حقيقة محترمة[٦].

تحقيق مبدأ المساواة

إن مبدأ المساواة يتجلى واضحا في الحج حيث يجتمع المسلمون من كل جنس ولغة ولون ووطن في صعيد واحد لباسهم واحد وعملهم واحد ومكانهم واحد ووقتهم واحد.. وحدة في المشاعر ووحدة في الشعائر ووحدة في الهدف ووحدة في العمل ووحدة في القول.

عن أبي نضرة قال حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: «إن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى» (رواه أحمد في مسنده).

فاجتماع الناس من مختلف الأجناس والألوان بلباس واحد في مكان واحد وزمان واحد سعيهم وهدفهم واحد، إشارة إلى سواسية الخلق عند الله سبحانه، وذلك أمر يدفع العبد إلى التواضع والشعور بالمواساة، لا فرق بين العباد إلا بقدر ما حصلوه من تقوى[٧].

مبدأ الأخوة

الحج مكان آمن سالم من القتل والفتن، يشعر فيه الحجاج بالأخوة بمفهومها العميق، وهي شعار الدين الإسلامي فتستقر المحبة في نفوسهم تجاه الآخر، ليصبح صلاح القلب منسجما مع صلاح الجوارح، فالسلام والحب والتعاون هو الأصل في ديننا الحنيف وما دونه استثناء تمليه الظروف والأحداث، كالقتال دفاعا عن النفس أو الدين، وحتى يعتاد المرء على السلم فقد حرم الله تعالى على الحجاج القتل والاعتداء سواء على الإنسان أو الحيوان والشجر خلال تلك المرحلة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾ (المائدة:٩٥) فالآية وردت لتعظيم شأن الكعبة كما ذكر ابن عاشور رحمه الله «والحكمالحجحة في ذلك أن الله تعالى عظم شأن الكعبة من عهد إبراهيم عليه السلام وأمره بأن يتخذ لها حرما كما كان الملوك يتخذون الحمى، فكانت بيت الله وحماه وهو حرم البيت محترما بأقصى ما يعد حرمة وتعظيما، فلذلك شرع الله حرما للبيت واسعا وجعل الله البيت أمنا للناس ووسع ذلك الأمن حتى شمل الحيوان العائش في حرمه بحيث لا يرى الناس للبيت إلا أمنا للعائذ به وبحرمه»[٨].

فالحج فرصة كذلك للتدريب على نوازع النفس السيئة ليكون بذلك مؤهلا للإصلاح والصلاح، حتى يعم السلم والسلام جميع بقاع الأرض كما حال بيت الله الحرام.

الارتباط بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام

من لدن أبينا إبراهيم وبنائه للبيت إلى نبينا محمد رسول الله ﷺ وتعظيمه لحرمة مكة فيتذكر الحاج حين تردده في المشاعر وأداء للشعائر تردد أولئك المطهرين في هذه البقاع الشريفة.

عن ابن عباس قال: «سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال: أي واد هذا فقالوا: وادي الأزرق فقال: كأني أنظر إلى موسى... واضعا إصبعيه في أذنيه له جؤار إلى الله بالتلبية مارا بهذا الوادي». قال «ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال أي ثنية هذه قالوا هرشى أو لفت، فقال كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف، خطام ناقته ليف خلبة، مارا بهذا الوادي ملبيا»[٩].

تذكر الآخرة

فإن للحج ارتباطا كبيرا باليوم الآخر، من حيث ضخامة الأعمال، وشدة الزحام، وكثرة الجمع؛ حتى إن السورة المسماة بسورة الحج، وقد تضمنت خبر بناء البيت، وأذان الخليل بالحج، وذكر الضحايا والهدايا، وأعمال القلوب في المناسك، قد افتتحت بمشاهد القيامة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ (الحج:١-٢)، إشارة إلى ارتباط الحج بالآخرة.

الهوامش

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١١٩/٩).
(٢) والغاية من الخلق كأنها محصورة في العبادة، ومتصورة فيها، فكأن العباد في ظاهر الأمر لم يخلق إلا لهذا القصد، لو حملنا الآية على ظاهرها، ويكون مبالغة في العبادة، يحمل على أن المقصود أن الخلق جبل على العبادة من حيث التمكن والاستعداد بالقوة، وأما بالفعل فإنه باختياره. أفاد ذلك أبو السعود في تفسيره = إرشاد العقل السليم (١٤٤/٨).
(٣) تفسير ابن عطية (١٣٣/٤).
(٤) علم المقاصد الشرعية، الخادمي (١٧١).
(٥) صحيح البخاري (الرقم: ١٠٤).
(٦) فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، ص:٨٧، الشيخ محمد الغزالي.
(٧) دروس في فريضة الحج (خطبة جمعة)، د. علاء شعبان الزعفراني ٢٠١٥/٩/١٩م (شبكة الألوكة).
(٨) التحرير والتنوير: الجزء السابع، ص ٤٢.
(٩) صحيح مسلم (١٦٦).

د. محمد أحمد عزب
أستاذ جامعي



التلبية شعار الناسكين

مع حلول زمن الحج وأيامه، تبدأ مشاعر الناسكين تهفو شوقا لبيت الله تعالى الحرام، في كل بقاع الأرض تشتاق النفوس راجية أن تكون مع الملبين، وهي نفوس أمر الله تعالى خليله أن يناديها حيث أمره تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ (الحج:٢٧)، وهذا الأمر الإلهي صورة من صور الإعجاز الذي لا تزال آثاره باقية، فإن الخليل عليه السلام قال بعد أمر الله تعالى له بذلك: وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذان، وعلي البلاغ، فقام إبراهيم على المقام، فارتفع المقام حتى صار كأطول الجبال، فأدخل أصبعيه في أذنيه، وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال: يا أيها الناس، ألا إن ربكم قد بنى بيتا، وكتب عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم، فأجابه كل من كان يحج من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك[(١)]، فلا يزال الناس إلى اليوم، وإلى أن يشاء الله، يلبون النداء الذي سمعوه في عالم الذر، وإن لم يتذكروا ذلك أو ينتبهوا له.

لقد صار للبيت محبة في نفوس الملبين بالإجابة دائمة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (البقرة: ١٢٥)، قال الطبري رحمه الله (٣١٠هـ) في معنى (مثابة): جعلنا البيت مرجعا للناس ومعاذا، يأتونه كل عام، ويرجعون إليه، فلا يقضون منه وطرا[(٢)].

إن شعار الحجيج في الديار المقدسة، كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن تلبية رسول الله ﷺ: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»[(٣)].

إن ثمت أشياء عديدة يمتاز بها حجاج بيت الله الحرام، ففضلا عما يمتازون

به من طبيعة الثياب التي للرجال، يمتازون أيضا بأن ذكرهم المسنون، في أيام المناسك هي التلبية الدائمة، بل أوجبه بعض أهل العلم، على كل مريد للنسك(٤).

التلبية دلالات سلوكية عظيمة

للتلبية معان عظيمة وردت عليها، يفسر الزمخشري (٥٣٨هـ) كلمة (لبيك): أطيعك وأتصرف بإرادتك، وأكون كالشيء الذي تصرفه بيديك كيف شئت[٧].

فالتلبية على هذا خضوع واستسلام لله رب العالمين، يجعل المرء نفسه تحت تصرف ربه، اختيارا كما هو تحت تصرفه تعالى اضطرارا.

ويفسر القاضي عياض رحمه الله (٥٤٤هـ) معنى التلبية، فيقول: اختلفوا في معناها واشتقاقها، كما اختلف في صيغتها، فقيل: معنى لبيك: اتجاهي وقصدي إليك، وقيل: محبتي لك، وقيل: إخلاصي لك، وقيل: أنا مقيم على طاعتك وإجابتك، وقيل: قربا منك، وطاعة. والإلباب: القرب، وملب بين يدك، أي مختضع[٨].

فدارت التلبية على: (الانقياد، والإقامة على الطاعة، والتوجه لله بما يحب، والمحبة، والإخلاص، وانشراح الصدر، والقرب منه تعالى)، وكلها معان شريفة تتوافر في نفس الناسك الراغب.

التلبية فضائل وأحكام

في الحديث عنه ﷺ أنه سئل: أي الحج أفضل؟ قال: «العج، والثج»[٩]، والعج هو: رفع الصوت بالتلبية، والثج: إراقة دماء الهدي[١٠].

قال النووي(٦٧٦هـ): (يستحب أن يكثر من التلبية، ويلبى عند اجتماع الرفاق، وفى كل صعود وهبوط، وفى أدبار الصلوات، وإقبال الليل والنهار)، وفي مصنف ابن أبي شيبة: تستحب التلبية في مواطن؛ في دبر الصلاة المكتوبة، وحين تصعد شرفا، وحين تهبط واديا، وكلما استوى بك بعيرك قائما، وكلما لقيت رفقة[١١]؛ لأن في هذه المواضع ترتفع الأصوات ويكثر الضجيج[١٢].

ومن فضل التلبية وعلو مكانتها أن من مات في الحج، بعث يوم القيامة ملبيا، ففي الحديث عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: بينما رجل واقف بعرفة، إذ وقع عن راحلته، فوقصته، قال النبي ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا»[١٣].

ومن فضل التلبية أن الكون يتجاوب مع تلبية الملبي وإهلاله، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يلبي إلا لبى من عن يمينه، أو عن شماله من حجر، أو شجر، أو مدر، حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا»[١٤].

ولكن هل يلبي غير الحاج؟ سئل ابن القاسم المالكي (١٩١هـ): هل كان مالك يكره أن يلبي الرجل وهو لا يريد الحج؟ قال: نعم كان يكرهه، ويراه خرقا ممن فعله[١٥].

فالتلبية بالصيغة الواردة مخصوصة بالحج، اختصاص التشهد بالصلاة، فليس للمرء أن يراها ذكرا فاضلا فيلبي في المواطن البعيدة، وحيثما عن له، فالألفاظ المخصوصة بعبادة لا يجوز أن تنتقل لغير ما وضعت له، كالأذان، فإن المرء لا يتعبد به بعيدا عما وضع.

الزيادة على الوارد في التلبية

وردت ألفاظ عن السلف رضوان الله عليهم فيها زيادات عن لفظ التلبية، قال القاضي عياض رحمه الله (٥٤٤هـ): (روى عن عمر، أنه كان يزيد: لبيك ذا النعماء والفضل الحسن، لبيك مرهوبا منك ومرغوبا إليك. وعن ابن عمر: لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل. وعن أنس: لبيك حقا تعبدا ورقا.

والاستحباب عند أكثر العلماء أن تلبى بما لبى به النبي ﷺ، قال مالك: وإن اقتصر عليها فحسن، وإن زاد فحسن. وقال الشافعي: الأفضل الاقتصار عليها؛ إلا أن يزيد ألفاظا رويت عن النبي ﷺ، مثل قوله: لبيك إله الحق[١٦].

والحق أن التلبية نهر من الحسنات للملبي، ولها آثار في نفسه يعرفها كل من تلحف بالإحرام ناسكا، على أن المرأة تلبي في حجها ولها من الأجر كذلك، بيد أنها لا ترفع صوتها بالتلبية، قال ابن عبد البر (٤٦٣هـ): أجمع أهل العلم أن السنة في المرأة أن لا ترفع صوتها، وإنما عليها أن تسمع نفسها[١٧]، وقال ابن قدامة(٦٢٠هـ): ولا ترفع المرأة صوتها بالتلبية، إلا بمقدار ما تسمع رفيقتها [١٨].

فأمر الحج لا فرق في الثواب الحاصل فيه بين الرجل والمرأة، فالكل في الأجر سواء ما استقامت النية، وطهرت السريرة، وكانت النفقة من حلال.

الهوامش

١- تفسير البغوي (٣٧٨/٥).
٢- تفسير الطبري (٢٦/٢).
٣- متفق عليه بنحوه، واللفظ للبخاري.
٤- عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة (٢٨٩/١).
٥- أخرجه مسلم، برقم (١٢١٨).
٦- الروض الأنف (٢١٢/١).
٧- الفائق في غريب الحديث (٢٩٦/٣).
٨- إكمال المعلم (١٧٧/٤).
١٠- صحيح، أخرجه الترمذي، برقم (٨٢٧).
١١- مجموع الفتاوى (١١٥/٢٦).
١٢- مصنف ابن أبي شيبة (٤٨٩/٣).
١٣- المجموع (٢٤٠/٧).
١٤- متفق عليه.
١٥- صحيح، أخرجه الترمذي، برقم (٨٢٨).
١٦- المدونة (٣٩٨/١).
١٧- إكمال المعلم (٢٧٠/٤).
١٨- الاستذكار (١١/ ١٢٢).
١٩- المغني، (٥/ ١٦٠).



إعداد
عبدالسلام الشبراوي

٥٦٢٢ حاجا كويتيا هذا العام
جهود دؤوبة لـ«الأوقاف» في تيسير الحج

تبذل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت جهودا حثيثة لخدمة حجاج بيت الله الحرام وتسعى جاهدة للحد من غلاء أسعار حملات الحج التي تشهد ارتفاعا كبيرا مع بداية كل موسم والذي يصل ما بين ٣٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ دينار كويتي لبعض الحملات، وتعتمد آلية الوزارة للتخفيف عن قاصدي بيت الله الحرام على نظام «الحج الميسر» من خلال حملات مختارة ومسؤولة عن إدارة شؤون الحجاج في الأراضي المقدسة بسعر يراعي أصحاب الدخل المحدود يتراوح ما بين ١٦٠٠ و١٧٥٠ دينارا كويتيا، وهو ما يعتبر سعرا مناسبا نظرا للخدمات المقدمة للحاج من مواصلات وسكن وطعام ورعاية صحية، وفقا للأنظمة السارية لهذا العام بعد إتاحة العديد من العروض السعرية لكل منها، وتتنوع هذه الحملات في تقديم خدماتها لحد كبير لتتلاءم مع أكبر عدد من الحجاج.

وفي إطار الاستعداد لموسم الحج صرح وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ورئيس بعثة الحج الكويتية المهندس فريد



م. فريد أسد عمادي
وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

عمادي، بأن اللجنة العليا لبعثة الحج الكويتية انتهت من اختيار أعضاء اللجان والفرق العاملة، ووضعت اللمسات الأخيرة لتقسيم آلية العمل والمهام المنوطة بكل لجنة من لجان بعثة الحج بعد أن من الله علينا بزوال الوباء واستئناف تسيير رحلات الحج وعودة الحياة الطبيعية.

وأضاف عمادي: إن بعثة الحج كانت وستبقى إن شاء الله مثالا متميزا يشار إليها بالبنان بين مثيلاتها من بعثات الحج في الدول الخليجية والعربية والإسلامية، وهذا النجاح ما وجد إلا بتضافر جهود جميع أعضاء البعثة من


محمد ناصر المطيري
الوكيل المساعد للإعلام والعلاقات الخارجية


سطام خالد المزين
مدير إدارة شؤون الحج والعمرة


محمد شباب السعيدي
مراقب شؤون اللجنة العليا الحج والعمرة

مختلف الوزارات كوزارة الأوقاف والصحة والإعلام والداخلية، إضافة إلى الإدارة العامة للإطفاء وهيئة الشباب والرياضة والهلال الأحمر الكويتي.

وشدد عمادي على ضرورة الالتزام بالإرشادات الصحية والتعليمات الطبية والنظم والقوانين الصادرة من الجهات المختصة في المملكة العربية السعودية، وشكر حكومة خادم الحرمين الشريفين التي تبذل قصارى جهدها في خدمة الحجيج.

ويقدر عدد حجاج دولة الكويت لهذا العام بـ٥٦٢٢ حاجا كويتيا من إجمالي عدد الحجاج الذي أعلنت وزارة الحج والعمرة السعودية استقباله من الداخل والخارج والمقيد بمليون حاج.

وعلى الصعيد الميداني زار مكة المكرمة وفد من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية برئاسة الوكيل المساعد لقطاع الإعلام والعلاقات الخارجية محمد ناصر المطيري للاطلاع على آخر المستجدات في الأراضي المقدسة، والتقى الوفد بنائب وزير الحج والعمرة السعودي د. عبدالفتاح بن سليمان مشاط، وناقش معه العديد من المواضيع المهمة منها الطلبات المقدمة من وزارة الأوقاف فيما يتعلق بالسماح لفئة البدون بأداء فريضة الحج، والعمل على زيادة أعداد حجاج الكويت لموسم حج هذا العام، وجرت مناقشات مكثفة في هذا الشأن، كما عقد الوفد اجتماعا مع رئيس مجلس إدارة شركة مطوفي الدول العربية ماهر بن صالح وذلك للاطلاع على آخر المستجدات بشأن الخدمات المقدمة في المشاعر المقدسة لحجاج الكويت والترتيبات اللازمة لاتفاقيات الإعاشة هناك.

وصرح المطيري بأن وزارة الأوقاف شكلت لجنة مشتركة من وزارة الأوقاف ووزارة الصحة وقوة الإطفاء العام لفحص مساكن الحجاج في مكة المكرمة. وأضاف أن الوزارة توقع اتفاقيات لترتيب شؤون الحجيج وتوفير المخيمات اللازمة في المشاعر المقدسة وتهيئتها بالشكل المناسب علاوة على استقبالهم في المطار وتوديعهم بعد أداء المناسك.

كما أصدرت إدارة الحج والعمرة تعميما لأصحاب حملات الحج الكويتية تضمن الضوابط الصحية للمقدمين على أداء فريضة الحج أهمها: استكمال التحصينات الأساسية بلقاحات تعتمدها وزارة الصحة السعودية، وتقديم فحص سلبي لفيروس كورونا (كوفيد-١٩) لعينة أخذت خلال ٧٢ ساعة قبل موعد المغادرة إلى المملكة العربية السعودية، إلى جانب لبس الكمامة أثناء أداء المناسك في جميع الأماكن المغلقة والمفتوحة، مع الحصول على تأمين يتضمن تغطية تكاليف العلاج من الإصابة بفيروس كورونا خلال فترة تواجد الحجاج في المملكة، كما حصر التعميم حج هذا العام في الفئة العمرية الأقل من ٦٥ عاما ميلاديا.

من جانبه، تقدم الاتحاد الكويتي لأصحاب حملات الحج بأطيب التهاني والتبريكات لعودة موسم الحج هذا العام، ووجه الشكر للسلطات في المملكة العربية السعودية على عودة استقبال الحجاج من خارج المملكة.



د.آندي حجازي
أكاديمية في علم النفس التربوي

إدمان الشاشات.. مخاطر وحلول

أينما نظرت حولك يمنة أو يسرة تجد شخصا يضع رأسه في شاشة جهازه المحمول ويصوب جل نظره بكل انجذاب نحو ما يقرأ ويشاهد ويسمع عبر تلك الشاشة، وهو غارق في عالمه الافتراضي لا يشعر بمن حوله! جل اهتمامه وحواسه متجهة نحو تلك الشاشة وما تعرضه له، لقد أصبح لكل فرد منا عالمه الخاص الذي يعيشه ويختاره بنفسه ويغوص في أعماقه كيفما يشاء بما يتضمن من إيجابيات أو سلبيات وبما يحمل من فوائد أو تفاهات.

وسر ذلك الانجذاب نحو الشاشات اليوم أن المشاهد يستطيع التنقل في عالم الأجهزة الإلكترونية المحمولة من موقع لآخر، ومن خبر مسموع إلى خبر مرئي إلى خبر مكتوب، إلى معلومة موثوقة أو غير موثوقة، مفيدة أو سخيفة أو مضحكة ترفيهية، ويتنقل بين مشاهدة فيديوهات وصور ومقتطفات مرئية وإعلانات، وينشر ما يريد في ذاك العالم الافتراضي دون رقيب ولا حسيب، وهو أيضا يدخل عالم التواصل الاجتماعي عبر تطبيقاته كالفيسبوك والانستغرام والسناب شات وغيرها ليعرف أخبار أصدقائه الاجتماعية ويرسل أخباره، ليبادلهم التهاني أو التعازي ويشاركهم مناسبتهم الاجتماعية وأفراحهم وأحزانهم، خاصة مع تباعد المسافات اليوم بين الدول، ناهيك عن الألعاب الإلكترونية التي يمارسها الكثيرون عبر تلك الأجهزة المحمولة معهم أينما ذهبوا وحلوا وارتحلوا.

وأحيانا تذهب في رحلة جماعية وتعتقد أن من معك جاؤوا للاستماع بالهواء الطلق والمناظر الطبيعية الجميلة وبالأحاديث الاجتماعية وبالحركة واللعب الجماعي النشط، ولكن تجد أن كل واحد منهم قد أخذ زاوية له في المكان وبدأ بتصفح مواقع التواصل الاجتماعي وبدأ التواصل مع الآخرين أو اللعب الإلكتروني مع أشخاص لا يعرف حتى أشكالهم ولا من هم، ولم يتقابل معهم يوما! وهو يستمتع بالحديث معهم، تاركا من يجلسون حقيقة إلى جانبه!

وهذا الانخراط في عالم الشاشات الافتراضي إن كان ضمن حدود المعقول من حيث الوقت والجهد وضمن وقت فراغه واستراحاته فلا بأس به، ولكن عندما يزيد الأمر عن حده في قضاء ساعات يومية من الوقت خلف تلك الشاشات دون أي فائدة كبيرة تتحقق ودون أية إنجازات؛ فتصبح المسألة نوعا من الإدمان الفارغ وتضييعا للوقت وسنوات العمر وزهرة الطفولة أو الشباب، فهنا تكمن الكارثة ويحصل عبر الزمن ما لا يحمد عقباه من جميع النواحي العقلية والنفسية والاجتماعية والفكرية والأخلاقية.

فتنة الإدمان الإلكتروني

والأمر يصبح أكثر خطورة لدى الأطفال الذين لم تتجاوز أعمارهم السنتين أو الثلاثة أو الذين مازالوا في مراحل الطفولة أوالمراهقة، حيث الأجهزة الإلكترونية لا تنزل من أيديهم! يقفزون من لعبة إلى أخرى ومن برنامج أطفال أو كبار إلى آخر دون أية متابعة أو رقابة أو توجيه من الأم أو الأب، ودون اكتراث من الأبوين لما يشاهده أبناؤهم ودون تحديد لساعات اللعب والتواصل عبر الشاشات، وذلك إما جهلا من الأم بمخاطر ذلك على طفلها من جميع النواحي النفسية والاجتماعية واللغوية والعقلية والجسدية والأخلاقية، أو إهمالا منها لطفلها ولجوانب التربية والنمو لديه، فتعتقد أن كل ما عليها تقديمه للطفل هو المأكل والملبس والنظافة، وكذلك يعتقد والده، فيحدث عدم اكتراث من الأبوين للجلوس مع ابنهم والتحدث معه وتعليمه وتوجيهه وإفهامه الصحيح من الخاطئ وتعليمه اللغة وكيفية التواصل الفعلي مع الناس، فجل همهما أن يبقى طفلهما هادئا لا يثير المشاكل ولا يطلب الطلبات! وتبقى الأم أو الأب في سكون لإنجاز أعمالهما، أو ليتابعان هما أيضا الشاشات والتواصل مع الأصدقاء والأقارب، ومتابعة الأخبار والترفيه عن النفس وصرف الساعات في ذلك بدلا من صرفها في الطاعات والأعمال الصالحة والتقرب إلى الله تعالى، أو في الإنجاز المفيد للنفس والمجتمع والأبناء.

وهذا مع الأسف أصبح واقعا مألوفا لدى غالبية الأسر؛ قضاء الساعات الطوال خلف الشاشات وعدم القدرة على التحكم بالنفس والتوقف عن متابعة وسائل التواصل والشاشات صغارا وكبارا، في ظاهرة إدمان حقيقة وخطيرة تزداد لا تتوقف، وكأن هذه الفتنة التي تكون في آخر الزمان والتي أخبر عنها رسول الله ﷺ والتي تدخل كل بيت.

فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب الجزية (ح: ٣١٧٦)، عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في تبوك فقال له: «اعدد ستا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا تدع بيتا من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم في ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا».

مخاطر إدمان الأطفال للشاشات الإلكترونية

أحيانا تذهب المرأة لزيارة صديقة أو قريبة لها وتتفاجأ أن طوال مدة الزيارة (والتي قد تستغرق ساعات) أن طفل تلك الأم طوال الوقت يمسك الهاتف المحمول ويلعب ألعابا أو يشاهد برامج معينة قد تعلم الأم محتواها أو لا تعلم، ولم ينزل الهاتف من يديه لحظة! ولم تفارق عيناه متابعة الشاشة ثانية، والأم مسرورة بذلك وتتباهى بأن ابنها ذكي تكنولوجيا قادر على فتح الجهاز وحده والوصول إلى البرامج والألعاب دون مساعدة، وأنه يفهم أكثر منها في ذلك! وأنه يساعدها في هذا الجانب إن احتاجت المساعدة!

إن هذه الأم لم تدرك أو لم تبحث أو تقرأ عن مخاطر الإدمان الإلكتروني وقضاء الساعات الطوال للأبناء خلف الشاشات، مخاطرها من الناحية النفسية والاجتماعية واللغوية والعقلية والانفعالية والدينية، وكثير من الدراسات اليوم تشير إلى خطورتها من تلك النواحي والتي نوضح جانبا منها تاليا:

الناحية اللغوية والعقلية

إن قضاء الأطفال الساعات الطوال في اللعب الألكتروني أو في تصفح الشاشات يفقد الطفل الكثير من المهارات اللغوية والقدرة على محادثة الآخرين، وكثير من هؤلاء الأطفال يعانون من التلعثم عند الكلام وصعوبات في النطق، وتكون مفردات

الطفل التي اكتسبها محدودة قليلة جدا بالمقارنة مع أطفال الأمس الذين كانوا يمارسون اللعب في الهواء الطلق مع أصدقائهم وأقربائهم يتعلمون من بعضهم البعض، ومن التفاعل الحقيقي في المواقف الحياتية المختلفة. كما أظهرت الدراسات تراجعا في سماكة القشرة الدماغية وهي المسؤولة عن عمليات التفكير والتحليل والإدراك، مما يؤدي إلى تراجع في نموه العقلي والمعرفي.

الناحية النفسية والاجتماعية والانفعالية

تشير الدراسات إلى أن الكثير من هؤلاء الأطفال الذين يدمنون الشاشات يعانون من مشاكل العزلة أو الاكتئاب وعدم القدرة الكافية على التواصل مع الآخرين أو التكيف مع المتغيرات الاجتماعية، وكثير منهم يرتبكون ويشعرون بالخجل عند الحديث مع الكبار او الآخرين. وبعضهم بالعكس يتصرف بجرأة زائدة عن حد الأدب أو بعنف وعدوانية حين يتواصل مع الآخرين صغارا أو كبارا، فأسلوبه عنيف غير ناضج سلوكيا وذلك نتيجة ألعاب العنف الكثيرة المنتشرة التي يلعبها الأطفال و أفلام العنف التي يشاهدونها باستمرار، حتى أن بعضهم أصبح يألف من خلال ألعابه الإلكترونية التي يلعبها مشاهد القتل والدمار، وهذا التعود من أخطر ما يكون.

حتى أنه وقبل أيام انتشر فيديو لطفل أمريكي يسألونه ماذا سيكون في المستقبل فأجاب بأنه سيكون قاتلا وأنه سيقتل كل الناس عندما يكبر! كيف لا وقد تعود على القتل وإيذاء الآخرين من خلال اللعب؛ فأصبح يعقد أن هذا أمر طبيعي ومباح وجميل وكأنه ضرب من اللعب!

ووجد بالدراسات أن هؤلاء الأطفال لا يبالون بمن حولهم ولا يشعرون بهم ولا يدركون مشاعرالآخرين، وحينما يتعرضون لأية ضغوطات او مواقف اجتماعية قد تكون ردود فعلهم عنيفه وغير متوافقة مع الحدث ومبالغ بها، أو يصرون على الحصول على ما يريدون حتى ولو بالبكاء! وهذا نتيجة البقاء ساعات طويلة مع أنفسهم دون الانخراط مع الغير في مواقف اجتماعية تفاعلية يتعلمون منها.

وكذلك يكثر لدى البعض منهم الكذب والخداع فيما يتعلق بساعات لعبهم أو محتوى الألعاب أو البرامج التي يشاهدونها، بالإضافة لخطورة مشاهدة مواقع ومناظر إباحية والعياذ بالله.

الناحية الجسدية

وجد من خلال الدراسات أن الحالات المدمنة على الألعاب والشاشات الإلكترونية كثير منهم لديهم مشاكل بالنطق، وضعف بالبصر، وعدم القدرة على التواصل البصري مع الآخرين، وتراجع مستمر بالبصر نتيجة الأشعة تحت الزرقاء التي تصدر عن الشاشات خاصة ليلا فهي المسؤولة عن تسريع وتيرة الضمور البقعي DMLA وتدمير الخلايا المسؤولة عن استقبال الضوء في الشبكية. وكثير منهم يعانون الأرق خاصة من يستعملون الشاشات قبل النوم مباشرة، وتتشوه لديهم الساعة البيولوجية الطبيعية التي خلقها الله في ذاتنا لتنظيم نومنا واستيقاظنا وتضعف نتيجة التعرض المستمر للضوء في ساعات الليل.

ووجد أن الاضطراب في إفراز هرمون الميلاتونين (هرمون النوم) لدى الإنسان، يلعب دورا رئيسيا في تحفيز العديد من الأمراض كسرطان الثدي وسرطان القولون وسرطان الرئة وسرطان البنكرياس، وأمراض القلب والشرايين، والسكري، وأمراض الجهاز الهضمي، والسمنة، وتزيد مشاكل الإنجاب والأمراض النفسية كالاضطراب ثنائي القطب والاكتئاب (وفق دراسة نشرت على صحيفة springer العلمية).

كما أظهرت الدراسات تراجعا في نمو الهيكل العظمي لدى هؤلاء الأفراد، و تقوس الظهر أو الرقبة أحيانا بحسب الوضعيات التي يستمر عليها الشخص، وهذا جدا خطير لصحة الهيكل العظمي للأطفال لأنهم في مرحلة النمو، وكذلك لوحظ ضعف العضلات أو ضمورها وتراخيها نتيجة لقلة الحركة والمشي وتحريك عضلات الجسم.

ومن المشاكل الأخرى التي يعاني منها الأطفال وهم في سن النمو هو أن هرمونات النمو والطول لديهم تقل نتيجة الجلوس الطويل خلف الشاشة دون الحركة أوالقيام والخروج من المكان أو المنزل، لأنهم نادرا ما يمارسون أنشطة حركية خارج البيت كاللعب بالكرة أو السباحة أو الركض أو التسلق أو ركوب الدراجات كما كنا نفعل ونحن صغار، فتجد هؤلاء تقل أطوالهم عن المعدل الطبيعي، بل وقد يصبح بعضهم قصير جدا مقارنة بأبناء جيلهم ويبقى كذلك، وهو لا يدري أن بقاءه بالساعات دون

ممارسة الأنشطة الحركية والرياضية قد قضى على نموه الطبيعي وأخل بهرموناته، فيندم وذويه حيث لا ينفع الندم.

وأعرف طفلا قضى جل ساعاته وحياته منذ الطفولة الباكرة إلى نهاية الثانوية وهو دائما خلف شاشة الكمبيوتر من أجل اللعب مع رفاقه الافتراضيين في أنحاء العالم ونادرا ما يخرج من غرفته أو يجلس مع أصدقائه أو أقربائه، ونتيجة لقلة حركته الجسدية وندرة ممارسة الرياضة أصبح شابا قصيرا جدا في طوله مقارنة مع باقي الشباب مع الأسف.

الزيف الإلكتروني

في الواقع إن كثيرا من مواقع التواصل الاجتماعي قد باعدت المسافات بين من هم في البيت الواحد وقربت بين من هم في شتى البلاد والأماكن من العالم، فكما يقال باعدت القريب وقربت البعيد! والخطورة تكمن ليس فقط في قطع الأرحام وعدم التواصل معهم وجها لوجها، بل في المشاعر المزيفة والمجاملات غير الصادقة التي تكون عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فكثيرا ما تكتشف عند الالتقاء بالآخرين وجها لوجه أن تلك المشاعر والوجوه الضاحكة التي ترسل بين الناس عبر وسائل التواصل الاجتماعي، هي حقيقة غير ذلك ولا تكن لك كل تلك المودة والحب والتسامح والحنان الذي تظهره عبر مواقع التواصل! ولذا يجب عليك عدم تصديق كل ما يقال وما يكتب وما يرسل عبر وسائل التواصل الاجتماعي، لأن المشاعر الحقيقية غير الزائفة تظهر عند التواصل الحقيقي وجها لوجه والتعامل الفعلي بعالم الواقع مع الأشخاص وليس بالعالم الافتراضي، فمعادن الناس ومواقفهم تظهر واضحة عند التعامل بالزيارات والتجارة والسفر والزواج ومثل هذه الأمور التفاعلية بين البشر.

نصائح لمواجهة الإدمان الألكتروني

١- محاولة تقنين استخدام الأجهزة الإلكترونية من قبل الوالدين في البيت وذلك من خلال تحديد ساعات الاستخدام اليومي للطفل بحيث لا تتجاوز الساعتين أوالثلاث، وأن يكون اختيار البرامج والألعاب بإشراف الوالدين وخاصة في مراحل الطفولة المبكرة لأن الطفل قد يغرر به ولا يعرف الغث من الثمين والفاسد من الصالح. وأحيانا لابد من مصادرة الأجهزة وحرمانهم منها لعدة ساعات أو أيام إن تبين تقصيرهم في واجباتهم الدينية والمدرسية أو اطلاعهم على مواقع غير مسموح لهم الدخول إليها.

٢- الاستفادة من القاعدة ٣-٦-٩-١٢ للعمل مع الشاشات التي وضعها عالم النفس (سيرج تيسرون) عام: (٢٠٠٨م)، والتي توصي بأربعة معايير: (لا شاشات قبل سن ٣ سنوات، لا ألعاب الكترونية قبل سن ٦ سنوات، لا إنترنت دون مراقبة قبل سن ٩ سنوات، ولا مواقع تواصل اجتماعي قبل سن ١٢ عاما).

٣- على الوالدين تذكر أنهما القدوة والنموذج أمام الأبناء في أفعالهم وأقوالهم، فكيف للأم التي تقضي الساعات الطوال على الأجهزة الإلكترونية كهاتفها، ثم تطلب من ابنها التوقف عن متابعة الشاشات والالتفات لصلاته أو دراسته مثلا! ففاقد الشيء لا يعطيه، وأقوالها لا تصدقها الأفعال!

٤- استخدام أسلوب الحوار مع الأبناء خاصة من هم في مرحلة المراهقة أو الرشد من أجل اقناعهم بمخاطر البقاء على الأجهزة المحمولة وسلبيات إضاعة الوقت وأنهم محاسبون أمام الله تعالى على أعمارهم فيما أفنوها وعن شبابهم فيما فعلوا فيه. ولابد من الاتفاق معهم أن لا إنترنت بعد ساعة معينة. ومن المهم إعطاؤهم أمثلة و نماذج ناجحة وقدوات فاعلة في المجتمع والحياة.

٥- توفير الأنشطة البديلة للأبناء بحيث تكون مناسبة لأعمارهم وترفيهية كالرسم وممارسة الهوايات وتشجيعهم على زيارة الأقارب والخروج في نزهات، واللعب مع الأصدقاء أو الخروج معهم، وتشجيعهم على الأنشطة الرياضية خارج البيت وهي كثيرة ومتنوعة، وتناول الوجبات الغذائية مع كل أفراد الأسرة.

٦- تربية وتعزيز الوازع الداخلي والديني لدى الأبناء، فلا رقيب أفضل من الذي ينبع من ذات الإنسان والذي يوجهه ويسدد له طريقه ويصوب مساره حينما يزيغ عن الصواب ويضيع وقته فيما لايفيد أو يقضي عمره خلف الشاشات، فالوازع الداخلي يحتاج تربية ومنذ الصغر لتعزيزه وتنميته وتدريب الطفل على أن الله هو الرقيب والحسيب، وإن غاب البشر فالله موجود ومطلع عالم بكل شيء.



محمد عبدالعزيز يونس
دار الإعلام العربية

وباء العصر

مثلما كانت الملاريا، والكوليرا، والجذام، أمراض العصر في أزمان معينة، أصبح الإدمان على الشاشات بأنواعها، تلفاز، كمبيوتر، هواتف جوالة، وباء العصر الأول في الوقت الحالي.. وعلى قدر ما في هذه التقنيات العصرية من فوائد، فإن أضرارها لا تقتصر على جزء معين من أجسامنا كالعين مثلا، أو الجلد، أو العظام، أو الحالة النفسية، أو الاجتماعية.. بل تمتد لتشمل كل هذه النواحي.. فما أعراض هذا المرض، وكيف يمكن التصدي له، ومعالجة آثاره.. هذا ما نتعرف إليه في سياق هذا التحقيق من خلال مجموعة من المختصين.. فإلى التفاصيل.

نبدأ مع الدكتور أحمد المصري، طبيب وجراح أمراض العيون بجامعة الإسكندرية وزميل جامعة جونز هوبكنز الأمريكية، الذي قال: إن لأجهزة الكمبيوتر والتليفزيون والهواتف المحمولة، تأثير قوي على جميع الأعمار خاصة الشباب وطلاب الجامعة، حيث تأكد لدي من خلال الممارسة العملية ومئات الحالات، بالإضافة إلى ما أكدته عديد من الدراسات العلمية أن من يستخدمون الشاشات بأنواعها أكثر من ٤ ساعات يوميا، يحدث لديهم جفاف واحتقان في العين، وكلما قل قطر الشاشة زادت آثارها السلبية.

ممنوع للأطفال لأكثر من ساعتين

وأضاف د.المصري: الأطفال الصغار ممن هم دون العاشرة يحظر عليهم استخدام تلك الأجهزة أكثر من ساعتين في اليوم بحد أقصى، لأن إجهاد العين قد يؤدي إلى ضعف النظر بطريقة أو بأخرى، ويجب تقنين التعامل مع الأجهزة، ومن الضروري للوقاية من آثارها السلبية أن يكون هناك فترة راحة كل ساعة من ٥ إلى ١٠ دقائق، لأن تركيز النظر على شيء

قريب، يؤدي إلى انقباض عضلات العين، وهو الأمر الذي ينبغي عدم حدوثه لفترة كبيرة.

وتابع: «الإضاءة» مشكلة كبيرة، حيث إن كثيرا من الناس يستخدمون الشاشات في ظل إضاءة ضعيفة أو منعدمة، ما يجهد عضلات العين كثيرا، وكذلك من يقرأ أو يكتب يجب أن يكون في إضاءة عالية ومن يعملون لفترة طويلة باستخدام تلك الأجهزة يحدث لهم جفاف، لأن الشخص الطبيعي يرمش من ١٤ إلى ١٦ مرة في الدقيقة للرجال، والنساء من ١٥ إلى ١٧ مرة، ما ينتج طبقة من الدموع أمام القرنية لترطيبها وتنظيفها، ونلاحظ أن من يعمل على اللاب توب كثيرا مع التركيز فلا إراديا يقل عدد الرمش، وبالتالي يحدث نوع من الجفاف والحرقان والاحتقان، والحل هنا يكون بوضع قطرة ملطفة ومعوضة للدموع، ولا يوجد نظارات تحمي من الإشعاعات الصادرة عن الكمبيوتر، فهي تريح العين لكن ليس لها فائدة علمية.

وأشار إلى أنه حال حدوث إجهاد للعين يجب العمل على راحتها، بأخذ راحة من استخدام هذه الشاشات، وفي حال تطور الأمر إلى ظهور حبوب في الجفون أو ضعف في الإبصار فيتحدد العلاج من خلال الفحص الدقيق.

الجلوس الخاطئ والطويل

بدوره، قال الدكتور محمد عراقي، استشاري جراحة العظام، كلية طب قصر العيني جامعة القاهرة، واستشاري الطب الرياضي دكتوراه جامعة تولوز بفرنسا: اللّه خلق حياة المفاصل في حركتها، وبالتالي فإن المفصل الذي لا يتحرك حركة كافية يبدأ في التيبس، بسبب حدوث قصور في الدورة الدموية للمفصل، وذلك ناتج عن الجلوس لفترات طويلة أمام الشاشات المختلفة، ما يحدث تقلص في العضلات، ومن ثم يعجل ذلك من العمر الافتراضي للمفصل، لأنها تؤدي إلى الخشونة ومشاكل التيبس تكون خطيرة جدا.

وأضاف: كذلك فإن الجلوس فترة طويلة ينعكس سلبا على العمود الفقري لأن البعض يجلس لمدة ١٨ ساعة أمام اللاب توب أو الكمبيوتر، ما يؤدي إلى ضيق المسافات بين الفقرات، وهو ما قد يحدث تشوهات في العمود الفقري، ويكون في صغار السن ممن هم أقل من ١٩ عاما أكثر ضررا، لأن هذا هو سن التكوين والنمو، وبدأنا نرى في العيادات تشوهات خطيرة جدا في العمود الفقري من كثرة الجلوس لفترات طويلة، وكذا بسبب الجلسات الخاطئة.

وشدد على أنه لا بد من قرع جرس الإنذار، لأن المشاكل كلها تكون في البداية متداركة لكن عندما يزيد الأمر تحدث مشاكل في العمود الفقري، تحتاج لتدخل جراحي، والذي لا يأتي بالنتائج المرجوة عادة.

وشدد على أنه يجب تعليم الناس على الجلوس بطريقة سليمة، حيث إن كل دول العالم يعلمون ذويهم «كيفية الجلوس السليم»، ويتمثل في جعل العمود الفقري قائم ويخصص له مسند، ولا يوجد مسافة بين الظهر ومسند الكرسي، ويجب أن يتناسق مع جميع الفقرات من أول الفقرات الظهرية حتى الفقرات القطنية، علاوة على أن ارتفاع الكرسي يجب أن يكون مناسبا، لأن القدمين حينما تتدليان تحدث مشكلات في الأوعية الدموية، وإن كان الكرسي منخفضا أكثر مما ينبغي يحدث انحناء أكثر من ٩٠ درجة في الركبتين، ما يعجل بالخشونة المبكرة في الركبة.

وقال: يجب عدم الجلوس لفترة أكثر من ساعة، ومن ثم يقوم الإنسان ليتمشى نحو ٥ دقائق لتجديد الدورة الدموية والعمود الفقري، والدم الممتد إلى الساقين، كما يحدث في الطائرات خلال الرحلات الكبيرة، حيث يتم إجبار الركاب على المشي في الممر بالطائرة، لأنه يحدث مشكلات وجلطات في الأوعية الدموية، خاصة الجلطات الوريدية وأحيانا الجلطات الشريانية من كثرة الجلوس لفترات طويلة، لاسيما مشاكل وإجهاد في الفقرات العنقية ويحدث عند بعض الأطفال خشونة مبكرة في سن ١٤ و١٥ عاما.

وأضاف: الألعاب الإلكترونية الجديدة تؤدي إلى نقص الحركة بوجه عام، لأن الحركة هي أساس



حياة المفاصل والدورة الدموية والأربطة والعضلات، وبسبب قلة الحركة يحدث ضمور في العضلات وتيبس بها، ومن ثم إعلان نهاية المفاصل وهناك مرض يسمى «كرسي المدير العام»، لأن مسنده يكون طويل جدا والمدير يجلس وكتفه فقط مسنود وظهره في الهواء غير مسنود، ويتحدث كثيرا في الهاتف ما يؤدي إلى مشكلات، وأحيانا يحدث انزلاق فقرات، وربما كسر بسبب الإجهاد، وغالبا ما نضطر للتدخل الجراحي.

وتابع: يجب التنبيه من خطورة هذه الأوضاع، ويجب أن يجلس الإنسان الجلسة العلمية السليمة، لأنه هناك حالات صداع نصفي وتنميل في فروة الرأس وعدم اتزان أثناء المشي وهالات سوداء، وتم اكتشاف ذلك لأول مرة لدى الطيارين، بسبب قلة تدفق الدم إلى المخ، ويجب إجراء تمارين إطالة للفقرات العنقية والأقدام والذراعين، حتى يحدث مرونة للفقرات والأربطة ومنع التيبس المبكر ولا أنصح باستخدام أي أدوية، بل يجب الالتزام بالتمارين الرياضية والعلاج الطبيعي إذا لزم الأمر.

انعكاسات نفسية

وعلى مستوى الأعراض النفسية لمرض الشاشات، قال الدكتور عادل مدني، أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر: تم تصنيف الجلوس الطويل في معية هذه الشاشات على أنها نوع من أنواع الإدمان، ما يعني التعود على شيء لا نستطيع أن نبتعد عنه أيا كان ذلك الشيء، ومنها التلفزيون أو الألعاب، والجوالات، ومن ثم فعند محاولة الإقلاع عنها بقوة، يحدث حالة من العصبية والغضب، وربما الدخول في نوبة اكتئاب حاد، ويؤدي الجلوس الطويل أمامها إلى تزايد العصبية والقلق والانطوائية، كما تعلم الأطفال العدوانية خاصة اذا احتوت على ألعاب عنف.

وأضاف: لهذه الشاشات تأثير سلبي على الزوجين، حيث تجعل كل طرف بمعزل عن الطرف الثاني، ومن ثم تحدث حالة انفصال تدريجي عن الحوار الذي كان من الممكن أن يحدث، وقد يؤدي فتور العلاقات وانشغال كل طرف بعالمه الخالص في فضاء السوشيال ميديا إلى الشك، ومن ثم حدوث الطلاق في بعض الأحيان، بعد الدخول في خلافات زوجية وربما علاقات محرمة، مشيرا إلى أنه يجب تحديد عدد ساعات معينة، على فترات وليس مرة واحدة، ولا ينصح بقضاء أوقات طويلة أمام الشاشات.

ولفت إلى أن الناس يلجأون إلى تلك الوسائل لسهولتها، وللهروب من الواقع المليئ بالاحباطات، إلا أن الانكفاء عليها يضاعف

الانطوائية والسلبية.

تجاعيد وشيب مبكر!

أما دكتور محمد عبدالنعيم سلام أستاذ الأمراض الجلدية والتناسلية بكلية الطب جامعة عين شمس، فأكد بدوره على وجود أضرار عديدة على الجلد من استخدام الأجهزة الالكترونية المضيئة كالكمبيوتر والهاتف المحمول والتلفزيون لفترات طويلة، وتكون نتيجة للإضاءة نفسها، أو نتيجة للموجات الكهرومغناطيسية، ما ينتج عنه حساسية ضوئية للجلد مصحوبة بإحمرار وحكة، وتمدد في الشعيرات الدموية، كما قد يؤدي ذلك عند تطور الحالة إلى ظهور التجاعيد المبكرة على الجلد ما يجعل الإنسان يبدو أكبر عمرا، كما قد يؤدي طول استخدام هذه الشاشات وما تسببه من انبعاثات ضوئية إلى حدوث الشيب المبكر للشعر.

ونصح بالتهوية الجيدة وعدم استخدام الأجهزة الالكترونية لفترات طويلة، كما نصح بالاهتمام بالتغذية الصحية والإكثار من الأطعمة المضادة للأكسدة من الخضروات والفواكه.

عزلة اجتماعية

وأخيرا، قال الدكتور علي الجلبي، أستاذ علم الاجتماع بجامعة الإسكندرية: ذلك يدخل تحت قائمة إدمان الإنترنت، فالشخص يستخدم الشاشات سواء كان كمبيوتر أو لاب توب أو أيباد أو غيرها لفترة طويلة، بينما ساعات الاستخدام يجب أن تكون موزعة حسب احتياجات الإنسان، ويتخللها ممارسة رياضة أو أي نشاط آخر.. وأن يكون له تفاعل مع المجتمع المحيط له، حتى لا ينعكس وقوعه في أسر هذه الشاشات على الأسرة وقد يتسبب في تفككها إن كان زوجا أو زوجة.

وأضاف: الإنسان يصبح مغترب ويفتقد معنى الحياة بسبب الجلوس الطويل على الإنترنت، كما يفقد قيمة الوقت وبقية الأشياء والأهمية لكل ما حوله تدريجيا، والتغلب على السلبيات لا يأتي إلا من داخل الموقف نفسه، فإذا كان داخل الأسرة فعليها أن تردعه عما يفعل، علاوة على تنظيم الوقت، والمدرسة أيضا يجب أن يكون لديها نشاطات صيفية، وإن كان في الجامعة فيجب أن يكون لديه أنشطة مختلفة تساعده على الخروج من سجن هذه الشاشات.

التحديق في الشاشات قد يسبب العمى

حذر العلماء من «وباء عالمى للعمى» بسبب التحديق للشاشات الإلكترونية لساعات طويلة، حيث كشفت دراسة علمية حديثة أن الضوء المنبعث من الشاشات الرقمية يمكن أن يسبب ضررا لا يمكن إصلاحه للعين بسبب تدهور شبكية العين.

ووفقا لصحيفة «ديلى ميل» البريطانية أوضح باحثون من جامعة «كومبلوتنس» الإسبانية أن كثرة التحديق للشاشات الإلكترونية تسبب المزيد من الأضرار التى تلحق بشبكية العين وهى الطبقة الحساسة للضوء الموجودة فى الجزء الخلفى من العين، لافتين إلى أن أى ضرر فى شبكية العين يمكن أن يسبب العمى الدائم.

ويحذر الباحثون من وباء فقدان البصر وخاصة بالنسبة لملايين الأطفال الذين يقضون المزيد من الوقت أمام الشاشات الرقمية فى هذه الأوقات أكثر من أى وقت مضى.

وقال رئيس فريق الباحثين الدكتور «سيليا سانشيز راموس» إن هناك ما يقرب من ٩٠٠ مليون شخص يستخدم الأجهزة الرقمية فى الولايات المتحدة فقط، ومن بين هؤلاء ٧٠ مليون طفل يتعرضون للشاشات الرقمية بدون حماية العين مثل وضع شاشة واقية أو ارتداء النظارات.

وأضاف الباحثون أنه يتم عكس هذه الآثار إلى حد كبير عن طريق استخدام فلتر مناسب على شاشات الكمبيوتر اللوحى، لأن الغالبية العظمى من السكان والكبار والأطفال، يستخدمون هذه الأجهزة فى العمل والمدرسة والترفيه.

ويوصى الباحثون بإجراء خطة «٢٠-٢٠-٢٠»، وهى: مقابل كل ٢٠ دقيقة من التحديق فى الشاشة الرقمية، يجب تحويل البصر ٢٠ قدما بعيدا لمدة ٢٠ ثانية أو أكثر للسماح لعضلات العين بالاسترخاء.



حسن عباس
محرر صحفي

متلازمة الشاشة الإلكترونية

في السنوات الأخيرة أصبحت ظاهرة الإفراط في جلوس الطفل أو المراهق وربما الكبار أمام الشاشات ظاهرة خطيرة تزداد يوما بعد يوم، حيث أصبحت الشاشات في متناول الجميع ومنتشرة حولهم ولا يستطيع أولياء الأمور منع أبنائهم من استخدام الهواتف الذكية وغيرها من الأجهزة، حتى أصبح الأمر خارجا عن السيطرة عند البعض، بينما يحاول آخرون التخلص منه بشتى الطرق بعدما تحول الأمر عندهم إلى شيء يشبه الإدمان.

نشرت مجلة الجمعية الطبية الأميركية مؤخرا دراسة حول استخدام الأجهزة الذكية من قبل المراهقين، وإذا ما كانت تؤدي إلى زيادة أعراض اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه مع مرور الوقت، ووجدت أن المراهقين الذين يستخدمون الشاشات بما فيها من وسائل التواصل الاجتماعي وألعاب الفيديو بنسبة أقل، ينخفض لديهم احتمال ظهور أعراض اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه بنسبة ٤,٦ في المئة، بالمقارنة مع أولئك الذين يكثرون من استخدام الشاشات ٩,٥ في المئة، بالتالي يزداد خطر الإصابة بأعراض اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه نحو الضعف.

وإدمان الشاشات الذي يصاحب الشخص طوال يومه وقبل النوم وعند الاستيقاظ، له ما لا يدع مجالا للشك من الأضرار التي تصاحب المرء، على اختلافاتها؛ سواء كانت صحية أم نفسية أم اجتماعية، وتعرف هذه الحالة باسم «اضطراب الشاشات» أو «متلازمة الشاشة الإلكترونية».

ما هي متلازمة الشاشة الإلكترونية؟

يعرفها العلماء بأنها الأمراض التي يمكن أن تصيب الشخص بسبب تعرضه للشاشات لوقت طويل، ويؤدي ذلك إلى زيادة الضغط على المخ ثم خلل في النظم البيولوجية ومن ثم خلل في الجهاز العصبي، خصوصا عند الأطفال من عمر سنتين إلى خمس سنوات، إذ تعتبر تلك المرحلة هي المصاحبة لعملية تطور الدماغ، حيث تتأثر خلايا المخ بطول فترة الاستخدام، ويؤثر بشكل مدمر على أنماط سلوكهم لاحقا في الحياة، فتؤدي إلى ضعف المهارات والحصيلة اللغوية، مما يفقده القدرة على الكلام في كثير من الأحيان وتظهر عليه سمات تشبه

سمات «التوحد»، وذلك بحسب دراسة أجريت بجامعة «جالكوري» بكندا.

الأعراض

وتظهر أعراضها على الأطفال وعلى البالغين أحيانا الذين يتعرضون للشاشات لوقت طويل مثل:
جفاف واحمرار العينين وازدواجية الرؤية، وقلة النوم، وضعف التركيز ونوبات الغضب، والإجهاد الطويل الأمد، إضافة إلى التقلبات المزاجية المستمرة، وضعف الروح الرياضية، ومشاكل في التعلم، وكذلك الشعور بالإحباط والبكاء، والأرق المستمر، وضعف التحصيل الدراسي.
إضافة لإكسابهم عادات سلوكية سيئة مثل الميل إلى الشجار والكذب والسرقة، ويعود السبب في ذلك إلى أن المشاهد التي تحتوي على عنف تزيد من استجابة الطفل للعنف، إلى جانب أمراض السمنة وسوء التغذية والكسل وأضرار العزلة الاجتماعية التي تخلفها الشاشات عموما.
ولكي تكتشف ما إذا كان طفلك مصابا بهذه المتلازمة فهناك عدة أسئلة تبين لك ذلك، على سبيل المثال:
- هل يفضل الطفل استخدام وسائل التواصل على التفاعل وجها لوجه؟
- هل يفضل الانعزال على التواجد وسط المجتمع والمناسبات الاجتماعية؟
- هل تلاحظ هبوط مستواه التعليمي؟
- هل تجد صعوبة في صرفه عن استخدام الأجهزة الذكية أو التلفاز؟
- هل تشعر بأنه يميل إلى الخمول ولا يهتم بالتفاصيل حوله؟
إذا كانت الإجابة «نعم» فهناك احتمال كبير لأن يكون الطفل مصابا بـ «متلازمة الشاشة».

الآثار السلبية على الطفل

قضاء الكثير من الوقت على الشاشة الإلكترونية يعيق النمو الطبيعي لدماغ الطفل، كما يسلبه التفاعل الاجتماعي والانغماس في حياة اجتماعية طبيعية، وتشير الدراسات إلى أن العديد من الصغار الذين ينغمسون في وقت طويل أمام الشاشات الإلكترونية ملزمون بعرض علامات قريبة من مرض التوحد، كما أن البرامج التي تعرض تشوبها العديد من التناقضات على مستوى الصور والأصوات، وقد يكون لهذه التغيرات السريعة في الصور والوضعيات تأثير سلبي على الدماغ.
وهذا يتسبب لدى الطفل في اضطرابات في التركيز والانتباه، ويمكن أن يتسبب الجلوس لساعات طويلة أمام الشاشة في إصابة الطفل بمشاكل في الوزن بسبب عدم ممارسته أي نشاط بدني، حيث يعتقد الباحثون أن وقت الشاشة هو البديل الأكثر شيوعا للأنشطة الخارجية في الشمس، وارتباط وقت الشاشة المطول بزيادة خطر الإصابة بالسمنة نتيجة الجلوس لساعات طويلة أمام التلفاز والأجهزة المرئية وتناول أطعمة غير صحية بكميات غير مدروسة بهدف التسلية وقضاء وقت ممتع.

بدائل آمنة

والبديل الآمن لهذه الحالة هو وضع قواعد يطبقها الفرد أو ولي الأمر لأبنائه:
- فيمكن تخصيص وقت محدد لاستخدام الشاشات بأنواعها خلال اليوم، مع تحديد وقت يكون خاليا تماما من استخدام الشاشات، ويمكن زيادة هذا الوقت دوريا.
- كما يجب أن يتضمن اليوم أوقاتا محددة للنشاط البدني، وإيجاد حلول بديلة للترفيه والتسلية مثل: القراءة، أو الرسم والتلوين للأطفال والألعاب التي تحتاج إلى تفاعل ومشاركة.
- الحرص على الاجتماعات العائلية لقضاء وقت مشترك ووضع خطة لبدائل استخدام الشاشات، وإشراك الأسرة بأكملها بمن فيها من الأطفال، لاقتراح أشياء يشاركونها معا.
- ضرورة وجود رقابة أبوية تسمح بمراقبة ما يشاهده الأبناء على التلفزيون وما يفعلونه عبر الإنترنت، لحمايتهم من المحتوى الذين يشاهدونه.
- الحرص على انتقاء الشاشات التي تتوافر فيها أفضل الشروط الصحية والتي يكون الإشعاع الصادر عنها أقل ما يمكن لتجنب الأضرار قدر الإمكان.
- ينصح الأطباء بأخذ فترة راحة قصيرة بعد كل عشرين دقيقة إلى نصف ساعة عمل متواصلة على الشاشة، وخلال ذلك يفضل النظر عبر النافذة إلى مكان بعيد لمدة نصف دقيقة أو دقيقة، ومن ثم يمكن الاستمرار ومتابعة العمل.
- التعامل مع القواعد التي يضعها الفرد لنفسه أو يضعها ولي الأمر لأبنائه بحزم لا يخلو من العواطف واللين والخضوع في بعض الأوقات، حتى يصبح الأمر عادة يومية يتأقلم عليها الفرد.
ويوصي الخبراء بأخذ ما يسمى بـ«إجازات إلكترونية»، إذ يعد الانقطاع التام عن التعرض للشاشات في إجازات كاملة دون هواتف ذكية أو أجهزة إلكترونية، وسيلة جيدة لضمان عدم التعلق بتلك الأجهزة، ومن جانب آخر يسمح بممارسة أنشطة متنوعة في قوالب جديدة غير القالب الإلكتروني.
ومن الممكن الحفاظ على عطلة نهاية أسبوع من دون إلكترونيات، وهناك العديد من الأنشطة التي يمكن أن تخصص وقتا للحركة وبيئات مختلفة عن الواقع الافتراضي، كما توفر تفاعلا اجتماعيا جيدا مع الآخرين.



د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي



«الهواتف الذكية أنموذجا»

إدمان الشاشات.. رؤية شرعية

الإنسان في سعيه الدائم إلى إشباع حاجاته وامتلاك الوسائل والأدوات التي تمكنه من تحقيق ذلك، بما يضمن له حياة يجمع فيها بين الرفاهية والسعادة، لا يكف عن البحث والاختراع والابتكار، وتعد التكنولوجيا أهم الميادين التي تستحوذ اهتمام البشر، بدليل التقدم الهائل في كل لحظة فيما تنتجه لنا عقول وسواعد البشر في هذا المجال.

وإذا كانت المنتجات التكنولوجية لا يخلوا منها نشاط من أنشطة البشر، بل لا تمر دقيقة واحدة من حياة الإنسان دون أن يستخدم أحد هذه المنتجات، فإن مجال الاتصالات يعد هو الوجه الأكثر تأثيرا في حياتنا، حيث يتجلى هذا في ثورة الاتصالات وما أفرزته من أجهزة الاتصالات، وفي هذا الصدد تعد الهواتف الذكية بكل أجيالها وأنواعها من أحدث ما أنتجته التكنولوجيا في هذا المجال.

تزايد أعداد مستخدمي الهواتف الذكية عالميا

في عالم اليوم الذي نعيشه بكل تقلباته وطفراته، أصبح الهاتف الذكي جزء أساسي من حياتنا لا نستطيع أن نستغني عنه، لا يقتصر هذا على أصحاب المهام والمسؤوليات الكبيرة فقط، بل لا يستغني عنه حتى الأطفال.

ولعل هذا ما يفسر لنا التزايد المستمر في أعداد مستخدمي الهواتف الذكية حول العالم، فبحسب ما تشير إليه الإحصائيات الموثقة المنشورة على موقع: statista المتخصص في الأبحاث السوقية، فإن عدد مستخدمي الهواتف الذكية وصل إلى: (٦,٣٧) مليار مستخدم هذا العام، بنسبة: (٨٠,٧٪) من سكان العالم، مسجلة ارتفاعا عن أكثر من (٣,٦٦) مليار مستخدم في عام: (٢٠١٦م)، كما أنه من المتوقع ارتفاع استخدام الهواتف الذكية إلى (٧,٣٣) مليار مستخدم بحلول عام: (٢٠٢٥م)[1].

عالم بلا حدود

تشير الإحصائيات السابقة إلى أن استخدام الهواتف الذكية أصبح من الظواهر البشرية ذات التأثير الكبير والتي لا يخلوا منها مجتمع من المجتمعات، فهي تقوم بالكثير من المهام والوظائف، التعليمية

والإعلامية والدعوية والاجتماعية والاقتصادية، ويمكن القول: إنه لا يخلو مجال من مجالات الحياة إلا ويستخدم فيه الهواتف الذكية، التي سهلت الكثير من الأمور الحياتية والعملية، ووفرت الكثير من الوقت والجهد بما تحوية من خصائص وتطبيقات، كل في مجاله يستطيع أن يستخدمه بما يحقق له النفع والإنجاز، هذا وقد أصبحت الهواتف الذكية وسيلة لحل وعلاج الكثير من المشكلات، بل كان لها الأثر الكبير في تغيير حياة الكثيرين إلى الأفضل كما حدث ويحدث في حياة الأشخاص ذوي الإعاقة بما تحويه من تطبيقات تخطت بهم حاجز الإعاقة، مثل التطبيقات القارئة والناطقة لذوي الإعاقة البصرية على سبيل المثال لا الحصر.

ومن الإنصاف القول بأنه ليس كل منا تمثل له هذه الهواتف أداة لإنجاز أعماله، ونقف هنا أمام نقطة فارقة في استخدام الهواتف الذكية تنقلنا من الجانب الإيجابي إلى الجانب السلبي في استخدامها والتي تتمثل في ظاهرة إدمان الهواتف الذكية.

ويعتبر التقدم الهائل والمتسارع في ميدان تكنولوجيا الاتصالات هو الوجه الحياتي للنمو والتقدم التكنولوجي الذي يظهر جليا في حياة البشر، متمثلا في ظهور أجيال حديثة متتالية من الهواتف الذكية تحمل قدرات وإمكانات هائلة تتفوق على نفسها من جيل إلى جيل، يقابلها الطفرات الهائلة في سرعات وقدرات الإنترنت، مما جعل من الهواتف الذكية عالما بلا حدود، وهو ما جعل الإنسان لا يستغني عن هاتفه الذكي مهما كانت الظروف، وهذا كله بلا شك يؤثر، بل يعيد صياغة وتشكيل جوانب الشخصية نفسيا، وانفعاليا، واجتماعيا، ليفرز العديد من الظواهر والأمراض النفسية والاجتماعية التي لم تكن معروفة قبل ظهور الهواتف الذكية، وهذه الظواهر استرعت اهتمام علماء النفس والاجتماع وأصبحت محل دراساتهم وأبحاثهم.

فقد توصلت الأبحاث التي أجريت على ظاهرة استخدام الهواتف الذكية، إلى وجود ظاهرة أطلق عليها: «إدمان الهواتف الذكية»، وهي أشد خطرا وتهديدا لحياة الإنسان من إدمان العقاقير والمخدرات، لإن إدمان الهواتف الذكية خطر غير منظور وغير مجرم مما يزيد من خطورته، يقضي على الإنسان نفسيا واجتماعيا وصحيا في صمت.

وهو إدمان سلوكي يتداخل سلبا مع حياة الشخص، ويمكن أن يشمل تركيزا مكثفا على الهاتف الذكي أو تطبيق معين فيه، وعلى سبيل المثال التدقيق أو النشر، أو التفاعل مع منصات ووسائل التواصل الاجتماعي(٢).

ويطلق على إدمان الهواتف الذكية أيضا رهاب فقدان الهاتف الذكي أو الابتعاد عنه، النوموفوبيا Nomophobia، وهو شعور الفرد بدرجة كبيرة من القلق في حال عدم توافر الهاتف الذكي أو الاتصال بالإنترنت وينطوي على العديد من السلوكيات والأعراض التي تجعل الفرد الذي يعاني من النوموفوبيا يتسم بدرجة كبيرة من الاعتمادية على الهاتف الذكي إلى الحد الذي يجعله امتدادا لأجسادهم لا يقدرون على الاستغناء عنه.

أسبابها

تفشي ظاهرة إدمان الهواتف الذكية يرجع إلى عدد من الأسباب والتي قد تؤدي إلى إدمان الهواتف الذكية، ويعتبر الفراغ هو العامل المشترك بين كل مدمني الهواتف الذكية، فيكون العكوف على الهاتف هو الطريقة المثلى لشغل وقت الفراغ، فهو بلا هدف يسعى لتحقيق، ومن أمثلتها:

- عدم القدرة على مواجهة الواقع أو التعايش معه فيكون الهاتف هو العالم البديل الذي يهرب إليه.
- افتقاد الصداقات والجو الأسري السليم.
- حب الاستطلاع.
- عالم الإثارة الذي يجده في التصفح أو الألعاب.
- التقليد والوجاهة الاجتماعية.

أنواعها

أولا: الإدمان الجنسي: يقوم المدمنون بتنزيل المواد الإباحية واستخدامها والاتجار بها، وهم مهووسون بالجنس السيبراني والمواد الإباحية الإلكترونية.

ثانيا: إدمان العلاقات السيبرانية: عن طريق التورط في العلاقات الإلكترونية، ويمكن حتى أن يقعوا في الزنا عبر الهاتف.

ثالثا: إدمان الشبكات الاجتماعية،

مثل الفيس بوك.
رابعا: إدمان الألعاب: مثل المقامرة وألعاب الفيديو والتسوق والتداول الإلكتروني.
خامسا: إدمان المعلومات الزائدة: تخلق وفرة المعلومات على الإنترنت سلوكا قهريا جديدا يتعلق بتصفح الويب أو البحث في قواعد البيانات، والمدمن هنا يستخدم المزيد والمزيد من الوقت للبحث عن البيانات وتنظيمها [٣].

الأثار النفسية والاجتماعية

الآثار النفسية والاجتماعية لإدمان الهواتف الذكية كانت محل اهتمام ودراسة لعديد من الدراسات والأبحاث التي أجريت على الشرائح المدمنة لها، والتي أكدت في مجملها على أن مدمني الهواتف الذكية يصابون بالعديد من الأمراض النفسية والاجتماعية، هذا فضلا عن الأمراض العضوية.
فنفسيا يعانون من: القلق والأرق والاكتئاب واضطرابات التفكير أو الاضطرابات الذهنية، وعدم القدرة على التمييز بين الواقع أو الخيال، والوسواس القهري، والضغوط النفسية والصراع وسيطرة أفكار ومخاوف غير منطقية تؤدي إلى القيام ببعض السلوكيات والأعمال بصورة قهرية، دون أن تكون لديه القدرة على التوقف عنها أو التحكم فيها، مما يعوق الحياة اليومية فلا يستطيع العمل أو الإنجاز أو التحصيل.
اجتماعيا: يعانون من العزلة الاجتماعية، والاغتراب الذاتي، وفقدان القدرة على التواصل وتكوين علاقات اجتماعية قوية، وتبلد المشاعر والعجز عن التعبير عنها، خسارة العلاقات القديمة، والفشل الأسرى المتمثل في سوء العلاقة بين أفراد الأسرة والمشكلات الأسرية المزمنة مثل الطلاق.

رؤية شرعية

الشريعة الإسلامية هي الضابطة والموجهة والمنظمة لحياة المسلم بما جاء به من تعاليم حوتها نصوص الوحيين من آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية:١٨).
والهاتف الذكي في ميزان الشريعة من النعم المستحدثة ويتوقف حله أو حرمته على الطريقة التي يستخدم بها، فحلاله حلال، وحرامه حرام.
وإدمان الهواتف الذكية يمثل لونا من ألوان الإسراف والتبذير، والإسراف كما عرفه الكفوي في الكليات هو: «صرف الشيء فيما لا ينبغي زائدا على ما ينبغي»، والتبذير كما عرفه الجرجاني في التعريفات هو: «صرف الشيء فيما لا ينبغي»، وكلاهما خلقان يجتمعان في إدمان الهواتف الذكية.
والإسراف والتبذير خلقان ذمهما الشرع، قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام:١٤١).
والإسراف نوع من أنواع كفر النعمة ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ (الإسراء:٢٧). قال بن كثير في تفسيره أي: في التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾، أي: جحودا؛ لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته؛ بل أقبل على معصيته ومخالفته.
وفي الحديث: عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف، أو مخيلة» (ابن ماجه)، ونقل بن حجر في الفتح تعليق الموفق البغدادي قال: هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة؛ فإن السرف في كل شيء يضر بالجسد، ويضر بالمعيشة؛ فيؤدي إلى الإتلاف، ويضر بالنفس إذ كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال، والمخيلة تضر بالنفس حيث تكسبها العجب، وتضر بالآخرة حيث تكسب الإثم، وبالدنيا حيث تكسب المقت من الناس.
وإدمان الهواتف الذكية يسبب هذه الأضرار جميعها نفسيا وصحيا وماليا، وتعبديا.

الحل

من خلال الآداب والتعاليم التي وردت في القرآن والسنة النبوية المطهرة يمكننا أن نضع حلولا تساعد في الإقلاع عن هذا السلوك والتوبة منه، قائما على الدعوة والتبصير بالرفق واللين، معتمدا على قاعدتين أساسيتين تندرج تحتهما قواعد جزئية أخرى،

ولكن نكتفي بالعرض المجمل لهما على النحو التالي:
أولا: المسؤولية: إدمان الهاتف الذكي قوامه تضييع وتبديد الوقت والمال، والوقت هو العمر، فقد يفقد المرء سنوات شبابه وعمره كله في عالم هاتفه الخاص والوقت لا يعوض ولا يسترجع، والمال الذي ينفقه المدمن لاهثا وراء كل جديد ومبتكر في هذا المجال، وأيضا يكتسب علما يساعده على مسايرة هذا العالم.

وقد يكون مدمنوا الهواتف الذكية في غفلة عن أنهم مسؤولون أمام الله عن هذه الأمور، لذلك لا بد من التبصير وتبيين مسؤوليتهم عن هذه الأمور، ففي الحديث: عن ابن مسعود، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه، حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم»(الترمذي).

وهو أيضا مسؤول عن حواسه واستخدامها طاعة أو معصية قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء:٣٦)، وهي ناطقة شاهدة عليهم يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النور:٢٤).

ثانيا: الحرص والمحافظة على الطاعات: وخاصة الصلاة والتزام آدابها مما يدفع للتخلي عن الهاتف وتركه في المنزل أو غلقه تماما، فمثلا الحرص على أداء فريضة الصلاة في المسجد، ودخول المسجد قبل الأذان، ففي الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»(مسلم).

وأيضا التبكير إلى الصلاة يوم الجمعة ففي الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ «إذا كان يوم الجمعة، كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاؤوا يستمعون الذكر، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي البدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كالذي يهدي الكبش، ثم كالذي يهدي الدجاجة، ثم كالذي يهدي البيضة». (متفق عليه).

والتماس ساعة الإجابة آخرها ويفضل التماسها معتكفا سواء في منزله أو في مسجده، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «يوم الجمعة اثنا عشر ساعة، فيها ساعة لا يوجد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه؛ فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر»(أبو داوود والنسائي).

وصيام الفريضة والتطوع، ففي الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك»(البخاري).

والحرص على قبول طاعة الصوم يدفع المسلم إلى أن يتحلى بآداب الصيام، من البعد عن سوء الأخلاق وترك الشهوات، ولا شك أن الهاتف الذكي من أعظم شهوات المدمن، وفي حال صومه يتركها من أجل الله.

هذا فضلا عن قراءة ورد يومي من القرآن من المصحف الورقي وليس من الهاتف، والحرص على أذكار الصباح والمساء، والإكثار من الذكر والتسبيح، ومن قيام الليل، واتباع الجنائز، وزيارة المرضى، وصلة الأرحام، والتطوع بالوقت والجهد في الأعمال الخيرية،.......

وهذا كله في جوهره يعتمد على التخلي عن استخدام الهاتف الذكي في كل العبادات والأعمال التي ذكرناها.

وهذه الخطوات تنقلنا إلى أن نضع الهاتف الذكي في موضعه الصحيح عن طريق تحديد الهدف من استخدامه، وهذا بدوره ينظم أوقات استخدامه والتطبيقات اللازمة والتي تيسر مجال العمل، بما يعود بالنفع والخير في الدنيا والآخرة.

الهوامش

١- الإحصائيات نقلا عن موقع الطاقة: 22/02/2022/https://attaqa.net.

٢- حباب عبد الحي وآخرون: إدمان الهواتف الذكية لدى طلبة جامعة الخرطوم، المجلة العربية للعلوم التربوية، القاهرة، (يوليو ٢٠١٨م، ص ٨، عدد ٤).

٣- نسيمة طباس، خديجة ملال: الإدمان على الإنترنيت لدى الطلبة الجامعيين، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلد ٥، الجزائر، (يونيو ٢٠٢١م، ص٣٩١).

السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية



مواجهة «إدمان الشاشة»

لكل زمان خصائصه وإشكالياته.. و«الزمان» هنا ليس مجرد الوقت، وإنما هو مفهوم عام يدل على مجمل النشاط الاجتماعي للإنسان. ونحن في زماننا المعاصر، بعد الثورة التكنولوجية والرقمية، أصبحنا بصدد خصائص جديدة وإشكاليات طارئة، لم يكن لها وجود في حياتنا من قبل؛ ومن ذلك ما بات يعرف بـ«إدمان الشاشة».

ويمكن أن نشير إلى أن المقصود من «إدمان الشاشة» هو تلك الحالة التي تجعل الناس، لا سيما الشباب، ملتصقين بهواتفهم لدرجة تعزلهم عن حياتهم الحقيقية، مكتفين بالعالم الافتراضي الذي توفره الشاشات.

وبهذا تطور مفهوم «الإدمان» وأصبح له معنى جديد، بعد أن كان مقصورا على رواج المخدرات؛ وأصبحنا أمام مظاهر وأعراض لم نألفها فيما مضى.. بل وتطور المفهوم داخل هذا السياق الجديد ذاته؛ فبعد أن كنا نعاني سابقا من «إدمان التلفزيون»[1] وألعاب الفيديو، صار الأمر إلى «إدمان الهواتف الذكية»؛ والذي ارتبط بمشكلات إضافية غير السابقة.

ولا شك أن لإدمان الشاشة خطورته التي ينبغي ألا نستهين بها؛ وليس أقلها العزلة عن العالم الحقيقي، وفقدان التواصل معه، وعدم مراكمة خبرات اجتماعية نتيجة عدم التعايش والاختلاط والمعاملات في الواقع.

خطورة الإدمان

فإدمان الشاشة له خطورته وعواقبه ومشكلاته، التي تتنوع بين الجوانب الطبية والنفسية والاجتماعية، بل والعقدية.

فمثلا، يتسبب إدمان الشاشة لدى الصغار في تأخر النطق عند بعضهم، وعدم القدرة على التواصل بالحديث،

ويتسبب أيضا في البداية، وضعف الإبصار، وتفضيل العزلة، والنفور من الاختلاط بالآخرين، وقد يتطور لدى الشباب إلى نوع من الاكتئاب[٢].

وبعض ألعاب الهواتف الذكية بها مخالفات عقدية، وقد لا ينتبه لها الشباب.. نتيجة أنها نشأت في بيئات لا تضع الدين في اعتبارها. ولهذا صدرت فتاوى من هيئات دينية، مثل الأزهر الشريف بمصر، بتحريم هذه الألعاب التي بها مخالفات عقدية[٣].

فضلا عن أن بعض هذه الألعاب بها مراحل من التحدي تتصاعد خطورتها حتى الانتحار! وقد تسببت بالفعل في انتحار شباب في دول مختلفة من العالم.

فلهذه الدرجة تطور التعلق بهذه الألعاب، وأصبح الشباب غير مدرك من الأساس لما قد ينحرف إليه الوضع. بل ربما استفزت بعض الألعاب في الشباب ما يعرف عندهم من حب التحدي وروح المغامرة؛ فإذا بالشاب يجد نفسه أمام خطر حقيقي لا مجرد لعبة افتراضية، ونكون أمام مأساة غير قابلة للتصحيح بخلاف الأخطاء الافتراضية!

التعلق بالجديد

وهنا نشير إلى أنه إذا كان لكل زمان خصائصه ومستجداته، كما سبق، فإن من الطبيعي أن يحظى الجديد بمكانة خاصة، وتتعلق به الأنظار؛ لاسيما إذا كان هذا الجديد محتويا على عوامل إبهار وجذب، تعد جزءا من طبيعته، وأمرا مقصودا وليس عارضا.

ومراعاة ذلك - أي أن التعلق بالجديد، أمر طبيعي - تجعلنا نتعامل مع المشكلة بهدوء، ولا نعطيها أكبر من حجمها، أو على الأقل: لا نتعامل معها بتوتر، متصورين أننا يمكن أن نتجاهل هذا الجديد، ونعود إلى ما كنا عليه من قبل.

وإنما علينا أن نبحث في طرق التخفف منه، وفي تحويل الاهتمام والتعلق المصاحبين للجديد من الحالة السيئة إلى الحالة المقبولة أو الجيدة.

تمدد العالم الافتراضي

ومما هو مصاحب لزماننا المعاصر الجديد، أن نمط الحياة تغير كثيرا، وأن العلاقات الاجتماعية أصبحت تدار بوسائل مغايرة عما كان معروفا..

وهذا الوضع أخذ يتشكل شيئا فشيئا مع اختراع الأجهزة الحديثة، والتطور الهائل في وظائفها وخصائصها..

فبعد أن كان التواصل الشخصي الواقعي هو المتاح، تم اختراع التلفون ثم التلفزيون، ثم الفضاءات الرقمية؛ وأصبح من العيسر الاقتصار على التواصل الشخصي المباشر.. مما جعل «العالم الافتراضي» يتمدد في حياتنا خصما من «الواقع الحقيقي»، لتتشكل حقائق جديدة، وتنتج مشكلات غير مألوفة.

جزء من الحياة العملية

ثمة أمر آخر، وهو أن «الشاشة» صارت جزءا من الحياة العملية، وليست مجرد نشاط ترفيهي يمكن الاستغناء عنه أو التخفف منه.. بدءا من مناهج التعليم والتدريس الحديثة؛ التي استغنت في بعض الدول عن «الكتاب الورقي»، ليحل محله الحاسوب اللوحي «التابلت»، مرورا بمجموعات المذاكرة والمتابعة عبر الهواتف.. بحيث صار لدى الطالب ذريعة قوية لزيادة وقت ارتباطه بالهاتف، بخلاف الأمر عندما كان الهاتف يمثل له نشاطا ترفيهيا فحسب!

كما أن متابعة العمل صارت تتطلب تطبيقات معينة مرتبطة بالهاتف.. فحتى الهواتف القديمة لم تعد ذات فائدة في هذا الصدد؛ مما يجعل اختلاط «الترفيهي» بـ«العملي» أمرا واقعا لا مفر منه.. بجانب أن سرعة إيقاع الحياة، تتطلب مصاحبة الهاتف، والإبقاء دائما أو كثيرا على «وضع الاتصال».

التنظيم لا المنع

وإذا جئنا لما ينبغي فعل لمواجهة إدمان الشاشة، فأول ما نشير إليه هو التنظيم لا المنع؛ لأن المنع أمر يصعب تصوره وتنفيذه كما أشرنا، نتيجة تغير طبيعة الحياة الاجتماعية بكل تفصيلاتها. فلم يبق إلا التنظيم مخرجا من هذا الإدمان.

والتنظيم ينبغي أن يراعى فيه سن المستخدم، وطبيعة عمله، ووقت الحاجة إلى الشاشة. فنحدد وقتا قليلا للطفل بخلاف الشاب، وإذا أمكن منعه نهائيا لدى الصغار فأفضل. كما يمكن تنويع وظائف الهاتف للطفل، بحيث لا تقتصر على المشاهدة، وإنما تشمل الاستماع أيضا؛ فنريح العين والجهاز العصبي عنده.

وكلما تقدم سن الطفل أو الشاب، أو اختلف الوقت - مثل الإجازة



والـدراسـة- نتيح لـه وقـتا أطـول. ويمكن منع الهاتف قبل النوم بوقت كاف ليتخلص الذهن من الانشغال به، ونوفر للمستخدم نوما هادئا(٤).

العودة للواقع

كذلك من المهم العـودة للعلاقات الإنسانية الواقعية لا الافتراضية، بقدر ما نستطيعه من زيادة مساحة ذلك بمقابل المساحة الافتراضية؛ فنهتم بالصداقات الحقيقية لأبنائنا، وننظم لهم المناسبات والفعاليات التي تكون تحت الإشراف والتوجيه.

وأيضـا يمكن استصحاب الأبـنـاء لزيارة الأهل والأصدقاء، لاسيما في المناسبات الاجتماعية التي يكثر فيه التزاور، مثل الأعياد والأفراح؛ فهي فرصة للتخفف من العالم الافتراضي وبناء علاقات حقيقية بشكل أكبر وأيسر.

تنويع أساليب الترفيه

بـجـانـب ذلـك، نـعـمـل عـلـى تـنـويـع وسـائـل الـتـرفـيـه، فـلا تقتصر على الهواتف والألعاب الإلكترونية؛ وإنما نضم لها الرحلات، والتنزه، وزيـارة المكتبات العامة، والأماكن المفتوحة، والمعالم التي لها تاريخ.. فكل ذلك يـزيـد مسـاحـة الـتـواصـل الحقيقي لـدى الـشـبـاب، ويكسبهم خـبـرات مهمة، ويخفف من تعلقهم بالعالم الافتراضي.

بـل ويمـكـن عـمـل مـزيـج بـيـن هذين الـعـالـمـيـن، الحقيقي والافـتـراضـي، من خلال التوثيق ومشاركة الأماكن المميزة مع الآخرين.. وبذلك يكون العالم الافتراضي أكثر ثراء وإفادة، ونحسن توظيفه بالإيجاب، بدل أن يـعـود بالسلب ذهنيا ونفسيا على الشباب.

ملء الفراغ

ومن المهم إضافة لما سبق، أن نلاحظ أن أحـد الأسـبـاب الأسـاسـيـة التي تدفع الشباب نحو إدمان الشاشة، هو الفراغ! فالوقت أمامه فسيح ممتد، والشواغل قليلة؛ فكيف يتصرف إزاء ذلـك! إن صحبة الهاتف تكون هـي الخيار السهل والبديل المتوافر، ومن غير الصحيح أن نلومه حينئذ؛ وإنما علينا أن نعمل على توفير بدائل، تملأ هـذا الـفـراغ وتـزاحـم «الـشـاشـة» في المساحة التي انتزعتها!

وقد يكون هذا البديل زيارة قريب أو صديق أو القيام برحلة، كما أشرنا، أو مطالعة كتاب، أو حضور نـدوة، أو الاشـتـراك في رياضة بدنية، أو المساعدة بالبيت مع الأم أو الأب، أو إتاحة مجال لاستكشاف طاقات الـشـبـاب الـبـدنـيـة والـعـقـلـيـة؛ مثل الاشـتـراك فـي دورات تثقيفية أو مهارية.. أو غير ذلك من الوسائل الـتـي تـمـلأ الـفـراغ بالنافع الجيد، وتزاحم المساحة المتمددة للفضاءات الافتراضية.

إن مسألة «إدمـان الشاشة» مسألة مهمة وذات أبعاد متعددة؛ وعلينا أن نأخذها على محمل الجـد، قبل أن تتفاقم آثـارهـا، وندخل بسببها في متاهات خطيرة اجتماعيا ونفسيا وتربويا وأخلاقيا.. وهذا أمر ممكن، مـع الـتـركـيـز والمـثـابـرة والمعـايـشـة والمشاركة وتوفير البدائل..

الهوامش

١- الأطـفـال والإدمــان التلفزيوني، ماري وين، «عالم المعرفة»، رقم ٢٤٧، ترجمة عبد الفتاح الصبحي.

٢- راجع المزيد في: إدمان الشاشة عند الأطـفـال، رنـا محمد صـادق، موقع جريدة «البناء»، بدون تاريخ.

٣- راجع: بيان «مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلـكـتـرونـيـة»، على «فيس بوك»، ٤ يونيو ٢٠٢٠م. و: لماذا أعلن الأزهر الشريف تحريم هذه الألعاب؟ تقرير بموقع «الأهـرام»، ٢٢ سبتمبر ٢٠٢١م.

٤- راجـع المزيد فـي: هل تعاني من «إدمـان الهاتف»؟ إليك ١٢ طريقة لمواجـهـة ذلـك، تـقـريـر عـلـى **cnn** بالعربية، ١٠ يوليو ٢٠٢١م.

عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية



مرض العصر الحديث

بدأ مرض ينتشر على نطاق واسع مع تنامي استخدامات الإنترنت والتكنولوجيا الحديثة. هذا المرض ليس مرتبطا بعمر معين، فهو قد يصيب الأطفال والمراهقين مثلما يقع كبار السن ضحية له.

يطلق على الإفراط في استخدام الهواتف الذكية والأجهزة الإلكترونية الحديثة مرض العصر الحديث.. فعندما تتحول مشاهدة شاشات الأجهزة الحديثة من كمبيوترات وهواتف نقالة وألعاب الفيديو إلى نوع من الإدمان فإنه يصبح حالة مرضية تستوجب العلاج واتخاذ التدابير والإجراءات لمكافحته.

وحذرت منظمة «الصحة العالمية» من المخاطر الصحية للإفراط في قضاء الوقت أمام الشاشات أو الانخراط في ألعاب الفيديو. ودعت إلى اتخاذ إجراءات فورية حيال ذلك. وبينت بعض العلامات الأكثر شيوعا للإفراط في قضاء الوقت أمام الشاشات، منها تأثير هذا السلوك على قدرة الشخص على التركيز وإكمال مهامه، وكذلك تأثيره سلبا على علاقاته مع أفراد أسرته وأقرانه.

ويحتل إدمان الشاشات الأولوية في حياة الشخص على المهام الأساسية، مثل الأكل والنوم والنظافة الشخصية والتمارين الرياضية. كما أن هذا النوع من الإفراط في استخدام الشاشات يتسبب في حدوث تغيرات كبيرة في مزاج الشخص أو قدرته على السيطرة على حالات الهياج كالعدوان الجسدي عندما يطلب منه التوقف عن تلك الأنشطة.

ودعت منظمة الصحة العالمية مقدمي خدمات الرعاية الصحية والاجتماعية إلى الاضطلاع بنشر المعلومات بين الأسر عن خطر الإفراط في قضاء الوقت أمام الشاشات أو الانخراط في ألعاب الفيديو، وكيفية الوقاية من ذلك الخطر، وتقديم دورات الدعم النفسي وإسداء المشورة للأشخاص الذين يعانون من الاضطرابات الناجمة عن إدمان الشاشات، وإرشاد الآباء والقائمين على الرعاية بشأن كيفية اكتشاف المحتوى الضار عبر الإنترنت والتصدي له.

وأكدت أنه ينبغي لراسمي السياسات الاضطلاع بدعم إعداد المواد التثقيفية لعموم الناس حول الأضرار الناجمة عن الإفراط في قضاء الوقت أمام الشاشات وممارسة الأنشطة عبر الإنترنت. وتحديث المبادئ التوجيهية بشأن الدعم النفسي والاجتماعي بحيث تتضمن تقييما للأضرار الناجمة عن الإفراط في قضاء الوقت أمام الشاشات وممارسة الأنشطة عبر الإنترنت، وتقديم التدريب للعاملين في مجال الرعاية الصحية والاجتماعية بشأن زيادة المخاطر عبر الإنترنت، وكيفية تقييم هذه المخاطر وتحديدها والتعامل معها. والتعاون مع شركات التكنولوجيا الرقمية وألعاب الفيديو لضمان إدراج تدابير السلامة وميزات المراقبة الأبوية في الأنشطة عبر الإنترنت، وتقديم الدعم عند الإمكان لتطوير برامج الألعاب التي تجذب صغار السن إلى ممارسة النشاط البدني.

ولا تقتصر صعوبة معالجة مسألة الإفراط في قضاء الوقت أمام الشاشات على صغار السن فقط، إنما أيضا ثمة صعوبات بالنسبة للفئات العمرية الأكبر. ومن المهم القيام بتحقيق التوازن بين الأنشطة التي تمارس على شبكة الإنترنت وتلك التي تمارس خارجها، ووضع قواعد واضحة بشأن قضاء الوقت أمام الشاشات، وكيف يمكن استخدام الإنترنت والأوقات والأماكن المناسبة لهذا الاستخدام، والحفاظ على العادات المنتظمة الخاصة بالنوم، وتشجيع تناول الطعام الصحي. والتذكير بأن مشاهدة التلفاز وممارسة الأنشطة عبر الإنترنت هما أحد الخيارات لقضاء الوقت، والتأكيد على الخيارات الأخرى التي يمكنهم الاستمتاع بها، مثل القراءة وألعاب الطاولة والفنون والهوايات المختلفة وممارسة الرياضة.

نادر أبو الفتوح
صحافي









وسائل الحماية من أمراض الشاشة

كثيرة هي التحديات التي تواجه الأسرة في ظل تقدم رهيب في وسائل التواصل وأجهزة الاتصالات الحديثة، الأمر الذي نتج عنه إدمان الجلوس أمام شاشة التليفون والكمبيوتر والتليفزيون، وما يصاحب ذلك من إضاعة الوقت وإهدار الطاقة والجهد، بل يمتد الأمر للإصابة بالعزلة والعيش في عالم افتراضي، وكذلك الإصابة بالكثير من الأمراض النفسية والعضوية.

علماء الطب النفسي وخبراء الاستشارات الأسرية بدورهم أشاروا في حديثهم مع «الوعي الإسلامي» إلى أن إدمان الجلوس أمام الشاشات، وتحديدا في فترة العطلات وبعد انتهاء العام الدراسي، أصبح مشكلة كبرى تواجه الأسر حاليا، وقدموا نصائح للأهل بضرورة توعية الأبناء وتحذيرهم من مخاطر الجلوس أمام الشاشات، والعمل على تنفيذ برامج صيفية وأنشطة رياضية وثقافية للأبناء، بجانب حثهم على حفظ القرآن الكريم والتردد على المساجد، بما يعود بالنفع عليهم وشغل أوقاتهم في أمور إيجابية.

كما أكدوا على أهمية الحوار الأسري كأحد أهم الوسائل في مواجهة هذه الظاهرة، لأن غياب الحوار الأسري قد يصيب أحد أفراد الأسرة بالانعزال، ويؤدي ذلك لإدمان شاشات الهاتف والكمبيوتر والتليفزيون، والإصابة بالاكتئاب والقلق والتوتر وقلة النوم، وتستمر هذه الحالة في أوقات العمل أو الدراسة بما يؤثر على الحياة الاجتماعية والمهنية، كما يؤثر سلبا على باقي أفراد الأسرة.

في البداية يؤكد الدكتور هاشم بحري أستاذ الطب النفسي جامعة الأزهر بالقاهرة في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن قضاء وقت طويل أمام شاشة التليفون وأجهزة الكمبيوتر والتليفزيون أصبحت واحدة من أخطر القضايا التي تواجه الأسرة، وخصوصا في فترة العطلات وبعد انتهاء العام الدراسي، وأصبحت أغلب الشكاوى من جلوس الأزواج أو الزوجات أو الأبناء الدائم أمام الشاشات، بل إن البعض ربما يجلس في وقت واحد أمام شاشة التليفون، وفي نفس الوقت يشاهد التليفزيون أو يجلس أمام شاشة كمبيوتر، وهذه قضية لها الكثير من السلبيات على الحالة الصحية والنفسية للكبار

وكذلك على الأطفال والشباب.

إدمان سلوك:
ويشير إلى أن هناك نوعان من التعاطي، الأول هو إدمان تعاطي المخدرات، والثاني هو إدمان السلوك، مؤكدا أن إدمان الجلوس أمام شاشة الهاتف والكمبيوتر والتليفزيون مصنف طبيا كنوع من الإدمان، وأن إدمان السلوك في منتهى الخطورة، لأنه له نفس التأثيرات السلبية لإدمان المخدرات، لأنه سلوك متزايد يؤثر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمهنية، وينطبق عليه في التصنيف الطبي الحديث أعراض الإدمان، ولذلك لابد أن ننقذ الكبار والأطفال من إدمان شاشة التليفون والكمبيوتر والتليفزيون، من خلال بدائل مفيدة تعود بالنفع على الحالة النفسية والصحية للإنسان.

أمراض نفسية وعضوية:

ويوجه الدكتور بحري رسالة للأهل محذرا من ترك الأبناء لفترات طويلة أمام شاشة التليفون والكمبيوتر والتليفزيون، لأن ذلك ربما يصيبهم بالعديد من الأمراض النفسية ومنها الاكتئاب والرغبة في الانعزال عن الأسرة، وربما يتطور الأمر ويعيش الطفل أو الشاب في عالم افتراضي يدفعه للانتحار، لأن حالة العزلة أمام تلك الشاشات تؤدي للسهر الدائم وقلة النوم وتناول المنبهات، وهذا يؤدي في النهاية لضعف عام في الجسم، ويكون الطفل عرضة للإصابة بالأمراض العضوية، هذا بجانب القلق والتوتر وعدم التركيز، نتيجة الإصابة بالصداع وأمراض العيون لكثرة الجلوس أمام الشاشات ليل نهار، والمؤكد أنه عندما يتعود الأطفال والشباب على هذه الحالة في أوقات العطلات، سوف يستمر هذا النهج في أثناء الدراسة، الأمر الذي ينعكس سلبا على مستواهم في الدراسة، ولذلك ينبغي على الأسرة أن تواجه هذه الظاهرة بكل حسم، للحفاظ على مستقبل الأبناء وحمايتهم من التعرض الأمراض العضوية والنفسية.

نشاط صيفي للأبناء:

ومن جانبها أكدت الدكتورة يمنى أبو النصر استشاري أسري ومعالج نفسي في حديثها مع «الوعي الإسلامي» على ضرورة أن تقوم الأسرة بتحديد برنامج صيفي للأطفال والشباب، ويتم تطبيق هذا النشاط في فترة العطلات والإجازات، وكذلك بعد انتهاء العام الدراسي، وأوضحت أن هذا البرنامج ينبغي أن يشمل أنشطة متعددة رياضية وثقافية وعلمية ودينية، وذلك حتى يستفيد الأبناء من هذه الأوقات، ولا ينشغلون الجلوس أمام شاشات الهاتف والكمبيوتر والتليفزيون، وينبغي أن تكون هناك رياضة يتم التدريب عليها كالسباحة مثلا أو غيرها وفقا لاهتمام ورغبة الطفل، لأن الرياضة تساعد على بناء الجسم من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنها تعد متنفس لطاقة الشباب والأطفال، وبجانب الرياضة تكون هناك مشاركة في دورات وندوات علمية وثقافية، وكذلك التردد على المكتبات العامة، لكسب مزيد من الثقافة والاطلاع على المعارف.
وتضيف أن كل هذه الأنشطة العلمية والرياضية ينبغي أن ترتبط بالحفاظ على الصلاة والتردد على المساجد وحضور دروس العلم، بهدف زيادة الوازع الديني وغرس القيم والأخلاق وحفظ القرآن الكريم، والمؤكد أنه لو قامت كل أسرة بتطبيق هذا البرنامج، لن تكون هناك شكوى من إدمان أحد أفرادها شاشات الهواتف وأجهزة الكمبيوتر والتليفزيون، لأن الرياضة والمشاركة في الدورات العلمية والتردد على المساجد، كل ذلك بدائل مفيدة لمواجهة إدمان الشاشات.

أهمية الحوار الأسري:

ومن جانبه يؤكد الدكتور حسن شحاتة الخبير التربوي والأستاذ بكلية التربية جامعة عين شمس في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن الحوار الأسري يعد الحل الأمثل لكافة المشاكل الأسرية، وعند مواجهة قضية إدمان الجلوس أمام شاشات الهاتف والكمبيوتر والتليفزيون، لابد أن يلتزم الأب والأم بذلك أمام الأبناء حتى يستمع الأبناء لهذه النصائح، بجانب أن يقدم الأهل بدائل تشغل وقت فراغ الأبناء وخصوصا أثناء العطلات، وتستطيع كل أسرة أن تجد بدائل مناسبة لحماية أفرادها من مخاطر الانعزال أمام الشاشات ومتابعة وسائل التواصل، ولا يجب أن يتعذر البعض بعدم القدرة على تحمل نفقات الأنشطة الرياضية والثقافية وغيرها، لأن مجرد الخروج للتنزه أو لزيارة الأهل والأقارب، يعد بديل مفيد للجلوس أمام الشاشات، وكذلك شراء الكتب والقصص القصيرة التي تنمي المدارك وتزيد من الوعي، فكل أسرة حسب قدراتها المادية، لديها الكثير من الوسائل التي تمكنها من حماية أفرادها، لكن نقطة البداية تكمن في الحوار الأسري والتوعية بمخاطر إدمان شاشة الهاتف والكمبيوتر والتليفزيون.



ولاء أيمن شبيطة
باحثة ومستشارة تحكيم

صفحة من العمر!

من مقاصد الشرع أن يتعرّف الناس بعضهم إلى بعض وأن يعرف بعضهم بعضا، فمنذ أن خلق الله الإنسان فطر فيه حب التواصل مع غيره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات:١٤).

لكن «وسيلة» الإنسان -مع بدء الخليقة- إلى تعرّفه على الآخرين وإليهم كانت قاصرة محدودة لا تشبع غريزته.

غير أن الإنسان لم يقف عاجزا أمام كيفية تواصله مع غيره، سواء من الجموع أو البعيدين، فابتكر من الوسائل ما يعينه على ذلك، فبدأ بـ«توسل» كل ما ارتفع عن الأرض ليتواصل عبر صوته، وعلى مر الأيام والسنين طور الإنسان طرق تواصله، فـ«توسل» الأحجار ونقش عليها، وكتب على «جلود الحيوانات» ثم اخترع الورق والهاتف والمذياع والتلفاز.. إلى أن وصلنا إلى هذا الزمن الذي اهتدى فيه الإنسان إلى أرقى «وسائل» تواصله عن طريق «صفحات» الهواتف الذكية واللوحيات.

فبعدما أصبح العالم قرية صغيرة، باتت أخبار الدنيا، وعلى مختلف أنواعها، مجتمعة ومحشورة ومتاحة ويسابق بعضها بعضا في صفحة واحدة.. صفحة تقرب إليك أي بعيد، لكنها في الوقت ذاته قادرة على إبعادك عن أدنى قريب.. صفحة تتجول فيها حول العالم من خلال إصبع واحد بيدك: تقرأ خبرا هنا، وتشاهد حادثة هناك، وتلقى شائعة في جهة، وتكتشف حقيقة في أخرى، وتجتمع مع أجناس أخرى بينك وبينهم أقاليم وبلاد واختلاف أيديولوجيات ولغات وثقافات.

لكن تلك الصفحة ذات حدين؛ حد إذا أحسنت استخدامه كان نعمة وافقت معها مقاصد الشرع الحنيف، وآخر إذا أسأت استخدامه انقلب إلى نقمة

تجر عليك أخطارا بليغة، أشدها المساس بعقيدتك والتأثير السلبي عليك وعلى أسرتك ومجتمعك.. ولكي نبسط الحديث عن الإيجابي والسلبي من آثار صفحات أو شاشات الهواتف الذكية واللوحيات، ينبغي التطرق أولا إلى تعريف «الوسيلة» و«التواصل».

«الوسيلة» و«التواصل»

لفظة «الوسيلة» لم تأت في القرآن الكريم إلا في آيتين، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ (الإسراء:٥٧)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (المائدة:٣٥).. قال الراغب الأصفهاني[١]: «الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة (...) وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة، والواسل: الراغب إلى الله تعالى».

ويتفق قول الزمخشري[٢] والنسفي[٣] في أن «الوسيلة»: «هي كل ما يتوسل به: أي يتقرب، من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي».

و«الوسيلة» لغة: وسل فلان إلى ربه وسيلة أي عمل قربة، وتوسل بكتاب أو بقرابة، وهو واسل[٤]، ووسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملا تقرب به إليه، والواسل: الراغب إلى الله. وقال الجوهري: الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسل والوسائل[٥].. و«الوسيلة» في اصطلاح الأصوليين: هي الطرق المفضية إلى المقاصد[٦].

أما «التواصل» لغة فهو: وصل إليه وصولا: أي بلغ، وأوصله غيره، والوصل: ضد الهجران، والتواصل: ضد التصادم[٧]. و«التواصل» في علم الاجتماع: هو عملية تبادل الأفكار والآراء والمعلومات والمشاعر عبر وسائط متنوعة لفظية وغير لفظية، كالكلام والكتابة والأصوات والصور والألوان والحركات والإيماءات، أو بواسطة أي رموز مفهومة لدى الطرف الثاني[٨].

«فإن لك ما سألت»

مما سبق نستشعر القيمة العالية، كما الخطورة المرتفعة، لتلك الشاشة أو الصفحة (وسيلة الولوج إلى العالم الافتراضي)، التي أصبح النظر إليها والتأمل فيها من روتين حياتنا اليومي، تلك الصفحة التي لها وجهان: أحدهما نافع والآخر ضار.. بيد أن الوسيلة ذاتها لا تملك لمن يتجول عليها نفعا ولا ضرا؛ لكن مستخدمها هو هو من بيده رسنها؛ يسوقها نحو الخير أو إلى الشر، وما عليها إلا أن تطيعه قائلة: «فإن لك ما سألت».

صفحة ذات وجهين

وتلك الشاشات لها أوجه حسنة وأخرى معاكسة لها تماما، بعض أوجهها الحسنة يكمن في: إمدادنا بالمعلومات من مصادر متنوعة من جميع أرجاء الدنيا، وإيصالنا بالعالم من حولنا، وجعلنا ملمين بكل حدث وجديد، فضلا عن أنها تنمي مخيلاتنا، وتزيد قدرتنا على الاستماع وتحليل المعلومات، وترفع مستوى تعليمنا وتفكيرنا ووعينا وإدراكنا وتفاعلنا، وتخلق لنا ثقافات بحثية وعلمية وإبداعية وحرية عالية في ممارسة النشاط، كما أنها تسهم في تطوير الأنظمة التربوية وتساعد في تحسين التعليم وتزيد الرغبة فيه، والتعلم عن بعد، ويمكن استثمارها في تقديم البرامج والعروض التي تحاكي الواقع، وتسهل الوصول إلى المكتبات والمواقع التعليمية الإلكترونية، كما تعزز دور مستخدمها ليصبح فاعلا وناشطا ومستكشفا.

.. ووجه قبيح

لكن وجهها السيئ أو القبيح، نظهره – نحن مطالعيها – عندما نستخدمها في كل عمل غير أخلاقي، محرم، مجرم، منحرف عن جادة الصواب، فنقع فيما يغضب الرحمن، ويؤلب علينا نفسنا اللوامة، كما نظهره عندما نستغرق في مطالعتها، حد الغياب التام فيها.. وإن لم يُرَشَّد استخدامها فقد تعزل الفرد عن وسطه المحيط، لا سيما أسرته، وتجعله يعيش في عالم افتراضي من صنعه هو، وتضعف علاقته بمحيطه الاجتماعي.

وتزداد خطورة ذلك الوضع عندما ترى طفلا تاركا عالمه الواقعي مستغرقا في شاشة هاتفه متعلقا بها، «مدمنا» إياها ومستبدلها باللعب مع أقرانه، وإذا بحثت في الأمر فستجد أن أسوته في ذلك أحد والديه أو كلاهما؛ إذ يراهما نفسهما منصرفين معظم وقتهما إلى هذه الشاشات، ولا يحاورانه، وإذا حاوره أحدهما أو

كلاهما فلا يرى منهما إلا تسلطا أو تهديدا ووعيدا.

الوالدان محفزان: سلبا أو إيجابا

إذا تحولت مطالعة أحد أطفال الأسرة إلى شاشة هاتفه الذكي أو اللوحي من مجرد مشاهدة عادية إلى إدمان، فينبغي بداية على الوالدين أن يكونا مثالا يحتذى له في استعمال هذه الأجهزة، إذ كيف سيقتنع بتوجيهاتهما وهو يراهما منشغلين معظم الوقت بهاتفيهما؟! ثم عليهما معالجة المسألة بشكل تدريجي، فلا ينزعان شاشته من يده مرة واحدة، بل من خلال تقليص مدة احتفاظه بها، بهدف الوصول إلى استخدام مُرّشد ومقنن وآمن للجهاز، وذلك من خلال حوار هادئ متبادل مع الطفل، وبالاتفاق معه على زمن ووقت معينين لمطالعة هاتفه أو لوحه، وتحديد البرامج التي سيسمحان له بمشاهدتها، ثم متابعة ومراقبة ما يشاهده.

كما ينبغي ألا يسمحا له بالدخول إلى بعض مواقع التواصل الاجتماعي، إذ الخطورة قائمة، فالطفل يفتقر إلى الخبرات التي تؤهله للتمييز بين ما هو جيد وما هو رديء، وقد يقع فريسة للابتزاز أو الاستغلال بشتى أنواعه، كما يجب أن يوفرا له برامج ومناشط أخرى تسهم في صرف اهتمامه عن تلك الشاشات.

خطورة قائمة صحيا وسلوكيا

إن تعلق الطفل بتلك الشاشات وبألعاب الفيديو (بحسب أطباء واختصاصيين اجتماعيين ونفسيين وسلوكيين) بشكل يجعله لا يكاد ينفصل عنها إلا قليلا، يجعل من هاتفه حجر عثرة في طريق نمو علاقته بأسرته وبمحيطه المجتمعي المقارب لسنه، وقد ينشأ منعزلا اجتماعيا من دون أصدقاء عاديين خارج عالمه الإلكتروني، كما أن تعلقه يؤثر على تركيزه في الدراسة والتعليم، لا سيما في سنوات تكوينه الأولى، وقد يجعله معرضا لما يخلق لديه خللا صحيا وسلوكيا وفي تركيبته الشخصية، وقد يصاب بأمراض نفسية، كالاكتئاب، أو يتولد لديه عنف مع إخوانه وأقرانه، أو يمارس لعبة تدفعه إلى الانتحار (كما تابعنا منذ فترة ليست بالبعيدة).

بينما يأتي التأخر في الكلام و«التأتأة» وعدم الاكتراث لمشاعر الآخرين، وضعف التحصيل الدراسي والانعكاسات السلبية على المستوى التعليمي، والكسل والخمول والعزلة والتوتر الاجتماعيين، وفقدان المقدرة على التفكير الحر وانحسار العزيمة والإرادة.. نتيجة طبيعية ومتوقعة لإدمان الطفل ملازمة شاشته الذكية.

صحة البدن

وعلى مستوى صحة الطفل، فإن إدمانه لشاشته يعمل على تأخير نموه البدني والحركي، إذ إن الانطلاق والجري وكثرة التحرك هي علامات لنمو بدني سليم، وهو ما يفتقده الطفل المدمن لمطالعة شاشة هاتفه الملتصق بها بشكل دائم، والأمر إذا استفحل ولم يعالج سريعا قد يؤدي به إلى السمنة، إذ إن تحركه محدود ونشاطه البدني قليل.

كما أن كثرة مطالعته للشاشة تزيد فرص تعرضه لإشعاعها والضوء المنبعث منها، ما يؤثر على عينه وقوة إبصاره وأعصابه، ويضعف لديه إفراز هرمون الميلاتونين المحفز على النوم، ما يؤدي بدوره إلى مشاكل وضعف في نومه، أضف إلى ما سبق وضعية جلوس الطفل وإمساكه لهاتفه التي تضغط على عضلات الرقبة والظهر، ما سيسبب له آلاما وإصابات لاحقا لا ريب.. وكثير غير ذلك من مضار.

.. وعلى مستوى المكلفين

بما أن مطالعة شاشات الهاتف ومواقع التواصل الاجتماعي باتت روتينا يوميا (إذ تتميز بسهولة استخدامها، وتدفق معلوماتها وتنوعها بين مقروء ومسموع ومرئي، فضلا عن مناسبتها لمختلف الفئات العمرية، أضف إلى ذلك الفضاء المفتوح الذي توفره، إلى الحد الذي أصبح عدم التعامل معها واستخدامها من المستهجن بين الناس)، أصبح مستوى الحرية المرتفع الذي توفره لمستخدمها، خصوصا عندما ينفرد بها، لا يضبطه إلا الوازعان الديني والأخلاقي.. لذا فهناك مسؤولية شرعية وأخلاقية تتعلق بمستخدم هذه الشاشات ينبغي عليه التزامها ومراعاة ضوابطها: منها أن يعلم أنه مراقب من الله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد:٤)، وعليه أن يخشى أن يكون ممن جلّاهم رسول الله ﷺ لثوبان، قال ﷺ: «لأعلمن أقواما من

أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا، فيجعلها الله هباء منثورا»، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا (جلّهم لنا) أن لا نكون منهم، ونحن لا نعلم، قال: «أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»[٩].

معيار التعامل معها

يجب على المكلف أن يكون الحلال والحرام والبعد عما تشابه عليه معيارا لتصفحه لشاشته، قال ﷺ: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه»[١٠]. وأن يستحضر نية إيقاف وقته عند البدء بمطالعة شاشته ويغتنمه فيما يرضاه الله، لأنه سيسأل عنه، قال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل»[١١]. وتسخير ما يقوم بقراءته أو كتابته أو مشاهدته أو التحدث به لدينه ووطنه والمجتمع ولمصلحتيه: الدنيوية التي لا تتعارض مع الشرع، والأخروية. وأن يرغب في أن يؤجر على ذلك، قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[١٢]، وألا ينشغل عن أداء عبادته في وقتها، أو ينجرف وراء معلومات لا يتثبت من صحة مصدرها وصدقيتها، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ (الحجرات:٦)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب»[١٣]، وأن يراعي الآداب العامة. وفي هذا الصدد على المرأة أن تتجنب استخدام صورها الشخصية، وألا تتميع في ما تكتب أو تتحدث به امتثالا لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (الأحزاب:٣٢).

الشاشات والدعوة

المعارك الأيديولوجية الآن على وسائل التوصل الاجتماعي حمي وطيسها، وهناك من يعملون من وراء ستار للتلاعب بموازين مجتمعاتنا الإسلامية المحافظة، ويسعون لاختراق أخلاقياتنا وعاداتنا وتقاليدنا، لذا فالإسلام بحاجة (إن لم يكن بشكل مؤسسي) إلى دعاة ذوي همم، مؤهلين علميا ومعرفيا وتقنيا، ومواكبين لتطورات هذه الوسائل المتسارعة وآلياتها، رغبتهم جارفة في العمل على استثمار فوائدها وإيجابياتها في مجال الدعوة إلى الإسلام ورسالته، ومدربين على كيفية اختيار الخطاب المناسب لنفسية المتلقي المراعي لبيئته الاجتماعية والجغرافية وخلفيته الثقافية.. يجلسون أمام تلك الشاشات يدعون إلى الله ويذبون عن حياض الدين، موظفين تلك التقنيات الحديثة لإيصال رسالتهم الدعوية بشكل جاد ممنهج مراعين أبرز الأولويات في التعامل مع هذه البرامج، من حسن توظيفها في مجال دعوي حقيقي، يعبر عن الإسلام بشموليته ويبرز جوهره وانفتاحه على الآخر.

بالنهاية

إن استخدام الهواتف والأجهزة اللوحية يجب أن يتمثل في تعزيز الاستعمال المسؤول لها، وأن يقترن ذلك بنظام توعوي مؤسسي متكامل، يبدأ من الأسرة وتدعمه المدرسة والنادي والمجتمع والدولة، وإذا ما اختل هذا النظام، فإن خطر هذا التقنيات الحديثة قد يعرضنا إلى ما لا تحمد عقباه، إذ إن التعامل مع الشبكة العنكبوتية وأدوات التقنية الحديثة محفوف بالمخاطر والشبهات والشهوات، رغم فوائدها العظيمة التي توفرها والتي لا تحصى.

الهوامش

١ – المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ص:٥٢٣.
٢ – تفسير الكشاف: جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ج١، ص:٦١٠.
٣ – تفسير النسفي: عبدالله بن أحمد محمود النسفي، ج١، ص:٢٨٢.
٤ – تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت.
٥ – لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.
٦ – الفروق: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي (ت:٦٨٤هـ)، تحقيق: عمر حسن القيام، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١.
٧ – مختار الصحاح، الجوهري.
٨ – مصطلح تواصل، الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٩ – أخرجه ابن ماجه: ١٤١٨/٢، حديث رقم ٤٢٤٥، وصححه الألباني.
١٠ – أخرجه البخاري: ٥٣/٣، حديث رقم ٢٠٥١؛ ومسلم: ١٢١٩/٣، حديث رقم ١٥٩٩.
١١ – أخرجه الترمذي: ٦١٢/٤، حديث رقم



عبدالله الظفيري
صحافي وباحث

أدركوا أولادكم

رغم أن الإنترنت والهواتف الذكية والأجهزة الإلكترونية المتطورة من منجزات العصر الحديث، وسهلت الكثير من أعمالنا وأمور حياتنا المختلفة، فإن ثمة مخاوف من الاستخدام المفرط لهذه الوسائل والذي قد يتحول إلى نوع من الإدمان وحالة مرضية تحتاج إلى علاج. ومع استمرار التطور التقني والتكنولوجي وابتكار أجهزة حديثة وأشكال جديدة للهواتف الذكية ووسائل الاتصال المختلفة، فإن المخاوف ترتفع وتيرتها لاحتمالية زيادة التعلق بهذه الوسائل وجعلها أدوات أساسية لا يمكن الاستغناء عنها في حياتنا لنظل معها متصلين على الدوام في الإنترنت. وليس ثمة سبب محدد للإدمان على شاشات الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر والأجهزة اللوحية وألعاب الفيديو المختلفة، فلكل حالة أسبابها، كما أن الادمان على هذه الأجهزة ليس له عمر معين، إنما تجد الصغار والكبار منجرفين في حالة إدمان على هذه الشاشات المختلفة، كذلك فإن أنماط إدمان الإنترنت تختلف وتتنوع، فهناك من يدمن على شبكات التواصل الاجتماعي وآخرون على التطبيقات الترفيهية وغيرهم على ألعاب الإنترنت. لكن ثمة أعراضا مشتركة بين جميع مدمني الشاشات، منها قضاء وقت كبير وساعات كثيرة في استخدام الإنترنت وتصفح المواقع والتطبيقات المختلفة، وإهمال الواجبات الحياتية والأسرية والاجتماعية نتيجة الانشغال في الإنترنت، واستغلال أي لحظة انتظار أو فرصة معينة لتصفح الإنترنت ومشاهدة الهاتف النقال، والرغبة في الانعزال وإمضاء وقت أكبر في مشاهدة الشاشات والإنترنت. كذلك تفقد الهاتف النقال بشكل دائم لمشاهدة الإشعارات والتنبيهات والاطلاع على الرسائل، والغضب السريع والشعور بالضيق عند مقاطعة التركيز في استخدام الإنترنت، إضافة إلى تراجع إنتاجية العمل والتحصيل الدراسي ومستوى الأداء بسبب استمرار التعلق الدائم في الإنترنت وشاشات الأجهزة الحديثة. وكذلك من مظاهر إدمان الشاشات تصفح الهاتف على السرير وحتى آخر لحظة قبل النوم وكذلك تفقد الهاتف فور الاستيقاظ من النوم، وأيضا في حال نسيان الهاتف أو نفاد شحنه فإن حالة من الغضب والقلق والتوتر تسيطر على المتعلقين في الإنترنت والأجهزة الذكية. ومن مظاهر إدمان الشاشات حمل الأجهزة إلى موائد الطعام، وتفضيل استخدام الهاتف وتصفح مواقع الإنترنت على الجلوس مع الأهل والأصدقاء.

أما علاج حالات إدمان الشاشات فيكون عبر تضافر الجهود الحكومية والمجتمعية للتوعية من مخاطر هذا النوع من الإدمان الذي تزداد مضاره ومخاطره الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية، عن طريق القيام بدور مشترك بين الأسرة والمدرسة والمجتمع ووسائل الإعلام من أجل إبراز سلبيات وتأثيرات التعلق الدائم في شاشات الإنترنت والمواقع والتطبيقات المختلفة. كذلك من وسائل علاج إدمان الشاشات استغلال وقت الفراغ في ممارسة الهوايات المختلفة والقراءة والألعاب الرياضية، وترك الهاتف في مكان خاص عند الدخول إلى الديوانيات وتجمعات الأهل والعائلة، إضافة إلى محاولة تخصيص يوم على الأقل في الأسبوع يكون بلا أجهزة حديثة، فضلا عن تحديد ساعات معينة لاستخدام هذه الأجهزة.



مشاري المحمد
صحافي وكاتب

الماء.. أساس الحياة على الأرض

تكرر ذكر الماء في القرآن الكريم عشرات المرات في دلالة على أهمية وجوده في الحياة. فعندما يكون الماء متوفرا فإن كل مقومات العيش الأخرى تكون موجودة، لذلك كان الناس عندما يشح الماء في مكان استقرارهم يرتحلون إلى مكان آخر بحثا عن الماء الذي يستفيدون منه في الشرب وري المزروعات وسقاية الأنعام وإقامة حياة آمنة ومستقرة، فكلما كان الماء متوافرا في أي موطن فإنه يزدهر وينتعش ويعيش القاطنون فيه بنعمة ورفاهية لتوافر كل مقومات وأسباب العيش الكريم، أما إذا حل الجفاف وشح الماء فإن الجوع والفقر والقحط هي البديل لقلة المياه.

وربما تستطيع بعض الكائنات العيش من دون طعام أو هواء لكنها لا تستطيع البقاء من دون ماء، فكل الكائنات الحية تحتاج إلى كميات من الماء للقيام بعملياتها الحيوية.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء:٣٠).

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ (البقرة:٢٢).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ (النحل:١٠).

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ (طه:٥٣).

ومن قدرة الله سبحانه وتعالى أنه أنزل الماء من السماء وأخرجه من الأرض وأساله في الأودية وأجراه في البحار والمحيطات، وهو أساس الحياة على الأرض يشربه الإنسان والأنعام وتروى فيه المزروعات والأراضي الجافة الميتة لتنمو وتزدهر بالنباتات والأشجار. ولقد خلق الله تعالى جميع الكائنات الحية من الماء، ولعل الإنسان مثلا يشكل الماء ما نسبته ٧٠ في المئة من وزنه، لأن أساس تكوُّن الخلايا هو الماء، وحتى تستطيع أعضاء الجسم القيام بوظائفها فإنها تحتاج إلى الماء لتقوم بعملياتها الحيوية.

ويعتبر الماء مادة شفافة عديمة اللون والرائحة، وهو أكثر المركبات الكيميائية انتشارا على سطح الأرض. ومن خواص الماء أنه يوجد في ثلاث حالات: الصلبة والسائلة والغازية، فيكون سائلا وهو الأكثر شيوعا مثل الأنهار والبحار والأمطار، عند الظروف القياسية من الضغط ودرجة الحرارة، ويصبح في الحالة الصلبة عند التجمد، مثل الثلوج والجليد، أما الحالة الغازية فتتشكل عند الغليان، وتسمى بخار الماء إذ تؤدي الحرارة العالية إلى تبخر الماء السائل وصعوده إلى الغلاف الجوي ليتكثف ويرجع يسقط سائلا على الأرض.

ويغطي الماء الذي هو أساس وجود الحياة على كوكب الارض أكثر من ٧٠ في المئة من سطح الأرض، في حين تشكل مياه البحار والمحيطات أكبر نسبة للماء على الأرض، لذلك شكل الحصول على المياه العذبة أمرا مهما وأولوية رئيسية لأهميته في التنمية وبناء حضارات الأمم، وهو ما يستوجب الحفاظ على نعمة المياه وترشيد استهلاكها وعدم الإسراف بها.





د. محمود صالح البيلي
دكتوراه في الأدب والنقد



من العلماء الأدباء

كان الدكتور مشرفة من السباقين إلى نشر الثقافة العلمية المبسطة عن طريق وسائل النشر المقروءة والمسموعة -آنذاك- فكان له الكم الهائل والفيض النافع من المقالات العلمية المتأدبة في كبرى المجلات السيارة، كما سلك سبيل التوعية العلمية عن طريق أحاديثه الإذاعية التي تبث على الجماهير عبر الأثير، ولم يسلك في ذلك مسلكا فرديا، وإنما نظم سلسلة من الأحاديث الدورية -بصفته عميد كلية العلوم- أطلق عليها اسم «أحاديث كلية العلوم»، يلقيها على الناس في الراديو أساتذة الكلية، وكان يعتقد أن قيام الكلية بهذا العمل إنما هو جزء من رسالتها في إتاحة الفرصة أمام الجمهور المثقف للوقوف على أحدث الآراء العلمية، والإلمام بما كشف عنه الباحثون من خفايا الكون وأسرار الحياة.

د.علي مصطفى مشَرفَة ونشر الثقافة العلمية

مشرفة سيرة ومسيرة

ولد د.علي مصطفى مشرفة سنة: (١٨٩٨م) في مدينة دمياط، وقد قضى السنوات الأولى من طفولته في رغد عيش وهناءة بال، إلى أن حلت بوالده في سنة: (١٩٠٧م) أزمة من أزمات القطن الشهيرة، أودت بمائتي فدان كان يمتلكها، وقبل امتحان الابتدائية بشهور فارق الوالد الحياة، وذهب علي يؤدي الامتحان؛ فأحرز المركز الأول في هذه الشهادة على القطر المصري سنة: (١٩١٠م).

وانتقل مشرفة وإخوته إلى القاهرة، والتحق بالمدرسة السعيدية الثانوية، وأدى امتحان البكالوريا سنة: (١٩١٤م)، وكان ترتيبه الثاني على طلبة القطر المصري، ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا إلى أن حصل على دبلومها سنة: (١٩١٧م)، وكان ترتيبه الثاني على الدبلوم، ثم ابتعث إلى إنجلترا وحصل على البكالوريوس في الرياضة مع مرتبة الشرف من جامعة لندن في خريف عام: (١٩٢٠م)، وفي فبراير (١٩٢٣م) حصل على درجة الدكتوراه في فلسفة العلوم في أقصر مدة تسمح بها قوانين الجامعة، ثم حاز درجة الدكتوراه في العلوم سنة: (١٩٢٤م)، فكان العالم الحادي عشر الذي حصل على هذه الدرجة، وأول مصري يحصل على هذه المكانة الرفيعة[1].

بعد عودته عين مشرفة أستاذا مساعدا في كلية العلوم سنة:

(١٩٢٥م)، ثم أستاذا للرياضة التطبيقية (١٩٢٦م)، فكان بذلك أول أستاذ مصري في كلية العلوم، ولم يتجاوز الثمانية والعشرين من عمره، ثم في سنة: (١٩٣٠م) انتخب وكيلا لكلية العلوم، ثم عين عميدا لها سنة: (١٩٣٦م)، وظل في هذا المنصب حتى لقي ربه[٢].

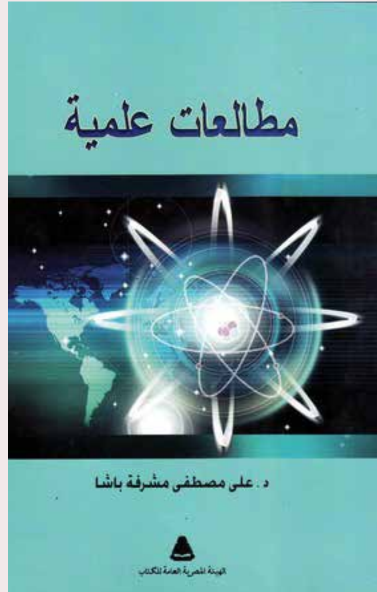
جهوده العلمية ومؤلفاته

آمن مشرفة إيمانا عميقا بالعلم، وبأهمية تطبيقه في الحياة، وكانت هذه هي الفكرة الغالبة على أعماله ومؤلفاته، وكان يستنهض الهمم إلى العناية بأمر العلم، والبحوث العلمية التطبيقية؛ فأسهم مع عدد من زملائه في تأسيس الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية سنة: (١٩٣٦م)، وكان من مؤسسي جمعية خريجي كليات العلوم، والجمعية المصرية لتاريخ العلوم، والأكاديمية المصرية للعلوم، وقد اختير عضوا في المجمع العلمي المصري سنة: (١٩٣٣م)، وعضوا في المجلس الأعلى للبحوث سنة: (١٩٣٦م).

ومن مؤلفاته النظرية النسبية الخاصة- نحن والعلم- الذرة والقنابل الذرية- العلم والحياة- مطالعات علمية[٣].

وفاته

لبى مشرفة نداء ربه سنة: (١٩٥٠م) وقد خرجت الجامعة عن بكرة أبيها -أساتذة وطلابا- لتشييع جنازته، وقد اتشحوا بالسواد لأول مرة في تاريخ الجامعة، وخرجت جماهير الشعب المصري من كل حدب



وصوب يشيعون جثمان رجل من القلائل، ولما سمع أينشتين بهذا الخبر لم يصدق أذنيه ثم قال: «لا تقولوا إن مشرفة مات!... إنها خسارة كبيرة»[٤].

وقد نعت الإذاعة في أمريكا مشرفة ووصفته بأنه: «واحد من سبعة علماء في العالم يعرفون أسرار الذرة»[٥].

وقال عنه د. طه حسين في حفل تأبين أقيم للفقيد: «فارقنا مشرفة، فلم نمتحن فيما كانت قلوبنا تضمر له من ود وحب، ولم نمتحن فيما كنا نستمتع به من زمالة وإخاء فحسب، ولكن مصر كلها امتحنت في علم من أعلامها، ومن أعظم أعلامها ارتفاعا، وبعد ذكر في الآفاق»[٦].

تبسيطه للعلوم

كان مشرفة مؤمنا بنشر الثقافة العلمية على مستوى واسع، من خلال تقديم العلوم المختلفة بشكل مبسط للعامة «وقد استكتبته -لنصاعة أسلوبه وإشراق عبارته وجدة فكرته وحداثتها- بعض الصحف، والمجلات المحترمة، في ذلك الوقت»[٧].

وعلى الرغم من المستوى الرفيع الذي وصل إليه مشرفة في إجادة اللغة الإنجليزية؛ فقد كان من أنصار العربية، لغة للعلم والتعلم، ذلك أنه كان يؤمن إيمانا قاطعا بأننا إذا لم ننقل العلوم إلى لغتنا، وندون فيها، فسنبقى عالة على غيرنا من الأمم[٨].

ومن ثم فقد كان محبا للأدب، منافحا عنه مدركا لدوره، يقول د. عبد الحليم منتصر: «وقفت أمامه في مناظرة مع د. طه حسين وتساءلت في حديثي: دلوني على أمة رعت استقلالها وحمت ذمارها بشعر شاعر أو أدب أديب؟ فرد على تساؤلي بقوله: أنا أدلكم على تلك الأمة، وهي مصر وزعيمها سعد زغلول -وكانت ذكرى سعد مازالت تملأ الدنيا- فصفق الحضور طويلا فهمس د. طه حسين هذه هي القنبلة التي يرتكن عليها، لكن.. ولو»[٩].

قال عنه توفيق الحكيم: «وقد أدهشني أن عالما متخصصا في الرياضيات العليا يمكن أن يهتم برواية «عودة الروح»، وكان من الطبيعي أن أعرفه بعد ذلك معرفة شخصية... فعلمت أنه على اطلاع واسع بالثقافة وفروعها، من أدب، وفكر، وفن»[١٠].

سمات المقال العلمي المتأدب لدى مشرفة

حين يدقق الباحث في المقال

العلمي المتأدب لدى د. مشرفة يجده حافلا بتنوع القوالب التعبيرية، واختلاف ألوان الأساليب الفنية، وتتداخل تلك الأنواع التعبيرية لديه حين يجتمع عليه أكثر من باعث أو مثير؛ يجعله يلون مقاله بأكثر من أسلوب؛ بحيث يمزج في المقال الواحد بين أكثر لون تعبيري، كأن يجمع بين الأسلوب الوصفي والحواري، أو بين الأسلوب الوصفي والقصصي والحواري، أو يوائم بين الأسلوب الساخر والمباشر والقصصي؛ وما ذلك إلا رغبة لإنشاء مقال مثير للقارئ، لافت للانتباه.

فمما وظفه مشرفة في مقالاته الأسلوب الحواري وهو من الأساليب الفنية الماتعة؛ إذ إنه يضفي على المقال إثارة وجاذبية؛ بسبب ما يمنحه من خصيصة تحويل المسائل العلمية العويصة إلى موضوعات قابلة للحوار المتبادل بين طرفين، سواء أكان حوارا واقعيا حدث بالفعل، أم متوهما مبتدعا من خيال الكاتب الخصب؛ بغية تيسير العسير من مسائل العلم التطبيقي، ومن أشكال هذا اللون الأخير اصطناع طرفين يتحاوران، يجري الكاتب على لسانهما ما يريد أن يقدمه من رؤى وأفكار، بغية تجلية الفكرة عن طريق المحاورة بدل السرد المباشر، وأفاد مشرفة أحيانا من الأسلوب الساخر الذي يهدف إلى إثارة الفكاهة بين حنايا المقال، وقد اعتمد لون السخرية الهادئة التي تبعث في النفس الدعابة والابتسام، على أنها لا تغلف مقاله بأسره؛ بل تأتي مبثوثة بين جنباته عفو الخاطر، مما يمنح المقال متعة وجاذبية ترطب من جفاف المادة العلمية، وتسكب النضارة والرقة في تضاعيف أفكاره، ومصطلحاته الجامدة، وعلى سبيل المثال بعد أن استفاض في شرح قانون «القصور الذاتي» في مقال يحمل العنوان ذاته؛ علق ـ في صورة نصيحة فكهة للقراء ـ بقوله: «فإذا شك أحد القراء الكرام في كلامي هذا ما عليه إلا أن يتحقق من صحته بنفسه؛ بأن يتعرض لجسم متحرك كحجر منطلق في الهواء -مثلا- محاولا إيقافه، أو تغيير اتجاه سيره، ونصيحتي في هذه الحال أن يختار جسما صغيرا ذا سرعة ضئيلة، وإلا عظمت التضحية في سبيل العلم»[١١].

المزاوجة بين الجملة الخبرية والإنشائية

قسم البلاغيون الكلام إلى: خبر، وإنشاء وجعلوا لكل منهما غرضا ومناسبة، فكان الغرض من إيراد الأسلوب الخبري؛ تقرير المعنى وتوضيحه، ومناسبته تتأتى حين يعرض الكاتب حقائق واقعة لا مرية فيها، أو عندما يروم التأثير في عقل المخاطب لإفهامه ما كان يجهل، أما الأسلوب الإنشائي فغالبا ما يستدعيه الأديب؛ رغبة في إثارة ذهن المخاطب، ومداعبة مشاعره، وإيقاظ أحاسيسه، والتأثير في وجدانه، ولذا فإن المقال العلمي المتأدب لدى د.مشرفة يتكئ في تكوينه -بكثرة- على الجمل الخبرية؛ لما بينهما من تلاق في الهدف، ومناسبة في الطبيعة -وهذا أكثر من أن يدلل عليه لأنه يشمل الفضاء الأوسع للمقال لديه- وحينما يجمع بين الأسلوبين الخبري والإنشائي؛ فإنما يريد للقارئ أن يشاركه أفكاره بإفادته مضمون الخبر وتوضيح جزئياته، وليثير ذهنه، ويجذب انتباهه، ويبعد عنه الملل، بالتنوع في أساليب الخطاب؛ مما يكسب الموضوع الحيوية، والتدفق، والتلوين، والتشويق.

ومن ذلك ما جمع فيه بين الأسلوب الإنشائي -متمثلا في الاستفهام، والتعجب، والأمر- والأسلوب الخبري في فقرة واحدة بقوله: «ولعل بعض حضرات القراء يملك أسهمًا في شركة النور، أو شركة الترام، ولعل هذه الأسهم تساوي ألف جنيه أو عشرة آلاف، أو أكثر من ذلك أو أقل... ألا فخبروني، هل كانت الثروة توجد لولا العلم، ولولا اكتشاف الكهرباء، ولولا اختراع المولدات والمحركات الكهربائية؟ وما معنى شركة النور، أو أسهم شركة النور بدون المولدات التي تبعث النور، أو شركة الترام بدون المحركات التي تحرك الترام؟ ألا ترون أن هذه الأسهم، وما تمثله من أموال، إنما هي أثر من آثار العلم، ونفحة من نفحاته؟ وإذا كان العلم هو صاحب الفضل الأول، فما أجدره بأن يكون المشرف، والمعين، والناصح الأمين! وما أخلق الأثرياء الذين يقومون على هذه الأعمال بأن يطبقوا الطرق

العلمية، والبحوث العلمية والعقلية في رعاية هذه الأموال وتنميتها، وتسخيرها لخدمة الإنسان!»(١٢).

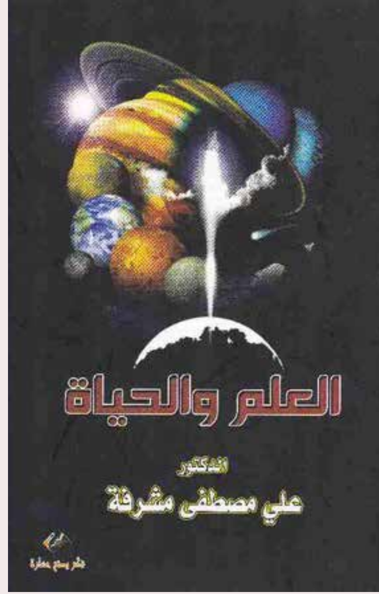
التأثر بالنصوص البليغة

زخر المقال العلمي المتأدب لدى مشرفة بكثير من صور التأثر بالنصوص البليغة؛ حتى قل أن تجد مقالا يخلو من استشهاد بقول بليغ بلفظه، أو باستلهام روحه ومعناه؛ وما ذلك إلا لمعرفة كاتبنا التامة أن فصيح الكلام يغلف المقالة بغلالة رقيقة من المتعة والرواء؛ فالنصوص المقتبسة تضفي على الأدب المقالي نصاعة وبهاء، قل أن يوجدا من دون أن يتريض الكاتب في شتى بساتين البلاغة؛ فيقطف زهرة من هنا، أو يجني ثمرة من هناك، أو يغوص في بحور تلك النصوص الزاخرة التي أثبت الزمان ديمومة فصاحتها؛ فيؤوب بصيد ثمين من الدر المكنون، ومن المصادر البلاغية الرائقة التي استقى الكاتب بعض جواهرها: القرآن الكريم والحديث الشريف ويظهر ذلك في مقالاته بكل وضوح، ويلتمس من غير عسر.

فمن صور الاقتباس القرآني السائدة أن تُستلهم الآية بمعناها؛ حيث يورد الكاتب المعنى من القرآن الكريم، ويوظفه في مكانه المناسب من النص المقالي دون الإشارة إلى أنه من الكتاب الشريف، ومن النماذج الشاهدة على هذا ما جاء في قول مشرفة: «الذي ينظر إلى طائفة العلماء، والمخترعين، ومن إليهم كأسرة واحدة، بعضهم لبعض ظهير...»(١٣).

ويتجلى الاقتباس القرآني -كذلك- لدى كاتبنا حين يقتبس معنى أكثر من آية في موضع واحد، ومن ذلك حين تحدث عن العلم، وما عساه أن يقدم لعمران البشرية فقال: «فالعلم سواء أكان بحتا أم تطبيقيا هو العلم، وشجرة المعرفة بأصولها وفروعها وثمارها وحدة لا تتجزأ، وهي إما شجرة طيبة تؤتي أكلها، ويمتد فيؤها؛ فتكون خليقة بأن تنمو وتترعرع، أو هي شجرة خبيثة، وإذن يتعين أن تجتث جذورها»(١٤).

وكما كان القرآن العظيم رافدا مهما من روافد الصورة المغلفة بالحكمة والبلاغة، التي زين بها مشرفة مقالاته؛ كذلك كان الحديث الشريف ومعانيه المباركة، وفصاحته الخالدة عونا له في إضفاء روح السمو على صوره التي يقتبسها من رياحينه الفواحة، ومن صور اقتباس الحديث أن يقتبس الكاتب معنى الحديث، وذلك عندما يشير إلى معناه أو مضمونه العام من غير دلالة موحية إلى أنه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى هذه الصورة



ما جاء للدكتور مشرفة عندما تحدث عن الثري الذي يملك آلاف الفدادين، ويهيمن عليها، ويقوم على شؤونها، وهو في أرضه صاحب سلطان؛ فله الرأي الأخير، والكلمة المسموعة، ثم يردف كلامه بقوله: «وما من شك في أنه مسؤول عن زراعة أرضه، وحُسن استغلالها، ثم إنه يستخدم العمال والفلاحين، وغيرهم من الموظفين، وهؤلاء منزلتهم منه منزلة الرعية، ومنزلته منهم بمنزلة الراعي، وكل راع مسؤول عن رعيته»(١٥).

الهوامش

١ - ينظر: الأعلام للزركلي، ج ٥، ص ٢٣. وينظر كذلك بتصرف: مشرفة سيرة حياة : د. محمد الجوادي. دار الشروق.
٢ - ينظر: السابق.
٣ - ينظر: السابق.
٤ - مشرفة سيرة حياة: د. محمد الجوادي، ص٦٠.
٥ - السابق، ص٦١.
٦ - السابق، ص٦٢، ٦٣.
٧ - فرسان الثقافتين: د. محمد فتحي فرج، ص٦٠.
٨ - مشرفة سيرة حياة: د. محمد الجوادي، ص٥٥.
٩ - ذكريات عطرة وخواطر عابرة: د. عبد الحليم منتصر، ص٢٠.
١٠ - مشرفة سيرة حياة: د. محمد الجوادي، ص٥٥.
١١ - مقال: القصور الذاتي: د. علي مصطفى مشرفة، ص١٩٦، مجلة الرسالة، العدد رقم٤٢، ٢٣ أبريل ١٩٣٤م.
١٢ - العلم والحياة، مقال: العلم والمال: د. علي مصطفى مشرفة، ص٢١،٢٢.
١٣ - مقال: أين يسير بنا العلم.. إلى العمران أم إلى الدمار؟: د. علي مصطفى مشرفة، ص ٨١، مجلة الهلال، العدد ٢، ١ ديسمبر ١٩٣٤م.
١٤ - السابق.
١٥ - العلم والحياة، مقال: العلم والمال: د. علي مصطفى مشرفة، ص٢٢.

أ. د. محمد حسان الطيان
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق



الاعتماد الأكاديمي.. والاعتماد الرباني

تسعى الجامعات الناشئة أول ما تسعى لنيل اعتمادين اثنين:

أولهما: الاعتماد المحلي، وهو اعتماد وزارة التعليم العالي في البلد الذي يضم هذه الجامعة، إذ تكتسب الجامعة شرعيتها وقيمتها وأهميتها من هذا الاعتماد، وما لم يتحقق هذا الاعتماد فلا مصداقية لها، ولا رغبة فيها؛ فما فائدة الدراسة في جامعة لا تقبل شهادتها في بلدها؟!

وثانيهما: الاعتماد الأكاديمي، وهو اعتراف جامعة عالمية مرموقة بها، وببرامجها، ومناهجها، وقد يصل الأمر إلى عقد توءمة معها، وهذا أمر معنت للغاية، يكلف الجامعة الكثير من الجهد والوقت والمال، والسعي للوصول إلى القمة فيما يدعى بضمان الجودة، إنها رحلة عناء ونصب وتعب، ولكن نهايتها جميلة مشرقة ترقى بالجامعة إلى مصاف الجامعات المعتمدة عالميا.

ولا ريب أن فوز الجامعات بهذين الاعتمادين أمر عظيم، ونجاح يستحق أن يذكر فيشكر، وأن ينوه به، وبمن سعى إليه، واستطاع أن يحققه.

الاعتماد الرباني

على أن ثمة اعتمادا ثالثا لا يقل أهمية وقيمة وشرعية عن الاعتمادين السابقين - بل يفوقهما - وإن لم يكن موثقا بأوراق، ومبرما باتفاقيات، إنه الاعتماد الرباني الذي يكمن في تحقيق رضا الله سبحانه، وذلك بالقيام بحق الأمانة التي استؤمن عليها من خول أمر هؤلاء الطلبة، والنهوض بالمسؤولية عن هؤلاء الطلبة الذين يسلمونه زمام أمورهم، وأمانة تعليمهم، وثمرة عقولهم، أتراه يحسن قيادهم وتعليمهم وإرشادهم، أم يشغله سوق العمل فحسب، وتحقيق أعظم ربح ممكن على حساب كل شيء بالغا ما بلغ أمره.. وقيمته.. وأهميته.. وخطورته؟!

إنها أمانة ومسؤولية وعهد وعقد...

والله سبحانه يقول:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ا (الأحزاب:٧٢).

أي كان ظلوما جهولا لأنه قصر في الوفاء بحق ما تحمله.

والنبي ﷺ يقول: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير راع وهو مسؤول، والرجل راع على أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة، ألا وكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته».

إنصاف الطالب والأستاذ

أوترى هذا القيم على الجامعة يعطي لكل ذي حق حقه، فلا يبخس أحدا حقه، ولا يظلم ولا يحابي، ولا يداهن ولا يجامل، ولا يتعدى الحدود المطلوبة سلبا أو إيجابا، نجاحا أو ترسيبا، واختيارا للأمثل من المدرسين والمحاضرين والأساتذة المتخصصين؟!

وإنصافا للدرجات العلمية والترقيات الأكاديمية التي يبذل في سبيلها الأستاذ الجامعي كل جهده، ووكده، ووقته، فتستنفد طاقته، وتأكل أجمل سني عمره، ويقتطعها من حقوق أهله وزوجه وأولاده ومجتمعه عليه، ثم إذا بلغ ذروتها وأعلاها قيل له: مبارك عليك، دون أن يصرف له أي مكافأة مستحقة، أو أي علاوة نصت عليها اللوائح والقوانين الأكاديمية في دنيا الجامعات..؟!

أعلمت أشرف أو أجل من الذي
يبني وينشئ أنفسا وعقولا
يا أرض مذ فقد المعلم نفسه
بين الشموس وبين شرقك حيلا

إن المعلم إذا لم ينصف ويكرم ويعز ويوقر كان الوبال على الأمة كلها، لأن في إنصاف المعلم وتكريمه إنقاذا لعملية التعليم وبناء الأمة بناء قويما، وفي ظلمه وهوانه تخريبا للتعليم، وهدما للأمة، وتقويضا لدعائم قيامها ووجودها وازدهارها وحضارتها.

يقول المولى سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر:٩)

ويقول النبي ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على

معلم الناس الخير».
مخطئ من ظن يوما أن ما يتقضاه المعلم أو المدرس أو الأستاذ الجامعي المخلص في عمله يعدل ما بذله من جهد... أو يفي بما قدم من عمل..
أي معادلة هذه يا رجل؟! المعلم المخلص يبني أمة.. وما يتقاضاه عرض زائل منتهاه إلى القمة (المزبلة).
روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبعض ولد هرم بن سنان: أنشدني ما قال فيكم زهير. فأنشده، فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن. قال: يا أمير المؤمنين: إنا كنا نعطيه فنجزل. قال عمر: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.
والمعلم كذلك يذهب ما يعطى، ويبقى ما يعطي.

المقررات والمتطلبات الجامعية

ثم قبل هذا كله، وبعد هذا كله، لا بد من طرح هذا السؤال على من يقوم بأمر الجامعات: أتراه ينظر بعين الأمانة والمسؤولية لما يطرحه من مقررات غير تخصصية لا بد منها لاستكمال متطلبات الدراسة الجامعية، فيطرح ما يفيد ويرتقي بالطالب وعلمه وخلقه ودينه ولغته، أم يعرض عن هذا كله، فيستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير!

العربية وأهميتها في الدراسة الجامعية

وهنا يحضرني أمر في غاية الأهمية والخطورة، إنه أمر اللغة العربية التي بها يحمل الطالب علمه، ويتواصل مع غيره، ويحفظ دينه، ويرضي ربه، ويتشبث بأصالته وجذوره، ويقرأ قرآنه، ويعرف تاريخه، إنها هويته، أفيعزف المرء عن هويته وينكر وجوده؟!
ولله در الشاعر محمود درويش إذ يقول:

«أنا لغتي..
أنا ما قالت الكلمات:
كن جسدي
فكنت لنبرها جسدا...»

ومع هذا كله ترى بعض الجامعات تستخف بالعربية ولا تعيرها بالا ولا أهمية، بل لا تقيم لها قيمة، فهي آخر ما يهمها، بحجة أن سوق العمل لا يحتاج إليها! فترى مناهجها تزيد الطالب بعدا عن لغته، وزهدا فيها، وعزوفا عنها، بل أكاد أقول: عداوة لها، عند ذوي النفوس الضعيفة، والثقافات المستغربة، والوعي والحس الوطني والديني المغيب.
ومن قال إن سوق العمل هو كل ما يعول عليه المرء في هذه الحياة؟ هب أن الأمر كذلك! ولكن بم يؤدي المرء صلاته، وبم يقرأ قرآنه، ويشعر بأصالته، ويثبت هويته، ويعرف تاريخه، ويتواصل مع أبناء أمته؟! ويكون له حضوره في كل محفل، وأثره في كل ناد؟!
إنها العربية أيها السادة الحصن الوحيد الباقي لنا من حصوننا، التي تحاول كل قوى الشر في العالم أن تقتلعها من نفوسنا، لأن في اقتلاعها ذلنا وضعفنا وتهاوينا، وتبذل في ذلك الغالي والنفيس، فيأتي أناس من بني جلدتنا لينفذوا لهم مآربهم ويبلغوهم مقاصدهم مجانا ودون مقابل!! إنها الأمانة التي ضيعوها، ولم يرعوها حق رعايتها.
قال حجة العربية والأدب مصطفى صادق الرافعي رحمه الله في كتاب «وحي القلم»:
ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد:

أما الأول: فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا.
وأما الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا.
وأما الثالث: فتقييد مستقبلهم بالأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع.

نفثة شعرية:

وختاما فهذه نفثة شعرية لمعلم عانى التدريس وكابده وأخلص له وأصفاه زهرة عمره، وهو يرجو ثواب ربه، إنه الأستاذ صالح مصلح المالكي يقول فيها:

أفنيت في التدريس كل شبابي
وغرست دين الحق في طلابي
سيقدر الطلاب جهدي بينهم
والفضل يعرفه ذوو الألباب
سل دفتر التحضير بل وحقيبتي
في الفصل سل سبورتي وكتابي
سل مكتبي ووسائلي ودفاتري
تنبيك أني فارس الإعراب
وسل المجند أنني درسته
وسل الإمام الفذ في المحراب
وسل الطبيب إذا مررت بداره
أضحى طبيب القلب والأعصاب
وسل المهندس كيف أضحى فارسا
رفع المباني فوق كل سحاب
واهمس بأذن موجهي بلباقة
كي لا يسخر نقده لعتابي
واذكر بأني في الورى أستاذه
كم كان للتعليم يطرق بابي
كم كنت أعصر فكرتي كي يرتقي
واليوم يرصد عثرتي وغيابي
كم كنت جسرا للعبور أنا الذي
أرشدت طلابي لكل صواب
في فسحة الطلاب أشرف واقفا
والاحتياط علاوة لنصابي
كابدت في التدريس كل مشقة
لكن ربي لن يضيع ثوابي



أ.د. عبد المنعم عبد الله حسن
الأستاذ في كلية اللغة العربية بالمنصورة

اللّه أكبر.. إنها عرفات

النور، والخيرات، والبركات ... آي تفيض بسرها عرفات
سبحت بها مهج الحجيج، وسبحت ... والذكر، والتهليل، والدعوات
ملأ الفضاء الرحب إشراق الهدى ... وتجلت الأسرار والآيات
وتعددت صور التقرب، ها هنا ... في كل ركن للتقى هالات
روض من الإيمان، يورق زهره ... حسنا، زهت بجماله الطاعات
ولمن يجيب السائلين، تضرعت ... كل القلوب، وتجأر الخفقات
«يارب» فاض بها الشعور، فمثلت ... دمعا تضيء بطهره الوجنات
وترى دموع التائبين تفجرت ... نهرا، تذوب بدفقه الهفوات
ويبوء بالخسران إبليس الذي ... تغشاه يوم صغاره الحسرات
ويجود ربك بالقبول، وبالرضا ... وعلى الورى، تتنزل الرحمات
والله باهي بالحجيج ملائكا ... هاهم عبادي، كلهم إخبات
شعثا أتوا من كل فج، عزمهم ... قصد السبيل، وتشهد النيات
الله أكبر، إنها ساح الهدى ... الله أكبر.. إنها عرفات

شذرات

عمرو طه
قاص مصري

وإذا لم تكن قادرا أن تنال ما تطمع فيه، فلتكن قادرا ألا تطمع فيما قُطعت عنك أسبابُ نيلِه، فإن غاية القدرة في الحالتين: الرضا.

الرافعي

كل مصحوب ذو هفوات والكتاب مأمون العثراًت.

ابن المقفع

بدلا من أن تبادر بالهجوم على الشخص الناجح، بادر إلى أن تصبح أكثر نجاحا منه، ذلك هو الفرق بين الحقد والطموح.

ستيفن كوفي

أن تكون محل ثقة هي نعمة أكبر بكثير من أن تكون محبوبا فقط.

نجيب محفوظ

إن الإنسان يجب أن يبقى غاية للإنسان مهما كلف الأمر.

تودوروف

حتى إن البعض أصبح يحتفظ برأيه لنفسه خوفا من فقدان من يحبهم بسبب عقليتهم المتحجرة المقصية للرأي الآخر.

دوستويفسكي

محمد ثابت توفيق
قاص وكاتب مصري



وجه في الحرم

في طواف الوداع لمحته من جديد...

هذا الوجه رأيته مرارا وتكرارا خلال رحلة الحج؛ نظرت إلى ملامحه أكثر حتى لكأني أريد الاحتفاظ بها في ذاكرتي إلى أطول وقت ممكن.

كان يتحرك أمامي مباشرة في حماس ظاهر، وهدوء أكسب ملامحه مزيدا من الطمأنينة والوقار، أردت الاقتراب منه وسؤاله:

- هل أراك مجددا بعد انتهاء الرحلة الإيمانية العطرة؟

كنت قد رأيته فور صعودي إلى الطائرة من بلدي ذاهبا إلى الأرض المقدسة؛ كان يصعد السلم أمامي بخطى واثقة متمهلة، لكن ربما كان أقل طولا منه الآن..وهو يطوف طواف الوداع..

رأيته بعد ذلك في فوق جبل عرفات، رأيته من قبل يصلي في الحرم المكي؛ وفي كل مرة كانت تفصيلة في وجهه وجسده تختلف؛ رأيته أيضا في الحرم المدني يبكي شوقا وحنينا في الروضة المباركة. لكن لماذا أرى هذا الرجل بالتحديد



أثناء أدائي الفريضة؟
دققت في وجوه المئات من حولي.. وخيل إلي أمر رايته غريبا.. في المسجد الحرام رأيت الرجل مرتين، مرة يصلي وكان أكثر نحافة من هذا الذي يطوف أمامي الآن؛ وأراه مرة أخرى الآن.. نفس الوجه لكن الطول أقل وكذلك حجم جسده.

فوق جبل عرفة متأكد من أني رأيته أيضا رافعا كفيه فيما تمتلئ عيناه بالدموع.. ولكنه كان بلون لحية شقراء؛ وهذا الذي أمامي الآن غزير شعر اللحية السوداء.. فكيف يتأتى أن أرى الرجل نفسه كل مرة بهيئة مختلفة؟.. مع أنه أكثر من مرة كان بملابس الإحرام.

ذات مرة رأيته طويلا بدينا إلى حد ما.

وأخرى رأيته أقصر من الذي رأيته من قبل.

وثالثة رأيته أبيض الوجه أشقر شعر اللحية.

ورابعة رأيته أسمر البشرة بلحية سوداء كثيفة.

كيف يمكن أن يكون نفس الذي يؤدي الفريضة بهذه المعالم المتغيرة كل مرة أراه فيها؟

دققت النظر فيما أتابعه أمامي الآن.. فرأيته أمامي مباشرة يطوف بالكعبة؛ ثم يبدو أنه تأخر فصار ورائي بمسافة، ثم غفلة رأيته بنفس الهيبة والوقار وملامح الإيمان التي تبدو عليه يسير إلى جواري مباشرة؛ هذه المرة حرصت على ألا يضيع من بين عيني.

دققت أكثر في ملامحه فهالني أنه هذه المرة بأنف أطول من كل مرة رأيته فيها من قبل وشارب كثيف.. بل إنه كان بلا لحية!

بعد انتهاء الطواف كانت الأسئلة تتكاثر بداخلي:

– كيف يمكن لي أن أرى رجلا واحدا بملامح متغيرة في الجسد بل الوجه؟!

قلت له:

ـ أأنت عربي؟

قال في بطء:

ـ أعرف العربية لغة القرآن.. لكنني لست عربيا.

سألت في حيرة أشد:

ـ لكنني رأيتك معي في الطائرة التي جاءت بي من بلادي؟

قال في لطف:

ـ وهل رأيتني مرة أخرى أخي الفاضل؟

ـ نعم رأيتك مرتين في الحرم المكي وثالثة في المدني.. وكنت رأيتك أيضا في عرفات.

ابتسم في صفاء شديد.. وهز رأسه مستوعبا الموقف وأشار إلى المصلين والطائفين حول الكعبة:

ـ وانظر هنا.. هل تراني؟

ثم أشار إلى الخلف وقال:

ـ وهناك هل تراني؟!

نظرت إليه أكثر.. ورحت أدقق في جميع الاتجاهات.. جميع الحجاج الرجال كانوا يشبهونه إلى حد كبير؛ هل لم أعد أبصر جيدا؟

فركت عيني.. فقال محدثي بلطف أشد:

ـ أنت تراني منذ بداية أدائك للفريضة في الوجوه من حولك لا لعيب في عينيك يا أخي الفاضل؛ بل لأننا جميعا بالفعل إخوة في هذا الدين العظيم.. وهنا نخرج من الدنيا ونرجو الله قبولنا فنصير جميعا بلباس واحد وملامح تبدو أحيانا للعين واحدة.. لأننا فحسب نرجو رحمة الله!

أ.د. محمد إبراهيم العشماوي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه في جامعة الأزهر



في توجيه حديث!

كثيرا ما ينصح بعضهم الغاضب بما نصح به النبي ﷺ من سأله النصيحة، بقوله: «لا تغضب»، وربما ضم إليها قوله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»!

والحق أن هذه النصيحة النبوية ليست على إطلاقها، وأن الغضب ليس مذموما ولا منهيا عنه بإطلاق؛ بل منه ما يكون واجبا، ومنه ما يكون مندوبا، ومنه ما يكون حراما، بحسب الداعي إليه، والحامل عليه!

فالغضب الواجب ما كان لأجل الله، وفيما يغضب الله، من الكفر والمعاصي، وقد غضب النبي ﷺ حينما انتهكت حرمات الله، فغضب من رؤية التصاوير في ستائر البيت، وغضب ممن أطال الصلاة بالمسلمين، وغضب ممن لعن البعير الذي يركبه، وغضب حين رأى نخامة في القبلة، وكان يشتد غضبه في الموعظة، وتنتفخ أوداجه، ويعلو صوته، ويتغير لون وجهه، ولا يقوم لغضبه شيء!

والغضب المندوب يكون عند وقوع أخطاء لا تصل إلى درجة المعصية، كغضبه ﷺ ممن كان يلح عليه في السؤال، كمن سأله عن أنواع الضالة من اللقطة، والغنم، والإبل، فغضب ﷺ عندما سأله عن الإبل؛ لأن حكمها حكم الغنم، فسؤال السائل عن النظائر - مع معرفة الجواب عن الأصل - لا محل له!

ومن هذا الباب غضب المعلمين على الطلاب إذا أخطأوا السؤال أو الجواب، بما يدل على عدم الفهم والاستيعاب! فهو غضب تربوي أكثر منه حظا للنفس!

وأما الغضب المحرم فهو ما كان في الباطل، وانتصارا للنفس بالهوى من غير حق، أو تعصبا لها أو لغيرها!

على أن الغضب فطرة إنسانية، تدل على استقامة الطبع الإنساني واستوائه، ما دامت في حدودها المعقولة، عند وجود الأسباب والدواعي، وقد وصف الله بها خيرة أنبيائه ورسله، فقال عن سيدنا موسى وهو من أولي العزم من الرسل: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾، فكان غضبه لأنهم عبدوا العجل حين ذهب لميقات ربه، بعد أن نجاهم الله من فرعون وقومه، وحق له أن يغضب من هذا الكفر والجحود!

ثم مدحه بقوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾!

وكذلك وصف سيدنا يونس بقوله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ أي مغاضبا قومه لتكذيبهم إياه، وتكذيب الرسول كفر، ومع هذا يجب عليه الصبر حتى يقضي الله أمره!

والناس في الغضب أربعة أنواع - كما في الحديث - بحسب القسمة العقلية: بطيء الغضب، سريع الفيء، وهو خيرها على الإطلاق!

وسريع الغضب، بطيء الفيء، وهو شرها على الإطلاق!

وبطيء الغضب، بطيء الفيء!

وسريع الغضب، سريع الفيء!

والغضب فضيلة محمودة ما دامت مضبوطة بضابط الشرع والعقل، بلا إفراط أو تفريط، فالمفرِط فيها كالمجنون، والمفرِط فيها كالحمار، كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه - ويروى أيضا عن سيدنا جعفر الصادق -: «من استغضِب، فلم يغضب فهو حمار» أي عند وجود الداعي الشرعي إلى الغضب!

وسمى النبي ﷺ الرجل الذي لا يغار على نسائه، ولا يغضب لانتهاك حرماته ديوثا، وكفى به ذما لمن لا يغضب عند وجود داعي الغضب!

وينبغي لمن أباح له الشرع أن يغضب ألا يجاوز حدود الشرع في الغضب؛ فإن الغضب ضرورة، والضرورة إنما تقدر بقدرها!

فأما غضب العلماء من التطاول عليهم؛ فهو عندي مندوب إليه، صيانة لحرمة العلم، فهو غضب لله، لا لأنفسهم؛ ليعرف الناس قدر العلماء، فيوقروهم!

وقد غضب النبي ﷺ من أبي عزة الشاعر حين هجاه - وكان كافرا - فوقع في الأسر، فاعتذر للنبي ﷺ بأن عنده بنات، وأنه لن يعود، فمن عليه، وأطلق سراحه، كرما منه وفضلا، ثم عاد فهجاه، فأسره المسلمون، فغضب النبي ﷺ إجلالا لمنصب النبوة أن يتطاول عليه السفهاء، فلم يطلق سراحه هذه المرة، وقال قولته المشهورة التي صارت مثلا: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»!



هبة فوزي
باحثة تربوية وكاتبة مصرية

هنيئا للمسلمين بعيدهم

شرعت صلاة العيدين: الفطر والأضحى في السنة الأولى من الهجرة، وهي سنة مؤكدة؛ يخرج إليها الرجال والنساء لأداء هذه الشعيرة العظيمة ولتبادل التهاني. والعيد كما جاء في المعاجم العربية: «يوم يحتفل فيه بذكرى عزيزة وسعيدة، والسعيد هو من أحس بالرضا والفرح، والسعادة: حال ينشأ عن إشباع الحاجات الإنسانية. وسعادة المسلم بالغة حينما يستقبل عيد الفطر بعد صيام شهر رمضان، وحينما يستقبل عيد الأضحى بعد صيام العشر الأول من شهر ذي الحجة. كما أن فضل هذه الأيام لا يعادلها فضل، فعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله من هذه الأيام. قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع بشيء من ذلك» رواه الجماعة إلا مسلم والنسائي. ومما يذكر أن الإسلام لم يحرم الفرحة والبهجة، فاللعب المباح واللهو البريء فذلك من الدين، فهي رياضة للبدن وترويح عن النفس. وعن أنس قال: رسول الله عندما قدم إلى المدينة ولهم يومان يلعبان فيهما، فقال: «قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى» رواه النسائي - بسند صحيح - وعن جعفر بن محمد أن النبي كان يلبس بردة حبرة كل عيد - نوع من برود اليمن -. والسعادة لدى الإنسان المسلم عندما يفرح بالعيدين لها ملامح خاصة لا توجد لدى غير المسلم؛ فهو لديه يقين كامل بأن الله عز وجل معه دائما، وحينما يدعوه يستجيب له، وأن العسر لا يأتي منفردا بل يأتي اليسر معه، كما لديه إيمان كامل بأن رزقه بيد الله وحده وهو في السماء، وأن الجنة هي المأوى بعد أداء الأعمال الصالحات. والسعادة سمة إنسانية عامة وليست إسلامية فقط، لذلك يختلف مفهومها، فهي عند غير المسلمين: «لا أحد يمدح السعادة كما يمدح العدل مثلا حسبما قال الفيلسوف اليوناني «أرسطو». وكما أشار «بريستلي»: هي شيء بين اللذة والمتعة، ورأى «برتراندرسل» أن السعادة تعتمد على التوفيق بين أسباب داخلية وأخرى خارجية. ومن الطريف أن الشاعر الألماني «جيته» بعد أن عاش حياة حافلة بالعمل والفكر قال: لم أظفر بالسعادة في حياتي إلا أسبوعين فقط!

وليس هناك أدنى شك في أن كلمة التضحية المقترنة بعيد الأضحى تختلف عن مثيلتها لدى الآخرين؛ فكلمة التضحية عرفت قبل نزول القرآن الكريم، وقد أخذت معناها الأصيل من الضحى وهو موعد تقديم ذبيحة العيد، وهو ما يعد نوعا من أنواع شكر الإنسان لله عز وجل، كما أنه يعد إحسانا للمحرومين. والقرآن الكريم يوضح أغراض التقرب إلى الله بالأضحية، فالمولى عز وجل منزه عن النيل منها طعاما شميما وهو ما أشارت إليه الآيتان (٣٦ و٣٧) من سورة الحج: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)﴾، فهنيئا للمسلمين بجني الثمار بعد أيام وليال الطاعات.



إعداد
علاء عبد الفتاح

هدية فريق نظم المعلومات بالتعاون مع إدارة التخطيط الاستراتيجي

التحول الرقمي في الأوقاف الكويتية

تقنيات حديثة وأفكار، مقترحات ونقاشات.. عصف ذهني وتبادل آراء.. وكل ذلك لتوظيف التحول الرقمي في مجالات العمل بوزارة الأوقاف الكويتية، وهو بلا شك دور مهم وجهد محمود لموظفات إدارة نظم المعلومات بالوزارة، حيث نتوقف عند ورقة مهمة قدمتها اختصاصي نظم المعلومات ورئيسة فريق التحول الرقمي وضحة الخالدي بمناسبة معرض رواق[٢] الذي لا يجب أن يمر مرور الكرام، بل نتوقف عند كل تفصيلة وكل فكرة وكل تقنية تم عرضها، فتتحقق بذلك الفائدة المرجوة بإذن الله تعالى ليس في الكويت فقط بل في سائر بلادنا الإسلامية، ذلك أن تطبيق النظم المعلوماتية الحديثة في حياتنا العملية يؤدي بمشيئة الله إلى مزيد من الإنجاز والتيسير.

تقول وضحة الخالدي وهي الحاصلة على ماجستير تكنولوجيا المعلومات: العالم الآن يعيش في عصر التكنولوجيا المتزايد الذي ينمو يوما بعد يوم، حيث استطاع عصر المعلوماتية والتكنولوجيا

أن يسيطر على جميع المجالات الحياتية، سواء كانت صحية أو تعليمية أو هندسية أو تجارية وغيرها، ولقد تميز فريق التحول الرقمي بالعمل الجماعي، فقدمنا تجربة تعليمية شدت الانتباه، لان التقنيات التي تم عرضها تخدم الموظفين وتوفر فرصة للتطوير المهني وتعلم الخدمات الجديدة وتنمي المهارات وتزيد الخبرات وتحسن أدائهم في وظائفهم.

فضلا عن المحاضرات والورش الرقمية، ومنها محاضرة كلية محمد بن راشد للابتكار الحكومي، ومحاضرة علوم وقواعد البيانات الرقمية للدكتور محمد عباس مستشار المكتبات وأمن المعلومات، وأيضا ورش وزارة الداخلية الكويتية عن الأمن السيبراني وإنترنت الأشياء، وغيرها من المحاضرات المتنوعة.

وتشرح الخالدي ما هو التحول الرقمي؟ فتقول: التحول الرقمي هو عملية تطبيق التقنيات الرقمية لتجديد طريقة إنجاز الأعمال وإبداع قيمة جديدة وتقديمها. ثم تبدأ في تفصيل الحديث عن تقنيات بعينها مثل تقنية التعرف على الوجه، حيث تم توفير بوابة لتسجيل الدخول عن طريق بصمة الوجه، وأيضا تم توزيع ثلاث كاميرات خاصة لمتابعة حركة الزوار من جميع الاتجاهات عن طريق خاصية التعرف على الوجوه المرتبطة بالذكاء الاصطناعي.

ومن فوائد هذه التقنية: زيادة السلامة والأمن، ومنع الجرائم، وتقليل التفاعل البشري، ويمكن أن تساعد حتى في دعم الجهود الطبية. كما يمكن استخدامها في المساجد، ومنع أي حادث تفجير إرهابي بإذن الله.

وتوضح الخالدي: برزت فائدة هذه التقنية خلال جائحة كورونا، فهي لا تتطلب اتصالا جسديا بين الأجهزة والشخص، مما يقلل احتمالية نقل العدوى.

- ويمكن استخدامها في تسجيل الدخول إلى المؤسسات الرسمية أو الشركات (بديلا للبصمة أو التوقيع).

وتعتبر هذه التقنية من أحدث وسائل ما يعرف بالأمن البيومتري، ويقصد به الأمن المعتمد على القياسات الحيوية للبشر؛ مثل بصمة العين، أو بصمة الإصبع، أو الصوت، وهي شديدة الأمان مقارنة بأساليب التشفير التقليدية مثل كلمة المرور وغيرها.

وأثناء حديث الخالدي لـ «الوعي الإسلامي» عرضت بالفعل على شاشة ذكية معلومات مستقاة من التعرف على الوجه لأكثر من شخص منهم معد التقرير منها الحالة المزاجية فضلا عن تقدير العمر.



تفوق النظم

ضم فريق التحول الرقمي موظفات على درجة عالية من المهارة والتفاني في العمل منهن:

فرح راكان المطيري
هند يعقوب الشعبان
شوق سعود الشمري
عايشة محمد الكندري

الشاشات التفاعلية

التطور العلمي الذي يشهده العالم الآن أضاف العديد من مفاهيم وأساليب التعلم وجميع المهارات اللازمة له، كما أضاف الكثير

من الوسائل التقنية الحديثة التي يمكن الاستفادة منها في كثير من المجالات وخاصة مجال التعليم بالأخص الشاشة التفاعلية **.interactive screen**

وبحسب وضحة الخالدي تعتبر الشاشة التفاعلية نتائج ثمار التطور التكنولوجي والعلمي، فيمكن استخدام السبورة الذكية في القاعات التعليمية والاستغناء عن جهاز الحاسب الآلي وجهاز العرض وذلك عند تواجدها في القاعة التعليمية، وذلك لأنها تعد التقنية الوحيدة من بين جميع الوسائل التعليمية التي جمعت الكل في وسيلة واحدة.

كما تتميز الشاشة التفاعلية بدقة ودرجة وضوح عالية، ولا تحتاج إلى مصدر تغذية خارجي، بالإضافة إلي إمكانية حفظ الدروس التي يلقيها المعلم مع إمكانية طباعتها وإرسالها عبر البلوتوث أو عن طريق البريد الإلكتروني، كما يمكن رؤية كافة المحتويات من تطبيقات وألعاب من علي جهاز الكمبيوتر إلى الشاشة التفاعلية من أي اتجاه بكل وضوح.

بالإضافة إلي إمكانية استخدام جميع برامج الإنترنت المميزة بشكل سهل وبكل حرية، مما ينتج عن هذه الوسيلة والتقنية الرائعة ثراء في العملية التعليمية والتربوية والتعليم الإلكتروني أو كما يعرفه البعض التعلم عن بعد، وذلك نظرا لاستخدام وإضافة مؤثرات وأبعاد وبرامج خاصة تساعد الشخص المتعلم في زيادة خبراته التعليمية.

وبالفعل ترينا الخالدي نموذجا





عمليا للشاشة التفاعلية، موضحة أن استخدامها بدأ في بعض الكليات والمدارس، آملة أن يتم تعميمها.

وتبشرنا الخالدي بأنه تم تقديم مقترح استخدام الشاشة التفاعلية في حل مشكلة نقص مترجمي لغة الإشارة، حيث تم الاتصال بالأستاذ محمد القبيصي من مركز الارتقاء للصم عن طريق برنامج الزوم وظهوره على سطح الشاشة التفاعلية وتحاوره مع وكيل وزارة الأوقاف بالصوت والصورة بكل وضوح، مما يثبت إمكانية تطبيق خدمة الاتصال المرئي لمترجمي لغة الإشارة وتجاوز مشكلة نقص المترجمين بكل احترافية.

الواقع الافتراضي

الواقع الافتراضي تقنية حاسوبية توفر بيئة ثلاثية الأبعاد تحيط بالمستخدم وتستجيب لأفعاله بطريقة طبيعية، وعادة ما يكون ذلك من خلال وسائل عرض مثبتة





بـرأس المسـتخـدم، كـمـا تستخدم قفازات أحيانا لتتبع حركة اليدين من خلال خاصية اللمس.

وتـضـيـف رئـيـس فـريـق الـتـحـول الرقمي وضحة الخـالـدي: أنظمة الـواقـع الافـتـراضـي تجربة ثلاثية الأبعاد لأكثر من مشارك؛ ومع ذلك فهي محدودة القدرات في عملية التفاعل بين المشاركين.

وتستخدم تقنية الواقع الافتراضي في العديد من المجالات. في المجال الطبي، تستند عملية إعادة تأهيل المرضى بتقنية الواقع الافتراضي «VR» إلى محاكاة العالم الحقيقي ليلائم تحقيق العديد من المتطلبات للتدخل الـفـاعـل وتحـقـيـق أعلى مستوى بـاسـتـخـدام وحـدة تحكم ألـعـاب الفيديو، فضلا عن جهاز الاستشعار الحركي.

وتقدم لنا الخالدي نموذجا لمشاهد من جزيرة فيلكا عبر تقنية الواقع الافـتـراضـي عـن طـريـق أجـهـزة وعدسات وصور (٣٦٠) درجة.

وتوضح: للواقع الافتراضي فوائد كثيرة للمتعلم حيث تمكن هذه التكنولوجيا مـن الـقـيـام بجولة افتراضية مـن مـكـان لآخـر، على سبيل المثال: تم عرض ستة مواقع أثرية في الكويت، منها بيت السدو وجزيرة فيلكا وبيت البدر والمرسم الحـــر، والـقـوة الـرئـيـسـيـة لـهـذا الاسلوب هو أنه يسمح للمستخدمين برؤية هذا المكان عبر (٣٦٠) درجة واسـتـكـشـاف عـنـاصـره بـأبعادها الثلاثية بشكل يسمح بالتفاعل مع المشهد من خلال النقاط الساخنة، وهـذا يختلف عن مجرد المشاركة في عـرض المعلومات على شاشة الحاسوب.

كما يعتقد أن تكنولوجيا الواقع الافتراضي لها القدرة على تنمية التعلم الذاتي المتمركز حول الطالب عن طريق استكشاف عالم أقرب للواقعية وأكثر تفاعلية. كما يتمكن المتعلم مـن خـلالـهـا مـن التحرك والتجول داخل المشهد مما يساعده على تنمية قدراته على تصور وفهم وإدراك البيانات العلمية المعقدة والتي لا تعطي دراستها بالأبعاد الثنائية الفهم المطلوب وخاصة في المواد العلمية.

ومـن أمـثـلـة وتـطـبـيـقـات الـواقـع الافـتـراضـي فـي التعليم: تدريس مـنـاسـك وأركـــان الحـج والـعـمـرة وتشريح جسم الإنسان كالأجهزة الهضمي والدوري والعصبي ويمكن لمعلمي الجغرافيا أو التاريخ توظيف تلك الخدمة في أخذ الطلاب في جولة افتراضية إلى بلدان العالم واستكشاف الحضارات والثقافات.



التحرير

«الوعي الإسلامي» تحصد المركز الثاني في جائزة الإدارة المتميزة



برعاية وزير الأوقاف عيسى الكندري وحضور وكيل الوزارة م. فريد أسد عمادي والوكيل المساعد لقطاع التخطيط م. داوود العسعوسي وعدد من الوكلاء المساعدين وقيادات من الوزارة ومدير إدارة التخطيط عبدالله الشاهين ومديري الإدارات المختلفة بالوزارة، تم تكريم إدارة مكتب مجلة «الوعي الإسلامي» لفوزها بالمركز الثاني جائزة الإدارة المتميزة فئة ج.

جاء ذلك خلال الحفل السنوي «نجاحات الحادي عشر» الخاص بجوائز التميز الإلزامية والاختيارية والتفوق الوظيفي، بفندق فور سيزون بقاعة البدع للإعلان عن الإدارات الفائزة في جائزة التميز «النموذج الأوروبي» الذي نظمته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ممثلة في إدارة التخطيط







والتطوير، تحت شعار «سباقون للتميز» لتكريم الإدارات المتميزة بالوزارة.

وكان مدير إدارة التخطيط الإستراتيجي في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عبدالله الشاهين قد أكد أن الوزارة أخذت بأحدث الأساليب العلمية وطورت جائزة التميز المؤسسي الأوروبية وطبقتها في وزارة الأوقاف كأسلوب إداري يعزز العمل المؤسسي ويرتقي بالأداء إلى المعايير العالمية، وهي دعوة صريحة لإمعان النظر في مرآة التميز للتعرف على مستوى أداء الإدارات الحقيقي على خلفية معايير التميز.

من جانبه قال رئيس تحرير «الوعي الإسلامي» فهد محمد الخزي: إن المقبل أفضل بمشيئة الله في ظل حرص المجلة على الخدمة الإعلامية المواكبة للحدث والمتابعة للنشاط الإسلامي في العالم والمتفاعلة مع قضايا الأمة كقضية القدس، مشيرا إلى أن وزارة الأوقاف لا تدخر جهدا في سبيل تطوير المنظومة الإسلامية الإعلامية التي نحن في أمس الحاجة لها في ظل محاولة تشويه صورة الإسلام والمسلمين من بعض القنوات الغربية.

وتابع الخزي سعدنا بمقابلة المحكمين اللذين شهدا لنا بتطبيق المعايير التسعة للجائزة وهي: القيادة والإستراتيجية والموارد البشرية وإدارة الشراكات والموارد وإدارة العمليات ونتائج المتعاملين والموارد البشرية ونتائج المجتمع ونتائج الأداء الرئيسة.

وأكد فهد الخزي أن «الوعي الإسلامي» تعالج قضايا الأمة الإسلامية وفق النهج الوسطي القويم ما أغرى الباحثين بإعداد دراسات عليا أكاديمية عنها وعن المواد الواردة فيها، لافتا إلى أنها توزع في أكبر نقاط بيع داخل الكويت وخارجها.



محمد العودة
باحث دراسات

دور الكويت في جامعة الدول العربية

تحتضن جامعة الدول العربية تحت رايتها الدول العربية في قارتي آسيا وإفريقيا دون استثناء، وأسست للحفاظ على مصالح هذه الدول من خلال التنسيق بينها في الشؤون الاقتصادية، إضافة إلى العلاقات التجارية، والثقافية، والاتصالات، والجنسيات، ووثائق وأذونات السفر وغيرها، كما تعمل على إيجاد حلول جذرية في حال اندلاع نزاع بين دولها أو بينها وبين طرف آخر، ويرجع تاريخ تأسيس جامعة الدول العربية إلى ٢٢ مارس ١٩٤٥م، وكانت عضوية الجامعة في البداية تقتصر على الدول المؤسسة لها كمصر والأردن والسعودية وغيرها، إلا أن الدول العربية الأخرى قد بدأت بالانضمام تدريجيا بعد استقلال كل منها لاحقا.

ومنذ انضمامها إلى جامعة الدولة العربية في ٢٠ يوليو ١٩٦١م تبذل الكويت قصارى جهدها لدعم الوحدة العربية والتلاحم سواء داخل أو خارج الجامعة من خلال ممثلها الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير البلاد الراحل الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية في ذلك الوقت، وكان للكويت دور دبلوماسي رئيسي في رأب الصدع العربي، وتبني سياسة متوازنة، وتوطيد أواصر التعاون، وحل الخلافات الخليجية والعربية، كما كان للكويت دور رائد في التوسط بين الأطراف اليمنية في الستينيات ووقف المواجهات المسلحة في سبتمبر ١٩٧٢م وانتهت الوساطة التي قام بها أمير الإنسانية الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح رحمه الله من خلال اللجنة التي شكلتها الجامعة بالتوصل إلى اتفاق سلام يمني واتفاق للتبادل التجاري في أكتوبر ١٩٧٢م، كما استضافت الكويت أول قمة عربية اقتصادية وتنموية واجتماعية في عام ٢٠٠٩م، والتي كانت من أنجح القمم التي عقدتها الجامعة، واستضافت أيضا القمة الإفريقية العربية، ومؤتمري التعهد الإنساني الدوليين للأنشطة السورية والعربية الأخرى.

وتعد جامعة الدول العربية أقدم منظمة دولية قامت بعد الحرب العالمية الثانية، وقد تكونت في ٢٢ مارس ١٩٤٥م أي قبل منظمة الأمم المتحدة بشهور، وتألفت في أول وقتها من سبع دول عربية كانت تتمتع بالاستقلال السياسي وقتذاك، هي: مصر، سوريا، المملكة العربية السعودية، الأردن، لبنان، العراق، اليمن، ويقع مقر الجامعة في القاهرة.

ولاحقا انضمت دولة الكويت إلى أعضاء الجامعة بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٦١م، ثم تلتها الإمارات العربية المتحدة بتاريخ ١٢ يونيو ١٩٧١م، ومملكة البحرين ودولة قطر بتاريخ ١١ سبتمبر ١٩٧١م، إضافة إلى باقي الدول الأعضاء.

ومازالت الكويت تحرص على رأب الصدع وتوحيد الجهود بين جميع الدول العربية والإسلامية بما يضمن الوحدة والتالف.



جاسم الجاسم
صحافي وباحث



الوتر.. صلاة الليل المشهودة

حض الإسلام على أداء صلاة الوتر وبيَّن أهميتها وفضلها وثوابها العظيم، وأن تكون آخر صلواتنا بالليل وترا.

ومعنى الوتر في اللغة: الفرد أو العدد الفردي، والجمع: أوتار. أما معناه اصطلاحا فهو صلاة التطوع أو النافلة التي تؤدى في الليل بعد صلاة العشاء. وقيل هي الصلاة التي تختم بها باقي الصلوات في الليل قبل أذان الفجر.

قال تعالى: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ (الفجر:٣).

وتعتبر صلاة الوتر وهي سنة مؤكدة، من العبادات العظيمة التي اهتم بها النبي ﷺ وأولاها عناية بالغة وحافظ على أدائها فلم يتركها في سفر ولا حضر. كما أوصى بالحفاظ عليها وأدائها وحذر من إهمالها وتركها والتهاون فيها.

ووردت الكثير من الأحاديث النبوية التي تبين أهمية صلاة الوتر، وتحض على أدائها وعدم إهمالها لأنها من أعظم العبادات وأجل الطاعات.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل، ومن أوسطه، ومن آخره، وانتهى وتره إلى السحر.

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: إن الوتر ليس بحتم كصلاتكم المكتوبة، ولكن رسول الله ﷺ أوتر، ثم قال: يا أهل القرآن أوتروا، فإن الله وتر يحب الوتر.

ووقت صلاة الوتر يبدأ من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر، والأفضل تأخير أدائها إلى الثلث الأخير من الليل، فإن «صلاة آخر الليل مشهودة». فعن أبي بصرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: إن الله زادكم صلاة فصلوها بين العشاء والفجر.

ولا يوجد لصلاة الوتر عدد معين من الركعات، إذ بالإمكان الوتر بركعة واحد أو ثلاث ركعات أو أكثر، لكن أقل عدد ركعة واحدة. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الوتر ركعة من آخر الليل».

ويسن للمصلي في صلاة الوتر أن يقرأ سورة (الأعلى) في الركعة الأولى، وفي الركعة الثانية سورة (الكافرون)، وفي الركعة الثالثة سورة (الإخلاص).

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يوتر بثلاث، يقرأ في الأولى بـ «سبح اسم ربك الأعلى»، وفي الثانية بـ «قل يا أيها الكافرون»، وفي الثالثة بـ: قل هو الله أحد».

عصام جمعة
ماجستير في الشريعة والقانون



وترجل «خطيب الأقصى» الشيخ أحمد القطان



فقد العالم الإسلامي الداعية الكويتي الأبرز والأشهر الشيخ أحمد القطان المعروف بخطيب منبر الدفاع عن المسجد الأقصى عن عمر يناهز الـ ٧٦ عاما.

المولد والنشأة

ولد الشيخ أحمد بن عبد العزيز بن أحمد القطان التميمي بمدينة الكويت عام: (١٩٤٦م)، ودرس التربية الإسلامية ثمانية عشر عاما، حتى تخرج من معهد المعلمين في عام: (١٩٦٦م).

تعرف من خلال مسيرته على الحركات الإسلامية فكانت بداية التغيير عنده، وكان قد انتقل من مصر إلى الكويت للدعوة في فترة الستينيات، وصار من أبرز خطباء المنابر والصحوة الإسلامية في الكويت والعالم الإسلامي.

يعد الشيخ القطان – رحمه الله – واحدا من أسود الدعوة وفرسان المنابر في العصر الحديث، حيث كان أشهر خطيب في ثمانينيات وبداية تسعينيات القرن العشرين في الكويت والعالم الإسلامي.

كان خطيبا فصيحا بليغا جهوري الصوت، متمكنا من ناصية اللغة العربية، ومتحدثا بليغا، وداعية فصيحا، وشخصية ذات مهابة، وحضور طاغ، وأحد رموز معركة الوعي، اتسمت مجالسه ودروسه بالثراء والحيوية، وكانت مواعظه توجل منها القلوب، وتذرف منها العيون، وتسمو بها النفوس، وتستنير بها العقول.

كانت خطبه أيام الجمعة أشبه بالمناسبات العائلية التي تتطلب من روادها تبكيرا وترتيبا، ومن الدولة استعدادا وتنظيما للمرور، وكانت العائلات تشد إلى مسجده الرحال.

مؤلفاته وتسجيلاته

- سلسلة اللمسات المؤمنة للأسرة المسلمة.
- سلسلة تربية الأولاد في الإسلام.
- سلسلة خواطر داعية.
- سلسلة مع الشباب.
- سلسلة العفن الفني.
- سلسلة ثورة الشعب الفلسطيني.
- سلسلة إعداد الفاتحين.
- سلسلة مفاتيح الجنة.

وغيرها من الكتب، وله مئات الأشرطة تحمل خطبه ودروسه والتي كانت تمثل جسر اتصال مع القضايا الإسلامية ومنصة للتعريف بها وإشعال الحماسة

لدى الشباب، تعرفنا على فلسطين من خلاله، وأدركنا حجم المؤامرة عليها من خطبه التي كانت زادا معرفيا وتوعويا وإيمانيا.

أمضى معظم حياته مدافعا عن الإسلام والمسلمين المستضعفين في كل مكان، ومنافحا عن حياض الأمة، صادحا بالحق، مناصرا لقضايا المسلمين، مؤيدا للقضايا العادلة، ومنافحا عنها، رافضا للظلم، ومناهضا للظالمين، لم يكن يخشى في الله لومة لائم.

وكانت القضية الفلسطينية حاضرة بقوة في خطبه ودروسه، ومع أي تطور على ساحتها كان يفزع مبينا مكانة القدس والأقصى في الإسلام، مناشدا الرأي العام إلى الوقوف إلى جانب المرابطين في القدس الشريف وأكنافه، ومطالبا المنظمات الإنسانية تقديم العون والمساعدة، ومفندا مكائد اليهود الغاصبين وفاضحا لها، لهذا عرف بخطيب منبر الدفاع عن المسجد الأقصى.

كان - رحمه الله - داعية وسطيا معتدلا، شكلت دروسه وكتبه وشرائطه مرجعية للشباب ضد الغلو، تربى على دعوته جيل واسع من الدعاة والمفكرين في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فقد كان ذائع الصيت، واسع الاهتمام، كثير المتابعة والاطلاع، غزير العطاء، لا تكاد تثار قضية هنا أو هناك إلا ويتخذ إزاءها موقفا مستحقا ومؤثرا بالتوعية والبيان والمناصرة.



جائزة وتكريم

حاز الراحل على جائزة أستاذ الجيل، المقدمة من ملك البحرين في عام: (٢٠٠٩م)، بوصفه أفضل أستاذ للجيل المسلم، حيث كان يولي الطلبة المغتربين من الأقليات المسلمة حول العالم اهتماما خاصا، كونهم سيكونون عند تخرجهم سفراء للإسلام في بلدانهم.

في ميدان العمل الخيري كانت له صولات وجولات، فقد كان داعما لضحايا القضايا الإنسانية والكوارث والنوازل في شتى أنحاء العالم، وكان دائما في مقدمة الصفوف مستنهضا الهمم والعزائم، ومخاطبا أهل الخير والإحسان ليجودوا بأموالهم لإغاثة الملهوف ونصرة المنكوب، وقائدا للمتطوعين في الحملات الإنسانية، حتى إنه يشاركهم في حملات مكافحة التلوث البيئي.

وفاته

توفي الشيخ أحمد القطان في يوم: (الاثنين الموافق: ٢٢ شوال ١٤٤٣هـ/ ٢٣ مايو ٢٠٢٢م)، بعد تعرضه لوعكة صحية مفاجئة أدخل على أثرها العناية المركزة في مستشفى جابر الأحمد، تدهورت حالته الصحية خلال ساعات من دخوله المستشفى، ليعلن الفريق المشرف على حالته الصحية وفاته، وقد دفن في مقبرة الصليبخات.

وقد قرر وزير الأوقاف تخليد إسمه بتخصيص مسجد بمنطقة الدوحة يحمل أسم أحمد القطان.

رحل الشيخ القطان، والأمة كانت في أمس الحاجة إلى صوته الحر وصدقه في الدعوة وصدعه بالحق، وقد ترك وراءه فراغا كبيرا، وعلما نافعا، وعملا صالحا.

رحم الله الشيخ القطان، كان رجلا بأمة، كان قيمة وقامة كبيرة، نسأل الله أن يغفر له وأن يرحمه رحمة واسعة، اللهم لا تفتنا بعده، ولا تحرمنا أجره.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث





سلسلة الأعلام المتشابهة (٧٠)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الشعراني)

١- شهاب الدين الشعراني (ت: ٩٠٧هـ):

هو شهاب الدين أحمد بن علي الشعراني، والد عبد الوهاب الآتي ترجمته، وأول شيوخه.

وله نظم وعلم بالفلك والفرائض، كان له باع في إنشاء الخطب، وأنشأ خطبة ليس فيها حرف الألف، أولها (حمدت ربي ورب كل مخلوق، بحمد عظيم، من قلب مومن صدوق سبح بحمده شجر ومدر وغيوم وبروق وشمس وقمر وبحر وبر في غروب مع شروق)، قال ابنه: وصنف عدة مؤلفات في الحديث والنحو والأصول والمعاني والبيان، توفي في ناحية (ساقية أبي شعرة) بمصر، وإليها نسبته [1].

٢- علي الشعراني (ت بعد: ٩٦٧هـ):



هو علي بن علي بن أحمد البخاري الشعراني، فاضل من شيوخ الشافعية بمصر.

من مصنفاته: (فرائد القلائد) حاشية على شرح التفتازاني لعقائد النسفي، وحاشية (على شرح المحلي لجمع الجوامع) [٢].

٣- أبو عبد الرحمن الشعراني (ت: ٩٧٣هـ):

هو أبو عبد الرحمن عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني الشافعي الشاذلي المصري، من علماء الصوفية.

ولد في (قلقشندة) بمصر سنة: (٨٩٨هـ)، ونشأ بساقية أبي شعرة -من قرى المنوفية- وإليها نسبته: (الشعراني)، ويقال: (الشعراوي).

من أبرز تصانيفه: (تنبيه المفترين في القرن العاشر، على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر)، و(الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة)، و(درر الغواص من فتاوى الشيخ علي الخواص)، و(كشف الغمة عن جميع الأمة)، و(لطائف المنن)، و(لواقح الأنوار في طبقات الأخيار)، و(لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية)، و(مختصر تذكرة القرطبي)، توفي بالقاهرة [٣].

٤- عبد الرحيم الشعراني (ت: ١٠٤٨هـ):

هو عبد الرحيم بن عبد المحسن بن عبد الرحمن الشعراني الشافعي، نزيل القسطنطينية، وهو أحد مدرسي المدرسة الأحمدية.

من تصانيفه: (إيقاظ الوسنان من سنته في بيان الموصول وصلته)، وله شعر، توفي بنابلس [٤].

المتفق والمفترق في اسم (البرلسي)

١- خضر البرلسي (ت: ٨٥٣هـ):

هو خضر بن عبد الرحمن بن أحمد البرلسي المصري المعروف بالقباني، فلكي. من أبرز مصنفاته: (بهجة الفكر في حل الشمس والقمر)، و(إجابة السؤال في معرفة العمل بالهلال)، و(الجواهر الحسان وشمس عين الزمان في علم القبان) [٥].

٢- شهاب الدين البرلسي (ت: ٩٥٧هـ):

هو شهاب الدين أحمد البرلسي المصري الشافعي، الملقب بعميرة، فقيه، كان من أهل الزهد والورع، انتهت إليه الرياسة في تحقيق المذهب الشافعي، يدرس ويفتي.

من مصنفاته: (حاشية على شرح منهاج الطالبين للمحلي)، و(حاشية على شرح جمع الجوامع للسبكي) توفي بالفالج [٦].

٣- بدر الدين البرلسي (ت بعد: ١٠١٠هـ):

هو بدر الدين محمد بن عبد الرحمن البرلسي المالكي، من أبرز مصنفاته: (الأبواب والفصول في أحكام شهادة العدول)، (البدر المنير)، و(القول المرتضى في أحكام القضا)، و(القول المعتبر على قدمة المختصر) [٧].

٤- محمد البرلسي (ت بعد: ١٠٩٧هـ):

هو محمد بن أحمد البرلسي الأنصاري المالكي، من مصنفاته: (الآيات البينات في ثبوت كرامات الأولياء في الحياة وبعد الممات) [٨].

٥- أبو يحيى البرلسي (ت: ١٢٦٣هـ):

هو أبو يحيى مصطفى بن رمضان بن عبد الكريم البرلسي البولاقي، فقيه مالكي مصري.

ولد ببولاق بالقاهرة سنة: (١٢١٥هـ)، وتصدى للإفتاء والتدريس بالأزهر إلى وفاته.

من مصنفاته: (المنهل السيال في الحرام والحلال) فقه، و(الخطب السنية للجمع الحسينية)، و(حاشية على شرح القويسني للسلم) في المنطق، و(ديوان خطب)، و(السيف اليماني لمن قال بحل سماع الآلات والأغاني)، و(الحصن والجنة على عقيدة أهل السنة)، توفي بالقاهرة [٩].

الهوامش

١- انظر: معجم المؤلفين (٩/٢١٩) والأعلام للزركلي (١/١٧٩).
٢- انظر: معجم المؤلفين (٧/٣١) والأعلام للزركلي (٤/٣١٣).
٣- انظر: هدية العارفين (١/٦٤١) والأعلام للزركلي (٤/١٨٠) ومعجم المؤلفين (٢/١٤٩).
٤- انظر: هدية العارفين (١/٥٦٣) ومعجم المؤلفين (٥/٢٠٧).
٥- انظر: هدية العارفين (١/٣٤٧) والأعلام للزركلي (٢/٣٠٧).
٦- انظر: إيضاح المكنون (٨/١٣) والأعلام للزركلي (١/١٠٣) ومعجم المؤلفين (٨/١٣).
٧- انظر: هدية العارفين (٢/٢٦٥) ومعجم المؤلفين (١٠/١٣٦).
٨- انظر: هدية العارفين (٢/٢٩٩) ومعجم المؤلفين (٨/٢٣٥).
٩- انظر: هدية العارفين (٢/٤٥٧) والأعلام للزركلي (٧/٢٣٣) ومعجم المؤلفين (١٢/٢٥٢).

هشام الصباغ
باحث لغوي



وزير الديوان الملكي

أحمد بن سودة

■ من أسرة اشتهرت بعلمائها وفقهائها ومحدثيها، وهم رواد المنابر الشهيرة بالعاصمة العلمية المغربية فاس.. وكان صحافيا لامعا وعمل مديرا للديوان الملكي ومستشارا للملك لمدة تتجاوز ربع قرن.

■ خطيب مفوه؛ مرتجلا لا قارئا.. وصف برجل الدين الذي ارتدى القبعة السياسية من أجل بناء دولة الاستقلال، وبالوطني الغيور، والصحفي البارع، والمحلل السياسي المحنك، والشاعر المبدع.. وعرف بثقافته العربية الواسعة.

■ يتمتع بشخصية إشعاعية؛ فطباعه وخصائصه وتربيته الدينية ومبادئه الإنسانية، جعلته، وعلى مدى عقود من الزمان، يلعب دورا وطنيا وسياسيا وإعلاميا عظيما.. لذا تجده يتقن اختيار كلماته بعناية شديدة ثم يطلقها مدوية كأنها تتدفق لهبا.. كما أنه يجيد تحسس خطاه فتراه يبتعد بمقدار ويقترب بمقدار، ويدلي برأيه صريحا.. لكن بالنهاية تجده رهن الإشارة في الملمات ومواسم الرياح الهوجاء.

■ من الرعيل الأول في المغرب، ومن مؤسسي التعليم الحر فيه، إذ أسس أول مدرسة حرة في فاس، وهو أحد أكبر رموز الحركة الدينية والوطنية والسياسية والثقافية، ومن المجاهدين الأولين الذين خبروا السجون والمعتقلات في كفاح المغرب الوطني ضد الحماية الفرنسية، وهو الشخصية الأكثر شهرة في عهد الحسن الثاني.. إنه وزير الديوان الملكي المستشار أحمد بن سودة.

النشأة والتعليم

■ ولد أحمد بن يحيى بن سودة يوم الخميس ٢٠ ديسمبر ١٩٢٠م، في مدينة فاس لأسرة اشتهرت بعلمائها وفقهائها ومحدثيها، إذ كانوا رواد المنابر الشهيرة في العاصمة العلمية المغربية فاس.

■ ورث التعلق بالعلماء والجمع بين الثقافة والإعلام والدين والسياسة عن والده، الذي يتحدر من قبيلة «مرة» من قريش.. أجداده هاجروا من مكة إلى اليمن إلى دمشق ثم إلى الأندلس (في عهد الأمويين)، واستقروا في غرناطة ومنها دخلوا المغرب، حيث استوطن أكثرهم مدينة فاس.. أما أمه فتتحدر من بيت توارث العلم والصلاح والتقوى ينتمي لبيت الحسين حفيد رسول الله ﷺ.

■ في كتاتيب فاس تابع بن سودة دراسته الأولى، فتعلم فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب والقرآن، ثم التحق بعد ذلك بالمدرسة الخضراء، وعندما أنهى دراسته الابتدائية التحق بجامعة القرويين.

المشوار العملي

■ بدأ بن سودة حياته العملية باكرا؛ فزاول نشاطه الأدبي منذ أن كان طالبا فأسس جمعية النبوغ والعبقرية، كما شارك أيضا في العمل الوطني، فالتحق بالحركة القومية، ثم بحزب الشورى والاستقلال، ثم بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وشارك في عدة مؤتمرات للدفاع عن استقلال المغرب، وفي عام ١٩٤٧م أصدر جريدة الرأي العام.

■ تكوين بن سودة العلمي سمح له بتبوؤ مناصب عليا بعد حصول المغرب على استقلاله؛ فاستوزر عدة مرات خلال خمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن المنصرم، كما شغل عامل إقليم الرباط، ثم عمل مديرا للإذاعة والتلفزة، ثم سفيرا للمغرب في لبنان (مرتين)، ثم مديرا للديوان الملكي، ومستشارا للملك.

«قمة بمن حضر»

■ خلال الثمانينيات أصبح المغرب قبلة للقمم العربية، وبحكم خبرته العالية بأمور الوطن العربي، أوكل إليه الملك الراحل الحسن الثاني مهام دقيقة، من بينها تليين مواقف الذين كانوا يتمنعون عن الحضور، وهو صاحب العبارة الشهيرة «قمة عربية بمن حضر».

تغني بن سودة بدار مولده

■ دار الفقيه سيدي يحيى (والده، الذي رزئ بفقدان أولاده واحدا تلو الآخر) في فاس هي الدار التي فتح بن سودة عينيه على حيطانها وفضائها وزواياها وغرفها وأناسها والمترددين عليها.. تلك الدار لم تكن بالنسبة إليه مجرد دار ولد وتربى بين جدرانها وغرفها، بل كانت جزءا لا يتجزأ من شخصيته

ووجوده، ففيها بدأ وعيه بالتشكل: «هي دار تعج بالذكريات.. ففيها تربى الكثير من جدودي وأعمامي.. يزورها أفراد العائلة من كل مكان.. مدخلها عبارة عن غرفة استقبال مفتوحة للزوار (...) تضرب له المواعيد ويقصده الأعيان والزوار والعلماء، وبه تدور الأحاديث والندوات، وتحل المشاكل ويتبادل الحاضرون شجون الحياة وشؤونها».

■ لم تكن الدار التي يتغنى بها بن سودة من تلك الدور الفخمة التي تعرف ببذخ معمارها وسعة يد أهلها، بل: «كانت دارا متواضعة، لكنها مرموقة (...) تعرف بأسرتها ومكانتهم في مجتمع يجل العلم والصلاح قبل أن يصنف المال والثروة عنوانا للجاه والأثرة والتميز الاجتماعي».

■ وعندما بدأ بن سودة يكبر رويدا رويدا: «وجدت عمي محمد خطيبا بمسجد سيدي أحمد الشاوي وعمي العابد خطيبا بالحرم الإدريسي، وعمي عمر خطيبا بمسجد الرصيف، ومحمد خطيبا بمسجد الأندلس، وعمي عبدالرحمن يخطب بالتناوب بمسجد بني جنود، وعمي العربي خطيبا بمسجد باريز.. كما كان بالقرويين عدة علماء سوديون يقومون بالتعليم والوعظ والإرشاد.. ففي هذه الدار التي كان يجتمع فيها كل هؤلاء ولدت ونشأت وبدأ وعيي يتشكل».

منجزات إحسانية

■ أنشأ بن سودة، رفقة شقيقه محمد، جمعية الزاوية الخضراء للتربية والثقافة بهدف احتضان ٥ آلاف طفل يتيم وفقير ومهمش في جملة من المدن المغربية.

■ لم يكتف بن سودة بتأسيس مكتبة ثقافية في فاس، بل جعلها وقفا علميا وثقافيا بعد تزويدها بأمهات المصنفات العلمية والدينية والثقافية.. فقد كانت تحوي نحو: ٦٥٩ مخطوطا، و١٠١٥ مطبوعا حجريا، و١٧٤٤٨ كتابا، و١٨٩٣ مجلة (٢٩٦ عنوانا)، و٣٩ أطلسا و٧٥ ملفا من الوثائق التاريخية (١٧٠ عنوانا) و٣٠ جريدة.. وما زالت المكتبة تفتح أبوابها في وجه العلماء والأساتذة والباحثين والطلاب وعموم القراء.

■ من أعماله التي حرص أن تظل سرية ومحجوبة إصلاحه وترميمه للعديد من المساجد من ماله الخاص. كما دعم عددا من الطلبة المعوزين في جامعة القرويين بفاس والجامعات الأخرى، وذلك بمنح سرية لا يعلم المستفيدون منها مصدرها.

ثقة الأسرة المالكة ببن سودة

■ تكوينه الثقافي والسياسي وقبلهما الديني، أهله لتولي مناصب مرموقة في المغرب، أبرزها الديوان الملكي، ما مكنه من الاقتراب أكثر من الأسرة المالكة.. وعندما توترت الأجواء بين سفير المغرب بلبنان والصحافة اللبنانية، لم يجد الملك محمد الخامس بدا من إرسال بن سودة خلفا لسفير المغرب في لبنان آنذاك لتلطيف الأجواء ورسم صورة ألمعية للمغرب، وكان بن سودة عند حسن ظن الملك، إذ استطاع بحنكته وذكائه أن ينسج خطوطا ويمد جسور تواصل مع الجميع.

■ ومثلما اعتمد عليه محمد الخامس ووثق به وبقدراته، كان أيضا علبة أسرار الملك الحسن الثاني، الذي ائتمنه على أسرار الدولة ومواقفها، وكثيرا ما أوفده في مهمات سرية إلى رؤساء دول عربية، بحكم صداقات بن سودة العربية، وما يحظى به من ثقة، وما يربطه من صلات، لاسيما مع الكويت.

إسهاماته مع «الوعي»

■ للأستاذ الدكتور أحمد بن سودة مشاركتان مع مجلة «الوعي الإسلامي»، جاءتا تحت عناوني: «طهر بلاد القدس (قصيدة)» (ع:٣٩): «القضية الزمزمية (مناجاة)» (ع:٤٨).

وفاة بن سودة.. وتعزية ملكية

■ أقعد المرض والشيخوخة بن سودة لسنوات قبل أن يترك المغرب عام ٢٠٠٨م إلى دار البقاء، وحرص ملك المغرب محمد السادس على أن يكون تواري بن سودة مقرونا بتكريم لائق، فنعاه الديوان الملكي، وأبرق الملك إلى أفراد أسرته معبرا عن حزنه وعن: «فداحة الرزء في فقدان أحد رجالات الوطنية الرواد الذين أبلوا البلاء الحسن في الكفاح الوطني ومعركة التحرير، وبناء المغرب الحر»، مؤكدا أن «المغرب إذا كان قد فقد بوفاته واحدا من رعيل المواطنة الصادقة، فإننا نستشعر بكل تقدير أعماله الجليلة كواحد من الأساتذة والفقهاء الذين نهلنا من معين معرفتهم، وعلومهم».

المصادر

- كتاب «الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي».
- موقع دنيا الوطن.
- موقع «الألوكة».
- مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
- موقع «سعورس».
- موقع «الأخبار» (المغرب).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

كتاب ديوان المعاني

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

ويأتي كتاب: «ديوان المعاني» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالكتاب

هو كتاب جمع فيه مؤلفه: الإمام اللغوي الأديب أبو هلال العسكري «أبلغ ما جاء في كل فن، وأبدع ما روي في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عواديها وشذاذها، وتخير من ذلك ما كان جيد النظم محكم الرصف غير مهلهل رخو ولا متجمد فج». هكذا يصف المؤلف كتابه - الذي بين أيدينا - الذي يعد بحق تحفة لغوية نادرة في أدبنا العربي.

التعريف بالكاتب

هو الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، واحد من أئمة البلاغة وعلوم العربية، فهو أديب، ناقد، لغوي وشاعر، لا يعرف مولده على وجه التحديد، غير أنه من أعلام المئة الرابعة للهجرة.

ولد أبو هلال العسكري في بلدة «عسكر مكرم» من كور الأهواز بين البصرة وفارس، ونشأ لأسرة مثقفة عرف منها والده، وعم والده، بيد أن المصادر التي ترجمت له سكتت عن نشأته وعن مراحل حياته الأولى، وكل ما ذكرته أنه كان يزاول تجارة الثياب مع سعيه إلى التحصيل العلمي.

وعلى الرغم من قلة الأخبار المتصلة بحياته، فإن ثمة أمرا جليا لا يمكن إغفاله، وهو أن الرجل قضى شطرا من حياته في التدريس والتأليف، وأنه خلف للمكتبة العربية طائفة من الكتب تناولت فروعا مختلفة من المعرفة كاللغة والأدب والتاريخ والحديث والتفسير، وقد غلب الأدب والشعر على أبي هلال العسكري إنتاجا وتأليفا، وكتبه المنشورة بين الناس تدل على تمكنه من علوم العربية والأدب.

وفاته

لم تحدد المصادر التاريخية تاريخ وفاة أبي هلال العسكري، كما لم تحدد تاريخ مولده، غير أن الذهبي ذكره في كتابه (تاريخ الإسلام) في الطبقة الثانية والأربعين التي تقع حوادثها ووفياتها بين سنتي (٤١١ - ٤٢٠هـ)، وقال: «أتوهم أنه بقي إلى هذا العصر». وحدد بعضهم تاريخ وفاته في حدود سنة: (٣٩٥هـ/١٠٠٤م) أو بعدها بقليل، لقول ياقوت الحموي: «وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء، غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه: وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمئة». والراجح أنه توفي بعسكر مكرم، فقد قال الذهبي: «وما أظنه رحل من عسكر مكرم».

من مؤلفاته

ديوان شعره، المحاسن في تفسير القرآن، ديوان المعاني، الفروق في اللغة، جمهرة الأمثال، شرح الحماسة، الأوائل، كتاب الصناعتين، ذم الكبر، الفروق اللغوية، الأمثال، معاني الأدب، من احتكم من الخلفاء إلى القضاة، التبصرة، الدرهم والدينار، التفسير (في خمس مجلدات)، فضل العطاء، لحن الخاصة، معاني الشعر.

المحتوى العام

جاء الكتاب في جزأين اشتملا على اثني عشر بابا، وفصول ومباحث جاءت تحت العناوين الآتية:

الباب الأول: في المديح والتهاني والافتخار.

الباب الثاني: في أوصاف خصال الإنسان المحمودة من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل، وما يجري مع ذلك.

الباب الثالث: في المعاتبات والهجاء والاعتذار.

الباب الرابع: في التشبب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك.

الباب الخامس: في صفات النار والطبخ وألوان الطعام، وفي ذكر الشراب وما يجري مع ذلك.

الباب السادس: في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر.

الباب السابع: في وصف السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض والنبات.

الباب الثامن: في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب.

الباب التاسع: في وصف الخط والقلم والدواة والقرطاس وذكر البلاغة.

الباب العاشر: في صفات الخيل والإبل والسير وذكر الوحوش والطيور والحشرات.

الباب الحادي عشر: في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمراثي والزهد.

الباب الثاني عشر: في صفة أشياء مختلفة يختم بها ديوان المعاني مثل: قولهم مرحبا، وقولهم: كيف أصبحت... إلخ.

نسخة «الوعي الإسلامي»

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذه التحفة اللغوية النادرة في أدبنا العربي، والتي تتكون من مجلدين، وهي في متناول قرائها الكرام المهتمين بكتب الأدب واللغة.

المصادر

- كتاب ديوان المعاني.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- الأعلام للزركلي.
- تاريخ الإسلام للذهبي.
- معجم البلدان للحموي.
- موقع قصة الإسلام، مقال بعنوان: أبو هلال العسكري، (٢٠١٧/١٠/٩).
- موقع مكتبة نور، التعريف بكتاب: ديوان المعاني.

إعداد / تركي محمد النصر

الدنيا والدة للموت

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى: قال أحد الزاهدين: «الدنيا والدة للموت، ناقضة للمبرم، مرتجعة للعطية، وكل من فيها يجري إلى ما لا يدري، وكل مستقر فيها غير راض بها، وذلك دليل على أنها ليست بدار قرار».

انظر: آداب الحسن البصري لابن الجوزي (٧١/١).

لفرض الكفاية مزية

إن للقائم بفرض الكفاية مزية على القائم بفرض العين، لأنه أسقط الحرج عن الأمة، حتى قال إمام الحرمين ووالده وغيرهما: إنه أفضل من فرض العين، لأنه يصان لقيام البعض به جميع المكلفين عن إثمهم المرتب على تركهم له، وفرض العين إنما يصان بالقيام به عن الإثم القائم بتركة الفاعل فقط.

انظر: الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد (ص/٧٥)

تقويم الصحبة وإرشادهم

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «وينبغي - أي: لطالب العلم- أن يرشد رفقته وغيرهم من الطلبة إلى مواطن الاشتغال والفائدة، ويذكر لهم ما استفاده على وجه النصيحة والمذاكرة. وبإرشادهم يبارك له في علمه، ويستنير قلبه، وتتأكد المسائل معه مع جزيل ثواب الله عز وجل، ومن بخل بذلك كان بضده، فلا يثبت معه، وإن ثبت لم يثمر».

انظر: مقدمة المجموع (٣٩/١).

مزارع الألسن

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «إن الأفئدة مزارع الألسن، فازرع الكلمة الكريمة فيها؛ فإنها إن لم تنبت كلها نبت بعضها».

انظر: مناقب الشافعي للبيهقي (٧٦/٢)

ممارسة العلم

قال العلامة المعلمي رحمه الله: «قد بقي من قواعد فهم اللغة ما لا يعرف إلا بالممارسة التامة، وتربية الذوق الصادق، بل إن القواعد المبسوطة المحررة لا يستطاع تطبيق أكثرها بدون ممارسة وحسن ذوق، وليس هذا خاصا بعلم العربية، بل الأمر كذلك في بقية العلوم».

انظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٣١٥/١).

مشاركة: يعقوب الجناع

المخلص كالماشي على الرمل

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «المخلص لربه كالماشي على الرمل لا تسمع خطواته، ولكن ترى آثاره».

انظر: جامع العلوم والحكم (ص/٣٠٢).

إشاعة العيوب

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «إن الناصح ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له، وإنما غرضه إزالة المفسدة التي وقع فيها، ولذلك فإنه ينبغي أن تكون سرا بين الآمر والمأمور، وأما الإشاعة وإظهار العيوب فهو مما حرمه الله ورسوله ومن حب إشاعة الفاحشة في المؤمنين».

انظر: موسوعة أقوال الحكماء (ص/٢٢١).

لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها

قيل للإمام مالك رحمه الله: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ قال: «أبالنبوة يلعب؟ لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها، فإن رأى خيرا أخبر به، وإن رأى مكروها فليقل خيرا أو ليصمت».

قيل: فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه لقول من قال: إنها على ما أولت عليه؟ فقال: «لا».

انظر: التمهيد (٢٨٨/١).

سر خطوة خطوة

قال الأديب الرافعي رحمه الله: «سر خطوة خطوة إذا أردت أن تقطع الطريق إلى آخرها، واجعل شعارك هذه الكلمة: إن النبوغ صبر طويل».

انظر: رسائل الرافعي (ص/١٢٢).

الدمعة تطفئ بحارا من نار

عن أبي عمران الجوني رحمه الله قال: «لكل أعمال البر جزاء، وفي كلها خير إلا الدمعة تخرج من عين العبد، فليس لها كيل ولا وزن حتى يطفأ بها بحار من النيران».

انظر: موسوعة ابن أبي الدنيا (١٧٧/٣).



إعداد: التحرير

السعادة المفقودة



ما الذي يحول بيننا وبين الرضا وبالتالي لا نصل إلى مرحلة انشراح الصدر واتساعه ليدخل فيه النور والفيض والعطاء؟

الذي يحول بيننا وبين الوصول إلى تلك المرحلة المهمة من حياة الإنسان هو أننا نتطلع إلى ما في يد غيرنا من متاع أو عرض.. نظرنا وتحسرنا على نسبة المفقود عندنا ولم ننظر ما المفقود عندهم، فلعل أحدهم غير مسموح له إلا بنوع واحد من الطعام أو الشراب وإلا تعرض للألم، أو ربما يتجرع بعضهم آلام العقوق التي يقاسيها من ولده صباح مساء، أو ربما تساكنه في قصره زوجة تعكر ماء النهر، وما يضيرنا أن يكون غيرنا غنيا وسعيدا إنما هي عطايا الرحمن التي يعطيها ويهبها لعباده ابتلاء واجتباء، كثير من الخلق يكدرون عيشهم بأنفسهم حين يبيتون الليل وهم يقارنون بين حياة وحياة ومكان ومكان وذرية وذرية وعمل وعمل رغم النداء القرآني: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر:٨٨)، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه:١٣١). رفقا بأنفسكم وبغيركم. وهل السعادة إلا سلام داخلي مع النفس تمده روافد السكينة التي تنزل بالقلب بردا وسلاما فتحيله إلى حالة من الرضا المتدفق والمتألق، لذلك لم يقل الله لنبيه ولسوف يعطيك ربك فتسعد بل قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ (الضحى:٥). فإذا رضي العبد وقنع بعطية الله له هنا فقط يرتاح القلب المتلفت وتجمع النفس المبعثرة ويعود للروح نداوتها وصفاؤها.



أ. د. علي مدني رضوان الخطيب

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:



alwaeiq8@gmail.com





أول مستشفى تعليمي في العالم

أول مستشفى تعليمي في العالم هو ذلك المستشفى الذي أقامه الخليفة المنصور في القاهرة عام ١٢٩٣م، كان به أقسام للأمراض المختلفة، خصوصا أمراض النساء والتوليد، والنقاهة، وبه قاعات للمحاضرات، وعيادات خارجية، ومطابخ لإعداد الطعام للمرضى والعاملين طبقا لنظام التغذية العلاجية، ومكتبة كبيرة، وملحق بالمستشفى جناح خاص باليتامى.

وكانت هيئة التمريض مكونة من رجال ونساء مدربين، وكان المريض الذي يغادر المستشفى إلى بيته يصرف له راتب شهري حتى لا يضطر إلى العودة إلى عمله قبل أن يتم شفاؤه.

وكان المرضى المصابون بالأرق تتم تسليتهم بالاستماع إلى الحكايات من رواة محترفين.

لهذا فإن هذا المستشفى يعد وبحق أول معهد تعليمي لفنون الطب والتمريض في العالم.

د. يحيى سنبل



الحكمة وليس الغضب

روي أن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «لا تغضب» فردد مرارا قال: «لا تغضب» (رواه البخاري).

فالغضب يؤدي إلى قطع الأرحام وسفك الدماء وإشعال الفتن، بل وإصابة الشخص الغاضب بالأمراض مثل ارتفاع ضغط الدم واحتمال الإصابة بأزمات قلبية قاتلة وإعاقة جهاز المناعة عن العمل.

ولذا مدح الله من عباده الذي يملك نفسه عند الغضب، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٤)، وهذه ملكة سبأ لم تغضب ولم تغتر بالقوة عندما أشاروا عليها، قال تعالى: ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ (النمل:٣٣)، بل كانت أكثر حكمة، وقدرت الموقف تقديرا سليما، قال تعالى: ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ (النمل:٣٤)، فعصمت الدماء وجنبت قومها ويلات الحروب وقادتهم إلى الخير، والحكمة مطلوبة أكثر في بيوتنا حتى لمن أظهروا لنا العداوة من أقاربنا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ (التغابن:١٤)، فعلينا أن نتحلى بالحكمة في أحلك اللحظات، لأنها سبيل الخير والنجاة، وأن نتجنب الغضب بكل السبل، ولن يتأتى ذلك إلا بالصبر وحسن الخلق والحلم والأناة، قال تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (البقرة:٢٦٩).

عمرو عبد التواب

مِسكُ الختام

هنيئا لكم

توفير الراحة وتهيئة الأجواء لحجاج بيت الله الحرام حتى يؤدوا مناسكهم بكل سهولة ويسر، كان الشغل الشاغل لوزارة الأوقاف التي سافر منها أعضاء كرام في لجنة للكشف عن مساكن الحجاج والتأكد من توفير الأمن والسلامة لهم والتنسيق الكامل مع وزارة الحج بالمملكة العربية السعودية، فضيوف الرحمن الذين يأتون من كل فج عميق لهم حق علينا وعلى كل من يستطيع التخفيف عنهم، ولم يكن عقد اللقاء التنويري لأعضاء بعثة الحج الكويتية تحت رعاية وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ورئيس البعثة المهندس فريد عمادي إلا في ذلك الإطار الذي يرشد ويحث على بذل المزيد من العطاء ومضاعفة الجهود لخدمة ضيوف الرحمن.

إن جهد المرشدين الدينيين في حملات الحج الكويتية لم يأت إلا حبا وكرامة للذين فازوا بهذه الفرصة العظيمة كي يقفوا في الحرم الشريف أمام بيت الله سائلين الكبير المتعال سبحانه وتعالى غفران الذنوب وقبول الصالح من الأعمال متزودين بزاد للحياة الحقة، حيث نعيم مقيم برحمة من الله وفضل ورضوان.

هنيئا لمن حج وعاد بقلب سليم وهنيئا لمن ساهم ولو بالقليل في تهيئة الظروف المناسبة لهذه الفريضة المباركة وهنيئا للأمة الإسلامية عيد الأضحى الذي جعله الله للفرحة وللعطاء.

محمد شباب غريب السعيدي
مراقب شؤون اللجنة العليا للحج والعمرة